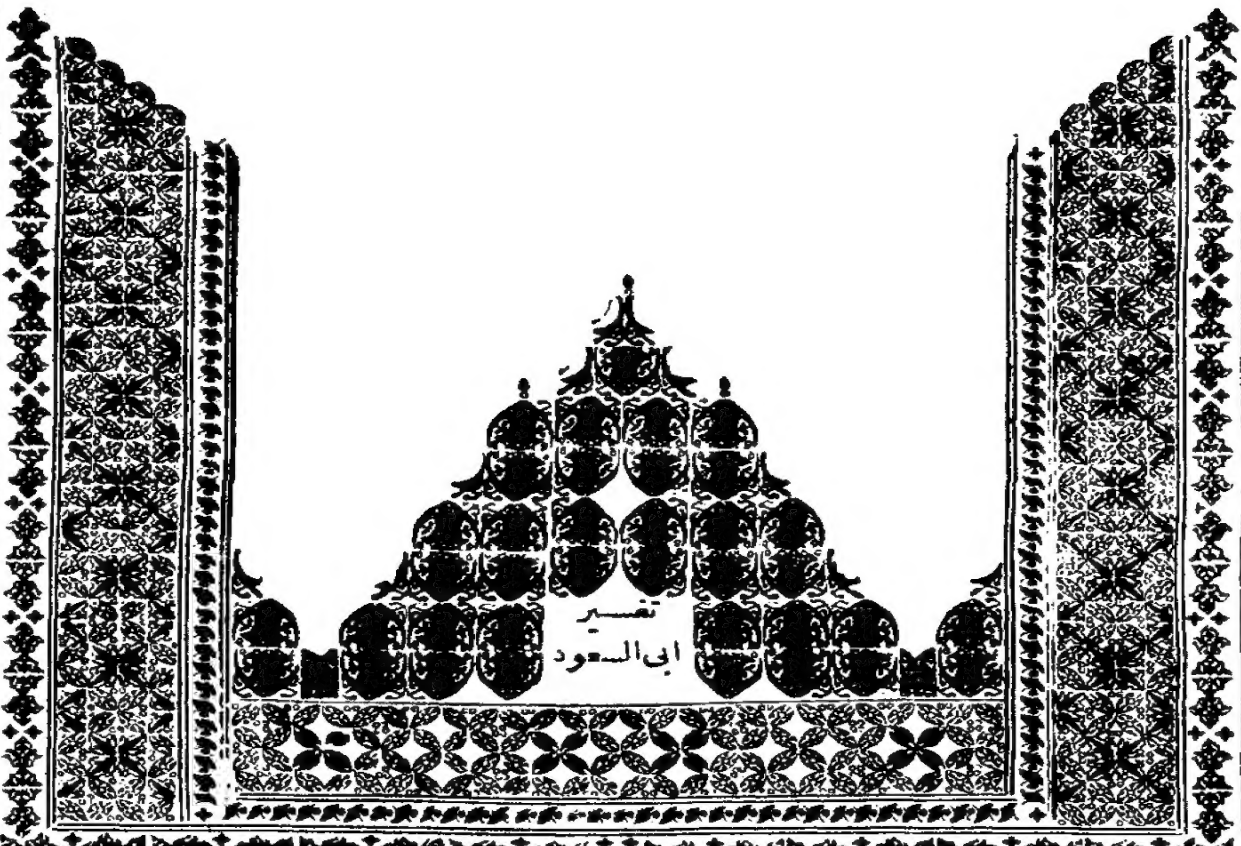


• (فهرسة الجزء الاول) •

• (من تفسير المنلايح السعود المسمى ارشاد العقل السليم الى من ايا الكتاب الكريم) •

| | | | |
|-----------------------------|--------------------------------|-----------------------------|------------------------------|
| خطبة الكتاب صفحة ٢ | سورة فاتحة الكتاب صفحة ٥ | سورة البقرة صفحة ١٤ | سورة آل عمران صفحة ١٨٢ |
| سورة النساء صفحة ٢٧٠ | سورة المائدة صفحة ٣٥٢ | سورة الانعام صفحة ٤١٧ | سورة الاحراف صفحة ٤٨٣ |
| سورة الانفال صفحة ٥٤٦ | سورة براءة صفحة ٥٦٩ | سورة يونس صفحة ٦١٧ | سورة هود صفحة ٦٦٠ |
| سورة يوسف صفحة ٧٠٢ | سورة الرعد صفحة ٧٤١ | سورة ابراهيم صفحة ٧٥٨ | سورة الحجر صفحة ٧٨٠ |



(بسم الله الرحمن الرحيم)

سبحان من ارسل رسوله بالهدى ودين الحق * وبين له من شعائر الشرائع كل ما جل ودق * انزل عليه اظهر
بينات واهر حجج * قرآن اعربيا غير ذي عوج * مصدقا لما بين يديه من الكتاب * ليذروا آياته وليتذكر
اولوا الالباب * ناطقا بكل امر رشيد * هاديا الى صراط العزيز الحميد * امر ابادة الصمد المعبود * كتابا
متشابها مثاني تشعرو منه الجلود * تكاد الرواسي لهيته غور * ويذوب منه الحديد ويميع صم الخنوز *
حقيق بان يسير به الجبال * ويسير به كل صعب محال * معجزا الخم كل مصقع من مهرة قحطان * وبكت
كل مفلق من حجرة البيان * بحيث لو اجتمعت الانس والجن على معارضته ومباراته * لعجزوا عن الاتيان
بمثل آية من آياته * نزل عليه على فترة من الرسل * ليرشد الامة الى اقوم السبل * فهداهم الى الحق وهم
في ضلال مبين * فاضل دجى الباطل وسطع نور اليقين * فن اتبع هداه فقد فاز بمناء * وأما من عانده
وعصاه * واتخذ الله هواء * فقد هاهم في موائى الردى وتردى في مهاوى الزور * ومن لم يجعل الله
له نورا فماله من نور * صلى الله عليه وعلى آله الاخيار * وصحبه الابرار * ما تناوبت الانواء * وتعاقت
الظلم والاضواء * وعلى من تبعهم باحسان * مدى الدهور والازمان * وبعد فقول العبد الفقير الى رحمة
ربه الهادى * أبو السعود بن محمد العمادى * ان الغاية القصوى من تحرير نسخة العالم وما كان حرف
منها مسطورا * والحكمة الكبرى في تخمير طائفة آدم ولم يكن شيئا مذكورا * ليست الامعرفة الصانع
الحميد * وعبادة البارئ المبدئ المعيد * ولا سبيل الى ذال المطلب الجليل * سوى الوقوف على مواقف
التزليل * فانه عز سلطانه * وبهر برهانه * وان سطر آيات قدرته في صفات الاكوان * ونصب رايات وحدته
في صنائع الاعراض والاعيان * وجعل كل ذرة من ذرات العالم * وكل قطرة من قطرات العلم * وكل نقطة
جرى عليها قلم الابداع * وكل حرف رقم في لوح الاختراع * مرآة لشاهد جلاله * ومطالعة صفات
كماله * حجة نيرة واضحة المكنون * وآية بينة لقوم يعقلون * برهاننا جليا لا ريب فيه * ومنها جاسويا
لا يضل من ينتحيه * بل ناطقا تلاو آيات ربه فهل من سامع واع * وجيبا صادقا فهل له من داع * يكلم الناس

على قدر عقولهم * ورد جوابهم بحسب مقولهم * يحاور تارة بأوضح عبارة * ويالقح أخرى بألفاظ اشاره
 لكن الاستدلال بتلك الآيات والدلائل * والاستشهاد بتلك الامارات والخصايل * والتنبه لتلك
 الاشارات السريه * والتفطن لمعاني تلك العبارات العبقريه * وما في تضاعيفها من رموزاً سرار القضاة
 والقدر * وكنوزاً ثمار التعاجيب والعبر * مما لا يطبق به عقول البشر * الا بتوفيق خلاق القوى
 والقدر * فاذن مدار المراد * ليس الا كلام رب العباد * اذ هو المظهر لتفاصيل الشعائر الدينيه * والمفسر
 لمشكلات الآيات التكوينية * والكاشف عن خفايا حظائر القدس * والمطلع على خبايا سرائر الانس *
 وبه تكتسب الملكات الفاخره * وبه يتوصل الى سعادة الدنيا والآخرة * خلا انه أيضاً من علو الشان
 * وسمو المكان * ونهاية الغموض والاعضال * وصعوبة المأخذ وعزلة المنال * في غاية الغايات
 القاصيه * ونهاية النهايات النائية * اعز من بيض الانوق * وأبعد من مناسط العيوق * لا يتسنى
 العروج الى معارج الرقيع * ولا يتأتى الرقي الى مدارج المنيعه * كيف لا وانه مع كونه متفجعاً لدقائق
 العلوم النظرية والعملية * ومنطوياً على دقائق الفنون الخفية والجلية * حاوياً لتفاصيل الاحكام
 الشرعيه * ومحيطاً بمناسط الدلائل الاصلية والفرعيه * منشأ عن اسرار الحقائق والنعموت * مخبراً بطوار
 الملك والمكون * عليه يدور فلك الاوامر والنواهي * واليه يستند معرفة الاشياء كما هي * قد نسج على غرب
 منوال وأبدع طراز * واحتجبت طلعته بسجات الاعجاز * طويت حقائقه الالهية عن العقول * وزويت
 دقائقه الخفية عن اذهان الفحول * يرتدون العقول سبحانه * ويخطف ابصار البصائر بريقه ولمعانه
 * ولقد تصدى لتفسير غوامض مشكلاته اساطين ائمة التفسير في كل عصر من الاعصار * وتولى لتيسير
 عو بصات معضلاته سلاطين اسرة التقرير والتحرير في كل قطر من الاقطار * فغاصوا في بحره * وخاضوا
 في نحيبه * فنظموا افرائده في سلك التحرير * وبرزوا فوائده في معرض التقرير * وصنفوا كتباً جليلة الاقدار *
 وأنشأوا زباجيلة الآثار * أما المتنقدهون * المحققون * فاقصروا على تهديد المعاني * وتشديد المباني * وتبيين
 المرام * وترتيب الاحكام * جسماً بلغهم من سيد الانام * عليه شرائف التحية والسلام * وأما المتأخرون *
 المدققون * فراموا مع ذلك اظهار مزاياء الرائقة * وابدأ خبايا الفائقه * ليعاين الناس دلائل
 اعجازه * ويشاهدوا شواهد فضله وامتيازه * عن سائر الكتب الكريمة الربانية * والبر العظيمة السجانية *
 فدقوا اسفار ابارعه * جامعة لفنون المحاسن الرائعه * يتغنم كل منها فوائده شريفة تقربها عيون الاعيان
 * وعوائد لطيفة تشنف بها آذان الازدهان * لاسيما الكشاف وأنوار التنزيل * المتفردان بالشان
 الجليل والنعت الجليل * فان كلامهما قد أحرز قصب السبق اى احراز * كانه مرآة لا اجتلاء وجه الاعجاز
 * صحائفهما مزايا المزايا الحسن * وسطورهما عقود الجان وقلائد العقيان * واتقد كان في سوابق
 الايام * وسوائف الدهور والاعوام * وان اشتغالى بمطالعتهما وممارستهما * وزمان اتصاها لمقاومتها
 ومدارستهما * يدور في خلدي على استمرار * آناء الليل واطراف النهار * ان انظم درر فوائدهما في سمط دقيق
 * وارتب غرر فرائدهما على ترتيب انيق * واضيف اليها ما ألفيته في تضاعيف الكتب الفاخرة من جواهر
 الحقائق * وصادفته في اصداق العيالم الزاخرة من زواهر الدقائق * وأسلك خلاها بطريق الترتيب *
 على نسق انيق واسلوب بديع * حسبما يقتضيه جلالة شأن الترتيل * ويستدعيه جزالة نظمه الجليل *
 ما نسخ للفكر العليل بالعناية الربانية * وسمج به النظر الكليل بالهداية السجانية * من عوارف معارف عتيد اليها
 اعشاق الهم من كل ما هربليب * وغرائب رغائب تنو اليها احداق الاعم من كل شحرير اريب * وتحقيقات
 رصينة تقيل عنرات الافهام * في مداحض الاقدام * وتدقيقات متينة تريل خطرات الاوهام * من
 خواطر الانام * في معارك افكار يشقه فيها الشؤن * ومدارك انظار يحتلظ فيها الظنون * وأبرز من
 وراء استار الكمون * من دقائق السرائر المخزون * في خزائن الكتاب المكنون * ما نطعن اليه النفوس وتقربه
 العيون * من خبايا الرموز * وخبايا الكنوز * واهديها الى الخزانة العامره * الغامرة للبحار الزاخرة
 * بلنساب من خصه الله تعالى بخلافة الارض * واصطفاه لسلطنتها في الطول والعرض * ألا وهو السلطان
 الاسعد الاعظم * والخليفة الامجد الانعم * مالك الامامة العظمى والسلطان الباهر * وارث الخلافة

الكبرى كبراعن كبر * رافع رايات الدين الازهر * موضع آيات الشرع الانور * مرغم انوف القراعنة
والجبار * معمر جباه القياصرة والاكاسره * فاتح بلاد المشارق والمغرب * بنصر الله العزيز وجنده
الغالب * الهمام الذي شرق عزمه المنير فانتهى الى المشرق الاسنى * وغرب حتى بلغ مغرب الشمس اودنا *
بجهميس عزم من متراحم الافواج * وعسكر كغضم متلاطم الامواج * فأصبح ما بين أفق الطلوع والغروب
وما بين نقطى الشمال والجنوب * منتظما في سلك ولاياته الواسعه * ومندرجا تحت ظلال راياته الرائعه *
فأصبحت منابر الريح المسكون * مشرفة بذكر اسمه الميمون * فباله من ملك استوعب ملكه البر البسيط * واستغرق
فلكه وجه البحر المحيط * فكانه فضاء ضربت فيه خيامه * أو نصبت عليه ألويته وأعلامه * مآلك بمآلك العالم
* ظل الله الظليل على كافة الامم * فاصم القياصرة وقاهر القروم * سلطان العرب والجمم والروم * سلطان
المشرقين * وخافان الخافقين * الامام المقتدر بالقدره الربانيه * والخليفة المعترف بالعزة السجانيه * المختصر بخدمة
الحرمين الجليلين المعظمين * وحماية المقامين الجليلين المفخمين * فاشرا القوانين السلطانيه * عاشر الخواقين
العثمانيه * السلطان بن السلطان * السلطان سليمان خان * ابن السلطان المظفر المنصور * والخافان الموقر
المشهور * صاحب المغازى المشهورة في اقطار الامصار * والفتوحات المذكورة في صفات الاسفار *
السلطان سليم خان * ابن السلطان السعيد * والخافان الجيد * السلطان باريديخان * لازالت سلسله سلطنته
متسلسله الى انتهاء سلسله الزمان * وارواح اسلافه العظام متزهة في روضة الرضوان * وكنت أتردد
في ذلك بين اقدام واجام * اقصور شأني وعزة المرام * اين الحضيض من الذرى * شتان بين الثريا والثرى
* وهبات اصطياد العنقاء بالشباك * واقتياد الجوزا من بروج الافلاك * فغضت عليه الدهور والسنون
* وتغيرت الاطوار وتبدلت الشؤون * فأبتلت بتدبير مصالح العباد * برهة في قضاء البلاد واخرى
في قضاء العساكر والاجناد * فخال بيني وبين ما كنت اخال * تراكم المهمات وتزاحم الاشغال * وبجوم
العوارض والعلائق * وهجوم الصوارف والعوائق * والتردد الى المغازى والاسفار * والتنقل من دار
الى دار * وكنت في تضاعيف هاتيك الامور * اقدر في نفسي أن اتهمز نهزة من الدهور * ويتسنى لي القرار
* وتطمئن لي الدار * وأظفر حينئذ بوقت خال * اتبتل فيه الى جنب ذى العظمة والجلال * وأوجه
اليه وجهتي * وأسلم له سرى وعلايتي * وانظر الى كل شئ بعين الشهود * راتعرف سر الحق في كل موجود
* تلافي الماقدفات * واستعداد الماهاوت * وأنصدي لتحصيل ما عزمتم عليه * وأتولى لتكميل ما توجهت
اليه * برقاهاة واطمئنان * وحضور قلب وفراغ جنان * فبينما اناني هذا الخيال * اذ بدالى ما لم يخطر
باليال * فتحوّلت الاحوال والدهر حوّل * فوقع في أمر اشق من الاول * امرت بحل مشكلات الانام
* فيما شجر بينهم من النزاع والخصام * فلقبت معضلة طويلة الذيل * وصرت كالهارب من المطرائ
السيول * فبلغ السيل الزبى وغمر في أى غمر * غوارب ماجرى بين زيد وعمرو * فأضحت في ضيق الجبال
وسعة الاشغال * انهمر من يضرب به الامثال * فجعلت اتمثل بقول من قال

لقد كنت اشكوك الحوادث برهة * وأستقرض الایام وهى صائح
الى ان تغشنى وقت حوادث * تحقق ان السالفات منائح

فلما انصرفت عرى الآمال * عن الفوز بفراغ البال * ورأيت ان القرصة على جناح الفوات * وشمل
الاسباب في شرف الشات * وقدمتني الكبر * وقضاءت القوى والقدر * ودنا الاجل من الحلول *
واشرقت شمس الحياة على الافول * عزمتم على انشاء ما كنت انويه * وتوجهت الى املاء ما ظلت انتغيه *
ناويا ان اسميه عند تمامه * بتوفيق الله تعالى وانعامه * ارشاد العقل السليم * الى مزايا الكتاب الكريم *
فشرعت فيه مع تفاهم المكاره على * وتزاحم المشادة بين يدي * متضرعا الى رب العظمة والجبروت *
خلق عالم الملك والملكوت * في ان يعصمنى عن الزيف والزلل * ويقيى مصارع السوء في القول والعمل *
ويوفقني لتحصيل ما ارومه وأرجوه * ويهدينى الى تكميله على احسن الوجوه * ويجعله خير عدة وعتاد *
اقتنع به يوم المعاد * فيامن توجهت وجوه الذل والابتهال نحو باب المنيع * ورفعت ايدى الضراعة
والسؤال الى جنبه الرفيع * أفض علينا شوارق انوار التوفيق * وأطلعنا على دقات امرار التحقيق *

ونبت اقدامنا على مناهج هداية * وأنطقنا بما فيه أمرنا ورضائنا * ولا تكلفنا الى انفسنا في لحظة ولا آن * وخذ بنا صيتنا الى الخير حيث كان * جئناك على جباه الاستكانة ضارعين * ولا يواب قبضك قارعين * انت الملاذ في كل أمر مهم * وانت المعاذ في كل خطب ملم * لارب غيرك * ولا خيرا الا خيرك * بيدك مقاليد الامور * لك الخلق والامر واليك النشور *

(سورة فاتحة الكتاب سبع آيات)

الفاتحة في الاصل اول ما من شأنه ان يفتح كالكتاب والثوب اطلقت عليه لكونه واسطة في فتح الكل ثم اطلقت على اول كل شيء فيه تدرج بوجه من الوجوه كالكلام التدريجي حصولا والسطور والاوراق التسديجية قراءة وعدا والتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية وهي مصدر بمعنى الفتح اطلقت عليه تسمية للمفعول باسم المصدر اشعارا باصاليته كانه نفس الفتح فان تعلقه به بالذات وبالباقى بواسطة لكن لا على معنى انه واسطة في تعلقه بالباقى ثانيا حتى يرد انه لا يتسنى في الخاتمة لما ان ختم الشيء عبارة عن بلوغ آخره وذلك انما يتحقق بعد انقطاع الملازمة عن اجزائه الاول بل على معنى ان الفتح المتعلق بالاول فتح له اولا وبالذات وهو بعينه فتح للجموع بواسطة لكونه جزءا منه وكذا الكلام في الخاتمة فان بلوغ آخر الشيء يعرض للاخر اولا وبالذات وللكل بواسطة على الوجه الذي تحققته والمراد بالاول ما يعم الاضافي فلا حاجة الى الاعتذار بأن اطلاق الفاتحة على السورة الكريمة بتمامها باعتبار اجزائها الاول والمراد بالكتاب هو المجموع الشخصي لا القدر المشترك بينه وبين اجزائه على ما عليه اصطلاح أهل الاصول ولا ضير في اشتراك السورة الكريمة بهذا الاسم في أوائل عهد النبوة قبل تحصل المجموع بنزول الكل لما ان التسمية من جهة الله عزاه أو من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم بالاذن فيكون فيها تحصيله باعتبار تحققه في علمه عز وجل أو في الاوح أو باعتبار أنه انزل جلا الى السما والنيا وأملأه جبريل على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نحو ما في ثلاث وعشرين سنة كما هو المشهور والاضافة بمعنى اللام كما في جزء الشيء لا بمعنى من كما في خاتم فضة لما عرفت ان المضاف جزء من المضاف اليه لا جزئي له ومدار التسمية كونه مبدءا للكتاب على الترتيب المعهود ولا في القراءة في الصلاة ولا في التعليم ولا في النزول كما قيل أما الاول فمن اذ ليس المراد بالكتاب القدر المشترك الصادق على ما يقرأ في الصلاة حتى تعتبر في التسمية مبدءا تهاله وأما الاخير ان فلان اعتبار المبدءية من حيث التعليم أو من حيث النزول يستدعي مراعاة الترتيب في بقية اجزاء الكتاب من بينك الحثيثين ولا ريب في ان الترتيب التعليمي والترتيب النزولي ليسا على نسق الترتيب المعهود وتسمى أم القرآن لكونها أصلا ومنشأها اما لمبدء تهاله واما لاشتغالها على ما فيه من النشاء على الله عز وجل والتعبد بامر منه ونبيه وبيان وعنده ووعدته أو على جلاله معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك الصراط المستقيم والاطلاع على معارج السعداء ومنازل الاشقياء والمراد بالقرآن هو المراد بالكتاب وتسمى أم الكتاب أيضا كما يسمى بها اللوح المحفوظ لكونه أصلا لكل الكائنات والآيات الواضحة الدالة على معانيها لكونها بيئة تحمل عليها المتشابهات ومناط التسمية ما ذكر في أم القرآن لا ما أورده الامام البخاري في صحيحه من أنه يبدأ بقراءتها في الصلاة فانه مما لا تعلق له بالتسمية كما أشير اليه وتسمى سورة الكنز لقوله عليه السلام انها انزلت من كنز تحت العرش أو لما ذكر في أم القرآن كما انه الوجد في تسميتها الاساس والكافية والواقية وتسمى سورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتغالها عليها وسورة الصلاة لوجوب قراءتها فيها وسورة الشفاء والشفافية لقوله عليه السلام هي شفاء من كل داء والسبع المثاني لانها سبع آيات تنفي في الصلاة أو لتكرار نزولها على ما روى أنها انزلت مرة بمكة حين فرضت الصلاة وبالدنية أخرى حين حوت القبلة وقد صرح أنها مكية لقوله تعالى ولقد أنزلنا سبعاً من المثاني وهو مكي بالنص

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اختلف الامة في شأن التسمية في أوائل السور الكريمة فقليل انهم ليست من القرآن أصلا وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه ومذهب مالك والمشهور من مذهب قدماء الحنفية وعليه قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها وقيل انها آية فذة من القرآن انزلت للفصل والتبرك بها وهو الصحيح من مذهب الحنفية

وقيل هي آية تامة من كل سورة صدرت بها وهو قول ابن عباس وقد نسب إلى ابن عمر أيضا رضي الله عنهم
وعليه يحمل إطلاق عبارة ابن الجوزي في زاد المسير حيث قال روى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنها أنزلت
مع كل سورة وهو أيضا مذهب سعيد بن جبير والزهري وعطاء وعبد الله ابن المبارك وعليه قراءة مكة
والسكوفة وفقهاؤها وهما وهو القول الجديد للشافعي رحمه الله ولذلك يجهر بها عنده فلا عبرة بما نقل عن
الخصاص من أن هذا القول من الشافعي لم يسبقه إليه أحد وقيل إنها آية من الفاتحة مع كونها قرآنا
في سائر السور أيضا من غير تعرض لكونها جزءا منها أولا ولا لكونها آية تامة أولا وهو أحد قول الشافعي
على ما ذكره القرطبي ونقل عن الخطابي أنه قول ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم وقيل إنها آية تامة
في الفاتحة وبعض في البواقي وقيل بعض آية في الفاتحة وآية تامة في البواقي وقيل إنها بعض آية
في الكل وقيل إنها آيات من القرآن متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير أن تكون جزءا منها وهذا
القول غير معزى في الكتب إلى أحد وهناك قول آخر ذكره بعض المتأخرين ولم ينسبه إلى أحد وهو
أنها آية تامة في الفاتحة وليست بقراءة في سائر السور ولولا اعتبار كونها آية تامة لكان ذلك أحد محلي
تردد الشافعي فإنه قد نقل عنه أنها بعض آية في الفاتحة وأما في غيرها فقولها متردد فقيل بين أن يكون
قرآنا أولا وقيل بين أن يكون آية تامة أولا قال الامام الغزالي والصحيح من الشافعي هو التردد الثاني
وعن أحمد بن حنبل في كونها آية كاملة وفي كونها من الفاتحة روايتان ذكرهما ابن الجوزي ونقل أنه
مع مالك وغيره من يقول إنها ليست من القرآن وهذا المشهور من هذه الأقاويل هي الثلاث الأولى والاتفاق
على أنها في المصاحف مع الإجماع على أن ما بين الدفتين كلام الله عز وجل يقضي بنفي القول الأول وثبوت
القدر المشترك بين الآخرين من غير دلالة على خصوصية أحدهما فإن كونها جزءا من القرآن لا يستدعي كونها
جزءا من كل سورة منه كما لا يستدعي كونها آية منفردة منه وأما ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما من
أن من تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله تعالى وما روى عن أبي هريرة من أنه عليه السلام قرأ سورة
فاتحة الكتاب سبع آيات أولا هن بسم الله الرحمن الرحيم وما روى عن أم سلمة من أنه عليه السلام قرأ سورة
الفاتحة وعذب بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية وإن دل كل واحد منهما على نفي القول الثاني
فليس شيء منهما نصا في إثبات القول الثالث أما الأول فلأنه لا يدل الأعلى كونها آيات من كتاب الله تعالى
متعددة بعدد السور المصدرة بها الأعلى ما هو المطلوب من كونها آية تامة من كل واحدة منها إلا أن يلجأ إلى
أن يقال إن كونها آيات متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير أن تكون جزءا منها قول لم يقل
به أحد وأما الثاني فساكت عن التعرض لحالها في بقية السور وأما الثالث فنساق بخلافه مع مشاركته
لثاني في السكوت المذكور والباء فيها متعلقة بمنزلة بني عنه الفعل المصدري بها كما أنها كذلك في تسمية المسافر
عند الحلول والارتحال وتسمية كل فاعل عند مباشرة الأفعال ومعناها الاستعانة أو الملازمة تبركا أي
باسم الله أقرأ أو أتلو وتقدير المعمول للاعتناء به والقصد إلى التخصيص كما في أيال نعبد وتقدير أبدأ لاقتضائه
اقتصار التبرك على البداية تحملا بما هو المقصود أعني شمول البركة للكل وإدعاء أن فيه امتثالا بالحديث
الشريف من جهة اللفظ والمعنى معا وفي تقدير أقرأ من جهة المعنى فقط ليس بشيء فإن مدار الامتنال هو
البدء بالتسمية لا تقدير فعله إذ لم يقل في الحديث الكريم كل أمر ذي بال لم يقل فيه أولم يضم فيه أبدأ وهذا
إلى آخر السورة الكريمة مقول على السنة العباد تلقينها لهم وإرشادها إلى كيفية التبرك باسمه تعالى وهداية
إلى منهاج الحمد وسؤال الفضل ولذلك سميت السورة الكريمة بما ذكر من تعليم المسألة وإنما كسرت ومن حق
الحروف المفردة أن تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجزئية كسرت لام الأمر ولا م إلاضافة داخله على المظهر
للفصل بينهما وبين لام الابتداء والاسم عند البصريين من الأسماء المحذوفة الأجزاء المبنية الأوائل على السكون
قد أدخلت عليها عند الابتداء همزة لأن من دأبهم البدء بالتحريك والوقف على الساكن ويشهد له تصرفهم على
أسماء وسمى وسميت وسمى كهدى لغة فيه قال والله اسمك سمي مباركك أترك الله به أيا ركا والقلب بعيد غير
مطرد واشتقاقه من السجود لأنه رفع للمسمى وتنويهه وعند الكوفيين من السمة وأصله وسم حذف الواو
وعوضت عنها همزة الوصل ليقول أعلاها وورد عليه بأن الهمزة لم تعهد داخله على ما حذف صدره في كلامهم

ومن لغاتهم سم وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه وانما لم يقل بالله للفرق بين اليقين والتيمن أو لتحقيق ما هو المقصود بالاستعانة ههنا فانه تكون تارة بذاته تعالى وحقيقته ما طلب المعونة على ايقاع الفعل واحداً أي اقاضة القدرة المفسرة عند الاصوليين من أخصابنا بما يتمكن به العبد من أداء ما لزمه المنقصة الى إمكانية وميسرة وهي المطلوب بما بالنسبة وتارة أخرى باسمه عز وجل وحقيقته ما طلب المعونة في كون الفعل معتد به شرعاً فانه ما لم يصدر باسمه تعالى يكون بمنزلة المردوم ولما كانت كل واحدة من الاستعانتين واقعة وجب تعيين المراد بذكر الاسم والافعال من قولنا بالله عند الاطلاق لا سيما عند الوصف بالرحمن الرحيم هي الاستعانة الاولى ان قيل فليحمل الباء على التبرك وليستغن عن ذكر الاسم لما ان التبرك لا يكون الا به قلنا ذاك الفرع كون المراد بالله هو الاسم وهل التشاير الافي غلاباً من ذكر الاسم ليقطع احتمال ارادة المسمى وتعين حمل الباء على الاستعانة الثانية أو التبرك وانما لم يكتب الالف لكثرة الاستعمال قالوا وطولت الباء عوضاً عنها والله أصله الاله فحذفت همزته على غير قياس كما ينبغي عنه وجوب الادغام وتعويض الالف واللام عنها حيث لزماء وجرّداعن معنى التعريف وذلك قيل يا الله بالقطع فان المحذوف القياسي في حكم الثابت فلا يحتاج الى التدارك بما ذكر من الادغام والتعويض وقيل على قياس تحقيق الهمزة فيكون الادغام والتعويض من خواص الاسم الجليل ليمتاز بذلك عما عداه امتياز معناه بما لا يوجد فيه من نعوت الكمال والاله في الاصل اسم جنس يقع على كل معبود بحق أو باطل أي مع قطع النظر عن وصف الحقيقة والبطلان لا مع اعتبار احد هما لا بعينه ثم غلب على المعبود بالحق كالنجم والصمق وأما الله فمحذوف الهمزة فعلم يختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره أصلاً واشتقاقه من الالهة والالوهة والالوهية بمعنى العبادة حسب انص عليه الجوهرى على انه اسم منها بمعنى المألوه كالكتاب بمعنى المكتوب لا على انه صفة منها بل ليل انه يوصف ولا يوصف به حيث يقال اله واحد ولا يقال شئ اله كما يقال كتاب مر قوم ولا يقال شئ كتاب والفرق بينهما ان الموضوع له في الصفة هو الذات المهمة باعتبار اوصافها بمعنى معين وقسامه بها فدلوا لها مركب من ذات مهمة لم يلاحظ معها خصوصية أصلاً ومن معنى معين قائم بها على ان ملال لا مر تلك الخصوصية فبأي ذات يقوم ذلك المعنى يصح اطلاق الصفة عليها كما في الافعال ولذلك تعمل عملها كاسمى الفاعل والمفعول والموضوع له في الاسم المذكور هو الذات المعينة والمعنى الخاص فدلوا له مركب من ذلك المعنيين من غير رجحان للمعنى على الذات كما في الصفة ولذلك لم يعمل عملها وقيل اشتقاقه من اله بمعنى خيره لانه سبحانه يحار في شأنه العقول والافهام وأما اله كعبد وزناو معنى خشتق من الاله المشتق من اله بالكسر وكذا تاله واستأله اشتقاق استنوق واستخبر من التناق والخر وقيل من آله الى فلان أي سكن اليه لاطمئنان القلوب بذكره تعالى وسكون الارواح الى معرفته وقيل من اله اذا فرغ من أمر نزل به وآله غير اذا أجاره اذا العائذ به تعالى يفرع اليه وهو بحيرة حقيقة أو في زعمه وقيل أصله لاه على انه مصدر من لاه بليه بمعنى احتجب وارتفع اطلق على الفاعل مبالغة وقيل هو اسم علم للذات الجليل ابتداء وعليه مدار أمر التوحيد في قولنا لا اله الا الله ولا يخفى ان اختصاص الاسم الجليل بذاته سبحانه بحيث لا يمكن اطلاقه على غيره أصلاً كما في ذلك ولا يقدح فيه كون ذلك الاختصاص بطريق الغلبة بعد أن كان اسم جنس في الاصل وقيل هو ووصف في الاصل لكنه لما غلب عليه بحيث لا يطلق على غيره أصلاً صار كالعالم ويرده استناع الوصف به واعلم ان المراد بالمشكر في كلمة التوحيد هو المعبود بالحق فعنها لا فرد من افراد المعبود بالحق الا ذلك المعبود بالحق وقيل أصله لاهابا بالسريانية فعرب محذوف الالف الثانية وادخل الالف واللام عليه وتضم لامه اذا لم ينكسر ما قبله سنة وقيل مطلقاً وحذف ألفه لمن تصد به الصلاة ولا يتعقده صريح اليقين وقد جاء لضرورة الشعر في قوله ألا لا بارك الله في سميل * اذا ما الله بارك في الرجال والرحمن الرحيم صفتان مبيتان من رحم بعد جعله لازماً بمنزلة الغرائز ينقله الى رحم بالضم كما هو المشهور وقد قيل ان الرحيم ليس بصفة مشبهة بل هي صفة مبالغة فص عليه سيمويه في قولهم هو رحيم فلاناً والرحمة في اللغة رقة القلب والانعطاف ومنه الرحم لانقطاعها على ما فيها والمراد ههنا التفضل والاحسان او ارادتها بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة البناء على مسببه البعيد أو القريب فان أسماء الله تعالى تؤخذ باعتبار الغايات التي هي أفعال دون المبادئ التي هي انفعالات والاول من الصفات الغالبة حيث لم يطلق على غيره تعالى وانما امتنع صرفه الحماة بالانحاف في بابيه من غير قنطر الى

الاختصاص العارض فانه كما حظر وجود فعل في ظرف وجود فعل لانه فاعتياره يوجب اجتماع الصرف وعدمه
فلزم الرجوع الى أصل هذه الكلمة قبل الاختصاص بان تقاس الى نظائرها من باب فعل يفعل فاذا كان
كلها ممنوعة من الصرف لتحقق وجود فعل فيها علم ان هذه الكلمة أيضا في أصلها مما تحقق فيها وجود فعل
فمنع من الصرف وفيه من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قيل يارحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا وتقدمه
مع كون القياس تأخير رعاية لاسلوب الترقى الى الاعلى كما في قولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد قياض
لانه باختصاصه به عز وجل صار حقيقيا بأن يكون قريشا للاسم الجليل الخاص به تعالى ولان ما يدل على جلالة
النعم وعظائمها وأصولها أحق بالتقديم مما يدل على دقتها وفروعها وأفراد الوصفين الشريفين بالذكر
لتحريك سلسلة الرحمة (الحمد لله) الحمد هو النعت بالجميل على الجميل اختياريا كان أو مبدأ له على وجه
يشعر ذلك بتوجيهه الى المنعوت وبهذه الحثية يمتاز عن المدح فانه خال عنها يرشد الى ذلك ما ترى بينهما
من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول في قولك حمدته ومدحته فان تعلق الثاني بمفعوله على منتهى تعلق
عامة الافعال بمفعولاتها وأما الاول فتعلقه بمفعوله مني عن معنى الانتهاء كما في قولك كأنه فانه معرب
عما يفيد لام التبليغ في قولك قل له ونظيره شكرته وعبدته وخدمته فان تعلق كل منهما مني عن المعنى
المدح كور وحقيقته ان مفعول كل فعل في الحقيقة هو الحدث الصادر عن فاعله ولا يتصور في كيفية تعلق الفعل
به أى فعل كان اختلاف أصلا وأما المفعول به الذي هو محله وموقعه فلما كان تعلقه به ووقوعه عليه على أشباه
مختلفة حسبا يقتضيه خصوصيات الافعال بحسب معانيها المختلفة فان بعضها يقتضى ان يلاسه ملازمة
تامة مؤثرة فيه كعامة الافعال وبعضها يستدعي ان يلاسه أدنى ملازمة اما بالانتهاء اليه كالأعانة مثلا
أو بالابتداء منه كالاستعانة مثلا اعتبر في كل نحو من أشباه تعلقه به كيفية لا ثقة بذلك النجوم بخيرة لما اعتبر
في النجومين الآخرين فنظم القسم الاول من التعلق في سلك التعلق بالمفعول الحقيقي مراعاة لقوة الملازمة
وجعل كل واحد من القسمين الآخرين من قبيل التعلق بواسطة الجوار المناسب له فان قولك اعنته مشعر
بانتهاء الاعانة اليه وقولك استعنته بابتدائها منه وقد يكون لفعل واحد مفعولان يتعلق بأحدهما على الكيفية
الاولى وبالآخر على الثانية أو الثالثة كما في قولك حدثني الحديث وسألني المال فان الحديث مع كونه فعلا
واحد اقتد تعلق بك على الكيفية الثانية وبالحديث على الاولى وكذا السؤال فانه فعل واحد وقد تعلق بك
على الكيفية الثالثة وبالمال على الاولى ولا ريب في ان اختلاف هذه الكيفيات الثلاث وتباينها واختصاص
كل من المتفاعيل المذكورة بما يناسب اليه منها مما لا يتصور فيه تردد ولا تكثير وان كان لا يتضح حق الاتضاح الا
عند الترجمة والتفسير وان مدار ذلك الاختلاف ليس الا اختلاف الفعل أو اختلاف المفعول واذلا اختلاف
في مفعول الحمد والمدح تعين ان اختلافهما في كيفية التعلق لاختلافهما في المعنى قطعاً هذا وقد قيل المدح
مطلق عن قيد الاختيار يقال مدحت زيداً على حسنه ورشاقته فانه ما كان فليس بينهما مترادف بل اخوة من
جهة الاشتقاق الكبير وتناسب تام في المعنى كالتصريح والتأييد فانهما متناصبان معنى من غير مترادف لما ترى
بينهما من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول وانما مرادف النصر الاعانة ومرادف التأيد التقوية
فتدبر ثم ان ما ذكر من التفسير هو المشهور من معنى الحمد واللائق بالارادة في مقام التعظيم وأما ما ذكر
في كتب اللغة من معنى الرضى مطلقاً كما في قوله تعالى عسى أن يعثرك ربك مقاماً محموداً وفي قولهم لهم هذا
الامر عاقبة حسنة وفي قول الأطباء بجران محمود مما لا يختص بالقاعل فضلاً عن الاختيار فمجرد عزل عن
استحقاق الارادة ههنا استقلالاً أو استتباعاً بحمل الحمد على ما يعم المعنيين اذ ليس في اثنائه له عز وجل فائدة
يعتد بها وأما الشكر فهو مقابلة النعمة بالثناء واداب الجوارح وعقد القلب على وصف المنعم بنعت
الكمال كما قال من قال أفادتكم النعماء مني ثلاثة * يدي ولساني والضمير المحجبا فاذن هو أعم من من من جهة
وأخص من أخرى ونقيضه الكفران ولما كان الحمد من بين شعب الشكر ادخل في اشاعة النعمة والاعتداد
بأنها أو أدل على مكانها لما في عمل القلب من الخفاء وفي أعمال الجوارح من الاحتمال جعل الحمد رأس
الشكر وملا كما لا مر في قوله عليه السلام الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبداً لم يحمده وارتفاعه بالابتداء
وخيره الطرف وأصله النصب كما هو شأن المصادر المنصوبة بأفعالها المضمرة التي لا تكاد تستعمل معها نحو

شكرا وبعبارة كأنه قيل فحمد الله حمد ابنون الحكاية ليوافق ما في قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين لا تصاد
 الفاعل في الكل وأما ما قيل من انه بيان لخدمته تعالى كأنه قيل كيف تصمدون فقول اياك نعبد فمع انه لا حاجة
 اليه بما لا صحة له في نفسه فان السؤال المقدر لا بد أن يكون بحيث يقتضيه انتظام الكلام وينساق اليه الاذهان
 والافهام ولا ريب في ان الحامد بعد ما ساق حمده تعالى على تلك الكيفية اللائقة لا يخطر ببال أحد
 أن يسأل عن كيفية على ان ما قدر من السؤال غير مطابق للجواب فانه مسوق لتعيين المعبود لا لبيان العبادة
 حتى يتوهم كونه بياناً لكيفية حمدهم والاعتذار بأن المعنى يخصك بالعبادة وبه يتبين كيفية الحمد وتعكس للأمر
 وتعمل لتوفيق المنزل المقترن بالموهوم المقدر وبعد الالتيا والتي ان فرض السؤال من جهته عز وجل فانت تكتة
 الالتفات التي أجمع عليها السلف والخلف وان فرض من جهة الغير يحصل النظام لا يتناء الجواب على خطابه
 تعالى وبهذا يتضح فساد ما قيل انه استئناف جوابا لسؤال يقتضيه اجراء تلك الصفات العظام على الموصوف
 بها فكانه قيل ما ثأ نكم معه وكيف توجهكم اليه فأجيب بمحصر العبادة والاستعانة فيه فان تناسى جانب
 السائل بالكلية وبناء الجواب على خطابه عز وجل مما يجب تنزيهه ساحة التنزيل عن أمثله والحق
 الذي لا محيد عنه انه استئناف مصدر عن الحامد بمحض ملاحظة انصافه تعالى بما ذكر من النعوت الجلية
 الموجبة للأقبال الكلي عليه من غير أن يتوسط هناك شيء آخر كما ستحيط به خبرا وياشار الرفع على النصب
 الذي هو الاصل للايدان بان ثبوت الحمد له تعالى لذاته لا لاثبات مثبت وان ذلك أمر دائم مستقر لا حادث متجدد كما
 تفيد قراءه النص وهو السرفي كون تحية الخليل للملائكة عليهم التحية والسلام أحسن من تحيتهم له في قوله
 تعالى قالوا سلاما قال سلام وتعريفه للجنس ومعناه الاشارة الى الحقيقة من حيث هي حاضرة في ذهن
 السامع والمراد تخصيص حقيقة الحمد به تعالى المستدعي لتخصيص جميع افرادها به سبحانه على الطريق
 البرهاني لكن لا يشاء على ان افعال العباد مخلوقة له تعالى فتكون الافراد الواقعة بمقابله ما صدر عنهم من
 الافعال الجلية راجعة اليه تعالى بل يشاء على تنزيل تلك الافراد ودواعيها في المقام الخطابي منزلة العدم
 كيف وكما وقد قيل للاستغراق الحاصل بالقصد الى الحقيقة من حيث تحققها في ضمن جميع افرادها
 حسبما يقتضيه المقام وقرئ الحمد لله بكسر الهمزة واللام اتباعا لها باللام وبضم الهمزة اتباعا لها بالهمزة على
 تنزيل الكلمتين لكثرة استعمالهما مقترنتين منزلة كلمة واحدة مثل المغيرة ومخدر الجبل (رب العالمين) بالجر
 على انه صفة لله فان اضافته حقيقة مفيدة لتعريف على كل حال ضرورة تعيين ارادة الاستمرار وقرئ منصوبا
 على المدح أو بمدح عليه الجمله السابقة كأنه قيل فحمد الله رب العالمين ولا مناع لنصبه بالحمد لقلة اعمال المصدر
 المحلى باللام وللزوم الفصل بين العامل والمعمول بالنظر والرب في الاصل مصدر بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء
 الى كماله شيئا قشياً وصف به الفاعل مبالغة كالعدل وقيل صفة مشبهة من دبره به مثل غيغته بعد جعله لازماً
 بنقله الى فعل بالضم كما هو المشهور معي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربیه ولا يطلق على غيره تعالى الامقيدا
 كرب الدار ورب الدابة ومنه قوله تعالى فيسقى ربه خيرا وقوله تعالى ارجع الى ربك وما في الصحيحين من
 انه عليه السلام قال لا يقل أحدكم ربك وضئ ربك ولا يقل أحدكم ربى واقتل سيدي ومولاي فقد قيل
 ان النهي فيه للتنزيه وأما الارباب فحيث لم يمكن اطلاقه على الله سبحانه جاز في اطلاقه الاطلاق والتقدير
 كما في قوله تعالى أأرباب متفرقون خبر الالية * والعالم اسم لما يعلم به كائنات والقاب غلب فيما يعلم به الصانع
 تعالى من المصنوعات أى في القدر المشترك بين أجناسها وبين مجموعها فانه كما يطلق على كل جنس جنس منها
 في قولهم عالم الافلاك وعالم العناصر وعالم النبات وعالم الحيوان الى غير ذلك يطلق على المجموع أيضاً كما في قولنا
 العالم بجميع أجزائه محدث وقيل هو اسم لاولى العلم من الملائكة والقليل وتناوله لما سواه هم بطريق
 الاستبصار وقيل أريد به الناس فقط فان كل واحد منهم من حيث استقاله على نظام ما في العالم الكبير من
 الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما فيه عالم على حiale ولذلك أمر بالنظر في النفس كالنظر في الآفاق
 فقيل وفي أنفسكم أفلا تبصرون والاول هو الاحق الاظهر وياشار صيغة الجمع لبيان شمول ربوبيته تعالى لجميع
 الاجناس والتعريف لاستغراق افراد كل منها بأسرها اذ لو أفردل عما توهم أن المقصود بالتعريف هو
 الحقيقة من حيث هي أو استغراق افراد جنس واحد على الوجه الذي أشير اليه في تعريف الحمد وحيث صح

ذلك بمساعدة التعريف نزل العالم وان لم ينطلق على آحاد مدلوله منزلة الجمع حتى قيل انه جمع لا واحدا منه من
لفظه فكما ان الجمع المعرف يستغرق آحاد مفردة وان لم يصدق عليها كما في مثل قوله تعالى والله يحب المحسنين
أي كل محسن كذلك العالم يشمل افراد الجنس المسمى به وان لم ينطلق عليها كأنها آحاد مفردة التقديري ومن
قضية هذا التنزيل تنزيل جمعه منزلة جمع الجمع فكما ان الاقوال يتناول كل واحد من آحاد الاقوال يتناول
لفظ العالمين كل واحد من آحاد الاجناس التي لا تكاد تنحصر روى عن وهب بن منبه انه قال لله تعالى ثمانية
عشر الف عالم والدينا عالم منها وانما جمع بالواو والنون مع اختصاص ذلك بصفات العقلاء وما في حكمهما من الاعلام
لدلالته على معنى العلم مع اعتبار تغليب العقلاء على غيرهم واعلم ان عدم انطلاق اسم العالم على كل واحد
من تلك الآحاد ليس الا باعتبار الغلبة والاصطلاح وأما باعتبار الاصل فلا ريب في صحة الاطلاق قطعاً
لتحقق المصادق حقاً فانه كما يستدل على الله سبحانه بجموع ما سواه وبكل جنس من أجناسه يستدل عليه
تعالى بكل جزء من أجزاء ذلك الجموع وبكل فرد من افراد تلك الاجناس لتحقق الحاجة الى المؤثر الواجب
لذاته في الكل فان كل مظهر في المظاهر محمض وهان * وحضر في هذه المحاضر كما نتما كان * دليل لا نفع على
الصانع المجيد * وسيل واضح الى عالم التوحيد * وأما شمول ربوبيته عز وجل للكل مما لا حاجة الى بيانه اذ لا شيء
مما احق به نطاق الامكان والوجود من العلويات والسفليات والمجردات والماديات والروحانيات والجبليات
الا وهو في حد ذاته بحيث لو فرض انقطاع آثار التربية عنه آناً واحداً لما استقر له القرار * ولا اطمانت به الدار
الا في مطمورة العدم ومهاوى البوار * لكن يفيض عليه من الجنان الاقدس * تعالى شأنه وتقدس * في كل
زمان يحضى وكل آن يزوينة قضى * من فنون القيوس المتعلقة بذاته * ووجوده وصفاته وكالاته ما لا يحيط به
فلك التعبير * ولا يعلمه الا العليم الخبير * ضرورة انه كما لا يستحق شيء من الممكنات بذاته الوجود ابتداء لا يستحقه
بقاء وانما ذلك من جناب المبدأ الاول عز وجل فكلا لا يتصور وجوده ابتداء ما لم ينسده عليه جميع انحاء عدمه
الاصلي لا يتصور بقاءه على الوجود بعد تحققه بعلمه ما لم ينسده عليه جميع انحاء عدمه الطارئ لما ان الدوام
من خصائص الوجود الواجبي وظاهر أن ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية التي هي علله وشرائطه
وان كانت متناهية لوجب تنهاى ما دخل تحت الوجود لكن الامور العدمية التي لها دخل في وجوده وهي
المعبر عنها بارتفاع الموانع ليست كذلك اذ لا استحالة في ان يكون لشيء واحد موانع غير متناهية يتوقف وجوده
أو بقاءه على ارتفاعها أي بقاءها على العدم مع امكان وجودها في نفسها فابقا تلك الموانع التي لا تنهاى
على العدم تربية لذلك الشيء من وجوده غير متناهية وبالجملة فآثار تربيته عز وجل الفاضلة على كل فرد من
افراد الموجودات في كل آن من آتات الوجود غير متناهية فسبحانه سبحانه * ما أعظم سلطانه * لا تلاحظه
العيون بأبصارها * ولا تطالعها العقول بأفكارها * شأنه لا يضاهاى * واحسانه لا يتناهى * ونحن في معرفته
سائرون * وفي اقامة مراسم شكره قاصرون * نسألك اللهم الهداية الى مناهج معرفتك * والتوفيق لاداء
حقوق نعمتك * لا تحصى ثناء عليك * لا اله الا انت نستغفر لك وتوب اليك (الرحمن الرحيم) صفات الله فان
أريد بما فهمنا من الرحمة ما يختص بالعقلاء من العالمين أو ما يفيض على الكل بعد الخروج الى طوار الوجود
من النعم فوجه تأخيرهما عن وصف الربوبية ظاهر وان أريد ما يعم الكل في الاطوار كلها حسباً في قوله تعالى
ورحمتي وسعت كل شيء فوجه الترتيب ان التربية لا تقتضي المقارنة للرحمة فايرادها في عقابها للايدان بأنه
تعالى متفضل فيها فاعل بقضية رحمة السابقة من غير وجوب عليه وبأنها واقعة على أحسن ما يكون
والاقتصار على نعمته تعالى بهما في التسمية لما انه الانسب بحال المتبرك المستعين باسمه الجليل والافق
لمقاصده (مالك يوم الدين) صفة رابعة له تعالى وتأخيرها عن الصفات الاول مما لا حاجة الى بيان وجهه
وقرأ أهل الحرمين المحترمين ملك من الملك الذي هو عبارة عن السلطان القاهر * والاستيلاء الباهر * والغلبة
التامة * والقدرة على التصرف الكلي في أمور العامة * بالامر والنهي وهو الانسب بمقام الاضافة الى يوم
الدين كما في قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الماضي وملك بالنصب
على المدح أو الحال وبالرفع مذوناً ومضافاً على انه خبر مبتدأ محذوف وملك مضافاً بالرفع والنصب واليوم في
العرف عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها من الزمان وفي الشرع عما بين طلوع الفجر الثاني وغروب الشمس

والمراد ههنا مطلق الوقت والدين الجزاء خيرا كان أو شرا ومنه الثاني في المثل السائر كما تدن تدان والاول
في بيت الحامسة ولم يبق سوى العدوان ذناهم كما دنوا وأما الاول في الاول والثاني في الثاني فليس بجزاء حقيقة
وإنما سمي به مشاركة أو تسمة للنهي باسم مسببه كما سميت ارادة القيام والقراءة باسمهما في قوله عز اسمه اذا قمتم الى
الصلاة وقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وأعلمه هو السمى في بناء المفاعلة من الافعال التي تقوم
أسبابها بفعل ولا تهاجم وعاقبت اللص ونظائره فان قيام السرقة التي هي سبب للعقوبة باللص نزل منزلة قيام المسبب
به وهي العقوبة فصارت كما قامت بالجانيين وصدرت عنهما فبقيت صيغة المفاعلة الدالة على المشاركة بين الاثنين
واضافة اليوم اليه لادنى ملازمة كاضافة سائر الظروف الزمانية الى ما وقع فيها من الحوادث كيوم الاحزاب
وعام الفتح وتخصيصه من بين سائر ما يقع فيه من القيامة والجمع والحساب لكونه أدخل في الترغيب والترهيب
فان ما ذكر من القيامة وغيرها من مبادئ الجزاء ومقدماته واضافة مالك الى اليوم اضافة اسم الفاعل الى
الظرف على نهج الاتساع المبني على اجرائه مجرى المفعول به مع بقاء المعنى على حاله كقولهم يا سارق الليلة أهل
الدار أى مالك أمور العالمين كلها في يوم الدين وخلو اضافة عن افادة التعريف المسوغ لوقوعه صفة للمعرفة
انما هو اذا أريد به الحال أو الاستقبال وأما عند ارادة الاستمرار الثبوت كما هو اللائق بالمقام فلا ريب
في كونها اضافة حقيقية كاضافة الصفة المشبهة الى غير معمولها في قراءة ملك يوم الدين ويوم الدين وان لم يكن
مستقرا في جميع الازمنة الا انه لتحقيق وقوعه وبقائه أبدا جرى مجرى المتحقق المستمر ويجوز أن يراد به الماضي
بهذا الاعتبار كما يشهد به القراءة على صيغة الماضي وما ذكر من اجراء الظرف مجرى المفعول به انما هو من حيث
المعنى لا من حيث الاعراب حتى يلزم كون الاضافة لفظية ألا يرى انك تقول في مالك عبده أمس انه مضاف الى
المفعول به على معنى انه كذلك معنى لانه منصوب محلا وتخصيصه بالاضافة اما التعظيم وتمويله أو لبيان تفرده
تعالى باجراء الامر فيه وانقطاع العلائق المجازية بين الملوك والاملاك حينئذ بالكلية واجراء هاتيك الصفات
الجليلة عليه سبحانه لتعليل لما سبق من اختصاص الحديدي تعالى المستلزم لاختصاص استحقاقه به تعالى وتعهيد
لما لحق من اقتصار العبادة والاستعانة عليه فان كل واحدة منها مفصلة عن وجوب ثبوت كل واحد منها له
تعالى وامتناع ثبوتها لغيره سواء أما الاولى والرابعة فظاهرا لانهما متعزضتان صراحة لكونه تعالى ربا
مالك واما سواه مربو بما ملوكه تعالى وأما الثانية والثالثة فلان اتصافه تعالى بهما ليس الا بالنسبة الى
ماسواه من العالمين وذلك يستدعي ان يكون الكل منعما عليهم فظهر أن كل واحدة من تلك الصفات كادت
على وجوب ثبوت الامور المذكورة له تعالى ذات على امتناع ثبوتها لماعداء على الاطلاق وهو المعنى
بالاختصاص (اي لا نعبد ويا لا نستعين) التفات من الغيبة الى الخطاب * وتلويح للنظم من باب الى باب *
جار على نهج البلاغة في اقتنان الكلام * وملاك البراعة حسبا يقتضي المقام * لما ان التنقل من اسلوب الى
اسلوب * أدخل في استلاب النفوس واستمالة القلوب * يقع من كل واحد من التكلم والخطاب والغيبة الى كل
واحد من الآخرين كما في قوله عز وجل الله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا الآية وقوله تعالى حتى اذا كنتم في
الفلك وجريتم بهم الى غير ذلك من الالتفاتات الواردة في التنزيل لاسرار تقتضيها * ومن ايات استدعيها * وما استأثر
به هذا المقام الجليل من النكت الرائقة الدالة على ان تخصيص العبادة والاستعانة به تعالى لما أجرى عليه من
النعوت الجليلة التي أوجب له تعالى اكل عذرا وتم ظهوره بحيث تبدل خفاء الغيبة بجلاء الحضور * فاستدعي
استعمال صيغة الخطاب والايذان بان حق التالي بعد ما تأمل فيما سلف من تفرده تعالى بذاته الاقدس
المستوجب للمعبودية * وامتنازه بذاته عما سواه بالكلية * واستبداده بجلائل الصفات وأحكام الربوبية
المميزة له عن جميع افراد العالمين واقتدار الكل اليه في الذات والوجود ابتداء وبقاء على التفصيل الذي مرّت اليه
الاشارة ان يتربى من رتبة البرهان الى طبقة العيان وينتقل من عالم الغيبة الى معالم الشهود ويلا حظ نفسه
في حظائر الاقدس حاضرا في محاضر الانس كانه واقف لدى مولاه ماثل بين يديه وهو يدعوا بالخضوع والاختبات
ويقرع بالضرعة باب المناجاة فائلا يامن هذه شؤون ذاته وصفاته تخصك بالعبادة والاستعانة فان كل ماسواك
كما نسا ما كان بعزل من استحقاق الوجود فضلا عن استحقاق ان يعبد أو يستعان ولعل هذا هو السر
في اختصاص السورة الكريمة بوجوب القراءة في كل ركعة من الصلاة التي هي مناجاة العبد لمولاه ومثناة

للتبطل اليه بالكلية وايضا غير منفصل منصوب وما يلحقه من الكاف والياء والهاء حروف زيدت لتعيين الطلب
 والتكلم والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في أنت والكاف في رأيتك وما ادعاء الخليل من الاضافة محجبا
 عليه بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين قاياه وايا الشواب فما لا يقول عليه وقيل هي الضمائر وايا
 دعامة اهل التصير هامة منفصلة وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بالتخفيف وبفتح الهزة والتشديد وهما يتقلب
 الهزة هاء والعبادة اقصى غاية التذلل والخضوع ومنه طريق معبد اي مذلل والعبودية ادنى منها وقيل العبادة
 فعل ما يرضى به الله والعبودية الرضى بما فعل الله تعالى والاستعانة طلب المعونة على الوجه الذي مريبانه وتقديم
 المفعول فيهما الماذكر من القصر والتخصيص كما في قوله تعالى واياي فارهبون مع ما فيه من التعظيم والاهتمام
 به قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه لعبدك ولا تعب غيرك وتكرير الضمير المنصوب للتخصيص على تخصيصه
 تعالى بكل واحدة من العبادة والاستعانة ولا يرازا الاستلذاذ بالمناجاة والمطاب وتقديم العبادة
 لما أنهما من مقتضيات مدلول الاسم الجليل وان ساعده الصفات المجراة عليه أيضا واما الاستعانة فمن
 الاحكام الدينية على الصفات المذكورة ولان العبادة من حقوق الله تعالى والاستعانة من حقوق المستعين
 ولان العبادة واجبة حتما والاستعانة نابعة للمستعان فيه في الوجوب وعدمه وقيل لان تقديم الوسيلة
 على المسؤل ادعى الى الاجابة والقبول * هذا على تقدير كون اطلاق الاستعانة على المفعول فيه ليتناول كل
 مستعان فيه كما قالوا وقد قيل انه لما ان المسؤل هو المعونة في العبادة والتوفيق لاقامة مراسمها على ما ينبغي
 وهو اللاتق بشأن التنزيل والمناسب لحال الحامد فان استعانت به مسجوقه بملاحظة فعل من افعاله ليستعينه
 تعالى في ايضاعه ومن البين انه عند استقراره في ملاحظة شؤنه تعالى واشتغاله باداء ما يوجه تلك الملاحظة
 من الحمد والثناء لا يكاد يخطر بباله من افعاله واحواله الا الاقبال الكلي عليه والتوجه التام اليه ولقد فعل
 ذلك بتخصيص العبادة به تعالى أولا وباستدعاء الهداية الى ما يوصل اليه آخر فكيف يتصور ان يشتغل
 فيما بينهما بما لا يعنيه من أمور دنياه أو بما يعيها وغيرها كانه قبل واياك نستعين في ذلك فانما غير قادرين
 على اداء حقوقه من غير اعانة منك فوجه الترتيب حيث شد واضح وفيه من الاشعار بعقوبة عبادة تعالى
 وعزة منالها وبكونها عند العابد أشرف المباحي والمقاصد وبكونهم امن مواهبه تعالى لان أعمال نفسه ومن
 الملائمة لما يعقبه من الدعاء ما لا يجزئ وقيل الواو للفعال أي اياك نعبد مستعينين بك وايتار صيغة التكلم
 مع الغير في الفعلين اللذين بقصور نفسه وعدم لياقته بالوقوف في مواقف الكبرياء منفردا وعرض العبادة
 واستدعاء المعونة والهداية مستقلا وان ذلك اغايت تصور من عصاة هو من جلتهم وجماعة هو من زمرتهم
 كما هو دين الماولك أو للاشعار باشتراك المؤمنين في الحال العارضة له بناء على تعاضد الادلة الملمحة
 الى ذلك وقرئ نستعين بكسر التون على لغة بني تميم (اهدنا الصراط المستقيم) افراد لمعظم افراد المعونة
 المسؤلة بالذكر وتعيين لما هو الاهم أو بيان لها كما أنه قيل كيف أعينكم فقيل اهدنا والهداية دلالة بلفظ
 على ما يوصل الى البغية ولذلك اختصت بالخبر وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم واراد على نهج التكلم
 والاصل تعدية بالي واللام كما في قوله تعالى قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق فعمول
 معاملته اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وعليه قوله تعالى لتهديتهم سبلنا وهداية الله تعالى مع تنوعها الى
 أنواع لا تكاد تحصر متحصرة في اجناس مترتبة منها انفسية كإفادته القوى الطبيعية والحيوانية التي بها
 يصدر عن المرء أفعاله الطبيعية والحيوانية والقوى المدركة والمشاعر الظاهرة والباطنة التي بها يتمكن من
 إقامة مصالحه المعاشية والمعادية ومنها آفاقية قائما تكوينية معربة عن الحق بلسان الحال وهي نصب الادلة
 المودعة في كل فرد من افراد العالم حسبا لروح به فيعاسف واما تنزيلية مفصصة عن تفاصيل الاحكام النظرية
 والعملية بلسان المقال بارسال الرسل وانزال الكتب المنطوية على فنون الهدايات التي من جلتها الارشاد
 الى مسلك الاستدلال بتلك الادلة التكوينية الآفاقية والانفسية والتنبية على مكانها كما أشير اليه مجلا
 في قوله تعالى وفي الارض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون وفي قوله عز وجل ان في اختلاف الليل
 والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون ومنها الهداية الخاصة وهي كشف الاسرار
 على قلب المهدى بالوحي أو الالهام ولكل مرتبة من هذه المراتب صاحب ينصها وطالب يستدعيها والمطلوب

اما زيادتها كما في قوله تعالى والذين اهتموا بازادهم هدى واما الثبات عليها كما روى عن علي وآبي رضي الله
 عنهم اهدانا قبتنا ولفظ الهداية على الوجه الاخير مجاز قطعاً وأما على الاول فان اعتبر مفهوم الزيادة داخل
 في المعنى المستعمل فيه كان مجازاً أيضاً وان اعتبر خارجاً عنه مدلولاً عليه بالقرائن كان حقيقة لان الهداية
 الزائدة هداية كما ان العبادة الزائدة عبادة فلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز وقرئ ارشداً والمصراط الجادة
 أصله السين قلبت صاداً المكان الطاء كصيطر في مسيطر من شرط الشيء اذا ابتلعه سميت به لانها تسترط السابلة
 اذا سلكوها كما سميت لقها لانها تلقيمهم وقد نسم الصاد صوت الزاء تحزناً للقرب من المبدل منه وقد قرئ بهن
 جمعاً وقصفاً من اخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام وجمعه صراط ككتاب وكتب وهو
 كالطريق والسبيل في التذكير والتأنيث والمستقيم المستوى والمراد به طريق الحق وهي الملة الخنيفة السبعة
 المتوسطة بين الافراط والتفريط (صراط الذين انعمت عليهم) بدل من الاول بدل الكل وهو في حكم تكرير
 العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التأكيد والتضييق على ان طريق الذين انعم الله عليهم وهم
 المسلمون هو العلم في الاستقامة والمشهود له بالاستواء بحيث لا يذهب الوهم عند ذكر الطريق المستقيم
 الا اليه واطلاق الانعام لقصد الشمول فان نعمة الاسلام عنوان النعم كلها فمن فاز بها فقد سارها مجداً فبرها
 وقيل المراد بهم الانبياء عليهم السلام ولعل الاظهر أنهم المذكورون في قوله عز قائلنا فاولئك مع الذين انعم
 الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بشهادة ما قبله من قوله تعالى وله دينهم صراطاً مستقيماً
 وقيل هم اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل النسخ والتعريف وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام
 ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان من النعمة وهي اللين ثم أطلقت على ما يستلذه
 النفس من طيبات الدنيا ونعم الله تعالى مع استحالة احصائها بخصر اصولها في ديوى وأخروى * والاول
 قسمان وهي وكسبي والوهبي أيضاً قسمان روحاني كنفع الروح فيه وامدادها بالعقل وما يتبعه من القوى
 المدركة فانها مع كونها من قبيل الهدايات ثم جليلة في أنفسها وجسماني كتحليق البدن والقوى الحافظة فيه
 والهيئات العارضة له من الصحة وملازمة الاعضاء والكسبي تخلية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق
 السنية والملكات البهية وتزوين البدن بالهيئات المطبوعة والحلي المرضية وحصول الجاه والمال * والثاني
 مغفرة ما فرط منه والرضى عنه وتبؤنه في أعلى عليين مع المقرين والمطلوب هو القسم الاخير وما هو ذريعة
 الى نيله من القسم الاول اللهم ارزقنا ذلك بفضلك العظيم ورحمتك الواسعة (غير المغضوب عليهم ولا الضالين)
 صفة للموصول على انه عبارة عن احدى الطوائف المذكورة المشهورة بالانعام عليهم وباستقامة المسلك ومن
 ضرورة هذه الشهرة شهرتهم بالمغفرة لما أضيف اليه كلمة غير من المتصفين بضد الوصفين المذكورين أعني
 مطلق المغضوب عليهم والضالين فاكتسبت بذلك تعزراً فاصححوا لوقوعها صفة للمعرفة كما في قولك غلبك بالحركة
 غير السكون وصفوا بذلك تكمله لما قبله وايداً انابان السلامة مما ابتلى به أولئك نعمة جليلة في نفسها أي الذين
 جمعوا بين النعمة المطلقة التي هي نعمة الايمان ونعمة السلامة من الغضب والضلال وقيل المراد بالموصول
 طائفة من المؤمنين لا باعيا منهم فيكون بمعنى النكرة كذی الام اذا أريد به الجنس في ضمن بعض الافراد
 لا بعينه وهو المسمى بالمعهود الذهني وبالمغضوب عليهم والضالين اليهود والنصارى كما ورد في مسند أحمد
 والترمذي فيبقى لفظ غير على ايهامه نكرة مثل موصوفة وأنت خير بان جعل الموصول عبارة عما ذكر من
 طائفة غير معينة محل يبدلية ما أضيف اليه مما قبله فان مدارها كون صراط المؤمنين علماً في الاستقامة
 مشهود له بالاستواء على الوجه الذي تحققته فيما سلف ومن البين ان ذلك من حيث اضافته واتسابه الى كلهم
 لا الى بعض منهم وبهذا تبين ان لا سبيل الى جعل غير المغضوب عليهم بدلاً من الموصول لما عرفت من ان شأن
 البدل ان يغيب متبوعه مزيداً كيد وتقرير وفصل ايضاح وتفسير ولا يرب في ان قصارى أمر ما نحن فيه ان
 يكتسب مما أضيف اليه نوع تعرف معصم لوقوعه صفة للموصول وأما استحقاق ان يكون مقصوداً بالنسبة
 مضداً لما ذكر من الفوائد فكلا وقرئ بالنصب على الحال والعامل انعمت أو على المدح أو على الاستثناء ان فسر
 النعمة بما يرمي القليلين والغضب هيبان النفس لازادة الانتقام وعند اسناده الى الله سبحانه براديه غاية
 بطريق الطلاق اسم السبب بالنسبة اليه على مسببه القريب ان أريد به ارادة الانتقام وعلى مسببه البعيد

أني أريد به نفس الانتقام ويجوز حمل الكلام على التمثيل بأن يشبه الهيئة المنتزعة من سخطه تعالى للعصاة واردة الانتقام منهم لعاصيهم بما ينتزع من حال الملك إذا غضب على الذين عصوه وأراد أن ينتقم منهم ويعاقبهم وعليم صرفع بالمغضوب قائم مقام فاعله والعدول عن اسناد الغضب إليه تعالى كالانعام جرى على منهاج الآداب التنزيلية في نسبة الذم والخيرات إليه عز وجل دون اضدادها كما في قوله تعالى الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعني ويسقي وإذا مرضت فهو يشفين وقوله تعالى وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً ولا مزيدة لتأكيد ما أفاده غير من معنى التي كانه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز أن يزيد غير ضارب جواز أن يزيد الاضارب وإن امتنع أن يزيد امثل ضارب والضلال هو العدول عن الصراط السوي وقرئ وغير الضالين وقرئ ولا الضالين بالهمزة على لغة من جدد في الهرب عن التقاء الساكنين (أمين) اسم فعل هو استجب وعن ابن عباس رضي الله عنهما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال أقبل بنى على الفتح كآين لا لتقاء الساكنين وفيه لغتان مدة ألفه وقصرها قال ويرحم الله عبداً قال آميناً وقال آمين فزاد الله ما بيننا بعداً عن النبي صلى الله عليه وسلم لقنني جبريل آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال أنه ككالحلم على الكتاب وليست من القرآن وقاها ولكن يستختم سورة الكريمة بها والمنهم ورعن أبي حنيفة رحمه الله أن المصلح يأتي بها مخافة وعنه أنه لا يأتي بها إلا ما لأنه الداعي وعن الحسن رحمه الله مثله وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وأنس بن مالك عن النبي عليه الصلاة والسلام وعند الشافعي رحمه الله يجهر بها لما روى واثل بن حجر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ أو لا الضالين قال آمين ورقع بها صوته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يـ بن كعب ألا أخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والإنجيل والقرآن مثلها قالت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب أنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتماً مقضياً فيقرأ صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة

(سورة البقرة مدنية وهي مائتان وسبع وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) اللفظ الذي يعبر بها عن حروف المعجم التي من جملتها المقطعات المرقومة في فوائج السور الكريمة أسماء لها لا اندراجها تحت حدة الاسم ويشهده ما يعبر بها من التعريف والتشكيك والجمع والتصغير وغير ذلك من خصائص الاسم وقد نص على ذلك اساطين أئمة العربية وما وقع في عبارات المتقدمين من التصريح بحرفيتها محمول على المسامحة وأما ما روى عن ابن مسعود رضي الله عنه من أنه عليه السلام قال من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف وفي رواية الترمذي والدارمي لا أقول الم حرف ذلك الكتاب حرف ولكن الألف حرف واللام حرف والميم حرف والذال حرف والكاف حرف فلا تعلق له بما نحن فيه قطعاً فإن إطلاق الحرف على ما يقابل الاسم والفعل عرف جديد اخترعه أئمة الصناعة وإنما الحرف عند الأوائل ما يتركب منه الكلم من الحروف المبسوطة وربما يطلق على الكلمة أيضاً تجوزاً فأريد بالحديث الشرف دفع توهم التجوز وزيادة تعيين إرادة المعنى الحقيقي ليتبين بذلك أن الحسنة الموعودة ليست بعدد الكلمات القرآنية بل بعدد حروفها المكتوبة في المصاحف كما يلوح به ذكر كتاب الله دون كلام الله أو القرآن وليس هذا من تسبحة النبي باسم مدلوله في شيء كما قيل كيف لا والحكموم عليه بالحرفية واستنباع الحسنة أئمة هي المسيمات البسيطة الواقعة في كتاب الله عز وجل سواء عبر عنها بأسمائها أو بآياتها كما في قولك السين مهملة والشين معجمة مثثة وغير ذلك مما لا يصدق الجهمول الأعلى ذات الموضوع لأسمائها المؤلف كما إذا قلت الألف مؤلف من ثلاثة أحرف فكما أن الحسنات في قراءة قوله تعالى ذلك الكتاب بمقابلة حروفه البسيطة وموافقة لعدد حروفها كذلك في قراءة قوله تعالى الم بمقابلة حروفه الثلاثة المكتوبة وموافقة لعدد حروفها لا بمقابلة أسمائها الملقونة والالفاظ الواقعة في العدد إذا الحكم بأن كلامها حروف واحد مستلزم للحكم بأنه مستطيع التسبحة واحدة فالعبرة في ذلك بالعبرة دون المعبرة ولعل السرفية أن

استتباع الحسنة منوط بافادة المعنى المراد بالكلمات القرآنية فكان سائر الكلمات الشريفة لا تقيد
معانيها الا بلفظ حروفها بانفسها كذلك الفواضع المكتوبة لا تقيد المعاني المقصودة بها الا بالتعبير عنها
باسمائها فجعل ذلك تلفظا بالمسميات كالقسم الاول من غير فرق بينهما الا يرى الى ما في الرواية الاخيرة من قوله
عليه السلام والذال حرف والكاف حرف كيف عبر عن طرفي ذلك باسميهما مع كونهما ملفوظين بانفسهما ولقد
روعت في هذه التسمية نكتة رائعة حيث جعل كل مسمى لكونه من قبيل الالفاظ صادرا لاسمه ليكون هو
المفهوم منه اثر خلا ان الالف حيث تعذر الابتداء بها استعيرت مكانها الهمزة وهي معربة اذ لا مناسبة
بينها وبين مبنى الاصل لكنها ما لم تلها العوامل ساكنة الالهجاء على الوقف كاسماء الاعداد وغيرها حين خلت
عن العوامل ولذلك قيل صاد وقاف مجموعا فيهما بين الساكنين ولم يعامل معاملة أين وكيف وهؤلاء وان
وليها عامل مسها الاعراب وقصر ما آخره ألف عند التهجى لا بتغاء الخفة لالان وزانه وزان لا تقصير تارة فتكون
حرفا وتمتد أخرى فيكون اسمالها كما في قول حسان رضي الله عنه

ما قال لا قط الا في تشهده * لولا التشهد لم تسع له لا

هذا وقد تكلموا في شأن هذه الفواضع الكريمة وما أريد بها فصيل انها من العلوم المستورة والاسرار المحجوبة
روى عن الصادق رضي الله عنه انه قال في كل كتاب سر وسر القرآن أوائل السور وعن علي رضي الله عنه
ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال عجزت العلماء
عن ادراكها وسئل الشعبي عنها فقال سر الله عز وجل فلا تطلبوه وقيل انها أسماء الله تعالى وقيل كل حرف
منها اشارة الى اسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته تعالى وقيل انها صفات الافعال الالف الآؤه واللام
لطفه والميم مجده ومكة قاله محمد بن كعب القرظي وقيل انها من قبيل الحساب وقيل الالف من الله واللام
من جبريل والميم من محمد أي أنزل الله الكتاب بواسطة جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام وقيل هي
اقسام من الله تعالى بهذه الحروف المجمة لشرافها من حيث أنها أصول اللغات ومبادئ كسبه المنزلة ومباني
أسمائه الكريمة وقيل اشارة الى انتهاء كلام وابتداء كلام آخر وقيل ولكن الذي عليه التعويل اما كونها
أسماء للسور المستورة بها وعليه اجماع الاكثر واليه ذهب الخليل وسيبويه قالوا سميت بها ايذا بانها كلمات
عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ فيكون فيه ايماء الى الالهجاء والتجدي على سبيل الابقاظ
فلولا انه وحى من الله عز وجل لما عجزوا عن معارضته وبقر من مآله السكبي والصدق وقسادة من انها
أسماء للقرآن والتسمية بثلاثة أسماء فصاعدا انما تستنكر في لغة العرب اذ اركبت وجعلت اسماء واحدا كما في
حضر موت فاما اذا كانت منثورة فلا استنكار فيها والمسمى هو المجموع لا الفاشحة فقط حتى يلزم اتحاد الاسم
والمسمى غاية الامر دخول الاسم في المسمى ولا محذور فيه كما لا محذور في عكسه حسبما تحققته آثقا وانما كتبت
في المصاحف صور المسميات دون صور الاسماء لانه ادل على كسبية التلفظ بها وهي ان يكون على نهج التهجي
دون التركيب ولان فيه سلامة من التطويل لاسمي في الفواضع الخماسية على ان خط المصحف مما لا يناقش فيه
بمخالفة القياس . واما كونها مسرودة على غط التعديد واليه جئنا أهل التحقيق قالوا انما وردت هكذا ليكون
ابقاظا بمن تحتدى بالقرآن وتنبيههم على انه منتظم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا انه خارج عن طوق
البشر * نازل من عند خلاق القوى والقدر * لما نضأ لت قوتهم * ولا تساقطت قدرتهم * وهم فرسان حلبة
الخوار * وأمراء الكلام في نادى الفخار * دون الاتيان بما يداينه * فضلا عن المعارضة بما يساويه * مع
تظاهروهم في المضادة والمضارة * وبها لكهم على المعازة والمعاراة * أولكون مطلع ما يتلى عليهم مستقلا يشرب
من الغراب انموذجا لما في الباقي من فنون الالهجاء فان النطق بأنفس الحروف في تضاعيف الكلام * وان كان
ببلي طرف التمام * يتناول الخواص والعوام * من الاعراب والالهجاء * لكن التلفظ باسمائها انما يتأتى عن
درس وخط * واما من لم يحجم حول ذلك قط * فأعز من بيض الانوق * وابعد من مناط العيوق * لاسما اذا كان
على خط محب واسلوب غريب مني عن سرسري مني على نهج عبقري بحيث يحار في فهمه أرباب العقول
ويجوز من ادراكه الباب الفعول * كيف لا وقد وردت تلك الفواضع في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المهج
مشتملة على نصفها تقريبا بحيث ينطوى على النصف أصنافها تحقيقا وتقريبا كما يتضح عند الفحص

والتفسير * حسبا فله بعض افاضل ائمة التفسير * فسبحان من دقت حكمته من ان يطالهها الانتظار * وجلت قدرته عن ان ينالهها ايدى الافكار * وايراد بعضها فزادى وبعضها شامية الى التماسية جرى على عادة الاقتبان مع مراعاة ائمة الكلم وتفريقها على السور دون ايراد كلها مرة لذلك ولما في التكرير والاعادة من زيادة افادة وتخصيص كل منها بسورتها مما لا سبيل الى المطالبة بوجهه وعد بعضها آية دون بعض مبقى على التوقيف البحث اما الم فآية حينما وقعت وقيل في آل عمران ليست بآية والمص آية والمر لم تعد آية والى ليست بآية في شئ من سورها الخمس وطسم آية في سورتها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية في سورها كلها وكهيعص آية وحم عسق آيتان وص وق ون لم تعد واحدة منها آية هذا على رأى الكوفيين وقد قيل ان جميع الفواتح آيات عندهم في السور كلها بلا فرق بينها واما من عداهم فلم يعدوا شيئا منها آية ثم انهم اعلى تقدير كونها سرودة على غط التعديد لا تشم رائحة الاعراب ويوقف عليها وقف التمام وعلى تقدير كونها اسما للسور والقرآن كان لها حظ منه اما الرفع على الابتداء او على الخبرية واما النصب فعمل منه كذا كر أو بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن واما الخبرية فتقدير سرفه حسبا يقتضيه المقام ويستدعيه النظام ولا وقف فيما عدا الرفع على الخبرية والتلفظ بالكل على وجه الحكاية ساكنة الاعجاز الا ان ما كانت منها مفردة مثل ص و ق ون يتأق فيها الاعراب اللفظي ايضا وقد قرئت بالنصب على اضمار فعل أى اذ كر أو اقرا صاد وقاف وفون وانما لم تنون لامتناع الصرف وكذا ما كانت منها موازنة لمجرد نحو حم ويس وطس الموازنة لقبايل وهما يليل حيث اجاز سيبويه فيها مثل ذلك قال في باب اسماء السور من كتابه وقد قرأ بعضهم ياسين والقرآن وقاف والقرآن فكانه جعله اسما مجمعا ثم قال اذ كر ياسين انتهى وحكى السيرافي ايضا عن بعضهم قراءة ياسين ويجوز ان يكون ذلك في الكل تحريكا لا لتقاء الساكنين ولا مساخ للنصب باضمار فعل القسم لان ما بعدها من القرآن والقلم محلوف بهما وقد استكرهوا الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد قبل انقضاء الاول وهو السرى جعل ما عدا الواو الاولى في قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلج وما خلق الذكر والانثى عاقلة ولا يحال للعطف ههنا للمخالفة بين الاول والثاني في الاعراب نعم يجوز ذلك يجعل الاول مجرورا باضمار الباء القسمية مفتوحا لكونه غير منصرف وقرى ص و ق بالكسر على التحريك لا لتقاء الساكنين ويجوز في طاسين ميم ان تفتح نونها وتجعل من قبيل دارا يجرد ذكره سيبويه في كتابه واما ما عدا ذلك من الفواتح فليس فيها الا الحكاية وسببها تفاصيل سائر احكام كل منها مشروحة في مواضعها باذن الله عز سلطانه اما هذه الفاتحة الشريفة فان جعلت اسما للسورة والقرآن فعملها الرفع اما على انه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا الم أىسمى به وانما صححت الاشارة الى القرآن بعضها وكلام مع عدم سبق ذكره لانه باعتبار كونه بصدد الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان واما على انه مبتدأ أىسمى به والاول هو الاظهر لان ما يجعل عنوان الموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانسحاب اليه عند الخطاب واذ لا يعلم بالتسمية قبل فحة الاخبار به واوداعها من نهرتها بأما التردد في ان المسمى هي السورة او كل القرآن (ذلك) ذا اسم اشارة واللام عمادى به للدلالة على بعد المشار اليه والكاف للخطاب والمشار اليه هو المسمى فانه منزل منزلة المشاهد بالحس البصرى وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايدان بعلو شأنه وكونه في الغاية القاصية من الفضل والشرف اثر تنويه بذكر اسمه وما قيل من انه باعتبار التقصى او باعتبار الوصول من المرسل الى المرسل اليه في حكم المتباعد وان كان معهما الايراده ولكنه بمنزلة من ترجحه على ايراد ما وضع للاشارة الى القريب وتذكيره على تقدير كون المسمى هي السورة لان المشار اليه هو المسمى بالاسم المذكور من حيث هو مسمى به لا من حيث هو مسمى بالسورة ولست ادعى اعتبارا لحيثية الثانية في الاولى بناء على ان التسمية لتمييز السور بعضها من بعض فذلك لتذكيره ما بعده وهو على الوجه الاول مبتدأ على حدة وعلى الوجه الثاني مبتدأ ثان وقوله عز و علا (الكتاب) اما خبره او صفة اما اذا كان خبرا له فالجمله على الوجه الاول مستأنفة مؤكدة لما افادته الجمله الاولى من نيابة شأن المسمى لا محل لها من الاعراب وعلى الوجه الثاني في محل الرفع على أنها خبر للمبتدأ الاول واسم الاشارة مقنن عن النهر الرابط والكتاب اما مصدر سمي به المفعول مبالغة كالمخلق والتصوير للمخلوق والمصور واما فعال بنى للمفعول كالباس من الكتب

الذي هو ضم الحروف بعضها الى بعض وأصله الجمع والضم في الامور البادية للجنس البصري ومنه الكتيبة
 للعسكر كما ان اصل القراءة الجمع والضم في الاشياء الخفية عليه واطلاق الكتاب على المنظوم عبارة لما ان ما له
 الكتابة والمراد به صلى تقدير كون المسمى هي السورة بجميع القرآن الكريم وان لم يتم نزوله عند نزول السورة
 اما باعتبار تحققه في علم الله عز وجل او باعتبار ثبوته في الالواح او باعتبار نزوله جملة الى السماء الدنيا حسبما
 ذكر في فاتحة الكتاب واللام للعهد والمعنى ان هذه السورة هو الكتاب أي العمدة القصوى منه كانه في احوال
 الفضل كل الكتاب المعهود الفنى عن الوصف بالكمال لاشتهاره به فيما بين الكتب على طريقة قوله عليه السلام
 الحج عرفة وعلى تقدير كون المسمى كل القرآن فالمراد بالكتاب الجنس واللام للتحقيقة والمعنى ان ذلك هو الكتاب
 الكامل الحقيقي بان يخص به اسم الكتاب لغاية تفوقه على بقية الافراد في حيازة كالات الجنس كان ماعدا
 من الكتب السماوية خارج منه بالنسبة اليه كما يقال هو الرجل أى الكامل في الرجولية الجامع لما يكون
 في الرجال من مراضى الخصال وعليه قول من قال هم القوم كل القوم يا أم خالد فالمدح كما ترى من جهة حصر
 كمال الجنس في فرد من افراده وفي الصورة الاولى من جهة حصر كمال الكل في الجزء ولا مساغ هناك لجل
 الكتاب على الجنس لما ان فرد المعهود هو مجموع القرآن المقابل لسائر افراد من الكتب السماوية لا بعضه
 الذي يطلق عليه اسم الكتاب باعتبار كونه جزءا لهذا الفرد لا باعتبار كونه جزءا للجنس على حiale ولان حصر
 الكمال في السورة مشعر بتقصان سائر السور وان لم يكن الحصر بالنسبة اليها لتحقيق المغايرة بينهما هذا على
 تقدير كون الكتاب خبرا لذلك وأما اذا كان صفة له فذلك الكتاب على تقدير كون الم خبر مبتدا محذوف اما خبر
 ثان أو بدل من الخبر الاول أو مبتدا مستقل خبره ما بعده وعلى تقدير كونه مبتداً اما خبر له أو مبتداً ثان خبره
 ما بعده والجملة خبر للمبتدا الاول والمشار اليه على كلا التقديرين هو المسمى سواء كان هي السورة او القرآن
 ومعنى البعد ما ذكر من الاشعار بعلو شأنه والمعنى ذلك الكتاب المحجب الشان البالغ اقصى مراتب الكمال
 وقيل المشار اليه هو الكتاب الموهود فعلى البعد حيث تظاهر خلافه ان كان المسمى هي السورة ينبغي ان يراد
 بالوعد ما في قوله تعالى اناس نلتق عليك قولا ثقبلا كما قيل وان كان هو القرآن فهو ما في التوراة والانجيل هذا
 على تقدير كون الم اسم السورة او القرآن وأما على تقدير كونها مسرودة على غط التعديد فذلك مبتداً
 والكتاب اما خبره او صفته والخبر ما بعده على نحو ما سلف اوية قد رتبته أى المؤلف من هذه الحروف ذلك
 الكتاب وقرئ الم تنزيل الكتاب وقوله تعالى (لا ريب فيه) اما في محل الرفع على أنه خبر لذلك الكتاب على
 الصور الثلاث المذكورة او على أنه خبر ثان لالم ولذلك على تقدير كون الكتاب خبره او للمبتدا المقدر آخر اعلى
 رأى من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى واما في محل النصب على الحالية
 من ذلك او من الكتاب والعامل معنى الاشارة واما جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب مؤكدة لما قبلها
 وكلمة لانافية للجنس مفيدة للاستغراق عاملة عمل ان يجعلها عليها لكونها نقيضا لها ولازمة للاسم لزومها
 واسمها مبنى على الفتح لكونه مفردا نكرة لامضافا ولا شيها به وأما ما ذكره الزجاج من أنه معرب وانما حذف
 التنوين للتخفيف فما لا تعويل عليه وسبب بنائه تضمنه لمعنى من الاستغراقية لانه مركب معها تركيب خمسة
 عشر كما توهم وشبهها محذوف أى لا ريب موجوداً ونحوه كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله والظرف
 ضمة لاسمها ومعناه نفي الكون المطلق وسلبه عن الربب المفروض في الكتاب والخبر هو الظرف ومعناه سلب
 الكون فيه عن الربب المطلق وقد جعل الخبر المحذوف ظرفا وجعل المذكر خبرا لما بعده وقرئ لا ريب فيه
 على ان لا معنى ليس والفرق بينه وبين الاول ان ذلك موجب للاستغراق وهذا مجوز له والربب في الاصل
 مصدر رابى اذا حصل فيك الرية وحقيقة تفاق النفس واضطرابها ثم استعمل في معنى الشك مطلقا ومع تهمة
 لانه يلقى النفس ويزيل الطمأنينة وفي الحديث دع ما يريك الى ما لا يريك ومعنى نفيه عن الكتاب أنه في علو
 الشان وسطوع البرهان بحيث ليس فيه مظنة ان يرتاب في حقيقته وكونه حيا منزلا من عند الله تعالى
 لأنه لا يرتاب فيه احد أصلا لا يرى كيف جوز ذلك في قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا الخ فانه في قوة
 ان يقال وان كان لكم ريب فيما نزلنا او ان ارتبتم فيما نزلنا الخ الا انه خولف في الاسلوب حيث فرض كونهم
 في الريب لا كون الريب فيه لزيادة تنزيهه ساحة التنزيل عنه مع نوع اشعار بان ذلك من جهتهم لا من جهته العالية

ولم يقصد ههنا ذلك الاشعار كالم يقصد الاشعار بنبوت الرب في سائر الكتب ليقضي المقام تقديم الطرف
 كما في قوله تعالى لا فيها غول (هـدى) مصدر من هـ داه كالسرى والبكى وهو الدلالة بلطف على ما يوصل
 الى البغية أى ما من شأنه ذلك وقيل هى الدلالة الموصلة اليها بدليل وقوع الضلالة في مقابلته في قوله تعالى
 اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقوله تعالى وانا واياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين ولا شك فى ان عدم
 الوصول معتبر فى مفهوم الضلال فيعتبر الوصول فى مفهوم مقابله ومن ضرورة اعتباره فيه اعتباره فى مفهوم
 الهدى المتعدي اذ لا فرق بينهما الا من حيث التأثير والتأثر وبمحله ان الهدى المتعدي هو التوجيه الموصول
 لان اللازم هو التوجيه الموصول بدليل ان مقابله الذى هو الضلال توجه غير موصول قطعاً وهذا كما ترى مبنى على
 امرين اعتبار الوصول وجوباً فى مفهوم اللازم واعتبار وجود اللازم وجوباً فى مفهوم المتعدي وكلا الامرين
 يعزل من الثبوت اما الاول فلان مدار التقابل بين الهدى والضلال ليس هو الوصول وعدمه على الاطلاق بل
 هما معتبران فى مفهوميهما على وجه مخصوص به لتحقيق التقابل بينهما وتوضيحه ان الهدى لا يتفيه من اعتبار
 توجه عن علم الى ما من شأنه الايصال الى البغية كما ان الضلال لا يتفيه من اعتبار الجور عن القصد الى ما
 ليس من شأنه الايصال قطعاً وهذه المرتبة من الاعتبار مسلمة بين الفريقين ومحقة للتقابل بينهما وانما النزاع
 فى ان امكان الوصول الى البغية هل هو كاف فى تحصيل مفهوم الهدى ولا بد فيه من خروج الوصول من القوة
 الى الفعل كما ان عدم الوصول بالفعل معتبر فى مفهوم الضلال قطعاً اذا تقرر هذا فنقول ان اريد اعتبار الوصول
 بالفعل فى مفهوم الهدى اعتباراً بمقارناته فى الوجود زماناً حسب اعتبار عدمه فى مفهوم مقابله فذلك بين
 البطلان لان الوصول غاية للتوجه المذكور فينتهى به قطعاً لاستحالة التوجه الى تحصيل الحاصل وما يبق
 بعد ذلك فهو اما توجه الى الثبات عليه واما توجه الى زيادته ولان التوجه الى المقصد تدريجى والوصول اليه
 دفعى فيستحيل اجتماعهما فى الوجود ضرورة واما عدم الوصول فحيث كان امراً مستمراً مثل ما يقتضيه من
 الضلال وجب مقارنته له فى جميع ازمته وجوده اذ لو فارقه فى آن من آتات تلك الازمنة لقارنه فى ذلك الآن
 مقابله الذى هو الوصول بخافرضناه ضلالاً لا يكون ضلالاً وان اريد اعتباره من حيث انه غاية له واجبة الترتب
 عليه لزم ان يكون التوجه المقارن لغاية الجدة فى السؤل الى ما من شأنه الوصول عند تخلفه عنه لما منع خارجى
 كاخترام النية مثلاً من غير تقصير ولا جور من قبل المتوجه ولا خلل من جهة المسلك ضلالاً اذ لا واسطة بينهما
 مع أنه لا جور فيه عن القصد أصلاً فبطل اعتبار وجوب الوصول فى مفهوم اللازم قطعاً وتبين منه عدم اعتباره
 فى مفهوم المتعدي حتماً واما اعتبار وجود اللازم فيه وجوباً وهو الامر الثانى فيبانه مبنى على تمهيد أصل وهو
 أن فعل الفاعل حقيقة هو الذى يصدر عنه ويتم من قبله لكن لما لم يكن له فى تحقيقه فى نفسه بد من تعلقه بفعله
 اعتبر ذلك فى مدلول اسمه قطعاً لما كان له باعتبار كيفية صدور عن فاعله وكيفية تعلقه بفعله وغير ذلك آثار
 شتى مترتبة عليه فمما رز في انفسها مستقلة بأحكام مقتضية لافرادها بأسماء خاصة وعرض له بالقياس الى كل اثر
 من تلك الآثار اضافة خاصة بممازاة عما عداها من الاضافات العارضة له بالقياس الى سائر ها وكانت تلك الآثار
 تابعة له فى التحقق غير منفكة عنه اصلاً اذ لا مؤثر لها سوى فاعله عدت من ممتاته واعتبرت الاضافة العارضة
 له بحسبها اذ اخله فى مدلوله كالا اعتماد المتعلق بالجسم مثلاً وضع له باعتبار الاضافة العارضة له من انكسار ذلك
 الجسم الذى هو أثر خاص لذلك الاعتماد اسم الكسر وباعتبار الاضافة العارضة له من انقطاعه الذى هو أثر آخر
 له اسم القطع الى غير ذلك من الاضافات العارضة له بالقياس الى آثاره اللازمة له وهذا امر مطرد فى آثاره
 الطبيعية واما الآثار التى له مدخل فى وجودها فى الجسم من غير ايجاب لها تترتب عليه تارة وتفاقره أخرى
 بحسب وجود أسبابها الموجبة لها وعدمها كالآثار الاختيارية الصادرة عن مؤثراتها بواسطة كونه داعياً اليها
 فحيث كانت تلك الآثار مستقلة فى انفسها مستندة الى مؤثراتها غير لازمة له لزوم الآثار الطبيعية التابعة له
 لم تعد من ممتاته ولم تعتبر الاضافة العارضة له بحسبها اذ اخله فى مدلوله كالاضافة العارضة للامر بحسب امثال
 المأمور والاضافة العارضة للدعوة بحسب اجابة المدعو فان الامثال والاجابة وان عدا من آثار الامر والدعوة
 باعتبار ترتبهما عليها غالباً لكنهما حيث كانا فاعلين اختياريين للامور والمأمورين المستقلين فى انفسهما غير لازمين
 للامر والدعوة لم يعدا من ممتاتهما ولم يعتبر الاضافة العارضة لهما بحسبها اذ اخله فى مدلول اسم الامر

والدعوة بل جعلها عبارة عن نفس الطلب المتعلق بالمأمور والمدعوسا ووجد الامتنال والاجابة اولا اذا غمته
هـذا فقول كما ان الامتنال والاجابة فعلان مستقلان في انفسهما صادرا عن المدعور والمأمور باختيارهما
غير لازمين للامر والدعوة لزوم الآثار الطبيعية التابعة للافعال الموجبة لها وان كانا مترتين عليهما في الجملة
كذلك هدى المهدي أي توجهه الى ما ذكر من المسلك فعل مستقل له صادر عنه باختياره غير لازم للهداية
أي التوجيه اليه لزوم ما ذكر من الآثار الطبيعية وان كان مترتا عليهما في الجملة فلما لم يعدا من مميزات الامر
والدعوة ولم يعتبر الاضافة العارضة لهما بحسبهما داخل في مدلولهما علم أنه لم يعد الهدى لللازم من مميزات
الهداية ولم يعتبر الاضافة العارضة لهما بحسبه داخل في مدلولها ان قيل ليس الهدى بالنسبة الى الهداية
كالا امتثال والاجابة بالقياس الى اصلهما فان تعلق الامر والدعوة بالمأمور والمدعور لا يقتضي الاتصافهما
بكونهما مأمورا ومدعورا وليس من ضرورته اتصافهما بالا امتثال والاجابة اذ لا تلازم بينهما ما بين الاولين
اصلا بخلاف الهدى بالنسبة الى الهداية فان تعلقها بالمهدي يقتضي اتصافه به لان تعلق الفعل المتعدي المبني
للفاعل بفعوله يدل على اتصافه بمصدره المأخوذ من المبني للمفعول قطعاً وهو مستلزم لاتصافه بمصدر الفعل
اللازم وهل هو الاعتبار وجود اللازم في مدلول المتعدي حتما قلنا كما ان تعلق الامر والدعوة بالمأمور والمدعور
لا يستدعي الاتصافهما بما ذكر من غير تعرض للامتثال والاجابة ايجاباً وسلباً كذلك تعلق الهداية التي
هي عبارة عن الدلالة المذكورة بالمهدي لا يستدعي الاتصافه بالمندولية التي هي عبارة عن المصدر المأخوذ
من المبني للمفعول من غير تعرض لقبول تلك الدلالة كما هو معنى الهدى اللازم ولا لعدم قبوله بل الهداية عين
الدعوة الى طريق الحق والاهتداء عين الاجابة فكيف يؤخذ في مدلولها واستلزام الاتصاف بمصدر الفعل
المتعدي المبني للمفعول للاتصاف بمصدر الفعل اللازم مطلقاً انما هو في الافعال الطبيعية كالمكسورية
والانكسار والمقطوعة والانقطاع وأما الافعال الاختيارية فليست كذلك كما تحققته فيما سلف ان قيل التعلم
من قبيل الافعال الاختيارية مع أنه معتبر في مدلول التعليم قطعاً فليكن الهدى مع الهداية كذلك قلنا ليس
ذلك لكونه فعلاً اختيارياً على الاطلاق ولا لكون التعليم عبارة عن تخصيص العلم للمتعلم كما قيل فان المعلم ليس
بمستقل في ذلك ففي استناده اليه ضرب تجوز بل لان كلا منهما مفتقر في تحققه وتحصله الى الآخر فان التعليم
عبارة عن القاء المبادئ العلمية على المتعلم وسوقها الى ذهنه شيئاً فشيئاً على ترتيب يقتضيه الحال بحيث لا يساق
اليه بعض منها الا بعد تلقيه لبعض آخر فكل منهما متمم للآخر معتبر في مدلوله واما الهدى الذي هو عبارة
عن التوجه المذكور ففعل اختياري يستقل به فاعله لا يدخل الهداية فيه سوى كونها داعية الى ايجاده
باختياره فلم يكن من مميزاتهما ولا معتبراً في مدلولها ان قيل التعليم نوع من انواع الهداية والتعلم نوع من انواع
الاهتداء فيكون اعتبارهما في مدلول التعليم اعتباراً للهدى في مدلول الهداية قلنا اطلاق الهداية على التعليم
انما هو عند وضوح المسلك واستبداد المتعلم بسلوكه من غير دخل للتعليم فيه سوى كونه داعياً اليه وقد عرفت
جلية الامر على ذلك التقدير ان قيل ليس تخلف الهدى عن الهداية كتخلف التعلم عن التعليم فحيث لم يكن ذلك
تعلماً في الحقيقة فليكن الهداية ايضاً كذلك وليعمل تسمية ما لا يستتبع الهدى بها على التجوز قلنا شتان بين
التلفين فان تخلف التعلم عن التعليم يكون لقصور فيه كما ان تخلف الانكسار عن الضرب الضعيف لذلك وأما
تخلف الهدى عن الهداية فليس لسبب قصور من جهتها بل انما هو لفقد سببه الموجب له من جهة المهدي بعد
تكماله ما يتم من قبل الهادي وبهذا التحرير اضع طريق الهداية وتبين انها عبارة عن مطلق الدلالة على ما من
شأنه الا يصل الى البغية بعريف معاملة وتبين مسالكه من غير أن يشترط في مدلولها الوصول ولا القبول وان
الدلالة المقارنة لهما اولا حدهما والمفارقة عنهما كل ذلك مع قطع النظر عن قيد المقارنة وعدمها افراد حقيقة
لها وان ما في قوله تعالى انك لا تهدي من احببت وقوله تعالى ولو شاء لهداكم لهداكم وشحوذ ذلك بما اعتبر فيه الوصول
من قبيل الجواز وانكشف ان الدلالات التكوينية المنصوبة في الانفس والاقايق والبيانات التشريعية الواردة
في الكتب السماوية على الاطلاق بالنسبة الى كافة البرية برها وفاجرها هدايات حقيقة فائضة من عنده
سبحانه والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله (للمتقين) أي المتصفين بالتقوى حالاً أو مآلاً
وتخصيص الهدى بهم لئلا يفسد المقبولون من انواع المتفقون بآثاره وان كان ذلك شاملاً لكل ناظر من مؤمن

وكافرو بذلك الاعتبار قال الله هدى الناس والتمنى اسم فاعل من باب الافتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة والتقوى في عرف الشرع عبارة عن كمال التوقى عما يضره في الآخرة قال عليه السلام جماع التقوى في قوله تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية وعن عمر بن عبد العزيز أنه ترك ما حرم الله وأداء ما فرض الله وعن شهر بن حوشب المتقى من يترك ما لا بأس به حذرا من الوقوع فيما فيه بأس وعن أبي يزيد أن التقوى هو التورع عن كل ما فيه شبهة وعن محمد بن حنفية أنه محجوبة ~~ص~~ كل ما يبعدك عن الله تعالى وعن سهل التقي من تبرأ عن حوله وقدرته وقيل التقوى أن لا يرالك الله حيث نهالك ولا يفقدك حيث أمرك وعن ميمون بن مهران لا يكون الرجل تقيا حتى يكون أشد محاسبة لنفسه من الشريك الصحيح والسلطان الجائر وعن أبي تراب بين يدي التقوى خمس عقبات لا يناله من لا يجاوزهن أيتار الشدة على النعمة وأيتار الضعف على القوة وأيتار الذل على العزة وأيتار الجهد على الراحة وأيتار الموت على الحياة وعن بعض الحكماء أنه لا يبلغ الرجل سنام التقوى إلا أن يكون بحيث لو جعل ما في قلبه في طبق فطيف به في السوق لم يستقى عن ينظر إليه وقبل التقوى أن تزين سرك للفق كاترين علانيتك للخلق والتحقيق أن للتقوى ثلاث مراتب الأولى التوقى عن العذاب المخلد بالتبرؤ عن الكفر وعليه قوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المعنى بقوله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لَنُنْزِلَنَّ مِنْ سَمَاءٍ مَاءً يَسْرَى عَنْ كُلِّ مَأْتِشَلٍ سَرَى عَنْ الْحَقِّ عَزَّوَجَلَّ وَيَتَبَلَّ إِلَيْهِ بِكَيَّةٍ وَهُوَ التقوى الحقيقية المأمورة به في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولهذه المرتبة عرض عريض يتفاوت فيه طبقات اصحابها حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشيئة الإلهية المبنية على الحكيم الإلهية اقصاصها ما انتهى إليه هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حيث جمعوا بذلك بين رياسة النبوة والولاية وما عاقهم التعلق بعالم الاشباح عن العروج الى معالم الارواح ولم يصددهم الملازمة بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية وهذاية الكتاب المبين شاملة لأرباب هذه المراتب اجمعين فان اريد بكونه هدى للمتقين ارشاد ما ياهم الى تحصيل المرتبة الاولى وينهلها فالمراد بهم المشارفون للتقوى مجازا لاستحالة تحصيل الحاصل وأيتاره على العبارة المعربة عن ذلك لا يجوز وتصدير السورة الكريمة بذكر أولياته تعالى وتغنيم شأنهم وان اريد به ارشاده الى تحصيل احدى المرتبتين الاخيرتين فان عني بالمتقين اصحاب الطبقة الاولى تعينت الحقيقة وان عني بهم اصحاب احدى الطبقتين الاخيرتين تعين المجاز لان الوصول اليهما انما يتحقق بهدايته المتقدمة وكذا الحال فيما بين المرتبة الثانية والثالثة فانه ان اريد بالهدى الارشاد الى تحصيل المرتبة الثالثة فان عني بالمتقين اصحاب المرتبة الثانية تعينت الحقيقة وان عني بهم اصحاب المرتبة الثالثة تعين المجاز ولفظ الهداية حقيقة في جميع الصور وأما ان اريد ~~بكونه~~ هدى لهم تبيينهم على ما هم عليه أو ارشادهم الى الزيادة فيه على ان يكون مفهومه اذ خلا في المعنى المستعمل فيه فهو مجاز لا محالة ولفظ المتقين حقيقة على كل حال واللام متعلقة بهدى أو بمسدوف وقع صفة له أو حالاً منه ومحل هدى الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف أى هو هدى أو خبر مع لا ريب فيه لذلك الكتاب أو مبتدأ خبره الظرف المقدم كما اشير اليه والنصب على الحالية من ذلك أو من الكتاب والعامل معنى الإشارة أو من الضمير في فيه والعامل ما في الجار والمجرور من معنى الفعل المنفى كانه قيل لم يحصل فيه الريب حال كونه هاديا على انه قيد للنفي لا للمنفى وخاصة اتنى الريب فيه حال كونه هاديا وتنكيره للتغنيم وحله على الكتاب اما للمبالغة كانه نفس الهدى أو لجعل المصدر بمعنى الفاعل هذا والذي يستدعيه جزالة التنزيل في شأن ترتيب هذه الجمل أن تكون متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يظلل بينها عاطف قائم بجملة برأسها على انها خبر مبتدأ مضمراً وطائفة من حروف المجهوم مستقلة بنفسها دالة على ان المتصدى به هو المؤلف من جنس ما يؤلفون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقترنة بجملة التحدى لمادت عليه من كونه منعوتاً بالسكال الفائق ثم يجعل على غاية فضله بنى الريب فيه اذ لا فضل أعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين مع ما يقدر له من المبتدأ بجملة مؤكدة لكونه حقاً لا يحوم حوله شبهة شك ما ودالة على تكميله بعد كماله ويستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول فانه لما فيه أولاً على ايجاز المتصدى به من حيث انه من جنس

كلامهم وقد عجزوا عن معارضته بالمرّة ظهر أنه الكتاب البالغ اقصى مراتب السكال وذلك مستلزم
 لكونه في غاية التزاهة عن مظنة الريب اذ لا انقص مما يعتريه الشك وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين
 وفي كل منها من التكت الرائقة والمزايا الفائقة ما لا يحصى جلالة شأنه حسبما تحققته (الذين يؤمنون بالغيب)
 امام وصول بالمتقين ومحل الجز على انه صفة مقيدة له ان فسر التقوى بترك المعاصي فقط مترتبة عليه ترتب
 الصلابة على الصلابة وموضح ان فسر بما هو المتعارف شرعا والمتبادر عرفا من فعل الطاعات وترك السيئات معا
 لانها حينئذ تكون تفصيلا لما انطوى عليه اسم الموصوف اجمالاً وذلك لانها مشقة على ما هو عماد الاعمال
 واساس الحسنات من الايمان والصلوة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية
 والمالية المستتعبة لسائر القرب الداعية الى التنبص من المعاصي غالباً لا يرى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى
 عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه السلام الصلاة عماد الدين والزكاة كنزرة الاسلام أو مادحة للموصوفين
 بالتقوى المفسر بما مر من فعل الطاعات وترك السيئات وتخصيص ما ذكر من الخصال الثلاث بالذكر لاظهار
 شرفها وانافتها على سائر ما انطوى تحت اسم التقوى من الحسنات او التنبص على المدح بتقدير اعنى او الرفع
 عليه بتقدير هم واما مفصول عنه مرفوع بالاينداه خبره الجملة المصدرة باسم الاشارة كما سيأتي بيانه فالوقف
 على المتقين حينئذ وقف تام لانه وقف على مستقل ما بعده وأما على الوجه الاول فحسن
 لاستقلال الوقوف عليه غير تام لتعلق ما بعده به وتبعيته له أما على تقدير الجز على الوصفية فظاهر وأما
 على تقدير التنبص أو الرفع على المدح فلما تقرّر من ان المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا عن التبعية لما قبلهما
 صورة حيث لم يتبعاه في الاعراب وبذلك سميا قطعاً لكنهما تابعا له حقيقة ألا يرى كيف التزموا حذف الفعل
 والمبتدأ في التنبص والرفع وما للتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله وتنبها على شدة الاتصال
 بينهما قال ابو علي اذا ذكرت صفات للمدح وخولف في بعضها الاعراب فقد خولف للاقتران اي للتقنين
 الموجب لا يبقا السامع وتحرى بكة الى الجدى في الاصغاء فان تغيير الكلام السوق لمعنى من المعاني وصرفه عن
 سننه المسلول ينبي عن اهتمام جديد بشأنه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من مخاطب ان قيل لا ريب
 في ان حال الموصول عند كونه خبر المبتدأ المحذوف كحاله عند كونه مبتدأ خبره أو لئلك على هدى في انه ينبغي به
 جملة اسمية مفيدة لاتصاف المتقين بالصفات الفاضلة ضرورة ان كلاما من الضمير المحذوف والموصول عبارة
 عن المتقين وان كلاما من انصافهم بالايمان وفروعه وحرارهم للهدى والفلاح من النعوت الجلية فما السر
 في أنه جعل ذلك في الصورة الاولى من نواع المتقين وعدا الوقف غير تام وفي الثانية مقتطعا عنه وعدا الوقف
 تاما قلنا السر في ذلك ان المبتدأ في الصورتين وان كان عبارة عن المتقين لكن الخبر في الاولى لما كان تفصيلا لما
 تقدمه المبتدأ اجمالاً حسبما تحققته معلوم الثبوت له بلا اشتباه غير مفيد السامع سوى فائدة التفصيل والتوضيح
 نظم ذلك في سلك الصفات مراعاة لطايف المعنى وان سمي قطعاً مراعاة لطايف اللفظ كيف لا وقد اشهر في الفن
 ان الخبر اذا كان معلوم الانسحاب الى الخبر عنه حقه أن يكون وصفه كما ان الوصف اذا لم يكن معلوم الانسحاب
 الى الموصوف حقه أن يكون خبراً له حتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها أخبارها والاخبار بعد العلم بها صفات
 وأما الخبر في الثانية فحيث لم يكن كذلك بل كان مشتملاً على ما لا ينبي عنه المبتدأ من المعاني الثلاثة كما ستحيط
 به خبراً مفيداً للمخاطب فوائد رائقة جعل ذلك مقتطعا عما قبله لمحافظة على الصورة والمعنى جميعاً والايمان افعال
 من الامن المتعدى الى واحد يقال آمنته وبالنقل تعدى الى اثنين يقال آمنني غيري ثم استعمل في التصديق
 لان المصدق يؤمن المصدق أي يجعله آمناً من التكذيب والخالف واستعماله بالياء لتضمنه معنى الاعتراف
 وقد يطلق على الوثوق فان الواثق يصير ذا امن وطمأنينة ومنه ما حكى عن العرب ما آمنت أن أجد صحابي أي
 ما صرت ذا أمن وسكون وكلا الوجهين حسن ههنا وهو في الشرع لا يتحقق بدون التصديق بما علم ضرورة أنه
 من دين نبينا عليه الصلاة والسلام كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرهما وهل هو كاف في ذلك أو لابد
 من انضمام الاقرار اليه للممكن منه والاول رأى الشيخ الاشعري ومن شايعه فان الاقرار عنده منشأ لاجراء
 الاحكام والثاني مذهب أبي حنيفة ومن تابعه وهو الحق فانه جعلهما جزأين له خلا ان الاقرار وكن محتمل
 للسقوط بغير ذكره عند الاكراه وهو مجموع ثلاثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بموجبه عند جهوره وتحدثين

والمعتزلة والخوارج فن أخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن أخل بالإقرار فهو كافر ومن أخل بالعمل فهو فاسق اتفقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الإيمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة وقرئ يؤمنون بغيرهزة والغيب اما مصدر وصف به الغائب مباينة كالتشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة أو قيل خفف كقيل في قيل وهين في هين وميت في ميت لكن لم يستعمل فيه الاصل كما استعمل في تطاثره وأياما كان فهو ما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدركها بواحد منهما ابتداء بطريق البداهة وهو قسمان قسم لادليل عليه وهو الذي اريد بقوله سبحانه وعند مفاخر الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها من الاحكام والشرائع واليوم الآخر وأحواله من البعث والتشور والحساب والجزاء وهو المراد ههنا قالبا صلة للإيمان اما يستقيم معنى الاعتراف أو يجعله مجازا من الوثوق وهو واقع موقع المفعول به واما مصدره على حاله كالغيبه قالبا متعلقة بمحذوف وقع حالا من الفاعل كما في قوله تعالى الذين يحشون ربهم بالغيب وقوله تعالى ليعلم اني لم اخنه بالغيب أي يؤمنون ملتبسين بالغيبة اما عن المؤمن به أي غائبين عن النبي صلى الله عليه وسلم غير مشاهدين لما فيه من شواهد النبوة لما روى ان اصحاب ابن مسعود رضي الله عنه ذكروا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وایمانهم فقال رضي الله عنه ان امر محمد عليه الصلاة والسلام كل بينا لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن مؤمن أفضل من الإيمان بغيث ثم تلا هذه الآية واما عن الناس أي غائبين عن المؤمنين لا كالمناقضين الذين اذا القوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا الالمعكم وقيل المراد بالغيب القلب لانه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كالذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم قالبا حينئذ للآلة وترل ذكر المؤمن به على التقادير الثلاثة اما للتصديق احداث نفس الفعل كما في قواهم فلان يعطى ويمنع أي يفعلون الإيمان واما لا لا كنفاء بما سيجي فان الكتب الالهية ناطقة بتفاصيل ما يجب الإيمان به (ويقومون الصلوة) اقامتها عبارة عن تعديل اركانها وحفظها من ان يقع في شيء من فرائضها أو سنها وآدابها ازيغ من أقام العود اذا قامه وعقله وقيل عن المواظبة عليها ما أخذ من قامت السوق اذا انفقته وأقمتها اذا جعلتها نافقة فانها اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه وقيل عن التشمير لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر وأقامه اذا جتديه واجتهد وقيل عن أدائها عبر عنه بالاقامة لاشتماله على القيام كما عبر عنه بالقنوت الذي هو القيام وبالركوع والسجود والتسبيح والاقول هو الاظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى وانما كتبنا بالواو مراعاة للفظ المفعول وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل أصل صلى حررك الصلوة وهما العظمان الساتان في اعلى الفخذين لان المصلى يفعل في ركوعه وسجوده واشتهر اللفظ في المعنى الثاني دون الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الدعاء مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد (وعمار زقناهم ينفقون) الرزق في اللغة العطاء ويطلق على الحظ المعطى نحو ذبح ورحى لأمذوح والمرعى وقيل هو بالفتح مصدر وبالكسر اسم وفي العرف ما ينتفع به الحيوان والمعتزلة لما أحالوا تمكن الله تعالى من الحرام لانه منع من الانتفاع به وأمر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام ألا يرى أنه تعالى اسند الرزق الى ذاته ايذا بانهم ينفقون من الحلال الصبر فان انشاق الحرام بعزل من ايجاب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله قل أرايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد المذكور للتعظيم والتعريض على الانشاق والذم لتعظيم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا بشمول الرزق لهما بما روي عنه عليه السلام في حديث عمرو بن قرة حين أنابه فقال يا رسول الله ان الله كتب على الشقوة فلا يرى رزق الامن دفي يكتفي فأذن لي في الغناء من غير فاحشة من أنه قال عليه السلام لا إذن لك ولا كرامة ولا نعمة كذبت أي عدو الله والله لقد رزقك الله حلالا طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله وبأنه لو لم يكن الحرام رزقا لم يكن المتعدي به طول عمره رزقا وقد قال الله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والانشاق والانتفاء أخوان خلا أن في الثاني معنى الاذهاب بالكلية دون الاول والمراد بهذا الانشاق الصبر الى سبيل الخير فرضا كان أو تقلا ومن فسر بالزكوة ذكر أفضل انواعه والاصل فيه اخصه بها لا قترانه بما هو شقيةها والجله معطوفة على ما قبلها من الصلة وتقديم المفعول للاهتمام والمحافظة

على رؤس الآتى وادخال من التبعية عليه للكف عن التبذير هذا وقد جوز أن يراد به الانفلاق من جميع
 معاون التى منحهم الله تعالى من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه السلام أن علما لا يزال به ككنز لا ينشق
 منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم من انوار المعرفة يفيضون (والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل
 من قبلك) معطوف على الموصول الاول على تقديرى وصله بما قبله وفصله عنه مندرج معه في زمرة المتقين
 من حيث الصورة والمعنى معاً ومن حيث المعنى فقط اندراج خاصين تحت عام اذا المراد بالاولين الذين آمنوا
 بعد الشرك والغفلة عن جميع الشرائع كما يؤذن به التعبير عن المؤمن به بالغيب وبالاخرين الذين آمنوا بالقرآن
 بعد الايمان بالكتب المنزلة قبل كعبد الله بن سلام واضرا به او على المتقين على ان يراد بهم الاولون خاصة ويكون
 تخصيصهم بوصف الاتقاء للايذان بتزهمهم عن حالتهم الاولى بالكلية لما فيها من كمال القباحة والمباينة للشرائع
 كلها الموجبة للاتقاء عنها بخلاف الاخرين فانهم غير تاركين لما كانوا عليه بالآخرة بل متمسكون بأصول الشرائع
 التى لا تكاد تختلف باختلاف الاعصار ويجوز أن يجعل كلا الموصولين عبارة عن الكل مندرجا تحت المتقين
 ولا يكون توسط العاطف بينهما لاختلاف الذوات بل لاختلاف الصفات كما فى قوله

الى الملك القرم وابن الهمام * وليت الكتبية في المزدحم وقوله بالهف زياية للصارث الصالح فالغائم فالأيب
 للايذان بأن كل واحد من الايمان بما اشير اليه من الامور الغائبة والايمان بما يشهد بشوئها من الكتب
 السماوية تمت جليل على حيا له شأن خطير مستتب لاحكام جملة حقيق بأن يفرد له موصوف مستعمل
 ولا يجعل أحدهما تسمية للآخر وقد شفع الاول بأداء الصلوة والصدقة اللتين هما من جملة الشرائع المندرجة
 تحت تلك الامور المؤمن بها تكمله له فان كمال العلم بالعمل وقرن الثاني بالايقان بالآخرة مع كونه منطويا
 تحت الاول فتيهها على كمال صحته وتعرضا بما فى اعتقاد اهل الكتابين من انطال كما سيأتى هذا على تقدير تعلق
 البناء بالايمان وقس عليه الحال عند تعلقها بالمحذوف فان كلاما من الايمان الغيبي المشفوع بما يصدق من
 العبادتين مع قطع النظر عن المؤمن به والايمان بالكتب المنزلة الشارحة لتفاصيل الامور التى يجب الايمان
 بها مقرونا بما قرن به فضيلة باهرة مستدعية لما ذكره والله تعالى أعلم وقد جعل ذلك على معنى انهم الجامعون
 بين الايمان بما يدركه العقل بجملة والايمان بما يصدق من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق
 اليه غير الجمع وتكرير الموصول للتبعية على تغيير القبيلين وتباين السبيلين فليتأمل وان يراد بالموصول الثاني
 بعد اندراج الكل فى الاول فريق خاص منهم وهم مؤمنوا أهل الكتاب بأن يخصوا بالذكر تخصيص جبريل
 وميكائيل به اربعين ذكر الملائكة عليهم السلام تعظيما لشأنهم وترغيبا لامثالهم واقرانهم فى تحصيل ما لهم من
 الكمال والانزال النقل من الاعلى الى الاسفل وتعلقه بالمعاني اغاها وتوسط تعلقه بالاعيان المستتعة لها فتزول
 ما عدا المحض من الكتب الالهية الى الرسل عليهم السلام والله تعالى أعلم بان يتلقاها الملك من جنايه عز وجل
 تلقيا روحانيا ويحفظها من اللوح المحفوظ فينزل بها الى الرسل فيلقها عليهم عليهم السلام والمراد بما انزل
 الملك هو القرآن بأسره والشرعية عن آخرها والتعبير عن انزاله بالماضى مع كون بعضه متوقفا حينئذ لتغايب
 المحقق على المقترأ ولتنزيل ما فى شرف الوقوع لتحققه منزلة الواقع كما فى قوله تعالى انا سمعنا كتابا أنزل من بعد
 موسى مع ان الجن ما كانوا سمعوا الكتاب جميعا ولا كان الجميع اذ ذاك نازلا وبما أنزل من قبلك التوراة والانجيل
 وسائر الكتب السابقة وعدم التعرض لذكر من انزل اليه من الانبياء عليهم السلام لقصد الإيجاز مع عدم تعلق
 الغرض بالتفصيل حسب تعلقه به فى قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل اليه وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل
 الآية والايمان بالكل جملة فرض وبالقرآن تفصيلا من حيث انما متعبدون بتفاصيله فرض كفاية فان فى وجوبه
 على الكل عينا حرجا بينا واختلا لا بأسا المعاش وبناء الفعلين للمفعول للايذان بتعين الضاعل والحرجى على سنن
 الكبرياء وقد قرأ على البناء للفاعل (وبالآخرة هم يوقنون) الايقان اتقان العلم بالشئ مبنى الشك والشبهة
 عنه ولذلك لا يسمى علمه تعبلى يقينا أى يعلمون علم قطعيا من يحال له كان اهل الكتاب عليه من الشكوك
 والاهام التى من جلها زعمهم ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا أو نصارى وان النار ان غسوم الاياما
 معدودات واختلافهم فى أن نعيم الجنة هل هو من قبيلى نعيم الدنيا ولا وهل هو دائم أو لاوى تقديم الصلة وبناء
 يوقنون على التخيير تعرض عن عداهم من اهل الكتاب فان اعتقادهم فى امور الآخرة بمزول من الصمة فصلا

عن الوصول الى مرتبة اليقين والآخر تأنيث الاخر كما ان الدنيا تأنيث الادنى غلبتا على الدارين فجرتا مجرى
الاسماء وقرئ بجذف الهمزة والقائه على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة اجراء لضم ما قبلها مجرى
ضمها في وجوه ووقبت وتطيره ما في قوله **الحب المؤقنان الى موسى** وجعدة اذا ضاء هما الوقود وقوله
تعالى (اولئك) اشارة الى الذين سكبت خصا اهلهم الحيدة من حيث اتصافهم بها وفيه دلالة على انهم مميزون
بذلك الكل تميزه منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد
منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله عز وجل (على هدى) خبره وما فيه من الابهام المفهوم من التنكير اسكال
تفخيمه كانه قيل على اى هدى هدى لا يبلغ كنههم ولا يقادر قدره وايراد كلمة الاستعلاء بناء على تمثيل حالهم
في ملابتهم بالهدى بحال من يعتلى الشئ ويستولى عليه بحيث يتصرف فيه كيفما يريد او على استعارتها
لتمسكهم بالهدى استعارة تبعية متفرعة على تشبيهه باعتلاء الركب واستوائه على مركوبه او على جعلها
قرينة للاستعارة بالكناية بين الهدى والمركوب للايدان بقوة تمكثهم منه وكمال رسوخهم فيه وقوله تعالى (من
رجمهم) متعلق بمحذوف وقع صفة له مبينة انفعاضه الاضافية اثر بيان تخلفه المذاتية مؤكدة لها أى على
هدى كائن من عنده تعالى وهو شامل لجميع انواع هدايته تعالى وقنون توقيفه والتعريض لعنوان الربوبية مع
الاضافة الى ضميرهم اغاية تفخيم الموصوف والمضاف اليهم وتشر يفهما ولزيادة تحقيق مضمون الجملة وتقريره
بيان ما يوجب ويقتضيه وقد ادغمت النون في الراء بغنة او بغيرة والجملة على تقدير كون الموصولين موصولين
بالمؤمنين مستقلة لا محل لها من الاعراب مقررة لمضمون قوله تعالى هدى للمؤمنين مع زيادة تأكيد كيدله وتحقيق
كيف لا وكون الكتاب هدى لهم فن من فنون ما منحوه واستقروا عليه من الهدى حسبا لتحقيقه لاسمها
مع ملاحظة ما يستتبعه من الفوز والفلاح وقيل هي واقعة موقع الجواب عن سؤال رجا فاشأ مما سبق كانه
قبل ما لا منعتين بما ذكر من الدعوات اختصاصا بزيادة ذلك الكتاب العظيم الشأن وهل هم احق بثلث الاثر
فأجيب بأنهم بسبب اتصافهم بذلك لما انكون لزمام اصل الهدى الجامع افنونه المستتبع للفوز والفلاح فأى
ريب في استحقاقهم لما هو فرع من فروعه ولقد جار عن سنن الصواب من قال في تقرير الجواب ان اولئك
الموصوفين غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا وأما على تقدير كونهم
مفصولين عنه فهي في محل الرفع على أنها خبر للمبتدأ الذي هو الموصول الاول والثاني معطوف عليه وهذه
الجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن من تخصيص ما ذكر بالمؤمنين قبل بيان مبادئ
استحقاقهم لذلك كانه قيل لما بال المؤمنين مخصوصين به فاجيب بشرح ما انطوى عليه اسمهم اجمالا من دعوت
الكمال وبيان ما يستدعيه من النتيجة أى الذين هذه شؤونهم احقاء بما هو أعظم من ذلك كقولك أحب الانصار
الذين عاروا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا ما همجته في سبيل الله اولئك سواد عيني وسويدا قلبي
واعلم ان هذا المسلك يسلك تارة باعادة اسم من استوقف عنه الحديث كقولك احسنت الى زيد زيد حقيق
بالاحسان واخرى باعادة صفة كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك ولا ريب في ان هذا يبلغ
من الاول لما فيه من بيان الموجب للحكم وايراد اسم الاشارة بمنزلة اعادة الموصوف بصفاته المذكورة مع ما فيه
من الاشعار بكمال تميزه بها وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة والايمان الى بعد منزلته كما مر هذا
وقد جوز ان يكون الموصول الاول مجرى على المؤمنين حسبما فصل والثاني مبتدأ واولئك الخ خبره ويجعل
اختصاصهم بالهدى والفلاح نعتا ايضا بغير المؤمنين من اهل الكتاب حيث كانوا يزعمون انهم على الهدى
ويطمعون في نيل النلاح (واولئك هم المفلحون) تكرر اسم الاشارة لاظهار حريص العناية بشأن المشار
اليهم وللتبسيه على ان اتصافهم بثلث الصفات يقتضى نيل كل واحدة من تلك الاثرين وأن كلا منهما كاف في
تميزهم بها عن عداهم ويؤيده توسط العاطف بين الجملتين بخلاف ما في قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم
اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل عليهم بكال الغفلة عبارة عما يفيد تشبيههم بالبهائم فتكون الجملة
الثانية مقررة للاولى وأما الافلاح الذي هو عبارة عن الفوز بالمطلوب فلما كان مغايرا للهدى نتيجة له وكان
كل منهما في نفسه اعز هرام يتنافس فيه المتنافسون فعل ما فعل وهم ضمير فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد
النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه أو مبتدأ خبره المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحين

للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغوا في الآخرة أو اشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة
المقربين وخصائصهم هذا وفي بيان اختصاص المتقين بنيل هذه المراتب الفاتحة على فنون من الاعتبارات
الرائقة الثلاثة حسبا اشير اليه في تضاعيف تفسير الآية الكريمة من الترغيب في اقتفاء أثرهم والارشاد
الى اقتداء سيرهم ما لا يخفى مكانه والله ولي الهداية والتوفيق (ان الذين كفروا) كلام مستأنف سبق لشرح
احوال الكفرة الغواة المردة العتاة اثر بيان احوال اضدادهم المتصفين بنعوت الكمال الفائزين بمباغيبهم في
الحال والمآل وانما ترك العاطف بينهما ولم يسلك به مسلك قوله تعالى ان الابرار لاني نعيم وان القيار لاني بحيم
لما بينهما من التساوي في الاسلوب والتباين في الغرض فان الاولى مسوقة لبيان رفعة شأن الكتاب في باب الهداية
والارشاد واما التعرض لاحوال المهتدين به فانما هو بطريق الاستطراد سواء جعل الموصول موصولا
بما قبله أو مفصلا عنه فان الاستئناف مبنى على سؤال نشأ من الكلام المتقدم فهو من مستبعاته لا محالة
وأما الثانية فسوقة لبيان احوال الكفرة اصالة وتراعى اخرهم في الغواية والضلال الى حيث لا يجديهم الانذار
والتبشير ولا يؤثر فيهم العظة والتذكير فهم ناكبون في تبه النفي والفساد عن منهاج العقول وراكبون
في مسلك المكابرة والعناد متن كل صعب وذلول وانما اثيرت هذه الطريقة ولم يؤسس الكلام على بيان ان
الكتاب هاد لا دال ولا غير مجد للاخرين لان العنوان الاخير ليس مما يورثه كما لا حتى يتعرض له في اثناء تعداد
كلماته وان من الحروف التي تشابه الفعل في عدد الحروف والبناء على النسخ وزوم الاسماء ودخول نون
الوفاية عليها كاتني ولعاني ونظائرهما واعطاء معانيه والمتعدي خاصة في الدخول على اسمين ولذلك اعلمت
عمله الفرعي وهو نصب الاول ورفع الثاني اذ انا بكونه فرعاً في العمل دخيل فيه وعند الكوفيين لا عمل لها
في الخبريل هو باق على حاله بقضية الاستصحاب واجيب بأن ارتفاع الخبر مشروط بالتجرد عن العوامل والاملا
اتصّب خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف واثره اناً كيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلوهما القسم
ويصّدر بها الاجوبة ويؤتى بها في مواقع الشك والانكار لدفعه وردّه قال المبرد قولك عبد الله قائم اخبار عن
قيامه وان عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه شاك فيه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف
الموصول اما العهد والمراد به ناس بأعيانهم كابي اهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة وأضرابهم وأخبار اليهود
او اللجنس وقد خص منه غير المصرين بما اسند اليه من قوله تعالى سواء عليهم الخ والكفر في اللغة ستر النعمة
وأصله الكفر بالفتح أي الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر قال تعالى كمثل غيث أعجب الكفار نباته وعليه
قول لبيد في ليلة كفر التجوم غمامها ومنه المتكفر بسلاحه وهو الشاكي الذي غطي السلاح بدنه وفي الشريعة
انكار ما علم بالضرورة محمي الرسول عليه الصلاة والسلام به وانما عدّ ليس الغيار وشذ الزار بغير اضطرار
ونظائرهما كفرا لدلالته على التكذيب فان من صدق النبي عليه السلام لا يكاد يجترئ على امثال ذلك اذ
لاداعي اليه كالزنى وشرب الخمر واحتجبت المعتزلة على حدوث القرآن بما جاء فيه بلفظ الماضي على وجه الاخبار
قانه يستدعي سابقة الخبر عنه لا محالة واجيب بأنه من مقتضيات التعلق وحدثه لا يستدعي حدوث الكلام
كما أن حدوث تعلق العلم بالمعلوم لا يستدعي حدوث العلم (سواء) هو اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت
بالمصادر بما لغة قال تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم وقوله تعالى (عليهم) متعلق به ومعناه عندهم
وارتفاعه على انه خبر لان وقوله تعالى (أأنتم أم لم تنتدوهم) مرّفع به على الفاعلية لان الهمة وأم مجرّدتان
فن معنى الاستفهام لتحقيق الاستواء بين مدخوليها كما جرد الامر والتمهي لذلك عن معنيين ما في قوله تعالى
استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وحرف النداء في قولك اللهم اغفر لنا ايها العصاة عن معنى الطلب لمجرد التخصيص
كأنه قيل ان الذين كفروا مستوعبهم انذارك وعدمه كقولك ان زيداً مختص اخوه وابن عمه أو مبتدأ
وسواء عليهم خبر قدّم عليه اعتناء بشأنه والجملة خبر لان والفعل انما يتبع الاخبار عنه عند بقائه على حقيقته
أما لو أريد به اللفظ أو مطلق الحدث المدلول عليه ضمناً على طريقة الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد
اليه كما في قوله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا وفي قولهم تسبح
بالمعبدى خير من ان تراء كانه قيل انذارك وعدمه سيان عليهم والعدول الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد
والتوصل الى ادخال الهمة ومعادها عليه لا فائدة تقرير معنى الاستواء وتأكيده كما اشير اليه وقيل سواء

حيثد أو ما بعده خبره وليس بذلك لأن مقتضى المقام بيان كون الانذار وعدمه سواء لا بيان كون المستوى
 الانذار وعدمه والانذار اعلام الخوف للاحتراز عنه افعال من نذري بالشيء اذا علمه فحذره والمراد ههنا
 التوقيف من عذاب الله وعقابه على المعاصي والاعتصار عليه لما انهم ليسوا باهل للبشارة أصلا ولأن الانذار
 اوقع في القلوب وأشد تأثيرا في النفوس فإن دفع المضار أهم من جلب المنافع فحيث لم يتأثروا به فلا ن لا يرفعوا
 للبشارة رأسا ولى وقرئ بتوسط ألف بين الهمزتين مع تحقيقهما بتوسطها والثانية بين بين وبتخفيف الثانية
 بين بين بتوسطها وبجذف حرف الاستفهام وبجذفه والقائه حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح وقرئ بقلب
 الثانية الفا وقد نسب ذلك الى اللعن (لا يؤمنون) جملة مستقلة مؤكدة لما قبلها مبنية لما فيه من افعال
 ما فيه الاستواء فلا محل لها من الاعراب أو حال مؤكدة له أو بدل منه أو خبر لأن وما قبلها اعتراض بما هو
 عليه للحكم أو خبر ثان على رأى من يجوز عند كونه جملة والآية الكريمة مما استدل به على جواز التكليف بما
 لا يطاق فانه تعالى قد أخبر عنهم بأنهم لا يؤمنون تظهر استحالة ايمانهم لاستلزامه المستحيل الذي هو عدم مطابقة
 اخباره تعالى للواقع مع كونهم ما موردين بالايمان باقين على التكليف ولأن من جملة ما كلفوه الايمان بعدم
 ايمانهم المستمر والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي اغراضا
 لاسيما الامتنال لكنه غير واقع للاستيقراء والاخبار بوقوع الشيء أو بعدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره
 تعالى عايفه هو والعبد باختياره وليس ما كلفوه الايمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم ان يكلفوا
 الايمان بعدم ايمانهم المستمر بل هو الايمان بجميع ما جاء به النبي عليه السلام اجمالا على ان كون الموصول
 عبارة عنهم ليس معلوما لهم وفائدة الانذار بعد العلم بأنه لا يفيد الزام الحجة وحرار الرسول صلى الله عليه وسلم
 فضل الابلاغ ولذلك قيل سواء عليهم ولم يقل عليك كما قيل لعبدة الاصنام سواء عليكم أذعوتهم أم أنتم
 صامتون وفي الآية الكريمة اخبار بالغيب على ما هو به ان أريد بالموصول اشخاص بأعيانهم فهي من
 المعجزات الباهرة (ختم الله على قلوبهم) استئناف تعليلي لما سبق من الحكم وبيان لما يقتضيه أو بيان
 وتأكيده والمراد بالقلب محل القوة العاقلة من الفؤاد والظلم على الشيء الاستيقاق منه بضرب الخاتم عليه
 صيانة له أو لما فيه من التعرض له كما في البيت الفارغ والكيس المملوء والاول هو الانسب بالمقام اذ ليس
 المراد به صيانة ما في قلوبهم بل احداث حالة تجعلها يسبب تماديهم في الفتن وانما كهم في التقليد واعراضهم
 عن منهاج النظر الصحيح بحيث لا يؤثر فيها الانذار ولا ينفذ فيها الحق أصلا اما على طريقة الاستعارة
 التبعية بأن يشبه ذلك بضرب الخاتم على نحو أبواب المنازل الخالية المبنية للسكنى تشبيه معقول بحسوس
 يجامع عقلي هو الاشتغال على منع القابل عما من شأنه وحقه ان يقبله ويستعار له الختم ثم يشتق منه صيغة
 الماضي واما على طريقة التمثيل بأن يشبه الهيئة المنتزعة من قلوبهم وقد فعل بها ما فعل من احداث تلك
 الحالة المانعة من ان يصل اليها ما خلقت هي لاجله من الامور الدنيوية النافعة وحيل بينها وبينه بالمرآة بهيئة
 منتزعة من محال معتدة لاول ما يحلها حولا مستتبعا لمصالح مهمة وقد منع من ذلك بالختم عليها وحيل بينها
 وبين ما اعتدت لاجله بالسكينة ثم يستعار لها ما يدل على الهيئة المشبهة بها فيكون كل من طرفي التشبيه مركبا من
 أمور عدة قد اقتصر من جانب المشبهة على ما عليه يدور الامر في تصوير تلك الهيئة واقتراءها وهو الختم
 والباقي منوى مراد قصدا بالفاظ مخيلة بها لتحقيق التركيب وتلك اللفاظ وان كان لها مدخل في تحقيق
 وجه الشبه الذي هو أمر عقلي منتزع منها وهو امتناع الاتقاع بما اعتدله بسبب مانع قوي لكن ليس في شيء
 منها على الانفراد تجوز باعتبار هذا الجواز بل هي باقية على حالها من كونها حقيقة أو مجازا أو كناية وانما
 التجوز في المجموع وحيث كان معنى المجموع بمعنى تلك اللفاظ التي ليس فيها التجوز المعهود ولم
 تكن الهيئة المنتزعة منها مدلولها لوضعها اليكون ما دل على الهيئة المشبهة بها عند استعماله في الهيئة المشبهة
 مستعملا في غير ما وضع له فيندرج تحت الاستعارة التي هي قسم من المجاز اللغوي الذي هو عبارة عن الكلمة
 المستعملة في غير ما وضع له ذهب قدماء المحققين كالشيخ عبد القاهر وأضرابه الى جعل التمثيل قسما بارأسه
 ومن رام تقليل الأقسام عند تلك الهيئة المشبهة بها من قبيل المدلولات الوضعية وجعل الكلام المقيد لها عند
 استعماله فيما يشبه بها من هيئة أخرى منتزعة من أمور اخر من قبيل الاستعارة ومما استعارة تمثيلية واسناد

احداث تلك الحادثة في قلوبهم الى الله تعالى لاستناد جميع الحوادث عندنا من حيث الخلق اليه سبحانه
وتعالى وورود الآية الكريمة ناعية عليهم سوء صنيعهم ووخامة عاقبتهم لكون افعالهم من حيث التكسب
مستندة اليهم فان خلقها منه سبحانه ليس بطريق الجبر بل بطريق الترتيب على ما اقترهوه من القبائح كما يهرب عنه
قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم ونحو ذلك وأما المعتزلة فقد سلكوا مسلك التأويل وذكروا في ذلك
عدة من الاقوال منها ان القوم لما عرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه
بالوصف الخلق المجبول عليه ومنها ان المراد به تمثيل قلوبهم بقلوب الهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن
الظن أو بقلوب قد رخم الله تعالى عليها كما في سأل به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته
ومنها ان ذلك فعل الشيطان أو الكافر واسناده اليه تعالى باعتبار كونه باقداره تعالى وتمكينه ومنها ان
أعراقهم المارسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق الى تحصيل ايمانهم طريق سوى الالقاء والتسريح
لم يفعل ذلك بحافظة على حكمة التكليف عبر عن ذلك بالظلم لانه سدا طريق ايمانهم بالكفاية وفيه اشعار بتراخي
امرهم في النفي والعدا وتناهي انهم في الشر والفساد ومنها ان ذلك حكاية لما كانت الكفرة يقولونه
مثل قواهم قلوبنا في أكنة مما ندعوني اليه وفي اذا تناوؤروا من بيننا وبينك حجاب تكلمهم ومنها ان ذلك
في الآخرة وانما اخبر عنه بالماضي لتحقيق وقوعه وبعده قوله تعالى وتخشرونهم يوم القيامة على وجوههم غيا
وبكا ومنها ان المراد بالظلم وسوء قلوبهم بسوء معرفتها الملائكة فيبغضونهم ويتنفرون منهم (وعلى سمعهم)
عطف على ما قبله داخل في حكم الظلم لقوله عز وجل وختم على سمعه وقلبه ولولوا فاق على الوقف عليه لا على
قلوبهم ولا شتر اكهم في الادراك من جميع الجوانب واعادة الجوارح كيد والاشعار بتغاير الخمين وتقديم
ختم قلوبهم للايدان بأنها الاصل في عدم الايمان وللأشعار بأن ختمها ليس بطريق التبعية بختم سمعهم بناء على
انه طريق اليها فانظمت عليه ختم عليها بل هي محتومة بختم على حدة لو فرض عدم الظلم على سمعهم فهو باق على
حاله حسبا يفصح عنه قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لا سمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون والسمع ادراك
القوة السامعة وقد يطلق عليها وعلى العضو الحامل لها وهو المراد هنا اذ هو المختوم عليه اصالة وتقديم
حاله على حال ابصارهم للاشتراك بينه وبين قلوبهم في تلك الجبال أولان جنائيتهم من حيث السمع الذي به يتلقى
الاحكام الشرعية وبه يتحقق الانذار أعظم منها من حيث البصر الذي به يشاهد الاحوال الدالة على التوحيد
فبيلها الحق بالتقديم وانسب بالمقام قالوا السمع افضل من البصر لانه عز وجل حيث ذكرهما تقدم السمع على
البصر ولان السمع شرط النبوة ولذلك ما بعث الله رسولا اصم ولان السمع وسيلة الى استكمال العقل بالمعارف
التي تلقف من اصحابها وتوحيدهم للامن عن اللبس واعتبار الاصل أو لتقدير المضاف أي وعلى حواس سمعهم
والكلام في ايقاع الختم على ذلك كما مر من قبل (وعلى ابصارهم غشاوة) الابصار جمع بصرو والكلام فيه كما
سمعه في السمع والغشاوة فعالة من التغشية أي التغطية بنيت لما يشتمل على الشيء كالغشاوة والعمامة
وتشكيرها للتخمين والتأويل وهي على رأي سيبويه مبتدأ خبره الطرف المقسّم والجملة معطوفة على ما قبلها
واينار الاسمية للايدان بدوام مضمونها فان ما يدرك بالقوة الباصرة من الآيات المنصوبة في الافاق والانفس
حيث كانت مستمرة كان تعاميمهم من ذلك أيضا كذلك وأما الآيات التي تتلقى بالقوة السامعة فلما كان
وصولها اليها حينئذ غيبا أو ثرى في بيان الختم عليها وعلى ما هي أحد طريق معرفته اعنى القلب الجملة الفعلية وعلى
رأى الانخفاض من ارتفاع على الفاعلية مما تعلق به الجوارح وقرئ بالنصب على تقدير فعل ناصب أحد وجعل على
أبصارهم غشاوة وقيل على حذف الجوارح وايصال الختم اليه والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالنصب
والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشاوة بالكسر مر فوعة وبالفتح مر فوعة ومنهوبة وغشاوة بالعين
غير المجبة والرفع (ولهم عذاب عظيم) وعيد وبيان لما يستحقونه في الآخرة والعذاب كالتشكال بناء ومعنى
يقال اعذب عن الشيء اذا امسك عنه ومنه الماء العذب لما انه يجمع العطش ويردعه ولذلك يسمى نقلا لانه
ينفخ العطش ويكسره وفرا لانه يرفقه على القلب ويكسره ثم اتسع فيه فاطلق على كل ألم فادخ وان لم يكن
عقابا لانه يردع الجاني عن المعادة وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذاب كالتعذية والتعريض
والعظيم تقيض الحقير والكبير تقيض الصغير في ضرورة كون الحقير دون الصغير كون العظيم فوق الكبير

ويستعملان في الخث والاحداث تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته أو خطره ووصف العذاب به لئلا كيد ما يبيده التنكير من التغميم والتهويل والمبالغة في ذلك والمعنى أن على ابصارهم ضربا من القساوة خارجا عما عارفه الناس وهي غشاوة التعامى عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يبلغ كنهه ولا يدرك غاية اللهم انا نعوذ بك من ذلك كله يا رحم الراحمين (ومن الناس) شروع في بيان أن بعض من حكيت أحوالهم السالفة ليسوا بمقتصرين على ما ذكر من محض الاصرار على الكفر والعناد بل يضمعون اليه فنونا آخر من الشر والفساد وتعميد لجناياهم الشنيعة المستتعبة لأحوال هائلة عاجلة وأجالة وأصل ناس أناس كما يشهد له انسان وأناسي حذف هزته تخفيفا كما قيل لوفة في الوفة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهم أو أاما في قوله * ان المنايا يطلعن على الاناس الا آمنينا * فساد وهو بذلك لظهورهم وتعلق الاناس بهم كما يسمى الجنس جنة لا جنتانهم وذهب بعضهم الى أن أصله النوس وهو الحركة انقلب واو أم الفاء تركها وانفتح ما قبلها وبعضهم الى أنه مأخوذ من نسي تقلت لامه الى موضع العين فصار نيسا ثم قلبت ألفا وهو بذلك لتسيمانهم ويروى عن ابن عباس أنه قال سمى الانسان انسانا لأنه عهد اليه فسي واللام فيه أما للعهد أو للجنس المقصور على المصرين حسيما ذكر في الموصول كأنه قيل ومهمهم أو من أولئك والامدول الى الناس للآية ان يكثرهم كما ينبغي عنه التبعض وعمل الطرف الرفع على أنه مبتدأ باعتبار مضهونه او نعت لمقدره والمبتدأ كما في قوله عز وجل ومنادون ذلك أى وجمع من الخ ومن في قوله تعالى (من يقول) موصولة أو موصوفة ومحملها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس أو بعض من الناس الذى يقول كقوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي الآية أو غريب يقول كقوله تعالى من المؤمنين رجال الخ على أن يكون مناط الاقادة والمقصود بالاصالة انصافهم عما في حيز الصلة أو الصفة وما يتعاق به من الصفات جميعا لا كونهم ذوات أولئك المذكورين وأما جعل الطرف خبرا كما هو الشائع في موارد الاستعمال فبإياه جزالة المعنى لأن كونهم من الناس ظاهر فالأخبار به عار عن الفائدة كما قيل فان حبناء توهم كون المراد بالناس الجنس مطلقا وكذا مدار الجواب عنه بأن الفائدة هو التنبيه على أن الصفات المذكورة تنافي الإنسانية فحق من يتصف بها ان لا يعلم كونه من الناس فيخبره ويتعجب منه وأنت خبير بأن الناس عبارة عن اليهودين أو عن الجنس المقصور على المصرين وأيا ما كان فالفائدة ظاهرة بل لأن خبرية الطرف تستدعي ان يكون انصاف هؤلاء تلك الصفات القبيحة المفصلة في ثلاث عشرة آية عنوانا للموضوع مفروغا عنه غير مقصود بالذات ويكون مناط الاقادة كونهم من أولئك المذكورين ولا ريب لاحد في أنه يجب جعل النظم الجليل على اجزأ المعاني واكملها وتوحيد الضمير في يقول باعتبار اقلية من وجهه في قوله (أما بالله وباليوم الآخر) وما بهد باعتبار معناها والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا يتناهى اولى ان يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار اذا حدث وراه وتخصيصهم للإيمان بهم بالذكر مع تكرار الباء لادعاء انهم قد ساروا الايمان من قطريه واحاطوا به من طرفيه وأنهم قد آمنوا بكل منهم على الاصالة والاستحكام وقد سدوا تحتهم ما هم عليه من العقائد الفاسدة حيث لم يكن إيمانهم بواحد منهم ما إيمانا في الحقيقة اذ كانوا مشركين بالله يقولهم عزير ابن الله وجاهدين باليوم الآخر بقواهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ونحو ذلك وحكاية عبارتهم لبيان كمال خبثهم ودعارتهم فان ما قالوا الوعد عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ذلك إيمانا فكيف وهم يقولونه عويها على المؤمنين واستهزاء بهم (وما هم بمؤمنين) رد لما ادعوه وتقي لما اتصلوه وما حجازية فان جواز دخول الباء في خبرها لتأكيد التثنية اتفاقا بخلاف التسمية وإثارة الجملة الاسمية على الفعلية الموافقة لدعواهم المردودة للمبالغة في الرد باقادة اتفاد الايمان عنهم في جميع الأزمنة لافي الماضي فقط كما بيده الفعلية ولا يتوهم ان الجملة الاسمية الإيجابية تفيد دوام الثبوت فعند دخول التثنية عليها تعين الدلالة على تقي الدوام فانها بموتة المقام تدل على دوام التثنية قطعا كما أن المضارع التثنية على امتناع يدل على استقرار الوجود وعند دخول حرف الامتناع عليه يدل على استقرار الامتناع لا على امتناع الاستقرار كما في قوله عز وجل ولو يجعل الله للناس الذمرا استجابهم بالتخريف فيهم اجلهم فان عدم قضاء الاجل لاستقرار عدم التحجيل لالعدم استقرار التحجيل واطلاق الايمان عما قيدوه به للآية ان بأنهم ليسوا من جنس الايمان في شيء أصلا فضلا

عن الايمان بما ذكرنا وقد جوز ان يكون المراد ذلك ويكون الاطلاق للظهور وسدلول الآية الكريمة
ان من اظهر الايمان واعتقاده بخلافه لا يكون مؤمنا فلا حجة فيها على الكرامية القائلين بان من تقوه بكلمتي
الشهادة فارغ القلب عما يوافقه او يشافيه مؤمن (يخادعون الله والذين آمنوا) بيان ليقول وبوضيح
لما هو غرضهم مما يقولون واستئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن كأنه قيل ما لهم يقولون ذلك
وهم غير مؤمنين فقيل يخادعون الله الخ أي يخدعون وقد قرئ كذلك وأشار صيغة المضاعفة لافادة المبالغة
في الكيفية فان الفعل متى غلب فيه بولغ فيه قطعا وفي الكمية كافي الممارسة والمزاولة فانهم كانوا مدومين
على الخدع والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المنكر ويوقعه فيه من حيث لا يحتسب او يوهمه
المساعدة على ما يريد هوبه ليغتر بذلك فينجو منه بسهولة من قولهم ضب خادع وخدع وهو الذي اذا أمر
الحارث يده على باب حجر يوهمه الاقبال عليه فيخرج من بابه الآخر وكلا المعنيين مناسب للمقام فانهم كانوا
يريدون بما صنعوا ان يطلعوا على اسرار المؤمنين فيذيعوها الى المنافذين وان يدفعوا عن انفسهم ما يصيب سائر
الكفرة وأيا ما كان قسبته الى الله سبحانه اما على طريق الاستعارة والتثليل لافادة كمال شناعة جنائهم
أي يعاملون معاملته الخادعين واما على طريقة المجاز العنقلي بأن ينسب اليه تعالى ما حقه ان ينسب الى الرسول
صلى الله عليه وسلم اية لما كتبه عنده تعالى كما نبئ عنه قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق
أيديهم وقوله تعالى من بطع الرسول فقد أطياع الله مع افادة كمال الشناعة كما مر واما مجرد التوطئة والتهديد
لما بعده من نسبته الى الذين آمنوا والايد ان بقوة اختصاصهم به تعالى كما في قوله تعالى والله ورسوله احق
ان يرضوه وقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله وابقاء صيغة المخادعة على معناها الحقيقي بناء على زعمهم
الفساد وترجسة عن اعتقادهم الباطل وكأنه قيل يزعمون انهم يخدعون الله والله يخدعهم او على
جعلها استعارة تبعية او تشبيها لما ان صورة صنعهم مع الله تعالى والمؤمنين وصنعه تعالى معهم باجراء احكام
الاسلام عليهم وهم عنده اخبث الكفرة وأهل الدرك الاسفل من النار استدر اجالهم وامثال الرسول عليه
الصلاة والسلام والمؤمنين بأمر الله تعالى في ذلك مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع الخادعين كما قيل عمالا
يرتضيه الذوق السليم اما الاول فلان المنافقين لو اعتقدوا أن الله تعالى يخدعهم بمقابلته خدعهم له لم يتصور
منهم التصدي للخدع واما الثاني فلان مقتضى المقام ايراد حالهم خاصة وتصويرها بما يليق بها من الصورة
المستهجنة وبيان ان خاتمتها آية اليهم من حيث لا يحتسبون كما يعرب عنه قوله عز وجل (وما يخدعون الا انفسهم)
فالتعريض لحال الجانب الآخر مما يحل يتوفية المقام حقه وهو حال من ضمير يخادعون أي يفعلون ما يفعلهون
والحال انهم ما يضرون بذلك الا انفسهم فان دائرة فعلهم مقصورة عليهم او ما يخدعون حقيقة الا انفسهم حيث
يفترونها بالا كاذب فيلقونها في مهاوى الردى وقرئ وما يخادعون والمعنى ومن حافظ على الصيغة
فما قبل حال وما يعاملون تلك المعاملة الشبيهة بمعاملة الخادعين الا انفسهم لان ضررها لا يحق الا بهم
او ما يخادعون حقيقة الا انفسهم حيث يمتنونها الا باطيل وهي ايضا تفرهم وتقيهم الاماني الفارغة وقرئ
وما يخدعون من الخديع وما يخدعون أي يخدعون ويخدعون ويخدعون على البناء للمفعول ونصب
انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته وقد يقال للروح لان نفس الحى به والقلب ايضا لانه محل
الروح او متعلقه وللدن ايضا لان قوامها به وللماء ايضا الشدة حاجتها اليه والمراد هنا هو المعنى الاول لان
المقصود بيان ان ضرر مخادعتهم راجع اليهم لا يتخطاهم الى غيرهم وقوله تعالى (وما يشعرون) حال من ضمير
ما يخدعون أي يقتصرون على خدع انفسهم والحال انهم ما يشعرون أي ما يحسبون بذلك لتماذيهن في الغواية
وحذف المفعول اما ظهوره او اعمومه أي ما يشعرون بشئ اصلا جعل الحق وبال ما صنعوا بهم في الظهور
ينزلة الامر المحسوس الذي لا يخفى الاعلى مؤلف الطوارس تحتل المشاعر (في قلوبهم مرض) المرض عبارة
عما يعرض للبدن فيخرج عن الاعتدال اللائق به ويوجب الخلل في افعاله ويؤدى الى الموت استعيره هنا
لما في قلوبهم من الجهل وسوء العقيدة وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من فنون الكفر المؤدى
الى الهلاك الروحاني والتكبر للدلالة على كونه نوعا مبعثا غير مائة عارفة الناس من الامراض والجبلية
مقدرة لما يفسيده قوله تعالى وما هم بمؤمنين من استقرار عدم ايمانهم او تعليل له كانه قيل ما لهم

لا يؤمنون فقيس في قلوبهم مرض يمنعه (فزادهم الله مرضا) بأن طبع على قلوبهم لعله تعالى بأنه لا يؤثر فيها التذكير والانذار والجلالة معطوفة على ما قبلها والقائه للدلالة على ترتيب مضمونهما عليه وبما تنفع كونهم من الكفرة المختوم على قلوبهم مع زيادة بيان السبب وقيس زادهم كفرا بزيادة التكليف الشرعية لانهم كانوا كلما ازداد التكليف بنزول الوحي يزدادون كفرا ويجوز أن يكون المرض مستعارا لما تدخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور عند مشاهدتهم لعزة المسلمين فزيادته تعالى إياهم مرضا ما فعل بهم من القاء الروح وقذف الرعب في قلوبهم عند عزاز الدين بامداد النبي صلى الله عليه وسلم بانزال الملائكة وتأنيدهم بقنوت النصر والتكين فقوله تعالى في قلوبهم مرض الخ حيثما استثناف تعلمي لقوله تعالى يخادعون الله الخ كأنه قيل ما لهم يخادعون ويداهنون ولم لا يجاهرون بما في قلوبهم من الكفر فقيس في قلوبهم ضعف مضاعف هذه حالهم في الدنيا (ولهم) في الآخرة (عذاب أليم) أي مؤلم يقال ألم وهو أليم كوجع وهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كما في قوله * تحية بينهم ضرب وجيع * على طريقة جديده فان الالم والوجع حقيقة للمؤلم والمضروب كما ان الحد الجاد وقيل هو بمعنى المؤلم كالسجيع بمعنى السمع وليس ذلك ثبت كما سيجيء في قوله تعالى يبيع السموات والارض (بما كانوا يكذبون) الباء للسببية او للمقابلة وما مصدرية داخله في الحقيقة على يكذبون وكله كانوا مقبحة لافادة دوام كذبهم وتجدده أي بسبب كذبهم أو بمقابلة كذبهم المتجدد المستمر الذي هو قولهم آمنوا بالله وباليوم الآخر وهم غير مؤمنين فانه اخبار باحاداتهم الايمان فيما مضى لا انشاء للايمان ولوسلم فهو متضمن للاخبار بصدوره عنهم وليس كذلك لعدم التصديق القلبي بمعنى الاذعان والقبول قطعا ويجوز أن يكون محمولا على الظاهر بناء على رأى من يجوز أن يكون لسان الناقصة مصدر كما صرح به في قول الشاعر بيدل وحلم ساد في قومه الفتى * وكونك إياه عليك يسير أي لهم عذاب أليم بسبب كونهم يكذبون على الاستمرار وترتيب العذاب عليه من بين سائر موجباته القوية اما لان المراد بيان العذاب الخاص بالناسقين بناء على ظهور شررتهم للجاهرين فيما ذكر من العذاب العظيم حسب اشتراكهم فيما يوجبهم من الاصرار على الكفر كما ينبغي عنه قوله تعالى ومن الناس الخ واما للاية ان بان لهم بمقابلة سائر جنائياتهم العظيمة من العذاب ما لا يوصف واما للرضى الى كمال سماجة الكذب نظر الى ظاهر العبارة المخيلة لانقراده بالسببية مع احاطة علم السامع بأن لحوق العذاب بهم من جهات شتى وان الاقتصار عليه للاشعار بنهاية قبحه والتنفير عنه * عن الصديق رضي الله عنه ويروي عن قوعا أيضا الى النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والكذب فانه يجانب للايمان وما روى ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات فالمراد به التعريض وانما سمى به لشبهه به صورة وقيل ما موصولة والعائد محذوف أي بالذي يكذبونه وقرئ يكذبون والمفعول محذوف وهو اما النبي صلى الله عليه وسلم او القرآن وما مصدرية أي بسبب تكذيبهم إياه عليه السلام او القرآن او موصولة أي بالذي يكذبونه على ان العائد محذوف ويجوز أن يكون صيغة التفعيل للمبالغة كما في بين في بان وقصص في قصص أولئك كثير كما في مؤنت اليها ثم وركت الابل وان يكون من قواهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم وقف ينتظر ما وراءه فان المناقاة متوقفة في امره مترددة في رأيه ولذلك قيل له مذبذب (واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض) شروع في تعديده من قبائحهم المتفرعة على ما حكى عنهم من الكفر والنفاق واذا ظرف زمن مستقبل ويلزمها معنى الشرط غالبها ولا تدخل الا في الامر المحقق او المرجح وقوعه واللام متعلقة بقيل ومعناها الانهاء والتبليغ والقائم مقام فاعله لجله لا تفسدوا على ان المراد به اللفظ وقيل هو منصرف يفسره المذهب كور والفساد خروج الشيء من الحالة اللاتقية به والصالح مقابله والفساد في الارض هي الحروب والفتن المستتعة لزوال الاستقامة عن احوال العباد واختلال امر المعاش والمعد والمراد بما نهوا عنه ما يؤدى الى ذلك من افشاء أسرار المؤمنين الى الكفار واغرائهم عليهم وغير ذلك من فنون الشرور كما يقال للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم على ما نالك عاقبته وهو اما معطوف على يقول فان جعلت كلمة من موصولة فلا محمل له من الاعراب ولا بأس بتخالف البيان أو الاستئناف وما يتعلق بهما بين اجزاء الصلة فان ذلك ليس توسطيا بالاجنبي وان جعلت موصوفة فعله الرفع والمعنى ومن الناس من اذا نهوا من جهة المؤمنين عما هم عليه من الافساد في الارض (قالوا) اراءة لنا هين ان ذلك غير صادر عنهم مع ان مقصودهم الاصل انكار كون ذلك

افساد واذا جاء كونه اصلا محضا كاسيأى توضيحه (انما نحن مصطلون) أى مقصورون على الاصلاح
المحض بحيث لا يتعلق به شائبة الفساد والفساد مشيرين بكلمة انما الى أن ذلك من الوجود بحيث لا ينبغي
أن يرتاب فيه واما كلام مستأنف سبق لتعديد شنائعهم وأما عطفه على يكذبون بمعنى ولهم عذاب اليم
يكذبهم ويقولهم حينئذ نحن الافساد انما نحن مصطلون كما قيل فيأباه ان هذا النعم من التعديل حقه ان يكون
بأوصاف ظاهرة العلية مسلمة الثبوت للموصوف غنية عن البيان لشهرة الاتصاف بها عند السامع
أو سبق ذكره صريحا كما في قوله تعالى بما كانوا يكذبون فان مضجونه عبارة عما حكى عنهم من قواهم انما بالله
وباليوم الآخر أولئك هم المفسدون استلزاما لظاهر كما في قوله عز وجل ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب
شديد بما نشؤوا يوم الحساب فان ما ذكر من الضلال عن سبيل الله مما يوجب حتمنا لسان جانب الآخرة التي من
جملتها يوم الحساب وما لم يكن كذلك لحقه ان يحضر بعينه قصد الكافي قوله تعالى ذلك بأنهم قالوا ان غمنا النار
الاية وقوله ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق الآية الى غير ذلك ولا ريب في أن هذه الشرطية وما بعدها من
الشرطيتين المعطوقتين عليها ليس مضجوعون شئ. فهنا معلوم الاتصاف اليهم عند السامعين بوجه من الوجوه
المذكورة حتى تستحق الانتظام في سلك التعديل المذكور فاذا نحن حقها أن تكون مسوقة على سنن تعديد
قبائحهم على أحد الوجهين مفيدة لا تصافهم بكل واحد من تلك الاوصاف قصد او استقلا لا كيف لا وقوله عز
وجل (الأنهم هم المفسدون) ينادى بذلك نداء جليا فانه ردة من جهته تعالى لدعواهم المحكية ابلغ ردة وأدله
على ضغط عظيم حيث سلك فيه مسلك الاستئناف المؤدى الى زيادة تمكن الحكم في ذهن السامع وصدرت
الجملة بحر في التأكيد لا المنبهة على تحقق ما بعدها فان الهزيمة الانكارية الداخلة على النقي تفيد
تحقيق الاثبات قطعاً كما في قوله تعالى أليس الله بكاف عبده ولذلك لا يكاد يقع ما بعده من الجملة
الاصدرة بما يتلقى به القسم واختها التي هي أمان من طلائع القسم وقيل هما حرفان بسيطان موضوعان للتنبيه
والاستفتاح وان المقررة للتسبب وعرف الخبر ووسط ضمير الفصل ردة ما في قصر أنفسهم على الاصلاح من
التعريض بالمؤمنين ثم استدرك بقوله تعالى (ولكن لا يشعرون) لا يذنبان بأن كونهم مفسدين من الامور
المحسوسة لكن لاحس اهم حتى يدركوه وهكذا الكلام في الشرطيتين الاتيتين وما بعدهما من ردة منضمونهما
ولولان المراد تفصيل جنائياتهم وتعديد خباياهم وهناتهم ثم اظهر فسادها وابانة بطلانها لما فتح هذا الباب
والله اعلم بالصواب (واذا قبل لهم) من قبل المؤمنين بطريق الامر بالمعروف والنهي عن المنكر انما للنصح
والكمال لا لارشاد (آمنوا) حذف المؤمن به لظهوره وأريد افعلاوا الايمان (كما آمن الناس) الكاف في مجمل
النصب على انه نعت المصدر مؤكده محذوف أى آمنوا ايمانا مماثلا لايمانهم فاصدرية أو كافة كما في ربما
فانها تنكف الحرف عن العمل وتصح دخولها على الجملة وتكون للتشبيه بين مضموني الجملتين أى حققوا
ايمانكم كما تحقق ايمانهم واللام للجنس والمراد بالناس الكاملون في الانسانية العاملون بقضية العقل فان
اسم الجنس كما يستعمل في مسماء يستعمل فيما يكون جامعاً للمعاني الخاصة به المقصودة منه ولذلك سلب
عماليس كذلك فيقال هو ليس بانسان وقد جعهم ما من قال اذا الناس ناس والزمان زمان وأول العهد والمراد به
الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه أو من آمن من اهل جلدتهم كبرن سلام واضرا به والمعنى آمنوا ايمانا
مقرونا بالاخلاص متحذرين شواذب النفاق مماثلا لايمانهم (قالوا) مقابلي للامر بالمعروف بالانكار
المنكر واصفين للمراجع الرزان بضرة اوصافهم الحسان (أنؤمن كما آمن السفهاء) مشيرين باللام الى من
اشير اليهم في الناس من الكاملين أو المعهودين أو الى الجنس بأسره وهم مندرجون فيه على زعمهم الفاسد
والسفه خفة ومخافة رأى يورثهم ما قصور العقل ويقابلها الحلم والامانة وانما نسبواهم اليه مع انهم في الغاية
القاصية من الرشد والزانة والوقار لكال انهم حال انفسهم في السفاهة وتماديهم في الغواية وكونهم عن زين
سوءه فرأه حسنا نحن حسب الضلالى هدى يسعى الهدى لا محالة ضلالا أو تحقير شأنهم فان كثيرا من المؤمنين
كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال أولئك الجلود وعدم المبالة بمن آمن منهم على تقدير كون المراد بالناس
عبد الله بن سلام وامثاله وايا ما كان فالذى يقتضيه جزالة التزليل ويستدعى نخامة شأنه الجليل أن يكون صدور
هذا القول عنهم بمحض من المؤمنين الناصحين لهم جوابا عن نصيحتهم وحيث كان فحواه تسفيه اولئك المشاهير

الاعلام والقدح في ايمانهم لم كونهم مجاهدين لا منافقين وذلك مما لا يكاد يسا عده السباق والسباق وعن هذا
 قالوا ينبغي أن يكون ذلك فيما بينهم لا على وجه المؤمنين قال الامام الواحدى انهم كانوا يظهرون هذا القول
 فيما بينهم لا عند المؤمنين فأخبر الله تعالى نبيه عليه السلام والمؤمنين بذلك عنهم وأنت خير بأن ابراز ما صدر
 عن أحد المتصاورين في الملأ في معرض ما جرى بينهما في مقام المحاوراة مما لا عهد به في الكلام فضلا عما هو
 في منصب الانجاز فالحق الذي لا محيد عنه أن قولهم هذا وان صدر عنهم بمحض من الناصحين لا يقتضى كونهم
 مجاهدين فانه ضرب من الكفر أتى وفق في النفاق عريق مصنوع على شاكلة قولهم واسمع غير مسمع فكأنه
 كلام ذو وجهين مثلهم محتمل للتشريع بأن يحمل على معنى اسمع منا غير مسمع كلاما تراضا ونحوه وللخير بأن يحمل
 على معنى اسمع غير مسمع مكرها كانوا يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم استنزاه به مظهرين ارادة
 المعنى الاخير وهم منتهرون في أنفسهم المعنى الاول مطعونون به ولذلك نهوا عنه كذلك هذا الكلام محتمل للشر
 كما ذكر في تفسيره وللخير بأن يحصل على اذهاء الايمان كايان الناس وانكار ما اتهموا به من النفاق على معنى
 انؤمن كما آمن السلفاء والجنانين الذين لا اعتداد بايمانهم لو آمنوا ولا تؤمن كايان الناس حتى تأمر وتاخذ
 قد خاطبوا به الناصحين استنزاه بهم مرأين لارادة المعنى الاخير وهم معولون على الاول فرد عليهم ذلك بقوله
 هز قائل (الا انهم هم السلفاء ولكن لا يعلمون) ابلغ رد وجهه لوالاشنع تجهيل حيث صدرت الجملة بحرفي التأكيد
 حسبما اشير اليه فيما سلف وجعلت السفاهة مقصورة عليهم وبالغة الى حيث لا يدرون انهم سلفاء وعن هذا
 اتضح لك مرآة في تفسير قوله تعالى اغنائن مصلحون فان جملة على المعنى الاخير كما هو رأى الجمهور مناص
 لحالهم ضرورة ان مشافهتهم للناصحين بادعاء كون ما نهوا عنه من الافساد اصلا كما مر اظهاره منهم للنفاق
 وبرزوا باخصاصهم من نفق النفاق والاعتذار بان المراد بما نهوا عنه مداراتهم للشركين كما ذكر في بعض
 التفاسير وبالاصلاح الذي يتدونه اصلاح ما بينهم وبين المؤمنين وأن معنى قوله تعالى الا انهم هم المفسدون أنهم
 في تلك المعاملة مفسدون واصالح المؤمنين لاشعارها باعطاء الدية وانبائهم عن ضعفهم المجهى الى توسيط من
 يصدق لاصلاح ذات الدين فضلا عن كونهم مصلحين مما لا سبيل اليه قطعاً فان قوله تعالى ولكن لا يشعرون ناطق
 بغساده كيف لا وانه يقتضى أن يكون المنافقون في تلك الدعوى صادقين قاصدين للاصلاح زياتهم الافساد
 من حيث لا يشعرون ولا ريب في أنهم فيها صكاذبون لا يعاشرهم الامضارة للدين وخيانة للمؤمنين فاذن
 طريق حل الاشكال ليس الا ما اشير اليه فان قولهم اغنائن مصلحون محتمل للعمل على الكذب وانكار
 صدور الافساد المنسوب اليهم عن معنى اغنائن مصلحون لا يصدر عنا ما نهوا عنه من الافساد وقد
 خاطبوا به الناصحين استنزاه بهم وارادة هذا المعنى وهم معزجون على المعنى الاول فرد عليهم بقوله
 تعالى الا انهم هم المفسدون الآية والله سبحانه أعلم بما أودعه في تضاعيف كتابه المكنون من السر الخزون
 ناله العصمة والتوفيق والهداية الى سواء الطريق وتفصيل هذه الآية الكريمة بلا يعلمون لما انه اكثر طباقا
 لذكر السفة الذي هو فرق من فنون الجهل ولان الوقوف على ان المؤمنين ثابتون على الحق وهم على الباطل منوط
 بالتمييز بين الحق والباطل وذلك مما لا يتسنى الا بالنظر والاستدلال وأما النفاق وما فيه من الفتنة والافساد
 وما يترتب عليه من كون من يتصف به مفسدا فاحر به يتيقظ عليه من له شعور ولذلك فصلت الآية الكريمة
 السابقة بلا يشعرون (واذا قالوا الذين آمنوا فلو آمننا) بيان لتباين احوالهم وتناقض اقوالهم في اثناء
 المعاملة والمخاطبة حسب تباين الخاطبين ومساق ما صدرت به قصتهم لصبر مذهبهم والترجعة عن نفاقهم
 ولذلك لم يترس ههنا المتعلق الايمان فليس فيه شائبة التكرير وروى أن عبد الله بن أبي واخيه خرجوا ذات يوم
 فاستقبلهم نفر من الصحابة فقال ابن أبي انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فلما دوا منهم أخذ بيد أبي بكر رضي
 الله عنه فقال مرحبا بالصدق سيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل
 نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق القوي في دينه
 الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد علي كرم الله وجهه فقال مرحبا بابن عم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وختمه وسيد بنى هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزلت وقيل قال له على رضي الله
 عنه يا عبد الله أتى الله ولا تنافق فان المنافقين شر خلق الله تعالى فقال له مهلا يا أبا الحسن أفى تقول هذا والله

ان ايماننا كما يمانتكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقا فقال ابن ابي لاسحابه كيف رأيتوني فعلت فاذا رأيتوهم
 فافعلوا مثل ما فعلت فأتوا عليه خيرا وقالوا ما نزال بخير ما عشت فينا فرجع المسلمون الى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وأخبروه بذلك فزلزل واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته أى صادفته واستقبلته وقرئ اذا لا تقوا
 (واذا دخلوا) من خلوت الى فلان أى انفردت معه وقد يستعمل بالباء أو من خلا بمعنى مضى ومنه القرون
 المتعالية وغولهم خلال ذم أى باورلك ومضى عنك وقد يجوز كونه من خلوت به اذا حضرت منه على ان تعديته
 بالى في قوله تعالى (الى شياطينهم) لتضمنه معنى الانهاء أى واذا أنهموا اليهم الشجرية الخ وانت خير
 بمان تقييد قولهم المحكى بذلك الانتهاء مما لا وجه له والمراد بشياطينهم المائلون منهم للشيطان في التورود والعناد
 المظهرون لكفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر وكبار المنافقين والقاتلون صفارهم وجعل سبويه
 نون الشيطان تارة أصلية فوزنه فيعال على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد من الخير والرحمة ويشهد له قولهم
 تشيطان وأخرى زائدة فوزنه فعلان على انه من شاط أى هلك أو بطل ومن اسمائه الباطل وقيل معناه حاج
 واحترق (قالوا انامعكم) أى في الدين والاعتقاد لانصاركم في حال من الاحوال وانما شاطبوهم
 بالجملة الاسمية المؤنسية لانهما متعاهم عندهم تحقيق النيات على ما كانوا عليه من الدين والتأكيد للانباء
 عن صدق رغبهم ووفور نشاطهم لانكار الشياطين بخلاف معاملتهم مع المؤمنين فانهم انما يدعون عندهم
 احداث الايمان يلزمهم بعدم وواجب ادعاء الكمال فيه أو الثبات عليه (انما نحن) أى في اظهار الايمان عند
 المؤمنين (مستهزؤون) بهم من غير ان يخطر بالبال الايمان حقيقة وهو استنفاف مبنى على سؤال ناشئ
 من ادعاء المعية كأنه قيل لهم عند قولهم انامعكم فابالكم توافقون المؤمنين في الايمان بكلمة الايمان
 فقالوا انما نحن مستهزؤون بهم فلا يقدح ذلك في كوننا معكم بل يؤكده وقد ضمنوا جوابهم انهم يهينون المؤمنين
 ويعتدون ذلك نصرة لدينهم أو تأكيدا قبله فان المستهزئ بالشئ مصر على خلافه أو يدل منه لان من حقر
 الاسلام فقد عظم الكفر والاستهزاء بالشئ الشجرية منه يقال هزأت واستهزأت بمعنى وأصله الخفة من الهزء
 وهو القتل السريع وهزأ بهزأ مات على مكانه وهزأ به ناقته أى تسرع به وتحق (الله يستهزئ بهم)
 أى يجازيهم على استهزائهم حتى جزاؤه باجبه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما للمشاكلة في اللفظ أو المقارنة
 في الوجود أو يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم أو ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم
 الاستهزاء أو يعاملهم معاملة المستهزئ بهم أما في الدنيا فباجراء أحكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال
 والزيادة في النعمة على القادى في الطغيان وأما في الآخرة فيجاءى روى انه يفتح لهم باب الى الجنة فيسرعون نحوه
 فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فالיום الذين آمنوا من الكفار يفضحون وانما
 استوقف للايدان بأنهم قد بلغوا في المبالغة في استهزاء المؤمنين الى غاية ظهرت شناعته عند السامعين
 وتعاطم ذلك عليهم حتى اضطروهم الى أن يقولوا ما مصير أمر هؤلاء وما عاقبة حالهم وفيه انه تعالى هو الذى
 يتولى أمرهم ولا يجوز وجههم الى المعارضة بالمثل ويستهزئ بهم الاستهزاء الذى ليس استهزاء وهم عنده
 من باب الاستهزاء حيث ينزل بهم من النكال ويحل عليهم من الذل والهوان ما لا يوصف وإشارة صيغة
 الاستقبال للدلالة على التجدد والاستقرار كما يعرب عنه قوله عز وجل لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة
 أو مرتين وما كانوا خالين في اكثر الاوقات من تهتك أسرارهم وكشف أسرارهم وزول في شأنهم واستشعار حذر
 من ذلك كما أنبأ عنه قوله عز وجل يحذر المناقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله
 يخرج ما تخدرون (يعذبهم) أى يزيدهم ويقويهم من مد الجليش وأمداء اذ ازاده وقواه ومنه مددت الدواء
 والسراج اذا اطلعت بها بالخير والزيوت وايناره على يزيدهم للرمز الى أن ذلك سنو بسوء اختيارهم لما انه
 انما يصدق عند الاستعداد وما يجري مجراه من الحاجة الداعية اليه كافي الامثلة المذكورة وقرئ
 يذهبهم من الامداد وهو صريح في أن القراءة المشهورة ليست من المذيق العمر على انه يستعمل باللام كالملا
 قال تعالى وغذله من العذاب مدة او حذف الجواز وايصال الفعل الى الضمير خلاف الاصل لا يصار اليه
 الابدليل (في طغيانهم) متعلق بذهبهم والطغيان مجاوزة الحد في هككل أمر والمراد افراطهم في العتق
 وظلومهم في الكفر وقرئ بكسر الطاء وهي لغة فيه كطغيان لغة في لغيان وفي اضافته اليهم ايذان باختصاصه بهم

وتأييد لما اشير اليه من ترتيب المدة على سوء اختيارهم (يعمهون) حال من الضمير المنصوب أو المجرور ليكون
 المتصاف مصدراف وهو مرفوع حكما والعمة في البصيرة كالعمى في البصر وهو التصير والتردد بحيث لا يدري
 اين توجه واستناد هذا المذالى الله تعالى مع اسناده في قوله تعالى واخوانهم عدة ونهم في الحق تحقيق لقاعدة
 اهل الحق من ان جميع الاشياء مستند من حيث الخلق اليه سبحانه وان كانت افعال العباد من حيث
 الكسب مستندة اليهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء النظم الكريم على مسلكه فكبوا الى شعاب التاويل
 فأجابوا أولا بأنهم لما أصرواعلى كفرهم خذلهم الله تعالى ومنعهم الطافة فتزايد اليرين في قلوبهم فسمى ذلك
 مددا في الطغيان فاستند ايلاؤه اليه تعالى فنى المسند مجاز لغوى وفي الاسناد عقلى لانه اسناد للفعل الى
 المسبب له وفاعله الحقيقي هم الكفرة وثانيا بانه أريد بالمذ في الطغيان ترك القسر والالقاء الى الايمان كما في
 قوله تعالى ونذرهم في طغيانهم يعمهون فالمجاز في المسند فقط وثالثا بأن المراد به معناه الحقيقي وهو فعل
 الشيطان لـكنه اسند اليه سبحانه مجازا لانه يتمكنه تعالى واقداره (اولئك) اشارة الى المذكورين
 باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات الشنيعة المميزة لهم عن عداهم اكل تمييز بحيث صاروا كأنهم حضار
 مشاهدون على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للايدان ببعدهم منزلة في الشر وسوء الحال ومحل الرفع على
 الاستدعاء خبره قوله تعالى (الذين اشتروا الضلالة بالهدى) والجملة مسوقة لتقرير ما قبلها وبيان لكمال
 جهالتهم فيما حكى عنهم من الاقوال والافعال باظهار غاية سماحتها وتصويرها بصورة ما لا يكاد يتعاطاه من له
 ادنى تمييز فضلا عن العقلاء والضلالة بالدور عن القصد والهدى التوجه اليه وقد استعير الاول للعدول عن
 الصواب في الدين والثاني للاستقامة عليه والاشتراء استبدال السلعة بالثمن أى أخذها به لاذله لتمييزها
 كما قيل وان كان مستلزما له فان المعتبر في عقد الشراء ومفهومه هو الجلب دون السلب الذى هو المعتبر في عقد
 البيع ثم استعير لاخذ شئ باعطاء ما في يده عينا كان كل منهما أو معنى لا لا اعراض عما في يده بمحصلاته غيره
 كما قيل وان استلزمه لما ترسره ومنه قوله

اخذت بالجنة رأسا زعرا * وبالثا بالواضحات الدررا

وبالطويل العموم حرا جيدرا * كما اشترى المسلم اذ تنصرا

فاشترى الضلالة بالهدى مستعار لاخذها بدلا منه أخذ منوطا بالرغبة فيها والاعراض عنه ولما اقتضى ذلك
 أن يكون ما يجري مجرى الثمن حاصل للکفرة قبل العقد وما يجري مجرى المبيع غير حاصل لهم اذ ذلك
 حسبما هو في البيت ولا ريب في انهم بعزل من الهدى مستقرون على الضلالة استدعى الحال تحقيق ما جرى
 مجرى العوضين فنقول وبالله التوفيق ليس المراد بما تعلق به الاشتراء ههنا جنس الضلالة الشاملة لجميع
 اصناف الكفرة حتى تكون حاصله لهم من قبل بل هو فردا الكامل الخاص بهؤلاء على ان اللام للعهد
 وهو عهدهم المقرون بالمذ في الطغيان المترتب على ما حكى عنهم من القبانج وذلك انما يحصل لهم عند اليأس
 عن اهدائهم وانتم على قلوبهم وكذلك ليس المراد بما في حيز الثمن نفس الهدى بل هو التمكن التام منه
 بتعباضد الاسباب وتأخذ المقدمات المستتعبة له بطريق الاستعارة كأنه نفس الهدى يجامع
 المشاركة في استتباع الجدوى ولا مزية في ان هذه المرتبة من التمكن كانت حاصله لهم بما شاهدوه
 من الآيات الباهرة والمجربات القاهرة من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم وبما سمعوه من نصائح المؤمنين
 التي من جملتها ما حكى من النهي عن الفساد في الارض والامر بالايمان الصحيح وقد نبذوها وراء ظهورهم
 وأخذوا بدلا الضلالة الهائلة التي هي العمة في تيه الطغيان وحل الهدى على الفطرة الاصلية الحاصلة لكل
 أحديا بآية أن اضاعتها غير مختصة بهؤلاء ولئن حملت على الاضاعة التامة الواصلة الى حد انطم على القلوب
 المختصة بهم فليس في اضاعتها فقط من الشبهة ما في اضاعتها مع ما يؤيدها من المؤيدات العقلية والنقلية
 على ان ذلك يفضي الى ككون ذكرا فصل من أول السورة الكريمة الى هنا ضاعا وأبعد منه حل اشتراء
 الضلالة بالهدى على مجرد اختيارها عليه من غير اعتبار كونه في أيديهم بناء على انه يستعمل اتساعا في اشارة
 أحد الشيتين الكائنين في شرف الوقوع على الآخر فانه مع خلقه عن المزايا المذكورة بالمرّة محل بروق الترشيع
 الا في هذا على تقدير جعل الاشتراء المذكور عبارة عن معاملة لهم السابقة المحكية وهو الانسب بعبارة

أطراف النظم الكريم وأما إذا جعل ترجمة عن جناية أخرى من جنائهم فالمراد بالهدى ما ~~كانوا~~ عليه من معرفة صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وحقية دينه بما كانوا يشاهدونه من نعوته عليه السلام في التوراة وقد كانوا على يقين منه حتى كانوا يستقصون به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نحمدته في التوراة ويقولون لهم قد أطل زمان نبي يخرج به صدق ما قلنا فنقتله ~~كم~~ معه قتل عاد ورم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به كجاسيأتى ولا مساعج لجل الهدى على ما كانوا يظهرونه عند لقاء المؤمنين فأنها ضلالة مضاعفة (فما ربح تجارتهم) عطف على الصلة داخل في حيزها والقاء للدلالة على ترتب مضعونه عليها والتجارة صناعة التجار وهو التصدي للبيع والشراء لتحصيل الربح وهو الفضل على رأس المال يقال ربح فلان في تجارته أى استشف فيها وأصاب الربح واستناد عدمه الذى هو عبارة عن الخسران اليها وهو لا ربحا بها بناء على التوسع المبني على ما ينهم من الملايسة وفائدته المبالغة في تخسيرهم لما فيه من الاشعار بكثرة الخسار وعمومه المستتب لسرايته الى ما يلا بسهم وإيرادهما اثر الاشتراء المستعار للاستبدال المذكور ترشيع للاستعارة وتصوير لما فاتهم من فوائد الهدى بصورة خسار التجارة الذى يتحاشى عنه كل أحد للشباع في التفسير والتعسير ولا ينافي ذلك أن التجارة في نفسها استعارة لانهم ما كهم فيها هم عليه من اتيار الضلالة على الهدى وتمتزهم عليه معرفة عن ~~كون~~ ذلك صناعة لهم راسخة اذ ليس من ضروريات الترشيح أن يكون باقيا على الحقيقة تابعة للاستعارة لاية صدبه الاتقويتها كما في قولك رأيت أسدا وفى البرائن فانك لا تريد به الا زيادة تصوير للشجاع وانه أسد كامل من غير أن تريد بلفظ البرائن معنى آخر بل قد يكون مستعارا من ملائم المستعار منه الملائم المستعار له ومع ذلك يكون ترشيعا لاصل الاستعارة كما في قوله فلما رأيت النسر عزابن دأية * وعشش في وكريه جاش له صدرى

فان لفظ الوكرين مع ~~كونه~~ مستعارا من معناه الحقيقي الذى هو موضع يتخذ الطائر للتفرخ للرأس والحية أو للفودين اعنى جانبي الرأس ترشيع باعتبار معناه الاصلى لاستعارة لفظ النسر للشيب ولفظ ابن دأية للشعر الاسود وكذا لفظ التعشيش مع كونه مستعارا للحوول والنزول المستمرين ترشيع لتبينك الاستعارتين بالاعتبار المذكور وقرئ تجارتهم وتعددها لتعد المضاف اليهم (وما كانوا مهتدين) أى الى طرق التجارة فان المقصود منها سلامة رأس المال مع حصول الربح ولئن فات الربح في صفقة فربما يتدارك في صفقة أخرى لبقاء الاصل وأما اتلاف الكل بالمرة فليس من باب التجارة قطعا فهو لا الذين كان رأس مالهم الهدى قد استبدلوا به الضلالة فأضاعوا كلتا الطرفين فبقوا خائبين خاسرين نائبين عن طريق التجارة بألف منزل فالجمله راجعة الى الترشيح معطوفة على ما قبلها مشاركة له في الترتب على الاشتراء المذكور والاولى عطفها على اشتروا الخ (مثلهم) زيادة كشف لحالهم وتصويرها بصورة ما يؤذى الى الخسار بحسب المالك بصورة ما يفضي الى الخسار من حيث النفس وتويلاتا وابانة لفظا عنها فان التفتيل الطيف ذريعة الى تخسير الوهم للعقل واستزاله من مقام الاستعصاء عليه وأقوى وسيلة الى تفهيم الجاهل الغبي وقع سورة الجامع الابي وكيف لا وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية وإبرازها في معرض المحسوسات الجلية وابداء للمتكبر في صورة المعروف واظهار لا وحيث في هيئة المألوف والمثل في الاصل بمعنى المثل والتظهير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبهه ثم اطلق على القول السائر الذى يمثل مضربه بمورده وحيث لم يكن ذلك الاقولا بديعافيه غرابية صيرته جديرا بالتسيير في البلاد وخليفه قابا لقبول فيما بين كل حاضرو باد استعير لكل حال أو صفة أو قصة لها شأن عجيب وخطر غريب من غير أن يلاحظ بينها وبين شئ آخر تشبيه ومنه قوله عز وجل والله المثل الاعلى أى الوصف الذى له شأن عظيم وخطر جليل وقوله تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون أى قصتها الجميلة الشأن (كمثل الذى) أى الذين كما في قوله تعالى وخضتم كالذى خاضوا خلائنه وحد النعيم في قوله تعالى (استوقد ناراً) نظرا الى الصورة وانما جاز ذلك مع عدم جواز وضع القائم مقام القائم لان المقصود بالوصف هي الجملة الواقعة صلة له دون نفسه بل انما هو صلة لوصف المعارف بها ولانه حقيق بالتصنيف لاستطالته بصلته ولذلك يوافقه حذف ياؤه ثم كسره ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين ولانه ليس باسم تام بل هو كجزئه فحقه أن لا يجمع ويستوى فيه الواحد

والمتعدد كما هو شأن أخواته وليس الذين جعله المصحح بل النون فيه مزيدة للدلالة على زيادة المعنى ولذلك جاء
 بالياء أبدع على اللغة القصيدة أو قصدياً جنس المستوقد أو القوج أو الضريق المستوقد والنار جوهر لطيف
 مضى حار محرق واشتقاقها من نار يتورأذا نفر لاق فيها حركة واضطراباً واستيقادها طلب وقودها أى
 سطوعها وارتفاع لهبها وتكثيرها للتفتيم (فلما أضاءت ماحولة) الأضاءة قرط الأتارة كما يعرب عنه
 قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وتبي متعدياً ولازمة والفاء للدلالة على ترتيبها على
 الاستيقاد أى فلما أضاءت النار ماحول المستوقد أو فلما أضاء ماحولة والتأنيث لكونه عبارة عن الأماكن
 والأشياء أو أضاءت النار نفسها في ماحولة على أن ذلك ظرف لاشراق النار المنزل منزلتها لنفسها أو ماحولة
 وجولة ظرف وتأليف الحول للدوران وقيل للعام حول لأنه يدور (ذهب الله بنورهم) النور ضوء كل
 نيران اشتقاقه من النار والضمير للذي والجمع باعتبار المعنى أى أطفأ الله نارههم التي هي مدار نورهم وإنما علق
 الأذهاب بالنور دون نفس النار لأنه المقصود بالاستيقاد لا الاستدقاء ونحوه كما ينبغي عنه قوله تعالى فلما أضاءت
 حيث لم يقل فلما شب ضرامها أو نحو ذلك وهو جواب لما أو استئناف أجيب به عن سؤال سائل يقول ما بالهم
 أشبهت حالهم حال مستوقد انطفأت ناره أو بدل من جملة التثنية على وجه البيان والضمير على الوجهين المتناقضين
 والجواب محذوف كفاية قوله تعالى فلما ذهبوا به للإيجاز والأمن من الالتباس كأنه قيل فلما أضاءت ماحولة
 شددت فيقولوا في الظلمات ساطعين مضيئين حاشي بعد المكدر في أحيائها وأسناد الأذهاب إلى الله تعالى أما
 لأن الكل بخلقه تعالى وأمالان الأنطفاء حصل بسبب شئ أو أمر مهابى كريح أو مطر أو ما للمبالغة كما يؤذن
 به تعدي الفعل بالباء دون الهمزة لما فيه من معنى الاستصحاب والامساك يقال ذهب السلطان بماله إذا أخذه
 وما أخذه الله عز وجل فأمسكه فلا مرسل لمن بعده ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى الظاهر إلى النور
 لأن أذهاب الضوء قد يصاح مع بقاء النور في الجملة لعدم استلزام عدم القوى لعدم الضيف والمراد أزالته بالكلية
 كما يفصح عنه قوله تعالى (وتركهم في ظلمات لا يبصرون) فان الظلمة التي هي عدم النور وانطفاسه بالمرّة
 لا سيما إذا كانت متضاعفة متراكمة مترا كما بعضها على بعض كما يفيد الجمع والتكثير التفتيم وما بعدهما من
 قوله تعالى لا يبصرون لا يتحقق إلا بعد أن لا يبقى من النور عين ولا أثر وأمالان المراد بالنور ما لا يرضى به الله
 تعالى من النار الجارية التي هي نار الفتنة والفساد كما في قوله تعالى كلاً وأقد وانا للرب أطفأها الله ووضفها
 بأضاءة ماحول المستوقد من باب الترشيع أو النار الحقيقة التي يوقدها القواد لتوصلوا بها إلى بعض المعاصي
 ويتمذوا بها في طرق الغي والفساد فأطفأها الله تعالى ونشأ آمالهم وترك في الأصل بمعنى طرح وخلّى وله
 مفعول واحد فضمين معنى التصيير بقرى يجرى أفعال القلوب قال

فتركته جزر السباع ينشئه * يشتمن حسن بانه والمعصم

والظلمة مأخوذة من قولهم ما ظلمك أن تفعل هكذا أى ما منعك لانتهاية البصر وقنعه من الرؤية وقرئ
 في ظلمات بسكون اللام وفي ظلمة بالتوحيد ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح كان الفعل غير متعد
 والمعنى أن حالهم العيبة التي هي اشتراؤهم الضلالة التي هي عبارة عن ظلمة الكفر والنفاق المستبعتين لظلمة
 ضبط الله تعالى وظلمة يوم القيامة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم وظلمة العقاب
 السرمدي بالهدى الذي هو النور القطري المؤيد بما شاهدوه من دلائل الحق أو بالهدى الذي كانوا حصلوه
 من التوراة حسماً ذكر كمال من استوقد ناراً عظيمة حتى كاد ينفع بها فأطفأها الله تعالى وتركه في ظلمات هائلة
 لا ينسنى فيها الأبصار (صم بكم عي) أخبار لم يدا محذوف هو ضمير المتناقضين أو خبر واحد بالتأويل
 المشهور كما في قولهم هذا حالوا مض والصمامة مائة من الصماعة وأصله الصلاية واكتناز الأجر ومنه الحجر
 الأصم والقناة الصماء وصمالم القارورة سدادها حتى به فقدان جاسة السمع لما انسيبه اكتنازاً بطن الصمخ
 وانسداد منافذه بحيث لا يكاد يدخله هو أو يحصل الصوت بموجبه والكم الخرس والعوى عدم البصر عما
 من شأنه أن يبصر وصفوا بذلك مع سلامة مشاعرهم المعدودة لما أنهم حيث سددوا مسامعهم عن الأصاخة
 لما تبلى عليهم من الآيات والذكر الحكيم وأبوا أن يلقوها بالقبول وينطقوا بها ألستهم ولم يجنلوا ما شاهدوا
 من المعجزات الظاهرة على يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينظروا إلى آيات التوحيد المنصوبة في الاتفاق

والانفس بعين التدبر وأصر وأعلى ذلك بحيث لم يبق لهم احتمال الارعواء عنه صاروا كفاقدى تلك المشاعر
بالكلمة وهذا عند مطلق صحرة البيان من باب التمثيل البليغ المؤسس على تناسي التشبيه كما في قول من قال
ويصعد حتى لظن الجهول بأن له حاجة في السماء لما أن المقدّر في النظم في حكم المفلوظ لا من قبيل الاستعارة
التي بطوى فيها ذكر المستعار له بالكلمة حتى لو لم يكن هنالك قرينة لتحل على المعنى الحقيقي كما في قول زهير
لدى أم دشاكى السلاح مقذف * له لبدأ ظفاره لم تقلم (فهم لا يرجعون) الفاء للدلالة على ترتيب ما بعدها
على ما قبلها أي هم بسبب اتصافهم بالصفات المذكورة لا يعودون الى الهدى الذي تركوه وضيعوه أو عن
الاضلاله التي أخذوها والاية نتيجة للتمثيل مفيدة لزيادة تهويل وتفظيع فان قصارى أمر التمثيل بقاؤهم
في ظلمات هائلة من غير تعرض لمشعري السمع والنطق ولا اختلال مشعرا الابصار وويل النعمير المقدّر وما بعده
للموصول باعتبار المعنى كالنعمير المتقدمه فالأية الكريمة تنمة للتمثيل وتكميل له بأن ما أصابهم ليس مجرد
انطفاء نارهم وبقائهم في ظلمات كئيبة هائلة مع بقاء حاسة البصر بحالها بل اختلت مشاعرهم جميعا وانصفوا
بتلك الصفات على طريقة التشبيه أو الحقيقة فبقوا بامدين في مكاناتهم لا يرجعون ولا يدرون أين تقدمون
أم يتأخرون وكيف يرجعون الى ما ابتدأوا منه والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة على استمرار تلك الحالة
فيهم وقرئ صما بكما عيا اما على الذم كما في قوله تعالى حالة الخطب والخصوص بالذم هم المنافقون
أو المستوقدون واما على الحالية من النعمير المنصوب في تركهم أو المرفوع في لا يصرون واما على المفعولية
لتركهم فالنعميران للمستوقدين (أو كصيب) تمثيل لحالهم اثر تمثيل * ليعم البيان منها كل دقيق وجليل
ويوفي حقهما من التفظيع والتهويل فان تفننهم في فنون الكفر والضلal وتقلهم فيها من حال الى حال حقيق
بأن يضرب في شأنه الامثال ويرخي في حليته اعنة المقال ويدلشرحه اطناب الاطناب ويعقد لاجله فصول
وأبواب * لما أن كل كلام له حظ من البلاغة وقسط من الجزالة والبراعة لا بد أن يوفي فيه حق كل من مقامى
الاطناب والايجاز فاطنك بما في ذروة الابعاز من التزليل الجليل ولقد نعى عليهم في هذا التمثيل تفاصيل
جناياتهم وهو عطف على الاول على حذف المضاف لما سياتى من النعمير المستدعية لذلك أي كثر ذوى
صيب وكلمة أو لا يذان يتساوى القصتين في الاستقلال بوجه التشبيه وبهجة التمثيل بكل واحدة منهما وبهما
معاً والصيب في فعل من الصوب وهو النزول الذي له وقع وتأثير يطلق على المطر وعلى السحاب قال الشاعر
عفا آية نسج الجنوب مع الصبا * وأصحح دان صادق الوعد صيب واعل الاول هو المراد ههنا لاستلزامه الثاني
وتشكيه لما انه اريد به نوع منه شديد هائل كالنار في التمثيل الاول وأمدته ما فيه من المبالغات من جهة مادته
الاولى التي هي الصاد المستعلية والباء المشددة والباء الشديدة ومادته الثانية اعنى الصوب المنبئ عن شدة
الانسكاب ومن جهة بنائه الدال على الثبات وقرئ أو كصائب (من السماء) متعلق بصيب أو بمحذوف
وقع صفة له والمراد بالسماء هذه المظلة وهي في الاصل كل ما علا من سقف ونحوه وعن الحسن انها موج
محذوف أي ممنوع بقدره الله عز وجل من السيلان وتعريفها للاذنان بأن انبعاث الصيب ليس من افق واحد
فان كل افق من آفاقها أي كل ما يحيط به كل افق منها سماء على حدة قال ومن بعد أرض يثنا وسما كما أن كل
طبقة من طبقاتها سماء قال تعالى وأوحى في ككل سماء أمرها والمعنى انه صيب عام نازل من غمام
مطبق آخذ بالآفاق وقيل المراد بالسماء السحاب واللام لتعريف الماهية (فيه ظلمات) أي انواع منها
وهي ظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اطلال ما يلزمه من الغمام الاسحج المطبق الآخذ بالآفاق
مع ظلمة الليل وجعله محلا لها مع ان بعضها غيره كظلمة الغمام والليل لما أنهم ما جعلتا من توابع ظلمته مبالغة
في شدته وتمويل لآمره وايدنا باناه من الشدة والهول بحيث تغمر ظلمته ظلمات الليل والغمام وهو السر
في عدم جعل الظلمات هو الاصل المستمع للبواق مع ظهور ظرفيتها للكل اذ لو قيل أو كظلمات في صيب
الحل لما افاد أن للصيب ظلمة خاصة به فضلا عن ككونها غالبية على غيرها (ورعد) وهو صوت يسمع من
السحاب والمشهور أنه يحدث من اصطكاك اجرام السحاب بعضها ببعض أو من انقلاع بعضها عن بعض
هنا اضطرابها بسوق الرياح اياه سوتها عنيفا (ورق) وهو ما يلغ من السحاب من برق الشيء برقا أي لمع
وكلاهما في الاصل مصدر ولذلك لم يجمعهما وكونهما في الصيب باعتبار كونهما في أعلاه ومصبه ووصول اثرهما

اليه وكونهم ما في الظلمات الكائن فيهم والتسوين في الكل للتفخيم والتحويل وكأنه قيل فيه ظلمات شديدة
 واجبة ورعد قاصف وبرق خاطف وارتضاع الجميع بالطرف على الفاعلية لتحقيق شرط العمل بالاتفاق وقيل
 بالابتداء والجملة اما صفة اصاب أو حال منه لتخصيصه بالصفة أو بالعمل فيما بعده من الجارية أو من المستكن في
 الطرف الاول على تقدير كونه صفة اصاب والضمائر في قوله عز وجل (يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ) للامضاف
 الذي أقيم مقامه المضاف اليه فان معناه باق وان حذف لفظه فعويلا على الدليل كما في قوله تعالى وكمن
 قرية أهلكتها فجاءها بأسنا ياتنا وهم قائلون فان الضمير للاهل المدلول عليه بما قام مقامه من القرية
 قال حسان رضي الله عنه * يسقون من وود البريص عليهم * بردي يصفق بالرحيق السلسل * فان تذكير الضمير
 المستكن في يصفق لجوعه الى الماء المضاف الى بردي والالاث حتما وايتار الجعل المنبئ عن دوام الملازمة
 واستقرار الاستقرار على الادخال المفيد لجزء الانتقال من الخارج الى الداخل للامبالغة في بيان سدا المسامع
 باعتبار الزمان كما أن ايراد الاصابع بدل الانامل للاشباع في بيان سدها باعتبار الذات كأنهم سدها بحملتها
 لا بآمالها فحسب كما هو المعتاد ويجوز أن يكون هذا اليماء الى كمال حيرتهم وفراط دهشتهم وبلوغهم الى حيث
 لا يمتدون الى استعمال الجوارح على التهج المعتاد وكذا الحال في عدم تعيين الاصبع المعتادة اعني السبابة
 وقيل ذلك لرعاية الادب والجملة استئناف لا محل لها من الاعراب بمعنى - على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل
 عند بيان أحوالهم الهائلة فماذا يصنعون في تضاعيف تلك الشدة فقولهم يجعلون الخ وقوله تعالى (من الصواعق)
 متعلق بجعلون أي من أجل الصواعق المقارنة للرعد من قولهم سقاء من العيمة والصاعقة قصفه رعد هائل
 تنفض معها بثقة نارية لا تخرب شيء الا أتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وبنائها ما أن يكون صفة لقصفة
 الرعد أو للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية أو مصدرا كالعافية وقد تطلق على كل هائل مسعوج أو مشاهد
 يقال صعقته الصاعقة اذا أهلكته بالاحراق أو بشدة الصوت وسدا الاذان انما يفيد على التشدير الثاني دون
 الاول وقرئ من الصواعق وليس ذلك بقلب من الصواعق لاستواء كلا البناءين في التصريف يقال صعق الديك
 وخطيب مصقع أي مجهر بخطبته (حذر الموت) منصوب بجعلون على العلة وان كان معرفة بالاضافة كقوله
 وأغفر عوراء الكريم اذ صار * وأصفح عن شتم اللثيم تكرما ولا ضير في تعدد المفعول له فان الفعل
 يعمل بعامل شئ وقيل هو نصب على المصدرية أي يحذرون حذرا مثل حذر الموت والحذر والحذر هو شدة
 الخوف وقرئ حذرا الموت والموت زوال الحياة وقيل عرض بضادها لقوله تعالى خلق الموت والحياة ورد بأن
 الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدره (والله محيط بالكافرين) أي لا يفوتونه كما لا يفوت المحيط به المحيط شبه
 شمول قدرته تعالى لهم وانطواء ملكوته عليهم بالحاطة المحيط بها الحاط به في استعماله الموت أو شبه الهيئة المنترعة
 من شؤونه تعالى معهم بالهيئة المنترعة من أحوال المحيط مع الحاط فالاستعارة المبنية على التشبيه الاول
 استعارة تبعية في الصفة منترعة على ما في مصدرها من الاستعارة والمبنية على الثاني تمثيلية قد اقتصر من
 طرف المشبه به على ما هو العمدة في انتزاع الهيئة المشبهة بها اعني الاحاطة والباقي منوي بالفاظ متخيلة
 بها يحصل التركيب المعبر في التمثيل كما مر تحريره في قوله عز وجل ختم الله على قلوبهم والجملة اعتراضية منبهة
 على ان ما صنعوا من سدا الاذان بالاصابع لا ينبغي عنهم شيئا فان القدر لا يدافع الحذر والحيل لا ترد بأس الله
 عز وجل وقائدة وضع الكافرين موضع الضمير اراجع الى أصحاب الصيب الا يذان بأن ما دهمهم من الامور
 الهائلة المحكية بسبب كفرهم على منهاج قوله تعالى كثر ربح فيها ضرر أصابت حرث قوم ظلموا انفسهم
 فأهلكته فان الاهلاك الناشئ من السخط أشد وقيل هذا الاعتراض من جملة أحوال المشبه على ان المراد
 بالكافرين المنافقون قد دل به على أنه لا مدفع لهم من عذاب الله تعالى في الدنيا والآخرة وانما هو وسط بين
 أحوال المشبه به مع أن القياس تقدمه أو تأخيره لاظهار كمال العناية وفرط الاهتمام بشأن المشبه (يكاد
 البرق) استئناف آخر وقع جوابا عن سؤال مقدر وكأنه قيل فكيف حالهم مع ذلك البرق فقيل يكاد ذلك
 (يخطف أبصارهم) أي يختلسها ويستلم بأسرعة وكاد من افعال المتقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود
 لتأخذ أسبابه وتعا ضد مباديه لكنه لم يوجد بعد لفظ شرط أولعروهن مانع ولا يكون خبرها الامضارعا
 عاريا عن كلمة أن وشذ مجيئه اسما صريحا كما في قوله فأبى الى فهم وما كدت آييا وكذا مجيئه مع أن حلالها

على عسى كافي مثل قول رؤية قد كاد من طول البلى أن يمحى كما تحمل هي علم بالحذف لما بينهما من المقارنة في أصل المقاربة وليس فيها شائبة الانشائية كافي عسى وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف ويخطف بفتح الياء والخاء ينقل فتحة التاء الى الخاء وادغامها في الطاء ويخطف بكسرهما على اتباع الياء الخاء ويخطف من صيغة التفعيل ويخطف من قوله تعالى ويخطف الناس من حولهم (كلما أضاء لهم) كل طرف وما مصدرية والزمان محذوف أى كل زمان أضاء وقيل ما نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف أى كل وقت أضاء لهم فيه والعامل في كلا جوابه أو هو استئناف ثالث وكأنه قيل ما يفعلون في أثناء ذلك الهول أيفعلون بأبصارهم ما فعلوا باذنههم أم لا فقيل كلما نور البرق لهم عشى ومسلكا على أن أضاء متعد والمفعول محذوف أو كلما لمع لهم على أنه لازم ويؤيده قراءة كلما ضاء (متشوقيه) أى في ذلك المسلك أو في مطرح نوره خطوات يسيرة مع خوف أن يخطف أبصارهم واثار المشى على ما فوقه من السحب والعدو للشعير بعد ما استطاعتهم لهم (وإذا اظلم عليهم) أى خفي البرق واستتر والمظلم وإن كان غيره لكن لما كان الاظلام دائرا على استتارهم أسند اليه مجازا تحقيقا لما أريد من المبالغة في موجبات تحبطهم وقد جوز أن يكون متعديا منقولا من ظلم الليل ومنه ما جاء في قول أبي تمام

هـ ما اظلم الحالى تمت أجليا * ظلاميهما عن وجه امرئ أشيب

وبعضه قراءة أظلم على البناء للمفعول (قاموا) أى وقفوا فى أما ككنهم على ما كانوا عليه من الهيئة متحيرين مترصدين خلفه أخرى عسى يتسنى لهم الوصول الى المقصد أو الالتجاء الى ملجأ بعضهم وإيراد كلما مع الأضواء واذامع الاظلام للايدان بأنهم حراس على المشى مترقبون لما يصحبه فكما وجدوا فرصة انتهزوها ولا ~~هـ~~ ذلك الوقوف وفيه من الدلالة على كمال التحير وتطير القلب ما لا يوصف (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم) كلمة لوتعليق حصول امرئ ما ض هو الجزء بحصول امرئ مفروض فيه هو الشرط لما بينهما من الدوران حقيقة وأدعاء ومن قضية مفروضة الشرط دلالتها على انتفاء قطعها والمنزاع فيه مكابرة وأما دلالتها على انتفاء الجزء فقد قيل وقيل والحق الذى لا محيد عنه أنه ان كان ما بينهما من الدوران كليا أو جزئيا قد بنى الحكم على اعتباره فهي دالة عليه بواسطة مدلولها الوضعي لا محالة ضرورة استلزام انتفاء الدلالة لا انتفاء المعلول أما فى مادة الدوران الكلية فكفى قوله عز وجل ولو شاء لهداكم اجمعين وقولك لو جئتني لا ~~هـ~~ كرمك قطاهر لان وجود المشيئة على وجود اهداية حقيقة ووجود الجحى على وجود الاكرام ادعاء وقد انتفيا بحكم المفروضة فاتنى معلولا هنا حتما ثم انه قد سبق الكلام لتعليل انتفاء الجزء بانتفاء الشرط كما فى المثالين المذكورين وهو الاستعمال الشائع لكلمة لو ولذلك قيل هى لا تمنع الثاني لا تمنع الاول وقد سبق للاستدلال بانتفاء الثاني لكونه ظاهرا أو مسلما على انتفاء الاول لكونه خفيا أو متنازعا فيه كفى قوله سبحانه لو كن فيهما آلهة الا الله لقصدنا وفي قوله تعالى لو كان خيرا ما سبب قونا اليه فان فسادهما لازم لتعدد الآلهة حقيقة وعدم سبق المؤمنين الى الايمان لازم لخبريته في زعم الكفرة ولا ريب في انتفاء الملازمين فحين انتفاء الملازمين حقيقة فى الاول وادعاء باطلا فى الثاني ضرورة استلزام انتفاء الملازم لا انتفاء الملازم لكن لا بطريق السببية الخارجية كما فى المثالين الاولين بل بطريق الدلالة العقلية الراجعة الى سببية العلم بانتفاء الثاني للعلم بانتفاء الاول ومن لم يثبت له زعم أنه لا انتفاء الاول لا انتفاء الثاني وأما فى مادة الدوران الجزئى كفى قولك لو طلعت الشمس لوجد الضوء فلان الجزء المنوط بالشرط الذى هو طوعها ليس وجود أى ضوء كان كضوء القمر الجامع لعدم الطلوع مثلا بل انما هو وجود الضوء الخاص الناشئ من الطلوع ولا ريب في انتفائه بانتفاء الطلوع هذا اذا بنى الحكم على اعتبار الدوران وأما اذا بنى على عدمه فاما أن يعتبر هنا لتحقيق مدار آخر له أولا فان اعتبر فالدلالة تابعة لحال ذلك المدار فان كان بينه وبين انتفاء الاول منافاة تعين الدلالة كما اذا قلت لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء فان وجود الضوء وان علق صورة بعدم الطلوع لكنه فى الحقيقة معلق بسبب آخر له ضرورة ان عدم الطلوع من حيث هو وليس مدارا لوجود الضوء فى الحقيقة وانما وضع موضع المدار لكونه كاشفا عن تحقيق مدار آخر له فكأنه قيل لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء بسبب آخر كالمقمر مثلا ولا ريب في أن هذا الجزء مثبت عند انتفاء الشرط

لا استحالة وجود الضوء القمري عند طلوع الشمس وان لم يكن بينهما منافاة تعين عدم الدلالة كافي قوله صلى الله عليه وسلم في بنت أبي سلمة لولم تكن ربيتي في جري ما حلت لي انما الابنة أخي من الرضاة فان المدار المعتبر في ضمن الشرط اعني كونها ابنة أخيه عليه السلام من الرضاة غير مناف لا تنفائه الذي هو كونها ربيته عليه السلام بل مجامع له ومن ضرورته مجامع اثرهما اعني الحرمة الناشئة من كونها ربيته عليه السلام والحرمة الناشئة من كونها ابنة أخيه من الرضاة وان لم يعتبر هناك تحقق مدار آخر بل بنى الحكم على اعتبار عدمه فلا دلالة لها على ذلك اصلا كيف لا ومساق الكلام حينئذ لبيان ثبوت الجزاء على كل حال بعلقه بما ينافية ليعلم ثبوته عند وقوع ما لا ينافية بالطريق الاولى كافي قوله عز وجل قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لامسكم وقوله عليه السلام لو كان الايمان في الثريا لانساه رجال من فارس وقول علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينافان الاجزية المذكورة قد نيطت بما ينافية ويستدعي نقاشها ايذانا بأنها في انفسها بحيث يجب ثبوتها مع فرض انتفاء اسبابها أو تحقق اسباب انتفائها فكيف اذا لم يكن كذلك على طريقة الوصلية في مثل قوله تعالى يكاد زيتها ينفى ولو لم تسعى نارها لانتفاصيل وتضاريع حزنها في تفسير قوله تعالى أولو كتابا رهين وقول عمر رضي الله عنه نعم العبد مريب لو لم يحق الله لم يعصه ان حل على تعليق عدم العصيان في ضمن عدم الخوف بمدار آخر نحو الحياء والاجلال وغيرهما مما يجامع الخوف كان من قبيل حديث ابنة أبي سلمة وان حل على بيان استحالة عصيانه مبالغة كان من هذا القبيل والاية الكريمة وأردت على الاستعمال الشائع منسدة لكمال فناء حالهم وغاية هول مادهمهم من المشاق وأنها قد بلغت من الشدة الى حيث لو تاملت مشيئة الله تعالى بازالة مشاعرهم لزال التحق ما يقتضيه اقتضاء تاما وقيل كلمة لو فيها الربط جزاءها بشرطها شجدة عن الدلالة على انتفاء أحد هـ ما لا انتفاء الاخر بمنزلة كلمة ان ومفهومه من المشيئة محذوف جزاءها على المساعدة المستمرة فانها اذا وقعت شرطها وكان مفعولها مضمونا للجزاء فلا يكاد يذكر الا أن يكون شيا مستغريا كافي قوله فلو شئت أن ابكي دما لم يصعب علي * عليه ولكن ساحة الصبر أوسع أي لو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لفعل ولكن لم يشأ لما يقتضيه من الحكم والمصالح وقرئ لاذهب بأسماعهم على زيادة الباء كافي قوله تعالى ولا تلتوا بأيديكم الى التهلكة والافراد في المشهورة لان السمع مصدر في الاصل والجله الشرطية معطوفة على ما قبلها من اجل الاستثنائية وقيل على كلا أضاء الخ وقوله عز وجل (ان الله على كل شئ قدير) تعليل للشرطية وتقرير لمضمونها الناطق بقدرته تعالى على ازالة مشاعرهم بالطريق البرهاني والشيء بحسب مفهومه اللغوي يقع على كل ما يصح أن يعلم ويخبر عنه كائنا ما كان على انه في الاصل مصدر شاء أطلق على المفعول واكتفى في ذلك باعتبار تعلق المشيئة به من حيث العلم والاخبار عنه فقط وقد خص ههنا بالمكن موجودا كان أو معدوما بقضية اختصاص تعلق القدرة به لما فيها عبارة عن التمكن من الابداء والاعدام الخاصين به وقيل هي صفة تقتضي ذلك التمكن والقادر هو الذي ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل والتقدير هو الفعال لكل ما يشاء كما يشاء ولذلك لم يوصف به غير الباري جل جلاله ومعنى قدرته تعالى على الممكن الموجود حال وجوده أنه ان شاء ابقاءه على الوجود ابقاءه عليه فان علة الوجود هي علة البقاء وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى رب العالمين وان شاء اعدامه أعدمه ومعنى قدرته على المعدوم حال عدمه أنه ان شاء ايجاده أو جده وان لم يشأ لم يوجد وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل والترك وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل بقدر ما تقتضيه ارادته أو بقدر قوته وفيه دليل على أن مقدور العبد مقدور لله تعالى حقيقة لانه شئ وكل شئ مقدور لله تعالى واعلم أن كل واحد من التمثيلين وان احتمل أن يكون من قبيل التمثيل المفرق كافي قوله كان قلوب الطير وطباويايسا * لدى وكرها العناب والحشف البالي بأن يشبه المنافقون في التمثيل الاول بالمستوقدين وهما هم الفطري بالناروتأ يدهم اياه بما شاهدوه من الدلائل باستيقادها وتتمكنهم التام من الانتفاع به باضاعتها ما حولهم وازالته باذهاب النور والناري وأخذ الضلالة بمقابلته بتلاصقهم الظلمات الكثيفة وبضائهم فيها ويشبهوا في التمثيل الثاني بالسائلة والقرآن وما فيه من العلوم والمعارف التي هي مدار الحياة الابدية بالضيف الذي هو سبب الحياة الارضية وما عرض لهم بنزوله من الغيوم والاحزان وانكساف

البال بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرد والبرق وتصاتهم عما يشرع أسماعهم من الوعيد بجمال من يهوله
 الرد والبرق فيضاف صواعقه فيسقط أذنه عنها ولا خلاص له منها واهتزازهم لما يبلغ لهم من رشديد ركونه أو رقد
 يجرؤونه بتسيم في مطرح ضوء البرق كلها ضاء لهم وتغييرهم في أمرهم حين عن لهم مصيبة بوقوفهم إذا اظلم عليهم
 لكن الحل على التمثيل المركب الذي لا يعتبر فيه تشبيه كل واحد من المفردات الواقعة في أحد الجانبين بواحد
 من المفردات الواقعة في الجانب الآخر على وجه التفصيل بل يتزعم فيه من المفردات الواقعة في جانب التشبه
 هيئة تشبه هيئة أخرى منتزعة من المفردات الواقعة في جانب التشبه به بأن يتزعم من المناقضين وأحوالهم
 المقصولة في كل واحد من التمثيلين هيئة على حدة ويتزعم من كل واحد من المستوقدين وأصحاب العيب
 وأحوالهم المحكية هيئة بجملها فتشبه كل واحدة من الأولين بما يضاهاها من الآخرين هو الذي يقتضيه
 جملة التنزيل * ويستدعيه نخامة شأنه الجليل * لا شقاله على التشبيه الأول اجبالا مع امر زائد هو تشبيه
 الهيئة بالهيئة وإيذانه بأن اجتماع تلك المفردات مستتبع لهيئة بحسبة حقيقة بأن تكون مشلا في الغرابة
 (يا أيها الناس اعبدوا ربكم) اثر ما ذكر الله تعالى علو طبقة كتابه الكريم وتحزب الناس في شأنه الى ثلاث فرق
 مؤمنة به محافظة على ما فيه من الشرائع والاحكام وكافرة قد نبذته وراء ظهرها بالمجاهرة والشقاق وأخرى
 مذبذبة بينهما بالتحادة والنفاق ونعت كل فرقة منها بما لها من النعوت والاحوال وبين ما لهم من المصير
 والمآل اقبل عليهم بالخطاب على نسيج الالتفات هذا اهم الى الاصغاء وتوجيهها لقلوبهم نحو التلقى وجبرا لما في
 العبادة من الكلفة بلذة الخطاب فأمرهم كافة بعبادته ونهاهم عن الاشرار فيه وبإحرف وضع لنداء البعيد وقد
 يتنادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما جلالات كما في قول الداعي يا الله وبإرب وهو أقرب اليه من حبل
 الوريد استقصارا لنفسه واستبصارا له من محافل الزاني ومنازل المقر بين واما تنبيهها على غفلته وسوء فهمه
 وقد يقصده به التنبيه على أن ما يعقبه امر خطير يعقبي بشأنه وأي اسم مبهم جعل وصلة الى نداء المعترف باللام
 لا على انه المتنادي أصالة بل على انه صفة موصفة له منزلة لا بهامه والترم رفعه مع انتصاب موصوفه محلا
 اشعارا بأنه المقصود بالنداء وأختم بينهم ما كلة التنبيه تأكيد المعنى النداء وتعويضا عما يستحقه أي
 من المضاف اليه ولما ترى من استقلال هذه الطريقة بضروب من اسباب المبالغة والتأكيد كترسلوا كلها
 في التنزيل المجيد كيف لا وكل ما ورد في تضاعفه على العباد من الاحكام والشرائع وغير ذلك خطوب جليلة
 حقيقة بأن تقشعر منها الجلود وتطمئن بها القلوب الآتية وتلقوها باذان واعية وأكثرهم عنها غافلون فاقضى
 الحال المبالغة والتأكيد في الايقاظ والتنبيه والمراد بالناس كافة المكلفين الموجودين في ذلك العصر
 لما أن الجوع وأسماها بالجملة باللام للعموم بدليل صحة الاستثناء منها والتأكيد بما يقيد العموم كما في قوله
 تعالى فاجعلوا الملائكة كلهم أجمعون واستدلال الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين بعمومها شأنها
 وأما من عداهم ممن سيوجد منهم فقير داخلين في خطاب المشافهة وانما دعواهم تحت حكمه لما نوا من دينه
 صلى الله عليه وسلم ضرورة ان مقتضى خطابه وأحكامه شامل للموجودين من المكلفين ولمن سيوجد منهم
 الى قيام الساعة ولا يقدح في العموم ما روى عن علقمة والحسن البصري من أن كل ما نزل فيه يأبى الناس
 فهو مكى اذ ليس من ضرورة نزوله بمكة شر فها الله تعالى اختصاص حكمه بأهلها ولا من قضية اختصاصه بهم
 اختصاصه بالكفار اذ لم يكن كل أهلها حينئذ كفرة ولا صير في تحقق العبادة في بعض المكلفين قبل ورود هذا
 الامر لما ان الأمور به القدر المشترك الشامل لانشاء العبادة والثبات عليها والزيادة فيها مع انها متكررة
 حسب تكرر أسبابها ولا في انتفاء شرطها في الآخرين منهم اعني الايمان لان الامر بها مشتطم للامر بما لا تتم
 الا به وقد علم من الدين ضرورة اشتراطها به فان امر المحدث بالصلاة مستتبع للامر بالتوضي لا محالة وقد قيل
 المراد بالعبادة ما يعم افعال القاب أيضا لما انها عبارة عن غاية التذلل والخضوع وروى عن ابن عباس رضي الله
 عنهما أن كل ما ورد في القرآن من العبادة معناها التوحيد وقيل معنى اعبدوا وحدوا وأطيعوا ولا في كون
 بعض من الفرقتين الاخيرتين ممن لا يجدي فيهم الانذار بموجب النص القاطع لما ان الامر لا يقطع الا بآذار
 وليس فيه تكليفهم بما ليس في وسعهم من الايمان بعدم ايمانهم أصلا اذ لا يقطع لاحد منهم بدخوله في حكم
 النص قطعا وورود النص بذلك لكونهم في انفسهم بسوء اختيارهم كذلك لان كونهم كذلك لو ورد النص بذلك

فلا جبر أصلاً ثم تخصيص الخطاب بالمشركين وجه لطيف يستفاد عليه عند قوله تعالى وانتم تعملون وايراده تعالى بعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير مخاطبين لنا كيد موجب الامر بالا شعار بعليتها للعبادة (الذي خلقكم) صفة أجريت عليه سبحانه للتجليل والتعليل اثره تعديل وقد جوز كونها للتقيد والتوضيح بناء على تخصيص الخطاب بالمشركين وجل الرب على ما هو أعم من الرب الحقيقي والآلهة التي يسمونها ارباباً والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء وأصله التقديرية قال خلق النحل أى قدرها وسواها بالمقياس وقرئ خلقكم بادغام القاف في الكاف (والذين من قبلكم) عطف على التثنية المنصوب ومتم لما قصد من التعظيم والتعليل فان خلق أصولهم من موجبات العبادة كخلق انفسهم ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف أى كانوا من زمان قبل زمانكم وقبل خلقهم من قبل خلقكم فحذف الخلق وأقيم الضمير مقامه والمراد بهم من تقدمهم من الامم السالفة كافة ومن ضرورة عموم الالاب بيان شمول خلقه تعالى للكل وتخصيصه بالمشركين يؤدى الى عدم التعرض لخلق من عداهم من معاصريهم واخراج الجملته مخرج الصلة التي حقهها أن تكون معلومة الاتساع الى الموصول عندهم أيضاً مع انهم غير معترفين بغاية الخلق وان اعترفوا بنفسه كما ينطق به قوله تعالى ولئن سألتهم ليقولن الله للآية ان بأن خلقهم للتقوى من الظهور بحيث لا يتأتى لاحداثكاره وقرئ وخلق من قبلكم وقرئ والذين من قبلكم بالتمام الموصول الثاني بين الاول وصلته بوجه كذا كالتخام اللام بين المضامين في لا اياك أو يجعله موصوفاً بالطرف خبر المبتدأ المحذوف أى الذين هم أناس كانوا من قبلكم (لعلكم تتقون) المعنى الوضعي لكلمة لعل هو انشاء توقع امر متردد بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول اما محبوب فيسمى ترجيحاً ومكروه فيسمى اشفاقاً وذلك المعنى قد يعتبر بتحقيقه بالفعل اما من جهة المتكلم كما في قولك اعل الله برحمتي وهو الاصل الشائع في الاستعمال لان معنى الانشاء آت فاعطيه واما من جهة المخاطب فنزيلة المتكلم في التلبس التام بالكلام الجارى بينهما كما في قوله سبحانه فقولاه قولاً لعلنا نذكر أو ينحشى وقد يعتبر بتحقيقه بالقوة بضرب من التجوز اذ انباء ذلك الامر في نفسه مثنية للتوقع متصف بجمعية صحيحة له من غير أن يعتبر هناك توقع بالفعل من متوقع أصلاً فان روعيت في الآية الكريمة جهة المتكلم يستحيل ارادة ذلك المعنى لامتناع التوقع من علام الغيوب عز وجل فيصار اما الى الاستعارة بأن يشبهه طلبه تعالى من عباده التقوى مع كونهم مثنية لها لتعاضد أسبابها برجاها الرابع من المرجو منه امر ايهن الحصول في كون متعلق كل منهما متردد بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول فيستعار له كلمة لعل استعارة تبعية حريفة للمبالغة في الدلالة على قوة الطلب وقرب المطلوب من الوقوع واما الى التمثيل بأن يلاحظ خلقه تعالى اياهم مستعدين للتقوى وطلبه اياها منهم وهم متمكنون منها جامعون لاسبابها ويتربع من ذلك هيئة فتشبه بهيئة منتزعة من الرابع ورجائه من المرجو منه شيئاً سهل المنال فيستعمل في الهيئة الاولى ما حقه أن يستعمل في الثانية فيكون هناك استعارة تمثيلية قد صرح من ألفاظها بما هو العمد في انتزاع الهيئة المشبهة بها اعني كلمة الترجي والباقي منوى بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعبر في التمثيل كما مر مراراً وأما جعل المشبه ارادته تعالى في الاستعارة والتمثيل فامر مؤسس على قاعدة الاعتزال القائلة بجواز تخلف المراد عن ارادته تعالى فالجمله حال اما من قاعل خلقكم أى طالباً منكم التقوى أو من مفعوله وما عطف عليه بطريق تغليب المخاطبين على الغائبين لانهم المأمورون بالعبادة أى خلقكم واياهم مطلوباً منكم التقوى أو عليه له فان خلقهم على تلك الحال في معنى خلقهم لاجل التقوى كانه قيل خلقكم لتتقوا أو كي تتقوا اما بناء على تجويز تعليل افعاله تعالى بأغراض راجعة الى العباد كما ذهب اليه كثير من اهل السنة واما تنزيلاً لترتيب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات ومصالح متقنة جليلة من غير أن تكون هي غايته لها بحيث لولاها لما اقدم عليها مما لا نزاع فيه وتقيد خلقهم بما ذكر من الحال أو الالة لتكميل عليه للأموارية وتأكيد ما كان اتيانهم بما خلقوا له أدخل في الوجوب واشارت تتقون على تعبدون مع موافقته لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون للمبالغة في ايجاب العبادة والتشديد في الزامها لما أن التقوى قصارى امر العابد ومنتهى جهده فاذا ازمتم التقوى كان ما هو ادنى منها ازم والاثبات به أهون وان روعيت جهة المخاطب فلعل في معناها الحقيقي وبالجملة حال من ضمير اعبداً وكأنه

قيل اعبدوا ربكم راجين للانتظام في زمرة المتقين الفاضلين بالهدى والفلاح على أن المراد بالتقوى مراقبته
 الثالثة التي هي التبتل إلى الله عز وجل بالكلية والتزهد عن كل ما يشغل سره عن مراقبته وهي أقصى غايات
 العبادة التي يتنافس فيها المتنافسون وبالاتظام القدر المشترك بين انشائه والنبات عليه ليرتجيه أرباب هذه
 المرتبة وما دونها من مرتبتي التوقي من العذاب المخلد والتجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك كما مر في تفسير
 المتقين وأصل توسيط الحال من الفاعل بين وصفي المفعول لما في التقديم من فوات الاشعار بكون الوصف
 الأول معظم أحكام الربوبية وكونه عريفاً في إيجاب العبادة وفي التأخير من زيادة طول الكلام هذا على تقدير
 اعتبار تحقق التوقع بالفعل فأما أن اعتبر تحققه بالقوة فالجمله حال من مفعول خلقكم وما عطف عليه على
 الطريقة المذكورة أي خلقكم وإياهم حال كونكم جميعاً بحيث يرجو منكم كل راجح أن تتقوا فإنه سبحانه
 وتعالى لما برأهم مستعدين للتقوى جامعين لمبادئها الآفاقية والانفسية كان حالهم بحيث يرجو منهم كل
 راجح أن يتقوا لا محالة وهذه الحالة مقارنة لظلالهم وإن لم يتحقق الرجاء قطعاً واعلم أن الآية الكريمة مع كونها
 بعبارة ناطقة بوجوب توحيد تعالى وتحميم عبادته على كافة الناس مرشدة لهم بإشارتها إلى أن مطالعة
 الآيات التكوينية المنصوبة في الانفس والآفاق بما يقضي بذلك قضا مستقناً وقد بين فيها أولاً من تلك الآيات
 ما يتعلق بأنفسهم من خلقهم وخلق أسلافهم لما أنه أقوى شهادة وأظهر دلالة ثم عقب بما يتعلق بعاشم فقيل
 (الذي جعل لكم الأرض فراشاً) وهو في محل النصب على أنه صفة ثانية لربكم موضحة أو مادة أو على
 تقدير أخص أو أمدح أو في محل الرفع على المدح والتعظيم بتقدير المبتدأ قال ابن مالك التزم حذف الفاعل في
 المنصوبه على المدح اشعاراً بأنه انشاء كما في المنادى وحذف المبتدأ في المرفوع اجراءً للوجهين على سنن واحد
 وأما كونه مبتدأ خبر فلا تجعلوا كما قيل فيستدعي أن يكون مناط النهي ما في حيز الصلة فقط من غير أن يكون
 لما سلف من خلقهم وخلق من قبلهم مدخل في ذلك مع كونه أعظم شأناً وجعل بمعنى صير والمنصوبان بعده
 مفعولاه وقيل هو معنى خلق واتصاف الثاني على الحالية والظرف متعلق به على التقديرين وتقدمه على
 المفعول الصريح لتجمل المسرة ببيان كون ما يعقبه من منافع الخاطبين وللتشويق إليه لأن النفس عند
 تأخير ما حقه التقديم لا سيما بعد الاشعار بمنفعته تبقى مترتبة له فيتمم كمن لديها عند وروده عليها فضل تمكن
 أولاً في المؤخر وما عطف عليه من نوع طول فلو قدم لفات تجاوب أطراف النظم الكريم ومعنى جعلها فراشاً
 جعل بعضها بارزاً من الماء مع اقتضاء طبعها الرسوب وجعلها متوسطة بين الصلابة واللين صالحة للوقوف عليها
 والنوم فيها كالسباط المفروش وليس من ضرورة ذلك كونها سطحا حقيقيا فان كرية شكلها مع عظم جرمها
 مصححة لاقتراشها وقرئ بساطاً ومهاداً (والسما بناء) عطف على المفعولين السابقين وتقديم حال الأرض
 لما أن احتياجهم إليها واتقاعهم بها أكثر وأظهر أي جعلها قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يطلق
 على الواحد والمتعدد أوجع سماوة وسماء والبناء في الأصل مصدر سمى به المبنى بيتاً كان أو قبة أو خباء
 ومنه قولهم بنى على امرأته لما أنهم كانوا إذا تزوجوا امرأته ضربوا عليها خباء جديداً (وانزل من السماء ماء)
 عطف على جعل أي أنزل من جهتها أو منها إلى الصحاب ومن الصحاب إلى الأرض كما روي ذلك عنه عليه
 الصلاة والسلام أو المراد بالسماء جهة العلو كما ينبت عنه الاظهار في موضع الاضمار وهو على الأولين زيادة
 التقرير ومن لا ابتداء الغاية متعلقة بأنزل أو بمحذوف وقع حالا من المفعول أي كأنهم من السماء قدم عليه
 ليكون نكرة وأما تقديم الظرف على الوجه الأول مع أن حقه التأخير عن المفعول الصريح فاما لأن السماء أصله
 ومبدؤه واما لما مر من التشويق إليه مع ما فيه من مزيد انتظام بينه وبين قوله تعالى (فاخرج به) أي بسبب
 الماء (من الغمرات رزقكم) وذلك بأن أودع في الماء قوة فاعله وفي الأرض قوة منفعة فتولد من
 تفا عليها أصناف الثمار أو بأن أجرى عادته بأفاضة صور الثمار وكيفيتها المتخالفات على المادة المترتبة منها
 وإن كان المؤثر في الحقيقة قدرته تعالى ومشيئته فإنه تعالى قادر على أن يوجد جميع الأشياء بلا مباد ومواد
 كما بدع فهو المبادي والأسباب لكن له عز وجل في انشائها متقلبة في الأحوال ومتبدلة في الأطوار من
 بدائع حكم باهرة فيجدد لاولي الابصار عيها ومن يد طمأنينة إلى عظيم قدرته وإطيف حكمته ما ليس في ابداعها
 بغتة ومن للتبعيض لقوله تعالى فأخرجنا من ثمرات ولوقوعها بين منكرين أعني ماء وريفاً كأنه قيل وأنزل من

السماء بعض الماء فأخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج من الارض كل الثمرات ولا جعل كل المرزوق ثماراً وللتبيين ورزقا فقول بمعنى المرزوق ومن الثمرات بيان له أو حال منه كقولك انفتحت من الدراهم ألفا ويجوز أن يكون من الثمرات مفعولا ورزقا حالاً منه أو مصدرا من اخرج لانه بمعنى رزق وانما شاع ورود الثمرات دون الثمار مع أن الموضع موضع كثرته لانه اريد بالثمرات جماعة الثمرة في قولك ادركت ثمرة بستانه وبؤيده القراءة على التوحيد ولأن الجموع يقع بعضها موقع به من كقوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وقوله تعالى ثلاثة قروء أو لانه محلاة باللام خارجة عن حد القلة واللام متعلقة بمحذوف وقع صفة لرزقا على تقدير كونه بمعنى المرزوق أى رزقا كما نالكم أو عامة لتقوية عمل رزقا على تقدير كونه مصدرا كما أنه قيل رزقا يا أيكم (فلا تجعلوا لله أندادا) امانة مطلق بالامر السابق من مرتب عليه كأنه قيل اذا أمرتم بعبادة من هذا شأنه من التفرد بهذه النعوت الجلية والافعال الجلية فلا تجعلوا له شريكا وانما قيل انداد لباختيار الواقع لالات مدار انتهى هو الجمعية وقرئ نداء وإيقاع الاسم الجليل موقع الضمير لتعيين المعبود بالذات اثر تعيينه بالصفات وتعليل الحجة بوجوه الألوهية التي عليها يدور أمر الوحدة واستحالة الشراكة والاذان باستميتا عما سائر الصفات وأما معطوف عليه كما في قوله تعالى اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والماء للاشعار بعلمية ما قبلها من الصفات المجردة عليه تعليل لانتهى أو لانه ما آل انتهى هو الامر بتخصيص العبادة به تعالى المترتب على اصلها كانه قيل اعبدوه بخصوصها به والافعال في موضع الاضمار لما مر آتفا وقيل هو تقي متصوب يا ضماد أن جوابا للامر جوابا أن ذلك فيما يكون الاقل سببا للثاني ولا ريب في أن العبادة لا تكون سببا للتوحيد الذي هو أصلها وبناها وقيل هو منصوب بلعل نصب فأطلع في قوله تعالى لعل ابلغ الاسباب اسباب السموات فأطلع الى الله موسى أى خلقكم انتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بمخلقه وحيث كان مدار هذا النص تشبيه لعل في بعد المرجو بليت كان فيه تنبيه على نقصهم بجعلهم المرجو القريب بمنزلة المتخفى البعيد وقيل هو متعلق بقوله تعالى الذي جعل الخ على تقدير رفعة على المدح أى هو الذي خلقكم بهذه الآيات العظام والدلائل النيرة فلا تتخذوا له شركاء وفيه ما مر من لزوم كون خلقهم وخلق أسلافهم بمنزلة من مناطية النهى مع عراقتهما فيها وقيل هو خبر للموصول بتأويل مقول في حقه وقد عرفت ما فيه مع لزوم المصير الى مذهب الاخفش في تنزيل الاسم الظاهر منزلة الضمير كما في قولك زيد قام أبو عبد الله اذا كان ذلك كنيته والنداء المثل المساوي من نداء دودا اذا نفر وندادته خالفته خص بالخالف المماثل بالذات كما خص المساوي بالمماثل في المقدار وتسمية ما يعبد المشركون من دون الله أندادا والحال انهم ما زعموا أنها تماثله تعالى في صفاته ولا انها تخالفه في افعاله لما انهم لما تركوا عبادته تعالى الى عبادتها سموها آلهة شابه حالهم حال من يعتقد أنهم اذوات واجبة بالذات فادارة على أن تدفع عنهم بأس الله عز وجل وتنتقمهم ما لم يرد الله تعالى بهم من خير فتمتعهم بهم وشنع عليهم أن جعلوا أندادا لمن يستحيل أن يكون له ندوا حد وفي ذلك قال موحدا الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل

أربا واحدا أم القارب * ادين اذا تقصمت الامون
تركك اللات والعزى جميعا * كذلك يفعل الرجل البصير

وقوله تعالى (وانتم تعلمون) حال من ضمير لا تجعلوا بصرف التقييد الى ما افاده انتهى من جميع انتهى عنه وجوب الاجتناب عنه ومفعول تعلمون مطروح بالكلية كانه قيل لا تجعلوا ذلك فانه قريب واجب الاجتناب عنه والحال انهم من اهل العلم والمعرفة بدقائق الامور واصابة الرأي أو مقدر حسبا يقتضيه المقام نحو وانتم تعلمون بطلان ذلك أو تعلمون أنه لا يماثل شيئا أو تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت أو تعلمون أنها لا تفعل مثل افعاله كما في قوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء أو غير ذلك وحاصله تنشيط المخاطبين وحثهم على الانتهاء عما هم واعنه هذا هو الذي يستدعيه عموم الخطاب في النهى يجعل النهى عنه القدر المشترك المنتظم لانشاء الاتهام كما هو المطلوب من الكفرة وللثبات عليه كما هو شأن المؤمنين حسبا ثمثله في الامر وأما صرف التقييد الى نفس النهى فيستدعي تخصيص الخطاب بالكفرة لا محالة اذ لا يتسنى ذلك بطريق قصر انتهى على حالة العلم بضرورة شمول

التكليف للعالم والجاهل المتكلم من العلم بل انما يتأقبط طريق المبالغة في التوبيخ والتقريع بناء على أن تعامل
القبائح من العالمين بقبحها اجمع وذلك انما يتصور في حق الكفرة فمن صرف التقيد الى نفس النبي مع تسميم
الخطاب للمؤمنين أيضا فقد نأى عن التحقيق ان قلت أليس في تخصيصه بالكفرة في الامر والنهي خلاص
من امثال ما مر من التكلفات وحسن النظام بين السباق والسباق اذ لا محيد في آية التحدي من تجريد الخطاب
وتخصيصه بالكفرة لا محالة مع ما فيه من رياء محل المؤمنين ورفع شأنهم عن حيز الانظام في سلك الكفرة
والايدان بأنهم مستمرون على الطاعة والعبادة حسب ما مر في صدر السورة الكريمة مستغنون في ذلك عن الامر
والنهي قلت بلى انه وجه سرى ونهج سوى لا يضل من ذهب اليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه قتاتل (وان كنتم
في ريب مما نزلنا على عبدنا) شروع في تحقيق ان الكتاب الكريم الذي من جلته ما نلى من الايتين الكريمتين
الناطقتين بوجوب العبادة والتوحيد منزل من عند الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم كما أن ما ذكره
من الآيات التكوينية الدالة على ذلك صادرة عنه تعالى لتوضيح انصافه بما ذكر في مطلع السورة الشريفة
من النعوت الجليلة التي من جملتها نزاهته عن أن يعتريه ريب ما والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع أنهم
بازمون بكونه من كلام البشر كما يعرب عنه قوله تعالى ان كنتم صادقين اما للايدان بأن اقصى ما يمكن
صدوره عنهم وان كانوا في غاية ما يكون من المكابرة والعناد هو الارتباب في شأنه وأما الجزم المذكور فخارج
من دائرة الاحتمال كما أن تنكيره وتصديره بكلمة الشك للاشعار بأن حقه أن يكون ضعيفا مشكوكا الوقوع
واما للتبسيه على أن جزمهم ذلك بنزلة الريب الضعيف لكامل وضوح دلائل الانحياز ونهاية قوتها وانما يقل
وان ارتبتم فيما نزلنا الخ لما اشير اليه فيما سلف من المبالغة في تنزيهه ساحة التنزيل عن شائبة وقوع الريب فيه
حسبما نطق به قوله تعالى لا ريب فيه والاشعار بأن ذلك ان وقع من جهتهم لا من جهته العالية واعتبار
استقرارهم فيه واحاطته بهم لا ينافي اعتبار ضعفه وقلته لما ان ما يقتضيه ذلك هو دوام ولا يستهم به لاقوته
وكثرته ومن في مما ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لريب وجلها على السببية ربما يوهى كونه محلا للريب
في الجملة وحاشا ذلك وما موصولة كانت أو موصوفة عبارة عن الكتاب الكريم لا عن القدر المشترك بينهما
وبين ابعاضه وليس معنى كونهم في ريب منه ارتبابهم في استقامة معانيه وصحة احكامه بل في نفس كونه وحيا
منزلا من عند الله عز وجل واشار التنزيل المنبي عن التدرج على مطلق الانزال لتذكير منشأ ارتبابهم وبناء
التحدي عليه ارضا للعنان وتوسعه بالاميدان فانهم كانوا اتخذوا نزوله منجما وسيلة الى انكاره فجعل ذلك من
مبادئ الاعتراف به كانه قيل ان ارتبتم في شأن ما نزلنا على مهمل وتدرج فها هو أنتم مثل نوبة فذة من نوبه
وتفجيم فرد من فجومه فانه أيسر عليكم من أن ينزل جملة واحدة ويحدي بالكل وهذا كما ترى غاية ما يـ
في التبيكيت وازاحة العلل وفي ذكره صلى الله عليه وسلم بعنوان العبودية مع الاضافة الى ضمير الجلالة من
التشريف والتنويه والتبسيه على اختصاصه به عز وجل وانقياده لا واهمه تعالى ما لا يخفى وقرئ على عبادنا
والمراد هو صلى الله عليه وسلم وامتة أوجيع الانبياء عليهم السلام فقيه ايدان بأن الارتباب فيه ارتباب فيما نزل
من قبله لكونه مصدقا له ومهيئا عليه والامر في قوله تعالى (فأنا بسورة) من باب التهجيز والقام المحرك في قوله
تعالى فأت بها من المغرب والمفاء للمجواب وسببية الارتباب للامر والاثبات بالمأمور به لما اشير اليه من انه عبارة
عن جزمهم المذكور فانه سبب للاقول حلقا وللتأني على تقدير الصدق كانه قيل ان كان الامر كما زعمتم من كونه
كلام البشر فأنا بمنزلة لانكم تقدرون على ما يقدر عليه سائر بني نوعكم والسورة الطائفة من القرآن العظيم
الترجمة وأظها ثلاث آيات وواوها أصلية منقولة من سور البلد لانها محيطه بطائفة من القرآن مفردة محوذة على
حيالها أو محتوية على فنون رائقة من العلوم احتواء سور المدينة على ما فيها أو من السورة التي هي الرتبة قال
ولرهب حزاب وقد سورة * في انجدايس غرابها عطار فان سور القرآن مع كونها في انفسها رتبيا من حيث
الفضل والشرف أو من حيث الطول والمقصر فهي من حيث النظامها مع اخواتها في المصحف مراتب يرتقي
اليها التاري شيئا فشيئا وقيل واوهام بدلة من الهمزة فغناها البقية من الشيء ولا يخفى ما فيه ومن في قوله تعالى
(من مثله) بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسورة والضمير لما نزلنا أي بسورة كانه من مثله في علو الرتبة
وتسمو الطبقة والنظم الرائق والبيان البديع وحيلة سائر نعوت الانحياز وجعلها تبعيضية يوهى ان له مثلا

محققا قد أريد تجهيزهم عن الاتيان ببعضه كأنه قيل فأنا بعض ما هو مثل له فلا يفهم منه كون المماثلة من
تمة المعجوز عنه فضلا عن كونها مدار العجز مع انه المراد وبناء الامر على الجسارة معهم بحسب حساباتهم
حيث كانوا يقولون لو نشاء قلنا مثل هذا وعلى التمسك بهم بأباه ما سبق من تنزيه منزلة الرب فان مبنى
التهكم على تسليم ذلك منهم وتسويفه ولو بغير جد وقيل هي زائدة على ما هو رأى الا خفض بدليل قوله تعالى
فأنا بسورة مثله بغير سور مثله وقيل هي ابتدائية فالضمير حينئذ لا منزل عليه حتم المان رجوعه الى المنزل
يوهم أن له مثلا محققا قد ورد الامر التجهيزى بالاتيان بشئ منه وقد عرفت ما فيه بخلاف رجوعه الى المنزل عليه
فان تحقق مثله عليه السلام في البشرية والعربية والامة يهون الخطب في الجلة خلا أن تخصيص التحدى بفرد
بشاركه عليه السلام فيما ذكر من الصفات المنافية للاتيان بالأمور لا يدل على عجز من ليس كذلك من علمائهم
بل ربما يوهم قدرتهم على ذلك في الجلة فرادى أو مجتمعين مع أنه يستدعى عراء المنزل عما فصل من النعوت
الموجبة لاستحالة وجوده فإين هذا من تحدى امة جنة وأمرهم بأن يحتشدوا في حلبة المعارضة بجملهم
ورجلهم حسبا ينطق به قوله تعالى (وادعوا شهداءكم من دون الله) ويتعاونوا على الاتيان بقدر يسير
بماثل في صفات الكمال لما أتى بجملة واحدة من ابناء جنسهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم
بالشهادة أو الناصر ومعنى دون أدنى مكان من شئ يقال هذا دون ذلك اذا كان احط منه قلبا ثم استعملت
في الاحوال والرتب فتقيل زيد دون عمرو أى في الفضل والرتبة ثم اتسع فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطى
حكم الى حكم من غير ملاحظة الخطا أحدهما من الآخر فجري مجرى اداة الاستثناء وكلمة من اما متعلقة
بأدعوا فتكون لا بداء الغاية والطرف مستقر والمعنى ادعوا متجاوزين الله تعالى للاستظهار من حضركم
كما نأمن كان أو الحاضرين في مشاهدكم ومحاضركم من رؤسائكم واشرافكم الذين تفزعون اليهم في المهمات
وتمولون عليهم في المهمات أو القائمين بشهادتكم الجارية فيما بينكم من امنائكم المتولين لاستخلاص الحقوق
بتنفيذ القول عند الولاية والقائمين بنصرتكم حقيقة أو زعماء من الانس والجن ليعينوكم وانواحيه سبحانه
وتعالى من حكم الدعاء في الاول مع انه راجع في الحضور لتأكيد تناوله لجميع ما عداه لا لبيان استبداده تعالى
بالقدرة على ما كلفوه فان ذلك مما يوهم أنهم لو دعوه تعالى لاجابهم اليه وأما في سائر الوجوه فالتصريح من
أول الامر ببراءتهم منه تعالى وكونهم في عدوة المحادة والمشاقة له قاصرين استظهارهم على ما سواه
والالتفات لادخال الروعة وتربية المهابة وقيل المعنى ادعوا من دون أولياء الله شهداءكم الذين هم
وجوه الناس وفرسان المناقلة والمناقلة يشهدوا بكم ان ما أنتم به مثله ايد اناباتهم بأبوان أن يرضوا لانفسهم
الشهادة بصحة ما هو بين الفساد وجلى الاستحالة وفيه انه يؤذن بعدم شمول التحدى لاولئك الرؤساء وقيل
المعنى ادعوا شهداءكم فصبروا بهم ادعواكم ولا تستشهدوا بالله تعالى فائين الله يشهد أن ما نذعه حق فان
ذلك ديدن المحجوج وفيه انه ان اريد بما يدعون حصة ما هم عليه من الدين الباطل فلا مساس له بمقام التحدى
وان اريد مثلية ما أتوا به للتحدى به فمع عدم ملائمة لا بداء التحدى يوهم أنهم قد تصدوا للمعارضة وأتوا
بشئ مشتبه الخال متردد بين المنلية وعدمها وانهم ادعوا مستشهادين في ذلك بالله سبحانه اذ عند ذلك تمس
الحاجة الى الامر بالاستشهاد بالناس والتهنى عن الاستشهاد به تعالى وأنى لهم ذلك وما نبض لهم عرق
ولا ييبوا بينت شفة واما متعلقة بشهداءكم والمراد بهم الاصنام ودون بمعنى التجاوز على انها طرف مستقر
وقع حالا من ضمير الخطابين والعامل ما دل عليه شهداءكم أى ادعوا أصنامكم الذين اتخذتموهم آلهة متجاوزين
الله تعالى في اتخاذها كذلك وكلمة من ابتدائية فان الاتخاذ ابتدائى من التجاوز والتعبير عن الاصنام بالتمرداء
لتعيين مدار الاستظهار بها تذكير ما زعموا من أنها يمكن من الله تعالى وأنها تنفعهم بشهادتها لهم انهم على الحق
فان ما هذا شأنه يجب أن يكون ملاذ الهمة في كل امر مهم ومجبا يا وون اليه في كل خطب لم كانه قيل اولئك
عدتكم فادعوهم لهذه الداهية التي دهمتكم فوجه الالتفات الايدان بكال خضافة عقولهم حيث أترأ على
عبادة من له الالوهية الجامعة لجميع صفات الكمال عبادة مالا أحقر منه وقيل لفظة دون مستعارة من معناها
الوضعي الذي هو أدنى مكان من شئ لقدامه كما في قول الاعشى ترك القذى من دونها وهي دونه
أى ترك القذى قدامها وهي قدام القذى فتكون ظرفا لغيره ولا شهداءكم كفاية راحة القليل

فيه من غير حاجة الى اعتماد ولا الى تقدير يشهدون أى ادعوا شهداءكم الذين يشهدون لكم بين يدي الله تعالى ليعينوكم في المعارضة وإيرادها بهذا العنوان لما مر من الاشعار بمناط الاستعانة بها ووجه الالتفات تربية المهابة وترشيح ذلك المعنى فإن ما يقوم بهذا الامر في ذلك المقام الخطير حقه أن يستعان به في كل امرام وفي أمرهم على الوجهين بأن يستظهروا في معارضة القرآن الذي اخرس كل منطق بالجماد من النهكم بهم ما لا يوصف وكلمة من ههنا تعضية لما انهم يقولون جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما طرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل انما يقع في بعض تلك الجهتين كما تقول جنته من الليل تريد بعض الليل وقد يقال كلمة من الداخلة على دون في جميع المواقع بمعنى في كما في سائر الظروف التي لا تصرف وتكون منصوبة على الظرفية أيد اولا تجزأ الابن خاصة وقيل المراد بالشهادة امداره القوم ووجوه المحافل والمحاضر ودون ظرف مستقر ومن استدائية أى ادعوا الذين يشهدون لكم ان ما أتيت به مثله متجاوزين في ذلك أولياء الله ومحصله شهداء مغايرين لهم ايذانا بأنهم أيضا لا يشهدون بذلك وانما قدر المضاف الى الله تعالى رعاية للمقابلة فان أولياء الله تعالى يقابلون أولياء الاصنام كما ان ذكر الله تعالى يقابل ذكر الاصنام والمقصود بهذا الامر ارجاء العنان والاستدراج الى غاية التيكيت كانه قبل ترك الزامكم بشهادة لا يصل لهم الى أحد الجلائين كما هو المعتاد واكتفينا بشهادتكم المعروفين بالذبح عنكم فانهم أيضا لا يشهدون لكم حذارا من اللامعة وانفة من الشهادة البينة البطلان كيف لا وأمر الايجاز قد بلغ من الظهور الى حيث لم يبق الى انكاره سبيل قطعاً وفيه ما مر من عدم الملازمة لابتداء التحدى وعدم تناوله لاولئك الشهداء واهتمام انهم تعترضوا للمعارضة وأتوا بشيء احتاجوا في اثبات مثليته للتحدى به الى الشهادة وشستان بينهم وبين ذلك (ان كنتم صادقين) أى في زعمكم انه من كلامه عليه السلام وهو شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه أى ان كنتم صادقين فأتوا بسورة من مثله الخ واستلزام المقدم للتالى من حيث ان صدقهم في ذلك الزعم يستدعى قدرتهم على الاتيان بمثله يقضية مشاركتهم له عليه السلام في البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة الخطبة والاشعار وكثرة المزاوله لأساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقائع والايام لاسيما عند المظاهرة والتعاون ولا ريب في ان القدرة على الشيء من موجبات الاتيان به ودواعى الامر به (فان لم تفعلوا) أى ما أمرتم به من الاتيان بالمثل بعد ما بدلتكم في السعي غاية المجهود * وجاوزتم في الجته كل حدة معهود * متشبثين بالذيول * راكبين متن كل صعب وذلول * وانما لم يصرح به ايذانا بعدم الحاجة اليه بناء على كمال ظهورتها لكم على ذلك وانما اورد في حيز الشرط مطلق الفعل ويجعل مصدر الفعل المأمور به مفعولاً له لا ليجاز البديع المغنى عن التطويل والتكرير مع سرسرى استقل به المقام وهو الايدان بأن المقصود بالتكليف هو ايقاع نفس الفعل المأمور به لاظهار عجزهم عنه لا تحصيل المفعول أى المآل في ضرورة استحالة وأن مناط الجواب في الشرطية أعنى الامر باتقاء النار هو عجزهم عن ايقاعه لا فوت حصول المفعول فان مدلول لفظ الفعل هو أنفاس الافعال الخاصة لازمة صكاً أو معتدية من غير اعتبار تعلقاتها بمفعولاتها الخاصة فإذا علق بفعل خاص معتدة فانما يقصد به ايقاع نفس ذلك الفعل واخراجهم من القوة الى الفعل وأما تعلقه بمفعوله المخصوص فهو خارج عن مدلول الفعل المطلق وانما يستفاد ذلك من الفعل الخاص ولذلك تراهم يتوسلون بذلك الى تجريد الافعال المعتدية عن مفعولاتها وتنزيلها منزلة الافعال اللازمة فيقولون مثلاً معنى فلان يعطى وينع يعطى الاعطاء والمنع يرشدك الى هذا قوله تعالى فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون بعد قوله تعالى اتوني بأخ لكم من آياتكم فانه لما كان مقصود يوسف عليه السلام بالامر ومرعى غرضه بالتكليف منه استحضار بنيامين لم يكف في الشرطية الداعية لهم الى الجته في الامتثال والسعي في تحقيق المأمور به بالاشارة الإجمالية الى الفعل الذي ويرديه الامر بأن يقول فان لم تفعلوا بل أعاده بعينه متعلقاً بمفعوله تحقيقاً للمطلبه واعراباً عن مقصده هذا وقد قيل أطلق الفعل وأريد به الاتيان مع ما يتعلق به اما على طريقة التعبير عن الاسماء الظاهرة بالفتاير الراجعة اليها حذرا من التكرار وعلى طريقة ذكر اللازم وارادة الملزوم لما ينم من التلازم المصحح للاتقال به ونقرا اثر الحال فتدبروا ونشار كلمة ان المفيدة للشك على اذا مع تحقيق الجزم بعدم فعلهم مجازاة معهم بحسب حسابهم قبل التصرية أو تمكم بهم (ولن تفعلوا) كلمة لن لننى المستقبل كلا خلافاً في ان زيادة تأكيده وتشديده

وأصلها عند الخليل لأن وعند القراء لا بدلت ألفها نونا وعند سيبويه حرف مقتضب للمعنى المذكور وهو
 إحدى الروايتين من الخليل والجملة اعتراض بين جزئى الشرطية مقررا لمضمون مقدمها ومؤكدا لايجاب
 العمل بتأليها وهذه معجزة باهرة حيث أخبر بالغييب الخاص علمه به عز وجل وقد وقع الأمر كذلك كيف لا
 ولو عارضوه بشئ يدينه في الجملة لتناقله الرواة خلفا عن يلق (فاتقوا النار) جواب للشرط على أن اتقاء
 النار كناية عن الاحتراز من العناد إذ بذلك يتحقق تسببه عنه وترتب عليه كانه قيل فاذا عجزتم عن الايمان بمثله
 كما هو المقر فاحتزوا من انكار كونه منزلا من عند الله سبحانه فانه مستوجب للعقاب بالنار لكن أثر عليه
 الكتابة المذكورة المبنية على تصوير العناد بصورة النار وجعل الاتصاف به عين الملازمة بها للمبالغة
 في تنويل شأنه وتفضيع أمره وإظهار كمال العناية بتحذير المخاطبين منه وتغييرهم عنه وحتمهم على الجد في تحقيق
 المكثي عنه وفيه من الإيجاز البديع ما لا يحصى حيث كان الأصل أن لم تفعلوا فقد صرح بدقه عندكم وإذا صرح
 ذلك كان لزومكم العناد وترصكم الايمان به سببا لاستحقاقكم العقاب بالنار فاحتزوا منه واتقوا النار
 (التي وقودها الناس والحجارة) صفة للنار مورثة لها زيادة هول وقطاعة أعاذنا الله من ذلك والوقود ما يوقد به
 النار وترفع من الحطب وقرئ بضم الواو وهو مصدر سمى به المفعول مبالغة كما يقال فلان نقر قومه وزين بلده
 والمعنى أنهم من الشدة بحيث لا تمس شيئا من رطب أو يابس إلا أحرقت لا كثيرا ان الدنيا تفتقر في الالتئام الى
 وقود من حطب أو حشيش وإعاجل هذا الوصف صلة لاه وحول مقتضية لكون اتساقها الى ما نسبت هي اليه
 معلوما للمخاطب بناء على أنهم سمعوه من أهل الكتاب قبل ذلك أو من الرسول صلى الله عليه وسلم أو سمعوا
 قبل هذه الآية المدنية قوله تعالى ناراً وقودها الناس والحجارة فاشيرهمنا الى ما سمعوه أولا وكون سورة التحريم
 مدنية لا يستلزم كون جميع آياتها كذلك كما هو المشهور وأما أن الصفة أيضا يجب أن تكون معلومة الاتساق
 الى الموصوف عند المخاطب فالتخطب فيه حين لما أن المخاطب هنالك المؤمنون وظاهر أنهم سمعوا ذلك من رسول
 الله صلى الله عليه وسلم والمراد بالحجارة الاصنام وبالناس أنفسهم حسبا ورد في قوله تعالى أنكم وما تعبدون
 من دون الله حصب جهنم الآتية (اعتدت للكافرين) أى هيت للذين كفروا بما نزلنا وجعلت عدة
 لعذابهم والمراد ما جنس الكفار والمخاطبون داخلون فيهم دخولاً أوليا وأما هم خاصة ووضع الكافرين
 موضع ضميرهم لذتهم وتعليل الحكم بكفرهم وقرئ اعتدت من العناد بمعنى العدة وفيه دلالة على أن النار
 مخلوقة موجودة الآن والجملة استئناف لا محل لها من الأعراب مقررة لمضمون ما قبلها ومؤكدة لايجاب
 العمل به ومبينة لمن أريد بالناس دافعة لاحتمال العموم وقيل حال بالضمارة قد من النار لا من ضميرها في وقودها
 لما في ذلك من الفصل بينهما بالخبر وقيل صلة بعد صلة أو عطف على الصلة بترك العاطف (وبشر الذين آمنوا)
 أى بأنه منزل من عند الله عز وجل وهو معطوف على الجملة السابقة لكن لا على أن المقصود عطف نفس الأمر
 حتى يطلب له مثا كل يصح عطفه عليه بل على أنه عطف قصة المؤمنين بالقرآن ووصف نوابهم على قصة
 الكافرين به وكيفية عقابهم جريا على السنة الالهية من شفع الترغيب بالترهيب والوعد بالوعيد وكان تغيير
 السبيل لتخييل كمال التباين بين حالى الفريقين وقرئ وبشر على صيغة الفعل مبتدأ للمفعول عطف على اعتدت
 فيكون استئنافا وتعليل التبشير بالوصول للاشعار بأنه معلل بما في حيز الصلة من الايمان والعمل الصالح لكن
 لا لما فيهما فانهما لا يكافئان النعم السابقة فضلا من أن يقتضيا ثوابا فيما يستقبل بل يجعل الشارع ومقتضى
 وعده وجعل صلتها فعلا مضى الحدث بعد اراد الكفار بصيغة الفاعل لحث المخاطبين بالاتقاء على أحداث
 الايمان وتحذيرهم من الاستمرار على الكفر والخطاب للتبشير صلى الله عليه وسلم وقيل لكل من يتأق منه
 التبشير كما في قوله عليه السلام بشر المشائين الى المساجد في ظلم الليالي بالنور المتسام يوم القيامة فانه طبعه السلام
 لم يأمر بذلك واحدا بعينه بل كل أحد ممن يتأق منه ذلك وفيه رحمة الى ان الأمر لعظمته ونخامة شأنه تحقيق
 بأن يتولى التبشير به كل من يقدر عليه والبشارة الخبر السار الذى يظهر به أثر السرور في البشرة وتبشيرا لصح
 أوائل ضوته (وعلموا الصالحات) الصالحة كالحسنة في الجريان مجرى الاسم وهي كل ما استقام من الأعمال
 بدليل العقل والنقل واللام للنس والجمع لافادة أن المراد بهما جملة من الأعمال الصالحة التي أشير الى أمتها
 في مطلع السورة الكريمة وطلاقة منها متفاوتة حسب تفاوت حال المكلفين في مواجب التكليف وفي عطف

العمل على الايمان دلالة على تغيره وما واشعار بان مدار استحقاق البشارة بمجموع الامرين فان الايمان
 اساس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء بأمن لانيابه (ان لهم جنات) منصوب بنزع الخافض
 وافضاء الفعل اليه او مجرور بياضماره مثل الله لافعلن والجنة هي المزة من مصدر جنة اذا ستره تطلق على النخل
 والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير

كان عيني في غربي مقفلة * من النواضع تسقى بجنة مصفا

أي تغلاطوا الا كانوا لفرط تكاثفها والتفافها وتغطيتها لما تحتها بالمرّة نفس السترة وعلى الارض ذات الشجر
 قال الفرزدق الجنة ما فيه التلحيز والفردوس ما فيه الكرم فحق المصدر حيث أن يكون مأخوذاً من الفعل المبني
 للمفعول وانما سميت دار الثواب بهامع ان فيها ما لا يوصف من الغرفات والقصور لما انها مناط نعيمها ومعظم
 ملاذها ووجهها مع التنكير لانها سمع على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما جنة الفردوس وجنة عدن وجنة
 النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة بحسب
 تفلوت الاعمال وأعمالها (تجري من تحتها الانهار) في حيز النصب على انه صفة جنات فان أريد بها
 الانهار تجريان الانهار من تحتها ظاهر وان أريد بها الارض المستحقة عليها فلا بد من تقدير مضاف أي من
 تحت أشجارها وان أريد بها مجموع الارض والأشجار فاعتبار التحية بالنظر الى الجزء الظاهر المصحح لا مطلق
 اسم الجنة على الكل عن مسروق أن انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك
 لقن بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب أو عوض من المضاف اليه كما في قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا
 أول للعهد والاشارة الى ما ذكر في قوله عز وجل انهار من ماء غير آسن الآية والنهر يفتح الهاء وسكونها
 الجري الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والغرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار
 أو على الجواز للغوى أو المجارى أنفسها وقد أسند اليها الجريان مجازاً عقلياً كما في سال الميزاب (كلارزقوا

منها من غرة رزقها قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) صفة اخرى للجنات أخرت عن الاولى لان جريان الانهار
 من تحتها ووصف لها باعتبار ذاتها وهذا وصف لها باعتبار أهلها المتنعمين بها أو خبر مبتدأ محذوف أو بوجه
 مستأنفة كانه حين وصفت الجنات بما ذكر من الصفة وقع في ذهن السامع أثمارها كثمار جنات الدنيا
 أو لافين حالها وكلما نصب على الظرفية ورزقها مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع
 الحال كانه قيل كل وقت رزقوا واما رزقوا مبتدأ من الجنات مبتدأ من غرة على ان الرزق مقيد بكونه مبتدأ من
 الجنات وابتداء منه ما يقيد بكونه مبتدأ من غرة فصاحب الحال الاولى رزقوا صاحب الثانية ضميره المستكن
 في الحال ويجوز كون من غرة بياناً لاقدم على المبين كما في قولك رأيت منك أسدا وهذا اشارة الى ما رزقوا
 وان وقعت على فرد معين منه كقولك مشيراً الى نهر جاري هذا الماء لا يتقطع فانك ان أشرت الى ما تعالينه بحسب
 الظاهر لكنك اغتاتني بذلك النوع المعلوم المستقر فالعنى هذا مثل الذي رزقناه من قبل أي من قبل هذا في الدنيا
 ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته وانما جعل ثمر الجنة كثمار الدنيا لتلخيص النفس اليه حين تراه فان
 الطباع مائلة الى المألوف متنفرة عن غير معروف ولينين لها من ربه وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنساً غير
 معهود لظن أنه لا يكون الا كذلك أو مثل الذي رزقناه من قبل في الجنة لان طعامها متشابه الصور كما يحكى عن
 الحسن رضي الله عنه ان أحدهم يؤتى العصفه فيأكل منها ثم يؤتى بأخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول
 الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف أو كما روى انه صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده ان الرجل من اهل
 الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فهاهي واحدة الى نفسه حتى يبدل الله تعالى مكانها مثلها والاقل أنسب لها فظة
 عموم كلفاته يدل على ترديد هم هذه المقالة كل مرة رزقوا لافيعاد المرة الاولى يتأخرون بذلك التبع وفرط
 الاستعراب لما بينهما من التفاوت العظيم من حيث اللذة مع اتحادهما في الشكل واللون كانهم قالوا هذا
 عين ما رزقناه في الدنيا نحن أين له هذه الرتبة من اللذة والطيب ولا يقدح فيه ما روى عن ابن عباس رضي الله
 عنهما من انه ليس في الجنة من أطعمة الدنيا الا اسم فان ذلك لبيان كمال التفاوت بينهما من حيث اللذة
 والحسن والهبة لا لبيان ان لا تشابه بينهما أصلاً كيف لا واطلاق الاسماء منوط بالاتحاد النوعي قطعاً هذا
 وقد فسرت الآية الكريمة بان مستلذات أهل الجنة بمثابة ما رزقوه في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة

الحال فيجوز أن يريدوا هذا ثواب الذي رزقناه في الديار من الطاعات ولا يساءلونه بمخفى ذلك بالثمرات
 فان الجنة وما فيها من فنون الكرامات من قبيل الثواب (وأقربها متشابهها) اعتراض مقرر لما قبله والضمير
 الجبرور على القول راجع الى ما دل عليه غوى الكلام مما رزقوا في الدارين كما في قوله تعالى ان يكن غنياً وفقيراً
 فآله أولى بهما أي مجنسي الغنى والفقير وعلى الثاني الى الرزق (ولهم فيها أزواج مطهرة) أي عماف
 نساء الذين آمنوا الاحوال المستقرة كالخبيض والدرن وودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهر يستعمل في الاجسام
 والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما الغتان فصيحان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعله وفواعل قال
 * واذا العذاري بالذخان تنذعت * واسجلت نصب القدر رغلت * فالجمع على الله والافراد على تأويل الجماعة
 وقرئ مطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة أبلغ من طاهرة ومطهرة للشعاريان مطهر
 اطهر هن وما هو الا الله سبحانه وتعالى وأما التطهر فيجوز أن يكون من قبل انفسهن كما عند اغتسالهن والزواج
 يطلق على الذكر والانثى وهو في الاصل اسم للماله قرين من جنسه وليس في مفهومه اعتبار التوالد الذي هو مدار
 بقاء النوع حتى لا يصح اطلاقه على أزواج أهل الجنة مخلوذهم فيها واستغنائهم عن الاولاد كما في الملة الى
 لبقاء الفرد ليست بعبرة في مفهوم اسم الرزق حتى يجعل ذلك باطلاقة على غير الجنة (وهي فيها خالدون) أي
 دائمون والخلود في الاصل الثبات المديد دام وأول يديم ولذلك قيل للاماني والاحجار الخلود والعجز الذي يبق
 من الانسان على حاله خلد ولو كان وضعه للدوام لما قيد بالتأيد في قوله عز وعلا خالدين فيها أبداً ولما استعمل
 حيث لا دوام فيه لكن المراد ههنا الدوام قطعاً لما يقضي به من الآيات والسنة وما قيل من ان الابدان مؤلفة
 من الاجزاء المتضادة في الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانحلال والانفكاك لمدارة قياس ذلك
 العالم الكامل بما يشاهد في عالم الكون والفساد على أنه يجوز أن يعيدها الخالق تعالى بحيث لا يعتبرها
 الاستحالة ولا يعتبرها الانحلال قطعاً بأن يجعل أجزاؤها متفاوتة في الكيفيات متعادلة في القوى بحيث لا يقوى
 شئ منها عند التفاعل على احالة الاخر متعاقبة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض وتبقى هذه النسبة منخفضة فيما
 ينتم اليها لا يعتبرها التغيير بالاكل والشرب والحركات وغير ذلك واعلم أن معظم المذاهب الحسية لما كان
 مقصوراً على المساكن والمطاعم والمناسك حسب ما يقضي به الاستقراء وكان ملائمة لجميع ذلك الدوام
 والثبات اذ كل نعمة وان جلت حيث كانت في شرف الزوال ومعرض الانحلال فانها منغصة غير صافية
 من شوائب الالم بشر المؤمنين بها وبدوامها تكمل باللبهة والسرور الالهم وفقنا لما رضيك وثبتنا على ما يؤدي
 اليها من العقود والعمل (ان الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة) شروع في تنزيه ساحة التنزيل عن
 تعلق ريب خاص اعتراهم من جهة ما وقع فيه من ضرب الامثال وبيان حكمته وتحقيق الحق اثر تنزيهها عما
 اعتراهم من مطلق الرب بالتحدي والقام الجبر والحام كافة البلغاء من أهل المدر والوبر روى أبو صالح عن
 ابن عباس رضي الله عنهما أن المنافقين طعنوا في ضرب الامثال بالنار والظلمات والبرق وقالوا الله
 أجل وأعلى من ضرب الامثال وروى عطاء رضي الله عنه أن هذا الطعن كان من المشركين وروى عنه
 أيضاً أنه لما نزل قوله تعالى يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له الآية وقوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون
 الله أولياء الآية قالت اليهودي وقدر للذباب والعنكبوت حتى يضرب الله تعالى بهما الامثال وجعلوا
 ذلك ذريعة الى انكار كونه من عند الله تعالى مع أنه لا يخفى على أحد من له تمييز أنه ليس بما يتصور فيه التردد
 فضلا عن التكبر بل هو من أوضح أدلة كونه خارجاً عن طوق البشر نازلاً من عند خلاق القوى والقدر كيف
 لا وان التمثيل كما ترى ليس الا ابراز المعنى المقصود في معرض الامر المشهود وتخليص المعقول بجملة المحسوس
 وتصويراً وابد المعاني بهيئة المأنوس لاستمالة الوهم واستنزاه عن معارضته للعقل واستعصائه عليه
 في ادراك الحقائق الخفية وفهم الدقائق الالسية كي يتابعه فيما يقتضيه ويتابعه الى ما يرتضيه ولذلك
 شاعت الامثال في الكتب الالهية والكلمات النبوية وذاعت في عبارات البلغاء واشارات الحكماء
 ومن قضية وجوب التماثل بين الممثل والممثل به في مشاطة القليل تمثيل العظيم بالعظيم والحقير بالحقير وقد
 مثل في الانجيل غل السيد بالنضالة ومعارضته السفة بآثار الزناير وجاء في عبارات البلغاء أجمع
 من ذرة وأجر من الذباب وأجمع من قراد وأضعف من بعوضة الى غير ذلك مما لا يكاد يحصر والحيطة بغير

النفس وانقباضها عما يعاب به أو يذم عليه يقال حيي الرجل وهو حي واشتقاقه من الحياة اشتقاق شطى وحشى
من الشطى والنسى والحشى يقال شطى الفرس ونسى وحشى إذا اعتلت منه تلك الاعضاء كان من يعثر به
الحياة يعقل قوته الحيوانية وتنقص واستحياءه من خلافه يتعدى بنفسه ويجرف الجرح يقال استحييته
واستحييت منه والاول لا يتعدى الا بجرف الجرح وقد يحذف منه احدى اليائين ومنه قوله

الا يستحي من الملوك ويتقى * محارمنا لا يشؤ الدم بالدم
اذا ما استحيى الماء يعرض نفسه * كرعن بسبت في اناء من الورد

فكأنه اذا أسند اليه سبحانه بطريق الايجاب في مثل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يستحي من ذى الشبهة المسلم
أن يعذبه وقوله عليه السلام ان الله حيي كريم يستحي اذا رفع اليه العبيد به أن يردعه اصفر احثي يضع فيها
خير اراديه الترك الخاص على طريقة التمثيل حيث مثل في الحديثين الكريمين تركه تعذيب ذى الشبهة وتخييب
العبد من عطائه بتركه من يتركهما حياء كذلك اذا نفي عنه تعالى في الموارد الخاصة كما في هذه الآية الشريفة
وفي قوله تعالى والله لا يستحي من الحق يراد به سلب ذلك الترك الخاص المضاهي لترك المستحي عنه لاسلب
وصف الحياة عنه تعالى رأسا كما في قولك ان الله لا يوصف بالحياة لان تخصيص السلب ببعض الموارد يوهم كون
الايجاب من شأنه تعالى في الجملة فالمراد منه عدم ترك ضرب المثل للمثل لتترك من يستحي من ضربه وفيه رمز الى
نعا ضد الدواحي الى ضربه وتأخذ البواعث اليه اذا الاستحياء انما يتصور في الافعال المقبولة للنفس المرضية
عندها ويجوز أن يكون وروده على طريقة المشاكلة فانهم كانوا يقولون أما يستحي رب محمد أن يضرب مثلا
بالاشياء المحقرة كما في قول من قال * من مبلغ أفشاء يعرب كاهل * ان بيت الجار قبل المنزل * وضرب المثل
استعماله في مضربه وتطبيقه به لاصنعه وانشاؤه في نفسه والالكان انشاء الامثال السائرة في موارد
ضرب الهادون استعمالها بعد ذلك في مضاربها لتفقد ان الانشاء هناك والامثال الواردة في التنزيل
وان كان استعمالها في مضاربها عين انشائها في انفسها لكن التعبير عنه بالضرب ليس بهذا الاعتبار بل
بالاعتبار الاول قطعا وهو مأخوذ اما من ضرب الخاتم بجامع التطبيق فكأن ضربه تطبيقه بقالبه كذلك
استعمال الامثال في مضاربها تطبيقها بها كما أن المضارب قوالب تضرب الامثال على شاكلتها لكن لا بمعنى
انها تنشأ بحسبها بعد أن لم تكن كذلك بل بمعنى أنها توردها منطبقه عليها سواء كان انشاؤها حينئذ كعامة
الامثال التنزيلية فان مضاربها قوالبها أو قبل ذلك كسائر الامثال السائرة فانها وان كانت مصنوعة من قبل
الا أن تطبيقها أي ارادها منطبقه على مضاربها انما يحصل عند الضرب واما من ضرب الطين على الجدار ليلترق
به بجامع الاصاق كان من يستعملها يلصقها بمضاربها ويجعلها ضربة لازب لا تنفك عنها الشدة تعلقها بها
ومحل ان يضرب على تقدير تعدية يستحي بنفسه النصب على المفعولية وأما على تقدير تعدية بالجاء فمفعول الخليل
المنفصل باضمار من وعند سبويه النصب بافشاء الفعل اليه بعد حذفها ومثلا مفعول ليضرب وما اسمية اجمالية
تزيد ما تنقارنه من الاسم المنكر اجمالا وشيا عا كما في قولك أعطى كآباما كما أنه قبل مثلا ما من الامثال أي
مثل كان فهي صفة لما قبلها أو سرفية مزيدة لتقوية النسبة وتوكيدها كما في قوله تعالى فجارحة من الله
وبعوضة بدل من مثلا أو عطف بيان عند من يجوز في النكرات أو مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت
عليها الكونها نكرة أو هما مفعولان لتضمنه معنى الجعل والتصيير وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
أي هو بعوضة والجملة على تقدير كون ما موصولة صلة لها محذوفة الصدر كما في قوله تعالى نعم اعلني
الذي أحسن على قراءة الرفع وعلى تقدير كونها موصوفة صفة لها كذلك ومحل ما على الوجهين النصب على
أنه بدل من مثلا أو على أنه مفعول ليضرب وعلى تقدير كونها اسمية صفة لمثلا كذلك وأما على تقدير كونها
استفهامية فهي خبر لها كأنه لا اراد استبعادهم ضرب المثل قيل ما بعوضة وأي مانع فيها حتى لا يضرب بها المثل
بل له تعالى ان يمثل بما هو أصغر منها وأحق بتركها على ما وقع في قوله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا وزن
عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء والبعوض فعل من البعض وهو القطع كاليفض والمغضب
غلب على هذا النوع كالتعويض في لغة هذيل من الخش وهو الخلدش (فما فوقها) عطف على بعوضة على تقدير
نصبها على الوجوه المذكورة وما موصولة أو موصوفة صلتها أو وصفها الطرف وأما على تقدير رفعها فهو عطف

على ما الاولى على تقدير كونها موصولة أو موصوفة وأما على تقدير كونها استفهامية فهو عطف على خبرها
أعني بعوضة لا على نفسها كإقيل والمعنى ما بعوضة فالذي فوقها أو فشيء فوقها حتى لا يضرب به المثل وكذا على
تقدير كونها صفة للكثرة أو زائدة وبعوضة خبر للمضمر وذكر البعوضة فافوقها من بين أفراد المثل انما هو بطريق
التمثيل دون التعيين والتخصيص فلا يحل بالشروع بل بقدره ويؤكد بطريق الاولوية والمراد بالفوقية اما الزيادة
في المعنى الذي أريد بالتمثيل أعني الصغر والحقارة واما الزيادة في الحجم والجلية لكن لا بالغما ما يبلغ بل في الجملة
كالذي بال والعكس وتعالى على التقدير الاول يجوز أن يكون ما الثانية خاصة استفهامية انكارية والمعنى ان
الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فأي شيء فوقها في الصغر والحقارة فاذن له تعالى أن يمثل بكل ما يريد
ونظيره في احتمال الامر من ما روى ان رجلاً من بني خنزل على طنب فسطاط فقات عائشة رضي الله عنها حين ذكر لها
ذلك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشك في الشوك فافوقها الا كتبت له بهادرجة ومحبت عنه
بها خطيئة فانه يمثل ما يجاوز الشوك في القوة كخبة النملة يقول عليه السلام ما أصاب المؤمن من مكروه
فهو وكفارة لخطايا حتى نخبة النملة وما تجاوزها من الالم كما قال ما حكى من الحوادث (فأما الذين آمنوا)
شروع في تفصيل ما يترتب على ضرب المثل من الحكم ان تحقيق حقيقة صدوره عنه تعالى والقضاء للدلالة
على ترتيب ما بعدهما على ما يدل عليه ما قبلها كأنه قيل فيضربه فأما الذين الخ وتقديم بيان حال المؤمنين
على ما حكى من الكفرة لا لا يقتصر الى بيان السبب وفي تصدير الجملتين بأما من احاد أمر المؤمنين وذم الكفرة
ما لا يخفى وهو حرف متضمن للمعنى اسم الشرط وفعله بمنزلة مما يمكن من شيء ولذلك يجب بالفاء وفائدته تأكيد
ما صدر به وتفصيل ما في نفس المتكلم من الاقسام فقد تذكروا جميعاً وقد يقتصر على واحد منها كما في قوله عز
من قائل فأما الذين في قلوبهم زيغ الخ حال سبويه أما زيد فذهب معناه مما يمكن من شيء فهو ذهاب لا محالة
وانه منه عزية وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوها
الخبر وعوض المبتدأ عن الشرط لفظاً والمراد بالوصول فريق المؤمنين المعهودين كأنه ما ان المراد بالوصول
الا في فريق الكفرة لا من يؤمن بضرب المثل ومن يكفر به لا يخلل المعنى أي فأما المؤمنون (فيعلمون)
انه الحق من ربهم) كسائر ما ورد منه تعالى والحق هو الثابت الذي يحق ثبوته لا محالة بحيث لا سبيل للعقل
الى انكاره لا الثابت مطلقاً واللام للدلالة على انه مشهود له بالحقيقة وأقوله حكاه ومصالح ومن لا ابتداء الفاية
المجازية وعاملها محذوف وقع حالاً من الضمير المستكن في الحق أو من الضمير العائد الى المثل أو الى ضربه أي
كأننا وصادرا من ربهم والتعريض لعنوان الرجوعية مع الاضافة الى ضميرهم لتشريعهم وللايدان بان ضرب
المثل تربية لهم وارشاد الى ما يصلحهم الى كمالهم اللائق بهم والجملة ساذجة مستمغولة يعلمون عند الجمهور
ومستدفعوله الاول والثاني محذوف عند الاخفش أي فيعلمون حقيقة ثابتة ولعل الاكتفاء بحكاية علمهم
المذكور عن حكاية اعترافهم بوجوبه كما في قوله تعالى والراشون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا
للاشعار بقوة ما بيننا من التلازم وظهوره المعنى عن الذكر (وأما الذين كفروا) بمن حكيت أقوالهم
وأحوالهم (فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا) أوثر يقولون على لا يعلمون حسماً يقتضيه ظاهر قرينه
دلالة على كمال غلوهم في الكفر وتراعى أمرهم في العتوفان مجرد عدم العلم بحقيقته ليس بمشابهة انكارها
والاستمراء به صريحاً وتهيدا للبعداد ما نفي عليهم في تضاعف الجواب من الضلال والضيق ونقض العهد
وبغير ذلك من شنائعهم المترتبة على قولهم المذكور على ان عدم العلم بحقيقته لا يعم جميعهم فان منهم من يعلم بها
واغبا يقول ما يقول مكابرة وعتاد اوجه على عدم الاذعان والقبول الشامل للجهل والعتاد تعسف ظاهر هذا
وقد قيل كأن من حقه وأما الذين كفروا فلا يعلمون لطابق قرينه وبقابل قسمه لكن لما كان قولهم هذا
دليلاً واضحاً على جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه قتائل وكن على الحق المبين وماذا
أما حادثة من كلمة استفهام وقعت مبتدأ خبره ذابغني الذي وصلته ما بعده والعائد محذوف فالاحسن ان
يجب جوابه مرغوعاً واما منزلة منزلة اسم واحد بمعنى أي شيء فالاحسن في جوابه النهي والارادة تزوع النفس
ومناه الى الفعل بحيث يجعلها اليه أو القوة التي هي مبدؤه والاول مع الفعل والثاني قبله وكلاهما مما
لا يتصور في حقه تعالى ولذلك اختلفوا في ارادته عز وجل فقيل ارادته تعالى لا محالة كونه غير ساء فيه ولا مكروه

ولا فعال غيره أمره به فلا تكون المعاصي بإرادته تعالى وقيل هي علمه بأشغال الأمر على النظام الاكل والوجه الاصل فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انها عبارة عن ترجيح احد طرفي المقدور على الاخر وتخصيصه بوجه دون وجه أو معنى بوجه وهي أعم من الاختيار فانه ترجيح مع تفضيل وفي كلمة هذا تحقير للمشار اليه وامتنع من ذلك ومبلا نصب على التمييز أو على الحال كما في قوله تعالى ناقة الله لكم آية وليس مرادهم بهذه العظيمة استنفهام الحكمة في ضرب المثل ولا القدح في اشقاله على الفائدة مع اعترافهم بصدوره عنه بل وعلا بل غرضهم التنبيه بأدعاه أنه من الدناءة والحقارة بحيث لا يليق بان يتعلق به أمر من الامور الداخلة تحت ارادته تعالى على استحالة ان يكون ضرب المثل به من عنده سبحانه فقوله عز من قائل (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا) جواب عن تلك المقالة الباطلة وردلها ببيان انه مشتغل على حكمة جليلة وغاية بخيلة هي كونه ذريعة الى هداية المستعدين للهداية واضلال المنهمكين في الغواية فوضع الفعلان موضع الفعل الواقع في الاستنفهام مبالغة في الدلالة على صحة قههما فان ارادتهم مادون وقوعهما بالفعل وتجاويزا عن نظم الاضلال مع الهداية في سلك الارادة لا يهاهم تساويها في تعلقها وليس كذلك فان المراد بالذات من ضرب المثل هو التذكير والاهتداء كما ينبغي عنه قوله تعالى وتلك الامثال نضرب للناس لعلهم يتفكرون وتطأ رءوسا ما الاضلال فهو أمر عارض مترتب على سوء اختيارهم وأورصة الاستقبال ايذنايات التجرد والاستمرار وقيل وضع الفعلان موضع مصدرهما كما أنه قيل اراد اضلال كثير وهداية كثير وقدم الاضلال على الهداية مع تقدم حال المهتدين على حال الضالين فيما قبله ليكون أول ما يقرع أسماعهم من الجواب أحمر افضليعاب سوءهم ويقت في اعضاءهم وهو السر في تخصيص هذه الفائدة بالتذكير وقيل هو يسلن الجملتين المستدترتين باما وتسجيل بأن العلم بكونه حقا هدي وأن الجهل بوجه ايراده والانكار لحسن مواده ضلال وفسوق وكثرة كل فريق انما هي بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فلا يتدح في ذلك أقلية أهل الهدى بالنسبة الى أهل الضلال حسب انطق به قوله تعالى وقيل من عبادى الشكور ونحو ذلك واعتبار كثرتهم الذاتية دون قلتهم الاضافية لتكميل فائدة ضرب المثل وتكثيرها ويجوز أن يراد في الاولين الكثرة من حيث العدد وفي الآخرين من حيث الفضل والشرف كما في قول من قال ان الكرام كثير في البلاد وان كثروا * قلوا كما غيرهم قل وان كثروا واسناد الاضلال أى خلق الضلال اليه سبحانه مبقى على أن جميع الاشياء مخلوقة له تعالى وان كان أفعال العباد من حيث الكسب مستندة اليهم وجعله من قبيل اسناد الفعل الى سببه بأباه التصريح بالسبب وقرئ يضل به كثير ويهدي به كثير على البناء للمفعول وتكريره مع جواز الاكتفاء بالاول لزيادة تقرير السببية وتأكيد كيدها (وما يضل به) أى بالمثل أو بضربه (الافاسقين) عطف على ما قبله وتكملة للجواب والرد وزيادة تعيين لمن اراد اضلالهم ببيان صفاتهم القبيحة المستتعبة له واشارة الى ان ذلك ليس اضلالا ابتدائيا بل هو تثبيت على ما كانوا عليه من فنون الضلال وزيادة فيه وقرئ وما يضل به الافاسقون على البناء للمفعول والفسق في اللغة الخروج يقال فسقت الرطبة عن قشرها والفارة من جحرها أى خرجت قال رؤبة

يذهبن في نجد وغورا غائرا * فواسقن قصدها جواررا * وفي الشريعة الخروج عن طاعة الله عز وجل بارتكاب الكبيرة التي من جللتها الاصرار على الصغيرة وله طبقات ثلاث الاولى التغاى وهو ارتكابها احيانا مستقبها لها والثانية الانهماك في تعاطيها والثالثة المثابرة عليها مع جهود قبحها وهذه الطبقة من مراتب الكفر قال يبلغها الفاسق لا يسلب عنه اسم المؤمن لاختصاصه بالتصديق الذى عليه يدور الايمان واقلوه تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما ذهبوا الى ان الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر عن تكذيب الحق وبخوده ولم يتسن لهم ادخال الفاسق في أحدهما فجعلوه قسمين قسمي المؤمنين والكافرين لمشاركته كل واحد منهما في بعض أحكامه والمراد بالفاسقين ههنا العاصون الماردون في الكفر الخارجون عن حدوده ممن حكى عنهم ما حكى من انكار كلام الله تعالى والاستهزاء به وتخصيص الاضلال بهم مترتبا على صفة الفسق وما أجرى عليهم من القبائح للايدان بان ذلك هو الذى أعد لهم للاضلال وأدى بهم الى الضلال فان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم على الباطل صرفت وجوه أنظارهم عن التدبر في حكمة المثل الى حقارة المثل به حتى رخصت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه وتجاوزوا فيه ما تجاوزوا (الذين ينفسون عهد الله) صفة

للفاسقين للذم وتقرير ما هم عليه من الفسق والنقض نسخ التركيب من المركبات الحسية كالخيل والقتل
 ونحوهما واستعماله في ابطال العهد من حيث استعارة الخيل له لما فيه من ارتباط أحد كلاهما المتعاهدين
 بالاخر فان شفع بالخيل وأريد به العهد كان ترشيحا للمجاز وان قرن بالعهد كان رمزاً الى ما هو من رواده وتنبها
 على مكانه وان المذكوّر قد استعير له كما يقال شجاع يقتبس أقرانه وعالم يغترف منه الناس تنبها على أنه أسد
 في شجاعته ويجري في افاضته والعهد الموثق يقال عهد اليه كذا اذا وصاه به ووثقه عليه والمراد هنا ما للعهد
 المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عبادة الدالة على وجوده ووحدته وصدق رسوله عليه السلام وبه أقول قوله
 تعالى وأشهدهم على انفسهم ألت بربكم قالوا بلى أو المعنى الظاهر منه أو المأخوذ من جهة الرسل عليهم السلام
 على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا أمره وذكره في الكتب المتقدمة
 ولم يخالفوا ك كما ينبي عنه قوله عز وجل واذا أخذ الله ميثاق الذين أوثوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه
 وأما قوله وقيل عهد الله تعالى ثلاثة الاول ما أخذه على جميع ذرية آدم عليه السلام بأن يقرّوا على ربوبيته
 والثاني ما أخذه على الانبياء عليهم السلام بأن يقيموا الدين ولا يفرقوا فيه والثالث ما أخذه على العلماء بأن يبينوا
 الحق ولا يكتموه (من بعد ميثاقه) الميثاق اما اسم لما يقع به الوثيقة والاحكام واما مصدر بمعنى التوثيق كلياً
 بمعنى الوعد فعلى الاول ان رجوع الضمير الى العهد كان المراد بالميثاق ما وثقوه به من القبول والالتزام وان رجع
 الى انظر الجلالة يراد به آياته وكتبه وانذار رسوله عليهم السلام والمضاف محذوف على الوجهين أي من بعد تحقق
 صناعته وعلى الثاني ان رجوع الضمير الى العهد والميثاق مصدر من المبني للفاعل فالمعنى من بعد أن وثقوه بالقبول
 والالتزام أو من بعد أن وثقه الله عز وجل بانزال الكتب وانذار الرسل وان كان مصدر من المبني للمفعول فالمعنى
 من بعد كونه موثقاً بما بثوثهم اياه بالقبول واما بثوثه تعالى اياه بانزال الكتب وانذار الرسل (ويقطعون ما
 أمر الله به أن يوصل) يحتمل كل قطيعة لا يرضى بها الله سبحانه وتعالى كقطع الرحم وموالاة المؤمنين والفرقة بين
 الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترثها الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خيراً وتعالى شرفانه
 يقطع ما بين الله تعالى وبين العبد من الوصلة التي هي المقصودة بالذات من كل وصل وقصيل والامر هو القول
 الطالب للفعل مع العلو وقيل بالاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول بالمصدر وقانه مما
 يؤمر به كما يقال له شأن وهو القصد والطلب لما انه أثر اللسان وكذا يقال له شيء وهو مصدر شأ ما انه أثر للمشئنة
 ويحل أن يوصل اما النصب على انه بدل من الموصول أو من ضميره والثاني أولى انظروا معنى (ويستبدون في
 الارض) بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي عليها يدور ذلك نظام العالم وصلاحه (اولئك) اشارة
 الى الفاسقين باعتبار اتصافهم بما فصل من الصفات السليمة وفيه ايدان بانهم متميزون بها اكل تميز ومنظمون
 بسبب ذلك في سلك الامور المحسوسة وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم في الفساد (هم الخاسرون)
 الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يقيدهم الحياة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الايات
 بالايمان بها والتأمل في حقائقها والافتقار من أنوارها واشتراء النقص بالوفاء والفساد بالصلاح والقطيعة
 بالصلة والعقاب بالثواب (ك كيف تكفرون بالله) التفات الى خطاب المذكورين مبني على ايرات
 ما تقدم من قبائحهم السابقة لتزايد السخط الموجب للمشاهدة بالتوبيخ والتفريع والاستهزاء انكاراً
 لاي معنى انكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الخ بل بمعنى انكار
 الواقع واستبعادهم والتعجب منه وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الانكار الى نفس الكفر بان يقال انكفرون
 لان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعاً فاذا اتى جميع أحوال وجوده فقد اتى
 وجوده على الطريق البرهاني وقوله عز وجل (وكنتم امواتاً) الى آخر الآية حال من ضمير الخطاب في تكفرون
 مؤكدة للانكار والاستبعاد بما عده فيها من الشؤن العظيمة الداعية الى الايمان الرادعة عن الكفر من حيث
 كونها نعمة عامة ومن حيث دلالتها على قدرة تامة كقوله تعالى وقد خلقكم أطواراً وكيف منصوبة على
 التشبيه بالظرف عند سبويه وبالحال عند الاخفش أي في أي حال أو على أي حال تكفرون به تعالى والحال
 أنكم كنتم امواتاً أي أجساماً لا حياة لها عناصر واغذية ونطاقاً ومضغاً مخلقة وغير مخلقة والاموات جمع
 ميت كاقوال جمع قيسل واطلاقها على تلك الاجسام باعتبار عدم الحياة مطلقاً كما في قوله تعالى بلدة ميتاً

وقوله تعالى وآية لهم الأرض الميتة (فأحياءكم) بنفخ الأرواح فيكم والفاء للدلالة على التعقيب فإن الأحياء
 حاصل اثر كونهم أمواتا وان نوارده عليهم في تلك الحالة أطوار مترتبة بعضها مترخ عن بعض كما أشير اليه انفا
 (ثم يميتكم) أي عند انقضاء آجالكم وكون الامانة من دلائل القدرة ظاهرة ما ككونهم من النعم
 فلكونها وسيلة الى الحياة الثانية التي هي الحيوان والنعمة العظمى والتراخي المستفاد من كلمة ثم بالنسبة
 الى زمان الأحياء دون زمان الحياة فان زمان الامانة غير مترخ عنه (ثم يحييكم) بالنشور يوم ينفخ في الصور
 أو للسؤال في القبور وآياتنا كان فهو مترخ من زمان الامانة وان كان اثر زمان الموت المستقر (ثم اليه
 ترجعون) بعد الحشر لا الى غيره فيجازيكم بأعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر وأليه تنشرون من قبوركم
 للعقاب وهذه الأفعال وان كان بعضها ماضيا وبعضها مستقبلا لا يتسنى مقارنة شيء منها لما هو حال منه
 في الزمان لكن الحال في الحقيقة هو العلم المتعلق بها كأنه قيل كيف تكفرون بالله وأنتم عالمون بهذا الاحوال
 للمنافعة منه وما له التعجب من وقوعه مع تحقق ما يتقبحه وانما انظم ما ينكرونه من الأحياء الاخير والرجع في
 سلك ما يعترفون به من الأحياء الاول والامانة تنزيلا لتمكينهم من العلم لما عاينوه من الدلائل القاطعة منزلة العلم
 بذلك بالفعل في اراحة العليل والاعذار والحياة حقيقة في القوة الحساسة أو ما يقتضيها وبها سمى الحيوان
 حيوانا مجازا في القوة النامية لكونها من طلائعها وكذا فيما يخص الانسان من العقل والعلم والايان
 من حيث انه كالأها وغايتها والموت بازائها يطلق على ما يتبادل كل مرتبة من تلك المراتب قال تعالى قل الله يحييكم
 ثم يميتكم وقال تعالى اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال تعالى أو من كان ميتا فأحييناه وجعلناه
 نورا في أعينهم وفي الناس وعند وصفه تعالى بها ايراد صفة انصافه تعالى بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا
 أو معنى قائم بذاته تعالى مقتضى لذلك وقرئ ترجعون بفتح التاء والاول هو الالقي بالمقام (هو الذي خلق
 لكم ما في الارض جميعا) تقرير للانكار وتأكيد له من الحيثيتين المذكورتين غير سبكه عن سبك ما قبله
 مع اتحادهما في المقصود ابانة لما بينهما من التفاوت فان ما يتعلق بذواتهم من الأحياء والامانة والحشر
 أدخل في الحث على الايمان والكف عن الكفر مما يتعلق بمعايشهم وما يجري مجراها وفي جعل الضمير مبتدأ
 والموصول خبرا من الدلالة على الخلقة لا لا يخلو عن التقديم الظرف على المفعول الصريح لتجليل المسرة ببيان
 كونه نافعا للخطاطين وللنشويق اليه كما سلف أي خلق لاجلكم جميع ما في الارض من الموجودات لتنتفعوا
 بها في أمور دينكم بالذات أو بالواسطة وأمر بدينكم بالاستدلال بها على شؤون الصانع تعالى شأنه
 والاستشهاد بكل واحد منها على ما يلائمه من لذات الآخرة والآلهة وما يعم جميع ما في الارض لانفسها الا ان
 يراد بها جهة السفل كما يراد بالسما جهة العلو نعم بعم كل جزء من أجزائها فانه من جملة ما فيها ضرورة وجود الجزء
 في الكل وجميعا حال من الموصول الثاني مؤكدة لما فيه من العموم فان كل فرد من افراد ما في الارض بل كل
 جزء من أجزاء العالم له مدخل في استقراره على ما هو عليه من النظام اللائق الذي عليه يدور نظام مصالح
 الناس أجمعين من جهة المعاش فظاهروا ما من جهة الدين فلما انه ليس في العالم شيء مما يتعلق به النظر وما لا يتعلق
 به الا وهو دليل على القادر الحكيم جل جلاله كما مر في تفسير قوله تعالى رب العالمين وان لم يستدل به أحد
 بالفعل (ثم استوى الى السماء) أي قصد اليها بأمره ومشيئته قصد اسويابا لا صارف يلويه ولا عاطف يثنيه
 من ارادة خلق شيء آخر في تضاعيف خلقها أو غير ذلك مأخوذ من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل وتخصيصه
 بالذكر ههنا اما لعدم تحققه في خلق السفليات لما روي من تجلج خلق السموات بين خلق الارض ودحوها
 عن الحسين رضي الله عنه خلق الله تعالى الارض في موضع بيت المقدس كهية القهر عليها دخان يلتقي بها
 ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك القهر في موضعها وبسط منها الارضين وذلك قوله تعالى كانتا
 رتقا ففتقناهما واما لاظهار كمال العناية بأبداع العلويات وقيل استوى استولى وملاك الاول هو الظاهر وكلمة
 ثم للايدان بما فيه من المزية والفضل على خلق السفليات لا للتراخي الزماني فان تقدمه على خلق ما في الارض
 المتأخر عن دحوها بما لا مزية فيه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما روي عن الحسن والمراد
 بالسماء اما الاجرام العلوية فان القصد اليها بالارادة لا يستدعي سابقة الوجود واما جهات العلويات (فسواهن) أي
 اقمن وقومن وخلقهن اشداء مصونة عن العوج والظنور لانه تعالى سواهن بعد ان لم يكن كذلك ولا يخفى

ما في مقارنة التوبة والاستواء من حسن الموقع وفيه اشارة الى ان لا تغير فيهن بالقول والذبول كما في السفليات
 والنفير على الوجه الاول للسماء فانها في معنى الجنس وقيل هي جمع سماء أو سماوة وعلى الوجه الثاني مبهم
 يفسره قوله تعالى (سبح سموات) كما في قولهم ذبه رجلا وهو على الوجه الاول بدل من النفي وناخير
 ذكر هذا الصنع البديع عن ذكر خالق ما في الارض مع كونه اقوى منه في الدلالة على كمال القدرة القاهرة
 كما فيه عليه لما ان المنافع المنوطة بما في الارض أكثر وتعلق مصالح الناس بذلك أظهر وان كان في ابداع
 العلويات أيضا من المنافع الدينية والدينية ما لا يحصى هذا ما قالوا وسيأتي في حم السجدة من يد تحقيق
 وتفصيل يا ذن الله تعالى (وهو بكل شيء عليم) اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من خلق السموات والارض
 وما فيها على هذا الخط البديع المنطوي على الحكم الفائقة والمصالح اللاتقة فان علمه عز وجل بجميع الاشياء
 ظاهرها وباطنها بارزها وكامنها وما يليق بكل واحد منها يستدعي ان يخلق كل ما يحلقه على الوجه الرائق
 وقرئ وهو يسكون الهاء تشبيها به بعضه (واذا قال ربك) بيان لاحر آخر من جنس الامور المتقدمة المؤكدة
 للانكار والاستبعاد فان خلق آدم عليه السلام وما خصه به من الكرامات السنية المحكية من أجل النعم
 الداعية لذريته الى الشكر والايان الناهية عن الكفر والعصيان وتقرير لمضمون ما قبله من قوله تعالى خلق
 لكم ما في الارض جميعا وتوضيح لكيفية التصرف والانتفاع بما فيها وتلويح الخطاب بتوجيهه الى النبي صلى
 الله عليه وسلم خاصة للايدان بان حقوى الكلام ليس مما يهتدى اليه بادلة العقل كالا مورا المشاهدة التي
 فيه عليها الكفرة بطريق الخطاب بل انما طريقه الوحي الخاص به عليه السلام وفي التعرض لعنوان الربوبية
 المنبثقة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من الانباء عن تشریفه عليه السلام ما لا يخفى
 واذا ظرف وخضوع لزمان نسبة ماضية وقع فيه نسبة أخرى مثلها كما ان اذا موزوع لزمان نسبة مستقبلية
 يقع فيه أخرى مثلها ولذلك يجب اضافتها الى الجملي واتصافه بمضمون صريح بمنته في قوله عز وجل واذا كروا اذ
 كنتم قليلا فكثركم وقوله تعالى واذا كروا اذ جعلكم خلقا من بعد عاد وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون
 ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب
 لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشغل عليها فاذا استحضرت كانت حاضرة بتفاصيلها كأنها مشاهدة
 عيانا وقيل ليس اتصافه على المفهولية بل على تأويل اذ كرا الحادث فيه بحذف الظروف واقامة الظروف مقامه
 واياما مكان فهو معطوف على مضمون آخر ينسحب عليه الكلام كانه قيل له عليه السلام غيب ما أوحى اليه
 ما خوطب به الكفرة من الوحي الناطق بتفاصيل الامور السابقة الزاجرة عن الكفر به تعالى ذكرهم بذلك واذا كرا
 لهم هذه النعمة ليتنبهوا بذلك لبطان ما هم فيه وينتو اعنه وأما ما قيل من ان المقدر هو اشكر النعمة في خلق
 السموات والارض أو تدبر ذلك فغير سديد ضرورة أن مقتضى المقام تذكيرا لمخلين بواجب الشكر وتنبههم على
 ما يقتضيه وأين ذلك من مقامه الجليل صلى الله عليه وسلم وقيل اتصافه بقوله تعالى قالوا وبأبام انه يقتضي ان
 يكون هو المقصود بالذات دون سائر القصة وقيل بما سبق من قوله تعالى وبشر الذين آمنوا ولا يخفى بعده وقيل
 بمضمون دل عليه مضمون الآية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم اذ قال الخ ولا ريب في انه لا فائدة في تقييد بدء الخلق
 بذلك الوقت وقيل بخلقكم أو بأحياءكم مضمون اوفيه ما فيه وقيل اذ زائدة ويعزى ذلك الى أبي عبيد و هو معرو وقيل
 انه بمعنى قد واللام في قوله عز فائلا (للملائكة) للتبليغ وتقديم الجار والمجرور في هذا الباب مطرد لما في
 المقول من الطول غالب مع ما فيه من الاهتمام بما قدمه والتشويق الى ما أخر كما مر مرارا والملائكة جمع ملك باعتبار
 أصله الذي هو ملائكة على ان الهمزة مزيدة كالشعائل في جمع شعال والتاء لتأكيد تأنيث الجماعة واشتقاقه
 من حلك لما فيه من معنى الشدة والقوة وقيل على انه مقلوب من مالك من اللوكة وهي الرسالة أي موضع الرسالة
 أو مرسل على انه مصدر بمعنى المفعول فانهم وسائط بين الله تعالى وبين الناس فهم مرسله عز وجل أو بمنزلة رسله
 عليهم السلام واختلفت المصنفات في حقيقةهم بعد اتصافهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب أكثر
 المتكلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا رسلهم كذلك
 عليهم السلام وذهب الحكماء الى انها جواهر مجردة مختلفة للنفوس الناطقة في الحقيقة وانها أكل منها قوة
 وأكثر علم تجري منها مجرى النعمن من الاضواء منقسمة الى قسمين قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق والتبزه

عن الاشتغال بغيره كما نهى الله عز وجل بقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون المقربون وقسم
يدبر الامر من السماء الى الارض حسب ما جرى عليه قلم القضاء والقدر وهم المديرات احرارهم سماوية ومنهم
ارضية وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المقصودة للابدان ونقل في شرح كثيرهم انه
عليه السلام قال اطلت السماء وحق لها ان تطلع ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد اورا كع وروى ان في
آدم عشر الجن وهما عشر حيوانات البر والكل عشر الطيور والكل عشر حيوانات البصار وهؤلاء كلهم عشر
ملائكة الارض الموكلين وهؤلاء كلهم عشر ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وهكذا
الى السماء السابعة ثم كل أولئك في مقابلة ملائكة الكرسي نزل قليل ثم جميع هؤلاء عشر ملائكة سرادق
واحد من سرادقات العرش التي عددها ستمائة ألف طول كل سرادق وعرضه وسبعه اذ اقويت به السموات
والارض وما فيها وما بينهما لا يكون لها عند قدر محسوس وما منه من مقدار شرب الا وفيه ملك ساجد اورا كع
أوقام لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالنظرة
في البحر ثم ملائكة اللوح الذين هم اشياع اسرافيل عليه السلام والملائكة الذين هم جنود جبريل عليه السلام
لا يحصى اجناسهم ولا مئة اعمارهم ولا كيفيات عباداتهم الا بارئهم العليم الخبير على ما قال تعالى وما يعلم
جنود ربك الا هو وروى انه عليه السلام حين عرج به الى السماء رأى ملائكة في موضع بمنزلة شرف يشي بعضهم
تجاء بعض فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام الى أين يذهبون فقال جبريل لا أدري الا أني
أراهم منذ خلقت ولا أرى واحدا منهم قدراً يتقبل ذلك ثم سألوا واحدا منهم منذ كم خلقت فقال لا أدري غير
أن الله عز وجل يخلق في كل اربع مائة ألف سنة كوكبا وقد خلق منذ خلقني اربع مائة ألف كوكب فسبحانه من
اله ما أعظم قدره وما أوسع ملكوته واختلف في الملائكة الذين قيل لهم ما قيل فقلهم ملائكة الارض وروى
الخصلة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم المختارون مع ابليس حين بعثه الله عز وجل لمحاربة الجن حيث
كانوا سكان الارض فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء فقتلواهم الا قليلا قد أخرجوهم من الارض وألقواهم بجزائر
البحار وقلل الجبال وسكنوا الارض وخفف الله تعالى عنهم العبادات وأعطى ابليس ملك الارض وملك السماء
الدنيا وخرانة الجنة فكان يعبد الله تعالى تارة في الارض وتارة في السماء وأخرى في الجنة فأخذ العجب فكان
من امر ما كان وقال أكثر العصاة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم في انهم كل الملائكة لعموم اللفظ
وعدم التخصيص وقوله تعالى (انني جاعل في الارض خليفة) في حيزه لتصب على انه محمول قال وصيغة
الفاعل بعني المستقبل ولذلك عملت عمله وفيها ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه فاعل ذلك لا محالة
وهي من الجعل بمعنى التصيير المتعدي الى مفعولين فقل أو قلها خليفة وثانيهما الظرف المتقدم على ما هو
مقتضى الصناعة فان مفعول التصيير في الحقيقة اسم صار وخبره أو قلها الاول وثانيهما الثاني وهما مبتدأ
وخبر والاصل في الارض خليفة ثم قيل صار في الارض خليفة ثم مفعول في الارض خليفة فمعناه بعد التبا والتى
انني جاعل خليفة من الخلائف أو خليفة بعينه كما نفي في الارض فان خبر صار في الحقيقة هو الكون المقدر للعامل
في الظرف ولا ريب في أن ذلك ليس بما يقتضيه المقام أصلا وانما الذي يقتضيه هو الاخبار بجعل آدم خليفة
فيها كما يعرب عنه بجواب الملائكة عليهم السلام فاذن قوله تعالى خليفة مفعول ثان والظرف متعلق بجعل
قدّم على المفعول المصرح لما مر من التشويق الى ما آخر أو بمحذوف وقع حالا بما بعده لكونه نكرة وأما المفعول
الاول فمحذوف تعويلا على القرينة الدالة عليه كافي قوله تعالى ولا تؤثروا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم
قياما حذفت فيه المفعول الاول وهو ضمير الاموال الدالة بالحال عليه وكذا في قوله تعالى ولا يحسبن الذين
يضلون بما آتاهم الله من فضله هو خير لهم حيث حذف فيه المفعول الاول لدلالة يضلون عليه أي لا يحسبن
الضلالة بخلافهم هو خير لهم ولا ريب في تحقق القرينة ههنا أما ان جل على الحذف عند وقوع المحكي فهي واضحة
لوقوعه في أثناء ذكره عليه السلام على ما سنفسله كانه قبل اني خالق بشر آمن طين وجاعل في الارض خليفة وأما
ان جل على انه لم يحذف هنالك بل قيل مثلا وجاعل اياه خليفة في الارض لكنه حذف عند الحكاية فالقرينة ملاذرك
من جواب الملائكة عليهم السلام حال العلامة الرخشي في تفسير قوله تعالى واذا قال ربك للملائكة اني خالق بشرا
من طين ان قلت كيف صح أن يقول لهم بشرا وما عرفوا الا البشر ولا عهد واية قلت وجهه ان يكون قد قال لهم

اني خالق خلق من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم انتهى فحيث جاز لا اكتفاء عند
 الحكاية عن ذلك التفصيل بجرد الاسم من غير قرينة تدل عليه فباطل كما نحن فيه ومعه قرينة ظاهرة
 ويجوز أن يكون من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول واحد هو خليفة وحال الظرف في التعلق والتقديم
 كما مر فحيث لا يكون ماسيا في من كلام الملائكة مترساعليه بالذات بل بالواسطة فانه روى أنه تعالى لما قال لهم
 اني جاعل في الارض خليفة قالوا ربنا وما يكون ذلك اخلقه قال تعالى يكون له ذرية يفسدون في الارض
ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فعند ذلك قالوا اما قالوا والله تعالى أعلم والخليفة من يخلف غير موثوب منابه
 فعيل بمعنى الفاعل والتاء للبالغة والمراد به اما آدم عليه السلام وبنوه وانما اقتصر عليه استغناء بذكرهم
 كما يستغنى عن ذكر القبيلة بذكر أبيها كقشر وهاشم ومنه الخلاف في قریش وأما من يخلف أو خلف يخلف
 فعمه عليه السلام وغيره من خلفاء ذريته والمراد بالخلافة اما الخلافة من جهته سبحانه في اجراء احكامه وتنفيذ
 أو امره بين الناس وسياسة الخلق لكن لا حاجة به تعالى الى ذلك بل لقصور استعداد المستخلف عليهم
 وعدم اتيانهم لقبول القبض بالذات فخص بالخواص من بنيه وأما الخلافة عن كان في الارض قبل ذلك
 فتم حينئذ الجسع (قالوا) استئناف وقع جوابا عما يساق اليه الاذهان كانه قيل فلماذا قالت الملائكة
 حينئذ قيل قالوا (أجعل فيهم من يفسد فيها) وهو أيضا من الجعل المتعدي الى اثنين فقيل فيهما ما قيل
 في الاول والظاهر أن الاول كلمة من والثاني محذوف ثقة بما ذكر في الكلام السابق كما حذف الاول فتمتعويلا
 على ما ذكر هنا قال قائلهم لا تختلعا على عزائنا * طامنا قد وثق بنا الاعداء بحذف المفعول الثاني أي
 لا تختلعا جازعين على عزائنا والمعنى أجعل فيهم من يفسد فيها خليفة والظرف الاول متعلق بجعل وتنقيده لما مر
 مرارا والثاني يفسد وفائدته تأكيد الاستبعاد لما أن في استخلاف المفسد في محل افساده من البعد ما ليس
 في استخلافه في غيره هذا وقد جوز كونه من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول واحد هو كلمة من وأنت
 خير بان مدار تعجبهم ليس خلق من يفسد في الارض ككيف لا وان ما يعبه من الجملة الحالية الناطقة
بدعوى احقيتهم منه يقضي بطلانه حتما اذ لا صحة لدعوى الاحقية منه بالخلق وهم مخلوقون بل مداره أن
 يستخلف لعمارة الارض واصلا جها باجراء احكام الله تعالى وأوامره أو يستخلف مكان المطبوعين على الطاعة
 من من شأنه نوعه الفساد وسفك الدماء وهو عليه السلام وان كان منزها عن ذلك الا ان استخلافه مستتبع
 لاستخلاف ذريته التي لا تخلو عنه غالباً وانما أظهر وانما تعجبهم استكشافا عما خفي عليهم من الحكم
 التي بذت على تلك المفساد والفتن واستخبارا عما يرجح شبهتهم ويرشداهم الى معرفة ما فيه عليه السلام من
 الفضائل التي جعلته أهلا لذلك كـ قال المتعلم عما يتفرد في ذهنه لا اعتراضا على فعل الله سبحانه ولا شكاً
 في استماله على الحكمة والمصلحة اجمالا ولا طعن عليه عليه السلام ولا في ذريته على وجه الغيبة فان منصبهم
 أجل من ان يظن بهم أمثال ذلك قال تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وانما
 عرفوا ما قالوا اما باخبار من الله تعالى حسبا نقل من قبل أو يتلق من اللوح أو باستنباط عما ارتكز
 في عقولهم من اختصاص العصمة بهم أو بقياس لاحد الثقلين على الآخر (ويسفك الدماء) السفك والسفح
 والسبك والسكب أنواع من الصب والاولان مختصان بالدم بل لا يستعمل أولهما الا في الدم المحرم أي يقتل
 النفوس المحترمة بغير حق والتمبير عنه بسفك الدماء لما انه اقبح أنواع القتل واقطعه وقرئ بسفك بضم الفاء
 ويسفك ويسفك من أسفك وسفك وقرئ يسفك على البناء للمفعول وحذف الراجع الى من موصولة
 أو موصوفة أي بسفك الدماء فيهم (وفن نسيح بجمدك ونقدس لك) جملة حالية مقترنة للتعجب السابق
 ومؤكدة له على طريقة قول من يجتدي خدمة مولا وهو يأمر بها غيره أو تستخدم العصاة وأما جمعه فيها
 كانه قيل أن استخلف من من شأن ذريته الفساد مع وجود من ليس من شأنه ذلك أصلا والمقصود عرض احقيتهم
 منهم بالخلافة واستفسار عما رجحهم عليهم مع ما هو متوقع منهم من الموانع لا الحب والتفاخر فكانهم شعروا
 بما فيهم من القوة الشهوية التي رذيلتها الافراطية الفساد في الارض والقوة الغضبية التي رذيلتها الافراطية
 سفك الدماء فقالوا اما قالوا واذهلوا عما اذا حذرتهما الفترة العقلية ومرتبهما على الخير يحصل بذلك من علو
 الدرجة ما يقصر عن بلوغ رتبة القوة العقلية عند انفرادها في افعالها كـ كما لاحاطة بتفصيل أحوال

الجزئيات واستتباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل وغير ذلك مما يسط به أمر
 الخلافة والتسبيح تزيه الله تعالى وتبعيده اعتقاد او قولاً وعملًا لا يليق بجنايه سبحانه من سبج في الارض
 والماء اذا ابعدهم ما وامن ومنه فرس سبوح أي واسع الجرى وكذلك تقدسه تعالى من قدس في الارض
 اذا ذهب فيها وابعده ويقال قدسه أي طهره فان مطهر الشيء مبعده عن الاقدار والباه في محمده متعلقة
 بمحذوف وقع سال من التفسير أي تنزهك عن كل ما لا يليق بشأنك ملتبسين بمحمده على ما انعمت به علينا من
 فنون النعم التي من جلت اوفيقنا لهذه العبادة فالتسبيح لاظهار صفات الجلال والحمد لتدكير صفات الانعام
 واللام في لك اما من زيادة والمعنى تقدسك واما صلة للفعل كما في سجدت لله واما للبيان كما في سقيالك فيكون
 متعلقة بمحذوف أي تقدس تقدسك أي نصفك بما يليق بك من العلو والعزة وتنزهك عما لا يليق بك وقيل
 المعنى نطهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كأنهم قابلوا الفساد الذي أعظمه الاشرار بالتسبيح وسفك الدماء
 الذي هو تلويث النفس بأفجح الجرائم تطهير النفس عن الآثام لا تمتدح بذلك ولا اظهارا للنعم بل بياناً للواقع
 (قال) استئناف كما سبق (انرا علم ما لا تعلمون) ليس المراد به بيان انه تعالى يعلم ما لا يعلمونه من الاشياء
 كما انما كان ذلك مما لا شبهة لهم فيه حتى يقتضوا الى التنبيه عليه لاسيما بطريق التوكيد بل بيان أن
 فيه عليه السلام معاني مستدعية لاستخلافه اذ هو الذي خفي عليهم وبشوا عليه ما بنوا من التعجب والاستبعاد
 فلم يوصولة كانت أو موصوفة عبارة عن تلك المعاني والمعنى اني أعلم ما لا تعلمونه من دواعي الخلافة فيه وانما لم
 يقتصر على بيان تحققاتها فيه عليه السلام بأن قيل مثلاً ان فيه ما يقتضيه من غير تعرض لاساطته تعالى به وغطتهم
 عنه تفصيلاً شأنه وايداً انما يتناء أمره تعالى على العلم الرصين والحكمة المتقنة وصدور قولهم عن الغفلة وقيل
 معناه اني أعلم من المصالح في استخلافه ما هو خفي عليكم وان هذا ارشاد لله لا تكفي الى العلم بان أفعاله تعالى
 كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة وأنت خير بانه مشهركم ونهم غير عالين بذلك من
 قبل ويكون عجيبهم منبها على ترددهم في اشغال هذا الفعل لحكمة ما واذ لك مما لا يليق بشأنهم فانهم عالمون
 بان ذلك متضمن لحكمة ما ولكنهم مترددون في انهم لما ذاهل هو أمر راجع الى محض حكم الله عز وجل أو الى
 فضيلة من جهة المستخلف فينب سبحانه وتعالى لهم أو لا على وجه الاجال والابهل ان فيه فضائل غائبة عنهم
 ليستتدروا اليها ثم أبرز لهم طرفاً منها ليعلموا جهرته ويظهر لهم يدع صنعته وحكمته ويتزاحشهم بالكلية
 (وعلم آدم الاسماء كلها) شروع في تفصيل ما جرى بعد الجواب الاجمالي بتحقيق المنعونه وتفسير الابهاسمه وهو
 عطف على قال والابتداء بحكاية التعليم يدل بظاهره على أن ما مر من المحاولة المحكية انما جرت بعد خلقه عليه
 السلام بمحض منه وهو الانسب بوقوف الملائكة على أحواله عليه السلام بان قيل اترفع الروح فيه اني جاعل
 اياه خليفة فقيل ما قيل كما أشر اليه ویراد عليه السلام باسمه العلي لزيادة تعيين المراد بالخليفة ولان ذكره
 بعنوان الخلافة لا يلائم مقام تهديد مباديها وهو اسم أعجمي والاقرب أن وزنه فاعل كشالخ وعادروا عابروا فالف
 لا الفعل والتصدي لاشتقاقه من الادمة والادمية بالفتح بمعنى الاسوة أو من أديم الارض بناء على ما روى عنه
 صلى الله عليه وسلم من انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم ولذلك اختلفت ألوان
 ذريته أو من الادم والادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس
 من الابليس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلاً يرفعه الى الذهن من الانضاط والصفات
 والافعال واستعماله عرفاني للفظ الموضوع لمعنى مفردا كان أو مركباً مخبراً عنه أو خبراً أو رابطة بينهم
 واصطلاحاً في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن بالزمان والمراد ههنا اما الاول أو الثاني وهو مستلزم
 للاول اذ العلم بالانضاط من حيث الدلالة على المعاني مسبوق بالعلم بها والتعليم حقيقة عبارة عن فعل
 يترتب عليه العلم بلا تخلف عنه ولا يحصل ذلك بمجرد افاضة المعلم بل يتوقف على استعداد المتعلم لقبول القبض
 وتلقيه من جهة كما ترى في تفسير الهدى وهو الهير في ايشاره على الاعلام والانباء فانهم ما انما وقفاً على
 جماع انبأ الذي يشترك فيه البشر والملائكة يظهره حقيقته بالخلافة منهم عليهم السلام لما ان جبلتهم غير مستعدة
 للاحاطة بتفاصيل احوال الجزئيات الجسمانية خبراً فعنى تعليمه تعالى ايام ان يخلق فيه اذ الله سبحانه يستعداده
 علماً ضرورياً تفصيلياً باسماء جميع المسميات وأحوالها وخواصها اللازمة بكل منها أو يلقي في روعه

فلهذا لا نهدأ فسر شأنه كيت وكيت وذات البعير وحاله ذيت وذيت الى غير ذلك من احوال الموجودات
 فيلقاها عليه السلام حسبما يقتضيه استعدادها ويستدعيه قابلية المتفرعة على فطرته المنطوية على
 طبائع متباينة وقوى متخالفة وعناصر متغايرة قال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومجاهد وابن جبر رضي الله
 تعالى عنهم علمه أسماء جميع الاشياء حتى القصعة والقصبة وحتى الجفنة والحلب وأننى منفعة كل شئ الى
 جنسه وقيل أسماء ما كان وما سيكون الى يوم القيامة وقيل معنى قوله تعالى وعلم آدم الاسماء خلقه من
 أجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدة الادراك انواع المدرجات من المعقولات والمحموسات والتخييلات
 والموهومات وألهمه معرفة ذوات الاشياء وأسمائها وخواصها ومعارفها وأصول العلم وقوانين الصناعات
 وتفاصيل الآلات وكيفيات استعمالها فيكون ما مر من المناولة قبل خلقه عليه السلام وقيل التعليم على
 ظاهره ولكن هناك لاجل مطوية تحفظ عليها المذكور أى خلقه فسواء ونفع فيه الروح وعلم الخ (ثم عرضهم
 على الملا تكة) الغدير للمسميات المدلول عليها بالاسماء كما في قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا والتذكير لتغليب
 العقلاء على غيرهم وغرضهم وعرضها أى عرض سمياتهن وأسمياتهن في الحديث انه تعالى عرضهم أمثال
 الذر ولعله عز وجل عرض عليهم من افراد كل نوع ما يصلح ان يكون اعوذ بجأيت عرف منه احوال البقية وأحكامها
 (فقال ابتدوني باسماء هؤلاء) تبيكتهم وأظهرهم ما يحجزهم عن اقامة ما علقوا به رجاءهم من أمر الخلافة
 فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة بغير وقوف على مراتب الاستعدادات ومقتلير الحقوق مما لا يمكن
 والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل منهما والمراد ههنا ما خلا عنه واشاره على الاخبار للايدان
 برفعة شأن الاسماء وعظم خطرهما فان البياض يطلق على الخبر الخطير والامر العظيم (ان كنتم صادقين)
 أى في زعمكم انكم أحق بالخلافة عن استخلفته كما ينبغي عنه مقالكم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار
 منطوقه قد يتطرق اليه باعتبار ما يلزمه من الاخبار فان أدنى مراتب الاستحقاق هو الوقوف على أسماء
 ما في الارض وأما ما قبل من ان المعنى في زعمكم انى استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء فليس مما
 يقتضيه المقام وان أول بان يقال في زعمكم انى استخلف من غالب أمره الفساد وسفك الدماء من غير ان
 يكون له منزلة من جهة أخرى إذ لا تعلق له بأمرهم بالانباء وجواب الشرط محذوف دلالة المذكور عليه
 (قالوا) استثناف واقع موقع الجواب كانه قيل فاذا قالوا احببنا هذا فخرجوا عن محله ما كفوه أو لا تقبل
 قالوا (سبحانك) قيل هو علم للتسبيح ولا يكاد يستعمل الا مضافا وقد جاء غير مضاف على الشذوذ غير منصرف
 للتعريف والالف والنون المزيدين كما في قوله * سبحان من صلقة الفاسخ * وأما ما في قوله
 سبحانه ثم سبحانا نعودله * فقبل صرفه للضرورة وقيل انه مصدر منكر كغفران لا اسم مصدر وهو معناه على الاول
 فسبحك عما لا يليق بشأنك الاقدس من الامور التي من جلتها خلوا أفعلاك من الحكم والمصالح وعنوان ذلك تسبيحا
 ناشئا عن كمال طمأنينة النفس والايقان بالثقال استخلاف آدم عليه السلام على الحكم البالغة وعلى الشاف
 تنزهت عن ذلك تنزهها ناشئا عن ذاتك وأرادوا به أنهم قالوه عن اذعان لما علموا اجمالا بأنه عليه السلام يكلف
 ما كفوه وأنه يقدر على ما قد عجزوا عنه مما يتوقف عليه الخلافة وقوله عز وجل (لا علم لنا الا ما علمنا) اعتراف
 منهم بالعجز عما كفوه اذ معناه لا علم لنا الا ما علمنا بحسب قابليتنا من العلوم المناسبة لما لنا ولا قدرة بنا
 على ما هو خارج عن دائرة استعدادنا حتى لو كنا مستعدين لذلك لافضته علينا وما في ما علمنا موصولة حذف
 من صلها عاندا أو مصدرية ولقد نفوا عنهم العلم بالاسماء على وجه المبالغة حيث لم يقتصر على بيان
 عدمه بان قالوا امثلا لا علم لنا بها بل جعلوه من جلة ما لا يعلمونه وأشعروا بان كونه من تلك الجلة غنى عن البيان
 (انك انت العليم) الذي لا يخفى عليه خافية وهذا اشارة الى تحقيقهم لقوله تعالى انى أعلم ما لا تعلمون
 (الحكيم) أى المنكم لمصنوعة الفاعل لها حسبما يقتضيه الحكمة المصلحة وهو خبر بعد خبر وأضحة الاول
 وأنت ضمير الفصل لا محال له من الاعراب أوله محمل منه مشاير لما قبله كما قاله القراء أول ما بعده كما ظاهرا الكتابى
 وقيل تأكيده للكاف كما في قولك حررت بلى أنت وقيل مبتدأ خبره ما بعده وبالله خبران وتلك الجملة تطيل لما سبق
 من قصر علمهم بما علمهم الله تعالى وما يفهم من ذلك من علم آدم عليه السلام بما يخفى عليهم فكانهم قالوا أنت
 العالم بكل المعلومات التي من جلتها استعداد آدم عليه السلام لما يخفى جهل من الاستعداد له من العلوم

الخفصة المتعلقة بما في الارض من أنواع المخلوقات التي عليها يدور ذلك خلافة الحكيم الذي لا يفعل
الاما يقتضيه الحكمة ومن جلته تعليم آدم عليه السلام ما هو قابل له من العلوم الكلية والمعارف الجزئية
المتعلقة بالاحكام الواردة على ما في الارض وبناء أمر الخلافة عليها (قال) استئناف كما سلف (بآدم
أنهم) أي أعلمهم وأمر على أن يبنى كما وقع في أمر الملائكة مع حصول المراد منه أيضا وهو ظهور فضل آدم عليهم
عليهم السلام ابانة لما بين الامرين من التفاوت الجلي وايد ان ابان علمه عليه السلام بها أمر واضح غير محتاج
الى ما يجري مجرى الامتحان وانه عليه السلام حقيق بان يعلمها غيره وقرئ بقلب الهمزة ياء وبجذعها أيضا
والهاء مكسورة فيها (باسمائهم) التي يجوز ان علمها واعترفوا بتقاصر فهمهم عن بلوغ مرتبتها
(فلما أنبأهم باسمائهم) الفاء فصيغة عاطفة للجملة الشرطية على محذوف يقتضيه المقام وينسحب عليه
الكلام للايدان بتقزره وغناه عن الذكرو للاشعار بصحته في أسرع ما يمكن كفا في قوله عز وجل فلما رآه
مستقرا عنده بعد قوله سبحانه انا آتيتك به قبل ان يرتد اليك طرفك واظهار الاسماء في موقع الاضمار لاظهار
كمال العناية بشأنها والايدان بانه عليه السلام انبأهم بها على وجه التفصيل دون الاجمال والمعنى
فأنبأهم باسمائهم مفصلة وبين لهم أحوال كل منهم وخواصه وأحكامه المتعلقة بالمعاش والمعاد فعملوا ذلك
لما رآوا انه عليه السلام لم يتعلم في شيء من التفاصيل التي ذكرها مع مساعدة ما بين الاسماء والسميات من
المناسبات والمشاكلات وغير ذلك من القرائن الموجبة لصدق مقالته عليه السلام فلما أنبأهم بذلك (قال)
عز وجل تقرير المأمور من الجواب الاجمالي واستحضار له (الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض)
لكن لا تقرير نفسه كما في قوله تعالى ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا وظائره بل لتقرير ما يفيد من تحقق دواعي
الخلافة في آدم عليه السلام لظهور صدقه وإراد ما لا يعلمون بعنوان الغيب مضافا الى السموات والارض
للمبالغة في بيان كمال شمول علمه المحيط وغاية سعته مع الايدان بان ما ظهر من عجزهم وعلم آدم ع م من الامور
المتعلقة بأهل السموات وأهل الارض وهذا دليل واضح على ان المراد بما لا تعلمون فيما سبق ما أشير اليه هناك
كانه قيل ألم اقل لكم اني اعلم فيه من دواعي الخلافة ما لا تعلمونه فيه هو هذا الذي عاينوه وقوله تعالى (واعلم
ما تبدون وما كنتم تكتمون) عطف على جملة ألم اقل لكم لا على أعلم اذ هو غير داخل تحت القول وما في
الموضعين موصولة حذف عائدها أي اعلم ما تبدونه وما كنتمونه وتغيير الاسلوب للايدان باستمرار كتمهم
قيل المراد بما تبدون قواهم التي جعل الخ وبما يكتمون استبطائهم انهم أحق بالانطلاقة وأنه تعالى لا يخلق خلقا
افضل منهم روى انه تعالى لما خلق آدم عليه السلام رأت الملائكة فطرته العجيبة وقالوا الكن ما شاء فلن يخلق
ربنا خلقا الا كما اكرم عليه منه وقبل هو ما أسرته ابليس في نفسه من الكبر ورتك السجود فاستاد الكنان حينئذ
الى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد من بينهم قالوا في الآية الكريمة دلالة على شرف
الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وأن ذلك هو المناط للخلافة وأن التعليم يصح اطلاله على الله تعالى
وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لا اختصاصه عادة بمن يحترف به وأن اللغات توقفية اذ الاسماء تدل على الالفاظ
بخصوص أو بعموم وتعليمها ظاهر في القائما على المتعلم مبين له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع وما هو
الامن الله تعالى وأن مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والالزام التكرار وأن علوم الملائكة وكالاتهم
تقبل الزيادة والحكمة منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وجعلوا على ذلك قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم
وأن آدم افضل من هؤلاء الملائكة لانه عليه السلام أعلم منهم وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها (واذ قلنا
للملائكة) عطف على الطرف الاول منصوب بما نصبه من المضمرة أو بنصب مستقل معطوف على ناصبه
عطف القصة على القصة أي واذ كروقت قولنا لهم وقيل بفعل دل عليه الكلام أي أطاعوا وقت قولنا الخ
وقد عرفت ما في أمثاله وتخصيص هذا القول بالذكر مع كون مقتضى الظاهر إرادته على مناج ما قبله من
الاقوال المحكية المتصلة به للايدان بان ما في حيزه نعمة جليلة مستقلة حقيقة بالذكور والتذكير على خيالها
والالتفات الى التكلم لاظهار الجلالة وتربية المهابة مع ما فيه من تأكيد الاستقلال وكذا اظهار الملائكة
في موضع الاضمار والكلام في اللام وتقدمها مع مجرورها على المفعول كما مر وقرئ بضم تاء الملائكة اتساعا
لضم الجيم في قوله تعالى (اسجدوا لآدم) كما قرئ بكسر الدال في قوله تعالى الحمد لله اتساعا لكسر اللام

وهي لغة ضعيفة والسجود في اللغة الخضوع والتطامن وفي الشرع وضع الجبهة على الارض على قصد العبادة
فقبل أمرنا بالسجود له عليه السلام على وجه التسمية والتكرمة تعظيماً له واعترافاً بفضله وأداء لحق التعظيم
واعتماداً واقع منهم في شأنه وقيل أمرنا بالسجود له تعالى وانما كان آدم قبله لسجودهم تفضيلاً
لشأنه أو سيدنا لوجوبه فكانه تعالى لما برأه انمؤذراً للمبدعات كلها ونسخة منطوية على تعلق العالم الروحاني
بالعالم الجسماني وامتزاجهما على نمط بديع أمرهم بالسجود له تعالى لما علموا من عظيم قدرته فاللام فيه
كما في قول حسان رضي الله عنه أليس أول من صلى لقبلكم وأعرف الناس بالقرآن والمسنن أو في قوله تعالى
اقم الصلاة لذلول الشمس والاول هو الاظهر وقوله عز وجل (فسجدوا) عطف على قلنا والله لا قادة
مسارعهم الى الامتثال وعدم تلغيمهم في ذلك روى عن وهب ان أول من سجد جبريل ثم ميكائيل ثم
اسرافيل ثم عزرائيل ثم سائر الملائكة عليهم السلام وقوله تعالى (الا ابليس) استثناء متصل لما أنه كان جنباً
مفرداً مقموراً بألوف من الملائكة متصفاً بصفاتهم فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثنى استثناء واحد منهم أولاد
من الملائكة جنباً يتوالدون يقال لهم الجن كما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو منهم أولاد الجن أيضاً
كانوا أممورين بالسجود له لكن استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم أو منقطع وهو اسم أعجمي ولذلك لم ينصرف
ومن جعله مشتقاً من الايلاس وهو اليأس قال انه مشبه بالهجة حيث لم يسم به أحد فكان كالاسم الأعجمي
واعلم ان الذي يقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة الاعراف من قوله تعالى ثم قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم فسجدوا والا بليس الآية والتي في سورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه من قوله
تعالى واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الآية أن سجود الملائكة انما ترتب على الامر التخييري
الوارد بعد خلقه وتسويته ونفخ الروح فيه البتة كما يلحق به حكاية امتثالهم بعبادة السجود دون الوقوع
الذي به ورد الامر التعليلي ولكن ما في سورة الحجر من قوله عز وجل واذا قال ربك للملائكة اني خالق بشراً
من صلصال من جمأ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم
أجمعون وما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشراً من طين الى آخر الآية
يستدعيان بظاهرهما ترتبه على ما فيهما من الامر التعليلي من غير أن يتوسط بينهما شيء غير ما يفسد عنه
الفاء الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه عليه السلام وقد روى عن وهب انه كل السجود كما نفخ
فيه الروح بلاتأخير وتأويل الآيات السابقة يجعل ما فيهما من الامر على حكاية الامر التعليلي بعد تحقق المعاق
به اجمالاً فانه حينئذ يكون في حكم التخيير بأياه ما في سورة الاعراف من كلمة ثم المنادية بتأخرو وجود الامر عن
التصوير المتأخر عن الخلق المتأخر عن الامر التعليلي والاعتذار بحمل الترتيب على الترتيب أو الترتيب
في الاخبار وأبان الامر التعليلي قبل تحقق المعلق به لما كان في عدم ايجاب المأمور به بمقتضى عدم جعله
انما حدث بعد تحققه فحكى على صورة التخيير يؤدي بعد التسيار والتي الى ان ما جرى بينه وبينهم عليهم السلام
في شأن الخلافة وما قالوا فيه وما سجدوا انما جرى بعد السجود المسبوق بمعرفة جلالة منزلته عليه السلام
وخروج ابليس من البين باللعن المؤبد لعناده وبعد مشاهدتهم لذلك كله عياناً وادى هو الاخرق لقضية العقل
والنقل والاتجا في التفضي عنه الى تأويل نفخ الروح بحمله على ما يعم افاضة ما به حياة النفوس التي من جعلها
تعليم الاسماء تعسف يفتي عن ضيق المجال فالذي يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر الا ينق بعد التصريح
في مستودعات الكتاب المكنون والتفحص عما فيه من السر الخزون أن سجودهم له عليه السلام انما ترتب على
الامر التخييري المتفرع على ظهور فضله عليه السلام المبني على المحاورة المسبوقة بالاخبار ومخلافته المستظم
جميع ذلك في سلك ما يطي به الامر التعليلي من التسوية ونفخ الروح اذ ليس من قضيته وجوب السجود عقيب
نفخ الروح فيه فان الفاء الجزائية ليست بمن في وجوب وقوع مضمون الجزاء عقيب وجود الشرط من غير تراخ
للقطع بعدم وجوب السعي عقيب النداء لقوله تعالى اذ اودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا لآيته وبعدم وجوب
اقامة الصلاة غيب الاطمئنان لقوله تعالى فاذا اطمأنتم فاقموا الصلاة بل انما الوجوب عند دخول الوقت
كيف لا والحكمة الداعية الى ورودها من قبل من الامر التعليلي أثر في انما هي حل الملائكة عم على التامل
في شأنه عليه السلام ليتدبروا في أحواله طرأ ويحيطوا بما لديه خبرا ويستفهموا ما عسى يستبهم عليهم في أمره

عليه السلام لا يتقانه على حكم آية وأسرار خفية طويت عن علومهم وبشفوا على جليلة الحال قبل ورود
الامر التخييري وتحت الامتثال وقد قالوا بحسب ذلك ما قالوا وعانوا ما عانوا وعدم نظم الامر التخييري
في سلك الامور المذكورة في السورتين عند الحكاية لا يستلزم عدم انتظامه فيه عند وقوع المحكي كما ان عدم
ذكر الامر التعليقي عند حكاية الامر التخييري في السورة الكريمة المذكورة لا يوجب عدم مسبوقيه به فان
حكاية كلام واحد على أساليب مختلفة حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام ليست بعزيزة
في الكتاب العزيز وناهيك بما نقل في توجيه قوله تعالى بشرا مع عدم سبق معرفة الملائكة عليهم السلام بذلك
وحيث صير اليه مع انه لم يرد به نقل فباطل بما قد وقع التصريح به في مواضع عديدة فاعلمه قد ألقى اليهم ابتداء
جميع ما يتوقف عليه الامر التخييري اجالا بان قيل مثلا اني خالق بشرا من كذا وكذا واجعل اياه خليفة
في الارض فاذا استوفى ونفخت فيه من روحي وتبين لكم شأنه ففعلوا له ساجدين فخلقه فسواء ونفخ فيه الروح ففعلوا
عند ذلك ما قالوا أو ألقى اليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشروط المعدودة بان قيل ان نفخ الروح فيه اني جاعل هذا
خليفة في الارض فهناك ذكره وفي حقه عليه السلام ما ذكره واغني الله عز وجل بتعليم الاسماء فتشاهدوا
منه ما شاهدوا فعند ذلك ورد الامر التخييري اعتناء بشأن المأمورية وتعيين الوقت وقد حكى بعض الامور
في بعض المواطن وبعضها في بعضها كقضاء بما ذكر في كل موطن مما ترك في موطن آخر والذي يحسم مادة
الاستنباه ان ما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة الخ يدل من قوله تعالى اذ يختصمون فيما قبله من
قوله تعالى ما كان لي من علم بالملا الا على اذ يختصمون أي بكلامهم عند اختصاصهم والمراد بالملا الا على الملائكة
وآدم عليهم السلام وابليس حسبما طبق عليه جهورا لامة وباختصاصهم ما جرى بينهم في شأن خلافة آدم عليه
السلام من التناول الذي من جلته ما صدر عنه عليه السلام من الانباء بالاسماء ومن قضية البدلية ووقوع
الاختصاص المذكور في تضاعف ما ذكره تفصيلا من الامر التعليقي وما علق به من الخلق والتسوية ونفخ
الروح فيه وما ترتب عليه من مجود الملائكة عليهم السلام وعند ابليس وما تبعه من لعنه واخراجهم من بين
الملائكة وما جرى بعده من الافعال والاقوال واذ ليس تمام الاختصاص بعد مجود الملائكة ومكبرة ابليس
المستتعة لطرده من بينهم لما عرفتم من انه أحد المختصين كما انه ليس قبل الخلق بشيء من استعالة الانباء بالاسماء
حينئذ فهو واذ بعد نفخ الروح وقبل السجود حقا باحد الطريقين والله سبحانه أعلم بحقيقة الامر (اي
واستكبر) استغناؤه مبین لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء وأنه لم يكن للتردد والتامل والاباء
الامتناع بالاختيار والتكبر ان يرى نفسه أكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع أي امتنع عما أمر به
واستكبر من ان يعظمه أو يتقدمه أو يعلوه في عبادته وتقدم الاباء على الاستكبار مع كونه مسببا عنه لظهوره
ووضوح أثره واقتصر في سورة ص على ذكر الاستكبار كقضاء به وفي سورة الحجر على ذكر الاباء حيث قيل
أي ان يكون مع الساجدين (وكان من الكافرين) أي في علم الله تعالى اذ كان أصله من كفره بالحق فلذلك
ارتكب ما ارتكبه على ما فصيح عنه قوله تعالى كان من الحق ففسق عن أمر ربه فالجمله اعتراضية مقررة
للمسبق من الاباء والاستكبار أو صار منهم بلاستقباح أمره تعالى اياه بالسجود لا آدم عليه السلام زعماء
منه انه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالخضوع للفضل كما يفصح عنه قوله انا خير منه حين قيل له
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين لا يترك الواجب وحده فالجمله معطوفة على
ما قبلها وايتار الوأو على الفاء للدلالة على ان بعض الاباء والاستكبار كفر لانها سببان له كما يفهمه الفاء (وقلنا)
شروع في حكاية ما جرى بينه تعالى وبين آدم عليه السلام بعد تمام ما جرى بينه تعالى وبين الملائكة وابليس من
الاقوال والافعال وقد تركت حكاية توبيخ ابليس وجوابه ولعنه واستظهاره وانظاره اجتزاء بما فصل في سائر
السور الكريمة وهو عطف على قلنا للملائكة ولا يقدح في ذلك اختلافه وقبوله فان المراد بالزمان المدلول
عليه بكلمة اذ زمان محتمل واسع للقولين وقيل هو عطف على اذ قلنا باختصار اذ وهذا تكبير لنعمة أخرى موجبة
للمشكر مانعة من الكفر وتصدير الكلام بالنداء في قوله تعالى (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) للتعبية
على الاهتمام بتلقى المأمورية وتخصيص أهل الخطاب به عليه السلام للايدان بأصاليته في مباشرة المأمورية
واسكن من السكنى وهو البت والاقامة والاستقرار دون السكون الذي هو ضد الحركة وأنت ضمير كذبه

المستكن ليصح العطف عليه واختلاف في وقت خلق زوجته فذكر السدي عن ابن مسعود وابن عباس وناس من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين أن الله تعالى لما أخرج إبليس من الجنة واسكنها آدم بقي فيها وحده وما كان معه من يستأنس به فأتى الله تعالى عليه النوم ثم أخذ ضلعاً من جانبه الأيسر ووضع مكانه لحماً وخلق حواء منه فلما استيقظ وجدها عند رأسه فاعده فساءلها ما أنت قالت امرأة قال ولم خلقت قالت لتسكن إلى فقات الملائكة تجزية لعله من هذه قال امرأة قالوا لم سميت امرأة قال لأنها من المرء أخذت فقالوا ما اسمها قال حواء قالوا لم سميت حواء قال لأنها خلقت من شيء وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بعث الله تعالى جنوداً من الملائكة فملاوا آدم وحواء على سرير من ذهب كما يحمل الملوك ولبساهما النور حتى أدخلوهما الجنة وهذا كما ترى يدل على خطئها قبل دخول الجنة والمراد به دار النواب لأنها المعهودة وقيل هي جنة بأرض فلسطين أو بين فارس وكرمان خلقها الله تعالى امتحاناً لآدم عليه السلام وحمل الأهابط على النقل منها إلى أرض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصر لما ان خلقه عليه السلام كان في الأرض بلا خلاف ولم يذكر في هذه القصة رفعه إلى السماء ولو وقع ذلك لكان أولى بالذكر والتذكير لما أنه من أعظم النعم ولأنه لو كانت دار الخلد لما دخلها إبليس وقيل إنها كانت في السماء السابعة بدليل اهبطوا ثم إن الأهابط الأول كان منها إلى السماء الدنيا والثاني منها إلى الأرض وقيل الكل ممكن والأدلة النقلية متعارضة فوجب التوقف وترك القطع (وكلامها) أي من ثمارها وانما وجه الخطاب إليهما تعميلاً للتشريف والترقية ومبالغة في إزالة العلل والأعذار وإذنا بتساويهما في مباشرة الأمور به فان حواء أسوة عليه السلام في الأكل بخلاف السكينة فانها تابعة له فيه (وغدا) صفة للمصدر المؤكد أي أكلا واسعا رافها (حيث شئتما) أي أي مكان أردتما منها وهذا كما ترى إطلاق كلي حيث أبيع لهما الأكل منها على وجه التوسعة البالغة المزيعة للعلل ولم يخطر عليهما بعض الأكل ولا بعض المواضع الجامعة للأكل كولات حتى لا يبقى لهما عذر في تناول ما منعهما من بقوله تعالى (ولا تقربا) بفتح الراء من قربت الشيء بالكسر اقربه بالفتح إذا التبست به وتعرضت له وقال الجوهري قرب بالضم يقرب قربا إذا دنا وقربه بالكسر قربا نادوت منه (هذه الشجرة) نصب على أنه يدل من اسم الإشارة أو نعت له بتأويلها بمشتق أي هذه الحاضرة من الشجرة أي لا تأكل منها وانما علق النبي بالقربان منها مبالغة في تحريم الأكل وجوب الاجتناب عنه والمراد بها الحنطة أو الغنبة أو التينة وقيل هي شجرة من أكل منها أحدث والاولى عدم تعيينها من غير قاطع وقرئ هذي بالياء وبكسر شين الشجرة وتأقربا وقرئ الشجرة بكسر الشين وفتح الياء (فتكونا من الظالمين) مجزوم على أنه معطوف على تقربا أو منصوب على أنه جواب للنهي وأيا ما كان فالقرب أي الأكل منها سبب لكونهم من الظالمين أي الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعصية أو نقصوا حظوظهم بمباشرة ما يحل بالكرامة والتعظيم أو تعدوا واحداً ودأقه تعالى (فأزلهما الشيطان عنها) أي أصدر زلتهما أي زلتهما وسلمهما على الزلة بسببها ونظيرة عن هذه ما في قوله تعالى وما فعلته عن أخرى أو أزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما وأبعدهما عنها يقال زل عني كذا إذا ذهب عنك وبعضه قراءة أزلهما وهما متقاربان في المعنى فان الزلال أي الزلاق يقتضي زوال الزال عن موضعه البتة وإزالة قوله لهما هل أدلك على شجرة الخلد وملاك لايلي وقوله ما منها كما ربكاعن هذه الشجرة الآن تكونا ملكين أو تكتونا من الخالدين ومقامته لهما إلى لكان الناصحين وهذه الآيات مشهورة بأنه عليه السلام لم يؤمر بسكنى الجنة على وجه الخلود بل على وجه التكرمة والتشريف لما قلده من خلافة الأرض إلى حين البعث إليها واختلاف في كيفية توصله إليهما بعد ما قيل له أخرج منها فانك رجيم فقبل أنه انما منع من الدخول على وجه التكرمة كما يد خطها الملائكة عليهم السلام ولم يمنع من الدخول للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل غفل بصورة دابة فدخل ولم يعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية فدخل معها وقيل أرسل بعض أتباعه فأزلهما والعلم عند الله سبحانه (فأخرجهم مما كانوا فيه) أي من الجنة إن كان ضمير عنها للشجرة والتعبير عنها بذلك للايدان فجماعتهما وجلالتهما ولا يستعمله أي من المكان العظيم الذي كانا مستقرين فيه أو من الكرامة والتعظيم إن كان الضمير للجنة (وقلنا اهبطوا) الخطاب لآدم وحواء عليهما السلام بدليل قوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لأنهما أصل الجنس فكانت لهما الجنس كلهم وقيل لهما وللحية وإبليس على أنه أخرج منها ثانياً بعدما كان يدخلها

للوسوسة أو يدخلها مسارقة أو اهبط من السماء وقرئ بضم الباء (بعضكم لبعض عدو) حال استغنى فيها
 عن الواو بالضمير أي متعادين يعني بعضكم على بعض بتضليله أو استئناف لا محل له من الاعراب وان أراد العدو
 أملا للتظن إلى لفظ البعض وأمالا أن وزانه وزان المصدر كالقبول (ولكم في الأرض) التي هي محل الاهباط
 والظرف متعلق بما يتعلق به الخبر أعني لكم من الاستقرار (مستقر) أي استقرار أو موضع استقرار
 (ومتاع) أي تمتع بأعيش وانتفاع به (الحي) هو حين الموت على أن المقيمت مع كل فرد من المخاطبين
 أو القيامة على أنه تمتع الجنس في ضمن بعض الأفراد والجملة كما قبلها في صكونها حالا أي مستحقين للاستقرار
 والتمتع أو استغنا (فقلني آدم من ربه كلمات) أي استقبلها بالآخذ والقبول والعمل بها حين علمها
 ووفق لها وقرئ بنصب آدم ورفع كلمات دلالة على أنه استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى رشاظنا انفسنا
 الآية وقيل سبحانه اللهم وبمحمد له وتبارك اسمك وتعالى جدك لا إله إلا أنت ظلت نفسي فاغفر لي أنه لا يغفر
 الذنوب إلا أنت وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال يارب ألم تخلفني بيدك قال بلى قال يارب ألم تنفخ في من
 روحك قال بلى قال يارب ألم تسبق روحك غضبك قال بلى قال ألم تسكني جنك قال بلى قال يارب ان تبت
 وأصلحت أراجي أنت إلى الجنة قال نعم والقضاء للدلالة على أن التوبة حصلت عقيب الأمر بالهبوط قبل تحقق
 المأمور به والتعرض لعنوان ازبوية مع الإضافة إليه عليه السلام للتشريف والأيان بعليته لاقاء الكلمات
 المدلول عليه بتلخيصها (فتاب عليه) أي رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة والقضاء للدلالة على ترتيبه على تلقى
 الكلمات المتضمن لمعنى التوبة التي هي عبارة عن الاعتراف بالذنب والتندم عليه والعزم على عدم العود إليه
 واكتفى بذلك كثران آدم عليه السلام لما ان حواء تبع له في الحكم ولذلك طوى ذكر النساء في أكثر مواقع
 الكتاب والسنة (أنه هو التواب) أي الرجاء على عبادته بالمغفرة أو الذي يكثر عاينهم على التوبة وأصل
 التوب الرجوع فإذا وصف به العبد كان رجوعا عن المعصية وإذا وصف به البارى عز وجل أريد به الرجوع
 عن العقاب إلى المغفرة (الرحيم) المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد بليغ للتائب بالاحسان مع
 العفو والغفران والجملة تعليل لقوله تعالى تباب عليه (قلنا) استئناف مبنى على سؤال ينسحب عليه
 الكلام كأنه قيل فماذا وقع بعد قبول توبته فقيل قلنا (اهبط وأمنها جميعا) كثر الأمر بالهبوط أي إذا
 بتم مقتضاه وتحققه لا محالة ودفع المانع يسع في أمنيته عليه السلام من استتباع قبول التوبة للعفو عن
 ذلك وإظهار التنوع بأفقه عليه السلام لما بين الأمرين من الفرق التبركيف لا والاول مشوب بضرب مخطط
 من ذل بيان أن مهبطهم دار بلية وتعداد لا يخلدون فيها والثاني مقرون وعدايتا الهدى المؤدى إلى النجاة
 والنجاح وأما ما فيه من وعيد العقاب فليس بمقصود من التكليف قصد أقبال انما هو دائر على سوء اختيار
 المكلفين قيل وفيه تنبيه على أن الحازم يكفيه في الردع عن مخالفة حكم الله تعالى مخافة الاهباط المقترن
 بأحد هذين الأمرين فكيف بالمقترن بهما فقلنا وقيل الاول من الجنة إلى السماء الدنيا والثاني منها إلى الأرض
 وبأبواب التعرض لاستقرارهم في الأرض في الاول ورجوع الضمير إلى الجنة في الثاني وجميعا حال في اللفظ
 وتأكيد المعنى كأنه قيل اهبطوا أنتم اجمعون ولذلك لا يستدعي الاجتماع على الهبوط في زمان واحد كما في
 قولك جاؤا جميعا بخلاف قولك جاؤا معا (فأما يا نبيكم مني هدى) القاء لترتيب ما بعده على الهبوط
 المفهوم من الأمر به وأما مركبة من أن الشرطية وما المزيدة المؤكدة لمعناها والفعل في محل الجزم بالشرط
 لأنه مبنى لاتصاله بنون التأكيدي وقيل معرب مطلقا وقيل مبنى مطلقا والصحيح التفصيل أن بآشرته النون بنى
 والأمر به فهو هل يقومون وتقديم الظرف على الفاعل لما مر غير مرة والمعنى ان يأتيكم مني هدى رسول
 الله اليكم وكتاب أنزله عليكم وجواب الشرط قوله تعالى (من تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)
 كما في قولك ان جئتني فان قدرت أحسنت اليك وإراد كلمة الشك مع تحقق الايمان لا محالة للايدان بأن الايمان
 بالله والتوحيد لا بشرط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب بل يكفي في وجوبه إقاضة العقل ونصب الأدلة الآفاقية
 والانفسية والتكليف من النظر والاستدلال أو للبرى على سنن العظاماء في إيراد عسى ولعل في مواقع القطع
 والجزم والمعنى أن من تبع هداي منكم فلا خوف عليهم في الدارين من حقوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات
 مطلوب أي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لأنه لا يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولأنه لا يعتريهم نفس

الخوف والحزن أصلا بل يستقرون على السرور والتشاط كيف لا واستشعار الخوف والخشية استغناهما
لجلال الله سبحانه وهيبته واستقصاء الجدة والسعي في إقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص
والقربين والمراد بيان دوام انتقامهم ما لا يبان انتقامهم كما يتوهم من كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا
لما تقدم في موضعه أن النبي وإن دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام وأظهر
الهدى مضافا إلى ضمير الجملة لتعظيمه وتأكيده وجوب اتساعه أولان المراد بالشأن ما هو أعم من
الهدايات التشريعية وما ذكر من إفاضة العقل ونصب الأدلة الإفاضة والانتفية كما قيل وقرئ هدى على
لغة هذيل ولا خوف بالفتح (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) عطف على من تبع الخ قسيم له كانه قيل
ومن لم يتبعه وانما أثر عليه ما ذكره تفضيلا لجمال الضلالة وأظهر الكمال قصها وإيراد الموصول بصيغة الجمع
للاشعار بكثرة الكفرة والجمع بين الكفر والتكذيب للايذان بتنوع الهدى إلى ما ذكر من النوعين وإيراد نون
العقوبة لتربية المهابة وإدخال الروعة وإضافة الآيات إليها لإظهار كمال قبح التكذيب بها أي والذين كفروا
برسلنا المرسل اليهم وكذبوا بآياتنا المنزلة عليهم وقيل المعنى كفروا بالله وكذبوا بآياته التي أنزلها على الأنبياء عليهم
السلام وأظهرها بأيديهم من المعجزات وقيل كفروا بالآيات جنائنا وكذبوا بها لسانا فيكون كلا الفعلين
متوجها إلى البحار والجور واللاية في الأصل العلامة الظاهرة قال النابغة

توهمت آيات لها فعرفتها * لست أعوام وذا العام سابع

ويقال لأمصنوعات من حيث دلالتها على الصانع تعالى وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن التميز
عن غيرها بفصل لانها علامة لانفصال ما قبلها عما بعد ها وقيل لانها تجمع كلمات منه فيكون من قولهم خرج
بنو فلان بآيتهم أي بجماعتهم قال خرجنا من البيتين لحي مثلنا * بآيتنا نرجى النعاج المظفلا
واشتقاقها من أي لانها بين أيمن أي أمن أي رجع وأصلها أوية أو أية فأيدت عنها ألفا على غير
قياس أو أوية أو أية كرمكة فأعلت أو أية كقائله غدت الهمزة تخفيفا (اولئك) إشارة إلى الموصول
باعتبار انصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وفيه اشعار بتميزهم بذلك الوصف بتميزا مع الإشارة
الحسية وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فيه وهو مبتدأ وقوله عز وجل (أصحاب النار) أي
ملازموها وملابسوها بحيث لا يفارقونها خبره والجملة خبر الموصول أو اسم الإشارة بدل من الموصول
أو عطف بيان له وأصحاب النار خبره وقوله تعالى (هم فيها خالدون) في حيز النصب على الحالية لورود
النصر بحبه في قوله تعالى أصحاب النار خالدون فيها وقد جوز كونه حالا من النار لاشتراكه على ضميرها والعامل
معنى الإضافة أو اللام المقدرة أو في محل الرفع على أنه خبر آخر لا أولئك على رأي من جوز وقوع الجملة خبرا ثانيا
وفيها متعلق بخالدون والخالدون في الأصل المكث الطويل وقد انعقد الإجماع على أن المراد به الدوام (يا أيها
إسرائيل) تلوين للخطاب وتوجيه له إلى طائفة خاصة من الكفرة المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم
لتذكيرهم بفنون النعم الفاضلة عليهم بعد توجيهه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره بتذكير كلهم بالنعمة
العامة لبني آدم فاطمة بقوله تعالى وأذ قال ربك الخ وأذ قلنا لا اله الا نحن الخ لأن المعنى كما أشير إليه بلغهم كلامي
وأذ كرهم أذ جعلنا أباهم خليفة في الأرض ومسجد الملائكة عليهم السلام وشر فناء بعلم الاسماء وتبليسا
توبته والابن من البناء لانه مبنى أبيه ولذلك ينسب المصنوع إلى صانعه فيقال أبو الحرب وبنت فكر وإسرائيل
لقب به مقبوع عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ إسرائيل بجذف الياء وإسرائيل
بجذفهما وإسرائيل بقلب الهمزة ياء وإسرائيل بهمزة مفتوحة وإسرائيل بهمزة مكسورة بين الراء واللام وتخصيص
هذه الطائفة بالذكور والتذكير لما انهم أوفر الناس نعمة وأكثرهم كفرا بها (أذ كرنا نعمتي التي أنعمت عليكم)
بالفكر فيها والقيام بشكرها وفيه اشعار بأنهم قد نسوا ما بها السكينة ولم يتحذروا ما بالبال لانهم أهملوا شكرها فقط
وإضافة النعمة إلى ضمير الجملة لتشريفها وإيجاب تخصيص شكرها به تعالى وتقييد النعمة بهم لما ان الإنسان
يجب على حب النعمة فإذا نظر إلى ما فاض عليه من النعم حله ذلك على الرضى والشكر قيل أريد بها ما أنعم به
على آباؤهم من النعم التي سبقت تفصيلها عليهم من فنون النعم التي أجعلها أدراك عصر النبي عليه السلام وقرئ
أذ كرنا من الافتعال ونعمتي بإسكان الياء واسقاطها في الدرج وهو مذهب من لا يحولك الياء المكسورة

ما قبلها (وأوفوا بعهدى) بالايمان والطاعة (أوف بعهدكم) بحسن الاثابة والعهدي يضاف الى كل
 واحد من يتولى طرفيه ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان
 والعمل الصالح ينصب الدلائل وارسل الرسل وانزال الكتب ووعد لهم بالثواب على حسناتهم ولأوفوا بهما
 عرض عريض فأول مراتبه منها هو الايمان بكلماتي الشهادة ومن الله تعالى حقن الدماء والاموال واخرها
 من الاستغراق في بحر التوحيد بحيث تغفل عن انفسنا فضلا عن غيرنا ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم
 وأما ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أوفوا بعهدى في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم أوفوا بعهدكم في رفع
 الآصار والاعلال وعن غيره أوفوا بأداء الفرائض وترك الكنائس أوفوا بالغفرة والثواب أوفوا بالاستقامة
 على الطريق المستقيم أوفوا بالكرامة والنعم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى
 أوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة أوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين قوله
 تعالى ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلتكم جنات الخ وقري أوف بالتشديد للمبالغة
 والتأكيد (واي اي فارهبون) فيما تأتون وما تذكرون خصوصاً في تقض العهد وهو أكدي افادة التضمين
 من اياك تعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كأنه
 قيل ان كنتم راهبين شيئاً فارهبوني والرهبة خوف معه تحرزوا الآية متضمنة للوعد والوعيد ودالة على وجوب
 الشكر والوفاء بالعهد وأن المؤمن ينبغي أن لا يخاف الا الله تعالى (وأمنوا بما أنزلت) أفرد الايمان بالقرآن
 بالامر به لما أنه العمدة القصوى في شأن الوفاء بالعهد (مصدقاً لما معكم) من التورية والتعبير عنها بذلك
 للايذان بعلمهم بتصديقه لها فان المعية مثنة لتكرار المراجعة اليها والوقوف على ما في تضاعفها المؤدى الى العلم
 بكونه مصدقاً لها ومعنى تصديقه للتورية انه نازل حسبما نعت فيها أو من حيث انه موافق لها في القصص
 والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وأما ما يترأى من
 مخالفتها لها في بعض جزئيات الاحكام المتفاوتة بسبب تفاوت الاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي
 موافقة لها من حيث ان كلامها حق بالاضافة الى عصره وزمانه متضمن للحكم التي عليها يدور ذلك التشريع
 وليس في التورية دلالة على ابدية احكامها المنسوخة حتى يخالفها ما ينسخها وانما يدل على مشروعيتها مطلقاً
 من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هي ناطقة بنسخ تلك الاحكام فان نطقها بعبدة القران الناسخ لها نطق
 بنسخها فاذن مناط المخالفة في الاحكام المنسوخة انما هو اختلاف العصر حتى لو تأخر نزول المتقدم لنزل على
 وفق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق المتقدم قطعاً ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حياً لما وسعه الا
 اتباعي وتقييد المتزل بكونه مصدقاً لما معكم تأكيد وجوب الامتثال بالامر فان ايمانهم بما معهم مما يقتضى
 الايمان بما يصدقه قطعاً (ولا تكونوا أول كافرين) أى لا تسارعوا الى الكفر به فان وظيفتكم أن تكونوا أول
 من آمن به لما انكم تعرفون شأنه وحقيقته بطريق التلقي مما معكم من الكتب الالهية كما تعرفون أبناءكم وقد كنتم
 تستقصون به وتبشرون بزمانه كما ينبغي فلا تضعوا موضع ما يتوقع منكم ويجب عليكم ما لا يتوقع منهم صدوره عنكم
 من كونكم أول كافرين ووقوع أول كفر به خبراً من ضمير الجمع تأويل أول فريق أو فوج أو بتأويل لا يكن كل
 واحد منكم أول كافر به كقولك كسانا حله ونههم عن التقدم في الكفر به مع أن مشركي العرب اقدم منهم لما أن
 المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما أنا فلست بجاهل أولاد المراد منهم من كونهم أول
 كافرين من أهل الكتاب أو ممن كفر بما عنده فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه أو مثل من كفر من مشركي
 مكة وأول افعول لا فعل له وقيل اصله أول من وأل اليه اذا نجا وخلص فأبدت الهزمة واوا تخفيفاً غريباً
 أو أول من آل فقلت همزته واوا ودعمت (ولا تشتروا بآياتي) أى لا تأخذوا لانفسكم بدلائلها (ثمنا قليلاً)
 من الخطوط الديورية فانها وان جلت قليلة مستزلة بالنسبة الى ما فات عنهم من خطوط الآخرة بترك الايمان
 قيل كانت لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا يخافوا عليها لو اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها
 على الايمان وانما عبر عن المشتري الذي هو العمدة في عقود المعاوضة والمقصود فيها بالتمسك الذي شأنه أن يكون
 وسيلة فيها وقرنت الآيات التي حقها أن تنافس فيها المتنافسون بالبلاء التي تصبب الوسائط اذا تابعتهم
 حيث جعلوا ما هو المقصد الاصل وسيلة والوسيلة مقصداً (واي اي فاتقون) بالايمان واتباع الحق والاعراض

عن حطام الدنيا والما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمداد للمآلى الآية الثانية فصلت بالرهبة التي هي من مقدمات التقوى أولان الخطاب بها للماعى العالم والمقلد أمر فيها بالرهبة المتساولة للفرقةين وأما الخطاب بالثانية فحيث خص بالعلماء أمرهم بالتقوى الذى هو المنتهى (ولا تدلسوا الحق بالباطل) عطف على ما قبله والمبس الخياط وقد يلزمه الاشتباه بين المختلفين والمعنى لا تخلطوا الحق بالباطل الذى تختبرونه وتكتبونه حتى يشبه أحدهما بالآخر أولا تجعلوا الحق ملتبس بسبب الباطل الذى تكتبونه فى تضاعفه أو تذكرونه فى تأويله (وتكفوا الحق) مجزوم داخل تحت حكم النهى كأنهم أمر وأبالايمان وترك الضلال ونحوه وعن الاضلال بالتلبس على من سمع الحق والاختفاء عن لم يسمعه أو منصوب بإضمار أن على ان الواو الجمع أى لا يجهلوا وين ليس الحق بالباطل وبين كنهانه وبعضه انه فى مصنف ابن مسعود وتكفون أى وانتم تكفون أى كاتمين وفيه اشعار بأن استقباح اللبس لما يحجب من كنان الحق وتكرير الحق امالان المراد بالاشير ليس عين الاول بل هو نعت النبي صلى الله عليه وسلم الذى كفه وكتبوا مكانه غيره كما سيجي فى قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم واما لزيادة تقبيح النهى عنه اذ فى التصريح باسم الحق ما ليس فى ضميره (وانتم تعلمون) أى حال كونكم عالمين بانكم لا بسون كاتمون أو وانتم تعلمون انه حق أو وانتم من اهل العلم وليس اراد الحال تقبيد النهى به كما فى قوله تعالى لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى بل لزيادة تقبيح حالهم اذا لم يسهل عسى يعذر (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أى صلاة المسلمين وزكاتهم فان غيرهما يعزل من كونه صلاة وزكاة أمرهم الله تعالى بفروع الاسلام بعد الامر باصوله (واركعوا مع الرাকعين) أى فى جماعتهم فان صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس فى المناجاة وعبر عن الصلاة بالركوع احترازاً عن صلاة اليهود وقيل الركوع الخضوع والافتقاد لما يميزهم الشارع قال الاضبط بن قريع السعدى لا تحقرن المضعف عاك أن تركع يوماً والدمر قد رفعه (أتأمرؤن الناس بالبر) تحريداً للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بعد توجيهه الى الكل والهمزة فيها تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع فى الخير من البر الذى هو الفضاء الواسع يتناول جميع اصناف الخيرات ولذلك قيل البر ثلاثة بر فى عبادة الله تعالى وبر فى مراعاة الاقارب وبر فى معاملة الاجانب (وتنسون انفسكم) أى تتركونهم من البر كالتسليات عن ابن عباس رضى الله عنهم ما فيها نزلت فى اخبار المدينة كانوا يأمرون سراً من نصحوا باتباع النبي صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه طمعا فى الهدايا والصلات التى كانت تصل اليهم من اتباعهم وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وقال السدى انهم كانوا يأمرؤن الناس بطاعة الله تعالى وينهونهم عن معصيته وهم يتركون الطاعة ويقدمون على المعصية وقال ابن جرير كانوا يأمرون الناس بالصلاة والزكاة وهم يتركونها ومدار الانكار والتوبيخ هى الجملة المعطوفة دون ما عطف على عليه (وانتم تعلمون الكتاب) تنبكت لهم وتقريع كقوله تعالى وانتم تعلمون أى والحال انكم تعلمون التوراة الناطقة بنعوته صلى الله عليه وسلم الا حمرة بالايمان به أو بالوعد بفعل الخير والوعيد على الفساد والعناد وترك البر ومخالفة القول بالعمل (افلا تعقلون) أى اتلونه فلا تعقلون ما فيه أو قبح ما تصنعون حتى ترتدوا عنه قالانكار متوجه الى عدم العقل به لتحقيق ما يوجب به المبالغة من حيث التكيف أو الاتيان تلون فلا تعقلون قالانكار متوجه الى كلا الامرين والمبالغة جيتد من حيث العكس والعقل فى الاصل المنع والامسالك ومنه العقل الذى يشد به وظيف البعير الى ذراعه لحبسه عن الحر السعى به التوراة روحانى الذى به يدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية لانه يجبره عن تعاطي ما يوجب ويعقله على ما يحسن والآية كما ترى ناعية على كل من يهمل غيره ولا يتعظ بسوء صنيعه وعدم تأثره وان فعله فعل الجاهل بالشرع أو الاحق انعالى عن العقل والمراد بها كما أشير اليه منه على تركية النفس والاقبال عليها بالتكميل لتقوم بالحق فتقيم غيرها لامنع الضامق من الوعظ يروى انه كان ظلم من العلماء مؤثر الكلام قوى المتصرف فى القلوب وكان كثيراً ما يموت من اهل مجلسه واحداً واثنان من شدة تأثير وعظمه وكن فى بلده عجوزاً ابن صالح رقيق القلب سريع الانفعال وكانت تحتبر عليه وعنه من حضور مجلس الواعظ خضرة يوماعلى حين غفلة منها فوقع من أمر الله تعالى ما وقع ثم ان العجوز لقت الواعظ يومافى الطريق قتالت

لهدى الامام ولا يتهدى • الا ان ذلك لا ينفع

فياجر الشهد حق مق * تسن الحديد ولا تقطع

فلما سمعه الواعظ شوق شهوة غار من فرسه مغشياً عليه فغلموه الى بيته فتوفي الى رحمة الله سبحانه (واستعينوا بالصبر والصلوة) متصل بما قبله كأنهم لما كفوا ما فيه مشقة من ترك الرياضة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار التجمع والفرج وكلا على الله تعالى أو بالصوم الذي هو الصبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلاة والاتجاه اليها فانها جامعة لأنواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف على العبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادة وكف النفس عن الاطمين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب روى انه عليه السلام كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة ويجوز أن يراد بها الدعاء (وانما) أى الاستعانة بهم ما او الصلاة وتخصيصها بردة التمجير اليها لعظم شأنها واشتمالها على ضروب من الصبر كما في قوله تعالى واذا رآوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها أو جلة ما أمر واجها ونهوا عنها (الكبيرة) لثقلها شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه (الاعلى الخاشعين) الخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب وانما لم يثقل عليهم لانهم يتوقعون ما أعد لهم بمقابلتها فترون عليهم ولا أنهم يستغرقون في مناجاة ربهم فلا يدركون ما يجري عليهم من المشاق والمتاعب ولذلك قال عليه السلام وقرة عيني في الصلاة والجملة حالية أو اعتراض تدبيلي (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون) أى يتوقعون لقاءه تعالى ونيل ما عنده من المميزات والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليهم للايذان بفيضان احسانه اليهم أو يتيقنون أنهم يحشرون اليه للجزاء فيعملون على حسب ذلك رغبة ورهبة وأما الذين لا يؤقنون بالجزاء ولا يرجون الثواب ولا يخافون العقاب كانت عليهم مشقة خالصة فتثقل عليهم كالمناقبين والمرائين فالتعرض للعنوان المذكور للاشعار بعلية الربوبية والمالكية للحكم ويؤيده أن في مصحف ابن مسعود رضى الله عنه يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه لتضمين معنى التوقع قال

فأرسلته مستيقن الظن أنه * مخاطم ما بين الشرا سيف جاتف

وجعل خبران في الموضعين اسماء للدلالة على تحقق اللقاء والرجوع وتقررهما عندهم (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتى التي انعمت عليكم) كثر التذكير للتأكيده ولربط ما بعده من الوعيد الشديده (وأني فضلتكم) عطف على ثمنى عطف الخاص على العام الحكمة أى فضلت آباءكم (على العالمين) أى عالمي زمانهم بامختهم من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلتهم انبياء وملوكا مقبلين وهم آباؤهم الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام وبعده قبل أن يغيروا (واتقوا يوما) أى حساب يوم أو عذاب يوم (لا تجزى نفس عن نفس شيئا) أى لا تقضى عنها شيئا من الحقوق فاتصاب شيئا على المفعولية أو شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدرية وقرئ لا تجزى أى لا تغنى عنها فبمعنى النصيب على المصدرية وايراده منكر مع تنكير النفس للتعميم والاقنطاط الكلى والجمله صفة يوم ما والعائد منها محذوف أى لا تجزى فيه ومن لم يجوز الحذف قال اتسع فيه فحذف الجار وأجرى المجرور مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف في قول من قال

فما أدري غيرهم ثناء * وطول العهد أم مال أصابوا

أى أصابوه (ولا تقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل) أى من النفس الثانية العاصية أو من الاولى والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفع شفعا والعدل القدية وقيل البدل وأصله التسوية سمي به القدية لانها تساوى المفدى وتجزى مجزاء (ولا هم ينصرون) أى يمنعون من عذاب الله عز وجل والتعير لما دلت عليه النفس الثانية المنكورة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثرية والتذكير لكونها عبارة عن العباد والاناسى والنصرة ههنا اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وكأنه اريد بالاية نفي أن يدفع العذاب أحد عن أحد من كل وجه محتمل فانه إما أن يكون قهرا أولا والاوّل النصره والثاني إما أن يكون مجازا أولا والاوّل الشفاعة والثاني إما أن يكون بأداء عين ما كان عليه وهو أن يجزى عنه أو بأداء غيره وهو أن يعطى عنه عدلا وقد تمسكت المعتزلة بهذه الاية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر

والجواب انها خاصة بالكفار لا آيات الواردة في الشفاعة والاحاديث المروية فيها وبؤيده أن الخطاب معهم ولزمهم
 عما كانوا عليه من اعتقاد أن آباءهم الانبياء يشفعون لهم (واذ نجيناكم من آل فرعون) تذ كبر لتفصيل ما
 أجل في قوله تعالى نعمتي التي انعمت عليكم من فنون النعماء ومنوف الا لآي واذ كروا وقت نصيحتنا
 اياكم أي آباءكم فان نصيحتهم نصيحة لا عقابهم وقرئ انجييتكم. وأصل آل اهل لان نصيره اهل وخص بالاضافة
 الى أولى الاخطار كالانبياء عليهم السلام والملوك وفرعون لقب لمن ملك النعمة ~~ككسرى~~ ملك الفرس
 وقبصر ملك الروم وخافان ملك الترك ولعتوه اشتق منه تفرعن الرجل اذا اعتسا وتقرّد وكان فرعون موسى
 عليه السلام مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد امن بقايا عاد وقيل انه كان عطارا أصفها نيا ركبته الديون فأفلس
 فاضطر الى الخروج فلق بالشام فلم يسن له المقام به فدخل مصر فرأى في ظاهره حلاما من البطيخ يدبرهم وفي نفسه
 بطيخا يدبرهم فقال في نفسه ان يسرى ادا الدين فهذا طريقه فخرج الى السواد فاشترى حلاما يدبرهم فتوجه به
 الى السوق فكل من لقيه من المكاسب اخذ وامنه بطيخا فدخل البلد ومامعه الابطيخة فذبحها فباعها بدبرهم
 ومتى لوجهه ورأى اهل البلد متروكين سدى لا يعطى أحد ساستهم وكان قد وقع بهم وبه عظيم فتوجه نحو
 المقابر فرأى ميتا يدفن فتعرض لاوليائه فقال أنا امين المقابر فلا أدعكم تدفنونه حتى تعطوني خمسة دراهم
 فدفعوها اليه ومضى لا خروا حتى جمع في مقدار ثلاثة أشهر ما لا عظميا ولم يتعرض له أحد قط الى أن تعرض
 يوما لاوليائه ميت فطلب منهم ما كان يطلب من غيرهم فأبوا ذلك فقالوا من نصبتك هذا المنصب فذهبوا به الى
 فرعون فقال من أنت ومن أقامك بهذا المقام قال لم يتبقى أحد وانما فعلت ما فعلت ليحضرني أحد الى مجلسك
 فأنيك على اختلال حال قومك وقد جعلت بهذا الطريق هذا المقدار من المال فأحضره ودفعه الى فرعون
 فقال ولقي امورك ترضى امينا كافيا فولاها يا هافس اربهم سيرة حسنة فانتظمت مصالح العسكر واستقامت أحوال
 الرعية ولبت فيهم دهر اطويلا وراى امره في العدل والصلاح فلما مات فرعون أقاموه مقامه فكان من امره
 ما كان وكان فرعون يوسف ريان وكان بينهما أكثر من أربعين سنة (يسومونكم) أي يغيرونكم من سامه
 خسفا اذا اولاه ظلموا أصل الذهاب في طاب الشيء (سوء العذاب) أي افظعه وأقصه بالنسبة الى سائر السوء
 مصدر من سامه ونصبه على المفعولية ليسومونكم والجله حال من الفهم في نجيناكم أو من آل فرعون أو منها
 جميعا لا شماليها على ضميرهما (يذبحون آباءكم ويستقيمون نسائكم) بيان ليسومونكم ولذلك ترك العاطف
 بينهما وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ما فعلوا لما أن فرعون رأى في المنام أو أخبر الكهنة انه سيولد
 منهم من يذهب بملكه فلم يردأ جهادهم من قضاء الله عز وجل شيأ قبل قتلوا بتلك الطريقة تسعمائة ألف مولود
 وتسعين ألفا وقد أعطى الله عز وجل نفس موسى عليه السلام من القوة على التصرف ما كان يعطيه اولئك
 المقتولين لو كانوا أحياء ولذلك كانت معجزاته ظاهرة باهرة (وفي ذلكم) اشارة الى ما ذكر من التذبيح
 والاستحياء أو الى الانحاء منه وجمع الضمير للمضاطبين فعلى الاول معنى قوله تعالى (بلاء) محنة وبليّة
 وكون استحياء نسائهم أي استبقائهم على الحياة محنة مع انه عفو وترك للعذاب لما أن ذلك كان للاستعمال
 في الاعمال الشاقة وعلى الثاني نعمة وأصل البلاء الاختيار ولكن لما كان ذلك في حقه سبحانه محالا وكان
 ما يجري مجرى الاختيار لعباده تارة بالمحنة وأخرى بالنعمة اطلق عليهما وقيل يجوز أن يشار بذلك الى البلية
 ويراد بالبلاء انقدر المشترك الشامل لهما (من ربكم) من جهته تعالى بتسلطهم عليكم أو بعث موسى
 عليه السلام وبثوبيقه لتخليصكم منهم أو بهما معا (عظيم) صفة لبلاء وتشكيهما للتضيق وفي الآية التكرية
 تنبيه على أن ما يصيب العبد من السراء والضراء من قبيل الاختيار فعليه الشكر في المساء والصبر على
 المآثر (واذ فرقنا بكم البحر) بيان لسبب النجاة وتصوير لكيفية اثر تذ كبرها وبيان عظمها وهولها وقدين
 في تضاعف ذلك نعمة جليلة أخرى هي الانجاء من الفرق أي واذ كروا اذ فلقناه بساكنكم أو ملتبسا بكم
 كقوله تعالى تبت بالدهن أو بسبب انجائكم وقد اتينا بين بعضه وبعض حتى حصلت مسالك وقرئ بالتشديد
 للتكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط (فأنجييناكم) أي من الفرق بانخراجكم الى الساحل
 كما يلوح به العدول الى صيغة الافعال بعد ايراد التضييق من فرعون بصيغة التفعيل وكذا قوله تعالى
 (وأخرجنا آل فرعون) أريد فرعون وقومه وانما اقتصرت على ذكرهم لانه أولى به منهم وقيل شخصه كما روي

ان الحسن رضى الله عنه كان يقول اللهم صلى على آل محمد أى شخصه واستغنى بذكره عن ذكره ووجهه
 (وانتم تنظرون) ذلك أو غرقهم والطباق البصر عليهم أو انقلاق البحر عن طرق يابسة مذلة أو جثثهم التي
 قد فها البحر الى الساحل أو ينظر بعضكم بعضا روى انه تعالى امر موسى عليه السلام أن يسرى بني
 اسرائيل فخرج بهم فصحبهم فرعون وجنوده وصادفوه على شاطئ البحر فأوحى الله تعالى اليه ان اضرب
 بعضالبحر ففصر به بها فظهر فيه اشعاء شريطا يابسافلكوها فقالوا تخاف أن يفرق بعض اخواننا فلانظلم
 ففتح الله تعالى فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر فلما وصل اليه فرعون فرآه منفلقا اقصره
 هو وجنوده فغشيهم ما غشيهم واعلم أن هذه الواقعة كما انها موسى معجزة عظيمة تخزنها اطم الجبال ونعمة
 عظيمة لا وانل بنى اسرائيل موجبة عليهم شكرها كذلك اقتصاصها على ما هي عليه من رسول الله صلى الله
 عليه وسلم معجزة جليلة تطمئن بها القلوب الالوية * وتنقاد لها النفوس الغيبة * موجبة لاعتقائهم أن يلقوها
 بالاذعان فلا تأثرت أوائلهم بشاهدتها ورويتها * ولانذكرت أو اخرهم بتذكيرها وروايتها * فيلها من عصاية
 ما عصاها وطائفة ما اطفاها (واذواعدنا موسى اربعين ليلة) لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون
 وعد الله موسى عليه السلام أن يعطيه التوراة وضرب له ميثاقا اذا القعدة وعشر ذى الحجة وقبل وعد
 عليه السلام بنى اسرائيل وهو بمصر أن اهلك الله عدوهم أناهم يكاب من عند الله تعالى فيه بيان ما يأتون
 وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين وهو شهر ذى القعدة ثم زاد عشرا
 من ذى الحجة وعبر عنها باللبالي لانها غررا الشهر ووصيعة المفاعلة بمعنى الثلاثي وقبل على اصلها تنزيلا لقبول
 موسى عليه السلام منزلة الوعد وأربعين ليلة مفعول ثان لواعدنا على حذف المضاق أى تمام اربعين
 ليلة وقرئ وعدنا (ثم اتخذتم العجل) يتسويل الساحرى الها ومعبودا وثم للتراخي الرتبى (من بعده)
 أى من بعد مضيه الى الميثاق على حذف المضاق (وانتم ظالمون) بأشراككم ووضعكم للشيء
 فى غير موضعه وهو حال من ضمير اتخذتم أو اعتراض تذيلى أى وانتم قوم عادتكم الظلم (ثم عقونا عنكم)
 حين تبتم والعفو يحو الجارية من عفاه درسه وقد يحى لازما قال

عرفت المنزل الخالى * عفا من بعد أحوال
 عفاه كل هتان * كثير الويل هطال

وقوله تعالى (من بعد ذلك) أى من بعد الاتخاذ الذى هو متناه فى القبح للايدان بكال بعد العفو بعد تلك
 المرتبة من الظلم (لعلكم تشكرون) لى تشكروا نعمة العفو وتقرؤا بهم ذلك على الطاعة (واذ آتينا
 موسى الكتاب والفرقان) أى التوراة الجامعة بين كونها كتابا ووجه تفرق بين الحق والباطل وقيل أريد
 بالفرقان معجزاته الفارقة بين الحق والمبطل فى الدعوى أو بين الكفر والايان وقيل الشرع الفارق بين الحلال
 والحرام أو النسر الذى فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر (لعلكم تهتدون)
 لى تهتدوا بالتدبير فيه والعمل بما يحويه (واذ قال موسى لقومه) بيان لكيفية وقوع العفو والمذكور
 (يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باخذكم العجل) أى معبودا (تتوبوا) أى فاعزموا على التوبة (الى
 بارئكم) أى الى من خلقكم برئ من العيوب والنقصان والتفاوت وميز بهضكم من بهض بصور وهيات
 مختلفة وأصل التركيب الخلوص عن الغير ما بطريق التفصى كما فى برئ المريض أو بطريق الانشاء كما فى
 برأ الله آدم من الطين والتعريض لعنوان البارئية للاشعار بأنهم بلغوا من الجهالة اقصاها ومن الغواية
 منتهاهما حيث تركوا عبادة العليم الحكيم الذى خلقهم بلطف حكمته برئ من التفاوت والتنافر الى عبادة
 البقر الذى هو مثل فى الغباوة وأن من لم يعرف حقوق منعمه حقيق بأن تستردحى منه ولذلك أمروا بالقتل
 وفك التركيب (فاقتلوا انفسكم) تماما لتوبتكم بالبيع أو بقطع الشهوات وقيل أمر وأن يقتل بعضهم بعضا
 وقيل أمر من لم يعبد العجل بقتل من عبده يروى أن الرجل كان يرى قريه فلم يقدر على المضى لامر الله تعالى
 فأرسل الله ضباية وحصاية سوداء لا يتباصرون بها فأخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى
 وهارون عليهما السلام فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الف والقاء الاولى للتسبيح
 والثانية للتعقيب (ذلكم) اشارة الى ما ذكر من التوب والقتل (خير لكم عند بارئكم) لما أنه طهرة عن الشرك

ووصله الى الحياة الابدية واليهجة السرمدية (فتاب عليكم) صطف على محذوف على أنه خطاب منه سبحانه
 على نهج الالتفات من التكلم الذي يقتضيه سياق النظم الكريم وسباقه فان مبنى الجميع على التكلم الى الغيبة
 ليكون ذريعة الى استناد الفعل الى ضمير يارتكهم المستتبع للايدان بعلمية عنوان البارئية والخلق والاحياء
 لقبول التوبة التي هي عبارة عن العفو عن القتل وتقديره فعلته ما أمرتم به فتاب عليكم يارتكهم وانما لم يقل فتاب
 عليهم على أن الضمير لقوم لما أن ذلك نعمة أريد التذكير بها للمخاطبين لاسلافهم هذا وقد جوز أن يكون
 فتاب عليكم متعلقا بمحذوف على انه من كلام موسى عليه السلام لقومه تقديره ان فعلتم ما أمرتم به فقد تاب
 عليكم ولا ينبغي أنه معزول من اللبقة بجلالة شأن التنزيل كيف لا وهو حينئذ حكاية لوعده موسى عليه السلام
 قومه بقبول التوبة منه تعالى لا لقبوله تعالى حقا وقد عرفت أن الآية الكريمة تفصيل لكيفية القبول المحكي
 فيما قبل وأن المراد تذكير المخاطبين بتلك النعمة (انه هو التواب الرحيم) تعليل لما قبله أي الذي يكثر توفيق
 المذنبين للتوبة ويبلغ في قبولها منهم وفي الانعام عليهم (واذ قلتم يا موسى ان نؤمن لك) تذكرة لنعمة أخرى
 عليهم بعد ما صدر عنهم ما صدر من الجناية العظيمة التي هي اتخاذ الجمل أي لنؤمن لاجل قولك ودعوتك
 أولن نقر لك والمؤمن به اعطاء الله ما ياء التوراة وتكليمه اياه وأنه نبي أو أنه تعالى جعل نوبتهم بقتلهم انفسهم
 (حتى نرى الله جهرة) أي عيانا وهي في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة لما بينهما من
 الاتحاد في الوضوح والانكشاف الا ان الاول في المسجوعات والثاني في المبصرات ونصها على المصدرية لانها
 نوع من الرؤية أو حال من الفاعل أو المفعول وقرئ بفتح الهاء على انها مصدر كالغلبة أو جمع كالكسبية فيكون
 حالا من الفاعل لا غير والقاتلون هم السبعون المختارون لميقات التوبة عن عبادة الجمل روى أنهم لما قدموا
 على ما فعلوا وقالوا ان لم يرجعنا وبغفر لنا لنكون من الخاسرين أمر الله موسى عليه السلام أن يجمع
 سبعين رجلا ويحضر معهم الطور فيظهرون فيه تلك التوبة فلما خرجوا الى الطور وقع عليه عود من الغمام ونفث
 كله فكلم الله موسى عليه السلام بأمره ونيهاه وكان كلما كلمة تعالى أوقع على جبهته نورا ما طعنا لا يستطيع أحد
 من السبعين النظر اليه وسمعوا كلامه تعالى مع موسى عليه السلام أفعل ولا تفعل فعند ذلك طمعو في الرؤية
 فقالوا ما قالوا كما سأل في سورة الاعراف ان شاء الله تعالى وقبل عشرة آلاف من قومه (فأخذتكم
 الصاعقة) لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه سبحانه وتعالى مما يشبه الاجسام ويتعلق به
 الرؤية تعلقها بها على طريق المقابلة في الجهات والاحياز ولا ريب في استحالة انما الممكن في شأنه تعالى الرؤية
 المنزهة عن الكيفيات بالكلية وذلك للمؤمنين في الآخرة وللأفراد من الانبياء الذين باقوا في صفاء الجوهر الى
 حيث تراههم كأنهم وهم في جلايب من أبدانهم قد نضوا وتجردوا عنها الى عالم القدس في بعض الاحوال في
 الدنيا قبل جات نار من السماء فأحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنودهم وبجسدها غرقوا وصعقوا صاعقين ميتين وما ولبه
 وعن وهب انهم لم يموتوا بل لما رأوا تلك الهيئة الهائلة أخذتهم الرعدة ورجفوا حتى سكادت عين مفاصلهم
 وتنفض ظهورهم وأشرفوا على الهلاك فعند ذلك بكى موسى عليه السلام ودعا ربه فكشف الله عز وجل عنهم
 ذلك فرجعت اليهم عقولهم ومشاعرهم ولم يكن صعقة موسى عليه السلام موتا بل غشية اقوله تعالى فلما أفاق
 (وأنت تنظرون) أي ما اصابكم بنفسه اوباناره (ثم بعثناكم من بعد موتكم) بتلك الصاعقة قيد البعث به
 لما انه قد يكون من الانعماء وقد يكون من التوم كإي قوله تعالى ثم بعثناهم انهم لم الخ (لعلكم تشكرون) أي
 نعمة البعث أو ما كفرتموه بما رأيتم من بأس الله تعالى (وظللنا عليكم الغمام) أي جعلناها بحيث تلقى عليكم
 ظلها وذلك انه تعالى سجر لهم السحاب يسر يسرهم وهم في التيه يظلمهم من الشمس وينزل بالليل عود من نار
 يسرون في ضوته وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى (وأزلقنا عليكم المن والسلوى) أي التريجيين والسفاني وقيل كان
 ينزل عليهم المن مثل الثلج من القبر الى الطلوع لكل انسان صاع وبعث الجنوب عليهم السمان فيذيب الرجل منه
 ما يكفيه (كوا) على ارادة القول أي قاتلين لهم او قبل لهم كلوا (من طيبات ما رزقناكم) من مستلذاته
 وما موصولة سكات أو موصوفة عبارة عن المن والسلوى (وما ظلمونا) كلام عدل به عن نهج الخطاب
 السابق للايدان باقتضاء جنابات المخاطبين للاعراض عنهم وتعداد قبائحهم عند غيرهم على طريق المباشرة
 معطوف على مضمرة قد حذف للايجاز ولا شعار بأنه امر محقق غفي عن التصريح به أي فظلموا بان كفرنا ذلك

الذم الجلية وما ظلموا بذلك (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بالكفر ان ادلا بخطاهم ضرره وتقديم المفعول
للدلالة على القصر الذي يقتضيه النفي السابق وفيه ضرب تمكيمهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة
على تعاديه في الظلم واستمرارهم على الكفر (واذ قلنا) تذكرا لنعمة أخرى من جنابه تعالى وكفرة أخرى
لاسلافهم أي واذكروا وقت قولنا لا يأتكم أثر ما انقذناهم من التيه (ادخلوا هذه القرية) منصوبة على
الطرفية عند سبويه وعلى المفعولية عند الاخفش وهي بيت المقدس وقيل أريحا (فكلوا منها حيث شئتم
ورغدا) أي واسعا هنيا ونصبه على المصدرية أو الحالية من ضمير المخاطبين وفيه دلالة على أن المأمور به
الدخول على وجه الإقامة والسكنى فيقول الى ما في سورة الاعراف من قوله تعالى اسكنوا هذه القرية
(وادخلوا الباب) أي باب القرية على ما روى من انهم دخلوا أريحا في زمن موسى عليه السلام كما سيبي في سورة
المائدة أو باب القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام (سجدًا)
أي متطامنين مخضين أو ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه (وقولوا حطة) أي مسئلتنا أو أمرنا حطة
وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة أو على انها مفعول قولوا
أي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه أمرنا حطة أي أن نخطر رسالتنا في هذه القرية ونقيم بها (تغفر لكم خطاياكم)
لما تفعلون من السجود والدعاء وقرئ بالياء والتاء على البناء للفعول وأصل خطايا خطايي كضايغ فعند سبويه
أبدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان وأبدلت الثانية ياء ثم قلبت ألفا وكانت الهمزة بين
ألفين فأبدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بها ما ذكر (وسيزيد المحسنين) ثوابا جعل الامتثال
توبة للمسيء وسبب الزيادة الثواب للمحسن وأخرج ذلك عن صورة الجواب الى الوعد ايذانا بان المحسن يصدد
ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة (فبذل الذين ظلموا) بما أمروا به من التوبة والاستغفار
بأن أعرضوا عنه وأوردوا مكانه (قولا) آخر مما لا خفيه روى انهم قالوا مكان حطة حطة وقيل قالوا
بالنبطية حطاسمقنا يعنون حطة حراء استخفا فابأمر الله عز وجل (غير الذي قيل لهم) ذمت لقولا
وانما صرح به مع استحالة تحقق التبدل بالامغارة تحقيقا لمخالفتهم وتنصيصا على المغيرة من كل وجه
(فأنزلنا) أي عقيب ذلك (على الذين ظلموا) بما ذكر من التبدل وانما وضع الموصول موضع الضمير العائد
الى الموصول الاول للتعليل والمبالغة في الذم والتقريع وللتنصيح بأنهم بما فعلوا قد ظلموا انفسهم بتعريضها
لسخط الله تعالى (وجرام من السماء) أي عذابا مقدرا منهم والتحويل والتفخيم (بما كانوا يفسقون)
بسبب فسقهم المستمر حسيما يفيد الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل وتعليل انزال الرجز به بعد الاشعار بتعليله
بظلمهم للايدان بأن ذلك فسق وخروج عن الطاعة وظل في الظلم وأن تعذيبهم بجميع ما ارتكبه من القبائح
لا يعدم ثوبهم فقط كما يشعر به ترتيبه على ذلك بالفاء والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجز وقرئ بالضم
وهو افة فيه والمراد به الطاعون روى انه مات به في ساعة واحدة أربعة وعشرون ألفا (واذا استسقى موسى
لقومه) تذكرا لنعمة أخرى كفرورها وكان ذلك في التيه حين استولى عليهم العطش الشديد وتغيير الترتيب
لما اشير اليه من ارامن قصد ابراز كل من الامور المحدودة في معرض أمر مستقل واجب التذكير والتذكر
ولوروى الترتيب الوقوعي لفهم أن الكل أمر واحد أمر يذكروه واللام متعلقة بالفعل أي استسقى لاجل قومه
(فقلنا اضرب بعصاك الحجر) روى انه كان حجرا طوريا مكعبا حله معه وكان يذبح من كل وجه منه ثلاث أعين يسيل
كل عين في جدول الى سبط وكانوا اسمائة ألف وسعة المعسكر اثني عشر ميلا وكان حجرا أهبطه الله تعالى مع آدم
عليه السلام من الجنة ووقع الى شعيب عليه السلام فأعطاه موسى عليه السلام مع العصا وكان هو الحجر الذي
فترثوه حين وضعه عليه ليقتل ويترأه الله تعالى به عمار موهبه من الاخرة فأشار اليه جبريل عليه السلام أن
يجعله أو كان حجرا من الجارة وهو الاظهر في الحجة قيل لم يؤمر عليه السلام بضرب حجر بعينه ولكن لما قالوا
كيف بنا لو أفضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجر في محلته وكان يضربه بعصا اذا نزل فيستجير ويضربه اذا
ارتحل فيميس فقالوا ان فقد موسى عصا متاعا فأسأله الله تعالى اليه أن لا تضرع الحجر وكله يطعن لعلمهم
باعتبارهم وقيل كان الحجر من رخام حجه ذراع في ذراع والعصا عشرة اذرع على طوله عليه السلام من آس الجنة
ولها شعبتان تتقدان في الظلمة (فانجبرن) عطف على مقدرة نصب عليه الكلام قد حذف للدلالة على كمال

سرعة تحقق الاخبار كانه حصل عقيب الامر بالضرب أي فاضرب فاضربت (منه اثنا عشرة عينا) وأما تعلق الفاء
بمجرد وف أي فان ضربت فقد اضربت فحققت بجلالة شأن النظم الكريم كما لا يخفى على أحد وقرئ عشرة
بكسر الشين وقصها وهما أية الفتن (قد علم كل أناس) كل سبط (مترجمهم) عنيهم الخاصة بهم (كلوا
واشربوا) على ارادة القول (من رزق الله) هو ما رزقهم من المن والسلوى والماء وقيل هو الماء وحده
لانه يؤكل ما يشرب به من الزروع والثمار ويأباه أن المأمورية أكل النعمة العتيدة لا ما سيطبونه واضاقته
اليه تعالى مع استناد الكل اليه خلقا وملكا أما للتشريف وأما الظهوره بفرض عادي وانما يقل من رزقنا
كما يقتضيه قوله تعالى قلنا الخ اذ انابا أن الامر بالاكل والشرب لم يكن بطريق انطاب بل بواسطة موسى عليه
السلام (ولا تعصوا في الارض) العني أشد الفساد وقيل لهم لا تتحدوا في الفساد حال كونكم (مفسدين)
وقيل انما قيده لان العني في الاصل مطلق التعدي وان غلب في الفساد وقد يكون في غير الفساد كما في مقابلة
الظالم المعتدي بفعله وقد يكون فيه صلاح راجع كقتل الخضر عليه السلام للغلام وخرقه للسفينة وتطيره العيث
خلاله غالب فيما يذكر حسا (واذ قلتم) نذ كبر لحناية اخرى لاسلافهم وكفر انهم انعمة الله عز وجل
واخلادهم الى ما كانوا فيه من الذنابة والخساسة واستناد القول المحكي الى اخلافهم وتوجيه التوبيخ اليهم
لما بينهم من الاتحاد (يا موسى ان تصبر على طعام واحد) لعلمهم لم يريدوا بذلك جمع ما طلبوا مع ما كان لهم من
النعمة ولا زوالها وحصول ما طلبوا ومكانها اذ ياباه التعرض للوحدة بل أرادوا أن يكون هذا تارة وذات اخرى
روى أنهم كانوا فلاحا فترعوا الى عكرهم فأجوا ما كانوا فيه من النعمة العتيدة لوحدها النوعية واطرادها
وتأقت انفسهم الى الشقاء (فادع لنا ربك) أي سله لاجلنا بدعائك آياه والفاء لسببية عدم الصبر للدعاء
والتعرض لعنوان الربوبية لتمهيد مبادئ الاجابة (يخرج لنا) أي يظهر لنا ويوجد والجزم بطواب الامر
(بما تنبت الارض) استناد مجازي باقامة القابل مقام الفاعل ومن تعضية والقي في قوله تعالى
(من يقلها وقتنا بما وقومها وعدسها وبصلها) بيانية واقعة موقع الحال أي كأننا من يقلها الخ وقيل بدل
بإعادة الجار والبال قبل ما تنبت الارض من المضمر والمراد به أطايبه التي تؤكل كالنعناع والكرفس والكرثان
وأشباهاها والقوم الخنطة وقيل الثوم وقرئ قناتها بضم القاف وهو لغة فيسه (قال) أي الله تعالى
أوموسى عليه السلام انكارا عليهم وهو استئناف وقع جوابا عن سؤال مقدر كأنه قيل فإذا قال لهم
فقيل قال (أنستبدلون) أي أناخذون لانفسكم وتختارون (الذي هو أدنى) أي اقرب منزلة
وأدون قدرا سهل المثال وهين الحصول لعدم كونه مرغوبا فيه وكونه نافعا مرذولا قليل القيمة وأصل
الذوق القرب في المكان فاستعير للغة كما استعير البعد للشرف والرضا قليل بعيد المحل وبعد الهمة وقرئ
ادنا من الذنابة وقد حلت المشهورة على ان ألفها مبدلة من الهمزة (بالذي هو خير) أي بمقابله ما هو
خير فان الباء تعصب المذهب الزائل دون الآتي الحاصل كما في التبدل والتبدل في مثل قوله عز وجل ومن
يتبدل الكفر بالايمان وقوله وبذلناهم بحببتهم جنين ذواتي أكل خط وليس فيه ما يدل قطعاً على انهم
أرادوا زوال المن والسلوى بالمرّة وحصول ما طلبوا مكانه لتحقيق الاستبدال فيما مر من صورة المناوبة
(اهبطوا مصر) أمر وابه بالذنابة مطلبهم أو اسعافا للمراهم أي انحدروا اليه من التيه يقال هبط
الوادي وقرئ بضم الباء والمصر البلد العظيم وأصله الخدين الشين وقيل أريد به العلم وانما صرف
لأنه يكون وسطه أولتا ولبه بالبلد دون المدينة ويؤيده أنه في مصحف ابن مسعود رضى الله عنه غير منون
وقيل أصله مصر ايم فعرب (فان لكم ما سألتكم) تعليل للامر بالهبط أي فان لكم فيه ما سألتكم
وأمّل التعبير عن الاشياء المسئلة بما لا يهين بذكرها كأنه قيل فانه كثير فيه مبتذل يناله كل
أحد بغير مشقة (وضربت عليهم الذلة والمسكنة) أي جعلنا محيطين بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه
أو الصقناهم و جعلنا ضربا لا يرب لا تنفكان عنهم مجازاة لهم على كفرانهم من ضرب الطين على الخاطا بطريق
الاستعارة بالكناية واليهود في غالب الامر ادلاء ما كان على الحقيقة واما الخوف أن تضاعف جزيتهم
(وبلاءوا) أي وجعوا (بفضب) عظيم وقوله تعالى (من الله) متعلق بمحذوف هو صفة لفضب مؤكدة
لما فاده التنوين من الغنامة الذاتية بالغنامة الاضافية أي بفضب كائن من الله تعالى أو صاروا احقابه من

قولهم يا فلان بفلان أى صار حقيقاً بأن يقتل بمقابلته ومنه قول من قال بوء بشمس نعل كليب وأصل اليوم المساواة (ذلك) إشارة الى ما سلف من ضرب الذلة والمسكنة واليوم بالغضب العظيم (بأنهم) بسبب انهم كانوا يكفرون على الاستقرار (بآيات الله) الباهرة التى هى المعجزات الساطعة الظاهرة على يدى موسى عليه السلام بماعده وما لم يعد (ويقتلون النبيين بغير الحق) كشعبان وزكريا ويحيى عليهم السلام وفائدة التقييد مع أن قتل الانبياء يستحيل أن يكون بحق الا إذا كان ذلك عندهم أيضاً بغير الحق اذ لم يكن أحد معتقداً بحقيقة قتل أحد منهم عليهم السلام وانما حملهم على ذلك حب الدنيا واتباع الهوى والغلو فى العصيان والاعتداء كما يفصح عنه قوله تعالى (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) أى جرهم العصيان والتحدى فى العدوان الى ما ذكر من الكفر وقتل الانبياء عليهم السلام فان صفار الذنوب اذا دووم عليها أدت الى كبرها كما أن مداومة صفار الطاعات مؤدية الى تحزى كبرها وقيل كثررت الاشارة للدلالة على أن ما لحقهم كانه بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله تعالى وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والبلاء بمعنى مع ويجوز الاشارة الى المتعدد بالمفرد بدأ ويل ما ذكر أو تقدم كما فى قول رؤبة بن العجاج فيها خطوط من سواد وبلق * كأنه فى الجملد نوليع البهق

أى كان ما ذكر والذي حسن ذلك فى المضمرات والمبهمات أن تثبتها ووجهها ليساعلى الحقيقة ولذلك جاء الذى بمعنى الذين (ان الذين آمنوا) أى بالسنتهم فقط وهم المنافقون يقرئهم انتظامهم فى سلك الكفرة والتعبير عنهم بذلك دون عنوان النفاق للتصريح بأن تلك المرتبة وان عبر عنها بالايمان لا تجديهم نفعاً أصلاً ولا تنقذهم من ورطة الكفر قطعاً (والذين هادوا) أى تهودوا من هادوا اذا دخل فى اليهودية ويهودا ما عربى من هادوا اذا تاب سموا بذلك حين تابوا من عبادة العجل وخصوا به لما كانت بؤيتهم بؤية هاتله واما معرب يهودا كأنهم سموا باسم اكبر أولاد يعقوب عليه الصلاة والسلام (والنصارى) جمع نصران كندامى جمع ندمان يقال رجل نصران وامرأة نصرانية والبلاء فى نصرائى للمبالغة كما فى أخرى سموا بذلك لانهم نصرروا المسيح عليه السلام أولانهم كانوا معه فى قرية يقال لها نصران فسموا باسمها ونسبوا اليها والبلاء للنسبة وقال الخليل واحد النصارى نصرى كهوى ومهاري (والصابئين) هم قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب فهو ان كان عربياً فمصبأ اذا خرج من دين الى آخر وقرئ بالبلاء اما للتخفيف واما لانه من صلب اذا مال لما انهم مالوا من سائر الاديان الى ما هم فيه أو من الحق الى الباطل (من آمن بالله واليوم الآخر) أى من أحدث من هذه الطوائف ايماناً صالحاً بالبدا والمعاد على الوجه اللائق (وعمل) عملاً (صالحاً) حسناً يقتضيه الايمان بما ذكر (فلهم) بمقابلته ذلك (أجرهم) الموعود لهم (عند ربهم) أى مالك أمرهم ومبلغهم الى كمالهم اللائق فمن اما فى محل الرفع على الابتداء خبره جلة فلهم أجرهم والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط كما فى قوله تعالى ان الذين قتلوا المؤمنين الآية وجمع الضمائر الثلاثة باعتبار معنى الموصول كما أن افراد ما فى الصلة باعتبار لفظه والجمله كما هى خبران والعائد الى اسمها محذوف أى من آمن منهم الخ واما فى محل النصب على البدلية من اسم ان وما عطف عليه وخبرها فلهم أجرهم وعند متعلق بما يتعلق به لهم من معنى النبوت وفى اضافته الى الرب المضاف الى ضميرهم من زيد اطف بهم وايدان بأن أجرهم مشقن النبوت مأمون من الفوات (ولا خوف عليهم) عطف على جلة فلهم أجرهم أى لا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب (ولا هم يحزنون) حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتقويت الثواب والمراد بديان دوام اتقانها لا بديان اتقائها واهما كما يوجهه كون الخبر فى الجملة الثانية مضارعاً لما مر من ان التنى وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستقرار بحسب المقام هذا وقد قيل المراد بالذين آمنوا المتدينون بدين الاسلام المخلصون منهم والمنافقون فينبذ لا بد من تفسير من آمن من اتصف بهم بالايان الخالص بالبدا والمعاد على الاطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كايان المخلصين أو بطريق احدائه وانشائه كايان من عداهم من المنافقين وسائر الطوائف وفائدة التعميم للمخلصين من يذترعيب الباقيين فى الايمان ببيان أن تأخيرهم فى الاتصاف به غير محتمل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين فى استحقاق الاجر وما يتبعه من الامن الدائم واما ما قيل فى تفسيره من كان منهم فى دينه قبل أن يسلم

مصداقاً بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملاً بمقتضى شرعه فما لا سبيل إليه أصلاً لا مقتضى المقام هو الترغيب في دين
 الإسلام وأما بيان حال من مضى على دين آخر قبل اتساعه فلا ملازمة له بالمقام قطعاً بل ربما يحل بمقتضاه
 من حيث دلالة على حقيقته في زمانه في الجملة على أن المنافقين والصائبين لا يتسنى في حقهم ما ذكره أما المنافقون
 فإن كانوا من أهل الشرك فلا مبرر وإن كانوا من أهل الكتاب فمن مضى منهم قبل التسخير ليسوا بمنافقين وأما
 الصائبون فليس لهم دين يجوز رعايته في وقت من الأوقات ولو سلم أنه كل لهم دين سماوي ثم خرجوا عنه فمن
 مضى من أهل ذلك الدين قبل خروجهم منه فليسوا من الصائبين فكيف يمكن إرجاع الضمير الرابط بين اسم الله
 وخبرها إليهم أو إلى المنافقين وارتكاب إرجاعه إلى مجموع الطوائف من حيث هو مجموع لا إلى كل واحدة منها
 قصد إلى درج الفريق المذكور فيه ضرورة أن من كان من أهل الكتاب عاملاً بمقتضى شرعه قبل تسخيره من
 مجموع الطوائف بحكم اشتراكه على اليهود والنصارى وإن لم يكن من المنافقين والصائبين مما يجب تنزيهه ساحة
 التبريل عن أمثاله على أن المخلصين مع اندراجهم في حيز اسم الله ليس لهم في حيز خبرها عين ولا اثر فتأمل وكن
 على الحق المبين (وإذا أخذنا ميثاقكم) تذكري بنائية أخرى لاسلافهم أي واذكروا وقت أخذنا الميثاقكم
 بالمحافظة على ما في التوراة (ورفعنا فوقكم الطور) عطف على قوله أخذنا أو حال أي وقدر رفعنا فوقكم
 الطور كأنه ظلة روى أن موسى عليه السلام لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكليف الشاقه كبرت عليهم
 فأبوا قبولها فأمر جبريل عليه السلام بقطع الطور فقلله عليهم حتى قبلوا (خذوا) على إرادة القول
 (ما أتيناكم) من الكتاب (بقوة) بجدة وعزيمة (وإذا كررنا فيه) أي احفظوه ولا تنسوه أو تفكروا
 فيه فإنه ذكرها لقلب أو أعلاها (لعلكم تتقون) لكي تتقوا المعاصي أو لتنجوا من هلاك الدارين أو رجاء
 منكم أن تنظموا في سلك المتقين أو طلباً لذلك وقد مر تحقيقه (ثم توليت) أي عرضت عن الوفاء بالميثاق
 (من بعد ذلك) من بعد أخذ ذلك الميثاق المؤكد (فلولا فضل الله عليكم ورحمته) بتوفية لكم للتوبة
 أو بحمد صلى الله عليه وسلم حيث يدعونكم إلى الحق ويهديكم إليه (لكنتم من الخاسرين) أي المغبونين بالانهمال
 في المعاصي والخبط في مهاوى الضلال عند الفترة وقيل لولا فضل الله تعالى عليكم بالامهال وتأخير العذاب لكنتم
 من المهالكين وهو الأنسب بما بعده وكلمة لولا إما بسيطة أو مركبة من لولا امتناعية وحرقة النفي ومعناها
 امتناع الشيء لوجود غيره كما أن لولا امتناعه لا امتناع غيره والاسم الواقع بعدها عند سيبويه مبتدأ خبره
 محذوف وجوبه بالدلالة الحال عليه وسد الجواب مسدود والتقدير لولا فضل الله حاصل وعند الكوفيين فاعل
 فعل محذوف أي لولا ثبت فضل الله تعالى عليكم (ولقد علمتم) أي عرفت (الذين اعتدوا منكم في السبت) روى
 أنهم أمروا بأن تحضروا يوم السبت للعبادة وتجتزءوا لها وتركوها للصيد فاعتدى فيه أناس منهم في زمن داود
 عليه السلام فاشتغلوا بالصيد وكانوا يسكنون قرية يساحل البحر يقال لها بلة فاذا كان يوم السبت لم يبق
 في البحر حوت البرز وأخرج خرطومهم فاذا مضى تفترقت فحضرها حياضاً وشرعوا إليها الجداول وكانت
 الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الأحد فالعقوبية لقلنا لهم كونوا قردة خاسئين أي جامع بين صورة
 القردة والنخسوه وهو الطرد والصغار على أن خاسئين نعت لقردة وقيل حال من اسم ككونوا عند من يجيز
 عمل كان في الظروف والحال وقيل من الضمير المستكن في قردة لأنه في معنى عسوخين وقال مجاهد ما سخط
 صورهم ولكن قلوبهم فخلوا بالقرود كما منلوا بالجار في قوله تعالى كمثل الجار يحمل أسفارا والمراد بالامريسيان
 سرعة التكوين وأنهم صاروا كذلك كما أراد عز وجل وقرئ قردة يفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همز
 (فجعلناها) أي المسخنة والمعقوبة (نكالا) عبرة تشكل الاعتبار بها أي تمنعه وتردعه ومنه النكال لا قيد (لما بين
 يديهم وما خلفها) لما قبلها وما بعدها من الأمم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصصهم في الآخرين
 أو لعاصريهم ومن بعدهم أو لما يحضرونهم من القري وما تباعد عنها أو لأهل تلك القرية وما حو اليها أو لأجل
 ما تقدم عليهم من ذنوبهم وما تأخر عنها (وموعظة للمتقين) من قومهم أو لكل متق معها (وإذا قال موسى
 لقومه) توحيخ آخر لا خلاف بنى إسرائيل بشذ كبر بعض جنبايات صدرت عن اسلافهم أي واذكروا وقت قول
 موسى عليه السلام لأجدادكم (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) وسببه أنه كان في بنى إسرائيل شيخ وسرق قتلته

بنوعه طبعاً في ميراثه فطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا بطالبون بدية فامرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة
ويضربوه ببعضها فيضربهم بقاتله (قالوا) استئناف وقع جواباً عما ينساق اليه الكلام كأنه
قبل فاذ صنعوا هل سارعوا الى الامتثال أو لا قبل قالوا (اتخذنا حزواً) بضم الزاء وقلب الهمزة واو او قرئ
بالهمزة مع الضم والسكون أي اتبعنا مكان حزواً وأهل حزواً ومهزواً بنسأ والمهزؤ نفسه استبعاد المقابلة
واستخفافاً به (قال) استئناف كما سبق (أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) لأن المهزؤ في إنشاء تبليغ
أمر الله سبحانه جهل وسفه نفي عنه عليه السلام ما توهموه من قبله على ابلغ وجه وأككده بأخراجه مخرج
ما لا مكروه وراءه بالاستعانة منه استقظاعه واستعظا ما لما أقدموا عليه من العظمة التي شاقوه عليه
السلام بها (قالوا) استئناف كما مر كأنه قبل فاذ قالوا بعد ذلك فقبل توجهوا نحو الامتثال
وقالوا (ادع لنا) أي لاجلنا (ربك بين لنا ما هي) ما مبند أو هي خبره والجملة في حيز النصب بين أي
بين لنا جواب هذا السؤال وقد سألو عن حالها وصفها لما تفرع اسماءهم ما لم يهدوه من بقرة ميتة يضرب
بعضها ميت فيصياقن ما وان شاعت في طلب مفهوم الاسم والحقيقة كافي ما للشارحة والحقيقة لكنها
قد بطلت بها الصفة والحال تقول ما زيدا فيقال طيب أو عالم وقبل كان حقه أن يستفهم بأي لكنهم لما رأوا
ما أمروا به على حالة مغايرة لما عليه الجنس أخرجه عن الحقيقة فجعلوه جنساً على حياله (قال) أي موسى
عليه السلام بعد ما دأبه عز وجل بالبيان وأناه الوحي (الله) تعالى (يقول أنها) أي البقرة المأمور
بذبحها (بقرة لا فارض ولا بكر) أي لا مسنة ولا قسيه يقال فرضت البقرة فروضاً أي أسنت من الفرض بمعنى
القطع كأنها قطعت سننها وبلغت آخرها وتر كيب البكر للذولية ومنه البكرة والبلكورة (عوان)
أي نصف لا تحم ولا ضرع قال

طوال مثل اعناق الهوادي * نواعهم بين أبقار وعون

(بين ذلك) إشارة الى ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك أضيف اليه بين لاختصاصه بالإضافة الى المتعدد
(فانقلوا) أمر من جهة موسى عليه السلام متفرع على ما قبله من بيان صفة المأمور به (ما تومرون)
أي ما تومرونه بمعنى تومرون به كافي قوله * أمرتك الخير فافعل ما أمرت به * فان حذف الجارة دشاع
في هذا الفعل حتى لحق بالافعال المتعدية الى مفعولين وهذا الأمر منه عليه السلام لحنهم على
الامتثال وزجرهم عن المراجعة ومع ذلك لم يقتنعوا به وقوله تعالى (قالوا) استئناف كما مر كأنه
قبل ماذا صنعوا بعد هذا البيان الثاني والأمر المكرر فقبل قالوا (ادع لنا ربك بين لنا ما لو أنها) حتى
يبين لنا البقرة المأمور بها (قال) أي موسى عليه السلام بعد المناجاة الى الله تعالى ومحجي البيان (الله)
تعالى (يقول أنها بقرة صفراء فاقع لونها) اسناد البيان في كل مرة الى الله عز وجل لاظهار كمال المساعدة
في اجابة مسؤولهم بقولهم بين لنا وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة والفقوع نصوع الصفرة وخلوصها
ولذلك يؤكده ويقال اصفر فاقع كما يقال أسود حالك وأحمر قاني وفي اسناده الى اللون مع كونه من
أحوال الملون للملابسته ما لا يفتي من فضل تأكيده كأنه قبل صفراء شديدة الصفرة صفرتها كافي
بجذبه وعن الحسن رضي الله عنه سوداء شديدة السواد وبه فسرقوله تعالى جملة صفرة قبل وأهل التعبير
عن السواد بالصفرة لما فيها من مقدّماته وأما لأن سواد الابل يعاوه صفرة ويأباه وصفها بقوله تعالى (تسر)
التأخرين) كما يأباه وصفها بفقوع اللون والسرور لذة في القلب عند حصول نفع أو نفعه من السرور عن علي
رضي الله عنه من ليس نفعاً صفراء قل همه (قالوا) استئناف كتنائره (ادع لنا ربك بين لنا ما هي)
زيادة استكشاف عن حالها كأنهم سألو بيان حقيقة ما بحيث تتنازع جميع ما عداها مما تشاركها
في الاوصاف المذكورة والاسوال المشروحة في إنشاء البيان ولذلك علوه بقولهم (ان البقرة تشابه علينا)
يعنون أن الاوصاف المحدودة يشترك فيها كثير من البقر ولا تهدي بها الى تنخيص ما هو المأمور بها ولذلك
لم يقولوا ان البقرة تشابهت ايذاً بان التعتير المحدودة ليست بمنخفضة للمأمور بها بل صادقة على سائر
أفراد الجنس وقرئ ان البقرة وهو اسم لجماعة البقر والابقر والبواقر ويتشابه بالباء والتاء ويشابه بطرح
التاء والادغام على التذكير والتأنيب وتشابهت بحفظها مشدداً وتشبهه بمعنى تشبهه والتذكير ومتشابه

صرح البيضاوي أن المقتول
ابن الشيخ لاهو والقاتلون هم بنو
أخي الشيخ الذين هم أولاد عم
المقتول فلان في بين قوله بنو أخيه
وقول غيره بنوعه كما قاله شيخ
الاسلام على البيضاوي فلهذا سقط
من المفسر قبل قوله قتلته وكان
له ابن قاله المفسر التفسير نصير
الهوريني

ومتشابهة ومتشبهة وفيه دلالة على انهم ميزوها عن بعض ما عداها في الجملة وانما بقي اشتباه بشرف الزوال كما ينبغي عنه قولهم (وانا ان شاء الله لمهتدون) مؤكدا بوجوده من التوكيد أي لمهتدون بحسبنا من البيلان إلى المأمورين بجهها وفي الحديث لو لم يستثنوا الحياض لم أتركها (قال انه يقول انها بقرة لا ذلول شرا الارض ولا نسق الحرت) أي لم تذلل للكرباب وسقى الحرت ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية لتأكيد الاولى والفضلان صفة تاذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح أي حيث هي كقولك سرور رجل لا يجبل ولا جبان أي حيث هو وقرئ تسقى من أسقى (مسئلة) أي سلمها الله تعالى من العيوب أو أهلها من العمل أو أخلص لها ألوانها من سلم له كذا اذا خصل له ويؤيده قوله تعالى (لا شية فيها) أي لا لون فيها يخالطون جلدها حتى قرنها وطلقها وهي في الاصل مصدر وشاء وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر (قالوا) عندما سمعوا هذه النعوت (الآن جئت بالحق) أي بحقيقة وصف البقرة بحيث ميزتها عن جميع ما عداها ولم يبق لنا في شأنها اشتباه أصلا بخلاف المرتين الاوليين فان ما جئت به فيها لم يكن في التعيين بهذه المرتبة ولعلمهم كانوا قبل ذلك قد رأوها ووجدوها جامعة لجميع ما فصل من الاوصاف المذكورة في المرات الثلاث من غير مشاركتها فيها في الميزة الاخيرة والافق ان عرفوا اختصاص النعوت الاخيرة به بدون غيرها وقرئ الآن بالمدعى الاستفهام والان بجذف الهمزة والقام مرصتها على اللام (فذبجوها) الفاء فصيحة كما في فانضرت أي غصوا بالبقرة فذبجوها (وما كادوا يفعلون) كذا من أفعال المقاربة وضع لدنو الخبر من الحصول والجملة حال من ضمير ذبجوا أي فذبجوها والحال انهم كانوا قبل ذلك يعزل منه أو اعتراض تذييلي وما كذا استنقال استعصاتهم واستبطاء لهم وانهم لغرط تطويلهم وكثرة مراجعاتهم ما كاد ينتهي خيط أسباجهم فيها قيل مضى من أول الامر إلى الامتثال اربعون سنة وقيل وما كادوا يفعلون ذلك لغلاء ثمنها روى انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له بعللة فأتى به الغنضة وقال اللهم اني استودعكها لا بني حتى يكبر وكان بنو ابوالديه قنوف الشيخ وشبه الجملة فكانت من أحسن البقر وأسمنها فساوموها اليتم وأتمه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا كانت وحيدة بالصفات المذكورة وكانت البقرة اذا ذللت ثلاثة دنابر واعلم أنه لا خلاف في ان مدلول ظاهر النظم الكريم بقرة مطلقة مبهمة وأن الامتثال في آخر الامر اعما وقع بذبج بقرة معينة حتى لو ذبجوا غيرها ما خرجوا عن عهدة الامر لكن اختلف في ان المراد المأمور به أثر ذي أثر هل هو المعينة وقد أخرج البيلان عن وقت الخطاب أو المبهمة ثم لحقها التغيير إلى المعينة بسبب تافلهم في الامتثال وعنادهم في التعمق والاستكشاف فذهب بعضهم إلى الأول فكأنهم انهم انهم في الاجوبة اعنى انها بقرة إلى آخره المعينة قطعاً ومن قضيته أن يكون في السؤال أيضا كذلك ولا ريب في ان السؤال افها هو عن البقرة المأمورين بجهها فيكون هي المعينة وهو مدفوع بأنهم لما تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيصبا فطنوها معينة خارجة عما عليه الخدس من الصفات والنواصير فأسألوا عنها فرجعت الغنم إلى المعينة في زعمهم واعتقادهم فعينها الله تعالى تشديدا عليهم وان لم يكن المراد من أول الامر هي المعينة والحق أنها كانت في أول الامر مبهمة بحيث لو ذبجوا أية بقرة كانت لحصل الامتثال بدلالة ظاهر النظم الكريم وتكرير الامر قبل بيان اللون وما بعده من كونها مسئلة الخ وقد قال صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا أدنى بقرة فذبجوها لكفتمهم وروى مثله عن رئيس المفسرين عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ثم رجع الحكم الأول مذسوخا بالنافي والثاني بالثالث تشديدا عليهم لكن لا على وجه ارتفاع حكم المطلق بالكلية وانقلبه إلى المعين بل على طريقة تقييده وتخصيصه به شيئا قسريا كيف لا ولو لم يكن كذلك لما عدت مراجعاتهم المحكمة من قبيل الجنائيات بل من قبيل العبادات فان الامتثال بالامر بدون الوقوف على المأمور به مما لا يكاد يتسنى فيكون سؤالهم من باب الاهتمام بالامتثال (واذ قلتم نفسا) منصوب بمضمر كما مررت نظائره والخطاب لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم واستناد القتل والتدابر إليهم لما مر من نسبة جنائيات الاسلاف إلى الاخلاف فويضا وتقريرا وتخصيصا بالاسناد دون ما مر من هتاتهم لظهور قبح القتل واسناده إلى الغير أي اذ كانوا وقت قتلهم نفسا محترمة (فأذا رأتم فيها) أي تخاصصتم في شأنها اذ كل واحد من الخصماء يدافع الآخر أو تدافعتم بأن طرح كل واحد قتلها إلى آخره وأصله تدارأتم فأدغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل (واقه يخرج

ما كنتم تكفون) أي مظهر لما تكفونه لا بحالة والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار
 وانما أعمل بخرج لانه حكايه حال ماضية (فقلنا اضربوه) عطف على فإذا وأتم وما بينهما اعتراض والالتفات
 لتربية المهابة والضمير للنفس والتذكير باعتبار أنها عبارة عن الرجل أو بتأويل الشخص أو القليل (بعضها)
 أي ببعض البقرة أي بعض كان وقيل بأصغرها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بأذننها وقيل بجيها وقيل
 بالعظم الذي يلي الغضروف وهذا أول القصة كما في عنه الضمير الرابع إلى البقرة كأنه قيل وأذقتم نفسا
 فإذا أتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة فأضربوه ببعضها وانما غير الترتيب عند الحكاية لتكرير التوبيخ وتثنية التعذيب
 فان كل واحد من قتل النفس المحترمة والاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والافتيات على أمره وترك
 المسارعة إلى الامتثال به جنابة عظيمة حقيقة بأن تنهى عليهم بحيالها ولو حكيت القصة على ترتيب الوقوع لما علم
 استقلال كل منها بما يخص بها من التوبيخ وانما حكى الأمر بالذبح عن موسى عليه السلام مع انه من الله
 عز وجل كالأمر بالضرب لما أن جناباتهم كانت عراجه عنهم إليه عليه السلام والافتيات على رأيه (كذلك يحيي
 الله الموتى) على إرادة قول معطوف على مقدّر ينسحب عليه الكلام أي فاضربوه فحيي وقتلنا كذلك يحيي الخ
 فحذفت الفاء القصيدة في فحي مع ما عطف به ما عطف هو وعليه دلالة كذلك على ذلك فالخطاب في كذلك
 حينئذ للماضين عند حياة القليل ويجوز أن يكون ذلك للعاصرين عند نزول الآية ~~التي~~ كريمة فلا حاجة
 حينئذ إلى تقدير القول بل ينتهي الحكاية عند قوله تعالى ببعضها مع ما قدّر بعده فالجمله معترضة أي مثل ذلك
 الأحياء المحيى يحيي الله الموتى يوم القيامة (ويربكم آياته) ودلالة الدلالة على انه تعالى على كل شيء قدير ويجوز
 أن يراد بالآيات هذا الأحياء والتعبير عنه بالجمع لاشتماله على أمور بدعية من ترتيب الحياة على عضوميت
 واخباره ببقائه وما يلاسه من الأمور الخارقة للعادة (لعلكم تعقلون) أي لكي تكمل عقولكم وتعلوا
 أن من قدر على أحياء منفس قدر على أحياء الأنفس كلها أو تمهلوا على قضية عقولكم واهل الحكمة في اشتراط
 ما اشترط في الأحياء مع ظهور كمال قدرته على أحيائه ابتداء بلا واسطة أصلا اشتماله على التقرب إلى الله تعالى
 وأداء الواجب ونفع اليتيم والتفبيح على بركة التوكل على الله تعالى والشفقة على الأولاد ونفع بر الوالدين وأن
 من حق الطالب أن يقدم قربة ومن حق المتقرب أن يتصرى الاحسن ويقال يشنه كما روى عن عمر رضي الله عنه
 انه ضحى بنحية اشتراها بثلثمائة دينار وأن المؤثر هو الله تعالى وانما الأسباب امارات لا تأثر لها وأن من رام
 أن يعرف أعدى عدوه الساعى في اماته الموت الحقيقي فطريقة أن يذبح بقرة نفسه التي هي قوته الشهوية
 حين زال عنها شره الصبي ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت محجة راقعة المنظر غير مذلة في طلب الدنيا مسلة عن
 دنسها لاسمها من قبائحها بحيث يصل اثره الى نفسه فيصياها حياة طيبة ويعرب عما به يشكك الحال
 ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارؤ والجدال (ثم قست قلوبكم) الخطاب لمعاصري النبي صلى الله
 عليه وسلم والقسوة عبارة عن القلظ والجفاء والصلابة كما في الجراسعيرت لتبوقلوبهم عن التاثر بالعظائم
 والقوارع التي تجميع منها الجبال وتلين بها الصنور وإيراد الفعل المفيد لحدوث القساوة مع ان قلوبهم لم تزل
 قاسية لما أن المراد بيان بلوغهم الى مرتبة مخصوصة من مراتب القساوة حادثة واما لان الاستقرار على شيء
 بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه امر جديد وصنع حادث وتم الاستبعاد القسوة بعدم مشاهدة ما يزيلها كقوله
 تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون (من بعد ذلك) إشارة الى ما ذكر من أحياء القليل أو الى جميع ما عتد
 من الآيات الموجبة للين القلوب وتوجيهها نحو الحق أي من بعد سماع ذلك وما فيه من معنى البعد لا يذان يبعد
 منزلته وعلو طبقته وتوحيد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين أما بتأويل الفريق أولان المراد مجرد الخطاب
 لاتعين الخطاب كما هو المشهور (فهى كالجارة) في القساوة (أو أشد) منها (قسوة) أي هي في القسوة
 مثل الجارة أو زائدة عليها أي أو أنها مثلها أو مثل ما هو أشد منها قسوة كالخديد فحذف المضاف وأقيم المضاف
 إليه مقامه وبعضه القراءة بالجر عطفًا على الجارة وإيراد الجمله اسمية مع كون ما سبق فعلية للدلالة على
 استقرار قساوة قلوبهم والفاء اما لتفريع مشابها لها على ما ذكر من القساوة تفريع التشبيه على بيان وجه
 التشبه في قولك امرؤ خذفه فهو كالورد واما للتعليل كما في قولك اعبد ربك فالعبادة حق له وانما لم يقل أو اقضى منها
 لما في التصريح بالشدة من زيادة مبالغة ودلالة ظاهرة على اشتراط القسوتين في الشدة واشتغال المفضل على

زيادة وأول تخيير أو لترديد بمعنى أن من عرف حالها شابهها بالجارحة أو بما هو أقسى أو بما هو أفسى أو من عرفها شابهها بالجارحة أو قال هي أقسى من الجارحة وترادف تخيير المفضل عليه للأمن من الالتباس (وان من الجارحة لما يتفجر منه الانهار) بيان لأشدية قلوبهم من الجارحة في القساوة وعدم التأثر واستحالة صدور الخير منها يعني أن الجارحة ربما تأثر حيث يكون منها ما يتفجر منه المياه العظيمة (وان منها ما يشقق) أي يشقق (فيخرج منه الماء) أي العيون (وان منها ما يهبط من خشية الله) أي يتردى من الاعلى إلى الاسفل بقضية ما أودعه الله عز وجل فيها من النقل الداعي إلى المركز وهو مجاز من الانقياد لامرء تعالى والمعنى أن الجارحة ليس منها فرد الا وهو منقاد لامرء عز وجل لا آت بما خلق له من غير استئصاله وقلوبهم ليست كذلك فتكون أشد منها قسوة لا محالة واللام في اللام الابتداء دخلت على اسم ان لتقدم الخبر وقرئ ان على أنها مخففة من الثقيلة واللام فارقة وقرئ يهبط بالضم (وما الله بغافل عما تعملون) من متعلقة بغافل وما موصولة والعائد محذوف أو مصدرية وهو وعبد شديد على ما هم عليه من قساوة القلوب وما يترتب عليها من الاعمال السيئة وقرئ بالياء على الالتفات وقوله تعالى (أقطعهم عون) تلويح للخطاب وصرف له عن اليهود اتر ما عدت هنا ثم ونعت عليهم جنايا ثم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين والهمزة لانكار الواقع واستبعاد كفاي قولك أنضرب أبالك لا لانكار الوقوع كفاي قوله أنضرب أبي والفاء للعطف على مقدريه بقتضيه المقام ويستدعيه نظام الكلام لكن لا على قصد توجيه الانكار إلى المعطوفين معا كفاي افلا تبصرون على تقدير المعطوف عليه منقيا أي ألا تنتظرون فلا تبصرون فالمتكسر كلالا امرين بل إلى ترتيب الثاني على الاول مع وجوب أن يترتب عليه نقيضه كما إذا قدر الاول مثبتا أي انتظرون فلا تبصرون فالمتكسر ترتيب الثاني على الاول مع وجوب أن يترتب عليه نقيضه أي انتمعون أخبارهم وتعلمون أحوالهم قطعهم وما لالمسيح أبعد أن علمت تفاصيل شؤونهم المؤيسة عنهم تطعمون (أن يؤمنوا) فانهم متمثلون في شدة النكبة والاخلال الذميمة لا يتأق من أخلاقهم الا مثل ما أتى من اسلافهم وأن مصدرية حذف عنها الجار والاصل في أن يؤمنوا وهي مع ما في حيزها في محل النصب أو الجز على الخلاف المعروف واللام في لكم لتضمين معنى الاستجابة كفاي قوله عز وجل فآمن له لوط أي في إيمانهم مستحيين لكم أو للتعليل أي في أن يحدوا الإيمان لأجل دعوتكم وصدقه الإيمان محذوفة لظهور أن المراد به معناه الشرعي وستقف على ما فيه من المزية بأذن الله تعالى (وقد كان فريق منهم الفريق اسم جمع لا واحد من لفظه كالأهط والقوم والجار والمجرور في محل الرفع أي فريق كائن منهم وقوله تعالى (يسمعون كلام الله) خبر كان وقرئ كلام الله بالجمله حالية مؤكدة للانكار حاسمة لمادة الطمع مثل أحوالهم الشنيعة المحكية فيما سلف على منهاج قوله تعالى وهم لكم عدو بعد قوله تعالى اقتضونه وذريته أولياء من دوني أي والحال أن طائفة منهم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هم قوم من السبعين المختارين للمقاتلة كانوا يسمعون كلامه تعالى حين كلم موسى عليه السلام بالطور وما امر به ونهى عنه (ثم يحرقونه) عن مواضعه لا لقصور فهمهم عن الإحاطة بتفاصيله على ما ينبغي لاستيلاء الدهشة والمهابة حسبما يقتضيه مقام الكبرياء بل (من بعد ما عاينوه) أي فهموه وضبطوه بعقولهم ولم يتق لهم في مضمونه ولا في كونه كلام رب العزة رية أصلا فلما رجعوا إلى قومهم أذاه الصادقون اليهم كما هو أو هو لا قالوا سمعنا الله تعالى يقول في آخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا بأس فثم لتراخي زمانا ورتبة وقال القفال سمعوا كلام الله وعقلوا امرأته تعالى منه فأولوه تأويلا فاسدا و قيل هم رؤسا اسلافهم الذين تولوا تحريف التوراة بعدما احاطوا بما فيها علما و قيل هم الذين غيروا نعت النبي صلى الله عليه وسلم في عصره وبدلوا آية الرجم وبأباه الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل الدال على وقوع السماع والتصريف فيما سلف الا أن يجعل ذلك على تقدمه على زمان نزول الآية الكريمة لا على تقدمه على عهد عليه الصلاة والسلام هذا والاول هو الانسب بالسماع والكلام إذا التورية وان كانت كلام الله عز وجل لكنهما باسم الكتاب اشهر وأثر التصريف فيه اظهر * ووصف اليهود بتلاوتهم أكثر لاسيما رؤسائهم المباشرين للتصريف فان وظيفةهم التلاوة دون السماع فكان الانسب حينئذ ان يقال يتلون كتاب الله تعالى فالعنى اقتطعهم عن أن يؤمن هؤلاء بواسطتكم ويستحييواكم والحال أن اسلافهم المواقفين لهم في خلال السوء كانوا يسمعون كلام الله

بلا واسطة ثم يحرفونه من بعد ما علوه يقيناً ولا يستحيون له هيات ومن هنا ظهر ما في ايشار لكم على باقته
من الفتامة والجزالة وقوله عز وجل (وهم يعلمون) بجملة حالية من فاعل يحرفونه مفيدة الكمال تباحة
حالهم مؤذنة بأن تحريفهم ذلك لم يكن بناء على نسيان ما علوه او على الخطا في بعض مقدماته بل كان ذلك
حال كونهم عاملين مستحضرين له او وهم يعلمون انهم كاذبون ومفترون (واذا القوا) بجملة مستأنفة سبقت
اثر بيان ما صدر عن اشباحهم لبيان ما صدر عنهم بالذات من الشنايع المؤبسة عن ايمانهم من نفاق بعض
وعتاب آخرين عليهم او معطوفة على ما سبق من الجملة الحالية والضمير لليهود لما استعقب على سره لا لمناقضهم
خاصة كما قبل تحزباً لاتحاد الفاعل في فعل الشرط والجزاء حقيقة (الذين آمنوا) من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم (قالوا) اي اللادقون لكن لا بطريق تصدى الكل للقول حقيقة بل بعبارة منافقهم وسكوت المباقين
كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم وهذا ادخل في تقييد حال الساكتين اولا العاتين ثانياً
لمناقضهم من الدلالة على نفاقهم واختلاف احوالهم ونفاقهم آرائهم من اسناد القول الى المباشرين خاصة
بتقدير المضاف اي قال منافقوهم (آمنوا) لم يقتصر واعلى ذلك بل علوه بأنهم وجدوا نعت النبي صلى الله عليه
وسلم في التوراة وعلوا انه النبي المبشرية واعلم بصرح به تعويلاً على شهادة التوبيخ الآتي (واذا خلا بعضهم) اي
بعض المذكورين وهم الساكتون منهم اي اذا فرغوا من الاشتغال بالمؤمنين متوجهين ومنضمين (الى بعض)
اخر منهم وهم منافقوهم بحيث لم يبق معهم غيرهم وهذا نص على اشتراك الساكتين في لقاء المؤمنين كما اشير اليه
اتفاذا انطلقوا انما يكون بعد الاشتغال ولان عتابهم معاق بمحض الخلو لولا انهم حاضرون عند المناقشة لوجب
ان يجعل سبأهم اها من تمام الشرط ولان فيه زيادة تشنيع اهام على ما افوا من السكوت ثم العتاب (قالوا)
اي الساكتون متوجهين لمناقضهم على ما صنعوا (اتحدفونهم) يعنون المؤمنين (بما فتح الله عليكم) ما موصولة
والعائد محذوف اي بينه لكم خاصة في التوراة من نعت النبي صلى الله عليه وسلم والتعبير عنه بالفتح لا ليدان بانه
ممكنون وباب مغلق لا يفت عليه احد وتجويز كون هذا التوبيخ من جهة المناقضين لا عقابهم اراءة للتصلب
في دينهم كما ذهب اليه عصاية مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل واللام في قوله عز وجل (ليصاحبكم به) متعلقة
بالحديث دون الفتح والمرادنا كيد التكبر وتشديد التوبيخ فان الحديث بذلك وان كان منكراً في نفسه لكن
الحديث به لاجل هذا الغرض مما لا يكاد يصدر عن العاقل اي اتحدفونهم بذلك ليصحبوا عليكم به فيبكتوكم
بالمحدثون به وان لم يحوموا حول ذلك الغرض لكن فعلهم ذلك لما كان مستتبعا له البتة جعلوا فاعلين للغرض
المذكور اظهار الكمال مضافة عقولهم وركا كذا آرائهم (عند ربكم) اي في حكمه وكما به كما يقال هو عند الله كذا
اي في كتابه وشرعه وقيل عند ربكم يوم القيمة ورد عليه بان الاخفاء لا يدفعه اذ هم عالمون بأنهم محبوبون
يومئذ حتى نوابه ولم يجدوا والاعتذار بان الزام المؤمنين اياهم وتبكيهم بان يقولوا لهم الم تحدثونا بما في كتابكم
في الدين من حقيقة ديننا وصدق نبينا انفس فيجوز ان يكون المحدثون عندهم هذا الزام بارجاع الضمير
في به الى الحديث دون المحدث به ولا ريب في انه مدفوع بالاخفاء لا يساعده الآية الكريمة الاية كما استقف
عليه باذن الله عز وجل (افلا تعقلون) من تمام التوبيخ والعتاب والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام
اي ألا تلاحظون فلا تعقلون هذا الخطأ الفاحش اوشياً من الاشياء التي من جللتها هذا فالمنكر عدم التعقل
ابتداء او افعالون ذلك فلا تعقلون بطلانه مع وضوحه حتى تحتاجون الى التنبه عليه فالمنكر حينئذ عدم
التعقل بعد الفعل هذا واما ما قيل من أنه خطاب من جهة الله سبحانه للمؤمنين متصل بقوله تعالى اقتطعوا
والحق افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم فيأباه قوله تعالى (اولا يعلمون) فانه الى آخره تنجيه لهم
من جهته تعالى فيما حكى عنهم فيكون ايراد خطاب المؤمنين في اثباته من قبيل الفصل بين الشبر وطأته
على ان في تخصيص الخطاب بالمؤمنين من التعطف وفي تعميمه للنبي ايضا صلى الله عليه وسلم كما في اقتطعوا
من سوء الادب ما لا يخفى والهزيمة للانكار والتوبيخ كما قبلها والواو للعطف على مقدر ينساق اليه الذهن
والضمير للمؤمنين اي ايلومونهم على الحديث المذكور مخافة المحاجة ولا يعلمون (ان الله يعلم ما يسرون) اي
يسرونه فيما بينهم من المؤمنين او ما يضره في قلوبهم فيثبت الحكم في ذلك بالطريق الاولى (وما يعقلون)
اي يظهره للمؤمنين اولاً صاحبهم حسبما سبق فحينئذ يظهر الله تعالى للمؤمنين ما ارادوا اخفاءه بواسطة

الروح الى النبي صلى الله عليه وسلم فيحصل المحاجة ويقع التبيكيت كما وقع في آية الرجم وتحريم بعض المحرمات
عليهم فأى فائدة في الموم والعتاب ومن ههنا تبين ان المحذور عندهم هو المحاجة بما فتح الله عليهم وهي حاصلة
في الدارين حدوتوا به ام لا لا بالتعديت به حتى يسد فاع بالاختفاء وقيل النعيم لله ناقتين فقط اولهم وللمؤمنين
اولا ثانياهم المحرفين أى يفعلون ما يفعلون ولا يعلمون ان الله يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن بجلته اسرارهم
الكفر واظهارهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وكتم اسرار الله واظهار ما اظهره واخفاء ما
الاسرار على الاعلان للايذان باقتضاهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة في بيان حصول علمه
المحيط بجميع المعلومات كان علمه بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه مع كونهما في الحقيقة على السوية فان علمه
تعالى بعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شئ في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى
لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة نظيره قوله عز وجل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه
يعلمه الله حيث قدم فيه الاختفاء على الابداء لما ذكر من السر على عكس ما وقع في قوله تعالى وان تبدوا
ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فان الاصل في تعلق المحاسبة به هو الامور البادية دون الخافية
ويجوز ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلان اذ ما من شئ يعلن الا وهو او مباديه قبل
ذلك مضمر في القلب يتعلق به الاسرار غالباً فتعلق علمه تعالى بجهاته الاولى متقدم على تعلقه بجهاته الثانية
(ومنهم اتيون) وقرئ بتخفيف الياء جمع اى وهو من لا يقدر على الكتابة والقراءة واختلف في نسبه فقيل
الى الامم بمعنى أنه شبيه بها في الجهل بالكتابة والقراءة فانهم ما يستلزم شؤون النساء بل من خلال الرجال او بمعنى
أنه على الحالة التي ولدته امه في الخلط بين العلم والكتابة وقيل الى الامم بمعنى أنه باق على سذاجته حال
معرفة الاشياء كقولهم عامى أى على عادة العامة روى عن عكرمة والنضال أن المراد بهم قضاوى العرب وقيل
هم قوم من اهل الكتاب رفع كتابهم لذنوب ارتكبوها قصاروا اميين وعن علي رضي الله تعالى عنه هم الجوس
والحق الذي لا يحيد عنه انهم جهلة اليهود والجملة مستأنفة - سوقة ابيان قبايحهم اترسب شناع الطوائف
السالفة وقيل هي معطوفة على الجملة الحالية فان مضمرها مناف (جاء الخبر منهم وان لم يكن فيه ما يحسم
مادة الطمع عن ايمانهم كما في مضمرها الحالية وما بعد ما فان الجهل بالكتاب في منافاة الايمان ايس بمثابة
تحريف كلام الله بعد سماعه والعلم بعنايه كما وقع من الاولين او التفاق والنهي عن اظهار ما في التورية
كما وقع من الفرقتين الاخرين أى ومنهم طائفة جهلة غير قادرين على الكتابة والتلاوة (لا يعلمون الكتاب) أى
لا يعرفون التورية ليطالعوها ويتحققوا ما في تضاعيفها من دلائل النبوة فيؤمنوا وحمل الكتاب على الكتابة
بآباءه سباق النظم الكريم وسياقه (الاماني) بالتشديد وقرئ بالتخفيف جمع امنية اصلها امنوية افعله
من معنى حتى قد راو حتى تلا كفى في قوله * تعنى كتاب الله اول ايله * فأعلنت اعلان سيد وميت وهما على
الاول ما يقدره الانسان في نفسه ويؤمنه وعلى الثاني ما يتلوه وعلى التقديرين فالاستثناء منقطع اذ ليس ما يتنى
وما يتلى من جنس علم الكتاب أى لا يعلمون الكتاب لكن يتنون أمانى - حسبا منهم احبارهم من ان الله
سبحانه يعفو عنهم وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وغير ذلك من امانيتهم الفارغة المستندة الى الكتاب على زعم
رؤسائهم ولا يعلمون الكتاب لكن تلفونه قدر ما يتلى عليهم فيقبلونه من غير ان يتمكنوا من التدبر فيه واما حمل
الاماني على الاكاذيب المختلفة على الاطلاق من غير أن يكون اها ملامية بالكتاب فلا يساعد النظم
الكريم (وان هم لا يظنون) ما هم الا قوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير أن يصلوا الى رتبة العلم فأى
يربى منهم الايمان المؤسس على قواعد اليقين ولما بين حال هؤلاء في تمسكهم بهجبال الاماني واتباع الظن عقب
بيان حال الذين اوقعوهم في تلك الورطة وبكشف كيفية اضلالهم وتعيين مرجع الكل بالآخرة فقيل على
وجه الدعاء عليهم (فويل) هو وامثاله من ويح وويس وويه وويك وعول من المصادر المنصوبة بأفعال
من غير انظها لا يجوز اظهارها البتة فان اضيف نصب نحو ويلك ويحك واذا فصل عن الاضافة رفع نحو ويل له
ومعنى الويل شدة الشرف له الخليل وقال الاصمعي الويل التفتيح والويل الترحم وقال سيبويه ويل ان وقع في
الهلكة وويل زجر لمن اشرف على الهلاك وقيل الويل الحزن وهل ويح وويب وويس بذلك المعنى او بينه وبينها
فرق وقيل ويل في الدعاء عليه وويل وما بعده في الترحم عليه وقال ابن عباس رضى الله عنهما الويل العذاب الاليم

ومن سفيان الثوري أنه صليداهل جهنم وروى أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لو بيل واد في جهنم يورى فيه الكفار أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره وقال سعيد بن المسيب أنه واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لماعت من شدة حره وقال ابن بريده بسيل قحج ودم وقيل صهر يج في جهنم وحكي الزهراوى أنه باب من ابواب جهنم وعلى كل حال فهو مبتدأ خبره قوله عز وجل (الذين يكتبون الكتاب) أى المحرف أو ما كتبوه من التأويلات الزائفة (بأيديهم) تأكيده لدفع توهم الجواز كقولك كتبه بيدي (ثم يقولون هذا) أى جميعا على الأول وبخصوصه على الثاني (من عند الله) روى ابن حبان واليهود خافوا ذهاب ما كلهم وزوال رياستهم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا في تعويق أسافل اليهود عن الإيمان فعمدوا إلى صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التورية وكلفت هي فيها حسن الوجه حسن الشعر أكل العينين أربعة فقبروها وكثيرا ما كانوا أطوال أزرق سبط الشعر فاذا سألهم سفلتهم عن ذلك قروا عليهم ما كتبوا فيصرونه مخالفا لصفته عليه السلام فيكذبونه ثم للتراخي الرتي فإن نسبة المحرف والتأويل الزائغ إلى الله سبحانه صريحا أشد شناعة من نفس التصريف والتأويل (ليشتروا به) أى يأخذوا لأنفسهم عقابته (عنا) هو ما أخذوه من الرشي بمقابله ما فعلوا من التصريف والتأويل وانما عبر عن المشتري الذي هو المقصود بالذات في عقد المعاوضة بالثمن الذي هو وسيلة فيه أيذا بانعكاسهم حيث جعلوا المقصود بالذات وسيلة والوسيلة مقصودا بالذات (قليل) لا يعابا به فإن ذلك وإن جعل في نفسه فهو أقل قليلا عندما استوجبوا به من العذاب الخلد (فويل لهم) تكرر لما سبق للتأكيده وتصريح به عليه بما قدمت أيديهم بعد الأشعار به فيما سلف بأيراد بعضه في حيز الصلة وبعضه في معرض الغرض والقضاء للإيذان بترتب عليه ومن في قوله عز وجل (عما كتب أيديهم) تعليلية متعلقة بويل أو بالاستقرار في الخبر وما موصولة بحسية والعائد محذوف أى كتيبه أو مصدرية والأول ادخل في الزجر عن تعاطي المحرف والثاني في الزجر عن التصريف (وويل لهم عما يكتبون) الكلام فيه كلذى فيما قبله والتكرير لما مر من التأكيده والتشديد والقصد إلى التعليل بكل من الجنائين وعدم التعرض لقولهم هذا من عند الله لما أنه من مبادئ تزويج ما كتبت أيديهم فهو داخل في التعليل به (وقالوا) بيان لبعض آخر من جنائياتهم وفصله عما قبله مشعر بكونه من الأكاذيب التي اختلقوها ولم يكتبوها في الكتاب (لن نؤمن النار) في الآخرة (الا يا ماعودة) قليلة محصورة عدد أيام عبادتهم المجل أربعين يوما مدة غيبة موسى عليه السلام عنهم وحكي الأصمعي عن بعض اليهود أن عدد أيام عبادتهم المجل سبعة وروى عن ابن عباس ومجاهد أن اليهود قالوا عمر الدين سبعة آلاف سنة وانما نعتذب بكل ألف سنة يوما واحدا وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن اليهود زعمت أنهم وجدوا في التورية أن ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة إلى أن ينتهوا إلى شجرة الزقوم وأنهم يقطعون في كل يوم مسيرة سنة فيكم لو نها (قل) تبيكنا لهم وتوبيضا (أخذتم) بإسقاط الهمزة المجتبىة لوقوعها في الدرج وبإظهار الذال وقرئ بادغامها في التاء (عند الله عهدا) خبرا أو وعدا بما تزعمون فإن ما تزعمون لا يكون إلا بناء على وعد قوى ولذلك عبر عنه بالعهد (فلن يخلف الله عهدا) القلاء فصية معربة عن شرط محذوف كما في قول من قال قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القبول فقد جئنا خراسانا

أى أن كان الأمر كذلك فلن يخلفه والجملة اعتراضية وأظهار الاسم الجليل للأشعار بعلة الحكمكم فإن عدم الخلاف من قضية الألوهية وأظهار العهد مضاعفا إلى ضميره عز وجل لما ذكر أولان المراد به جميع عهوده لعومومه بالإضافة فيدخل فيه العهد المهود دخول أوليا وفيه تحجاف عن التصريح بتحقيق مضمون كلامهم وإن كان معلقا بما لم يكذبهم وأثمة الوجود قطعاعني اتخاذ العهد (أم تقولون) مفرق (عسى الله ما لا تعلمون) وقوعه وانما علق التوبيخ بإسنادهم إليه سبحانه ما لا يعلمون وقوعه مع أن ما استندوه إليه تعالى من قبيل ما يعلمون عدم وقوعه للجمالية في التوبيخ والتكثير فإن التوبيخ على الأدنى مستلزم للتوبيخ على الأعلى بالطريق الأولى وقولهم المحكي وإن لم يكن نصريحا بالافتراء عليه سبحانه لكنه مستلزم له لأن ذلك الجزم لا يكون إلا بإسناد سببه إليه تعالى وأما ما اتصل به والاستفهام للتقرير المؤدى إلى التبيكيت لصق العلم بالحق الأخير كأنه قيل أم لم تفتنوه بل تقولون عليه تعالى وأما منقطعة والاستفهام

لا تكارا لا تضاد وتفيه ومعنى بل فيها الانحراب والانتقال من التوبيخ بالانكار على اقتضاد العهد الى ما
تفقد هـ من زعمهم من التوبيخ على القول على الله سبحانه كما في قوله عز وجل قل الله اذن لكم ام على الله
تفترون (بلى) الى آخره جواب عن قولهم المحكي وابطال له من جهة تعالى وبيان لحقيقة الحال تفصيلا
في ضمن تشريع كل شامل لهم ولسائر الكفرة بعد اظهار كذبهم اجمالا وتوضيح ذلك الى النبي صلى الله
عليه وسلم لما ان الحاجة والالزام من وظائفه عليه السلام مع ما فيه من الاشهاد بان امره لا يتوقف على
التوقيف وبلى حرف ايجاب يختص بجواب النبي خبرا واستفهاما (من كسب سيئة) فاحشة من السيئات
اي كبيرة من الكبائر كدأب هؤلاء الكفرة والكسب استعجاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة فيشرهم
بغداد أليم (واحاظت به) من جميع جوانبه بحيث لم يبق له جانب من قلبه ولسانه وجوارحه الا وقد اشتملت
واستوت عليه (خطيئته) التي كسبها وصارت خاصة من خواصه كما ينبغي عنه الاضافة اليه وهذا انما يتحقق
في الكافر ولذلك فسرها السلف بالكفر حسبا اخرجه ابن ابي خاتم عن ابن عباس وابي هريرة رضي الله عنهم وابن
جرير عن ابي واثل ومجاهد وقتادة وعطاء والربيع وقيل السيئة الكفر والخطيئة الكبيرة وقيل بالعكس وقيل الفرق
بينهما ان الاولى قد تطلق على ما يقصد بالذات والثانية تغلب على ما يقصد بالعرض لانها من الخطأ وقرئ خطيئته
وخطيئته على القلب والادغام فيه ما وخطيئته وخطاياهم وفي ذلك ايذان بكثرة ذنوب كفرهم (فاولئك) مبتدأ
(اصحاب النار) خبره وبالجملة خبر المبتدأ والفاء لتعني معنى الشرط وايراد اسم الاشارة المنبئ عن استحضار
المشار اليه بحاله من الاوصاف للاشعار به ليتها صاحبة النار وما فيه من معنى البعد للتنبية على بعد منزلتهم
في الكفر والخطايا وانما اشبر اليهم بعنوان الجمعية مراعاة لجانب المعنى في كلمة من بعد مراعاة جانب اللفظ
في الضمائر الثلاثة لما ان ذلك هو المناسب لما اسند اليهم في تلك الحالات فان كسب السيئة واحاطة خطيئته به
في حالة الانفراد وصاحبة النار في حالة الاجتماع أي اوائلك الموصوفون بما ذكره من كسب السيئات واحاطة
خطاياهم بهم اصحاب النار أي ملازموها في الآخرة حسب ملازمهم في الدنيا لما يستوجبهم من الاسباب التي
من شأنها ما هم عليه من تكذيب آيات الله تعالى وتخريف كلامه والاقتراء عليه وغير ذلك وانما لم يخص الجواب
بجاءهم بأن يقال مثلا بلى انهم اصحاب النار الخ لما في التعميم من التويل وبيان حالهم بالبرهان والدليل مع
ما رز من قصد الاشعار بالتعدي (هم فيها خالدون) دائما ابدافأني لهم التفصي عنها بعد سبعة ايام واربعين
كازموا فلا حجة في الآية الكريمة على خلود صاحب الكبيرة لما عرفت من اختصاصها بالكافر ولا حاجة
الى حل الخلود على الميث الطويل على ان فيه تهوين الخطب في مقام التويل (والذين آمنوا وعملوا الصالحات
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) جرت السنة الالهية على شفع الوعد بالوعيد مراعاة لما يقتضيه الحكمة في
ارشاد العباد من الترغيب تارة والترهيب أخرى والتبشير مرة والايدار أخرى (واذا اخذنا ميثاق بني اسرائيل)
شروع في تعداد بعض اخر من قبائح اسلاف اليهود بما ينادي بعدم ايمان اخلافهم وكلمة اذ نصب باضماع فعل
خو طب به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون ليؤدبهم التأمل في احوالهم الى قطع الطمع عن ايمانهم
او اليهود الموجودون في عهد النبوة توبيخا لهم بسوء صنيع اسلافهم أي اذكروا اذا اخذنا ميثاقهم
(لا تعبدون الا الله) على ارادة القول أي وقتلنا او قاتلنا لا تعبدون الخ وهو اخبار في معنى النبي كقوله
تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وكما تقول تذهب الى فلان وتقول كيت وكيت وهو ابلغ من صريح النهي
لما فيه من ايعام ان المنهى حقه ان يسارع الى الانتهاء عما نهى عنه فكأنه انتهى عنه فيخبره الناهي ويؤيده
قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه وقيل تقديره ان لا تعبدوا الخ فحذف الناصب ورفع الفعل كما في قوله
الايمان الذي ابرى أحضر الوفي • وأن اشهد الذات هل انت مخلدي

وبعضه قراءة ان لا تعبدوا فتكون بدلا من الميثاق او مع مولا به حذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه
المعنى كأنه قيل وحلفناهم لا تعبدون الا الله وقرئ بالياء لانهم غيب (وبالوالدين احسانا) متعلق بمضمر أي
وتحسّنوا واحسنوا (وذى القربى واليتامى والمساكين) عطف على الوالدين ويتامى جمع قيم كذا في جمع
قديم وهو قليل ومساكين مفعيل من السكون كان الفقراء سكنهم من الحرمان والخنعة عن التغلب (وقولوا للناس
حسنا) أي قولوا لحسناتهم حسنا وباللغة وقرئ كذلك وحسنا بضمين وهي لغة أهل الجوارز وحسن

كثيرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد (واقبوا الصلوة وآتوا الزكاة) هما ما فرض عليهم في شريعتهم
(ثم توليت) ان جعل ناصب الطرف خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فهذا التفات الى خطاب بنى
اسرائيل جميعا بتغليب اخلافهم على اسلافهم لجرى ان ذكر كلهم حينئذ على نهج الغيبة فان الخطابات السابقة
لاسلافهم محكية داخله في حيز القول المقدر قبل لا تعبدون كانهم استحضروا عند ذكر جناباتهم فذهبت هي
عليهم وان جعل خطابا لليهود المعاصرين (رسول الله صلى الله عليه وسلم) فهذا انعم للخطاب بتزليل الاسلاف
منزلة الاخلاف كما أنه تعمم للتولى بتزليل الاخلاف منزلة الاسلاف للتشديد في التوبيخ أى اعرضتم عن
المضى على مقتضى الميثاق ورفضتموه (الاقليل منكم) وهم من الاسلاف من اقام اليهودية على وجهها قبل
التسليم ومن الاخلاف من أسلم كعبد الله بن سلام وأضرابه (وانتم معرضون) بجملة تذييلية أى وانتم
قوم عادتكم الاعراض عن الطاعة وحرارة حقوق الميثاق واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة والاقبال
الى جانب العرض (واذا اخذنا ميثاقكم) منصوب بفعل مضمر خوطب به اليهود فاطبة على ما ذكر من التغليب
ونعى عليهم اخلالهم بميثاق الميثاق المأخوذ منهم في حقوق العباد على طريقة النهي اثر بيان ما فعلوا بالميثاق
المأخوذ منهم في حقوق الله سبحانه وما يجرى مجراها على سبيل الامر فان المقصود الاصلى من النهي عن
عبادة غير الله تعالى هو الامر بتخصيص العبادة به تعالى أى واذكروا وقت اخذنا ميثاقكم في التورية وقوله
تعالى (لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم) كما قبله اخبار فى معنى النهي غير السبيل اليه
لما ذكر من نكته المبالغة والمراد به النهي الشديد عن تعرض بعض بنى اسرائيل لبعض بالقتل والاجلاء
والتعبير عن ذلك بسفك دماء انفسهم واخراجهم من ديارهم بناء على جريان كل واحد منهم مجرى انفسهم
لما بينهم من الاتصال القوى نسبيا ودينا للمبالغة في الحمل على مراعاة حقوق الميثاق بتصور المنهى عنه
بصورة تكريها كل نفس وتنفر عنها كل طبيعة فتعير انفسكم للخصاطيين حتما اذ به يتحقق تنزيل المخرجين
منزلتهم كما ان ضمير دياركم للمخرجين قطعاً اذ الهذورانها هو اخراجهم من ديارهم لامن ديار الخصاطيين من حيث
انهم مختاطبون كما يفصح عنه ما سبأ من قوله تعالى من ديارهم وانما الخطاب ههنا باعتبار تنزيل
ديارهم منزلة ديار الخصاطيين بناء على تنزيل انفسهم منزلتهم لتأكيد المبالغة وتشديد التشنيع واما ضمير دماءكم
فتمثل للوجهين مفاد الاول كون المسفول دماء ادعائية للخصاطيين حقيقة ومفاد الثانى كونه دماء
حقيقية للخصاطيين ادعاء وهما متقاربان في افادة المبالغة فتدبر واما ما قبل من ان المعنى لا تبأسوا وما يودى
الى قتل انفسكم قصاصا وما يبيع سفك دماءكم واخراجكم من دياركم ولا تفعلوا ما يريكم وبصرف انفسكم
عن الحياة الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقتروا ما تحرمون به عن الجنة التى هى داركم فانه الجلاء الحقيقى
فما لا يساعده سياق النظم الكريم بل هو نص فيما قلناه كما استتف عليه (ثم اقررتم) أى بالميثاق وبوجوب
المحافظة عليه (وانتم تشهدون) نو كيد للاقرار بقولك اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الحاضرون
تشهدون اليوم على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق (ثم انتم هؤلاء) خطاب خاص بالحاضرين فيه توبيخ شديد
واستبعاد قوى لما ارتكبوه بعدما كان من الميثاق والاقاربه والشهادة عليه فانتم مبتدأ وهؤلاء خبره ومناطق
الافادة اختلاف الصفات المنزل منزلة اختلاف الذات والمعنى انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون الناقضون
المتناقضون حسبا يعرب عنه الجمل الاتية فان قوله عز وجل (تقتلون انفسكم) الخ بيان له وتفصيل
لاحوالهم المنكرة المندرجة تحت الاشارة ضمنا كانهم قالوا كيف نحن فقتل انفسكم أى الجناحين
مجرى انفسكم كما اشير اليه وقرئ تقتلون بالتشديد للتكثير (وتخرجون فريقا منكم) الضمير اما للخصاطيين
والمضاف محذوف أى من انفسكم واما للمقتولين والخطاب باعتبار أنهم جعلوا انفس الخصاطيين والافلا يتحقق
التكافؤ بين المقتولين والمخرجين في ذلك العنوان الذى عليه يدور فلك المبالغة فى تأكيد الميثاق حسب انص
عليه ولا يظهر كمال قباحة جنائهم في نقضه (من ديارهم) الضمير للفريق وايثار الغيبة مع جواز الخطاب
ايضا بناء على اعتبار العنوان المذكور كما مر في الميثاق للاحتراز عن توهم كون المراد اخراجهم من ديار
الخصاطيين من حيث هي ديارهم لامن حيث هي ديار المخرجين وقيل هؤلاء موصول والجلتان في حيز الصلة
والجوع هو الخبر لانتم (تظاهرون عليهم) يحذف احدى التانيين وقرئ بآبائهما وبالادغام وتظاهرون بطرح

احدى التامين من تتطهرون ومعنى الكل تتعاونون وهي حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او منه اجمعاً
 مبينة لكيفية الاخراج دافعة اتوهم اختصاص الحرمة بالاخراج بطريق الاصل والاستقلال دون الملاحظة
 والمعاونة (بالآثم) متعلق بتطهرون حال من فاعله أى ملتبس بالآثم وهو الفاعل الذى يستحق فاعله الذم واللام
 وقيل هو ما ينفر عنه النفس ولا يطمئن اليه القلب (والعدوان) وهو التجاوز في الظلم (وان يأتوكم اسارى) جمع
 اسير وهو من يؤخذ قهراً فاعيل بمعنى مفعول من الاسرى أى الشدة أو جمع اسير وهو جمع اسير يجرى ويرى وقد
 قرئ اسرى ومجمله النصب على الحالية (تفادوهم) أى تخرجوهم من الاسر باعطاء الفداء وقرئ تفدوهم قال
 السدى أن الله تعالى أخذ على بنى اسرائيل في التوراة الميثاق أن لا يقتل بعضهم بعضاً ولا يخرج بعضهم بعضاً من
 ديارهم وأيام عبداؤهم وجدتموه من بنى اسرائيل فاستمروا واعتقوه وكانت قرية حلفاء الاوس والنضير
 حلفاء الخزرج حين كان بينهما ما كان من العداوة والشقاق فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه فاذا غلبوا خربوا
 ديارهم واخرجوهم منها ثم اذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له مالا فبندونه فغيرتهم العرب وقالت كيف
 تقا تلونهم ثم تفدوهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكن نستحي ان نذل حلفاء نافذتهم الله
 تعالى على المناقضة (وهو محترم عليكم اخراجهم) هو ضمير الشأن وقع مبتدأ ومحترم فيه ضمير قائم مقام الفاعل
 وقع خبراً من اخراجهم والجملة خبر لضمير الشأن وقيل محترم خبر لضمير الشأن واخراجهم مرفوع على أنه مفعول
 مالم يسم فاعله وقيل الضمير بهم يفسره اخراجهم او راجع الى ما يدل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم
 تأكيد وبيان والجملة حال من الضمير في تخرجون او من فر يقاؤهم كما مر بعد اعتبار التقيد بالحال السابقة
 وتخصيص بيان الحرمة ههنا بالاخراج مع كونه قريناً للقتل عند اخذ الميثاق لكونه مظنة للمساهلة في
 امره بسبب قلة خطره بالنسبة الى القتل ولأن مساق الكلام لزمهم ويؤيذهم على جنائياتهم وتناقض افعالهم
 معاً وذلك مختص بصورة الاخراج حيث لم يتقل عنهم تدارك القتلى بشئ من دية او قصاص هو السر في تخصيص
 التظاهرة فيما سبق واماناً خبره من الشرطية المعارضة مع ان حقه التقديم كما ذكره الواحدى فلان نظم افعالهم
 المناقضة في سبط واحد من الذكرا دخل في اظهار بطلانها (افتؤمنون ببعض الكتاب) أى التوراة التى أخذ
 فيها الميثاق المذكور والهمزة للانكار التوبيخى والفاء للعطف على مقدرب مستدعية المقام أى اتفعلون ذلك
 افتؤمنون ببعض الكتاب وهو المفاداة (وتكفرون ببعض) وهو حرمة القتال والاخراج مع ان من قضية الايمان
 ببعضه الايمان بالباقي لكون الكل من عند الله تعالى داخل في الميثاق فتناط التوبيخ كفرهم ببعض مع ايمانهم
 ببعض حسبما يفيد ترتيب النظم الكريم فان التقديم يستدعى في المقام الخطأ بامالة المقدم وتقدمه بوجه
 من الوجوه حتماً واذا بس ذلك ههنا باعتبار الانكار والتوبيخ عليه فهو باعتبار الوقوع قطعاً لا ايمانهم ببعض
 مع كفرهم بالباقي كما هو المفهوم لو قيل أفتكفرون ببعض الكتاب وتؤمنون ببعض ولا يجرد كفرهم ببعض
 وايمانهم بالباقي كما يفيد ان يقال افتجبهون بين الايمان ببعض الكتاب والكفر ببعض (فتجاوز من
 يفعل ذلك) ما نافية ومن ان جعلت موصولة فلا عمل بالفعل من الاعراب وان جعلت موصولة فعمل الجر على أنه
 صفتها وذلك إشارة الى الكفر ببعض الكتاب مع الايمان ببعض اولى ما فعلوا من القتل والاجلاء مع مفاداة
 الاسارى (منكم) حال من فاعل يفعل (الاخرى) استثناء مفرغ وقع خبراً لامبتدأ والخزى المذل والهوان مع
 الفضيحة والتسكير للتخفيف وهو قتل بنى قريظة واجلاء بنى النضير الى اذرعان وأريصا من الشام وقيل الجزية
 (في الحياة الدنيا) في حيز الرفع على أنه صفة اخرى أى خزي كائن في الحياة الدنيا وفي حيز النصب على أنه ظرف
 لنفس الخزي ولعل بيان جزائهم بطريق القصر على ما ذكره قطع اطماعهم القارعة من جزاء ايمانهم ببعض
 الكتاب واظهاراً أنه لا اثره اصلاً مع الكفر ببعض (ويوم القيمة يردون) وقرئ بالثاء أو ترصيفة الجمع نظراً
 الى معنى من بعد ما اوثر الافراد نظراً الى لفظها لما ان الرد انما يكون بالاجتماع (الى اشد العذاب) لما ان معصيتهم
 اشد المعاصى وقيل اشد العذاب بالنسبة الى ما لهم في الدنيا من الخزي والصغار وانما غير سبب النظم الكريم
 حيث لم يقل مثلاً واشد العذاب يوم القيمة للايدان بكال التناهي بين جزاءى الشأتين وتقديم يوم القيمة على ذكر
 ما يقع فيه التحويل والخطب وتفطيع الحال من اول الامر (وما الله بفاعل عما تعملون) من القبائح التى
 من جعلها هذا المنكر وقرئ بالياء على نهج يردون وهوناً كيداً للوعيد (اولئك) الموصوفون بما ذكر

من الاوصاف القبيصة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (الذين اشترؤا) أى آثروا (الحياة الدنيا) واستبدلوا بها (بالآخرة) واعرضوا عنها مع تمكنهم من تحصيلها فان ما ذكر من الكفر ببعض أحكام الكتاب انما كان مراعاة جانب حلفائهم لما يعود اليهم منهم من بعض المنافع الدنية الدنيوية (فلا يخفف عنهم العذاب) دنيويا كان او اخرويا (ولا هم يتصرون) بدفعه عنهم شفاعا او جبرا وبالجملة معطوفة على ما قبلها عطفا لاسمية على الفعلية او يصرون مفسر لمخذوف قبل الضمير فيكون من عطف الفعلية على مثلها (ولقد اتينا موسى الكتاب) شروع في بيان بعض آخر من جنائياتهم وتصديره بالجملة القسمية لانه ظاهر كمال الاعتناء به والمراد بالكتاب التوراة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ان التوراة لما نزلت جملة واحدة امر الله تعالى موسى عليه السلام بحملها فلم يطق بذلك فبعث الله بكل حرف منها ملكا فلم يطقوا بحملها فحفظها الله تعالى لموسى عليه السلام فحفظها (وقمينا من بعده بالرسول) يقال قفاه به اذا أتبعه آياه أى ارسلناهم على اثره كقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع واشعويل وشعمون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقييل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم عليهم الصلوة والسلام (واتينا عيسى بن مريم البينات) المعجزات الواضحات من احياء الموتى وبراء الاكهم والابرص والاخبار بالمقبيات والا انجيل وعيسى بالسريانية ايشوع ومعناه المبارك ومريم بمعنى الخادم وهو بالعبرية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة

قلت لزيير لم تصله مريمه * ضليل اهواء الصبا تنذمه

ووزنه مفعول اذ لم يثبت فعيل (وايدناه) أى قويناه وقرئ ايدناه (بروح القدس) بضم الدال وقرئ بسكونها أى بالروح المقدسة وهى روح عيسى عليه السلام كقولك حاتم الجود ورجل صدق وانما وصفت بالقدس لكرامته اولانه عليه السلام لم تغمه الاصلاب ولا ارحام الطوامت وقيل بجبريل عليه السلام وقيل بالانجيل كما قيل في القرآن وروى من امرنا وقيل باسم الله الاعظم الذى كان يحيى الموتى بذكره وتخصيصه من بين الرسل عليهم السلام بالذكر ووصفه بما ذكر من اياته البينات والتأييد بروح القدس لما ان بهتهم كانت لتنفيذ احكام التوراة وتقريرها واما عيسى عليه السلام فقد نسخ بشريعته كثير من أحكامها وحل محلها فاعتقادهم الباطل في حقهم عليه السلام ببيان حقيقته واطهار كمال قبح ما فعلوا به عليه السلام (افكاهما جاءكم رسول) من اولئك الرسل (بما لا تموى انفسكم) من الحق الذى لا يحد عنه أى لا تحببه من هوى كفرح اذا احب والتعبير عنه بذلك للايدان بان مدار الرد والقبول عندهم هو المخالفة لاهواء انفسهم والموافقة لها لا شئ آخر وتوسيط الهمة بين الغاء وما تعلقت به من الافعال السابقة لتوحيدهم على تعقيبهم ذلك بهذا الوجه الجيب من شأنهم ويجوز صكون الفاء للعطف على مقدر يتناسب المقام أى ألم تطيعوهم فكما جاءكم رسول منهم بما لا تموى انفسكم (استكبرتم) عن الاتباع له والايان بما جاء به من عند الله تعالى (ففرقا) منهم (كذبتم) من غير ان تعرضوا لهم بشئ آخر من المضار والفساد السببية وللتعقيب (وفرقا) آخرهم (نقلون) غير مكلفين بشكذبيهم كزكريا ويحيى وغيرهم عليهم السلام وتقديم فرقا في الموضوعين للاهتمام وتشويق السامع الى ما فعلوا بهم لا للقصر وايثار صيغة الاستقبال في القتل لاستحضار صورته الهائلة والالام الى انهم بعد على تلك النية حيث هموا يعلم يتلوه من جهته عليه السلام وصحروه وسعوا له النساء حتى قال صلى الله عليه وسلم ما زالت الكلمة خير تعاقدى فهذا وان قطعت ابهرى (وقالوا) بيان لمن آخر من قبايحهم على طريق الالتفات الى القبيحة اشعارا بما ادهم عن رتبة الخطايا لما فصل من محاربتهم الموجبة للاعراض عنهم وحكاية تطايرها لكل من يقههم بطلانها وقبايحها من اهل الحق والقائلون هم الموجودون في عصر النبي عليه الصلاة والسلام (قلوبنا غلف) جمع غلف مستعار من الغلف الذى لم يفتح أى هى مغشاة باغشية جلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ولا تفقهه كقولهم قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وقيل هو تحقير غلف جمع غلاف وبؤيده ما روى عن ابي عمرو من القراءة بضمين يعنون ان قلوبنا اوعية للعلوم فتحن مستغنون بما عندنا عن غيره قاله ابن عباس وعطاء وقال الكلبى يعنون ان قلوبنا لا يصل اليها حديث الاوعته ولو كان فى حديثك خير لوعته ايضا (بل لعنهم الله بكفرهم) رد لما دلوه وتكذيب اهرم في ذلك والمعنى على الاول بل ابعدهم الله سبحانه عن رحمة بآن خذلهم وخلاهم وشأنهم بسبب كفرهم العارض وابطالهم لاستعدادهم بشؤ اختيائهم بالمرء وكونهم

بحيث لا ية لهم الا لطاف أملا بعد ان خلقهم على الفطرة والتمسكن من قبول الحق وعلى الثاني بل بعد هم
 من رحمة فاني لهم اذ عاوا العلم الذي هو اجل آثارها وعلى الثالث بل بعد هم من رحمة فذلك لا يقبلون الحق
 المؤدى اليها (فقل لا ما يؤمنون) ما يزيد للمبالغة أي فاما نأقل لا يؤمنون وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل
 فزما نأقل لا يؤمنون وهو ما قلوا آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره وكلاهما ليس
 بايمان حقيقة وقيل اريد بالقلة العدم والقضاء لسببية اللعن لعدم الايمان (ولما جاءهم كتاب) هو القرآن
 وتشكيكه للتخمين ووصفه بقوله عز وجل (من عند الله) أي كائن من عنده تعالى لتشريف (مصدق لما معهم)
 من التورية عبر عنها بذلك لما ان المعية من موجبات الوقوف على ما في تضاعيفها المؤدى الى العلم بكونه
 مصداقها وقري مصداقا على أنه حال من كتاب تخصصه بالوصف (وكانوا من قبل) أي من قبل مجيئه
 (يستفتون على الذين كفروا) أي وقد كانوا قبل مجيئه يستفتون به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا
 بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي تجد نعمته في التورية ويقولون لهم قد اطل زمان نبي يخرج بتصدق ما قلنا
 فقتلكم معه قتل عاد وارم قال ابن عباس وقادة والسدي نزلات في بني قريظة والنضير كانوا يستفتون على
 الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مجيئه وقيل معنى يستفتون يقتضون عليهم ويعترفونهم بأن
 نبيا يبعث منهم قد قرب أو انه والسين للمبالغة كما في استحب أي يسألون من انفسهم الفتح عليهم أو يسأل بعضهم
 بعضا ان يفتح عليهم وعلى التقديرين فالجمله حاله مفيدة الكمال مكابرتهم وعنادهم وقوله عز وجل (فلما جاءهم)
 تكرير للأول لطول العهد بتوسط الجملة الحاشية وقوله تعالى (ما عرفوا) عبارة عما سلف من الكتاب
 لأن معرفة من انزل هو عليه معرفة له والاستفتاح به استفاح به وايراد الموصول دون الاكتفاء بالاضمار لبيان
 كمال مكابرتهم فان معرفة ما جاءهم من مبادئ الايمان به ودواعيه لاسمحالة والقضاء للدلالة على تعقيب مجيئه
 للاستفتاح به من غير ان يتخلل بينهما مدة منسية له وقوله تعالى (كفروا به) جواب لما الاولي كما هو رأي
 المبرد وأجوابه - حامعا كما قاله ابو البقاء وقيل جواب الاولي محذوف لدلالة المذكور عليه فيكون قوله تعالى
 وكانوا الخ جملة معطوفة على الشرطية عطفاً على القصة والمراد بما عرفوا النبي صلى الله عليه وسلم
 كما هو المراد بما كانوا يستفتون به فالعنى ولما جاءهم كتاب مصدق لكتابهم كذبوه وكانوا من قبل مجيئه
 يستفتون عن انزل عليه ذلك الكتاب فلما جاءهم النبي الذي عرفوه كفروا به (فلعن الله على الكافرين) اللام
 للعهد أي عليهم ووضع المظهر موضع المضمحل للشعار بان حلول اللعنة عليهم بسبب كفرهم كما ان القضاء للايذان
 بترتها عليه اول الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اقبيا اذ الكلام فيهم واياما كان فهو محقق لمضمون قوله
 تعالى بل لعنهم الله بكفرهم (بشعما اشتروا به انفسهم) مانكرة بمعنى شيء منصوبة مفسرة لفاعل بشر واشتروا
 صفته أي بشر شيئا باعوا به انفسهم وقيل اشتروا به في زعمهم حيث يعتقدون أنهم عا فعلوا خلدوها
 من العقاب ويأباه أنه لا يبدان يكون المذموم ما كان حاصله لهم لا ما كان زائلا عنهم والخصوص بالذم قوله
 تعالى (ان يكفروا بما انزل الله) أي بالكتاب المصدق لما معهم بعد الوقوف على حقيقته وتبديل الانزال
 بالمجئ لا يبدان بل هو شأنه الموجب للايمان به (بقيا) حذوا وطلبوا الما ليس لهم وهو علة لان يكفروا احتمادون اشتروا
 لما قيل من الفصل بما هو اجنبي بالنسبة اليه وان لم يكن اجنبي بالنسبة الى فعل الذم وفاعله ولان المعنى
 مما لا تعلق له بعنوان البيع قطعاً لاسيما وهو معلل بما سبب في من تنزل الله تعالى من فضله على من يشاؤه
 وانما الذي بينه وبينه علاقة هو كفرهم بما انزل الله والمعنى بشر شيئا باعوا به انفسهم فكفرهم الله بل بالبي
 الكائن لاجل (ان ينزل الله من فضله) الذي هو الوحي (على من يشاء) أي يشاؤه ويصطفيه (من عباده)
 المستأهلين لتصل أعباء الرسالة وما كنه تعليل كفرهم بالمنزل بمصدقهم للمنزل عليه وايثار صيغة التفعيل
 ههنا للايذان بتعدد دفعهم بحسب تعدد الانزال وتكرره حسب تكرر (فيا ويا غضب على غضب) أي رجعوا
 ملتبسين بغضب كائن على غضب مستحقين له حسب ما اقترفوا من كفر على كفر فانهم كفروا بنبي الحق وبعوا
 عليه وقيل كفروا بحمد عليه الصلاة والسلام بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزيز ابن الله وقولهم يد الله مغلولة
 وغير ذلك من فنون كفرهم (وللكافرين) أي لهم والاظهار في وقوع الاضمار للاشهاد بعلة كفرهم لما ساق
 بهم (عذاب مهين) يراد به اهانتهم واذلالهم لما أن كفرهم بما انزل الله تعالى كان مبنيا على الحسد الميئس على

طمع الخزيول عليهم وادعاهم الفضل على الناس والاحتماء به من الزل عليه عليه السلام (واذا قيل) من جازى
 المؤمنين (لهم) أى لهم وودوا وتقديم الجواز والجرور قد مر وجهه لاستحقاق لام التلخيص (استنوا بما أنزل الله)
 من الكتب الالهية جميعا والمراد بالامر بالايمان بالقرآن لكن تلك تلك التلخيص اذا ما تضمن الاستئصال من
 حيث حذر كنه لما آمنوا به فيما فى حيز العسلة وموافقته له فى المضمون وشيها على ان الايمان بما عداه من غير
 ايمان به ليس بايمان بما أنزل الله (قالوا تؤمن) أى تستقر على الايمان (بما أنزل علينا) يعنون به التوراة
 وما نزل على انبياء بنى اسرائيل لتقرير حكمه او يدسون فيه أن ما عدا ذلك غير منزل عليهم ومرادهم بضمير المكلم
 احاطتهم فعلى الانزال عليهم تكليفهم بما فى المنزل من الاحكام واما انبياء بنى اسرائيل وهو الظاهر لاستحقاقه
 على منية الايدان بان عدم ايمانهم بالفرقان لما مر من بغيتهم وحسددهم على نزوله على من ليس منهم ولان مرادهم
 بالموصول وان كان هو التوراة وما فى حكمه خاصة ~~لكن~~ اراد ما يعنون الانزال عليهم معنى على ادعاء ان
 ما عداها ليس كذلك على وجه التعريض كما اشير اليه فلواريد بالانزال عليهم ما ذكر من تكليفهم يلزم من مغايرة
 القرآن لما أنزل عليهم حسبا يعرب عنه قوله عز وجل (ويكفرون بما وراه) عدم كونهم مكلفين بما فيه كما يلزم
 عدم كونه نازلا على واحد من بنى اسرائيل على الوجه الاخير وتجريد الموصول عند الاضمار عما عرّضوا به
 تصف لا يفتى والورا في الاصل مدد وجعل طرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلقه والى
 المفعول فيراد به ما يوارى به وهو امامه والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير مبتدأ أى قالوا ما قالوا وهم يكفرون بما
 عداه وليس المراد مجرد بيان ان افراد ايمانهم بما أنزل عليهم بالذم ~~مستكر~~ لثني ايمانهم باوراءه بل بيان ان ما يدعون
 من الايمان ليس بايمان بما أنزل عليهم حقيقة فان قوله عزاسمه (وهو الخلق) أى المعروف بالحقيقة الحقيقى بان
 يخص به اسم الحق على الاطلاق حال من فاعل يكفرون وقوله تعالى (مصدقاً) حال مؤكدة لمضمون الجملة
 صاحبها اما ضمير الحق وعاطفها ما فيه من معنى الفعل قاله ابو البقاء واما ضمير دل عليه الكلام وعاطفها فعل
 مضمرا اى احقه مصدقا (لما معهم) من التورية والمعنى قالوا تؤمن بما أنزل علينا وهم يكفرون بالقرآن والحال
 انه حق معتدق لما آمنوا به فيلزمهم الكفر بما آمنوا به وما كنههم ادعوا الايمان بالتورية والحال انهم يكفرون
 بما يلزم من الكفرية الكفر بها (قل) تكفيها لهم من جهة الله عز من قائل بيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم
 بعد بيان التناقض فى اقوالهم (قل) اهلها حذف عنه الالف فرقا بين الاستفهامية والخبرية (تقولون انبياء الله
 من قبل) الخطاب للماضين من اليهود والماضين على طريق التغليب وحيث كانوا مشاركين فى العقد والعمل
 كان الاعتراض على اسلافهم اعتراضا على اخلافهم وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية وهو جواب
 شرط محذوف أى قل لهم ان كنتم مؤمنين بالتورية كما تزعمون فلاى شئ كنتم تقولون انبياء الله من قبل وهو
 فيها حرام وتقرى انبياء الله هموزا وقوله تعالى (ان كنتم مؤمنين) تكرير للاعتراض لتأكيد الازام وتشديد
 التهديد أى ان كنتم مؤمنين فلم تقولونهم وقد حذف من كل واحدة من الشرطيتين ما حذف ثقة بما ثبت
 فى الاخرى وقيل لا حذف فيه بل تقديم الجواب على الشرط وذلك لا يتأتى الا على أى الكوفيين وأبى زيد
 وقيل ان نافية أى ما كنتم مؤمنين والالما لقلقوهم (ولقد جاءكم موسى بالبينات) من تمام التبيكيت والتوبيخ
 داخل تحت الامر لا تكرر لما قص فى تضاعف تعداد النعم التى من جللتها المقوع عن عبادة العجل واللام للقسام
 أى والله قد جاءكم موسى منسبا بالجزات الظاهرة التى هى العصا والبدن والسنون ونقص الثمرات والدم
 والخرق والجراد والقمل والضفادع وظل البصرة من عتقها التورية وليس براطن فان المعنى بها مقدمة العجل
 (ثم اخطتم العجل) أى الهاء (من يسهه) أى من بعد عجيته بما وقيل من بعد ما به الى الدور فيكون التورية
 مستند من جهة البينات وتم القرائن فى الرتبة والدلالة على نهاية قبح ما صنعوا (وانتم ظالمون) حال من ضمير
 اخطتم معنى اخطتم العجل للالتين بعبادته واضمن لها فى غير موضعها أو بالاخلال بحقوق آيات الله تعالى
 اذا احتراض أى وانتم قوم عادكم الظلم (واذا أخذنا منكم) توابع من جهة الله تعالى وتكذيبهم فى ادعائهم
 الايمان بقرآنهم بصدق كبرياتهم الناطقة بكذبهم أى واذا كروا حين أخذنا منكم احكم (ورضنا منكم الظور
 بالبين) (خذوا انما كنتم بقوة وانتم) أى خذوا انما كنتم به فى التورية وانهموا انما كنتم بطلاعة الظور
 (والا) استغناء عن قوله تعالى (والا) (مستأثرون) (مستأثرون) (مستأثرون)

فاذا قابل اسلافهم مثل ذلك الخطاب المؤكد مع مشاهدتهم مثل تلك المعجزة الباهرة بمثل هذه العظمة الشعاء
 وكفروا بما في تضاعيف التوراة فكيف يتصور من اخلافهم الايمان بما فيها (واشربوا في قلوبهم البخل) على
 حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للمبالغة أي تدخلهم حبه ورجح في قلوبهم صورته لقرط شغفهم به
 وحرصهم على عبادته كما تدخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشرب كما
 في قوله تعالى انما يأكلون في بطونهم نارا والجحمة حال من ضمير قالوا بتقدير قد (يكفروهم) بسبب كفرهم
 السابق الموجب لذلك قيل كانوا مجسمه أو حلولية ولم يروا جسما أعجب منه فتكن في قلوبهم ماسؤل لهم السامري
 (قل) يويضا لما مضى اليهود اثر ما تبين احوال رؤسائهم الذين بهم يقتدون في كل ما يأتون وما يذرون
 (بشما يأمركم به ايمانكم) بما انزل عليكم من التوراة حسبان تدعون والخصوص بالذم محذوف أي
 ما ذكر من قولهم سمعنا وعصينا وعبادتهم البخل وفي اسناد الامر الى الايمان تمكيم بهم واضافة الايمان
 اليهم للايذان بأنه ليس بايمان حقيقة كما ينبغي عنه قوله تعالى (ان كنتم مؤمنين) فانه قدح في دعواهم الايمان
 بما انزل عليهم من التوراة وابطال لها وتقريره ان كنتم مؤمنين بها عاملين فيما ذكر من القول والعمل بما فيها فبشما
 يأمركم به ايمانكم بها واذا لايسوغ الايمان بها مثل تلك القبائح فلسستم مؤمنين بها قطعوا جواب الشرط كما ترى
 محذوف لدلالة ما سبق عليه (قل) كثر الامر مع قرب العهد بالامر السابق لما لانه أمر يتبكيته واطهار كذبهم
 في فن آخر من اباطيلهم لكنه لم يحك عنهم قبل الامر بابطاله بل اكتفى بالاشارة اليه في تضاعيف الكلام حيث
 قيل (ان كانت لكم الدار الآخرة) أي الجنة اوتعيم الدار الآخرة (عند الله خاصة) أي سائلة لكم
 خاصة بكم كما تدعون أنه ان يدخل الجنة الامن كان هو ذا أو نصارى ونصبا على الحالية من الدار وعند ظرف
 للاستقرار في الخبر اعني لكم وقوله تعالى (من دون الناس) في محل النصب بخالصة يقال خاص في كذا
 من كذا واللام للجنس أي الناس كافة اولعه أي المسلمين (فتنوا الموت) فان من ايقن بدخول الجنة اشتاق الى
 التخاص اليها من دار البوار * وقرارة الاكدار * لاسيما اذا كانت خالصة كما قال علي - كرم الله وجهه
 لا ابالي اسقطت على الموت او سقط الموت على - وقال عمار بن ياسر بصفين * الآن الاق الاحبه * محمد وحر به
 وقال حذيفة بن اليمان حين احتضر وقد كان يتمي الموت قبل جاء حبيب على فاقة * فلا أفلح اليوم من قد قدم
 أي على التمني وقوله تعالى (ان كنتم صادقين) تكرر في الكلام لتشديد الالزام والتنبية على أن ترتب الجواب ليس
 على تحقق الشرط في نفس الامر فقط بل في اعتقادهم أيضا وانهم قد ادعوا ذلك والجواب محذوف ثقة بدلالة
 ما سبق عليه أي ان كنتم صادقين فتمنوه وقوله تعالى (ولن يتمنوه ابدا) كلام مستأنف غير داخل تحت الامر
 سبق من جهته سبحانه لبيان ما يكون منهم من الاحجام عماد عوا اليه الدال على كذبهم في دعواهم (بما قدمت
 أيديهم) بسبب ما عملوا من المعاصي الموجبة لدخول النار كالشرك والكفر بالانبياء عليه السلام والقرآن وتحرير
 التوراة وما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناسط عامة صنائعه ومدارا أكثر منافعه عبرها تارة عن
 النفس واخرى عن القدرة (والله اعلم بالظالمين) أي بهم واشار الى اظهارهم على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم
 بانهم ظالمون في جميع الامور التي من جملتها ادعاء ما ليس لهم ونفيه عن غيرهم والجحلة تدليل لما قبلها مقرر
 لمعنونه أي عليهم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي المقضية الى افانين العذاب وبما سيكون منهم
 من الاختراز عما يؤدى الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يمتن منهم مونه احد اذ لو وقع ذلك لنقل واشتهروا عن النبي
 صلى الله عليه وسلم لو غنوا الموت لغص كل انسان بريقه فبات مكانه وما بقي يهودى على وجه الارض (ولقد نهدهم
 احرص الناس) من الوجدان العقلي وهو جار مجرى العلم خلا لانه مختص بما يقع بعد التصبرية ونحوها ومفعولاه
 المنعبر وأحرص والتذكير في قوله تعالى (على حيوة) للايذان بأن مرادهم نوع خاص منها وهي الحيوة المتطاولة
 وقرئ بالتعريف (ومن الذين اشركوا) عطف على ما قبله بحسب المعنى كأنه قيل احرص من الناس ومن
 الذين اشركوا وافرادهم بالذكور مع دخولهم في الناس للايذان بامتيازهم من بينهم بشدة الحرص للمبالغة
 في توبيخ اليهود فان حرصهم وهم معترفون بالجرائم كما كان أشد من حرص المشركين المنكرين له دل ذلك على
 بزمهم بصرهم الى النار ويجوز أن يحمل على حذف المعطوف ثقة بانبياء المعطوف عليه عنه أي وأحرص من
 الذين اشركوا فاقوله تعالى (يؤذ أحدهم) بيان لزيادة حرصهم على طريقة الاستئناف ويجوز أن يكون

في حيز الرفع صفة مبتدأ محذوف خبره الطرف المتقدم على ان يكون المراد بالمرتكبين اليهود اقولهم عزيز
 ابن الله أي ومنهم طائفة يودأ أحدهم أي كل واحد منهم (لو يعمر ألف سنة) وهو حكاية لودادتهم
 صكأنه قيل ليتني أعمر وانما جرى على القية لقوله تعالى يودأ كما تقول حلف بالله ليفعلن ومجمله النصب على انه
 مفعول يودأ جراء له مجرى القول لانه فعل قلبي (وما هو عز حزنه من العذاب) ما مجازية والضير العائد
 على أحدهم اسمها وعز حزنه خبرها والباء زائدة و(ان يعمر) فاعل من حزنه أي وما أحدهم عن يز حزنه أي
 يبعده ويخيه من العذاب تعميره وقيل الضير ما دل عليه يعمر من الصدر وان يعمر بدل منه وقيل هو منهم وأن
 يعمر مفسره والجملة حال من أحدهم والعامل يودأ لا يعمر على انها حال من ضميره لفساد المعنى او اعتراض
 واصل سنة سنة لقولهم سنوات وسنية وقيل سنة بكسبة لقولهم سائنته وسنيته ونسنت النحلة اذا انت عليها
 السنون (والله بصير بما يعملون) البصير في كلام العرب العالم بكنهه الشيء الخفي به ومنه قولهم فلان بصير بالفقه
 أي علم بحفيا أعمالهم فهو مجازيهم بالاحاطة وقرئ بآاء الخطاب التفاتا وفيه تشديد للوعيد (قل من كان
 عدوا لجبريل) نزل في عبد الله بن صوريا من احبار فذل حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عن نزل
 عليه بالوحي فقال عليه السلام جبريل عليه السلام فقال هو عدو لنا لو كان غيره لا منابك وفي بعض الروايات
 ورسولنا ميكائيل فلو كان هو الذي يأتيك لا منابك وقد عادانا مرارا واشتهانا انه انزل على نبينا ان بيت المقدس
 سيخرب به تحت اصر فبعثنا من يقتله فلقبه يسابيل غلاما مسكينا فذفع عنه جبريل عليه السلام وقال ان كان ربكم
 أمر به لا ككم فانه لا يسلطكم عليه والاقباى حتى تقتلوه وقيل أمر الله تعالى أن يجعل النبوة فينا فجعلها
 في غيرنا وروى أنه كان لعمر رضى الله عنه أرض بأعلى المدينة وكان يمر على مدراس اليهود فكان يجلس اليهم
 ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد أحيننا واننا نطمع فيك فقال والله ما جئكم لحبكم ولا أسألكم لشئ في ديني وانما
 أدخل عليكم لأزاد بصيرة في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأرى آثاره في كتابكم ثم سأله عن جبريل عليه السلام
 فقالوا ذاك هو عدو لنا بطالع محمد على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل يحيى بالخطب والسلام
 فقال لهم وما منزلته ما عند الله تعالى قالوا جبريل أقرب منزلة هو عن يمينه وميكائيل عن يساره وهما متعاديان
 فقال عمر رضى الله عنه ان كانا كما تقولون فاهما بهدقين ولانتم اكفر من الجير ومن كان عدوا لاحدهما فهو عدو
 للآخر ومن كان عدوا لهما ما كان عدوا لله سبحانه ثم رجع عمر فوجد جبريل عليه السلام قد سبقه بالوحي فقال
 النبي صلى الله عليه وسلم لقد وافقتك ربك يا عمر فقال عمر رضى الله عنه لقد رأيتني في ديني بعد ذلك اصاب من الحجر
 وقرئ جبريل كسلسيل وجبريل كجهمش وجبريل وجبريل وجبرائيل كجبرائيل كجبراعل ومنع
 الصرف فيه للتعريف والجملة وقيل معناه عبد الله (فانه نزل) تعليل لحواب الشرط قائم مقامه والبارز الاول
 لجبريل عليه السلام والثاني للقرآن اشهر من غير ذكر ايدنا بفجامة شأنه واستغناؤه عن الذكر لكمال شهرته وبهايته
 لاسما عند ذكر شئ من صفاته (على قلبك) زيادة تقرير للتبزييل بيان محل الوحي فانه القائل الاول له ومدار الفهم
 والحفظ واشار ان الخطاب على التكلم المبني على حكاية كلام الله تعالى بعينه كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين
 اسرفوا على انفسهم لما في النقل بالعبارة من زيادة تقرير لشمعون المقالة (بأذن الله) بأمره ويسيره مستعار من
 تسهيل الحجاب وفيه تلويح بكل توجه جبريل عليه السلام الى تنزيهه وصدق عزيمته عليه السلام وهو حال من فاعل
 نزل وقوله تعالى (مصدق لما بين يديه) أي من الكتب الالهية التي معها التوريه حال من مفعوله وكذا قوله تعالى
 (وهدى وبشرى للمؤمنين) والعامل في الكل نزه والمعنى من عادى جبريل من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته
 بل يجب عليه محبته فانه نزل عليك كتابا مصدقا لكتبهم أو فاسبب في عداوته تنزيهه لكتاب مصدق لكتابهم
 موافقه لهم لانه كلهم موافقه له لان الاعتراف بها يوجب الايمان به وذلك
 يستدعي اتسكاس احوالهم وزوال رياستهم وقيل ان الجواب فقد خلع وبقة الانصاف او فقد كفر بما معه
 من الكتاب او فليت غيظا او فهو عدو لي وأنا عدو له (من كان عدوا لله) اريد بعداونه تعالى بخالفه أمره
 عنداوان الخروج عن طاعته مكابرة او عداوة خواصه ومقرهه لكن صدر الكلام بذكره الجليل فبقيته بالثأرهم
 وايدنا بأن عداوتهم عداوته عز وعلا كما في قوله عز وجل والله ورسوله احق ان يرضوه ثم صرح بالمرام فقيل
 (وملائكته ورسوله وجبريل وميكائيل) وانما افرد بالاذكر مع انهما اول من يشمله عنوان الملكية والرسالة

لاظهار فضلها كما نفعها عليهم السلام من جنس آخر اشرف مما ذكر في الآيات في الوصف من الكفار في
الجنس والتنبيه على ان عداوة احد ههنا عداوة لا آخر سبحانه لا اعتقادهم الباطل في حقها حيث زعموا
انهم متعاديان ولاشارة الى ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واحتياج العداوة من بهيمة الله سبحانه
وان من عادى احد ههنا فكأنما عادى الجميع ولوله تعالى (فان الله عداوة للكافرين) أي لهم جواب الشرط
والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه الله العقاب واثارا لاجبة للدلالة على التصق والنيات ووضع الكافرين
موضع الضر لا ليدان بان عداوة المذكورين كفر وان ذلك يبين لا يحتاج الى الاخبار به وان مدار عداوته تعالى
لهم ومخطه المستوجب لاثد العقوبة والعذاب هو كفرهم المذكور وقرئ ميكائيل كميكايل وميكائيل
كميكائيل وميكائيل كميكايل (ولقد انزلنا اليك آيات بينات) وانصت الدلالة على معانيها
وعلى كونها من عند الله عز وجل (وما يكفر بها الا الفاسقون) أي المتمردون في الكفر الخارجون من حدوده
فان من ليس على تلك الصفة من الكفرة لا يجترئ على الكفر بمثل هاتيك البينات قال الحسن اذا استعمل
الفسق في نوع من المعاصي وقع على أعظم افراد ذلك النوع من كفر أو غيره وعن ابن عباس رضي الله عنهم ما أنه
قال قال ابن صوريا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشئ نعرفه وما نزل علينا من آية فتتبعك لها فتترك
واللام للعهد أي الفاسقون المعهودون وهم اهل الكتاب المخرفون لكناهم انصار جوع عن دينهم والجنس
وهم داخلون فيه دخولا اوليا (او كلما عهدوا عهدا) الهمة للانكار والواو لا مطلق على مقدريه فضيه المقام
أي اكفروا بها وهي في غاية الوضوح وكلما عهدوا عهدا ومن جملة ذلك ما اشير اليه في قوله تعالى وكانوا
من قبل يستفتون على الذين كفروا من قولهم للمشرصكين قد اطل زمان بنى يخرج بتدقيق ما قلنا
فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقرئ يسكون الواو على ان تقدير النظم الكريم وما يكفر بها الا الذين فسقوا
أو نقضوا عهدهم من ارا كثيرة وقرئ عودوا وعهدوا وقوله تعالى عهدا اما مصدر مؤكدا لعهدها ومن غير
لفظه او مفعول له على أنه بمعنى أعطوا العهد (ينذ فريق منهم) أي رماوا بالزام ورفضوه وقرئ نقضه واسناد
النبي الى فريق منهم لان منهم من لم ينذ (بل انذرهم لا يؤمنون) أي بالتورية وهذا دفع لما يتوهم من
ان النباذين هم الاقنون وأن من لم ينذ جهارافهم يؤمنون بها سرا (ولما جاءهم رسول) هو النبي صلى الله
عليه وسلم والتذكير للتخفيف (من عند الله) متعلق بجاءهم او محذوف وقع صفة لرسول لا قادة من زيد تعظيما بتأكيد
ما أفاده التذكير من الفخامة النهائية بالضمامة الاضافية (مصدق لما معهم) من التورية من حيث انه صلى الله
عليه وسلم قرأ محمدا وحقق حقيقة نبوة موسى عليه الصلاة والسلام بما انزل عليه او من حيث انه عليه السلام
جاء على وفق ما نعت فيها (ينذ فريق من الذين اوتوا الكتاب) أي التورية وهم اليهود الذين كانوا في عهد النبي
صلى الله عليه وسلم عن كانوا يستفتون به قبل ذلك لا الذين كانوا في عهد سليمان عليه السلام كما قيل لان
النبي عند مجيئه النبي صلى الله عليه وسلم لا يتصوره منهم وافراد هذا التنبذ بالذكر مع انذاره نعت قوله عز
وجل او كلما عهدوا عهدا ينذ فريق منهم لانه معظم بنيانهم ولانه تمهيد لذكر انبأهم لما تناو الشياطين
رايادهم له عليه والمراد بآياتها اما آيات علمها بالدراسة والحفظ والوقوف على ما فيها فالمراد بعبارة عن
علمهم وما يجرد انزالها عليهم فهو عبارة عن الكل وعلى التقديرين فوضعه موضع التمهيد لا ليدان ان ميكائيل
المتناهي من ما ائمت لهم في حيز الصلة وبين ما صدر عنهم من النذ (كتاب الله) أي الذي اوتوه قال السدي لما
جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتورية فاتفقت التورية والقرآن فنبذوا التورية وأخذوا بكتاب
أصغر من حاروت وماروت فلم يوافق القرآن فهذا قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله بالحق وانما عبرتها
بكتاب الله لشرها لها وتعليقها عليهم وتحويلها لما اجتروا عليه من الكفر بها وقيل كتاب الله القرآن ينذوه
بعد ما انهم تلقوه بالقبول لا سيما بعد ما كانوا يستفتون به من قبل فان ذلك قبول له وعكس به فيكون الكفر به
عند مجيئه نبذاته كانه قبل كتاب الله الذي يباه به فان مجيئه الرسول مغرب عن مجيئه الكتاب (وراء ظهورهم)
مثل اتركهم وامرأهم عنه بالكيفية مثل جاري به وراء الظهور كمنه عند وقلة التفتات اليه (كانهم لا يعلمون)
جملة عالية أي يخفون وراء ظهورهم مشبهين بمن لا يطلع فان يديهم انصارهم فالعنى كانهم لا يعلمون على وجه

الايمان ولا يعرفون ما فيه من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام فيه ايدان بأن علمهم به رصين ~~لكنهم~~
 يتجاهلون او كانوا لا يعاونون أنه كتاب الله ولا يعلمونه اصلاً كما اذا اريد بهم الكل وفي هذين الوجهين زيادة
 مبالغة في اعراضهم عما في التوراة من دلائل النبوة هذا وان اريد بما نبذوه من كتاب الله القرآن فالمراد بالعلم
 المنبئ في قوله تعالى كانوا لا يعلمون هو العلم بأنه كتاب الله ففيه ما في الوجه الاول من الاشعار بأنهم متيقنون
 في ذلك وانما يكفرون به مكابرة وعناداً قيل أن جيل اليهود أربع فرق ففرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها
 كؤمنى أهل الكتاب وهم الاقلون المشار اليهم بقوله عز وجل بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهرُوا بنبذ
 اليهود وتعتدى الحدود وتزدأفسوا وقاموا هم المعنيون بقوله تعالى نبذهم ففرقة لم يجاهرُوا بنبذها ولكن
 نبذوها لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تسكوا بما ظاهروا ونبذوها خفية وهم المتجاهلون (واتبعوا ما تنزلوا
 الشياطين) عطف على جواب لما أي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحرة التي كانت تقرأها الشياطين وهم
 المتمردون من الجن وتتلو حكاية حال ماضية والمراد بالاتباع التوغل والتجسس فيه والاقبال عليه بالكلية والا
 فأصل الاتباع كان حاصله قبل مجي الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يتسنى عطفه على جواب لما ولذلك قيل هو
 معطوف على الجملة وقيل على أشربوا (على ملك سليمان) أي في عهد ملكه قيل كانت الشياطين يسترقون
 السمع ويضجون الى ما سمعوا الكاذب يلقونهم وابلقونهم الى الكهنة وهم يدقونهم ويعلمونهم الناس وفشا ذلك
 في عهد سليمان عليه السلام حتى قيل ان الجن تعلم ان الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم له ملكه الا
 بهذا العلم وبه سحر الانس والجن والطير والريح التي تجري بأمره وقيل ان سليمان عليه السلام كان قد دفن كثيراً
 من العلوم التي خصه الله تعالى بها تحت سرير ملكه فلما مضت على ذلك مدة توصل اليها قوم من المنافقين فكتبوا
 في خلال ذلك اشياء من فنون السحر تناسب تلك الاشياء المدفونة من بعض الوجوه ثم بعد موته واطلاع
 الناس على تلك الكتب او هم وهم أنه من عمل سليمان عليه السلام وأنه ما بلغ هذا المبلغ الاسباب
 هذه الاشياء (وما كفر سليمان) تنزيهه لساحته عليه السلام عن السحر وتكذيب لمن افترى عليه بأنه كان
 يعتقد ويعمل به والتعرض لكونه كافر بالمبالغة في اظهار زناهم عليه السلام وكذب باقتضائهم بذلك (ولكن
 الشياطين) وقرئ بتخفيف لكن ورفع الشياطين والواو عاطفة للجملة الاستدراكية على ما قبلها
 وكون الخففة عند الجمهور للعطف انما هو عند عدم الواو وكون ما بعدها مفرداً (كفروا) باستعمال السحر
 وتدوينه (يعلمون الناس السحر) اغواء واضلالاً والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير كفروا ومن
 الشياطين فان ما في لكن من رائحة الفعل كلف في العمل في الحال اوفى محل الرفع على أنه خبر ثان للكن
 او بدل من الخبر الاول وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار التعليم وتجديده او جملة مستأنفة هذا على
 تقدير كون الضمير للشياطين وأما على تقدير رجوعه الى فاعل اتبعوا فهي اما حال منه واما استئنافية فحسب
 واعلم أن السحر أنواع منها سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون
 انها هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ويستخدون الخوارق بواسطة
 تحريك القوى السماوية بالقوى الارضية وهم الذين بعث الله تعالى ابراهيم عليه الصلوة والسلام لابطال
 مقالهم وهم ثلاث فرق ففرقة منهم يزعمون ان الافلاك والنجوم واجبة الوجود لذواتها وهم الصابئة وفرقة
 يقولون بالهية الافلاك ويتخذون لكل واحد منها هيكلاً ويستعملون بخدمتها وهم عبدة الاوثان وفرقة
 ابتوا الافلاك ولاكواكب فاعلا مختاراً لكنهم قالوا انه اعطاها قوة عالية نافذة في هذا العالم وفوض تدبيره
 اليها ومنها سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية فانهم يزعمون ان الانسان تبلغ روحه بالتصفية في القوة
 والتأثير الى حيث يقدر على الابداء والاعدام والاحياء والامانة وتغيير البنية والشكل ومنها سحر من يستعين
 بالارواح الارضية وهو المسمى بالعزائم وتسخير الجن ومنها التخييلات الاخذة بالعيون وتسمى الشعوذة
 ولا خلاف بين الامة في ان من اعتقد الاول فقد كفر وكذلك من اعتقد الثاني وهو سحر اصحاب الاوهام
 والنفوس القوية واما من اعتقد أن الانسان يبلغ بالتصفية وقرأة العزائم والرقى الى حيث يخلق الله سبحانه
 وتعالى عقيب ذلك على سبيل جريان العادة ببعض الخوارق فالمعتزلة انفقوا على أنه كافر لانه لا يمكنه بهذا
 الاعتقاد معرفة صدق الانبياء والرسول بخلاف غيرهم ولعل التصديق ان ذلك الانسان ان كان خيراً امتنعوا

في كل ما يأتي ويذرو كان من يستعين به من الارواح الخيرة وكانت عزائمه ورقاه غير مخالفة لاحكام الشريعة
الشريعة ولم يكن فيما ظهر في يده من الخوارق ضرر شرعي لاحد فليس ذلك من قبيل السحر وان كان شريرا غير
متسلط بالشريعة الشريعة قطا هرأن من يستعين به من الارواح الخبيثة الشريرة لاحماله ضرورية امتناع
تحقق التضام والتعاون بينهما من غير اشتراك في الخبيث والشرارة فيكون كافر اقطاعا وأما الشعوذة وما يجري
مجرها من اظهار الامور العجيبة بواسطة ترتيب الالات الهندسية وخفة اليد والاستعانة بخواص الادوية
والاجار فاطلاق السحر عليها طريق التجوز اولما فيه من الدقة لانه في الاصل عبارة عن كل ما لطف مأخذه
وخفى سببه أو من الصرف عن الجهة المعتادة لما انه في اصل اللغة الصرف على ما حكاه الازهرى عن القراء
ويونس (وما انزل على الملوك) عطف على السحر أى ويعلمونهم ما انزل عليهم والمراد بهما واحد والعطف
لتعابر الاعتبار وهو نوع أقوى منه أو على ما تلوه وما بينهما اعتراض أى واتبعوا ما انزل الخ وهما ملكان
انزل الله عليهم السحر ابتلاء من الله للناس كما اتى قوم طالوت بالتهرا وتميزا بينه وبين المجرة لتلايفتربه الناس
اولا ان السحر كثر في ذلك الزمان واستنبط ابوابا غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة فبعث الله تعالى
هذين الملكين ليعلم الناس ابواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة اولئك الكذابين واظهار امرهم على
الناس وأما ما يحكى من ان الملائكة عليهم السلام لما رأوا ما يصعد من ذنوب بنى آدم عيروهم وقالوا الله
سبحانه هؤلاء الذين اخترتهم لخلافة الارض بعصونك فيها فقال عز وجل لوركب فيكم ما ركبت فيهم اخصيتوني
قالوا سبحانك ما ينبغي لنا ان نعصيك قال تعالى فاختاروا من خياركم ملكين فاختاروا هاروت وماروت
وكانا من اصحابهم وأعبداهم فأهبطا الى الارض بعد ما ركب فيهما ما ركب في البشر من الشهوة وغيرها من
القوى ليعضيا بين الناس نهارا ويخرجيا الى السماء مساء وقد نهيا عن الاشرار والقتل بغير الحق وشرب الخمر
والزنا وكانا يقضيان بينهم نهارا فاذا امسى اذ كرا اسم الله الاعظم فصعدا الى السماء فاختصمت اليه ماذات
يوم امرأة من اجل النساء تسمى زهرة وكانت من نظم وقيل كانت من اهل فارس ملكة في بلدها وكانت
خصوصتها مع زوجها فلما رأياها افتتن بها فراوداها عن نفسها فابت فالحساعلم بافقتالات الا ان تقضيا الى
على خصمى ففعلنا ثم سألها ما سألها فقالت لا الا ان تقضيا لافقتالات لا الا ان تقضيا لافقتالات لا الا ان تقضيا
وتسجد للصنم ففعلنا كلام من ذلك بعد اللبث والى ثم سألها ما سألها فقالت لا الا ان تقضيا لافقتالات لا الا ان تقضيا
الى السماء فعلمها الاسم الاعظم فدعت به وصعدت الى السماء فسخنها الله سبحانه كوكبا فها بالعرش
حسب عادتهم ما لم تطلعها جنتهما فعلمها ما حل بهما وكان في عهد ادريس عليه السلام فالتجأ اليه ايشقعه لهما
ففعلى غيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا الاول لا تقطاعه عما قيل فها مع عذابان
بابل قيل لعلان بشعورهما وقيل من كوسان بفسر بان بسياط الحديد الى قيام الساعة فها لا تعرف عليه
لما ان مداره رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لدلالة العقل والنقل ولعله من مقولة الامثال والرموز التي
قصدها ارشاد اليب الا يرب بالترغيب والترهيب وقيل هما رجليان هما ملكين اصلا حهما وبعضه
قراءة الملوك بالكسر (ببابل) الباء بمعنى الكسر لانصرفا وأما من قرأ الملكين بكسر اللام
أو من الضمير في انزل وهي بابل العراق وقال ابن مسعود رضى الله عنه بابل ارض الكوفة وقيل جبل دماوند
ومنع الصرف للجمجمة والعلمية أو للتأنيث والعلمية (هاروت وماروت) عطف بيان للملكين علمان لهما ومنع
صرفهما للجمجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا وأما من قرأ الملكين بكسر اللام
أو قال كانا رجليين صالحين فقال هما اسمان لهما وقيل هما اسمان قبيلتين من الجن هما المراد من الملكين
بالكسر وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت (وما يعلمان من احد) من مزيدة في المفعول به لافادة تأكيد
الاستغراق الذي يفيد احد لا افادة نفس الاستغراق كما في قولك ما جاءني من رجل وقرئ يعلمان من الاعلام
(حقى بقولا انما نحن فتنة) الفتنة الاختيار والامتحان وافرادهما مع تعددهما الكونهما مصدر واحد لهما عليهما
مواظاة للمبالغة كأنهما نفعن الفتنة والعصر لبيان انه ليس لهما فيما يتعاطيان شأن سواهما لينصرف الناس
عن تعلمه أى وما يعلمان ما انزل عليهم من السحر احد من طالبيهم حتى ينصحاء قبيل التعليم ويقول له انما نحن
فتنة وابتلاء من الله عز وجل فن عمل بما تعلم منا واعتقد حقيقته كفر ومن توفى عن العمل به أو اتخذه ذريعة

للاعتناء عن الاعتراض بمنزله بقى على الايمان (فلا تكفر) باعتقاد حقيقته وجواز العمل به والظاهر ان غاية
النتي ليست هذه المقالة فقط بل من جملتها التزام مخاطب بعوجب النهي لكن لم يذ كر لظهوره وكون الكلام
في بيان اعتناء الملكين بشأن النصح والارشاد والجملة في محمل النصيب على الحسابية من ضمير يعلمون لا معطوفة
عليه كما قيل أى ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ويحملونهم على العمل به اغواء
واضلالا والحال انهما ما يعلمان احدا حتى ينهياه عن العمل به والكفر بسببه واما ما قيل من ان ما في قوله تعالى
وما انزل الخ نافية والجملة معطوفة على قوله تعالى وما كفر سليمان بنى بها التكذيب اليهود في القصة أى لم
ينزل على الملكين اباحة السحر وأن هاروت وماروت بدل من الشياطين على انهم ما قيلتان من الجن خصتا
بالذكر لاصالتهم وما وكون باقى الشياطين أتبعا لهما وأن المعنى ما يعلمان احدا حتى يقولان انما نحن قننة
فلا تكفر فتكون مثلنا فبدأ به ان مقام وصف الشياطين بالكفر واضلال الناس مما لا يلائمه وصف رؤسائهم
بما ذ كر من النهي عن الكفر مع ما فيه من الاخلال بنظام الكلام فان الابدال في كم تحية المبدل منه
(فيتعلمون منهما) عطف على الجملة النافية فانها في قوة المثبتة كأنه قيل يعلمانهم بعد قولها ما انما نحن الخ
والضمير لا حدسلا على المعنى كما في قوله تعالى وما منكم من احد عنه حاجزين (ما يقرقون به) أى بسببه
وباستعماله (بين المراءى) وقرئ بضم الميم وكسرها مع الهززة وتشديد الراء بلا همزة (وزوجه) بان يحدث الله
تعالى بينهما التباغض والفرق والنشوز عند ما فعلوا ما فعلوا من السحر على حسب جرى العادة الالهية من خلق
المسيبات عقيب حصول الاسباب العادية ابتلاء لان السحر هو المؤثر في ذلك وقيل فيتعلمون منهما ما يعملون به
فيراها الناس ويعتقدون أنه حق فيكفرون فتبين ازواجهم (وما هم بضارين به) أى بما تعلموه واستعملوه من
السحر (من احد) أى احد او من مزيدة لما ذ كر في قوله تعالى وما يعلمان من احد والمعهود وان كان زيادتها
في معول فعل نفي الا أنه حملت الالتماسية في ذلك على الفعلية كأنه قيل وما يضرون به من احد (الا باذن الله)
لانه وغيره من الاسباب يعزل من التأثير بالذات وانما هو بامره تعالى فقد يحدث عند استعمالهم السحر فعلا
من افعاله ابتلاء وقد لا يحدثه والاستثناء مفترغ والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير ضارين او من
مفعوله وان كان نكرة لا اعتمادها على النفي او الضمير المجرور في به أى وما يضرون به احد الا مقرنا
باذن الله تعالى وقرئ بضارى على الاضافة يجعل الجار جزءا من المجرور وفصل ما بين المضافين بالنظر
(ويتعلمون ما يضرونهم) لانهم يقصدون به العمل اولان العلم يجزى الى العمل غالباً (ولا يتفهمهم) صرح بذلك
ايذانا بانهم ليس من الامور المشوبة بالنفع والضرر بل هو شر بحت وضرر محض لانهم لا يقصدون به التخلص
عن الاعتراض با كاذيب من يدعى النبوة مثلا من السحرة او تخليص الناس منه حتى يكون فيه نفع في الجملة
وفيه ان الاجتناب عما لا يؤمن غوائله خير كعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان تجزى الى الغواية وان قال من قال
عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه (واقدموا) أى اليهود الذين حكيت
جناباتهم (لمن اشترى) أى استبدل ما تنالوا الشياطين بكتاب الله عز وجل واللام الاولى جواب قسم محذوف
والثانية لام ابتداء علق به علموا عن العمل ومن موصولة في حيز الرفع بالابتداء واشترى صلتها وقوله تعالى
(ماله في الاخرة من خلاق) أى من نصيب جملة من ميتدا وخبر ومن مزيدة في المبتدأ وفي الاخرة متعلق
بمحذوف وقع حالا منه ولو أخر عنه لكان صفة له والتقدير ماله خلاق في الاخرة وهذه الجملة في محمل الرفع
على انها خبر للموصول والجملة في حيز النصيب سادة مستمضوية علموا ان جعل متعديا الى اثنين او مفعوله
الواحد ان جعل متعديا الى واحد فجملة ولقد علموا الخ مقسم عليهم لدون جملة لمن اشترى الخ هذا ما عليه
الجمهور وهو مذهب سيبويه وقال الفراء وتبعه ابو البقاء ان اللام الاخيرة موطنة للقسم ومن شرطية
مرفوعة بالابتداء واشترى خبرها وماله في الاخرة من خلاق جواب القسم وجواب الشرط محذوف
اكتفاء عنه بجواب القسم لانه اذا اجتمع الشرط والقسم يجاب سابقهما غالبا فينبذ يكون الجملةان مقسما
عليهما (وليتس ما شروا به انفسهم) أى باعواها واللام جواب قسم محذوف والمخصوص بالذم محذوف أى
وبالله ليعتسما باعوا به انفسهم الدهر أو الكفر وفيه ايذان بانهم حيث يبتذوا كتاب الله وراء ظهرهم
فقد عرضوا انفسهم لله ليعتسما باعواها لا يريدون التيسار وتجويز كون الشرى بمعنى الاشتراء مما لا ينبغي

اليه لان المشتري متعين وهو ما تناولوا الشياطين ولان متعلق الذم هو المأخوذ لا المنبذ كما اشير اليه في تفسير قوله سبحانه بشما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله (لو كانوا يعلمون) أي يعملون بعلمهم جعلوا غير عالمين لعدم عملهم بموجب علمهم اولو كانوا يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على اليقين او حقيقة ما يتبعه من العذاب عليه على ان المثبت لهم اولا على التوكيد القوي العقل الفرزي او العلم الاجبالي بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير تحقيق وجواب لو محذوف أي لما فعلوا ما فعلوا (ولو أنهم آمنوا) أي بالرسول الموصى اليه في قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله الخ او بما انزل اليه من الايات المذكورة في قوله تعالى ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفروا الا الفاسقون او بالتورية التي اريدت بقوله تعالى يذفرق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم فان الكفر بالقرآن والرسول عليه السلام كفر بها (واذقوا) المعاصي المحكية عنهم (مثنوية من عند الله خير) جواب لو واصله لا يثبوا مثنوية من عند الله خيرا مما شرابه انفسهم فحذف الفعل وغير السبب الى ما عليه النظم الكريم دلالة على ثبات المثنوية لهم والجزم بخبرتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثنوية للتقليل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة تثير فيه مثنوية أي شيء ما من المثنوية كائنة من عنده تعالى خير وقيل جواب لو محذوف أي لا يثبوا وما بعده جملة مستأنفة فان وقوع الجملة الابتدائية جوابا للو غير معهود في كلام العرب وقيل لوللتثنية ومعناها أنهم من فظاعة الحال بحيث تبقى العارف ايمانهم واتقاهم نلهم فاعلمهم وقرئ لمثوية وانما هي الجزاء ثوابا ومثوية لان المحسن يثوب اليه (لو كانوا يعلمون) ان ثواب الله خير نسبوا الى الجهل لعدم العمل بموجب العلم (يا ايها الذين آمنوا) خطاب للمؤمنين فيه ارشاد لهم الى الخير واسارة الى بعض آخر من جنابيات اليهود (لاتقولوا راعنا) المراعاة المبالغة في الرعي وهو حفظ الغير وتدبير امورهم وتدارك مصالحه وكان المسلمون اذا اتى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من العلم يقولون راعنا يا رسول الله أي راقبنا وانظرنا وتأن شاحتي نفهم كلامك وتحفظه وكانت لليهود كلمة عبرانية او سريانية يتساوون بها فيما بينهم وهي راعينا قيل معناها اصح لاعتفت فلما هو ابقول المؤمنين ذلك اقترصوه واتخذوه ذريعة الى مقصدهم فجعلوا يحاطون به النبي صلى الله عليه وسلم يعذون به تلك المسبة او ذنبته صلى الله عليه وسلم الى الرعن وهو الحق والهوج روى ان سعد بن عبادة رضى الله عنه سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده ان سمعنا من رجل منكم يقول لاهل رسول الله صلى الله عليه وسلم لاضرير عنقه قالوا او لمستم تقولونم افترأت الآية ونهين فيها المؤمنون عن ذلك قطعاً لالسنة اليهود عن التدليس وامر واما في معناها ولا يقبل التلبس فقيل (وقولوا انظرونا) أي انظر اليهنا بالحذف والايصال او انظرنا على أنه من نظره اذا انظره وقرئ انظرنا من النظرة أي امهلنا حتى نحفظ وقرئ راعونا على صيغة الجمع للتوقير وراعنا على صيغة الفاعل أي قولنا ذارع كدارع ولا ين لانه لما شبه قولهم راعينا وكان سببا للسب بالرعن انصف به (واسمعوا) واحسنوا اسماع ما يكلمكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقى عليكم من المسائل باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تخنأ جوارح الاستعانة وطلب المراعاة او اسمعوا ما كافتوه من النبي والامر بجذوا اعتناء حتى لا ترجعوا الى مله يسمعونهم او اسمعوا اسماع طاعة وقبول ولا يكن سماعكم مثل سماع الهمود حيث قالوا سمعنا وعصينا (وللكافرين) أي اليهود الذين نوسلوا بقولكم المذكور الى كفر باتهم وجعلوه سببا للتهاون برسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا له ما قالوا (عذاب اليم) لما اجتروا عليه من العظيمة وهو تذليل لما سبق فيه وعيد شديد لهم ونوع تحذير للخصاطيين عما نهوا عنه (ما يؤذ الذين كفروا) الودحب النسي مع غميه ولذلك يستعمل في كل منهما ونفيه كناية عن الكراهة ووضع الموصول موضع التفسير للاشعار بعليقما في حيز امله لعدم وذهم ولعل تعلقه بما قبله من حيث ان القول المنهي عنه كثيرا ما كان يقع عند تنزيل الوحي المعبر عنه في هذه الآية بالخير فكانه اشير الى ان سبب تحريضهم الى ما حكي عنهم لوقوعه في اثناء حصول ما يكرهونه من تنزيل الخير وقيل كان فريق من اليهود يظهرون للمؤمنين محبة ويزعمون أنهم يودون لهم الخير فنزلت تكذيبا لهم في ذلك ومن في قوله تعالى (من اهل الكتاب ولا المشركين) للتبيين كافي قوله عز وجل لا يمكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ولا مزيدة لما استعرفه (ان ينزل عليكم) في حيز النصب على أنه مفعول يودون بناء الفعل للمفعول للثقة بتعين الفاعل والتصریح الاتي في قوله تعالى (من خير)

قوله اقترصوه
أي عدوه بالصناد
المهملة

هو القائم مقام الله تعالى في الدنيا والآخرى وان كان في الدنيا مظهر الكثرة مستجاب عليه من الوحي
الوحي وحده على ما يشهد به من العلم والنصرة كما قيل يا باء وصفه فيما سبق بالاختصاص وتقديم الطوبى
عليه مع ان اسمه الثاني رحمه لاظهار كمال العناية به لانه المداير لخدمته ومن في قوله تعالى (من ربكم)
استدالية والتعريف لمن هو الربوبية للاشعار بعظمته لتزليل الخيرة والاضافة الى ضمير مخاطبين لتشير بهم
وليس كراهم لتزليل على مخاطبين من حيث تعبدهم بما فيه وتقريرهم ذلك لسعادة الدارين كيف لا وهم من
تلك الحقيقة من جهة من نزل عليهم الخيرة بل من حيث وقوع ذلك التزليل على النبي صلى الله عليه وسلم وصيغة
الجمع للايدان بان مداركهم ليس معنى خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم بل وصف مشترك بين الكل هو انهم
من الدراسة عند اليهود وعن الرياسة عند المشركين والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم
ويكرهون فيصدونكم ان ينزل عليكم شيء من الوحي أما اليهود فباعتبار انهم أهل الكتاب وانباء الانبياء
الناشئون في مهبط الوحي وانتم آتئون وأما المشركون فبالايمان كان لهم من الجاه والمال زعمانهم
ان الرياسة الرسالة كسائر الرياسات الدنيوية منوطة بالاسباب الظاهرة ولذلك قالوا لولا نزل هذا القرآن
على رجل من القرنيين عظيم ولما كانت اليهود بهذا الداء أشهر لاسيما في أشاعذ كرايتهم به لم يلزم من نفي
ودادتهم لما ذكر في ودادة المشركين له فزيدت كلمة لالتأ كيد النبي (والله يخصص برحمته) بجهة استدالية
سبقت لتقرر ما سبق من تنزيل الخيرة والتبعية على حكمته وارضاهم الكارحين له والمراد برحمته الوحي كما في
قوله سبحانه أنهم يقسمون رحمة ربك عبر عنه باعتبار نزوله على المؤمنين بالخيرة وباعتبار اضافته اليه تعالى
بالرحمة قال علي رضي الله عنه بنبوته خص بها محمد صلى الله عليه وسلم قال فعل متعده وصيغة الاقتران
للانبياء عن الاصطفاء واشاره على التزليل المناسب للسياق المرافق لقوله تعالى ان ينزل الله من فضله
على من يشاء لزيادة تشريفة صلى الله عليه وسلم واثباتهم بما علقوا به اطعامهم القارعة والباء واخلة على
المقصود أي بوقوع رحمة (من يشاء) من عباده ويجعلها مقصورة عليه لاستحقاقه الذاتي القاطن عليه
بصوب ارادته عز وجل لا تفضلا لا اعتداء الى غيره وقيل الفعل لازم ومن فاعله والضمير لما أتى من محذوف
على التقديرين وقوله تعالى (والله ذو الفضل العظيم) تذييل لما سبق مقرر لضمونه وفيه ايدان بان انبياء
النبوقة من فضله العظيم مستكفولة تعالى ان فضله كان عليك كبريا وان حرمان من حرم ذلك ليس لمضي ساحة
فضله بل لمشيئة الجارية على سنن الحكمة البالغة وتصدير الجنتين بالاسم الجليل للايدان بخاتمة مضمونيهما
وكون كل منهما مستقلة بشأنهما فان الاختلاف في الثانية متبني عن وقوعها على الاولى (ما تسبح من آياتها ونسبها)
كلام مستأنف مسوق لبيان سر التسبح الذي هو فرد من افراد تنزيل الوحي وابطال مقالة الطاعنين فيه
ان تحقيق حقيقة الوحي ورد كلام الكارحين له رأسا قيل زلت حين قال المشركون أو اليهود أو اترون
الى محمد يا مراهبه يا من نبيهاهم منه ويا من جلاله والتسبح في اللغة الازالة والنقل يقال نصبت الرمح
لاثر أي ازالته ونصبت الكتاب أي نقلته وتسبح الآية بيان انتهاء التعبد قراءتها وبالحكم المستفاد منها
لعدم جبرها وانسائها اذا هاجها من القلوب وما شرطية بازمنة لتسبح منتسبة به على المفعولية وقرئ تسبح
من التسبح أي تأمر أو يجرى تسبحها أو تحمدها منسوخة ونسأها من التسب أي نؤمرها ونسأها بالتشديد
تسبحها أي تسبها على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل الفضائل والمفعول وقرئ ما تسبح من آية أو تسبحها
قرئ ما تسبح من آية أو تسبحها والمعنى ان كل آية من آيات الله تعالى ما يقتضيه الحكمة والمصلحة من ازالة
شأنها أو حكمها أو ذكرها مع ما الى بدل أو الى غير ذلك (ما تسبح منها) أي تسبح آيات الله عز وجل فعباد بحسب
المعاني في التسبح والتواكب من النهاية وقرئ بقية الميزة القضا (أو مثلها) أي فبما ذكر من التسبح والتواكب
فبما لا يحكم غير محض بل في الآيات السابقة فلو لم يزل جاري مادونها أيضا وقصصها بالذكريات
الغالب والتسبح كما عرفت على وجه التسبح كغيره لا يزيل الايات التي عليها يدور تلك الاحكام الشرعية
انما هو بحسب ما يقتضيه من الحكم والمصالح وذلك مقتضى اختلاف الاجوال وتبديل حكمه تبديلا
لا يفسد من ولا يفسد كجوال المصالح فربما حكم مقتضيه الحكمة في حال يقتضي في حال آخر فيقتضي
في حال آخر لا يفسد من الحكم والاحكام من المصالح والحوادث في الميزة للتقرير كقوله سبحانه

ليس الله بكاف عبده وقوله تعالى ألم نشرح لك صدرك والخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى
 (إن الله على كل شيء قدير) سادسة مفعولى تعلم عند الجمهور ومنه مفعوله الاول والثاني محذوف عند
 الاخفش والمراد بهذا التقرير الاستشهاد بعلمه بما ذكره على قدرته تعالى على التسخيع وعلى الاتيان بما هو خير من
 المنسوخ وبما هو مثله لان ذلك من جملة الاشياء المتقوية تحت قدرته سبحانه فمن علم شمول قدرته تعالى لجميع
 الاشياء علم قدرته على ذلك قطعاً والاتفاق بوضع الاسم الجليل موضع الضمير لثبوتية المهابة والاشعار بغطاط
 الحكم فان شمول القدرة لجميع الاشياء من أحكام الألوهية وهذا الحال في قوله عز سلطانه (ألم تعلم أن الله
 له ملك السموات والارض) فان عنوان الألوهية مدار أحكام ملكوتهما والجار والمجرور خبر مقدم وملك
 السموات والارض مبتدأ والجملة خبر لان وايشره على ان يقال ان لله ملك السموات والارض للتصدي الى
 تقوى الحكم بتكرار الاسناد وهو اماتة كبر للتقرير واعادة للاستشهاد على ما ذكرنا عالم يعطف ان مع
 ما في حيزها على ما سبق من مثلها وما لا زيادة التأكد واشعار بالاستقلال العلم بكل منهما وكفايته
 في الوقوف على ما هو المقصود واما تقرير مستقل للاستشهاد على قدرته تعالى على جميع الاشياء أى ألم
 تعلم ان الله له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلى فيهما ما يجاد
 واعد اما امر او نهي احسب بما يقتضيه مشيئته لا معارض لا امر ولا معقب لحكمه فمن هذا شأنه كيف يخرج
 عن قدرته شئ من الاشياء وقوله تعالى (وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير) معطوف على الجملة الواقعة
 خبر لان داخل معها تحت تعلق العلم المقترن وفيه اشارة الى تناول الخطابين السابقين لادامة أيضاً وانما افراد
 عليه السلام بهما لما ان علومهم مستندة الى علمه عليه السلام ووضع الاسم الجليل موضع الضمير اراجع الى
 اسم أن لثبوتية المهابة والايد ان بمقارنة الولاية والنصرة للقدرة والعزة والمراد به الاستشهاد بما تعلق به من العلم
 على تعلق ارادته تعالى بما ذكر من الاتيان بما هو خير من المنسوخ أو بمنسوخه فان مجرد قدرته تعالى على ذلك
 لا يستدعي حصوله البتة وانما الذى يستدعيه كونه تعالى مع ذلك ولياً ونصيراً لهم فمن علم انه تعالى
 وله نصيره على الاستقلال يعلم قطعاً انه لا يفعل به الا ما هو خير له فيقضى أمره اليه تعالى ولا يخطر بباله رية
 في أمر النسخ وغيره أصلاً والفرق بين الولى والنصير أن الولى قد يصعب عن النصرة والنصير قد يكون أجنياً من
 المنصور وما امانة لا عمل لها والكم خبر مقدم ومن ولى مبتدأ مؤخر زيدت فيه كلمة من للاستغراق واما
 حجازية والكم خبرها المنسوب عندهم بخير تقديمه واسمها من ولى ومن من زيدة لما ذكرنا من دون الله في حيز
 النصب على الخالية من اسمها لانه في الاصل صفة له فلما قدم النصب حالاً ومعناه سوى الله والمعنى ان قضية
 العلم بما ذكر من الامور الثلاثة هو الجزم والايقان بأنه تعالى لا يفعل به من أمر من أمور دينهم أو دنياهم
 الا ما هو خير لهم وانعمل بوجبه من الثقة به والتوكل عليه وتقويض الامر اليه من غير اصفاء الى اقاويل
 الكفرة وتشكيكهم التي من جعلها ما قالوا في أمر النسخ وقوله تعالى (أم تريدون) تجريد للخطاب عن
 النبي صلى الله عليه وسلم وتخصيص له بالمؤمنين وأم منتطعة ومعنى بل فيها الاضرار والانتقال عن حلهم على
 العمل بوجوب علمهم بما ذكر عند ظهور بعض مخايل المساهلة منهم في ذلك وامارات التأثر من اقاويل
 الكفرة الى التحذير من ذلك ومعنى الهزيمة انكار وقوع الارادة منهم واستبعادها لما ان قضية الايمان
 وازعة عنها وتوجيه الانكار الى الارادة دون متعلقاتها للمبالغة في انكاره واستبعاد بيان انه مما لا يصدر عن
 العاقل ارادته فضلاً عن صدور نفسه والمعنى بل تريدون (ان تسألوا) وأنتم مؤمنون (رسولكم) وهو
 في تلك الرتبة من علو الشأن وتقرحو عليه ما تشتمون غير واثقين في أموركم بفضل الله تعالى حسماً بوجبه قضية
 علمكم بشؤنه سبحانه قيل لعلمهم كانوا يطلبون منه عليه الصلاة والسلام بيان تفاصيل الحكم الداعية الى التسخيع
 وقيل سألوه عليه السلام قوم من المسلمين ان يجعل لهم ذات اوطاط كما كانت للمشركين وهى شجرة كانوا يعبدونها
 ويعلمون عليها الماء كول والمثروب وقوله تعالى (كما سئل موسى) مصدر تشبيهى أى نعت لمصدر مؤكد
 محذوف وما مصدرية أى سؤالاً مشبهاً بسؤال موسى عليه السلام حيث قيل له اجعل لنا الها وأرنا الله جهرة
 وغير ذلك ومقتضى الظاهر ان يقال كما سألوا موسى لان المشبه هو المصدر من المبنى للفاعل أعنى سائلة
 لخطابين لا من المبنى لافعال أعنى مسؤولية الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يشبه بمسؤولية موسى عليه السلام

فعله أريد التشبيه فيه ماء عا ولا كنه أوجز النظم فذكر في جانب المشبه السائلة وفي جانب المشبه به المسؤولة
واكتفى بما ذكر في كل موضع مما ترك في الموضع الآخر كما ذكر في قوله تعالى وان يحسبك الله بضراً فلا كاشف له الا هو
وان يردك بخير فلا راد لفضله وقد جوز أن تكون ما موصولة على ان العائد محذوف أي كالسؤال الذي سئله
موسى عليه السلام وقوله تعالى (من قبل) متعلق بسئل جي به للتأكيـد وقرئ سبيل بالياء وكسر السين
وبسبيل الهزمية بين (ومن يتبدل الكفر) أي يحتره ويأخذه لنفسه (بالإيمان) بمقابله بدل منه وقرئ
ومن يتبدل من ابدل وكان مقتضى الظاهر أن يقال ومن يفعل ذلك أي السؤال المذكور وأرادته وحاصله
ومن يترك الثقة بالآيات البينة المنزلة بحسب المصالح التي من جلتها الآيات الناصحة التي هي خير محض وحق
بحق واقتراح غيرها (فقد ضل سواء السبيل) أي عدل وجار من حيث لا يدري عن الطريق المستقيم
الموصل الى معالم الحق والهدى وتناه في تيه الهوى وتردى في مهادى الردى وانما أثر على ذلك ما عليه النظم
الكريم للتصريح من أول الامر بأنه كفر وارتداد وان كونه كذلك أمر واضح غني عن الاخبار به بأن يقال
ومن يفعل ذلك يكفر حقيقة بأن يعتد من المسلمات ويجعل مقصد ما للشرطية روماً للمبالغة في الزجر والافراط في
الردع وسواء السبيل من باب اضافة الوصف الى الموصوف اقتصد المبالغة في بيان قوة الانصاف كأنه نفس السواء
على منهاج حصول الصورة في الصورة الحاصلة وقيل الخطاب لليهود حين سألوا ان ينزل الله عليهم كتاباً من السماء
وقيل للمشركين حين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً الخ فاضافة الرسول صلى الله عليه وسلم
اليهم على القولين باعتبار أنهم من أمة الدعوة ومعنى تبدل الكفر بالإيمان وهم يعزل من الإيمان تركه صرف
قد رتبهم اليه مع تمكنهم من ذلك وإيثارهم للكفر عليه (وذكر كثير من أهل الكتاب) هم رهط من احبار اليهود وروى
ان فخصاص بن عازورا وزيد بن قيس ونسرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر رضي الله عنهما بعد
وقعة أحد الم تر واما أصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمت فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى
متكم سيدنا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني عاهدت ان لا اكفر بمحمد عليه الصلاة والسلام
ما عشت فقال الهموداً ما هذا فقد صاباً وقال حذيفة أما أنا فقد رضيت بالله رباً وعمحمد نبياً وبالاسلام ديناً
وبالقرآن اماماً وبالكنعنة قبله وبالمؤمنين اخواناً ثم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبراه فقال أصبغوا
خبراً وأفلحتم فأنزلت (لو ردونكم) حكاية لودادتهم ولوفى معنى التنى وصيغة الغيبة كما في قوله حلف ايتعلن
وقيل هو بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها وما بعد ما صدر يرفع مفعولاً لودادتهم والتقدير
ودادكم وقيل هي على حقيقة اوجوابها محذوف تقديره لو ردونكم كفاراً للسر وبذلك (من بعد ايمانكم)
متعلق بـردونكم وقوله تعالى (كفاراً) مفعول ثان له على تضمين الرد معنى التصير أي يصيرونكم كفاراً كما في قوله
رحى الحدثن نسوة آل سعد * بتقدار سعد له - عودا * فرد شعورهن السود بيضا * ورد وجوههن البيض سودا
وقيل هو حال من مفعوله والاول ادخل لمافيه من الدلالة صريحاً على كـون الكفر المفروض بطريق
القسر وايراد الظرف مع عدم الحاجة اليه ضرورة كون المخاطبين مؤمنين واستحالة تحقق الرد الى الكفر
بدون سبق الايمان مع توسيطه بين المفعولين لانهما كمال شناعة ما ارادوه وغاية بعده من الوقوع اما
زيادة قصه الصارف للما قبل عن مباشرته واما لما نفع الايمان له كأنه قبل من بعد ايمانكم الراشح وفيه من تثبيت
المؤمنين ما لا يفتنى (حسداً) علة لودادهم حال أريد به نعت الجمع أي حاسدين لكم والخسداً الاسف على من
له خير بخيره (من عند الله) متعلق بـودادهم وذلك من أجل تشهيمهم وحفظ انفسهم لامن قبل التدين
والميل مع الحق ولو على زعمهم أو بحسب أي حسداً منبغثاً من أصل نفوسهم بالغائقى مراتبه (من بعد
ما تبين لهم الحق) بالمعجزات الساطعة وما عاينوا في التورية من الدلائل وعلموا انكم قد تكون به وهم منكم كون
في الباطل (فأعفوا واصفحوا) العفو ترك المؤاخظة والعقوبة والصفح ترك التثريب والتأنيب (حتى يأتي
الله بأمره) الذي هو قتل بني قريظة واجلاله بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم أو الاذن في القتال وعن
ابن عباس رضي الله عنهما انه منسوخ بآية السيف ولا يقدح في ذلك ضرب الغاية لانها لا تعلم الا شرعاً ولا يخرج
الوارد بذلك من ان يكون ناسخاً كأنه قبل فاعفوا واصفحوا الى ورود الناصح (ان الله على كل شيء قدير) فينتقم
منهم اذا حان حينه وأن أو انه فهو تعليل لما دل عليه ما قبله (وأقيموا الصلاة واتوا الزكاة) عطف على

فامعوا أمرهم بالسيرة والهدى والعدل إلى الله تعالى بالعبادة البدنية والمالية (وما تقدموا إلا حسبكم من حسن)
كملا: أو صدقة أو غير ذلك أي شيء من الخيرات تقدموه لصلحة أنفسكم (تجدوه عند الله) أي تجدوا ثوابه
وقرى تقدموا من أقدم (أن الله بما تعملون بصير) فلا يضيع عند عمل فهو وعد للمؤمنين وقرى بالياء
فهو وعد للكافرين (وقالوا) عطف على وعد والتعير لاهل الكافرين جميعا (لن يدخل الجنة الا من كان
هوذا أنصاري) أي قال اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هوذا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من
كان نصارى فلف بين التولين ثقة بأن السامع يرد كلاهما إلى فائدة واحدة وطاوا كقولهم هوذا أنصاري
تهتدوا وليس مرادهم بأولئك من أقام اليهودية والنصرانية قبل التسخ والتعريف على وجهها بل انفسهم
على ما هم عليه لانهم انما يقولونه لاضلال المؤمنين وردتهم إلى الكفر واليهود جمع هائى كعوز جمع عائى ويزل
جمع بابل والافراد فى كان باعتبار لفظ من والجمع فى خبره باعتبار معناه وقرى الا من كان يهوديا أو نصريا
(تلك امانيتهم) الا ما فى جمع امنية وهى ما تنفى كلاله وعبودية والا فهو كونه والجنة معترضة مبنية لبطان ما قالوا
وتلك اشارة اليه والجمع باعتبار صدوره من الجميع وقيل فيه حذف مضاف أى أمثال تلك الامنية امانيتهم
وقيل تلك اشارة اليه والى ما قبله من ان لا ينزل على المؤمنين خبر من ربه وان يردوهم ككفار او يردوهم
تعالى (قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) فانهم ليسوا بما يطلبه البرهان ولا بما يحتج به المصدق والكاذب
فيل هاتوا أصله أو اقبلت الهمة هاء أى أحضر واجتهد على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين
فدعواكم هذا ما يقتضيه المقام بحسب النظر الجليل والذي يستدعيه اعجاز التنزيل ان يحصل الا من
التبكي على طلب البرهان على أصل الدخول الذى يتقدم دعوى الاختصاص به فان قوله تعالى (بلى) الخ
اثبات من جهة تعالى لما نقوه مستلزم لنفى ما اثبتوه واذ ليس الثابت به مجرد دخول غيرهم الجنة ولو معهم
ليكون المنفى مجرد اختصاصهم به مع بقاء أصل الدخول على حله بل هو اختصاص غيرهم بالدخول كما شعره
بأن الله تعالى ظهر أن المنفى أصل دخولهم ومن ضرورته ان يكون هو الذى كفروا اقامة البرهان عليه
لأختصاصهم به ليتقدم مورد الاثبات والنفى وانما عدل عن ابطال صريح ما ادعوه وسلك هذا المسلك ايانة
لغاية حرمانهم عما علقوا به اطماعهم واظهار الكمال عجزهم عن اثبات مدعاهم لان حرمانهم من الاختصاص
بالدخول وعجزهم عن اقامة البرهان عليه لا يقتضيان حرمانهم من أصل الدخول وعجزهم عن اثباته واما
خص الدخول بحيث ثبت حرمانهم منه وعجزهم عن اثباته فمهم من الاختصاص به أبعد وعن اثباته اعجز وانما
القائز به من انتظمه قوله سبحانه (من أسلم وجهه لله) أى اخلص نفسه لله تعالى لا يشرك به شيئا عبر عنها
بالوجه لانه أشرف الاعضاء وجميع المشاعر وموضع الصلوة ومظهر آثار الخضوع الذى هو من أخص
خصائص الاخلاص أو وجهه وقصد به حيث لا يلوى عزيمته إلى شيء غيره (وهو محسن) حال من ضمير أسلم
أى والحال انه محسن فى جميع أعماله التى من جلتها الاسلام المذكور وحقيقة الاحسان الايمان بالعمل على
الوجه الثلاثى وهو حسنة الوصفى التابع لحسنه الذاتى وقد فسر على الله عليه وسلم بقوله ان تصد الله كانت
راه فان لم تكن تراه فانه يراك (فله أجره) الذى وعد على عمله وهو عبارة عن دخول الجنة أو عجل دخل
هو فيه دخول لا قويا وآيا ما كان قصوره بصورة الاير لا يذ ان بقوة ارتباطه بالعمل واستطاعة تيسره بدونه
وقوله تعالى (عند ربه) حال من أجره والعامل فيه معنى الاستقرار فى الطرف والصدية للتبريق ووضع
اسم الرب مضافا الى ضمير من أسلم موضع ضمير الحلالة لاظهار مزيد اللطفية وتقرير جزمون الجملة أى فله أجره
عند ما لم يرد برأسه وبلغه إلى كماله والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والاضاء
لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله تعالى بلى وحده ويحذف أن يكون من فاعلا لفعل مقدر أى بلى يدخلها
من أسلم وقوله تعالى فله أجره معطوف على ذلك المقدر وآيا ما كان قبله ثبوت الاجر بما ذكر من الاسلام
والاحسان المتضمن باهل الايمان فاحتمل بأن أولئك المتقدمين من دخول الجنة يميزون بالاختصاص به بالقبول
منزل (ولا خوف عليهم) فى الدارين من خوف مكروه (ولا هم يحزنون) من قربان سلطان أى لا يحزنون
ما يوجب ذلك لانه يعجزونهم لكنهم لا يحزنون ولا يحزنون ولا يحزنون ولا يحزنون ولا يحزنون ولا يحزنون
ولا يحزنون ولا يحزنون (وقال اليهود ليس الله تعالى على شيء) بيان لتفصيل كل من فى الدنيا

بخصوصه ان يري ان تضليله كل من عداه على وجه العموم نزلت الاقدم وقد شجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود قتناظروا فارتفعت اصواتهم فقالوا لهم لستم على شيء أي أمر يعتد به من الدين أو على شيء ما منه أصلامبالغة في ذلك كما قالوا أقل من لا شيء وكفروا بعبسى والانجيل (وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) على الوجه المذكور ووكفروا بعبسى والتورية لانهم قالوا ذلك بناء للامر على منسوخة التورية (وهم يتلون الكتاب) الواو للحال واللام للجنس أي قالوا ما قالوا والحال ان كل فريق منهم من أهل العلم والكتاب أي كان حق كل منهم ان يعرف بحقيقة دين صاحبه حسبما ينطق به كتابه فان كتب الله تعالى متصادقة (كذلك) أي مثل ذلك الذي سمعت به والكاف في محل النصب اما على انها نعت لمصدر محذوف قدّم على عامله لافادة القصر أي قولاً مثل ذلك القول بعينه لا قولاً مغايراً له (قال الذين لا يعلمون) من عبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم من الجهلة أي قالوا الاهل كل دين ليسوا على شيء واما على انها حال من المصدر المضمرة المعترف الدال عليه قال أي قال القول الذين لا يعلمون حال كونه مثل ذلك القول الذي سمعت به (مثل قولهم) اما بدل من محل الكاف واما مفعول بالفعل المنقى قبله أي مثل ذلك القول قال الجاهلون بمثل مقالة اليهود والنصارى وهذا نو بين عظيم لهم حيث تعلموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم أصلاً (فان الله يحكم بينهم) أي بين اليهود والنصارى فان مساق النظم لبيان حالهم وانما التعرض لمقالة غيرهم لظاهر كمال بطلان مقالهم ولان الحاجة المحوجة الى الحكم انما وقعت بينهم (يوم القيامة) متعلق بحكمهم وكذا ما قبله وما بعده ولا ضير فيه لاختلاف المعنى (فيما كانوا فيه يختلفون) بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار والطرف الاخير متعلق يختلفون قدّم عليه للمحافظة على رؤس الآية لا يكافوا (ومن اظلم ممن منع مساجد الله) انكار واستبعاد لان يكون أحد أظلم ممن فعل ذلك أو مساوياً له وان لم يكن سبب التركيب متعرضاً لانكار المساواة ونفيها يشهد به العرف الفاشي والاستعمال المطرد فاذا قيل من اكرم من فلان أو لا أفضل من فلان فالمراد به حقاً انه اكرم من كل كريم وأفضل من كل فاضل وهذا الحكم عام لكل من فعل ذلك في أي مسجد كان وان كان سبب النزول فعل طائفة معينة في مسجد مخصوص روى ان النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وأن الروم غزوا أهله فغربوه وأحرقوا التورية وقتلوا وسبوا وقد نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما ان طيطيوس الرومى ملك النصارى وأصحابه غزوا بني اسرائيل وقتلوا مقتاتلهم وسبوا ذراريرهم وأحرقوا التورية وخرّبوا بيت المقدس وقد خوافيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير ولم يزل خراباً حتى بناء المسلمون في عهد عورضى الله عنه وانما أوقع المنع على المساجد وان كان المنوع هو الناس لما ان فملهم من طرح الاذى والتخريب ونحوهما متعلق بالمسجد لا بالناس مع كونه على حاله وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث انها مبطله لدعوى النصارى اختصاصهم بدخول الجنة وقيل هو منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فتعلقها بما تقدمها من جهة ان المشركين من جهة الجاهلين القائلين لكل من عداهم ليسوا على شيء (أن يذكروا فيها اسمه) ثانياً مفعول منع كقوله تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا وقوله تعالى وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون ويجوز ان يكون ذلك محذوف الجار مع أن وان يكون ذلك مفعولاً أي كراهة ان يذكروا فيها اسمه (وسعى في خرابها) بالهدم أو التعطيل بانقطاع الذكر (اولئك) المانعون الظالمون الساعون في خرابها (ما كان لهم ان يدخلوها الا نطقين) أي ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بنقشة وخضوع فاضلاع الاجترار على تخريبها أو تعطيلها أو ما كان الحق أن يدخلوها الا على حال التهيّب وارتفاع القرائن من جهة المؤمنين ان يطشوا بهم فضلاً ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوهم منها أو ما كان لهم في علم الله تعالى وقضائه بالآخرة الا ذلك فيكون وعد للمؤمنين بالنصرة واستخلاص ما استولوا عليه منهم وقد أنجز الوعد والله الحمد روى انه لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى الا متكرراً مسارقة وقيل معناه التهيّب عن تدخلهم من الدخول في المسجد واختلف الأئمة في ذلك فجوزه أبو حنيفة مطلقاً ومنعه مالك مطلقاً وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره (لهم) أي لا أولئك المذكورين (في الدنيا خرى) أي خرى تطيع لا يوصف بالقتل والسبي والاذلال بضرب الجزية عليهم (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) وهو عذاب النار لان سببه أيضاً وهو ما حكي

من ظلمهم كذلك في العظم وتقديم الطرف في الموضوعين للتشويق الى ما يذكرون بعده من الخزي والعذاب المآثر من ان
 تأخير ما حقه التقديم موجب لتوجه النفس اليه فيتمكن فيها عذرو ووروده فضل تمكن كما في قوله تعالى ألم نشرح
 لك صدرك وأنزل لكم من الأنعام غمًا نية أزواج الى غير ذلك (ولله المشرق والمغرب) أي له كل الارض التي هي
 عبارة عن ناحيتي المشرق والمغرب لا يختص به من حيث الملك والتصرف ومن حيث المحلية لعبادته مكان منها
 دون مكان فان منعم من إقامة العباد في المسجد الأقصى أو المسجد الحرام (فأيقنوا) أي في أي مكان
 فعلتم بولية وجوهكم شطر القبلة (فتم وجه الله) ثم اسم اشارة للمكان البعيد خاصة مبنى على الفتح ولا يتصرف
 سوى الجزين وهو خبر مقدم ووجه الله مبتدأ والجملة في محل الجزم على انها جواب الشرط أي هناك جهته
 التي أمر بها فان امكان التولية غير مختص بمسجد دون مسجد أو مكان دون آخر أو فتم ذاته بمعنى الحضور
 العلى أي فهو عالم بما يفضل فيه ومثيب لكم على ذلك وقرئ بفتح التاء واللام أي فأيضا توجهوا والقبلة (ان
 الله واسع) باحاطته بالاشياء أو برحمته يريد التوسعة على عباده (عليهم) بمصالحهم وأعمالهم في الاماكن
 كلها والجملة تعليل لخصم الشريعة وعن ابن عمر رضي الله عنهما نزلت في صلاة المسافرين على الراحلة أيضا
 توجهوا وقيل في قوم عمت عليهم القبلة فصالحوا الى أنحاء مختلفة فلما أصبحوا تبينوا خطأهم وعلى هذا لو أخطأ
 المجتهد ثم تبين له الخطأ لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة لتسح القبلة وتنزيهه للمعبود عن ان يكون في جهة
 (وقالوا اتخذ الله ولدا) حكاية لطرف آخر من مقالاتهم الباطلة المحكية فيما سلف معطوفة على ما قبلها من قوله
 تعالى وقالت الخ لا على صله من لما بينهما من الجهل الكثيرة الاجنبية والضمير لليهود والنصارى ومن شاركهم
 فيما قالوا من الذين لا يعلمون وقرئ بغير واو على الاستئناف نزلت حين قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى
 المسيح ابن الله ومشركوا العرب الملائكة بنات الله والاتخاذ ما بمعنى الصنع والعمل فلا يتعدى الا الى واحد
 واما بمعنى التصيير والمفعول الاول محذوف أي صير بعض مخلوقاته ولدا (سبحانه) تنزيه وتبرئته تعالى عما
 قالوا وسبحان علم للتسبيح كعثمان لارجل واتصا به على المصدورية ولا يكاد يذكر ناصبه أي اسبح سبحانه أي
 انزهه تنزيها لا تقا به وفيه من التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد
 في الارض ومن جهة النقل الى التفضيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لاسما
 العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل ما لا يخفى وقيل هو مصدر
 كغفران بمعنى التنزه أي تنزه ذاته تنزهها حقيقة به ففيه مبالغة من حيث اسناد البراءة الى الذات المقدسة وان
 كان التنزيه اعتقاد نزاهته تعالى عما لا يليق به لا اثباته له تعالى وقوله تعالى (بل له ما في السموات والارض)
 رد لما زعموا ونسبه على بطلانه وكلمة بل للاضراب عما يقتضيه مقالته الباطلة من مجانسته سبحانه وتعالى
 لشي من المخلوقات ومن سرعة فنائه المحوجة الى اتخاذ ما يقوم مقامه فان مجرد الامكان والقضاء لا يوجب
 ذلك الا يرى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها بالآخر مستغنية بدوامها وطول بقائها عما يجري
 مجرى الولد من الحيوان أي ليس الامر كما زعموا بل هو خالق جميع الموجودات التي من جلها عزير
 والمسيح والملائكة (كل) التنوين عوض عن المضاف اليه أي كل ما فيها كائنات ما كان من اولي العلم
 وغيرهم (له قاتون) منقادون لا يستعصى شيء منهم على تكويره وتقديره ومشيئته ومن كان هذا شأنه
 لم يتصور مجانسته لشي ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد وانما جى بما المختصة بغير اولى العلم تحقيرا
 لشأنهم واذا نابك بالبعدهم عما نسبوا الى بعض منهم وصيغة جمع العقلاء في قاتون للتغليب أو كل من
 جعلوه لله تعالى ولدا له قاتون أي مطيعون عابدون له معترفون بربوبيته تعالى كقوله تعالى اولئك الذين
 يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة (بديع السموات والارض) أي مبدعها ومخترعها ما بلا مثال
 يحتذيه ولا قانون يتكسبه فان البديع كما يطلق على المبتدع يطلق على المبتدع نص عليه اساطين أهل اللغة
 وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى انشاء كابتدعه كما ذكر في القاموس وغيره وتظيره السميع بمعنى السمع في قوله
 أم من رحمة الداعي السميع وقيل هو من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها للتخفيف بعد نصبه على تشبيهها باسم
 الفاعل كما هو المشهور أي بديع سمواته من بدع اذا كان على شكل فائق وحسن رائق وهو جهة أخرى لا بطلان
 مقالتهم الشنعاء تقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفصل بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها

على الاطلاق منزعه عن الانفعال فلا يكون والد اورفعه على انه خبر لميتد المحذوف أى هو يدع الخ وقرئ بالنصب على المدح وبالجزء على انه بدل من الضمير في له على رأى من يجوز الابدال من الضمير المحرور كما في قوله على جوده لضم بالماء حاتم (واذا قضى امره) أى أراد شياً كقوله تعالى انما أمره اذا أراد شيئاً وأصل القضاء الاحكام اطلق على الارادة الالهية المتعلقة بوجود الشئ لا يجابها اياه البتة وقيل الامر ومنه قوله تعالى وقضى ربك الخ (فانما يقول له كن فيكون) كلاهما من الكون التام أى احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة الامر والامثال وانما هو تمثيل لسهولة تأتى المقدورات بحسب تعلق مشيئته تعالى وتصور لسهولة حدوثها واما علم في الباب من طاعة المأمور والمطيع للامر القوي المطاع وفيه تقرير لعمى الابداع وتلويح لحجة أخرى لا بطل ما زعموه بأن اتخاذ الولد شأن من يفتر في تحصيل مراده الى مباد يستدعى ترتيبها مرور زمان وتبدل اطوار وفعله تعالى متعال عن ذلك (وقال الذين لا يعلمون) حكاية لتنوع آخر من قبائحهم وهو قد جهم في أمر النبوة بعد حكاية قد جهم في شأن التوحيد بنسبة الولد اليه سبحانه وتعالى واختلف في هؤلاء القائلين فقال ابن عباس رضى الله عنهما هم اليهود وقال مجاهد هم النصارى ووصفهم بعدم العلم لعدم علمهم بالتوحيد والنبوة كما ينبغي أو لعدم علمهم بوجوب علمهم أو لان ما يحكى عنهم لا يصدر عن له شائبة علم أصلاً وقال قتادة وأكثراهل التفسيرهم مشركو العرب لقوله تعالى فليأتنا بآية كما أرسل الاولون وقالوا لازل علينا الملائكة أو نرى ربنا (لولا يكلمنا الله) أى هلا يكلمنا بلا واسطة أمرا ونها كما يكلم الملائكة أو هلا يكلمنا تنصيصا على نبوتك (أو تأتينا آية) حجة تدل على صدقك بلغوا من العتو والاستكبار الى حيث شئتموا نيل مرتبة المفارقة الالهية من غير توسط الرسول والملك ومن العناد والمكابرة الى حيث لم يعد واما أنا هم من البينات الباهرة التي تحز لها صم الجبال من قبيل الآيات فآلتهم الله انى يؤفكون (كذلك) مثل ذلك القول الشنيع الصادر عن العناد والفساد (قال الذين من قبلهم) من الامم الماضية (مثل قولهم) هذا الباطل الشنيع فقالوا وان الله جهرة وقالوا ان نصبر على طعام واحد الاية وقالوا هل يستطيع ربك الخ وقالوا اجعل لنا الها الخ (تشابهت قلوبهم) أى قلوب هؤلاء وأوائك في العمى والعناد والامتناسات اتوا يلهم الباطلة (قد بينا الآيات) أى نزلناها بينة بأن جعلناها كذلك في انفسها كما في قولهم سبحانه من صغر البعوض وكبر الفيل لا آياتناها بعد أن لم تكن بينة (لقوم يوقنون) أى يطلبون اليقين ويوقنون بالحقائق لا يعتبرهم شبهة ولا رية وهذا رد لطلبهم الاية وفي تعريف الآيات وجمعها وارااد التبيين المفصيح عن كمال التوضيح مكان الايات الذي طلبوه ما لا يخفى من الجزالة والمعنى انهم اقترحوا آية فذرة ونجى قد بينا الآيات العظام لقوم يطلبون الحق واليقين وانما لم يتعرض لرد قولهم لولا يكلمنا الله ايدنا باننا من ظهور البطلان بحيث لا حاجة له الى الرد والجواب (انا ارسلناك بالحق) أى ملتبدا بالقرآن كما في قوله تعالى بل كذبوا بالحق لما جاءهم أو بالصدق كما في قوله تعالى أحق هو وقوله تعالى (بشيرا ونذيرا) حال من المفعول باعتبار تقييده بالحال الاولى أى أرسلناك ملتبدا بالقرآن حال كونك بشيرا لمن آمن بما نزل عليك وعمل به ونذيرا لمن كفر به أو أرسلناك صادقا حال كونك بشيرا لمن صدقك بالشواب ونذيرا لمن كذبك بالعذاب ليختاروا لانفسهم ما أحبوا والافسر الهم على الايمان فلا عليك ان أضروا وكابروا (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) حالهم لم يؤمنوا بعدما بانعت ما أرسلت به وقرئ لن تسأل وما تسأل وقرئ لا تسأل على صيغة النهى ايذانا بكمال شدة عقوبة الكفار وتوويلها كأنها لغاية قضاعتها لا يقدر الخبير على اجرائها على لسانه أو لا يستطيع السامع ان يسمع خبرها وحله على نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن السؤال عن حال أبويه مما لا يساعده النظم الكريم والجحيم المتأجج من النار وفي التعبير عنهم بصاحبة الجحيم دون الكفر والتكذيب ونحوهما وعيد شديد لهم وايدان بانهم مطبوع عليهم لا يرجي منهم الايمان قطعا وقوله تعالى (ولن رضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) بيان لكمال شدة شكية هاتين الطائفتين خاصة اثر بيان ما يعمهما والمشركين من الاصراوع على ما هم عليه الى الموت وارااد الانافية بين المعطوفين لتأكيد النقي لما مر من ان تصلب اليهود في أمثال هذه العظام أشد من النصارى والاشعار بان رضى كل منهم ما يبين لرضى الاخرى أى ان رضى عنك اليهود ولو خليتهم وشأنهم حتى تتبع ملتهم ولا النصارى ولو تركتهم ودينهم حتى تتبع ملتهم فأوجز النظم ثقة بظهور المراد وفيه من

المبالغة في اقتناطه صلى الله عليه وسلم من اسلامهم ما لا غاية وراة فانهم حيث لم يرضوا عنه عليه السلام ولو خلاهم يفسعون ما يفعلون بل املوا منه صلى الله عليه وسلم ما لا يكاد يدخل تحت الامكان من اتباعه عليه السلام للمتهم فكيف يتوهم اتباعهم للته عليه السلام وهذه حالتهم في انفسهم ومقاتلتهم فيما بينهم وأما انهم أظهرها للنبي صلى الله عليه وسلم وشافهوه بذلك وقالوا ان نرضى عنك وان بالغت في طلب رضا ناسحق تتبع ملتسا كما قيل فلا يساعده النظم الكريم بل فيه ما يدل على خلافه فان قوله عز وجل (قل ان هدى الله هو الهدى) صريح في ان ما وقع هذا جوابا عنه ليس عين تلك العبارة بل ما يستلزم مضغونها أو يلزمه من الدعوة الى اليهودية والنصرانية وادعاء ان الاهتداء فيهما كقوله عز وجل حكاية عنهم كونوا هودا أو نصارى تهتدوا أى قل ردا عليهم ان هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى بالحق والذى يحق ويصح ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراة هدى وما تدعون اليه ليس بهدى بل هو هوى كما يعرب عنه قوله تعالى (ولئن اتبعت أهواءهم) أى آراءهم الزائفة الصادرة عنهم بقضية شهادات انفسهم وهى التى عبر عنها فيما قبل بملتهم اذ هى التى يتقنون اليها وأما ما شرعه الله تعالى لهم من الشريعة على لسان الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهو المعنى الحقيقى للملة فقد غيروها تغييرا (بعد الذى جاء من العلم) أى الوسى أو الدين المعلوم صحته (مالك من الله) من جهته العزيزة (من ولى) بلى أمر كما عموما (ولا نصير) يدفع عنك عقابه وحيث لم يستلزم نقي الولى نقي النصير وسط لا بين المعطوفين لتأكيد النفي وهذا من باب التبيين والالهاب والاخافى يتوهم اسكان اتباعه عليه السلام للمتهم وهو جواب للتقسيم الذى وطأه الامم واكتفى به عن جواب الشرط (الذين آتيناهم الكتاب) هم مؤمنوا أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه (يتلونه حق تلاوته) مراعاة لفظه عن التحريف وبالتدبر في معانيه والعمل بما فيه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده أو خبر وما بعده مقترله (اولئك) اشارة الى الموصوفين بايتاء الكتاب وتلاوته كما هو حقه وما فيه من معنى البعد للايدان يعد منزلتهم في الفضل (يؤمنون به) أى بكتابهم دون المجترفين فانهم بعزل من الايمان به فانه لا يجمع الكفر ببعض منه (ومن يكفر به) بالتحريف والكفر بما يصدق (فاولئك هم المنافسون) حيث اشترى الكفر بالايمان (يايى اسرائيل اذ كروا تعصى التى انعمت عليكم) ومن جعلها التورية وذكر النعمة انما يكون بشكرها وشكرها الايمان بجميع ما فيها ومن جعلته نعت النبي صلى الله عليه وسلم ومن ضرورة الايمان بها الايمان به عليه الصلاة والسلام (وأنى فضلتكم على العالمين) افردت هذه النعمة بالذكر مع كونها مندرجة تحت النعمة السالفة لانها متمايزة فيما بين فزون النعم (واتقوا) ان لم تؤمنوا (يوما لا تجزى) في ذلك اليوم (نفس) من النفوس (عن نفس) أخرى (شيأ) من الاشياء أو شيأ من الجزاء (ولا يقبل منها عدل) أى فدية (ولا تنفعها شفاة ولا هم ينصرون) وتخصيصهم بشكر التذكير واعادة التخذير للمبالغة في النصع ولا يذ ان بان ذلك فذلك التفضية والمقصود من القصة لما انتم الله عز وجل عليهم أعظم وكفرهم بها أشد وأفح (واذا بنى ابراهيم ربه بكلمات) شروع في تحقيق أن هدى الله هو ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم من التوحيد والاسلام الذى هو له ابراهيم عليه السلام وان ما عليه أهل الكتابين أهواء زائفة وأن ما يدعون من انهم على ملته عليه الصلاة والسلام فورية بلامرية ببيان ما صدر عن ابراهيم وابنائيه الانبياء عليهم السلام من الاتهاويل والافاعيل الناطقة بحقيقة التوحيد والاسلام وبطلان الشرك وبهمة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ويكون ذلك النبي الذى استدعاه ابراهيم واستعمل عليهم ما الصلاة والسلام بقولهم ما ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية فاذ منصوب على المعنوية بمضمرة قد تم خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلويح أى واذ كراههم وقت ابتلائه عليه السلام ليتذكروا بما وقع فيه من الامور الداعية الى التوحيد والواذعة عن الشرك فيقبلوا الحق ويتركوا ما هم فيه من الباطل وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات قد متروجه في اثناء تفسير قوله عز وجل واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة وقيل على الظرفية بمضمرة مؤخرأى واذ ابتلاه كان كيت وكيت وقيل بما سبى من قوله تعالى قال الخ والاول هو اللاتى بجزالة التنزيل ولا يعد أن يتصب بمضمرة معطوفة على اذ كروا خوطب به بنو اسرائيل ليتأخروا فيما يحكى عن ينتمون الى ملته من ابراهيم وابنائيه عليهم السلام من الافعال والاقوال فيقتدوا بهم ويسيروا سيرتهم والابتلاء فى الاصل الاختيار أى تطلب الخبرة بحال المختبر يتعربضه لآخر يشق

فمنه فليس له أدنى كنه وذلك لاعتبار حجة من لا يقف فيه على عواقب الأمور وأما من العلم الظاهر
فلا يكون إلا محققاً من حكمة الله من اختيار أحد الأمرين قبل أن يرتب عليه شيئاً من مبادئ المعاد
كن يتبرهن به لغيره من الكيفية فبما هو يليق بمصالحه وأبراهيم اسم أعجمي قال للسهلي
كثيراً ما شغل الاختلاف والتنازع بين السرياني والعراقي ألا يرى أن إبراهيم تسميته أب راحم ولذلك جعل هو
وغيره سائر كافرين لا لظلال المؤمنين الذين يؤمنون صفاراً إلى يوم القيامة على ما روى البخاري في حديث
الرويان النبي صلى الله عليه وسلم رأى في الروضة إبراهيم عليه السلام وحوله أولاد الناس وهو مفعول
مقدم لاضافة فاعلم إلى صغيره والتمرض لعنوان الرعية تشريف له عليه السلام وإذ أن يأخذ بالاحتلال
ترتبة له وترشيح لأمر خطير والمحق عامله سبيله معاملته المختبر حيث كلفه أو امر ونواهي يظهر بحسن قبضه
بمقتضاها قدرته على الخروج عن عهدة الإمامة العظمى وتعمل أعباء الرسالة وهذه المعاملة وتذكر كبرها للناس
لأن شغلهم إلى طريق اتقان الأمور ينالهم على التجربة وللايدان بأن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً منية
على تلك المقاعدة الرصينة واقعة بعد ظهور واستحقاقه عليه السلام للنبوة العامة كيقولوا هي التي أجيبها
دعوة إبراهيم عليه السلام كإساقى واختلف في الكلمات فقال مجاهد في المذكرة بعد ما ورد بأنه يأبى الظاهر
في قاعته ثم الاستئناف وقال طائوس عن ابن عباس رضي الله عنهما هي عشر خصال كانت فرضاً في شرعه
وهن ستة في شرعنا خمس في الرأس المخضعة والاستئذان وفرق الرأس وقص الثارب والسؤال والخمس في البدن
الختان وخلق العانة وتقف الأبط وتقليم الأظفار والاستقباض بالقاء وفي الخبر أن إبراهيم عليه السلام أول من
قص الثارب وأول من اختنق وأول من قلم الأظفار وقال عكرمة عن ابن عباس لم يتسل أحد بهذا الدين
فأما كنه الأبراهيم استلاماً لله تعالى ثلاثين خصلة من خصال الإسلام عشر منها في سورة براءة المثانيون
الخ وعشر في الأحزاب إن المسلمين والمسلمات الخ وعشر في المؤمنين ومآل سائل إلى قوله عز وجل والذين هم
على صلاتهم يحافظون وقيل ابتلاء الله سبحانه بسبعة أشياء بالشهم والقمر والجوهر والاختتان على الكبر والنار
ونزع الولد والخبرة فوقها بكل وقيل من محابته قومه والصلاة والزكاة والجهاد والمصير عليها وقيل
هي جنات كالأطراف والسبي والرمي والأحرام والتعريض وغيرهن وقيل هو قوله عليه السلام الذي خلقني
فهو يهدى في الآيات ثم قيل انما وقع هذا الابتلاء قبل النبوة وهو الظاهر وقيل بعد ما لانه يقتضي سابقة الوحي
وأجيب بأن مطلق الوحي لا يستلزم البعثة إلى الخلق وقرئ برفع إبراهيم ونصب ربه أي دعاه بكلمات من الدعاء
فعل المختبر هل يجيبه اليهن أولاً (فأعظم) أي قام بحق القيام وأذهن أحسن التأدية من غير تفريط وتوان
كأن قوله تعالى وإبراهيم الذي وفى وعلى القراءات الأخيرة فأعطاء الله تعالى ما سأله من غير نقص وبعضه
ماروى عن مقاتل أنه قسم الكلمات بمسأل إبراهيم ربه بقوله رب اجعل لي آيات وقوله عز وجل (قال) على
تقدير انتصاب الخ فمخرجه مستأنفة وقسمته جواباً عن سؤال نشأ من الكلام فان الابتلاء بمحمد لا مخرج
ونظيره فضيلة النبي من دواهي الاحسان إليه فبعد حكايتها توجب النفس إلى ما وقع بعدها كأنه قيل فإذا
كان بعد ذلك ففعل قال (الذي جعل للناس أملاً) أي سأل لقوله تعالى ابتلى على رأي من جعل الكلمات
جساراً عما ذكر أثر من الإمامة وتطهير البيت ورفع قواحه وغير ذلك وعلى تقدير انتصابه يقال فلجمله مخطوطة
على ما قبله اعطف التهمة على التهمة والواو في المعنى داخل على قال أي وقال إذا ابتلى الخ واجعل بمعنى التخصيص
أحد من قوله الضمير والثاني أما ما دام المقام على معنى المضارع وأما كنهه لدلالته على أنه جعل له البتة من
غير ما رآه يورده ولا يطلب إثباته والناس متعلق بجمله أي لا يسل الناس أو محمد فوقع حالاً من إماما
أدركنا أخرجه لكان صفة للإمام اسم لمن يؤتمره وكل من الإمام لآئمة وإمامته عليه السلام عامة مؤبدة أدام
بعضه يعني الأكل من ذريته ما موراثاً لسلالة (قال) استئناف بمعنى على سؤاله مقتدر كنه قيل فاعلم
قال إبراهيم عليه السلام عند مقتل قال (ومن ذريتي) عطف على الكاف ومن تبعه من ذرية إبراهيم عليه السلام
أما من ذريتي كما تقول وقيل من ذريتي كما تقول سأكمل أو يمدد ذريتي وأما من ذريتي كما تقول
للمعنى من ذريتي كما تقول وقيل من ذريتي كما تقول وقيل من ذريتي كما تقول وقيل من ذريتي كما تقول
سأل الرسل من ذريتي كما تقول وقيل من ذريتي كما تقول وقيل من ذريتي كما تقول وقيل من ذريتي كما تقول

فقلبت الاصلية ياء فصارت كالثانية فاجتمعت واو وياء وسبقت أحدهما بالـ ~~سكون~~ فقلبت الواو ياء
وأدغمت الياء في الياء فصارت ذرية أو فعلة منهما والاصل في الاولى ذرية فقلبت الواو ياء لماسبق من
اجتماعهما وسبق أحدهما بالسكون فصارت ذرية كالثانية فادغمت الياء في مثلها فصارت ذرية أو فعلة
من الذر بمعنى الخلق والاصل ذرية تخففت الهمزة بإدغام الياء كهمزة خطية ثم أدغمت الياء الزائدة في المبذلة
أو فعلة من الذر بمعنى التفريق والاصل ذرية قلبت الراء الاخيرة ياء لتوالي الامثال كما في تسرى وتقتضى وتطنى
فأدغمت الياء في الياء كما مر أو فعلة منه والاصل ذرورة فقلبت الراء الاخيرة ياء بخفاء الادغام وقرئ بكسر الذا
وهي لغة فيها وقرأ أبو جعفر المديني بالتخ وهي أيضا لغة فيها (قال) استئناف مبني على سؤال يسأل اليه الذهن
كسابق (لا يزال عهدى الظالمين) ليس هذا رد الله دعوتهم عليه السلام بل اجابة خفية لها وعدة ايجالية منه تعالى
بتشريف بعض ذريته عليه السلام بنيل عهد الامامة حسبما وقع في استدعائه عليه السلام من غير تعيين لهم
يوصف بميزانهم من جميع من عداهم فان النصيب على حرمان الظالمين منه بعزل من ذلك التمييز اذ ليس معناه انه
ينال كل من ليس بنظام منهم ضرورة استحالة ذلك كما أشير اليه ولعل اشارة هذه الطريقة على تعيين الجامعين
لمبادئ الامامة من ذريته اجمالا أو تفصيلا وارسال الباقين لئلا ينتظم المقتدون بالائمة من الامة في سلك
المحرومين وفي تفصيل كل فرقة من الاطناب ما لا يخفى مع ما في هذه الطريقة من تحييب الكثرة الذين كانوا
يتمنون النبوة وقطع اطماعهم الفارغة من نيلها وانما أوتر النيل على الجعل ايماء الى ان امامة الانبياء عليهم
السلام من ذريته عليه السلام كما عجل واسحق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان وأيوب
ويونس وزكريا ويحيى وعيسى وسيدنا محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليما كثيرا ليست يجعل مستقل بل هي حاصلة
في ضمن امامة ابراهيم عليه السلام تنال كلا منهم في وقت قدره الله عز وجل وقرئ الظالمون على ان عهدى
منعول قدم على التساعل اهتماما ورعاية للتواصل وفيه دليل على عصمة الانبياء عليهم السلام من الكبار على
الاطلاق وعدم صلاحية النظام للامامة وقوله تعالى (واذ جعلنا البيت) أى الكعبة المعظمة غلب عليها غلبة النجم
على التراب معطوف على اذابتلى على ان العامل فيه هو العامل فيه أو من ممر مستقل معطوف على المضمر الاول
والجعل اما بمعنى النصير فقوله عز وجل (مما) أى مرجعا يثوب اليه الزوار بعد ما تفرقوا عنه أو أمثالهم
أو موضع ثواب يشاؤون بحجبه واعتماره مفعوله الثانى واما معنى الابداع فهو حال من مفعوله واللام في قوله تعالى
(للناس) متعلقة بمحذوف وقع صفة لمثابة أى مشابهة كائنة للناس أو يجعلنا أى جعلناه لاجل الناس وقرئ
مما بات باعتبار تعدد الثابين (وأما) أى آسنا كما في قوله تعالى حرما آمناعلى ايثار المصدر موقع اسم الفاعل
للمبالغة أو على تقدير المضاف أى ذا امن أو على الاسناد المجازى أى آسنا من حجه من عذاب الآخرة من
حيث أن الحج يجب ما قبله أو من دخله من التعرض له بالعقوبة وان كان بيانيا حتى يخرج على ما هو رأى أبى
حنيفة ويجوز أن يعتبر الامن باقناب الى كل شئ كما نأما كان ويدخل فيه أمن الناس دخولا أو ليا وقد اعتيد
فيه امن الصيد حتى ان الكلب كان يهت بالصيد خارج الحرم فيقر منه وهو يتبعه فاذا دخل الصيد الحرم لم يتبعه
الكلب (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) على ارادة قول هو عطف على جعلنا أو سال من فاعله أى وقلنا أو قائلين
لهم اتخذوا الخ وقيل هو بنفسه معطوف على الامر الذى يتضمنه قوله عز وجل مماثلة للناس كانه قيل قوبوا اليه
واتخذوا الخ وقيل على المضمر العامل فى اذوقيل هي جملة مستأنفة والخطاب على الوجوه الاخيرة له عليه السلام
ولامته والاول هو الالىق بجزالة النظم الكريم والامر صريح بما كان أو مفهوما من الحكاية للاستحباب ومن
تبعضية والمقام اسم مكان وهو الحجر الذى عليه أترق قدمه عليه السلام والموضع الذى كان عليه حين قام
ودعا الناس الى الحج أو حين رفع قواعد البيت وهو موضعه اليوم والمراد بالمصلى اما موضع الصلاة أو موضع
الدعاء روى انه صلى الله عليه وسلم أخذ بيد عمر رضى الله عنه فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر رضى الله عنه
أفلا اتخذته مصلى فقال لم أو مر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر
رضى الله عنه انه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم صلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا
من مقام ابراهيم مصلى وللشافعى في وجوبهما قولان وقيل مقام ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج عرفة
والمزدلفة والحار واتخذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله عز وجل وقرئ واتخذوا على صيغة الماضى

عطف على جعلنا أي واتخذ الناس من مكان ابراهيم الذي وسم به لانه قاسمه به واسكان ذريته عنده قبله يصلون اليها
(وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل) أي امرناهما امرامؤكدا (أن طهرا بيتي) بأن طهرا على أن مصدرية حذف
عنها الجار حذف فاه طهرا الجواز كون صلها امر او نهي كما في قوله عز وجل وان اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار
جواز كونها فعلا انما هو دلالة على المصدر وهي متحقة فيها ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي
انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجل وهي لا يوصف بها الا اذا كانت خبرية وأما الموصول الحرفي فليس
كذلك ولما كان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سواء ساء وقوع الامر والنهي صلة حسب وقوع الفعل
فيتميز عند ذلك من معنى الامر والنهي نحو تميز الصلاة الفعلية عن معنى الماضي والاستقبال أو أي طهرا
على أن مفسرة لتعين العهد معنى القول وازدادة البيت الى ضمير الجلالة لتشير وتوجيه الامر بالتطهير
ههنا اليها على السلام لا ينافي ما في سورة الحج من تخصيصه بابراهيم عليه السلام فان ذلك واقع قبل بناء
البيت كما ينص عنه قوله تعالى واذبوا نالا براهيم مكان البيت وكان اسمعيل عليه السلام حينئذ بعزل من مشاية
الخطاب وظاهر أن هذا بعد بلوغه مبلغ الامر والنهي وتام البناء بمباشرة كما ينبغي عنه ايراده أثر حكاية جعله مشاية
للناس الحج والمراد تطهيره من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض وغير ذلك مما لا يليق به (للطائفتين)
حوله (والعاقبتين) المجاورين المقيمين عنده أو المعتكفين أو القاطنين في الصلاة كما في قوله عز وجل وللعاقبتين
(والركع السجود) جمع راكع وساجد أي للطائفتين والمصلين لان القيام والركوع والسجود من هيئات المصلي
ولتقارب الاخيرين ذاتا وزمانا ترك العاطف بين موصوفيهما أو اخلصاه لهؤلاء لئلا يغشاه غيرهم وفيه ايماء
الى ان ملازمة غيرهم به وان كانت مع مقارنته أمره باح من قبيل تلويثه وتدنيسه (واذا قال ابراهيم) عطف
على ما قبله من قوله واذ جعلنا الحج اما بالذات أو بعاملة المنع كأمير (رب اجعل هذا بلدا آمنا) ذا أمن
كعبية راضية أو آمنا أهله كليله نائم أي اجعل هذا الوادي من البلاد الآمنة وكان ذلك أول ما قدم عليه
السلام كذكر روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم انه عليه الصلاة والسلام لما أسكن اسمعيل وهاجر
هناك وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر فجعلت تقول الى من تكلفنا في هذا البلقع وهو لا يرد عليهما جوابا
حق قالت الله أمرك بهذا فقال نعم قالت اذا لا يصعب عنا فريض ومضى حتى اذا استوى على ثنية كداء قيل
على الوادي فقال ربنا اني أسكنت الآية وتعريف البلد مع جعله صفة لهذا في سورة ابراهيم ان جل على تعدد
السؤال لما انه عليه السلام سأل أولا كلا الامرين البلدية والامن فاستجيب له في أحدهما وتأخر الآخر الى
وقته المستدرة لما تقتضيه الحكمة الباهرة ثم كرر السؤال حسبا هو المعتاد في الدعاء والابتهاال أو كان
المسؤل أولا البلدية ومجرد الامن المصحح للسكنى كما في سائر البلاد وقد أجيب الى ذلك وثانيا الامن المعهود
أو كان هو المسؤل أولا أيضا وقد أجيب اليه ~~بأن~~ السؤال الثاني لاستدامته والاقتصار على سؤاله مع جعل
البلد صفة لهذا لانه المتصد الاصل أو لان المعتاد في البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف الامن وان جل
على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر أن المسؤل كلا الامرين وقد حكى ذلك ههنا
واقصر هناك على حكاية سؤال الامن اكفاء عن حكاية سؤال البلدية بحكاية سؤال جعل اقتدة الناس
تهوى اليه كما سيأتي تفصيله هناك باذن الله عز وجل (وارزق اهلك من الغرات) من أنواعها بأن تجعل
بقرب منه قري يحصل فيها ذلك أو يجبي اليه من الاقطار الساعة وقد حصل كلاهما حتى انه يجتمع فيه القواكه
الريعية والصيفية والخريفية في يوم واحد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الطائف كانت من أرض
فلسطين فلما دعا ابراهيم عليه الصلاة والسلام بهذه الدعوة رفعها الله تعالى فوضعها حيث وضعها رزقا للكرم وعن
الزهري انه تعالى نقل قرية من قري الشام فوضعها بالطائف لدعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام (من آمن منهم
بالله واليوم الآخر) بدل من أهله بدل البعض خصهم بالدعاء اظهار الشرف الايمان وابانة لظهورها واهتماما
بشأن أهله وحرارة لحسن الادب وفيه ترغيب لقومه في الايمان وزجر عن الكفر كما كان في حكايته ترغيبا
وترهيبا القريش وغيرهم من أهل الكتاب (قال) استئناف مبني على السؤال كما مر مرارا وقوله تعالى
(ومن كفر) عطف على مفعول فعل محذوف تقديره ارزق من آمن ومن كفر وقوله تعالى (فأمنعه) معطوف
على ذلك الفعل أو في محل رفع بالابتداء وقوله تعالى فأمنعه خبره أي فأنا أمنعه وانما دخلته الفاء تشبيها

وتأيد لما اشير اليه من ترتيب المدة على سوء اختيارهم (يعمهون) حال من الضمير المنصوب أو الجرور لكون
المضاف مصدراً فهو مرفوع حكماً والعمة في البصيرة كالعمى في البصر وهو التصير والتردد بحيث لا يدرى
اين يتوجه واستناد هذا المذالى الله تعالى مع استناده في قوله تعالى واخوانهم بعدونهم في النفي تحقيق لقاعدة
اهل الحق من ان جميع الاشياء مستند من حيث الخلق اليه سبحانه وان كانت افعال العباد من حيث
الكسب مستندة اليهم والمدة تزل لما تعذر على عم اجراء النظم الكريم على مسالكه فكبوا الى شعاب التاويل
فأجابوا أولاً بأنهم لما أصروا على كفرهم خذاهم الله تعالى ومنعهم الطافة فتزايد الرين في قلوبهم فسمى ذلك
مدداً في الطغيان فاستند ايلاؤه اليه تعالى في المسند مجاز لغوي وفي الاستناد عقلي لانه استناد للفعل الى
المسبب له وقاعله الحقيقي هم الكفرة وثانياً بأنه أريد بالمدة في الطغيان ترك القسر والالقاء الى الايمان كما في
قوله تعالى ونذرهم في طغيانهم يعمهون فالجواز في المسند فقط وثالثاً بأن المراد به معناه الحقيقي وهو فعل
الشیطان لـ كنهه استند اليه سبحانه مجازاً لانه يتمكنه تعالى واقداره (اولئك) اشارة الى المذكورين
باعتبار انصافهم بما ذكر من الصفات الشنيعة المميزة لهم عن عداهم اكل تمييز بحيث صاروا كأنهم حصار
مشاهدون على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للايدان بعد منزلتهم في الشر وسوء الحال ومحله الرفع على
الابتداء خبره قوله تعالى (الذين اشتروا الضلالة بالهدى) والجملة مسوقة لتقرير ما قبلها وبيان لكمال
جهالتهم فيما حكى عنهم من الاقوال والافعال باظهار غاية سماعتها وتصويرها بصورة ما لا يكاد يتعاطاه من له
ادنى تمييز فضلاً عن العقلاء والضلالة الجور عن القصد والهدى التوجه اليه وقد استعير الاول للعدول عن
الصواب في الدين والثاني للاستقامة عليه والاشتراء استبدال السلعة بالثمن أى اخذها به لا بذله لتصلحها
كما قيل وان كان مستلزماً فان المعبر في عقد الشراء ومفهومه هو الجلب دون السلب الذي هو المعبر في عقد
البيع ثم استعير لاخذ شيء باعطاء ما في يده عينا كان كل منهما أو معنى لا للاعراض عما في يده محصلا به غيره
كما قيل وان استلزمه لما ترسره ومنه قوله

أخذت بالجنة رأساً زعراً * وبالثايب الواضحات الدردرا

وبالطويل العموم راجيدرا * كما اشترى المسلم اذ تنصرا

فاشترى الضلالة بالهدى مستعار لاخذها بذل لا منه أخذاً منوطاً بالرغبة فيها والاعراض عنه ولما اقتضى ذلك
أن يكون ما يجري مجرى الثمن حاصلًا للكفرة قبل العقد وما يجري مجرى المبيع غير حاصل لهم اذ ذلك
حسبما هو في البيت ولا ريب في انهم يعزل من الهدى مستمرون على الضلالة استندى الحال تحقيق ما جرى
مجري العوضين فنقول وبالله التوفيق ليس المراد بما تعلق به الاشتراء ههنا جنس الضلالة الشاملة لجميع
اصناف الكفرة حتى تكون حاصله لهم من قبل بل هو فرداها الكامل الخاص بهؤلاء على ان اللام للعهد
وهو عهدهم المقرون بالمدة في الطغيان المترتب على ما حكى عنهم من القيان وذلك انما يحصل لهم عند اليأس
عن اهتدائهم وانغمس على قلوبهم وكذلك ليس المراد بما في حيز الثمن نفس الهدى بل هو التمكن التام منه
بتعاضدا لاسباب وتأخذ المقدمات المستبعدة به بطريق الاستعارة ككأنه نفس الهدى بجماع
المشاركة في استتباع الجدوى ولا مزية في ان هذه المرتبة من التمكن كانت حاصله لهم بما شاهدوه
من الايات الباهرة والمعجزات القاهرة من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم وبما سمعوه من نصائح المؤمنين
التي من جللتها ما حكى من النهي عن الفساد في الارض والامر بالايمان الصحيح وقد نبذوها وراء ظهورهم
وأخذوا بها الضلالة الهائلة التي هي العمة في تيه الطغيان وسجل الهدى على الفطرة الاصلية الحاصلة لكل
أحد ياباه أن اضاعتها غير محتملة ولا وثق حلت على الاضاعة التامة الواصلة الى حد انظم على القلوب
المختصة بهم فليس في اضاعتها فقط من الضياع ما في اضاعتها مع ما يؤيدها من المؤيدات العقلية والنقلية
على ان ذلك يقتضى الى ككون ذكر ما فصل من أول السورة الكريمة الى هنا ضائعاً وأبعد منه جل اشتراء
الضلالة بالهدى على مجرد اختيارها عليه من غير اعتبار كونه في أيديهم بناء على انه يستعمل اتساعاً في اشارة
أحد الشيتين الكافين في شرف الوقوع على الآخر فانه مع خلقه عن المزايا المذكورة بالمرّة محل بروق الترشيع
الآتي هذا على تقدير جعل الاشتراء المذكور عبارة عن معاملة لهم السابقة المحكية وهو الانسب بتصواب

بل يجدد من جذورها وقال الحافظ السبلي ان بناء عالم يمكن في الدهر الا خمس مرات الاولى حين
 بناها شيث عليه السلام انتهى والله سبحانه أعلم (واسماعيل) عطف على ابراهيم ولعل تأخير عن المفعول
 للذي ان بيان الاصل في الرفع هو ابراهيم واسماعيل تسع له قيل انه كان يشاوله بالحجارة وهو بينهما وقيل كانتا بينهما
 من طرفين (ربنا تقبل منا) على ارادة القول أي يقولان وقد قرئ به على انه حال متهم عليهما السلام وقيل على
 انه هو العامل في اذ والجملة معطوفة على ما قبلها والتقدير ويقولان ربنا تقبل منا اذ رفعنا أي وقت رفعهما
 وقيل واسماعيل مبتدأ خبره قول تحذوف وهو العامل في ربنا تقبل منا فيكون ابراهيم هو الرفع واسماعيل هو
 الداعي والجملة في محل نصب على الحالية أي واذا رفع ابراهيم القواعد والحال ان اسماعيل يقول ربنا تقبل
 منا والتعريض لوصف الربوبية المنبثقة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميرهما عليهما السلام
 انصريك سلسلة الاجابة وتزلزله من قول تقبل مع ذكره في قوله تعالى ربنا وتقبل دعاء ليم الدعاء وغيره من القرب
 والطاعات التي من جملتها ما هما بصدد من البناء كما يعرب عنه جعل الجملة الدعائية حالية (انك انت السميع)
 لجميع المسموعات التي من جملتها دعاؤنا (العليم) بكل المعلومات التي من زمرة ما يتنا في جميع أعمالنا والجملة
 تعليل لاستدعاء التقبل لامن حيث ان كونه تعالى سميعا لهما عليهما عليا بنيتا معصم للتقبل في الجملة بل من حيث
 ان علمه تعالى بصحة نيتهما واخلاصهما في أعمالهما مستدع له بموجب الوعد تفضلا وتأكيدا للجملة الغرض
 كمال قوة يقينتهما بغيره ونما وقصر نفعي السمع والعلم عليه تعالى لانها راخصا من دعائهما به تعالى وانقطاع
 رجائهما عما سواها الكلية واعلم ان الظاهر ان اول ما جرى من الامور المحكية هو الابتلاء وما يتبعه ثم دعاء
 البلدية والامن وما يتعلق به ثم رفع قواعد البيت وما يتلو ثم جعله مثابة للناس والامر بتطهيره ولعل تغيير
 الترتيب الوقوعي في الحكاية لتنظيم الشؤون الصادرة عن جنباته تعالى في سلك مستقل وتظم الامور الواقعة
 من جهة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام من الافعال والاقوال في سلك آخر وأما قوله تعالى ومن كفر الخ
 فانما وقع في تضاعيف الاحوال المتعلقة بابراهيم لاقتضاء المقام واستيجاب ما سبق من الكلام ذلك بحيث
 لم يمكن بدونه أصلا كما ان وقوع قوله عليه السلام ومن ذرئتي في خلال كلامه سبحانه لذلك (ربنا
 واجعلنا مسلمين لك) مخلفين لك أو مسلمين من أسلم اذا استسلم وانقاد وأيا ما كان فال المطلوب الزيادة والنيات
 على ما كنا عليه من الاخلاص والاذعان وقرئ مسلمين على صيغة الجمع يادخلها خبرهم في الدعاء أولان
 التنفية من مراتب الجمع (ومن ذرئتنا أمة مسلمة لك) أي واجعل بعض ذرئتنا وانما خصاهم بالدعاء لانهم
 أحق بالتنفية ولانهم اذا صلحوا صلح الاتباع وانما خصاهم لاعتناءهم بظلمة وان الحكمة الالهية
 لا تقتضي تضيق الكل على الاخلاص والاقبال الكلي على الله عز وجل فان ذلك مما يحل بأمر المعاش
 ولذلك قيل لولا الحق لخربت الدنيا وقيل أراد بالآمة المسلمة أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقد جوز أن يكون
 من مينة قدمت على المبين وفصل بها بين العاطف والمعاوف كما في قوله تعالى ومن الارض مثاقن والاصل
 وأمة مسلمة لك من ذرئتنا (وأرنا) من الرؤية بمعنى الابصار أو بمعنى التعريف أي بصرنا أو عرفنا (مناسكا)
 أي متعبدا تنافي الحج أو ذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد
 عن العادة وقرئ اربنا خاسعا لي نخذ في نخذ وفيه ابحاف لان الكثرة متقولة من الهمة الساقطة دليل عليها
 وقرئ بالاختلاس (وتب علينا) استجابة لذرئتهما وحكايتها عنهم ما لترغب الكفرة في التوبة والايان
 أو توبة لهم ما عاقرط منهما فهو اولاهما قالاهما لانفسهما وارشاد الذريتهما (انك انت التواب الرحيم)
 وهو تعليل للدعاء ومن يد استدعاء للاجابة قيل اذا أراد العبد أن يستجاب له فلدع الله عز وجل بما يناسبه
 من أسمائه وصفاته (ربنا وابعث فيهم) أي في الامة المسلمة (رسولا منهم) أي من انفسهم فان البعث
 فيهم لا يستلزم البعث منهم ولم يبعث من ذريتهما غير النبي صلى الله عليه وسلم فهو الذي أوجب به دعوتهما
 عليهم السلام روي انه قيل له قد استجب لك وهو في آخر الزمان قال عليه السلام نادوه ابي ابراهيم وبشرى
 عيسى وروياي وتخصيص ابراهيم عليه السلام بالاستجابة له لما نه الاصل في الدعاء واسماعيل تسع له ع م (يتلوا
 عليهم اياتك) يقرأ عليهم ويلقونهم ما يوحى اليه من الآيات (ويعلمهم) بحسب قوتهم النظرية (الكتاب) أي القرآن
 والحكمة وما يحسن عمل به تفوسم من أحكام الشريعة والمعارف الحقة (ويزكهم) بحسب قوتهم

العملية أى يظهرهم عن دنس الشرك وفنون المعاصي (انك أنت العزيز) الذى لا يقهر ولا يقبل على ما يريد
 (الحكيم) الذى لا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة والمصلحة والجله تعليل للدعاء واجابة المسئول فان وصف
 الحكمة مقتضى لا فاضة ما يقتضيه الحكمة من الامور التي من جلتها بعث الرسول ووصف العزة مستدع
 لامتناع وجود المانع بالمرّة (ومن يرغب عن ملة ابراهيم) انكار واستبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب
 عن ملته التي هي الحق الصريح والدين الصحيح أى لا يرغب عن ملته الواضحة الغراء (الامن سغه نفسه) أى
 اذاها واستتمتها واستخف بها وقيل خسر نفسه وقيل أوبق أو أهلك أو جهل نفسه قال المبرد ونعلب سغه
 بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما ورد في الخبر الكبير ان تسغه الحق وتغمص الناس وقيل معناه ضل من
 قبل نفسه وقيل أصله سغه نفسه بالرفع فنصب على التمييز نحو غبن رأيه وألم رأسه وضوق قوله

ونأخذ بعد مذنب عيش * أوجب الظاهر ليس له سنام
 وما قوى بشطبة بن سعد * ولا بفزارة الشعر الرقابا

وذلك لانه اذا رغب عما لا يرغب عنه أحد من العقلاء فقد بالغ في اذلال نفسه واذا التهاواها تها حيث خالف
 بها كل نفس عاقلة روى ان عبد الله بن سلام دعا بنى أخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمنا ان
 الله تعالى قال في التوراة انى باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به
 فهو ملعون فأسلم سلمة وأبى مهاجر فزلات (واقدا اصطفيناه في الدنيا) أى اخترنا بالنبوة والحكمة من بين سائر
 الخلق وأصله اتخاذ صفوة النبي كما ان أصل الاختيار اتخاذ خيرة واللام بطواب قسم محذوف والواو اعتراضية
 والجله مقترنة لمنهون ما قبلها أى وبالله لقد اصطفيناه وقوله تعالى (وانه في الآخرة لمن الصالحين) أى من
 المشهود لهم بالتبات على الاستقامة والخير والصلاح معطوف عليها داخل في حيز القسم مؤكداً لمنهونهم بما عثر
 لما تقرر ولا حاجة الى جعله اعتراضاً آخر أو حالاً مقدرة فان من كان صفوة للعباد في الدنيا شهد الله بالصلاح
 في الآخرة كان حقيقاً بالاتباع لا يرغب عن ملته الا سفيه أو متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر
 والتأمل وايتار الاسمية لما ان انتظامه في زمرة صالحى أهل الآخرة أمر مستقر في الدارين لانه يحدث في الآخرة
 والتأكيد باللام لان الامور الاخرية خفية عند المخاطبين فاجتهدوا الى التأكيد أشد من الامور التي تشاهد
 آثارها وكلمة في متعلقة بالصالحين على ان اللام للتعريف وليست بموصولة حتى يلزم تقديم بعض الصلة عليها على
 انه قد يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله ربيته حتى اذا تمعدا * كان جزائي بالعصا أن أجلدا
 أو بمحذوف من لفظه أى وانه لصالح في الآخرة لمن الصالحين أو من غير لفظه أى أعني في الآخرة فمذكور بعد
 رعباً وقيل هي متعلقة باصطفيناه على ان في النظم الكريم تقديم وتأخير تقديره واقدا اصطفيناه في الدنيا
 والآخرة وانه لمن الصالحين (اذ قال له) ظرف لاصطفيناه لما ان المتوسط ليس بأجنبي بل هو مقترن له لان
 اصطفاؤه في الدنيا اعما هو للنبوة وما يتعلق بصلاح الآخرة أو تعليل له أو منصوب بأذكر كانه قيل اذ ك ذلك الوقت
 لتقف على انه المصطفى الصالح المستحق للإمامة والتقدم وانه ما نال ما نال الا بالمبادرة الى الاذعان والانقياد لما
 أمر به واخلاص سره على أحسن ما يكون حينئذ له (ربه اسلم) أى لربك (قال اسلمت لرب العالمين) وليس
 الامر على حقيقة بل هو غشيل والمعنى اخطر به دلائل التوحيد المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام من
 الكوكب والشمس وقيل اسلم أى اذعن وأطع وقيل اثبت على ما انت عليه من الاسلام والاخلاص
 واستقم وفوض أمورك الى الله تعالى فالامر على حقيقته والاتفات مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة
 اليه عليه السلام لانظهار مزيد اللطف به والاعتناء بربه وضافة الرب في جوابه عليه الصلاة والسلام
 الى العالمين للايدان بكامل قوة اسلامه حيث ايقن حين النظر بشمول ربه بيه للعالمين قاطبة لانفسه وحده
 كما هو المأمور به (ووصى بها ابراهيم بنيه) شروع في بيان تكميله عليه السلام لغيره اثر بيان كماله في نفسه
 وفيه توكيد لجوب الرغبة في ملته عليه السلام والتوصية التقدم الى الغير بما فيه خير وصلاح للمسلمين من
 فعل أو قول وأصلها الوصلة يقال وصاء اذا وصله وفصاء اذا فصله كان الموصى يصل فعله بفعل الوصى والفمير
 في به بالمله أو قوله أسلمت لرب العالمين بتأويل الكلمة كما عبر به عن قوله تعالى انى براء مما تعبدون الا الذى
 فطرني في قوله عز وجل وجعلها كلمة باقية في عقبه وقرئ أوصى والاقول ابلغ (وبعقوب) عطف على ابراهيم

أبى وصى بها هو أيضاً بنه وقرئ بالنصب عطفاً على بنه (يا بني) على اخبار القول عند البصريين ومثله على بوصى
 عند الكوفيين لانه في معنى القول كما في قوله رجلان من ضبة اخبرانا • اناراً يشار بجلاء ما هو عند الاولين
 بتقدير القول وعند الاخرين متعلق بالاخبار الذي هو في معنى القول وقرئ ان يا بني وبنو ابراهيم عليه السلام
 كانوا أربعة اسمعيل واسحق ومدين ومذان وقيل ثمانية وقيل أربعة وعشرين وكان بنو يعقوب اثني عشر وروبعين
 وشعمون ولاوى ويهوذا ويسوخور وزبولون وزوفا وتفتونا وكوذا واشير وبنامين ويوسف عليه السلام
 (ان الله اصطفى لكم الدين) دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان ولادين غيره عنده تعالى (فلا تموتن الا وانتم
 مسلمون) ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام والمسلمين والامر بالثبات على الاسلام الى حين الموت
 اي فاقبضوا عليه ولا تفارقوه أبداً كقولك لا تفصل الا وانت خاشع وتغيب العبادرة للدلالة على ان موتهم لا على
 الاسلام موت لا خريفه وان حقه ان لا يحل بهم وان يجب ان يحذروه غاية الحذر وتطهره من واثق شهود روى
 ان اليهود قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم ألسنت تعلم ان يعقوب أوصى باليهودية يوم مات فترأت (ام كنتم
 شهداء اذ حضر يعقوب الموت) أم منقطعة مفقودة قيل والمهزلة والخطاب لاهل الكتاب الراغبين عن ملة ابراهيم
 وشهداء جمع شهيد أو شاهد بمعنى الحاضر واذا ظرف لشهداء والمراد بحضور الموت حضوراً سلباً وتقديم
 يعقوب عليه السلام للاهتمام به اذ المراد بيان كيفية وصيته لئلا يبعد ما بين ذلك اجالا ومعنى بل الاضربا
 والانتقال عن توخيهم على رغبتهم عن ملة ابراهيم عم الى توخيهم على اقتنائهم على يعقوب عليه السلام
 باليهودية حسبما حكى عنهم وأما نعيم الاقتراء ههنا لسائر الانبياء عليهم السلام كما قيل فيما ياء تخصيص يعقوب
 بالذكور ما سأتى من قوله عز وجل أم تقولون ان ابراهيم الخ ومعنى المهزلة انكار وقوع اليهود عند احتضاره
 عليه السلام وتبكيته وقوله تعالى (اذ قال) بدل من اذ حضر أي ما كنتم حاضرين عند احتضاره عليه السلام
 وقوله (لبنيه ما تعبدون من بعدى) أي أي شيء تعبدون بعد موتى فمن أين لكم ان تدعوا عليه عليه السلام
 ما تدعون رجاء الغيب وعند هذا تم التوبيخ والانكار والتبكي ثم بين ان الامر قد جرى حينئذ على خلاف
 ما زعموا وأنه عليه السلام أراد بذلك تقرير بنه على التوحيد والاسلام وأخذ ميثاقهم على الثبات
 عليهم اذ به يتم وصيته بقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون وما يال به عن كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلا
 بن اذا سئل عن شيء بعينه وان سئل عن وصفه قبل ما زيد آفقيه أم طيب فتدله تعالى (قالوا) استئناف وقع
 جواباً عن سؤال نشأ عن حكاية سؤال يعقوب عليه السلام كانه قيل فيما اذا قالوا اعند ذلك فقيل قالوا (تعبدناك
 واله ابائنا ابراهيم واسمعيل واسحق) حسبما كان مراد أي هم بالسؤال أي تعبدوا لله المتفق على وجوده والهيته
 ووجوب عبادته وهذا اسمعيل من آتائه تغليبا للاب والجد لقوله عليه الصلاة والسلام عم الرجل صنواً أبيه وقوله
 عليه السلام في العباس هذا بقية آباءى وقرئ أيك على انه جمع بالواو والنون كما في قوله
 فلما تبين أصواتنا بكين وقد بينا بالآيات وقد سقطت النون بالاضافة أو مفرد وابراهيم عطف بيان له واسمعيل
 واسحق معطوفان على أيك (الها واحداً) بدل من اله آباءك كقوله تعالى بالناسية ناصية كاذبة وفائدة
 التبريح بالتوحيد ودفع التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على الجرور وأضرب على الاختصاص
 (وحنن له مسلمون) حال من فاعل تعبد أو من مفعوله أو منهم ما معاً ويحتمل ان يكون اعتراضاً لمحقق المنع
 ما سبق (ثلاثاً) مبتدأ وخبر والاشارة الى ابراهيم ويعقوب وبنهما الموحدين والامة هي الجماعة التي تؤمنها
 فرق الناس أي يتصدونها ويقتدون بها (قد خلت) صفة للضمير أي مضت بالموت وانفردت عن عداها وأصله
 صارت الى الغلاء وهي الارض التي لا ينس بها (لها ما كسبت) جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب
 أو صفة أخرى لامة أو حال من الضمير في خلت وما موصولة أو موصوفة والعائد اليها محذوف أي اها ما كسبته
 من الاعمال الصالحة المحكية لا تنظهاها الى غيرها فان تقديم المسند يوجب قصر المسند اليه عليه كما هو المتيهور
 (ولكم ما كسبتن) عطف على نظيرتها على الوجه الاول وجملة مبتدأ على الوجهين الاخيرين اذ لا رابط فيها
 ولا بد منه في الصفة ولا مقارنة في الزمان ولا بد منها في الحال أي لكم ما كسبتوه لا ما كسبته غيركم فان تقديم
 المسند قد قصد به قصره على المسند اليه كما قيل في قوله تعالى انكم دينكم ولى دينى لا دينكم
 وحال الجملة الاولى على هذا المقصر على معنى أن أولئك لا يتبعهم الا ما اكتسبوا كما قيل مما لا يساعده المقام

قوله أربعة وعشرين هكذا
 في النسخ والذي في البيضاوى
 أربعة عشر هـ

اذ لا يتوهم متوهم انما هم يكسب هؤلاء حتى يحتاج الى بيان اسنائه وانما الذي يتوهم انتفاع هؤلاء بكسبهم
فبين امتناعه بان اعمالهم الصالحة مخصوصة بهم لا تخطأهم الى غيرهم وليس لهؤلاء الا ما كسبوا فلا ينفعهم
انتسابهم اليهم وانما ينفعهم انتسابهم لهم في الاعمال كما قال عليه السلام يا بني هاشم لا يأتي بني الناس بأعمالهم
وتأتوني بانفسائكم (ولا تسألون عما كانوا يعملون) ان ابري السؤال على ظاهره فالجمله مقترنة لمضمون
ما ترون من الجهتين تقريرا ظاهرا وان اريد به منسبته اعني الجزاء فهو تميم لما سبق جار مجرى النتيجة له وأياتا كان
فالمراد تخيير الخاطئين وقطع أطماعهم الفارغة عن الانتفاع بحسنات الامة الخالصة وانما أطلق العمل
لإثبات الحكم بالطريق البرهاني في ضمن قاعدة كلية هذا وقد جعل السؤال عبارة عن المواخذة
والموصول عن السيئات فقبيل أي لا تؤاخذون بسناتهم كالأتاؤون بحسناتهم ولا ريب في انه مما لا يليق
بشأن التنزيل كيف لا وهم نزهون من كسب السيئات فن أين يتصور تحميلها على غيرهم حتى تصدى لبيان
انتفاعه (وقالوا) شروع في بيان فن آخر من فنون كفرهم وهو اضلالهم لغيرهم اثر بيان ضلالهم في أنفسهم
والغرض لاهل الكتابين على طريقة الالتفات المؤذن باستيجاب حالهم لابعادهم من مقام الخطيئة والاعراض
عنهم وتعديد جنائياتهم عند غيرهم أي قالوا للمؤمنين (كونوا هودا ونصارى) ليس هذا القول مقولا
لنكلامهم أولاى طائفة كانت من الطائفتين بل هو موزع عليهما على وجه خاص يقتضيه حالهما اقتضاء مغنيا
عن التصريح به أي قالت اليهود ككونوا هودا والنصارى ككونوا نصارى ففعل بالنظام الكريم ما فعل بقوله
تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى اعتمادا على ظهور المرام (تهدوا) جواب للامر
اي ان تكونوا كذلك تهدوا (قل) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي قل لهم على سبيل الرأفة عليهم وبيان
ما هو الحق لديهم وارشادهم اليه (بل ملة ابراهيم) أي لا تكونوا كما تقولون بل تكونوا أهل ملة عليه
السلام وقيل بل تتبع ملته عليه السلام وقد جوز أن يكون المعنى بل اتبعوا أنتم ملته عليه السلام أو كونوا
أهل ملته وقرئ بالرفع أي بل ملة أئمة أو ملة أئمة أي ملة أي ما تلاعن الباطل الى
الحق وهو حال من المضاف اليه كما في رأيت وجهه عند قائمة أو المضاف كما في قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم
من غل اخوانا الخ (وما كان من المشركون) تعريض بهم وايدان بطلان دعواهم اتباعه عليه السلام
مع اشراكهم بقوله عزير ابن الله والمسيح ابن الله (قولوا) خطاب للمؤمنين بعد خطابه عليه السلام برذ
مقاتلهم الشقاء على الاجمال وارشادهم الى طريق التوحيد والايمان على ضرب من التفصيل أي قولوا لهم
بمخالفة ما قالوا من حقنا وارشادنا ضلالتهم اليه (امنا بالله وما ازل اليانا) يعني القرآن قدم على سائر الكتب
الالهية مع تأخره عنها نزولا للاختصاص به بنا وكونه سببا للايمان بها (وما ازل الى ابراهيم واسماعيل واسحق
وبه قبوب والاسباط) المحض وان كانت نازلة الى ابراهيم عليه السلام لكن من بعده حيث كانوا متعبدين
بتفصيلها ذا اذ كان تحت أحكامها جعلت منزلة اليهم كما جعل القرآن منزلا اليانا والاسباط يجمع سبط وهو الحافذ
والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام أو أبناء الاثنا عشر وذرايرهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق (وما اوتي
موسى وعيسى) من التورية والالتجمل وسائر المعجزات الباهرة الظاهرة بأيديهم ما حجبوا في التنزيل
الجليل وايراد الاشياء لاثباته من التعظيم وتخصيصها بالذكري لما ان الكلام مع اليهود والنصارى
(وما اوتي النبيون) أي جله المذكورين وغيرهم (من ربهم) من الآيات البينات والمعجزات الباهرات
(لا نفرق بين احد منهم) كدأب اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض وانما اعتبر عدم التفريق بينهم
مع ان الكلام فيما أوتوه لاستلزام عدم التفريق بينهم بالتصديق والتكذيب لعدم التفريق بين ما أوتوه وهمزة
أحدا ما أصلية فهو اسم موضوع لمن يصلح أن يخاطب يستوى فيه المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث
ولذلك صح دخول بين عليه كما في مثل المال بين الناس ومنه ما في قوله صلى الله عليه وسلم ما احلت الفنائم
لاحد سود الرأس غيركم حيث وصف بالجمع واما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعوجه لوقوعه في حيز النفي
وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف ظهوره أي بين أحد منهم وبين غيره كما في قول النابتة
فما كان بين الخير لو بما سلمنا * أبو جبر الا ليعال فلا تل أي بين انطير ويؤني وفيه من الدلالة صريحا على
تحقق عدم التفريق بين كل فرد منهم وبين من عداه كما قلنا من كان ما ليس في ان يقال لا نفرق بينهم والجمله حال

من الضمير في آمنوا قوله عز وجل (وتحزن له مسلمون) أي مخلصون له ومذعنون حال أخرى منه أو عطف على آمنوا (فإن آمنوا) الفاء لترتيب ما بعدهما على ما قبلها فإن ما تقدم من إيمان الخاطبين على الوجه المحترم مظنة لإيمان أهل الكتابين لما أنه مشق على ما هو مقبول عندهم (يمثل ما آمنتم به) أي بما آمنتم به على الوجه الذي فصل على أن المثل مقم كافي قوله تعالى وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله أي عليه وبعضه قراءة ابن مسعود بما آمنتم به وقراءة أبي بالذي آمنتم به ويجوز أن تكون الباء للاستعانة على أن المؤمن به محذوف لظهوره بمروره آنفاً أو على أن الفعل مجرى مجرى لازم أي فإن آمنوا بآياتهم مفصلاً أو فإن فعلوا الإيمان بشهادة مثل شهادتكم وإن تكون الأولى زائدة والثانية صلة لا آمنتم وما مصدرية أي فإن آمنوا بآياتنا مثل آياتكم بما ذكره مفصلاً وإن تكونا للملابسة أي فإن آمنوا ملتبسين بآياتنا ما آمنتم ملتبسين به أو فإن آمنوا بآياتنا ملتبساً بآياتنا ما آمنتم بآياتنا ملتبساً به من الإذعان والاختصاص وعدم التفريق بين الأنبياء عليهم السلام فإن ما وجد فيهم وصدر عنهم من الشهادة والإذعان وغير ذلك مثل ما للمؤمنين لا عينه بخلاف المؤمن به فإنه لا يتصور فيه التعدد (فعداهندوا) إلى الحق وأصابوه كما أهديتم وحصل بينكم الاتحاد والاتفاق وأما ما قيل من أن المعنى فإن تحزوا الإيمان بطريق يهدي إلى الحق مثل طريقكم فقد اهتدوا فإن وحدة المقصد لا تأتي تعدد الطريق فيأباه إن مقام تعيين طريق الحق وإرشادهم إليه بعينه لا يلزم تجويز أن يكون له طريق آخر وراهم (وإن تولوا) أي اعرضوا عن الإيمان على الوجه المذكور بأن لخلوا بشئ من ذلك كان آمنوا ببعض وكفروا ببعض كما هو دينهم ودينهم (فإنما هم في شقاق) المشاققة والشقاق من الشق كالخالفلة والخلاف من الخلف والمعادة والعداء من العدو أي الجانب فإن أحد المخالفين يعرض عن الآخر ضرورة أو معنى ويؤليه خلفه ويأخذ في شق غير شقه وعدوة غير عدوته والتسوين للتفخيم أي هم مستقرون في خلاف عظيم بعيد من الحق وهذا يدفع ما يوههم من احتمال الوفاق بسبب إيمانهم ببعض ما آمن به المؤمنون والجملة أما جواب الشرط كما هي على أن المراد مشاققتهم الحادثة بعد توليهم عن الإيمان بجواب الشرطية الأولى وإنما أوردت الجملة الاسمية للدلالة على ثباتهم واستقرارهم في ذلك وأما تأويل فاعلموا أنهم في شقاق هذا هو الذي يستدعيه نغامة شأن التنزيل الجليل وقد قيل قوله تعالى فإن آمنوا الخ من باب التخييز والتبكيك على منهاج قوله تعالى فأتوا بسورة من مثله والمعنى فإن حصلوا ديناً آخر مثل دينكم مماثلة في الصحة والسداد فقد اهتدوا وإذا لمكان له فلا مكان لا هتداهم ولا ريب في أنه مما لا يليق بحمل النظم الكريم عليه ولما دل تنكير الشقاق على امتناع الوفاق وإن ذلك مما يؤدي إلى الجدال والقتال لا محالة عقب ذلك بتسليط رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفريح المؤمنين بوعد النصر والغلبة وضمن التأييد والاعزاز وعبر بالسين الدالة على تحقق الوقوع البينة فقبل (فسيكفيكم الله) أي سيكفيكم شقاقهم فإن الكفاية لاتعلق بالاعيان بل بالأفعال وقد أنجز عز وجل وعده الكريم بقتل بني قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير وتولون الخ طاب بغير يده للنبي صلى الله عليه وسلم مع أن ذلك كفاية منه سبحانه للكل لما أنه الأصل والعمدة في ذلك ولا يذان بأن القيام بأمر الحروب وتحمل المؤن والمشاق ومقاساة الشدائد في مناهضة الأعداء من وظائف الرؤساء فنعته تعالى في الكفاية والنصر في حقه عليه السلام أتم وأكمل (وهو السميع العليم) تذييل لما سبق من الوعد وتأكيد المعنى أنه تعالى يسمع ما تدعونه ويعلم ما في بطنك من اظهار الدين فيستجيب لك ويوصلك إلى مرادك أو وعيد للكفرة أي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرونه في قلوبهم مما لا خفي فيه وهو معاقبهم عليه ولا يخفى ما فيه من تأكيد الوعد السابق فإن وعيد الكفرة وعد للمؤمنين (صبغة الله) الصبغة من الصبغ كالجلسة من الجلوس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ عبر بها عن الإيمان بما ذكر على الوجه الذي فصل لكونه تطهير للمؤمنين من اوضار الكفر وحلية تزينهم بأثاره الجميلة ومتداخلة في قلوبهم كما كان شأن الصبغ بالنسبة إلى الثوب كذلك وقيل للمشاكلة التقديرية فإن النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويرغمون أنه تطهير لهم وبه يحق نصرانيتهم وازدادت إلى الله عز وجل مع استناده فيما سلف إلى ضمير المتكلمين للتشريف والايذان بأنها عطية منه سبحانه لا يستقل العبد بتحصيلها فهي اذن مصدر مؤكدا لقوله تعالى آمناد اخل معه في حيز قولوا آمنتمص عنه انتصاب وعد الله عما تقدمه لكونه بمثابة

فعله كأنه قبل صبغنا الله صبغة وقيل هي منصوبة بفعل الاغراء أى الزموا صبغة الله وانما وسط بينهما الشرطيان وما بعدهما اعتناء ببيان انه الايمان الحق وبه الاهتداء ومسارة الى تساميه عليه الصلاة والسلام (ومن احسن من الله) مبتدأ وخبر والاستفهام لانكار والتوبيخ وقوله تعالى (صبغة) نصب على التمييز من احسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن صبغته احسن من صبغته تعالى فالفضل جبار بين الصبغتين لا بين فاعلها أى لا صبغة احسن من صبغته تعالى على معنى انه احسن من كل صبغة على ما اشير اليه في قوله تعالى ومن اظلم ممن منع الخ وحيث كان مدار التفضيل على تعميم الحسن الحقيقي والفرضى المبني على زعم الكفرة لم يلزم منه أن يكون في صبغة غيره تعالى حسن في الجملة والجملة اعتراضية مقترنة لما في صبغة الله من معنى التبجيل والابتهاج (ونحن له) أى الله الذى اولانا تلك النعمة الجليلة (عابدون) شكرها واسأرنعمه وتقديم الظرف للاهتمام ورعاية الفواصل وهو عطف على آمنا داخل معه تحت الامر واشار الى أهمية الاشعار بدوام العبادة او على فعل الاغراء بتقدير القول أى الزموا صبغة الله وقولوا نحن له عابدون فقوله تعالى ومن احسن من الله صبغة حينئذ يجرى مجرى التعليل للاغراء (قل احاجوننا) تجريد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم عقيب الكلام الداخلة تحت الامر الوارد بالخطاب العام لما ان المأمور به من الوظائف الخاصة به عليه الصلاة والسلام وقرئ بادغام النون والهزمة لانكار والتوبيخ أى التجادلوتنا (فى الله) أى فى دينه وتدينون ان دينه الحق هو اليهودية والنصرانية وتبينون دخول الجنة والاهتداء عليهم ما تقولون تارة ان يدخل الجنة الامن كان هوداً أو نصارى وتارة كوثاً هوداً أو نصارى تهتدوا (وهو ربنا وربكم) جملة حالية وكذلك ما عطف عليها أى التجادلوتنا والحال أنه لا وجه للعبادة اصله لانه تعالى ربنا أى مالك امرنا وأمركم (ولنا اعمالنا) الحسنات الموافقة لأمره (ولكم اعمالكم) السيئات المخالفة لحكمه (ونحن له مخلصون) فى تلك الاعمال لا يتنجس بها الاوجه فأنتى لكم الحاجة وادعاء حقيقة ما أنتم عليه والطمع فى دخول الجنة بسببه ودعوة الناس اليه وكلمة ام فى قوله تعالى (أم تقولون) امام معادلة للهزمة فى قوله تعالى احاجوننا داخله فى حيز الامر على معنى أى الامر ين تأتون اقامة الحق وتنوير البرهان على حقيقة ما أنتم عليه والحال ما ذكرتم التشبث بذيل التقليد والاقتراء على الانبياء وتقولون (أن ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هوداً أو نصارى) فحين بهم مقتصدون والمراد انكار كلا الامرين والتوبيخ عليهم ما وامانة قطعة مقدرة بيل والهزمة دالة على الاضراب والانتقال من التوبيخ على الحاجة الى التوبيخ على الاقتراء على الانبياء عليهم السلام وقرئ ام يقولون على صبغة الغيبة فهى منقطة لا غير داخل تحت الامر واردة من جهته تعالى توبيخهم وانكار اعلمهم لامن جهته عليه السلام على نهج الالتفات كما قيل هذا وأما ما قيل من ان المعنى احاجوننا فى شأن الله واصطفائه نبيا من العرب دونكم لما روى ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منافقون كنت نبيا لكنت منافقاً وتعالى ومعنى قوله تعالى وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم أنه لا اختصاص له تعالى بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده فلا يبعد أن يكرمنا بأعمالنا كما اكرمكم بأعمالكم كأنه ألزمهم على كل مذهب يتكونه الخما ما يتكينا فان كرامة النبوة ما تفضل من الله تعالى على من يشاء فالكمل فيه سواء وأما افاضة حق على المستحقين لها بالما واطبة على الطاعة والتعلى بالاخلاص فكما أن لكم اعمالاً ربما يعسر بها الله تعالى فى اعطائنا فلنا أيضاً اعمالاً ونحن له مخلصون أى لا أنتم فع عدم ملائمته اسباق النظم الكريم وسياقه لاسيما على تقدير كون كلمة ام معادلة للهزمة غير صحيح فى نفسه لما ان المراد بالاعمال من الطرفين ما اشير اليه من الاعمال الصالحة والسيئة ولا ريب فى ان امر الصلاح والسوء يدور على موافقة الدين المبني على البعثة ومخالفته فكيف تصور اعتبار تلك الاعمال فى استحقاق النبوة واستعدادها المتقدم على البعثة عرايب (قل أنتم اعلم ام الله) إعادة الامر ليست لجسدتاً كيد التوبيخ وتشديد الانكار عليهم بل للايدان بأن ما بعده ليس متصلاً بما قبله بل بينهما كلام للخفا طيبين مترتب على ما سبق مستتبع لما لحق قد ضرب عنه الذ كر صفنا انظروا وهو ندم ريحهم بما وجفوا عليه من الاقتراء على الانبياء عليهم السلام كما فى قوله عز وجل قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون قال فما خطبكم ايها المرسلون وقوله عز وجل قال أن نجد لمن خلقت طيناً قال أرايتك

هذا الذي كثرمت على فان تكرير قال في الموضعين وتوسيطه بين قولي قائل واحد لا يذان بان بينهما
 كلاما لصاحبه متعلقا بالاول والثاني بالتبعية والاستتباع كما حترق في محله أى كذبهم في ذلك وبكتمهم قائلان
 ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون وقد نفي عن ابراهيم عليه السلام كلا الامرين حيث قال ما كان ابراهيم يهوديا
 ولا نصرانيا واجتج عليه بقوله تعالى وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده وهو لاء المعطوفون عليه
 عليه السلام اتباعه في الدين وقافا فكيف تقولون ما تقولون سبحان الله عما تصفون (ومن اظلم) انكار
 لان يكون احدا اظلم (من كتم شهادة) ثابته (عنده) كائنه (من الله) وهي شهادته تعالى له عليه
 السلام بالخيفية والبراءة من اليهودية والنصرانية حسب انلى انضاف عنده صفة لشهادة وكذا من الله بحى
 بهم ما لتعليق الانكار وتاكيد فانه ثبوت الشهادة عنده وكونه سامن جناب الله عز وجل من اقوى الدواعى
 الى اقامتها واشد الزواجر عن كتمانها وتقديم الاول مع انه متأخر في الوجود لمراعاة طريقة الترتيب من الادنى
 الى الاعلى والمعنى انه لا احدا اظلم من اهل الكتاب حيث كتموا هذه الشهادة وأثبتوا تضيها بما ذكر من الافتراء
 وتعليق الاظلمية بطلق الكتمان للانبياء الى ان مرتبة من يرتدها ويشهد بخلافها في الظلم خارجة عن دائرة
 البيان او لا احدا اظلم من اهل الكتاب كتمانها فالمراد بكتمها عدم اقامتها في مقام الحاجة وفيه تعرض بغاية اظلمية اهل
 الكتاب على نحو ما اشير اليه وفي اطلاق الشهادة مع ان المراد بها ما ذكر من الشهادة المعينة تعرض بكتمانهم
 شهادة الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم في التوراة والانجيل (وما الله بعاقل عما تعملون) من فنون
 السبائات فدخل فيها كتمانهم لشهادته سبحانه وافترائهم على الانبياء عليهم الصلاة والسلام دخول اوليا
 اى هو محيط بجميع ما تأتون وما تذكرون فيما قبكم بذلك اشد عقاب وقرئ عما يعملون على صيغة الغيبة
 فالضمير ما لم يكتم باعتبار المعنى واما اهل الكتاب وقوله تعالى ومن اظلم الى آخر الآية مسوق من جهته
 تعالى لوصفهم بغاية الظلم وتهديدهم بالوعيد (تلك امة قد خلت لهما ما كسبت ولكم ما كسبت ولا تسألون
 عما كانوا يعملون) تكرير للمبالغة في الزجر عما هم عليه من الافتخار بالآباء والالتكال على اعمالهم وقيل
 الخطاب السابق لهم وهذا التحذير اعن الاقتداء بهم وقيل المراد بالآمة الاولى الانبياء عليهم السلام وبالثانية
 اسلاف اليهود (سيقول السفهاء) أى الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن التدبر
 والنظر من قولهم ثوب سفيه اذا كان خفيف النسج وقيل السفهاء البهات الكذاب المتعمد خلاف ما يعلم وقيل
 الطولم الجهول والمراد بالسفهاء هم اليهود على ما روى عن ابن عباس ومجاهد رضى الله عنهم قالوا انكارا
 للنسخ وكراهة للتحويل حيث كانوا يأنسون بموافقة عليه الصلاة والسلام لهم في القبلة وقيل هم المنافقون وهو
 الانسب بقوله عز وجل الا انهم هم السفهاء وانما قالوا لم نجرد الاستمراء والطعن لاعتقادهم حقيقة القبلة الاولى
 وبطلان الثانية اذ ليس كلهم من اليهود وقيل هم المشركون ولم يقولوا كراهة للتحويل الى مكة بل طعننا في الدين
 فانهم كانوا يقولون رغب عن قبلة آباءنا ثم رجع اليها وليرجعن الى دينهم أيضا وقيل هم القادحون في التحويل
 منهم جميعا فيكون قوله تعالى (من الناس) أى الكفرة لبيان أن ذلك القول المحكى لم يصدر عن كل فرد فرد
 من تلك الطوائف الثلاث بل عن ائمتهم المعتادين للخوض في فنون الفساد وهو الاظهر اذ لو اريد بهم طائفة
 مخصوصة منهم لما كان ابيان كونهم من الناس من يد فائدة وتخصيص سفهائهم بالذكر لا يقتضى تسليم السابقين
 للتحويل وارتضاءهم اياه بل عدم التفوق بالقدر مطلقا وبالعبارة المحكمة (ما ولاهم) اى اى شئ صرفهم
 والاستغفاهم للانكار والنفي (عن قبلتهم) القبلة فعلة من المقابلة كالتوجه من المواجهة وهي الحالة التي
 يقابل الشئ غيره عليها كاجلسة للحالة التي يقع عليها الجلوس يقال لا قبله له ولا دبره اذا لم يهتد بلجهة امره
 غلبت على الجهة التي يستقبلها الانسان في الصلاة والمراد بها ههنا بيت المقدس وادخلها الى ضمير المسلمين
 ووصفها بقوله تعالى (التي كانوا عليها) اى ثابتين مستقرين على التوجه اليها ومراعاتها واعتقاد حقيقتها
 لتأكيد الانكار فان الاختصاص بالشئ والاستقرار عليه باعتقاد حقيقته مما ينافى الانصراف عنه فان اريد
 بالقائلين اليهود قد ارا الانكار كراهتهم للتحويل عنها وزعمهم انه خطأ وان اريد بهم المشركون قد ارا مجرد القصد
 الى الطعن في الدين والقصد في احكامه واطهار أن كلاما من التوجه اليها والانصراف عنها واقع بغير داع اليه
 لا انكارا لهم لانصراف عنها والتوجه الى مكة وتعليق الانكار بما يوليهم عنها لا بما يوجههم الى غيرهما مع

تلازمهم في الوجود لما ان ترك الدين القديم ابعده عند العقول وانكار سببه اذ دخل لا لا يذ ان بان المنكرين هم
اليهود بناء على ان المنكر عندهم هو التحويل عن خصوصية بيت المقدس الذي هو القبلة الحقة عندهم
لا التوجه الى خصوصية قبلة اخرى او هم المشركون بناء على ان المنكر عندهم ترك القبلة القديمة على وجه
الطعن والقبح لا التوجه الى الكعبة لانه الحق عندهم فانه معزل عن ذلك كيف لا والمنافقون من احد الفريقين
لا محالة والاخبار بذلك قبل الوقوع مع كونه من دلائل النبوة حيث وقع كما اخبر لتوطين النفوس واعداد ما
يكنهم فان مفاجأة المكروه على النفس اشق واشد والجواب العتيقدا شغب الخصم الالذارة وقوله عز وجل
(قل لله المشرق والمغرب) استئناف مبنى على السؤال كانه قيل فاذا اقول عند ذلك فويل قل الخ أى الله تعالى
ناحية الارض أى الجهات كلها ملكا وملكا وتصرفا فلا اختصاص لناحية منها لذاتها ~~بكونها~~ قبلة دون
ما عداها بل اغاها بامر الله سبحانه ومشيئته (يهدى من يشاء) أن يهديه مشيئة نابعة للحكم الخفية التي لا يعلمها
الا هو (الى صراط مستقيم) موصل الى سعادة الدارين وقد هداانا الى ذلك حيث امرنا بالتوجه الى بيت
المقدس فارة والى الكعبة اخرى حسبما يقتضيه حشيتته المقارنة لحكم اية ومصالح خفية (وكذلك
جعلناكم) لوجه الخطاب الى المؤمنين بين الخطابين المختصين بالرسول صلى الله عليه وسلم لتأييد ما في مضمون
الكلام من التشریف وذلك اشارة الى مصدر جعلناكم لالى جعل آخر مفهوم عما سبق كما قيل ولو حيد الكاف مع
الفصل الى المؤمنين لما ان المراد مجزئ الفرق بين الحاضر والمقضى دون تعيين الخطابين وما فيه من معنى البعد
للا يذ ان يعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكما تميزه بانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة
والكاف لتأكيده ما افاده اسم الاشارة من الضميمة ومحملها في الاصل التصب على انه نعمت لمصدر محذوف
وأصل التقدير جعلناكم امة وسطا جعلناكم امة وسطا كما نامل ذلك الجعل فقدم على الفعل لا فائدة القصر واعتبرت
الكاف مقصدة للثبوت المذكورة فصارت نفس المصدر المؤكدة لانفعاله اى ذلك الجعل البديع جعلناكم
(امة وسطا) لاجعلنا آخر آدمي منه والوسط في الاصل اسم لما يستوى نسبة الجوانب اليه كمرکز الدائرة ثم استعير
للفصال المحمودة البشرية لكن لالان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعواز والاعواز والاعواز كحيلة كحيلة
واستشهد عليه بقول ابن اوس الطائي كانت هي الوسط المحيى فاكتفت * بها الحوادث حتى اصبحت طرفا
فان تلك العلاقة بمعزل من الاعتبار في هذا المقام اذ لا ملازمة بينها وبين اهلية الشهادة التي جعلت غاية للجعل
المذكور بل لكون تلك الخصال اوساطا للفصل الذميمة المكتنفة بها من طرفي الافراط والتفريط كالعفة
التي طرفاها الفجور والنجس وكالشجاعة التي طرفاها التهور والجبن وكالحكمة التي طرفاها الجبرنة والبلادة
وكالعادلة التي هي كيفية متشابهة حاصلة من اجتماع تلك الاوساط المحفوفة بأطرافها ثم اطلق على
المتصف بها مبالغة كانه نفسا وسوى فيه بين المفرد والجمع والمذكر والمؤنث رعاية لجانب الاصل
كدآب سائر الاسماء التي يوصف بها وتدرجعت ههنا كتكة راتقة هي ان الجعل المشار اليه عبارة
عما تقدم ذكره من هدايته تعالى الى الحق الذي عبر عنه بالصراط المستقيم الذي هو الطريق السوي الواقع
في وسط الطرق الجائرة عن القصد الى الجوانب فاننا اذا فرضنا خطوطا كثيرة واصلت بين نقطتين متقابلتين
فان خط المستقيم انما هو الخط الواقع في وسط تلك الخطوط المنحنية ومن ضرورة كونه وسطا بين الطرق الجائرة
كون الامة المهديّة اليه امة وسطا بين الامم السالكة الى تلك الطرق الزائغة أى متصفة بالخصال الحميدة
خييارا وعدولا من كين بالعلم والعمل (تكونوا شهداء على الناس) بأن الله عز وجل قد اوضح السبل وأرسل
الرسل فخلقوا واهضوا وذكروا فاهل من مذكروا هي غاية للجعل المذكور مرتبة عليه فان العدالة كما اشير اليه
حيث كانت هي الكيفية المتشابهة المتألفة من العفة التي هي فضيلة القوة الشهوية الالهية والشجاعة التي
هي فضيلة القوة الغضبية السبعية والحكمة التي هي فضيلة القوة العقلية الملكية المشار الى رتبتها بقوله عز وجل
ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا كان المتصف بها واقفا على الحقائق المودعة في الكتاب المبين المنطوي
على احكام الدين وأحوال الامم اجمعين حاويا لشرائط الشهادة عليهم (روى) أن الامم يوم القيامة يحجرون
تليخ الانبياء عليهم السلام فيطالبهم الله تعالى بالبيئة وهو أعلم اقامة للجنة على المنكرين وزيادة لجزيم
بأن كذبهم من بعدهم من الامم فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم

[illegible]

في الحكيفية لانها عبارة عن اصال النعم الصافية عن الآلام والرحمة اصال النعمة مطلقا وقد يكون
 مع الآلام ~~كقطع العضو المتأكل~~ وتري رؤوف بغیرمت كندس (قد تری قلب وجهك في السماء) أي
 تردده وتصرف نظرك في جهتها طالما اللوحى وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يشع في روعه
 ويتوقع من ربه عز وجل ان يحوله الى الكعبة لانها قبله ابراهيم وأدعى للعرب الى الايمان لانها سفخرتهم
 وحرارهم ومطافهم ولخصافة اليهود فكان يراعى نزول جبريل بالوحى بالتحويل (فلنولينك قبله) الفاء
 للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها وهي في الحقيقة داخله على قسم محذوف يدل عليه اللام أي فوالله لنولينك
 أي لنعطيكها ولنمكنك من استقباله من قولك وإيته كذا أي صيرته وإياله أو لنجعلك في جهتها أو لنحولك
 على ان نصب قبله بمحذوف الجار أي الى قبله وقيل هو متعدي الى مفعولين (ترضاها) تحبها وتشتاق اليها المقاصد
 دنية وافقت مشيئته تعالى وحكمته (قول وجهك) الفاء التفریع الامر بالتولية على الوعد الكريم وتخصيص
 التولية بالوجه لما انه مدار التوجه ومعياره وقيل المراد به كل البدن أي قاصره (شطر المسجد الحرام دون الكعبة
 أي نحوها وهو نصب على الطرفية من ول أو على نزاع الخافض أو على أنه مفعول ثان له وقيل الشطر في الاصل
 اسم لما انفصل من الشيء ودار شطورا إذا كانت منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر
 والحرام المحترم أي محترم فيه القتل أو ممنوع من الظلمة ان يتعرضوا له وفي ذكر المسجد الحرام دون الكعبة
 ايذان بكفاية مراعاة الجهة لان في مراعاة العين من البعيد حرجا عظيما بخلاف القريب (روى) عن البراء
 ابن عازب ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فصرى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجهه الى الكعبة
 وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد
 بني سلمة وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل المزاب وحول الرجال مكان
 النساء والنساء مكان الرجال فسمى المسجد مسجد القبلتين (وحينما كنتم قولوا اوجوهكم شطره) خص
 الرسول صلى الله عليه وسلم بالخطاب تعظيما لجنابه واذا بنا بأسعاف من امره ثم عم الخطاب للمؤمنين مع التعرض
 لاختلاف اما كنهم تأکید اللعكم وتصريح بحبهم وموسم لكافة العباد من كل حاشروباد وحنا ثلاثة على
 المتابعة وحينما شرطية وكنتم في محل الجزم بها وقوله تعالى قولوا جوابها وتكون هي منصوبة على الطرفية
 بكنتم نحو قوله تعالى انا ما ندعوا فله الاسماء الحسنى (وان الدين اوتوا الكتاب) من فريقي اليهود
 والنصارى (ليعلمون أنه) أي التحويل او التوجه المفهوم من التولية (الحق) لا غير لهم بان عادته
 سبحانه وتعالى جارية على تخصيص كل شريعة بقبله ومعانيتههم لما هو مسطور في كتبهم من انه عليه الصلاة
 والسلام يصلي الى القبلتين كما يشعر بذلك التعبير عنهم بالاسم الموصول بآيات الكتاب وان مع اسمها وخبرها ساد
 مستمعولي يعلمون او مستمعوله الواحد على ان العلم بمعنى المعرفة وقوله تعالى (من ربهم) متعلق
 بمحذوف وقع حالا من الحق أي كانوا من ربهم او صفة له على رأي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلاته
 أي الكائن من ربهم (وما الله بغافل عما تعملون) وعدو وعيد للفريقين والخطاب لكل تغليبا وقرئ
 على صيغة الغيبة فهو وعيد لاهل الكتاب (وامن آيت الذين اوتوا الكتاب) وضع الموصول موضع المفعول
 لا اذ ان يكال سوء حالهم من العناد مع تحقق ما رغبهم منه من الكتاب الناطق بحقيقة ما كانوا في قبوله
 (بكل آية) أي حجة قطعية دالة على حقيقة التحويل واللام موطئة للقسم وقوله تعالى (ما تبعوا قبلتك)
 جواب لتقسم المفترسات مستجواب الشرط والمعنى انهم ما تركوا قبلتك اشبه تزليها الحجة وانما خالفوا
 مكابرة وعنادا وتجريدا للخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بعد تعميده للائمة لما ان الحاجة والاتبان بالآية من
 الوطاب الخاصة به عليه السلام وقوله تعالى (وما انت بتابع قبلتهم) جملة معطوفة على الجملة الشرطية
 لا على جوابها موقوفة لقطع أطماعهم الفارغة حيث قالت اليهود لو ثبت على قبلتنا لكناز جوا أن تكون
 صاحبنا الذي نتظره تقرر له عليه الصلاة والسلام وطمعا في رجوعه وإيثارا لجملة الاسمية للدلالة على
 دوام منعتها واستمراره وافراد قبلتهم مع تعددها باعتبار اتحادها في البطلان ومخالفة الحق ولثلاثتهم
 ان مدار النبي هو التعدد وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة (وما بعضهم بتابع قبله بعض) فان اليهود
 تستقبل العشرة والنصارى مطلع الشمس لا يربى توافقهم كالأربى موافقتهم لا لتصلب كل فريق فيما هو فيه

(وإن اتبعوا هواءهم) الزائفة المتخالفة (من بعد ما جازك من العلم) بطلانها وحقية ما انت عليه وهذه الشرطية الفرضية واردة على منهاج التبيين والالهاب للثبات على الحق أى وإن اتبعوا هواءهم فرضا (إنك إذا لمن الظالمين) وفيه لطف للسامعين وتحذير لهم عن متابعة الهوى فإن من ليس من شأنه ذلك إذا نهى عنه ورتب على فرض وقوعه ما رتب من الانتظام في سلك الراسخين في الظلم خاظم من ليس كذلك وأذن حرف جواب وجزاء توسطت بين اسم ان وخبرها لتقرر ما بينهما من النسبة إذ كان حقها ان تتقدم أو تتأخر فلم تتقدم لتلايتهم أنها تقر بالنسبة التي بين الشرط وجوابه المحذوف لأن المذكور جواب القسم ولم تتأخر رعاية القواصل ولقد بولغ في التأكيد من وجوه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستعظاما لصدور الذنب من الانبياء عليهم السلام (الذين آتيناهم الكتاب) أى علماءهم اذ هم العمدة في آياته ووضع الموصول موضع المنع مع قرب العهد للاشعار بعلمية ما في حيز الصلاة للجكم والضمير المنصوب في قوله تعالى (يعرفونه) للرسول صلى الله عليه وسلم والاتفات الى الغيبة للآيدان بأن المراد ليس معرفتهم له عليه السلام من حيث ذاته ونسبه الزاهر بل من حيث كونه مسطورا في الكتاب منعوتافيه بالنعوت التي من جعلها أنه عليه السلام يصلى الى القبطين مكانه قبل الذين آتيناهم الكتاب يعرفون من وصفناه فيه وبهذا يظهر جزالة النظم الكريم وقيل هو اضمار قبل الذكر للاشعار بنفخامة شأنه عليه الصلاة والسلام انه علم معلوم بغير اعلام قبا مثل وقيل الضمير للعلم أو سببه الذى هو الوحي أو القرآن أو التحويل ويؤيد الاول قوله عز وجل (كما يعرفون أبناءهم) أى يعرفونه عليه الصلاة والسلام بأوصافه الشريفة المكتوبة في كتابهم ولا يشبهه عليهم كما لا يشبه ابناؤهم وتخصيصهم بالذكور من ما يعم البنات لكونهم اعرف عندهم منهم بسبب كونهم احب اليهم عن عمر رضى الله عنه أنه سأل عبد الله بن سلام رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به منى بابى قال ولم قال لاني استأشك فيه انه نبي فأما ولدى فلعل والدته خات قبل عمر رأسه رضى الله عنه ما (وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) هم الذين كبروا وعاندوا الحق والباقون هم الذين آمنوا منهم فانهم يظهرون الحق ولا يكتمونه وأما الجهة منهم فليست لهم معرفة بالكتاب ولا بما في تضاعيفه فاهم بصدد الاظهار ولا بصدد الكتم وانما كفرهم على وجه التقليد (الحق) بالرفع على انه مبتدأ وقوله تعالى (من ربك) خبره واللام للعهد والاشارة الى ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم اولى الحق الذى يكتمونه واللجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله تعالى كالذى انت عليه لا غيره كالذى عليه اهل الكتاب او على انه خبر مبتدأ محذوف أى هو الحق وقوله تعالى من ربك اما حال أو خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول أو مفعول ليعلمون وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من اظهار اللطف به عليه السلام ما لا يخفى (فلا تكونن من المفسرين) أى الشاكين في كتمانهم الحق عالمين به وقيل في انه من ربك وليس المراد به منى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الشك فيه لانه غير متوقع منه عليه السلام وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وأنه بحيث لا يشك فيه ناظرا وأمر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلاغ (ولكل) أى ولكل امة من الامم على ان التنوين عوض من المضاف اليه (وجهة) أى قبلة وقد قرئ كذلك أول لكل قوم من المسلمين جانب من جوانب الكعبة (هو موليا) احد المفعولين محذوف أى مواها وجهه أرا الله موليا اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى ولكل وجهة الله مواها اهلها واللام مزيدة للتأكيد وجبر ضعف العامل وقرئ مولاها أى مولى تلك الجهة قدولها (فاستبقوا الخيرات) أى تسابقوا اليها بنزع الجبار كما في قوله تعالى شاق عليكم آل حرب ومن يمل * سواكم فاني مهتد غير مائل

وهو أبلغ من الامر بالمسارعة لما فيه من الحث على احراز نصب السبق والمراد بالخيرات جميع انواعها من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفضائل من الجهات وهي المسامحة للكعبة (اينما تكونوا ايات بكم الله جميعا) أى في أى موضع تكونوا من موافق او مخالفة مجتمع الاجزاء او متفرقة ما يحشركم الله تعالى الى المحشر للجزاء أو اينما تكونوا من اعماق الارض وقلس الجبال يقبض ارواحكم أو اينما تكونوا من الجهات المختلفة المتقابلة يجعل صلواتكم كأنها صلاة الى جهة واحدة (ان الله على كل شئ قدير) فيقدر

على الامانة والاحياء والجمع فهو تعليل للحكم السابق (ومن حيث خرجت) تا كيد لحكم التحويل وتصريح
 بعدم تفاوت الامر في حالتي السفر والحضر ومن متعلقة بقوله تعالى (فول) او يحذف عطف هو عليه
 أي من أي مكان خرجت اليه للسفر قول (وجهك) عند صلاتك (شطر المسجد الحرام) او افعل ما امرت به
 من أي مكان خرجت اليه قول الخ (وانه) أي هذا الامر (لحق من ربك) أي الثابت الموافق للحكمة
 (وما الله بفاقل عما تعملون) فيجازيكم بذلك احسن جزاء فهو وعد للمؤمنين وقرى يعملون على صيغة
 الغيبة فهو وعيد للكافرين (ومن حيث خرجت) اليه في اسفاركم ومقارنكم من المنازل القريبة والبعيدة
 (فول وجهك شطر المسجد الحرام) الكلام فيه كما مر آنفا (وحيثما كنتم) من اقطار الارض مقيمين
 أو مسافرين حسبما يعرب عنه ايشاركتم على خرجتم فان الخطاب عام لكافة المؤمنين المنتشرين في الافاق
 من الحاضرين والمسافرين فلو قيل وحيثما خرجتم لما تناول الخطاب المقيمين في الاماكن المختلفة من حيث
 اقامتهم فيها (فولوا وجوهكم) من محالكم (شطره) والتكرير لما ان القبلة لها شأن خطير والتسخ
 من مظان الشبهة والفتنه فبالحرى أن يؤكدا أمرها مرة غب اخرى مع انه قد ذكر في كل مرة حكمة مستقلة
 (لتلايكون للناس عليكم حجة) متعلق بقوله تعالى فولوا وقيل يحذف يدل عليه الكلام كانه قيل
 فعلنا ذلك لتلا الخ والمعنى ان التولية عن العنصرة تدفع احتجاج اليهود بأن المنهوت في التوراة من اوصافه انه
 يحول الى الكعبة واحتجاج المشركين بأنه يدعى ملة ابراهيم ويخالف قبلته (الا الذين ظلموا انهم) وهم اهل
 مكة أي التلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعلنين منهم الذين يقولون ما يحول الى الكعبة الاميلا الى دين
 قومه وحبائلبلده او يذاهل فرجيع الى قبلته لانه ويوشك ان يرجع الى دينهم وتسمية هذه الكلمة الشنعاء حجة
 مع انها الخش الاباطيل من قبيل ما في قوله تعالى حجتم داعضة حيث كانوا يسوقونها مساق الجحمة وقيل
 الجحمة بمعنى مطلق الاحتجاج وقيل الاستئناس بالهالة في نقي الجحمة رأسا كالذي في قوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بين فلول من قراع الكتائب

ضرورة ان لا حجة للظالم وقرى ألا الذين يحرف التنبيه على انه استئناف (فلا تحشروهم) فان مطاعهم
 لا تضركم شيئا (واخشوني) فلا تضالوا امرى (ولا تم نعمتي عليكم ولعلمكم تهتدون) علة لمحذوف
 يدل عليه النظم الكريم أي وأمرتكم بما أمرتكم من الامانة عليكم لما انه نعمة جليلة ولا راد في اهتدائكم لما
 انه ضراط مستقيم مؤد الى سعادة الدارين كما اشير اليه في قوله عز وجل يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
 وفي التعبير عن الارادة بكلمة لعل الموضوع للترجي على طريقة الاستعارة التبعية من الدلالة على كمال العناية
 بالهداية ما لا يخفى او عطف على علة مقدرة اي واخشوني لاحفظكم عنهم واتم الخ أو على قوله تعالى لتلايكون
 الخ وتوسيط قوله تعالى فلا تحشروهم الخ بينهم لاسارة الى التسلية والتثيت وفي الخبر تمام النعمة دخول
 الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام (كما ارسلنا فيكم رسولا منكم) متصل بما قبله
 والظرف الاول متعلق بالفعل قدم على مفعوله الصريح لما في صفاته من الطول والظرف الثاني متعلق بضمير
 وقع صفة لرسول لا مبينة لتمام النعمة أي ولا تم نعمتي عليكم في امر القبلة أو في الاسرة اعظاما كائنات كما هي لها
 بارسال رسول كائن منكم فان ارسال الرسول لاسيما الجاهل لهم نعمة لا يكافئها نعمة قط وقيل متصل بعباده
 أي كما ذكرتم بالارسال فاذا كرو في الخ وايضا رصيفة المتكلم مع الغير بعد التوحيد فيما قبله اقتسان وجريان
 على متن التكبرياء (يتلو عليكم آياتنا) صفة ثانية لرسول كاشفة لكمال النعمة (ويذكركم) عطف على يتلو
 أي يحملككم على ما نصيرون به ازكاء (ويعلمكم الكتاب والحكمة) صفة اخرى مترتبة في الوجود على
 التلاوة وانما وسط بينهم ما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع
 على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة لا يذ ان بأن كلام من الامور المترتبة
 نعمة جليلة على حيا لها مستوجبة للشكر فلوروي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى وابتعث فيهم رسولا منهم
 يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويذكركم انك انت العزيز الحكيم لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة
 واسعة كما مر نظيره في قصة البقرة وهو السر في التعبير عن القرآن تارة بالآيات واخرى بالكتاب والحكمة
 دحرا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يتقدخ فيه شمول الحكمة لما في تضاعيف الاحاديث الشريفة

من الشرائع وقوله عز وجل (ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) صريح في ذلك فان الموصول مع كونه
عبارة عن الكتاب والحكمة قطعا قد عطف تعليمه على تعليمه ما واذلك الالتفصيل فنون النعم في مقام يقتضيه
كافي قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ عقيب قوله تعالى نجينا هودا والذين آمنوا معه برجة منا والمراد
بعدم علمهم انه ليس من شأنهم أن يعلموه بالفكر والنظر وغير ذلك من طرق العلم لاختصار الطريق في الوحي
(فاذكروني) الفاء للدلالة على ترتيب الامر على ما قبله من موجباته أي فاذكروني بالطاعة (اذكرتم)
بالثواب وهو تحريض على الذكر مع الاشعار بما يوجب (واشكروا لي) ما نعمت به عليكم من النعم
(ولا تكفرون) بجدها وعصيان ما امرتكم به (يا ايها الذين آمنوا) وصفهم بالايمان اثر تعداد ما يوجب
ويقتضيه تشييطا لهم وحثا على مراعاة ما يعقبه من الامر (استعينوا) في كل ما تأتون وما تذكرون
(بالصبر) على الامور الشاقة على النفس التي من جعلتها معاداة الكفرة ومقابلتهم المؤدية الى مقاتلتهم
(والصلوة) التي هي اتم العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين (ان الله مع الصابرين)
تعليلا للامر بالاستعانة بالصبر خاصة لما انه المحتاج الى التعليل وأما الصلاة فحيث كانت عند المؤمنين
اجل المطالب كما ينبي عنه قوله عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلاة لم يقتصر الامر بالاستعانة بها الى
التعليل ومعنى المعية الولاية الدائمة المستتعبة للصلاة واجابة الدعوة ودخول مع على الصابرين لما انهم
المباشرون للصبر حقيقة فهم متبوعون من تلك الهيئة (ولا تقولوا) عطف على استعينوا والخ مسوق
ليبان ان لا غائلة للمأموريه وان الشهادة التي ربما يؤذى اليها الصبر حياة ابدية (لمن يقتل في سبيل
الله اموات) أي هم اموات (بل احياء) اي بل هم احياء (واكن لا تشعرون) بحياتهم
وفيه رمز الى انها ليست مما يشعر به بالمشاعر الظاهرة من الحياة الجسمانية وانما هي امر روحي
لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن رحمه الله أن الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم
فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على آل فرعون غدقوا وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع قلت رأيت
في المنام سنة تسع وثلاثين وتسعمائة اني ازور قبور شهداء احد رضى الله تعالى عنهم اجمعين وأنا اتلو هذه الآية
وما في سورة آل عمران وأردت دهما متفكرافي امرهم وفي نفسي ان حياتهم روحانية لا جسمانية فبينما أنا على ذلك
اذا رأيت شابا منهم قاعدا في قبره تام الجسد كامل الخلقة في احسن ما يكون من الهيئة والمنظر ليس عليه شيء
من اللباس قد بدا منه ما فوق السرة والباقي في القبر خلا أني أعلم يقينا ان ذلك ايضا كما ظهر وانما لا يظهر لكونه
عورة فنظرت الى وجهه فرأيت به ينظر الى متبعا كأنه ينهي على ان الامر بخلاف رأي فسيهان من علت كلمته
وجلت حكمته وقيل الآية ترات في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر فاعانة
بأنفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت دراكه وعليه جمهور الصعابة والتابعين رضوان الله تعالى
عليهم اجمعين وفيه نطق الآيات والسنة وعلى هذا اقتضيه ص الشهداء بذلك لما يستدعيه مقام التحريض
على مباشرة مبادئ الشهادة واختصاصهم بزيادة القرب من الله عز وجل (ولنبشركم) لنصيبكم اصابا
من يجتبر أحوالكم اتصبرون على البلاء وتستلمون للقضاء (بشي من الخوف والجوع) أي بقليل من ذلك
فان ما وقاهم عنه اكثر بالنسبة الى ما أصابهم بألف مرة وكذا ما يصيب به معانديهم وانما اخبر به قبل
الوقوع ليوطنوا عليه نفوسهم ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم له حسبا لخبريه وليعلموا أنه شيء يسير له عاقبة
جيدة (ونقص من الاموال والانفس والثمرات) عطف على شيء وقيل على الخوف وعن الشافعي
رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان ونقص من الاموال الزكوة والصدقات ومن
الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى
للملائكة أقبضتم روح ولد عبدي فيقولون نعم فيقول عز وجل اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله
تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله عز وجل ابنا عبدي يبتلى في الجنة ومعه بيت الحمد
(ويشرا الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا ان الله وانا اليه راجعون) الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
او لكل من يتأق منه البشارة والمصيبة ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عليه السلام كل شيء يؤذى المؤمن
فهو له مصيبة وليس الصبر هو الاسترجاع باللسان بل بالقلب بأن يتصور ما خلق له وانه راجع الى ربه ويتبدد كرم

الله تعالى عليه ويرى ان ما اتى عليه اضعاف ما استردته منه فيكون ذلك على نفسه ويستسلم والمبشر به محذوف
دل عليه ما بعده (اولئك) اشارة الى الصابرين باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت ومعنى البعد فيه للايدان
يعلمون رتبهم (عليهم صلوات من ربهم ورحمة) الصلاة من الله سبحانه المعقرة والرافة وجعلها للتبسيه على كثرتها
وتنوعها والجمع بينها وبين الرحمة للمبالغة كما في قوله تعالى رافعة ورحمة رؤوف رحيم والتنوين فيها للتفخيم
والتعريض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لظاهر مزيد العناية بهم أي اولئك الموصوفون بما ذكر
من النعوت الجلية عليهم فنون الرافعة الفاضلة من مآلث امورهم ومبلغهم الى كالاتهم اللاتقة بهم وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبتها وأحسن عقباؤه وجعل له خلفا صالحا ليرضاه
(وأولئك) اشارة اليهم اما بالاعتبار السابق والتكرير لظاهر كمال العناية بهم واما باعتبار حيازتهم لما ذكر
من الصلوات والرحمة المترتبة على الاعتبار الاثر فلي الاقل المراد بالاقتداء في قوله عز وجل (هم المهتدون)
هو الاقتداء للحق والصواب مطلقا لا الاقتداء بما ذكر من الاسترجاع والاستسلام خاصة لما أنه متقدم عليهما
فلا بد لتأخيرهما عما هو نتيجة لهما من داع يوجبهما وليس بظاهروا بالجملة اعتراضه قتر لمفهوم ما قبله كأنه قيل
وأولئك هم المختصون بالاقتداء لكل حق وصواب ولذلك استرجعوا واستسلموا القضاء الله تعالى وعلى الثاني
هو الاقتداء والقوز بالمطالب والمعنى اولئك هم الفائزون بما يغيبهم الدينية والدنيوية فان من نال رافعة الله تعالى
ورحمته لم يفقه مطلب (ان الصفا والمروة) علمان لجبلين بمكة المعظمة كالصمان والمقطم (من شعائر الله)
من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة (فخرج البيت واغمر) الحج في اللغة القصد والاعتبار الزيارة غلبا
في الشريعة على قصد البيت وزيارته على الوجهين المعروفين كالبيت والنجم في الايمان وحيث اظهر البيت
وجب تجريد عن التعلق به (فلا جناح عليه ان يطوف بهما) أي في ان يطوف بهما أصله يتطوف قلبه التاء
طا فادغمت الطاء في الطاء وفي ايراد صيغة التفعّل ايدان بأن من حق الطائف ان يتكلف في الطواف ويسذل
فيه جهده وهذا الطواف واجب عندنا وعن مالك والشافعي رحمهما الله انه ركن وايراده بعدم الجناح المشعر
بالتخفيف لما أنه كان في عهد الجاهلية على الصفا صم يقال له اسأف وعلى المروة آخر اسمه نائلة وكانوا اذا سحوا
بينهما مسحوا بهما فلما جاء الاسلام وكسر الاصنام تخرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فذات وقيل هو تطوع
ويعضده قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما (ومن تطوع خيرا) أي فعل طاعة فرضا كان او نفلا
او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف وخيرا حينئذ نصب على أنه صفة لمصدر محذوف أي تطوعا خيرا
او على حذف الجار وايسال الفعل اليه او على تضمين معنى فعل وقرئ يطوع واصله يتطوع مشل يطوف وقرئ
ومن يتطوع بخير (فان الله شاكر) أي يجازي على الطاعة عبر عن ذلك بالشكر بمبالغة في الاحسان الى العباد
(عليهم) مبالغ في العلم بالاشياء فيعلم مقادير أعمالهم وكيفياتهم فلا ينقص من اجورهم شيأ وهو علة الجواب
الشرط قائم مقامه كأنه قيل ومن تطوع خيرا اجازاه الله وأثابه فان الله شاكر عليهم (ان الذين يكتفون) قيل
نزلت في احوالهم واولئك الذين كفوا ما في التوراة من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الاحكام
وعن ابن عباس ومجاهد وقناة والحسن والسدي والربيع والاصم أنها نزلت في أهل الكتاب من اليهود
والنصارى وقيل نزلت في كل من كتم شيأ من احكام الدين لعموم الحكم للكل والاقره هو الاول فان عموم
الحكم لا يأتى بخصوص السبب والكنم والكنان ترك اظهار الشيء قصدا مع مساس الحاجة اليه وتحقيق
الداعي الى اظهاره وذلك قد يكون بمجرد سره واخفائه وقد يكون بازائه ووضع شيء آخر في موضعه وهو الذي
فعله هؤلاء (ما نزلنا من بينات) من الايات الواضحة الدالة على امر محمد صلى الله عليه وسلم (والهدى)
أي والآيات الهادية الى كنه أمره ووجوب اتباعه والايمان به عبر عنها بالمصدر بمبالغة ولم يجمع مراعاة
للأصل وهي المرادة بالبينات ايضا والعطف لتغاير العنوان كما في قوله عز وجل هدى للناس وبينات الخ وقيل
المراد بالهدى الأدلة العقلية وآيات الانزال والكنم (من بعد ما بينا للناس) متعلق بـ يكتفون والمراد بالناس
الكل لا الكافون فقط واللام متعلقة بـ بينا وكذا الطرف في قوله تعالى (في الكتاب) فان تعاني جازين بفعل
واحد عند اختلاف المعنى مما لا ريب في جوازها والاخير متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله أي كاتبا
في الكتاب وبينه أهم تخصيصه وايضا حـ بحيث يتلقاه كل احدهم من غير أن يكون له فيه شبهة وهذا عنوان

مغاير لكونه ينافي نفسه وهدى مؤكداً قبح الكفر وتفهمه لهم بواسطة موسى عليه السلام والاول انسب بقوله تعالى في الكتاب والمراد بكلمته ازالته ووضع غيره في موضعه فانهم يحوانعته عليه الصلاة والسلام وكتبوا مكانه ما يخالفه كما ذكرناه في تفسير قوله عز وجل فويل للذين يكتبون الكتاب الح (اولئك) اشارة اليهم باعتبار ما وصفوا به للاشعار بعليته لما حاق بهم وما فيه من معنى البعد للايدان بترامى امرهم وبعد منزلتهم في الفساد (يا لعنهم الله) أى يطردهم ويعددهم من رحمة والالتفات الى الغيبة بانظماها باسم الذات الجامع للصفات تربوية المهمة وادخال الروعة والاشعار بان مبدء صدور اللعن عنه سبحانه صفة الجلال المغيرة لما هو مبدء الانزال والتبيين من وصف الجلال والرحمة (ويا لعنهم اللاعنون) أى الذين يتأق منهم اللعن أى الدعاء عليهم باللعن من الملائكة ومؤمنى الثقلين والمراد بيان دوام اللعن واستمراره وعليه يدور الاستثناء المتصل في قوله تعالى (الا الذين تابوا) أى عن الكتمان (وأصلحوا) أى ما افسدوا بأن ازالوا الكلام المحرف وكتبوا مكانه ما كانوا ازالوه عند التحريف (ويبنوا) للناس معانيه فانه غير الاصلاح المذكور ويبنوا لهم ما وقع منهم اولاً وآخراته ادخل في ارشاد الناس الى الحق وصرفهم عن طريق الضلال الذى كانوا اوقعوهم فيه ويبنوا وبهم ليحجوا بهمة ما كانوا فيه ويقتدى بهم اضراهم وحيث كانت هذه التوبة المقترنة بالاصلاح والتبيين مستلزمة للتوبة عن الكفر مبينة عليها لم يصرح بالايان وقوله تعالى (فأولئك) اشارة الى الوصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة للاشعار بعليته للحكم والفساء لتأكيد ذلك (أوب عليهم) أى بالقبول وافاضة المغفرة والرحمة وقوله تعالى (وأما التواب الرحيم) أى المبالغ في قبول التوب ونشر الرحمة اعتراض تذييل بمحقق لمضمون ما قبله والالتفات الى التكلم لافقتان في النظم الكريم مع ما فيه من التلويح والرمز الى ما مر من اختلاف المبدء فى فعله تعالى السابق واللاحق (ان الذين كفروا) جملة مستأنفة سبقت لتحقيق بقاء اللعن فيما وراء الاستثناء وتأكيد دوامه واستمراره على غير المتأبين حسجا يفيد الكلام والاقتصار على ذكر الكفر في الصلة من غير تعرض لعدم التوبة والاصلاح والتبيين مبنى على ما اشير اليه في مكان وجود تلك الامور الثلاثة مستلزم للايمان الموجب لعدم الكفر كذلك وجود الكفر مستلزم لعدمها جملتها أى ان الذين استمروا على الكفر المستتبع للكتمان وعدم التوبة (وما توبوا وهم كفار) لا يرفعون عن حالتهم الاولى (اولئك) الكلام فيه كما فيما قبله (عليهم) أى مستقر عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) ممن يعتد بعنتهم وهذا بيان لدوامها الثبوتى بعد بيان دوامها التجديدي وقيل الاول لعنتهم احياء وهذا لعنتهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطف على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك اجمعين ضرب زيد وعمر وتريد من أن ضرب زيد وعمر وكأنه قيل اولئك عليهم ان لعنتهم الله والملائكة الخ وقبل هو فاعل لفعل مقدر أى ويلعنهم الملائكة (خالدين فيها) أى في اللعنة او في النار على أنها اشهرت من غير ذكر تخفيفا لشأنهم وتوبيلا لآمرها (لا يحفف عنهم العذاب) امام مستأنف لبيان كثرة عذابهم من حيث الكيف اثريان كثرته من حيث الكم احوال من الضمير في خالدين على وجه التداخل اوسن الضمير في عليهم على طريقة الترادف (ولا هم ينظرون) عطف على ما قبله جار فيه ما جرى فيه واينار الجملة الاسمية لاقادة دوام النفي واستمراره أى لا يملحون ولا يؤجلون ولا ينتظرون ليعتذروا ولا ينتظر اليهم فطر رحمة (والهكم) خطاب عام لكافة الناس أى المستحق منكم للعبادة (اله واحد) أى فرد في الالهية لاصحة تسمية غيره الها أصلا (لا اله الا هو) خبر ثان للمبتدأ اوصفة أخرى للخبر أو اعتراض واباما كان فهو مقتررا للواحدانية ومنح للماعسى يتوهم ان في الوجود الها لكن لا يسحق العبادة (الرحمن الرحيم) خبران آخران للمبتدأ اول مبتدأ محذوف وهو تقرير للتوحيد فانه تعالى حيث كان مواليا لجميع النعم اصولها وفروعها جليلة ودقيقة واما كان ما سواه كائنا ما كان مقتررا اليه في وجوده وما يتفرع عليه من كلالته تحققت وحسب انيته بالارباب وانحصر استحقاق العبادة فيه تعالى قطعاً قبل كان للمشاركين حول الكعبة المكرمة لتجارية وستون صنما فلما سمعوا هذه الآية تجبوا وقالوا ان كنت صادقات باية نعترف بهما صدق فتزلت (ان في خلق السموات والارض) أى في ابداعهما على ما هما عليه مع ما فيهما من تعاجيب العبر وبيداتع صنائع يعجز عن فهمها عقول البشر وجميع السموات لما هو المشهور من انها طبقات متخالفة الخالق دون الارض (واختلاف الليل والنهار) أى اعتقادهم ما وكون كل منهما خلقا لا آخر كقوله تعالى وهو الذى جعل الليل

في قوله عز وجل (يحبونهم) مبنى على آرائهم الباطلة في شأنهم وصفهم بما لا يوصف به الا العقلاء والمحبية
 ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه أصابها ورشح فيها والفعل منها حب
 على حذم ذلك الاستعمال المستفيض على احب حبا ومحبة فهو محب ومحبوب وذلك محبوب ومحب قليل
 وحاب أقل منه ومحبة العبد لله سبحانه ارادة طاعته في اوامره ونواهيه والاعتناء بتخصيل مرضيه فعنى
 يحبونهم بطيعونهم وبعظموهم والجملة في حيز النصب اما صفة لانداد او حال امن فاعمل يتخذ وجمع النكير
 باعتبار معنى من كما أن افراده باعتبار لفظها (كحب الله) مصدر نشيبي أي نعت لمصدر مؤكد للفعل السابق
 ومن قضية كونه مبنيا للفعل كونه أيضا كذلك والظاهر اتحاد فاعله ما فاعلهم كانوا يقرؤن به تعالى أيضا
 ويقرؤن اليه فالمعنى يحبونهم حبا كأننا كحبهم لله تعالى أي يسوقون بينه تعالى وبينهم في الطاعة والتعظيم
 وقيل فاعل الحب المذكورهم المؤمنون فالمعنى حبا كأننا كحب المؤمنين له تعالى فلا بد من اعتبار المشابهة
 بينهم في اصل الحب لاني وصفه كما وكيفما سياتى من التفاوت البين وقيل هو مصدر من المبنى للمفعول أي
 كما يحب الله تعالى ويعظم وانما استغنى عن ذكر من يحبه لانه غير ملبس وأنت خير بانه لا مشابهة بين محبيهم
 لاندادهم وبين محبوبيته تعالى فالمصير حيثما سلفنا في نفسه قوله عز وجل لا كما سئل موسى من قبل واظهار
 الاسم الجليل في مقام الاضمار لترتبة المهابة وتفعيل المضاعف وابانة كمال قبح ما ارتكبهوه (والذين آمنوا أشد
 حبا لله) جملة مبتدأة جى بها نوططة لما يعقبها من بيان رخاوة حبهم وكونه حسرة عليهم والمفضل عليه محذوف
 أي المؤمنون أشد حبا له تعالى منهم لاندادهم وما له أن حب اولئك له تعالى أشد من حب هؤلاء لاندادهم
 فيه من الدلالة على كون الحب مصدرا من المبنى للفعل ما لا يخفى وانما لم يجعل المفضل عليه حبهم لله تعالى
 لما ان المقصود بيان انقطاعه وانقلابه بغضه وذلك اغما يصور في حبهم لاندادهم لكونه منوطا ببيان فاسدة
 ومباد موهومة يزول بزوالها قيل ولذلك كانوا يعدلون عنها عند الشدائد الى الله سبحانه وكانوا يعبدون
 صنما اياها فاذا وجدوا آخر رفضوه اليه وقد أكلت باهله الهه عام الجماعة وكان من حيس وأنت خير بآن مدار
 ذلك اعتبار اختلال حبهم لها في الدنيا وليس الكلام فيه بل في انقطاعه في الآخرة عند ظهور حقيقة الحال
 ومعاينة الاهوال كما سياتى بل اعتباره محض بما يعقبه مقام المبالغة في بيان كمال قبح ما ارتكبهوه وغاية عظم
 ما اقترفوه واينار الاظهار في موضع الاضمار لتفخيم الحب والاشعار به لته (ولو يرى الذين ظلموا) أي بالتخاذ
 الانداد ووضعها موضع المعبود (اذيرون العذاب) المحدثهم يوم القيمة أي لو علموا اذ اعانوه وانما اوتريصة
 المستقبل لجرانها يجرى الماضي في الدلالة على التحقق في اخبار علام الغيوب (أن القوة لله جميعا) ساقطة
 مفعولى يرى (وأن الله شديد العذاب) عطف عليه وفائدة المبالغة في تهويل الخطب وتفضيع الامر
 فان اختصاص القوة به تعالى لا يوجب شدة العذاب لجواز تركه عفوا مع القدرة عليه وجواب لو محذوف
 للايدان بخروجه عن دائرة البيان اما لعدم الاحاطة به كنهه واما لضيق العبارة عنه واما لا يوجب ذكره
 ما لا يستطع العبر والمستقع من الخبر والتفجع عليه أي لو علموا اذ رأوا العذاب قد حل بهم ولم ينقذهم منه
 احد من اندادهم ان القوة لله جميعا ولا دخل لاحد في شيء اصل لو وقعوا من الحسرة والندم فيما لا يكاد يوصف
 وقرئ ولوترى بالتاء القوتانية على ان الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يبلغ للخطاب
 فالجواب حينئذ لرأيت امر الا يوصف من الهول والفضاعة وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول وان الله شديد
 العذاب على الاستئناف واضممار القول (اذ تبرا الذين اتبعوا) بدل من اذ يرون أي اذ تبرا الرؤساء
 (من الذين اتبعوا) من الاتباع بأن اعترفوا باطلان ما كانوا يدعون في الدنيا ويدعونهم اليه من قنون
 الكفر والضلال واعتزلوا عن مخالطتهم وقابلوهم باللعن كقول ابيس انى كفرت بما أشركتمونى من قبل
 وقرئ بالعكس أي تبرا الاتباع من الرؤساء والواو في قوله عز وجل (ورأوا العذاب) حالية وقد مضت
 وقبل عاطفة على تبرا والضمير في رأوا والموصولين جميعا (وتقطع بهم الاسباب) وللولصل التي كانت بينهم
 من التبعية والمتبوعة والاتفاق على الملة الراتفة والاغراض الداعية الى ذلك وأصل السبب الحبيل الذى
 يرتقى به الشجر وضوءه والجملة معطوفة على تبرا وتوسط الحال بينهما للتنبيه على علة التبرى وقد جوز عطفها
 على الجملة الخالية (وقال الذين اتبعوا) حين عانوا تبرا والرؤساء منهم وندموا على ما فعلوا من اتباعهم لهم

في الدنيا (لو أن لنا كرة) أي ليت لنا رجعة إلى الدنيا (فتبأرأ منهم) هناك (كأنبرؤا منا) اليوم (كذلك) إشارة إلى مصدر الفعل الذي بعده لا إلى شيء آخر مفهوم مما سبق وما فيه من معنى البعد لا لئلا يذكر بطلان درجة المشار إليه وبعد منزلته مع كمال تميزه عما عداه وانتظامه في سلك الأمور المشاهدة والكاف مقعمة لتأكيده ما أفاده اسم الإشارة من الغضابة ومحله النصب على المصدرية أي ذلك الأراء القطيع (يربهم الله أعمالهم حسرات عليهم) أي ندامات شديدة فإن الحسرة شدة الندم والكمد وهي تألم القلب والتحصار عما يؤلمه واشتقاقها من قولهم بعير حسيبر أي منقطع القوة وهي ثالث مفاعيل يرى أن كان من رؤية القلب والافهى حال والمعنى أن أعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون إلا حسرات مكان أعمالهم (وما هم بخارجين من النار) كلام مستأنف لبيان حالهم بعد دخولهم النار والاصل وما يخرجون والعدول إلى الاسمية لأفاده دوام نفي الخروج والضمير للدلالة على قوة أمرهم فيما استند إليهم كما في قوله

هم يفرشون اللبد كل طمرة * وأجر دسباق يذم المفايا

(يا أيها الناس كما وعى في الأرض) أي بعض ما فيها من أصناف المأكولات التي من جلتها ما حرمتموه افتراء على الله من الحرث والانعصام قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في قوم من ثقيف وبني عامر ابن صعصعة وخزاعة وبني مذليج حرموا على أنفسهم ما حرموا من الحرث والبساتين والسواقي والوصائل والحام وقوله تعالى (حلالا) حال من الموصول أي كلوه حال كونه حلالا لا مفعول لكلوا على أن من ابتدائية وقد يجوز كونه صفة لمصدر مؤ كد أي اكلا حلالا ويؤيد الأقوال قوله تعالى (طيبا) فانه صفة له ووصف الأكل به غير معتاد وقيل نزلت في قوم من المؤمنين حرموا على أنفسهم رفيع الأطعمة والملابس ويرده قوله عز وجل (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أي لا تتبعوا بها في اتباع الهوى فانه صريح في أن الخطاب للكفرة كيف لا وتحريم الحلال على نفسه تزهدها ليس من باب اتباع خطوات الشيطان فضلا عن كونه تقولا وافتراء على الله تعالى وإنما الذي نزل فهم ما في سورة المائدة من قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم الآية وقرئ خطوات بسكون الطاء وهم الغنم في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمين وهي ضمة الطاء كأنها على الواو ويفتحين على أنها جمع خطوة وهي المرة من الخطو (أنه لكم عدو مبين) تعليل للنهي أي ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وإن كان يظهر الولاية لمن يغويه ولذلك سمي وليا في قوله تعالى أولياؤهم الطاغوت (أنما يأمركم بالسوء والفحشاء) استئناف لبيان كيفية عداوته وتفصيل لفنون شره وفساده وانحصار معاملته معهم في ذلك والسوء في الأصل مصدر ساء يسوءه سوءا ومساءة إذا أحرزه يطلق على جميع المعاصي سواء كانت من أعمال الجوارح أو أفعال القلوب لا شترأ كما هي في أنها تسوء صاحبها والفحشاء اقبح أنواعها وأعظمها مساة (وإن تقولوا على الله ما لا تعلمون) عطف على الفحشاء أي وبأن تفتروا على الله بأنه حرم هذا وهذا وهو معنى ما لا تعلمون ما لا تعلمون أن الله تعالى أمر به وتعليق أمره بقولهم على الله تعالى ما لا يعلمون وقوعه منه تعالى لا بقولهم عليه ما يعلمون عدم وقوعه منه تعالى مع أن حالهم ذلك للمبالغة في الزجر فإن التحذير من الأول مع كونه في التبع والشناعة دون الثاني تحذير عن الثاني على إبلغ وجهه وأكد وللايدان بأن العقاب يجب عليه أن لا يقول على الله تعالى ما لا يعلم وقوعه منه تعالى مع الاحتمال فضلا عن أن يقول عليه ما يعلم عدم وقوعه منه تعالى قالوا وفيه دليل على المنع من اتباع الظن وأساوأ ما اتباع المجتهدين لما أدى إليه ظنه فاستند إلى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله) التفت إلى الغيبة تحجيلا بكل ضلالهم وايدانا بإيجاب تعداد ما ذكر من جنائياتهم لأصرف الخطاب عنهم ونوجيهم إلى العقل وتفصيل مساوي أحوالهم لهم على نهج المبانة أي إذا قيل لهم على وجه النصيحة والارشاد اتبعوا كتاب الله الذي أنزل (قالوا) لا تتبعه (بل تتبع ما ألفينا عليه آباءنا) أي وجدناهم عليه أما على أن الظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من آباءنا وألفينا متعديا إلى واحد وأما على أنه مفعول ثان له مقدم على الأول نزلت في المشركين أمر واتباع القرآن وسائر ما أنزل الله تعالى من الحجج الظاهرة والبيانات الباهرة فنحو والتقليد والموصول أما عبارة عما سبق من اتخاذ الأنداد وتحريم الطيبات ونحو ذلك وأما باقى على عموم

وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا وقيل نزلت في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل تتبع ما وجدنا عليه آباءنا لانهم كانوا اخيرا منا واعلم فعلى هذا يعم ما نزل الله تعالى التورية لانها ايضا تدعو الى الاسلام وقوله عز وجل (أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) استئناف مسوق من جهته تعالى ردًا لمقالتهم الحقاء واطهارا لبطلان آرائهم والهزمة لانكار الواقع واستقباحه والتعجب منه لانكار الوقوع كالتى في قوله تعالى اولو كانا كارهين وكلمة لوفى امثال هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء في الزمان الماضي لا انتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه بل هي لبيان تحقق ما يفيد الكلام السابق بالذات او بالواسطة من الحكم الموجب والمنفى على كل حال مقروض من الاحوال المتعارضة له على الاجمال بادخالها على ابعدها من اولها من حيثها واشدها من حيثها ليعتبر ثبوتها وانتفاءه معها ثبوتها وانتفاءه مع ما عداها من الاحوال بطريق الاولية لما ان الشيء متى تحقق مع المنفى القوي فلا ينحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المتعاقبة لها المتناولة لجميع الاحوال المغيرة لها وهذا معنى قولهم انها لا تستقصا الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى ظاهر في الخبر الموجب والمنفى والامر والنهي كما في قولك فلان جواد يعطى ولو كان فقيرا ويخيل لا يعطى ولو كان غنيا وقولك احسن اليه ولو اساء اليك ولا تمنه ولو اهانك لبقائه على حاله وما فهمنا نحن فيه فقيه نوع خفاء ناشئ من ورود الانكار عليه لكن الاصل في الكل واحد الا ان كلمة لوفى الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وان ما يقصد ببيان تحققه على كل حال هو نفس مدلوله وان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق به وأن ما في حيز لوفى على ما هو عليه من الاستبعاد غالبا بخلاف ما نحن فيه لما ان كلمة لوفى متعلقة فيه بفعل مقدر بقتضيه المذكور وان ما يقصد ببيان تحققه على كل حال مدلوله لا مدلول المذكور من حيث هو مدلوله وأن الجملة حال مما يتعلق به لا مما يتعلق بالمذكور ومن حيث هو متعلق به وأن المقصود الاصلى انكار مدلوله باعتبار مقارنته للحالة المذكورة وأما تقدير مقارنته لغيرها فلتوسيع الدائرة وأن ما في حيز لوفى لا يقصد استبعاده في نفسه بل يقصد الاشعار بانه امر محقق الا أنه اخرج مخرج الاستبعاد مع الخطابين على معتقدهم لئلا يلبسوا من التصريح بنسبة آباؤهم الى كمال الجهالة والضلالة جاد الخرفير كيو امتن العناد ومبالغة في الانكار من جهة ان اتباعهم لا بائهم حيث كان منكرا مستقبعا عند احتمال كون آباؤهم كاذرا احتمالا بعيدا فلا يكون منكرا عند تحقق ذلك اولى والتقدير ان يتبعون ذلك لو لم يكن آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا كذلك فالجملة في حيز النصب على الحالة من آباؤهم على طريقة قوله تعالى أن اتبع مله ابراهيم حنيفا كما قيل ان يتبعون دين آباؤهم حال كونهم عاقلين وجاهلين ضالين انكارا لما أفاده كلامهم من الاتباع على أى حالة كانت من الحالتين غير أنه اكتفى بذكر الحالة الثانية تنبيها على أنها هي الواقعة في نفس الامر وتعويدا على اقتضاء الحالة الاولى اقتضاء بينا فان اتباعهم الذى يتعلق به الانكار حيث تحقق مع كون آباؤهم جاهلين ضالين فلا يتحقق مع كونهم عاقلين ومهتدين اولى ان قلت الانكار المستفاد من الاستفهام الانكارى بمنزلة النفي ولا ريب في أن الاولوية في صورة النفي معتبرة بالنسبة الى النفي ألا يرى أن الاولى بالتحقق فيما ذكر من مثال النفي عند الحالة المسكوت عنها أعنى عدم الغنى هو عدم الاعطاء لانفسه فكان ينبغي ان يكون الاولى بالتحقق فيما نحن فيه عند الحالة المسكوت عنها وهي حالة كون آباؤهم عاقلين ومهتدين انكارا لاتباع لانفسه اذ هو الذى يدل عليه ان يتبعون الخ فلم اختلف الحال بينهما قلت لما ان مناط الاولوية هو الحكم الذى اريد ببيان تحققه على كل حال وذلك في مثال النفي عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفى المذكور وما فيما نحن فيه فهو نفس الاتباع المستفاد من الفعل المقدر اذ هو الذى يقتضيه الكلام السابق أعنى قولهم بل تتبع الخ وأما الاستفهام فخارج عنه وارد عليه لانكار ما يفيد واستقباح ما يقتضيه لأنه من غمائه كما في صورة النفي وكذا الحال فيما اذا كانت الهزمة لانكار الوقوع ونفيه مع كونه بمنزلة صريح النفي كما سبق في تحقيقه في قوله تعالى اولو كانا كارهين وقبل الواو حالية وليكن التحقيق أن المعنى يدور على معنى العطف في سائر اللغات أيضا (ومثل الذين كفروا) جملة ابتدائية واردة لتقرير ما قبلها بطريق التصوير وفيها مضاف قد حذف لدلالة مثل عليه ووضع الموصول موضع

الضيق الرجوع الى ما يرجع اليه الضمائر السابقة لذمتهم بما في حيز الصلة وللأشعار بعلته ما ثبت لهم من الحكم
والقدير مثل ذلك القائل وحاله الحقيقة لغيرها بأن تسمى منلاً وتسمى في الآفاق فيما ذكر من دعوتها ياها
الى اتباع الحق وعدم رفعهم اليه رأساً لانهم ما كهم في التقليد واخذواهم الى ما هم عليه من الضلالة وعدم
فهمهم من جهة الداعي الى الدعاء من غير أن يلقوا اذهانهم الى ما يلقى عليهم (كذلك الذي يتفق بما لا يجمع
الادعاء ونداء) من البهائم فانهم لا تسمع الاصوت الراعي وهتفه بها من غير فهم لكلامه أصلاً وقيل
انما حذف المضاف من الموصول الثاني لدلالة كلمة ما عليه فانها عبارة عنه مشعرة مع ما في حيز الصلة
بما هو مدار التمثيل أي مثل الذين كفروا فيما ذكر من انهم ما كهم فيما هم فيه وعدم التدبر فيما ألقى اليهم
من الايات كذلك البهائم الذي يتفق بها وهي لا تسمع منه الا جرس النغمة ودوي الصوت وقيل المراد عقيلهم
في اتباع آياتهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتهم البهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته وقيل تمثيلهم
في دعائهم الاصنام بالناس في نعتهم وهو توصيته على البهائم وهذا غنى عن الاشارة لكن لا يساعده قوله
الادعاء ونداء فان الاصنام بعزل من ذلك وقد عرفت أن حسن التمثيل فيما تشابه افراد الطرفين
(صم بكم عني) بالرفع على الذم أي هم صم الخ (فهم لا يعقلون) شأن لأن طريق التعقل هو التدبر في مبادئ
الامور المعقولة والتأمل في ترتيبها وذلك انما يحصل باستماع آيات الله ومشاهدة حجة الواضحة والمفاصلة
مع من يؤخذ منه العلوم فاذا كفاوا صما يكافوا عياناً فقد اندس عليهم ابواب التعقل وطرق الفهم بالكلية
(يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) أي من مستلذاته (واشكروا لله) الذي رزقكموها
والالتفات اترسية المهابة (أن كنتم اياه تعبدون) فان عبادته تعالى لا تتم الا بالشكر له وعن النبي صلى الله
عليه وسلم يقول الله عز وجل اني والانس والجن في نبأ عظيم اخلق وبعبد غيبي وأرزق وبشكر غيبي
(انما حرم عليكم الميتة) أي أكلها والاتقاع بها وهي التي ماتت على غير ذكاة والسجك والجراد خارجان
عنهما بالعرف أو استثناء الشرع خروج الطحال من الدم (والدم ولحم الخنزير) انما خص لحمه مع أن سائر
اجزائه ايضا في حكمه لانه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر اجزائه بمنزلة السباع له (وما أهل به لغير الله) أي
رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاحلال أصله رؤية الهلال لكن لما جرت العادة برفع الصوت بالتكبير عندها
سمي ذلك اهلالاً ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره (فن اضطر غير باغ) بالاستئذان على مضطر آخر (ولا عاد)
سد الرمي والجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق وعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر
مذهب الشافعي وقول أحد رجهما الله (فلا اثم عليه) في تناوله (ان الله غفور) لما فعل (رحيم) بالرخصة
ان قيل كلمة انما تفيد قصر الحكم على ما ذكره من حرام لم يذ كر قلنا المراد قصر الحرمة على ما ذكره مما استحلوه
لا مطلقاً وقصر حرمة على حالة الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها
(أن الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب) المشتل على فنون الاحكام التي من جعلها أحكام المحلات والمحرّمات
حسبما ذكرناه وقال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في رؤساء اليهود حين كتموا نعت النبي صلى الله عليه وسلم
(ويشترون به) أي يأخذون به (عنا قليلاً) عوضاً حقيراً وقدمت سر التعبير عن ذلك بالثمن الذي هو وسيلة
في عقود المعاوضة وقوله تعالى (اولئك) اشارة الى الموصول باعتبار انصافه بما في حيز الصلة من الوصفين
الشيئين المميزين لهم عن عداهم كل تمييز الجاهلين لياهم بحيث كانوا حصار مشاهدون على ما هم عليه وما
فيه من معنى البعد لا يذ ان بقايا بعد منزلتهم في الشر والفساد وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (ما يا كلون في بطونهم
آلات النار) والجملة خبر لان او اسم الاشارة مبتدأ ثمان او بدل من الاول والخبر ما يا كلون الخ ومعنى
اكلهم النار أنهم يا كلون في الحال ما يستتبع النار ويستلزمها فكانه عين النار أكلها كقوله

اكلت دمان لم اركل بضرة * بعيدة مهوى القرط طيبة الشر

او يا كلون في المال يوم القيامة عين النار عقوبة على أكلهم الرشا في الدنيا وفي بطونهم متعلق بما كلون
وقادته تأكيد الاكل وتقريره ببيان مقر المأكول وقيل معناه مل بطونهم كافي قولهم أكل في بطنه وأكل في
بعض بطنه ومنه كوا في بعض بطنكم تعفو ان لا بد من الالتجاء الى تعليقه بحذف وقع حالاً مقدرة من النار
مع تقديمه على حرف الاستثناء والافتعليه بيا كلون يؤدى الى قصر ما يا كلونه الى الشيع على النار

المقصود قصر ما ياكلونه مطلقاً عليها (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) عبارة عن غضبه العظيم عليهم ونعير بض
بحر ما منهم ما اتبع للمؤمنين من قدون الكرامات السنية والزاني (ولا يزكهم) لا يثني عليهم (ولهم) مع ما ذكر
(عذاب أليم) مؤلم (اولئك) اشارة الى ما اشير اليه بنظيره بالاخبار المذكورة خاصة لامع ما يتلوه
من أحوالهم الفظيعة اذ لا دخل لها في الحكم الذي يراد اثباته ههنا فان المقصود تصوير ما يشاروه من المعاملة
بصورة قبيحة تنفر منها الطباع ولا يتعاطاها عاقل أصلاً ببيان حقيقة ما نبذوه واظهار كنه ما أخذوه وابداه
فطاعة تبعاته وهو مبتدأ خبره الموصول أي اولئك المشترون بكتاب الله عز وجل عننا قليلا ليسوا بعشرين للثمن
وان قل بل هم (الذين اشتروا) بالنسبة الى الدنيا (الضلالة) التي ليست مما يمكن ان يشتري قطعاً
(بالهدى) الذي ليس من قبيل ما يبدل بمقابلته شيء وان جل (والعذاب) أي اشتروا بالنظر الى الآخرة
العذاب الذي لا يتوهم كونه مما يشتري (بالمغفرة) التي يتنافس فيها المتنافسون (فأصبرهم على النار)
تعجب من حالهم الهائلة التي هي ملايتهم بما يوجب النار ايجاباً قطعياً كنهه عنها وما عند سيئويه نكرة ناشئة
مفيدة لمعنى التعجب مرفوعة بالابتداء وتخصصها كتخصيص شرفي شر أعز ذاناب خبرها ما بعدها أي شيء ما عظيم
يجعلهم صابرين على النار وعند الفراء استفهامية وما بعدها خبرها أي شيء أصبرهم على النار وقيل هي
موصولة وقيل موصوفة بما بعدها والخبر محذوف أي الذي أصبرهم على النار أو شيء أصبرهم على النار أمر عجيب
فظيع (ذلك) العذاب (بان الله نزل الكتاب) أي جنس الكتاب (بالحق) أي ملتبس به فلا جرم يكون من يرفضه
بالتكذيب والكتمان ويركب متن الجهل والغواية مبتدئ بمثل هذا من اقاين العذاب (وان الذين اختلفوا
في الكتاب) أي في جنس الكتاب الالهي بأن آمنوا ببعض كتب الله تعالى وكفروا ببعضها أو في التوراة
بأن آمنوا ببعض آياتها وكفروا ببعض كآيات المغيرة المشتملة على امر بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ونعوته
المكرمة فمعنى الاختلاف التخلف عن الطريق الحق والاختلاف في تأويلها أو في القرآن بأن قال بعضهم
انه محصور وبعضهم انه شعروا ببعضهم أساطير الاولين كما حكى عن المفسرين (لني شقاق بعيد) عن الحق
والصواب مستوجب لشد العذاب (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) البر اسم جامع
لما راضى الخصال والخطاب لاهل الكذابين فانهم كانوا أكثروا الخوض في أمر القبلة حين حوت الى الكعبة
وكان كل فريق يدعي خيرية التوجه الى قبلته من القطرين المذكورين وتقديم المشرق على المغرب مع تأخر
زمان الملة النصرانية اما الرعاية ما بينهما من الترتيب المتفرع على ترتيب الشروق والغروب واما لان توجه
اليهود الى المغرب ليس لكونه مغرباً بل لكون بيت المقدس من المدينة المنورة واقعا في جانب المغرب
فقليل لهم ليس البر ما ذكرتم من التوجه الى تينك الجهتين على ان البر خبر ليس مقدماً على اسمها كما في قوله
سلي ان جهلت الناس عني وعنهم * فليس سواء عالم وجهول
وقوله ليس عظيماً ان تلم ملية * وليس علينا في الخطوب مقول
وانما اخذ ذلك لما ان المصدر المؤول أعرف من المولى باللام لانه يشبه الضمير من حيث انه لا يوصف ولا يوصف
به والاعرف أحق بالاسمية ولان في الاسم طولا فلوروى الترتيب المعهود لقات تجاوب اطراف النظم الكريم
وقرئ برفع البر على انه اسمها وهو أقوى بحسب المعنى لان كل فريق يدعي ان البر هذا فيجب أن يكون الرد
مواقتلاً لدعواهم وما ذلك الا بكون البر اسماً كما يفصح عنه جعله مخبراً عنه في الاستدراك بقوله عز وجل
(ولكن البر من آمن بالله) وهو تحقيق للحق بعد بيان بطلان الباطل وتفصيل لخصال البر مما لا يختلف
باختلاف الشرائع وما يختلف باختلافها أي ولكن البر المعهود الذي يحق أن يهتم بشأنه ويجتد في تحصيله
بر من آمن بالله وحده ايماناً برباً من شأبه الاشرار لا كإيمان اليهود والنصارى المشركين بقولهم عزير ابن
الله وقولهم المسيح ابن الله (واليوم الآخر) أي على ما هو عليه لا كما يزعمون من ان النار لا تمسهم الا أياماً
معدودة وأن آباءهم الانبياء يشفعون لهم فقيه نعر بض بأن ايمان أهل الكذابين حيث لم يكن كما ذكر من الوجه
الصحيح لم يكن ايماناً وفي تعليق البر بهما من اول الامر عقيب نصيبه عن التوجه الى المشرق والمغرب من الجزالة
ما لا يخفى كانه قيل ولكن البر هو التوجه الى المبدأ والمعاد اللذين هما المشرق والمغرب في الحقيقة (والملائكة)
أي وآمن بهم وبأنهم عباد مكرمون متوسطون بينه تعالى وبين أنبيائه بالقضاء الوحي وانزال الكتب (والكتاب)

أى يجنس الكتاب الذى من افراده الفرقان الذى يذوه وراه ظهورهم وفيه تعريض بكتائبهم نعوت النبي صلى الله عليه وسلم واشترائهم بما أنزل الله تعالى ثنا قليلا (والتيين) جميعا من غير تفرقة بين أحد منهم كما فعل أهل الكتابين ووجه توسط الكتاب بين حلة الوحي وبين النبيين واضح وسيأتى فى قوله تعالى كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله (وأتى المال على حبه) حال من الضمير فى أتى والضمير الجور والمال أى آتاه كآتاه على حب المال كما فى قوله صلى الله عليه وسلم حين سئل أى الصدقة أفضل ان تؤتيه وأنت صحيح صحيح وقول ابن مسعود رضى الله عنه ان تؤتيه وأنت صحيح صحيح تأمل العيش وتختشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل الضمير لله تعالى أى آتاه كآتاه على محبته تعالى لا على قصد الشراء والفساد ففيه نوع تعريض لباذل الرشى وأخذها لتغيير التوراة وقيل للمصدر أى كآتاه على حب الآيات (ذوى القربى) مفعول أول لا تى قدم عليه مفعوله الثانى أعنى المال للاهتمام به أولان فى الثانى مع ما عطف عليه طولا لوروى الترتيب لفساد تجاوب الاطراف فى الكلام وهو الذى اقتضى تقديم الحال أيضا وقيل هو المفعول الثانى (واليتامى) أى المحايىج منهم على ما يدل عليه الحال وتقدم ذوى القربى عليهم لما ان آتاهم صدقة وصلته (والمساكين) جمع مسكين وهو الدائم السكون لما ان الخلة أسكنته بحيث لا حزاله أودائهم السكون الى الناس (وابن السبيل) أى المسافر سعى به للملازمة آياه كما سعى القاطع ابن الطريق وقيل الضيف (والسائلين) الذين ألجأهم الحاجة والضرورة الى السؤال قال عليه الصلاة والسلام أعطوا المسائل ولو جاء على فرس (وفى الرقاب) أى وضعه فى فك الرقاب بمعاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل فى فك الاسارى وقيل فى ابتاع الرقاب واعتاقها وأيا ما كان فالعدول عن ذكرهم بعنوان صحيح للمالكية كالذين من قبلهم اما للاذان بعدم قرار ملكهم فيما أتوا كما فى الوجهين الاولين أو بعدم نيوتنه وأسا كما فى الوجه الآخر واما للاشعار برسوخهم فى الاستحقاق والحاجة لما ان فى الطرفية المنبئة عن محبتهم لما يترقى (واقام الصلاة) أى المفروضة منها (وأتى الزكاة) أى المفروضة على ان المراد بعمام من آتاه المال التفضل بالصدقات قدم على الفريضة مبالغة فى الحث عليه أو المراد بهما المفروضة والاقل لبيان المصارف والثانى لبيان وجوب الاداء (والموفون بعهدهم) عطف على من آمن فانه فى قوة ان يسأل ومن أوفوا بعهدهم وأيتا رصيغة الفاعل للدلالة على وجوب استمرار الوفاء والمراد بالعهد ما لا يحرم حلالا ولا يحل حراما من العهود الجارية فيما بين الناس وقوله تعالى (أذا عاهدوا) للاذان بعدم كونه من ضروريات الدين (والصابرين) نصب على الاختصاص غير سبكه عما قبله تبيينها على فضيلة الصبر ومزيتها وهو فى الحقيقة معطوف على ما قبله قال أبو علي اذا ذكرن صفات للمدح أو الذم فخواف فى بعضها الا عراب فقد خواف للافتنان ويسمى ذلك قطعاً لان تغيير المؤلف يدل على زيادة ترغيب فى استماع المذكور ومزيد اهتمام بشأنه كما مر فى صدر السورة وقد قرئ والصابرون كما قرئ والموفين (فى البأساء) أى فى الفقر والشدّة (وانضراء) أى المرض والزمانة (وحين البأس) أى وقت مجاهدة العدو فى مواطن الحرب وزيادة الحين للاشعار بوقوعه أحيانا وسرعة انقضائه (اولئك) اشارة الى المذكّورين باعتبار اتصافهم بالنعوت الجميلة المعدودة وما فيه من معنى البعد لما مر من ارا من التبيه على علو طبتهم ومجربتهم (الذين صدقوا) أى فى الدين واتباع الحق وتحزى البر حيث لم تغيرهم الاحوال ولم تزلزلهم الاحوال (وأولئك هم الممتنون) عن الكفر وسائر الذائل وتكرير الاشارة لزيادة تنويه شأنهم وتوسط التسمير للاشارة الى انحصار التقوى فيهم والآية الكريمة كما ترى حاوية لجميع الكمالات البشرية برمتها نصريحا وتلويحا لما انها مع تكرر فروعها وتشعب شعباتها منحصرة فى خلال ثلاث صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة مع العباد وتهذيب النفس وقد أشار الى الاولى بالايان بما فصل وفى الثانية بآيتاء المال والى الثالثة باقامة الصلاة الخ ولذلك وصف الخائزون لها بالصدق نظرا الى ايمانهم واعتقادهم وبالتقوى اعتبارا بما شربهم مع الخلق ومعاملتهم مع الحق واليه يشير قوله صلى الله عليه وسلم من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان (يا أيها الذين آمنوا) شروع فى بيان بعض الاحكام الشرعية على وجه التلافي لما فرط من المخلفين بما ذكر من أصول الدين وقواعده التى عليها بنى اساس المعاش والمعاد (كتب عليكم) أى فرض وألزم عند مطالبة صاحب الحق فلا يشدح فيه قدرة الولي على العفو فان الوجوب انما

اعتبر بالنسبة الى الحكام والقائمين (القصاص في القتل) أي بسبب قتلهم كافي قوله صلى الله عليه وسلم
 ان امرأة دخلت النار في هرة ربطتها أي بسبب ربطها ايها (الحزب بالحزب والعبد بالعبد والاني بالاني) كان
 في الجاهلية بين حين من احياء العرب دماء وكان لاحد هما طول على الاسترقاق قسم والقتل الحزب منكم بالعبد
 والذ كرا لاني فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزلت فاحرهم أن يباؤوا وليس فيها
 دلالة على عدم قتل الحزب بالعبد عند الشافعي أيضا لان اعتبار المذهب حيث لم يظهر للتخصيص بالذ كروجه سوى
 اختصاص الحكم بالنطوق وقدر آيت الوجه ههنا وانما يتأكد في ذلك هو ومالك رحمهما الله بما روى على
 رضي الله عنه ان رجلا قتل عبده فجلده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفاة سنة ولم يقده وما روى عنه رضي الله
 عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حزب بعبد وبأن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا لا يقتلان
 الحزب بالعبد بين أظهر الصحابة من غير تكبير وبالقياس على الاطراف وعندنا يقتل الحزب بالعبد لقوله تعالى أن
 النفس بالنفس فان شريعة من قبلنا اذا قصت علينا من غير دلالة على نسخها فالعمل بها واجب على انها
 شريعة لنا ولان القصاص يعتمد المساواة في العصية وهي بالدين أو بالدار وهما سببان فيهما ما قرئ كتب
 على البناء للفاعل ونصب القصاص (فن عني له من أخيه شيء) أي شيء من العقول لان عقلا لازم وفائدته
 الاشعار بأن بعض العذو بمنزلة كله في استقاط القصاص وهو الواقع أيضا في العادة اذ كثيرا ما يقع العقوب من
 بعض الاولياء فهو شيء من العفو وقيل معنى عني ترك شيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عنه بمعنى تركه
 بل عنه وحمل العفو على المحو كما في قول من قال يار عفاها جوار كل معاند وقوله

عفاها كل حنان * كثير الويل ههنا * فيكون المعنى فن محي له من أخيه شيء صرف للعبارة المتداولة
 في الكتاب والسنة عن معناها المشهور والمعهود الى ما ليس بمعهود فيه ما وفي استعمال الناس فانهم
 لا يستعملون العفو في باب الجنائيات الا فيما ذكر من قبل وعفا بعد عني يعني الى الجاني والذنب قال تعالى عفا
 الله عنك وقال عفا الله عنهم فاذا تعدى الى الذنب قبل عقوب لقلان عما جنى كأنه قيل فن عني له من جنائيه
 من جهة أخيه يعني ولي الدم وارايد بعنوان الاخوة الثلاثة بينهم ما يحكم بكونهم ما من بني آدم عليه السلام
 تحريك سلسلة الرقة والعطف عليه (فاتباع بالمعروف) فالامراة اتباع أو فليكن اتباع والمراد وصية
 العاق بالمسححة ومطالبة الدية بالمعروف من غير تعذيب وقوله عز وجل (وأداء اليه باحسان) حيث
 للمعفو عنه على ان يؤدّيها باحسان من غير معاملة ويجوز (ذلك) أي ما ذكر من الحكم (تخفيف
 من ربكم ورحمة) لما فيه من التسهيل والنفع وقيل كتب على اليهود القصاص وحده وحرم عليهم العذو
 والدية وعلى النصارى العفو على الاطلاق وحرم عليهم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلاث تبسيرا
 عليهم وتزيلا للحكم على حسب المتنازل (فن اعتدى بعد ذلك) بأن قتل غير القاتل بعد ورود هذا الحكم
 أو قتل القاتل بعد العفو وأخذ الدية (فله) باعتدائه (عذاب أليم) أما في الدنيا قبل الاقتصاص
 بما قبله بغير حق وأما في الآخرة فبالنار (ولكم في القصاص حياة) بيان لمحاسن الحكم المذكور على
 وجهه بدع لا تتال غايته حيث جعل الشيء محللا لفته وعرف القصاص وتكر الحياة ليدل على ان في هذا
 الجنس نوعان الحياة عليهما لا يبلغ الوصف وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيسبب الحياة لنفسه
 ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فيثور الفتن بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقيون
 فيكون ذلك سببا لحياتهم وعلى الاول فيه اشعار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بالحياة هي الآخرة
 فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يؤخذ به في الآخرة والظرفان اما خبران الحياة أو أحدهما خبر والآخر
 صلة له أو حال من المستكن فيه وقرئ في القصاص أي فيما قص عليكم من حكم القتل حياة أو في القرآن حياة
 للقلوب (يا اولي الابواب) أي ذوى العتول الخالصة عن شوب الاوهام خو طوبوا بذلك بعد ما خوطبوا
 بعنوان الايمان بتشيطالهم الى التأمل في حكمة القصاص (عليكم تتقون) أي تقون انفسكم من المساهلة
 في أمره والا همال في المحافظة عليه والحكم به والاذعان له أو في القصاص فتكفوا عن القتل المؤدى اليه
 (كتب عليكم) بيان لحكم آخر من الاحكام المذكورة (اذا حضر أحدكم الموت) أي حضر أسبابه
 ظهر أماراته أو دنا نفسه من الحضور وتقدم المفعول لافادة كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت ورود

قوله ان يباؤوا مثل يباؤوا وزنا
 ومعنى أي يباؤوا يقال يباؤت
 القتل أي تساوت فالمراد المكافاة
 الحزب بالحزب والعبد بالعبد والاني
 بالاني كما في حواشي البيضاوي

عليها (ان ترك خيرا) أى مالا وقيل مالا كثيرا الماروى عن علي رضي الله عنه ان مولى له أراد أن يوصى
وله سبعمائة درهم ففعله وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فتركه لعبد الله وعن عائشة رضي الله
عنها ان رجلا أراد الوصية وله عيال وأربع مائة دينار فقالت ما أرى فيه فضلا وأراد آخر أن يوصى فساءلته
كم ماله فقال ثلاثة آلاف درهم قالت كم عيالك قال أربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا
لشيء يسير فتركه لعبدك (الوصية للوالدين والاقربين) مرفوع بكتب اخر عيايئهم بما المام تر مرارا وايشار
تذ كبر الفعل مع جواز تأنيته أيضا للفصل أو على تأويل ان يوصى أو الايصاء واذلك ذكر الضمير في قوله تعالى
فمن بدله بعد ما سمعه واذ اطرف محض والعامل فيه ككتب لكن لا من حيث صدور الكتب عنه تعالى
بل من حيث تعلقه بهم تعلقا فعليا مستتبعا لوجوب الاداء كما ينبغي عنه البناء للمفعول وكلمة الايجاب ولا مساغ
لجعل العامل هو الوصية لتقدمه عليها وقيل هو مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء
كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بأنه ان صح من ضرورة الشعر ومعنى كتب فرض وكان هذا
الحكم في بدء الاسلام ثم نسخ عند نزول آية الموارث بقوله عليه السلام ان الله قد أعطى كل ذي حق حقه
الا الوصية لو ارث فانه وان كان من اخبار الآحاد لكن حيث تلقته الامة بالقبول انظم في سلك المتواتر
في صلاحيته للنسخ عند امتناعه على ان التحقيق ان النسخ حقيقة هي آية الموارث وانما الحديث مبين بلهجة
نسخها ببيان انه تعالى كان قد كتب عليكم ان تؤدوا الى الوالدين والاقربين حقوقهم بحسب استحقاقهم من
غير تعيين لمراتب استحقاقهم ولا تعيين لمقادير انصبايهم بل فوض ذلك الى آرائكم حيث قال (بالمعروف)
أى بالعدل فالآن قدر رفع ذلك الحكم عنكم لتبيين طبقات استحقاق كل واحد منهم وتعيين مقادير حقوقهم
بالذات وأعطى كل ذي حق منهم حقه الذي يستحقه بحكم القرابة من غير نقص ولا زيادة ولم يدع ثمة شيئا فيه
مدخل رأيكم أصلا كما يعرب عنه الجملة المنفية بلا النافية للجنس وتصديرها بكلمة التنبيه اذا تحققت
هذا ظهر لك ان ما قيل من ان آية الموارث لا تعارضه بل تحققة وتؤكد من حيث انما تدل على تقديم الوصية
مطلقا والحديث من الآحاد وتلقى الامة اياه بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله اختزعه من فسر الوصية بما أوصى
به الله عز وجل من توريث الوالدين والاقربين بقوله تعالى يوصيكم الله أو بايصاء المختصين لهم بتوفير ما أوصى به
الله تعالى عليهم بمعزل من التحقيق وكذا ما قيل من ان الوصية للوارث كانت واجبة بهذه الآية من غير تعيين
لانصبايهم فلما نزلت آية الموارث بيانا للانصباي بلفظ الايصاء فهم من باب تنبيه النبي صلى الله عليه وسلم أن المراد
منه هذه الوصية التي كانت واجبة فكانه قيل ان الله تعالى أوصى بنفسه تلك الوصية ولم يفوضها اليكم
فقسام الميراث مقام الوصية فكان هذا معنى النسخ لان فيه ادلالة على رفع ذلك الحكم فان مدلول آية الوصية
حيث كان نفويا للامر الى آراء المكلفين على الإطلاق ونسفي الخروج عن عهدة التكليف بأداء ما أذى اليه
آراؤهم بالمعروف فتكون آية الموارث النافذة بمراتب الاستحقاق وتفاصيل مقادير الحقوق القاطعة
بامتناع الزيادة والنقص بقوله تعالى فريضة من الله ناسخة لهما رافعة لحكمها مما لا يثبت عليه على أحد وقوله
تعالى (حقا على المتقين) مصدر مؤكد أى حق ذلك حقا (فمن بدله) أى غيره من الاوصياء والشهود
(بعد ما سمعه) أى بعد ما وصل اليه وتحقق لديه (فانما الله) أى انما الايصاء المغير أو انما التبديل (على
الذين يبدلونه) لانهم خافوا وخالفوا حكم الشرع ووضع الموصول في موضع الضمير الرجوع الى من لتأكيد
الايدان بعلمية ما في حيز الصلة الاولى واشار الجمع للاشعار بتعدد المبدلين انواعا وكثرتهم افرادا والايدان
بشمول الانتم لجميع الافراد (ان الله سميع عليم) وعيد شديد للمبدلين (فمن خاف من موص) أى توقع
وعلم من قولهم أخاف أن يرسل السماء وقرئ من موص (جنفا) أى ميلا بانحطاطا في الوصية (أو انما)
أى لعدم اللجئ (فاصل بينهم) أى بين الموصي لهم باجرائهم على منهاج الشريعة الشريفة (فلا انما عليه)
أى في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول (ان الله غفور رحيم) وعد للمصلح وذ كرامة
لمطابقة ذكر الانتم وكون الفعل من جنس ما يؤتم (يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام) بيان لحكم آخر
من الاحكام الشرعية وتكرير النداء لانه يظهر مزيد الاعتناء والصيام والصوم في اللغة الامساك عما تنزع
اليه النفس ومنه قوله تعالى اني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم الاية وقيل هو الامساك

عن الشيء مطلقاً ومنه صامت الريح إذا امسكت عن النهوب والمرس إذا امسكت عن العد وقال
 خيل صيام وخيل غير صائمة * تحت الجحاح وأخرى نعلك الجحاش وفي الشريعة هو الامساك النهار مع النية
 عن المفطرات المأهولة التي هي معظم ما تشتهيه الانفس (كما كتبت) في حين النص على انه نعت للمصدر
 المؤكد أي كذا كذا كما كتبت أو على انه حال من المصدر المعرفة أي كتب عليكم الصيام الكتب مشبهاً بما كتب
 فاعلى الوجهين مصدرية أو على انه نعت لمصدر من لفظ الصيام أي صوماً مماثلاً للصوم المكتوب على من قبلكم
 فاصولوة أو على انه حال من الصيام أي حال كونه مماثلاً لما كتب (على الذين من قبلكم) من الانبياء عليهم
 الصلاة والسلام والامم من لدن آدم عليه السلام وفيه تأكيد لكم وترغيب فيه وتطبيب لانفس المخاطبين به
 فان الشاق اذا علم سهل عمله والمراد بالمماثلة اما المماثلة في اصل الوجوب واما في الوقت والمقدار كما يروى أن
 صوم رمضان كان مكتوباً على اليهود والنصارى أما اليهود فقد تركته وصامت يوماً من السنة زعموا أنه يوم
 غرق فرعون وكذبوا في ذلك فانه كان يوم عاشوراء وأما النصارى فانهم صاموا رمضان حتى صادفوا حراً
 شديداً فاجتمع آراء علمائهم على تعيين فصل واحد بين الصيف والشتاء فجعلوه في الربيع وزادوا عليه عشرة
 ايام كفارة لما صنعوا فصار أربعين ثم مرض منهم موتان فزادوا عشرة ايام فصار خمسين
 (لعلكم تتقون) أي المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة الداعية اليها كما قال عليه الصلاة والسلام فعليه بالصوم
 فان الصوم له وجاء أو تتقون الاخلال بأدائه لاصالته أو تصلون بذلك الى رتبة التقوى (أي امام معدودات)
 موقات بعد معلوم أو قلائل فان القليل من المال يعتدوا والكثير يهايل هيلاً والمراد بها ايام رمضان أو ما
 وجب في بدء الاسلام ثم نسخ به من صوم عاشوراء وثلاثة ايام من كل شهر واتصاه ليس بالصيام كما قيل لوقوع
 الفصل بينهما بأجنبي بل يمتزج دل هو عليه اعنى صوموا اما على الطرفية أو المفعولية انشاعاً وقيل بقوله تعالى
 كتب على أحد الوجهين وفيه ان الايام ليست محلالة بل المكتوب فلا يتحقق الطرفية ولا المفعولية المتفرعة
 عليها انشاعاً (من كان منكم مريضاً) أي مرضاً يضرمه الصوم أو يعسر معه (أو على سفر) مستقرين عليه
 وفيه تلويح ورمز الى أن من سافر في اثناء اليوم لم يطر (فعدة) أي فعلية صوم عدة ايام المرض والسفر
 (من ايام آخر) ان افطر فحذف الشرط والمضافان ثقة بالظهور وقرئ بالنصب أي فليصم عدة وهذا على
 سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة رضي الله عنه (وعلى الذين يطيقونه)
 أي وعلى المطيقين للصيام ان افطروا (فدية) أي اعطاء فدية وهي (طعام مسكين) وهو نصف صاع من
 بر أو صاع من غيره عند أهل العراق ومد عند أهل الحجاز وكان ذلك في بدء الاسلام لما انه قد فرض عليهم
 الصوم وما كانوا متعودين له فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية وقرئ يطوقونه أي يكفونه أو يقلدونه
 ويطوقون ويطوقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يطيقونه وأصلهما يطيقونه
 ويطيقوقونه من فيعل وتفعل من الطوق فأدغمت الباء في الواو بعد قايها ياء كقولهم سم تدير المكان وما بها ديار
 وفيه وجهان أحدهما نحو معنى يطيقونه والثاني يكفونه أو يكفونه على جهدهم وعسروهم الشيوخ
 والجهاز وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو حينئذ غير منسوخ ويجوز أن يكون هذا معنى يطيقونه أي
 يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم (من تطوع خيراً) فزاد في الفدية (فهو) أي التطوع أو الخير الذي
 تطوعه (خبره وأن تصوموا) أي المطيقون أو المطوقون وتعلموا على انفسكم وتجهدوا طاقتكم أو المرخصون
 في الافطار من المرضى والمسافرين (خير لكم) من الفدية أو من تطوع الخير أو منهما أو من التأخير الى ايام آخر
 والالتفات الى الخطاب للزهو والتشيط (أن كنتم تعلمون) أي ما في صومكم مع تحقق الميع للافطار من الفضيلة
 والجواب محذوف ثقة بظهوره أي اخترعوه أو سارعتم اليه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبير علمتم
 ان الصوم خير من ذلك (شهر رمضان) مبتدأ ساق خبره أو خبر مبتدأ محذوف أي ذلك شهر رمضان أو بدل
 من الصيام على حذف المضاف أي صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضماع صوموا أو على انه مفعول
 تصوموا أو بدل من اياما معدودات ورمضان مصدر مرض أي احترق من الرضاء فأضيف اليه الشهر وجعل
 علماً ومنع الصرف للتعريف والالاف والنون كما قيل ابن دأية للغراب فقوله عليه السلام من صام رمضان الحديث
 وارد على حذف المضاف للامن من الالتباس وانما سمى بذلك اما لارتعاضهم فيه من الجوع والعطش أو لارتعاض

الذنوب بالصيام فيه أو لوقوعه في أيام رمضان الحز عند نقل أسماء الشهور عن اللغة القديمة (الذي أنزل فيه القرآن) خبر للمبتدأ على الوجه الأول وصفة لشهر رمضان على الوجوه الباقية ومعنى انزاله فيه أنه ابتدئ انزاله فيه وكان ذلك ليلة القدر وأنزل فيه جملة إلى السماء الدنيا ثم نزل منجما إلى الأرض حسبما يقتضيه المشيئة الربانية أو أنزل في شأنه القرآن وهو قوله عز وجل كتب عليكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين منه والآنجيل ثلاث عشرة منه والقرآن لاربع وعشرين (هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان) حالان من القرآن أي أنزل حال كونه هداية للناس بما فيه من الأحكام وغيره وآيات واضحة مرشدة إلى الحق قارقة بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والأحكام (فن شهد منكم الشهر) أي حضر فيه ولم يكن مسافرا ووضع الظاهر موضع الضمير للعظيم والمبالغة في البيان والظاهر للتفريع والترتيب أو لتفريع المبتدأ معنى الشرط أو زائدة على تقدير كون شهر رمضان مبتدأ والموصول صفة له وهذه الجملة خبر له وقيل هي جزائية كأنه قيل لما كتب عليكم الصيام في ذلك الشهر فن حضر فيه (فليصمه) أي فليصم فيه بخذف الجارة وإبصال الفعل إلى الجوراء ناسعا وقيل من شهد منكم هلال الشهر فليصمه على أنه مفعول به كقولك شهدت الجمعة أي صلاتها فيكون ما بعده مخصصا له كأنه قيل (ومن كان مريضا) وإن كان مقيما حاضرا فيه (أو على سفر) وإن كان صحيحا (فعدة من أيام أخر) أي فعليه صيام أيام أخر لأن المريض والمسافر عن شهد الشهر ولعل التكرير لذلك أول ثلاثيهم نسخة كما نسخ قرينه (يريد الله) بهذا الترخيص (بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) لغاية رأفته وسعة رحته (ولتكموا العدة وتكبروا لله على ما هذاكم وأعلمكم تسكروا) علل لفعل محذوف يدل عليه ما سبق أي وألهذه الأمور شرع ما أمر من أمر الشاهد بصوم الشهر وأمر المرخص لهم بمراعاة عدة ما افطر فيه ومن الترخيص في إباحة الفطر فقوله تعالى لتكموا علة الأمر بمراعاة العدة وتكبروا علة ما علمه من كيفية القضاء ولعلمكم تسكروا علة الترخيص والتيسير وتعدينية فعل التكبير يعلى لتضعه معنى الحمد كأنه قيل وتكبروا الله حامدين على ما هذاكم ويجوز أن تكون معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم أول تعلموا ما تعلمون ولتكموا الخ ويجوز عطفها على اليسر أي يريد بكم لتكموا الخ كقوله تعالى يريدون ليطفئوا الخ والمعنى بالتكبير تعظيمه تعالى بالحمد والثناء عليه وقيل تكبير يوم العيد وقيل التكبير عند الأهل والما يحتمل المصدرية والموصولة أي على هدايته أياكم أو على الذي هذاكم إليه وقرئ وتكموا بالتشديد (وإذا سألك عبادي عني) في تلوين الخطاب وتوجيهه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى من تشريفه ورفع محله (فإني قريب) أي فقل لهم إني قريب وهو تخفيف لكمال علمه بأفعال العباد وأقوالهم وإطلاعه على أحوالهم بحال من قريب مكانه روى أن أعرابيا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرب ربنا قننا جيشه أم بعيد قننا ديه فنزلت (اجيب دعوة الداع إذا دعان) تقرير للقرب وتحميق له وورود للداعي بالاجابة (فليستجيبوا لي) إذا دعوتهم للإيمان والطاعة كما اجيبهم إذا دعوتهم لمهامهم (وليؤمنوا بي) أمر بالثبات على ما هم عليه (لعلهم يرشدون) راجع إلى أصابة الرشد أي الحق وقرئ بفتح الشين وكسرهما ولما أمرهم الله تعالى بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الكريمة الدالة على أنه تعالى خبير بأحوالهم سميع لأقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على أعمالهم تأكيد له وحناء عليه ثم شرع في بيان أحكام الصيام فقال (أحل لكم ليلة الصيام الرفق إلى نسائكم) روى أن المسلمين كانوا إذا مسوا حل لهم الأكل والشرب والجماع إلى أن يصلوا العشاء الأخيرة أو رقدوا ثم إن عمر رضي الله عنه بأشرب بعد العشاء فندم وأتى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر إليه فقام رجال فاعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صائما والرفق كناية عن الجماع لأنه لا يكاد يخلو من رفق وهو الإفصاح بما يجب أن يكفي عنه وعدى إلى تفننه معنى الإفشاء والانهاء وإشارته هنا لاستقبال ما ارتكبه ولذلك سمى خيانة وقرئ الرفق وتقديم الظرف على القائم مقام الفاعل لما مر من التشويق فإن ما حقه التقديم إذا أخرت في النفس مترتبة إليه فيتمكن عندها وقت وروده فضل تمكن (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) استئناف مبين لسبب الإحلال وهو صعوبة الصبر عنهن مع شدة الخاطلة وكثرة الملازمة بهن وجعل كل من الرجل والمرأة لباسا للآخر لا عتسا قهما واشتغال كل منهما على الآخر بالليل قال

اذا ما اجمع ثنى عطنها • تثنت فكانت عليه لباسا
 اولان كلامهم ما يستمر حال صاحبه ويمتنعه من الفجور (علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم) استئناف
 اترمين لما ذكر من السبب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب ومعنى تختانون تظلمون بها
 تعريضها للعقاب وتنقيص خطيئتها من الثواب (فتاب عليكم) عطف على علم أى تاب عليكم لما تبتم
 بما اقترفوه (وعفا عنكم) أى محالته عنكم (فالا ن) لما نسخ التحريم (بأنشروهن) المباشرة
 ازاى البشرية بالبشرة كفى بها عن الجماع الذى يستلزمها وفيه دليل على جواز نسخ الكتاب للسنة (وابتغوا
 ما كتب الله لكم) أى واطلبوا ما قدره الله لكم وقدره فى اللوح من الولد وفيه أن المباشرة ينبغي أن يكون
 غرضه الولد فانه الحكمة فى خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الشهوة وقيل فيه نهي عن العزل وقيل
 عن غير المأثى والتقدير وابتغوا المحل الذى كتب الله لكم (وكاوا واشربوا حتى يبين لكم الخيط الابيض
 من الخيط الاسود من الفجر) شبه أول ما يدوم من الفجر المعترض فى الافق وما يمتد معه من غلس الليل
 بخطين ابيض واسودوا كتنى ببيان الخيط الابيض بقوله تعالى من الفجر عن بيان الخيط الاسود دلالة
 عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز أن يكون من التبعية فان ما يدوم وبعض الفجر وما روى
 من انها زات ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خطين ابيض واسود وطفة قوايا كلون ويشربون حتى يبيناهم
 فترت ففعل ذلك كان قبل دخول رمضان وتأخر البيان الى وقت الحاجة جائزا واكتفى أولا باشتارهما
 فى ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفى تجوز المباشرة الى الصبح دلالة على جواز تأخير الغسل اليه
 وصحة صوم من أصبح جنبا (ثم اتوا الصيام الى الليل) بيان لا خروقه (ولا يأنشروهن) وأنتم عاكفون
 فى المساجد أى معتكفون فيها والمراد بالمباشرة الجماع وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امرأته
 فيباشرها ثم يرجع فهو اعن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون فى المسجد غير مختص ببعض دون بعض
 وأن الوطء فيه حرام ومفسد له لان النهى فى العبادات يوجب الفساد (تلك حدود الله) أى الاحكام
 المذكورة حدود وضعها الله تعالى لعباده (فلا تقربوها) فضلا عن تجاوزها نهي أن يشرب الحد الحاذر
 بين الحق والباطل مبالغة فى النهى عن تخطيطها كما قال صلى الله عليه وسلم ان اكل ملك حى وحى الله محارمه
 فمن وقع حول الحى يوشك أن يقع فيه ويجوز أن يراد بجود الله تعالى محارمه ومناهيه (كذلك) أى مثل
 ذلك التبيين البليغ (بين الله آياته) الدالة على الاحكام التى شرعها (للناس لعلهم يتقون) مخالفة
 او امره ونواهيه (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) نهي عن اكل بعضهم اموال بعض على خلاف حكم
 الله تعالى بعد النهى عن اكل اموال انفسهم فى نهار رمضان أى لا يأكل بعضهم مال بعض بالوجه الذى لم يحبه
 الله تعالى وبين نصب على الظرفية أو الحالية من اموالكم (وتدلوها الى الاحكام) عطف على النهى عنه أو نصب
 باختماران والادلاء باللقاء أى ولا تلقوا احكامكم الى الاحكام (لتأكلوا) بالتصاكن اليهم (فريقا من اموال
 الناس بالانتم) بما يوجب انما كشهادة الزور واليمين الفاجرة أو ملتبسين بالانتم (وأنتم تعلمون) انكم مبطون فان
 ارتكاب المعاصى مع العلم بها اقبح روى ان عبدان الحضرمى ادعى على امرئ القيس الكندى قطعة أرض
 ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ عليه الصلاة والسلام
 ان الذين يشتمون بعد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الآية فارتدع عن اليمين فسلم الارض الى عبدان فترت وروى
 انه اختصم اليه خصمان فقال عليه السلام انما أنا بشر مثلكم وانتم تختصمون الى ولعل بعضكم ألحن بحجته
 من بعض فاقضى له على نحو ما سمع منه فن قضيت له بشئ من حق أخيه فانما اقضى له قطعة من نار فكيف قال
 كل واحد منهما ما حق لصاحبي فقال اذهباق وخيائنا استهما ثم ليحل كل واحد منكما صاحبه (يسألونك
 عن الاهلة) سأله معاذ بن جبل وعلبة بن غنم فقال لا مبال الالهلال يدور قريبا كالخيط ثم يزيد حتى يستوى ثم
 لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ (قل هى مواقيت للناس والحج) كانوا قد سألوه عليه الصلاة والسلام عن
 الحكمة فى اختلاف حال القمر وتبدل أمره فأمره الله العزيز الحكيم أن يجيبهم بأن الحكمة الظاهرة فى ذلك
 أن تكون معالم للناس فى عباداتهم لاسيما الحج فان الوقت مزاعى فيه أداء وقضاء وكذا فى معاملاتهم على
 حسب ما يتفقون عليه والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة

امتداد حركة الفلك من مبدئها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة الى الماضي والحال والمستقبل والوقت الزمان المفروض لامر (وليس البرهان تأتوا البيوت من ظهورها) كانت الانصار اذا اُحرِموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابها وانما يدعون ويخرجون من نقب أو فرجة وراءها ويعتدون ذلك بترافين لهم انه ليس ببيت فقبل (ولكن البر من اتقى) أى بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا عن الامرين أو أنه لما ذكر أنها موافقة للحج ذكر عتبه ما هو من افعالهم في الحج استطرادا أو أنهم لما سألوا عما لا يعينهم ولا يتعلق بعلم النبوة فانه عليه الصلاة والسلام مبعوث لبيان الذرائع لالبيان حقائق الاشياء وتركوا السؤال عما يعينهم ويختص بعلم الرسالة عقب بد كره جواب ما سألوا عنه تنبيهه على أن الاتق بهم أن يسألوا عن أمثال ذلك ويستموا بالعالم بها أو أريد به التنبيه على انعكاسهم في السؤال وكونه من قبيل دخول البيت من ورائه والمعنى وليس البرهان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجترأ على مثله (وأما البيوت من أبوابها) اذ ليس في العدول بر أو بأشروا الامور من وجوهها (واتقوا الله) في تغيير أحكامه أو في جميع امورك أمريدت صريحا بعد بيان أن البر من اتقى اظهار الزيادة الاعتناء بشأن التقوى وعهيدا لقوله تعالى (لعلكم تفلحون) أى لى تظفروا بالبر والهدى (وقالوا في سبيل الله) أى جاهدوا لاعتزاز دينه واعلاء كلمته وتقديم الظرف على المفعول الصريح لابرار كمال العناية بشأن المتقدم (الذين يقاتلونكم) قبل كان ذلك قبل ما أمروا بقتال المشركين كافة المشركين منهم والمجاهزين وقيل معناه الذين يتأصبونكم القتال وتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهابنة والنساء أو الكفرة جميعا فان الكل يصعد قتال المسلمين ويؤيد الاقل ما روى ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع من قابل فيخلوا له مكة شرفها الله تعالى ثلاثة ايام فرجع لعمره القضاء فخاف المسلمون أن لا ينو لهم ويقاثلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فترات وبعضهم اراده في اثناء بيان أحكام الحج (ولا تعتدوا) بأشياء القتال او بقتال المعاهد والمفاجأة به من غير دعوة أو بالمثل وقتل من نهيتم عن قتله من النساء والصبيان ومن يجرى مجراهم (ان الله لا يحب المعتدين) أى لا يريد بهم الخير وهو تعطيل للنهي (واقتلوهم حيث تقفتموهم) أى حيث وجدتموهم من حل أو حرم وأصل التقف المذق في أدراك الشيء علما أو عملا وفيه معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال فاما تقفوني فاقتلوني * فن انتف فليس الى خلود (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أى من مكة وقد فعل بهم ذلك يوم الفتح بمن لم يسلم من كفارها (والفئة أشد من القتل) أى المحنة التي يفتن بها الانسان كالاخراج من الوطن أصعب من القتل لدوام تعيها وبقاء تألم النفس بها وقيل شركهم في الحرم وصدّهم لكم عنه أشد من قتلهم اياهم فيه (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام) أى لاتنقضوا محوهم بالقتل هناك ولا تتهكوا حرمة المسجد الحرام (حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم) ثمّة (فاقتلوهم) فيه ولا تبالوا بقتالهم ثمّة لانهم الذين هتكوا حرمة فاستحقوا أشد العذاب وفي العدول عن صبغة المفاعلة التي بها ورد النبي والشرط عدة بالنصر والقلبة وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قاتلوكم فاقتلوهم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم بعضا قولهم قتلنا بنو أسد (كذلك جزاء الكافرين) يفعل بهم مثل ما فعلوا بغيرهم (فان اتهموا) عن القتال والكفر بعد ما رأوا قتالكم (فان الله غفور رحيم) يغفر لهم ما قد سلف (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) أى شرك (ويكون الدين لله) خالصا ليس للشيطان فيه نصيب (فان اتهموا) بعد مقاتلتكم عن الشرك (فلا عدوان الا على الظالمين) أى فلا تعتدوا عليهم اذ لا يحسن الظن الا لمن ظلم فوضع العلة موضع الحكم وتسمية الجزاء بالعدوان للمشاكلة كما في قوله عز وجل فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه أو انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وتنعكس الحال عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء (الشهر الحرام بالشهر الحرام) قاتلوهم المشركون عام الحديبية في ذى القعدة فقبل لهم عند خروجهم لعمره القضاء في ذى القعدة أيضا وكرهتهم القتال فيه هذا الشهر الحرام بذلك الشهر الحرام وهتكوا بهتكم فلا تبالوا به (والحرما قصاص) أى كل حرمة وهى ما يجب المحافظة عليه يجزى فيها القصاص فلما تكرار حرمة شهركم بالصدا فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة فاقتلوهم ان قاتلوكم كما قال تعالى (فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) وهو فذلك مقرر لما قبلها (واتقوا الله) في شأن الاتصاف

واحذروا أن تعتدوا إلى عالم يرخص لكم (واعلموا أن الله مع المتقين) فيجرسهم ويصلح شؤونهم بالنصر
 والتكين (وأتفقوا في سبيل الله) امر بالجهاد بالمال بعد الأمر بالنفس أي ولا تمسكوا كل الأمساك
 (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) بالأسراف وتضييع وجه المعاش أو بالكف عن الغزو والاتفاق فيه فان
 ذلك مما يقوى العدو ويسلطهم عليكم ويؤيده ما روى عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أنه قال لما عز
 الله الإسلام وكثر أهله رجعنا إلى أهالي بناو أموالنا نقيم فيها ونصلحها فقلت أوبالأمساك وحب المال فانه
 يؤدي إلى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الأصل انتهاء الشيء في الفساد والاتقاء طرح الشيء
 وتعديته إلى لتفتمنه معنى الانتهاء والبلاء من يده والمراد بالأيدي النفس والتلكة مصدر كالتسرة والتسرة
 وهي والهالك والهالك واحد أي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوا أيديكم أخذة بأيديكم ولا تلقوا
 بأيديكم انفسكم إليها خذف المفعول (وأحسبوا) أي أعمالكم وأخلاقكم أو تفضلوا على الفقراء
 (إن الله يحب المحسنين) أي يريد بهم الخير وقوله تعالى (وأتموا الحج والعمرة لله) بيان لوجوب اتمام
 أفعالهما عند التصدي لأدائهم ما وارشاد للناس إلى تدارك ما عسى يعثر بهم من العوارض المحلة بذلك
 من الإحصار ونحوه من غير تعريض لحالهما في انفسهما من الوجوب وعدمه كما في قوله تعالى ثم أتوا
 الصيام إلى الليل فانه بيان لوجوب مدة الصيام إلى الليل من غير تعريض لوجوب أصله وانما هو بقوله تعالى
 كتب عليكم الصيام الآية كما أن وجوب الحج بقوله تعالى والله على الناس حج البيت الآية فان الأمر
 بإتمام فعل من الأفعال ليس أمرا بأصله ولا مستلزما له أصلا فلا يس فيه دليل على وجوب العمرة قطعاً وأدعاء
 أن الأمر بإتمامهما أمر بانتهاء ما تاتين كاملين حسبما تقتضيه قراءة واقموا الحج والعمرة وإن الأمر للوجوب
 ما لم يدل على خلافه دليل مما لا سداده ضرورة أن ليس البيان مقصوراً على أفعال الحج المقروض حتى يتصور
 ذلك بل الحق أن تلك القراءة أيضاً محمولة على المشهورة ناطقة بوجوب إقامة أفعالهما كما ينبغي من غير تعريض
 لحالهما في انفسهما قال المعنى اكملوا أركانهما وشرائطهما وأتموا أفعالهما المعروفة شرعاً لوجه الله تعالى
 من غير إخلال منكم بشيء منها هذا وقد قيل إتمامهما أن تحرم بهما من ذبيرة أهله روى ذلك عن علي وابن
 عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وقيل إن تعذر ذلك واحد منهما سافراً كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية
 أفضل وقيل هو جعل تفقتهما حلالاً وقيل إن تخلصوا بهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من الأغراض الدنيوية
 وأياً ما كان ذلك تعريض في الآية الكريمة لوجوب العمرة أصلاً وأما ما روى أن ابن عباس رضي الله عنه
 قال إن العمرة لقريظة الحج وقول عمر رضي الله عنه هديت لسنة نبيك حين قال له رجل وجدت الحج والعمرة
 مكتوبين علي أهلت بهما وفي رواية فأهلت بهما جميعاً فبعزل من إفادة الوجوب مع كونه معارضاً بما روى عن
 جابر أنه قال يا رسول الله ألعمره واجبة مثل الحج قال لا ولكن أن تعتمر خير لك وبقوله عليه السلام الحج جهاد
 والعمرة تطوع قد بر (فإن أحسرتهم) أي منعهم من الحج يقال حصره العدو وأحصره إذا حبسه ومنعه من
 المضى لوجهه مثل صدته وأصدته والمراد منع العدو عند مالك والشافعي رضي الله عنهما لقوله تعالى فإذا أمنتم
 ولزولة في الحديبية ولقول ابن عباس لا حصرا لاحتصر العدو وكل منع من عدو أو مرض أو غيرهما اعتدأ به
 حنيفة رضي الله عنه لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من كسر أو عرج فعليه الحج من قابل (فما استيسر
 من الهدى) أي فعليكم أو قالوا يجب ما استيسر أو فأهدوا ما استيسر والمعنى أن المحرم إذا أحصر وأراد أن
 يتحلل يتحلل بذبح هدي يسر عليه من بدنة أو بقرة أو شاة حيث أحصر عند الأكثر وعندنا يعثبه إلى الحرم
 ويجعل للمبعوث يده يوم أمار فاذا جاء اليوم وظن أنه ذبح يتحلل لقوله تعالى (ولا تتحللوا رؤسكم حتى يبلغ
 الهدى محله) أي لا تحلوا حتى تعلموا أن الهدى المبعوث إلى الحرم بلغ مكانه الذي يجب أن يخبر فيه وحل
 الأولون بلوغ الهدى محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلاً كان أو حرماً ورجعهم في ذلك أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل قلنا كان محصره عليه الصلاة والسلام طرف الحديبية
 الذي إلى أسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم وقال
 الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة أميال من مكة والمحل بالكسر يطلق على المكان والزمان
 والهدى جمع هدية بكدي وجدية وقرئ من الهدى جمع هدية كطى ومطية (فإن كان منكم مريضاً) مرضاً

محوها الى الحلق (أوبه أذى من رأسه) بكرامته أو قل (فقدية) أى فعلية فدية ان حلق (من صيام أو صدقة أو نسك) بيان بانس الفدية وأما قدرها فقد روى انه صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة لعك أذاك هو امك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلاثة أيام أو تصدق بفرق على ستة مساكين أو انسك شاة والفرق ثلاثة أصع (فإذا أمنت) أى الاحصار أو كنتم في حال أمن أو سعة (فن تمتع بالعمرة الى الحج) أى فن انتفع بالتقرب الى الله تعالى بالعمرة قبل الانتفاع بتقريبه بالحج في اشهره وقيل من استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى أن يحرم بالحج (فما استيسر من الهدى) أى فعله دم استيسر عليه بسبب التمتع وهو دم جبران يذبحه اذا أحرم بالحج ولا يأكل منه عند الشافعي وعندنا هو كالأضحية (فن لم يجد) أى الهدى (فصيام ثلاثة أيام في الحج) أى في اشهره بين الاحرامين وقال الشافعي في أيام الاشتغال بأعماله بعد الاحرام وقبل التحلل والاحب أن يصوم سابع ذى الحجة وثامن وناهم فلا يصح يوم النحر وأيام التشريق (وسبعة اذ رجعت) أى نحرتم وفرغتم من أعماله وفي أحد قولى الشافعي اذ رجعت الى أهل بيكم وقرئ وسبعة بالنصب عطفا على محلى ثلاثة أيام (ذلك عشرة) فذلك الحساب وقائدها أن لا يتوهم أن الواو بمعنى أو كما في قولك جالس الحسن وابن سيرين وأن يعلم العدد بجهة كما علم تفصيلا فان أكثر العرب لا يعرف الحساب وأن المراد بالسبعة هو العدد المخصوص دون الكثرة كما راد بها اذ ذلك أيضا (كاملة) صفة مؤكدة لعشرة تفيد المبالغة في المحافظة على العدد أو مينة لكمال العشرة فانها أول عدد كامل اذ به ينتهى الاتحاد ويتم مراتبها أو مقيدة تصيد كمال بدليتها من الهدى (ذلك) إشارة الى التمتع عندنا والى الحكم المذكور عند الشافعي (لم يكن أهل حاضرى المسجد الحرام) وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عند الشافعي ومن كان مسكنه وراء الميقات عندنا وأهل الحل عند طائوس وغير أهل مكة عند مالك (واتقوا الله) في المحافظة على أوامره ونواهيه لاسيما في الحج (واعلموا أن الله شديد العقاب) لمن لم يتقته كي يصدقكم العلم به عن العصيان وانهار الاسم الجليل في موضع الاشارة لتربية المهابة وادخال الروعة (الحج) أى وقته (أشهر معلومات) معروفة بين الناس هي شوال وذو القعدة وعشر ذى الحجة عندنا وتسعة بدلية النحر عند الشافعي وكله عند مالك ومدار الخلاف أن المراد بوقته وقت احرامه أو وقت أعماله ومناسكه أو ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان ما لكانه العمرة في بقية ذى الحجة وأبو حنيفة وإن صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهرين وبعض شهر أو شهر أو اقامة للبعض مقام الكل أو اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد وصيغة جمع المذكر في غير العقلاء تجيء بالالف والتاء (فن فرض فيهن الحج) أى أوجبه على نفسه بالاحرام فيهن أو بالتلبية أو بسوق الهدى (فلارفت ولا فسوق) أى لاجماع أو فلا خسر من الكلام ولا خروج من حدود الشرع بارتكاب المحظورات وقيل بالسبب والتنازل بالانقباض (ولا جدال) أى لا مراعاة مع الخدم والرفقة (في الحج) أى في أيامه والاطهار في مقام الاشارة لظهور كمال الاعتناء بشأنه والاشعار بعله الحكم فان زيارة البيت المعظم والتقرب بها الى الله عز وجل من موجبات ترك الامور المذكورة وإشارته للنهي للمبالغة في النهي والدلالة على أن ذلك حقيق بأن لا يكون فان ما كان منكرا مستقيما في نفسه ففي تضاعيف الحج اقيم كلبس الحرير في الصلاة والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرئ الاقلاق بالرفع على معنى لا يكون رفث ولا فسوق والتالث بالفتح على معنى الاخبار باتقاء الخلاف في الحج وذلك أن قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارفع الخلاف بأن أمر واثان يفتقوا أيضا بعرفات (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) فيجزى به خير جزاء وهو حث على فعل الخير اثر النهي عن الشر (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) أى تزودوا والمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في أهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا أن يتزودوا ويقوا الابرام في السرايل والتشغيل على الناس (واتقوا يا اولي الابواب) فان قضية اللب استعمار خشية الله عز وجل وتقواه خنهم على التقوى ثم أمرهم بأن يكون المقصود بذلك هو الله تعالى فيستروا من كل شئ سواء وهو مقتضى العقل المعتبر عن شوائب الهوى فلذلك خص بهذا الخطاب اولو الابواب (ليس عليكم جناح أن تنقوا) أى في أن تنقوا أى تطلبوا (فضلا من ربكم) عطاء ورزقا منه أى الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو الحجاز

أسواقهم في الجاهلية يقيمونها أيام مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الإسلام تأمروا منه فزلت (فإذا
أفضت من عرفات) أي دفعتم منها ~~ب~~ ثمرة من أفضت الماء إذا صيبته بكثرة وأصله أفضت أنفسكم خذف
المفعول حذفه من دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كأذرعات وانما تون وكسرو فيه عمية وتأنيث لما أن
توون الجمع تنوين المتشابهة لاتنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهب الكسرة تبع ذهاب التنوين من
غير عوض لعدم الصرف وههنا ليس كذلك أولان التأنيث إماما بالهاء المذكورة وهي ليست بتاء التأنيث وانما
هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث أوتاء مقدرة كما في سعاد ولا سبيل اليه لان المذكورة تأتي تقديرها
لما أنها كالبدل منها الاختصاص بها بالمؤنث كماء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعمت لآبراهيم عليه السلام فلما
أبصره عرفه أولان جبريل عليه السلام كان يدور به في المشاعر فلما رآه قال عرفت أولان آدم وحواء التقياه
فتعارفا أولان الناس يتعارفون فيه وهي من الاسماء المرتجلة الامن يجعلها جمع عارف قيل وفيه دليل على
وجوب الوقوف بها لان الاضامة لا تكون الا بعده وهي مأثور بها بتولية تعالى ثم أفيضوا وقد قال النبي صلى
الله عليه وسلم الحج عرفة فمن أدرك عرفة فقد أدرك الحج أو مقدمة لذلك المأمور به وقيل نظر اذا الذ كر غير واجب
والامر به غير مطلق (فأذكروا الله) بالتبسية والتلهيل والدعاء وقيل صلاة العشاءين (عند المشعر الحرام) هو جبل
يقف عليه الامام ويسمى قرح وقيل ما بين مأزعي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر أنه عليه الصلاة
والسلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغسل ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا فيه وكبر وهلل ولم يزل واقفا
حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام ما يليه ويقرب منه
فانه أفضل والا فالزلفة كلها موقف الا وادي محسر (وأذكروا كما هداكم) أي كما علمكم أو أذكروا كما حسنا
كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية أو كافة (وان كنتم من قبله) من قبل ما ذكر من هدايته
اياكم (لمن الضالين) غير العاملين بالايان والطاعة وان هي الخفصة واللام هي الفارقة وقيل هي نافية واللام
بمعنى الا كما في قوله عز وجل وان ظننك لمن الكاذبين (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) أي من عرفة لامن
المزدلفة والخطاب للبريش لما كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فأمروا بان
يساووهم وشم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الا الى كريم وقيل من مزدلفة
الى متى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بكسر السين أي الناسي على أن يراد به آدم
عليه السلام من قوله تعالى فذسى والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه (واستغفروا الله) من
بأهليتكم في تغيير المناسك (ان الله غفور رحيم) يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فهو تعليل للاستغفار
أول الامر به (فإذا قضيت مناسككم) عباداتكم المتعلقة بالحج وفرغتم منها (فأذكروا الله كذا كرم آباءكم)
أي فأكثروا ذكره تعالى وبالعوا في ذلك كما تفلحون بذكر آباءكم ومفاخرهم وایامهم وكانت العرب اذا قضوا
مناسكهم وقضوا بمجي بين المسجد والجبل فيذكر من مفاخر آباءهم ومحاسن ایامهم (أو أشد ذكرا) اما مجرور
معطوف على الذ كر يجعله ذا كرا على النجاء والمعنى فأذكروا الله ذكرا كما تامل ذكركم آباءكم أو كذا كرا أشد منه
وابلغ أو على ما اضيف اليه بمعنى أو كذا كرم قوم أشد منكم ذكرا أو منصوب بالعطف على آباءكم وذكرا من فعل
المذكور بمعنى أو كذا كرم أشد مذکور من آباءكم أو بمنزلة دل عليه المعنى تقديره أو كوفوا أشد ذكرا الله منكم
لا يأتكم (فمن الناس) تفصيل للذاكرين الى من لا يطلب بذكر الله الا الدنيا والى من يطلب به خيرا لدارين
والمراد به الخش على الاكثر والانتظام في سلك الآخرين (من يقول) أي في ذكره (ربنا آتينا في الدنيا)
أي اجعل آياتنا ومختنا في الدنيا خاصة (وماله في الآخرة من خلاق) أي من حظ ونصيب لاقتصار همه على
الدنيا فهو بيان لحاله في الآخرة أو من طلب خلاق فهو بيان لحاله في الدنيا وتأكيد لقصر دعائه على المطالب
الدنيوية (وهم من يقول ربنا آتينا في الدنيا حسنة) هي الصحة والكفاف والتوفيق للتعبير (وفي الآخرة
حسنة) هي الثواب والرحمة (وقنا عذاب النار) بالعفو والمغفرة وروى عن علي رضي الله عنه ان الحسنه
في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء وعن الحسن ان الحسنه في الدنيا العلم
والعبادة وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار (اولئك)
إشارة الى الفريق الثاني باعتبار انصافهم بما ذكر من النعمان الجيلة وما فيه من معنى البعد لما مر من

الإشارة إلى علو درجاتهم وبعد منزلتهم في الفضل وقيل اليهم معاقلة التنوين في قوله تعالى (لهم نصيب مما كتبوا) على الأول للتخفيف وعلى الثاني للتنويع أي لكل منهم نوع نصيب من جنس ما كتبوا ومن أجله كقوله تعالى مما خطياهم أغرقوا أو مادعوا به نعطهم منه ما قدرناه وتسجية الدعاء كسبالماله من الأعمال (والله سريع الحساب) بحاسب العباد على كثرتهم وكثرة أعمالهم في مقدار الرحمة فأحذروا من الإخلال بطاعة من هذا شأن قدرته أو يوشك أن يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا إلى الطاعات واكتساب الحسنات (واذكروا الله) أي كبروه في اعتقاد الصلوات وعند ذبح القرابين ورحى الجار وغيرها (في أيام معدودات) هي أيام التشريق (فمن تجمل) أي استجمل في النفر أو النفران التعل والاستفعال يجبان لأن لزمين ومتعدين يقال تجمل في الأمر واستجمل فيه وتجمله واستجمله والاول أوفق للتأخر كما في قوله قد يدرك المتأني بعض حاجته * وقد يكون من المستجمل الزلل

(في يومين) أي في تمام يومين بعد يوم النحر وهو يوم القرو يوم الرأس واليوم بعده ينقرا إذا فرغ من رحى الجار (فلا تأثم عليه) بتجمله (ومن تأخر) في النحر حتى رمى في اليوم الثالث قبل الزوال أو بعده وعند الشافعي بعده فقط (فلا تأثم عليه) بما صنع من التأخر والمراد التخيير بين التجمل والتأخر ولا يقدح فيه أفضلية الثاني وإنما وردت في الأثم تصريحا بالردة على أهل الجاهلية حيث كانوا مختلفين في مؤثم للمتجمل ومؤثم للتأخر (لمن أتى) خبر مبتدأ محذوف أي الذي ذكر من التخسير وفي الأثم عن المتجمل والمتأخر أو من الأحكام لمن أتى لأنه الحاج على الحقيقة والمنفعة به أو لاجله حتى لا يضر بترك ما يهيمه منهما (واتقوا الله) في مجامع أموركم بفعل الواجبات وترك المحظورات ليعبأ بكم وتنظموا في سلك المغتربين بالأحكام المذكورة والرخص أو احذروا الإخلال بما ذكر من الأحكام وهو الانسب بقوله عز وجل (واعلموا أنكم اليه تحشرون) أي للجزاء على أعمالكم بعد الأحياء والبعث وأصل الحشر الجمع وضم المتفرق وهو تأكيد للأمر بالتقوى وموجب للاشتغال به فإن من علم بالحشر والحاسبية والجزاء كان ذلك من أقوى الدواعي إلى ملازمة التقوى (ومن الناس من ينجبك قوله) تجريد الخطاب وتوجيه له إليه عليه الصلاة والسلام وهو كلام مبتدأ سبق لبيان تنزيه الناس في شأن التقوى إلى حزين وتعيين ما آل كل منهما ومن موصولة أو موصوفة وأعرابه كابين في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر أي ومنهم من يروك كلامه ويعظم موقعه في نفسه لما تشاهد فيه من ملازمة الفعوى ولطف الأداء والتعجب بحيرة تعرض للانسان بسبب عدم الشعور بسبب ما يتعجب منه (في الحياة الدنيا) متعلق بقوله أي ما يقوله في حق الحياة الدنيا ومعناها قاتها الذي يريد به ما يدعيه من الإيمان ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم وفيه إشارة إلى أنه قول آخر ليس بهذه الصفة أو ينجبك أي ينجبك قوله في الدنيا بجلاونه وفصاحته لافي الآخرة لما أنه يظهر هناك كذبه وقبحه وقيل لما رهبته من الحسنة والأكنة وأنت خير بانه لا مباغلة حينئذ في سوء حاله فإن ما له بيان حسن كلامه في الدنيا وقبحه في الآخرة وقيل معنى في الحياة الدنيا مآلة الحياة الدنيا أي لا يصدر منه فيها إلا القول الحسن (ويشهد الله على ما في قلبه) أي بحسب ادعائه حيث يقول الله يعلم أن ما في قلبي موافق لما في لساني وهو عطف على ينجبك وقرئ ويشهد الله فالمراد بما في قلبه ما فيه حقيقة ويؤيده قراءة ابن عباس رضي الله عنهما والله يشهد على ما في قلبه على أن كلمة على لكون المشهود به مضرا له فالجمله اعتراضية وقرئ ويستشهد الله (وهو ألد الخصام) أي شديد العداوة والخصومة للمسلمين على أن الخصام مصدر وضافة ألد إليه بمعنى في كقولهم ثبت العذر أو أشد الخصوم لهم خصومة على أنه جمع خصم كصعب وصعاب قيل زلت في الأخنس بن شريق النقي وكان حسن المنظر حلوا المنطق بو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعى الاسلام والحمية وقيل في المنافقين والجملة حال من الضمير المجرور في قوله أو من المستمكن في يشهد وعطف على ما قبلها على القراءتين المتوسطتين (واذا أتوا) أي من مجلسك وقيل إذا صاروا (سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل) كما فعله الأخنس حيث يتقيف حيث بينهم وأحرق زروعهم وأهلك مواشيهم أو كما يفعله ولاية السوء بالقتل والأتلاف أو بالنظم حتى يمنع الله تعالى بشؤمه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على اسناد الهلاك إليهما عطفًا على سعي وقرئ بفتح اللام وهي لغة وقرئ على البناء للمفعول من الإهلاك (والله لا يحب

(الفساد) أى لا يرتضيه ويغضبه ويفضبه على من يعاطاه وهو اعتراض تذييلي (واذا قيل له) على جميع العظمة والنصيحة (اتق الله) واترك ما تبشره من الفساد أو النفاق واحذر سوء مغيبته (أخذته العزة بالاثم) أى حملته الانفة وجبة الجاهلية على الاثم الذى نهى عنه بلحاظا وعنادا من قولك أخذته بكذا اذا حملته عليه أو ألزمته إياه (لخصبه جهنم) مبتدأ وخبر أى كافيه جهنم وقيل جهنم فاعل لخصبه ساد مستخبره وهو مصدر بمعنى الفاعل وقوى لاعتماده على الضاء الرابطة للجملة بما قبلها وقيل حسب اسم فعل ماضى أى كفته جهنم (ولبس المهاد) جواب قسم مقتدر والخصوص بالذم محذوف لظهوره وتعيينه والمهاد الفرائض وقيل ما يوطأ للجنب والجملة اعتراض (ومن الناس من يشترى نفسه) مبتدأ وخبر كما ترى أى يبيعها سبيلها فى الجهاد ومشاق الطاعات وتعريضها للمهلك فى الحروب وأياما بالمعروف وينهى عن المنكر وان ترتب عليه القتل (ابتعاه مرضا لله) أى طلبا لرضاه وهذا كمال التقوى وإبراده قسيما للاول من حيث ان ذلك يأنف من الامر بالتقوى وهذا يأمر بذلك وان أدى الى الهلاك وقيل نزلت فى صهيب بن سنان الرومى أخذته المشركون وعذبه ليرتد فقال انى شيخ كبير لا انفعكم ان كنت معكم ولا اضركم ان كنت عليكم فخلوني وما أنا عليه وخذوا ما لى فقبولوا منه ماله فأتى المدينة فيشترى حينئذ بمعنى يشترى لجرىان الحال على صورة الشرى (والله رؤوف بالعباد) ولذلك يكافئهم التقوى ويعرضهم للشواب والجملة اعتراض تذييلي (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم) أى الاستسلام والطاعة وقيل الاسلام وقرئ بفتح السين وهى لغت فيه وبتخفيف اللام أيضا وقوله تعالى (كافة) حال من التخيير فى ادخلوا ومن السلم أو منهما معا كما فى قوله

خرجت بها تمشى نحر ورائنا * على اثرنا ذيل مرط من رجل

وهى فى الاصل اسم لجماعة تصكف مخالفتها ثم استعملت فى معنى جميعا وتأوها ليست للتأنيث حتى يحتاج الى جعل السلم مؤنثا مثل الحرب كافى قوله عز وجل وان جنحو للسلم فاجنح لها وفى قوله

السلم تأخذ منها ما رضى به * والحرب يكفيك من انفسها جرح

وانما هى للنقل كما فى عامة وخاصة وقاطبة والمعنى استسلموا لله تعالى وأطيعوه بجملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين أو ادخلوا فى الاسلام بكليته ولا تخطوا به غيره والخطاب للمؤمنين أهل الكتاب فانهم كانوا يراعون بعض أحكام دينهم القديم بعد اسلامهم أو فى شرائع الله تعالى كلها بالايمان بالانبياء عليهم السلام والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب كلهم ووصفهم بالايمان اما على طريقة التغليب واما بالنظر الى ايمانهم القديم أو فى شعب الاسلام وأحكامه كلها فلا يخلو بشئ منها والخطاب للمسلمين وانما خوطب أهل الكتاب بعنوان الايمان مع انه لا يصح الايمان الا بما كفوه الا ان ايدنا بأن ما يدعونه لا يتم بدونه (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) بالتفرق والتفريق أو بمخالفة ما أمرتم به (انه لكم عدو مبين) ظاهرا للعداوة أو مظهر لها وهوت دليل للنهى أو الاتهام (فانزلناهم) أى عن الدخول فى السلم وقرئ بكسر اللام وهى لغة فيه

(من بعد ما جاء تكلم) الآيات (البيانات) والحجج القطعية الدالة على حقيقته الموجبة للدخول فيه (فاعلموا ان الله عزيز) غالب على أمره لا يعجزه الانتقام منكم (حكيم) لا يترك ما يقتضيه الحكمة من مواخظة المجرمين المستعصين على أوامره (هل ينظرون) استعصاهم انكارى فى معنى التنى أى ما ينتظرون بما يفعلون من العناد والمخالفة فى الامتناع بما أمروا به والاتهام عما نهوا عنه (الآن يأتيهم الله) أى أمره وبأسه أو يأتيهم الله بأمره وبأسه فحذف المأق به دلالة اطال عليه والالتفات الى الغيبة للايدان بأن سوء صنيعهم موجب للاعراض عنهم وحكاية جنايتهم لمن عداهم من أهل الانصاف على طريق المباعدة وإيراد الانتظار للاشعار بأنهم لانهم ما كانهم فيما هم فيه من موجبات العقوبة كأنهم طالبون لها مترقبون لوقوعها (فى ظلل) جمع ظلة كظل فى جمع قلة وهى ما انطأ وقرئ فى ظلال كظلال فى جمع قلة (من الغمام) أى السحاب الأبيض وانما تأهم العذاب فيه لما انه مظنة الرحمة فاذا اتى منه العذاب كان اقطع وأقطع للمطامع فان اتيان الشر من حيث لا يحتسب صعب فكيف باتيانه من حيث يرجى منه الخير (والملائكة) عطف على الاسم الجليل أى ويأتيهم الملائكة فانهم وسائط فى اتيان أمره تعالى بل هم الاتون يأسه على الحقيقة وتوسيط الطرف بينهما للايدان بأن الاتى أولا من جنس ما يلبس الغمام

ويترتب عليه عادة وأما الملائكة وإن كان آياتهم مقارنا لما ذكر من الغمام لكن ذلك ليس بطريق الاعتقاد وقرئ
بالجزء عطفًا على ظلل أو الغمام (وقضى الأمر) أي أتم أمر اهلاكهم وفرغ منه وهو عطف على آياتهم داخل
في حيز الانتظار وانما عدل الى صيغة الماضي دلالة على تحققه فكانته قد كان أو جلة مستأنفة بحسبها انباء
عن وقوع مضمونها وقرئ وقضاء الأمر عطفًا على الملائكة (والى الله) لا الى غيره (ترجع الأمور) بالتأنيث على
البناء للمفعول من الرجوع وقرئ بالتذكير وعلى البناء للفاعل بالتأنيث من الرجوع (سل بنى اسرائيل) الخطاب
لرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد من أهل الخطاب والمراد بالسؤال تسكيثهم وتثنيهم بذلك وتقرير
لجى البينات (كم آياتهم من آية بيّنة) معجزة ظاهرة على أيدي الانبياء عليهم السلام وآية ناطقة بحقيقة
الاسلام المأمور بالدخول فيه وكم خبرية أو مستفهامية مقررّة ومحلها النصب على المنعولية أو الرفع بالابتداء
على حذف العائد من الخبر وآية معجزها (ومن يذل نعمة الله) التي هي آياته الباهرة فانها سبب للهدى الذى
هو أجل النعم وتبديلها جعلها سببًا للضلالة وازدياد الرجس أو تحريكها وتأويلها الزائغ (من بعد ما جات به)
ووصات اليه وقد كان من معرفتها والتصرّح بذلك مع أن التبديل لا يتصور قبل الجى فلا شعاع بأنهم
قد بدلوا بعد ما وقفوا على تضاعفها كما في قوله عز وجل ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون قيل تقديره
فبدلوا ما من يذل وانما حذف للايضاح بعدم الحاجة الى التصرّح به لظهوره (فان الله شديد العقاب)
تعليل للجواب كأنه قيل ومن يذل نعمة الله عاقبه أشد عوبة فانه شديد العقاب واطهار الاسم الجليل لقربة
المهابة وادخال الروعة (زين للدين كفو والحياة الدنيا) أي حسنت في أعينهم وأشربت بحبها في قلوبهم
حتى تمالكوا علمها وتمتاعوا فيها معرضين عن غيرها والتزيين من حيث الخلق والايجاد مستند الى الله سبحانه
كما يعرب عنه القراءة على البناء للفاعل اذ ما من شيء الا وهو خالفه وكل من الشيطان والقوى الحيوانية وما في
الدنيا من الأمور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض (ويسخرون من الذين آمنوا) عطف على زين وايشار
صيغة الاستقبال للدلالة على استمرار السخرية منهم وهم فقراء المؤمنين كلال وعمار وصهيب رضى الله عنهم كانوا
يستزدلونهم ويستزئون بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن ابتداءية فكانهم جعلوا السخرية مبتدأة
منهم (والذين آمنوا) هم الذين آمنوا بعينهم وانما ذكرنا بعنوان التقوى للايضاح بأن اعراضهم عن الدنيا لا يتقاء
عنها لكونها محلة بتبطلهم الى جناب القدس شاعلة عنه (فوقهم يوم القيامة) لانهم في أعلى عليين وهم
في أسفل ساقلين أو لانهم في اوج الكرامة وهم في حضيض الذل والمهانة أو لانهم يطاولون عليهم في الآخرة
فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا والجملة معطوفة على ما قبلها وايشار الاسمية للدلالة على دوام مضمونها
(والله يرزق من يشاء) أي في الدارين (بغير حساب) بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وايتلاء
أخرى (كان الناس أمة واحدة) متفقين على كلمة الحق ودين الاسلام وكان ذلك بين آدم وادريس أو نوح
عليهم السلام أو بعد الطوفان (فبعث الله النبيين) أي فاختلفوا فبعث الخ وهي قراءة ابن مسعود رضى الله
عنه وقد حذف تعويلا على ما ذكره عقيب (مبشرين ومنذرين) عن كعب الذى علمته من عدد الانبياء
عليهم السلام مائة وأربعة وعشرون ألفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر والمذكور في القرآن ثمانية
وعشرون وقيل كان الناس أمة واحدة متفقة على الكفر والضلال في فترة ادريس أو نوح فبعث الله النبيين
فاختلفوا عليهم والاول هو الانسب بالنظم الكريم (وأُنزل معهم الكتاب) أي جنس الكتاب أو مع كل
واحد منهم عن له كتاب كآية الخاص به لا مع كل واحد منهم على الاطلاق اذ لم يكن لبعضهم كتاب وانما كانوا
يأخذون يكتب من قبلهم وعموم النبيين لا ينافي خصوص الضمير العائد اليه بعمونة المقام (بالحق) حال
من الكتاب أي ملتبس بالحق أو متعلق بأنزل كقوله عز وجل بالحق أنزلناه وبالحق نزل (ليحكم) أي الكتاب
أو الله سبحانه وتعالى أو كل واحد من النبيين (بين الناس) أي المذكورين والاعطاف في موضع الاشارة
لزيادة التعمين (فما اختلفوا فيه) أي في الحق الذى اختلفوا فيه أو فيما التبس عليهم (وما اختلف فيه)
أي في الحق أو في الكتاب المنزل ملتبس به والواو حالية (الا الذين أووه) أي الكتاب المنزل لازالة
الاختلاف وازاحة الشقاق والتعير عن الانزال بالانبياء للتنبيه من أقول الامر على كمال تمكّنهم من الوقوف
على ما في تضاعيفه من الحق فان الانزال لا يقيد تلك الفائدة أي عكسوا الامر حيث جعلوا ما أنزل لازالة

الاختلاف سبباً لاستحكامه ورسوخه (من بعد ما جاءتهم البينات) أى رسخت في عقولهم ومن متعلقة
بمعدوف يدل عليه الكلام أى فاختلفوا وما اختلف فيه الخ وقيل بالمفوط بناء على عدم منع الاعنه كما في
قولك ما قام الازيد يوم الجمعة (بغيا بينهم) متعلق بما تعلقت به من أى اختلفوا بغيا وتهاككا على الدنيا
(فهدى الله الذين آمنوا) بالكتاب (لما اختلفوا فيه) أى للعق الذي اختلف فيه من اختلف (من الحق)
بيان لما وفي ايهامه أقولا وتفسيره ثانياً ما لا يخفى من التفتيح (بأذنه) بأمره أو بتيسيره ولطفه (والله يهدي
من يشاء الى صراط مستقيم) موصل الى الحق وهو اعتراض مقترن بضمون ما سبق (أم حسبتم) خوطب به
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين خالهم على الثبات على المصابة على مخالفة الكفرة وتحمل
المشاق من جهتهم اثرياً ان اختلف الامم على الانبياء عليهم السلام وقديين فيه مآل اختلافهم وما الى الانبياء
ومن معهم من قبلهم من مكابدة الشدائد ومتاساة الهموم وأن عاقبة أمرهم النصر وأما منقطعة والهمزة فيها
للاينكار والاستبعاد أى بل أحسبتم (أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم) من الانبياء
ومن معهم من المؤمنين أى والجمال انه لم يأتكم مثلهم بعد ولم يتلوا بما يتلوا به من الاحوال الهائلة التى هي
مثل في القطاعة والشدّة وهو متوقع ومنظر (مستهم) استئناف وقع جواباً عما ينساق اليه الذهن كأنه
قيل كيف كان مثلهم فقيل مستهم (البأساء) أى الشدّة من الخوف والفاقة (والضراء) أى الا لأم
والأمراض (وزلوا) أى ازبحوا ازعاجاً شديداً بما دهمهم من الاهوال والافزاع (حتى يقول الرسول
والذين آمنوا معه) أى انتهى أمرهم من الشدّة الى حيث اضطّرهم الخبر الى أن يقول الرسول وهو أعلم
الناس بشؤون الله تعالى وأوثقهم بنصره والمؤمنون المقعدون بأسماءه المستضيئون بأنواره (متى) أى متى
يأتى (نصر الله) طلباً وغنىاً واستطالة لمدة الشدّة والغناء وقرئ حتى يقول بالرفع على انه حكاية حال
ماضية وهذا كما ترى غاية الغايات القصصية ونهاية النهايات النائية كيف لا والرسول مع علو كعبهم في الثبات
والاصطبار حيث عيل صبرهم وبلغوا هذا المبلغ من الصبر والنجاة علم أن الامر بلغ الى غاية لا مطنع وراءها
(ألا ان نصر الله قريب) على تقدير القول أى فقل لهم حينئذ ذلك اسمعاً لمرامهم والمراد بالقرب القرب
الزمانى وفى ايشار بالجملة الاسمية على الفعلية المناسبة لما قبلها وتصديرها بحرف التنبيه والتأكيد من الدلالة
على تحقق مفعولها وتقرره ما لا يخفى واختيار حكاية الوعد بالنصر لما فيها من حكم انشاء الوعد لرسول الله صلى
الله عليه وسلم والاقتصار على حكايتها دون حكاية نفس النصر مع تحقته للايذان بعدم الحاجة الى ذلك لاستحالة
الخلق ويجوز أن يكون هذا وارداً من جهته تعالى عند الحكاية على نهج الاعتراض لا وارداً عند وقوع
الحكى وفيه رمز الى أن الوصول الى جناب القدس لا يتسنى الا برض الذات ومكابدة المشاق كما ينشئ عنه
قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات (يسألونك ماذا ينشقون) أى من اصناف
اموالهم (قل ما انفقتم من خير) ما ماضية واما موصولة حذف العائد اليها أى ما انفقتموه من خير
خير كان ففيه تجوز الانفاق من جميع انواع الاموال وبيان لما فى السؤال الا انه جعل من جملة ما فى خير
الشرط أو الصلة وبرز في معرض بيان المصروف حيث قيل (قلوا الدين والاقربين) للايذان بأن الاهم
بيان المصارف المعدودة لان الاعتماد بالانفاق بحسب وقوعه في موقعه وعن ابن عباس رضى الله عنه
انه جاء عمرو بن الجوح وهو شيخهم له مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا تنفق من اموالنا وأين تضعها فنزلت
(واليتامى) أى المحتاجين منهم (والمساكين وابن السبيل) ولم يتعرض للسائلين والرقاب اما اكتفاء
بما ذكر في المواقع الاخرى واما بناء على دخولهم تحت عموم قوله تعالى (وما تفعلوا من خير) فانه شامل لكل
خير واقع فى أى مصرف كان (فان الله به عليم) فيوفى ثوابه وليس في الآية ما يشافيه فرض الزكوة لينسخ
به كيان عن السدى (كتب عليكم القتال) ببناء الفعل للمفعول ورفع القتال أى قتال الكفرة وقرئ
بينائه للفاعل وهو الله عز وجل ونصب القتال وقرئ كتب عليكم القتل أى قتل الكفرة والواو في قوله تعالى
(وهو كره لكم) حاله أى والحال انه مكروه لكم طبعاً على أن الكره مصدر ووصف به المفعول مبالغة أو بمعنى
المفعول كالتجيز بمعنى الخبز وقرئ بالقبح على انه بمعنى المغموم كالضعف والضعف أو على انه بمعنى الاكراه مجاز
كانهم اكرهوا عليه لشدّة كراهتهم له ومشقته عليهم (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) وهو جسيم

ما كلفوه من الامور الشاقة التي من جعلها القتال فان النفوس تكرهه وتنفر عنه والجلة اعتراضية دالة على ان
 في القتال خير الهيم (وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم) وهو جميع ما نهوا عنه من الامور المستلذة وهو
 معطوف على ما قبله لا يحل لهما من الاعراب (والله يعلم) ما هو خير لكم فلذلك يأمركم به (وأنتم لا تعلمون)
 أي لا تعلمونه ولذلك تكرهونه أو والله يعلم ما هو خير وشر لكم وأنتم لا تعلمونهما فلا تتبعهوا في ذلك رأيكم
 وامثلوا بأمره تعالى (يسألونك عن الشهر الحرام) روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن
 جحش على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصدوا عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي
 وثلاثة معه فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا العير بما فيها من تجارة الطائف وكان ذلك أول يوم من رجب وهم
 يظنونونه من جمادى الآخرة فقتلت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام ثم رأيا من فيه الخائف ويذعر فيه
 الناس الى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وعظم ذلك على أصحاب السرية وقالوا ما نبرح
 حتى تنزل فبينما هم ورؤس رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسارى وعن ابن عباس رضي الله عنه لما نزلت
 أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنمة والمعنى يسألك الكفار والمسلمون عن القتال في الشهر الحرام على
 أن قوله عز وجل (قتال فيه) بدل اشتغال من الشهر وتنكيره لما أن سؤا الهيم كان عن مطلق القتال الواقع
 في الشهر الحرام لا عن القتال المعهود ولذلك لم يقل يسألونك عن القتال في الشهر الحرام وقرئ عن قتال فيه
 تنكير العامل كافي قوله تعالى للذين استضعفوا من آمن منهم وقرئ قتل فيه (قل) في جوابهم (قتال فيه
 كبير) جلة من مبتدأ وخبر محلها النصب بقل وانما جاز وقوع قتال مبتدأ مع كونه نكرة لتخصصه اما بالوصف
 ان تعلق الظرف بمحذوف وقع صفة له أي قتال كان فيه واما بالعمل ان تعلق به وانما اوثر التنكير احترازا عن
 توهم التعمين وايدانا بأن المراد مطلق القتال الواقع فيه أي قتال كان عن عطاء انه سئل عن القتال في الشهر
 الحرام فحلف بالله ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام الا أن يسألوا فيه وما نهضت وأكثر
 الاقوال أنهم آمنوا بخوة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (وصدعن سبيل الله) مبتدأ قد
 تخصص بالعمل فيما بعده أي ومنع عن الاسلام الموصل للعبد الى الله تعالى (وكفرين) عطف على صدع
 فيما بعده مثله أي وكفرا بالله تعالى وحيث كان الصدع عن سبيل الله فردا من أفراد الكفر به تعالى لم يقدح العطف
 المذكور في حسن عطف قوله تعالى (والمسجد الحرام) على سبيل الله لانه ليس بأجنبي محض وقيل
 هو أبنائه معطوف على صدق تقدير المضاف أي وصدع المسجد الحرام (واخراج أهله) وهو النبي صلى الله
 عليه وسلم والمؤمنون (منه) أي من المسجد الحرام وهو عطف على وكفر به (أكبر عند الله) خبر للاشياء
 العدودة أي كبار السائلين أكبر عند الله مما عتوا بالسؤال وهو ما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وأنزل
 يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث (والفئنة) أي ما ارتكبوه من الاخراج والشرك وصدع الناس
 عن الاسلام ابتداء وبقاء (أكبر من القتل) أي اقطع من قتل الحضرمي (ولا يزلون يشاؤونكم)
 بيان لاسيما عداوتهم واصرارهم على الفئة في الدين (حتى يردوكم عن دينكم) الحق الى دينهم
 الباطل وازدادة الدين اليهم انذ كبرتا كد ما بينهما من العلاقة الموجبة لامتناع الافتراق (ان استطاعوا)
 اشارة الى تصلبهم في الدين وثبات قدمهم فيه كأنه قيل وأني لهم ذلك (ومن يرتدد منكم عن دينه) تحذير
 من الارتداد أي ومن يفعل ذلك باضلالهم واغوائهم (فيمتد وهو كافر) بأن لم يرجع الى الاسلام وفيه ترغيب
 في الرجوع الى الاسلام بعد الارتداد (فاولئك) اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من
 الارتداد والموت عليه وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعدهم عن الشريعة والفساد والجمع للنظر الى المعنى
 أي اولئك المصرّون على الارتداد الى حين الموت (حبطت اعمالهم) الحسنة التي كانوا يعملوها في حالة
 الاسلام حبطوا لا تلافي له قطعا (في الدنيا والآخرة) بحيث لم يبق لها حاكم من الاحكام الدنيوية
 والاخرية (وأولئك) الموصوفون بما ذكر سابقا ولا حكام القبايح (أصحاب النار) أي ملابسوها
 وملازموها (هم فيها خالدون) كدأب سائر الكفرة (ان الذين آمنوا) نزلت في أصحاب السرية
 لما طعن بهم انهم ان سلوا من الاثم فلا أجر لهم (والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله) كثر الموصول مع أن
 المراد بهما واحدا لتفخيم شأن الهجرة والجهاد فكانت هما مستقلان في تحقيق الرجاء (أولئك) المنعوتون

بالنعوت الجليلة المذكورة (يرجون) بما لهم من مبادئ القوز (رحمة الله) أي ثوابه اثبت لهم الرجاء دون
 القوز بالمرجوة لا يذات بأنهم عالمون بأن العمل غير موجب للأجر وإنما هو على طريق التفضل منه سبحانه
 لا لأن في فوزهم اشتباها (والله غفور) مبالغ في مغفرة ما فرط من عباده خطأ (رحيم) يجوز لهم الأجر
 والثواب والجللة اعتراض محقق لمضمون ما قبلها (يسألونك عن الخمر والميسر) نوردت في شأن الخمر أربع
 آيات نزلت بحكمة ومن ثمرات الخيل والاعتاب تتخذون منه سكرًا ورزقًا حسنًا فطلق المسلمون بشر بونها ثم إن
 عمر ومعاذ ونفر من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين قالوا أقننا يا رسول الله في الخمر فإنها مذهب
 للعقل فنزلت هذه الآية فنشر بها قوم وتر كها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشر بوافسكر وأقام
 أحدهم فقرا أقل يأبى الكافرون أعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى الآية فقتل من يشر بها
 ثم دعا عتيان بن مالك سعد بن أبي وقاص في نفر فلما سكر واتفاخروا وتناشدوا حتى أنشد سعد شعر أفييه هجاء
 الانصار فغضبه انصارى بلحى بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم بين لنا
 في الخمر بينا ناشيا فنزلت انما الخمر والميسر اثم كبير ياتون به فاجتنبوا ولا تأكلوا مما كسبوا بهذه فمات
 وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة منها في بئر فبنت في مكانها منارة لم تؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف
 فبنت فيه الكلا لم أرعه وعن ابن عمر رضي الله عنهما لو أدخلت أصبعي فيها لم تتبعني وهذا هو الايمان والتقي
 حقا رضوان الله تعالى عليهم أجمعين والخمر مصدر خمر أي ستره سمي به من عصر العنب ما غلى واشتد وقذف
 بالزبد لتغطيتها العقل والتمييز فكانها نفس الستركما سميت سكرًا لانها تسكرهما أي تهيجهما والميسر مصدر
 سمي من يسر كالوعد والمرجع يقال يسرته اذا قرنته واشتمتقا اهما من اليسر لانه أخذ المال يسر من غير كد
 وتعب وامان اليسار لانه سلب له وصفته انه كانت لهم عشرة اقداح هي الازلام والاقلام القذ والتوأم
 والرقب والحلس والنافس والمسبل والمعل والمنج والسفيج والوغد اكل منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها
 ويجزئونها عشرة أجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا الثلاثة هي المنج والسفيج والوغد للقدسهم وللتوأم - هـ - مان
 وللرقب ثلاثة وللحلس أربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعل سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة
 ويضعونها على يدي عدل ثم يجلبها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قد حاد حاقن خرج له قدح من ذوات
 الانصاء أخذ النصيب المعين لها ومن خرج له من تلك الثلاثة غرم عن الجزور مع حرمانه وكانوا يدفعون تلك
 الانصاء الى الفقراء ولا يأكلون منها ويخترون بذلك ويذنون من لا يدخل فيه ويسعون البرم وفي حكمه جميع
 انواع القمار من الترد والشطرنج وغيرهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم وهاتين اللعبتين
 المشؤمتين فانهما مياسر العجم وعن علي كرم الله وجهه ان الترد والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شئ
 فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسألونك عن حكمهما وعمما في تعاطيهما (قل فهما اثم كبير) أي
 في تعاطيهما ذلك لما أن الاول مسببة للعقول التي هي قطب الدين والدينام كونه كل منهما مثلثة للاموال
 (ومنافع للناس) من كسب الطرب واللذة ومصاحبة الفتيان وتشجيع الجبان وتقوية الطبيعة وقرئ
 اثم كثيرا بالثلاثة وفي تقديم بيان اثمه ووصفه بالكبر وتأخير ذكر منافعه مع تخصيصها بالناس من الدلالة
 على غلبة الاول ما لا يخفى على ما نطق به قوله تعالى (واثمهما اكبر من نفعهما) أي المفساد المترتبة
 على تعاطيهما اعظم من القوائد المترتبة عليه وقرئ اقرب من نفعهما (ويسألونك ماذا ينفقون) عطف على
 يسألونك عن الخمر الخ عطف القصة على القصة أي أي شئ ينفقونه قيل هو عمرو بن الجوح أيضا سأل أولا
 من أي جنس ينفق من اجناس الاموال فلما بين جواز الانفاق من جميع الاجناس سأل ثانيا من أي
 اصنافها تنفق أمن خيارها ام من غيرها أو سأل عن مقدار ما ينفقه منه فقيل (قل العفو) بالنصب أي
 ينفقون العفو أو انفقوا العفو وقرئ بالرفع على ان ما استفهامية وذاموصولة صلتها ينفقون أي الذي
 ينفقونه العفو قال الواحد أصل العفو في اللغة الزيادة وقال القفال العفو ما سهل ويسر مما فضل من
 الكفاية وهو قول قتادة وعطاء والسدي وكانت الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين يكسبون المال
 ويسكون قدر النفسقة ويتصدقون بالفضل وروى أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم ببضة من ذهب
 أصابها في بعض المغام فقال خذها مني صدقة فأعرض عنه فذكر ذلك مرارا حتى قال عليه السلام

مغضباها تها فآخذها فآخذها عليه خذ فالو أصابته لشجته ثم قال يأتي أحدكم بحاله كله يتصدق به ويجلس
يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى (كذلك) إشارة الى مصدر الفعل الآتى وما فيه من معنى البعد
للايدان بل قد رجح المشار اليه في الفضل مع كمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة والكاف
لتأكيد ما افاده اسم الإشارة من القنطرة وافراد حرف الخطاب مع تعدد مخاطبين باعتبار القبيل أو الفريق
أو لعدم القصد الى تعيين المخاطب كما مر ومحل النص على انه نعت مصدر محذوف أى مثل ذلك البيان الواضح
الذى هو عبارة عما مضى في أجوبة الاسئلة الماترة (بين الله لكم الآيات) الدالة على الاحكام الشرعية
المذكورة لا يبان أدنى منه وقد مر تمام تحقيقه في قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا وتبين الآيات
تزيلها مينة الفحوى واضحة المدلول لانه تعالى يبينها بعد أن كانت مشبهة ملتبسة وصيغة الاستقبال
لاستحضار الضرورة (لعلكم تتفكرون) لى تفكروا فيها وتقفوا على مقاصدها وتعملوا بما فى
تضاعفها وقوله تعالى (في الدنيا والآخرة) متعلق اما يبين أى يبين لكم فيما يتعلق بالدنيا
والآخرة الآيات وما محذوف وقع حالا من الآيات أى يبينها لكم كأنه فيها أى مينة لآحوالكم المتعلقة بهما
وانما قدم عليه التعليل ليزيد الاعتناء بشأن التفكر وما بقوله تعالى تفكروا أى تفكروا في الامور
المتعلقة بالدنيا والآخرة في الاحكام الواردة في اجوبة الاسئلة الماترة فتتفكرون فيها ما يصلح لكم فيها
وتجتنبون عن غيره وهذا التخصيص هو المناسب لمقام تعداد الاحكام الجزئية ويجوز التعميم لجميع الامور
المتعلقة بالدنيا والآخرة فذلك حينئذ إشارة الى ما مر من البيانات كلاً أو بعضها الى مصدر ما بعده فانه حينئذ
فعل مستقل ليس بعبارة عن تلك البيانات والمراد بالآيات غير ما ذكر والمعنى مثل ذلك البيان الوارد في الاجوبة
المذكورة بين الله لكم الآيات والدلائل لعلكم تفكروا في أموركم المتعلقة بالدنيا والآخرة وتأخذون بما يصلح
لكم ويتفكروا فيها وتذكرون ما يضرركم حسبا يقتضيه تلك الآيات المينة (ويسألونك عن النبأ) عطف على
ما قبله من نظيره وروى انه لما نزلت لمن الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما الآية تنحى الناس عن مخالطة اليتامى
وتعهد اموالهم فشق عليهم ذلك فذكروه للنبي صلى الله عليه وسلم فزلت (قل اصلاح لهم خير) أى التعرض
لاحوالهم وأموالهم على طريق اصلاح خیر من مجابتهم اتقاء (وان تخالطوهم) وتعاشرهم على وجه
يتفهمهم (فاخوانكم) أى فهم اخوانكم أى في الدين الذى هو أقوى من العلاقة النسبية ومن حقوق
الاخوة ومواجهتها المخالطة بالاصلاح والنفع وقد حمل المخالطة على المصاهرة (والله يعلم المفسد من المصلح)
العلم بمعنى المعرفة المتعدية الى واحد ومن التعميم معنى التميز أى يعلم من يفسد فى امرهم عند المخالطة أو من
يقصد بمخالطته الخيانة والافساد ميماله عن يصلح فيها أو يقصد اصلاح فيجازى كلامها بعمله فضبه وعد
ووعده لخلان في تقديم المفسد من يزد تهديداً وكيداً للوحييد (ولو شاء الله لاعتنكم) أى لو شاء
ان يعتنكم أى يكلفكم ما يشق عليكم من العنت وهو المشقة لفعل ولم يجوز لكم مداخلتهم (ان الله عزيز)
غالب على امره لا يعز عليه امر من الامور التى من جلتها اعتنائكم فهو تعليل لضمون الشرطية وقوله عز وجل
(حكيم) أى فاعل لافعاله حسبا يقتضيه الحكمة الداعية الى بناء التكليف على اساس الطاقة دليل على
ما يقبده كلمة لو من اتقاء مقدمها (ولا تنكحوا المشركات) أى لا تزوجوهن وقرئ بضم التاء من الانكاح
أى لا تزوجوهن من المسلمين (حتى يؤمنن) والمراد بهن الكايات أيضاً حسبا يقتضيه عموم
التعليلين الاتيين لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما
يشركون فالآية منسوخة بقوله تعالى والمحصنات من الذين اتوا والكتاب من قبلكم وما غير الكايات فهى
ثابتة وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثدين أى مرثد الغنوى الى مكة ليخرج منها ناسا من
المسلمين وكان يهوى امرأة فى الجاهلية اسمها عناق فآتته فقتلتها لا تخلف قال ويحك ان الاسلام حال بيننا
فقتلت هل لك أن تزوجى بي قال نعم ولكن أرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فأستأمره فاستأمره فقتلت
(ولا مة مؤمنة) تعليل للنهي عن مواصلة من ترغيب في مواصلة المؤمنين صدر بلام الابتداء الشبهة بلام
القسم فى افادة التأكيد مبالغة فى الحمل على الزجاء وأصل أمية أم وحذف لامها على غير قياس وعوض
منه تاء التانيث ودليل كون لامها واو ارجوعها فى الجمع قال الكلابة

أما الاماء فلا يدعوننى ولدا * اذا تداعى بين الاموات بالعار

وظهورها في المصدر يقال هي أمة بينة الاموة واقترت بالاموة وقد وقعت مبتدأ لما فيها من لام الابتداء والوصف أى ولامة مؤمنة مع ما بها من خباسة الرق وقلة الخطر (خير) بحسب الدين والدنيا (من مشركة) أى امرأة مشركة مع مالها من شرف الخربة ورفع الشان (ولو أعجبتكم) قدم تر أن كلمة لوفى أمثال هذه المواقع ليست لبيان انتفاء الشئ في الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه مع انسياق المعنى على تقديره بل هي لبيان تحقق ما يفيد الكلام السابق من الحكم على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجال بادخالها على أبعدها منه وأشدّها منافاة له ليظهر بثبوتها مع ما عداها من الاحوال بطريق الاولوية لما أن الشئ متى تحقق مع المناقبة القوي فلان يتحقق مع غيره أولى ولذلك لا يذكر معه شئ من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغيرة لها وهذا معنى قولهم انها لا تستقصا الاحوال على وجه الاجال كأنه قيل لولم تعجبكم ولو أعجبكم والجملة في حيز النصب على الحالية من مشركة اذا المال ولامة مؤمنة خير من امرأة مشركة حال عدم إعجابها وحال إعجابها الياء كم يجمالها ومالها ونسبها وبغير ذلك من مبادئ الإعجاب وموجبات الرغبة فيها أى على كل حال وقد اقتصر على ذكر ما هو أشد منافاة للخبرية تنبيهها على انها حيث تحققت معه فلان تتحقق مع غيره أولى وقيل الواو حالية وليس بواضح وقيل اعتراضية وليس بسديد والحق انها عاطفة مستتبعة لما ذكر من الاعتبار اللطيف نعم يجوز أن تكون الجملة الاولى مع ما عطف عليها مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها قدبر (ولا تسبحوا المشركين) من الانكاح والمراد بهم الكفار على الاطلاق لما ترى لا تزوجوا منهم المؤمنات سواء كن حرائر أو اماء (حتى يؤمنوا) ويتركوا ما هم فيه من الكفر (وابعدهم مؤمن) مع ما به من ذل المملوكية (خير من مشرك) مع ماله من عز المالكية (ولو أعجبكم) بما فيه من دواعي الرغبة فيه الرجعة الى ذاته وصفاته (اولئك) استئناف مقرر لمضمون التعليق السابق أى اولئك المذكورون من المشركات والمشركين (يدعون) من يقارنهم ويعاشرهم (الى النار) أى الى ما يؤدى اليها من الكفر والفسوق فلا بد من الاجتناب عن مقارنتهم ومقاربتهم (والله يدعوا) بواسطة عباده المؤمنين من يقارنهم (الى الجنة والمغفرة) أى الى الاعتقاد الحق والعمل الصالح الموصلين اليهما وتقديم الجنة على المغفرة مع ان حق التولية أن تقدم على التولية لرعاية مقابلة النار ابتداء (بأذنه) متعلق بدعوة أى يدعوهم بسا توفيقه الذى من جلته ارشاد المؤمنين لمقارنتهم الى الخير ونصيحتهم اياهم فهم أحقاء بالمواسلة (ويبين آياته) المشتملة على الاحكام الفاتكة والحكم الرائقة (للناس لعلمهم يتذكرون) أى لى يذكروا ويعملوا بما فيها فيقوزوا بما دعوا اليه من الجنة والفقران هذا وقد قيل معنى والله يدعوا ولياء الله يدعون وهم المؤمنون على حذف المضاف وأقامة المضاف اليه مقامه تشريفا لهم وأنت خير بيان الضمير في المعطوف على الخبر أعنى قوله تعالى ويبين الله تعالى فيلزم التفكيك وقيل معناه والله يدعوا باحكامه المذكورة الى الجنة والمغفرة فانها موصلة لمن عمل بها اليها وهذا وان كان مستند عيا لاتحاد مرجع الضميرين الكائنين في الجملتين المتعاطفتين الواقعتين خبرا للمبتدأ لكن يقوت حينئذ حسن المقابلة بينه وبين قوله تعالى اولئك يدعون الى النار ولعل الطريق الاسلام ما أوضحناه أولا وايراد التذكير ههنا للاشعار بأنه واضح لا يحتاج الى التذكير كما في الاحكام السابقة (ويسألونك عن الحيض) عطف على ما تقدم من مثله ولعل حكاية هذه الاسئلة الثلاثة بالعطف لوقوع الكل عند السؤال عن الخبر وحكاية ما عداها بغير عطف لوقوع كل من ذلك في وقت على حدة والحيض مصدر من حاض المرأة كالجئ والمبيت روى ان أهل الجاهلية كانوا لا يسألون الحيض ولا يؤاكلونهن كدأب اليهود والنصارى واستمر الناس على ذلك الى ان سأل عن ذلك أبو الدحداح في نفر من العصابة رضوان الله عليهم اجمعين فزات (قل هو أذى) أى شئ يستقدر منه ويؤذى من يقربه نفرة منه وكراهة له (فاعتزلوا النساء في الحيض) أى فاجتنبوا مجامعتن في حالة الحيض قبل أخذ المسلمون بظاهر الاعتزال فأخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والسياب قليلة فان أترناهن هلك سائر أهل البيت وان استأثرنا بها هلك الحيض فقال صلى الله عليه وسلم انما أمرتم أن

تعتزلوا مجامعتهم إذا حضن ولم يأمركم بأخراجهم من البيوت ~~كفعل~~ إلا عاجم وقيل إن النصارى كانوا
يجمعونهم ولا يبالون بالحض واليهود كانوا يقرطون في الاعتزال فأمر المسلمون بالاعتصافين الامرين
(ولا تقر بوهن حتى يطهرن) تأكيدهم الحكم الاعتزال وتنبه على أن المراد به عدم قربانهم لعدم القرب منهم
وبيان لغايته وهو انقطاع الدم عند أبي حنيفة رحمه الله فإن كان ذلك في أكثر المدة حل القربان كما انقطع والا
فلا بد من الاغتسال أو من مضى وقت صلاة وعند الشافعي رحمه الله أن يغتسلن بعد الانقطاع كما يقصص عنه
القراء بالتشديد وينبئ عنه قوله عز وجل (فاذا تطهرن) فإن التطهر هو الاغتسال (فأنوهن من حيث أمركم
الله) من المأثي الذي حمله لكم وهو القبل (إن الله يحب المتوابين) مما عسى يندرونهم من ارتكاب بعض
ما نهوا عنه ومن سائر الذنوب (ويحب المتطهرين) المتزهين عن الفواحش والاقذار وفي ذكر التوبة اشعار
بمساس الحاجة إليها بارتكاب بعض الناس لما نهوا عنه وتكرير الفعل لمزيد العناية بآمر التطهر (نساؤكم
حرث انكم) أى مواضع حرث لكم شبهن بـ المايين ما يلقى في أرحامهن وبين البذور من المشابهة من حيث أن
كل منهما مادة لما يحصل منه (فأنوا حرثكم) لما عبر عنن بالحرق عبر عن مجامعتهم بالآتيان وهو بيان أقوله
تعالى فأنوهن من حيث أمركم الله (أنى شئتم) من أى جهة شئتم روى أن اليهود كانوا يزعمون أن من أتى
امرأته في قبلها من دبرها يأتى ولده أحول فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فزلت (وقد موا
لانفسكم) أى ما يدخل لكم من الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل هو التسمية عند المباشرة (واتقوا الله)
بالاجتناب عن معاصيه التي من جللتها ما عدا من الامور (واعلموا انكم ملاقوه) فتعزضوا لتحصيل
ما تنتفعون به حينئذ واجتنبوا اقتراف ما تقتضون به (وبشر المؤمنين) الذين تلقوا ما خوطبوا به من الاوامر
والنواهي بحسن القبول والامتثال بما يقصر عنه البيان من الكرامة والنعيم المقيم أو بكل ما يشر به من
الامور التي تسر بها القلوب وتقر بها العيون وفيه مع ما في تلوين الخطاب وجعل المبرر رسول الله صلى الله
عليه وسلم من المبالغة في تشريف المؤمنين ما لا يحصى (ولا تجعلوا الله عرضة لآيمانكم) قيل نزلت في عبد الله
ابن رواحة حين حلف أن لا يكلم بنته بشر بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته وقيل في الصديق رضى الله عنه
حين حلف أن لا يفتق على مسطح لخوضه في حديث الافك والعرضة فعله بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة تطلق
على ما يعرض دون الشيء فيصير حاجزاً عنه كما يقال فلان عرضة للخير وعلى المعترض للاعرض كما في قوله فلا تجعلوني
عرضة للوائم فالمعنى على الوجه الاول لا تجعلوا الله مانعاً للامور الحسنة التي تحلقون على تركها وعبر عنها بالايمان
للابستهاجها كما في قوله عليه السلام لعبد الله بن سبرة اذا حلفت على عيب فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو
خير وكفر عن عيبك وقوله تعالى (أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس) عطف ببيان لايمانكم أو بدل منها
لما عرفت أنها عبارة عن الامور المحلوف عليها واللام في لايمانكم متعلقة بالفعل أو بعرضة لما فيها من معنى
الاعتراض أى لا تجعلوا الله لبركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس عرضة أى برزخاً حجاباً ان تحلفوا به تعالى على
تركها أو لا تجعلوا الله تعالى عرضة أى شيئاً يعترض الامور المذكورة ويحجزها بما ذكر من الحلف به تعالى على
تركها وقد جوز أن تكون اللام للتعليل ويتعلق أن تبروا الخ بالفعل أو بعرضة فيكون الايمان بعناها
وأنت خير بانه يؤدى الى الفصل بين العامل ومعموله باجتناب وعلى الوجه الثاني لا تجعلوا الله معترضاً لايمانكم
تبدلونه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من نزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين باشنع المذام وجعل الحلاف مقدماً
وأن تبروا حينئذ علة للنهي أى ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف مجترئ على الله سبحانه غير معظم له
فلا يكون بزامتقياً ثقة بين الناس فيكون بمنزل من التوسط في اصلاح ذات البين (والله سمع) يسمع
أيمانكم (عليم) يعلم نياتكم لحافظوا على ما كفوه (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) اللغو ما سقط من
الكلام عن درجة الاعتبار والمراد به في الايمان ما لا يقدم معه ولا قصد كما ينبئ عنه قوله تعالى ولكن يؤاخذكم
بما عقدتم الايمان وهو المعنى بقوله عز وجل (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) وقد اختلف فيه فعندنا هو
أن يحلف على شيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظاهر خلافه فانه لا قصد فيه الى الكذب وعند الشافعي رحمه الله هو
قول العرب لا واقه وبلى واقه مما يؤكدون به كلامهم من غير اخطار الحلف بالبال فالمعنى على الاول لا يؤاخذكم
الله أى لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه أحدكم ظاناً انه صادق فيه ولكن يعاقبكم بما اقترفته قلوبكم من اثم القصد

الى الكذب في اليمين وذلك في الغموس وعلى الثاني لا يلزمكم الكفارة بما لا قصد معه الى اليمين ولكن يلزمكموها
بما نوت فلو بكم وقصدت به اليمين ولم يكن كسب اللسان فقط (والله غفور) حيث لم يؤخذكم بالغومع كونه
ناشئا من عدم التثبت وقلة المبالاة (حليم) حيث لم يجعل بالمؤاخذه والجلالة اعتراض مقر للمضمون قوله تعالى
لا يؤخذكم الخ وفيه ايدان بان المراد بالمؤاخذه المعاقبة لايجاب الكفارة اذ هي التي تعلق بها المغفرة والحلم
دونه (للدين يؤلون من نسائهم) الايلاء الحلف وحقه أن يستعمل به على واستعماله بمن انضمامه معنى البعد أي
الذين يحلفون متباعدين من نسائهم ويحتمل أن يراد لهم من نسائهم (تربص أربعة أشهر) كقولك لي منك
كذا وقرئ آلا من نسائهم وقرئ يقسمون من نسائهم والا يلاء من المرأة أن يقول والله لا أقربك أربعة أشهر
فصاعدا على التقييد بالأشهر أو لا اقربك على الإطلاق ولا يكون فيما دون ذلك وحكمه انه ان فاء اليمين في المدة
بالوطء ان أمكن أو بالقول ان يحضره صح التي وحث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز
وان مضت الأربعة بآت تطليقة والتربص الانتظار والتوقف أضيف الى الطرف اتساعا أي لهم أن ينتظروا
في هذه المدة من غير مطالبة بني أو طلاق (فان فاءوا) أي رجعوا عن اليمين بالحلف والفاء للتفصيل كما اذا قلت
أما نزلكم هذا الشهر فان أحدثكم اقت عندكم الى آخره والالم ألث الأريثما التحول (فان الله غفور رحيم)
يعفو للمولى بيمينته التي هي صكوتيه اثم حننه عند تكفيره أو ما قصد بالا يلاء من ضرار المرأة
(وان عزموا الطلاق) وأجمعوا عليه (فان الله سميع) بما جرى منهم من الطلاق وما يتعلق به من الدمدة
والمقابلة التي لا تخلو عنها الحال عادة (عليم) بنيتهم وفيه من الوعيد على الاصرار وترك القسمة
مالا يخفى (والمطلقات) أي ذوات الاقراء من الحرائر المدخول بهن لما قد بين أن لعدة على غير المدخول بها
وان عدة من لا تحيض لصغر أو كبر أو حمل بالاشهر ووضع الحمل وأن عدة الامة قرءان أو شهران (يتربصن)
خبري معنى الامر مفيد لتأكيد باشعاره بان المأمورية مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى الايمان به فكانت
امثلة بالامر بالتربص فخص به موجودا متحققا وشاؤه على المبتدأ مفيد لزيادة تأكيد (بانفسهن) الباء
للتعدي أي يقمنه ويحملنه على ما لا نشتهيه بل يشق عليهن من التربص وفيه من يدحث لهن على ذلك
ما فيه من الانباء عن الانصاف بما يستكفن منه من كون نفوسهن طواغح الى الرجال فيملهن ذلك على
الاقدام على الايمان بما أمرن به (ثلاثة قروء) نصب على الظرفية أو المفعولية بتقدير مضاف أي
يتربصن مدة ثلاثة قروء أو يتربصن مضي ثلاثة قروء وهو جمع قرء والمراد به الحيض بدليل قوله صلى الله عليه وسلم
دعي الصلاة ايام أقرائك وقوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان وقوله تعالى واللاق
يشسن من الحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدهن ثلاثة اشهر ولان المقصود الاصل من العدة استبراء الرحم
ومداره الحيض دون الطهر ويقال أقرأت المرأة اذا حاضت وقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن معناه مستقبلات
لعدتهن وهي الحيض الثلاث وارجع الكثرة في مقام جمع القلة بطريق الاتساع فان اراد كل من الجمع
مكان الآخر شائع ذائع وقرئ ثلاثة قروء بغير همز (ولايجل لهن ان يكمن ما خلق الله في ارحامهن) من الحيض
والولد استجلا في العدة وابطال الحق الرجعة وفيه دليل على قبول قولهن في ذلك نفيا واثباتا (ان كن
يؤمن بالله واليوم الآخر) جواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله دلالة واضحة أي فلا يجترئن على ذلك فان
قضية الايمان بالله تعالى واليوم الآخر الذي يقع فيه الجزاء والعقوبة منافية له قطعاً (ويعولتن) البعولة
جمع بعل وهو في الاصل السيد المالك والتأنيث الجمع كافي الحزونة والسهولة أو مصدر بتقدير مضاف
أي أهل بعولتن أي أزواجهن الذين طلقوهن طلاقاً رجعياً كما ينبغي عنه التعبير عنهم بالبعولة والضمير لبعض
افراد المطلقات (احق برهن) الى ما حكمهم بالرجعة اليهن (في ذلك) أي في زمان التربص وصيغة
التفضيل لافادة ان الرجل اذا اراد الرجعة والمرأة تأبأها واجب ابشار قوله على قولها لأن لها أيضا
حقا في الرجعة (ان ارادوا) أي الأزواج بالرجعة (اصلاخا) لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا
مضارتهن وليس المراد به شرطية قصد الاصلاح بعهدة الرجعة بل هو الحث عليه والرجوع قصد الضرار
(ولهن) عليهن من الحقوق (مثل الذي) لهم (عليهن بالمعروف) من الحقوق التي يجب مراعاتها
وتحتم المحافظة عليها (وبالرجال عليهن درجة) أي زيادة في الحق لان حقهم في انفسهن وحقهن في المهر

قوله كافي الحزونة الخ في هذا التنبيه
نظر

والكفاف وترك الضرار ونحوها أو مزية في الفضل لما انهم قوامون عليهم حراس لهم ولما في أيديهم
 يشاركون فيها والغرض من الزواج ويستبدون بفضيله الرعاية والانفاق (والله عز وجل) يقدر على
 الانتقام من يخالف أحكامه (حكيم) يتطوى شرائعه على الحكم والمصالح (الطلاق) هو معنى
 التطلق كالسلام بمعنى التسليم والمراد به الرجعي لما ان السابق الاقرب حكمه ولما روى انه عليه السلام سئل
 عن الثالثة فقال عليه السلام أو تسريح بأحدان وهو مبتدأ بتقدير مضاف خبره ما بعده أي عدد الطلاق
 الذي يستحق الزوج فيه الرد والرجعة حيايين أنفعا (مزان) أي اثنان واثنان ما ورد به النظم الكريم عليه
 للايدان بات حتهما ان يقعامة بعد مرة واحدة وان كان حكم الرد ثانيا حينئذ ايضا (فأمسالك) أي فالحكم
 بعدهما أمسالك لهن بالرجعة (معروف) أي بحسن عشرة ولطف معاملة (أو تسريح بأحدان) بالاطالة الثالثة
 كما روى عنه صلى الله عليه وسلم أو بعدم الرجعة الى ان تنقضي العدة فتبين وقيل المراد به الطلاق الشرعي
 وبالمزني مطلق السكر لا التنسية بعينها كما في قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين أي كرتة بعد كرتة والمعنى ان
 التطبيق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع بين الطلقتين أو الثلاث فان ذلك بدعة عندنا فقوله
 تعالى فأمسالك الخ حكم مبتدأ وتخيير مستأنف والفاء فيه لترتيب على التعليم كانه قيل اذا علمت كيفية التطبيق
 فأمركم احد الامرين (ولا يحل لكم ان تأخذوا) منهن بمقابلته الطلاق (مما آتيهوهن) أي من الصدقات
 وتخصيصها بالذكور وان شاركنها في الحكم سائر أمواتهن اما الرعاية العادة أو للتنسية على انه اذا لم يحل لهم
 ان يأخذوا مما آتيهوهن بمقابلته البضع عند خروجه عن ملكهم فلان لا يحل ان يأخذوا مما لا تعلق له بالبضع أولى
 وأخرى (شيئا) أي نزيلا سيرا فضلا عن الكثير وتقديم الظرف عليه لما مر مرارا والخطاب مع الحكام
 واستناد الاخذ والايشاء اليهم لانهم الامررون به ما عند المرافعة وقيل مع الأزواج وما بعده مع الحكام وذلك
 مما يشوش النظم الكريم على القراءة المشهورة (الا ان يخافا) أي الزوجان وقرئ يظنوا وهو مؤيد لتفسير
 الخوف بالظن (ألا يقيما حدود الله) أي ان لا يراعي ما واجب أحكام الزوجية وقرئ يخافا على البناء
 لله فاعول وايدال أن يصلته من الضعيف بدل الاشتغال وقرئ تخافا وتقيما بناء الخطاب (فان خفتم) أي الحكام
 (ان لا يقيما) أي الزوجان (حدود الله) بمشاهدة بعض الامارات واغتيال (فلا جناح عليهما)
 أي على الزوجين (فيما افندت به) لا على الزوج في أخذ ما افندت به ولا عليهما في اعطائه اياه روى ان جميلة بنت
 عبد الله بن أبي بن سلول كانت تبغض زوجها ثبات بن قيس فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لانا
 ولا نأبى لا يجمع رأسي ورأسه شيء والله ما عيب عليه في دين ولا خلق ولكن أكره الكفر في الاسلام ما أطيبته
 بغضا انى رفعت جانب الحياء فرأيت اقبل في عدة فاذا هو أشد هم سوادا وأقصر هم قامة وأقبحهم وجها ففترت
 فاختلعت منه بجدقة كان أصدقها اياها (تلك) أي الاحكام المذكورة (حدود الله فلا تعدوها)
 باختلافه والرفض (ومن تعد حدود الله فأولئك) المتعدون والجمع باعتبار معنى الموصول (هم الظالمون)
 أي لانفسهم ثم تعرب بها السخط الله تعالى وعقابه ووضع الاسم الخليل في المواقع الثلاثة الاخيرة موقع الضمير
 لريبة المهابة وادخال الروعة وتعقيب النهي بالوعيد للمبالغة في التهديد (فان طلقها) أي بعد الطلقتين
 السابقتين (فلا تحل) هي (له من بعد) أي من بعد هذا الطلاق (حتى تسلم زوجها غيره) أي حتى
 تتزوج غيره فان النكاح أيضا يستند الى كل منهما وتعاقد بظاهره من اقتصر على العقد والجمهور على اشتراط
 الاصابة لما روى ان امرأة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقني فبت طلاق وان عبد
 الرحمن ابن الزبير تزوجني وان مامعه مثل هدية النوب فقال صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة
 قالت نعم قال صلى الله عليه وسلم لا الا ان تدوقي عسيلته ويدوقي من عسيلتك وبمثل تجوز الزيادة على الكتاب
 وقيل النكاح بمعنى الوطء والعقد مستفاد من لفظ الزوج والحكمة من هذا التشريع الردع عن المسارعة الى
 الطلاق والعود الى المطلقة ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل مكروه عندنا ويرى عدم الكراهة فيها
 لم يكن الشرط مصرح به وفاسد عند اكثرين لقوله صلى الله عليه وسلم لعن الله المحلل والمحلل له (فان طلقها)
 أي الزوج الثاني (فلا جناح عليهما) أي على الزوج الاقل والمرأة (أن يتراجعا) أن يرجع كل منهما الى
 الآخر بالعقد (ان طلقا ان يقيما حدود الله) التي أوجب مراعاتها على الزوجين من الحقوق ولاوجه

لتفسير الظن بالعلم لما ان العواقب غير معلومة ولان أن الناصبة لتوقع المناسق للعلم ولذلك لا يكاد يقال علمت
 ان يقوم زيد (وتلك) اشارة الى الاحكام المذكورة الى هنا (حدود الله) أي احكامه المعينة المحمية
 من التعرض لها بالتغيير والمخالفة (بينها) بهذا البيان اللائق أو سببها في سبب أي بناء على ان بعضها
 يلحقه زيادة كشف وبيان بالكتاب والسنة والجملة خبر ثان عند من يجوز كونه جملة كما في قوله تعالى فاذا
 هي حية تسمى أو سال من حدود الله والعامل معنى الاشارة (لقوم يعاون) أي يسهلون وتخصيصهم بالذكر
 مع عموم الدعوة والتبليغ لما انهم المتفعون بالبيان أولان ما سيجلي بعض النصوص من البيان لا يقف
 عليه الا الرايخون في العلم (واذا اطلقتم النساء فبلغن اجلهن) أي آخر عقدهن فان الاجل كما ينطلق على
 المدة ينطلق على منتهىها والبلوغ هو الوصول الى الشيء وقد يقال لاندقومتها انساها وهو المراد ههنا لقوله
 عز وجل (فأمسكوهن معروف أو سرحوهن معروف) اذا لمكان للمسا لم بعد تحقيق بلوغ الاجل أي
 فراجعوهن بغير ضرار أو خلوهن حتى يتقضى اجلهن باحسان من غير تطويل وهذا كما ترى اعادة للحكم
 في بعض صورته اعتناء بشأنه ومبالغة في ايجاب المحافظة عليه (ولا تمسكوهن ضرارا) تأكيده للامر
 بالامسك المعروف ونوضيح لاعتناء وزجر صريح عما كانوا يتعاطونه أي لاتراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان
 المطلق يترك المعتدة حتى اذا اشارت انقضاء الاجل راجعها الى الرغبة فيهابل يطول عليها العدة فهي عنه بعد
 ما امر بضده لما ذكر وضراا نصب على العلية أو الحالبة أي لا تمسكوهن المضادة أو مضارين واللام في قوله
 (لتمسكوهن) متعلقة بضرارا أي لتظلوهن بالابطال الى الافتداء (ومن يفعل ذلك) أي ما ذكر من الامساك
 المؤدى الى الظلم وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلته في الشر والفساد (فقد ظلم نفسه) في ضمن ظلمه
 لهن تعريض للعقاب (ولا تتخذوا آيات الله المنطوية على الاحكام المذكورة أو جميع آياته وهي داخله
 فيها دخول اوليا (هزا) أي مهورا بها يات تعرضوا عنها وتوافي المحافظة على ما في نضاعتها من
 الاحكام والحدود من قولهم لم يمسح في الامر أنت هازي كأنه نهى عن الهزؤ بها وأريد ما يستلزمه من
 الامر بضده أي جده وانما لا تخذبهوا العمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والافتداء أخذتموها هزا ولعبا
 ويجوز أن يراد به النهي عن الامساك لشرار افان الرجعة بالرغبة فيها عمل بموجب آيات الله تعالى بحسب الظاهر
 دون الحقيقة وهو معنى الهزو وقيل كان الرجل ينكح وبطاني ويعتق ثم يقول انما كنت ألعيب فتركت ولذلك
 قال صلى الله عليه وسلم ثلاث جدو هن جدو هن جدو هن جدو النكاح والطلاق والعناق (واذ كروا نعمة الله عليكم)
 حيث هذا كم الى ما فيه سعادتكم الدينية والدنيوية أي قابلوها بالشكر والقيام بحقوقها والظرف متعاني
 بمحذوف وقع حالا من نعمة الله أي كأنه عليكم أو صفة لها على رأي من يجوز حذف الموصول مع بعض
 صلته أي الكائنات عليكم ويجوز أن يتعلق بنفسها ان أريد بها الانعام لانها اسم مصدر كنبات من أنبت ولا يقدح
 في عمله تأنيث لأنه مبني عليها كما في قوله فلولو لرجاء النصر منك ورهبة * عتبا لك قد كانوا النساء كالموارد
 (وما انزل عليكم) عطف على نعمة الله وما موصول حذف عائد هان من الصلة ومن في قوله عز وجل (من
 الكتاب والحكمة) بيانية أي من القرآن والسنة أو القرآن الجامع للعنوانين على ان العطف لتغاير الوصفين
 كما في قوله * الى الملك القرم وابن الهمام * وفي ابهامه أو لاثم بيانه من التضمين ما لا يخفى وفي افراده بالذكر مع
 كونه اول ما دخل في النعمة المأمور به كرها بابانة بخطر ومبالغة في البعث على مراعاة ما ذكر قبله من الاحكام
 (يعظكم به) أي بما انزل حال من فاعل انزل أو من مفعوله أو متعامعا (واتقوا الله) في شأن المحافظة
 عليه والقيام بحقوقه الواجبة (واعلموا ان الله بكل شيء عليم) فلا يخفى عليه شيء مما تاتون وما تذكرون
 فيواخذكم بأفانين العقاب (واذا اطلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تضلوهن) بيان لحكم ما كانوا
 يفعلونه عند بلوغ الاجل حقيقة بعد بيان حكم ما كانوا يفعلونه عند الماشافرة اليه والعضل الحبس والتضييق
 وخنه عضلت الحاجة اذا تشبب بينها ولم يخرج والمراد المنع والخطاب اما للاولياء لما روى انها نزلت في معقل
 ابن بسار حين عضل أخته جلا ان ترجع الى زوجها الاول بالنكاح وقيل نزلت في جابر بن عبد الله حين عضل
 ابنة عمه واستناد التطبيق اليهم لتسليمهم فيه كما نبى عنه تصديقهم للعضل والتعرض لبلوغ الاجل مع جواز
 التزوج بالزوج الاول قبله أيضا لوقوع العضل المذكور حينئذ وليس فيه دلالة على ان ليس للمرأة ان تزوج

قوله جلا يضم الجيم وقيل اجملها
 جمل بالتصغير كما في نسخة أه زكريا
 على البيضاء

نفسها والامسا احتج الى نهى الاولياء عن العضل لما ان النهى لدفع الضرر عنهن فانهن وان قدرن على تزويج
انفسهن لكنهن يحتزن عن ذلك مخافة اللوم والقطيعة واما للازواج حيث كانوا يعضلون مطلقا ثم
ولا يدعونهن يتزوجن ظلما وقسر الحجة المأهلية واما للناس كافة فان اسناد ما فعله واحد منهم الى الجميع
شائع مستفيض والمعنى اذا وجد فيكم طلاق فلا يقع فيما بينكم عضل سواء كان ذلك من قبل الاولياء أو من
جهة الازواج أو من غيرهم وفيه تنويل لامر العضل وتحذير منه وايدان بان وقوع ذلك بين ظهرانيهم وهم
ساكنون عنه بمنزلة صدوره عن الكل في استتباع اللائحة وسراية الغائلة (أن ينكح) أى من ان ينكح
فعله النصب عند سيوييه والقراء والجزء عند الخليل على الخلاف المشهور وقيل هو بدل اشتغال من الضمير
المنصوب في تعذرهن وفيه دلالة على صحة النكاح بعبارةهن (ازواجهن) ان أريد بهن المطلقات فالزوجة
اما باعتبار ما كان واما باعتبار ما يكون والافعال اعتبارا لا خيرا (اذ تراضوا) ظرف للانعضوا وصيغة
التذكير باعتبار تغليب الخطاب على النساء والتقييده لانه المعتاد لا يجوز المنع قبل تمام التراضي وقيل ظرف
لان ينكح وقوله تعالى (بينهم) ظرف للتراضي مفيد لسوخته واستحكامه (بالمعروف) الجليل عند
الشرع المستحسن عند الناس والباء اما متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل تراضوا أو نعتا لمصدر محذوف
أى تراضيا كالنا بالمعروف واما بتراضوا أى تراضوا بما يحسن في الدين والمروءة وفيه اشعار بان المنع من
التزوج بغير كفؤ أو بمادون مهر المثل ليس من باب العضل (ذلك) اشارة الى ما فصل من الاحكام وما فيه
من معنى البعد لتعظيم المشار اليه والخطاب لجميع المكافين كما فيما بعده والتوحيد اما باعتبار كل واحد منهم
واما بتأويل القبيل والفرق واما لان ~~الصلوات~~ لجزء الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضى دون تعيين
المخاطبين أو للرسول صلى الله عليه وسلم كافي قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء للدلالة على ان
حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يعرفه كل احد (يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) فيدفع
الى الامتنان بأوامره ونواهيه اجلال له وخوفا من عقابه وقوله تعالى منكم اما متعلق بكان عند من يجوز
عملها في الظروف وشبهها واما بمحذوف وقع حالا من فاعل يؤمن أى كان منكم (ذلكم) أى الاتعاض
به والعمل بعقضاء (ازكى لكم) أى ائني وأنفع (وأطهر) من أدناس الآثام وأوضار الذنوب (والله
يعلم) ما فيه من الزكاء والطهر (وانتم لا تعلمون) ذلك أو والله يعلم ما فيه صلاح أموركم من الاحكام
والشرائع التي من جملتها ما بينه ههنا وانتم لا تعلمونها فده عوارأ بكم وامتلوا بأمره تعالى ونهيه في كل ما تأنون
وماتذرون (والوالدات يرضعن اولادهن) شروع في بيان الاحكام المتعلقة بأولادهن خصوصا واشتراكا
وهو أمر أخرج مخزج الخبر بمسألة في الحل على تحقيق منمونه ومعناه التذب أو الوجوب ان خص بمادة
عدم قبول الصبي ثدى الغير أو فقدان الطئر أو عجز الوالد عن الاستجار والتعبير عنهن بالعنوان المذكور
لهن عطفهن نحو أولادهن والحكم عام للمطلقات وغيرهن وقيل خاص بهن اذ الكلام فيهن (حولين كاملين)
التأكيد بصفة الكمال لبيان ان التقدير تحقيق لا تقريبي مبني على المسامحة المعتادة (لمن اراد أن يتم
الرضاعة) بيان لمن يتوجه اليه الحكم أى ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة وفيه دلالة على جواز النقص
وقيل اللام متعلقة بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له كما يقال أرضعت فلانة لفلان
ولده (وعلى المولود له) أى الوالدان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقضى
لوجوب الارضاع ومؤنه المرضعة عليه (رزقهن وكسوتهن) أجرة لهن واختلف في استجار الام وهو
غير جائز عندنا مادامت في النكاح أو العدة جائز عند الشافعي رحمه الله (بالمعروف) حسبا بما رآه الحاكم وبني به
وسعه (لا تكلف نفس الا وسعها) تعليل لا يجب المؤن بالمعروف أو تفسير للمعروف وهو نص على انه تعالى
لا يكلف العبد ما لا يطيقه وذلك لا ينافي مكانه (لا تضار ولادة بولدها ولا مولود له بولده) تفصيل لما قبله
وتقريره أى لا يكلف كل واحد منهم ما لا يطاقه ولا يضار به بسبب ولده وتقرى لا تضار بالرفع بدلا من
لا تكلف وأصله على القراءتين لا تضار بالكسر على البناء للفاعل وبالفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول
يجوز أن يكون بمعنى تضار والباء من ههنا أى لا يضار الوالدان بالولد فيقرط في تعهده ويقصر فيما ينبغي له وتقرى
لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبمع التخصيف على انه من ضار به يضربه واطافة الولد الى كل

منهما الاستعطاء فهما اليه وللتنبية على انه جدير بان يتفقا على استصلاحه ولا ينبغي أن يضربا به أو يتضارا بسببه
(وعلى الوارث مثل ذلك) عطف على قوله تعالى وعلى المولود له رزقهن الخ وما بينهما تعليل أو تفسير معترض
والمراد به وارث الصبي من كان ذارحم محرم منه وقيل عصبته وقال الشافعي رح هو وارث الاب وهو الصبي أي
ثمان المرضعة من ماله عند موت الاب ولا نزاع فيه وإنما الكلام فيما إذا لم يكن للصبي مال وقيل الباقي من الابوين
من قوله عليه الصلاة والسلام واجعله الوارث متنا وذلك إشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة (فان
ارادا) أي الوالدان (فصلا) أي قطا ما عن الرضاع قبل تمام الحولين والتسكير لا إذا كان يائه فصلا غير معتاد
(عن تراض) متعلق بمحذوف ينساق اليه الذهن أي صادرا عن تراض (منهما) أي من الوالدين لا من أحدهما
فقط لاحتمال اقدامه على ما يضرب بالولدين مثل المرأة الارضاع ويخلف الاب باعطاء الابرة (وتشاور) في شأن
الولد وتفحص عن أحواله واجماع منهما على استحقاته للقطام والتشاور من المشورة وهي استخراج الرأي من
شرت العسل اذا استخراجته وتنكيرهما للتفخيم (فلا جناح عليهما) في ذلك لما ان تراضيهما انما يكون بعد استقرار
رأيهما أو اجتهادهما على ان صلاح الولد في القطام وقليلا يتفقان على الخطأ (وان اردتم) بيان لحكم عدم
اتفاقهما على القطام والالتفات الى خطاب الآباء لهم في الامتنان بما أمروا به (ان تسترضعوا اولادكم)
يحذف المفعول الاول استغناء عنه أي ان تسترضعوا المراضع لاولادكم يقال أرضعت المرأة الصبي واسترضعها
ايه وقيل انما يعتدى الى الثاني بحرف الجز يقال استرضعت المرأة للصبي أي ان تسترضعوا المراضع لاولادكم
تحذف حرف الجز أيضا كما في قوله تعالى واذا كالوهم أي كالواهم (فلا جناح عليكم) أي في الاسترضاع
وفيه دلالة على ان للاب ان يسترضع للولد ويمنع الآم من الارضاع (اذا سلمتم) أي الى المراضع (ما آتيتهم)
أي ما اردتم آتياءه كما في قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وقرئ ما آتيتهم من أي اليه احسانا فاذا فعله
وقرئ ما آتيتهم أي من جهة الله عز وجل كما في قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وفيه من زيد
بعث لهم الى التسليم (بالمعروف) متعلق بسلتم أي بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف
لدلالة المذكور عليه وليس التسليم بشرط للصحة والجواز بل هو ندب الى ما هو الا ليق والاولى فان المراضع اذا
اعطين ما قدر لهن نأجرا اذا كان ذلك أدخل في استصلاح شؤون الاطفال (واتقوا الله) في شأن مراعاة
الاحكام المذكورة (واعلموا ان الله بما تعملون بصير) فيجازيكم بذلك واظهار الاسم الجليل في موضع
الاضمار لترتبة المهابة وفيه من الوعيد والتهديد ما لا يخفى (والذين) على حذف المضاف أي وأزواج الذين
(يتوفون منكم) أي يقبض أرواحهم بالموت فان التوفى هو القبض يقال توفيت مالى من فلان واستوفيته
منه أي أخذته وقبضته والخطاب لكافة الناس بطريق التلوين (ويذرون أزواجا يتربصن بانفسهن أربعة
اشهر وعشرا) أو على حذف العائد الى المبتدا في الخبر أي يتربصن بعدهم كما في قولهم السمن منوان بدرهم
أي منوان منه وقرئ يتوفون بفتح الياء أي يستوفون آجالهم وتأنيت العشر باعتبار الليالي لانها أغرر الشهور
والايام ولذلك تراهم لا يكادون يستعملون التذكير في مثله أصلا حتى انهم يقولون صمت عشرا ومن البين
في ذلك قوله تعالى ان لبنتم الاعشر ان لبنتم الايام ولعل الحكمة في هذا التقدير ان الجنين اذا كان ذكرا يتحرك
غاليا ثلاثة أشهر وان كان أنثى يتحرك لاربعة فاعتبرا قصي الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف
الحركة فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضى تساوى المسئلة والكناية والحرة والامة في هذا الحكم ولكن القياس
اقتضى التخصيص في الامة وقوله عز وجل وأولات الاسمال خص الحامل منه وعن علي وابن عباس رضى الله
عنه انهما اعتدبا بعد الاجلين احتياطا (فاذا بلغن اجلهن) أي انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم) أيها الاحكام
والمسلمون جميعا (فما فعلن في انفسهن) من التزين والتعرض للخطاب وسائر ما حرم على المعتدة (بالمعروف)
بالوجه الذي لا ينكره الشرع وفيه إشارة الى انهن لو فعلن ما ينكره الشرع فعليه أن يكفوهن عن ذلك والافعليهم
الجناح (والله بما تعملون خبير) فلا تعملوا خلاف ما أمرتم به (ولا جناح عليكم) خطاب للكل (فما
عرضتم به) التعريض والتلوين ابهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتكم لا سلم
عليك وأصله امالة الكلام عن نهجه الى عرض منه أي جانب والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه
ورواقه كقولك طويل النجاد للتويل وكثير الرماذ للمضياف (من خطبة النساء) الخطبة بالكسر كالقعدة

والجلسة ما يفعله الخاطب من الطلب والاستلطاف بالقول والفعل فليل هي مأخوذة من الخطب أي الشأن الذي له خطر لما انتهائشأن من الشؤون ونوع من الخطوب وقيل من الخطاب لأنها نوع مخاطبة تجري بين جانب الرجل وجانب المرأة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة والتعريض لخطبتهم ان يقول لهما انك بجملة أو صالحة أو نافعة ومن غرضي ان اترؤج ونحو ذلك مما يؤهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصح بالنكاح (أو اكنتم في انفسكم) أي انتم تم في قلوبكم فلم تذكروه نصريحاً ولا تعريضاً (علم الله انكم ستذكروهن) ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن اظهار الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ لهم على قلة التثبت (ولكن لا تواعدوهن سرا) استدرال عن محذوف دل عليه ستذكروهن أي فاذا كروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحاً بل اكتفوا بما يخص لكم من التعريض والتعريض عن النكاح بالسر لا تسببه الذي هو الوطء مما يسر به وايناره على اسمه لا يذ ان يثبه مما ينبغي ان يسر به ويكنم وحله على الوطء وبما يؤهم الرخصة في المخطور الذي هو التصريح بالنكاح وقيل انتصاب سراً على الظرفية أي لا تواعدوهن في السر على ان المراد بذلك المواعدة بما يستحب وفيه ما فيه (الا ان تقولوا قولا معروفاً) استثناء مفرغ مما يدل عليه النهي أي لا تواعدوهن مواعدة ما الامواعدة معروفة غير منكورة شرعاً وهي ما يكون بطريق التعريض والتلويح أو الامواعدة بقول معروف أو لا تواعدوهن بشئ من الاشياء الا بان تقولوا قولا معروفاً وقيل هو استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى جعل التعريض موعوداً وليس كذلك (ولا تعزموا عقدة النكاح) من عزم الامر اذا قصده قصد ايجاز ما وحيث قد انقطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروى لمن لم يبيت الصيام والنهي عنه للمبالغة في النهي عن مباشرة عقد النكاح أي لا تعزموا عقدة النكاح (حتى يبلغ الكتاب اجله) أي العدة المكتوبة المفروضة آخرها وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح أي لا تبرموها ولا تلزموها ولا تقدموا عليها فيكون نهيها عن نفس الفعل لا عن قصده (واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم) من ذوات الصدور التي من جملتها العزم على ما نهيتهم عنه (فاحذروه) بالاجتناب عن العزم ابتداءً أو اقلا عا عنه بعد تحققه (واعلموا ان الله غفور) يغفر لمن يقطع عن عزمه خشية منه تعالى (حليم) لا يعاجلكم بالعقوبة فلا تستدلوا بتأخيرها على ان ما نهيتهم عنه من العزم ليس بما يستتبع المؤاخظة واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لادئال الروعة (لاجتناح عليكم) أي لا تبعه من مهر وهو الاظهار وقيل من وزر اذا لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه جناساً فنفى ذلك (ان طلقتم النساء ما لم يمسوهن) أي ما لم يجامعهن وقرئ فتماسوهن بنسب النساء في جميع المواقع أي مدة عدم مساسكم اياهن على ان ما مصدرية ظرفية بتقدير المضاعف ونقل أبو البقاء انها شرطية بمعنى ان تكون من باب اعتراض الشرط على الشرط فيكون الثاني قيداً للاول كما في قولك ان تأتني ان تحسن الى اكرمك أي ان تأتني بحسناً الى والمعنى ان تطلقوهن غير ماسين لهن وهذا المعنى اقدم من الاول لما ان ما الظرفية انما يحسن موقعها فيما اذا كان المظروف أمراً ممتداً منطبقاً على ما أضيف اليها من المدة والزمان كما في قوله تعالى خالدين فيها مادامت السموات والارض وقوله تعالى وكنت عليهم شهيداً مادامت فيهم ولا يخفى ان التطبيق ليس كذلك وتعلق الظرف بنبي الجناح رجماؤهم امكان المسيس بعد الطلاق فالوجه ان يقتدر الحال مكان الزمان والمدة (أو تفرضوا لهن فريضة) أي الا ان تفرضوا لهن أو حتى تفرضوا لهن عند العقد مهر أعلى ان فريضة فعيلة بمعنى مفعول والنساء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية واتصافه على المفعولية ويجوز أن يكون مصدراً صيغة واعراباً والمعنى انه لا تبعه على المطلق بما لية المهر أصلاً اذا كان الطلاق قبل المسيس على كل حال الا في حال تسمية المهر فان عليه حينئذ نصف المسيس وفي حال عدم تسميته عليه المتعة لانصف مهر المثل رأماً اذا كان بعد المساس فعليه في صورة التسمية تمام المسيس وفي صورة عدمها تمام مهر المثل وقيل كلمة أو عاطفة لدخولها على ما قبلها من الفعل المجزوم على معنى ما لم يكن منكم مسيس ولا فرض مهر (ومتعوهن) عطف على مقدّر ينسحب عليه الكلام أي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبراً يحاش الطلاق وهي درع وملطفة وخيار على حسب الحال كما يشفع عنه قوله تعالى (على الموسع قدره وعلى المقتر قدره) أي ما يليق بحال كل منهما وقرئ بسكون الدال وهي جملة

مستأنفة لا محل لها من الاعراب مينة لمقدار المتعة بالنظر الى حال المطلق ايساروا واقتارا أو حال من فاعل
متعوهن بجذف الرابط أى على الموسع منكم الخ أو على جعل الالف واللام عوضا من المضاف اليه عند من
يجوزها أى على موسعكم الخ وهذا اذا لم يكن مهر مثلها أقل من ذلك فان كان أقل فلها الاقل من نصف مهر
المثل ومن المتعة ولا ينقص عن خمسة دراهم (متاعا) أى تميعا (بالمعروف) أى بالوجه الذى تستحبونه
الشريعة والمروءة (حقا) صفة لمتاعا أو مصدر مؤكد أى حق ذلك حقا (على المحسنين) أى الذين
يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال أو الى المطلقات بالتسرع بالمعروف وانما سموا محسنين اعتبارا
للمشاركة وترغيبا وتحريضا (وان طلقتوهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن) قبل ذلك (فريضة)
أى وان طلقتوهن من قبل المسيس حال كونكم سمين لهن فياسبق اى عند النكاح مهر اعلى ان الجملة حال
من فاعل طلقتوهن ويجوز ان يكون حالا من مفعوله لتحقيق الرابط بالنسبة اليهما ونفس الفرض من المبنى
للفاعل أو للمفعول وان لم يقارن حالة التطلق لكن اتصاف المطلق بالفرضية فياسبق مما لا ريب فى مقارنته
لها وكذا الحال فى اتصاف المطلقة بكونها مفروضا لها فياسبق (قنصف ما فرضتم) أى فلهن نصف
ما سميت لهن من المهر أو فالواجب عليكم ذلك وهذا صريح فى ان المنى فى الصورة السابقة انما هو تبعه المهر
وقرى بالنصب اى فأدوا نصف ما فرضتم ولعل تأخير حكم التسمية مع انها الاصل فى العقد والاكثر فى الوقوع
لما ان الآية الكريمة تزوج امرأتى من بنى حنيفة وكانت مفوضة فطلقتها قبل الدخول بها
فتخا صما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام عند اظهار أن لا شئ له متعها بقلنسوتك
(الا ان يعفون) استثناء مفترغ من أعم الاحوال أى فلهن نصف المفروض معينا فى كل حال الاحال عفوهم
فانه يخط ذلك حيث بعد وجوبه وظاهر الصيغة فى نفسها يحتمل التذكير والتأنيث وانما الفرق فى الاعتبار
والتحقيق فان الواو فى الاولى ضمير والنون علامة الرفع وفى الثانية لام الفعل والنون ضمير والفعل مبنى ولذلك
لم يؤثر فيه أن تأثيره فيما عطف على محله من قوله تعالى (او يعفو) بالنصب وقرئ بسكون الواو (الذى
ييده عقد النكاح) أى يترك الزوج المالك لعقده وحله ما يعود اليه من نصف المهر الذى ساقه اليها ككلا
على ما هو المعتاد تكرر ما فان ترك حقه عليها عفو بلا شبهة أو سعى ذلك عفو فى صورة عدم السوق مشاكلة
أو تغليب الحال السوق على حال عدمه فراجع الاستثناء حينئذ الى منع الزيادة فى المستثنى منه كانه فى الصورة
الاولى الى منع النقصان فيه أى فلهن هذا القدر بلا زيادة ولا نقصان فى جميع الاحوال الا فى حال عفوهم
فانه حينئذ لا يكون لهن القدر المذكور بل ينتفى ذلك أو يخط أو فى حال عفو الزوج فانه حينئذ يكون
لهن الزيادة على ذلك القدر هذا على التفسير الاول وأما على التفسير الثانى فلا بد من المصير الى جعل الاستثناء
منقطعاً لان فى صورة عفو الزوج لا يتصور الوجوب عليه هذا عندنا وفى القول القديم للشافعى رحمه الله ان المراد
عفو الواو الذى يده عقد نكاح الصغيرة وهو ظاهر المأخذ خلا ان الاول أنسب بقوله تعالى (وان تعفوا
أقرب للتقوى) الى آخره فان اسقاط حق الصغيرة ليس فى شئ من التقوى وعن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة
وطلقها قبل الدخول وأكمل لها الصداق وقال انا أحق بالعفو وقرئ بالياء (ولا تنسوا الفضل بينكم) أى
لا تتركوا ان يتفضل بفضلكم على بعض كائن منكم المنسى وقرئ بكسر الواو والخطاب فى الفعلين للرجال والنساء
جميعا بطريق التغليب (ان الله بما تعملون بصير) فلا يكاد يضيع ما علمتم من الفضل والاحسان (حافظوا
على الصلوات) اى داوموا على أدائها لاوقات من غير اخلال بشئ منها كما ينبئ عنه صيغة المفاعلة المقيدة
للمبالغة ولعل الامر بهما فى تضايف بيان أحكام الأزواج والاولاد قبل الاقامة للايدان بأنها حقيقة بكل
الاعتناء بشأنها والمناجزة عليهم من غير اشتغال عنها بشأنهم بل بشأن انفسهم أيضا كما يفصح عنه الامر بهما فى
حالة الخوف ولذلك أمر بهما فى خلال بيان ما يتعلق بهن من الاحكام الشرعية المتشابهة الاخذ بعضها بحجزة
بعض (والصلوة الوسطى) أى المتوسطة بينها أو الفضلى منها وهى صلاة العصر لقوله صلى الله عليه وسلم يوم
الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملا الله تعالى بيوتهم نارا وقال عليه السلام انها الصلاة
التي شغل عنها سليمان بن داود عليها الصلاة والسلام وفضلها لكثرة اشتغال الناس فى وقتها بتجارعتهم ومكاسبتهم
واجتماع ملائكة الليل وملائكة النهار حينئذ وقيل هى صلاة الظهر لانها فى وسط النهار وكانت أشق الصلوات

عليهم لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلها بالهاجرة فكانت أفضلها القول عليه السلام أفضل
العبادات اجزها وقيل هي صلاة الفجر لانها بين صلاتي الليل والنهار والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها
مشهودة كصلاة العصر وقيل هي صلاة المغرب لانها متوسطة من حيث العدد ومن حيث الوقوع بين صلاتي
النهار والليل ووتر النهار ولا تنقص في السفر وقيل هي صلاة العشاء لانها بين الجهرتين الواقتين في طرفي الليل
وعن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما انه عليه السلام كان يقرأ الصلاة الوسطى وصلاة العصر فتكون حينئذ
احدى الاربع قد خست بالذ كرمع العصر لا تفرادها بالفضل وقرئ وعلى الصلاة الوسطى وقرئ بالنصب على
المدح وقرئ الوسطى (وقوموا لله) أى في الصلاة (فائتين) ذاكرين له تعالى في القيام لان القنوت هو الذكر فيه
وقيل هو اكمال الطاعة وانماها بغير اخلال بشئ من أركانها وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت
في الصبح (فان خستم) أى من عدوا وغيره (فربالا) جمع راجل كقيام وقائم أو راجل بمعنى راجل وقرئ بنهم
الرامع التخفيف وبينهما مع التشديد أيضا وقرئ فرجلا أى راجلا (أو ركانا) جمع راكب أى فصلوا راجلين
أو راكبين حسبما يقتضيه الحال ولا تخلوا بها ما يمكن الوقوف في الجملة وقد جوز الشافعي رحمه الله أداها
حال المسابقة أيضا (فاذا أمنتم) بزوال الخوف (فاذا كروا لله) أى فصلوا صلاة الامن عبر عنها بالذكر
لانه معظم أركانها (كما علمكم) متعلق بمحذوف وقع مصدرا مصدر محذوف أى ذكرنا كما علمكم أى
كتعليمه اياكم (ما لم تكونوا تعلمون) من كيفية الصلاة والمراد بالتشبيه ان تكون الصلاة المؤداة موافقة
لما علمه الله تعالى واراها بذلك العنوان لتذكير النعمة أو اشكروا الله تعالى شكرا يوازي تعليمه اياكم
ما لم تكونوا تعلمونه من الشرائع والاحكام التي من جعلتها كيفية اقامة الصلاة حاكي الخوف والامن
هذا وفي اراد الشرطية الاولى بكلمة ان المقيدة لمشكوكية وقوع الخوف وندرنه وتصدير الشرطية الثانية
بكلمة اذا المنبثقة عن تحقق وقوع الامن وكثرته مع الايجاز في جواب الاولى والاطناب في جواب الثانية
المبين على تنزيل مقام وقوع المأمور به فيها منزلة مقام وقوع الامر تنزيلا مستديلا لاجراء مقتضى المقام
الاول في كل منهما مجرى مقتضى المقام الثاني من الجزالة ولطف الاعتبار ما فيه عبرة لاولى الابصار (والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا) عودا الى بيان كيفية الاحكام المفصلة فيما سلف اثر بيان احكام وسط
بينهما لما اشير اليه من الحكمة الداعية الى ذلك (وصية لازواجهم) أى يوصون أو يوصوا أو كتب الله
عليهم وصية ويؤيد هذا قراءة من قرأ كتب عليكم الوصية لازواجهم وقرئ بالرفع على تقدير مضاف
في المبتدأ أو الخبر أى حكم الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم أو الذين يتوفون أهل
وصية لازواجهم أو كتب عليهم وصية أو عليهم وصية وقرئ متاع لازواجهم بدل وصية (متاعا الى
الحول) منصوب يوصون ان اخبرته والافبالوصية أو متاع على القراءة الاخيرة (غير اخراج) بدل منه
أو مصدر مؤكد كقافي قولك هذا القول غير ما تقول أو حال من أزواجهم أى غير مخرجات والمعنى يجب على
الذين يتوفون ان يوصوا قبل الاحتضار لازواجهم بان يمنعن بعدهم حولا بالنفقة والسكنى وكان ذلك
اول الاسلام ثم نضفت المدة بقوله تعالى اربعة اشهر وعشر افا انه وان كان متقدما في التلاوة متأخرا في النزول
وسقطت النفقة بتورثها الربع أو الثمن وكذلك السكنى عندنا وعند الشافعي هي باقية (فان خرجن) عن
منزل الأزواج باختيارهن (فلا جناح عليكم) ايها الاثمة (فيما فعلن في انفسهن من معروف) لا يشكره
الشرع كالترين والتطيب وترك الحداد والتعرض للطناب وفيه دلالة على ان المخطور اخرجها عند ارادة القرار
وملازمة سكن الزوج والحداد من غير ان يجب عليها ذلك وانما كانت مخيرة بين الملازمة مع أخذ النفقة
وبين الخروج مع تركها (والله عزيز) غالب على امره يعاقب من خالفه (حكيم) يراعى في احكامه
مصالح عباده (والمطلقات) سواء كن مدخولا بين أولاد (متاع) أى مطلق المتعة الشاملة للواجبة
والمستحبة وأوجهها سعيد بن جبيرة وأبو العالية والزهرى لكل وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة وقيل اللام
للعهد والمراد غير المدخول بين والسكرير للتأكيد (بالعرف) شرعا وعادة (حقا على المتقين) أى
مما لا ينبغي (كذلك) أى مثل ذلك البيان الواضح (يبين الله لكم آياته) الدالة على احكامه التي شرعها
لعباده (لعلمكم تعقلون) لكن تفهموا ما فيها وتعملوا بموجبها (ألتمز) تقرير لمن سمع بقصصهم من أهل

الكتاب وأرباب الاخبار وتجب من شأنهم البديع فان سماعهم لها بمنزلة الرؤية النظرية أو العلمية أو لكل
 أحد من له حظ من الخطاب ايذانا بان قصتهم من الشهرة والشيوع بحيث يحق لكل أحد أن يحمل على الاقرار
 برؤيتهم وسماع قصتهم ويوجب بها وان لم يكن ممن رآهم أو سمع بقصتهم فان هذا الكلام قد جرى مجرى
 المثل في مقام التعجب لما انه شبه حال غير الرائي لشيء عجيب بحال الرائي له بناء على ادعاء ظهور امره وجلالته
 بحيث استوى في ادراكه الشاهد والغائب ثم اجرى الكلام معه كما يجري مع الرائي قصد الى المبالغة في شهرته
 وعراقته في التعجب وتعدية الرؤية بالي في قوله تعالى (الى الذين خرجوا من ديارهم) على تقدير كونها بمعنى
 الابصار باعتبار معنى النظر وعلى تقدير كونها ادراكا قلبيا للتضمن معنى الوصول لالتهام معنى ألم ينته
 علمك اليهم (وهم ألوف) أي ألوف كثيرة قبل عشرة آلاف وقبل ثلاثون وقبل سبعون ألفا والجللة حال من
 ضمير خرجوا وقوله عز وجل (حذر الموت) مفعول له روى ان أهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم
 الطاعون فخرجوا منها هاربين فأماهم الله ثم أحياهم ليعتبروا ويعلموا ان لامفر من حكم الله عز سلطانه
 وقضائه وقيل مر عليهم حرقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت أوصالهم فلوى شذقيه وأصابه
 تعجبا مما رأى من أمرهم فاوحى اليه ناد فيهم أن قوموا باذن الله فشادى فاذا هم قيام يقولون سبحانك اللهم
 وبحمدك لا اله الا أنت وقبلهم قوم من بنى اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد فهربوا حذران الموت فأماهم
 الله تعالى غمانية أيام ثم أحياهم وقوله عز وجل (فقال لهم الله موتوا) اما عبارة عن تعليق ارادته تعالى
 بموتهم دفعة واما غميلة لا ماته تعالى اياهم ميتة نفس واحدة في أقرب وقت وأدناه وأسرع زمان وأوحاه
 بأمر أمر مطاع لمأمور مطيع كما في قوله تعالى انما أمره اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون (ثم
 أحياهم) عطف اما على مقتدر يستدعيه المقام أي فأتوا ثم أحياهم وانما حذف للدلالة على الاستغناء
 عن ذكره لاستحالة تخلف مراده تعالى عن ارادته واما على قال لما انه عبارة عن الامانة وفيه تشجيع للمسلمين
 على الجهاد والتعرض لاسباب الشهادة وان الموت حيث لم يكن منه بد ولم ينفع منه المفرأولى ان يكون
 في سبيل الله تعالى (ان الله ذو فضل) عظيم (على الناس) فاطبة أما اولئك فقد أحياهم ليعتبروا
 بما جرى عليهم فيفوزوا بالسعادة العظمى وأما الذين سمعوا قصتهم فقد هداهم الى ذلك الاعتبار والاستبصار
 (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) أي لا يشكرون فضله كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار
 واطهار الناس في مقام الاضمار لمزيد التشجيع (وقاتلوا في سبيل الله) عطف على مقتدر يعينه ما قبله كأنه
 قيل فاشكروا فضله بالاعتبار بما قص عليكم وقاتلوا في سبيله لما علمتم ان القرار لا ينجي من الحام وان المقدر
 لا مر له فان كان قد حان الاجل فموت في سبيل الله عز وجل والاقتصر عزير وثواب (واعلموا ان الله سميع)
 يسمع مقالة السابقين والمتخلفين (عليم) بما يضمرونه في انفسهم وهومن وراء الجزاء خيرا وشرافا سارعوا
 الى الامتثال واحذروا المخالفة والمساهلة (من ذا الذي يقرض الله) من استفهامية من فوعة المحل
 بالابتداء وذات خبره والموصول صفة له أو بدل منه واقراض الله تعالى مثل لتقديم العمل العاجل طلبا للثواب
 الاجل والمراد هنا اما الجهاد الذي هو عبارة عن بذل النفس والمال في سبيل الله عز وجل ابتغاء لرضائه
 واما مطلق العمل الصالح المتظم له انتظاما أوليا (قرضا حسنا) أي اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب
 النفس أو مقرضا حلالا طيبا (فيضاعفه له) بالنصب على جواب الاستفهام حلا على المعنى فانه في معنى
 أقرضه وقرئ بالرفع أي يضاعف أجره وجزاه جعل ذلك مضاعفة له بناء على ما بينهما من المناسبة بالبيية
 والمسيبة ظاهرا وصيغة المضاعفة للمبالغة وقرئ فيضعفه بالرفع والنصب (اضعافا) جمع ضعف ونصبه على
 انه حال من الضمير المنصوب أو مفعول بان يضمن المضاعفة معنى التصيير أو مصدر مؤكد على ان الضعف اسم
 للمصدر والجمع للتثنية (كثيرة) لا يعلم قدرها الا الله تعالى وقيل الواحد بسبب عمارة (والله يقبض
 ويبسط) أي يقتدر على بعض ويوسع على بعض أو يقتدر تارة ويوسع أخرى حسبا تقتضيه مشيئته المبينة
 على الحكم والمصالح فلا يتخلوا عليه بما وسع عليكم كي لا يستدل أحواكم ولعل تأخير البسط عن القبض
 في الذكر للايماء الى انه يعقبه في الوجود تسليية للفقراء وقرئ يصط بالصاد لجاورة الطاء (واليه ترجعون)
 فيجازيكم على ما قدمتم من الاعمال خيرا وشرأ (ألم تر) تقرير وتنجيب كما سبق قطع عنه للايدان باستقلاله

في التجب مع ان له من يد ارتباطا وسط بينهما من الاسر بالقتال (الامم الملامن بن اسرائيل) الملامن من القوم وجوههم واشرافهم وهو اسم للجماعة لا واحد له من لفظه كالرط والقوم سوا بذلك لما انهم يملكون العيون مهلية والمجالس بها أولانهم مليون بما يتبع منهم ومن تبعية ومن في قوله تعالى (من بعد موسى) ابتدائية وعاملها مقدرة وقع حالاً من الملامن أي كائنين بعض بن اسرائيل من بعد وفاة موسى ولا ضير في اتحاد الحرفين لفظاً عند اختلافهما معني (اذ قالوا) منصوب بمنصر يستدعيه المقام أي ألم ترالى قصة الملامن وحديثهم حين قالوا (لبي لهم) هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليهما السلام وقيل شمعون بن صعبة بن علقمة من ولد لاوى بن يعقوب عليهما السلام وقيل اشعير بن يال بن علقمة وهو بالعبرانية اسمعيل قال مقاتل هو من نسل هرون عليه السلام وقال مجاهد اشعير بن لقيا (ابعت لنا ملكا نقاتل في سبيل الله) أي أنهض للقتال معنا أميراً يصدر في تدبير أمر الحرب عن رأيه وقرئ نقاتل بالرفع على انه حال مقدرة أي ابعت لنا مقدرين القتال أو استئناف مبنى على السؤال وقرئ يقاتل بالياء مجزوماً وهو فوعا على الجواب للامر والوصف للملكا قال استئناف وقع جواباً عن سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فاذا قال لهم النبي حينئذ فقيل قال (هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ان لا تقاتلوا) فصل بين عسي وخبره بالشرط للاعتناء به أي هل قاربتم ان لا تقاتلوا كما اتوقعه منكم والمراد تقرير ان المتوقع كائن وانما لم يذكر في معرض الشرط ما التمسوه بان قيل هل عسيتم ان بعثت لكم ملكاً الخ مع انه اظهر تعللها بكلامهم بل ذكر كناية القتال عليهم للمبالغة في بيان تخلفهم عنه فانهم اذا لم يقاتلوا عند فرضية القتال عليهم بايجاب الله تعالى فلان لا يقاتلوا عند عدم فرضيته أولى ولان ايراد ما ذكره وبما يوهوم ان سبب تخلفهم عن القتال هو المبعوث لانقص القتال وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة (قالوا) استئناف كاسبق (وما لنا ان لا نقاتل) أي اى سبب لنا في ان لا نقاتل (في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا) أي والحال انه قد عرضوا لنا ما يوجب القتال ايجاباً قويا من الاخراج عن الديار والاطمان والاعتراب من الاهل والاولاد وافراد الانباء بالذكر لزيد تقوية أسباب القتال وذلك ان جالوت رأس العمالة وملكهم وهو جبار من اولاد عمليق بن عاد كان هو ومن معه من العمالة يكتنونه ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وظهروا على بن اسرائيل وأخذوا ديارهم وسبوا اولادهم وأسروا من ابناء ملوكهم اربع مائة وأربعين نفساً وضربوا عليهم الجزية وأخذوا ثورتهم (فلما كتب عليهم القتال) بعد سؤال النبي عليه السلام ذلك وبعث الملك (تولوا) أي عرضوا وتخلفوا لكن لا في ابتداء الامر بل بعد مشاهدة كثرة العدو وشوكة كاسيحي تفصيله وانما ذكره هنا ما كمال أمرهم اجمالاً لظهور المايين قولهم وفعلهم من التنافي والتباين (الا قليلا منهم) وهم الذين اكنفوا بالغرفة من النهر وجاوروه وهم ثلث مائة وثلاثة عشر بعدد أهل بدر (والله عليهم بالنظامين) وعيداهم على ظلمهم بالتولي عن القتال وترك الجهاد وتنافي أقوالهم وأفعالهم والجملة اعتراض تذييلي (وقال لهم نبيهم) شروع في تفصيل ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من الاقوال والافعال اثر الاشارة الاجالية الى مصير حالهم أي قال لهم بعدما أوحى اليه ما أوحى (ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتاً من الطول يأباه منع صرفه وملكاً حال منه روى انه عليه السلام لما دعيه أن يجعل لهم ملكاً اتى بعضاً يقاس بهما من ذلك عليهم فلم يساوها الا طالوت (قالوا) استئناف كما مر (ان يكون له الملك علينا) أي من أين يكون أو كيف يكون ذلك (ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال) الواو الاولى حالية والثانية عاطفة جامعة للبعثتين في الحكم أي كيف يتلوه علينا والحال انه لا يستحق التلك لوجود من هو احق منه ولعدم ما يتوقف عليه الملك من المال وسبب هذا الاستبعاد ان النبوة كانت مخصوصة بسبط معين من اسباط بن اسرائيل وهو سبط لاوى بن يعقوب عليه السلام وسبط المملكة بسبط يهوذا ومنه داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من أحد هذين السبطين بل من ولد نبيامين قيل كان راعياً وقيل دباغاً وقيل سقاء (قال ان الله اصطفاه عليكم) لما استبعدوا تملكه بسقوط نسبه وبفقره رذ عليهم ذلك أو لانيان ملاك الامر هو اصطفاؤه الله تعالى وقد اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم وثانياً بان العمدة فيه وفور العلم ليعتد به من معرفة امور السياسة وجسامة البدن ليعظم خطره في القلوب ويقدر على مقاومة الاعداء ومكابدة الحروب وقد خصه الله تعالى منهما بحفظ واخر ذلك قوله عز وجل

وجبل (وزاده بسطة في العلم) أي العلم المتعلق بالملك آو به وبالديانات أيضا وقبل قد أوحى إليه وتبي (والجسم) قيل
 بطول القامة فانه كان أطول من غيره برأسه ومنكبه حتى أن الرجل القائم كان يمتد به فينال رأسه وقيل بالجلال
 وقيل بالقوة (والله يؤتي ملكه من يشاء) لما أنه مالك الملك والملكوت فقال لما يريد فله أن يؤتيه من يشاء
 من عباده (والله واسع) يوسع على الفقير ويغنيه (عليم) بمن يليق بالملك من لا يليق به وأظهر الاسم
 الجليل لتربية المهابة (وقال لهم نبيهم) توسيطه فيما بين قولييه المحكيين عنه عليه السلام للاشعار بعدم
 اتصال أحدهما بالآخر وتخلل كلام من جهة الخطابين متفرع على السابق مستتبع للاحق كأنهم طلبوا منه
 عليه السلام آية تدل على أنه تعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم روى عنهم قالوا ما آية ملكه فقال (ان آية
 ملكه أن يأتبكم التابوت) أي الصندوق وهو فعلوت من التوب الذي هو الرجوع لماله لا يزال يرجع إليه
 ما يخرج منه وتأوه من زيادة الغير التأييت كملكوت ورهوت والمنه ورأى يوقف على تائه من غير أن تقلب
 هاء ومنهم من يقلبها ياها والمراد به صندوق التوراة وكان قدر فعه الله عز وجل بعد وفاة موسى عليه السلام
 سخطا على بني إسرائيل لما عصوا واعتدوا فلما طلب القوم من نبيهم آية تدل على ملك طالوت قال لهم ان آية
 ملكه أن يأتبكم التابوت من السماء والملائكة يحفظونه فأناهم كما وصف والقوم يتطرون إليه حتى نزل عند
 طالوت وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما وقال أرباب الاخبار ان الله تعالى أنزل على آدم تابوتا فيه خمائل
 الانبياء عليهم السلام من أولاده وكان من عود الشمس ادنحوا من ثلاثة أذرع في ذراعين فكان عند آدم عليه
 السلام إلى أن توفي فتوارثه أولاده واحدا بعد واحد إلى أن وصل إلى يعقوب عليه السلام ثم بقي في أيدي بني
 إسرائيل إلى أن وصل إلى موسى عليه السلام فكان عليه الصلاة والسلام يضع فيه التوراة وكان إذا قاتل قدمه
 فكانت تسكن إليه نفوس بني إسرائيل وكان عنده إلى أن توفي ثم تداولته أيديهم وكانوا إذا اختلفوا
 في شيء تحاكموا إليه فيحكمهم ويحكم بينهم وكانوا إذا حضروا القتال يقدّمونه بين أيديهم ويستفتحون به على عدوهم
 وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر ثم يقاتلون العدو فإذا سمعوا من التابوت صيحة استيقنوا النصر فلما عصوا
 وأفسدوا على الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه وجعلوه في موضع البول والغائط فلما أراد
 الله تعالى أن يملك طالوت سلط عليهم البلاء حتى أن كل من بال عنده ابتلى بالبول وسير وهلك من يلادهم خمس
 مدائن فعلم الكفار أن ذلك بسبب استهانتهم بالتابوت فأخرجوه وجعلوه على نورين فأقبل الثوران يسيران وقد
 وكل الله تعالى بهما أربعة من الملائكة يسوقونهما حتى أنوا منزل طالوت فلما سألوا نبيهم البينة على ملك طالوت
 قال لهم النبي ان آية ملكه انكم تجدون التابوت في داره فلما وجدوه عنده ايقنوا بملكه (فيه سكينته من
 ربكم) أي في آياته سكوت لكم وطمأنينة كآنية من ربكم أوفى التابوت ما تسكنون إليه وهو التوراة
 المودعة فيه بناء على ما مر من أن موسى عليه السلام إذا قاتل قدمه فتسكن إليه نفوس بني إسرائيل وقيل
 السكينة صورة كانت فيه من زجر جده أو باقوت لهارأس وذنب كراس الهز وذنبه وجناحان قثن فيزف
 التابوت نحو العدو وهم يعضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه كان لها
 وجه كوجه الانسان وفيها ریح هفافة (وبقية مما تزل آل موسى وآل هرون) هي رضاض الألواح
 وعصا موسى وثيابه وشئ من التوراة وكان قدر فعه الله تعالى بعد وفاة موسى عليه السلام وآلهما ابناؤهما
 أوأ نفسهما والآل مقصم لتخيم شأنهما أوأ نبياء بني إسرائيل (تحمله الملائكة) حال من التابوت أي
 ان آية ملكه آياته حال كونه محمولا للملائكة وقدمت كيفية ذلك ولعل حل الملائكة على الرواية الأخيرة
 عبارة عن سوقهم للتورين الحاملين له (ان في ذلك) إشارة إلى ما ذكر من شأن التابوت فهو من تمام
 كلام النبي عليه السلام لقومه أو إلى نقل القصة وحكايتها فهو ابتداء كلام من جهة الله تعالى حتى به قبل
 تمام القصة أظهار الكمال العناية به وإفراد حرف الخطاب مع تعدد الخطابين على التقديرين بتأويل القريب
 أو غيرهما كاسلف (لاية) عظيمة (لكم) دلالة على ملك طالوت أو على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث
 أخبر بهذه التفاصيل على ما هي عليه من غير سماع من البشر (أن كنتم مؤمنين) أي مصدقين بملكه عليكم
 أو بشئ من الآيات وأن شرطية والجواب محذوف ثقة بما قبله وقيل هي بمعنى اذ (فلما فصل طالوت بالطنود) أي
 انفصل بهم عن بيت المقدس والاصل فصل نفسه ولما اتحد فاعله ومفعوله شاع استهانة محذوف المفعول حتى

نزل منزلة القاصر كالفصل وقيل فصل فصولا وقد جرز كونه أصلا برأسه مختارا من المتعدي بمصدره كوقف
وقرأ ووقفه وقفوا وكصد صدودا وصد صدأ ورجع رجوعا ورجعوا والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا
من طالوت أي ملتبسا بهم ومصاحبهم روى أنه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى شاة لم يفرغ منه ولا تاجر
مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبين عليها ولا أبتغى إلا الشاب النشيط القارح فاجتمع إليه من اختاره
ثمانون ألفا وكان الوقت قبطا وسلكوا مقارضا فسالوا أن يجري الله تعالى بهم ثم رافعه لما ظهر له ما تعلقت
به مشيئته تعالى من جهة النبي عليه السلام أو بطريق الوحي عند من يقول بنبوته (قال إن الله مبتليكم
بنهر) يفتح الهاء وقرئ بـ سكونها (فن شرب منه) أي ابتدأ شربه من النهر إن كره لانه الشرب منه
حقيقة (فليس مني) أي من جلتى وأشياى المؤمنين وقيل ليس يتصل بي ويضم معي من قولهم فلان مني
كانه بعضه لئلا يختلطهما (ومن لم يطعمه) أي لم يذقه من طعم الشيء إذا ذاقه ما كولا كان أو مشروبا
أو غيرهما قال * وان شئت حرمت النساء سواكم * وان شئت لم أطعم نقاشا ولا بردا أي نوما (قائه مني الأمن
اغترف غرفة بيده) استثناء من قوله تعالى فن شرب منه فليس مني وانما اخبر من الجملة الثانية لبراز كمال
العناية بهم واعداء الخصم في اغترف الغرفة باليد دون الكروع والغرفة ما يغرف وقرئ يفتح الغين على انها
مصدر والباء متعلقة باغترف أو بمحذوف وقع صفة لغرفة أي غرفة كانت بيده يروى ان الغرفة كانت تنكفي
الرجل لشربه وادواته ودوابه وأما الذين شربوا منه فقد اسودت شفاههم وغلظهم العطش (فسربوا منه) عطف
على مقدر يتنصيه المقام أي فابتلوا به فشربو منه (الاقليل منهم) وهم المشار إليهم فيما سلف بالاستثناء
من التولى وقرئ الاقليل منهم ميلا إلى جانب المعنى وضربا عن عدوة اللفظ جانبا فان قوله تعالى فسربوا منه
في قوة ان يقال فلم يطعموه فحق أن يرد المستثنى مرفوعا كما في قول الفرزدق

وعرض زمان يا ابن مروان لم يدع * من المال الا سمحت أو يحلف

فان قوله لم يدع في حكم لم يبق (فلما جاوزه) أي النهر (هو) أي طالوت (والذين آمنوا معه) عطف
على الضمير المتصل المؤكد بالفصل والظرف متعلق بجاوز لا بآمنوا وقيل الواو حالية والظرف متعلق
بمحذوف وقع خبرا من الموصول كانه قيل فلما جاوزه والحال ان الذين آمنوا كانوا معه وهم أو تلك القليل
وفيه إشارة إلى ان من عداهم يعزل من الايمان (قالوا) أي بعض من معه من المؤمنين لبعض (لا طاقة
لنا اليوم بجالوت وجنوده) أي بحاربتهم ومقاومتهم فنلا عن ان يكون لنا غلبة عليهم لما شاهدوا
منهم من الكثرة والشدة قيل كانوا مائة ألف مقاتل شاكى السلاح (قال) استئناف مبنى على السؤال
كانه قيل لماذا قال مخاطبهم فقيل قال (الذين يظنون انهم ملاقوا الله) قيل أي الخاص منهم الذين يتيقنون
لقاء الله تعالى بالبعث ويتوقعون ثوابه وافرادهم بذلك الوصف لا يشافي ايمان الباقين فان درجات المؤمنين
في التيقن والتوقع متفاوتة والذين يعلمون انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله تعالى وقيل الموصول
عبارة عن المؤمنين كافة والضمير في قالوا للمختزلين عنهم كانهم قالوا اعتذارا عن التحلف والنهر بينهما (كم من
فئة) أي فرقة وجماعة من الناس من فأتت رأسه إذا شققها أو من فاء اليه إذا رجع فوزها على الأول
فئة وعلى الثاني فلة (قليلة غلبت فئة كثيرة) وكما خبرية كانت أو استفهامية مفيدة للتكثير وهي في حيز
الرفع بالابتداء خبرها غلبت أي كثير من الفئات القليلة غلبت الفئات الكثيرة (ياذن الله) أي بكم
وتيسره فان دورا كافا الامور على مشيئته تعالى فلا يذل من نصره وان قل عدده ولا يعز من خذله وان كثر
أسبابه وعدده وقدر وعي في الجواب نكتة بدية حيث لم يقل اطاقت بفئة كثيرة حسبا وقع في كلام أصحابهم
مبالغة في رد مقالتهم وتسكين قلوبهم وهذا كما ترى جواب ناشئ من كمال ثقة بهم بنصر الله تعالى وتوفيقه
ولادخل في ذلك لظن لقاء الله تعالى بالبعث لاسيما بالاستشهاد فان العلم به ربما يورث اليأس من الغلبة ولا لتوقع
ثوابه تعالى ولا ريب في ان ما ذكر في حيز الصلة ينبغي ان يكون مدار الحكم الوارد على الموصول فلا قل من ان
يكون وصفا ملائمة لفاعل المراد بقاءه تعالى لقاء نصره وتأيدته عبر عنه بذلك مبالغة كما عبر عن مقارنة نصره
تعالى بمقارنته سبحانه حيث قيل (والله مع الصابرين) فان المراد به معية نصره وتوفيقه حتما وجماعها على
المعية بالانابة كما فعل يا بآء انهم انما قالوه تيمنا لجوابهم وتأيد له بطريق الاعتراض التذييلي تشجيعا لأصحابهم

وتيسا لهم على الصبر المؤدى الى الغلبة ولا تعلق له بما ذكر من المعية بالامانة قطعاً وكذا الحال اذا جعل ذلك ابتداء
كلام من جهة الله تعالى حتى به تقرير الكلام هم والمعنى قال الذين يظنون أو يعلمون من جهة النبي أو من
جهة التأبوت والسكينة أنهم ملاقون نصر الله العزيز كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله تعالى فحقن أيضاً
نغلب جالوت وجنوده وإبراد خبر أن اسماعيل أن اللقاء مستقبلي للدلالة على تفرقه وتحققه (ولما برزوا) أي
ظهر طالوت ومن معه من المؤمنين وصاروا الى براز من الارض في موطن الحرب (جالوت وجنوده) وشاهدوا
ما هم عليه من العدد والعددوا أي قنوا أنهم غير مطيقين بهم عادة (قالوا) أي جميعاً عند تقوى قلوب القوي
الاول منهم يقول القوي الثاني منصرفين الى الله تعالى مستعينين به (ربنا أفرغ علينا صبراً) على مقاساة
شدائد الحرب واقتحام موارد الصعبة الضيقة وفي التوسل بوصف الربيعة المنبئة عن التبليغ الى الكمال
وايشارة لافراغ العرب عن الكثرة وتنكير الصبر المقصع عن التفتيح من الجزالة ما لا يخفى (ونبت أقدامنا)
في مداحض القتال ومن الـ التزال وثبات التدم عبارة عن كمال القوة والرسوخ عند المقارعة وعدم التزلزل
وقت المقاومة لا يجوز التعزير في حيز واحد (وانصرنا على القوم الكافرين) بهزمهم وهزمهم ووضع
الكافرين في موضع الضمير العائد الى جالوت وجنوده لاشارة بعلية النصر عليهم ولقد راعوا في الدعاء ترتيباً
بديعاً حيث قدما سؤال افراغ الصبر الذي هو ملالة الامر ثم سؤال تثبيت القدم المتفرع عليه ثم سؤال النصر
الذي هو الغاية القصوى (فهزمهم) أي كسروهم بلامكث (باذن الله) بنصره وتأيدته اياه لدايمهم
وايشارة الطريقة على طريقة قوله عز وجل فأتاهم الله ثواب الدنيا الخ للمحافظة على منتهون قولهم غلبت
فئة كثيرة باذن الله (وقتل داود جالوت) كان ايشي أبوداود في عسكر طالوت معه ستة من بنيهِ وكان
داود عليه السلام سابعهم وكان صغيراً رعى الغنم فأوحى الله تعالى الى انبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من
أبيه فخافه وقد مر في طريقه ثلاثة أحجار قال له كل منها حملنا فانك بناه قتل جالوت فحمله في مخلائه قتل
لما أباطا على أبيه خبر اخوته في المصاف أرسل داود اليهم ليأتيهم بجبرهم فأتاهم وهم في القراع وقد برز جالوت
بنفسه الى البراز ولا يكاد يارزه أحد وكان ظله ميلاً فقال داود لا خوته أماً فيكم من يخرج الى هذا الاقل
فزعروا فخصا ناحية أخرى ليس فيها اخوته وقد مر به طالوت وهو يحترق الناس على القتال فقال له داود
ما تصنعون بمن يقتل هذا الاقل قال طالوت أنكجه بنيتي وأعطيه شطراً مملكتي فبرز له داود فرماه بما معه
من الاحجار بالمتلاع فأصابه في صدره فندد الاحجار منه وقتلت بعده ناساً كثيراً وقيل انما كلفه الاحجار
عند بروزه لجالوت في المعركة فأنجز له طالوت ما وعدة وقيل انه حسده وأخرجهم من مملكته ثم ندبهم على
ما صنعته فذهب يطلبه الى أن قتل ومثل داود عليه السلام وأعطى النبوة وذلك قوله تعالى (وأتانا الله الملك) أي
ملك بني اسرائيل في مشارق الارض المقدسة ومغاربها (والحكمة) أي النبوة ولم يجتمع في بني اسرائيل الملك
والنبوة قبله الا بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط آخر وما اجتمعوا قبله على ملك قط (وعلمهم ما يشاء) أي مما
يشاء الله تعالى تعليمه اياه لا بما يشاء داود عليه السلام كما قيل لأن معظم ما علمه تعالى اياه مما لا يكاد يخطر ببال
أحد ولا يقع في أمنية بشر ليجتنب من طلبه ومشيئته كالسر بالآلة الحديد ومنطق الطير والدواب ونحو ذلك
من الامور الخفية (ولولا دفع الله الناس بعضهم) الذين يبشرون الشر والنسب (ببعض) آخر منهم برزهم
عما هم عليه بما قدر الله تعالى من القتل كما في القصة المحكية أو غيره وقرئ دفاع الله على أن صيغة المغالبة
للمبالغة (لفسدت الارض) وبطلت منافقها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض
وبصلها وقيل لولا أن الله ينصر المسلمين على الكافرين لفست الارض بعيشهم وقتلهم المسلمين أو لولم يدفعهم
بالمسلمين لم الكفر وزلت السخط فاستوصل أهل الارض قاطبة (واكن الله ذو فضل) عظيم لا يقادر قدره
(على العالمين) كافة وهذا الشارة الى قياس استثناء مؤلف من وضع نقبض المقدم منتج لنقبض التالي
خلالانه قد وضع موضعه ما يستتبعه ويستوجبه أعني كونه تعالى ذا فضل على العالمين ايذانا بانه تعالى متفضل
في ذلك الدفع من غير أن يجب عليه ذلك وأن فضله تعالى غير منحصر فيه بل هو فرد من أفراد فضله العظيم كانه
قيل ولكنه تعالى يدفع فساد بعضهم ببعض فلا تفسد الارض وتنظم به مصالح العالم وتنحل أحوال الامم
(تلت) اشارة الى ما سلف من حديث الالف وخبر طالوت على التفصيل المرقوم وما فيه من معنى البعد

قوله كان ايشي هكذا في النسخ
والذي في تاريخ ابي الفداء
داود بن يشافخ الموحدة
وسكون المناء القصة وفتح الشين
المجتمعة آخره انه فليجزر اه

صحة

لا اذ ان بعاقب شأن المسار اليه (آيات الله) الميزة من عنده تعالى والجملة مستأنفة وقوله تعالى (تلوها عليك)
 أي بواسطة جبريل عليه السلام اما حال من الآيات والعامل معنى الإشارة واما جملة مستأنفة لاجل انها من
 الاعراب (بالحق) في حيز النصب على انه حال من مفعول تلوها أي ملتبسة باليقين الذي لا يرتاب فيه
 احد من أهل الكتاب وأرباب التواريخ لما يجدونها وافقة لما في كتبهم أو من فاعله أي تلوها عليك ملتبسين
 بالحق والصواب أو من الضمير الجبرور أي ملتبسا بالحق والصدق (وانك لمن المرسلين) أي من جملة الذين أرسلوا
 الى الامم لتبليغ رسالاتنا واجراء أوامرنا وأحكامنا عليهم فان هذه المعاملة لا تجري بيننا وبين غيرهم فهي ثمادة
 منه سبحانه برسالاته عليه الصلاة والسلام اثنى ان ما يستوجبها والتأكيد من مقتضيات مقام الجاحدين
 بهم (تلك الرسل) استئناف فيه رمز الى انه عليه الصلاة والسلام من أفاضل الرسل العظام عليهم الصلاة والسلام
 اثنى ان كونه من بطلتهم والإشارة الى الجماعة الذين من بطلتهم النبي صلى الله عليه وسلم فاللام في المآل
 للاستغراق وما فيه من معنى البعد للايدان بعاقب بقتلهم وبعدهم منزلتهم وقيل الى الذين ذكرت قصصهم في السورة
 وقيل الى الذين ثبت علمه صلى الله عليه وسلم بهم (فما لنا بعنهم على بعض) في مراتب الكمال بأن خصصناه حسبا
 تقتضيه مشيئتنا بما ترجلته خلاعتها غيره (منهم من كلم الله) تفصيل لتفضيل المذكور اجمالا أي
 فضله بأن كلمه تعالى به رسفه وهو موسى عليه الصلاة والسلام حيث كلمه تعالى ليلة الخيرة وفي الطور وقرئ
 كلم الله بالنصب وقرئ كالم الله من المكاملة فانه كلم الله تعالى كما انه تعالى كلمه ويؤيده كليم الله بمعنى مكالمه
 وإيراد الاسم الجليل بطريق الالتفات لترية المهابة والرمز الى ما بين التكليم والرفع وبين ما سبق من مطلق
 التفضيل وما لحق من ايتاء البينات والتأييد بروح القدس من التفاوت (ورفع بعضهم درجات) أي
 ومنهم من رفعه على غيره من الرسل المتفاوتين في معارج الفضل بدرجات قاصية ومراتب نامية وتغيير
 الاسلوب لترية ما بينهم من اختلاف الحال في درجات الشرف والظاهر أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبغي
 عنه الاخبار بكونه عليه السلام منهم فان ذلك في قوة بعضهم فانه قد خص بالدعوة العامة والخطب العامة
 والمججزات المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهور والفضائل العلية والعملية الفاتحة للعصر والابهام
 لتفخيم شأنه وللإشعار بأنه العلم الفرد الغني عن التعيين وقيل انه ابراهيم عليه الصلاة والسلام حيث خصه تعالى
 بكرامة الخلة وقيل ادريس عليه السلام حيث رفعه مكانا عليا وقيل اولوا العزم من الرسل عليهم الصلاة
 والسلام (واتينا عيسى ابن مريم البينات) الآيات الباهرة والمججزات الظاهرة من احياء الموتى وابرار
 الاكث والابرص والاخبار بالمقربات أو الانجيل (وأيدناه) أي قوتناه (بروح القدس) بضم الدال وقرئ
 يسكونها أي بالروح المقدسة كقولك رجل صدق وهي روح عيسى وانما وصفت بالقدس للكرامة أولانه عليه
 السلام لم تنفخ الاصلاب والارحام الطوامث وقيل بجبريل وقيل بالانجيل كما مر وافراده عليه السلام
 بما ذكره ما بين أهل الكتابين في شأنه عليه السلام من التفريط والافراط والآية ناطقة بأن الانبياء عليهم
 السلام متفاوتة الاقدار فيجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع (ولو شاء الله ما اقتل الذين من
 بعدهم) أي جاؤا من بعد الرسل من الامم المختلفة أي لو شاء الله عدم اقتلهم ما اقتلوا بأن جعلهم متفقين
 على اتباع الرسل المتفقة على كلمة الحق ففعل المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء على القاعدة
 المعروفة وقيل تقديره ولو شاء هدى الناس جميعا ما اقتل الخ وليس بذلك (من بعد ما بعثهم) من جهة
 اولئك الرسل (البينات) المعجزات الواضحة والآيات الظاهرة الهدى الى حقبة الحق الموجبة لاتباعهم
 الزاجرة عن الاعراض عن سنتهم المؤدى الى الاقتتال فمن متعلقة باقتل (ولكن اختلفوا) استدراك
 من الشرطية اشير به الى قياس استثنائي موافق من وضع نقض مقدمها منتج لنقض تاليها الا انه قد وضع
 فيه الاختلاف موضع نقض المقدم المترتب عليه للايدان بأن الاقتتال ناشئ من قبلهم لا من جهته تعالى
 ابتداء كما قيل ولا يمكن لم يشأ عدم اقتلهم لانهم اختلفوا اختلافا فاحشا (فهم من آمن) بما جاءت به
 أولئك الرسل من البينات وعملوا به (ومنهم من كفر) بذلك كفرا لا ارعوا له عنه فاقتضت الحكمة
 عدم مشيئته تعالى لعدم اقتلهم فاقتلوا بوجوب اقتضاء أحوالهم (ولو شاء الله) عدم اقتلهم
 بعد هذه المرتبة أيضا من الاختلاف والشقاق المستتبين للاقتتال بحسب العادة (ما اقتلوا) وما نبض

منهم عرق التطاول والتعادي لما أن الكل تحت ملكوته تعالى فالتسكرو برئيس للتأكيده كما ظن بل للتعبيه
على أن اختلافهم ذلك ليس موجباً لعدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم كما يفهم ذلك من وضعه في الاستدراك
موضع بل هو سبحانه مختار في ذلك حتى لو شاء بعد ذلك عدم اقتتالهم ما اقتتلوا كما يفسح عنه الاستدراك
بقوله عز وجل (ولعلكم الله يفعل ما يريد) أي من الأمور الوجودية والعدمية التي من جملتها عدم
مشيئته عدم اقتتالهم فان الترتيب أيضاً من جملة الأفعال أي يفعل ما يريد حسب ما يريد من غير أن يوجب
عليه موجب أو يمنع منه مانع وفيه دليل بين على أن الحوادث تابعة لمشيئته سبحانه خيراً كان أو شراً
إيماناً كان أو كفراً (يا أيها الذين آمنوا اتقوا) في سبيل الله (عمارزقناكم) أي شيئاً مما رزقناكموه
على أن ما موصولة تحذف عائدها والتعرض لوصوله منه تعالى للعت على الانفاق كما في قوله تعالى
وأنتم واما جعلكم مستخفين فيه والمراد به الانفاق الواجب بدلالة ما بعده من الوعيد (من قبل
أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) كلمة من متعلقة بما تعلقت به أختها ولا ضير فيه لاختلاف معنيهما
فان الأولى تبعية وهذه لا تبدأ الغاية أي أنفقوا بعض ما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا تقدر على
تلافي ما فرطتم فيه أذ لا تباع فيه حتى تباعوا وما تنفقونه أو تقدر به من العذاب ولا خلة حتى يمحكم به
أخلأوكم أو يعينوكم عليه ولا شفاعة الا لمن أذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تتوسلوا بشفعائه يشفعون
لكم في حط ما في ذمتكم وانما رفعت الثلاثة مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع أو خلة
أو شفاعة وقرئ بفتح الكل (والكافرون) أي والنار هم الكون للزكاة وإشارته عليه للتغليظ والتهديد
كما في قوله تعالى ومن كفر مكان ومن لم ينجح ولا يذ ان بأن ترك الزكاة من صفات الكفار قال تعالى
وويل للمشرعين الذين لا يؤتون الزكاة (هم الظالمون) أي الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعقاب
ووضع المال في غير موضعه وصرفوه الى غير وجهه (الله لا اله الا هو) مبتدأ وخبر أي هو المستحق
للمعبودية لا غير وفي اضممار خبر لا مثل في الوجود أو يصح أن يوجد خلاف للنصاة معروف (الحق) الباقي
الذي لا سبيل عليه للموت والفناء وهو اما خبر ثان أو خبر مبتدأ محذوف أو بدل من لا اله الا هو أو بدل من
الله أو صفة له وبعضه القراءة بالنصب على المدح لاختصاصه بالنعمة (اليوم) فيقول من قام بالامر
اذا حفظه أي دائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقيل هو القائم بذاته المقيم اغيره (لاناخذ سنة ولا نوم)
السنة ما يتقدم النوم من الشئ قال عدى بن الرفاع العاملي

وسنان أقصده النعاس فرقت * في عينه سنة وليس ينائم

والنوم حالة تعرض للعيوان من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف المشاعر
الظاهرة عن الاحساس وأساس المراد بيان انتفاء اعتناء شئ منهما له سبحانه لعدم كونهما من شأنه
تعالى لانهم افاضوا بالنسبة الى القوة الالهية فانه يعزل من مقام التنزيه فلا سبيل الى حل النظم الكريم
على طريقة المبالغة والترقي بناء على أن القادر على دفع السنة قد لا يقدر على دفع النوم القوي كما في قولك فلان
يقظ لا تغلبه سنة ولا نوم وانما تأخير النوم للمحافظة على ترتيب الوجود الخارجي وتوسط كلمة لا للتخصيص
على شمول النقي لكل منهما كما في قوله عز وجل ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة الاية وأما التعبير عن عدم
الاعتناء والعروض بعدم الاخذ فلرعاة الراعي اذ عروض السنة والنوم لعروضهما انما يكون بطريق
الاخذ والاستيلاء وقيل هو من باب التكميل والجلالة كيد لما قبلها من كونه تعالى حيا قيوماً فان من يعتريه
أحدهما يكون مأوف الحياة قاصر في الحفظ والتدبير وقيل استئناف مؤكداً لما سبق وقيل حال مؤكدة
من النعير المستكن في القيوم (له ما في السموات وما في الارض) تقرير لقيوميته تعالى واحتجاج به على
تفرد في الالهية والمراد بما فيها ما هو أعم من أجزائها الداخلة فيهما ومن الأمور الخارجة عنهما
المتكئة فيهما من العقلاء وغيرهم (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) بيان لكبرياء شأنه وأنه لا يدانيه أحد
ليقدر على تغيير ما يريد شفاعاً وضراعة فضلاً عن أن يدافعه عناداً أو مناصبة (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم)
أي ما قبلهم وما بعدهم أو بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي أو أمور الدنيا وأموال الآخرة
أو بالعكس أو ما يحسونه وما يعقلونه أو ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات والارض بتغليب

ما فيهما من العقلاء على غيرهم أو لم يدل عليه من ذا الذي من الملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام (ولا
 يحيطون بشئ من علمه) أي من معلوماته (الابشياء) أن يعلموه وعطفه على ما قبله لما أنهم جميعا دليل على
 تفرد تعالى بالعالم الذاتي التام الدال على وحدانيته (وسع كرسية السموات والارض) الكرسي ما يجلس
 عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكان منسوب إلى الكرسي الذي هو الملبد وليس عتبة كرسي ولا قاعد ولا قعود
 وإنما هو غنيل لعظمة شأنه عز وجل وسعة سلطانه واحاطة علمه بالاشياء قاطبة على طريقة قوله عز قائلها وما
 قدره الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وقيل كرسية مجاز عن علمه
 أخذ من كرسى العالم وقيل عن ملكه أخذ من كرسى الملك فان الكرسي كلما كان اعظم تكون عظمة القاعد
 اكثر وأوفر فغير عن شمول علمه أو عن بسطة ملكه واسطانه بسعة كرسية واحاطته بالاقطار العلوية والسفلية
 وقيل هو جسم بين يدي العرش محيط بالسموات السبع لقوله صلى الله عليه وسلم ما السموات السبع والارضون
 السبع مع الكرسي الحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله
 الفلك الثامن وعن الحسن البصري أنه العرش (ولا يوده) أي لا يشقه ولا يشق عليه (حفظهما) أي حفظ
 السموات والارض وانما لم يعرض لذكرهما فيهما لأن حفظهما مستتبع لحفظه (وهو العلى) المتعالى
 بذاته عن الاشياء والانداد (العظيم) الذي يستعظم بالنسبة اليه كل ما سواه ولم ترى من انطواء هذه الآية
 الكريمة على أتهات المسائل الالهية المتعلقة بالذات العلية والصفات الجلية فانها ناطقة بأنه تعالى موجود
 متفرد بالالهية متصرف بالحياة واجب الوجود لذاته موجودا غير لما أن القيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره منز
 عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والتغير ولا منسوبة بينه وبين الاشياء ولا يعتبر به ما يعتري النفوس
 والارواح ما لك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع وذو البطش الشديد لا يشفع عنده الا من أذن له
 فيه اعلم وحده بجميع الاشياء جليها وخفيها كلمها وجزئها واسم الملك والقدرة لكل ما من شأنه أن يملك
 ويقدر عليه لا يشق عليه شاق ولا يشغله شأن عن شأن متعال عما تاله الا وهام عظيم لا تحدد في الافهام
 تفردت بفضائل راقية وخواص فائقة خلت عنها أخواتها قال صلى الله عليه وسلم ان أعظم آية في القرآن آية
 الكرسي من قرأها ثبت الله تعالى ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته إلى الغد من تلك الساعة
 وقال عليه الصلاة والسلام ما قرئت هذه الآية في دار الاخرة ثم الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر
 ولا ساحرة أربعين ليلة يا علي علمها ولدك وأهلك وجبرائك فانزات آية اعظم منها وقال عليه السلام من
 قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواطىء عليها الا صدق أو عابد
 ومن قرأها إذا أخذ منبجعه آمنه الله تعالى على نفسه وجارحه والايات حوله وقال عليه الصلاة
 والسلام سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا تخرو وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة
 بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن سورة البقرة وسيد
 البقرة آية الكرسي وتخصيص سيادته صلى الله عليه وسلم للعرب بالذكر في أثناء تعدد السادات الخاصة
 لا يدل على نفي ما دلت عليه الاخبار المستفيضة وانعقد عليه الاجماع من سيادته عليه السلام لجميع أفراد
 البشر (لا كراه في الدين) جملة مستأنفة بحسب التريان تفردة سبحانه وتعالى بالشؤون الجلية الموجبة
 للإيمان به وحده اذ انما بأن من حق العاقل أن لا يحتاج إلى التكليف والالزام بل يختار الدين الحق من غير تردد
 وتلعثم وقيل هو خبر في معنى النهي أي لا تكرهوا في الدين فقبل منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار
 والمنافقين واغلظ عليهم وقبل خاص بأهل الكتاب حيث حصنوا أنفسهم بأداء الجزية وروى انه كان
 لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان قد تنصرا قبل مبعثه عليه السلام ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما وقال
 والله لا أدعكما حتى تسلما فأبيا فاختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت لخلاهما (قد بين
 الرشد من الغي) استئناف تعاليل صدر بكلمة التحقيق لزيادة تقرير مقصوده كما في قوله عز وجل قد بلغت
 من لدني عذرا أي اذ قد بين عبادكم من نعونه تعالى التي يمتنعونهم اشتراك غيره في شئ منها الايمان
 الذي هو الرشد الموصل إلى السعادة الابدية من الكفر الذي هو الغي المؤدى إلى الشقاوة السرمدية (فمن يكفر
 بالطاغوت) هو من مبالغته من الطغيان كالملكوت والجبروت قلب مكان عينه ولا مه فقبل هو في الاصل مصدر

واليه ذهب الفارسي وقيل اسم جنس مفرد مذكروا نجا الجمع والتأنيث لارادة الالهة وهو رأي سيبويه وقيل
 هو جمع وهو مذهب المبرد وقيل يستوي فيه الافراد والجمع والتذكير والتأنيث أي فمن يعمل اثر ما غير الحق
 من الباطل بموجب الحجج الواضحة والآيات البينة ويكفر بالشيطان أو بالأصنام أو بكل ما عبد من دون الله تعالى
 أو صد عن عبادته تعالى لما تبين له كونه بعزل من استحقاق العبادة (ويؤمن بالله) وحده لما شاهد من
 نعوته الجليلة المقضية لاختصاص الألوهية به عز وجل الموجبة للإيمان والتوحيد وتقديم الكفر بالطاغوت
 على الايمان به تعالى لتوقفه عليه فان الخلقة متقدمة على الخلقة (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أي بالغ
 في التمسك بها كأنه وهو ملتبس به يطلب من نفسه الزيادة فيه والثبات عليه (لأنه صام لها) القسم الكسر
 بغير اية كما أن القسم هو الكسر بإيانه ونفي الاول يدل على انتفاء الثاني بالاولوية والجللة أما استئناف مقرر
 لما قبلها من وثاقة العروة وأما حال من العروة والعامل استمسك أو من الضمير المستتر في الوثقى ولها في حيز
 الخبر أي كائن لها والكلام تمثيل مبنى على تشبيه الهيئة العقلية المنتزعة من ملازمة الاعتقاد الحق الذي
 لا يحتمل النقيض أصلا ثبوته بالبراهين النيرة القطعية بالهيئة الحسية المنتزعة من التمسك بالجليل المحكم المأمون
 انقطاعه فلا استعارة في المفردات ويجوز أن تكون العروة الوثقى مستعارة للاعتقاد الحق الذي هو الايمان
 والتوحيد لا للنظر الصحيح المؤدى اليه كما قيل فانه غير مذكور في حيز الشرط والاستمسك لئلا يستعار المآذ كمن
 الملازمة أو ترشيعا للاستعارة الاولى (والله سميع) بالاقوال (عليه) بالعزائم والعقائد والجللة اعتراض
 تذييلي شامل على الايمان رادع عن الكفر والنفاق بما فيه من الوعد والوعود (الله ولي الذين آمنوا) أي
 معينهم أو متولي أمورهم والمراد بهم الذين ثبت في علمه تعالى ايمانهم في الجللة مآلا أو حالا (يخرجهم) تفسير
 للولاية أو خبر ثان عند من يجوز كونه جللة أو حال من الضمير في ولي (من الظلمات) التي هي اعتم من ظلمات
 الكفر والمعاصي وظلمات الشبه بل مما في بعض مراتب العلوم الاستدلالية من نوع ضعف وخفاء بالقياس
 الى مراتبها القوية الجليلة بن مما في جميع مراتبها بالنظر الى مرتبة العيان كما ستعرفه (الى النور) الذي يتم
 نور الايمان ونور الايقان بمراتبه ونور العيان أي يخرج به دياته وتوفيقه كل واحد منهم من الظلمة التي وقع فيها الى
 ما يقابلها من النور وافراد النور لوحدة الحق كما أن جميع الظلمات لتعدد قنود الضلال (والذين كفروا)
 أي الذين ثبت في علمه تعالى كفرهم (أولياؤهم الطاغوت) أي الشياطين وسائر المضلين عن طريق الحق
 فالموصول مبتدأ وأولياؤهم مبتدأ ثان والطاغوت خبره والجللة خبر للاول والجللة الخاصلة معطوفة على
 ما قبلها ولعل تغيير السبك للاحتراز عن وضع الطاغوت في مقابلة الاسم الجليل واقتصد المبالغة بتكرير الاستناد
 مع الايماء الى التباين بين الفريقين من كل وجه حتى من جهة التعبير أيضا (يخرجونهم) بالوساوس
 وغيرها من طرق الاضلال والاغواء (من النور) القطري الذي جبل عليه الناس كافة أو من نور البينات
 التي يشاهدونها من جهة النبي صلى الله عليه وسلم يتزيل تمكنهم من الاستغناء عنها بمنزلة نفسها (الى
 الظلمات) ظلمات الكفر والانهمال في النفي وقيل نزات في قوم ارتدوا عن الاسلام والجللة تفسير للولاية
 الطاغوت أو خبر ثان كما مر واستناد الاخراج من حيث السلبية الى الطاغوت لا يقدح في استناده من حيث
 الخلق الى قدرته سبحانه (أو لئلا) إشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما يتبعه من
 القبايح (أصحاب النار) أي ملابسوها وملازموها بسبب ما لهم من الجرائم (هم فيها خالدون)
 ما كثر أبدأ (ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه) استشهاده على ما ذكر من أن الكفرة أولياؤهم
 الطاغوت وتقريره على طريقة قوله تعالى ألم تر أنهم في كل واد يهيمون كما أن ما بعده استشهاده على ولايته تعالى
 للمؤمنين وتقريرها وانما يدعى بهذا الرعاية الاقران بينه وبين مدلوله ولا يستقله بأمر عجيب حقيق بأن يصدر
 به المثال وهو اجترأه على الحاجة في الله عز وجل وما اتى بها في أنثائهم من العظيمة المنادية بكمال حاقته ولأن
 فيما بعده تعدد وتفصيل لا يورث تقديمه انتشار النظم على انه قد أشير في تضاعيفه الى هداية الله تعالى أيضا
 بواسطة ابراهيم عليه السلام فان ما يحكي عنه من الدعوة الى الحق وادخا حجة الكافر من آثار ولايته تعالى
 وهمة الاستفهام لانكار النفي وتقرير المنفى أي ألم تنظروا ألم ينته علمك الى هذا الطاغوت المارد كيف تصدى
 لاضلال الناس واخراجهم من النور الى الظلمات أي قد تحققت الرؤية وتقرررت بناء على أن امره من الظهور

بحيث لا يكاد يخفى على أحد من له حظ من الخطاب فظهر أن الكفرة أولياؤهم الطاغوت وفي التعرض لعنوان
 الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تشريف له وايدان بتأييده في المحاجة (أن آتاه الله الملك) أي
 لأن آتاه آياه حيث أبطره ذلك وحله على المحاجة أو حاجه لاجله وضعا للمحاجة التي هي اقبح وجوه الكفر
 موضع ما يجب عليه من الشكر كما يقال عاديته لأن أحسن اليك أو وقت أن آتاه الله الملك وهو حجة على من
 منع آتاه الله الملك للكافر (أذ قال إبراهيم) ظرف لحاج أو بدل من آتاه على الوجه الأخير (رب الذي يحيي
 ويميت) بفتح ياء رب وقرئ بجذفها روى أنه عليه الصلاة والسلام لما كسر الاصنام صجنه ثم أخرجه فقال من
 ربك الذي تدعو اليه قال رب الذي يحيي ويميت أي يخلق الحياة والموت في الاجساد (قال) استئناف مبني
 على السؤال كأنه قيل كيف حاجه في هذه المقالة القوية الحققة فقيل قال (أنا أحيي وأميت) روى
 أنه دعابر جليلين قتل أحدهما وأطلق الآخر فقال ذلك (قال إبراهيم) استئناف كما سلف كأنه قيل فإذا
 قال إبراهيم لمن في هذه المرتبة من المحاجة وبماذا أخفجه فقيل قال (فإن الله يأتي بالشمس من المشرق) حسبا
 تقتضيه شبيخته (فأت بهما من المغرب) ان كنت قادر على مثل مقدوراته تعالى لم يلتفت عليه السلام
 الى ابطال مقالة اللعين ايدانا بأن بطلانها من الجلاء والظهور بحيث لا يكاد يخفى على أحد وأن التصدي
 لا بطلانها من قبيل السعي في تحصيل الحاصل وأتى بمثال لا يجد اللعين فيه مجالا للتقوية والتليس (فبنت الذي
 كفر) أي صارهم وتا وقرئ على بناء الفاعل على أن الموصول مفعوله أي فغلب إبراهيم الكافر وأسكنه
 وإراد الكفر في حيز الصلاة للشعار بعلة الحكم والتنصيص على كون المحاجة ككفرا (والله لا يهدي
 القوم الظالمين) تذييل مقرر لمنهم من مآقيله أي لا يهدي الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب المخلد بسبب
 اعراضهم عن قبول الهداية الى مناهج الاستدلال أو الى سبيل النجاة أو الى طريق الجنة يوم القيامة
 (أو كالذي مر على قرية) استشهدا على ما ذكر من ولايته تعالى للمؤمنين وتقرير له معطوف على الموصول
 السابق واينارأ والفارقة على الواو الجامعة للاحتراز عن توهم اتحاد المستشهد عليه من أول الامر والكاف
 اما سمية كما اختاره قوم بجى بها للتنبيه على تعدد الشواهد وعدم انحصارها فيما ذكر كما في قولك القدر
 الماضي مثل نصر واما زائدة كما ارتضاه آخرون والمعنى أو لم تر الى مثل الذي أو الى الذي مر على قرية وكيف
 هداه الله تعالى وأخرج من ظلمة الاشتباه الى نور العيان والشهود أي قدرأيت ذلك وشاهدته فاذن لا ريب
 في أن الله ولى الذين آمنوا الخ هذا أو أمانا جعل الهزيمة لجزد التجيب على أن يكون المعنى في الاول لم تنظر الى
 الذي حاج الخ أي انظر اليه وتجب من امره وفي الثاني أو أرايت مثل الذي مر الخ ايدانا بأن حاله وما جرى عليه
 في الغربة بحيث لا يرى له مثل كما استقر عليه رأى الجمهور وقرئ خليف بجزالة التزيل ونغامة شأنه الجليل فتدبر
 والماتر هو عزيز بن شريك قاله قتادة والربيع وعكرمة وناجية بن كعب وسليمان بن يزيد والخصال والسدى
 رضى الله عنهم وقيل هو أرميا بن حلقيا من سبط هرون عليه السلام قاله وهب وعبيد الله بن غير وقيل أرميا
 هو الخضر بعينه وقال مجاهد كان الماتر رجلا كافرا بالبعث وهو بعيد والقرية بيت المقدس قاله وهب وعكرمة
 والربيع وقيل هي دير هرقل على شط دجلة وقال الكلبي هي دير سابر آباد وقال السدى هي دير سلما باد والاول
 هو الاظهر والاشهر روى أن بني اسرائيل لما بالغوا في تعاطي الشر والفساد وجاوزوا في العتو والطغيان كل حد
 معتاد سلط الله تعالى عليهم فبخت نصر البابلى فسار اليهم في ستمائة ألف راية حتى وطئ الشام وخرّب بيت المقدس
 وجعل بني اسرائيل اثلاثا ثلث منهم قتلهم وثلث منهم اقترهم بالشام وثلث منهم سباهم وكانوا مائة ألف غلام يافع
 وغير يافع قسمهم بين المولود الذين كانوا معه فأصاب كل ملك منهم اربعة غلة وكان عزيز من بجلتهم فلما نجاه الله
 تعالى منهم بعد حين مر بجماره على بيت المقدس فرآه على أفطح مرأى وأوحش منظره وذلك قوله عز وجل
 (وهي خاوية على عروشها) أي ساقطة على سقوفها بأن سقطت العروش ثم المحيطان من خوى البيت اذا سقط
 أو من خوت الارض أي تهدمت والجملة حال من ضمير مرأى ومن قرية عند من يجوز الحال من الكثرة مطلقا
 (قال) أي تلهف عليها وتشوق الى عمارتها مع استنعار اليأس عنها (أنى يحيي هذه الله) وهي على ما يرى من الحالة
 المحيية المايضة للحياة وتقديدها على الفاعل للاعساء بها من حيث ان الاستبعاد ناشئ من جهتها لا من جهة
 الفاعل وأنى نصب على الظرفية ان كانت بمعنى متى وعلى الحالية من هذه ان كانت بمعنى كيف والعامل يحيي

وأياً ما كان فالمراد استبعاد عمارتها بالبناء والسكان من بقايا أهلها الذين تفرقوا بأيدي سبأ ومن غيرهم وانما عبر
عنها بالاحياء الذي هو علم في البعد عن الوقوع عادة تمويلاً للخطب وتأكيده للاستبعاد كما أنه لاجله عبر عن خرابها
بالموت حيث قيل (بعد موتها) وحيث كان هذا التعبير معرباً عن استبعاد الاحياء بعد الموت على ابلغ وجه
وأكدته اراء الله عز وجل آثرى اثر بعد الامرين في نفسه ثم في غيره ثم اراء ما استبعده صريحاً مباينة في
ازاحة ما عسى يختلج في خلده وأما جعل احيائها على احياء أهلها فبأياه التعرض لحال القرية دون حالهم
والاقتصار على ذكر موتهم دون كونهم تراباً وعظاماً مع كونه أدخل في الاستبعاد لشدة مباينة الحياة وغاية
بعده عن قبولها على انه لم يتعلق ارادته تعالى باحيائهم كما تعلقت بعمارتها ومعابنة المازل لها كما استحيط به خبراً
(فأمانه الله) وألبسه على الموت (مائة عام) روى أنه لما دخل القرية ربط حماره فطاف بها ولم يربها أحد فقتل
ما قال وكانت أشجارها قد أثمرت فتناول من التين والعنب وشرب من عصيره ونام فأمانه الله تعالى في منامه وهو
شاب وأمانات حماره وبقيته تينه وعنبه وعصيره عنده ثم اعطى الله تعالى عنه عيون المخلوقات فلم يره أحد فلما مضى
من موته سبعون سنة وجه الله عز وجل ملكاً عظيماً من ملوك فارس يقال له يوشك الى بيت المقدس ليعمره ومعه
ألف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة ألف عامل فجعلوا يعمرونه وأهلك الله تعالى بجنت نصر بعوضة دخلت
دماغه ونجى الله تعالى من بقي من بني اسرائيل وورثهم الى بيت المقدس وتراجع اليه من تفرق منهم في الاكاف
فعمره ثلاثين سنة وكثروا وكانوا كحسين ما كانوا عليه فلما تمت المائة من موت عزيز احياء الله تعالى
وذلك قوله تعالى (ثم بعثه) وايقظه على احياء للدلالة على سرعته وسهولة تأييده على البارئ تعالى كأنه بعثه
من النوم ولا يذان بأنه اعاده كهيئته يوم موته عاقلاً قاهماً مستعداً للنظر والاستدلال (قال) استئناف مبني
على السؤال كأنه قيل فماذا قال له بعد بعثه فقيل قال (كم لبثت) ليظهر له عجزه عن الاحاطة بشئونه تعالى
وأن احياءه ليس بعد مدة يسيرة ربعايتوهم انه حين في الجلالة بل بعد مدة طويلة وينحصر به مادة استبعاده بالمرة
ويطلع في تضاعفه على امر آخر من بدائع آثار قدرته تعالى وهو ابقاء الغذاء المتسارع الى الفساد بالطبع على
ما كان عليه دهر اطويلاً من غير تغير ما وكله نصب على الظرفية مجزهاً محذوف أي كم وقلبت (والقاتل هو الله)
تعالى أو ملك مأمور بذلك من قبله تعالى قيل نودي من السماء يا عزيز كم لبثت بعد الموت (قال لبثت يوماً)
أو بعض يوم (قال) بناء على التقريب والتخمين أو استقصار المدة لبثه وأما ما يقال من انه مات ضحى وبعث
بعد المائة قيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوماً فالتفت اليها فرأى منها بقية فقال أو بعض يوم على
وجه الاضراب فيمزل من التحقيق اذ لا وجه للجزم بتمام اليوم ولو بناء على حساب الغروب لتحقق نقصان
من آوله (قال) استئناف كما سلف (بل لبثت مائة عام) عطف على مقدراً أي ما لبثت ذلك القدر بل هذا المقدار
(فانظر) لتعائن امر آخر من دلائل قدرتنا (الى طعامك وشرايك لم ينسني) أي لم يتغير في هذه المدة المتطاولة
مع تداعيه الى الفساد روى انه وجد تينه وعنبه كما جنى وعصيره كما عصر والجملة المنفية حال بغيره واوكقوله
تعالى لم يمسسهم سوءاً من الطعام والشراب وافراد النعمير لجريانها مجرى الواحد كالغذاء وأما من
الاخبراً كتنافيدالة حاله على حال الاول ويؤيده قراءة من قرأ وهذا شرايك لم ينسني والهاء أصلية أو هاء
سكت واستحقاقه من السنة لما أن لامها هاء أو واو وقيل أصله لم ينسني من الحما المسنون فقلبت تونه حرف
عله كما في تقضي البازي وقد جوز أن يكون معنى لم ينسني لم يزل عليه السنون التي مرت لاحقيقة بل تشبهاً أي
هو على حاله (كانه) لم يلبث مائة عام وقرئ لم ينسني بادغام التاء في السين (وانظر الى حمارك) كيف فخرت
عظامه وتفرقت وتقطعت أوصاله وتزقت لتبين لك ما ذكر من اللبث المديد وتطمئن به نفسك وقوله عز وجل
(ولنجعلك آية للناس) عطف على مقدرة متعلق بفعل مقدّر قبله بطريق الاستئناف مقترن لمضمون ما سبق
أي فعلنا ما فعلنا من احيائك بعد ما ذكر لتعائن ما استبعدته من الاحياء بعد دهر طويل ولنجعلك آية للناس
الموجودين في هذا القرن بأن يشاهدوا أنك من أهل القرون الخالية وتأخذوا منك ما طوى عنهم منذ
أحقاب من علم التوراة كما سيأتي أو متعلق بفعل مقدّر بعده أي ولنجعلك آية لهم على الوجه المذكور ففعلنا
ما فعلنا فهو على التقديرين دليل على ما ذكر من اللبث المديد ولذلك فرق بينه وبين الامر بالنظر الى حماره وتكرير
الامر في قوله تعالى (وانظر الى العظام) مع أن المراد عظام الحمار أيضاً لما أن المأمور به أولاً والنظر اليها من

حيث دلالة على ما ذكر من اللبث المديد وثانيها هو النظر اليها من حيث تعثر بها الحياة ومباذنها أي وانظر الى
عظام الجوار لتشهد كيفية الاحياء في غيرك بعد ما شاهدت نفسه في نفسك (كيف تفسرها) بالزاي المجهدة
أي زرفع بعضها الى بعض ونزدها الى أمانتها من الجسد فتربها تر كيبا لا تعاقبها وقال الجصاصي تليتها
ونعظمها ولعل من فسر به بضمها أراد بالاحياء هذا المعنى وكذا من قرأ نشرها بالراء من انشر الله تعالى الموق
أي أحياءها لامعناه الحقيقي - قوله تعالى (ثم نكسوها لحما) أي نشرها به كاسترا الجسد باللباس وأما من قرأ
نشرها بفتح النون وضم الشين فاعله أراد به ضد الطي كما قال القراء فالعنى كيف ينسبطها والجلة أتاحل من
العظام أي وانظر اليها مركبة مكسوة لحما أو بدل اشتمال أي وانظر الى العظام كيفية انشازها وبسط اللحم عليها
ولعل عدم التعرض لكيفية نفخ الروح لما فيها مما لا تقتضى الحكمة بيانه وروى انه نودى أي بها العظام البالية
ان الله يأمر بالهالك أن يجتمع فاجتمع كل جزء من أجزائها الى ذهابها الطير والسباع وطارت بها الرياح من كل
سهل وجبل فانضم بعضها الى بعض والتصق كل عضو بما يليق به الضلع بالضلع والذراع بمحملها والرأس
بموضعها ثم الاعصاب والعروق ثم انبسط عليه اللحم ثم الجلد ثم خرجت منه الشعور ثم نفخ فيه الروح فاذا هو
قائم ينطق (فلما تبين له) أي ما دل عليه الامر بالنظر اليه من كيفية الاحياء بمبادئه والقضاء للعطف على مقدر
يسد عنه الامر المذكور وانما حذف للايدان بظهور تحققه واستغنائه عن الذكر وللشعار بسرعة وقوعه
كما في قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله انا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك كأنه قيل فأنشزها الله
تعالى وكساها لحما فنظر اليها فتبين له كيفية فلما تبين له ذلك أي انضح انضاجا تاما (قال أعلم أن الله على كل شيء)
من الاشياء التي من جلها ما شاهدته في نفسه وفي غيره من تعاجيب الآثار (قدير) لا يستعصى
عليه امر من الامور وايشار صيغة المضارع للدلالة على أن علمه بذلك مستقر نظرا الى أن أصله لم يتغير
ولم يتبدل بل انما تبدل بالعيان وصفه وفيه اشعار بأنه انما قال ما قال بناء على الاستبعاد العادي واستعظاما
للامر وقد قيل فاعل تبين مضمير يفسره مفعول أعلم أي فلما تبين له أن الله على كل شيء قد ير قال أعلم أن الله على كل
شيء قد ير قد ير وقرئ تبين له على صيغة المجهول وقرئ قال أعلم على صيغة الامر روى انه ركب جاره وأنى
محمله وانكره الناس وانكر الناس وانكر المنازل فانطلق على وهم منه حتى اتي منزله فاذا هو يحوز عيا
مضعة قد أدركت زمن عزير فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير قالت نعم وأين ذكري عزير قد فقدناه منذ كذا
وكذا فبكى بكاء شديدا قال فاني عزير قالت سبحان الله أنى يكون ذلك قال قد أمانى الله مائة عام ثم بعثنى
قالت ان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة فادع الله لي يرد علي بصري حتى أراك قد عاربه ومسح يده
عينيها فمعتافا خذ يدها فقال لها قومي ياذن الله فقامت صيحة كأنها نشطت من عقال فنظرت اليه
فقال أشهد أنك عزير فانطلقت الى محله بنى اسرائيل وهم في انديتهم وكان في المجلس ابن عزير قد بلغ مائة
وثمانى عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فتادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت انظروا فاني بدعائه رجعت
الى هذه الحالة فتمض الناس فأقبلوا اليه فقال ابنه كان لابي شامة سوداء بين كتفيه مثل الهلال فكشف
فاذا هو كذلك وقد كان قتل بخت نصر بيت المقدس من قراء التوراة أربعين ألف رجل ولم يكن يومئذ منهم
نسخة من التوراة ولا أحد يعرف التوراة فقرأها عليهم عن ظهر قلبه من غير أن يخرم منها حرفا فقال رجل
من اولاد المسبيين ممن ورد بيت المقدس بعد مهلك بخت نصر حدثني أبي عن جدتي انه دفن التوراة يوم سبينا
في خاية في كرم فان أرتخوني كرم جدتي أخرجهما لكم فذهبوا الى كرم جدته ففتشوا فوجدوها فعارضوها
بما ملئ عليهم عزير من نهار القلب فما اختلفا في حرف واحد فعند ذلك قالوا هو ابن الله تعالى الله عن ذلك
علوا كبيرا (واذا قال ابراهيم) دليل آخر على ولايته تعالى للمؤمنين واخراجه لهم من الظلمات
الى النور وانما لم يسلط به مسلك الاستشهاد كما قبله بأن يقال أو كاذبي قال رب الخ لجران ذكره عليه السلام
في أثناء الحاجة ولانه لا دخل لنفسه عليه السلام في أصل الدليل كدأب عزير عليه السلام فان ما جرى عليه
من احبائه بعد مائة عام من جلة الشواهد على قدرته تعالى وهدايته وانظر من منصب بمضمرة صريح بمثله في
نحو قوله تعالى واذا جعلكم خلقا أي واذا كروقت قوله عليه السلام وما وقع حينئذ من تعاجيب
صنع الله تعالى لتقف على ما من من ولايته تعالى وهدايته وتوجيه الامر بالذكور في أمثال هذه المواضع الى الوقت

دون ما وقع فيه من الواجهات مع انها المقصودة بالتدكير لما ذكر غير مرة من المبالغة في ايجاب ذكرها لما ان
ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشغل عليها مفصلة فاذا استحضرت كانت
حاضرة بتفاصيلها بحيث لا يشذ عنها شيء مما ذكر عند الحكاية اوله ذكر كانتا مشاهدتي عيانا (رب) كلمة
استعطاف قدمت بين يدي الدعاء مبالغة في استدعاء الاجابة (انني) من الرؤية البصرية المتعدية الى واحد
وبدخول همزة النقل طلبت مفعولا آخر هو الجملة الاستهامية المتعلقة لها فانها لم تقبل كإعلاق النظر البصري أي
اجعلني مبسرا (كيف تحيي الموتى) بأن تحييهما وأنا أنظر اليهما وكيف في محل نصب على التشبيه بالظرف عند
سبويه وبالحال عند الاخفش والعامل فيها تحيي أي في أي حال أو على أي حال تحيي قال القرطبي الاستفهام
بكيف انما هو سؤال عن حال شيء متقرر الوجود عند السائل والمسؤل فالاستفهام ههنا عن هيئة الاحياء
المتقرر عند السائل أي بصرف كيفية حياتك للموتى وانما سأله عليه السلام ليتأيد ايقانه بالعيان ويزداد قلبه
اطمئنانا على اطمئنانه وأما ما قيل من أن غرور دلتا قال أنا حي وأمنت قال ابراهيم عليه السلام ان احياء الله
تعالى برز الآرواح الى الاجساد فقال غرور دلتا عاينته فلم يقدر على أن يقول نعم فانتقل الى تقرير آخر ثم سأله ربه أن
يريه ذلك فبدأه بتعليل السؤال بالاطمئنان (قال) استئناف كما مر غير مرة (أو لم تؤمن) عطف على مقدر أي ألم
تعلم ولم تؤمن بأنني قادر على احياء كيف أشاء حتى تسألني ارادته فله عز وعلا وهو أعلم بأنه عليه السلام أثبت
الناس ايماننا وأقواهم يقينا ليجيب بما أجاب به فيكون ذلك لطف الله بهم (قال بلى) علمت وأمنت بأنك قادر
على احياء على أي كيفية شئت (ولكن) سألت ما سألت (ليطمئن قلبي) بضلعة العيان الى الايمان
والايقان وأزدد بصيرة بمشاهدته على كيفية معينة (قال فخذ) الفاء لجواب شرط محذوف أي ان أردت
ذلك فخذ (أريته من الطير) قيل هو اسم لجمع طائر كركب وسفر وقيل جمع له كتاب وتجر وقيل هو مصدر سمي به
الجنس وقيل هو تخفيف طير بمعنى طائر كهين في هين ومن متعلقة بخذ أو بمحذوف وقع صفة لاربعة أي أربعة
كأنه من الطير قيل هي طاوس وديك وغراب وحمامة وقيل نسريد الاخير وتخصيص الطير بذلك لانه اقرب
الى الانسان وأجمع لخواص الحيوان ولسهولة تأني ما يفعله به من التجزئة والتفريق وغير ذلك (فصره) من
من صار به يصوره أي أماله وقرئ بكسر الصاد من صار به يصيره أي أملهن واضمهتن وقرئ فصره من بضم
الصاد وكسرهما وتشديد الراء من صر به يصره ويصره اذا جمعه وقرئ فصره من التصرية بمعنى الجمع
أي اجمعهن (الملك) لتأملها وتعرف شيئا بمفصلة حتى تعلم بعد الاحياء أن جزءا من أجزائها لم ينتقل
من موضعه الاقل أصلا روى انه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق أجزائها ويخلط ريشها
ودماها ويخلط دماها ويصير رؤسها ثم أمر بأن يجعل أجزائها على الجبال وذلك قوله تعالى (ثم اجعل على كل
جبل منهم جزءا) أي جزء من وفرق أجزائها من على ما يحضر لك من الجبال قيل كانت اربعة أجبل وقيل سبعة
فجعل على كل جبل ريعا أو سبعة من كل طائر وقرئ جزوا بضمين وجزا بالتشديد يطرح همزة تخفيفا ثم تشديده
عند الوقف ثم اجزاء الوصل مجرى الوقف (ثم ادعهن بأنينك) في حيز الجزم على انه جواب الامر ولكنه
بني لاتصاله بنون جمع المؤنث (سعبا) أي ساعيات مسرعات أو ذوات سعي طيرانا أو مشيا وانما اقتصر
على حكاية واحده عز وجل من غير تعرض لامتناله عليه السلام ولا لما ترتب عليه من عجائب آثار قدرته تعالى
كما روى انه عليه السلام نادى فقال تعالين يا ذن الله فجعل كل جزء منهم يطير الى صاحبه حتى صارت جثتا
ثم أقبلن الى رؤسهن فانضمت كل جثة الى رأسها فعدت كل واحدة منهم الى ما كانت عليه من الهيئة
للايدان بأن ترتب تلك الامور على الاواخر الجليظة واستحالة تخلفها عنها من الجلاء والظهور بحيث لا حاجة له
الى الذكر أصلا ونهايك بالقصة دليل على فضل الخليل وعين الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال حيث
اراد الله تعالى ما سأله في الحال على اسر ما يكون من الوجوه وأرى عزيزا ما أراه بعد ما امانته مائة عام
(واعلم أن الله عزيز) غالب على أمره لا يهزمه شيء عاينته (حكيم) ذو حكمة بالغة في افعاله فليس بناء
أفعاله على الاسباب العادية ليجزه عن ايجادها بطريق آخر خارق للعاديات بل لكونه متضمنا للحكم والمصالح
(مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) أي في وجوه الخيرات من الواجب والنفل (كمثل حبة) لا بد من
تقدير مضاف في أحد الجانبين أي مثل نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة (انبت سبع سنابل) أي

أخرجت ساقا شعب منها سبع شعب لكل واحدة منها سنبلة (في كل سنبلة مائة حبة) كما يشاهد ذلك في الذرة والدخن في الاراضي المغلة بل اكثر من ذلك واسناد الانبات الى الحبة مجازي تكسناده الى الارض والربيع وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كأنها حاضرة بين يدي الناظر (والله يضاعف) تلك المضاعفة أوفوقها الى ما شاء الله تعالى (لمن يشاء) أن يضاعف له بفضل على حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ولذلك تفاوتت مراتب الاعمال في مقادير الثواب (والله واسع) لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة (عليم) بنية المنفق ومقدار انفاقه وكيفية تحصيل ما انتقمه (الذين يتفقون أموالهم في سبيل الله) بجهة مبتدأ محذوف (بهم) البيان كيفية الاتفاق الذي بين فضل التمثيل المذكور (ثم لا يتبعون ما أنفقوا) أي ما أنفقوه أو أنفقاهم (مناولا أذى) المن أن يعتد على من أحسن اليه باحسانه ويريه أنه أو جب بذلك عليه حقا والاذى أن يتناول عليه بسبب انعامه عليه وانما أقدم المن أكثر وقوعه وتوسيط كلمة للدلالة على شمول النفي لاتساع كل واحد منهما وثم لاظهار علوية المعطوف قبل نزلت في عثمان رضي الله عنه حين جهز جيش العسرة بألف بعير بأقاربها وأحلاسها وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه حين أتى النبي صلى الله عليه وسلم بأربعة آلاف درهم صدقة ولم يكدي بخطربا لهما شيء من المن والاذى (لهم اجرهم) أي حسب ما وعد لهم في ضمن التمثيل وهو جلة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا عن الموصول وفي تكرير الاسناد وتشديد الاجراء قوله (عند ربهم) من التأكد والتشريف ما لا يخفى وتخلية الخبر عن الفاء المفيدة للسببية ما قبلها لما بعدها لا بد أن ترتب الاجر على ما ذكر من الاتفاق وترك اتباع المن والاذى أمرين لا يحتاج الى التصريح بالسببية وأما إيهام انهم أهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا فإياه مقام الترغيب في الفعل والحث عليه (ولا خوف عليهم) في الدارين من حقوق مكرهه من المكافاة (ولاهم يحزنون) افوات مطلوب من المطالب قل أو جل أي لا يعتريهم ما يوجب له لانه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولانه لا يعتريهم خوف وحزن أصلا بل يستمرون على النشاط والسرور وكيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله وهيبته واستقصارا للجد والسعي في إقامة حقوق العبودية من خواص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتقامهم ما لا يان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما أن النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام (قول معروف) أي كلام جميل تقبله القلوب ولا تنكره رذبه السائل من غير اعطاء شيء (ومغفرة) أي ستر لما وقع من السائل من الخلف في المسئلة وغيره مما يشغل على المسؤول وصفح عنه وانما صرح الابتداء بالنكرة في الاول لاختصاصها بالوصف وفي الثاني بالعطف أو بالصفة المقدرة أي ومغفرة كائنة من المسؤول (خير) أي للسائل (من صدقة يتبعها اذى) لكونها مشوبة بضرر ما يتبعها وخلص الاقلين من الضرر والجملة مسنأة مقترنة لاعتبار ترك اتباع المن والاذى وتفسير المغفرة بديل مغفرة من الله تعالى بسبب الرذائل الجليل أو بهو السائل بناء على اعتبار الخيرية بالنسبة الى المسؤول يؤدي الى أن يكون في الصدقة الموصوفة بالنسبة اليه خيري الجملة مع بطلانها بالمرّة (والله غني) لا يحوج الفقراء الى تحمل مؤنة المن والاذى ويرزقهم من جهة أخرى (حليم) لا يعاجل أصحاب المن والاذى بالعقوبة لانهم لا يستحقونها بسببهما والجملة تذييل لما قبلها مشتمل على الوعد والوعيد مقترن لاعتبار الخيرية بالنسبة الى السائل قطعا (يا أيها الذين آمنوا) أقبل عليهم بالخطاب اترهبان ما بين بطريق الغيبة مبالغة في ايجاب العمل بوجوب النهي (لا تطلوا صدقاتكم بالمن والاذى) أي لا تحبطوا أجرها بواحد منهما (كاذبي) في محل نصب اتماعا على انه نعت لمصدر محذوف أي لا تطلوها ابطلا كإبطال الذي (ينفق ماله رياء الناس) واما على انه حال من فاعل لا تطلوا أي لا تطلوها مشايين الذي ينفق أي الذي يطل انفاقه بالرياء وقيل من ضمير المصدر المقدر على ما هو رأي سيديويه واتصاب رياء اتماعا على انه علة لينفق أي لاجل رثائهم أو على انه حال من فاعله أي ينفق ماله مرثيا والمراد به المنافق لقوله تعالى (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) حتى يرجو نوايا أو يخشى عقابا (قوله) الفاء لربط ما بعدها بما قبلها أي فثل المراني في الانفاق وحالته الحميمة (كمثل صفوان) أي حجر أملس (عليه تراب) أي شيء يسير منه (فأصابه وابل) أي مطر عظيم القطر (فتركه صلدا) أملس ليس عليه شيء من الفبار أصلا (لا يقدر على شيء)

بما كسبوا) لا يتفقون بما فعلوا رثاء ولا يجدون له ثواباً قطعاً كقوله تعالى فجعلناه هباء منثوراً والجملة
استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا يكون حالهم حينئذ فقيل لا يقدر أن الخ ومن ضرورة كون مثلهم
كأذا كرون مثل من يشبههم وهم أصحاب المن والاذى كذلك والضمير ان الاخير ان للموصول باعتبار المعنى
كافي قوله عز وجل وخضتم كالذي خاضوا الماء ان المراد به الجنس أو الجمع أو الفريق كما أن الضمائر الاربعة
السابقة له باعتبار اللفظ (والله لا يهدي القوم الكافرين) الى الخير والرشاد والجملة تذييل مقترن بضمعون
ما قبله وفيه تعريض بأن كلام من الرباء والمن والاذى من خصائص الكفار ولا بد للمؤمنين أن يحتجوا بها
(ومثل الذين يتفقون أموالهم استغناء مرضاة الله) اي لطلب رضاه (وتثبيتاً من انفسهم) أي ولتثبيت بعض
انفسهم على الايمان فمن تبعضية كافي قولهم هزم من عطفه وحزله من نشاطه فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله
لوجه الله تعالى فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه فقد ثبتها كلها أو تصديقاً للاسلام وتحقيقاً للجزاء
من اصل انفسهم فمن ابتدائية كافي قوله تعالى حسداً من عند انفسهم ويحتمل أن يكون المعنى وتثبيتاً من
انفسهم عند المؤمنين أنها صادقة الايمان مخافة فيه وبعضه قراءة من قرأ وتبيناً من انفسهم وفيه تنبيه على
أن حكمة الانفاق للمنفق تركية النفس عن البخل وحب المال الذي هو رأس كل خطيئة (كمثل جنة بربوة)
الربوة بالحركات الثلاث وقد قرئت بها المدكان المرتفع أي مثل نفقتهم في الزكاء كمثل بستان كأنه مكان مرتفع
سأمون من أن يصطله البرد للطافة هو انه يهب بوب الرياح الماطفة له فان اشجاره بالانكسار احسن منظراً وأزكى
ثمراً وأما الاراضي المنخفضة فتلما تسلم غمارها من البرد لكثافتها وانما بر كود الرياح وقرئ كمثل حبة (اصابعها
وابل) مطر عظيم القمار (فأتت أكلها) ثم ثاب وقرئ بسكون الكاف تخفيفاً (ضعفين) أي مثلي ما كانت تثمر في
سائر الاوقات بسبب ما أصابها من الوابل والمراد بالضعف المثل وقيل أربعة أمثال ونصبه على الحال من أكلها
أي مضاعفاً (فان لم يصبها وابل فطل) أي فطل يكفيها الجودتها وكرم منبتها واطافة هوائها وقيل فيصيبها طل
وهو المطر الصغير القطر وقيل فالذي يصيبها طل والمعنى أن نفقات هؤلاء زكية عند الله تعالى لا تضيع بحال
وان كانت تتفاوت باعتبار ما يقارنهم من الاحوال ويجوز أن يعتبر التمثيل بين حالهم باعتبار ما صدر عنهم من
النفقة الكثيرة والقليلة وبين الجنة المعهودة باعتبار ما أصابها من المطر الكثير واليسير فكأن كل واحد من
المطرين يضعف أكلها فكذلك نفقتهم جات أو قلت بعد أن يطلب به اوجه الله تعالى زكية زائدة في زلفاهم
وحسن حالهم عند الله (والله بما تعملون بصير) لا يخفى عليه شيء منه وهو ترغيب في الاخلاص مع تحذير
من الرباء ونحوه (أيوداً أحدكم) الودحبة الشيء مع غنيته ولذلك يستعمل استعمالهم والهمزة لانكار
الوقوع كافي قوله أأضرب ابني لانكار الواقع كافي قولك أنضرب أباك على أن مناط الانكار ليس جميع
ما يتعلق به الودحبة انما هو اصابة الاعصار وما يتبعها من الاحتراق (أن تكون له جنة) وقرئ جنات
(من نخيل وأعناب) أي كائنة منهما على أن يكون الاصل والركن فيها هذين الجنسيتين الشريقتين الجامعتين
لفنون المنافع والباقي من المستنبعات لا على أن لا يكون فيها غيرهما كما ستعرفه والجنة تطلق على الاشجار
الملتفة المتكاثفة قال زهير

كان عيني في غربي مقتله * من النواضع تسقى جنة - هـ

وعلى الارض المشتملة عليها والاول هو الانسب بقوله عز وجل (تجري من تحته الانهار) اذ على الثاني
لا بد من تقدير مضاف اي من تحته اشجارها وكذا لا بد من جعل اسناد الاحتراق اليها فيما سيق مجازياً
والجملة في محل الرفع على انها صفة جنة كما أن قوله تعالى من نخيل وأعناب كذلك أو في محل النصبة على أنها
حال منها لانها موصوفة (له فيها من كل الثمرات) الطرف الاول خبر والثاني حال والثالث مبتدأ اي صفة
للمبتدأ قائمة مقامه أي له رزق من كل الثمرات كافي قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم أي وما منا أحد الا له
الخ وليس المراد بالثمرات العموم بل انما هو التأكيد كافي قوله تعالى وأوتيت من كل شيء (وأصابه الكبير)
أي كبر السن الذي هو مظنة شدة الحاجة الى منافعها ومثنة كمال العجز عن تدارك اسباب المعاش والواو
حالية أي وقد أصابه الكبير (وله ذرية ضعفاء) حال من الضمير في أصابه أي أصابه الكبير والحال أن له ذرية
صغاراً لا يقدر على الكسب وترتيب مبادئ المعاش وقرئ ضعاف (فأصابها اعصار) أي ريح عاصفة

تستدير في الارض ثم تنعكس منها ساطعة الى السماء على هيئة العمود (فيه نار) تدبيرة (فاحترق) عطف
على فاصليها وهذا كما ترى تمثيل لحال من يعمل أعمال البر والخيرات ويضم اليها ما يحبطها من القوادح
ثم يجدها يوم القيامة عند كمال حاجته الى ثوابها هباء منثورا في التصبر والتأسف عليها (كذلك)
توحيد الكلف مع كون الخطاب بها مقدم ووجهه مرارا أي مثل ذلك البيان الواضح الجارى في الظهور
يجري الامور المحسوسة (بين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) كي تفكروا فيها وتعتبروا بما فيها من العبر
وتعملوا بموجبها (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم) بيان لحال ما يتفق منه اثر بيان أصل
الانفاق وكيفيته أي أنفقوا من حلال ما كسبتم وجياده لقوله تعالى لن تالوا البر حتى تنفقوا ولما تصبون
(ومما أخرجنا لكم من الارض) أي من طيبات ما أخرجنا لكم من الحبوب والثمار والمعادن لحذف دلالة
مأقوله عليه (ولا تيمموا) بفتح التاء أصله ولا تيمموا وقرئ بضمها وقرئ ولا تأموا والكل بمعنى القصد أي
لا تقصدوا (الخبث) أي الردي الخسيس وهو كالطيب من الصفات الغالبة التي لا تذكر موصوفاتها
(منه تنفقون) الجارة متعلق بتنفقون والضمير للخبث والتقديم للتخصيص والجملة حال من قاعل تيمموا أي
لا تنقصوا والخبث قاصر من الانفاق عليه أو من الخبيث أي مختصا به الانفاق وأيا ما كان فالتخصيص لتوحيدهم
بما كانوا يتعاطونه من انفاق الخبيث خاصة لا لتسوية انفاقه مع الطيب عن ابن عباس رضى الله عنهما انهم كانوا
يتصدقون بحشف القرو شراره فهو ردي وقيل متعلق بمحذوف وقع حالا من الخبيث والضمير للمال المدلول عليه
بحسب المقام أو للموصولين على طريقة قوله كأنه في الجاد توليع البهق أو للثاني وتخصيصه بذلك لما أن التفاوت
فيه أكثر وتنفقون حال من الضاعل المذكور أي ولا تنقصوا والخبث كأنه من المال أو مما كسبتم وما أخرجنا
لكم أو مما أخرجنا لكم منفقين أي وقوله تعالى (ولستم بأخذية) حال على كل حال من واد تنفقون أي
والحال انكم لا تأخذونه في معاملة لا تكم في وقت من الاوقات أو بوجه من الوجوه (الآن نغمضوا
فيه) أي الاوقات انغمضكم فيه أو الايام انغمضكم فيه وهو عبارة عن المسامحة بطريق الكناية أو الاستعارة
يقال أغمض بصره اذا غمضه وقرئ على البناء للمنعول على معنى الآن نغمضوا على الانغماض وتدخلوا فيه
أو توجدوا ومغمضين وقرئ نغمضوا ونغمضوا بضم الميم وكسرهما وقيل تم الكلام عند قوله تعالى ولا تيمموا
الخبث ثم استوقف فقبل على طريقة التوبيخ والتفريع منه تنفقون والحال انكم لا تأخذونه الا اذا انغمضتم
فيه وما له الاستفهام الانكارى فكأنه قيل أمنه تنفقون الخ (واعلموا أن الله غني) عن انفاقكم
وانما يأمركم به لئلا يفتكم وفي الامر بان يعملوا ذلك مع ظهور علمهم به توبيخ لهم على ما يصنعون من اعطاء
الخبث وايدان بأن ذلك من آثار الجهل بشأنه تعالى فان اعطاء مثله انما يكون عادة عند اعتقاد المعطى
أن الاخذ محتاج الى ما يعطيه بل مضطرا اليه (جيد) مستحق للحمد على نعمه العظام وقيل حامد مقبول
الجيد والاثابة عليه (الشيطان يعدكم الفقر) الوعد هو الاخبار بما سيكون من جهة المخبر مترابا على شيء من
زمان أو غيره يصح العمل في الشر استعماله في الخير قال تعالى النار وعدها الله الذين كفروا أي يعدكم في الانفاق
الفقر ويقول ان عاقبة انفاقكم أن تنفقوا وانما عبر عن ذلك بالوعد مع أن الشيطان لم يضاف بحجى الفقر الى
جهته للايدان بما لفته في الاخبار بتحقق محبته كأنه زله في تقرر الوقوع منزلة أفعاله الواقعة بحسب ارادته
أو لوقوعه في مقابلة وعده تعالى على طريقة المشاكلة وقرئ بضم الفاء والكون وبضمين وبفتحتين (وبأمركم
بالعشاء) أي بالخدمة العشاء أي ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآخر للمأمور على فعل
المأوربه والعرب تسمى البخل فاحشا قال طرفة بن العبد

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى * عقبله مال الفاحش المتشدد

وقيل بالمعاصي والسيئات (والله يعدكم) أي في الانفاق (مغفرة) لذنوبكم والجارة في قوله تعالى
(منه) متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لغنائمها التي أفادها تنكيرها أي مغفرة أي مغفرة مغفرة
كأنه منه عز وجل (وفضلا) صفته محذوفة لدلالة المذکور عليها كافي قوله تعالى فانقلبوا بنعمة
من الله وفضل وتظلموا أي وفضلا كأنه تعالى أي خلفا مما أنفقتم زائدا عليه في الدنيا وفيه تكذيب
للشيطان وقيل ثوابا في الآخرة (والله واسع) قدرة وفضلا فيصحق ما وعدكم به من المغفرة واخلاف ما تنفقونه

(عليه) مبالغ في العلم فيعلم انفسا حكم فلا يكاد يضيع أجره أو يعلم ما سيكون من المغفرة والفضل فلا احتمال للخلف في الوعد والجللة تذييل مقرّر لمضمون ما قبله (بثبوت الحكمة) قال مجاهد الحكمة هي القرآن والعلم والفقه وروى عن ابن نجيم انها الاصابة في القول والعمل وعن ابراهيم النخعي انها معرفة معاني الاشياء وفهمها وقيل هي معرفة حقائق الاشياء وقيل هي الاقدام على الافعال الحسنة الصالحة وعن مقاتل انها تفسر في القرآن بأربعة أوجه فتارة بمواعظ القرآن وأخرى بما فيه من عجائب الاسرار ومرة بالعلم والفهم وأخرى بالنبوة ولعل الانسب بالمقام ما ينظم الاحكام المبينة في تضاعيف الآيات الكريمة من أحد الوجهين الاولين ومعنى ايتائها تبينها والتوفيق للعلم والعمل بها أي بينها ويوفق للعلم والعمل بها (من يشاء) من عباده أن يؤتيها اياه بموجب سعة فضله واحاطة علمه كما آتاكم ما بينه في ضمن الآي من الحكم البالغة التي يدور عليها فلك منافعكم فاعتموها وسارعوا الى العمل بها والموصول مفعول أول ليؤتي قدّم عليه الثاني للعناية به والجللة مستأنفة مقرّرة لمضمون ما قبلها (ومن يؤت الحكمة) على بناء المفعول وقرئ على البناء للفاعل أي ومن يؤته الله الحكمة والاطهار في مقام الاضمار لاظهار الاعتناء بشأنها والاشعار بعلة الحكم (فقد أوتي خيرا كثيرا) أي أي خبر كثير فانه قد خيره خير الدارين (وما يذكر) أي وما يحفظ بما أوتي من الحكمة أو وما يتفكر فيها (الأولوالباب) أي العقول الخاصة عن هوائ الوهم والركون الى مشايعة الهوى وفيه من الترغيب في المحافظة على الاحكام الواردة في شأن الاتصاف ما لا يخفى والجللة اما حال أو اعتراض تذييل (وما انفقتم من نفقة) بيان لحكم كلي شامل لجميع أفراد النفقات وما في حكمها اثر بيان حكم ما كان منها في سبيل الله وما اما شرطية أو موصولة حذف عائد هامن الصلة أي وما أنفقتموه من نفقة أي نفقة كانت في حق أو باطل في سر أو علانية قليلة او كثيرة (أو نذرتم) النذر عقد الضمير على شيء والتزامه وفعله كضرب ونصر (من نذر) أي نذر كان في طاعة أو معصية بشرط أو بغير شرط متعلق بالمال أو بالافعال كالصيام والصلاة ونحوهما (فان الله يعلمه) القاء على الأول داخله على الجواب وعلى الثاني مزيدة في الخبر وتوحيد الضمير مع تعدد متعلق العلم لاتحاد المرجع بناء على كون العطف بكلمة أو كما في قولك زيد أو عمرو اكرمه ولا يقال اكرمتها ولهذا صير الى التأويل في قوله تعالى ان يكن غنيا أو فقيرا قاله أولى بهما بل يعاد الضمير تارة الى المقدم رعاية للتأويلية كما في قوله عز وجل واذا راوا تجارة أولهوا انفضوا اليها وأخرى الى المؤخر رعاية للقرب كما في هذه الآية الكريمة وفي قوله تعالى ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرجع الى الله تعالى وحمل النظم على تأويلهما بالذكور وتطائره أو على حذف الأول ثقة بدلالة الثاني عليه كما في قوله تعالى والذين يكتزون الذهب والنفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وقوله نحن بما عندنا وأنت بما عندنا راض والأي مختلف ونحوهما مما عطف فيه بالواو الجامعة تعسف مستغنى عنه ثم يجوز ارجاع الضمير الى ما على تقدير كونها موصولة وتصدر بالجللة بأن لتأكيد مضمونها افادة لتحقيق الجزاء أي فانه تعالى يجازيكم عليه البتة ان خيرا وخيرا شر افشرت فهو ترغيب وترهيب ووعد ووعد (وما للظالمين) بالاتصاف والنذر في المعاصي أو بمنع الصدقات وعدم الوفاء بالنذور أو بانصاف الخبيث أو بالرياء والمن والاذى وغير ذلك مما ينظمه معنى الظلم الذي هو عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه الذي يحق أن يوضع فيه (من انصار) أي أعوان ينصرونهم من يأس الله وعقابه لاشفاعة ولا مدافعة و اراد صيغة الجمع لمقابل الظالمين أي وما للظالم من نصير من الانصار والجللة استئناف مقرّر لما قبله من الوعيد مفيد لفظاعة حال من يفعل ما يفعل من الظالمين لتفصيل الاعوان ورعاية الخلاق (ان تبدوا الصدقات فنعما هي) نوع تفصيل لبعض ما أجل في الشرطية وبيان له ولذلك ترك العطف بينهما أي ان تظهروا الصدقات فنعم شيأ أبداؤها بعد أن لم يكن رياء وسمعة وقرئ بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرئ بكسر النون وسكون العين وقرئ بكسر النون واخفاء حركة العين وهذا في الصدقات المفروضة وأما في صدقة التطوع فلا اخفاء أفضل وهي التي اريد بقوله تعالى (وان تحفظوها) أي تعطوها خفية (وتؤتوها الفقراء) ولعل التصريح بإيتائها الفقراء مع انه واجب في الابداء أيضا لما أن الاخفاء مظنة الاتيأس والاشتباء فان الغنى رجا يذهب الفقر ويقدم على قبول الصدقة سرا ولا يفعل ذلك عند الناس (فهو خير لكم) أي فلا اخفاء خير لكم من الابداء وهذا في التطوع ومن لم يعرف بالمال وأما

في الواجب قال امر بالعكس لدفع التهمة عن ابن عباس رضي الله عنهما صدقة السر في التطوع تفضل علانيتهما
سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتهما أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا (ويكفر عنكم من سيئاتكم) أي
والله يكفر أو لا يخفاء ومن تبعه ضحية أي شيئا من سيئاتكم كما استغفروها وقيل من زيادة على رأى الاخفش وقرئ
بالتاء مرفوعا ومجزوما على أن الفعل للصدقات وقرئ بالتون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء وعلى أنه خبر
مبتدأ محذوف أي ونحن نكفر أو على أنها جلة مبتدأة من فعل وفاعل وقرئ مجزوما عطفا على محل الفاء وما
بعده لانه جواب الشرط (والله بما تعملون) من الاسرار والاعلان (خبر) فهو ترغيب في الاسرار (ليس
عليك هدام) أي لا يجب عليك أن تجعلهم مهدين الى الاتيان بما أمروا به من المحاسن والانتفاء عما نهوا
عنه من القبايح المعدودة وانما الواجب عليك الا شاد الى الخير والحث عليه والنهي عن الشر والردع عنه
بما أوحى اليك من الآيات والذكر الحكيم (ولكن الله يهدي) هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتم
(من يشاء) هدايته الى ذلك ممن يتذكر بما ذكره ويتبع الحق ويختار الخير والجملة معترضة بحسبها على طريق
تلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الالتفات الى الغيبة فيما بين الخطابات المتعلقة
بالمكلفين مبالغة في جلهم على الامتنال فان الاخبار بعدم وجوب تدارك امرهم على النبي صلى الله عليه وسلم
مؤذن بوجوب عليهم حسبما ينطق به ما بعده من الشرطية وقيل لما كثرة فقراء المسلمين نهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم المسلمين عن التصديق على المشركين كي تحملهم الحاجة على الدخول في الاسلام فنزلت أي ليس عليك
هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل دخولهم في الاسلام فلا التفات حينئذ في الكلام وضيم الغيبة
للمعهودين من فقراء المشركين بل فيه تلوين فقط وقوله تعالى (وما تنفقوا من خير) على الاول التفات
من الغيبة الى خطاب المكلفين لزيادة هزهم نحو الامتنال وعلى الثاني تلوين للخطاب بتوجيه الهم وصرفه عن
النبي صلى الله عليه وسلم وما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة به على المفعولية ومن تبعه ضحية متعلقة بمحذوف
وقع صفة لاسم الشرطية مبنية ومخصصة له أي شيء تنفقوا كائن من مال (فلا تنفككم) أي فهو لا تنفككم
لا ينفع به غيركم فلا تنفكوا على من اعطيتموه ولا تنفكوا من الخيرات او تنفعه الدين لكم لا غيركم من
الفقراء حتى تمنعوه ممن لا ينفع به من حيث الدين من فقراء المشركين (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله)
استثناء من أعم العلل أو أعم الاحوال أي ليست نفقتكم لشيء من الاشياء الا ابتغاء وجه الله وأليست
في حال من الاحوال الا حال ابتغاء وجه الله فبالكم تمنون بها وتنفقون الخيرات الذي لا يوجه مثله الى الله
تعالى وقيل هو نفي في معنى النهي (وما تنفقوا من خير يوف اليكم) أي أجره وثوابه أضعافا مضاعفة حسبما
فصل فيما قبل فلا عذر لكم في أن ترغبوا عن انفاقه على أحسن الوجوه وأجلها فهو تأكيد وبيان
للشرطية السابقة أو يوف اليكم ما يحلفه وهو من نتائج دعائه عليه السلام بقوله اللهم اجعل للمنفق خلفا
وللممسك تلفا وقيل جئت أسماء بنت أبي بكر فأنتم أمهات نساءها وهي مشركة فأبى أن يعطيها وعن سعيد
ابن جبيرة أنهم كانوا يتفقون أن يرضخوا لقربائهم من المشركين وروى أن ناسا من المسلمين كانت لهم أصهار
في اليهود ورضاع كانوا يتفقون عليهم قبل الاسلام فلما أسلموا كرهوا أن يتفقوهم فنزلت وهذا في غير الواجب
وأما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وان كان ذميا (وأنتم لا تظلمون) لا تنقصون شيئا مما وعدتم من
الثواب المضاعف أو من الخلف (للفقراء) متعلق بمحذوف يساق اليه الكلام كافي قوله عز وجل في تسع آيات
الى فرعون أي اعدوا للفقراء أو اجعلوا ما تنفقونه للفقراء أو صدقاتكم للفقراء (الذين أحصوا في سبيل
الله) بالغزو والجهاد (لا يستطيعون) لاشتغالهم به (ضربا في الارض) أي ذهابا فيها للكسب والتجارة وقيل
هم اهل الصفة كانوا رضي الله عنهم نحوا من أربع مائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغفرون
او قائموا بالتعلم والجهاد وكانوا يخرجون في كل سنة بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم (بحسبهم الجاهل)
بحالهم (اغنياء من التعفف) أي من أجل تعففهم عن المسئلة (تعرفهم بسيماهم) أي تعرف فقرهم
واضطرابهم بما تعاني منهم من الضعف ورثانة الحال والخطاب للرسول عليه السلام أو لكل أحد ممن له حظ من
الخطاب مبالغة في بيان وضوح فقرهم (لا يسألون الناس الخافا) أي الخاسا وهو أن يلزم السائل المسؤل
حتى يعطيه من قولهم لحفي من فضل لحافه أي أعطاني من فضل ما عنده والمعنى لا يسألونهم شيئا وإن سألوا

الحاجة اضطرهم اليه لم يلجوا وقبل هونتي لكلا الامرين جميعا على طريقة قوله على لاحب لا يهتدى لمناره أى
 لا منار ولا اهتداء (وماتفقوا من خير فان الله به عليم) فبجاز يكمن بذلك أحسن جزاء فهو ترغيب في التصديق
 لاسماعيل هؤلاء (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) أى يعمون الاوقات والاحوال بالخير
 والصدقة وقيل نزلت في شأن الصديق رضى الله عنه حيث تصدق بأربعين ألف دينار عشرة آلاف منه بالليل
 وعشرة بالنهار وعشرة سرا وعشرة علانية وقيل في علي رضى الله عنه حين لم يكن عنده الا أربعة دراهم فتصدق
 بكل واحد منها على وجه من الوجوه المذكورة ولعل تقديم الليل على النهار والسرا على العلانية للايدان
 بمزية الانخفاء على الاطهار وقيل في رباط الخيل والانفاق عليها (فلهم اجرهم عند ربهم) خبر للموصول والفاء
 للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها وقيل للعطف والخبر محذوف أى ومنهم الذين الخ ولذلك جوز الوقف على علانية
 (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) تقدم تفسيره (الدين يا كاون الربوا) أى يأخذونه والتعبير عنه بالا كل لما انه
 معظم ما قصد. ولشيوعه في المطعومات مع ما فيه من زيادة تشجيع لهم وهو الزيادة في المقدار وفى الاجل حسبا
 فصل في كتب الفقه وانما كتب بالواو كالصلوة على لغة من يتغنم في أمثالها وزيدت الالف تشبيها بالواو والجمع
 (لا يقومون) أى من قبورهم اذا بعثوا (الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان) أى الا قياما كقيام
 المصروع وهو وارد على ما يزعمون أن الشيطان يتخبط الانسان فيصرع ويتخبط الضرب بغير استواء كخبط
 العشواء (من المس) أى الجنون وهذا أيضا من زعماتهم أن الجنى يمسه فيختلط عقله فلذلك يقال جن
 الرجل وهو متعلق بما قبله من الفعل المنى أى لا يقومون من المس الذى بهم بسبب اكلمهم الربا ويقيمون
 أو يتخبطه فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا اختلال عقولهم بل لأن الله تعالى ارى في بطونهم ما
 أكلوا من الربا فأثقلهم فصاروا مخمليين ينهضون ويسقطون تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل
 الموقف (ذلك) إشارة الى ما ذكر من حالهم وما فى اسم الإشارة من معنى البعد للايدان بقطاعة
 المشار اليه (بأنهم قالوا انما البيع مثل الربوا) أى ذلك العقاب بسبب أنهم نظمو الربا والبيع في سلك
 واحد لافضائهم ما الى الربح فاستحلوه استحلالة وقالوا يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمته درهم
 بدرهمين بل جعلوا الربا أصلا في الحل وقاسوا به البيع مع وضوح الفرق بينهما فان أحد الدرهمين فى الأقل
 ضائع حتما وفى الثاني مخبر بمساس الحاجة الى السلعة أو بتوقع رواجها (وأحل الله البيع وحرم الربوا)
 انكار من جهة الله تعالى لتسويتهم وابطال للقياس لوقوعه فى مقابلة النص مع ما أشير اليه من عدم الاشتراك
 فى المناط والجلسة ابتدائية لا محل لها من الاعراب (فإن جاءه موعظة) أى فن بلاغته وعظ وزجر كالنهي
 عن الربا وقرئ جاءته (من ربه) متعلق بجاءه أو بمحذوف وقع صفة لموعظة والتعريض لعنوان الربوية
 مع الاضافة للشعار يكون مجي الموعظة للتربية (فاتهى) عطف على جاءه أى فاعتظ بلاتراخ وتبع
 النهى (فله ما سلف) أى ما تقدم اخذه التعريم ولا يسترد منه وما ارتفع بالظرف ان جعلت من
 موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على رأى سيدي به لعدم اعتماد الظرف على ما قبله (وأمره الى الله)
 يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم فى شأنه ولا اعتراض لكم عليه (ومن عاد)
 أى الى تحليل الربا (قاولته) إشارة الى من عاد والجمع باعتبار المعنى كما أن الافراد فى عاد باعتبار اللفظ وما
 فيه من معنى البعد للاشعار بعد منزلتهم فى الشر والفساد (أصحاب النار) أى ملازموها (هم فيها خالدون)
 ما كثون أبدا والجلسة مقررة لما قبلها (يمحق الله الربوا) أى يذهب بركته ويهلك المال الذى يدخل فيه
 (ويربى الصدقات) يضاعف ثوابها ويبارك فيها ويزيد المال الذى أخرجت منه الصدقة روى عنه صلى الله عليه
 وسلم ان الله يقبل الصدقة ويربىها كما يربى أحدهم مهره وعنه عليه الصلاة والسلام ما نقصت زكوة من مال قط
 (والله لا يحب) أى لا يرضى لأن الحب مختص بالتواين (كل كفار) مصر على تحليل المحرمات (أنبي)
 منهمك فى ارتكابه (ان الذين آمنوا) بالله ورسوله وعبادهم به (وعملوا الصالحات وأقاموا الصلوة وآتوا
 الزكوة) فخصيصهما بالذكر مع اندراجهما فى الصالحات لاناقتما على سائر الاعمال الصالحة على طريقة ذكر
 جبريل وميكال عقيب الملائكة عليهم السلام (لهم اجرهم) جملة من مبتدأ وخبر واقعة خبر لان أى لهم أجرهم
 الموعود لهم وقوله تعالى (عند ربهم) حال من اجرهم وفى التعريض لعنوان الربوية مع الاضافة الى ضميرهم

عزيز لطف وتشریف لهم (ولا خوف عليهم) من مكروه آت (ولا هم يحزنون) من محبوب فات (يا أيها
الذين آمنوا اتقوا الله) أي قوا أنفسكم عقابه (وذروا ما بقى من الربوا) أي واتركوا بقايا ما شرطتم منه
على الناس تركا كليا (إن كنتم مؤمنين) على الحقيقة فان ذلك مستلزم لامتناع ما أمرتم به البتة وهو شرط
حذف جوابه ثقة بما قبله أي ان كنتم مؤمنين فانتم تتركوا الربوا الخ روى انه كان لثيف مال على بعض قريش
فطالبوهم عند المحل ياتئال والرافرت (فان لم تفعلوا) أي ما أمرتم به من الاتقاء وترك البقايا اتامع انكار
حرمته واتامع الاعتراف بها (فأذوا بحرب من الله ورسوله) أي فأعلموا بها من أذن بالشئ اذا علم به أما
على الاول فكسب المرتبةين وأما على الثاني فكسب البغاة وقرئ فأذوا أي فأعلموا غيركم قبل هومن الاذان
وهو الاستماع فانه من طرق العلم وقرئ فأذوا هو مؤيد لقراءة العاقبة وتنكير حرب للتعظيم ومن متعلقة
بمخذوف وقع صفة لها مؤكدة لتمامها أي بنوع من الحرب عظيم لا يقادر قدره كائن من عند الله ورسوله روى
انه لما نزلت قالت ثقيف لا يدى لنا بحرب الله ورسوله (وان تبستم) من الاتقاء مع الايمان بحرمتها
بعد ما سمعتموه من الوعيد (فلكم رؤوس أموالكم) فآخذونها كلها (لا تظلمون) غرماءكم بأخذ الزيادة
والجلبه اتامستأفة لا محل لها من الاعراب أو حال من الضمير في لكم والعامل ما تضمنته الجازم من الاستقرار
(ولا تظلمون) عطف على ما قبله أي لا تظلمون أنتم من قبلهم بالمطل والنقص ومن ضرورة تعليق هذا الحكم
بثبوتهم عدم ثبوته عند عدمها لان عدمها ان كان مع انكار الحرمة فهم مرتدون وما لهم المكسب في حال
الردة في المسلمين عند أبي حنيفة رضي الله عنه وكذا ما أثر أموالهم عند الشافعي وعندنا هو لورثتهم ولا شئ لهم
على كل حال وان كان مع الاعتراف بها فان كان لهم شوكه فهم على شرف القتل لم نسلهم رؤوسهم فكيف برؤوس
أموالهم والا فكذلك عند ابن عباس رضي الله عنهما فانه يقول من عامل الربا يستتاب ولا يضرب عنقه وأما
عند غيره فهم يحسبون الى أن تظهر رؤوسهم لا يمكنون من التصرفات اصلاحا لم يتوبوا لم يسلهم شئ من
أموالهم بل انما يسلهم بوثهم ولورثتهم (وان كان ذوعسرة) أي ان وقع غريم من غرمائكم ذوعسرة على أن كان
تامة وقرئ ذاعسرة على أنها ناقصة (فنظرة) أي فالحكم نظرة أو فكمليكم نظرة أو فكمليكم نظرة وهي الانتظار
والامهال وقرئ فمناظره أي فالمستحق ناظره أي منتظره أو فصاحب نظره على طريق النسب وقرئ فمناظره
امر من المضاعفة أي فسامحه بالنظرة (الى اليسرة) أي الى يسار وقرئ بضم السين وهما الغتان كشرقة
ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كما في قوله وأخلقوا عدا الامر الذي وعدوا (وان
تصدقوا) بحذف احدى التامين وقرئ بتشديد الصاد أي وأن تصدقوا على معصري غرمائكم بالابراء
(خبر لكم) أي اكتبوا بامن الانتظار أو خبر عما تأخذونه لمضاعفة ثوابه ودوامه فهو يندب الى أن تصدقوا
برؤوس أموالهم كلا وبعضا على غرمائهم المعسرين كقوله تعالى وأن تغفوا اقرب للتقوى وقيل المراد بالتصدق
الانتظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة (ان كنتم تعلمون) جوابه
محذوف أي ان كنتم تعلمون انه خير لكم علمتموه (وانتقوا يوما) هو يوم القيامة وتنكيره للتعظيم والتحويل
وتعليق الاتقاء به للمبالغة في التعذير عما فيه من الشدائد والاهوال (ترجعون فيه) على البناء المفعول من
الرجع وقرئ على البناء لافعال من الرجوع والاول أدخل في التحويل وقرئ بالياء على طريق الالتفات وقرئ
تردون وكذا تصيرون (الى الله) لمجانبة أعمالكم (ثم توفى كل نفس) من النفوس والتعميم للمبالغة في تحويل
اليوم أي تعطي كلا (ما كسبت) أي جزاء ما عملت من خيرا أو شر (وهم لا يظلمون) حال من كل نفس
نفيد أن المعاقبين وان كانت عقوباتهم مؤيدة غير مطلومين في ذلك لما انه من قبل انفسهم وجمع الضمير لانه انب
بجمال الجزاء كما أن الافراد وفق بجمال الكسب عن ابن عباس رضي الله عنهما انها آخر آية نزل بها جبريل عليه
السلام وقال ضعها في رأس المائتين والتماني من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا
وعشرين يوما وقيل احدا وعشرين وقيل سبعة أيام وقيل ثلاث ساعات (يا أيها الذين آمنوا اذا نذرتن بدین)
شروع في بيان حال المدانة الواقعة في تضاعف المعاضات الجارية فيما بينهم بيع السلع بالثمن بعد بيان
حال الربا أي اذا دأب بعضكم بعضا وعامله نسيته معطيا واخذوا فائدة ذكر الدين دفع توهم كون التسدين
بمعنى المجازاة والتنبية على تنوعه الى الحال والموجب وأنه الباعث على السكينة وتعيين المربع للضمير المنصوب

قوله بجرمها هكذا في التنخ ولعل
الضمير للبقايا وعبارة البيضاوي
وان تبستم من الاتقاء واعتقاد
حله اه مصححه

قوله مضافين أي الى ضمير ذى
عسرة اه

المتصل بالامر (الى أجل) متعلق بتدائيم أو بمحذوف وقع صفة لدين (مسمى) بالايام أو الاشهر ونظائرهما
 مما يفيد العلم ويرفع الجهالة لا بالحصاد والديان ونحوهما مما لا يرفعها (فاكتبوه) أي الدين بأجله لانه اوثق
 وأرفع للتزاع والجهور على استصحابه وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا
 أباح في السلف (وليكتب بينكم كاتب) بيان لكيفية الكتابة المأمور بها وتعيين لمن يتولاها انظر الامر بها
 اجالا وحذف المفعول اما لتعيينه أو للقصد الى ايقاع نفس الفعل أي ليفعل الكتابة وقوله تعالى بينكم للالايدان
 بأن الكاتب ينبغي أن يتوسط بين المتدائمين ويكتب كلامهما ولا يكتب بكلام أحدهما وقوله تعالى (بالعدل)
 متعلق بمحذوف هو صفة الكاتب أي كاتب كائن بالعدل أي ولكن المتصدى للكتابة من شأنه أن يكتب بالسوية
 من غير ميل الى أحد الجانبين لا يزيد ولا ينقص وهو امر للمتدائمين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجي كتابه
 موثوقا به معتدلا بالشرع ويجوز أن يكون حاله أنه أي ملتبسا بالعدل وقيل متعلق بالفعل أي وليكتب بالحق
 (ولا ياب كاتب) أي ولا يمنع أحد من الكتاب (أن يكتب) كتاب الدين (كما علمه الله) على طريقة
 ما علمه من كنية الوثائق أو كما بينه بقوله تعالى بالعدل أو لا ياب أن ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله تعالى بتعليم
 الكتابة كقوله تعالى وأحسن كما أحسن الله اليك (فليكتب) تلك الكتابة المعلة أمر بها بعد النهي عن ابائها
 تأكيذا لها ويجوز أن تتعلق الكاف بالامر على أن يكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها
 مقدمة (وليل الذي عليه الحق) الاملال هو الاملاء أي ولكن المعلى من عليه الحق لانه المشهود عليه فلا
 بد أن يكون هو المقز (وليتق الله ربه) جع ما بين الاسم الجليل والنعته الجليل للمبالغة في التحذير أي وليتق المعلى
 دون الكاتب كما قيل لقوله تعالى (ولا يخس منه) أي من الحق الذي عليه على الكاتب (شيئا) فانه الذي يتوقع
 منه الخس خاصة وأما الكاتب فيتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه النقص فلواريد نهي عن كليهما وقد فعل
 ذلك حيث أمر بالعدل وانما شد في تكليف المعلى حيث جمع فيه بين الامر بالانقضاء والنهي عن الخس لما فيه
 من الدواعي الى المنهي عنه فان الانسان مجبول على دفع الضرر عن نفسه وتخفيف ما في ذمته بما أمكن (فان
 كان الذي عليه الحق) صرح بذلك في موضع الاضمار لزيادة الكشف والبيان لالات الامر وانتهى لغيره
 (سفيا) ناقص العقل مبذرا مجازفا (أو ضعيفا) صيبا أو شيئا مختلفا (أو لا يستطيع أن يمل هو) أي
 غير مستطيع للاملاء بنفسه فدرس أو غي أو جهل أو غير ذلك من العوارض (فليمل وليه) أي الذي يلي أمره
 ويقوم مقامه من قيم أو وكيل أو مترجم (بالعدل) أي من غير نقص ولا زيادة لم يكف بعين ما كلف به من عليه
 الحق لانه يتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه الخس (واستشهدوا شهدين) أي اطلبوهما ليتمملا الشهادة
 على ما جرى بينكم من المداينة وتسميتهما شهدين لتزليل المشارف منزلة الكائن (من رجالكم) متعلق
 باستشهدوا ومن ابتداءية أو بمحذوف وقع صفة لشهيدين ومن تبعية أي شهيدين كائنين من رجال المسلمين
 الاحرار اذا الكلام في معاملاتهم فان خطابات الشرع لا تنظم العبيد بطريق العبارة كما بين في موضعه وأما
 اذا كانت المداينة بين الكفرة أو كان من عليه الحق كافرا فيجوز استشهاده الكافر عندنا (فان لم يكونا) أي
 الشاهدان جميعا على طريقة نفي الشمول لاشمول النقي (رجلين) اما لا عوارضا أو لسبب آخر من الاسباب
 (فرجل وامرأتان) أي فليشهد رجل وامرأتان أو فرجل وامرأتان يكفون وهذا فيما عدا الحدود
 والقصاص عندنا وفي الاموال خاصة عند الشافعي (من ترضون) متعلق بمحذوف وقع صفة لرجل
 وامرأتان أي كائنون مرضيين عندكم وتخصيصهم بالوصف المذكور مع تحقق اعتبارهما في كل شهيد اقله
 اتصاف النساء به وقيل نعت لشهيدين أي كائنين من ترضون وردبانه يلزم الفصل بينهما بالاجنبي وقيل بدل من
 رجالكم بذكر العامل وردبانه كرم الفصل وقيل متعلق بقوله تعالى فاستشهدوا قبلزم الفصل بين
 اشتراط المرأتين وبين تعليله وقوله عز وجل (من الشهداء) متعلق بمحذوف وقع حال من الضمير المحذوف
 الراجع الى الموصول أي ممن ترضونهم كائنين من بعض الشهداء للعلمكم بعد التهم ونقتكم بهم وادراج النساء
 في الشهداء بطريق التغليب (أن تضل احدهما فقد كرا احدهما الاخرى) تعليل لاعتبار العدد في النساء
 والعلل في الحقيقة هي التذكير ولكن الضلال لما كان سببا لنزل منزلته كما في قولك أعددت السلاح أن يجي
 عدو فادفعه كانه قيل لاجل أن تذكر احدهما الاخرى ان ضلت الشهادة بأن نسبتها ولعل ايتار ما عليه النظم

الكريم على أن يقال أن نضل أحدهما فتذكرها الأخرى لتأكيد الإيهام والمبالغة في الاحتراز عن توهم اختصاص الضلال بأحدهما بعينها والتذكير بالأخرى وقرئ فتذكر من الاذكار وقرئ فتذكر وقرئ ان نضل على الشرط فتذكر بارفع كقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه (ولا ياب الشهداء إذا ما دعوا) لاداء الشهادة أو لعملها وتسميتهم شهداء قبل التحمل لما مر من تنزيل المشارف منزلة الواقع وما مزيدة عن قتادة أنه كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم أحد قزلت (ولا تساموا) أي لا تغفلوا من كثرة مدايناتكم (أن تكتبوه) أي الدين أو الحق أو الكتاب وقيل كفى به عن الكسل الذي هو صفة المنافق كما ورد في قوله تعالى وإذا قاموا إلى الصلوة قاموا كسالى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول المؤمن كسلت (صغيراً أو كبيراً) حال من الضمير أي حال كونه صغيراً أو كبيراً أي قليلاً أو كثيراً أو مجزئاً أو مفصلاً (إلى أجله) متعلق بمحذوف وقع حالاً من الهاء في تكتبوه أي مستقر في الذمة إلى وقت حلوله الذي أقتر به المديون (ذلكم) إشارة إلى ما أمر به من الكتب والخطاب للمؤمنين (اقسط) أي اعدل (عند الله) أي في حكمه تعالى (وأقوم للشهادة) أي أثبت لها وأعوان على أقامتها وهما مبنيان من أقسط وأقام فانه قياسي عند سيبويه أو من قاسط بمعنى ذى قسط وقويم وانما صحت الواو في أقوم كما صحت في التعجب لوجوده (وإني أن لا ترتابوا) وأقرب إلى اتقاء ريبكم في جنس الدين وقدره وأجله وشهوده ونحو ذلك (الآن تـ) كون تجارة حاضرة تديرونها بينكم استثناء منقطع من الأمر بالكتابة أي لكن وقت كون تديرونها أو تجارتكم تجارة حاضرة بحضور البدلين تديرونها بينكم بتعاطيها يدايد (فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها) أي فلا بأس بأن لا تكتبوها البعد عن التنازع والتسبب وقرئ برفع تجارة على أنها اسم كان وحاضرة صفتها وتديرونها خبرها أو على أنها نامة (وأشهدوا إذا تباعتم) أي هذا التبائع أو مطلقاً لانه أحوط والأوامر الواردة في الآية الكريمة للندب عند الجمهور وقيل للوجوب ثم اختلف في أحكامها ونسخها (ولا يضار كاتب ولا شهيد) نهى عن المفارقة بحمل البناءين كما ينبغي عنه قراءة من قرأ ولا يضار بالكسر والفتح وهونهما عن ترك الإجابة وإيـ ريف في الكتابة والشهادة وأنهى الطالب عن الضرر بهما بأن يجعلهما عن مهمهما أو يكلفهما الخروج عما حد لهما أو لا يعطى الكاتب جعله وقرئ بالرفع على أنه نفي في معنى النهي (وان تفعلوا) مانهين عنه من الضرر (فانه) أي فعلمكم ذلك (فسوق بكم) أي خروج عن الطاعة ملتبس بكم (واتقوا الله) في مخالفة أوامره ونواهيه التي من جللتها نهيه عن المضارة (وعلمكم الله) أحكامه التضمنة لمصالحكم (والله بكل شيء عليم) فلا يكاد يخفى عليه حالكم وهو مجازيكم بذلك كزلفظ الجلالة في الجمل الثلاث لادخال الروعة وتربية المهابة والتنبية على استقلال كل منها بمعنى أنه فان الأولى حدث على التقوى والثانية وعد بالانمام والثالثة تعظيم شأنه تعالى (وان كنتم محذرين أي مسافرين أو متوجهين إليه (ولم تجدوا كتاباً) في المداينة وقرئ كتاباً وكتباً وكتاباً وتعليقاً أي فالذي يستوثق به أو فليؤخذ أو فالمشروع رهان مقبوضة وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في شرعية الارتهان كما حاسبه مجاهد والضحاك لانه صلى الله عليه وسلم رهن درعه في المدينة من يهودى بعشرين صاعاً من شعير أخذه لاهله بل لأقامة التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتابة في السفر الذي هو مظنة اعوازاها وانما لم يتعرض لحال الشاهد لما انه في حكم الكاتب وتثاقوا عوازا والجهود على وجوب القبض في تمام الرهن غير مالك وقرئ فـ رهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ يسكون الهاء تخفيفاً (فان امن بعضكم بعضاً) أي بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به واستغنى بامانه عن الارتهان وقرئ فان أمن بعضكم أي آمنه الناس ووصفوه بالأمانة قيل فيكون انتصاب بعضاً حينئذ على نزع الخافض أي على متاع بعض (قلبو الذي أوتمن) وهو المديون وانما عبر عنه بذلك العنوان لتعيين طريقه للاعلام ونجمله على الاداء (أمانته) أي دينه وانما سمى أمانة لاقترانه عليه بترك الارتهان به وقرئ ايتمن بقلب الهمزة ياء وقرئ بادغام الياء في التاء وهو خطأ لأن المنقلة من الهمزة لا تندغم لانها في كـها (وليتق الله ربه) في رعاية حقوق الأمانة وفي الجمع بين عنوان الألوهية وصفة الربوبية من التأكيد والتحذير ما لا يخفى (ولا تكتبوا الشهادة) أيها الشهود والمديونون أي شهادتكم على أنفسكم

عند المعاملة (ومن يكتفها فانه آثم قلبه) آثم خبران وقلبه مرتفع به على الفاعلية كأنه قيل يا آثم قلبه او مرتفع
بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبران واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان مما اتقرفه ونظيره نسبة الزنا الى
العين والاذن أو للمبالغة لانه رئيس الاعضاء وأفعاله أعظم الافعال كأنه قيل تمكن الاثم في نفسه وملك أشرف
مكان فيه وفاق سائر ذنوبه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان أكبر الكبائر الاشر بالله لقوله تعالى فقد حرم
الله عليه الجنة وشهادة الزور كتمان الشهادة وقرئ قلبه بالنصب كما في سفة نفسه وقرئ اثم قلبه أي جعله
آثما (والله بما تعملون عليم) فيجازيكم به ان خبرا خبر وان شرا فشر (لله ما في السموات وما في الارض)
من الامور الداخلة في حقيقتها والخارجة عنها المتكئة فيهما من أولى العلم وغيرهم أي كلها له تعالى خلقا
وملكا وتصرفا لا شركة لغيره في شئ منها بوجه من الوجوه (وان تبدوا ما في انفسكم) من السوء والعزم
عليه بأن تظهروه للناس بالقول أو بالفعل (أو تخفوه) بأن تكتموه منهم ولا تظهروه بأحد الوجهين ولا يندرج فيه
ما لا يتخلو عنه البشر من الوسوس وأحاديث النفس التي لا تعد ولا عزيمة فيها اذ التكليف بحسب الوسع
(يحاسبكم به الله) يوم القيامة وهو حجة على منكري الحساب من المعتزلة والروافض وتقديم الجار والمجرور
على الفاعل للاعتناء به وأما تقديم الابداء على الاخفاء على عكس ما في قوله عز وجل قل ان تخفوا ما في صدوركم
أو تبدوا يعلمه الله فلما أن المعلق بما في انفسهم ههنا هو المحاسبة والاصل فيها الاعمال البادية وأما العلم فتعلقه
بها كتمه بالاعمال الخافية كيف لا وعلم سبحانه به علمه ما به متعال عن أن يكون بطريق حصول الصور بل
وجود كل شئ في نفسه في أي طور كان علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة
والكامنة خلا أن مرتبة الاخفاء متقدمة على مرتبة الابداء اذ ما من شئ يبدى الا وهو أو مباديه قبل ذلك
مضمرة في النفس فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقدم في تفسير قوله تعالى
أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون (فيغفر) بالرفع على الاستئناف أي فهو يغفر بفضل (لمن يشاء)
أن يغفر له (وبيعذب) بعذله (من يشاء) أن يعذبه حسبا تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم
والمصالح وتقديم المغفرة على التعذيب لتقدم رحمة على غضبه وقرئ يجوزم الفعلين عطفًا على جواب الشرط
وقرئ بالجزم من غير فاء على أنهم ما بدل من الجواب بدل البعض أو الاشتمال ونظيره الجزم على البدلية من
الشرط في قوله متى تأتينا تلم بنا في ديارنا تجد حطبًا جردًا ونارا تأبخا وادغام الراء في اللام لمن (والله على
كل شئ قدير) تذييل مقدر لمضغون ما قبله فان كمال قدرته تعالى على جميع الاشياء موجب لقدرة سبحانه على
ما ذكر من المحاسبة وما قرع عليه من المغفرة والتعذيب (آمن الرسول) لما ذكر في فاتحة السورة الكريمة
أن ما انزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب العظيم الشأن هدى للمتقين بما فصل هنالك من الصفات
الفاضلة التي من جملتها الايمان به وبما انزل قبله من الكتب الالهية وأنهم حائزون لا ترقى الهدى والفلاح من
غير تعيين لهم بخصوصهم ولا تصريح بتحقق اتصافهم بها اذ ليس فيما يذكر في حيز الصلة حكم بالفعل وعقب
ذلك بيان حال من كفر به من الجاهرين والمنافقين ثم شرح في اضايفها من فنون الشرائع والاحكام والمواعظ
والحكم وأخبار سوا الف الامم وغير ذلك ما تقتضي الحكمة شرحه عين في خاتمتها المتصفون بها وحكم بانصافهم
بها على طريق الشهادة لهم من جهته عز وجل بكال الايمان وحسن الطاعة وذكر صلى الله عليه وسلم
بطريق الغيبة مع ذكره هناك بطريق الخطاب لما أن حق الشهادة الباقية على مآز الدهور أن لا يخاطب
بها المشهود له ولم يتعرض ههنا لبيان فوزهم بمطالهم التي من جملتها ما حكى عنهم من الدعوات الاتية اذ انا
بأنه أمر محقق غنى عن التصريح به لاسيما بعد ما نص عليه فيما سلف وابراده عليه السلام بعنوان الرسالة
المنبئة عن كونه عليه السلام صاحب كتاب مجيد وشرع جديد تمهيد لما يعقبه من قوله تعالى (بما انزل اليه)
ومن يد توحيج لاند راجه في الرسل المؤمن بهم عليهم السلام والمراد بما أنزل اليه ما يعم كله وكل جزء من أجزائه
فقيه محقق لكيفية ايمانه صلى الله عليه وسلم وتعيين لعنوانه أي آمن عليه السلام بكل ما أنزل اليه (من ربه) ايمانا
تفصيليا متعلقا بجميع ما فيه من الشرائع والاحكام والقصص والمواعظ وأحوال الرسل والكتب وغير ذلك
من حيث انه منزل منه تعالى وأما الايمان بحقيقة أحكامه وصدق أخباره ونحو ذلك فن فروع الايمان به من
الجينية المذكورة وفي هذا الاجال اجلال لحله عليه الصلاة والسلام واشعار بان تعلق ايمانه بتفاصيل ما أنزل اليه

واحاطته بجميع ما انطوى عليه من الظهور بحيث لا حاجة الى ذكره أصلاً وكذا في التعرض لعنوان الربوبية
 مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تشير يفله وتنبهه على أن انزاله اليه تربية وتكميل له عليه السلام
 (والمؤمنون) أي الفريق المعروفون بهذا الاسم فاللام عهدية لا موصولة لافضائهم الى خلق الكلام عن
 الجدوى وهو مبتدأ وقوله عز وجل (كل) مبتدأ ثان وقوله تعالى (آمن) خبره والجملة خبر للمبتدأ
 الأول والرابط بينهما الضمير الذي ناب منابه التسوين وتوحيد الضمير في آمن مع رجوعه الى كل المؤمنين
 لما أن المراد ببيان إيمان كل فرد منهم من غير اعتبار بالاجتماع كما اعتبر ذلك في قوله تعالى وكل اتوه داخرين
 وتغيير سبب النظم الكريم عما قبله لتأكيد الاشعار بما بين إيمانه عليه السلام المبني على المشاهدة والعيان
 وبين إيمانهم الناشئ عن الحجّة والبرهان من التفاوت البين والاختلاف الجلي كأنهم ماختلفان من كل وجه
 حتى في هيئة التركيب الدال عليهما وما فيه من تكرير الاسناد لما في الحكم بإيمان كل واحد منهم على الوجه
 الآخر من نوع خفاء محجوج الى التقوية والتأكيد أي كل واحد منهم آمن (بأنه) وحده من غير شريك
 له في الألوهية والمعبودية (وملائكته) أي من حيث أنهم عباد مكرمون له تعالى من شأنهم التوسط بينه
 تعالى وبين الرسل بانزال الكتب والقاء الوحي فان مدار الإيمان بهم ليس من خصوصيات ذاتهم في انفسهم
 بل هو اضافتهم اليه تعالى من الحيثية المذكورة كما يلوح به الترتيب في النظم (وكتبه ورسله) أي من حيث
 مجيئهما من عنده تعالى لارشاد الخلق الى ما شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على الاطلاق بل على
 أن كل واحد من تلك الكتب منزل منه تعالى الى رسول معين من اوائلك الرسل عليهم الصلاة والسلام حسبما فصل
 في قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل اليه وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما
 أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم الآية ولا على أن مناط الإيمان خصوصية ذلك الكتاب أو ذلك
 الرسول بل على أن الإيمان بالكل مندرج في الإيمان بالكتاب المنزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم ومستند اليه
 لما تلى من الآية الكريمة ولا على أن أحكام الكتب السابقة وشراعتها باقية بالكلية ولا على أن الباقي منها
 معتبر بالاضافة اليها بل على أن أحكام كل واحد منها كانت حقة ثابتة الى ورود كتاب آخر ناسخ له وأن ما لم ينسخ
 منها الى الآن من الشرائع والاحكام ثابتة من حيث انها من أحكام هذا الكتاب المصون عن النسخ الى يوم
 القيامة وانما لم يذكرها باليوم الآخر كما ذكر في قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر
 والملائكة والكتاب والنبيين لاندراجهم في الإيمان بكتبهم وقرئ وكتابه على أن المراد به القرآن أو جنس الكتاب
 كما في قوله تعالى فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب والفرق بينه وبين الجمع أنه شائع
 في أفراد الجنس والجمع في جوعه ولذلك قبل الكتاب أكثر من الكتب وهذا نوع تفصيل لما أجمل في قوله تعالى
 بما أنزل اليه من ربه اقتصر عليه ايذانا بكفايته في الإيمان الاجمالي المتحقق في كل فرد من أفراد المؤمنين من غير
 نقي لزادة ضرورة اختلاف طبقاتهم وتفاوت إيمانهم بالامور المذكورة في مراتب التفصيل تفاوتا فاحشا
 فان الاجمال في الحكاية لا يوجب الاجمال في الحكمي كيف لا وقد أجمل في حكاية إيمانه عليه السلام بما أنزل
 اليه من ربه مع بداهة كونه متعلقا بتفاصيل ما فيه من الجلائل والدقائق ثم ان الامور المذكورة كورة حيث
 كانت من الامور الغيبية التي لا يوقف عليها الا من جهة العلم الخبير كان الإيمان بها مصداقا لما ذكر في صدر
 السورة الكريمة من الإيمان بالغيب وأما الإيمان بكتبه تعالى فإشارة الى ما في قوله تعالى يؤمنون بما أنزل
 اليك وما أنزل من قبلك هذا هو اللاتق بشأن التنزيل والحقيق بمقداره الجليل وقد جوز أن يكون قوله تعالى
 والمؤمنون معطوفا على الرسول فيوقف عليه والضمير الذي عوض عنه التسوين راجع الى المعطوفين معا كانه
 قيل آمن الرسول والمؤمنون بما أنزل اليه من ربه ثم فصل ذلك وقيل كل واحد من الرسول والمؤمنين آمن
 بالله الخ خلافاً لقدم المؤمن به على المعطوف اعتناء بشأنه وايداً بأصالة عليه السلام في الإيمان به ولا يخفى
 أنه مع خلقه عام في الوجه الأول من كمال اجلال شأنه عليه السلام وتفخيم إيمانه محلي بجزالة النظم الكريم
 لانه ان حل كل من الايمانين على ما يليق بشأنه عليه السلام من حيث الذات ومن حيث التعلق بالتفاصيل
 استحالة اسنادهما الى غيره عليه السلام وضاع التكرير وان حلا على ما يليق بشأن آحاد الامة كان
 ذلك حظا لرتبة العلية عليه السلام وأما حلها على ما يليق بكل واحد من نسبا اليه من الاساد ذاتا وتعلقا بأن

يحمل بالنسبة الى الرسول صلى الله عليه وسلم على الايمان العيان المتعلق بجميع التفاصيل وبالنسبة الى آحاد
الامة على الايمان المكتسب من جهته عليه السلام اللائق بحالهم في الاجال والتفصيل فاعتساف بين ينبغي
تزيه ساحة التنزيل عن أمثاله وقوله تعالى (لا تفرق بين أحد من رسله) في حيز النصب بقول مقتدر على صيغة
الجمع رعاية لجانب المعنى منه وبه على انه حال من ضمير آمن أو مرفوع على انه خبر آخر لكل أي يقولون لا تفرق
بينهم بأن تؤمن ببعضهم وتكفر بالآخرين بل تؤمن بجملة رسالة كل واحد منهم قيدوا به ايمانهم بتحقيق الحق
وتخطئة لاهل الكاين حيث أجمعوا على الكفر بالرسول صلى الله عليه وسلم واستقلت اليهود والكفر بعيسى
عليه السلام أيضا على أن مقصودهم الاصل ابراز ايمانهم بما كفروا به من رسالته عليه السلام لا اظهار
موافقتهم لهم فيما آمنوا به وهذا كما ترى صريح في أن القائمين آحاد المؤمنين خاصة اذ لا يمكن أن يسند اليه
عليه السلام أن يقول لا أفرق بين أحد من رسله وهو يريد به اظهار ايمانه برسالة نفسه وتصديقه في دعواها
وعدم التعرض لنفي التفرق بين الكتب لاستلزام المذكور اياه وانما لم يعكس مع تحقق التلازم من الطرفين
لما أن الاصل في تفرق المفرقين هو الرسل وكفرهم بالكتب متفرع على كفرهم بهم وقرئ بالياء على اسناد
الفعل الى كل وقرئ لا يفرقون جملا على المعنى كما في قوله تعالى وكل أنوفه داخرين فاجله أنفسهم حال من الضمير
المذكور وقيل خبر ثان لكل كما قيل في القول المقتدر فلا بد من اعتبار الكلية بعد النفي دون العكس
اذا المراد شعول النفي لانفي الشمول والكلام في همزة احد وفي دخول بين عليه قد مر تفصيله عند قوله تعالى
لا تفرق بين أحد منهم وفيه من الدلالة صريح على تحقق عدم التفرق بين كل فرد منهم وبين من عداه
كما أن ما كان ما ليس في أن يقال لا تفرق بين رسله وايشار اظهار الرسل على الاضمار الواقع مثله في قوله تعالى
وما أوفى النبيون من ربه لا تفرق بين أحد منهم اما للاحتراز عن توهم اندراج الملائكة في الحكم أو للاشعار
بعدم التفرق أو للايعاء الى عنوانه لان المعبر بعدم التفرق من حيث الرسالة دون سائر الخفيات
الخاصة (وقالوا) عطف على آمن وصيغة الجمع باعتبار جانب المعنى وهو حكاية لامتناعهم بالاوامر اتر
حكاية ايمانهم (سمعنا) أي فهمنا ما جاءنا من الحق وبقينا بصحته (وأطعنا) ما فيه من الاوامر والنواهي
وقيل سمعنا أجبنا دعوتك وأطعنا أمرك (غفرانك ربنا) أي اغفر لنا غفرانك أو نسألك غفرانك ذو بنا
المتقدمة أو ما لا يخلو عنه البشر من التقصير في مراعاة حقوقك وتقديم ذكر السمع والطاعة على طلب الغفران لما
أن تقديم الوسيلة على المسؤل ادعى الى الاجابة والقبول والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليهم للمبالغة
في التضرع والجوار (واليك المصير) أي الرجوع بالموت والبعث لا الى غيرك وهو تذييل لما قبله مقترن
للحاجة الى المغفرة لما أن الرجوع للصاب والجزاء وقوله تعالى (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) جملة مستقلة
بجوابها اثر حكاية تلقيهم التكليفه تعالى بحسن الطاعة اظهار المalle تعالى عليهم في ضمن التكليف من محاسن
آثار الفضل والرحمة ابتداء لا بعد السؤال كما سيبي هذا وقد روى انه لما نزل قوله تعالى وان تدوا ما في انفسكم
أو تخفوه يحاسبكم به الله الآية اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانوه عليه السلام
ثم بركوا على الركب فقالوا أي رسول الله كفنا من الاعمال ما نطبق الصلاة والصوم والحج والجهاد وقد أنزل
اليك هذه الآية ولا نطيعها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدون أن تقولوا كما قال اهل الكاين من
قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فقرأها القوم فأنزل الله عز وجل
آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه الى قوله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير فقرأها القوم فأنزل الله عز وجل
عز وجل في قوله فيغفر لمن يشاء ثم أنزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها ثم وينا للخطب عليهم بيان أن
المراد بما في انفسهم ما عزمو عليه من السوء خاصة لا ما يمت الخواطر التي لا يستطيع الاحتراز عنها والتكليف
الزام ما فيه كلفة ومشقة والوسع ما يسهل الانسان ولا يضيق عليه اي سنته تعالى انه لا يكلف نفسا من النفوس
الا ما يتسع فيه طوعها ويسر علمها دون مدى الطاقة والمجهود فضلا منه تعالى ورحمة لهذه الامة كقوله
تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقرئ وسعها بالفتح وهذا يدل على عدم وقوع التكليف بالحال
لا على امتناعه وقوله تعالى (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) للترغيب في المحافظة على مواجب
التكليف والتحذير عن الاخلاق بها بيان أن تكليف كل نفس مع مضارته لنعمة التحفيف والتيسير تتضمن

مراعاته منفعة زائدة وانها تعود اليها لا الى غيرها ويستتبع الاخلال به مضرة تحقيق بها لا بغيرها فان
اختصاص منفعة الفعل بفعله من اقوى الدواعي الى تخصيصه واقتصار مضرته عليه من أشد الزواجر عن
مباشرة أى لها ثواب ما كسبت من الخير الذى كلفت فعله لا لغيرها استقلالاً أو اشتراكاً ضرورة شمول كلمة
ما لكل جزء من أجزاء مكسوبها وعليها لا على غيرها بأحد الطريقين المذكورين عقاب ما اكتسبت من الشر
الذى كلفت تركه وإيراد الاكتساب في جانب الشر لما فيه من اعتقال ناتئ من اعتناء النفس بتحصيل الشر
وسعيها في طلبه (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو اخطأنا) شروع في حكاية بقية دعواتهم اثر بيان سائر التكليف
أى لا تؤاخذنا بما صدر عنا من الأمور المؤدية الى النسيان أو الخطأ من تفریط وقلة مبالاة ونحوهما
عماد خل تحت التكليف أو بأنفسهما من حيث ترتبهما على ما ذكرنا ومطابقاً لادلائل امتناع في المؤاخذة بهما
عقلاً فان المعاصي كالسهم فكأن تنزلها ولو سهواً أو خطأً وذلك الى الهلاك فتعاطى المعاصي أيضاً
لا يعبد أن ينفى الى العقاب وان لم يكن عن عزيمة ووعده تعالى بعدمه لا يوجب استحالة وقوعه فان ذلك
من آثار فضله ورحمته كما ينبئ عنه الرفع في قوله عليه السلام رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وقد روى ان اليهود
كانوا اذا نساوا شيئاً بجلت لهم العقوبة فداؤهم بعد العلم بتحقيق الموعود للاستدامة والاعتداد بالعمدة في ذلك
كما في قوله تعالى ربنا وآتينا ما وعدتنا على رسلك (ربنا ولا تحمل علينا اصراً) عطف على ما قبله وتوسيط النداء
بينهما لابرار مزيد المضراعة والاصرار للعبء الثقيل الذى يأمر صاحب أى يحبس مكانه والمراد به التكليف
الشاق وقيل الاصرار الذى لا يؤبه له فالعنى اعصمنا من اقترافه وقرئ أصاراً وقرئ ولا تحمل
بالتشديد للمبالغة (كما حملته على الذين من قبلنا) في حيز النصب على انه صفة لمصدر محذوف أى جلا مثل
حملنا اياه على من قبلنا أو على انه صفة لاصراً أى اصراً مثل الاصرار الذى جعلته على من قبلنا وهو ما كلفه
بنو اسرائيل من بجمع النفس في التوبة وقطع موضع الخباسة وخسين صلاة في يوم وليلة وصرف ربع المال
للزكاة وغير ذلك من التشديدات فانهم كانوا اذا اتوا بخطيئة حرم عليهم من الطعام بعض ما كان حلالاً لهم قال
تعالى فيظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقد عصم الله عز وجل بفضله ورحمته هذه الامة
عن أمثال ذلك وأنزل في شأنهم ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم وقال عليه السلام بعثت بالحنيفية
السملة السمحة وعن العقوبات التى عوقب بها الاقوالون من المسخ والخسف وغير ذلك قال عليه السلام رفع
عن أمتي الخسف والمسح والغرق (ربنا ولا تجعلنا مالا لاطاعة لناسه) عطف على ما قبله واستعفاء عن العقوبات
التي لا تطاق بعد الاستعفاء عما يؤدى اليها التفریط فيه من التكليف الشاق الذى لا يكاد من كلفه ما يتخلو عن
التفریط فيها كانه قيل لا تكلفنا تلك التكليف ولا تعاقبنا بتفريطنا في المحافظة عليها فيكون التعبير عن ازال
العقوبات بالتحميل باعتبار ما يؤدى اليها وقيل هو تكرير للاول وتصوير للاصر بصورة ما لا يستطيع مبالغة
وقيل هو استعفاء عن التكليف بما لا تنفي به الطاعة البشرية حقيقة فيكون دليلاً على جواز عقله والامساك
بالخلص عنه والتشديد ههنا التعدية الفعل الى مفعول ثان (واعف عنا) أى آثرنا ذنوبنا (واغفر لنا)
واستر عيوبنا ولا تنفضنا على رؤس الاشهاد (وارحمنا) وتعطف بنا وتفضل علينا وتقديم طلب العفو
والمغفرة على طلب الرحمة لما أن الخلية سابقة على الخلية (انت مولانا) سيدنا ونحن عبيدك أو انا صرنا
أومتولى أمورنا (فانصرنا على القوم الكافرين) فان من حق المولى أن يتصر عبده ومن يتولى أمره على
الاعداء والمراد به عامة الكفرة وفيه اشارة الى أن اعلاء كلمة الله والجهاد في سبيله تعالى حسماً أمر في تضاعيف
السورة الكريمة غاية مطالبهم * روى انه عليه الصلاة والسلام لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل دعوة قد فعلت
وعنه عليه السلام أنزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بالثاني عام من قرأهما
بعد العشاء الاخيرة اجر آناه عن قيام الليل وعنه عليه السلام من قرأ آيتين من سورة البقرة كصلاه وهو حجة
على من استنكره أن يقول سورة البقرة وقال ينبغي أن يقال السورة التى يذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام
السورة التى يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة
قيل وما البطلة قال عليه السلام السحرة

(سورة آل عمران مدنية ما تشاء آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم الله لا اله الا هو) قد سلف أن ما لا تكون من هذه الفوائج مفردة كصاد وقاف ونون ولا موازنة لمفرد
 كحاميم وطاسين وباسين الموازنة لتسايل وهائيل وكطاسين ميم الموازنة لدارا بجرد حسماذ كره سيمويه في الكتاب
 فطريق التلطف بها الحكاية فقط ساكنة لا يحجاز على الوقف سواء جعلت أسماء أو مسرودة على غط التعديد
 وان لزمتها التقاء الساكنين لما انه مغتفر في باب الوقف قطعاً فحق هذه الفاتحة أن يوقف عليها ثم يبدأ بها بعد ها كما
 فعله أبو بكر رضي الله عنه رواية عن عاصم وأما ما فيها من الفتح على القراءة المشهورة فافهمها هي حركة همزة الجلالة
 ألقبت على الميم لتدل على ثبوتها اذ ليس اسقاطها للدرج بل للتخفيف فهي يقاء حركتها في حكم الثابت المبتدأ به
 والميم يكون الحركة لغيرها في حكم الوقف على السكون دون الحركة كما توهم واعتراض بأنه غير معهود في الكلام
 وقيل هي حركة لا لتقاء السواكن التي هي الياء والميم ولا الجلالة بعد سقوط همزتها رأيت خبيراً بأن سقوطها
 مبني على وقوعها في الدرج وقد عرفت أن سكون الميم وقفي موجب لا ينقطع عنها عما بعدها مستدع لثبات
 الهمزة على حالها لا كما في الحروف والأسماء المبنية على السكون فان قطعها الاتصال بما بعده ها وضعها
 واستعمالها لا تسقط بها همزة الوصل وتحتل أن يحجازها لا لتقاء الساكنين ثم ان جعلت مسرودة على غط التعديد
 فلا محل لها من الاعراب كسائر الفوائج وان جعلت اسماء للسورة جعلها اما الرفع على انها خبر مبتدأ محذوف
 وأما النصب على اضممار فعل يليق بالمقام كاذكر أو اقرأ أو نحوهما وأما الرفع بالابتداء أو النصب بتقدير فعل
 القسم أو الجزر بتقدير حرفه فلا مساغ لشي منها لما أن ما بعدها غير صالح للغيرية ولا للتقسام عليه فان الاسم
 الجليل مبتدأ وما بعده خبره والجملة مستأنفة أي هو المستحق للمعبودية لا غير وقوله عز وجل (الحى القيوم)
 خبر آخر له أو مبتدأ محذوف أي هو الحى القيوم لا غيره وقيل هو صفة للمبتدأ أو بدل منه أو من الخبر الأول
 أو هو الخبر وما قبله اعتراض بين المبتدأ والخبر مقترن لما يشبهه الاسم الجليل أو حال منه وأياً ما كان فهو كالدليل
 على اختصاص استحقاق العبودية به سبحانه وتعالى لما تم أن معنى الحى الباقي الذي لا سبيل عليه للموت
 والفناء ومعنى القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه ومن ضرورة اختصاص ذلك الوصف به تعالى
 اختصاص استحقاق العبودية به تعالى لاستحالة تحققه به ونه ما وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال اسم الله الاعظم في ثلاث سور في سورة البقرة الله لا اله الا هو الحى القيوم وفي آل عمران الم الله لا اله الا هو
 الحى القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحى القيوم وروى أن بنى اسرائيل سألو موسى عليه السلام عن اسم الله
 الاعظم قال الحى القيوم وروى أن عيسى عليه السلام كان اذا أراد احياء الموتى يدعو يا حى يا قيوم ويقال
 ان آصف بن برخيا حين أتى بعرش بلقيس دعا بذلك وقرأ الحى القيوم وهذا رد على من زعم أن عيسى عليه
 السلام كان رباً فانه روى ان وفد نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ستين رجلاً منهم أربعة
 عشر رجلاً من اشرافهم ثلاثة منهم اكابر اليهم يؤول أمرهم أحد هم أميرهم وصاحب مشورتهم العاقب
 واسمه عبد المسيح وثانيهم وزيرهم ومشيرهم السيد واسمه الايهم وثالثهم خبرهم وأسقفهم وصاحب مدارسهم
 أبو حارثة بن علقمة أحد بنى بكر بن وائل وقد كان ملوك الروم شرفوه ومولوه واكرموه لما شاهدوا من علمه
 واجتهاده في دينهم وبنوا له كنائس فلما خرجوا من شجران ركب أبو حارثة بغلته وكان أخوه كرز بن علقمة الى
 جنبه فبينما بغلة أبي حارثة تسير اذ عثرت فقال كرز عسا للابعد يريد به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أبو
 حارثة بل تعست امك فقال كرز ولم يا اخي قال انه والله اننى الذى كنا نتظره فقال له كرز يا علقمة انك انت
 تعلم هذا قال لا لا هؤلاء الملوك أعطونا أموالاً كثيرة واكرمونا فلو آمننا به لاخذوا منا كل ما فوق ذلك في قلب
 كرز وأضمره الى أن أسلم فكان يحدث بذلك فأقوا المدينة ثم دخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
 صلاة العصر عليهم ثياب الحبرات جبيب وأردية فاخرة يقول بعض من رآهم من أصحاب النبي صلى الله عليه
 وسلم ما رأينا وفداً مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا ايضوا في المسجد فقال عليه السلام دعوهم فصلوا الى
 المشرق ثم تكلم اولئك الثلاثة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا تارة عيسى هو الله لانه كان يحى الموتى
 ويبرئ الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير وتارة أخرى هو ابن الله اذ لم يكن
 له أب يعلم وتارة أخرى انه ثالث ثلاثة لقوله تعالى فعلنا وقلنا ولو كان واحداً قال فعلت وقلت فقال لهم رسول

الله صلى الله عليه وسلم أسلوا قالوا أسلمنا قبلك قال عليه السلام كذبتم بمنعكم من الاسلام دعاءكم لله تعالى ولدا
قالوا ان لم يكن ولدا لله فمن أبوه فقال عليه السلام أستم تعلمون انه لا يكون ولدا ولا يشبه أباه فقالوا بلى قال
أستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى يأتي عليه الفناء قالوا بلى قال عليه السلام أستم تعلمون أن ربنا
قيوم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال عليه السلام فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا فقال عليه
السلام أستم تعلمون أن الله تعالى لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء قالوا بلى قال عليه السلام فهل يعلم
عيسى من ذلك الاما علم قالوا بلى قال عليه السلام أستم تعلمون أن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وأن
ربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا بلى قال عليه السلام أستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة
ووضعت كما تضع المرأة ولدها ثم غذى كما يغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث
قالوا بلى قال عليه السلام فكيف يكون ~~يكون~~ الكماز عظم فسكنوا وأبوا الاجودا فنزل الله عز وجل من أنزل
السورة الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليه السلام عليهم وأجاب به عن شبههم وتحقيرا للعق الذي
فيه يمترون (نزل عليك الكتاب) أي القرآن عبر عنه باسم الجنس ايذا نابكالا تفوقه على بقية الافراد
في حيازة كالات الجنس كانه هو الحقيق بأن يطلق عليه اسم الكتاب دون ما عدا كما يلوح به التصریح باسمي
التوراة والانجيل وصيغة التفعيل للدلالة على التنجيم وتقديم الظرف على المفعول لما مر من الاعتناء بالمقدم
والتشويق الى المؤخر وبالجملة اما مستأنفة أو خبر آخر عن الاسم الجليل أو هي الخبر وقوله تعالى لا اله الا هو
اعتراض أو حال وقوله عز وجل الحى القيوم صفه أو بدل كما مر وقرئ نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع
الكتاب فالظاهر حينئذ أن تكون مستأنفة وتيسل يجوز كونها خبرا بحذف العائد أي نزل الكتاب
من عنده (بالحق) حال من الفاعل أو المفعول أي نزله محققا في تنزيهه على ما هو عليه أو ملتبسا بالعدل
في أحكامه أو بالصدق في أخباره التي من جانتها خبر التوحيد وما يليه وفي وعده ووعدته أو بما يصدق انه من
عند الله تعالى من الحجج البينة (مصدقها) حال من الكتاب بالاتفاق على تقدير كون قوله تعالى بالحق حالا
من فاعل نزل وأما على تقدير حالته من الكتاب فهو عند من يجوز تعدد الحال بلا عطف ولا بدلية حال منه
بعد حال وأما عند من ينعه فقد قيل انه حال من محل الحال الاولى على البدلية وقيل من المستكن في الجمار
والخروج ولانه حينئذ يحمل ضميرا لقيامه مقام عامله المتحمل له فيكون حالا متداخلة وعلى كل حال فهي حال
مؤكد وفائدة تنبيذ التنزيل بها حث أهل الكتابين على الايمان بالمنزل وتنبههم على وجوبه فان الايمان
بالمصدق موجب للايمان بما يصدق حتما (لما بين يديه) مفعول لمصدقها واللام دعامة لتقوية العمل بشهو فاعمال
لما يريد أي مصدقا لما قبله من الكتب السالفة وفيه ايماء الى حضورها وكما لظهور أمرها بين الناس
وتصديقه اياها في الدعوة الى الايمان والتوحيد وتنزيه الله عز وجل عما لا يليق بشأنه الجليل والامر بالعدل
والاحسان وكذا في انباء الانبياء والامم الخالية وكذا في نزوله على النعم المذكور فيها وكذا في الشرائع
التي لا تختلف باختلاف الامم والعصا رظا هر لا ريب فيه وأما في الشرائع المختلفة باختلافها فمن حيث
ان أحكام كل واحد منها واردة حسبما تقتضيه الحكمة التشريعية بالنسبة الى خصوصيات الامم المكلفة
بها مشتملة على المصالح اللاتقة بشأنهم (وأُنزل التوراة والانجيل) تعيين لما بين يديه وتبيين لرفعة محله
تأكيدا لما قبله وتمهيدا لما بعده اذ بذلك يترقى شأن ما يصدقه رفعة ونباهة ويزداد في القلوب قبولا ومهابة
ويتفاحش حال من كفر بهما في الشناعة واستتباع ما سيذكر من العذاب الشديد والالتزام أي انزلهما
جملة على موسى وعيسى عليهما السلام وانما لم يذكر الا ان الكلام في الكتابين لا في انزالهما عليه وهما اسمان
أعميان الاول عبري والثاني سرياني وبعضه القراءة بفتح همزة الانجيل فان أفعيل ليس من ابناء العرب
والنصدي لاشتقاقهما من الوري والتجمل تعسف (من قبل) متعلق بأنزل أي أنزلهما من قبل تنزيل الكتاب
والتصریح به مع ظهور الامر للمبالغة في البيان (هدى للناس) في حيز النصب على أنه علة للانزال أي
أنزلهما لهداية الناس أو على انه حال منهما أي أنزلهما حال كونهما هدى لهم والافراد لما انه مصدر جعللا
نفس الهدى مبالغة أو حذف منه المضاف أي ذوى هدى ثم ان أريد هدايتهم بجميع ما فهم من حيث
هو جميع فالمراد بالناس الامم الماضية من حين نزولهما الى زمان نسخهما وان أريد هدايتهم على الاطلاق

وهو الانسب بالمقام فاناس على عومه لما أن هدايتهما بمجاها الشرائع المنسوخة من الامور التي يصدقهما القرآن فيها ومن جعلتها البشارة بنزوله وبعث النبي صلى الله عليه وسلم تم الناس قاطبة (وأزّل الفرقان) الفرقان في الاصل مصدر كالفرقان أطلق على الفاعل مبالغة والمراد به هنا اما جنس الكتب الالهية غير عنها بوصف شامل لما ذكر منها وما لم يذكر على طوبى التميم بالتعميم اثر تخصيص بعض مشاهيرها بالذكور كما في قوله عز وجل "فأنتنا فيها احبا وعبا الى قوله تعالى وفاكهة واما نفس الكتب المذكورة أعيد ذكرها بوصف خاص لم يذكر فيما سبق على طريقة العطف بشكوير لفظ الانزال تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي كما في قوله سبحانه ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ واما الزبور فانه مشتمل على المواعظ الفارقة بين الحق والباطل الداعية الى الخير والرشاد الزاجرة عن الشر والفساد وتقديم الانجيل عليه مع تأخره عنه نزولا لقوة مناسبتها للتوراة في الاشتمال على الاحكام والشرائع وشيوع اقترانهما في الذكر واما القرآن نفسه ذكر بعث ما دح له بعد ما ذكر باسم الجنس تعظيما لشأنه ورفع مكانه وقديين أولا تنزيهه التدريج الى الارض واما انزاله الدفعي الى السماء الدنيا أو أريد بالانزال القدر المشترك العارى عن قيد التدريج وعدمه واما المعجزات المقرونة بانزال الكتب المذكورة الفارقة بين الحق والمبطل (ان الذين كفروا بايات الله) وضع موضع التفسير العائد الى ما فصل من الكتب المنزلة أو منها ومن المعجزات الايات مضافة الى الاسم الجليل تعميما لجنسية كفرهم وتحويل الامورهم وتأكيذا لاستحقاقهم العذاب الشديد وايدانا بان ذلك الاستحقاق لا يشترط فيه الكفر بالكل بل يكفي فيه الكفر ببعض منها والمراد بالموصول اما أهل الكتابين وهو الانسب بمقام الحاجة معهم أو جنس الكفرة وهم داخلون فيه دخولا اقل لبا أي ان الذين كفروا بما ذكر من آيات الله الناطقة بالحق لاسيما بتوحيده تعالى وتنزيهه عما لا يليق بشأنه الجليل كالأبعضا مع ما بها من النعوت الموجبة للايمان بها بأن كذبوا بالقرآن أصالة وبسائر الكتب الالهية تبعا لما أن تكذيب المصدق موجب لتكذيب ما يصدقه حتما وأصالة أيضا بأن كذبوا باياتها الناطقة بالتوحيد والتنزيه وآياتها المبشرة بنزول القرآن وبعث النبي صلى الله عليه وسلم وغيرها (لهم) بسبب كفرهم بها (عذاب) مرتفع اما على الفاعلية من الجائر والمجرور أو على الابتداء والجملة خبران والتنوين للتفخيم أي أي عذاب (شديد) لا يقادر قدره وهو وعيد دجي به اثر تقرير أمر التوحيد الذاتي والوصفي والاشارة الى ما ينطق بذلك من الكتب الالهية محلا على القبول والاذعان وزجرا عن الكفر والعصيان (والله عزيز) لا يغال بيقول ما يشاء ويحكم ما يريد (ذواتنقام) عظيم خارج عن أفراد جنسه وهو افعال من النعمة وهي السطوة والتسلط يقال انتقم منه اذا عاقبه بجنايته والجملة اعتراض تنذيري مقرر للوعيد ومؤكد له (ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء) استئناف كلام سبق ابيان سعة علمه تعالى واحاطته بجميع ما في العالم من الاشياء التي من جعلتها ما صدر عنهم من الكفر والفسوق سرا وجهرا اثر بيان كمال قدرته وعزته تربية لما قبله من الوعيد وتنبيه على أن الوقوف على بعض المغيبات كما كان في عيسى عليه السلام بعزل من بلوغ رتبة الصفات الالهية وانما عبر عن علمه عز وجل بما ذكره بعدم خفائه عليه كما في قوله سبحانه وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء ايدانا بان علمه تعالى بعلومه وان كانت في أقصى الغايات الخفية ليس من شأنه أن يكون على وجه يمكن أن يقارنه شأية خفاء بوجه من الوجوه كما في علوم المخلوقين بل هو في غاية الوضوح والجللاء والجملة المنفية خبرلان وتكريرا لاسناد التقوية الحكم وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء مؤكدة لعومه المستفاد من وقوعه في سياق النبي أي لا يخفى عليه شيء مما كائن في الارض ولا في السماء اعم من أن يكون ذلك بطريق الاستقرار فيهما أو الجزئية منهما وقبل متعلقة بخفي وانما عبر بهما عن كل العالم لانهما قطراه وتقديم الارض على السماء لاطهارها واعتناء بشأن أحوال أهلها وتوسيط حرف النبي بينهما للدلالة على الترقى من الأدنى الى الأعلى باعتبار القرب والبعد من المستدعين للتفاوت بالنسبة الى علومنا وقوله عز وجل (هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء) جملة مستأنفة ناطقة ببعض أحكام قيوميته تعالى وجريان أحوال الخلق في أطوار الوجود حسب مشيئته المنية على الحكم البالغة مقررة لكمال علمه مع زيادة بيان تعلقه بالاشياء قبل دخولها تحت الوجود ضرورة وجوب علمه تعالى بالصورة المختلفة المترتبة

على التصوير المترتب على المشيئة قبل تحققها بمراتب وكلمة في متعلقة بصورتكم أو بمحذوف وقع حالاً من ضمير
المفعول أي بصورتكم وأنتم في الارحام مضغ وكيف معمول ليشاء والجمله في محل نصب على الحالية اتماماً من فاعل
يصورتكم أي بصورتكم كأنما على مشيئته تعالى أي مریدا أو من مفعوله أي بصورتكم كأنتمين على مشيئته تعالى
تابعين لها في قبول الاحوال المتغيرة من كونكم نطفاً ثم علقاً ثم مضغاً غير مخلقة ثم مخلقة وفي الاتصاف بالصفات
المختلفة من الذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك من الصفات وفيه من الدلالة على بطلان زعم من زعم
ربوبية عيسى عليه السلام وهو من جملة أنباء النوايسب المتقلبين في هذه الاطوار على مشيئة الباري عز وجل
وكأن ركاً كه عقولهم ما لا يخفى وقرئ بصورتكم على صيغة الماضي من التفعّل أي صورتكم لنفسه وعبادته (لا اله الا هو)
اذ لا يصف بشيء مما ذكر من الشؤن العظيمة الخاصة بالالوهية أحد ايتهم الوهية (العزير الحكيم) المتناهي في القدرة والحكمة ولذلك يخلقكم على ما ذكر من القبط البديع (هو الذي أنزل عليكم الكتاب) شروع
في ابطال شبههم الناشئة عما نطق به القرآن في نعت عيسى عليه السلام بطريق الاستئناف اثرياً ببيان اختصاص
الربوبية ومناطها به سبحانه وتعالى تارة بعد أخرى وكون كل من عداه مقهوراً تحت ملكوته تابعاً لمشيئته
قيل ان وقد تجرّان قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألبت زعم يا محمد أن عيسى كلمة الله وروح منه قال عليه
السلام بلى قالوا فبنا ذلك فنبى عليهم زبغهم وقتنهم وبين أن الكتاب مؤسس على أصول وصيئة وفروع
مبنية عليهم باناطة بالحق قاضية بطلان ما هم عليه من الضلال والمراد بالانزال القدر المشترك المجرد عن الدلالة
على قيد التدريج وعدمه ولام الكتاب للعهد وتقديم الطرف عليه لما أشير اليه فيما قبل من الاعتناء بشأن
بشارته عليه السلام بتشريف الانزال عليه ومن التشويق الى ما أنزل فان النفس عند تأخير ما حقه التقديم
لا سيما بعد الاشعار برفعة شأنه أو بمنفعته تبقى مترقبة له فيتمكن لديه اعناده وروده عليه بافضل تمكن وليصل به
تقسيمه الى قسميه (منه آيات) الطرف خبر وآيات مبتدأ أو بالعكس بتأويل متر تحقيقه في قوله تعالى ومن
الناس من يقول الآية والاول أوفق بقواعد الصناعة والثنائي أدخل في جزالة المعنى اذ المقصود الاصل
انقسام الكتاب الى القسمين المعهودين لا كونهم مامن الكتاب فتذكر والجمله مستأنفة أو في حيز النص على
الحالية من الكتاب أي هو الذي أنزل الكتاب كأنما على هذه الحال أي منقسمها الى محكم ومتشابه أو الطرف هو
الحال وحده وآيات مرتفع به على الفاعلية (محكمات) صفة آيات أي قطعية الدلالة على المعنى المراد بحكمة
العبارة مخضوطة من الاحتمال والاشتباه (هن أم الكتاب) أي أصل فيه وعدة برز اليها غيرها فالمراد بالكتاب
كله والاضافة بمعنى في كما في واحد العشرة لاي معنى اللام فان ذلك يؤدي الى كون الكتاب عبارة عما عدا
المحكمات والجمله اتماماً لصفة لما قبلها أو مستأنفة وانما أفرد الامة مع تعدد الآيات لما أن المراد ببيان أصلية كل
واحدة منها أو بيان أن الكل بمنزلة آية واحدة كما في قوله تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين وقيل اكتفى بالمفرد
عن الجمع كما في قول الشاعر * بها جيف الحسرى فأما عظامها * فيبض وأما جلد هان فاصليب أي وأما
يلاودها (وأخر) نعت لمحذوف معطوف على آيات أي وآيات أخرى وهي جمع أخرى وانما لم ينصرف لانه وصف
معدول عن الآخر أو عن آخر من (متشابهات) صفة لاخرو في الحقيقة صفة للمحذوف أي محتملات المعان
متشابهة لا يمتاز بعضها من بعض في استحقاق الارادة بها ولا يتضح الامر الا بالنظر الدقيق والتأمل الا يتق
فالتشابه في الحقيقة وصف لتلك المعاني وصف به الآيات على طريقة وصف الدال بوصف المدلول وقيل لما
كان من شأن الامور المتشابهة أن يعجز العقل عن التمييز بينها سمي كل ما لا يهتدى اليه العقل متشابهاً وان لم يكن
ذلك بسبب التشابه كما أن المشكل في الاصل ما دخل في أشكاله وأمثاله ولم يعلم بعينه ثم أطلق على كل غامض وان
لم يكن غموضه من تلك الجهة وانما جعل ذلك كذلك ليطهر فضل العلماء ويزداد حرصهم على الاجتهاد في تدبرها
وتحصيل العلوم التي يطمح بها استنباط ما أريد بها من الاحكام الحقة فينا لوابها وباتعاب القرائح في استخراج
مصادرها الرائقة ومعانيها اللائقة المدايح العالية ويعرجوا بالتوفيق بينها وبين المحكمات من اليقين
والاطمئنان الى المصارج القاصية وأما قوله عز وجل الركاب احكمت آياته فعناء انها حفظت من اعتراء الخلل
أو من التسخ أو أيدت بالحجج القاطعة الدالة على حقيقتها أو جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة
ودقائقها وقوله تعالى كما بامتشابهها مثاني معناه متشابه الاجزاء أي يشبه بعضها بعضاً في صحة المعنى وجزالة

النظم وحقية المدلول (فأما الذين في قلوبهم زيغ) أي ميل عن الحق إلى الأهواء الباطلة قال الراغب الزبيدي
الميل عن الاستقامة إلى أحد الجانبين وفي جعل قلوبهم مقر الزيغ مبالغة في عدولهم عن سنن الرشاد
وأصرارهم على الشر والفساد (فيتبعون ما تشابه منه) معروضين عن المحكمات أي يتعلقون بظاهر التشابه
من الكتاب أو بتأويل باطل لا تحترق بالحق بعد الإيمان بكونه من عند الله تعالى بل (ابتغاء الفتنة) أي طلب
أن يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتليس ومناقضة المحكم بالمتشابه كما نقل عن الوفاء (وابتغاء تأويله)
أي وطلب أن يأولوه حسبما يشتهونه من التأويلات الزائفة والحال أنهم يعزلون تلك الرتبة وذلك قوله عز
وجل (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) فانه حال من ضيع فيتبعون باعتبار العلة الأخيرة أي يتبعون
المتشابه لا ابتغاء تأويله والحال أنه مخصوص به تعالى وبمن وفقه له من عباده الراسخين في العلم أي الذين يتبنا
وتمكنوا فيه ولم يتزلزلوا في مزال الاقدام وفي تعليل الاتباع بابتغاء تأويله دون نفسه تأويله وتجريد التأويل
عن الوصف بالهبة أو الحقيقة أي بأنهم ليسوا من التأويل في شيء وأن ما يتبعونه ليس بتأويل أصلا لانه تأويل
غير صحيح قد يعذر صاحبه ومن وقف على الاالله فسر المتشابه بما استأثر الله عز وجل بعلمه كدقة بقاء الدنيا ووقت
قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية أو بمادل القاطع على عدم ارادة تظاهرة ولم يدل على ما هو
المراد به (يقولون آمناه) أي بالمتشابه وعدم التعرض لإيمانهم بالمحكم اظهروه أو بالكتاب والجملة على الاول
استئناف موضع لحال الراسخين أو حال منه وعلى الثاني خبر اقوله تعالى والراسخون وقوله تعالى (كل من
عند ربنا) من تمام القول مقر لما قبله ومؤكده أي كل واحد منهم ومن المحكم أو كل واحد من متشابهه
ومحكمه منزل من عنده تعالى لا مخالفة بينهما أو آمناه وبجقيقته على مراده تعالى (وما يذكر) حق التذكر
(الاولوالباب) أي العقول الخالصة عن الركون إلى الأهواء الزائفة وهو تنذيل سبق من جهته تعالى
مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر وإشارة إلى ما به استعدوا للاهتداء إلى تأويله من تجرد العقل عن
غواشي الخس وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث انها جواب عما تشبث به النصارى من نحو قوله تعالى
وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه على وجه الاجمال وسبب الجواب المفصل بقوله تعالى أت مثل عيسى عند
الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون (ربنا لا تزغ قلوبنا) من تمام مقالة الراسخين أي لا تزغ قلوبنا
عن نهج الحق إلى اتباع المتشابه بتأويل لا ترضيه قال صلى الله عليه وسلم قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع
الرحمن إن شاء أقامه على الحق وإن شاء أزاغته عنه وقيل معناه لا تبلى لا يلا ياتر يغ فيها قلوبنا (بعد اذ هديتنا) أي
إلى الحق والتأويل الصحيح أو إلى الايمان بالقسمين وبعد نصب بلا تزغ على الطرف وأذ في محل الجزاء ضاقته إليه
خارج من الظرفية أي بعد وقت هدايتك إيانا وقيل انه بمعنى أن (وهب لنا من لدنك) كلا الجائزين متعلق بهب
وتقديم الاول لما مر مرارا ويجوز تعلق الثاني بمحذوف هو حال من المفعول أي كاشنة من لدنك ومن لا بداء
الغاية الجهارية ولدن في الاصل ظرف بمعنى أول غاية زمان أو مكان أو غيرهما من الدوافع نحو من لدن زيد
وليست مرادفة لغند اذ قد تكون فضلة وكذا لدى وبعضهم يخصها بطرف المكان وتضاف إلى صريح الزمان
ككافي قوله * تنفض الرعدة في ظهري * من لدن الظهور إلى العصور ولا تقطع عن الاضافة بحال وأكرر
ما تضاف إلى المفردات وقد تضاف إلى أن وصلتها ككافي قوله

ولم تقطع أصلا من لدن أن وليتنا * قرابة ذي رحم ولا حق مسلم

أي من لدن ولايتك إيانا وقد تضاف إلى الجملة الاسمية ككافي قوله تذكر نعماء لدن أنت يافع وإلى الجملة الفعلية
أيضا ككافي قوله * لزمنا لدن سالتنا وفاقكم * فلايك منكم للخلاف جنوح * وقيل تخلوعن من كافي البيتين
الاخيرين (رحمة) واسعة ترزقنا اليك وتغوزبها عندك أو توفيقا للنسب على الحق وتأخير المفعول الصريح
عن الجائزين لما مر مرارا من الاعتناء بالمتقدم والتشويق إلى المؤخر فان ما حقه التقديم إذا أخرت في النفس
مترتبة لوروده لا سيما عند الاشعار بكونه من المتأخر باللام فإذا أوردته يتمكن عندنا ففضل تمكن (أنك
أنت الوهاب) تعليل للسؤال أو لاعطاء المسؤل وأنت أتم أميدا أو فصل أو تأكيذا لاسم إن وإطلاق الوهاب
لتناول كل موهوب وفيه دلالة على أن الهدى والضلال من قبله تعالى وأنه متفضل بما ينعم به على عباده
من غير أن يجب عليه شيء (ربنا أنك جامع الناس ليوم) أي لحساب يوم أو لجزاء يوم حذف المضاف وأقيم

مقامه المضاف اليه وهو بلاه ونفطه المايقع فيه (لاريب فيه) أى في وقوعه ووقوع ما فيه من الحشر
والحساب والجزاء ومقصودهم بهذا عرض كمال افتقارهم الى الرحمة وأنها المقصد الاسنى عندهم والتأكيد
لاظهار ما هم عليه من كمال الطمانينة وقوة اليقين بأحوال الآخرة (ان الله لا يخلف الميعاد) تعليل لمضمون
الجملة المؤكدة أو لا تنفاه الرب والتأكد كبدل ما مر واظهار الاسم الجليل مع الالتفات لابرار كمال التعظيم
والاجلال الناشئ من ذكر اليوم المهيّب الهائل بخلاف ما في آخر السورة الكريمة فانه مقام طلب الانعام كما
سأى وللأشعار بعلة الحسبكم فان الألوهية منافية للاخلاف وقد جوز أن تكون الجملة مسوقة من جهة
تعالى لتقرير قول الراسخين والميعاد مصدر كالميعات واستدل به الوعيدية وأوجب بأن وعيد الفساق مشروط
بعدم العزوب لآل مفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا (ان الذين كفروا) أتر ما بين الدين الحق والتوحيد
وذكر أحوال الكتب الناطقة به وشرح شأن القرآن العظيم وكيفية إيمان العلماء الراسخين به شرع في بيان حال
من كفروا به والمراد بالوصول جنس الكفرة الشامل لجميع الاصناف وقيل وفد نجران أو اليهود من قربطة
والنضير أو مشركو العرب (لن تغني عنهم) أى لن تنفعهم وقرئ بالتذكير وبكون الياء جذا في استئصال الحركة
على حروف اللين (أموالهم) التي يذلونها في جلب المنافع ودفع المضار (ولا أولادهم) الذين بهم يتناصرون
في الامور المهمة وعليهم يقولون في الخطوب الملهة وتأخير الاولاد عن الاموال مع توسيط حرف النون بينهما
اما العراقة الاولاد في كشف الكروب أولاد الاموال اول عدة يفزع اليها عند نزول الخطوب (من الله)
من عذابه تعالى (شيأ) أى شيأ من الاغناء وقيل كلمة من بمعنى البدل والمعنى بدل رحمة الله أو بدل طاعته
كما في قوله تعالى ان الظن لا يغني من الحق شيأ أى بدل الحق ومنه قوله ولا يتق ذالجد منك الجذا أى لا ينفعه
جذده بذلك أى بدل رحمتك كما في قوله تعالى وما أموالكم ولا اولادكم بالتي تقر بكم عندنا زني وأنت خير بأن
احتمال سدأموالهم وأولادهم مسدرة رحمة الله تعالى أو طاعته مما لا يخطر ببال أحد حتى تصدى لنفسه والاول
هو الاثني بتفطيم حال الكفرة وهو يدل أمرهم والانسب بما بعده من قوله تعالى (وأولئك هم وقود النار)
ومن قوله تعالى فأخذهم الله أى أولئك المتصفون بالكفر حطب النار وخصها الذي تسع به فان أريد بيان
حالهم عند التسعير فإشارا للجملة الاسمية للدلالة على تحقق الامر ونقزره والافهول لا يذ ان بأن حقيقة حالهم ذلك
وأن أحوالهم الظاهرة بمنزلة العدم فهم حال ككونهم في الدنيا وقود النار بأعيانهم وفيه من الدلالة على كمال
ملاستهم بالنار ما لا يخفى وهم يحتل الابتداء وأن يكون ضمير الفصل والجملة اما مستأنفة مقررة لعدم الاغناء
أو معطوفة على خبر ان وأيا ما كان ففيها تعيين للعذاب الذي بين أن أموالهم وأولادهم لا تغني عنهم منه شيأ
وقرئ وقود النار بضم الواو وهو مصدر رأى أهل وقودها (كذاب آل فرعون) الدأب مصدر دأب في العمل
اذا كدح فيه وتعب غلب استعماله في معنى الشأن والحال والعادة ومحل الكاف الرفع على أنه خير لمبتدا
محذوف وقد جوز النصب بلن تغني أى بالوقود أى لن تغني عنهم كالم تغني عن أولئك أو توقد بهم النار كما توقد بهم
وأنت خير بأن المذكور في تفسير الدأب انما هو التكذيب والاخذ من غير تعرض لعدم الاغناء لاسيما على
تقدير كون من بمعنى البدل كما هو رأى المجوز ولا يفسد النار فيعمل على التعديل وهو خلاف الظاهر على انه
يلزم الفصل بين العامل والمعمول بالاجنبي على تقدير النصب بلن تغني وهو قوله تعالى وأولئك هم وقود النار
الا أن يجعل استئنفا لامعطوفا على خبر ان فالوجه هو الرفع على الخبرية أى دأب هؤلاء في الكفر وعدم النجاة
من أخذ الله تعالى وعذابه كذاب آل فرعون (والذين من قبلهم) أى من قبل آل فرعون من الامم الكافرة
فالوصول في محل الجز عطف على ما قبله وقوله تعالى (كذبوا باياتنا) بيان وتفسير لادأبهم الذي فعلوا
على طريقة الاستئناف المبني على السؤال كانه قيل كيف كان دأبهم فقيل كذبوا باياتنا وقوله تعالى (فأخذهم
الله) تفسير لادأبهم الذي فعل بهم أى فأخذهم الله وعاقبهم ولم يجدوا من يأس الله تعالى بمحاصف دأب هؤلاء
الكفرة أيضا كدأبهم وقيل كذبوا الخ حال من آل فرعون والذين من قبلهم على انما قد أى دأب هؤلاء
كذاب أولئك وقد كذبوا الخ وأما كونه خبرا عن الموصول كما قيل فصايد برونق النظم الكريم والالتفات
الى التكلم أولا للجري على سنن الكبرياء والى الغيبة ثانيا باظهار الجلالة لتربية المهابة وادخال الروعة (بذنوبهم)
ان أريد بها تكذيبهم بالآيات فالإساءة للسببية جى ما كيد الما تفيد الفاء من سببية ما قبلها لما بعده ها وان أريد

بها سائر ذنوبهم قالوا للملايسة جي بها للدلالة على أن لهم ذنوباً أخرى فأخذهم ملتبسين بذنوبهم غير تائبين
 عنها كما في قوله تعالى وتزهق أنفسهم وهم كافرون والذنب في الأصل التلوي والتابع وسمى الجرعة ذنباً لأنها
 تتلوى أي تسمع عقابها فاعلمها (والله شديد العقاب) تذييل مقترن لمضمون ما قبله من الأخذ وتكملة له (قل
 للذين كفروا) المراد بهم اليهود لما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن اليهود المدينية لما شاهدوا غلبة رسول
 الله صلى الله عليه وسلم على المشركين يوم بدر قالوا والله انه النبي -الأمي- الذي بشرنا به موسى وفي التوراة
 نعتة وهو أبا تباة فقال بعضهم لا نجعلوا حتى ننظر إلى وقعة له أخرى فلما كان يوم أحد شكروا وقد كان بينهم
 وبين رسول الله عهد إلى مدة فنتقضوه وانطلق كعب بن الأشرف في ستين راكباً إلى أهل مكة فاجعوا أمرهم
 على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فزلت وعن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما
 أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أصاب قريشاً يدور رجوع إلى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع فحذرهم
 أن ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك أنك لقيت قوماً أغماراً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة لئن
 قاتلنا لعلنا أنان نحن الناس فزلت أي قل لهم (ستغلبون) البتة عن قريب في الدنيا وقد صدق الله عز
 وجل وعده بقتل بني قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وشرب الجزية على من عداهم وهو من أوضح شواهد
 النبوة وأما ما روى عن مقاتل من أنها زلت قبل بدروان الموصول عبارة عن مشركي مكة ولذلك قال لهم
 النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر إن الله غالبكم وحاشركم إلى جهنم وبئس المهاد فبوذى إلى انقطاع الآية
 الكريمة عما بعدها النزول بعد وقعة بدر (وتحشرون) أي في الآخرة (إلى جهنم) وقرئ الفعلان بالياء على
 أنه عليه السلام أمر بأن يحكى لهم ما أخبر الله تعالى به من وعيدهم بعبادته كأنه قيل أذاليهم هذا القول (وبئس
 المهاد) أي من تمام ما يقال لهم أو استئناف انهويل جهنم وتفتيح حال أهلها والمخصوص بالذم محذوف أي
 وبئس المهاد جهنم أو ما مهدوه لأنفسهم (قد كان لكم) جواب قسم محذوف وهو من تمام القول المأمور به جي به
 لتقرر مضمون ما قبله وتحقيقه والخطاب لليهود أيضاً وانظر خبر كان على أنها ناقصة وتوسطه بينا وبين اسمها
 ترك التأنيت كما في قوله * إن امرأ غرته منك واحدة * بعدى وبعدك في الدنيا للمغرور * على أن التأنيت
 ههنا غير حقيقي -أو هو متعلق بـ كان على أنها تامة وانما تقدم على فاعلها الماسرمرار من الاعتناء بما تقدم
 والتشويق إلى ما آخرى والله قد كان لكم أي المفسرون بعدد هم وعددهم (آية) عظيمة دالة على صدق ما أقول
 لكم انكم ستغلبون (في فئتين) أي فرقتين أو جاعتين فإن المغلوبة منهما كانت مدله بكثرتها محبة بعزتها
 وقد اقيم ما لقيها فسيصيبكم ما يصيبكم ومحل الظرف الرفع على أنه صفة لآية وقيل النصب على خبرية كان
 والظرف الاول متعلق بمحذوف وقع حالاً من آية (التقاة) في حيز الجزع على أنه صفة فئتين أي تلاقتا بالقتال
 يوم بدر (فئة) بالرفع خبر مبتدأ محذوف أي احدهما فئة كما في قوله
 اذا مت كان الناس حزينين شامت * وآخر من بالذي كنت أصنع * أي أحدهما شامت والآخر من وقوله
 حتى اذا ما استقل النجم في غلس * وغودر البقل ملوى ومحسود * والجملة مع ما عطف عليها مستأنفة
 لتقرير ما في الفئتين من الآية وقوله تعالى (تقاتل في سبيل الله) في محل الرفع على أنه صفة فئة كأنه قيل فئة
 مؤمنة ولكن ذكر مكانه من أحكام الايمان ما يليق بالمقام مدحاً لهم واعتداداً بقتالهم وايداً بأنه المدار
 في تحقق الآية وهي رؤية القليل كثير أو قرئ يقاتل على تأويل الفئة بالقوم أو الفريق (وأخرى) نعت
 لمبتدأ محذوف معطوف على ما حذف من الجملة الاولى أي وقفة أخرى وانما تكررت والقياس تعريضها
 كقريتها للوضوح أن التفريق لنفس المثني المقدم ذكره وعدم الحاجة إلى التعريف وقوله تعالى (كافرة)
 خبر المبتدأ المحذوف وانما لم توصف هذه الفئة بما يقابل صفة الفئة الاولى اسقاطاً لقتالهم عن درجة الاعتبار
 وايداً بأنها لم يتصدوا للقتال لما اعتراه من الرعب والهيبه وقيل كل من المتعاطفين بدل من الضمير في التقا
 وما بعدها صفة فلا بد من ضمير محذوف عائداً إلى المبدل منه متوغل لوصف المبدل بالجملة العارضة عن ضميره أي
 فئة منهما تقاتل الخ وفئة أخرى كافرة ويجوز أن يكون كل منهما مبتدأ وما بعدهما خبراً أي فئة منهما
 تقاتل الخ وفئة أخرى كافرة وقيل كل منهما مبتدأ محذوف الخبر أي منهما فئة تقاتل الخ وقرئ فئة بالجزع على
 البدلية من فئتين بدل بعض من كل وقد مر أنه لا بد من ضمير عائداً إلى المبدل منه ويسمى بدلاً تفصيلاً كما في قول

كثير عزة وكنت كذا رجلين رجل صحيحة * ورجل رى فيها الزمان فثقت وقرئته الخ بالنصب على المدح والذم أو على الحالية من ضمير التثنية كأنه قيل التثنية مؤمنة وكافرة فتكون فتنة وأخرى توطئة لما هو الحال حقيقة إذا المقصود بالذم وصفها كما في قولك جاني زيد رجلا صالحا (يرونهم) أي يرى الفتنة الأخيرة الفتنة الأولى وإشارة صيغة الجمع للدلالة على شمول الرؤية لكل واحد واحد من أحاد الفتنة والجملة في محل الرفع على أنها صفة للفتنة الأخيرة أو مستأنفة مبينة لكيفية الآية (منهم) أي من على عدد الرايين قريسا من أتين اذ كانوا قريسا من ألف كانوا ثمانمائة وخمسين مقاتلا رأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وفيهم أبو سفيان وأبو جهل وكان فيهم من الخيل والابل مائة فرس وسبع مائة بعير ومن أصناف الاسلحة عدد لا يحصى عن محمد بن أبي القزاث عن سعد بن أوس أنه قال أسرا المشركين رجلا من المسلمين فسأوه كم كنتم قال ثلثمائة وبضعة عشر قالوا ما كنا نراكم الا تضعفون علينا أو مثلي عدد المرتين أي ستمائة وثلاثة وعشرين حيث كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون من الأنصار رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وكان صاحب رواية رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين على بن أبي طالب رضي الله عنه وصاحب رواية الأنصار سعد بن عباد الخزرجي وكان في العسكر تسعون بعيرا وفرسان أحدهما للمقداد بن عمرو والآخر لمرثد بن أبي مرثدوس ودرع وعشاة مسيوف وجميع من استشهد يومئذ من المسلمين أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وعشاة من الأنصار رضوان الله تعالى عليهم أجمعين أراهم الله عز وجل كذلك مع قتلهم لبايهم ويحببوا عن قتالهم مدد اللهم مدد اللهم منه سبحانه كما أمدهم بالملائكة عليهم السلام وكان ذلك عند التقاء الفتيين بعد أن قتلهم في أعينهم عند ترائيهم ليحترثوا عليهم ولا يهربوا من أول الأمر حين ينجيهم الهرب وقيل يرى الفتنة الأولى الفتنة الأخيرة مثلي أنفسهم مع كونهم ثلاثة أمثالهم لينبأوا ويطعنوا بالنصر الموعود في قوله تعالى ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين والاول هو الاول لان رؤية المثلين غير متعينة من جانب المؤمنين بل قد وقعت رؤية المثل بل أقل منه أيضا فإنه روى أن ابن مسعود رضي الله عنه قال قد نظرتنا إلى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرتنا إليهم فإرأيتهم يزيدون علينا رجلا واحدا ثم قلهم الله تعالى أيضا في أعينهم حتى رأيتهم عددا يسيرا أقل من انفسهم قال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل إلى جنبي تراهم سبعين قال أراهم مائة فأسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال ألفا فلأريد رؤية المؤمنين المشركين أقل من عددهم في نفس الأمر كما في سورة الأنفال لكانت رؤيتهم أياهم أقل من انفسهم أحق بالذكى كونها آية من رؤيتهم مثلهم على أن آية آية قدرة الله تعالى وحكمته للكفرة بآياتهم القليلة كثيرا والضعيف قويا والقاء العرب في قلوبهم بسبب ذلك أدخل في كونها آية لهم وحجة عليهم وأقرب إلى اعتراف الخطابين بذلك الكثرة مخالفتهم الكفرة المشاهدين للعال وكذا انطق الفعل بالفعل أشد من تعلقه بالمفعول فجعل أقرب المدح كورين السابقين فاعلا وأبعدهما مفعولا مع جعل الجملة صفة أو مستأنفة أولى من العكس هذا ما تقتضيه جرالة التنزيل على قراءة الجمهور ولا ينبغي جعل الخطاب لمشركي مكة كما قيل أما ان جعل الوعيد عبارة عن هزيمة بدر كما صرحوا به فظلم لا مستبره وأما ان جعل عبارة عن هزيمة أخرى فلا أن الفتنة التي شاهدت تلك الآية الهائلة هم الخطاطبون حينئذ فالتعبير عنهم بصفة مبهمة تارة وموصوفة أخرى ثم اسناد المشاهدة إليهم مع كون اسنادها إلى الخطاطبين أو وقع في الزام الحجة وأدخل في التبيك عمالا داعي إليه وبهذا يتبين حال جعل الخطاب الثاني للمؤمنين وأما قراءة ترويه ثم شاء الخطاب فظاهرها وان اقتضى توجيه الخطاب الثاني إلى المشركين لكنه ليس بنص في ذلك لانه وان اندفع به المحذور الاخير فالاول باق بحاله فاعل رؤية المشركين نزلت منزلة رؤية اليهود لما بينهم من الاتحاد في الكفر والاتفاق في الكلمة لاسيما بعد ما وقع بينهم بواسطة كعب بن الاشرف من العهد والميثاق فأسندت الرؤية إليهم مباينة في البيان وتحققا لعروض مثل تلك الحالة لهم فتدبر وقيل المراد بجميع الكفرة ولا ريب في محتمه وسداده وقرئ يرونهم وترويههم على البناء للمفعول من الارادة أي يرونهم أو يرونكم الله تعالى كذلك (رأى العين) مصدر موكد ليرىهم ان كانت الرؤية بصرية أو مصدر تشبيهي ان كانت قلبية أي رؤية ظاهرة مكشوفة جارية بجرى رؤية العين (والله يؤيد) أي يقوى (ينصره من يشاء) أن يؤيده من غير توسط الاسباب العادية كما أيد الفتنة المقاتلة

قوله الوعيد أي قوله تعالى
ستغلبون الآية كما في بعض
النسخ اه

في سبيله بما ذكر من النصر وهو من تمام القول المأمور به (ان في ذلك) اشارة الى ما ذكر من روية القليل
 كثيراً المستبعدة لغلبة القليل العديم العدة على الكثير الشاكي السلاح وما فيه من معنى البعد لا يذ ان يعد منزلة
 المشار اليه في الفضل (لعبرة) العبارة فقلة من العبور كالركبة من الركوب والجلسة من الجلوس والمراد بها
 الاتعاض فانه نوع من العبور أي لعبرة عظيمة كآلة (لاولى الابصار) لذوى العقول والبصائر وقيل لمن
 أبصرهم وهو آمن تمام الكلام الداخل تحت القول مقترن لما قبله بطريق التذييل وأما وارد من جهته تعالى
 تصديقاً لمقاتلته عليه الصلاة والسلام (زين للناس) كلام مستأنف سبق لبيان حقارة شأن الخطوط الدنيوية
 بأصنافها وترهيد الناس فيها وتوجيه رغباتهم الى ما عنده تعالى اثر بيان عدم نفعها للكفرة الذين كانوا
 يتعززون بها والمراد بالناس الجنس (حب الشهوات) الشهوة تزوع النفس الى ما تزيد والمراد هنا المشتبهات
 عبر عنها بالشهوات مبالغة في كونهن ممتناه مرغوباتها كانت نفس الشهوات أو ايداً انابانها كما هم
 في حبها بحيث أحبوا شهواتها كما في قوله تعالى اني احببت حب الخير أو استرذالها فان الشهوة مستردة
 مذمومة من صفات البهائم والمزين هو البارى سبحانه وتعالى اذ هو الخالق لجميع الافعال والدواعي والحكمة
 في ذلك ابتلاؤهم قال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لتبلوهم الآية فانه اذ ربة لئيل سعادة الدارين
 عند كون تعاطيها على نهج الشريعة الشريفة ووسيلة الى بقاء النوع وايتار صيغة المبنى للمفعول للجري على
 سنن الكبرياء وقرئ على البناء للفاعل وقيل المزين هو الشيطان لما أن مساق الآية الكريمة على ذمها وفتق
 الجبائي بين المباحات فأستدترتينها اليه تعالى وبين المحرمات فقسبت ترينها الى الشيطان (من النساء
 والبنين) في محل نصب على أنه سال من الشهوات وهي مقسرة لها في المعنى وقيل من لبيان الجنس وتقدم
 النساء على البنين لعراقتهم في معنى الشهوة فانهن حبات الشيطان وعدم التعرض للنساء لعدم الاطراد
 في جنهن (والقناطير المقنطرة) جمع قنطار وهو المال الكثير وقيل مائة ألف دينار وقيل مل مسك ثور وقيل
 سبعون ألفاً وقيل أربعون ألفاً مثقال وقيل ثمانون ألفاً وقيل مائة رطل وقيل ألف ومائة مثقال وقيل ألفاً
 دينار وقيل مائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم وقيل دية النفس واختلف في أن وزنه فعلال
 أو فععال ولفظ المقنطرة مأخوذ منه للتأكد كقولهم بدرة مبدرة وقيل المقنطرة المحكمة المحصنة وقيل الكثيرة
 المنضدة بعضها على بعض أو المدفونة وقيل المضروبة المنقوشة (من الذهب والفضة) بيان للقناطير وأحوال
 (والخيل) عطف على القناطير وقيل هي جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والواحد قرص وقيل واحد
 خائل وهو مشتق من الخيلاء (المسومة) أي المعلمة من السومة وهي العلامة أو المرعية من أسام الدابة
 وسومها اذا أرسلها وسيمها للرعى أو المظهمة السائمة الخلق (والانعام) أي الابل والبقر والغنم (والحرث)
 أي الزرع مصدر بمعنى المفعول (ذلك) أي ما ذكر من الاشياء المعهودة (متاع الحياة الدنيا) أي ما يجمع
 به في الحياة الدنيا أي ما قلائل فتفتى سريعاً (والله عنده حسن المآب) حسن المرجع وفيه دلالة على أن
 ليس فيما عدا عاقبة جيدة وفي تكرير الاسناد يجعل الجلالة مبتدأ واسناد الجلالة الطرفية اليه زيادة تأكيد
 وتفتيم وعز يد اعتناء بالترغيب فيما عند الله عز وجل من النعيم المقيم والترهيد في ملاذ الدنيا وطيباتها الفانية
 (قل أو يثبتكم بخير من ذلكم) اتر ما بين شأن من خرفات الدنيا وذكرا ما عنده تعالى من حسن المآب اجمالاً
 أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتفصيل ذلك الجميل للناس مبالغة في الترغيب والخطاب للجميع والهمزة
 للتقرير أي أخبركم بما هو خير مما فصل من تلك المستلذات المزينة لكم وابهام الخير لتفتيم شأنه والتشويق اليه
 وقوله تعالى (للذين اتقوا عند ربهم جنات) استئناف مبين لذلك المهم على أن جنات مبتدأ والخارج والمجرور
 خبراً وعلى أن جنات مرتفع به على القاعلية عند من لا يشترط في ذلك اعتماد الخارج على ما فصل في محله والمراد
 بالتقوى هو التبتل الى الله تعالى والاعراض عما سواه على ما يني عنه النعوت الآتية وتطبيق حصول الجنات
 وما بعدها من فنون الخيرات به للترغيب في تحصيله والنيات عليه وعند نصب على الحالية من جنات أو متعلق
 بما يتعلق به الخارج من معنى الاستقرار مفيد لكمال علورية الجنات وسمو طبقها والتعرض لعنوان الربوبية
 مع الاضافة الى ضمير المتقين لاظهار عز يد اللطف بهم وقيل اللام متعلقة بخير وكذا الظرف وجنات
 خبر مبتدأ محذوف والجملة مبنية بخير ويؤيد قراءة جنات بالخبر على البدلية من خير ولا يخفى أن تعليق الاخبار

والبيان بما هو خير لطائفة ربما يوهم أن هنالك خيرا آخر لا تخبرين (تجبري) في محل الرفع أو بالجر صفة لجنات
على حسب القراءة تين (من تحتها الانهار) متعلق بتجبري فان أريد بالجنات نفس الاشجار كما هو الظاهر
فجريا منها من تحتها ظاهرا وان أريد بها مجموع الارض والاشجار فهو باعتبار جرتهما الظاهر كما مر تفصيله
مرارا (خالدين فيها) حال مقدرة من المستكن في للذين والعامل مافيه من معنى الاستقرار (وازوج
مطهرة) عطف على جنات أي مبرأة مما يستقدر من النساء من الاحوال البدنية والطبيعية (ورضوان)
التنوين للتخفيف وقوله تعالى (من الله) متعلق بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما أفاده التنوين من
الفخامة أي رضوان وأي رضوان لا يقدر قدره كائن من الله عز وجل وقرئ بضم الراء (والله بصير بالعباد)
وبأعمالهم فيذيب ويرعاقب حسبما يليق بها أو بصير بأحوال الذين اتقوا ولذلك أعد لهم ما ذكر وفيه اشعار
بأنهم المستحقون للتسمية باسم العبد (الذين يسولون ربنا اننا) في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف
كانه قيل من أولئك المقنون الصائرون بهذه الكرامات السنية ف قيل هم الذين الخ أو النصب على المدح أو الجز
على أنه تابع للعتيق نعتا أو بدلا أو للعباد كذلك والاول أظهر وقوله تعالى والله بصير بالعباد حيث أنه مترضة
وتأكيده الجملة لاظهار أن ايمانهم ناشئ من وفور الرغبة وكمال التشاط وفي ترتيب الدعاء بقولهم (فاغفر
لنا ذنوبنا ونساء عذاب النار) على مجزء الايمان دلالة على كفايته في استحقاق المغفرة والوقاية من النار
(الصابرين) هو على تقدير كون الموصول في محل الرفع منصوب على المدح باضماء راعنى وأما على تقدير
كونه في محل النصب أو الجز فهو نعت له والمراد بالصبر هو الصبر على مشاق الطاعات وعلى البأساء والافتراء
وحين البأس (والصادقين) في أقوالهم ونياتهم وعزائمهم (والقائمين) المداومين على الطاعات الموابطين
على العبادات (والمتقين) أموالهم في سبيل الله تعالى (والمتقربين بالاسحار) قال مجاهد وقتادة
والكلبي أي المصلين بالاسحار وعن زيد بن أسلم هم الذين يصلون الصبح في جماعة وقال الحسن متذوا الصلاة
الى السحر ثم استغفروا وقال نافع كان ابن عمر رضي الله عنه يحكي الليلة ثم يقول يا نافع أسحرونا فأقول لا فنعاد
الصلاة فإذا قلت نعم فقد يستغفر الله ويدعو حتى يصبح وعن الحسن كانوا يصلون في أول الليل حتى إذا كان
السحر أخذوا في الدعاء والاستغفار وتخصيص الاسحار بالاستغفار لان الدعاء فيها أقرب الى الاجابة اذ العبادة
حيث تدأشق والنفس اصنى والروح أجمع لاسميا للمتجدين ونوسيط الوابطين الصفات المعدودة للدلالة على
استقلال كل منها وكما لهم فيها أول تغاير الموصوفين بها (شهد الله أنه) بفتح الهمزة أي بأنه أو على أنه (لا اله الا هو)
أي بين وحدانيته بنصب الدلائل التكوينية في الاتفاق والانفس وانزال الايات التشريعية الناطقة
بذلك عبر عنه بالشهادة على طريقة الاستعارة ايذانا بقوته في اثبات المطلوب واشعارا بانكار المنكر وقرئ
انه يكسر الهمزة اما بجرأ شهد تجرى قال واما يجعل الجملة اعتراضا وايقاع الفعل على قوله تعالى أن الدين الخ
على قراءة أن بفتح الهمزة كما سيأتي وقرئ شهد الله بالنصب على أنه حال من المذكورين أو على المدح وبالرفع
على أنه خبر مبتدأ محذوف وما له الرفع على المدح أي هم شهداء الله وهو أجمع شهد كطرفاء في جمع ظرف
أوجع شاهد كشعرا في جمع شاعر (والملائكة) عطف على الاسم الجليل بحمل الشهادة على معنى مجازي
شامل للاقرار والايان بطريق عموم المجاز أي أقر وأبذل (وأولوا العلم) أي آمنوا به واحتجوا عليه
بما ذكر من الادلة التكوينية والتشريعة قبل المراد بهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل المهاجرون
والانصار وقيل علماء مؤمنى أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه وقيل جميع علماء المؤمنين الذين عرفوا
وحدانيته تعالى بالدلائل القاطعة وارتقاءهما على القراءتين الاخبرتين قيل بالعطف على التضمير في شهداء
لوقوع الفصل بينهما وأنت خير بأن ذلك على قراءة النصب على الحالية يؤدي الى تقييد حال المذكورين
بشهادة الملائكة وأولى العلم وليس فيه كثير فائدة فالوجه حينئذ كون ارتقاءهما بالابتداء والخبر محذوف
لدلالة الكلام عليه أي والملائكة وأولوا العلم شهداء بذلك ولك أن تحمل القراءتين على المدح نصبا ورفعها
لحينئذ يحسن العطف على المستتر على كل حال وقوله تعالى (فأعما بالقسط) أي مقبلا للعدل في جميع أموره
بيان لكاله تعالى في أفعاله اثر بيان كاله في ذاته واتصا به على الحالية من الله كما في قوله تعالى وهو الحق مصدقا
وانما جازا فراده مع عدم جواز جاء زيد وعمر ورا كالعدم اللبس كقوله تعالى وهو بينا له اسحق ويعقوب نافلة

ولعل تأخير عن المعطوفين للدلالة على علو مرتبتهم ما وقرب منزلتهم ما والمسارعة الى اقامة شهود التوحيد اعتناء
بأنه ورفعا لمحلّه وهو المستر في تقديمه على المعطوفين مع ما فيه من الايدان بأصاليه تعالى في الشهادة به كما مر
في قوله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه أو من هو وهو الاوجه والعام في الجملة أى تفرداً وأحقه
لانها حال مؤكدة أو على المدح وقيل على أنه صفة للمعنى أى لا اله قاطعاً الخ والفصل بينهما من قبيل
توسعاتهم وهو مندرج في المشهود به اذا جعل صفة أو حالاً من الضمير أو نصباً على المدح منه وقرئ القائم
بالقسط على البداية من هو فيلزم الفصل بينهما كما في الصفة أو على أنه خبر مبتدأ محذوف وقرئ قفاً بالقسط
(لا اله الا هو) تكرر للتأكيد وحزير الاعتناء بمعرفة أدلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة ويجرى
عليه قوله تعالى (العزير الحكيم) فيعلم أنه المنعوت بهما ووجه الترتيب تقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته
تعالى ورفعهما على البدلية من الضمير أو الوصفية لقائل شهداً والخبرية لمبتدأ محضر وقد روى في فضلها أنه
عليه السلام قال يجاء بصاحب يوم القيامة فيقول الله عز وجل ان اعبدي هذا عبيد عهدي وأنا أحق من
وفي العهد أدخلوا عبيدي الجنة وهو دليل على فضل علم أصول الدين وشرف أهله وروى عن سعيد بن جبير
أنه كان حول البيت ثلثمائة وستون صنفاً فلما نزلت هذه الآية الكريمة خررت سجداً وقيل نزلت في أنصاري
نجران وقال الكلبي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم حبران من أجبارة الشام فلما أبصر المدينة قال أحدهما
ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان فلما دخل عليه عليه السلام عرفاه بالصفة
فقالا له عليه السلام أنت محمد قال صلى الله عليه وسلم نعم قالوا أنت أحمد قال عليه السلام أنا محمد وأحمد قالانا
نسألك عن شيء فإن أخبرتنا به آمنا بك وصدقناك قال عليه السلام سلا فقلنا أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب
الله عز وجل فأنزل الله تعالى هذه الآية الكريمة فأسلم الرجلان (ان الدين عند الله الاسلام) جملة مستأنفة
مؤكدة للاولى أى لا دين مرضي الله تعالى سوى الاسلام الذي هو التوحيد والتدريج بالشرعية الشريعة وعن
قتادة أنه شهادة أن لا اله الا الله والاقرار بما جاء من عند الله تعالى وقرئ ان الدين عند الله للاسلام وقرئ أن
الدين الخ على أنه يدل من أنه يدل الكل ان فسر الاسلام بالايان أو بما يتضمنه وبذل الاشتغال ان فسر بالشرعية
أو على أن شهد واقع عليه على تقدير قراءة أنه بالكسر كما أشير اليه (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) نزلت
في اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وأنكروا نبوته والتعبير
عنهم بالموصول وجعل ابتداء الكتاب صلة له لزيادة تقييد حالهم فان الاختلاف عن أوق ما يزيله ويقطع شأقه
في غاية القبح والسماجة وقوله تعالى (الامن بعد ما جاءهم العلم) استثناء مفترغ من أعم الاحوال أو أعم
الافاق أى وما اختلفوا في حال من الاحوال أو في وقت من الاوقات الابعاد ان علواً بأنه الحق الذي لا يحيد
عنه أو بعد أن علوا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالحجج النيرة والآيات الباهرة وفيه من الدلالة على تراخي
حالهم في الضلالة ما لا مزيد عليه فان الاختلاف بعد حصول تلك المرتبة مما لا يصدر عن العاقل وقوله تعالى
(بغياً بينهم) أى حسداً كما بنا بينهم وطلباً للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر تشنيع اثر تشنيع (ومن يكفراً بآيات الله)
أى بآياته الناطقة بما ذكر من أن الدين عند الله تعالى هو الاسلام ولم يعمل بمقتضاها أو بآية آية كانت من آياته
تعالى على أن يدخل قيمها نحن فيه دخولا اولياً (فان الله سريع الحساب) قائم مقام جواب الشرط
عله أى ومن يكفراً بآياته تعالى فانه تعالى يجازيه وبعباقبه عن قريب فانه سريع الحساب أى ياتي حسابه عن
قريب أو يتم ذلك بسرعة واطهار الجلالة لترقية المهابة وادخال الروعة وفي ترتيب العقاب على مطلق الكفر
بآياته تعالى من غير تعرض لخصوصية حالهم من كونه كفراً بعد ايتاء الكتاب وحصول الاطلاع على
ما فيه وكون ذلك للبغي دلالة على كمال شدة عقابهم (فان حاجونك) أى في كون الدين عند الله الاسلام
أو جادلوك فيه بعد ما اتت عليهم الحجج (فقل أسلمت وجهي) أى أخاضعت نفسي وقابلي وجهاتي وأغاب عنهما
بالوجه لانه أشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والمشاعر ومجمع معظم ما يقع به العبادة من السجود
والقراءة وبه يحصل التوجه الى كل شيء (لله) لا اشرك به في ما غيره وهو الدين التوحيدي الذي قامت عليه الحجج
ودعت اليه الآيات والرسول عليهم السلام (ومن أسبعن) عطف على المتصل في أسلمت وحسن ذلك المكان
الفصل الجارى مجرى التأكيد بالمتصل أى وأسلم من اتبعني أو مفعول معه (وقل للذين أوتوا الكتاب)

أى من اليهود والنصارى وضع الموصول موضع التمييز لرعاية التقابل بين وصفى المتعاطفين (والأخمين) أى الذين لا كتاب لهم من مشركى العرب (الاسلمة) متبعين لى كما فعل المؤمنون فإنه قد أناكم من البينات ما يوجب به ويفتضيه لا محالة فهل أسلمتم وعلمتم بقضيتها أو أنتم على كفركم بهدكم كما يقول من نخص اصاحبه المسئلة ولم يدع من طرق التوضيح والبيان مسلكا لاسلكه فهل فهمتها على منهاج قوله تعالى فهل أنتم منتهون اثر تفصيل الصوارف عن تعاطى الخمر والميسر وفيه من استقصايرهم وتغييرهم بالمعاهدة وقوله الانصاف وتوخيهم بالبلادة وكلمة القرينة ما لا يخفى (فان أسلموا) أى كما أسلمتم وانما لم يصرح به كافي قوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به حسب الباب اطلاق اسم الاسلام على شئ آخر بالكلية (فقد اهتدوا) أى فازوا بالخط الاوفى ونجوا عن مهارد الضلال (وان قولوا) أى أعرضوا عن الاتباع وقبول الاسلام (فانما عليكم البلاغ) فانه مقام الجواب أى لم يضر ولو شئ اذ ما عليكم الا البلاغ وقد فعلت على ابلغ وجه روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية على أهل الكتاب قالوا أسلمنا فقال عليه السلام لا يهود أنشهدون أن عيسى كلمة الله وعبيده ورسوله فقالوا معاذ الله وقال عليه الصلاة والسلام للنصارى أنشهدون أن عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله أن يكون عيسى عبدا وذلك قوله عز وجل وان تولوا (والله بصير بالعباد) عالم بجميع أحوالهم وهو تدبيل فيه وعد ووعد (ان الذين يكفرون بآيات الله) أى آية كانت فدخل فيهم الكافرون بالآيات الناطقة بحقيقة الاسلام على الوجه الذى مر تفصيله دخولا أولا (ويقتلون النبيين بغير حق) هم أهل الكتاب قتل أولوهم الانبياء عليهم السلام وقتلوا آساعهم وهم راضون بما فعلوا أو كفوا فانهم الله تعالى حائنين حول قتل النبي صلى الله عليه وسلم لولا أن عصم الله تعالى ساحته المنية وقد أشير اليه بصيغة الاستقبال وقرئ بالتشديد للكثير والتعقيد بغير حق للايذان بأنه كان عندهم أيضا بغير حق (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) أى بالعدل ولعل تكرير الفعل للاشعار بما بين القتلين من التفاوت أو باختلافهما في الوقت عن أبي عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله أى الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أو رجلا أمر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا أبا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فأمر واقتلهم بالمعروف ونهى عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار وقرئ ويقتلون الذين (بشرهم بعذاب أليم) خبر أن والفاء لتضمن اسمها معنى الشرط فانها بالتسخ لا تغير معنى الابتداء بل تزيده تأكيدا وكذا الحال في التسخ بأن المفتوحة كافي قوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شئ فإن الله غنى وكذا التسخ بذكر كافي قوله

قوله أولوهم في بعض النسخ آياؤهم والمآل واحد اهـ

فوالله ما فارقتكم عن ملالة * ولكن ما بقضى فسوف يكون

وانما يتغير معنى الابتداء في التسخ بليت ولعل وقد ذهب سيديويه والاخفش الى منع دخول الفاء عند التسخ مطلقا فان خبر عندهما قوله تعالى (أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) كافي قوله الشيطان فأحذر عدو مبين وعلى الاول هو استئناف واسم الإشارة مبدأ أو ما فيه من معنى البعد للدلالة على تراخي أمرهم في الضلال وبعد منزلتهم في فناء الحال والموصول بما في خبره أى أولئك المتصفون بتلك الصفات القيحة أو المبتلون بأسوأ الحال الذين بطلت أعمالهم التي عملوها من البر والحسنات ولم يبق لها أثر في الدارين بل بقي لهم اللعنة والخزي في الدنيا وعذاب أليم في الآخرة (ومالهم من ناصرين) ينصرونهم من بأس الله وعذابه في إحدى الدارين وصيغة الجمع لرعاية ما وقع في مقابلته لالتق تعدد الانصار من كل واحد منهم كافي قوله تعالى ومال الظالمين من انصار (ألم تر) تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل من يتأق منه الرؤية من حال أهل الكتاب وسوء صنيعهم وتقرير لما سبق من أن اختلافهم في الاسلام انما كان بعد ما جاءهم العلم بحقيقته أى ألم تنظر (الى الذين أوثنا نصيانا من الكتاب) أى التوراة على أن الامم للعهد وحله على جنس الكتب الالهية تطويل للمسافة اذ تمام التقريب حينئذ يكون التوراة من جملتها لان مدار التشريع والتعجيب انما هو اعراضهم عن المحاكاة الى مادعوا اليه وهم لم يدعوا الا الى التوراة والمراد بما أدعوا منه ما بين لهم فيها من العلوم والاحكام التي من جملتها ما علموه من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وحقة الاسلام والتعبر عنه بالنصيب للاشعار بكمال اختصاصه بهم وكونه حقا من حقوقهم التي يجب مراعاتها والعمل

بموجبها وما فيه من التذكير للتقويم وحله على التحقير لا يساعده مقام المبالغة في تقييح حالهم (يدعون الى كتاب الله) الذي اوتوا نصيبا منه وهو التوراة والاطهار في مقام الاضمار لا يحجب الاجابة واضاقته الى الاسم الجليل لتشریفه وتأكيد وجوب المراجعة اليه والجلالة استئناف مبین لمحل التعجيب مبنى على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر اليهم فقيل يدعون الى كتاب الله تعالى وقيل حال من الموصول (ليحكم بينهم) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدراسهم فدعاهم الى الايمان فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على أي دين انت قال عليه الصلاة والسلام على ملّة ابراهيم قالان ابراهيم كان يهوديا فقال صلى الله عليه وسلم لهما ان يبتنا وبينكم التوراة فهما واليهما فأيا وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وقيل كتاب الله القرآن فانهم قد علموا أنه كتاب الله لم يشكوا فيه وقرئ ليحكم على بناء المجهول فيكون الاختلاف بينهم بأن اسلم بعضهم كعبد الله بن سلام وأضرابه وعاداهم الآخرون (ثم يولى فريق منهم) استبعاد لتوليهم بعد علمهم بوجوب الرجوع اليه (وهم معروضون) اما حال من فريق لتخصصه بالصفة أي يتولون من المجلس وهم معروضون بقلوبهم سم أو اعتراض أي وهم قوم ديدتهم الاعراض عن الحق والاصرار على الباطل (ذلك) اشارة الى ما مر من التولي والاعراض وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (يا أيهم) أي حاصل بسبب أنهم (قالوا ان تمسنا النار) باقرار الذنوب وركوب المعاصي (الا يا ايها معدودات) وهي مقدار عبادتهم العجل ورسخ اعتقادهم على ذلك وهو نوا عليهم الخطوب (وعزهم في دينهم ما كانوا يفترون) من قولهم ذلك وما شبهه من قولهم ان آباءنا الانبياء يشفعون لنا وان الله تعالى وعدي عقيب عليه السلام أن لا يعذب أولاده الا تحلة القسم ولذلك ارتكبوا ما ارتكبوا من القبائح (فكف) رداً ولهم المذكور وابطال لما عزمهم باستعظام ما سيدهمهم وتحويل ما سيحيق بهم من الاله والأي فكيف يكون طاهم (اذا بعناهم ليوم) أي جزاء يوم (لاريب فيه) أي في وقوعه ووقوع ما فيه روى ان اول راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفر راية اليهود فيذبحهم الله عز وجل على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار (ورفيت كل نفس ما كسبت) أي جزاء ما كسبت من غير نقص اصلا كما يزعمون وانما وضع المكسوب موضع جزائه لا ليدان بكال الاتصال والتلازم بينهما كما كسب ما شئ واحد وفيه دلالة على أن العبادة لا تحبط وأن المؤمن لا يخلد في النار لان توفية جزاء ايمانه وعمله لا تنكسر في النار ولا قبل دخولها فاذا نهي بعد الخلاص منها (وهم) أي كل الناس المدلول عليهم بكل نفس (لا يظنون) بزيادة عذاب أو تنقص ثواب بل يصيب كلامهم مقدار ما كسبه (قل اللهم) الميم عوض عن حرف النداء ولذلك لا يجمعان وهذا من خصائص الاسم الجليل كدخوله عليه مع حرف التعريف وقطع هجرته ودخول تاء القسم عليه وقيل اصله يا الله امتنا بخير أي اقصدنا به تخفيف بحذف حرف النداء ومعلقة الفعل وهم زنه (مالك الملك) أي مالك جنس الملك على الاطلاق ملكا حقيقيا بحيث تنصرف فيه كيفما تشاء ايجادا واعداداً واحياء وامانة وتغذيا واثابة من غير مشاركة ولا ممانع وهو نداء ثان عند سبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية (تؤتي الملك) بيان لبعض وجوه التصرف الذي تستدعيه ملكية الملك وتحقيق اختصاصها به تعالى حقيقة وكون ملكية غيره بطريق المجاز كما ينبغي عنه ايتار الالاء الذي هو مجرد الاعطاء على القليل المؤذن بثبوت الملكية حقيقة (من تشاء) أي ايتاء اياه (وتزعم الملك من تشاء) أي نزعه منه فالملك الاول حقيقي عام وعملوكيته حقيقة والآخرة انجازيان خاصان ونسبتهما الى صاحبهما مجازية وقيل الملك الاول عام والآخرة انفرادية وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى آخرين (وتعز من تشاء) أن تعز في الدنيا أو في الآخرة أو فيها بالنصر والتوفيق (وتنزل من تشاء) أن تنزل في احدهما أو فيهما من غير ممانعة من الغير ولا مدافعة (بيدك الخير) تعريف الخير للتعميم وتقديم الخير للتخصيص أي بقدرتك الخير كله لا بقدر احد من غيرك تنصرف فيه قبضا وبسطا حسبما تقتضيه مشيئتك وتخصيص الخير بالذكر لما أنه مقتضى بالذات وأما الشر فمقتضى بالعرض اذا ما من شر جزئي الا وهو مستغن عن ذكر كل اولان في حصول الشر دخلا لصاحبه في الجملة لانه من أجرية أعماله وأما الخير ففضل محض أول رعاية الادب اولان الكلام فيه فانه روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خطب الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة من اهل المدينة

أربعين ذراعاً وأخذوا يحفرونه خرج من بطن الخندق حفرة كآل لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سليمان
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره بنجاء عليه السلام وأخذ منه المعول فضرب به ضربة صدعتها وبرق منها
برق أضواء ما بين لا يتيها الكائن مصباحاً في خوف يت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال أضاءت لي منها قصور
الحيرة كأنهم أنياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال أضاءت لي منها القصور الحجر من أرض الروم ثم ضرب الثالثة
فقال أضاءت لي قصور صنعاء وأخبرني جبريل أن اتقى ظاهرة على كلها فأبشروا فقال المنافقون ألا تعجبون
بمنكم وبعدكم الباطل ويخبركم أنه يصير من يترقب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم أنما تحفرون
الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا فنزلت (أنك على كل شيء قدير) لتعلم بالمسبق وتحقق له
(توحي البلى في النهار) أي تدخل فيه به قسبه إياه أو ينقص الأول وزيادة الثاني (توحي النهار في الليل)
على أحد الوجهين (وتخرج الحي من الميت) أي تنشئ الحيوانات من مواتها ومن النطفة وقبل تخرج
المؤمن من الكافر (وتخرج الميت من الحي) أي تخرج النطفة من الحيوان وقبل تخرج الكافر من المؤمن
(وترزق من تشاء بغير حساب) قال أبو العباس المقرئ ورد لفظ الحساب في القرآن على ثلاثة أوجه معنى
التعب قال تعالى وترزق من تشاء بغير حساب ويعني العبد قال تعالى انما يؤتى الصابرون أجرهم بغير حساب
ويعني المطالبة قال تعالى فامن أو أم لك بغير حساب والباء متعلقة بمحذوف وقع حالاً من فاعل رزق أو من
مفعوله وفيه دلالة على أن من قدر على أمثال هاتيك الأفاعيل العظام المحيرة للعقول والأفهام فقد رتبه على
أن ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتبه العرب ويعزهم أهون من كل حين عن علي رضي الله عنه أنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين من آل عمران شهد الله أنه لا اله الا هو الى
قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقل اللهم مالك الملك الى قوله بغير حساب معلمات ما يتبين وبين الله
تعالى حجاب قلن يا رب تبطننا الى ارضك والى من يعصيك قال الله تعالى اني خلقت انه لا يقروا كن احد بر
سلا لا يجعل الجنة مشواه على ما كان منه واسكنه في حظيرة القدس وقطرت اليه بعيني كل يوم
سبعين مرة وقضيت له سبعين حاجة ادناها المغفرة وأعذته من كل عدو وحسد ونسرت عليه وفي بعض الكتب
أن الله ملك الملوك قلوب الملوك فو اصبهم يدي فان العباد أطاعوني جعلتهم اهل رحمة وان العباد عصوني
جعلتهم عليهم عقوبة فلان شغلوا بسبب الملوك ولكن نوبوا الى اعطاهم عليهم وهو معنى قوله عليه
السلام كما تكونون يولي عليكم (لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء) نهوا عن موالاتهم لقراءة أو صداقة
جاهلة ونحوهم من أسباب المصادقة والمعاشرة كما في قوله سبحانه يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي
وعدوكم اولياء وقوله تعالى لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء حتى لا يكون حبهم ولا بغضهم الله تعالى
أوعن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية (من دون المؤمنين) في موضع الحال أي متجاوزين
المؤمنين اليهم استقلالاً أو استعانة بغيرهم اشارة الى انهم الاحقاء بالموالات وأن في موالاتهم مندوحة عن
موالات الكفرة (ومن يفعل ذلك) أي اتخذهم اولياء والتعبير عنه بالفعل للاختصار ولا يهمل الاستعانة
بذكره (فليس من الله) أي من ولايته تعالى (في شيء) يصح أن يطلق عليه اسم الولاية فان موالات المتعادين
مما لا يكاد يدخل تحت الوقوع قال

قوله كما تكونون يولي
عليكم في اغلب النسخ
كما تكونوا يول عليكم
وهو الذي اشتهر به

وعدوكم يوليكم أني * صدقتك ليس النول عنك بعازب

والجمله اعتراضية وقوله تعالى (الآن تتقوا) على صيغة الخطاب بطريق الالتفات استثناء مفرغ من اعم
الاحوال والعامل فعل النبي معتبراً فيه الخطاب كأنه قيل لا تتخذوهم اولياء مظاهراً أو باطنياً في حال من الاحوال
الاحال اتقاكم (منهم) أي من جهةهم (تقاة) أي اتقاء أو شياً يجب اتقاؤه على أن المصدر واقع موقع
المفعول فانه يجوز اظهار الموالات حينئذ مع اطمئنان النفس بالعداوة والبغضاء وانظار زوال المانع من قسر
العصا وانظار ما في الضمير كما قال عيسى عليه السلام كن وسطاً وامن جانباً وأصل تقاة وقية ثم ابدلت الواو
تاء كتحمة وتهمة وقلت الياء انقضاء وقية (ويحذركم الله نفسه) أي ذاته المقدسة فان جواز اطلاق لفظ
النفس مراد به الذات عليه سبحانه بلا مشاكلة عملاً لكلام فيه عند المتقدمين وقد صرح بعض محقق المتأخرين
بعدم الجواز وان أريد به الذات الامشاكلة وفيه من التمسيد ما لا يتحقق عظمه وذكر النفس لا يذان بأن له

عقابها لا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة (والى الله المصير) تذييل مقرر لمخبرون ما قبله وبحق لوقوعه حتما
(قل ان تحقوا ما في صدوركم) من الضمائر التي من جملتها ولاية الكفرة (او تبدوه) فيما بينكم (يعلم الله)
فيؤاخذكم بذلك عند مصيركم اليه وتقديم الاخفاء على الابداء مقدم سره في نفسه بقوله تعالى وان تبدوا ما في
انفسكم او تخفوه وقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون (ويعلم ما في السموات وما في الارض) كلام مستأنف
غير معطوف على جواب الشرط وهو من باب ايراد العام بعد الخاص تأكيد له وتقريرا (والله على كل شيء
قدير) فيقدر على عقوبتكم بما لا مزيد عليه ان لم تنهوا عما تنهين عنه واطهار الاسم الجليل في موضع الاضمار
لترسية المهابة وتحويل الخطب وهو تذييل لما قبله مبين لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه بأن ذاته المقدسة
المتبصرة عن سائر الذوات المتصفة بما لا يتصف به شيء منها من العلم الذاتي المتعلق بجميع المعلومات متصفة
بالقدرة الذاتية الشاملة لجميع القدورات بحيث لا يخرج من ملكوته شيء قط (يوم تجد كل نفس) أى من
النفوس المكلفة (ما عملت من خير محضرا) عندها بما امر الله تعالى وفيه من التويل ما ليس في حاضرنا
(وما عملت من سوء) عطف على ما عملت والاحضار معتبر فيه أيضا الا أنه خص بالذكري في الخبر للاشعار بكون
الخبر مرادا بالذات وكون احضار الشر من مقتضيات الحكمة التشريعية (توذا) عامل في الظرف والمعنى
توذا وتنتهي يوم تجد صحائف أعمالها من الخير والشر أو أجزئتها محضرة (لو أن ينها وينها) أى بين ذلك
اليوم (امدا بعيدا) لغاية هوله وفي اسناد الودادة الى كل نفس سواء كان لها عمل سيئ أو لا بل كانت
متحضرة في الخير من الدلالة على كمال فطاعة ذلك اليوم وهول مطالعته ما لا يخفى اللهم انا نعوذ بك من ذلك
ويجوز أن يكون ان تصاب يوم على المفعولية باضمار اذ صكروا وتوذا ما حال من كل نفس واستئناف معنى
على السؤال أى اذكروا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير وشر محضرا واداة أن ينها وينها امدا بعيدا أو كانت
سائلا قال حين أمر واذكر ذلك اليوم فماذا يكون اذ ذلك فقل توذا لو أن ينها الخ أو تجد مة تصور على ما عملت
من خير وتوذا خبر ما عملت من سوء ولا تكون ما شرطية لا ارتفاع توذا وقرئ ودت حينئذ يجوز كونها شرطية
لكن الحمل على الخبر أو وقع معنى لانها حكاية حال ماضية وأوفق للقراءة المشهورة (ويحذركم الله نفسه)
تكرير لما سبق واعادته لئلا يكتفى فقط بل لا فائدة ما يفيد قوله عز وجل (والله رؤوف بالعباد)
من أن تحذيره تعالى من رآفته بهم ورحمته الواسعة أو أن رآفته بهم لا تمنع تحقيق ما حذرهموه من عقابه
وأن تحذيره ليس مبنيا على تناسي صفته الرأفة بل هو متحقق مع تحققها أيضا كما في قوله تعالى يا أيها الانسان
ما عزك بربك الكريم فالجمله على الاول اعتراض وعلى الثاني حال وتكرير الاسم الجليل لترسية المهابة
(قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني) المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها
اليه والعباد اذا علم أن الكمال الحقيقي ليس الا الله عز وجل وأن كل ما يراه كمالا من نفسه او من غيره فهو من الله
وبالله والى الله لم يكن حبه الا الله وفي الله وذلك مقتضى ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت المحبة
بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في عبادته والحرص على مطاوعته
(يحببكم الله) أى يرض عنكم (ويغفر لكم ذنوبكم) أى يكشف الغلب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم
فيقر بكم من جناب عزه ويؤثركم في جوار قدسه عبر عنه بالمحبة بطريق الاستعارة والمشاكلة (والله غفور رحيم)
أى من يصيب اليه بطاعته ويتقرب اليه باتباع نبيه عليه الصلاة والسلام فهو تذييل مقرر لما قبله مع زيادة وعد
الرحمة ووضع الاسم الجليل موضع الضمير للاشعار باستباحت وصف الألوهية للمغفرة والرحمة روى أنها نزلت لما
قالت اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل نزلت في وفد ثجران لما قالوا انا نعبد المسيح حب الله تعالى وقيل
في أقوام زعموا على عهد عليه الصلاة والسلام أنهم يحبون الله تعالى فأمروا أن يجعلوا اقوالهم مصداقا من
العمل وروى الفضالة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف على قرين وهم في المسجد
الحرام يسجدون للاصنام وقد علقوا عليها ياض النعام وجعلوا في آذانها السنوف فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا معشر قرين لقد خالتم ملأ ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام فقال قرين انما نعبدها
حب الله تعالى ليقربونا الى الله زانقي فقال الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام قل ان كنتم تحبون الله تعالى
وتعبدون الاصنام لتقربكم اليه فاتبعوني أى اتبعوا شريعتي وسنتي يحببكم الله فانار سوله اليكم وحبته عليكم

(قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) أي في جميع الأوامر والنواهي فيدخل في ذلك الطاعة في اتساعه عليه الصلاة والسلام دخولاً أولاً وإيناراً لظهوره على الأضمار بطريق الالتفات لتعيين حثية الطاعة والأشعار بعلمها فإن الطاعة المأمور بها الطاعة عليه الصلاة والسلام من حيث أنه رسول الله لا من حيث ذاته ولا ريب في أن عنوان الرسالة من موجبات الطاعة ودواعيها (فان تولوا) أمان تمام مقول القول فهي صيغة المضارع المخاطب يحذف إحدى التامين أي تولوا وأما كلام متفرع عليه مسوق من جهة تعالى فهي صيغة الماضي الغائب وفي ترك ذكر احتمال الطاعة كما في قوله تعالى فان أسألوكم يرجع إلى أنه غير محتمل منهم (فان الله لا يحب الكافرين) نقي المحبة كناية عن بغضه تعالى لهم وسخطه عليهم أي لا يرشئ عنهم ولا يثنى عليهم وإيناراً لظهوره على الأضمار لتعميم الحكم لكل الكفرة والأشعار بعلمه فان سخطه تعالى عليهم بسبب كفرهم والأيذان بأن التولي عن الطاعة كفر وبأن محبته عز وجل مخصوصة بالمؤمنين (ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين) لما بين الله تعالى أن الدين المرضي عنده هو الاسلام والتوحيد وأن اختلاف أهل الكاين فيه انما هو لبغى والحسد وأن الفوز برضوانه ومغفرته ورجته منوط باتساع الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته شرع في تحقيق رسالته وكونه من أهل بيت النبوة القديمة فبدأ بيان جلالة أقدار الرسل عليهم الصلاة والسلام كافة وأتبعه ذكر مبدء أمر عيسى عليه الصلاة والسلام وأتته وكيفية دعوته للناس إلى التوحيد والاسلام تحقيقاً للعق وابطالاً لما عليه أهل الكاين في شأنهم من الأخراف والتفريط ثم بين بطلان محاجتهم في إبراهيم عليه الصلاة والسلام وأدعائهم الانتفاء إلى ملته ونزساخته العلية عما هم عليه من اليهودية والنصرانية ثم نص على أن جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام دعاة إلى عبادة الله عز وجل وحده وطاعته منزهون عن احتمال الدعوة إلى عبادة أنفسهم أو غيرهم من الملائكة والنبين وأن أهم فاطبة مأمورون بالإيمان بمن جاءهم من رسول مصدق لما معهم تحقيقاً لوجوب الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وكما به المصدق لما بين يديه من التوراة والانجيل وتتم الطاعة له حسب ما سبأ في تفصيله وتخصيص آدم عليه الصلاة والسلام بالذكر لانه أبو البشر ومنشأ النبوة وكذا حال نوح عليه السلام فانه آدم الثاني وأما ذكر آل إبراهيم فله غيب المعترفين باصطفائهم في الايمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم واسمائهم نحو الاعتراف باصطفائه بواسطة كونه من زمرة مع مامر من التنبيه على كونه عليه الصلاة والسلام عريقاً في النبوة من زمرة المصطفين الاخيار وأما ذكر آل عمران مع اندراجهم في آل إبراهيم فلانها رز يد الاعتناء بتصديق أمر عيسى عليه الصلاة والسلام لكل رسوخ الخلاف في شأنه فان نسبة الاصطفاء إلى الاب الاقرب أدل على تحققه في الآل وهو الداعي إلى اضافة الآل إلى إبراهيم دون نوح وآدم عليهم الصلاة والسلام والاصطفاء أخذ ما صفا من الشيء كالاستصفاء مثل به اختياره تعالى إياهم بالنفوس القدسية وما يليق به من الملكات الروحية والكمالات الجسمية المستتعبة للرسالة في نفس المصطفى كما في كافة الرسل عليهم الصلاة والسلام وأقربين يلايه وينشأ منه كما في مريم وقيل اصطفى آدم عليه الصلاة والسلام بأن خلقه بيده في أحسن تقويم وتعليم الاسماء واسجد الملائكة إياه واسكان الجنة واصطفى نوحاً عليه الصلاة والسلام بكونه أول من نسخ الشرائع اذ لم يكن قبل ذلك تزويج المحارم حراماً وباطالة عمره وجعل ذريته هم الباقين واستجابة دعوته في حق الكفرة والمؤمنين وجعله على متن الماء والمراد بآل إبراهيم اسماعيل وإسحق والانبيا من اولادهم الذين من جملتهم النبي صلى الله عليه وسلم وأما اصطفاء نفسه عليه الصلاة والسلام فمفهوم من اصطفائهم بطريق الاولوية وعدم التصريح به للايذان بالغنى عنه لكل شهرة أمره في الخلقة وكونه امام الانبياء وقدة الرسل عليهم الصلاة والسلام وكون اصطفاء آله بدعوته بقوله ربنا وبعث فيهم رسولاً منهم الآية ولذلك قال عليه الصلاة والسلام أنادعوة أي إبراهيم وبآل عمران عيسى وأتته مريم ابنة عمران بن ماثان بن عازار بن أبي يور ابن رب يابل بن ساليان بن يوحنا بن يوشيا بن أمون بن منشا بن حرقيا بن أحرز بن يوشن بن عزياهو بن يهورام ابن يهوشافاط بن اسابن رحيم بن سليمان بن داود عليهم الصلاة والسلام ابن يشابن عوفيد بن بو عز بن سلون ابن نحشون بن عينيذ بن ريم بن حصرون بن بارص بن يهوذا بن يعقوب عليه الصلاة والسلام وقيل موسى وهرون عليهم الصلاة والسلام ابناعمران بن بصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب عليه الصلاة والسلام وبين

قوله واصجد الملائكة إياه
هكذا في النسخ ولعل الأولى
أن يقول له بدل إياه أو يجعل
قوله إياه بعد تعليم الاسماء
او اسكان الجنة تأمل اه
معجمه

قوله اسابن رحيم الذي
رايته في تاريخ أبي القداء
أن أسا هو ابن أقيان
رحيم فلعل أقياسقظ من
قله وليجزر اه معجمه

العمرانين ألف وثمانمائة سنة فيكون اصطفا عيسى عليه الصلاة والسلام حينئذ بالاندراج في آل
 ابراهيم عليه السلام والاول هو الاظهر بدليل تعقيبه بقصة مريم واصطفاء موسى وهرون عليهما الصلاة
 والسلام بالانتظام في سلك آل ابراهيم عليه السلام انتظاما ظاهرا والمراد بالعلمين اهل زمان كل واحد منهم
 أي اصطفى كل واحد منهم على عالمي زمانه (ذرية) نصب على البدلية من الاكبر أو على الحالية منهما وقدمت
 بيان اشتقاقها في قوله تعالى ومن ذرية بقوله تعالى (بعضها من بعض) في محل النصب على أنه صفة لذرية
 أي اصطفى الاكبرين حال كونهم ذرية متسلسلة متشعبة البعض من البعض في النسب كما ينبغي عنه التعرض
 لكونهم ذرية وقبل بعضها من بعض في الدين فالاستمالة على الوجه الاول تقريرية وعلى الثاني برهانية
 (والله سميع) لا أقوال العباد (عليم) بأعمالهم البادية والخفية فيصطفى من بينهم لخدمته من تظهر
 استقامته قولا وفعلا على نهج قوله تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالته والجملة تذييل مقترن بضمون ما قبلها
 (اذ قالت امرأة عمران) في حين النصب على الدعوة بفعل مقدر على طريقة الاستئناف لتقرير اصطفا
 آل عمران وبيان كيفية أي اذكر لهم وقت قولها الخ وقد مر مرارا وجه توجيه التذكير الى الاوقات
 مع أن المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث وقيل هو منصوب على الظرفية لما قبله أي سميع لقولها المحكي
 عليم بضميرها المنوي وقيل هو ظرف للمعنى الاصطفاء المدلول عليه باصطفى المذكور كانه قيل واصطفى آل عمران
 اذ قالت الخ فكان من عطف الجمل على الجمل دون عطف المفردات على المفردات ليسلزم كون اصطفا الكل في
 ذلك الوقت وامرأة عمران هي حنة بنت فاقوذ اجدة عيسى عليه الصلاة والسلام وكانت لعمران بن يصر بنت
 اسمها مريم أكبر من موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام فظن أن المراد زوجته وليس بذلك قضية كفالة
 زكريا عليه الصلاة والسلام قاضية بأنها زوجة عمران بن ماثان لانه عليه الصلاة والسلام كان معاصرا له وقد
 تزوج ايشاع اخت حنة أم يحيى عليه الصلاة والسلام وأما قوله عليه الصلاة والسلام في شأن يحيى وعيسى
 عليهما الصلاة والسلام هما ابنا خالة فتدل تأويله أن الاخت كثير ما تطلق على بنت الاخت وبهذا الاعتبار
 جمعها عليهم الصلاة والسلام ابني خالة وقيل كانت ايشاع اخت حنة من الأم واخت مريم من الأب على أن
 عمران نكح أولا أم حنة فولدت له ايشاع ثم نكح حنة بناء على حل نكاح الربائب في شريعةهم فولدت مريم
 فكانت ايشاع أخت مريم من الأب وخالتها من الأم لانها اخت حنة من الأم روى أنها كانت عجوزا عاقرا
 فبينما هي ذات يوم في نخل شجرة اذ رأته طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وعنته وقالت اللهم ان لك على نذرا
 ان رزقني ولدا ان تصدق به على بيت المقدس فيكون من سدته وكان هذا النذر مشروعا عندهم في الغلمان ثم
 هلك عمران وهي حامل حينئذ فقولها (رب اني نذرت لك ما في بطني) لا بد من جملة على التكرير لتأكيد نذرها
 واخراجها عن صورة التعليق الى هيئة التحجير والتعرض لوصف الربوبية المنبثقة عن افاضة مافيه صلاح المربوب
 مع الاضافة الى ضميرها تحريك سلسلة الاجابة ولذلك قيل اذا أراد العبد أن يستجاب له دعاؤه فليدع الله
 بما يناسبه من أسمائه وصفاته وتأكيد الجملة لابرار وفور الرغبة في مضمونها وتقديم الجار والمجرور لكمال
 الاعتناء به وانما عبر عن الولد بما لا بهام أمره وقصوره عن درجة العقلاء (محزرا) أي معتقنا لخدمة بيت
 المقدس لا يشغله شأن آخر أو مخلصا للعبادة ونصبه على الحالية من الموصول والعامل فيه نذرت وقيل من ضميره
 في الصلة والعامل معنى الاستقرار فانها في قوة ما استقر في بطنى ولا يخفى أن المراد تقييد فعلها بالتحجير
 ليحصل به التقرب اليه تعالى لا تقييد ما لا دخل لها فيه من الاستقرار في بطنها (فتقبل معنى) أي ما نذرته
 والتقبل أخذ الشيء على وجه الرضا وهذا في الحقيقة استدعاء للولد اذ لا يتصور القبول بدون تحقق المقبول
 بل للولد المذكور لعدم قبول الاثنى (انك انت السميع) بجميع المسوعات التي من جعلتها تضرعى ودعائى (العليم)
 بكل المعلومات التي من زمرتها ما في ضميرى لا غير وهو تعليل لاستدعاء القبول لامن حيث ان كونه تعالى
 سميعا لعائها عليا بما في ضميرها مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث ان علمه تعالى بجملة نيتها واخلاصها
 مستدع لذلك تفضلا واحسانا وتأكد الجملة لعرض قوت يقينها بمضمونها وقصر صفق السمع والعلم عليه
 تعالى لعرض اختصاص دعائها به تعالى وانقطاع جبل رجائها عما عداه بالكلية مبالغة في الضراعة والابتهاال
 (فلما وضعتها) أي ما في بطنها وتأنيت الضمير العائد اليه لما أن المقام يستدعي ظهورا فوشه واعتباره

في حيز الشرط اذ عليه يترتب جواب لما عني قوله تعالى (قالت رب اني وضعتها انثى) لاعلى وضع ولد كما كانه
 قيل فلما وضعت بنتا قالت الخ وقيل تأنيده لان ما في بطنها كان انثى في علم الله تعالى اولانه مؤقلا بالحبلة
 أو النفس أو النسيئة وأنت خير بان اعتبار شي بما ذكر في حيز الشرط لا يكون مدار الترتيب الجواب عليه وقوله
 تعالى انثى حال مؤكدة من الضمير أو بدل منه وتأنيده للمسايرة الى عرض ما دهمها من خيبة الرجاء أو للملح
 من التأويل بالحبلة أو النسيئة فالحال حينئذ مبينة وانما قالته تحزنا وتحمسا على خيبة رجائها وعكس تقديرها
 لما كانت ترجو أن تلد ذكرا ولذلك نذرته محزنا للسدانة والتأكيده للرد على اعتقادها الباطل (واقه أعلم
 بما وضعت) تعظيم من جهته تعالى لموضوعها وتفضيل شأنه وتجهيل لها بقدره أي والله أعلم بالشيء الذي وضعته
 وما علق به من عظام الامور وجعله وابنه آية للعالمين وهي غافلة عن ذلك والجله اعتراضية وقرئ وضعت على
 خطاب الله تعالى لها أي انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما أودع الله فيه من علو الشأن وسمو المقدار وقرئ
 وضعت على صيغة التكلم مع الالتفات من الخطاب الى الغيبة اظهار الغاية الاجلال فيكون ذلك منها اعتذارا
 الى الله تعالى حيث انت بجلود لا يصلح لما نذرته من السدانة أو تسليية لنفسها على معنى لعل الله تعالى فيه سرا
 وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكركر فوجه الالتفات حينئذ ظاهر وقوله تعالى (وليس الذكركر كالانثى)
 اعتراض آخر مبين لما في الاول من تعظيم الموضوع ورفع منزلته واللام في الذكركر والانثى للعهد أي ليس الذكركر
 الذي كانت تطلبه وتتحيل فيه كالاقتصار اياه أن يكون كواحد من السدنة كالانثى التي وهبت لها فان دائرة علمها
 وأمنيتها لا تكاد تحيط بما فيها من جلال الامور وهذا على القراءتين الاوليين وأما على التفسير الاخير للقراءة
 الاخيرة فمعناه وليس الذكركر كهذه الانثى في الفضيلة والمزية وصلاحيه خدمة المتعبدات فانهم يجهلون من ذلك
 فاللام للجنس وقوله تعالى (واني سميتها مريم) عطف على اني وضعتها انثى وعرضها من عرضها على علام القيوب
 التقرب اليه تعالى واستدعاء العصمة لها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة قال القرطبي معناه خادم الرب
 واظهار أنها غير راجعة عن بيتها وان كان ما وضعته انثى وأنها وان لم تكن خليفة بسدانة بيت المقدس فلتكن
 من العابدات فيه (واني أعيدتها بك) عطف على اني سميتها وصيغة المضارع للدلالة على الاترار أي اجبرها
 بحفظك وقرئ بفتح ياء المتكلم في المواضع التي بعدها همزة مضمومة الا في موضعين بهدي أوف أتوى أفرغ
 (وذريتها) عطف على الضمير وتقديم الجارة والمجرور عليه لابرار كمال العناية به (من الشيطان الرجيم) أي
 المخلود وأصل الرجيم الرمي بالطجارة عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يحسه حين يولد
 فيستل صارخا من مسه الامريم وابنها ومعناه أن الشيطان يطعم في اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الامريم
 وانيها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة (فتقبلها) أي أخذ مريم ورخصي بها في النذر مكان
 الذكر (ربها) مالكا ومبلغها الى كمالها الا انثى وفيه من تشریفها ما لا يخفى (بقبول حسن) قيل الباء
 زائدة والقبول مصدر مؤكد للفعل السابق بجذف الزوائد أي قبلها تقبولا حسنا وانما عدل عن الظاهر
 للايدان بمقارنة التقبل لكمال الرضا وموافقته للعناية الذاتية فان صيغة الفعل على مشعرة بحسب أصل الوضع
 بالتكلف وكون الفعل على خلاف طبع الفاعل وان كان المراد به في حقه تعالى ما يترتب عليه من كمال قوة
 الفعل وكثرته وقيل القبول ما يقبل به الشيء كالسوط والدود لما يسقط به ويلد وهو اختصاصه تعالى اياها
 باقامتها مقام الذكر في النذر ولم تقبل قبلها انثى أو بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل أن تتأ وتصلح للسدانة
 روى أن حنة حين ولدتها افتت في خرقة وجأتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم في بيت المقدس
 كالخبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتناقصوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم
 فان بنى ما ثاب كان رؤس بني اسرائيل ومولوكهم وقيل لانهم وجدوا امرها وأمر عيسى عليه الصلاة والسلام
 في الكتب الالهية فقال زكريا عليه الصلاة والسلام انا احق بها عندي خالها فأبوا الا القرعة وكانوا سبعة
 وعشرين فانطلقوا الى نهر فالتوا فيه أقلامهم فخطوا زكريا ورسمت أقلامهم فتكفلها وقيل هو مصدر
 وفيه مضاف مقدرا أي قبلها بذى قبول أي بامر ذي قبول حسن وقيل تقبل بمعنى استقبل كقضى بمعنى
 استقصى وتقبل بمعنى استجبل أي استقبلها في أول أمرها حين ولدت بقبول حسن (وأبنتها) مجاز

عن تربيتها بما يصلحها في جميع أحوالها (نبأنا حسنا) مصدر مؤ كد للفعل المذكور بحذف الزوائد وقيل
 بل لفعل مضمر موافق له تقديره فنبئت نبأنا حسنا (وكفلها زكريا) أي جعله عليه الصلاة والسلام كافلا لها
 وضامنا لمصالحها فأعيا بتدبير أمورها لا على طريقة الوحي بل على ما ذكر من التفصيل فان رغبته
 عليه الصلاة والسلام في كفالتها وطفوقه ورسوب أقلامهم وغير ذلك من الأمور الجارية بينهم كلها من آثار
 قدرته تعالى وقرئ أكفلها وقرئ زكرياء بالنصب والند وقرئ بتخفيف الفاء وكسرها ورفع زكرياء بمدودا
 وقرئ وتقبلها ربهما وأنتها وكفلها على صيغة الأمر في الكل ونصب ربهما على الدعاء أي فاقبلها يا ربهما وربها
 تربية حسنة واجعل زكريا كافلا لها فهو تعيين بلهجة التربية قيل بنى عليه الصلاة والسلام لها محرابا في المسجد
 أي غرفة يصعد إليها سلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمة ما كانها وضعت في اشرف موضع من بيت
 المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب روى أنه كان لا يدخل عليها الا هو وحده واذا خرج غلق
 عليها سبعة أبواب (كلما دخل عليها زكريا المحراب) تقديم الظرف على الفاعل لظهور كمال العناية
 بأمورها ونصب المحراب على التوسع وكلية كلما ظرف على أن مامصدرية والزمان محذوف وانكرة موصوفة
 معناها الوقت والعائد محذوف والعامل فيها جوابها أي كل زمان دخوله عليها او كل وقت دخل عليه فامه
 (وجد عند هارزقا) أي نوعا منه غير معتاد اذ كان ينزل ذلك من الجنة وكان يجد عندها في الصنف فأكهة
 الشتاء وفي الشتاء فأكهة الصيف ولم ترضع نديا قط (قال) استئناف مبني على السؤال كأنه قيل
 فماذا قال زكريا عليه الصلاة والسلام عند مشاهدته هذه الآية فقيل قال (يا مريم أتى لك هذا) أي من أين
 يجي لك هذا الذي لا يشبه أرزاق الدنيا والابواب مغلقة دونك وهو دليل على جواز الكرامة للاولياء ومن
 انكرها جعل هذا ارهاصا وتأسيسا للرسالة عيسى عليه الصلاة والسلام وأما جعله معجزة زكريا عليه الصلاة
 والسلام فبأباه اشتباه الأمر عليه عليه السلام وانما خاطبها عليه الصلاة والسلام بذلك مع كونها بمنزل
 من رتبة الخطاب لما علم بما شاهدته أنها مؤيدة من عند الله تعالى بالعلم والقدرة (قالت) استئناف كما
 قبله كأنه قيل فماذا صنعت مريم وهي صغيرة لا قدرة لها على فهم السؤال ورد الجواب فقيل قالت
 (هو من عند الله) فلا تعجب ولا تستبعد (أن الله يرزق من يشاء) أن يرزقه (بغير حساب) أي بغير
 تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا منه تعالى وهو تعليل لكونه من عند الله اتاما من تمام كلامها فيكون
 في محل النصب واتاما من كلامه عز وجل فهو مستأنف روى أن فاطمة الزهراء رضي الله عنها اهدت الى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها إليها فقال هل يابنية فكشفت عن الطبق فأذا هو
 ملؤه خبزاً ولحماً فقال لها أتى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال عليه
 الصلاة والسلام الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة بنى اسرائيل ثم جمع عليها والحسن والحسين وجميع أهل
 بيته رضوان الله عليهم أجمعين فأكلا وشبعوا وبقي الطعام كما هو فأوسعت على جيرانها (هنا لك) كلام
 مستأنف وقصة مستقلة سبقت في تضاعيف حكاية مريم لما بينهما من قوة الارتباط وشدة الاشتباك
 مع ما في إرادتها من تقرير ما سبقت له حكايتها من بيان اصطفاء آل عمران فان فضائل بعض الأقرباء أدلة
 على فضائل الآخرين وهنا ظرف مكان واللام للدلالة على البعد والكاف للخطاب أي في ذلك المكان حيث
 هو قاعد عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت اذ يستعار هنا وثمة وحيث للزمان (دعا زكريا ربه) لما رأى
 كرامة مريم على الله ومنزلتها منه تعالى رغب في أن يكون له من ايشاع ولده مثل ولد حنة في العناية
 والكرامة على الله تعالى وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت حنة كذلك وقيل لما رأى الفواكه في غير بابها
 تنبه لجواز ولادة العجوز العاقر من الشيخ الفاني فأقبل على الدعاء من غير تأخير كما ينبغي عنه تقديم الظرف على
 الفعل لا على معنى أن ذلك كان هو الموجب للاقبال على الدعاء فقط بل كان جزءا أخيرا من العلة التامة
 التي من جعلتها كبر سنه عليه الصلاة والسلام وضعف قواه وخوف مواليه حسبما فصل في سورة مريم (قال)
 تفسير للدعاء وبيان لكيفية لا محل له من الاعراب (رب هب لي من لدنك) كلا الجارين متعلق بهب
 لاختلاف معنيهما فاللام صلة له ومن لا ابتدء القاية مجازا أي أعطني من محض قدرتك من غير وسط معتاد
 (ذرية طيبة) كما وهبها الجنة ويجوز أن يتعلق من محذوف وقع حالا من ذرية أي كائنة من لدنك والذرية

التمس تقع على الواحد والجمع والذكر واللاتى والمراد ههنا ولد واحد فالتأنيث في الصفة لتأنيث لفظ الموصوف
كما في قول من قال

ابوك خليفة ولده أخرى * وأنت خليفة ذاك الكمال

وهذا اذا لم يقصده واحد معين أما اذا قصد به المعين امتنع اعتبار اللفظ نحو طلمة وجزرة فلا يجوز أن يقال
جاءت طلمة وذهبت جزرة (انك سميع الدعاء) أى يحببه وهو تعالى لما قبله وتحريك لسلسلة الاجابة (فنادته
الملائكة) كان المنادى جبريل عليه الصلاة والسلام كما تفصح عنه قراءة من قرأ ناداه جبريل والجمع كما
في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وماله غير فرس ونوب قال الزجاج أى أناء النداء من هذا الجنس
الذين هم الملائكة وقيل لما كان جبريل عليه الصلاة والسلام رئيسهم عبر عنه باسم الجماعة تعظيما له
وقيل الرئيس لا بد له من اتباع فأسند النداء الى الكل مع كونه صادرا عنه خاصة وقرئ فناداه بالامالة
(وهو قائم) جملة حالية من مفعول النداء مقترنة لما أفاده الضاء من حصول البشارة عقيب الدعاء وقوله
تعالى (يصلى) اما صفة لقائم أو خبر ثان عند من يرى تعدده عند كون الشانى جملة كما في قوله تعالى فاذا هى
حية تسمى احوال اخرى منه على القول بتعددها بلا عطف ولا بداية احوال من المستكن في قائم وقوله تعالى
(في المحراب) أى في المسجد أو في غرفة مريم متعلق يصلى اوقائم على تقدير يكون يصلى حالا من ضمير
قائم لان العامل فيه وفي الحال حينئذ شئ واحد فلا يلزم الفصل بالاجتناب كما يلزم على التقدير الباقية
(ان الله يبشرك بيحيى) أى بأن الله وقرئ بكسر الهمزة على تقدير القول او اجراء النداء مجرأ لكونه نوعا
منه وقرئ يبشرك من الاشارة ويبشرك من التلاقي وأيا ما كان ينبغي أن يكون هذا الكلام الى آخره محكيها
بعبارة عن الله عز وجل على منهاج قوله تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
الاية كما يلوح به مراجعته عليه الصلاة والسلام في الجواب اليه تعالى بالذات لا بواسطة الملك والعدول عن
استناد التبشير الى نون العطفة حسما وقع في سورة مريم للجرى على سنن الكبرياء كما في قول الخلفاء امير
المؤمنين يرسم لك كذا وللايدان بأن ما حكى هناك من النداء والتبشير وما يترتب عليه من المحاورة كل
كل ذلك توسط الملك بطريق الحكاية عنه سبحانه لا بالذات كما هو المتبادر وبهذا يتضح اتحاد المعنى في السورتين
الكرعيتين قائل ويحيى اسم اعجمى وان جعل عربيا فنع صرفه للتعريف ووزن الفعل روى عن ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما أنما سمي يحيى لان الله تعالى أحياه عقرأته وقال قتادة لانه تعالى أحيا قلبه بالايمان
قال القرطبي كان اسمه في الكتاب الاول حيا ولا بد من تقدير مضاف يعود اليه الحال أى بولادة يحيى فان
التبشير لا يتعلق بالايمان (مصدقاً) حال مقدرة من يحيى (بكلمة من الله) أى بعيسى عليه الصلاة
والسلام وانما سمي كلمة لانه وجد بكلمة كن من غير أب فشابه البديعيات التى هي عالم الامر ومن لا يتبداه
الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لكلمة أى بكلمة كائنة منه تعالى قيل هو أول من آمن به وصدق
بأنه كلمة الله وروح منه وقال السدى لقيت أم يحيى أم عيسى فقالت يا مريم اشعرت بحبلى فقالت مريم وانا
أيضا حبلى قالت فاني وجدت ما في بطنى يسجد لما في بطنك فذلك قوله تعالى مصدقاً بكلمة الخ وقال ابن
عباس رضى الله عنهما ان يحيى كان أكبر من عيسى عليهما الصلاة والسلام بستة اشهر وقيل ثلاث
سنين وقتل قبل رفع عيسى عليهما الصلاة والسلام بمدة يسيرة وعلى كل تقدير يكون بين ولادة يحيى وبين
البشارة بهازمان مديداً أن مريم ولدت وهى بنت ثلاث عشرة سنة ابنت عشرين سنين وقيل بكلمة من الله
أى بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الخويذرة لقصيدته (وسيدا) عطف على مصدقاً أى رئيساً يسود
قومه ويقوهم في الشرف وكان فاضلاً للناس قاطبة فانه لم يلم بخطيئة ولم يمت بعصية فيلها من سيادة
ما استناها (وحصوراً) عطف على ما قبله أى مبالغا في حصر النفس وحبسها عن الشهوات مع القدرة
روى أنه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما اللعب خلقت (ونبياً) عطف على ما قبله مترتب على
ما عتد من الخصال الحميدة (من الصالحين) أى ناشئاً منهم لانه كان من اصحاب الانبياء عليهم الصلاة
والسلام او كاشفاً من جملة المشهورين بالصلاح كما في قوله تعالى وانه فى الاخرة لمن الصالحين والمراد بالصلاح
ما فوق الصلاح الذى لا بد منه في منصب النبوة البتة من اقاصى مراتبه وعليه مبنى دعاه سليمان عليه السلام

وأدخلني برحمتك في عبادة الصالحين (قال) استئناف مبني على السؤال كأنه قيل لماذا قال زكريا عليه الصلاة والسلام حينئذ فقيل قال (رب) لم يخاطب الملك المنادي له بعبادة أنه المبشر للخطاب وإن كان ذلك بطريق الحكاية عنه تعالى بل جرى على نهج دعائه السابق مبالغة في التضرع والمناجاة وجد في التبتل إليه تعالى واحترازا عما عسى يوهم خطاب الملك من توهم أن علمه سبحانه بما يصدر عنه يتوقف على توسطه كما يتوقف وقوف البشر على ما يصدر عنه سبحانه على توسطه في عاتة الاحوال وإن لم يتوقف عليه في بعضها (أني يكون لي غلام) فيه دلالة على أنه قد أخبر بكونه غلاما عند التبشير كما في قوله تعالى أنا نبشرك بغلام اسمه يحيى وأني بمعنى كيف أو من أين وكان تامة وأني واللام متعلقتان بها وتقديم الجار على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بما تقدم والتشويق إلى ما أخرأى كيف أو من أين يحدث لي غلام ويجوز أن تتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من غلام اذ لو تأخر لكان صفة له أو ناقصة واسمها ظاهر وخبرها اما أني واللام متعلقة بمحذوف كما مر أو هو والخبر وأني منصوب على الظرفية (وقد بلغني الكبير) حال من ياء المتكلم أي أدركني كبر السن وأثر في كقولهم أدركته السن وأخذته السن وفيه دلالة على أن كبر السن من حيث كونه من ملاحع الموت طالب للانسان لا يكاد يتركه قيل كان له تسع وتسعون سنة وقيل اثنتان وتسعون وقيل مائة وعشرون وقيل ستون وقيل خمس وستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وعشرون ولا مرأته ثمان وتسعون (وامرأتي عاقرة) أي ذات عقر وهو أيضا حال من ياء في عند من يجوز تعدد الحال أو من ياء بلغني أي كيف يكون لي ذلك والحال أني وامرأتي على حالة منافية له كل المنافاة وانما قاله عليه الصلاة والسلام مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرته الله تعالى عليه لاسيما بعد مشاهدته عليه الصلاة والسلام للشواهد السالفة استعظاما لقدرة الله سبحانه وتجيها منها واعتدادا بتمتعته عز وجل عليه في ذلك لاستبعاد الله وقيل بل كان ذلك للاستبعاد حيث كان بين الدعاء والبشارة ستون سنة وكن قد نسي دعاءه وهو بعيد وقيل كان ذلك استمتهما ما عن كيفية حدوثه (قال) استئناف كما سلف (كذلك) إشارة إلى مصدر يفعل في قوله عز وجل (الله يفعل ما يشاء) أي ما يشاء أن يفعله من تعاجيب الافاعيل الخارقة للعادات فأنه مبتدأ ويفعل خبره والكاف في محل النصب على أنها في الاصل نعت لمصدر محذوف أي الله يفعل ما يشاء أن يفعله فعلا مثل ذلك الفعل العجيب والصنع البديع الذي هو خلق الولد من شئ فان ويجوز عاقر فقدم على العامل لاقادة القصر بالنسبة إلى ما هو أدنى من المشار إليه واعتبرت الكاف مقعمة لتأكيدها إياه اسم الإشارة من الفخامة وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا وعلى أنها حال من ضمير المصدر المقدر معرفة أي يفعل الفعل كائن مثل ذلك أو في محل الرفع على أنها خبر والجملة مبتدأ أي على نحو هذا الشأن البديع شأن الله تعالى ويفعل ما يشاء بيان لذلك الشأن المبهم أو كذلك خبر مبتدأ محذوف أي الامر كذلك وقوله تعالى الله يفعل ما يشاء بيان له (قال رب اجعل لي آية) أي علامة تدلني على تحقق المسؤل ووقوع الحبلى وانما سألهما لأن العلوق أمر خفي لا يوقف عليه فأراد أن يطلع الله تعالى عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة من حين حصولها بالشكر ولا يؤخره إلى أن يظهر ظهورا معتادا واهل هذا السؤال وقع بعد البشارة بزمان مديد اذ به يظهر ما ذكر من كون التفاوت بين سني يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام بسنة شهر أو ثلاث سنين لأن ظهور العلامة كان عقيب تعيينها لقوله تعالى في سورة مريم نخرج على قومك من مخرجهم فأتوا وحسبهم الآية اللهم إلا أن تكون المجاوبة بين زكريا ومريم في حالة كبرها وقد عرفت من جملة من تكلم في الصغر بوجوب قولها المحكي والجعل ابداعي واللام متعلقة به والتقديم لما مر مرارا من الاعتناء بما تقدم والتشويق إلى ما أخرأى ومحذوف وقع حالا من آية وقيل هو بمعنى التصيير المستدعي لمفعولين أو لهما آية وثانيهما لي والتقديم لانه لا مسوغ لكون آية مبتدأ عند انحلال الجملة إلى مبتدأ وخبر سوى تقديم الجار فلا يتغير حالهما بعد دخول الناصخ (قال آيتك أن لا تكلم الناس) أي أن لا تقدر على تكليمهم (ثلاثة أيام) أي متوالية لقوله تعالى في سورة مريم ثلاث آيات سويا مع القدرة على الذكروا التسييح وانما جعلت آية ذلك لتخلص المدة لذكر الله تعالى وشكره قضاء لحق النعمة كأنه قيل آية حصول المطلوب ووصول النعمة أن تحبس أسنانك الا عن شكرها وأحسن الجواب ما اشتق من السؤال (الامرأ) أي إشارة بيد أو رأس أو نحوهما

وأصله التحرك يقال ارتعز أي تحرك ومنه قيل للجر الراموز وهو استثناء منقطع لأن الإشارة ليست من قبيل الكلام أو متصل على أن المراد بالكلام ما فهم منه المرام ولا ريب في كون الرمز من ذلك القبيل وقرئ رمزاً بفتحة على أنه جمع رامن كخدم وبضمين على أنه جمع رموز كرسى على أنه حال منه ومن الناس معاً بمعنى مترامين كقوله

مقى ما تلقى فردين ترجف * روائف أليتك ونستظارا

(واذكر ربك) أي في أيام الحسنة شكر الحصول التفضل والانعام كما يؤذن به التعرض لعنوان الربوبية (كثيراً) أي ذكر كثيراً وزماناً كثيراً (وسبح) أي سجدته تعالى أو فعل التسبيح (بالعنى) أي من الزوال إلى الغروب وقيل من العصر إلى ذهب صدر الليل (والابكار) من طلوع الفجر إلى الفسخ قبل المراد بالتسبيح الصلاة بدليل تقييده بالوقت كما في قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقيل في الذكر اللسانى كما أن المراد بالذكر الذكر القلبي وقرئ الابكار بفتح الهمزة على أنه جمع بكر كسحر وأحصار (واذ قالت الملائكة) شروع في شرح بقية أحكام اصطفاة آل عمران اثر الإشارة إلى بند من فضائل بعض أقاربهم أعني زكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام لاستدعاء المقام إياها حسبما اشير إليه وقرئ بتذكير الفعل والمراد بالملائكة جبريل عليه الصلاة والسلام وقدم ترافيه من الكلام وأذن منصوب بضمير معطوف على المضمر السابق عطف القصة على القصة وقيل معطوف على الظرف السابق أعني قوله إذ قالت امرأة عمران منصوب بنصبه فتدبر أي واذكر أيضاً من شواهد اصطفاة وقت قول الملائكة عليهم الصلاة والسلام (يا مريم) وتكرر التذكير للشعار بزيادة الاعتناء بما يحكى من أحكام الاصطفاة والتنبيه على استقلالها وانفرادها عن الأحكام السابقة فانها من أحكام التربية الجسمانية اللائقة بحال صغر مريم وهذه من باب التربية الروحية بالتكاليف الشرعية المتعلقة بحال كبرها قبل كلوها شفاها كرامة لها وأوارها صالفة نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام لمكان الاجماع على أنه تعالى لم يستثنى امرأة وقيل ألهموها (ان الله اصطفاك) أولاً حيث قبلك من أمك يقبل حسن ولم يقبل غيرك انى ورباك في حجر زكريا عليه السلام ورزقك من رزق الجنة وخصك بالكرامات النبوية (وطهرتك) أي مما يستتقر من الاحوال والافعال وبما قد فك به اليهود بانطاق الطفل (واصطفاك) اخراً (على نساء العالمين) بأن وهب لك عيسى عليه الصلاة والسلام من غير أب ولم يكن ذلك لاحد من النساء وجعله كما آية للعالمين فعلى هذا ينبغي أن يكون تقديم حكاية هذه المقابلة على حكاية بشارتها بعيسى عليه الصلاة والسلام لما مر من التنبية على أن كلا منهما مستحق للاستقلال بالتذكير ولو روى الترتيب الخارجى لتبادر كون الكل شيئاً واحداً وقيل المراد بالاصطفاة من واحد والتكرير للتأكيد وتبيين من اصطفاها عليهن فحينئذ لا اشكال في ترتيب النظم الكريم اذ يجعل حينئذ الاصطفاة على ما ذكر أولاً وتجعل هذه المقابلة قبل بشارتها بعيسى عليه الصلاة والسلام ايذاناً بكونها قبل ذلك متوفرة على الطاعات والعبادات حسبما أمرت بها مجتهدة فيهما مقبلة على الله تعالى مبتلة اليه تعالى منسلخة عن أحكام البشرية مستعدة لتلقيضان الروح عليها (يا مريم) تكرر النداء للايذان بأن المقصود بالخطاب ما يرد بعده وأن ما قبله من تذكير النعم كان تهيداً للذكر وترغيباً في العمل بعوجبه (افنتى لربك) أي قومي في الصلاة أو أطبى القيام فيها له تعالى والتعرض لعنوان ربوبيته تعالى لها للشعار بعلة وجوب الامتثال بالامر (واحدى واركني مع الراكعين) أمرت بالصلاة بالجماعة بذكر أركانها مبالغة في ايجاب رعايتها وايذاناً بغضيلة كل منها وأصلاته وتقديم السجود على الركوع اما لكون الترتيب في شريعتهم كذلك واما لكون السجود أفضل اركان الصلاة وأقصى مراتب الخضوع ولا يقتضى ذلك كون الترتيب الخارجى كذلك بل اللائق به الترقى من الأدنى إلى الأعلى واما ليقترن اركن بالرا كعين للشعار بأن من لا ركوع في صلاتهم ليسوا مصلين واما ما قيل من أن الواو لا توجب الترتيب فغايتها التصحيح لا الترجيح وتجريد الامر بالركن الأخير عما قيد به الأول لما أن المراد بتبديد الامر بالصلاة بذلك وقد فعل حيث قيد به الركن الأول منها وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعات كما في قوله تعالى آمن هو فانت آمن الليل ساجداً وقائماً وبالسجود الصلاة لما مر من أنه أفضل أركانها وبالركوع الخضوع والاختبات قبل لما أمرت بذلك فاست في الصلاة حتى ورمت

قدماها وسات دما وقصا (ذلك) إشارة الى ما سلف من الامور البديعة وما فيه من معنى البعد للتنبيه
 على علو شأن المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (من انبياء الغيب) أي من الانبياء
 المتعلقة بالغيب والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب وقوله تعالى (نوحه اليك) جملة مستقلة مبنية
 للاولى وقيل الخبر هو الجملة الثانية ومن انبياء الغيب اما متعلق بنوحه او حال من خبره أي نوحى من انبياء
 الغيب او نوحه حال كونه من جملة انبياء الغيب وصيغة الاستقبال للايدان بأن الوحي لم ينقطع بعد
 (وما كنت لديهم) أي عند الذين اختلفوا وتنازعوا في تربية مريم وهو تقرير وتحقيق لكونه وحيا على
 طريقة التكليم بتركيبه كما في قوله تعالى وما كنت بجانب الغربي الآية وما كنت ثابوا في أهل مدين الآية فان
 طريق معرفة أمثال هاتيك الحوادث والواقعات اما المشاهدة واما السماع وعدمه محقق عندهم فبقي احتمال
 المعاينة المستحيلة ضرورة فنصبت تكليمهم (اذ يلقون أقلامهم) ظرف للاستقرار العامل في لديهم وأقلامهم
 أقلامهم التي اقترعوا بها وقيل اقترعوا بأقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة تبركا (أيهم يكفل مريم) متعلق
 بمحذوف دل عليه يلقون أقلامهم أي يلقونها يتقرون أو ليعلموا أيهم يكفلها (وما كنت لديهم اذ يختصمون)
 أي في شأنها تنافسا في كفالها حسبما ذكر فيما سبق وتكرير ما كنت لديهم مع تحقق المقصود بعطف
 اذ يختصمون على اذ يلقون كما في قوله عز وجل فمن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى
 للدلالة على أن كل واحد من عدم حضوره عليه الصلاة والسلام عند اللقاء الاقلام وعدم حضوره
 عند الاختصاص مستعمل بالشهادة على نبوته عليه الصلاة والسلام لاسيما اذا أريد باختصاصهم تنازعهم
 قبل الاقتراع فان تغيير الترتيب في الذكر مؤكده (اذ قالت الملائكة) شروع في قصة عيسى عليه الصلاة
 والسلام وهو يدل من واذ قالت الملائكة منصوب بنصبه وما بينهما اعتراض جى به تقرير المسبق ونبيها
 على استقلاله وكونه حقيقا بأن يعد على حياله من شواهد النبوة وترك العطف بينهما بناء على اتحاد المخاطب
 والمخاطب وايداننا تقارن الخطابين أو تقاربهما في الزمان وقيل منصوب بضمير معطوف على ناصبه وقيل بدل
 من اذ يختصمون كانه قبل وما كنت حاضر في ذلك الزمان المديد الذي وقع في طرف منه الاختصاص وفي
 طرف آخر هذا الخطاب اشعارا باحاطته عليه الصلاة والسلام بتفاصيل احوال مريم من أولها الى آخرها
 والقائل جبريل عليه الصلاة والسلام وإيراد صيغة الجمع لما مر (يا مريم ان الله يشرك بكلمة منه) من
 لا بداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لكلمة أي بكلمة كائنة منه عز وجل (ايمه) ذكر
 الضمير الراجع الى الكلمة لكونها عبارة عن مذكر وهو مبتدأ خبره (المسيح) وقوله تعالى (عيسى)
 يدل منه أو عطف بيان وقيل خبر آخر وقيل خبر مبتدأ محذوف وقيل منصوب باضمار أعني مدحا وقوله تعالى
 (ابن مريم) صفة لعيسى وقيل المراد بالاسم ما به يتميز المسمى عن سواه فان خبر حيث نذ مجموع الثلاثة اذ هو
 المميز له عليه الصلاة والسلام يتميز عن جميع من عداه والمسيح لقبه عليه الصلاة والسلام وهو من الانبياء
 المشرفة كالصديق وأصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب من ايشوع والتصديق لاشتقاقهما
 من المسح والعيس وتعليله بأنه عليه الصلاة والسلام مسح بالبركة أو بما يظهره من الذنوب أو مسحه
 جبريل عليهما الصلاة والسلام أو مسح الارض ولم يقسم في موضع أو كان عليه الصلاة والسلام يمسح
 ذا العمامة قبرا ويأنه كان في لونه عيس أي بياض يعلوه حجرة من قبيل الرقم على الماء وانما قيل ابن مريم
 مع كونه الخطاب لها تنبيها على أنه يولد من غير أب فلا ينسب الا الى أمه وبذلك فصلت على نساء العالمين
 (وجيها في الدنيا والآخرة) الوجهية ذوالجاء وهو القوة والمنعة والشرف وهو حال مقدرة من كلمة فانها وان
 كانت نكرة لكنها صالحة لأن ينصب بها الحال وتذكرها باعتبار المعنى والوجهية في الدنيا النبوة والتقديس
 على الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة (ومن المقربين) أي من الله عز وجل وقيل هو
 إشارة الى رفعه الى السماء وصحبه الملائكة وهو عطف على الحال الاولى وقد عطف عليه قوله تعالى (ويكلم الناس
 في المهد وكهلا) أي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يعهد
 للصبي أي يسوى من منجمعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وفي ذكر احواله المختلفة المتنافية
 إشارة الى أنه بمسزل من الألوهية (ومن الصالحين) حال أخرى من كلمة معطوفة على الاحوال السابقة

أومن الضمير في يكلم (قالت) استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قالت مرهم حين قالت لها
 الملائكة ما قالت فقيل قالت متضرعة الى ربها (رب أي يكون) أي كيف يكون أو من أين يكون (لى ولد)
 على وجه الاستبعاد العادي والتعجب واستعظام قدرة الله عز وجل وقيل على وجه الاستفهام والاستفسار
 بأنه بالتزويج أو بغيره ويكون أماتاثة وأنى واللام متعلقان بها وتأتي خبر الفاعل عن الجوار والجبرور لما مر
 من الاعتناء بالمقدم والنشويق الى المؤخر ويجوز أن تتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من ولد اذ لو تأخر لكان
 صفة له واما ناقصة واسمها ولد وخبرها اما أنى واللام متعلقة بضمير وقع حالا كما مر وأنى نصب على
 الظرفية وقوله تعالى (ولم يمسسني بشر) جملة حالية محقة للاستبعاد أي والحال أنى على حالة منافية
 للولادة (قال) استئناف كاسف والقائل هو الله تعالى او جبريل عليه الصلاة والسلام (كذلك الله
 يخلق ما يشاء) الكلام في اعرابه كما مر في قصة زكريا بعينه خلا أن اراد بخلق ههنا مكان يفعل هناك
 لما أن ولادة العذراء من غير أن يمسيها بشر أبدع وأغرب من ولادة عجز عاقر من شئ فان كان الخلق المنبي
 عن الاختراع انب بهذا المقام من مطلق الفعل ولذلك عقب ببيان كيفية فقيل (اذا قضى أمرا)
 من الامور أي أراد شئاً كما في قوله تعالى انما أمره اذا أراد شئاً وأصل القضاء الاحكام اطلاق على الارادة
 الالهية القطعية المتعلقة بوجود الشئ لا يجابها اياه البتة وقيل الامر ومنه قوله تعالى وقضى ربك
 (فانما يقول له كن) لا غير (فيكون) من غيريت وهو كما ترى غنيل لكال قدرته تعالى وسهولة تأني
 المقدورات حسب مقتضيه مشيئته وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم فيها من طاعة الامور المطيع للامر
 القوي المطاع وبيان لانه تعالى كما يقدر على خلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد معتادة يقدر على خلقها
 دفعة من غير حاجة الى شئ من الاسباب والمواد (ويعلمه الكتاب) أي الكتاب او جنس الكتب الالهية
 (والحكمة) أي العلوم وتهديب الاخلاق (والتوراة والانجيل) افراد هما بالذكر على تقدير كون
 المراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة لزيادة فضلها وانافتهما على غيرها والجملة عطف على يشرك او على وجبها
 او على يخلق أو هو كلام مبتدأ سبق تطبيق القلبها وازاحة لما اهمها من خوف اللائمة لما علمت أنها تلمذ من غير
 زوج وقرئ ونعله بالنون (ورسولا الى بني اسرائيل) منصوب بضمير يعود اليه المعنى معطوف على يعلمه
 أي ويجهله رسولا الى بني اسرائيل أي كاهنهم وقال بعض اليهود انه كان مبعوثا الى قوم مخصوصين ثم قيل كان
 رسولا حال الصبا وقيل بعد البلوغ وكان أول انبياء بني اسرائيل يوسف عليه الصلاة والسلام وآخرهم عيسى
 عليه الصلاة والسلام وقيل اولهم موسى وآخرهم عيسى عليهما السلام وقوله تعالى (اني قد جئتكم
 مع مول رسولنا فيسفه من معنى النطق أي رسولا ناطقا بأني الخ وقيل منصوب بضمير مع مول اقول مضمير
 معطوف على يعلمه أي ويقول أرسلت رسولا بأني قد جئتكم الخ وقيل معطوف على الاحوال السابقة
 ولا يقدح فيه كونها في حكم الغيبة مع كون هذا في حكم التكلم لما عرفت من أن فيه معنى النطق كانه
 قيل حال كونه وجها ورسوله لانا طقا بأني الخ . ثم رسل بالجر عطف على كلمة والساء في قوله تعالى (بآية)
 متعده بمحذوف وقع حالا من فاعل الفعل على أنها للملابسة والتسوية للتخفيف دون الوحدة لظهور تعددها
 وكثرة اوقري بآيات او يجئتكم على أنها للتعددية ومن في قوله تعالى (من ربكم) لا شدة الغاية مجازا
 متعلقة بمحذوف وقع صفة لآية أي قد جئتكم ملتبسا بآية عظيمة كاشفة من ربكم أو آيتكم بآية عظيمة كاشفة منه
 تعالى والنعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضمير الخطابين لتأكيد ايجاب الامتثال بما سيأتي
 من الاوامر وقوله تعالى (اني اخلق لكم من الطين كهشة الطير) بدل من قوله تعالى اني قد جئتكم ومحمله
 النصب على نزع الجوار عند سيديوه والفرأ والجر على رأي الخليل والكسائي او بدل من آية وقيل منصوب
 بفعل مقدرا أي اعني اني الخ وقيل مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هي اني اخلق لكم وقرئ بكنسر
 الهمزة على الاستئناف أي أقدر لكم أي لاجل تحصيل ايمانكم ودفع تكذيبكم اي من الطين شئاً مثل
 صورة الطير (فأنفخ فيه) الضمير للكاف أي في ذلك الشئ المماثل لهيئة الطير وقرئ فأنفخ فيها على أن الضمير
 لهيئة المقدرة أي اخلق لكم من الطين هيئة كهشة الطير فأنفخ فيها (فيكون طيرا) جيا طيرا كسيرة
 الطيور (بإذن الله) بأمره تعالى اشار عليه الصلاة والسلام بذلك الى أن احياءه من الله تعالى لانه قيل

لم يخلق غير الخفاش روى أنه عليه الصلاة والسلام لما أتته النبوة وأظهر المجزأت طاب الوعد بخلق الخفاش
 فأخذ طينا وصوره ونفخ فيه فاذا هو بطير بين السماء والأرض قال وهب كان بطير مادام الناس يتظرون إليه
 فاذا غاب عن أعينهم سقط ميتا ليعلم من خلق الله تعالى قيل انما طابوا خلق الخفاش لانه اكل الطير خلقا وابلغ
 دلالة على القدرة لان له ثديا واسنانا وهي تحيض وتظهر وتلد كسائر الحيوان وتضج كما يضج الانسان وتطير
 بغبر ريش ولا تبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل وانما ترى في ساعتين ساعة بعد الغروب وساعة بعد طلوع
 الفجر وقبل خلق انواع الطير (وأبرئ الا لكه) أي الذي ولد أعشى والمصوح العين (والابرص) الميتلى
 بالبرص لم تكن العرب تتقرن شئ تقره آمنه ويقال له الوضع ايضا وتخصيص هذين الداءين لانهما مما عابا
 الاطباء وكانوا في غاية الحذقة في زمنه عليه الصلاة والسلام فأراههم الله تعالى المجزة من ذلك الخفاش روى
 أنه عليه الصلاة والسلام ربما كان يجتمع عليه ألوف من المرضى من اطاق منهم اناء ومن لم يطق اناء عسى عليه
 الصلاة والسلام وما يد اويه الابالدعاء (وأحي الموتى باذن الله) كثره بمبالغة في دفع وهم من توهم فيه
 اللاهوتية قال الكلبي كان عليه الصلاة والسلام يحيي الموتى يساخي ياقوم أحياء عزرو كان صديق له فعاش
 وولده وورثه على ابن عجم وميت فدعا الله تعالى فنزل عن سريره حيا ورجع الى أهله وبقي وولده وبنت العاشر
 احياءها وولدت بعد ذلك فقالوا انك تحيي من كان قريبا العهد من الموت فلعلهم لم يعرفوا بل أصابتهم سكرة فأحى
 لناسام بن نوح فقال دلوني على قبره ففعلوا فتقام على قبره فدعا الله عز وجل فتقام من قبره وقد شاب رأسه
 فقال عليه السلام كيف شئت ولم يكن في زمانكم شيب قال ياروح الله لماد عوتني سمعت صوتا يقول أجب
 روح الله فظننت أن الساعة قد قامت فن هول ذلك شئت فسأله عن التزع قال ياروح الله ان مرارته لم تذهب
 من خصرى وكان بينه وبين موته أكثر من أربعة آلاف سنة وقال للقوم صدقوه فانه نبي الله فآمن به بعضهم
 وكذبه آخرون فقالوا هذا سحر فأرنا آية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبي لك كذا وذلك قوله تعالى
 (وأنتبكم بما أنا كلون وماتت خرون في يومئذكم) أي بالمغيبات من أحوالكم التي لا تشكون فيها وقرئ
 تذخرون بالذال والتخفيف (أن في ذلك) إشارة الى ما ذكر من الامور العظام (لاية) عظيمة وقرئ
 لايات (لكم) دالة على صحة رسالتى دلالة واضحة (ان كنتم مؤمنين) جواب الشرط محذوف لانساب
 المعنى اليه اودلالة الله تور عليه أي اتقعت بها وان كنتم عن تأتي منهم الايمان دلتمكم على صحة رسالتى
 والايمان بها (ومصدقا لما بين يدي من التوراة) عطف على المنبر الذي تعلق به قوله تعالى بآية أي قد
 جئتكم ملتسبا بآية الخ ومصدقا لما بين يدي الخ اوعلى رسولا على الاوجه الثلاثة فان مصدقا فيه معنى النطق
 كما في رسولا أي ويجعله مصدقا فانا طقا بآتي اصدق الخ او يقول أرسلت رسولا بآتي قد جئتكم الخ ومصدقا الخ
 أحوال كونه مصدقا فانا طقا بآتي اصدق الخ او منصوب باسماء فعل دل عليه قد جئتكم أي وجئتكم
 مصدقا الخ وقوله من التوراة اما حال من الموصول والعامل مصدقا واتمام من ضميره المستتر في الطرف
 الواقع صلة والعامل الاستمرار المنبر في الطرف وانفس الطرف انقيامه مقام الفعل (ولاحل لكم) معمول
 المنبر دل عليه ما قبله أي وجئتكم لاحل الخ وقيل عطف على معنى مصدقا كقولهم جئتكم معتذرا ولا جتاب
 رضاه كانه قيل قد جئتكم لاصدق ولا حل الخ وقيل عطف على بآية أي قد جئتكم بآية من ربكم ولا حل لكم
 (بعض الذي حرم عليكم) أي في شريعة موسى عليه الصلاة والسلام من الشهور والثلوث والسك والحوم
 الايل والعمل في السبت قبل احل لهم من السمك والطير ما لا يصح له واختلف في احلال السبت وقرئ حرم
 على تسمية الصاعل وهو ما بين يدي اوانه عز وجل وقرئ حرم بوزن كرم وهذا يدل على أن شرعه كان ناهيا
 لبعض أفعالهم التوراة ولا يخل ذلك بكونه مصدقا قالها لما أن النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الأزمان
 وتأخير المفعول عن الجار والمجرور لما مراروا من المبادرة الى ذكر ما يستر الخطا طين والتشويق الى ما اخر
 (وجئتكم بآية من ربكم) شاهدة على صحة رسالتى وقرئ بآيات (فانقوا الله) في عدم قبولها ومخالفة
 مدلولها (وأطهروا) فيما أمركم به وأنها كم عنه بأمر الله تعالى وتلك الآية هي قرئ (ان الله يري ويرى
 فاعبدوه هذا صراط مستقيم) فانه الحق الصريح الذي اجتمع عليه الرسل فاطبة فيكون آية بيته على
 أنه عليه الصلاة والسلام من جئاتهم وقرئ أن الله بالفتح بدلا من آية او قد جئتكم بآية على أن الله ربي وربكم

قوله اللاهوتية في بعض
 النسخ اللاهوتية اه

وقوله فاتقوا الله وأطيعوا أئمة الله والظاهر أنه تكرر لما سبق أي قد جئتمكم بأية بعد آية بما ذكرتم لكم
من خلق الطير والبر والأكه والابرص والاحياء والانباء بالحق من غيرهم من ولادتي بغرب ومن كلامي في
المهد ومن غير ذلك والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريرها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالقضاء قوله فاتقوا الله اي
لما جئتمكم بالمعجزات الباهرة والايات الظاهرة فاتقوا الله في المخالفة وأطيعوا فيما أدعوك اليه ومعنى
قراءة من فتح ولأن الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله تعالى لا يلاف قريش الخ ثم شرع في الدعوة وأشار إليها
بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم أشار الى أن استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غاية التوحيد
وقال فاعبدوه إشارة الى استكمال القوة العملية فانه يلزم الطاعة التي هي الايمان بالاوامر والالتزام
عن المناهي ثم قرر ذلك بأن بين أن الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود به بالاستقامة وظهر قوله عليه الصلاة
السلام قل آمنتم بالله ثم استقم (فلما احس عيسى منهم الكفر) شروع في بيان ما آل احواله عليه السلام اثر
ما اشير الى طرف منها بطريق النقل عن الملائكة والقضاء فصحة تفصيح عن تحقيق جميع ما قاله الملائكة
وخروجه من القوة الى الفعل حسبما شرحت كما في قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده بقوله تعالى أما أتيتك به
قبل أن يرتد اليك طرفك كانه قيل فخلته فولدته فكان كيت وكيت وقال ذيت وذيت وانما لم يذكر كيت
بحكاية الملائكة وايدنا بعد الخلف وثقة بما فصل في المواضع الاخرى واما عدم تكميل بقية احواله عليه الصلاة
والسلام في سلك النقل فاما للاعتناء بأمره الاول عدم مناسبتها المقام البشارة لما فيها من ذكر مقاساته عليه
الصلاة والسلام للشهداء ومعاناته للمساكين والمراد بالاحساس الادراك القوى الجاري بحرى المناهضة
وبالكفر اصرارهم عليه وعتوهم ومكابرتهم فيه مع العزيمة على قتله عليه الصلاة والسلام كما نبئني عنه الاحساس
فانه انما يستعمل في أمثال هذه المواقع عند كون متعلقه أمرا محمودا ومكروها كما في قوله عز وجل فلما
أحدوا بأبنا اذا هم منها يركضون وكلمة من متعلقة بأحسن والضمير الجور ولبنى اسرائيل أي ابتداء
الاحساس من جهتهم وتقديم الجور على المفعول السريع لما مر غير مرة من الاعتناء بالمقدم والتشويق
الى المؤخر وقيل متعلقة بمحذوف وقع حالا من الكفر (قال) أي تلخص اصحابه بالجميع بنى اسرائيل لقوله
تعالى كما قال عيسى ابن مريم للحواريين الآية وقوله تعالى فآمنت طائفة من بنى اسرائيل ونفرت طائفة ليس
بشئ في توجيه الخطاب الى الكل بل يكفى فيه بلوغ الدعوة اليهم (من انصارى) الانصار جمع نصير كما شراف جمع
شريف (الى الله) متعلق بمحذوف وقع حالا من الباء أي من انصارى متوجهها الى الله ملتجئنا اليه وابواب انصارى
متضمنة معنى الاضافة كانه قيل من الذين يضيفون انفسهم الى الله عز وجل ينصرفون كما ينصرفون وقيل
الى معنى في أي في سبيل الله وقيل معنى اللام وقيل بمعنى مع (قال) استئناف مبتدئ على سؤال ينساق
اليه الذهن كانه قيل فآذا قالوا في جوابه عليه الصلاة والسلام فقبل قال (الحواريون) جمع حوارى يقال
فلان حوارى فلان أي صفوته وخالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات الخضريات لخلوص
ألوانهن ونقاتهن سمي به أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام لخلوص نياتهم وثقاؤهم مراهمهم وقيل لماعلمهم
من آثار العبادة وأنوارها وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض وذلك أن واحدا من الملوك صنع طعاما وجمع
الناس عليه وكان عيسى عليه الصلاة والسلام على قصعة لا يزال يأكل منها ولا يتقص فذكر ذلك للملك
فاستدعاه عليه الصلاة والسلام فقال له من انت قال عيسى ابن مريم فترك ملكه وتبعه مع اقاربه فأولئك
هم الحواريون وقيل كانوا صيادين يصطادون السمك يلبسون الثياب البيض فيهم شععون ويعقوب ويوحنا
فتربهم عيسى عليه الصلاة والسلام فقال لهم انتم تصيدون السمك فان اتبعتموني صرتم تبصرون السمك
بالحياة الابدية قالوا من انت قال عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله فطلبوا منه العجزة وكان شععون قد رى شبكه
تلك الليلة فاصطاد شيا فأمره عيسى عليه الصلاة والسلام بالقائها في الماء مرة أخرى ففعل فاجتمع في
الشبكة من السمك ما كادت تنزق واستعانوا بأهل سفينة أخرى وملأوا السفينتين فعند ذلك آمنوا بعيسى عليه
السلام وقيل كانوا اثني عشر رجلا آمنوا به عليه الصلاة والسلام واتبعوه وكانوا اذا اجاعوا قالوا اجعنا يا روح
الله فيضرب يده الارض فيخرج منها لكل واحد رغيفان واذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب يده الارض
فيخرج منها الماء فيشربون فقالوا من أفضل منا قال عليه الصلاة والسلام أفضل منكم من يعمل يده ويأكل

قوله الباهرة في البياض
القاهرة بالقضاء وفسرها شيخ
الاسلام ذكرها بالمتعة ونقل
عن الجوهرى ما يصح تفسيره
اه معصمه

من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالاجرة فسموا حواريين وقيل ان اتته سلمته الى صباغ فأراد الصباغ يوماً ان يشتغل ببعض مهماته فقال له عليه الصلاة والسلام ههنا ثياب محتاجة قد جعلت لكل واحد منكم علامة معينة فاصبغها بتلك الالوان فغاب فجعل عليه الصلاة والسلام كلها في حب واحد وقال كوني يا ذن الله كما تريد فرجع الصباغ فسأله فأخبره بما صنع فقال أفدت على الثياب قال قم فانتظر بفعل يخرج ثوباً أحمر وثوباً أخضر وثوباً أصفر الى أن أخرج الجميع على أحسن ما يكون حسباً كان يريد فتعجب منه الحاضرون وآمنوا به عليه الصلاة والسلام وهم الحواريون قال القفال ويجوز أن يكون بعض هؤلاء الحواريين الاثني عشر من الملوكة وبعضهم من صيادي السمك وبعضهم من القصارين وبعضهم من الصباغين والكل سوا الحواريين لانهم كانوا أنصار عيسى عليه الصلاة والسلام وأعوانه والمخلصين في طاعته ومحبيه (نحن أنصار الله) أي أنصار دينه ورسوله (آمنّا بالله) استئناف جار مجرى العلة لما قبله فان الايمان به تعالى موجب لنصرة دينه والذب عن أوليائه والمجاربة مع أعدائه (واشهد بأننا مسلمون) مخلصون في الايمان منقادون لما تريد منا من نصرتك طلبوا منه عليه الصلاة والسلام الشهادة بذلك يوم القيامة يوم يشهد الرسل عليهم الصلاة والسلام لآلهم وعليهم ايذاناً بأن حرمي غرضهم السعادة الآخروية (ربنا آمنا بما أنزلت) تضرع الى الله عز وجل وعرض لحالهم عليه تعالى بعد عرضها على الرسول مبالغة في اظهار أمرهم (وآتينا الرسول) أي في كل ما يأتي ويذكر من أمور الدين فيدخل فيه الاتباع في النصره دخولا اولياً (فاكتبنا مع الشاهدين) أي مع الذين يشهدون بوحدانية الله اومع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم اومع امته محمد عليه الصلاة والسلام فانهم شهداء على الناس قاطبة وهو حال من مفعول اكتبنا (ومكروا) أي الذين علم عيسى عليه الصلاة والسلام كفرهم من اليهود بأن وكلاويه من يقتله غيلة (ومكر الله) بأن رفع عيسى عليه الصلاة والسلام وألقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرته لا يمكن اسناده اليه سبحانه الا بطريق المشاكلة روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ملك بنى اسرائيل لما قصد قتله عليه الصلاة والسلام أمره جبريل عليه الصلاة والسلام أن يدخل يتساقفه ووزنه فرقه جبريل من تلك الروضة الى السماء فقال الملك لرجل خبيث منهم ادخل عليه فاقتله فدخل البيت فألقى الله عز وجل شبهه عليه فخرج يخبرهم أنه ليس في البيت فقتلوه وصلبوه وقيل انه عليه الصلاة والسلام جمع الحواريين ليله وأوصاهم ثم قال ليكرن بي أحدكم قبل أن يصح الديك ويبعني بديراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فنافق أحدهم فقال لهم ما تجعلون لي ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهماً فأخذها ودلهم عليه فألقى الله عز وجل عليه شبه عيسى عليه الصلاة والسلام ورفعه الى السماء فأخذوا المنافق وهو يقول انا دللتكم فلم يلتفتوا الى قوله وصلبوه ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبنا فان كان هذا عيسى فأين صاحبنا وان كان صاحبنا فأين عيسى فوق بينهم قتال عظيم وقيل لما صلب المصلوب جاءت مريم ومعها امرأة ابراهيم الله تعالى من الجنون بدعاء عيسى عليه الصلاة والسلام وجعلتا يسكان على المصلوب فانزل الله تعالى عيسى عليه الصلاة والسلام فجاءهما فقال علي م تيسكان فقالتا عليك فقال ان الله تعالى رفعني ولم يصبني الاخيران هذان شي شبه لهم قال محمد بن اسحق ان اليهود عذبوا الحواريين بعد رفع عيسى عليه الصلاة والسلام ولقوا منهم الجهد فبلغ ذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته فقيل له ان رجلاً من بنى اسرائيل ممن تحت أمرك كان يخبرهم أنه رسول الله واراهم احياء الموتى وبراء الاكس والابرص وفعل وفعل فقال لو علمت ذلك ما خليت بينهم وبينه ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من ايديهم وسألهم عن عيسى عليه الصلاة والسلام فأخبروه فبايعهم على دينهم وأنزل المصلوب فغيبه وأخذوا الحشبة فأكرمها ثم غزا بنى اسرائيل وقتل منهم خلقاً عظيماً ومنه ظهر أصل النصرانية في الروم ثم جاء بعده ملك آخر يقال له ططيوس وغزا بيت المقدس بعد رفع عيسى عليه الصلاة والسلام بنحو من أربعين سنة فقتل وسبي ولم يترك في مدينة بيت المقدس حجراً على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير الى الحجاز قال أهل التواريخ حلت مريم بعيسى عليه الصلاة والسلام وهي بنت ثلاث عشرة سنة وولدت له بيت لحم من أرض أوري شلم لخصي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على أرض بابل وأوحى الله تعالى اليه على رأس ثلاثين سنة ورفعه اليه من بيت المقدس ليله

القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وعاشت امة بعد رفعه ست سنين (والله خير الماكرين)
 أقوامهم مكرًا وأنفذهم كيدا وأقدرهم على إيصال الضرر من حيث لا يحتسب واطهار الجلالة في موقع
 الاثمار لترية المهابة والجلالة تذييل مقتررا لمفهوم ما قبله (اذ قال الله) ظرف لمكر الله اوله من شؤ وقوع
 ذلك (يا عيسى اني متوفيك) أي مستوفي اجلك ومؤخر لك الى اجلك المسمى عاصم لك من قتلهم أو قابضك
 من الارض من توفيت مالي أو متوفيك نائما اذ روى أنه رفع وهو نائم وقيل ميتك في وقتك بعد النزول من السماء
 ورافعك الآن أو ميتك من الشهوات العاتقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل امانه الله تعالى سبع ساعات
 ثم رفعه الى السماء واليه ذهب النصارى قال القرطبي والصحيح أن الله تعالى رفعه من غير وفاة ولا نوم
 كما قال الحسن وابن زيد وهو اختبار الطهر وهو الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما وأصل القصة
 أن اليهود لما عزموا على قتله عليه الصلاة والسلام اجتمع الحواريون وهم اثنا عشر رجلا في غرفة فدخل عليهم
 المسيح من مشكاة الغرفة فأخبرهم ابليس بجميع اليهود فركب منهم أربعة آلاف رجل فأخذوا باب الغرفة فقال
 المسيح للحواريين ايكلم يخرج ويقتل ويكون معي في الجنة فقال واحد منهم أنا يا بني الله فألقى عليه مدرعة
 من صوف وعمامة من صوف وناوله عصا كازة وألقى عليه شبه عيسى عليه الصلاة والسلام فخرج على اليهود
 فقتلوه وصلبوه وأما عيسى عليه الصلاة والسلام فكساه الله الريش والنور وألبسه النور وقطع عنه شهوة
 المظم والمشرب وذلك قوله تعالى اني متوفيك فطار مع الملائكة ثم ان أصحابه حين رأوا ذلك تفرقوا ثلاث فرق
 فقالت فرقة كان الله فينا ثم صعد الى السماء وهم البعثونية وقالت فرقة أخرى كان فينا ابن الله ماشاء الله
 ثم رفعه الله اليه وهم النسطورية وقالت فرقة أخرى منهم كان فينا عبد الله ورسوله ماشاء الله ثم رفعه الله اليه
 وهؤلاء هم المتأولون فظاهرت عليهم الفرقتان الكافرتان فقتلوه فلم يزل الاسلام منظمًا الى أن بعث الله تعالى
 محمدا صلى الله عليه وسلم (ورافعك الى) أي الى محل كرامتي ومقر ملائكتي (ومطهر لكم الذين كفروا) أي
 من سوء جوارهم وخبث صحبتهم ودنس معاشرتهم (وجاعل الذين اتبعوك) قال قتادة والربيع والشعبي
 ومقاتل والكلبي هم اهل الاسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه من امة محمد صلى الله عليه وسلم دون الذين كذبوه
 وكذبوا عليه من النصارى (فوق الذين كفروا) وهم الذين مكروا به عليه الصلاة والسلام ومن يسير بسيرتهم
 من اليهود فأتاهم اهل الاسلام فوقهم ظاهرين بالعزة والمنعة والجلالة وقيل هم الحواريون فينبغي أن تحمل
 فوقيتهم على فوقية المسلمين بحكم الاتحاد في الاسلام والتوحيد وقيل هم الروم وقيل هم النصارى فالمراد
 بالاتباع مجزأ الادعاء والمحبة والافاؤ لتلك الكفرة بعزل من اتباعه عليه الصلاة والسلام (الي يوم القيامة)
 غاية للجعل أو للاستقرار المندرج في الطرف لا على معنى أن الجعل أو الفوقية تنتهي حينئذ ويخلص الكفرة
 من الذلة بل على معنى أن المسلمين يعلونهم الى تلك الغاية فأما بعد ما فيه فعل الله تعالى بهم ما يريد (ثم الى
 مرجعكم) أي رجوعكم بالبعث ونحوه للتراخي وتقديم الجارة والمجرور للتقصير المفيد لتأكيدهم الوعد والوعيد
 والضمير لعيسى عليه الصلاة والسلام وغيره من المتبعين له والكافرين به على تغليب المخاطب على الغائب
 في ضمن الالتفات فانه ابان في التبشير والانذار (فأحكم بينكم) يومئذ اثر رجوعكم الى (فما كنتم فيه
 تختلفون) من امور الدين وفيه متعلق بمتخلفون وتقديره عليه (رعاية الفواصل) فأما الذين كفروا فأعذبهم
 عذابا شديدا تفسير للحكم الواقع بين الفريقين وتفصيل لكيفية البداية ببيان حال الكفرة لما أن مساق
 الكلام لتهديدهم وجزعهم عما هم عليه من الكفر والعناد وقوله تعالى (في الدنيا والآخرة) متعلق بأعذبهم
 لا بمعنى ايقاع كل واحد من التعذيب في الدنيا والآخرة في الآخرة واحدا منها يوم القيامة بل بمعنى اتمام
 مجموعها يومئذ وقبل ان المرجع اعم من الديوى والآخري وقوله تعالى الى يوم القيامة غاية للفوقية لا للجعل
 والرجوع متأخر عن الجعل وهو غير محدود ولا عن الفوقية المحدودة على نسج قولك سأعيرك سكنى هذا البيت
 شهرًا ثم أخلع عليك خلعة فيلزم تأخر الخلع عن الاعارة لا عن الشهر (ومالهم من ناصرين) يخلصونهم من
 عذاب الله تعالى في الدارين وصيغة الجمع لمقابله ضمير الجمع أي ليس لواحد منهم ناصر واحد (وأما الذين
 آمنوا) بما أرسلت به (وعملوا الصالحات) كما هو دين المؤمنين (فيوفهم أجورهم) أي يعطيهم اياها
 كاملة ولعل الالتفات الى الغيبة للايذان بما بين مصدرى التعذيب والاثابة من الاختلاف من حيث الجلال

والجمال وقرئ فتوفهم جريا على سنن العظيمة والكبرياء (والله لا يحب الظالمين) أي يفضهم فان هذه
الكناية قاشية في جميع اللغات جارية تجري الحقيقة وإيراد الظلم للاشعار بأنهم بكفرهم متعدون متجاوزون
عن الحدود واضعون للسكر مكان الشكر والايمان والجلالة تذييل لما قبله من مقترن ليعلمونه (ذلك) إشارة
الى ما سلف من تباعيسى عليه الصلاة والسلام وما فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شأن المشار اليه وبعد
منزلته في الشرف وعلى كونه في ظهور الامر ونباهة الشأن بمنزلة المشاهد المعارين وهو مبتدأ وقوله عز وجل
(تتلوه) خبره وقوله تعالى (عليك) متعلق بتلوه وقوله تعالى (من الآيات) حال من الضمير المنصوب
أو خبر بعد خبراً وهو الخبر وما بينهما حال من اسم الإشارة أو ذلك خبر مبتدأ مضمر أي الامر ذلك وتلوه
حال كما مر وصيغة الاستقبال أما الاستحضار الصورة أو على معناها إذا التلاوة لم تتم بعد (والذكر الحكيم)
أي المشتغل على الحكم أو المحكم الممنوع من تطرق الخلل اليه والمراد به القرآن فن تبعية أوبعض
مخصوص منه فن بيانية وقيل هو الواح المحفوظ فن ابتدائية (ان مثل عيسى) أي شأنه البديع المتظم
لغيره في سلك الامثال (عند الله) أي في تقديره وحكمه (كمثل آدم) أي كماله الهيبة التي لا تراب فيها
مرتاب ولا ينزع فيها منافع (خلق من تراب) تفسير لما أبهم في المثل وتفصيل لما اجل فيه وتوضيح للتشليل ببيان
وجه التشبه بينهما وحسم لما ذكروه شبه المنصوم فان انكار خلق عيسى عليه الصلاة والسلام بلا أب من اعترف
بخلق آدم عليه الصلاة والسلام بغير أب وأتم بما لا يكاد يصح والمعنى خلق قابله من تراب (ثم قال له كن) أي
انشاء بشراً كما في قوله تعالى ثم أنشأناه خلقاً آخر أو قد تركوا كونه من التراب ثم كونه ويجوز كون ثم لترأخي
الاخبار لا لترأخي الخبرية (فيكون) حكاية حال ماضية روى أن وفد فخران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مالك تشتم صاحبنا قال وما أقول قالوا تقول انه عبد قال أجل هو عبد الله ورسوله وكلته ألقاها الى العذراء
اليتول فغضبوا وقالوا هل رأيت انساناً من غير أب فحيث سأل أنه لا أب له من البشر وجب أن يكون أبوه هو
الله فقال عليه الصلاة والسلام ان آدم عليه الصلاة والسلام ما كان له أب ولا أم ولم يلزم من ذلك كونه ابن الله
سبحانه وتعالى فكذا حال عيسى عليه الصلاة والسلام (الحق من ربك) خبر مبتدأ محذوف أي هو الحق
أي ما قصصنا عليك من تباعيسى عليه الصلاة والسلام وآته والطرف اما حال أي كاشاً من ربك أو خبر ثان أي
كائن منه تعالى وقيل هما مبتدأ وخبر أي الحق المذكور من الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضمير الخطاب تشريفه عليه الصلاة والسلام والايذان بأن تنزيل هذه الآيات الحقة الناطقة بكنه
الامر تربية له عليه الصلاة والسلام ولطف به (فلا تكن من الممترين) في ذلك والخطاب اما للنبي صلى الله عليه
وسلم على طريقة الاله اب والتهيج لزيادة التثبيت والاشعار بأن الامتراء في المحذورية بحيث ينبغي أن يشه
عنه من لا يكاد يمكن صدوره عنه فكيف بمن هو بصدد الامتراء واما لكل من له صلاحية الخطاب (فن حاجن)
أي من النصارى اذ هم المتصدون للمعجزة (فيه) أي في شأن عيسى عليه السلام وآته زعمانهم أنه ليس على
الشأن المحكي (من بعد ما جاء من العلم) أي ما يوجب ايجاباً قطعياً من الآيات البينات وسمعو ذلك منك
فلم يرعوا راعاهم عليه من النقي والضلال (فقل) لهم (تعالوا) أي هلموا بالرأي والعزيمة (ندع أبناءنا
وأبنائكم) اكنى بهم عن ذكر البنات لظهور ككونهم اعز منهن وأما النساء فقلن من جهة أخرى
(ونساءنا ونساءكم وأنفسنا ونفسكم) أي ليدع كل منا ومنكم نفسه وأعزة أهله وأصقهم بقلبه الى المباهلة
ويحملهم عليها وتقدمهم على النفس في أثناء المباهلة التي هي من باب المهلاك ومظان التلف مع أن الرجل
يحاطر اهلهم بنفسه ويحارب دونهم للايذان بكامل أمنه عليه السلام وتعام ثقتهم بأمره وقوة يقينه بأنه لن يصيبهم
في ذلك شائبة مكرهه أصلاً وهو السر في تقديم جانبيه عليه السلام على جانب الخطابيين في كل من المتقدم
والأخر مع رعاية الاصل في الصيغة فان غير المتكلم تبع له في الاسناد (ثم نبه) أي تنبه لئلا يأن نلعن
الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة وأصلها التلذ من قولهم بهات الناقة أي تركها بلا صرار (فجعل
لعنة الله على الكاذبين) عطف على نبه مبين لعنائه وروى انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حق نرجع وننظر
فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذارأيهم يا عبد المسيح ما ترى فتقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمداني
جرسل ولقد بآكم بالنصل من أمر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نب صغيرهم وأن فعلتم

اتملكن فان ايتم الاالف دينكم والاقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فانوا رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلى خلفه رضى الله
 عنهم أجمعين وهو يقول اذا نادعوت فأمتوا فقال اسقف نجران يامعشر النصارى انى لارى وجوها لو سألو الله
 تعالى أن يزل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهاوا فتهلكوا ولا يبق على وجه الارض نصرا فالى يوم القيامة
 فقالوا يا أبا القاسم رأينا أن لا تباهاك وأن نقرلك على دينك وثبت على ديننا قال صلى الله عليه وسلم فاذا ايتم
 المباهلة فأسلموا ايكن لكم بالمسلمين وعليكم ما على المسلمين فأبوا قال عليه الصلاة والسلام فاني أنا جزكم فقالوا
 ما لنا نجرب العرب طاعة ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على أن نؤدى اليك كل عام
 أنى حلة ألفا فى صغروا ألفا فى رجب وثلاثين درعاً عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذي نفسى بيده
 ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولولا عنوا المسخو واقردة وخنازير ولا ضطرم عليهم الوادى ناراً ولا ستأصل
 الله نجران وأهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا (ان هذا) اى
 ما قص من نبأ عيسى واته عليه ما السلام (لهو القصص الحق) دون ما عدا من أكاذيب النصارى
 فهو ضمير الفصل دخلته اللام لكونه اقرب الى المبتدأ من الخبر وأصلها أن تدخل المبتدأ أو قرئ لهو يسكون
 الهاء والتقص خبر ان والحق صفة أو هو مبتدأ والقص خبره والجملة خبر لان (وما من اله الا الله)
 صرح فيه بمن الاستغراقية تأكيد كيد اللرد على النصارى فى تليثهم (وان الله له العزيز) القادر
 على جميع المتبدورات (الحكيم) المحيط بالمعلومات لا أحد يشاركه فى القدرة والحكمة ليشاركه
 فى الألوهية (فان تولوا) عن التوحيد وقبول الحق الذى قص عليك بعد ما عاينوا تلك الحجج النيرة والبراهين
 الساطعة (فان الله عليم بالمفسدين) أى بهم وانما وضع موضعه ما وضع للايدان بأن الاعراض عن
 التوحيد والحق الذى لا محمد عنه بعد ما قامت به الحجج افساد للعالم وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى (قل يا أهل
 الكتاب) أمر بخطاب أهل الكتابين وقيل بخطاب وفد نجران وقيل بخطاب يهود المدينة (فأبوا الى
 كلمة سواء بيننا وبينكم) لا يختلف فيها الرسل والكتب وهى (أن لا تعبد الا الله) أى توحده بالعبادة
 وتخلص فيها (ولا تشرك به شياً) ولا تجعل غيره شريكاً له فى استحقاق العبادة ولا تراءه لا تلعن يعبد (ولا يتخذ
 بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله) بأن تقول عزيز ابن الله والمسيح ابن الله ولا تطيع الاحبار فيما احدثوا من
 التصريم والتحليل لأن كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روى أنه لما نزلت اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله
 قال عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله فقال عليه السلام أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فأتأخذون
 بقولهم قال نعم قال عليه السلام هو ذاك (فان تولوا) عماد عوتهم اليه من التوحيد وترك الاشرار
 (فقلوا) أى قل لهم أنت والمؤمنون (اشهدوا بأننا مسلمون) اى لزمتكم الحجة فاعترفوا بأننا مسلمون دونكم
 أو اعترفوا بأنكم كافرون بما نطق به الكتب وتطابقت عليه الرسل عليهم السلام (تنبيه) انظر الى ما روى فى
 هذه القصة من المبالغة فى الارشاد وحسن التدرج فى الحاجة حيث بين اولاً احوال عيسى عليه السلام
 وما توارد عليه من الاطوار المتناقضة للالهية ثم ذكر كيفية دعوته للناس الى التوحيد والاسلام فلما
 ظهر عنادهم دعوا الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما عرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد دعوا الى ما اتفق
 عليه عيسى عليه السلام والانبيا عليهم السلام والكتب ثم لما ظهر عدم اجادته ايضاً أمر بأن
 يقال لهم اشهدوا بأننا مسلمون (يا أهل الكتاب) من اليهود والنصارى (لم تحتاجون فى ابراهيم)
 اى فى ملته وشريعته تنازعت اليهود والنصارى فى ابراهيم عليه السلام وزعم كل منهم أنه عليه السلام منهم
 وترفخوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركت والمعنى لم تدعوا أنه عليه السلام كان منكم (وما أنزلت
 التوراة) على موسى عليه الصلاة والسلام (والانجيل) على عيسى عليه الصلاة والسلام (الامن بعده)
 حيث كان بينه وبين موسى عليه ما السلام ألف سنة وبين موسى وعيسى عليه ما السلام ألف سنة فكيف
 يمكن أن يتفوه به عاقل (أفلا تعقلون) أى ألا تتفكرون فلا تعقلون بطلان مذهبكم أو تقولون ذلك
 فلا تعقلون بطلانه (ها أنتم هؤلاء) جملة من مبتدأ وخبر صدرت بصرف التنبيه ثم بينت بجملة مستأنفة
 اشعاراً بأكال غفلتهم أى أنتم هؤلاء الاشخاص الحق حيث حاجتهم فيما لكم به علم فى الجملة حيث وجدتموه

في التوراة والانجيل (فلم يحاجون فيما ليس لكم به علم) أصلاً إذ لا ذكر لذين إبراهيم في أحد الكتابين قطعا وقيل
هؤلاء بمعنى الذي وحاجتهم منه وقيل ها أنتم أصله أنتم على الاستفهام للتعجب قلبت الهمزة هاء (والله يعلم)
ما حاجتكم فيه أو كل شيء قد دخل فيه ذلك دخولا أوليا (وانتم لا تعلمون) أي محل النزاع أو شيئا من الأشياء
التي من جلتها ذلك (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا) تصریح بمناطيق به البرهان المقرر (ولكن كان
حنيفاً) أي ما تلاءم العقائد الرائقة كلها (مسلياً) أي منفاداً لله تعالى وليس المراد أنه كان على ملة الاسلام
واللاشترك الا لزام (وما كان من المشركين) تعريض بأنهم مشركون بقولهم عزير ابن الله والمسيح
ابن الله ورد لا دعاء المشركين أنهم على ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام (أن أولى الناس بإبراهيم) أي أقربهم
إليه وأخصهم به (للدن اتباعوه) أي في زمانه (وهذا النبي والذين آمنوا) لموافقته له في أكثر ما شرع لهم
على الأصالة وقرئ والنبي بالنصب عطفاً على الضمير في اتباعوه وبالخر عطفاً على إبراهيم (والله ولي المؤمنين)
ينصرهم ويحاربهم الحسني بإيمانهم وتخصيص المؤمنين بالذكر ليشب الحكم في النبي صلى الله عليه وسلم
بدلالة النص (ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم) نزلت في اليهود حين دعوا حذيفة وعماراً ومعاذاً
إلى اليهودية ولو بمعنى أن (وما يضلون إلا أنفسهم) جملة حالية جى بها للدلالة على كمال رسوخ الخطابين
وشباتهم على ما هم عليه من الدين القويم أي وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا اليهم لما أنه بضاعف به
عذابهم وقيل وما يضلون إلا أمثالهم ويأباه قوله تعالى (وما يشعرون) أي باختصاص وباله وضرره بهم
(يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) أي بما نطق به التوراة والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم (وانتم تشهدون) أي والحال أنكم تشهدون أنها آيات الله أو بالقرآن وأنتم تشهدون نعتيه
في الكتابين أو تعلمون بالمعجزات أنه حق (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) بتعريفكم وإبراز الباطل
في صورته أو بالتقصير في التمييز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء أي تلبسون الحق مع
الباطل كافي قوله عليه السلام كلابس ثوبي زور (وتشهدون الحق) أي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته
(وانتم تعلمون) أي حقيقته (وقالت طائفة من أهل الكتاب) وهم رؤسائهم ومفسدوهم لاعتقائهم
(آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا) أي أظهروا الايمان بالقرآن المنزل عليهم (وجه النهار) أي قوله
(واكفروا) أي أظهروا ما نتم عليه من الكفر به (آخرون) مرثئين لهم أنهم آمنتم به بادئ الرأي من غير
تأمل ثم تأملت فيه فوقفتم على خلل رأيكم الأول فرجعتم عنه (لعلهم) أي المؤمنين (يرجعون) عما هم
عليه من الايمان به كارجعتم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قال لا يصحبا
لما حوت القبة آمنوا بما أنزل عليهم من الصلاة إلى الكعبة وصلوا إليها أول النهار ثم صلوا إلى الصخرة آخرون
لعلهم يقولون هم أعلم منا وقد رجعوا فارجعوا وقرئ هم اثنا عشر رجلاً من أجراء خيبر تقاضوا بأن يدخلوا
في الاسلام أول النهار ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمداً بالنع الذي ورد في التوراة
أهل أصحابه يشكون فيه (ولا تؤمنوا) أي لا تقروا بصديق قلبي (الامن سبع ديسكم) أي لا هلى
ديسكم ولا تطهروا ايمانكم وجه النهار الامن كان على ديسكم من قبل فان رجوعهم أوجب وأهم (قل ان
المهدي هدى الله) يهدي به من يشاء إلى الايمان ويثبت عليه (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم) متعلق بمحذوف
أي دبرتم ذلك وقلتم لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو بلا تؤمنوا أي ولا تطهروا ايمانكم بأن يؤتى أحد مثل
ما أوتيتم الا لاشياعكم ولا تقتضوه إلى المسلمين لتلازيم شائهم ولا إلى المشركين لتلايدعهم إلى الاسلام
وقوله تعالى قل ان المهدي هدى الله اعتراض مفيد ليكون كيدهم غير مجد لطائل أو خبر ان على أن هدى الله
بدل من المهدي وقرئ أن يؤتى على الاستفهام التقريبي وهو مؤيد للوجه الأول أي لأن يؤتى أحد بالغ
دبرتم وقرئ ان على أنها نافية فيكون من كلام الطائفة أي ولا تؤمنوا الامن تبع ديسكم وقولوا لهم ما يؤتى أحد
مثل ما أوتيتم (أو يحاجوكم عند ربكم) عطف على أن يؤتى على الوجهين الأولين وعلى الثالث معناه حتى
يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حججتكم والواضع أحد لأنه في معنى الجمع اذ المراد به غير أشاعهم (قل ان
الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) وذلهم وباطل لما زعموه بالجهة الباهرة (يختص برحمته)
أي يجعل رحمته مقصورة على (من يشاء والله ذو الفضل العظيم) كلاهما تذييل لما قبله مقرر لمضمونه

قوله وقرئ والنبي أصل العبارة
للبيضاوي قال الشهاب وفيها
تسمع أي وقرئ وهذا النبي كافي
الكشاف اهـ

(ومن اهل الكتاب) شروع في بيان خيانتهم في المال بعد بيان خيانتهم في الدين والجوار والمجور في محل
الرفع على الابتداء سبحان من تحققه في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الخ خبره قوله تعالى (من
ان تأمنه بظن يورده اليك) على أن المقصود بيان انصافهم بضمون الجملة الشرطية لا سبحان كونهم ذوات
المذكورين كأنه قيل بعض اهل الكتاب بحيث ان تأمنه بظن رآى بمال كثير يورده اليك كعبدا لله بن
سلام استودعه قرشي ألفا ومائتي أوقية ذهباً فآذاه اليه (ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يورده اليك)
كفخص بن عازوراء استودعه قرشي آخر ديناراً فجحده وقيل المأمونون على الكثير انصاري اذ الغالب
فيهم الامانة والخائون في القليل اليهود اذ الغالب فيهم الخيانة (الا مادمت عليه قائماً) استثناء مفرغ
من اعم الاحوال أو الاوقات أي لا يورده اليك في حال من الاحوال أو في وقت من الاوقات الا في حال دوام
قيامك أو في وقت دوام قيامك على رأسه مبالغاً في مطالبة بالتقاضي واقامة البيعة (ذلك) اشارة الى
ترك الاداء المدلول عليه بقوله تعالى لا يورده وما فيه من معنى البعد للايدان بكمال غلوهم في الشر والفساد
(بأنهم) أي بسبب أنهم (قالوا ليس علينا في الايتين) أي في شأن من ليس من اهل الكتاب (سبيل) أي
عتاب ومواخذة (ويقولون على الله الكذب) بادعائهم ذلك (وهم يعلمون) أنهم كاذبون مفترون على
الله تعالى وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل في التوراة في حقهم حرمة وقيل عامل اليهود رجلاً
من قريش فلما أسلموا تفاوضهم فقالوا اسقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا أنه كذلك في كتابهم وعن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عند نزولها كذب أعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي
الا لامة قائمها مؤداة الى البر والفاجر (بلى) اثبات لما نقوه أي بلى عليهم فيهم سبيل وقوله تعالى
(من أوفى بعهده وائتي فان الله يحب المتقين) استئناف مقرر للجمله التي سبقت بلي مستهها والضمير المجرور
لمن أو لله تعالى وعموم المتقين نائب مناب الراجع من الجزاء الى من ومشعر بيان التقوى ملاك الامر عام للوفاء
وغيره من أداء الواجبات والاجتناب عن المناهي (ان الذين يشتركون) أي يستبدلون ويأخذون (بعهد الله)
أي بدل ما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم والوفاء بالامانات (وأيمانهم) وما حلقوا به من
قولهم والله انؤمنن به ولننصرنه (ثمنا قليلاً) هو حطام الدنيا (اولئك) الموصوفون بتلك الصفات القبيحة
(لا خلاق) لانصيب (لهم في الآخرة) من نعمها (ولا يكلمهم الله) أي بما يسرهم أو بشئ اصلاً وانما يقع ما يقع
من السؤال والتوبيخ والتقريع في أثناء الحساب من الملائكة عليهم السلام أو لا يتفجعون بكلمات الله تعالى
وآياته والنظار أن كفاية عن شدة غضبه وسخطه نعوذ بالله من ذلك لقوله تعالى (ولا ينظر اليهم يوم القيامة)
فانه مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم متفرع على الكفاية في حق من يجوز عليه النظر لان من اعتد
بالانسان التفت اليه وأعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثمة نظر
ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجزء المعنى الاحسان مجازاً عما وقع كفاية عنه فيمن يجوز عليه النظر ويوم القيامة
متعلق بالفعلين وفيه تهويل للوعيد (ولا ينصرونهم) أي لا يثني عليهم أو لا يظهرونهم من اوضاع الازار
(ولهم عذاب أليم) على ما فعلوه من المعاصي قيل انها نزلت في أبي رافع ولبابه بن أبي الحقيق وحي بن
اخطب عرفوا التوراة وبنوا ذوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذوا الرشوة على ذلك وقيل نزلت
في الاشعث بن قيس حيث كان بينه وبين رجل نزاع في بئر فاختصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
شاهدنا أو عينه فقال الاشعث اذن يحلف ولا يبالى فقال صلى الله عليه وسلم من حلف على عين يستحق بها
مالا هو فيها فاجرائ الله وهو عليه غضبان وقيل في رجل أقام ساعة في السوق لحلف لقد اشتراها بمال يكن
اشترائها به (واي منهم) أي من اليهود المجترئين (لفريقاً) ككعب بن الاشرف ومالك بن الصيف
وأضرأيمهما (يلوون السخيم بالكتاب) أي يقتلونهم بقراءته فيملونها عن المنزل الى المحرف أو يعطفونها
بشبه الكتاب وقرئ يلقون بالشديد ويلوون بقلب الواو المضومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها
على ما قبلها من الساكن (انصبوه) أي المحرف المدلول عليه بقوله تعالى يلوون الخ وقرئ بالياء والضمير
للمسلمين (من الكتاب) أي من حظه وقوله تعالى (وما هو من الكتاب) حال من الضمير المنصوب أي
والحال أنه ليس منه في نفس الامر وفي اعتقادهم أيضاً (ويقولون) مع ما ذكر من التي والضمير على

طريقة التصريح بالالتورية والتعريض (هو) أي المحترف (من عند الله) أي منزل من عند الله (وما هو من عند الله) حال من ضمير المبتدأ في الخبر أي والحال أنه ليس من عنده تعالى في اعتقادهم أيضا وفيه من المبالغة في تشنيعهم وتقبيح أمرهم وكالجرأتهم ما لا يخفى واطهرا الاسم الجليل والكتاب في محل الإضمار لتحويل ما أقدموا عليه من القول (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) أنهم كاذبون ومفترون على الله تعالى وهوناً مكيداً وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الأشرف وغيره التوراة وكتبوا كتاباً بآية لو أفيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذت قرينة ما كتبوا المخطوطة بالكتاب الذي عندهم (ما كان لبشر) بيان لافتراءهم على الأنبياء عليهم السلام حيث قال نصارى نجران إن عيسى عليه السلام أمرنا أن نتخذه رباً حاشاء عليه السلام وإبطال له أثره بيان افتراءهم على الله سبحانه وإبطاله أي ما صح وما استقام لأحد وإنما قيل لبشر أشعاراً بعله الحكم فإن البشرية منافية للامر الذي أسنده الكفرة اليهم (أن يؤتية الله الكتاب) الناطق بالحق الأمر بالتوحيد الناهي عن الإشراك (والحكم) الفهم والعلم والحكمة وهي السنة (والنبوة) ثم يقول ذلك البشر بعد ما شرفه الله عز وجل بما ذكر من التشريفات وعرفه الحق وأطلعه على شؤنه العلية (للناس كونه عباداً لي) الحارمة متعلق بمحذوف هو صفة عباد أي عباداً كائناً لي (من دون الله) متعلق بلفظ عباد المأفية من معنى الفعل أو صفة ثانية له ويحتمل الحالية انحصار التكررة بالوصف أي متجاوزين الله تعالى سواء كان ذلك استقلالاً أو اشتراكاً فإن التجاوز متحقق فيها حقاً قيل إن أبا رافع القرظي والسيد التبراني قال لا رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريد أن نعبدك ونخضع لك رباً فقال عليه السلام معاذ الله أن يعبد غير الله تعالى وأن تأمر بعبادة غيره تعالى فما ينالك بعثنى ولا بد لك أمر في فزئت وقيل قال رجل من المسلمين يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعض أفلان نسجد لك قال عليه السلام لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله تعالى ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله (ولكن كونوا) أي ولكن يقول كونوا (ربانيين) الرباني منسوب إلى الرب بزيادة الالف والنون كاللبياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل الشديد التمسك بطاعة الله عز وجل ودينه (بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) أي بسبب منابر تكلم على تعليم الكتاب ودراسته أي قراءته فإن جعل خبر كان مضارعاً لافادة الاستمرار التجدد وتكرير بما كنتم للأيان باستقلال كل من استمرار التعليم واستمرار القراءة بالفضل وتحصيل الربانية وتقديم التعليم على الدراسة لزيادة شرفه عليها أو لأن الخطاب الأول لرؤسائهم والثاني لمن دونهم وقرئ تعلمون بمعنى عالين وتدرسون من التدريس وتدرسون من الادراس بمعنى التدريس كما كرم بمعنى كرم ويجوز أن تكون القراءة المشهورة أيضاً بهذا المعنى على تقدير بما تدرسونه على الناس (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً) بالنصب عطفاً على ثم يقول ولا هي زيادة لتأكيد معنى النبي في قوله تعالى ما كان لبشر أي ما كان لبشر أن يستنبه الله تعالى ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر بالتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً وتوسيط الاستدراك بين المعطوفين للمسارة إلى تحقيق الحق ببيان ما يليق بشأنه ويحق صدوره عنه أثر تنزيهه عما يليق بشأنه ويمتنع صدوره عنه وأما ما قيل من أنها غير مزيدة على معنى أنه ليس له أن يأمر بعبادته ولا يأمر بالتخاذ أكتفائه أرباباً بل ينهي عنه وهو أدنى من العبادة فيقضي بفساد ما ذكر من توسيط الاستدراك بين الجملتين المتعاطفتين ضرورة أنهما حينئذ في حكم جملة واحدة وكذا قوله تعالى (أيا أمركم بالكفر) فانه صريح في أن المراد بيان انتفاء كلا الأمرين فعدا لبيان انتفاء الأول لا انتفاء الثاني وبعضه قراءة الرفع على الاستئناف وتجاوز الحالية بتقدير المبتدأ أي وهو لا يأمركم إلى آخره بين الفساد لما عرفته آنفاً وقوله تعالى (بعداً) أي ثم يدل على أن الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون للعبادة عليه السلام (وأخذ الله ميثاق النبيين) منصوب بمنهم خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم أي إذ كروا أخذت تعالى ميثاقهم (لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به وتنصرنه) قيل هو على ظاهره وإذا كان هذا حكم الأنبياء عليهم السلام كان الأمر بذلك أولى وأحرى وقيل معناه أخذ الميثاق من النبيين وأمرهم واستغنى بذلك عن ذكرهم وقيل إضافة الميثاق إلى النبيين إضافة إلى الفاعل والمعنى وإذا أخذ الله الميثاق الذي وثقه الأنبياء على أمهم وقيل المراد أولاد النبيين على حذف

المضاف وهم بنو اسرائيل أو سماهم نبين تكليمهم لانهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم
لانا اهل الكتاب والنيبون كانوا منا واللام في الما موطنة لا قسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما تحتل
الشرطية ولتؤمنن ساذمستجواب القسم والشرط وتحتل الخبرية وقرئ لما بالكسر على أن ما مصدرية أى
لاجل ايتاءى اياكم بعض الكتاب ثم لحي رسول مصدق أخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه أو موصولة والمعنى
أخذه للذى آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم أولم اجل ما آتيتكم على أن أصله
لمن ما بالادغام مخذف احدى الميمات الثلاث استنقالا (قال) أى الله تعالى بعدما أخذ الميثاق (أقررتم)
بما ذكر (وأخذتم على ذلككم اصرى) أى عهدى سعى به لانه يؤصر أى يشد وقرئ بضم الهمزة وهى
أما لغة فيه كعبر وعبر أو جمع اصار وهو ما يشد به (قالوا) استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل فاذ قالوا
عند ذلك فقبل قالوا (أقررنا) وانما لم يذكر أخذهم الاصر اكتفاء بذلك (قال) تعالى (فاشهدوا) أى
فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة (وأنا معكم من الشاهدين) أى وأنا أيضا على
اقراركم ذلك وتشاهدكم شاهد وادخل مع على مخاطبين لما أنهم المباشرون للشهادة حقيقة وفيه من التأكيد
والتحذير ما لا يخفى (نحن نولى) أى أعرض عما ذكر (بعد ذلك) الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فعنى
البعد فى اسم الإشارة لتفخيم الميثاق (فأولئك) إشارة الى من واجتمع باعتبار المعنى كما أن الافراد فى نولى
باعتبار اللفظ وما فيه من معنى البعد لدلالة على تراهى أمرهم فى السوء وبعد منزلتهم فى الشر والفساد أى
فأولئك المتولون المتصفون بالصفات القبيحة (هم الفاسقون) المتمردون الخارجون عن الطاعة من الكفرة
فان الفاسق من كل طائفة من كان متجاوزا عن الحد (افغريدين الله يغون) عطف على مقدر أى يتولون
فيغون غير دين الله وتقديم المفعول لانه المقصود انكاره أو على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما لانكار
وقرئ بناء الخطاب على تقدير وقل لهم (وله اسلم من فى السموات والارض) جملة حالية مفيدة لو كادة
الانكار (طوعا وكرها) أى طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعابنة ما يلجئ الى الاسلام
كسحق الجبل وادراك الفرق والاشراف على الموت أو مختارين كالملائكة والمؤمنين ومضجرين كالكفرة فانهم
لا يقدر على الامتناع عما قضى عليهم (واليسير رجعون) أى من فهمما والجمع باعتبار المعنى وقرئ بناء
الخطاب والجملة انما معطوفة على ما قبلها منصوبة على الحالية وانما مستأنفة سبقت للتديد والوعيد (قل آمنا
بالله) أمر للرسول صلى الله عليه وسلم بأن يجبر عن نفسه ومن معه من المؤمنين بالايان بما ذكر ورجع الضمير
فى قوله تعالى (وما أنزل علينا) وهو القرآن لما أنه منزل عليهم ايضا توسط تبليغه اليهم أولان المنسوب الى
واحد من الجماعة قد يقب الى الكل أو عن نفسه فقط وهو الانسب بما بعده والجمع لاظهار جلالة قدره عليه
السلام ورقة محله بأمره بأن يتكلم عن نفسه على دين الملوك ويجوز أن يكون الامر عاما والافراد اشترى فيه
عليه السلام والايان بأنه عليه السلام أصل فى ذلك كما فى قوله تعالى يا أيها النبي اذا طلقتم النساء (وما أنزل
على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط) من العصف والتزول كما يمدى بالى لانهما الى الرسل
يمدى بهلى لانه من فوق ومن رام الفرق بأن على لكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والى لكون الخطاب
للمؤمنين فقد تعسف ألا يرى الى قوله تعالى بما أنزل اليك الخ وقوله آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا الخ وانما
قدم المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم على ما أنزل على سائر الرسل عليهم السلام مع تقدمه عليه نزولا لانه
المرتف له والعبارة عليه والاسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام وأبناءؤه
الاثنا عشر وذرايرهم فانهم حفدة ابراهيم عليه السلام (وما اوتى موسى وعيسى) من التوراة والانجيل وسائر
المعجزات الظاهرة بأيديهم كما ينبغي عنه ايتاء الايتاء على الانزال الخاص بالكتاب وتخصيصهما بالذكريا أن
الكلام مع اليهود والنصارى (والنيبون) عطف على موسى وعيسى عليهم السلام أى وما اوتى النيبون
من المذكورين وغيرهم (من ربه) من الكتب والمعجزات (لانفرق بين أحد منهم) كدأب اليهود والنصارى
آمنوا ببعض وكفروا ببعض بل تؤمن بصفة نبوة كل منهم وبصفة ما أنزل اليهم فى زمانهم وعدم التعرض لثنى
التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور اياه وقد مر تفصيله فى تفسير قوله تعالى لانفرق بين أحد من رسله وهمزة
أحدا تأملية فهو اسم موضوع ان يصلح أن يخاطب بمستوى فيه المفرد والمثنى والجمع والمذكور والمؤنث

ولذلك صح دخول بين عليه كما في مثل المال بين الناس وأما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه وقوعه في حيز النقي وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره أي بين أحد منهم وغيره كما في قول النابغة

فما كان بين الخير أذبا سالما * أبو حجر الألبال فلائلا

أي بين الخير وبين (و نحن له مسلمون) أي منقادون أو مخلصون له تعالى أنفسنا لا نجعل له شريكا فيها وفيه تعريض بآيات أهل الكتاب فإنه بمنزل من ذلك (ومن يتبع غير الإسلام) أي غير التوحيد والاعتقاد لحكم الله تعالى كدأب المشركين صريحاً والمؤمنين للتوحيد مع إشراكهم كأهل الكتابين (دينا) يتعلل إليه وهو نصب على أنه مفعول ليتبع وغير الإسلام حال منه لما أنه كان صفة له فلما قدمت عليه انتصبت حالاً أو هو المفعول ودينا تمييز لما فيه من الإيهام أو بديل من غير الإسلام (فلن يقبل) ذلك (منه) أبا بل يراد أشد رد وأقبحه وقوله تعالى (وهو في الآخرة من الخاسرين) أما حال من الضمير المجرور واستثناف لا محال له من الأعراب أي من الواقعين في الخسران والمعنى أن المعرض عن الإسلام والطالب لغيره فاقدر للنفع واقع في الخسران بإبطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها وفي ترتيب الرد والخسران على مجزئ الطلب دلالة على أن حال من تدين بغير الإسلام واطمأن بذلك أفضح وأقبح واستدل به على أن الإيمان هو الإسلام أذلو ~~كان~~ غيره لم يقبل والجواب أنه ينفي قبول كل دين بغيره لا قبول كل ما يغيره (كيف يهدي الله) إلى الحق (قوما كفروا بعد إيمانهم) قيل هم عشرة رهط ارتدوا بعد ما آمنوا ولحقوا بكمه وقيل هم يهود قرظة والنضير ومن دان بدينهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد أن كانوا مؤمنين به قبل مبعضه (وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات) استبعاد لأن يهديهم الله تعالى فإن الحائذ عن الحق بعدما وضح له منهلك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وإنكار له وذلك يقتضي أن لا تقبل نوبة المرتد وقوله تعالى وشهدوا عطف على إيمانهم باعتبار انحلاله إلى جملة فعلية كما في قوله تعالى إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله الخ فإنه في قوة أن يقال بعد أن آمنوا أو حال من ضمير كفروا باضمار قد وهو دليل على أن الإقرار باللسان خارج عن حقيقة الإيمان (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي الذين ظلموا أنفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الإيمان فكيف من جاء الحق وعرفه ثم أعرض عنه والجملة اعتراضية أو حالية (اولئك) إشارة إلى المذنبين باعتبار انصافهم بما مر من الصفات الشنيعة وما فيه من معنى البعد لما مر مراراً وهو مبتدأ وقوله تعالى (برأؤهم) مبتدأ ثان وقوله تعالى (أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) خبر والجملة خبر لا وثلك وهذا يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق بينهم وبين غيرهم أنهم مطبوع على قلوبهم ممنوعون عن الهدى آيسون من الرحمة رأساً بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون أو الكل فإن الكافر أيضاً يلحق بمنكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه (خالد في فيها) في اللعنة أو العقوبة أو النار وإن لم تذكر دلالة الكلام عليها (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم يتطرون) أي يهلكون (الذين تابوا من بعد ذلك) أي من بعد الارتداد (وأصلحوا) أي ما أفردوا أو دخلوا في الصلاح (فإن الله غفور رحيم) فيقبل توبتهم ويفضل عليهم وهو تعليل لما دل عليه الاستثناء وقيل نزلت في الحرث بن سويد حين ندم على رذته فأرسل إلى قومه أن يسألوا أهل من نوبة فأرسل إليه أخوه الحلام الآية فرجع إلى المدينة فتاب (ان الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً) كالهمود كفروا بعيسى عليه السلام والانجيل بعد الإيمان بعيسى عليه السلام والتوراة ثم ازدادوا كفراً حيث كفروا بمحمد عليه الصلاة والسلام والقرآن أو كفروا به عليه السلام بعدما آمنوا به قبل مبعضه ثم ازدادوا كفراً بالاصرار عليه والطعن فيه والصدة عن الإيمان ونقض الميثاق أو كقوم ارتدوا واطلقوا بكمه ثم ازدادوا ~~كفراً~~ فراقبوا لهم تتر بص به ريب المنون أو ترجع إليه فتناقه باظهار الإيمان (لن تقبل توبتهم) لأنهم لا يتوبون الا عند اشراقهم على الهلاك فكفى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظاً في شأنهم وإبراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة أولان توبتهم لا تكون اتفاقاً لارتدادهم وازديادهم كفراً ~~لذلك~~ لم تدخل فيه النساء (وأولئك هم الضالون) الضالون على الضلال (ان الذين كفروا وما نوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم على الأرض ذهاباً ولو اقتدى به) لما كان الموت على الكفر سبباً لا متناع قبول القدية

زيدت الفاء ههنا للاشعار به ومل التي ما يلايه وذها تميز وقرئ بالرفع على أنه بدل من مل أو خبر لحدوق
ولو افتدى محمول على المعنى كأنه قيل فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بمل الأرض ذهاباً ومعطوف
على مضمر تقديره فلن يقبل من أحدهم مل الأرض ذهاباً لو تصدق به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب
في الآخرة أو المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه والمثل يحذف
ويراد كثيراً لأن المثليين في حكم شيء واحد (اولئك) إشارة إلى المذكورين باعتبار انصافهم بالصفات الشنيعة
المذكورة (لهم عذاب أليم) مؤلم اسم الإشارة مبتدأ والطرف خبره ولا اعتماد على المبتدأ الرفع به عذاب أليم
على الفاعلية (ومالهم من ناصرين) في دفع العذاب عنهم أو في تحقيقه ومن حريدة للاستغراق وصيغة الجمع
لمراعاة الضمير أي ليس لواحد منهم ناصر واحد (لن تنالوا البر) من ناله نيلاً إذا أصابه والخطاب للمؤمنين وهو
كلام مستأنف سيقى إيمان ما يتفق المؤمنين ويقبل منهم اثريان ما لا يتفق الكفرة ولا يقبل منهم أي إن تبلغوا
حقيقة البر الذي يتنافس فيه المتنافسون ولن تدركوا شأوه ولن تلحقوا بزمرة الأبرار أولن تنالوا بر الله تعالى
وهو ثوابه ورحمته ورضاه وجنته (حتى تنفقوا) أي في سبيل الله عز وجل رغبة فيما عنده ومن في قوله تعالى
(عما يحبون) تبعيضية ويؤيده قراءة من قرأ بعض ما يحبون وقيل بانية ومأموصولة أو موصوفة أي عما يحبون
ويحبكم من كرائم أموالكم وأحبها إليكم كما في قوله تعالى أنفقوا من طيبات ما كسبتم أو عما يبعدها وغيرهما من
الاعمال والمهجة على أن المراد بالانفاق مطلق البذل وفيه من الأيذان بعزلة منال البر ما لا يخفى وكان السلف
رضي الله عنهم إذا أحبوا شيئاً جعلوه لله عز وجل وروى أنهم لما نزلت جاء أبو طلحة فقال يا رسول الله إن أحب
أموالي إلى يبرح فضعها يا رسول الله حيث أرا الله فقال عليه السلام مع مني ذال مال رائج أو راجح وإن أرى
أن تجعلها في الأقربين فقد سمعني أباي وجاء يزيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد فكان زيد أوجداً في نفسه وقال إنما أردت أن أتصدق به فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم أما إن الله تعالى قد قبلها منك قيل وفيه دلالة على أن انفاق أحب الأموال على أقرب
الأقارب أفضل وكتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري أن يشتري له جارية من سبي جلولاء يوم فحمت
مدائن كسرى فلما جاءت إليه أعجبه فقال إن الله تعالى يقول إن تنالوا البر حتى تنفقوا عما يحبون فأنفقها
وروى أن عمر بن عبد العزيز كانت لزوجه جارية بارعة الجمال وكان عمر راغباً فيها وكان قد طلبها منها حراراً فلم
تعهها إياه ثم لما ولى الخلافة فنفقها وأرسلها إليه فقالت قد وهبتك لها يا أمير المؤمنين فلتخذ منك قال من أين
ملكته قالت جئت بها من بيت أبي عبد الملك ففقدت عن كيفة تملكها ياها فقيل إنه كان على فلان العامل
ديون فلما توفي أخذت من تركته ففقدت عن مال العامل وأحضر ورثته وأرضاهم جميعاً باعطاء المال ثم توجه
إلى الجارية وكان يهواها هوى شديداً فقال أنت حرة لوجه الله تعالى فقالت لم يا أمير المؤمنين وقد أزوجت عن
أمرها كل شبهة قال لست أذن ممن نهى النفس عن الهوى (وما تنفقوا من شيء) ما شرطية جازمة لتنفقوا
متنصبة به على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف هو صفة لاسم الشرط أي شيء تنفقوا كالتام من
الاشياء فإن المفرد في مثل هذا الموضع واقع موقع الجمع وقيل محل الجار والمجرور نصب على التمييز أي شيء
تنفقوا طيباً تحبونه أو خبيثاً تكرهونه (فإن الله به عليم) تعليل لجواب الشرط واقع موقعه أي فبما زيكم
بحسبه جيداً كان أو ردياً فإنه تعالى عليم بكل شيء تنفقونه علماً كاملاً بحيث لا يخفى عليه شيء من ذاته وصفاته
وتقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل وفيه من الترغيب في انفاق الجيد والتذكير عن انفاق الردي ما لا يخفى
(كل الطعام) أي كل أفراد المطعوم أو كل أنواعه (كان حلالاً لى إسرائيل) أي حلالاً لهم فإن الحلال مصدر
نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كما في قوله تعالى لا هن حل لهم (الاما حرم إسرائيل
على نفسه) استثناء متصل من اسم كان أي كان كل المطعوم حلالاً لى إسرائيل (الاما حرم إسرائيل
أي يعقوب عليه السلام على نفسه وهو لحوم الأبل والأبناهي قيل كان به وجع التسانف ذرائع شتى لا ياكل أحب
الطعام إليه وكان ذلك الله أحبه إليه وقيل فعل ذلك للتداوى بأشياء الأطباء واحتج به من جوز للنبى الاجتهاد
وللمنافع أن يقول كان ذلك باذن من الله تعالى فيه فهو كتحريمه ابتداء (من قبل أن تنزل التوراة) متعلق بقوله
تعالى كان حلالاً ولا ظير في توسط الاستثناء بينهما وقيل متعلق بحرم وفيه أين تقييد بتحريمه عليه السلام بقبلية

تنزيل التوراة ليس فيه مزيد فائدة أى كان ما عدا المستثنى حلالا لهم قبل أن تنزل التوراة مشقة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيتهم عقوبة لهم وتشديد أو هو رد على اليهود في دعواهم البراءة عما نعى عليهم قوله تعالى فيظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآيتين بأن قالوا السناقول من حرمت عليه وإنما كانت محترمة على نوح وإبراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الأمر إلىنا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وتبكت لهم في منع النسخ والطعن في دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم موافقته لإبراهيم عليه السلام بتخليله لحوم الأبل والأبناها (قل فأنا بالتوراة فاتلوها) أمر عليه السلام بأن يحاجهم بكتابهم الناطق بأن تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث مترتب على ظلمهم وبغيتهم كما ارتكبوا معصية من المعاصي التي اقترعوها حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم ويكفهم إخراجهم وتلاوته ليبيكتهم ويأقمهم الجور ويظهر كذبهم وأظهر اسم التوراة لكون الجلة كلاما مع اليهود منقطع عما قبله وقوله تعالى (إن كنتم صادقين) أى في دعواكم أنه تحريم قديم وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه أى إن كنتم صادقين فأنا بالتوراة فاتلوها فإن صدقكم بما يدعوكم إلى ذلك البتة روى أنهم لم يجسر وأعلى إخراج التوراة فبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك من الجملة النيرة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وجواز النسخ الذي يجحدونه ما لا يخفى والجلة مستأنفة مقررة لما قبلها (فإن افتري على الله الكذب) أى اختلقه عليه سبحانه برزعه أنه حرم ما ذكر قبل نزول التوراة على بني إسرائيل ومن تقدمهم من الأمم (من بعد ذلك) من بعدهم ما ذكر من أمرهم بإحضار التوراة وتلاوتها وما ترتب عليه من التبيكت والالزام والتقيد به لدلالة على كمال القبح (فأولئك) إشارة إلى الموصول باعتبار إقصاءه بما في حيز الصلة والجمع باعتبار معناه كما أن الأفراد في الصلة باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للإيذان بعدم منزلتهم في الضلال والطغيان أى فأولئك المصريون على الافتراء بعدما ظهرت حقيقة الحال وضائق عليهم حيلة الهجاء والجدال (هم الظالمون) المفرطون في الظلم والعدوان المبدعون فيهما والجلة مستأنفة لا محل لها من الأعراب مسوقة من جهته تعالى لبيان كمال عتوهم وقيل هي في محل النصب داخله تحت القول عطفًا على قوله تعالى فأنا بالتوراة (قل صدق الله) أى ظهر وثبت صدقه تعالى فيما أنزل في شأن التحريم وقيل في قوله تعالى ما كان إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا ولا مشركًا أى ظهر من الشؤن وهو داخل في ذلك دخولًا أوليًا وفيه تعريض بكذبهم الصريح (فاتبعوا ملة إبراهيم) أى ملة الإسلام التي هي في الأصل ملة إبراهيم عليه السلام فانكم ما كنتم متبعين لملته كما تزعمون أو فاتبعوا ملة الله حق تخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم إلى التعريف والمكابرة وتلفيق الكاذب لتسوية الأغراض الدينية الدنيوية وألزمتمكم تحريم طيبات محللة لإبراهيم عليه السلام ومن تبعه والفاء للدلالة على أن ظهور صدقه تعالى موجب للاتباع وترك ما كانوا عليه (حقيقًا) أى ما تلاعن الأديان الزائفة كلها (وما كان من المشركين) أى في أمر من أسود دينه أصلاً وفرعاً وفيه تعريض بإشراك اليهود وتصریح بأنه عليه السلام ليس بينه وبينهم علاقة دينية قطعا والغرض بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم على دين إبراهيم عليه السلام في الأصول لأنه لا يدعو إلا إلى التوحيد والبراءة عن كل معبود سواه سبحانه وتعالى والجلة تنذيل لما قبلها (إن أول بيت وضع للناس) شروع في بيان كفرهم ببعض آخر من شعائر ملته عليه السلام إثريان كفرهم بكون كل المطعومات حلاله عليه السلام وروى أنهم قالوا بيت المقدس أعظم من الكعبة لأنه مهاجر الأنبياء وفي الأرض المقدسة وقال المسلمون بل الكعبة أعظم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت أى أن أول بيت وضع للعبادة وجعل متعبد لهم والواضع هو الله تعالى ويؤيد القراءة على البناء للفاعل وقوله تعالى (للهي سكة) خبر لآن وإنما أخبر بالمعرفة مع كون اسمها نكرة تخصصها بسببين الإضافية والوصفية بالجلة بعدها أى للبيت الذي سكة أى فيها وفي ترك الموصوف من التفخيم ما لا يخفى وبكة لغة في مكة فإن العرب تعاقب بين الباء والميم كافي قولهم ضربة لازب ولازم والخيط والتبيط في اسم موضع بالدهناء وقولهم أمر راتب وراتم وسيد رأسه وسعدا وأغبطت الحبي وأنعمت وهي علم للبلد الحرام من بكه إذا زجه لازجها للناس فيه وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضاً ولأنها بك أعناق الجبارة أى تدقها لم يصددها جبار الأقصم الله عز وجل وقيل بكه اسم لبطن مكة وقيل لموضع البيت وقيل للمسجد نفسه ومكة اسم للبلد كله وأيد هذا بأن التياك

وهو الازدحام انما يقع عند الطواف وقيل مكة اسم المسجد والمطاف وبكة اسم البلاد لقوله تعالى للذي بيكة
 مباركا روى أنه عليه السلام سئل عن أول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما
 فقال أربعون سنة وقيل أول من بناه ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقيل ادم عليه السلام وقد استوفينا
 ما فيه من الاقاويل في سورة البقرة وقيل أول بيت وضع بالشرف لابل زمان (مباركا) كثيرا الخير والنفع لما يحصل
 لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وهو حال من المستكن في الطرف
 لان التقدير للذي بيكة هو والعامل فيه ما قدر في الطرف من فعل الاستقرار (وهدي للعالمين) لانه قبلهم
 ومتعبد لهم ولان فيه آيات عجيبه دالة على عظيم قدرته تعالى وبانح حكمته كما قال (فيه آيات بينات) واضحات
 كاختراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار ومخالطة ضواري السباع الصبوع في الحرم من غير
 تعرض لها وقهر الله تعالى لكل مبارقة صده بسوء كاصحاب القيل والجملة مفسرة للهدى أو حال اخرى (مقام
 ابراهيم) أي أثر قدميه عليه السلام في الصخرة التي كان عليه السلام يقوم عليها وقت رفع الخجارة لبناء الكعبة
 عند ارتفاعه أو عند غسل رأسه على ما روى أنه عليه السلام جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امرأة
 اسمعيل عليه السلام انزل حتى أغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعه على شقه الايمن فوضع قدمه
 عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الاخر فبقى أثر قدميه عليه وهو اما
 مبتدأ حذف خبره أي منها مقام ابراهيم أو بدل من آيات يدل البعض من الكل أو عطف بيان اما وحده باعتبار
 كونه بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالاته على قدرة الله تعالى وعلى نبوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام
 كقوله تعالى ان ابراهيم كان أمة فانتا أبا اعتبارا شمله على آيات كثيرة فان كل واحد من أثر قدميه في حفرة صماء
 وغوصه فيها الى الكعبين والانه بعض الصنود دون بعض وبقائه دون سائر آيات الانبياء عليهم السلام وحفظه
 مع كثرة الاعداء ألوف سنة آية مستقلة وبوقيد القراءة على التوحيد واما بما يفهم من قوله عز وجل (ومن دخله
 كان آمنا) فانه وان كان جملة مستأنفة ابتداءية أو شرطية لكنها في قوة أن يقال وأمن من دخله فتكون
 بحسب المعنى والمآل موطوفة على مقام ابراهيم ولا يخفى أن الاثنين نوع من الجمع فيمكنني بذلك أو يحتمل على أنه
 ذكر من تلك الآيات اثنتان وطوى ذكر ما عداهما دلالة على كثرتها ومعنى أمن داخله آمنه من التعرض له كما
 في قوله تعالى أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابراهيم عليه السلام
 رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لبأ الى الحرم لم يطالب وعن عمرو بن عبد الله لو نظرت
 فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه ولذلك قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى من زنه القتل في الحل
 بخصاص أو ردة أو زنى فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا أنه لا يؤذى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبيع حتى يضطر الى
 الخروج وقيل آمنه من النار وعن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعنه
 عليه السلام الجحون والقيص يؤخذ باطرافهما ويتران في الجنة وهما مقبرة نامة والمدينة وعن ابن مسعود
 رضى الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الجحون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله
 تعالى من هذه البقعة ومن هذا الحرم كل سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدرى خلون الجنة بغير حساب
 يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على
 حر مكة ساعة من نهار تباعدت عنه جهنم مسيرة مائتي عام (وقته على الناس حج البيت) جملة من مبتدأ
 هوج البيت وخبره ووقته وقوله تعالى على الناس متعلق بما يتعلق به الخبر من الاستقرار أو بمحذوف هو حال
 من الضمير المستكن في الجار والعامل فيه ذلك الاستقرار ويجوز أن يكون على الناس هو الخبر وقته متعلق
 بما يتعلق به الخبر ولا يميل الى أن يتعلق بمحذوف هو حال من الضمير المستكن في على الناس لاستلزامه تقديم
 الحال على العامل المعنوي وذلك مما لا مسأغ له عند الجمهور وقد جوز ابن مالك اذا كانت هي ظرفا أو حرف
 جر وعاملها كذلك بخلاف الطرف وحرف الجر فانها متقدمة على عاملها المعنوي واللام في البيت لله
 وجهه قصد للزيارة على الوجه المخصوص المعهود وكسر الحاء لغة لمجد وقيل هو انهم المصدر وقرئ بضمها
 (من استطاع اليه سبيلا) في محل الجز على أنه بدل من الناس بدل البعض من الكل مخفض لعمومه فالضمير
 العائد الى المبدل منه محذوف أي من استطاع منهم وقيل بدل الكل على أن المراد بالناس هو البعض المستطيع

قوله لو جر الخ في بعض النسخ اذا
 جرم كل جريرة اه

فلا حاجة الى الضمير وقيل في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ من استطاع الخ وقيل في حيزا نصب
بتقدير أعني وقيل كلمة من شرطية والجزء المحذوف لدلالة المذکور عليه وكذا العائد الى الناس أى من
استطاع منهم اليه سبيل الله عليه حج البيت وقد رجع هذا يكون ما بعده شرطية والضمير المحرور في اليه راجع
الى البيت أو الى حج والجار متعلق بالسبيل قدم عليه اهتماما بشأنه كفا في قوله عز وجل فهدى الى خروج من
سبيل وهل الى امرء من سبيل لما فيه من معنى الافضاء والا يصال كيف لا وهو عبارة عن الوسيلة من مال
أو غيره فانه قد روى أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال السبيل الزاد والراحلة وروى ابن
عمر رضى الله عنهما أن رجلا قال يا رسول الله ما السبيل قال الزاد والراحلة وهو المراد بما روى أنه عليه السلام
فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وهكذا روى عن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم وعليه أكثر العلماء خلا أن
الشافعي أخذ بظاهره فأوجب الاستنابة على الزمن القادر على اجرة من ينوب عنه والظاهر أن عدم تعرضه عليه
السلام لعصاة البدن تطهيرا لأمرك كيف لا والمفرد في الحقيقة هو السبيل الموصل لنفس المستطيع الى البيت
وذا لا يتصور بدون العصاة وعن ابن الزبير أنه على قدر القوة ومذهب مالك أن الرجل اذا وثق بقوته لم يره وعنه
ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن
الغضائلي أنه اذا قدر أن يؤجر نفسه فهو مستطيع (ومن كفر) وضع من كفر موضع من لم يحج تأكيده للجواب
وتشديده على تاركه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا أو نصرانيا وروى عن علي بن
إبي طالب رضى الله عنه أنه عليه السلام قال في خطبته أيها الناس ان الله فرض الحج على من استطاع اليه
سبيلا ومن لم يفعل فليمت على أي حال شاء يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا (فان الله عني عن العالمين) وعن
عبادتهم هو حيث كان من كفر من جعلهم داخلين فيها دخولا أوليا كتنى بذلك عن الضمير الرابط بين الشرط والجزاء
واقدر حازت الآية الصكرية من فثون الاعتبار العربية عن كمال الاعتناء بأمر الحج والتشديد على تاركه
مالا مزيد عليه حيث اوترت صيغة الخبر الدالة على التحقق وأبرزت في صورة الجملة الاسمية الدالة على الثبات
والاستمرار على وجه يفيد أنه حق واجب لله سبحانه في ذم الناس لا انفكاك لهم عن أدائه والخروج عن عهده
وسلك بهم مسلك التعظيم ثم التخصيص والابهام ثم التبيين والابجال ثم التفصيل لما في ذلك من مزيد تحقيق
وتقرير وعبر عن تركه بالكفر الذي لا قبيح وراءه وجعل جزاءه استغناء تعالى المؤذن بشدة المقت وعظم
الخط لا عن تاركه فقط فانه قد ضرب عنه ضغما اسقاطا له من درجة الاعتبار واستهجا بما يذكره بل عن جميع
العالمين ممن فعل وتزلزل على نهاية شدة الغضب هذا وقال ابن عباس والحسن وعطاء رضى الله تعالى عنهم
ومن كفر أي بحذف فرض الحج وزعم أنه ليس بواجب وعن سعيد بن المسيب نزات في اليهود فانهم قالوا الحج
الى مكة غير واجب وروى أنه لما نزل قوله تعالى وقه على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
أهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وهم المساوون
وكفرت به خمس مائة قالوا لا تؤمن به ولا نصل اليه ولا نتحجه فبزل ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وسلم
حجوا قبل أن لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع الى السماء في الثالثة وروى حجوا قبل أن يمنع البرجانية
وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل أن ينبت في البادية شجرة لا تأكل منها دابة الا نفقت وعن عمر
رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما فوظروا (قل يا أهل الكتاب) هم اليهود والنصارى
وانما خاطبوا بعنوان أهلية الكتاب الموجبة للايمان به وبما يصدق من القرآن العظيم مبالغة في تقييد حالهم
في كفرهم بما وقوله عز وجل (لم تكفرون بآيات الله) توبيخ وانكار لأن يكون لكفرهم بها سبب
من الاسباب وتحقيق لما يوجب الاجتناب عنه بالكلمة والمراد بآياته تعالى ما يعم الآيات القرآنية التي
من جعلتها مآثلي في شأن الحج وغيره وما في التوراة والانجيل من شواهد نبوته عليه السلام وقوله تعالى
(واقفه شهيد على ما تعملون) حال من فاعل تكفرون مضيدة لتشديد التوبيخ وتأكيده الانكار واطهار الجلالة
في موقع الاضمار لترية المهابة وتحويل الخطب وصيغة المبالغة في شهيد لتشديد في الوعيد وكلمة ما التما عبارة
عن كفرهم أو هي على عمومها وهودا خل فيها دخولا أوليا والمعنى لا ي سبب تكفرون بآياته عز وجل والحال
أنه تعالى مبالغ في الاطلاع على جميع أعمالكم وفي هجاز انكم عليها ولا يرب في أن ذلك يستوجب أفضاء

ما نأثروا به من أسبابه بالكلية (قل يا أهل الكتاب) أمر بتوبيخهم بالاضلال اذ تروى بعضهم بالاضلال والتكبر
 للمبالغة في حمله عليه السلام على تفرعهم وتوبيخهم وتزلزله عطفه على الامر السابق للايدان باستقلالهما
 كما أن قطع قوله تعالى (لم تصدقوا) عن قوله تعالى لم تكفروا للاشعار بأن كل واحد من كفرهم وصددهم
 شناعة على حيالهما مستقلة في استنباع الملائمة والتقريع وتكرير الخطاب بعنوان اهلية الكتاب لتأكيد
 الاستقلال وتشديد التشديد فان ذلك العنوان كما يستدعي الايعان بما هو مصدق لما معهم يستدعي ترغيب
 الناس فيه فصددهم عنه في اقصى مراتب القباحة وليكون صددهم في بعض الصور بتعريف الكتاب والكفر
 بالآيات الدالة على نبوته عليه السلام وفري تصدون من اصدته (عن سبيل الله) أي ديشه الحق الموصل
 الى السعادة الابدية وهو التوحيد وملة الاسلام (من امن) مفعول تصدون قدّم عليه الجاز والمجرور للاهتمام
 به كانوا يفتنون المؤمنين ويختالون لصددهم منه ويمنعون من أراد الدخول فيه بجهدهم ويقولون ان صفته عليه
 السلام ليست في كتابهم ولا تقدمت البشارة به عندهم وقيل أنت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان
 بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا الى ما كانوا فيه (تفونها) على اسقاط الجاز وابصال
 الفعل الى المضمر كما في قوله - فتولى غلامهم ثم نادى * اطلبوا اصدكم أم جارا

بمعنى اصدكم أي تطلبون لسبيل الله التي هي اقوم السبل (عويجا) امر جاز بأن تطلبوا وعلى الناس
 ونوهوا أن فيه ميلا عن الحق بنى التسخ وتغير صفة الرسول صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك والجملة
 حال من فاعل تصدون وقيل من سبيل الله (وانتم شهداء) حال من فاعل تصدون باعتبار تقييده بالحال
 الاولى أو من فاعل تفونها أي والحال أنكم شهداء تشهدون بأنهم سبيل الله لا يحوم حولها شائبة اعوجاج
 وأن الصد عنها اضلال قال ابن عباس رضي الله عنهما أي شهداء أن في التوراة ان دين الله الذي لا يقبل غيره
 هو الاسلام أو انتم عدول فيما بينكم يشقون بأقوالكم وينشدهم ونكم في القضايا وعظام الامور (وما الله
 بغافل عما تعملون) اعتراض تذييلي فيه تهديد ووعد شديد قبل لما كان صددهم للمؤمنين بطريق الخفية
 خفت الآية الكريمة بما يحسم مادة حيلتهم من احاطة علمه تعالى بأعمالهم كما أن كفرهم بآيات الله تعالى
 لما كان بطريق العلانية خفت الآية السابقة بشهادته تعالى على ما يعملون (يا أيها الذين آمنوا ان طيعوا

فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين) تلويح للخطاب وتوجيه له الى المؤمنين تحذير لهم
 عن طاعة اهل الكتاب والافتتان بفتنتهم اذ تروى بعضهم بالاغواء والاضلال ودعاهم عن ذلك وتعليق الرد
 بطاعة فريق منهم للمبالغة في التحذير عن طاعتهم واجبات الاجتناب عن مصاحبتهم بالكلية فانه في قوماً أن
 يقال لا تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب كما أن تعميم التوبيخ فيما قبله للمبالغة في الزجر والاصاظة على سبب النزول فانه روى
 أن نقرأ من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فزيهم شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر
 شديد الحد بل لم يلين فغناظه ما رأى منهم من تألف القلوب واتحاد الكلمة واجتماع الرأي بعد ما كان بينهم
 ما كان من العداوة والشنات فأمر شابا يهوديا كان معه بأن يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعثت وكان ذلك يوما
 عظيما اقتتل فيه الحيات وكان الظفر فيه للاوس وينشدهم ما قيل فيه من الانعار ففعل قفاخر القوم
 وتغاضبوا حتى نواثروا وقالوا السلاح السلاح فاجتمع من القبيلتين خلق عظيم فعند ذلك جاءهم النبي صلى الله
 عليه وسلم وأصحابه فقال اندعوا الجاهلية وأما بين أظهركم بعد أن اكرمكم الله تعالى بالاسلام وقطع به
 عنكم امر الجاهلية وأما بينكم فعملوا أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالتقوا السلاح
 واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الامام الواحدى: اصطفوا
 للقتال فزلت الآية الى قوله تعالى لعلكم تهتدون لجاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام بين الصفتين فبأمر
 ورفع صوته فلما سمعوا صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنصتوا وجمعوا يستمعون له فلما فرغ القوا السلاح
 وعانق بعضهم بعضا ووجهوا ليكون وقوله تعالى كافرين اتمام مفعول ثان ليردوكم على تضمين الرد معنى التسيير
 كما في قوله

قوله اندعوا الجاهلية
 البياضى أيضا وقد تبع فيه
 الكشاف وهو تحريف ولفظ
 الحمد يث أبعدوى الجاهلية أي
 أنا خذونهم القطار الشهاب اه

صحة

رمى الحدان نسوة آل سعد * بمقدار محمد بن سعد
 فرد شعورهن السود بيضا * وردن وجوههن البيض سودا

أحوال من مفعوله والأول أدخل في تنزيه المؤمنين عن نسبتهم إلى الكفر لما فيه من التصريح بكون الكفر
المفروض بطريق القسر وإيراد الطرف مع عدم الحاجة إليه ضرورة سبق الخطاب بعنوان المؤمنين واستحالة
تحقيق الرد إلى الكفر بدون سبق الإيمان مع توسيطه بين المفعولين لأظهار كمال شناعة الكفر ونجاسة بعده
من الوقوع أما الزيادة فجعلها الصارف للعبارة عن مباشرة أو لما نفع الإيمان له كأنه قيل بعد إيمانكم المراسخ
وفيه من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى (وكيف تكفرون) استفهام إنكاري بمعنى أنكار الوقوع كما في قوله تعالى
كيف يكون للمشركين عهد الخ لا يعني أنكار الواقع كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أممًا واحدة
وفي توجيه الإنكار والاستبعاد إلى كيفية الكفر من المبالغة ما ليس في توجيهه إلى نفسه بأن يقال أن تكفرون
لأن كل موجود لابد أن يكون وجوده على حال من الأحوال فإذا أنكرتني جميع أحوال وجوده فقد انتفى
وجوده بالكلية على الطريق البرهاني وقوله تعالى (وأنتم تنكرون) جملته وقعت حالا من ضمير
المخاطبين في تكفرون مؤكدة للإنكار والاستبعاد بما فيها من الشؤون الداعية إلى الثبات على الإيمان الوازنة
عن الكفر وقوله تعالى (وفيكم رسوله) معطوف عليها أدخل في حكمها فان تلاوة آيات الله تعالى عليهم وكون
رسوله عليه الصلاة والسلام بين أظهرهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم بتحقيق الحق وإزالة الشبهة من أقوى
الزواجر عن الكفر وعدم اسناد التلاوة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يذنب باستقلال كل من في الباب
(ومن يعتصم بالله) أي ومن يمتسك بيده الحق الذي بينه وبينه على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام وهو
الاسلام والتوحيد المعبر عنه فيما سبق بسبيل الله (فقد هدى) جواب للشرط وقد لا فائدة معنى التحقيق كأن
الهدى قد حصل فهو ضمير عنه حاصل ومضى التوقع فيه ظاهر فإن المعتصم به تعالى متوقع للهدى كما أن قاصد
الكريم متوقع للهدى (إلى صراط مستقيم) موصل إلى المطلوب والتسوية للتفخيم والوصف بالاستقامة
للتصريح بالرد على الذين يخون له عواجا وهذا وإن كان هو دين الحق في الحقيقة والاهتداء إليه هو الاعتصام به
بغضه لكن لما اختلف الاعتباران وكان العنوان الأخير مما يتنافس فيه المتنافسون أبرز في معرض الجواب
للحث والترغيب على طريقة قوله تعالى فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز (يا أيها الذين آمنوا) تكرر
الخطاب بعنوان الإيمان تشریف اثر تشریف (اتقوا الله) الاتقاء افتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة
(حق تقانه) أي حق تقواه وما يجب منها وهو استقراغ الوسع في القيام بالمواجب والاجتناب عن المحارم كما في
قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو أن يطاع ولا يعصى ويذكر ولا ينسى ويشكر
ولا يكفر وقد روى مرفوعا إليه عليه السلام وقيل هو أن لا تأخذ في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه
أوابه أو أبيه وقيل هو أن ينزه الطاعة عن الالتفات إليها وعن وقوع المجازاة وقد مر تحقيق الحق في ذلك عند
قوله عز وجل هدى للمتقين والتقاة من اتقى كالتؤدة من أتاد وأصلها وقية قلبت وأوها المنهومة تاء كما في تمة
وتخمة وبأوها المفتوحة ألفا (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) أي مخلصون نفوسكم لله تعالى لا تتجهلون فيها شركه
لما سواه أصلا كما في قوله تعالى ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال
أي لا تموتن على حال من الأحوال إلا حال تحقق اسلامكم وثباتكم عليه كما ينبغي عنه الجملة الاسمية ولو قيل
المسلمين لم يفد فائدتها والعامل في الحال ما قبل الأبعد النقض وظاهر النظم الكريم وإن كان نهيا عن الموت
المقيد بقيد هو الكون على أي حال غير حال الاسلام لكن المقصود هو النهي عن ذلك القيد عند الموت المبتلزم
للأمر بضده الذي هو الكون على حال الاسلام حينئذ وحيث كان الخطاب للمؤمنين كان المراد إيجاب الثبات
على الاسلام إلى الموت وتوجيه النهي إلى الموت للمبالغة في النهي عن قيده المذكور فإن النهي عن المقيد في أمثاله
ينهي عن القيد ورفع له من أصله بالكلية مفيد لما لا يفيد النهي عن نفس القيد فان قولك لا تفعل إلا وأنك خاشع
يفيد من المبالغة في إيجاب الخشوع في الصلاة ما لا يفيد قولك لا تترك الخشوع في الصلاة لما أن هذا النهي عن ترك
الخشوع فقط وهذا النهي عنه وبما يقارنه ومفيد لكون الخشوع هو العمدة في الصلاة وأن الصلاة بدونه حقها
أن لا تفعل وفيه نوع تحذير عما وراء الموت وقوله عز وجل (واعلموا بحيل الله) أي بدين الاسلام وأحكامه
لقوله عليه الصلاة والسلام القرآن حبل الله المتين لا تنقض بحاسبه ولا يخلق من كثرة الرد من قال به صدق
ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدى إلى صراط مستقيم أما غنيل المبالغة الحاصلة من استظهارهم به وتوقفهم

بجمايته بالحالة الحاصلة من تمسك المتدلي من مكان رفيع بجبل وثيق مأمون الانقطاع من غير اعتبار مجازي
المفردات وأما استعارة للعبيل لما ذكر من الدين أو الكتاب والاعتصام ترشيح لها أو مستعار للوقوف به والاعتقاد
عليه (جميعاً) حال من فاعل اعتصموا أي مجتمعين في الاعتصام (ولا تفرقوا) أي لا تفرقوا عن الحق
بوقوع الاختلاف بينكم كآهل الكتاب أو كما كنتم متفرقين في الجاهلية يحارب بعضكم بعضاً ولا تتحدوا
ما يوجب التفرق ويزيل اللفة التي أنتم عليها (وإذ كروا نعمة الله) مصدر مضاف إلى الفاعل وقوله تعالى
(عليكم) متعلق به أو بمحذوف وقع حالاً منه وقوله تعالى (إذ كنتم) ظرف له أو للاستقرار في عليكم أي اذكروا
انعامه عليكم أو اذكروا انعامه مستقر عليكم وقت كونكم (أعداء) في الجاهلية بينكم الآن والعداوات
والحروب المتواصلة وقيل هم الأوس والخزرج كانوا خووين لاب واتم فوقع بين أولادهم العداوة والبغضاء
وتطاولت الحروب فيما بينهم مائة وعشرين سنة (فأف بين قلوبكم) بتوفيقكم للإسلام (فأصبحت) أي
فصرت (بنعمته) التي هي ذلك التأليف (أخواناً) خبراً أصبحت أي أخواناً متحابين مجتمعين على الأخوة
في الله متراحين متفقيين على كلمة الحق وقيل معنى فأصبحت قد دخلتم في الصباح فالأباء حينئذ متعلقة
بمحذوف وقع حالاً من الفاعل وكذا أخواناً أي فأصبحت ملتبسين بنعمته حال كونكم أخواناً (وكنتم
على شفا حفرة من النار) شفا الحفرة وشفها حرفها أي كنتم مشرفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم إذ لو
أدرككم الموت على تلك الحالة لوقعتم فيها (فأنقذكم) بأن هداكم للإسلام (منها) الضمير للحفرة وللنار
أو لشفها والتأنيث للمضاف اليه كما في قوله كما شرقت صدر القناة من الدم أولانه بمعنى الشفة فان شفا البر
وشفتها جانيها كالجانب والجانية وأصله شفو قلبت الواو ألفاً في المذكر وحذفت في المؤنث (كذلك) إشارة
إلى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد لا يذان بعلو درجة المشار إليه وبعد منزلته في الفضل وكما
تميزه به عما عداه وانتظامه بسببه في سلك الأمور المشاهدة والكاف مقعمة لتأكيده ما أفاده اسم الإشارة
من التمام ومحملها النصب على أنه صفة لمصدر محذوف أي مثل ذلك التبيين الواضح (بين الله لكم آياته) أي
دلائله (أعلمكم تتدرون) طلباً لثباتكم على الهدى وازديادكم فيه (ولكن منكم أمة يدعون إلى الخير)
أمرهم الله سبحانه بتكميل الغير وإرشاده إزاًمرهم بتكميل النفس وتهذيبها بما قبله من الأوامر والنواهي
تنبهاً للكل على مراعاة ما فيها من الأحكام بأن يقوم بعضهم بواجبها ويحافظ على حقوقها وحدودها ويذكرها
الناس كافة ويرعهم عن الإخلال بها والجهود على اسكان لام الأمر وقد قرئ بكسر هاء على الأصل وهو من كان
التأني من تبعية متعلقة بالآخر أو بمحذوف وقع حالاً من الفاعل وهو أمة ويدعون صفتها أي لتوجد منكم
أمة داعية إلى الخير والأمة هي الجماعة التي يؤتمها فرق الناس أي يقصدونها ويقتدون بها أو من الناقصة وأمة
أمرهم ويدعون خبرها أي لتكن منكم أمة داعية إلى الخير وأما ما كان فتوجيه الخطاب إلى الكل مع استناد
الدعوة إلى البعض لتحقيق معنى فرضيتها على الكفاية وأنها واجبة على الكل لكن بحيث أن أقامها البعض
سقطت عن الباقي ولو أدخل بها الكل انحصر بالحيث يتحتم على الكل أقامتها على ما ينبي عنه قوله عز وجل
وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية ولأنهم من عظام الأمور وعزائمها التي لا يتولاها إلا العلماء بأحكامهم
تعالى وهرائب الاحتساب وكيفية أقامتها فان من لا يعلمها يوشك أن يأمر بمنكر وينهى عن معروف ويغلظ
في مقام اللين ويلين في مقام الغلظة ويشكر على من لا يزيد الانكار إلا التماذي والاصرار وقيل من بيانية
كما في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم الآية والأمر من كان الناقصة والمعنى كونوا أمة
يدعون الآية كقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس الآية ولا يقتضي ذلك كون الدعوة فرض عين فان
الجهاد من فروض الكفاية مع ثبوته بالخطابات العامة والدعاء إلى الخير عبارة عن الدعاء إلى ما فيه صلاح ديني
أو دنيوي فغطف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه بقوله تعالى (ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)
مع اندراجهما فيه من باب غطف الخاص على العام لاظهار فضلها وانافتها على سائر الخيرات كغطف
جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام وحذف المفعول الصريح من الأفعال الثلاثة أما لا يذان
بظهوره أي يدعون الناس ويأمرونهم وينهونهم وأما المقصد إلى إيجاب فعل كافي قولك فلان يعطى
ويمنع أي يفعلون الدعاء إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (وأولئك) إشارة إلى الأمة المذكورة

باعتبار انصافهم بما ذكر من النعوت القاضية وكما لم يميزهم بذلك عن عداهم وانظامهم بسببه في سلك
الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار به لوقطعتهم وبعد منزلتهم في الفضل والافراد في كثرة
الخطاب اما لان الخطاب ككل من يصلح للخطاب واما لان التعيين غير مقصود أي أولئك الموصوفون بثلث
الصفات الكاملة (هم المفلحون) أي هم الاخصاء بكال الفلاح وهم ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة
ويؤكد النسبة ويقيد اختصاص المسند بالمسند اليه أو مبتدأ خبره المفلحون والجملة خبر لا وثلاث
وتعريف المفلحين اما للعهد أو للاشارة الى ما يعرفه كل أحد من حقيقة المفلحين روى عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه سئل عن خير الناس فقال أمرهم بالمعروف ونهى عن المنكر وأتاهم عن المنكر وأتاهم الله وأوصلهم
لأرحم وعنه عليه السلام من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله
وخليفة كتابه وعنه عليه السلام والذي نفسى بيده لأمرهم بالمعروف ونهى عن المنكر وأبوشكن الله أن
يعت عليكم عذابا من عنده ثم لئلا يدع عنه فلا يستجاب لكم وعن علي رضي الله عنه أفضل الجهاد الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شئنا الفاسقين وغضب الله غضب الله والامر بالمعروف في الوجوب
والندب تابع للامور به واما النهي عن المنكر فواجب كله فان جميع ما ذكره الشرع حرام والعاصي
يجب عليه النهي عما ارتكبه اذ يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك أحدهما وجوب شيء منهما والتوبيخ
في قوله تعالى أأمرون الناس بالبر وتنفون أنفسكم انما هو على نسيان أنفسهم لا على أمرهم بالبر وعن السلف
مر واما بالخبر وان لم تفعلوا (ولا تتركوا) كالذين تفرقوا هم أهل الكتابين حيث تفرقت اليهود وفرقا
والنصارى فرقا (واختلفوا) باستخراج التأويلات الرائعة وكنم الآيات الناطقة وتحريفها بما اخلدوا اليه
من حطام الدنيا الدنيئة (من بعد ما جاءهم البينات) أي الآيات الواضحة المينة للحق الموجبة للاتفاق عليه
واتحاد الكلمة فالنهي متوجه الى المتصدين للدعوة أصالة والى أعقابهم تبعاً ويجوز تعميم الموصول للمعتنقين
من الامم السالفة المشار اليهم بقوله عز وجل وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات وقيل هم
المتبدعة من هذه الامة وقيل هم الحرورية وعلى كل تقدير فالمنهى عنه انما هو الاختلاف في الاصول دون
الفروع الا أن يكون مخالفا للنصوص البينة أو الابعاج لقوله عليه الصلاة والسلام اختلاف أمتي رحمة وقوله
عليه السلام من اجتهد فأصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر واحد (وأولئك) اشارة الى المذكورين باعتبار
انصافهم بما في حيز الصلة وهو مبتدأ وقوله تعالى (لهم) خبره وقوله تعالى (عذاب عظيم) من تقع بالظرف على
الفاعلية لاعتماده على المبتدأ أو مبتدأ والظرف خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول وفيه من التأكيد والمباينة
في وعيد المتفرقين والتشديد في تهديد المشبهين بهم مالا يخفى (يوم تبيض وجوه) أي وجوه كثيرة وقرئ
تبياض (ونسود وجوه) كثيرة وقرئ تسواد وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بني
قريظة والنضير ويوم منصوب على أنه ظرف للاستعراق في لهم أي لنبوت العذاب العظيم لهم وعلى أنه مفعول
لمضمر خوطب به المؤمنون تحذير لهم عن عاقبة التفرق بعد مجي البينات وترغيبا في الاتفاق على التمسك
بالدين أي اذ كروا يوم تبيض الخ وبياض الوجه وسواده كائتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فبسه
وقيل يوسم أهل الحق ببياض الوجه والضعيف واشراق البشرة وسعى النور بين يديه وبمينه وأهل الباطل
بأضداد ذلك (فأما الذين اسودت وجوههم) تفصيل لاحوال الفريقين بعد الاشارة إليهما اجمالاً وتقديم
بيان هؤلاء لما أن المقام مقام التعذير عن التشبه بهم مع ما فيه من الجمع بين الاجمال والتفصيل والافضاء
الى ختم الكلام بحسن حال المؤمنين كما بدئ بذلك عند الاجمال (اكثرتم بعدايمانكم) على ارادة القول
أي فيقال لهم ذلك والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر أنهم أهل الكتابين وكفرهم بعدايمانهم
كفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمان أسلافهم وأيمان انفسهم به قبل مبعثه عليه الصلاة
والسلام أو بجمع الكفرة حيث كفروا بعد ما آقروا بالتوحيد يوم الميثاق أو بعد ما تمكثوا من الايمان بالنظر
الصحيح والدلائل الواضحة والآيات البينة وقيل المرتدون وقيل أهل البدع والاهواء والقضاء في قوله عز وجل
(فدوقوا العذاب) أي العذاب المعهود الموصوف بالعظم للدلالة على أن الامر بذوق العذاب على طريق

الالهانة مترتب على كفرهم المذكور كما أن قوله تعالى (بما كنتم تكفرون) صريح في أن نفس الذوق معلل
 بذلك والجمع بين صيغة الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار كفرهم أو على مضيه في الدنيا (وأما الذين
 أبيضت وجوههم ففي رحمة الله) أعني الجنة والنعيم الخلد عبر عنها بالرحمة تنبيهها على أن المؤمن وإن استغرق
 عمره في طاعة الله تعالى فإنه لا يدخل الجنة إلا برحمته تعالى وقرئ أبيضت كما قرئ أسودت (هم فيها
 خالدون) استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من السباق فكأنه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها
 خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون وتقديم الظرف للمعاقبة على رؤس الآتي (تلك) إشارة إلى الآيات
 المشتملة على تنعيم الأبرار وتعذيب الكفار ومعنى البعد للايدان يعلو شأنها وسمو مكانها في الشرف وهو مبتدأ
 وقوله تعالى (آيات الله) خبره وقوله تعالى (تتلوها) جملة حالية من الآيات والعامل فيها معنى الإشارة أو هي
 الخبر وآيات الله بدل من اسم الإشارة والاتفات إلى التكلم بنون العظمة مع كون التلاوة على لسان جبريل
 عليه السلام لأبرار كمال العناية بالتلاوة وقرئ يتلوها على اسناد الفعل إلى ضميره تعالى وقوله تعالى (عليك)
 متعلق بتلوها وقوله تعالى (بالحق) حال مؤكدة من فاعل تتلوها أو من مفعوله أي ملتبس أو ملتبسة
 بالحق والعدل ليس في حكمها شائبة جور ينقص ثواب المحسن أو بزيادة عقاب المسيء أو بالعقاب من غير حرم
 بل كل ذلك موفى لهم حسب استحقاقهم بأعمالهم بموجب الوعد والوعيد وقوله تعالى (وما الله يريد ظلما للعالمين)
 تدليل مقترن لمضمون ما قبله على ابلغ وجه وأكده فإن تنكير الظلم ووجبه النفي إلى إرادته بصيغة المضارع دون
 نفسه وتعليق الحكم بأحد الجمع المعترف والالتفات إلى الاسم الجليل اشعارا بعلو الهمة ببيان اكمال نزاهته
 عز وجل عن الظلم بما لا مزيد عليه أي ما يريد فردا من أفراد الظلم لفرد من أفراد العالمين في وقت من الاوقات
 فضلا عن أن يظلمهم فإن المضارع كما يفيد الاستمرار في الإثبات يفيد في النفي بحسب المقام كما أن الجملة الاسمية
 تدل بعمومية المقام على دوام الثبوت وعند دخول حرف النفي تدل على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وفي
 سبيل الجملة نوع إيماء إلى التعريض بأن الكفرة هم الظالمون ظلوا انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد كما في قوله
 تعالى ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون (ولله ما في السموات وما في الارض) أي له تعالى
 وبعده من غير شركة أصلا ما فيه ما من المخلوقات الفاسدة للعصر ملكا وخلقا حيا وماتة وأمانة وتعدية وإيراد
 كلمة ما أمثلة لتقليب غير العقلاء على العقلاء وأما تزييلهم منزلة غيرهم اظهارا لحقارتهم في مقام بيان عظمتهم
 تعالى (والى الله) أي إلى حكمه وقضائه لا إلى غيره شركة أو استقلالا (ترجع الامور) أي امورهم
 فيصايرى كلامهم بما وعد له وأوعده من غير دخل في ذلك لاحد قط فالجملة مقررة لمضمون ما ورد في جزاء الفريقين
 وقيل هي معطوفة على ما قبلها مقررة لمضمونه فإن كون العالمين عبيده تعالى ومخلوقه ومرزوقه يستدعي
 إرادة الخيريهم (كنتم خيرا أمة) كلام مستأنف سبق لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الاتفاق على الحق
 والدعوة إلى الخير وكنتم من كان الناقصة التي تدل على تحقق شيء بصفة في الزمان الماضي من غير دلالة على عدم
 سابق أو لاحق كما في قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم كذلك في علم الله تعالى أو في اللوح أو فيما
 بين الأمم السالفة وقيل معناه انتم خيرا أمة (أخرجت للناس) صفة لامة واللام متعاقبة بأخرجت أي أظهرت
 لهم وقيل بخيرا أمة أي كنتم خيرا للناس فهو صريح في أن الخيرية بمعنى النفع للناس وإن فهم ذلك
 من الأخراج لهم أي أخرجت لأجلهم ومصلحتهم قال أبو هريرة رضي الله عنه معناه كنتم خيرا للناس
 للناس تأتون بهم في السلاسل فتدخلونهم في الاسلام وقال قتادة هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمر
 نبي قبله بالقتال فهم يقاتلون الكفار فيدخلونهم في الاسلام فهم خيرا أمة للناس (تأمررون بالمعروف وتنهون
 عن المنكر) استئناف مبين لكونهم خيرا أمة كما يقال زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم
 أو خبر ثان لكنتم وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار وخطاب المتأففة وإن كان خاصا بمن شاهد
 الوحى من المؤمنين لكن حكمه عام للكل قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال
 الزجاج أصل هذا الخطاب لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ سائر أمة وروى الترمذى عن جرير بن
 حكيم عن أبيه عن جده أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى كنتم خيرا أمة أخرجت للناس

أنتم تكونون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى وظاهر أن المراد بكل أمة أو أئمتهم وأواخرهم لا أوائلهم فقط فلا بد أن تكون أعقاب هذه الأمة أيضا داخله في الحكم وكذا الحال بما روى أن مالك بن النيفل ووهب بن يوسف واليهوديين مزا بنجر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم ابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة وضوان الله عليهم فقال لهم نحن أفضل منكم وديننا خير مما تدعوننا إليه وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما كنتم خير أمة الذين هاجر وأمع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وروى عن الفضائل أنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة الرواة والدعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم (وتؤمنون بالله) أي إيماننا متعلقا بكل ما يجب أن يؤمن به من رسول وكتاب وحساب وجزاء وانما لم يصرح به تفصيلا لظهور أنه الذي يؤمن به المؤمنون وللايدان بأنه هو الإيمان بالله تعالى حقيقة وأن ما خلا عن شيء من ذلك كإيمان أهل الكتاب ليس من الإيمان به تعالى في شيء قال تعالى ويقولون تؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا وأولئك هم الكافرون حقا وانما أخر ذلك عن الأمر بالتعريف والتهني عن المنكر مع تقدمه عليهما وجودا ورتبة لأن دلالتهما على خيريتهم للناس أظهر من دلالة عليهما وليقترب به قوله تعالى (ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم) أي لو آمنوا كما يمانكم لكان ذلك خيرا لهم مما هم عليه من الرياسة واستتباع العوام ولا زادت رياستهم وقته هم بالخطوط الدنيوية مع الفوز بما وعدوه على الإيمان من آتاء الأجر مرتين وقيل مما هم فيه من الكفر فالخيرية انما هي باعتبار زعمهم وفيه ضرب تمكيمهم وانما لم يتعرض للمؤمنين به أصلا للاشعار بظهور أنه الذي يطلق عليه اسم الإيمان لا يذهب الوهم إلى غيره ولو فصل المؤمن به ههنا وفيما قبل لرجمافهم أنه لاهل الكتاب أيضا إيمانا في الجملة لكن إيمان المؤمنين خير منه وهما بذلك (منهم المؤمنون) بجهة مستأنفة سبقت بجوابها عما نشأ من الشرطية الدالة على انتفاء الخيرية لا انتفاء الإيمان عنهم كأنه قيل هل منهم من آمن أو كلهم على الكفر فتبيل منهم المؤمنون المعهودون الفاضلون بخير الدارين كعبد الله بن سلام وأصحابه (واكثرهم الفاسقون) المتتردون في الكفر الخارجون عن الحدود (لن يضروكم الا اذى) استثناء مفرغ من المصدر والعامة أي لن يضروكم أبدا ضررا تاما الا ضررا ذى لا يبالى به من طعن وتهديد لا أثر له (وان يقتلوكم ولوكم الاديبار) أي ينهزموا من غير أن ينالوا منكم شيئا من قتل أو أسر (ثم لا ينصرون) عطف على الشرطية وشم للتراخي في الرتبة أي لا ينصرون من جهة أحد ولا يمنعون منكم قتلا أو خذا وفيه تثبيت لمن آمن منهم فانهم كانوا يؤذونهم بالتهلي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم وبشارة لهم بأنهم لا يقدرون على أن يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يعا به مع أنه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وأن عاقبة امرهم الخذلان والذل وانما لم يعطف نفي منصوريته على الجزء لأن المقصود هو الوعد بنفي الضرر مطلقا ولو عطف عليه لكان مقيدا بمقتلهم كتولية الاديبار وكم بين الوعدين كأنه قيل ثم شأنهم الذي أخبركم عنه وأبشركم به أنهم يحذون منتقد عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعد ذلك بجناح ولا يقومون على ساق ولا يستقيم لهم امر وكان كذلك حيث لقي شوقة ريلة والنضير وبنو قينقاع ويهود خيبر ما لقوا (ضربت عليهم الذلة) أي هدر النفس والمال والاهل وأذل القميص بالباطل (انما اتفقوا) أي وجدوا (الاجبل من الله وحبل من الناس) استثناء من اعم الاحوال أي ضربت عليهم الذلة ضرب القبة على من هي عليه في جميع الاحوال كونهم معتمدين بذمة الله أو كتابه الذي آتاهم وذمة المسلمين أو بذمة الاسلام واتباع سبيل المؤمنين (وبأثر بغضب من الله) أي رجعه وابه مستوجبين له والتعظيم للتعظيم والتهويل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة الغضب مؤكدة لما افاده التشكيك من الغلظة والهول أي كائن من الله عز وجل (وضربت عليهم المسكنة) فهي محيطة بهم من جميع جوانبهم واليهود كذلك في غالب الحال مساكن تحت ايدي المسلمين والنصارى (ذلك) اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة عليهم واليهود بالغضب العظيم (بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله) أي ذلك الذي ذكر كائن بسبب كفرهم المستر بآيات الله لناطقة بنوة محمد عليه الصلاة والسلام وتقريرهم لها وبسائر الآيات القرآنية (ويقتلون الانبياء بغير حق) أي في اعتقادهم أيضا واسناد القتل اليهم مع أنه فعل أسلافهم لرضاهم به كما أن التعريف مع كونه من الله تعالى

أحبارهم ينسب إلى كل من يسير بسيرتهم (ذلك) إشارة إلى ما ذكر من الكفر والقتل (بما عصوا وكانوا يعتدون)
 أي كأن بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله تعالى على الاستقرار فإن الاصرار على الصغار يفتى إلى
 مباشرة الكفار والاستقرار عليهم يؤدى إلى الكفر وقيل معناه أن ضرب الذلة والمسكنة في الدنيا واستيجاب
 الغضب في الآخرة كما هو معال بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث أنهم يخاطبون
 بالفرع من حيث المأخذة (ليسوا سواء) جملة مستأنفة سقت تمهيداً لعدد محاسن مؤمنى أهل
 الكتاب وتذكيراً لقوله تعالى منهم المؤمنون والضعيف ليسوا لأهل الكتاب جميعاً إلا للفاسقين منهم خاصة
 وهو اسم ليس وخبره سواء وإنما أفرد لانه في الأصل مصدر والمراد بنفى المساواة نفي المشاركة في أصل الاتصاف
 بالقبائح المذكورة لأن نفي المساواة في مراتب الاتصاف بها مع تحقق المشاركة في أصل الاتصاف بها أي ليس
 جميع أهل الكتاب متشاركين في الاتصاف بما ذكر من القبائح والابتلاء بما يترتب عليهم من العقوبات وقوله
 تعالى (من أهل الكتاب أمة قائمة) استئناف مبين لكيفية عدم تساويهم ومزيل لما فيه من الإبهام
 كما أن ما سبق من قوله تعالى تأمرون بالمعروف والآية مبين لقوله تعالى كنتم خير أمة أخرج ووضع أهل
 الكتاب موضع الضمير العائد إليهم لتحقيق ما به الاشتراك بين الفريقين والأيذان بأن تلك الأمة عن أوتى نصيباً
 وأفراد من الكتاب لأن أركانهم والقائمة المستقيمة العادلة من أقطاب العود فقام بمعنى استقام وهم الذين
 أسلموا منهم كعبد الله بن سلام وفعلية بن سعيد وأسد بن عبيد وأضراهم وقيل هم أربعون رجلاً من أهل
 نجران واثنتان وثلاثون من الحبشة وثلاثة من الروم كانوا على دين عيسى وصداقوا محمد عليهم الصلاة والسلام
 وكان من الأنصار فيهم عدة قبل قدوم النبي عليه السلام منهم أسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة
 وأبو قيس صرمة بن أنس كانوا موحدين يفتسلون من الجنبات ويقومون بما يعرفون من شرائع الحنيفية حتى
 بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم فصداقوه ونصروه وقوله تعالى (يتلون آيات الله) في محل الرفع على أنه
 صفة أخرى لأمة وقيل في محل النصب على أنه حال منها تخصصها بالنعمة والعامل فيه الاستقرار الذي يتضمنه
 الجار أو من ضمير هاء في قائمة أو من المستكن في الجار لوقوع خبر الأمة والمراد بآيات الله القرآن وقوله تعالى
 (آناه لليل) ظرف مبتدئ أي في ساعاته جمع أي بزنة عصا أو في بزنة معى أو في بزنة ظبي أو في بزنة نجي أو أو
 بزنة تجرو (وهم يحدون) أي يصلون أذلاً تلاوة في السجود قال عليه الصلاة والسلام ألا إنني نهي أن
 أقرأ أركعاً وساجداً وتخصيص السجود بالذكر من بين سائر أركان الصلاة لكونه أدل على كمال الخضوع
 والتصريح بتلاوة آيات الله في الصلاة مع أنها مشتملة عليها قطعاً لزيادة تحقيق المخالفة وتوضيح عدم المساواة
 بينهم وبين الذين وصفوا أنصافاً بالكفر بها وهو السر في تقديم هذا النعت على نعت الإيمان والمراد بصلاتهم التهجيد
 اذ هو أدخل في مدحهم وفيه يتسنى لهم التلاوة فإنها في المكتوبة وظيفه الإمام واعتبار حالهم عند الصلاة
 على الانفراد بأبواب مقام المدح وهو الانسب بالعدول عن إيرادها باسم الجنس المتبادر منه الصلاة المكتوبة
 وبالعبر عن وقتها بالآناه المهمة وقيل صلاة العشاء لأن أهل الكتاب لا يصلونها لما روى أن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم أخرها إليه ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال أما إنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر
 الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية وإيراد الجملة اسمية للدلالة على الاستقرار وتكرير الاستناد لتقوية
 الحكم وتأكيده وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والجملة حال من فاعل يتلون وقيل هي مستأنفة والمعنى
 أنهم يقومون تارة ويسجدون أخرى ينتفون الفضل والراحة بأنواع ما يكون في الصلاة من الخضوع لله عز وجل
 كما في قوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً وقيل المراد بالسجود هو الخضوع كما في قوله تعالى والله يسجد
 ما في السموات والأرض (يؤمنون بالله واليوم الآخر) صفة أخرى لأمة مبينة لما بينتهم اليهود من جهة أخرى
 أي يؤمنون بهما على الوجه الذي نطق به الشرع والاطلاق للإيذان بالفق من التقيد لظهور أنه الذي يطلق
 عليه الإيمان بهما لا يذهب الوهم إلى غيره وللتعريض بأن إيمان اليهود بهما مع قولهم عزير ابن الله وكفرهم
 ببعض الكتب والرسل ووصفهم اليوم الآخر بخلاف صفته ليس من الإيمان بهما في شيء أصلاً ولوقيد بما ذكر
 رجمانهم أن المتشقق عنهم هو القيد المذكور مع جواز إطلاق الإيمان على إيمانهم بالأصل وهيات (ويأمرون

بالمعروف وينهون عن المنكر) هفتان آخرين لامة اجر يساعدهم تحقيقا لخالقهم اليهود في الفضائل المتعلقة
بتكميل الغير اثر يسان مبادئهم لهم في الخصائص المتعلقة بتكميل النفس وتعريضها لاجتناب في الاحتساب بل
تغلبهم في الامر باضلال الناس وصدهم عن سبيل الله فانه امر بالمعروف ونهي عن المعروف (وبسارعون
في الخيرات) صفة أخرى لامة جامعة لقنون المحاسن المتعلقة بالنفس وبالغير والمسارة في الخير فطر الرغبة
فيه لان من رغب في الامر سارع في تولىه والقيام به واثرا للفور على التراخي أي يبادرون مع كمال الرغبة في فعل
أصناف الخيرات اللازمة والمتعدية وفيه تعريض يتباطأ اليهود فيها بل بمبادرتهم الى الشرور وابتكاره في على
ما وقع في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة الخ لا يذنبونهم مستقرون في اصل الخير متقاربون في فئونه المترتبة
في طبقات الفضل لانهم خارجون عنها مشتهون اليها (وأولئك) اشارة الى الامة باعتبار انصافهم بما فصل
من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد للايدان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم في الفضل واشاره على الضمير
للاشعار بعلو الخكم والمدح أي أولئك المنعوتون بتلك الصفات الفاضلة بسبب انصافهم بها (من الصالحين)
أي من جملة من صلحت أحوالهم عند الله عز وجل واستحقوا رضاه وثناؤه (وما يفعلوا من خير) كأنما كان
عما ذكر أولم يذكر (فلن يذكره) أي لن يعدوا ثوابه اليه عبرة بذلك كما عبر عن توفية الثواب بالشكر اظهرا
لكمال تفرجه سبحانه وتعالى عن ترك اثابتهم بعبودته بصورة ما يستحيل صدوره عند تعالى من القبايح وتعديته
الى المفعولين بتفخيم معنى الحرمان واظهار صبغة البناء للمفعول للجرى على سنن الكبرياء وقرئ النعلان على
صيغة الخطاب (والله عليهم بالمتقين) تنذيل فقر رخصون ما قبله فان علمه تعالى بأحوالهم يستدعي توفية
أجورهم لا محالة والمراد بالمتقين اما الامة اليهودية وضع موضع الضمير العائد اليهم مدحهم وتعيننا العنوان
تعلق العلم بهم واشعارا بما ناط اثابتهم وهو التقوى المنطوية على الخصائص السالفة واما جنس المتقين عوما
وهم مندرجون تحت حكمه اندراجا أوليا (ان الذين كفروا) أي بما يجب أن يؤمن به قال ابن عباس
رضي الله عنهما هم بنو قريظة والضمر فان معاندهم كانت لاجل المال وقيل هم مشركو قريش فان أبا جهل
كان كثيرا لا يختار بماله وقيل أبو سفيان وأصحابه فانه أنفق مالا كثيرا على الكفار يوم بدر وأحد وقيل هم
الكفار كافة فانهم فاءروا بالاموال والاولاد حيث قالوا نحن أكثر أموالا واولادا وما نحن بمعذبين فرد الله
عز وجل عليهم وقال (لن نغني عنهم) أي لن تدفع عنهم (أموالهم ولا اولادهم من الله) أي من عذابه
تعالى (شيئا) أي شيئا يسير منه أو شيئا من الاغناء (وأولئك أصحاب النار) أي صاحبوها على
الدوام وملازموها (هم فيها خالدون) أبدا (مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا) بيان لكيفية عدم اغناء
أموالهم التي كانوا يعولون عليها في جلب المنافع ودفع المضار وبلغت بهم أطماعهم الفارغة وما موصولة
اسمية حذف عائدتها أي حال ما ينفقه الكفرة قربة أو مفارقة جمعة أو المنافقون رياء وخوفا وقصته العجيبة
التي تجري مجرى المثل في الغرابة (كمثل ربح في اصتر) أي برد شديد فانه في الاصل مصدر وان شاع اطلاقه
على الريح الباردة كالصرصر وقيل كلمة في تجريدية كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
(أصاب حرق قوم ظلموا أنفسهم) بالكفر والمعاصي فبأبغض من الله وانما وصفوا بذلك لان الاهلاك
عن سخط الله وأقطع (فأهلكته) عقوبة لهم ولم تدع منه اثر ولا عشا والاراد تشبيه ما أنفقوا في ضياعه
وذاهبه بالكيفية من غير أن يعود اليهم نفع ما جرت كفار ضربه صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما بوجه
من الوجوه وهو من التشبيه المركب الذي مر تفصيله في تفسير قوله تعالى كمثل الذي استوقد نارا ولذلك
لم يبال بالاكلمة التشبيهية الريح دون الحرق ويجوز أن يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ربح
أو مثل ما ينفقون كمثل هلاك ربح وهو الحرق وقرئ تنفقون (وما ظلمهم الله) بما بين من ضياع
ما أنفقوا من الاموال (ولكن انفسهم يظلمون) لما أنهم أضاعوها بانفاقها على ما ينبغي وتقديم
المفعول لرعاية الفواصل لا لتخصيص اذ الكلام في الفعل باعتبار تعلقه بالفاعل لا بالمفعول أي ما ظلمهم الله
ولكن ظلموا انفسهم وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقد جوز أن يكون المعنى وما ظلم الله
تعالى أصحاب الحرق باهلا كدولهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وبأباه أنه قد مر

قوله ولا عشرين في بعض النسخ
ولا عشرين والعشرين كذا في
القاموس التراب والنجاس وما
قلت من الطين بأطراف رجلين
والان الخفي كالعشرين تسليم
المنانة التحية وفتح العين فيهما
اه منجحه

التعرض له تصريحا واشعارا وقرئ ولكن بالتشديد على أن انفسهم اسماها وظلوا خبرها والعائد محذوف
 للفاصلة اي ولكن انفسهم يظلمونها وأما تقدير ضمير الشأن فلا سبيل اليه لاختصاصه بالعرض ضرورة كافي قوله
 ولـ كن من يصـر جفونك بعثق (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة) بطانة الرجل ووليسته من يعرفه
 أسرارها ثقة به شبه بطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه الصلاة والسلام الانصار شعار والناس دثار قال
 ابن عباس رضي الله عنهما كان رجال من المؤمنين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف فأنزل
 الله تعالى هذه الآية وقال بجاهد نزلات في قوم من المؤمنين كانوا يواصلون المنافقين فثم وعنه ذلك ويؤيده
 قوله تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وهي صفة المنافق وأيا ما كان
 فالحكم عام للكفرة كافة (من دونكم) أي من دون المسلمين وهو متعلق بـ لا تتخذوا وبمحذوف وقع صفة لبطانة
 أي كائنة من دونكم مجاوزة لكم (لا يأتونكم خبالا) جملة مستأنفة مبنية لحالهم داعية الى الاجتناب
 عنهم أو صفة لبطانة يقال ألقى الامر اذا تصرف فيه ثم استعمل معدي الى مفعولين في قوله لا أولئك انصا ولا
 أولئك جهدا على تضييق معنى المنع والنقص والخبال الفساد أي لا يقصرون لكم في الفساد (ودواما عنكم)
 أي غموا عنكم أي مشقتكم وشدة ضرركم وهو أيضا استئناف مؤكدة انتهى موجب زيادة الاجتناب عن
 المنهى عنه (قد بدت البغضاء من افواههم) استئناف آخر مفيد لزيد الاجتناب عن المنهى عنه أي قد ظهرت
 البغضاء في كلامهم لما أنهم لا يتكلمون مع مبغضهم في ضبط انفسهم وتعاملهم عليها أن ينفلت من انفسهم
 ما يعلم به بغضهم للمسلمين وقرئ قد بدا البغضاء والافواه جمع فم وأصله فوه فلامه هاء يدل على ذلك جمعه على
 أفواه وتصغيره على فويه والنسبة اليه فوهي (وما تحق صدورهم كبر) مما بدأ الان بدوه ليس عن روية
 واختيار (قد بينا لكم الآيات) الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة المؤمنين ومعاداة
 الكافرين (ان كنتم تعقلون) أي ان كنتم من اهل العقل وان كنتم تعقلون ما بين لكم من الآيات والجواب
 محذوف لدلالة المذكور عليه (ها أنتم أولاء) جملة من مبتدأ وخبر صدرت بحرف التبيين اظهار الكمال
 العناية بمنعونها أي انتم أولاء المخطئون في موالاتهم وقوله تعالى (تحبونهم ولا يحبونكم) بيان لخطيئتهم
 في ذلك وهو خبر ثان لانتم أولاء وخبر لا أولاء والجملة خبر لانتم كقولك انت زيد تحبه أو صله أو حال والمعامل معنى
 الإشارة ويجوز أن يتصب أولاء بفضل يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا (وتؤمنون بالكتاب كله)
 أي بجنس الكتب جميعا وهو حال من ضمير المفعول في لا يحبونكم والمعنى لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون
 بكتابتهم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابتكم وفيه توبيخ بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حَقكم (واذا
 لقوكم قالوا آمنا) نفاقا (واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ) أي من أجله تأمفوا وتحسرا حيث
 لم يجدوا الى التمسق سبيلا (قل هووا ابتغيتكم) دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته تضاعف قوة الاسلام
 وأهله الى أن يهلكوا به أو باستداده الى أن يهلكهم (ان الله عليهم بذات الصدور) فيعلم ما في صدوركم
 من العداوة والبغضاء والحق وهو يحتمل أن يكون من المقول أي وقل لهم ان الله تعالى عليهم بما وأخفى
 مما تخفونه من عض الانامل غيظا وأن يكون خارجا عنه بمعنى لا تتعجب من اطلاعي اياك على أسرارهم فاني أعلم
 بذات الصدور وقيل هو أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد
 الله تعالى أن يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم به من غير أن يكون ثمة قول كأنه قيل حدث نفسك بذلك
 (ان تمسككم حسنة تؤمهم وان تعصمكم سيئة يفرحوا بها) بيان لتناهي عداوتهم الى حد حد واما ما نالهم من
 خير ومنفعة وشتموا بما أصابهم من ضرر وثمة وذكر المس مع الحسنة والاصابة مع السيئة اتما للايدان بأن
 مدارس ما أذى من مراتب اصابة الحسنة ومناط فرحهم تمام اصابة السيئة واتما لان المس مستعار بمعنى
 الاصابة (وان تصبروا) أي على عداوتهم أو على مشاق التكليف (وتتقوا) ما حرم الله تعالى عليكم
 ونهاكم عنه (لا يضركم كيدهم) مكرهم وحيلتهم التي دبروها لاجلهم وقرئ لا يضركم بكسر الضاد
 وجرم الزاء على جواب الشرط من ضاره يضيره بمعنى ضربه يضربه وضعة الرا في القراءة المشهورة للانساع
 كضمة مد (شيئا) نصب على المصدرية أي لا يضركم شيئا من الضرر بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين

قوله الى حد أي الى حد
 حدوا به المؤمنين على ما نالهم
 من الخير الخ كذا في زكريا اه
 معجمه

والمؤمنين ولأن الجهد في الأمر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون جريئاً على الخصم (إن الله بما يعملون) في
عداوتكم من الكيد (محيط) علماً فيعاقبهم على ذلك وقرئ بالتاء الفوقانية أي بما تعملون من الصبر
والتقوى فيبازيكم بما أنتم أهله (واذغدوث) كلام مستأنف سبق للاستشهاد بما فيه من استتباع
عدم الصبر والتقوى للضرر وعلى أن وجودهما مستتبع لما وعد من النجاة عن مضرة كيد الأعداء
واذ نصب على المفعولية بضم خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم خاصة مع عموم الخطاب فيما قبله وما بعده له
وللمؤمنين لا اختصاص مضمون الكلام به عليه السلام أي واذ كرلهم وقت غدوث ليدذكروا ما وقع
فيه من الأحوال الناشئة عن عدم الصبر ففعلوا أنهم إن لم يروا الصبر والتقوى لا يضرهم كيد الكفرة
وتوجيه الأمر بالذكري الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصودة بالذات المعالجة في إيجاب ذكرها
واستحضار الحادثة بتفاصيلها كما سلف بيانه في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة الخ والمراد به خروجه
عليه السلام إلى أحد وكان ذلك من منزل عائشة رضي الله عنها وهو المراد بقوله تعالى (من أهلك) أي من
عند أهلك (يتوئ المؤمنون) أي تنزلهم أو تهين وتسوي لهم (مقاعد) وبزيده قراءة من قرأ يتوئ
للمؤمنين والجله حال من فاعل غدوث لكن لا على أنها حال مقدرة أي نأوا بقاصد التوبة كما قيل بل على أن
المقصود تذكير الزمان الممتد المتسع لابتداء الخروج والتبوء وما يترب عليها اذ هو المذكر للقصة وانما عبر
عنه بالقد والذى هو الخروج غدوة مع كون خروجه عليه السلام بعد صلاة الجمعة كما ستعرفه اذ حينئذ وقعت
التبوءة التي هي العمد في الباب اذ المقصود بتذكير الوقت تذكير مخالفتهم لأمر النبي صلى الله عليه وسلم عليه
وسلم وتزايدهم عن أحبارهم المعينة لهم عند التبوء وعدم صبرهم وبهمذا يتبين خلل رأى من احتج به على
جواز أداء صلاة الجمعة قبل الزوال واللام في قوله تعالى (للقاتل) لئلا متعلقة بتبوء أي لاجل القتال
واتا بمحذوف وقع صفة لمساعد أي كائنه ومقاعد القتال أما كنه ومواقفه فان استعمال المقعد والمقام
بمعنى المكان انساغاشاً مع ذائع كافي قوله تعالى في مقعد صدق وقوله تعالى قبل أن تقوم من مقامك روى
أن المشركين زلوا بأحد يوم الأربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ودعا عبد الله بن أبي
سؤل ولم يكن دعاه قبل ذلك فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يارسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم
قواته ما خرجنا منها إلى عدو قط الا اصابنا ولاد خالها علينا الا امننا منه فكيف وأنت فينا فدعهم فان
اقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم وربما هم النساء والصبيان بالحجارة وإن
رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يارسول الله اخرج بنا إلى هؤلاء الا كتب لا يرون فاقدم جينا عنهم فقال
عليه الصلاة والسلام اني قد رأيت في منامي بقرا مذبحه حولي فاولم اخبروا رأيت في ذباب سبني ثلثاً فاولم
هزيمة ورأيت كأي أدخلت يدي في درع حصينة فاولم المدينة فان رأيتهم أن يقيموا بالمدينة قد دعوهم
فقال رجال من المسلمين قد فاتهم بدر وكرمهم الله تعالى بالتهمة يومئذ اخرج بنا إلى أعدائنا وقال
النعمان بن مالك الانصارى رضي الله عنه يارسول الله لا تحرمني الجنة فوالذي بعثك بالحق لا دخلن الجنة
ثم قال بقولي أشهد أن لا إله الا الله وأنى لا أقر من الزحف فلم يزلوا به عليه السلام حتى دخل قلبه لا منه فلما
رأوه كذلك ندمووا وقالوا بشما صنعنا شير على رسول الله والوحى يأتيه وقالوا اصنع يارسول الله ما رأيت
فقال ما يغني لبي أن يلبس لا منه فضعهما حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة وأصبح بالشعب من
أحد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة فثنى على رجله فجعل يصف أصحابه للقتال فكانما
يقوم بهم القدح ان رأى صدرا خارجا قال تأخروا كان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أحد
وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انفضوا عنا بالنبل لا يا نوناً من ورائنا ولا تبرحوا من مكانكم فلن نزال
غالبين ما نبت مكانكم (والله سمع) لا قولكم (عليهم) بضمهم تركم والجله اعتراض للايدان بأنه قد صدر
عنهم هذا لمن الأقوال والأفعال ما لا ينبغي صدوره عنهم (اذهمت) بدل من اذغدوث مبين لما هو
المقصود بالتذكير وظرف لجميع عليهم على معنى أنه تعالى جامع بين سماع الأقوال والعلم بالضمائر في ذلك
الوقت اذ لوجه لتقيد كونه تعالى مبدءاً علياً بذلك الوقت قال القرطبي معنى قولك ضربت واكرمت زيداً

قوله قد دعوهم أي فادعوا
فالجواب محذوف هـ

ان زيد منصوب بهما وانهم ما تسلطوا عليه معا (طائفتان منهمكم أن تفضلا) متعلق بهمت والباء محذوفة
 أي بان تفضلا أي نجينا وتضعنا وهما حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو سارة من الاوس وهما
 الجناحان من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ألف رجل وقيل تسعمائة وخمسين وعدهم رسول
 الله صلى الله عليه وسلم الفتح إن صبروا فلما قاربوا عسكر الكفرة وكانوا ثلاثة آلاف انخزل عبد الله بن أبي
 ثعلبة الناس فقال يا قوم علام تقتل أنفسنا وأولادنا فتبهم عمرو بن حزم الانصارى فقال أنشدكم الله
 في نبيكم هو أنفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتلا لا تبعنكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله تعالى بمضامع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجعا وافعزم الله لهم على الرشد فثبتوا
 والظاهر أنهما كانت الالهة وحديث نفس قلما تخلوا النفس عنه عند الشدائد (والله وليهما) أي عاصمهما
 عن اتباع تلك الخطرة والجله اعتراض ويجوز أن تكون حالا من فاعل همت أو من ضميره في تفضلا مفيدة
 لاستبعاد فضلها أو همهما به مع كونهما في ولاية الله تعالى وقرئ والله وليهم كما في قوله تعالى وإن طائفتان
 من المؤمنين اقتتلوا (وعلى الله) وحده دون ما عداه مطلقا استقلالا أو اشتراكا (فليترك المؤمنون)
 في جميع أمورهم فإنه حسبهم واطهار الاسم الجليل للتبرك والتعليل فإن الألوهية من موجبات التوكل عليه
 تعالى واللام في المؤمنين الجنس فيدخل فيه الطائفتان دخول أوليا وفيه اشعار بأن وصف الايمان من دواعي
 التوكل وموجباته (ولقد نصركم الله ببدر) جملة مستأنفة سبقت لايجاب الصبر والتقوى بتذكير
 ما ترتب عليهما من النصر اترتذكير ما ترتب على عدمهما من الضرر وقيل لايجاب التوكل على الله تعالى
 بتذكير ما يوجب به بدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل اسمه بدر بن كادة فسمي باسمه وقيل سمي به
 لصفاته كالبدور واستدارته وقيل هو اسم الموضع أو الوادي وكانت وقعة بدر في السابع عشر من شهر
 رمضان سنة اثنتين من الهجرة (وأنتم اذلة) حال من مفعول نصركم وأذلة جمع ذليل وانما جمع جمع قلة
 للايذان بانصافهم حينئذ بوصف القلة والذلة اذ كانوا اثمانيه وبنسبة عشرة وكان ضعف طاهم في الغاية خرجوا
 على النواضح يعتقب النصر منهم على البعير الواحد ولم يكن في العسكر الا فرس واحد وقيل فرسان للمقداد
 ومردود تسعون بعيرا وست أدرع وثمانية سيوف وكان العدو زهاء ألف ومعهم مائة فرس وشككة وشوكة
 (فاتقوا الله) اقتصر على الامر بالتقوى مع كونه مشفوعا بالصبر فيما سبق وما لحق للاشعار بأصالته وكون
 الصبر من مبادئه اللازمة له ولذلك قدم عليه في الذكر وفي ترتيب الامر بالتقوى على الاخبار بالنصر ايدان بأن
 نصرهم المذكور كان بسبب تقواهم أي اذا كان الامر كذلك فاتقوا الله كما اتقتم يومئذ (لعلكم تشكرون)
 أي راغبين أن تشكروا ما ينعم به عليكم بتقواكم من النصرة كما شكرتم فيما قبل أو لعلكم ينعم الله عليكم بالنصر
 كما فعل ذلك من قبل فوضع الشكر موضع سببه الذي هو الانعام (اذ تقول) تلون الخطاب بتخصيصه برسول
 الله صلى الله عليه وسلم لتشريفه والايذان بان وقوع النصر كان بشارته عليه السلام واذ ظرف لنصركم قدم
 عليه الامر بالتقوى لانهما كمال العناية به والمراد به الوقت الممتد الذي وقع فيه ما ذكر بعده وما طوى ذكره
 تعويلا على شهادة الحال بحماية علق به وجود النصر وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتهما
 أي نصركم وقت قولك (للمؤمنين) حين اظهروا العجز عن المقاتلة قال الشعبي بلغ المؤمنين أن بكر بن جابر
 الحنفي يريد أن يمدد المشركين فشق ذلك على المؤمنين فنزل حينئذ ثم حكى ههنا (ألن يكفيكم أن يمددكم ربكم
 بثلاثة آلاف) الكفاية سد الخلة والقيام بالامر والامداد في الاصل اعطاء الشيء حالا بعد حال حال المفضل
 ما كان منه بطريق التقوية والاعانة يقال فيه أمد يمدد امدادا وما كان بطريق الزيادة يقال فيه ممد يمدد
 ممدًا ومنه والبحر يمدد من بعده سبعة أبحر وقيل المدة في الشر كما في قوله تعالى ويمددهم في طباعهم بعمهون وقوله
 ويمددهم من العذاب ممدًا والامداد في الخير كما في قوله تعالى وأمددناكم بأموال وبنين والتعرض لعنوان الربوبية
 ههنا وفيما ساقى مع الاضافة الى ضمير مخاطبين لاطهار العناية بهم والاشعار بعللة الامداد والمعنى انكار عدم
 كفاية الامداد بذلك المقدار ونفيه وكلمة ان للاشعار بأنهم كانوا حينئذ كالايسين من النصر لضعفهم وقلة
 وقوة العدو ووصفهم (من الملائكة) بيان أوصفة لآلاف أو لما أضيف اليه أي كائنين من الملائكة

(منزلين) صفة لثلاثة آلاف وقيل حال من الملائكة وقرئ منزلين بالشديد للكثرة وللتدريج قيل أمدهم الله تعالى أولاً بألف ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف وقرئ مبداً للفاعل من الصيغتين أي منزلين النصر (بلى) إيجاب لما بعدلن وتحقيقه أي بلى يكفيكم ذلك ثم وعد لهم الزيادة بشرط الصبر والتقوى خنالهم عليها وتقوية لغلوهم فقال (انصبروا) على لقاء العدو ومناهضتهم (وتقوا) معصية الله ومخالفة نبيه عليه الصلاة والسلام (وبأنوكم) أي المشركون (من فورهم هذا) أي من ساعتهم هذه وهو في الأصل مصدر قارت القدر أي اشتد غلبانها ثم استعير للسرعة ثم أطلق على كل حالة لا ريث فيها أصلاً ووصفه بهذا التأكيد السرعة بزيادة تعيينه وتقريبه ونظم اتیانهم بسرعة في سلك شرطى الامداد المستعجلين له وجوداً وعدم ما عني الصبر والتقوى مع تحقق الامداد لا محالة سواء أمرعوا أو أبطؤوا لتحقيق سرعة الامداد لا تحقيق أصله أو لبيان تحققه على أي حال فرض على أبلغ وجهه وأكد به عليه بأبعد التقادير ليعلم تحققه على سائرها بالطريق الأولى فان هجوم الاعداء واتیانهم بسرعة من مظان عدم لحوق المدد عادة فعلق به تحقيق الامداد أي انا بانه حيث تحقق مع ما ينافيه عادة فلا ن يتحقق بدونه أولى وأحرى كما إذا أردت وصف درع بغاية الحصانة تقول ان لبستها وبارزت بها الاعداء فضر بولاً بأيد شداد وسيوف حداد لم تتأثر منها قطه (يعددكم بكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) من التسويم الذي هو اظهار سيما الشيء أي معين انفسهم أو خيلهم فقد روى أنهم كانوا بعصائهم يض الجبريل عليه السلام فانه كان بعصاة صفراء على مثال الزبير بن العوام وروى أنهم كانوا على خيل بلق قال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق عليهم عصائم يض قد أرسلوها بين أكافهم وقال هشام بن عروة عصائم صفر وقال قتادة والضماك كانوا قد أعلموا بالعهن في نواصي الخيل وأذناها روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت وقرئ مسومين على البناء للمفعول ومعناه معين من جهته سبحانه وقيل مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة (وما جعله الله) كلام مبتدأ غير داخل في حيز القول مسوق من جنابه تعالى لبيان أن الأسباب الظاهرة بعزل من التأثير وأن حقيقة النصر مختص به عز وجل لا يشق به المؤمنون ولا يقنطوا منه عند فقدان أسبابه وأما رآته معطوف على فعل مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام فان الاخبار بوقوع النصر على الإطلاق وتذكيره بوقته وحكاية الوعد بوقوعه على وجه مخصوص هو الامداد بالملائكة مرة بعد أخرى وتعيين وقته فيما مضى يقضى بوقوعه حينئذ قضاء قطعياً لا يمكن لم يصرح به فهو يلا على تعاضد الدلائل وتأخذ الامارات والخيال وايداً انابكال الغنى عنه بل احترازاً عن شائبة التكرير أو عن إيهام احتمال الخلف في الوعد المضمون كانه قيل عقيب قوله تعالى يعددكم بكم بخمسة آلاف من الملائكة ثم من فأمركم بهم وما جعله الله الخ والجعل معذراً إلى واحد هو الضمير العائد إلى مصدر ذلك الفعل المقدم إلى المصدر المذكور أعني قوله تعالى أن يعددكم أو إلى المصدر المدلول عليه بقوله تعالى يعددكم فغير تحقيق بجزالة التزويل لأن الهيئة البسيطة متقدمة على المركبة فبيان العمل الغائبة لوجود الامداد كما هو المراد بالنظم الكريم حقه أن يكون بعد بيان وجوده في نفسه ولا ريب في أن المصدرين المذكورين غير معتبرين من حيث الوجود والوقوع كصدر الفعل المقدر حتى يتصدى لبيان أحكام وجودهما بل الاقل معتبر من حيث الكفاية والثاني من حيث الوعد على أن الاول هو الامداد بثلاثة آلاف والواقع هو الامداد بخمسة آلاف وقوله تعالى (الابشري لكم) استثناء مفترغ من اعم العلل وتلوين الخطاب لتشريف المؤمنين وللايدان بأنهم المحتاجون إلى البشارة ونسكين القلوب بتوفيق الأسباب الظاهرة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم غنى عنه بما له من التأيد الروحاني أي وما جعل عمل امدادكم بزال الملائكة عياناً لشيء من الاشياء الا للبشري لكم بانكم تنصرون (ولتطمئن قلوبكم به) أي بالامداد وتسكن اليه كما كانت السكينة لبني اسرائيل كذلك فكلاهما على غاية الجعل وقد نصب الاول لاجتماع شرائطه من اتحاد الفاعل والزمان وكونه مصدراً منصوباً للتعليل وبقي الثاني على حاله لفقدانها وقيل للإشارة أيضاً إلى أصالته في العلية وأهميته في نفسه كما في قوله تعالى والخيال والبغال والحمير ليركبوها وزينة وفي قصر الامداد عليها ما أشعار بأن الملائكة عليهم السلام

لم ياتوا يومئذ القتال وانما كان امدادهم بتقوية قلوب المبشرين ~~بشك~~ كثير السواد ونحوه كما هو رأي
 بعض السلف رضي الله عنه وقيل الجمل متعلق الى اثنين وقوله عز وجل لا ابشركم استثناء من اعم
 المتاعيل أي وما جعله الله تعالى شيئا من الاشياء الابشارة لكم فاللام في قوله تعالى ولتطمئن متعلقة
 بمعذوف تقديره ولتطمئن قلوبكم به فعل ذلك (وما النصر) أي حقيقة النصر على الاطلاق فيندرج في حكمه
 النصر للمعهود اندراجا اوليا (الامن عند الله) أي الاكاثن من عنده تعالى من غير أن يكون فيه شركة من جهة
 الاسباب والعدد وانما هي مظاهره بطريق جريان سنته تعالى أو وما النصر المعهود الامن عنده تعالى لامن
 عند الملائكة فانهم معزول من التأثير وانما قصارى أمرهم ما ذكر من البشارة وتقوية القلوب (العزيز)
 أي الذي لا يغالب في حكمه وأقضيته واجراء هذا الرصف عليه تعالى للاشعار بعله اختصاص النصر به
 تعالى كما أن وصفه بقوله (الحكيم) أي الذي يفعل كل ما يفعل حسما تقتضيه الحكمة والمصلحة للايدان
 بعله جعل النصر بانزال الملائكة فان ذلك من مقتضيات الحكم البالغة (ليقطع) متعلق بقوله تعالى
 ولقد نصركم وما بينهما تحقيق لحقيقته وبيان لكيفية وقوعه والمقصود على التعليل بما ذكر من البشيرة
 والاطمئنان انما هو الامداد بالملائكة على الوجه المذكور فلا يقدح ذلك في تعليل أصل النصر بالقطع وما
 عطف عليه أو بما علق به الخبر في قوله عز وجل وما النصر الا من عند الله على تقدير كونه عبارة عن النصر
 المعهود وقد أشير الى أن المعلن بالبشارة والاطمئنان انما هو الامداد الصوري لا ما في ضميره من النصر
 المعنوي الذي هو ملاك الامر وأما تعلقه بنفس النصر كما قيل فمع ما فيه من الفصل بين المصدر ومعموله بأجنبي
 هو الخبر محلى بسداد المعنى كيف لا ومعناه قصر النصر بخصوص المعلن بعله معينة على الحصول من جهته
 تعالى وليس المراد الا قصر حقيقة النصر والنصر المعهود على ذلك والمعنى لقد نصركم الله يومئذ أو وما النصر
 الظاهر عند امداد الملائكة الا ثابت من عند الله ليقطع أي يهلك ويتقص (طرفا من الذين كفروا) أي
 طائفة منهم يقتل وأسروا وقد وقع ذلك حيث قتل من رؤسائهم وصناديدهم سبعون وأسر سبعون (أو يكبتهم)
 أي يخزئهم وبغيظهم بالهزيمة فان الكبت شدة غيظ أو وهن يقع في القلب من كبتة بمعنى كبدته اذا ضرب
 كبدته بالغليظ والحرقة وقيل الكبت الاصابة بكمروه وقيل هو الصرع للوجه واليدين فالتاء حينئذ غير
 مبدلة وأول التنوين (فينقلبوا خائبين) أي فينهزموا منقطعي الامل غير فائزين من مبتغاهم بشيء كما في
 قوله تعالى وذا الله الذين كفروا وبغيظهم لم ينالوا خيرا (ليس لك من الامر شيء) اعتراض وسطي بين
 المعطوف عليه المتعلق بالعاجل والمعطوف المتعلق بالآجل لتحقيق أن لا تأثير للمصورين اثر يسان أن لا تأثير
 للناصرين وتخصيص النبي برسول الله صلى الله عليه وسلم على طريق تلوين الخطاب للدلالة على الاتفاق من
 غيره بالطريق الاولى وانما خص الاعتراض بوقوعه لان ما قبله من القطع والكبت من مظان أن يكون فيه
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسائر مبشرين القتال مدخل في الجملة (أو يتوب عليهم أو يعذبهم) عطف
 على يكبتهم والمعنى ان مالك امرهم على الاطلاق هو الله عز وجل نصركم عليهم ليهلكهم أو يكبتهم أو يتوب عليهم
 ان اسلموا أو يعذبهم ان اصرروا وليس لك من امرهم شيء انما انت عبد ما مور بانذارهم وجهادهم والمراد
 بتعذيبهم التعذيب الشديد الاخرى المخصوص بأشد الكفرة كفرا والافتراق التعذيب الاخرى متحقق
 في الفريقين الاولين أيضا ونظم التوبة والتعذيب المذكور في سلك العلة الغائية للنصر المترتبة عليه
 في الوجود من حيث ان قبول توبتهم فرع تحققها الناشئ من علمهم بحقيقة الاسلام بسبب غلبة اهل الترتبة
 على النصر وان تعذيبهم بالعذاب المذكور مترتب على اصرارهم على الكفر بعد تبين الحق على الوجه المذكور
 هذا وقيل ان عتبة بن أبي وقاص شيخ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسر ربا عيته فجعل عليه
 الصلاة والسلام يسح الدم عن وجهه وسالم مولى أبي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح
 قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعهم الى ربهم فترت ليس لك من الامر شيء الآية كأنه نوع معاتبة على
 انكاره عليه السلام لفلاحهم وقيل أراد أن يدع عليهم فناء الله تعالى لعله بأن منهم من يؤمن فقوله تعالى
 أو يتوب عليهم حينئذ معطوف على الامر أو على شيء باخمازان أي ليس لك من امرهم أو من التوبة عليهم

أو من تعذيبهم شيء أو ليس لك من أمرهم شيء أو التوبة عليهم أو تعذيبهم ونقل عن القراء وابن الأنباري
أن أو بمعنى الآن والمعنى ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب الله عليهم فتفرح به أو يعذبهم فتتشنج منهم
وأياماً كان فهو كلام مستأنف سبق لبيان بعض الأمور المتعلقة بغزوة أحد اثريان بعض ما يتعلق بغزوة
بدر لما بينهما من النسب الظاهر لأن كلامهما مبنى على اختصاص الأمر كله بالله تعالى ومنى عن سلبه
عن سواء وأما تعلق ككل القصة بغزوة أحد على أن قوله تعالى اذ تقول بدل ثان من اذ غدت وأن ما حكى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقع يوم أحد وأن الامداد الموعود كان مشروطاً بالصبر والتقوى
فلما لم يفعلوا لم يتحقق الموعد كما قيل فلا يساعده النظم الكريم أما أو لافلان المشروط بالصبر والتقوى
انما هو الامداد بخمسة آلاف لا بثلاثة آلاف مع أنه لم يقع الامداد يومئذ ولا بـ واحد وأما ما نيا
فلأنه كان ينبغي حينئذ أن ينهى عنهم جنايتهم وحرمانهم بسببها تلك النعمة الجليلة ودعوى ظهوره
مع عدم دلالة السياق والسباق عليه بل مع دلالة ما على خلافه مما لا يكاد يسمع وأما ثالثاً فلأنه لا سبيل
إلى جعل النعمير في قوله تعالى وما جعله الله الخ عائداً إلى الامداد الموعود لأنه لم يتحقق فكيف يبين علته
القائية ولا إلى الوعد به على معنى أنه تعالى انما جعل ذلك الوعد لبشارتكم واطمئنان قلوبكم
فلم تفعلوا ما شرط عليه عليكم من الصبر والتقوى فلم يقع انجاز الموعد لما أن قوله تعالى وما النصر الا من
عند الله العزيز الحكيم صريح في أنه قد وقع الامداد الموعود لكن أثره انما هو مجزء البشارة والاطمئنان
وقد حصل وأما النصر الحقيقي فليس ذلك الا من عنده تعالى وجعله استثناءً فامتنزلاً لعدم وقوع الامداد
على معنى أن النصر الموعود مخصوص به تعالى فلا ينصرف من خالف أمره بترك الصبر والتقوى اعتسافيين
يجب تنزيه التزويل عن أمثاله على أن قوله تعالى ليقطع طرفاً الآية متعلق حينئذ بما يتعلق بقوله تعالى من
عند الله من الثبوت والاستقرار ضرورة أن تعلقه بقوله تعالى ولقد نصركم الله بيد الآية مع كون ما بينهما
من التفصيل متعلقاً بوقوع أحد من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه فلا بد من اعتبار وجود النصر قطعاً لأن
تفصيل الاحكام المترتبة على وجود شيء بصدد بيان اتقائه مما لم يهد في كلام الناس فضلاً عن الكلام الجيد
فالحق الذي لا محيد عنه أن قوله تعالى اذ تقول لطرف لنصركم وأن ما حكى في أثباته إلى قوله تعالى خائين متعلق
يوم بدر قطعاً وما بعده محتمل للوجهين المذكورين وقوله تعالى (فأنهم ظاؤون) قليل على كل حال
لقوله تعالى أو يعذبهم مبين لكون ذلك من جهتهم وجزاء لظلمهم (ولله ما في السموات وما في الارض) كلام
مستأنف سبق لبيان اختصاص ملكوت كل الكائنات به عز وجل اثريان اختصاص طرف من ذلك به سبحانه
تقرير المسبق وتكملة له وتقديم الجواز للقصر وكلمة ما شاملة للعقل أيضاً فغلباً أي له ما فيه من الموجودات
خلقاً وملكاً لا مدخل فيه لأحد أصلاً له الامر كله (يقفر لمن يشاء) أن يقفر له مشيئة مبنية على الحكم
والمصالح (ويعذب من يشاء) أن يعذبه بعلمه مشيئة كذلك وإشارة إلى أن الموضوعين لاختصاص المغفرة
والتعذيب بالعقل وتقدم المغفرة على التعذيب للايثان بسبق رحمة تعالى غضبه وبأنها من مقتضيات الذات
دونه فانه من مقتضيات سيئات العصاة وهذا صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها
كالمنا في (والله غفور رحيم) تذييل مقرر لمضمون قوله تعالى يقفر لمن يشاء مع زيادة وفي تخصيص التذييل
به دون قرينه من الاعتناء بشان المغفرة والرحمة ما لا يخفى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا ربكم) كلام مبتدأ
مشتمل على ما هو ملاك الأمر في كل باب لا سيما في باب الجهاد من التقوى والطاعة وما بعده هما من الأمور
المدكورة على نهج الترغيب والترهيب حتى به في تضاعيف القصة مسارة إلى إرشاد الخاطئين إلى ما فيه
وايداً ناكلاً وجوب المحافظة عليه فيما هم فيه من الجهاد فان الأمور المدكورة فيه مع كونها مناطاً للفوز
في الدارين على الإطلاق عمدة في أمر الجهاد عليها يدور فلك النصر والغلبة كيف لا ولو حظوا على الصبر
والتقوى وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لما تقوا ما لقوا ولعل إيراد النهي عن الربا في أنثاء المأان الترغيب
في الانفاق في البراء والنصر الذي عمدته الانفاق في سبيل الجهاد متضمن للترغيب في تحصيل المال
فكان مغنبة مبادرة الناس إلى طرق الاكساب ومن جعلها الربا فنهوا عن ذلك والمراد بها كله أخذها
وانما عبر عنه بالأكمل لما أنه معظم ما يقصد بالاختلاس يبعثه في المال كولات مع ما فيه من زيادة تشجيع وقوله

الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة أو الفاحشة ما يتعدى إلى الغير وظلم النفس ما ليس كذلك قيل قال
 المؤمنون يا رسول الله كانت بنو إسرائيل أكرم على الله تعالى منا كان أحدهم إذا أذنب أصبحت كفارة
 ذنبه مكتوبة على عتبة داره ففعل كذا فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل إن نيهان التمار أنت امرأة حسنة
 تطلب منه ثم أقال لها هذا القميس يجيد وفي البيت أجود منه فذهب بها إلى بيته فضعها إلى نفسه وقبلها
 فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك وأق النبي صلى الله عليه وسلم وذكرة ذلك فترت وقيل جرى
 مثل هذا بين أنصاري وامرأة رجل ثقي كان بينهما مواخاة فندم الأنصاري وحنأ على رأسه التراب وهام
 على وجهه وجعل يسبح في الجبال تائباً مستغفراً ثم أق النبي صلى الله عليه وسلم فترت وأياما كان قاطلاً
 اللفظ ينظم ما فعله الزناة انتظاماً أولياً (ذكروا الله) تذكروا حقه العظيم وجلاله الموجب للنشئة والحياء
 أو وعيده أو حاكمه وعقابه (فاستغفروا الذنوب) بالتوبة والندم والقائه للدلالة على أن ذكره تعالى
 مستتبع للاستغفار لا محالة (ومن يغفر الذنوب) استغفام انكارى والمراد بالذنوب جنسها كما في قولك
 فلان يلبس الثياب ويركب الخيل لا كلها حتى يحل بما هو المقصود من استحالة صدور مغفرة فرد منها عن
 غيره تعالى وقوله تعالى (الا الله) بدل من الضمير المستكن في يغفر أي لا يغفر جنس الذنوب أحد الا الله
 خلا أن دلالة الاستغفار على الانتفاء أقوى وأبلغ لا يذانه بأن كل أحد ممن له حظ من الخطاب يعرف ذلك
 الانتفاء فيسارع إلى الجواب به والمراد به وصفه سبحانه بغاية سعة الرحمة وعموم المغفرة والجملة معترضة بين
 المعطوفين أو بين الحال وصاحبها لتقرير الاستغفار والخث عليه والاشعار بالوعد بالقبول (ولم يصروا)
 عطف على فاستغفروا وتأخير عنه مع تقدم عدم الاصرار على الاستغفار رتبة لاظهار الاعتناء بشأن
 الاستغفار واستحقاقه للمسارة اليه عقيب ذكره تعالى أو حال من فاعله أي ولم يقيموا أو غير مقيمين
 (على ما فعلوا) أي ما فعلوه من الذنوب فاحشة كانت أو ظملاً أو على فعلهم روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
 أنه قال ما أصبر من استغفروا ن عادي في اليوم سبعين مرة وأنه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار
 (وهم يعلمون) حال من فاعل يصروا أي لم يصروا على ما فعلوا وهم عالمون بقبضه والنبي عنه والوعيد عليه
 والتقيد بذلك لما أنه قد يعذر من لا يعلم ذلك إذا لم يكن عن تقصير في تحصيل العلم به (اولئك) إشارة إلى
 المذكورين إخراجاً باعتبار اتصافهم بما مر من الصفات الحيدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعدم منزلتهم
 وعلو طبقتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى (جزاؤهم) بدل اشتمال منه وقوله تعالى (مغفرة)
 خبر له أو جزاؤهم مبتدأ ثان ومغفرة خبره والجملة خبر لا أولئك وهذه الجملة خبر لقوله تعالى والذين إذا فعلوا الخ
 على الوجه الأول وهو الاظهار الانسب بنظم المغفرة المنبئة عن سابقة الذنب في تلك الجزاء ادعى الوجهين
 الآخرين يكون قوله تعالى اولئك الخ جملة مستأنفة مبينة لما قبلها كاشفة عن حال كلا الفريقين الحسنين
 والتائبين ولم يذكر من أوصاف الأولين ما فيه شأبة الذنب حتى يذكر في مطلع الجزاء الشامل لهما المغفرة
 وتخصيص الإشارة بالآخرين مع اشتراكهما في حكم اعداد الجنة لهما تعسف ظاهر (من ربه) متعلق
 بمحذوف وقع صفة لمغفرة مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أي كاشفة
 من جهته تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة إلى ضميرهم للاشعار بعلو الحكم والتشريف
 (وجنات تجري من تحتها الانهار) عطف على مغفرة والتكثير المشعر بكونها أدنى من الجنة السابقة مما يؤيد
 رجحان الوجه الأول (خالدین فيها) حال مقدرة من الضمير في جزاؤهم لانه مفعول به في المعنى لانه في قوة
 يجزيهم الله جنات خالدین فيها ولا مساع لان يكون حالا من جنات في اللفظ وهي لأصحابها في المعنى اذ لو كان
 كذلك لبرز الضمير (ونعم اجر العاملين) المخصوص بالمدح محذوف أي ونعم أجر العاملين ذلك أي ما ذكر
 من المغفرة والجنات والتعجب عنهما بالاجر المشعر بأنهم ما يستحقان بمقابله العمل وان كان بطريق التفضل لمزيد
 الترغيب في الطاعات والزجر عن المعاصي والجملة تذييل مختص بالتأبين حسب اختصاص التذليل السابق
 بالاولين وناهيك منهنهما ما دل على ما بين الفريقين من التفاوت النير والتباين البين شتان بين الحسنين
 القاترين بحسبة الله عز وجل وبين العاملين الحازنين لاجرتهم ومهالهم (قد خلت من قبلكم سنن) رجوع

الى تفصيل بقية القصة بعد تهديد مبادئ الرشد والصلاح وترتيب مقدمات الفوز والفلاح والخلق المفضي والسنن
الوقائع وقيل الامم والطرف اتماما متعلق بخلت أو بمحذوف وقع حالا من سنن أي قد مضت من قبل زمانكم
أو كائن من قبلكم وقائع سما الله تعالى في الامم المكذبة ككافي قوله تعالى وقتلوا تقبيلاً سنة الله في الذين
خلوا الخ والفاء في قوله تعالى (فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) للدلالة على سببية
خلوها للسير والنظر واللام بينهما وقيل المعنى على الشرط أي ان ~~شككم~~ فسيروا الخ وكيف خبر مقدم
لكان متعلق لفعل النظر والجملة في محل نصب بعد نزاع الخافض لان الاصل استعمله بالجاء (هذا) اشارة
الى ما سلف من قوله تعالى قد خلت الى آخره (بيان للناس) أي تبين لهم على أن اللام متعلقة بالمصدر وكان
اهم على أنها متعلقة بمحذوف وقع صفه وتعريف الناس للعهد وهم المكذبون أي هذا ايضاح لسوء عاقبة
ما هم عليه من التكذيب فان الامر بالسير والنظر وان كان خاصاً بالمومنين لكن العمل بوجبه غير مختص
بواحد دون واحد ففيه محل للمكذبين ايضاً على أن ينظروا في عواقب من قبلهم من أهل التكذيب ويعتبروا
بما عاينون من آثار ما رهم وان لم يكن الكلام مسوقاً لهم (وهدي وموعظة) أي وزيادة بصيرة وموعظة لكم
وانما قيل (للمتقين) للايدان بعله الحكم فان مدار كونه هدي وموعظة لهم انما هو تقواهم ويجوز أن يراد
بالمؤمنين الصائرون الى التقوى والهدى والموعظة على ظاهرهما أي هذا بيان لما كمل امر الناس وسوء عاقبته
وهذا آية لمن اتقى منهم وزجر لهم عما هم عليه من التكذيب وأن يراد به ما يعمهم وغيرهم من المتقين بالفعل ويراد
بالمهدي والموعظة ايضاً ما يعم ابتداءً هما وزيادة فيهما وانما تقدم كونه بياناً للمكذبين مع أنه غير مسوق له على
كونه هدي وموعظة للمؤمنين مع انه المقصود بالسياق لان أول ما يترتب على مشاهدة آثار هلاك أسلافهم
ظهور حال أخلافهم وأما زيادة الهدى أو أصله فأمر مترتب عليه وتخصيص البيان بالناس مع شموله للمؤمنين
ايضاً لما أن المراد به مجرد البيان العاري عن الهدى والعظة والاقتصار عليهما في جانب المتقين مع ترتيبهما على
البيان لما أنهما المقصود الاصل ويجوز أن يكون تعريف الناس للنفس أي هذا بيان للناس كافة وهدي
وموعظة للمؤمنين منهم خاصة وقيل كلمة هذا اشارة الى ما تلخص من أمر المؤمنين والتائبين والمعتصمين وقوله تعالى
قد خلت الآية اعتراض للبعث على الايمان وما يستحق به ما ذكر من اجر العالمين وأنت خير بأن الاعتراض
لا بد أن يكون مقراً بالضعف ما وقع في خلاله ومعاينة آثار هلاك المكذبين مما لا تعلق له بحال أحد الاصناف
الثلاثة للمؤمنين وان كان باعثاً على الايمان زاجراً عن التكذيب وقيل اشارة الى القرآن ولا يخفى بعده
(ولا تنهوا ولا تحزنوا) تشجيع للمؤمنين وتقوية لقلوبهم ونسبية عما أصابهم يوم أحد من القتل والقرح وكان
قد قتل يومئذ خمسة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير صاحب راية رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعبد الله بن جحش ابن عمه النبي صلى الله عليه وسلم وعثمان بن عفان وسعد مولى عتبة ورضوان الله تعالى
عليهم أجمعين ومن الانصار سبعة رجال رضي الله عنهم أي لا تضعفوا عن الجهاد بما نالكم من الجراح
ولا تحزنوا على من قتل منكم (وأنتم الاعلون) جملة حالية من فاعل الفعلين أي والحال أنكم الاعلون الغالبون
دون عدوكم فان مصير أمرهم الى الدمار حتماً شاهدتم من أحوال أسلافهم فهو نصريح بالوعد بالنصر
والغلبة بعد الاشعار به فيما سبق أو وأنتم المعهودون بغاية علو الشأن لما أنكم على الحق وقتالكم لله عز وجل
وقتلكم في الجنة وهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار وقيل وأنتم الاعلون حالاً منهم حيث أصبتم
منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم اليوم (ان كنتم مؤمنين) متعلق بالنهي أو بالاعلون وجوابه بمحذوف لدلالة
ما تعلق به عليه أي ان كنتم مؤمنين فلا تنهوا ولا تحزنوا فان الايمان يوجب قوة القلب والثقة بمنع الله تعالى
وعدم المبالة بأعدائه أو ان كنتم مؤمنين فأنتم الاعلون فان الايمان يقتضي العار لا محالة أو ان كنتم
معتقين بوعد الله تعالى فأنتم الاعلون وأياً ما كان فالمقصود بتحقيق المعاق بقاء على تحقيق المعاق به كافي قول
الاجبر ان كنت غلبت لك فأعطني أجرى ولذلك قيل معناه ان كنتم مؤمنين وقيل معناه ان بقيتم على الايمان
(ان يحبسكم قرح فقدم من القوم قرح مثله) القرح بالفتح والضم لغتان كالضعف والضعف وقد قرئ بها وقيل
هو بالفتح الجراح وبالضم أهما وقد قرئ بعثتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرده والماء في ان نالوا منكم يوم أحد

فقد ظن منهم قبله يوم يدرى لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يبطئهم عن معارضة تكلم بالقتال فأنتم أحق بأن لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسمين كان يوم أحد فان المسلمين نالوا منهم قبل أن يجالوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلوا منهم نيفا وعشرين رجلا منهم صاحب لوأثمهم وجرحو أعددًا كثيرًا وعقروا عامة خيلهم بالنبل (وتلك الأيام) إشارة إلى الأيام الجارية فيما بين الأمم الماضية والآتية كافة لا إلى الأيام المعهودة خاصة من يوم بدر يوم أحد بل هي داخله فيها دخولاً أولياً والمراد بها أوقات الظفر والغلبة (نداؤها بين الناس) نصرتها فيما بينهم نديلاً لهؤلاء تارة ولهؤلاء أخرى كقول من قال

فيوما علينا وفيوما لنا * وفيوما نساء وفيوما نسر

والمدولة كالمعاودة يقال داوولته بينهم فقد أولوه المعاصرة فتعاوروه واسم الإشارة مبتدأ والأيام اتماماً له أو بدل منه أو عطف بيان له فقد أولوها خبره أو خبر فقد أولوها حال من الأيام والعامل معنى اسم الإشارة أو خبر بعد خبر وصيغة المضارع الدالة على التجدد والاستمرار للإيدان بأن تلك المدولة سنة متلوكة فيما بين الأمم فأطبة ما بقىها ولا حققتها وفيه ضرب من التسلية وقوله عز وجل (وليعلم الله الذين آمنوا) آتامن باب التثنية أى أيعاملكم معاملته من يريد أن يعلم المخلصين الثابتين على الإيمان من غيرهم أو العلم فيه بجواز عن التمييز بطريق الإطلاق اسم السبب على المسبب أى لتمييز الثابتين على الإيمان من غيرهم كقوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب أو هو على حقيقة معتبر من حيث تعلقه بالمعلوم من حيث أنه موجود بالفعل أذهو الذى يذوور عليه ذلك الجزاء لأن من حيث أنه موجود بالقوة وإطلاق الإيمان مع أن المراد هو الرسوخ والاختلاص فيه للإيدان بأن اسم الإيمان لا ينطلق على غيره والاتفات إلى الغيبة بأيناده إلى اسم الذات المستجمع للصفات لتربية المهابة والاشعار بأن صدور كل واحد عما ذكر يصدد التعليل من أفعاله تعالى باعتبار منشا معين من صفاته تعالى مغاير لنشأ الآخر والجملة علة لما هو فرد من أفراد مطلق المدولة التى نطق بها قوله تعالى نداؤها بين الناس من المدولة المعهودة الجارية بين فريق المؤمنين والكافرين واللام متعلقة بمادل عليه المطلق من الفعل المقيد بالوقوع بين الفريقين المذكورين أو تنص الفعل المطلق باعتبار وقوعه بينهما والجملة معطوفة على علة أخرى لها معتبرة أتماعاً على الخصوص والتعيين بمحذوفة دلالة المذكورة عليها لكونها من مبادئها كأنه قيل نداؤها بينكم وبين عدوكم ليعلم الخ فإن ظهور أعمالهم وخروجهم من القوة إلى الفعل من مبادئ تمييزهم عن غيرهم وموجب تعلق العلم الأزلى بها من تلك الحقيقة وكذا الحال في باب التثنية فتأمل وأما على العموم والالهام للتنبه على أن العلل غير متحصرة فيما عتد من الأمور وأن العبد يسوء ما يجرى عليه من النواتب ولا يشعربأن الله تعالى يجعل له في ذلك من الاطاف الخفية ما لا يحيط بالبال كأنه قيل نداؤها بينكم ليكون من المصالح كيت وكيت وابعلم الخ وفيه من تأكيد التسلية ومزيد التبصرة ما لا يخفى وتخصيص البيان بعلة هذا الفرد من مطلق المدولة دون سائر أفرادها الجارية فيما بين شعبة الأمم تعييناً أو إنباه لما لعدم تعلق الغرض العلى ببيانها ولك أن تجعل المحذوف المبهى عبارة عن علل سائر أفرادها للإشارة إليها إلى أن كل فرد من أفرادها له داعية إليه كأنه قيل نداؤها بين الناس كافة ليعلم الخ كيت وكيت من الحكم الداعية إلى تلك الأفراد وابعلم الخ فاللام الأولى متعلقة بالفعل المطلق باعتبار تصديه تلك الأفراد والثانية باعتبار تصديه بالفرد المعهود وقيل هي متعلقة بمحذوف مؤخر تقديره وابعلم الله الذين آمنوا فعل ذلك (ويأخذ منكم شهداء) جمع شهيد أى ويكرم ناساً منكم بالشهادة وهم شهداء أحد فن ابتدائية أو تبعيضية متعلقة بآخذ أو بمحذوف وقع حالاً من شهداء أو جمع شاهد أى ويأخذ منكم شهوداً معتدلين بما ظهر منهم من الشيات على الحق والصبر على الشدائد وغير ذلك من شواهد الصدق استشهدوا على الأمم يوم القيامة فن بيانية لأن تلك الشهادة وظيفة الكل دون المستشهدين فقط وأياً ما كان ففى لفظ الاتخاذ المنبئ عن الاصطفاة والتقريب من تشریفهم وتخصيم شأنهم ما لا يخفى وقوله تعالى (والله لا يحب الظالمين) اعتراض مقرر لمتهمون ملقبه ونفى المحبة كناية عن البغض وفى إيقاعه على الظالمين تعريض بمحبته تعالى لمقابلتهم والمراد بهم أتماع الثابتين على الإيمان فالتقرير من حيث أن بغضه تعالى لهم من دواعي إخراج المخلصين المصطفين للشهادة من بينهم وأما الكفرة الذين أذيل لهم فالتقرير من

حيث ان ذلك ليس بطريق النصر لهم فانها مختصة بأوليائه تعالى بل لما ذكر من القوائد العائدة الى المؤمنين وقوله تعالى (وليصص الله الذين آمنوا) أى ليصفهم ويظهرهم من الذنوب عطف على يتخذ وتكرر اللام لتذكير التعليل لوقوع الفصل بينهما بالاعتراض واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لابرار من يد الاعتناء بشأن التخصيص وهذه الامور الثلاثة علل للمداولة المعهودة باعتبار كونها على المؤمنين قدمت في الذكر لانها المحتاجة الى البيان ولعل تأخير العلة الاخيرة عن الاعتراض لثلاثتهم اندراج المذنبين في الظالمين أو ليقترن بقوله عز وجل (ويحق الكافرين) فان التخصيص فيه محالاً ثم ازالة الاضمار كما أن الحق عبارة عن النقص والاذهاب قال الفضل هو أن يذهب الشيء بالكلية حتى لا يرى منه شيء ومنه قوله تعالى يحق الله الربا أى يستأصله وهذه علة للمداولة باعتبار كونها على الكافرين والمراد بهم الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وأصر وأعلى الكفر وقد محققهم الله عز وجل جميعاً (ام حسبتم) كلام مستأنف سبق لبيان ما هي الغاية القصوى من المداولة والنتيجة لما ذكر من تمييز المخلصين وتخصيصهم واتخاذ الشهداء واظهار عزة منازلها والخطاب للذين انهزموا يوم أحد وأم منقطعة وما فيها من كلمة بل للاضراب عن التسلية ببيان العلة فيالقوا من الشدة الى تحقيق أنهم من مبادئ الفوز بالمطلب الاسنى والهمزة لانكار والاستبعاد أى بل أحسبتم (أن تدخلوا الجنة) وتفوزوا بنعيمها وقوله تعالى (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) حال من ضمير تدخلوا مؤكدة للانكار فان رجاء الابر يغير عمل ممن يعلم أنه منوط به مستبعد عند العقول وعدم العلم كناية عن عدم المعلوم لما بينهما من اللزوم المبنى على لزوم تحقق الاول لتحقيق الثاني ضرورة استحالة تحقق شيء بدون علمه تعالى به واشارها على التصريح للمبالغة في تحقيق المعنى المراد فانها اثبات لعدم جهادهم بالبرهان وللإيدان بأن مدار ترتب الجزاء على الاعمال انما هو علم الله تعالى بها كانه قيل والحال أنه لم يوجد الذين جاهدوا منكم وانما وجه النفي الى الموصوفين مع أن المنفى هو الوصف فقط وكان يمكن أن يقال ولما يعلم الله جهادكم كناية عن معنى ولما تجاهدوا والمبالغة في بيان انتفاء الوصف وعدم تحققه أصلاً وفي كلمة لما يذات بأن الجهاد متوقع منهم فيما يستقبل الا أنه غير معتبر في تأكيد الانكار وقرئ يعلم بفتح الميم على أن أصله يعلم فحذفت النون أو على طريقة اتباع الميم لما قبلها في الحركة لابقاء تفخيم اسم الله تعالى ومنكم حال من الذين (ويعلم الصابرين) منصوب باضمار أن على أن الواو للجمع كما في قولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن أى لا يكن منك أكل السمك وشرب اللبن والمعنى ام حسبتم أن تدخلوا الجنة والحال أنه لم يتحقق منكم الجهاد والصبر أى الجمع بينهما واشار اسم الفاعل على الموصول للدلالة على أن الاعتبار والاستمرار على الصبر والمحافظة على القواميل وقيل مجزوم معطوف على المجزوم قبله قد حرك لالتقاء الساكنين بالفتح للحنفية والاتباع كما مر ويؤيده القراءة بالكسر على ما هو الاصل في تحرريك الساكن وقرئ يعلم بالرفع على أن الواو للعال وصاحبها الموصول والمبتدأ محذوف أى وهو يعلم الصابرين كانه قيل ولما تجاهدوا وأنتم صابرون (ولقد كنتم تقولون الموت) أى تتنون الحرب فانها من مبادئ الموت أو الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدراً وكانوا يتنون أن يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدين أو ما ناله شهداء بدر من الكرامة فألحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج ثم ظهر منهم خلاف ذلك (من قبل أن تلاقوه) متعلق بقولهم متنون سبب اقدامهم على القتلى أى من قبل أن تشاهدوه وتعرفوا هولاء وشدة وقرئ تلاقوه (فتقدراً يتوه) أى ماتتونه من اسباب الموت أو الموت بمشاهدة أسبابه وقوله تعالى (وانتم تنظرون) حال من ضمير المتخاطبين وفي اشارة الرؤية على الملافة وتقيدها بالنظر مزيد مبالغة في مشاهدتهم والقاء فصحة كانه قيل ان كنتم صادقين في تمسككم ذلك فقدراً يتوه معا ينزل حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم وأقاربكم وشارفتهم أن تقتلوا فلم فعلتم ما فعلتم وهو يوجب لهم على تمسكهم الحرب وتسيبهم لها ثم جبنهم وانهم زامهم لآعلى تقي الشهادة بناء على تفهمها الغلبة الكفار لما أن مطلب من يتناها نيل كرامة الشهداء من غير أن يخطر بباله شيء غير ذلك فلا يستحق العتاب من تلك الجهة (وما محمد الا رسول) مبتدأ وخبر ولا عمل لما بالانفاق لاتفاق نفيه بالا وقوله تعالى (قد خلت من قبله الرسل) صفة لرسول منبئة عن كونه في شرف الخلق فان خلقه مشترك في منصب الرسالة من

شواهد خاتمه عليه الصلاة والسلام لا محالة كانه قيل قد خلت من قبله أمثاله فسيخلو كما خلوا والقصر قلبي فانهم لما انقلبوا على أعقابهم فكأنهم اعتقدوا أنه عليه الصلاة والسلام رسول لا كسائر الرسل في أنه يخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه بعده كما يجب التمسك بدينهم بعدهم فرد عليهم بأنه ليس إلا رسولا كسائر الرسل فسيخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه كما يجب التمسك بدينهم وقيل هو قصر أفراد فانهم لما استعظموا عدم بقاءه عليه الصلاة والسلام لهم نزلوا منزلة المستبعدين لهلاكه كأنهم يعتقدون فيه عليه الصلاة والسلام وصفين الرسالة والبعد عن الهلاك فرد عليهم بأنه مقصور على الرسالة لا يتجاوزها إلى البعد عن الهلاك فلا بد حينئذ من جعل قوله تعالى قد خلت الخ كلاما مبتدأ مسوقا لتقرير عدم برأيه عليه الصلاة والسلام من الهلاك وبيان كونه أسوة لمن قبله من الرسل عليهم السلام وأياما كان فالكلام يخرج على خلاف مقتضى الظاهر (أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) انكار لارتدادهم وانقلابهم عن الدين بخلوه بموت أو قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسك به وقيل الفاء السببية والهمزة لا تنكار أن يخلو الرسل قبله سببا لانقلابهم بعده وفاته مع كونه سببا في الحقيقة لنسبائهم على الدين وإبراد الموت بكلامه أن مع علمهم به البتة لتزليل المخاطبين منزلة المترددين فيه لما ذكر من استعظامهم إياه وهكذا الحال في سائر الموارد فان كلمة أن في كلام الله تعالى لا تجري على ظاهرها فظ ضرورة عمله تعالى بالوقوع أو الالاد وقوع بل تحمل على اعتبار حال السامع أو أمر آخر يناسب المقام وتقدم تقدير الموت مع أن تقدير القتل هو الذي ثار منه القسوة وعظم فيه الهتنة لما أن الموت في شرف الوقوع فزحر الناس عن الانقلاب عنده وجعلهم على التثبت هناك لهم ولأن الوصف الجامع بينه وبين الرسل عليهم السلام هو الخلوة بالموت دون القتل * وروى أنه لما اتقى القشتان حل أبو دجاجة في نفر من المسلمين على المشركين فقاتل قتالا شديدا وقاتل على بن أبي طالب رضي الله عنه قتالا عظيما حتى التوى سيفه وكذا سعد بن أبي وقاص فقتلوا جماعة من المشركين وهزموهم فلما انظر الرماة إليهم ورأوا أنهم قد انهزموا أقبلوا على النهب ولم يلتفتوا إلى نهى أميرهم عبد الله بن جبير فلم يبق منهم عنده إلا غنمة نفر فلما رأهم خالد بن الوليد قد اشتغلوا بالغنمة حل عليهم في مائتين وخمسين فارسا من المشركين من قبل الشعب وقتلوا من بقي من الرماة ودخلوا خلف أفضية المسلمين ففر قوامهم وهزموهم وجعلوا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلواهم حتى أصيب هناك نحو ثلاثين رجلا كل منهم يجترأ بين يديه ويقول وجهي لوجهك وفاء ونفسي لنفسك فداها وعليك سلام الله غير مودع وروى عبد الله بن خزيمة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بجحر فكسر ربا عيته وشج وجهه الكريم فذهب عنه مصعب بن عمير رضي الله عنه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن خزيمة وهو يزعم أنه قتل النبي صلى الله عليه وسلم فقال قتلت محمدا وصرخ صارخا قبل أنه إبليس إلا أن محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم يدعوا إلى عباد الله قال كعب بن مالك كنت أقول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين فناديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنجز إليه ثلاثون من أصحابه وجوه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرقوا الباقرن وقال بعضهم ليت ابن أبي ياخذ لنا أمانا من أبي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيسا لما قتل أربعمائة إلى أخوانكم وإلى دينكم فقال انس بن النضر وهو عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت ومات من دعوى الحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا كراما على ما مات عليه ثم قال اللهم اني أعذركم بما يقول هؤلاء وأبرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شذبه سيفه وقاتل حتى قتل وتجويزهم لقتله عليه الصلاة والسلام مع قوله تعالى والله يعصمك من الناس لما أن كل آية ليس يسمعها كل أحد ولا كل من يسمعها يستحضرها في كل مقام لا سيما في مثل ذلك المقام الهائل وقد غفل عمر رضي الله عنه عن هذه الآية **التي** رعية عند وفاته عليه الصلاة والسلام وقام في الناس فقال ان رجلا من المنافقين يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وان رسول الله مات ولكنه ذهب إلى ربه فكذب موسى بن عمران فغاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قطع من أيدي رجال وأرجلهم يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ولم يل يكثر ذلك إلى أن قام أبو بكر رضي الله عنه فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ثم قال أيها الناس من كان يعبد محمد أفان محمد أقدم مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم تلاوا مع محمد الأرسول قد خلت من قبله الرسل الآية قال الراوي والله لكان الناس لم يعلموا أن

قوله فغاب عن قومه في بعض النسخ فغاب عن قومه

هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تلاها أبو بكر وقال عمر رضي الله عنه والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر رضي الله عنه يتلو فعمرت حتى ما تحملني رجلاي وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات (ومن ينقلب على عقبيه) بادباره عما كان يقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر الجهاد وغيره وقيل بارتداده عن الاسلام وما ارتد يومئذ أحد من المسلمين إلا ما كان من المنافقين (فلن يضرب الله) بما فعل من الانقلاب (شيئا) أي شيئا من الضرر وانما يضرب نفسه بتعريضها للخط والسخط والعذاب (وسيجزي الله الشاكرين) أي الثابتين على دين الاسلام الذي هو أجل نعمة وأعز معروف هو بذلك لأن الثبات عليه شكر له وعرفان لحقه وفيه ايماء الى كفران المنقلبين وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بهم الطائفة من المؤمنين من المهاجرين والانصار وعن علي رضي الله عنه أبو بكر وأصحابه رضي الله عنهم وعنه رضي الله عنه أنه قال أبو بكر من الشاكرين ومن أحباؤه الله تعالى وأظهره الاسم الجليل في موقع الاضمار لا يرازمزيد الاعتناء بشأن جزائهم (وما كان لنفس أن تموت) كلام مستأنف سبق للتنبيه على خطئهم فيما فعلوا حذرهم قتلهم وبناء على الارجاف بقتله عليه الصلاة والسلام بيان أن موت كل نفس منوط بعشيئة الله عز وجل لا يكاد يقع بدون تعلقها به وانما ضمت موارد الخوف واقتضت مضائق كل هول مخوف وقد أشير بذلك الى أنها لم تكن متعلقة بموتهم في الوقت الذي حذروه فيه ولذلك لم يقتلوا حينئذ لاجتماعهم عن مباشرة القتال وكلمة كان ناقصة اسمها أن تموت وخبرها الطرف على أنه متعلق بمحذوف وقوله تعالى (الا ياذن الله) استثناء مفرغ من اعم الأسباب أي وما كان الموت حاصلًا لنفس من النفوس بسبب من الأسباب الا بمشيئته تعالى على أن الاذن مجازيتها لكونها من لوازمه أو الا ياذن لك الموت في قبض روحها وسوق الكلام مساق التثليل بتصور الموت بالنسبة الى النفوس بصورة الافعال الاختيارية التي لا يتنى للفاعل ايضاؤها والاقدام عليها بدون اذنه تعالى أو بتزيل اقدمها على مباديه أعنى القتال منزلة الاقدام على نفسه للمبالغة في تحقيق المرام فان موتها حيث استحال وقوعه عند اقدمها عليه أو على مباديه وسعيها في ايصاله فلا ينسحق عند عدم ذلك أولى وأظهر وفيه من التعريض على القتال ما لا يخفى (كتابا) مصدر مؤن كد لضمون ما قبله أي كتبه الله كتابا (موجلا) موقنا بوقت معلوم لا يتقدم ولا يتأخر ولو ساعة وقرئ موجلا بالواو بدل الهمزة على قياس التثنية وبعد تحقيق أن مدار الموت والحياة محض مشيئة الله عز وجل من غير أن يكون فيه مدخل لاحد أصلا أشير الى أن توفية ثمرات الاعمال دائمة على ارادتهم ليصرفوها عن الاغراض الدنية الى المطالب السنية فصيل (ومن يرد) أي يعمل (ثواب الدنيا ثونه) بنون العظمة على طريق الالتفات (منها) أي من ثوابها ما نشاء أن تؤتبه اياه كافي قوله عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وهو تعريض بمن شغلهم الغنائم يومئذ وقد مر تفصيله (ومن يرد) أي يعمل (ثواب الآخرة ثونه منها) أي من ثوابها ما نشاء من الاضعااف حسبا جرى به الوعد الكريم (وسيجزي الشاكرين) نعمة الاسلام الثابتين عليه الصادقين لما اتاهم الله تعالى من القوى والقدر الى ما خلقت هي لاجله من طاعة الله تعالى لا يلو يهيم عن ذلك صارف أصلا والمراد بهم اما المجاهدون المعهودون من الشهداء وغيرهم واما جنس الشاكرين وهم داخلون فيه دخولا أولا والجملة اعتراض مقترن بضمون ما قبله ووعد بالمزيد عليه وفي تصديرها بالسبب واهتمام الجزاء من التاكيد والدلالة على نخامة شأن الجزاء وكونه بحيث يقصر عنه البيان ما لا يخفى وقرئ الافعال الثلاثة بالياء (وكاين) كلام مبتدأ ناع عليهم تقصيرهم وسوء صنيعهم في حدودهم عن سنن الربانيين المجاهدين في سبيل الله مع الرسل الخالية عليهم السلام وكاين لفظة مركبة من كاف التشبيه وأي حدث فيها بعد التركيب معنى التكثير كما حدث في كذا وكذا والنون تنوين أثبت في الخط على غير قياس وغيرها خمس لغات هي احداهن والثانية كائن مثل كعين والثالثة كايين مثل كعين والرابعة كيثين ياء ساكنة بعدها همزة مكسورة وهي قلب ما قبلها وال خامسة كائن مثل كعين وقد قرئ بكل منها ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تعالى (من نجي) تمييز لها لانها مثل كم الخبرية وقد جاء غير ما حنصوبا كما في قوله اطراد الياس بالرجاف كائين * أما لاحتم يسره بعد عسر وقوله تعالى (قاتل معه ربيون كثير) خبر لها على أن الفعل مستند الى الظاهر والرابطة هو الضمير

الجور وفي معه وقرئ قتل وقتل على صيغة المبني للمفعول مخففة ومشددة والربى منسوب الى الرب كالرباني
 وكسر الراء من تغييرات النسب وقرئ بضمها وبضمها أيضا على الاصل وقيل هو منسوب الى الربة وهي الجماعة
 أي كثير من الانبياء قاتل معه لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه علماء اتقياء أو عابدون أو جماعات كثيرة فالطرف
 متعلق بقاتل أو بمحذوف وقع حالا من فاعله كما في القراءتين الاخيرتين اذ لا احتمال فيهما للتعلمة بالفعل أي
 قتلوا أو قتلوا كائنين معه في القتال لا في القتل قال سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال
 وقال الحسن البصري وجماعة من العظماء لم يقتل نبي في حرب قط وقيل الفعل مستند الى ضمير النبي
 والطرف متعلق بمحذوف وقع حالا منه والربط هو الضمير الجور والراجع اليه وهذا واضح على القراءة المشهورة
 بلا خلاف أي كم من نبي قاتل كائنا معه في القتال ربيون كثير وأما على القراءتين الاخيرتين فغير ظاهر لاسيما
 على قراءة التشديد وقد جوزوه بعضهم وأيده بأن مدار التوبيخ المنزلة لهم للأرجاف بقتله عليه السلام أي كم من
 نبي قتل كائنا معه في القتال أو في القتال ربيون الخ وقوله تعالى (فما وهنوا) عطف على قاتل على أن
 المراد به عدم الوهن المتوقع من القتال كما في قولك وعظته فلم تعظم وصحت به فلم ينزع حران الايمان بالشيء بعد
 ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه بحسب الحقيقة صنع جديد مصحح
 لدخول الفاء المرتبة له على ما قبله أي فافتروا وما انكسرت همهم (لما أصابهم) في أثناء القتال وهو علة
 للمعنى دون النبي ثم يشعر بعلته قوله تعالى (في سبيل الله) فان كون ذلك في سبيله عز وجل حماية قوى قلوبهم
 ويزيل وهنهم وما موصولة أو موصوفة فان جعل الضمير ان الجميع الربيين فهي عبارة عما عدا القتل من الجراح
 وسائر المكارم المعترية للكل وان جعل للبعض الباقيين بعد ما قتل الاخرون كما هو الانسب بمقام توبيخ
 المنزلة بعد ما استشهد الشهداء فهي عبارة عما ذكر مع ما اعتراهم من قتل اخوانهم من الخوف والحزن وغير
 ذلك هذا على القراءة المشهورة وأما على القراءتين الاخيرتين فان أسند الفعل الى الربيين فالضمير ان الباقيين
 منهم حتما وان أسند الى ضمير النبي فكما هو الانسب بالتوبيخ على الانحزال بسبب الأرجاف بقتله
 عليه الصلاة والسلام فهم الباقيين أيضا ان اعتبر كون الربيين مع النبي في القتل وللجميع ان اعتبر
 كونهم معه في القتال (وما ضعفوا) عن العدو وقيل عن الجهاد وقيل في الدين (وما استكاثوا)
 أي وما خضعوا للعدو وأصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريد والالف من
 اشباع الفحة أو استكون من الكون لانه يطلب أن يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن
 والانكسار عند استيلاء الكفرة عليهم والأرجاف بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة
 المشركين واستكاثتهم لهم حين أرادوا أن يعتضدوا بابن أبي المنافق في طلب الامان من أبي سفيان (واشبه
 بحب الصابرين) أي على مقاساة الشدائد ومعاناة المكارم في سبيل الله فينصرونهم ويعظم قدرهم والمراد
 بالصابرين اما المعهودون والاضمار للفناء عليهم بحسن الصبر والاشعار بعلل الخسار كما
 الجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا والجملة تذييل لما قبلها (وما كان قولهم) كلام مبين لمحاسنهم القولية
 معطوف على ما قبله من اجل المبينة لمحاسنهم الفعلية وقولهم بالنصب خبر لكان واسمها أن وما بعدها في قوله
 تعالى (الا أن قالوا) والاستثناء مفرغ من أعم الاشياء أي ما كان قولهم عند لقاء العدو واقحام
 مضايق الحرب واصابة ما أصابهم من فنون الشدائد والاهوال شيء من الاشياء الا أن قالوا (ربنا اغفر لنا
 ذنوبنا) أي صفاتنا (واسرأفنا في أمرنا) أي تجاوزنا الحد في ركوب الكبائر أضافوا الذنوب والاسراف
 الى أنفسهم مع كونهم ربانيين برآء من التفریط في جنب الله تعالى هضمها واستقصار المهمهم
 واستنادها لما أصابهم الى أعمالهم وقدموا الدعاء بغفرتها على ما هو الأهم بحسب الحال من الدعاء بقولهم
 (وثبت أقدامنا) أي في مواطن الحرب بالقوية والتأييد من عندك أو ثبتنا على دينك الحق (وانصرنا على
 القوم الكافرين) تقرير له الى حيز القبول فان الدعاء المقرون بالخضوع الصادر عن زكاة وطهارة اقرب
 الى الاستجابة والمعنى لم يرأوا لمواظبين على هذا الدعاء من غير أن يصدر عنهم قول يوهم شائبة الجزع
 والخور والتزلزل في مواضع الحرب ومراد الصديق وفيه من التعريض بالهزيمة ما لا يخفى وقرأ ابن
 كثير وعاصم في رواية عن جابر رفع قولهم على أنه الاسم والخبر أن وما في جزمها أي ما كان قولهم

حينئذ شيئا من الاشياء الا هذا القول المنبثق عن أحسن المحاسن وهذا كما ترى أقعد بحسب المعنى وأوفق
بمقتضى المقام لما أن الأخبار يكون قولهم المطلق خصوصية قولهم المحكى عنهم مفعلا كما تفيد قراءتهما
أكثر فائدة للسامع من الأخبار يكون خصوصية قولهم المذكور قولهم لما أن مصب الفائدة وموقع البيان
في الجمل الخبرية هو الخبر فالأحق بالخبرية ما هو أكثر فائدة وأظهر دلالة على الحدث وأوفر احتمالا على نسب
خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع ولا يخفى أن ذلك ههنا في أن مع ما في حيزها أتم وأكمل
وأما ما تفيد الاضافة من النسبة المطلقة الاجمالية فحيث كانت سهلة الحصول خارجا وذهنا كان حقها أن
تلاحظ ملاحظة اجمالية وتجعل عنوانا للموضوع لا مقصودا بالذات في باب البيان وانما اختار الجمهور
ما اختاروه لقاعدة صناعية هي أنه اذا اجتمع معرفتان فالاعرف منهما أحق بالاسمية ولا ريب في اعرفية
أن قالوا الدلالة على جهة النسبة وزمان الحدث ولانه يشبه المضر من حيث انه لا يوصف ولا يوصف به
وقولهم مضاف الى مضمرفه وعنزة العلم فتأمل (فأناهم الله) بسبب دعائهم ذلك (ثواب الدنيا) أي النصر
والغنمة والعز والذكر الجليل (وحسن ثواب الآخرة) أي وثواب الآخرة الحسن وهو الجنة والنعيم المخلد
وتخصيص وصف الحسن به للابتنان بغضله ومزيتته وأنه المعتد به عنده تعالى (والله يحب المحسنين) تذييل
مقرر لأصقون ما قبله فان محبة الله تعالى للعبد عبارة عن رضاه عنه وإرادة الخير به فهي مبدأ الكل سعادة
واللام اما للعهد وانما وضع المظهر موضع ضمير اليهودين للاشعار بأن ما حكى عنهم من الافعال والاقوال
من باب الاحسان واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا وهذا أنسب بمقام ترغيب المؤمنين في تحصيل
ما حكى عنهم من المناقب الجليلة (يا أيها الذين آمنوا) شروع في زجرهم عن متابعة الكفار ببيان
استتباعها لخسران الدنيا والآخرة اثر ترغيبهم في الاقتداء بأنصار الانبياء عليهم السلام ببيان افضائه الى
فوزهم بسعادة الدارين وتصدير الخطاب بالتداع والتنبية لاطهار الاعتناء بما في حيزه ووصفهم بالايمان
لتذكير حالهم وتثبيتهم عليها باظهار ما فيها من اعدائهم كما أن وصف المنافقين بالكفر في قوله تعالى (ان
تطيعوا الذين كفروا) لذلك قصد الى مزيد التنفير عنهم والتعذير عن طاعتهم قال علي رضي الله عنه نزلت
في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم فوقع قوله تعالى (يردوكم
على أعقابكم) جوابا للشرط مع كونه في قوة أن يقال ان تطيعوهم في قواهم ارجعوا الى اخوانكم
وادخلوا في دينهم يدخلوكم في دينهم باعتبار كونه تمهيدا لقوله تعالى (فتنقلبوا خاسرين) أي للدنيا
والآخرة غير قانزين بشئ منهما واقعين في العذاب الخالد على أن الارتداد على العقب علم في انكسار الامر
ومثل في الحور بعد الكور وقيل المراد بهم اليهود والنصارى حيث كانوا يستغفرونهم ويوقعون لهم التشبه
في الدين ويقولون لو كان نبيا حتما لما غلب ولما أصابه وأصحابه ما أصابهم وانما هو رجل حاله كمال غيره من
الناس يوما عليه ويوم له وقيل أبوسفیان وأصحابه والمراد بطاعتهم استئذانهم والاستكاثرة لهم وقيل الوصول
على عمومهم والمعنى نهى المؤمنين عن طاعتهم في أمر من الامور حتى لا يستجروهم الى الارتداد عن الدين
فلا حاجة على هذه التقادير الى ما مر من البيان (بل الله مولاكم) اضراب عما يفهم من مضمون الشرطية
كانه قيل فليسوا أنصاركم حتى تطيعوهم بل الله ناصركم لا غيره فاطيعوه واستغفوا به عن موالاتهم وقرئ
بالنصب كأنه قيل فلا تطيعوهم بل أطيعوا الله ومولاكم نصب على أنه صفة له (وهو خير الناصرين) نخصوه
بالطاعة والاستعانة (سنلقى) بنون العظمة على طريقة الالتفات جريا على سنن الكبراء لتربية المهابة
وقرئ بالياء والسين لتأكيد الالتقاء (في قلوب الذين كفروا الرعب) بسكون العين وقرئ بضمها على الاصل
وهو ما قدف في قلوبهم من الخوف يوم أحد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل
ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا
فأستأصلوهم فعند ذلك ألقى الله تعالى في قلوبهم الرعب فأمسكوا فلا بد من كون نزول الآية في تضاعف
الجرب أو عقيب انتصائه وقيل هو ما ألقى في قلوبهم من الرعب يوم الاحزاب (عما أشركوا بالله) متعلق
بلقى دون الرعب وما مصدرية أي بسبب اشرارهم به تعالى فانه من موجبات غلبته لانهم ونصر المؤمنين
عليهم وكلاهما من دواعي الرعب (ما لم ينزل به) أي بأشراكه (سلطانا) أي حجة سميت به لوضوحها وانارتها

أو اقوتها أول حلتها ونفوذها وذ كرم تنزيها مع استعمال الحقيقة في نفسها من قبل قوله ولا ترى الضب
 بها ينجر أي لا ضب ولا انفجار وفيه ايدان بأن المتبع في الباب هو البرهان السماوي دون الآراء والاهواء
 الباطلة (وما واهم) بيان لأحوالهم في الآخرة اثر بيان أحوالهم في الدنيا وهي الرعب أي ما يأوون
 اليه في الآخرة (النار) لأجل أحوالهم غيرها (وبئس مثوى الظالمين) أي مثواهم وانما وضع موضعه
 المظهر المذكور للتخليط والتعطيل والاشعار بأنهم في اشرا ~~كهم~~ ظالمون واضعون للشيء في غير موضعه
 والخصوص بالذم محذوف أي بئس مثوى الظالمين النار وفي جعلها مثواهم بعد جعلها مأواهم نوع رمز الى
 خلودهم فيها فان المثوى مكان الإقامة المنبثقة عن المكث وأما المأوى فهو المكان الذي يأوي اليه الانسان
 (ولقد صدقكم الله وعده) نصب على أنه مفعول ثان لصدق صريحاً وقيل بنزع الجار أي في وعده نزلت
 حين قال ناس من المؤمنين عند رجوعهم الى المدينة من أين اصابنا هذا وقد وعدنا الله تعالى بالنصر وهو
 ما وعدهم على ايمان نبيه عليه السلام من النصر حيث قال للرماة لا تبرحوا مكانكم ~~كم~~ فلن نزال غاليين ما بينكم
 مكانكم وفي رواية أخرى لا تبرحوا عن هذا المكان فانا لانزال غاليين ما دمتم في هذا المكان وقد كان كذلك فان
 المشركين لما قبلوا جعل الرماة يرشقونهم والساقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم
 يقتلونهم قتلاً ذريعاً وذلك قوله تعالى (اذ تحسونهم) أي تقتلونهم قتلاً كثيراً فاشيا من حسه اذا بطل حسه
 وهو ظرف لصدقكم وقوله تعالى (بأذنه) أي بتيسيره وتوفيقه لتحقيق أن قتلهم بما وعدهم الله تعالى من النصر
 وقيل هو ما وعدهم بقوله تعالى ان تصبروا وتتقوا الآية وقدم تحقيق أن ذلك كان يوم بدر كيف لا والموعود
 بما ذكر امداده عز وجل بانزال الملائكة عليهم السلام وتقييد صدق وعده تعالى بوقت قتلهم بأذنه تعالى
 صريح في أن الموعود هو النصر المعنوي والتيسير لا الامداد بالملائكة وقيل هو ما وعده تعالى بقوله سنلقى الخ
 وأنت خير بأن الرعب كان عند تركهم القتال ورجوعهم من غير سبب أو بعد ذلك في الطريق على اختلاف
 الروايتين وإيما كان فلا سبيل الى كونه مغيباً بقوله تعالى (حتى اذا فشلتم) أي جبنتم وضعف رأيكم أو ملتم
 الى الغنية فان الحرص من ضعف القلب (وتنازعتم في الامر) فقال بعض الرماة حين انهزم المشركون
 وولوا هاربين والمسلمون على أعقابهم قتلاً وضرباً فاما وقفنا ههنا بعد هذا وقال أميرهم عبد الله بن جبير رضي
 الله عنه لا تخالف أمر الرسول صلى الله عليه وسلم فثبت مكانه في نفر دون العشرة من أصحابه ونفر الساقون
 للنهب وذلك قوله تعالى (وعصيتهم من بعد ما أراكم ما يحبون) أي من الظفر والغنية وانهم زام العدو فلما رأى
 المشركون ذلك جعلوا عليهم من قبل الشعب وقتلوا أمير الرماة ومن معه من أصحابه حسبما فصل في تفسير قوله
 تعالى افا ان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم وجواب اذا محذوف وهو متعكم نصره وقيل هو امتحنكم ويزده
 جعل الابتلاء غاية للصرف المترتب على منع النصر وقيل هو انقسمتم الى قسمين كما ينبي عنه قوله تعالى (منكم من
 يريد الدنيا) وهم الذين تركوا المركز وأقبلوا على النهب (ومنكم من يريد الآخرة) وهم الذين ثبتوا مكانهم
 حتى مالوا شرف الشهادة هذا على تقدير كون اذا شرطية وحتى ابتداءية داخلية على الجملة الشرطية وقيل
 اذا اسم كما في قولهم اذا يقوم زيد يقوم عمرو وحتى حرف جر بمعنى الى متعلقة بقوله تعالى صدقكم باعتبار
 تنفذه لمعنى النصر كانه قيل لقد نصركم الله الى وقت فشلكم وتنازعكم الخ وعلى هذا فقوله تعالى (ثم صرفكم
 عنهم) عطف على ذلك وعلى الاول عطف على الجواب المحذوف كما أشير اليه والجلتان الظرفيتان اعتراض
 بين المتعاطفين أي كفكم عنهم حتى حالت الحال ودالت الدولة وفيه من اللطف بالمسلمين ما لا يخفى (ليبتليكم)
 أي يعاملكم معاملته من يمتحنكم بالمصائب ليظهر ثباتكم على الايمان عندها (ولقد عفا عنكم) تفضلاً ولما علم
 من ندمكم على الخائفة (واقهذ وفضل على المؤمنين) تذييل مقترن لمضمون ما قبله ومؤذن بأن ذلك العفو
 بطريق التفضل والاحسان لا بطريق الوجوب عليه أي شأنه أن يتفضل عليهم بالعفو وهو متفضل عليهم
 في جميع الأحوال أدب لهم أو أدب عليهم اذا ابتلاء أيضاً راحة والتكثير للتفضيل والمراد بالمؤمنين أما المخاطبون
 والإنظار في موقع الاضمار للتشريف والاشعار بعلو الحكم وأما الجنس وهم الداخلون في الحكم دخولاً اولياً
 (اذ تصعدون) متعلق بصرفكم أو بقوله تعالى ليبتليكم أو بمقدركم كما ذكرنا والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض
 وقرئ تصعدون من التلاقي أي في الجبل وقرئ تصعدون من التفضل بطرح إحدى التاءين وقرئ يصعدون

بالالتفات الى القصة (ولا تلوون على احد) أى لا تلتفتون الى ما وراءكم ولا يفت واحد منكم لواحد وقرئ تلوون
بواو واحدة بقلب الواو والمضمومة همزة وحذفها تخفيفا وقرئ يلوون كيصعدون (والرسول يدعوكم) كان عليه
الصلاة والسلام يدعوهم الى عباد الله الى عباداته أنارسل الله من يكرهه الجنة ويراده عليه السلام
بعنوان الرسالة للايدان بأن دعوته عليه السلام كانت بطريق الرسالة من جهته سبحانه اشبا عافى تو بيج المنزمين
(في اخر اكم) في ساقنكم وجماعتكم الاخرى (فأنا بكم) عطف على صرفكم أى بخازاكم الله تعالى بما صنعتكم (نعم)
موصولا (بهم) من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم وفوت
الغنية فالنكير للنكير أو غما بمقابلته غم أذققوه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له (الكيلا
تحتزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم) أى لتتزنوا على الصبر في الشدائد فلا تحتزنوا على نفع فات أو ضرر أت وقيل
لا زائدة والمعنى لتتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنية وعلى ما أصابكم من الجراح والهزيمة عقوبة لكم وقيل
الضمير في أنا بكم للرسول صلى الله عليه وسلم أى واساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتمت بما نزل عليه ولم
يثر بكم على عصيانكم تسلية لكم وتنقيسا عنكم لتلا تحتزنوا على ما فاتكم من النصر وما أصابكم من الجراح وغير
ذلك (والله خير بما تعملون) أى عالم بأعمالكم وبما قصدتم بها (ثم انزل عليكم) عطف على قوله تعالى فأنا بكم
والخطاب للمؤمنين حقا (من بعد الغم) أى الغم المذكور والتصريح بتأخر الانزال عنه مع دلالة ثم عليه وعلى
تراخييه عنه لزيادة البيان وتذكير عظم النعمة كافي قوله تعالى ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحو الآية (امنة) أى
امنا نصب على المفعولية وقوله تعالى (نعاسا) بدل منها وأعطف بيان وقيل مفعول له أو هو المفعول
وأمنة حال منه متقدمة عليه أو مفعول له أو حال من المخاطبين على تقدير مضاف أى ذوى أمنة أو على أنه جمع
آمن كبار وبررة وقرئ يسكون الميم كأنها مرة من الامن وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما تم تغير مرة
من الاعتناء بشأن المتقدم والتشويق الى المؤخر وتخصيص الخوف من بين فنون الغم بالازالة لانه المهم عندهم
حينئذ لما أن المشركين لما انصرفوا كانوا يتوعدون المؤمنين بالرجوع فلم يأمنوا كثرتهم وكانوا تحت الجف
متأهبين للقتال فانزل الله تعالى عليهم الامنة فأخذهم النعاس قال ابن عباس رضى الله عنه ما أمتهم يومئذ
بنعاس تغشاهم بعد خوف وانما ينس من أمن والخائف لا ينام وقال الزبير رضى الله عنه كانت مع النبي صلى
الله عليه وسلم حين اشتد الخوف فانزل الله علينا النوم والله انى لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يقشأ
ما أسمع الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا وقال أبو طهة رضى الله عنه رفعت رأسي يوم
أحد فجعلت لا أرى أحدا من القوم الا وهو عبيد تحت جفته من النعاس قال وكنت ممن ألقى عليه النعاس
يومئذ فكان السيف يسقط من يدي فأخذه ثم يسقط السوط من يدي فأخذه وفيه دلالة على أن من المؤمنين
من لم يلق عليه النعاس كما نبئ عنه قوله عز وجل (يغشى طائفة منكم) قال ابن عباس هم المهاجرون وعامة
الانصار ولا يتدح ذلك في عموم الانزال للكل والجله في محل النصيب على أنها صفة لنعاسا وقرئ بالتاء على أنها
صفة لامنة وفيه أن الصفة حقها أن تتقدم على البدل وعطف البيان وأن لا يفصل بينها وبين الموصوف
بالمفعول له وأن المعهود أن يحدث عن البدل دون المبدل منه (وطائفة قد أمتهم انفسهم) أى أو قتلهم
في الهوم والاحزان أو ما بهم الهم انفسهم وقصد خلاصهم من قولهم اهنى الشئ أى كان من همى وتصدى
والقصر مستفاد جموعة المقام وطائفة مبتدأ وما بعدها ما أخبرها وانما جاز ذلك مع كونها تكرة لاعتمادها
على واو الحال كما في قوله سرينا ونجم قد أضاء فذبدا * بحبال أخفى ضوءه كل شارق
أولو قوعها في موقع التفصيل كما في قوله اذا ما بكى من خلفها انصرفت له * بشق وشق عندنا لم يحول
واما صفتها والخبر محذوف أى ومعكم طائفة او وهن الطائفة وقيل تقديره ومنكم طائفة وفيه أنه يقتضى
دخول المنافقين في الخطاب بانزال الامنة وأيا ما كان فالجله اما حالية مبينة لفظا طاعة الهول مؤكدة لعظم النعمة
في الخلاص عنه كما في قوله تعالى أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتططف الناس من حولهم واتما متنا نفة مسوقة
لبيان حال المنافقين وقوله عز وجل (يظنون بالله) حال من ضمير أمتهم أو من طائفة تخصهم بالصفة أو صفة
أخرى لها أو خبر بعد خبر واستئناف مبين لما قبله وقوله تعالى (غير الحق) في حكم المصدر أى يظنون به تعالى
غير الحق الذي يجب أن يظن به سبحانه وقوله تعالى (ظن الباطنية) بدل منه وهو الظن المختص

بالملة الجاهلية والاضافة كما في حاتم الجود ورجل صدق وقوله تعالى (يقولون) بدل من يظنون لما أن
 مسئلتهم كانت صادرة عن الظن أي يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم على صورة الاسترشاد (هل لنا
 من الامر) أي من أمر الله تعالى ووعدده من النصر والظفر (من شيء) أي من نصيب قط أو هل لنا
 من التدبير من شيء وقوله تعالى (قل إن الامر كله لله) أي الغلبة بالآخرة لله تعالى ولأوليائه فان حرب
 الله هم الغالبون أو ان التدبير كله لله فانه تعالى قد دبر الامر كما جرى في سابق قضائه فلا مرد له وقرئ
 كله بالرفع على الابتداء وقوله تعالى (يخفون في انفسهم) أي يضمرون فيها أو يقولون فيما بينهم بطريق
 الخفية (ملا يدون لك) استئناف أو حال من ضمير يقولون وقوله تعالى قل ان الامر الخ اعتراض بين الحال
 وضاحبها أي يقولون ما يقولون مظهرين أنهم مستترشدون طالبون للنصر مبطيني الانكار والتكذيب
 وقوله تعالى (يقولون) استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله كانه قيل أي شيء يخفون فقبل بمحدثون
 أنفسهم أو يقول بعضهم لبعض فيما بينهم خفية (لو كان لنا من الامر شيء) كما وعد محمد عليه الصلاة والسلام من
 أن الغلبة لله تعالى ولأوليائه وأن الامر كله لله أو لو كان لنا من التدبير والراي شيء (ما قلنا ههنا) أي ما غلبنا
 أو ما قتل من قتل منا في هذه المعركة على أن النبي راجع الى نفس القتل لا الى وقوعه فيها فقط ولم يبرحنا من
 منازلنا كما رآه ابن أبي ويؤيده تعيين مكان القتل وكذا قوله تعالى (قل لو كنتم في بيوتكم) أي لو لم تخرجوا
 الى احد ووقعت بالمدينة كما تقولون (لبرز الذين كتب عليهم القتل) أي في اللوح المحفوظ بسبب من الاسباب
 الداعية الى البرز (الى مضاجعهم) الى مصارعهم التي قد رآه تعالى قتلهم فيها وقتلوا ههنا لك البتة ولم تنفع
 العزيمة على الإقامة بالمدينة قطعا فان قضاء الله تعالى لا يرد وحكمه لا يعقب وفيه مبالغة في رد مقاتليهم الباطلة
 حيث لم يقتصر على تحقيق نفس القتل كما في قوله عز وجل انما تنكروا ليدرككم الموت بل عين مكانه أيضا
 ولا ريب في تعيين زمانه أيضا لقوله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون روى أن ملك
 الموت حضر مجلس سليمان عليه الصلاة والسلام فنظر الى رجل من أهل المجلس نظرة هائلة فلما قام قال الرجل
 من هذا فقال سليمان عليه السلام ملك الموت قال أرسلني مع الريح الى عالم آخر فاني رأيت منه مرأي هائلة
 فأمرها عليه السلام فألقته في قطر صحيح من أطوار العالم فخالته أن عاد ملك الموت الى سليمان عليه السلام
 فقال كنت أمرت بقبض روح ذلك الرجل في هذه الساعة في أرض كذا فلما وجدته في مجلسك قلت متى يصل هذا
 اليها وقد أرسلته بالريح الى ذلك المكان فوجدته هناك فقضى أمر الله عز وجل في زمانه ومكانه من غير اخلال
 بشيء من ذلك وقرئ كتب على البناء للفاعل ونصب القتل وقرئ كتب عليهم القتال وقرئ لبرز بالتشديد على
 البناء للمفعول (وليمتلى الله ما في صدوركم) أي ليحاصلكم معاملته من يتلى ما في صدوركم من الاخلاص والنفاء
 ويناهر ما فيها من السرائر وهو علمه لفعل مقدر قبلها معطوفة على علل لها أخرى مطوية للآيات بكثرتها كانه قيل
 فعل ما فعل لمصالحجة وليمتلى الخ وجعلها عللا لبرز آياه الذوق السليم فان مقتضى المقام بيان حكمة ما وقع
 يومئذ من الشدة والهول لا بيان حكمة البرز المفروض أو وافعل مقدر بعد ها أي وللآيتلاء المذكور فعل ما
 فعل لا لعدم العناية بأمر المؤمنين ونحو ذلك وتقدير الفعل مقدا مآخا عن هذه المزبة (وليمحص ما في قلوبكم)
 من مخفيات الامور ويكشفها أو يخلصها من الوساوس (والله عليم بذات الصدور) أي السرائر والضمائر
 الخفية التي لا تكاد تفارق الصدور بل تلازمها وتصاحبها والجملة انما اعتراض للتنبية على أن الله تعالى غني عن
 الابتلاء وانما يبرز صورة الابتلاء للمؤمنين واظهار حال المنافقين أو حال من متعلق الفعليين أي فعل ما فعل
 للابتلاء والتجسس والحال أنه تعالى غني عنهما محيط بمخفيات الامور وفيه وعد ووعد (ان الذين تولوا منكم
 يوم التقي الجمعان) وهم الذين انهمزوا يوم أحد حسب ما مرت حكايته (انما استزلهم الشيطان) أي انما
 كان سبب انهمزاهم أن الشيطان طلب منهم الزلل (ببعض ما كسبوا) من الذنوب والمعاصي التي هي
 بخلافه أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وترك المركز والحرص على الغنمة والحياة فخرموا التأييد وقوة
 القلب وقيل استزل الشيطان ولهم وذلك بذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجزى عنهم الى بعض كاطاعة
 وقيل استزلهم بذنوب سبقت منهم وكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من الظلمة (ولقد عفا الله عنهم)
 لتوبتهم واعتذارهم (ان الله غفور) للذنوب (جليم) لا يعاجل بعقوبة المذنب ليتوب والجملة تعليل

لما قبلها على سبيل التحقيق وفي اظهرها بالجلالة تربية لله مهابة وتنا كيد للتعليل (يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا
 كالذين كفروا) وهم المنافقون القائلون لو كان لنا من الامر شيء ما قبلنا ههنا وانما ذكر في صدر الاصله
 كفرهم تصريحا بما بينة حالهم لحال المؤمنين وتنفيرا عن مماثلتهم اثر ذى اثر وقوله تعالى (وقالوا لاخوانهم)
 تعيين لوجه الشبه والمماثلة التي نهوا عنها أى قالوا لاجلهم وفي حتمهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم نسبيا او مذهبيا
 (اذا ضربوا فى الارض) أى سافروا فيها وأبعدوا للتجارة أو غيرها واينارا اذا المقصود لمعنى الاستقبال
 على اذا المقصود لمعنى الماضى الحكاية الحال الماضية اذا المراد بها الزمان المستقر المنتظم الحال الذى عليه يدور
 أمر استحضار الصورة قال الزجاج اذا ههنا تنوب عما مضى من الزمان وما يستقبل يعنى أنهم بالجزء الوقت
 أو يقصد به الاستمرار وظرفيتها لقولهم انما هى باعتبار ما وقع فيها بل التحقيق أنهم اطرف له لا لقولهم كأنه
 قيل قالوا لاجل ما أصاب اخوانهم حين ضربوا الخ (أو كانوا) أى اخوانهم (غزا) جمع غزاه كقضى جمع
 عاف قال ومغبرة الاقفاق خاشعة الصوى لها قلب غنى الحياض اجون وقرئ بتخفيف الزاء على حذف التاء
 من غزاة واغراد كونهم غزاة بالذ كرمع اند راجه تحت الضرب فى الارض لانه المقصود بيانها فى المقلم وذكر
 الضرب فى الارض توطئة له وتقديمه لكثرة وقوعه على أنه قد يوجد بدون الضرب فى الارض اذا المراد به السفر
 البعيد وانما لم يقل أو غزوا لئلا يذ ان باستمرار انصافهم بعنوان كونهم غزاة أو بانقضاء ذلك أى كانوا غزا فيما
 مضى وقوله تعالى (لو كانوا عندنا) أى مقمين (ماماتوا وما قتلوا) مفعول لقلوا ودليل على أن هناك
 مفعول قد حذف ثقة به أى اذا ضربوا فى الارض قاتلوا أو كانوا غزا فقتلوا وليس المقصود بالنهى عدم مماثلتهم
 فى النطق بهذا القول بل فى الاعتقاد بضمونه والحكم بوجوبه كما أنه المنكر على قائله الا ترى الى قوله عز وجل
 (ايجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم) فانه الذى جعل حسرة فيها فطعا واليه أشير بذلك كما نقل عن الزجاج انه
 اشارة الى ظنهم أنهم لو لم يحضروا القتال لم يقتلوا وتعلقه بقالوا ليس باعتبار نطقهم بذلك القول بل باعتبار
 ما فيه من الحكم والاعتقاد واللام العاقبة كما فى قوله تعالى ليكون لهم عذابا وجزنا أى قلوا ذلك واعتقدوه
 ليكون حسرة فى قلوبهم والمراد بالتعليل المذكور بيان عدم ترتب فائدة ما على ذلك أصلا وقيل هو تعليل للنهى
 به معنى لا تكونوا مثلهم فى النطق بذلك القول واعتقاده ليحمله الله تعالى حسرة فى قلوبهم خاصة ويصون منها
 قلوبكم فذلك كما اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد ويجوز أن يكون اشارة الى ما دل عليه النهى أى
 لا تكونوا مثلهم ليحمله الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة فى قلوبهم فان مضاد تكلم لهم فى القول والاعتقاد
 مما يفهمهم ويغيظهم (والله يجزي ويميت) رد لقولهم الباطل اثر بيان غائلته أى هو المؤثر فى الحياة والممات
 وحده من غير أن يكون للاقامة أو للسفر مدخل فى ذلك فانه تعالى قد يجزي المسافر والغزى مع اقتضائهما
 لموارد الخوف ويميت المقيم والقاعد مع حيازتهما لاسباب السلامة (والله بما تعملون بصير) تهديد
 للمؤمنين على أن يماثلوهم وقرئ بالياء على أنه وعيد للذين كفروا وما يعملون عام متناول لقولهم المذكور
 ولننشه الذى هو اعتقادهم ولما ترتب على ذلك من الاعمال ولذلك تعرض لعنوان البصر لعنوان السمع
 واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لتربية المهابة والمقاء الروعة والمبالغة فى التهديد والتشديد فى الوعيد
 (ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم) شروع فى تحقيق أن ما يحذرون ترتبه على الفوز والسفر من القتل والموت
 فى سبيل الله تعالى ليس مما ينبغي أن يحذروا بل مما يجب أن يتنافس فيه المتنافسون اثر ابطال ترتبه عليهما
 واللام هى الموطنة للقسيم وما فى قوله تعالى (لغفرة من الله ورحمة) لام الابتداء والتنوين فى الموضعين
 للتقليل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة للبسدا وقد حذف صفة رحمة لدلالة المذكور عليها والجملة
 جواب للقسيم سادس تجواب الشرط والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجب الموت ويقدم الاجل أصلا ولئن
 وقع ذلك يأمر الله تعالى لنفحة يسيرة من مغفرة ورحمة كائنتين من الله تعالى بمقابلته ذلك (خير مما يجمعون)
 أى الكفرة من منافع الدنيا وطيباتها ممتدة أعماهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما خير من ملاح الارض
 ذهبه جراء وقرئ بالتاء أى مما يجمعونه أنتم لو لم تموتوا والاقتصار على بيان خيرتهم لمن ذلك لاقتراض
 للاخبار بخصولها لهم للايدان بعدم الحاجة اليه بناء على استحالة الضييق منه تعالى بعد الاطماع وقد
 قيل لا بد من حذف آخر أى لغفرة لكم من الله الخ وحيث يشدكون أيضا اخراج القصد وغرض الصفة دون الخبر

انصروا ما ذكر من ادعاء الظهور والغنى عن الاخبار به وتغيير الترتيب الواقع في قولهم ما ماتوا وما قتلوا الميقن
 على كثرة الوقوع وقلته للمبالغة في الترغيب في الجهاد ببيان زيادة مزية القتل في سبيل الله وانا فته في استجلاب
 المغفرة والرحمة وفيه دلالة واضحة على ما مر من أن المقصود بالنهي انما هو عدم مماثلتهم في الاعتقاد بضمون
 القول المذكور والعمل بموجبيه لافي النطق به واضلال الناس به (ولئن متم أو قتلتم) أي على أي وجه اتفق
 هلاككم حسب تعلق الارادة الالهية وقرئ متم بكسر الميم من مات يمات (لاي الله) أي الى المعبود بالحق
 العظيم الشأن الواسع الرحمة الجزيل الاحسان (تخشرون) لا الى غيره فيؤيدكم أجوركم ويجزل لكم عطاءكم
 والكلام في لامي الجمله كما مر في اخاتها (فبما رحمة من الله لنت لهم) تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله
 صلى الله تعالى عليه وسلم والفاء لترتيب منتهون الكلام على ما ينبئ عنه السياق من استحقاقهم اللامعة والتعنيف
 بموجب الجبله البشرية أو من سعة مساحة مغفرته تعالى ورحمته والباء متعلقة بلمت قدمت عليه للقصر وما
 مزيدة للتوكيد أو نكرة ورحمة بدل منها مبين لاهمها والتسوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لرحمة
 أي في رحمة عظيمة لهم كرامة من الله تعالى وهي ربطه على جأشه وتخصيصه بكارم الاخلاق كنت لين الجانب
 لهم وعاملتهم بالرفق واللطاف بهم حيث اغتمت لهم بعد ما كان منهم ما كان من مخالفة أمر الله واسلامك للعدو
 (ولو) لم تكن كذلك بل (كنت فقط) جافيا في المعاشرة قولاً وفعلًا وقال الراغب الفظ هو الكريه
 الخلق وقال الواحدى هو الغليظ الجانب السيئ الخلق (غليظ القلب) قاسيه وقال الكلبي فقط في القول
 غليظ القلب في الفعل (لانفضوا من حولك) لتفرقوا من عندك ولوليسكنوا اليك وتردوا في مهاوى الردى
 والفاء في قوله عز وجل (فاعف عنهم) لترتيب العفو والأمر به على ما قبله أي اذا كان الامر كما ذكر فاعف
 عنهم فيما يتعلق بحقوقك كما عفا الله عنهم (واستغفر لهم) الله فيما يتعلق بحقوقه تعالى انما للشفقة
 عليهم واكمالا لترتيبهم (وشاورهم في الامر) أي في أمر الحرب اذ هو المعهود وفيه وفي أمثاله مما تجرى
 فيه المشاورة عادة استظهارا بأرائهم وتطبيعاً لقلوبهم وتهديد السنة المشاورة للامنة وقرئ وشاورهم في بعض
 الامر (فاذا عزم) أي عقيب المشاورة على شيء أو اطع ما أنت به نفسك (فتوكل على الله) في امضاء
 أمر الله على ما هو أرشدك وأصلح فان علمه مختص به سبحانه وتعالى وقرئ فاذا عزم على صيغة التكلم أي
 عزم لك على شيء وأرشدك اليه فتوكل على ولا تشاور بعد ذلك أحدا والالتفات لترية المهابة وتعليل التوكل
 أو الأمر به فان عنوان الألوهية الجامعة لجميع صفات الكمال مستدع للتوكل عليه تعالى أو الأمر به (ان
 الله يحب المتوكلين) عليه تعالى فينصرهم ويرشدهم الى ما فيه خير لهم وصلاح والجملة تعليل للتوكل عليه تعالى
 وقوله تعالى (ان ينصركم الله فلا غالب لكم) جملة مستأنفة سبقت بطريق تلوين الخطاب تشريفا للمؤمنين
 لا يجاب توكلهم عليه تعالى وحنهم على اللبائيه وتحذيرهم عما يفضى الى خذلانه أي ان ينصركم كما ينصركم
 يوم بدر فلا أحد يغلبكم على طريق نفي الجنس المنتظم لنفي جميع أفراد الغالب ذاتا وصفة ولوقيل فلا يغلبكم
 أحد لدل على نفي الصفة فقط ثم المفهوم من ظاهر النظم الكريم وان كان نفي مغلوبيتهم من غير تعرض لنفي
 المساواة أيضا وهو الذي يقتضيه المقام لكن المفهوم منه فهما قطعاهما نفي المساواة واثبات الغالبية
 للحاطبين فاذا قلت لا اكرم من فلان ولا أفضل منه فالمفهوم منه حتما أنه اكرم من كل كريم وأفضل من كل
 فاضل وهذا أمر مطرد في جميع اللغات ولا اختصاص له بالنبي الصريح بل هو مطرد فيما ورد على طريق
 الاستفهام الانكارى كما في قوله ومن أعظم من اقترى على الله كذبا في مواقع كثيرة من التنزيل وما هو نص
 قاطع فيما ذكرنا ما وقع في سورة هود حيث قيل بعده في - قهم لا جرم أنهم في الآخرة هم الاخسرون فان كونهم
 أخسر من كل خاسر يستدعي قطعاً كونهم أعظم من كل ظالم (وان يخذلكم) كما فعل يوم أحد وقرئ يخذلكم
 من أخذله اذا جعله محذولا (فمن ذا الذي ينصركم) استفهام انكارى مفيد لا تنفاه الناصر ذاتا وصفة
 بطريق المبالغة (من بعده) أي من بعد خذلانه تعالى أو من بعد الله تعالى على معنى اذا جاوزتموه (وعلى
 الله فليشركل المؤمنون) تقديم الجار والمجرور على الفعل لا فائدة قصره عليه تعالى والفاء لترتيب أو ترتيب
 الامر به على ما مر من غلبة الحاطبين على تقدير نصرته تعالى اهم ومغلوبيتهم على تقدير خذلانه تعالى اياهم
 فان العلم بذلك مما يقتضي عصرا التوكل عليه تعالى لا محالة والمراد بالمؤمنين أما الجنس والحاطبون داخولون

فيه دخولا أو قليا وأما هم خاصة بطريق الالتفات وأيا ما كان فضيه تشریف لهم بعنوان الايمان اشتراكا
أو استقلالاً وتعليل لتعظيم التوكل عليه تعالى فان وصف الايمان بما يوجب قطعاً (وما كان نبي) أى وما صم
لنبي من الانبياء ولا استقام له (أن يغفل) أى يخون في المغنم فان التوبة تنافيه منافاة بينة يقال غل شياً
من المغنم يغفل غلولا وأغل غللاً إذا أخذ خفية والمراد ما تنزيهه ساحة رسول الله صلى الله عليه وسلم
عما ظن به الرماة يوم أحد حين تركوا المركز وأفاضوا في الغنمة وقالوا نخشى أن يقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم من أخذ شيئاً فهو له ولا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ألم أعهد اليكم أن
لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمرى فقالوا تركنا بنية اخواننا وقوفاً فقال عليه السلام بل ظننتم أننا نقتل ولا نقسم
بينكم وأما المبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روى أنه بعث طلحة فغنم النبي صلى الله
عليه وسلم بعدهم غنائم فغنمها بين الحاضر ولم يترك للطلحة شيئاً فنزات والمعنى ما كان لنبي أن يعطى قوماً من
العسكر ويمنع آخرين بل عليه أن يقسم بين الكل بالسوية وعبر عن حرمان بعض الغزاة بالغلول تغليظاً وأما ما قيل
من أن المراد تنزيهه عليه السلام عما فوّقه به بعض المنافقين اذ روى أن قطيفة جراء فقدت يوم بدر فقال بعض
المنافقين لعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها فبعيد جداً وقرئ على البناء للمفعول والمعنى ما كان له أن
يوجد غللاً أو ينسب إلى الغلول (ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة) يأت بالذى غلبه بعينه يحمله على عنقه
كما ورد في الحديث الشريف وروى أنه عليه السلام قال الا لأعرفن أحدكم يأتى بعبيره وغناه وبقرة لها خوار
وبشاة لها ثغاء فينادى يا محمد يا محمد فأقول لا املك لك من الله شيئاً فقد بلغتك أو يأت بما احتمل من ثمنه ووباله
(ثم توفى كل نفس ما كسبت) أى تعطى وأما جزاء ما كسبت خيراً أو شراً كثيراً أو يسيراً ووضع المكسوب
موضع جزائه تحقيقاً للعدل ببيان ما ينتهم من تمام التناسب كما وكيفا كأنه ما شئ واحد وفي اسناد التوفية
إلى كل كاسب وتعليقها بكل مكسوب مع أن المقصود بيان حال الغال عند آتيانه بما غلبه يوم القيامة من الدلالة
على نغامة شأن اليوم وهول مطلعه والمبالغة في بيان فظاعة حال الغال ما لا يخفى فانه حيث وفى كل كاسب جزاء
ما كسبه ولم ينقص منه شئ وإن كان جرماً في غاية القلة والحقارة فلا أن لا ينقص من جزاء الغال شئ وجرمه من
أعظم الجرائم اظهر وأجل (وهم) أى كل الناس المدلول عليهم بكل نفس (لا يظنون) بزيادة عقاب أو بنقص
ثواب (أفمن اتبع رضوان الله) أى سعى في تحصيله وانتهى نحوه حينما كان بفعل الطاعات وترك المنكرات
كالنبي ومن يسير بسيرته (كن بآء) أى رجع (بسخط) عظيم لا يقادر قدره كائن (من الله) تعالى
بسبب معاصيه كالغال ومن يدين بدينه والمراد تأكيد كيد نبي الغلول عن النبي عليه الصلاة والسلام وتقريره
بتحقيق المباينة الكلية بينه وبين الغال حيث وصف كل منهما بنقيض ما وصف به الآخر فقوله رضوانه تعالى
بسخطه والاتباع بالبوء والجمع بين الهمة والفاء التوجيه الانكار إلى ترتيب توهم المماثلة بينهما والحكم بها على
ما ذكر من حال الغال كانه قبل أبعد ظهور حاله يكون من ترقى إلى أعلى عليين كن ترقى إلى أسفل سافلين واظهار
الاسم الجليل في موضع الاضمار لادخال الروعة وترية المهابة (وما أواجههم) أما كلام مستأنف مسوق
لسان ما لاسر من بآء بسخطه تعالى وأما معطوف على قوله تعالى بآء بسخط عطف الصلة الاسمية على الفعلية
وأيا ما كان فلا محمل له من الاعراب (وبش المصير) اعتراض تذييلي والغرض بالذم محذوف أى وبش
المصير جهنم والفرق بينه وبين المرجع أن الاول يعتبر فيه الرجوع على خلاف الحالة الاولى بخلاف الثاني
(هم) راجع إلى الموصولين باعتبار المعنى (درجات عند الله) أى طبقات متفاوتة في علمه تعالى وحكمه شهبوا
في تفاوت الاحوال وتباينها بالدرجات بمبالغة وايدنا بأن بينهم تفاوتاً ذاتياً كالدراجات أو ذو درجات
(والله بصير بما يعملون) من الاعمال ودرجاتها فيجازيهم بحسبها (لقد من الله) جواب قسم محذوف
أى والله لقد من الله أى أنعم (على المؤمنين) أى من قومه عليه السلام (اذ بعث فيهم رسولاً من انفسهم)
أى من نسبهم أو من جنسهم عربياً مثلهم ليفقهوا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة
مقتضرين به وفي ذلك شرف لهم عظيم قال الله تعالى وانه لا ذكر لك ولقومك وقرئ من انفسهم أى أشرفهم فانه
عليه السلام كان من أشرف قبائل العرب وبلوطها وقرئ لمن من الله على المؤمنين اذ بعث الخ على أنه خبر
لمبتدأ محذوف أى منه اذ بعث الخ أو على أن اذنى محمل الرفع على الاستدعاء بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت

بعنه وتخصيصهم بالامتنان مع عموم نعمة البعثة للأسود والاحمر لما من حريد انتفاعهم بها وقوله تعالى من
 أنفسهم متعلق بمحذوف وقع صفة لرسولا أي كانوا من أنفسهم وقوله تعالى (يتلو عليهم آياته) صفة أخرى أي
 يتلو عليهم القرآن بعدما كانوا أهل جاهلية لم يطرق أسماعهم شيء من الوحي (ويزكهم) عطف على يتلو أي
 يظهرهم من دقس الطباع وسوء العقائد وأوضار الاوزار (ويعلمهم الكتاب والحكمة) أي القرآن والسنة
 وهو صفة أخرى لرسولا مترتبة في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل
 النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب
 على التلاوة للآذان بأن كل واحد من الامور المترتبة نعمة جليلة على حياها مستوجبة للشكر لوروى
 ترتيب الوجود كما في قوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكهم
 لتبادر الى الفهم عند الجميع نعمة واحدة وهو السرفى التعبير عن القرآن بالآيات تارة وبالكتاب والحكمة
 أخرى رمز الى أنه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدر في ذلك شمول الحكمة لما في مطاوى الاحاديث
 الكريمة من الشرائع كما سلف في سورة البقرة (وان كانوا من قبل) أي من قبل بعثته عليه السلام وتزكيتهم
 وتعليمهم (لنضلال مبين) أي بين لا ريب في كونه ضلالا وان هي الخففة من المثقلة وضمير الشأن محذوف
 واللام فارقة بينها وبين النافية والطرف الاول لغو متعلق بكان والشأن خبرها وهي مع خبرها خبر لان
 الخففة التي حذف اسمها أعني ضمير الشأن وقيل هي نافية واللام بمعنى الا أي وما كانوا من قبل الا في ضلال
 مبين وآياتنا كان فالجمله اما حال من الضمير المنصوب في يعلمهم أو مستأنفة وعلى التقديرين فهي مبينة لكمال
 النعمة وتمامها (اولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا) كلام مبتدأ مسوق لإبطال بعض
 ما صدر عنهم من القنوت القاسدة والا قاول الباطلة الناشئة منها اثر ابطال بعض آخر منها والهمزة
 للتقريع والتقرير والواو عاطفة لدخولها على محذوف قبلها ولما ظرف اقلتم مضاف الى ما بعده وقد أصبتم
 في محل الرفع على أنه صفة لمصيبة والمراد بها ما أصابهم يوم أحد من قتل سبعين منهم وبئس ما أصاب المشركين
 يوم بدر من قتل سبعين منهم وأسر سبعين وأنى هذا قول قلتم وتوسط الطرف وما يتعلق به بينه وبين الهمزة
 مع أنه المقصود انكاره والمعطوف بالواو حقيقة لتأكيد النهي وتشديد التقريع فان فعل التضييع في غير
 وقته أقبح والانكار على فاعله أدخلى والمعنى أحين أصابكم من المشركين نصف ما قد أصابهم منكم قبل ذلك
 جزعتم وقلتم من أين أصابنا هذا وقد تقدم الوعد بالنصر على توجيه الانكار والتقريع الى صدور ذلك القول
 عنهم في ذلك الوقت خاصة بناء على عدم كونه مظنة لدواعي اليه بل على كونه داعيا الى عدمه فان كون مصيبة
 عدوهم ضعف مصيبتهم مما يهون الخطب ويورث السلاوة أو أفعلتم ما فعلتم ولما أصابكم غائلة قلتم أنى هذا على
 توجيه الانكار الى استبعادهم الحادثة مع مباشرتهم لسيبها وتذكير اسم الإشارة في أنى هذا مع كونه إشارة
 الى المصيبة ليس لكونها عبارة عن القتل ونحوه بل لما أن اشارتهم ليست الا الى ما شاهدوه في المعركة من
 حيث هو هو من غير أن يحطروا بالهم تسميته باسم ما فضلا عن تسميته باسم المصيبة وانما هي عند الحكاية وقوله
 عز وجل (قل هو من عند أنفسكم) أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يجيب عن سؤالهم القاسد اثر
 تحقيق فسادهم بالانكار والتقريع ويبيّن أن ما نالهم انما نالهم من جهتهم بتركهم المركز وحرصهم على
 الغنمة وقيل باختيارهم الخروج من المدينة وبإيادهم أن الوعد بالانصر كان بعد ذلك كما ذكر عند قوله تعالى ولقد
 صدقكم الله وعده الآية وأن عمل النبي صلى الله عليه وسلم بوجه قد رفع الخطر عنه وخفف جنائيتهم فيه
 على أن اختيار الخروج والاصرار عليه كان ممن اكرمهم الله تعالى بالشهادة يومئذ وأين هم من التقوى بمثل
 هذه الكلمة وقيل بأخذهم الفداء يوم بدر قبل أن يؤذن لهم والاول هو الاظهر الاقوى وربما يعضده توسط
 خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم بين الخطابين المتوجهين الى المؤمنين وتفويض التبيكيت اليه عليه السلام
 فان توخي الفداء على الفعل اذا كان ممن نهاه عنه كان أشد تأثرا (ان الله على كل شيء قدير) ومن جلته النصر
 عند الطاعة والخذلان عند المخالفة وحيث خرجتم عن الطاعة أصابكم منه تعالى ما أصابكم والجللة تذييل
 مقترن لمضمون ما قبلها داخل تحت الامر (وما أصابكم) رجوع الى خطاب المؤمنين اثر خطابه عليه السلام
 بسرى يقتضيه وارشاد لهم الى طريق الحق فيما سألوا عنه وبيان لبعض ما فيه من الحكم والاصالح وادفع

لما عسى أن يتوهم من قوله تعالى هزم من عند أنفسكم من استقلاهم في وقوع الحادثة والعدول عن الاضمار
الى ما ذكرناه من زيادة التقرير ببيان وقته بقوله تعالى (يوم النقي الجعان) أي جمعهم وجمع المشركين
(فباذن الله) أي فهو كائن بقضائه وتجليته الكفار سمي ذلك اذنا لكونهم آمن لوازمه (وليعلم المؤمنون)
عطف على قوله تعالى فباذن الله عطف السبب على السبب والمراد بالعلم التمييز والاطهار فيما بين الناس (وليعلم
الذين نافقوا) عطف على ما قبله من مثله واعادة الفعل لتشريف المؤمنين وتنزيههم عن الانتظام في قرون
المنافقين وللايدان باختلاف حال العلم بحسب التعلق بالقرين فانه متعلق بالمؤمنين على نهج تعلقه السابق
وبالمنافقين على وجه جديد وهو السر في ايراد الاولين بصيغة اسم الفاعل المنبئة عن الاستقرار والآخرين
بموصول صلته فعل دال على الحدوث والمعنى وما أصابكم يومئذ فهو كائن لتمييز النابئين على الايمان والذين
أظهروا النفاق (وقيل لهم) عطف على نافقوا داخل معه في حيز الصلة أو كلام مبتدأ قال ابن عباس
رضي الله عنهم ما هم عبد الله بن أبي وأصحابه حيث انصرفوا يوم أحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم
عبد الله بن عمرو بن حرام أذكركم الله أن تحتذوا نبيكم وقومكم ودعاهم الى القتال وذلك قوله تعالى
(تعالوا فقاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا) قال السدي ادفعوا عنا العدو وشككنا سوادنا ان لم تقبلوا معنا
وقيل أو ادفعوا عن أهلكم وبلدكم وحر يكمن ان لم تقبلوا في سبيل الله تعالى وترك العطف بين تعالوا وقاتلوا
لما أن المقصود بهما واحد وهو الثاني وذكر الاول بوطئة له وترغيب فيه لما فيه من الدلالة على الظاهر
والتعاون (قالوا) استئناف وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فباذا صنعوا حين خبروا
بين الخصمين المذكورين فقيل قالوا (لنعلم قتالا لا تبعناكم) أي لو نحن قتالا ونقدر عليه وانما قالوه
دغلا واستمراء وانما صبر عن نفي القدرة على القتال بنفي العلم به لما أن القدرة على الافعال الاختيارية مستلزمة
للعلم بها أو لنعلم ما يصح أن يسمى قتالا لا تبعناكم ولا يمكن ما أنتم بصدده ليس بقتال أصلا وانما هو القاء
النفس الى التهلكة وفي جعلهم التالى مجزءا لا يتبع دون القتال الذى هو المقصود بالدعوة دليل على كمال تبطهم
عن القتال حيث لا ترضى نفوسهم بجعله تاليا مقدم مستحيل الوقوع (هم لا كفروا) أي لم يمتدوا اقرب منهم للايمان
الضمير مبتدأ وأقرب خبره واللام في الكفر وللإيمان متعلقة به وكذا أبوهم ومنهم وعدم جواز تعلق حرفين
متحدين لفظا ومعنى بعامل واحد بلا عطف أو بديلة انما هو فيما عدا الفعل التفضيل من العوامل لا اتحاد
حينية عملها وأما فعل التفضيل فثبت دل على أصل الفعل وزيادة به جرى مجرى عاملين كانه قيل قريهم للكفر
رائد على قريهم للإيمان وقيل تعلق الجارين به لشبههما بالظرفين أي هم للكفر يوم اذ قالوا ما قالوا أقرب
منهم للإيمان فانهم كانوا قبل ذلك يتظاهرون بالإيمان وما ظهرت منهم أمارات مؤذنة بكفرهم فلما انغزلوا عن
عسكر المسلمين وقالوا ما قالوا اتبعوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر
أقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليل سواد المسلمين بالانخزال تقوية للمشركين وقوله تعالى (يقولون)
يا فواهمه ما ليس في قلبهم) جملة مستأنفة مفرزة لتفتنون ما قبلها وذكر الأقوام والقلوب تصوير لنفاقهم
وتوضيح لخالفه ظاهرها لباطنهم وما عبارة عن القول والمراد به اما نفس الكلام الظاهر في اللسان تارة
وفي القلب أخرى فالمثبت والمنفى متحدان ذاتا وان اختلفا مظهرا وأما القول المملوء فقط بالمنفى حينئذ
منشأه الذى لا ينفك عنه القول أصلا وانما عبر عنه به ابانة لما بينهما من شدة الاتصاف أي يتقوهون بقول
لا وجود له أو لمنشئه في قلوبهم أصلا من الباطل التى من جعلها ما حكي عنهم أنفا فانهم أظهروا فيه أمرين ليس
في قلوبهم شئ منهما أحدهما عدم العلم بالقتال والاخر الاتباع على تقدير العلم به وقد كذبوا فيها كذبا بينا
حيث كانوا عاملين به غير ناوين للاتباع بل كانوا مصرين مع ذلك على الانخزال عاجزين على الارتداد وقوله عز
وجل (والله أعلم بما يتنون) زيادة تصحيح كفرهم ونفاقهم ببيان اشتغال قلوبهم بما يخالف أقوالهم
من فنون الشر والفساد اذ بيان خلقها عما يوافقها وصيغة التفضيل لما أن بعض ما يكتفونه من أحكام
النفاق وذم المؤمنين وتخطئة آرائهم والشتمات عليهم وغير ذلك يعلمه المؤمنون على وجه الاجمال وان تفاصيل
ذلك وكيفية مختصة بالعلم الالهى (الذين قالوا) من فروع على أنه بدل من واويكتون أو خبر مبتدأ محذوف
وقيل مبتدأ خبره قل فادروا بحذف العائد تقديره قل لهم الخ أو منصوب على المذم أو على أنه نعت للذين نافقوا

أوبدل منه وقيل مجرور على أنه بديل من ضمير أفواههم أو قلوبهم كافي قوله على جوده لضم بالماء حاتم والمراد بهم
 عبد الله بن أبي رباح (لاخوانهم) أي لاجلهم وهم من قتل يوم أحد من جنسهم أو من أقاربهم فيندرج
 فيهم بعض الشهداء (وقعدوا) حال من ضمير قالوا بتقدير قد أي قالوا وقد قعدوا عن القتال بالانخزال
 (لو أطاعونا) أي فيما أمرناهم به ووافقونا في ذلك (ماقتلوا) كالم تقتل وفيه إيذان بأنهم أمرهم بالانخزال
 حين انخزلوا وأقوهم كما غفوا وحمل القعود على ما استصوبه ابن أبي عمير المشاورة من الإقامة بالمدينة ابتداء
 وجعل الإقامة عبارة عن قبول رأيه والعمل به يرده كون الجملة حاله فانه بالتعيين ما فيه العصيان والمخالفة
 مع أن ابن أبي ليس من القاعدين فيها بذلك المعنى على أن تخصيص عدم الطاعة بأخوانهم يشادى باختصاص
 الأمر بأصحابهم فيستحيل أن يعمل على ما خطب به النبي صلى الله عليه وسلم عند المشاورة (قل) تبكيئناهم
 واطهار الكذبهم (فادروا عن أنفسكم الموت) جواب لشرط قد حذف تعويلا على ما بعده من قوله تعالى
 (ان كنتم صادقين) كما أنه شرط حذف جوابه لدلالة الجواب المذكور عليه أي ان كنتم صادقين فيما ينبي
 عنه ولكم من أنكم قادرون على دفع القتل عن كتب عليه فادفعا عن أنفسكم الموت الذي كتب عليكم معلقا
 بسبب خاص موقتا وقت معين يدفع سببه فان أسباب الموت في امكان المدافعة بالحيل وامتناعها سواء وأنفسكم
 أعز عليكم من اخوانكم وأمرها أتم لديكم من أمرهم والمعنى أن عدم قتلهم كان بسبب أنه لم يكن مكتوبا
 عليكم لا بسبب أنكم دفعتموه بالقعود مع كتابته عليكم فان ذلك مما لا سبيل اليه بل قد يكون القتال سببا للنجاة
 والقعود مؤذيا الى الموت روى أنه مات يوم قالوا ما قالوا سبعون منافقا وقيل اريد ان كنتم صادقين في منعمون
 الشرطية والمعنى انهم لو أطاعوكم وقعدوا قتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين فقوله تعالى قادروا عن أنفسكم الموت
 حينئذ استمرزاهم أي ان كنتم رجالا دفاعين لأسباب الموت قادروا جميع أسبابه حتى لا تموتوا كما درأتم
 في زعمكم هذا السبب الخاص (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا) كلام مستأنف مسوق لبيان أن
 القتل الذي يحذرونه ويحذرون الناس منه ليس مما يحذر بل هو من أجل المطالب التي يتنافس فيها المتنافسون
 اثريان أن الحذر لا يجدي ولا يفتي وقرئ ولا تحسبن بكسر السين والمراد بهم شهداء احدى وكانوا سبعين
 رجلا أربعة من المهاجرين حرة بن عبد المطلب ومعه بن عمر وعثمان بن شهاب وعبد الله بن جحش وباقيهم
 من الانصار رضوان الله تعالى عليهم أجمعين والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن له حظ
 من الخطاب وقرئ بالياء على الاستناد الى ضميره عليه السلام أو ضمير من يحسب. وقيل الى الذين قتلوا والمفعول
 الاول محذوف لانه في الاصل مبتدأ جازا الحذف عند القرينة والتقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا أمواتا
 أي لا يحسبن الذين قتلوا أنفسهم أمواتا على أن المراد من توجيه التوبيخ اليهم تنبيه السامعين على أنهم أحقا بأن
 يسلبوا بذلك ويشروا بالحياة الابدية والكرامة السنية والنعيم اقيم لكن لا في جميع أوقاتهم بل عند ابتداء القتال
 اذ بعد تبيين حالهم لا يبقى لاعتبار تسليمهم وتبشيرهم فائدة ولا تنبيه السامعين وتذكيرهم وجه وقرئ قتلوا
 بالتشديد لكثرة المقتولين (بل أحياء) أي بل هم أحياء وقرئ منصوبا أي بل احسبهم أحياء على أن
 الحسبان بمعنى اليقين كما في قوله

حسبت التقي والمجد خير تجارة * وبالحال اذا المرء أصبح ثافلا

أو على أنه ولرد على طريق المشاكسة (عند ربهم) في محل الرفع على أنه خبر ثان للمبتدأ المقدر أو وصفا لأحياء
 أو في محل نصب على أنه حال من الضمير في أحياء وقيل هو ظرف لأحياء أو للفعول بعده والمراد بالعندية
 التقرب والزاني وفي التعريض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربة والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم
 من زيد تكريمهم (يرزقون) أي من الجنة وفيه تأكيد لكونهم أحياء وتحقيق لمعنى حياتهم قال الامام
 الواحدى الاصح في حياة الشهداء ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من أن ارواحهم في أجواف طيور
 خضر وأنهم يرزقون وبأكلون ويتنعمون وروى عنه عليه السلام أنه قال لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله
 ارواحهم في أجواف طيور خضر تدور في انهار الجنة وروى ترد أنها الجنة وتأكل من ثمارها وتسرح من
 الجنة حيث شاءت وتأبى الى قتاديل من ذهب معلقة في ظل العرش وفيه دلالة على أن روح الانسان جسم
 لطيف لا يبقى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتألمه والتبذاه ومن قال بتجريد النفوس البشرية يقول

المراد أن نفوس الشهداء تتحل طيوراً خضرًا أو تتعلق بها فتلتذذ بما ذكر وقيل المراد أنها تتعلق بالافلاك والكواكب فتلتذذ بذلك وتكتسب زيادة كمال (فرحين بما آتاهم الله من فضله) وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الأبدية والزلفى من الله عز وجل والتلذذ بالنعيم المخلد عاجلاً (ويستبشرون) يسترون بالشارة (بالذين لم يلحقوا بهم) أى باخوانهم الذين لم يقتلوا بعد فى سبيل الله فيلحقوا بهم (من خلقهم) متعلق بيلحقوا والمعنى أنهم بقوا بعدهم وهم قد تقدموا بهم أو يمحذوف وقع حالاً من فاعل يلحقوا أى لم يلحقوا بهم حال كونهم متخلفين عنهم باقين فى الدنيا (أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) بدل من الذين بدل اشتمال مبين لكون استبشارهم بحال اخوانهم لا بدواتهم وأن هى المنخفضة من أن واسمها ضمير الشأن المحذوف وخبرها الجملة المنفية أى يستبشرون بما تبين لهم من حسن حال اخوانهم الذين تركوهم وهو أنهم عند قتالهم يفوزون بحياة أبدية لا يكتدرها خوف وقوع محذور ولا حزن فوات مطلوب أو لا خوف عليهم فى الدنيا من القتل فإنه عين الحياة التى يجب أن يرغب فيها فضلاً عن أن تخاف وتحدّر أى لا يعتريهم ما يوجب ذلك لأنه يعتريهم ذلك لأنهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام انتفاء الخوف والحزن لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر فى الجملة الثانية مضارعاً فان التثنية وان دخل على نفس المضارع بقية الدوام والاستمرار بحسب المقام (يستبشرون بنعمة) كقولبيان أن الاستبشار المذکور ليس بمجرد عدم الخوف والحزن بل به وبما يغارنه من نعمة عظيمة لا يقادر قدرها وهى ثواب أعمالهم وقد جوز أن يكون الاوّل متعلقاً بحال اخوانهم وهذا بحال أنفسهم بآباءهم ما أجعل فى قوله تعالى فرحين بما آتاهم الله من فضله (من الله) متعلق بمحذوف وقع صفة للنعمة مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أى كآنية منه تعالى (وقضل) أى زيادة عظيمة كما فى قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة (وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) بفتح أن عطف على فضل منتظم معه فى سلك المستبشرين والمراد بالمؤمنين أمّا الشهداء والتعبير عنهم بالمؤمنين للإيمان به ورتبة الايمان وكونه مناطاً لما نالوه من السعادة وأما كافة أهل الايمان من الشهداء وغيرهم ذكرت توفية اجورهم على ايمانهم وعدت من جملة ما يبشر به الشهداء بحكم الاخوة فى الدين وقرئ بكسرها على أنه استئناف معترض دال على أن ذلك أجر لهم على ايمانهم مشعر بأن من لا ايمان له أعماله محبطة لأجرها وفيه من الخوف على الجهاد والترغيب فى الشهادة والبعث على ازدياد الطاعة وبشرى المؤمنين بالفلاح ما لا يخفى (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح) صفة مادحة للمؤمنين لا مخصوصة أو نصب على المدح أو رفع على الابتداء والخبر قوله تعالى (الذين أحسنوا انهم واتقوا أجر عظيم) بجملة ومن للبيان والمقصود من الجمع بين الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لأن المستحسين كلهم محسنون ومتقون روى أن أباسفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء فمدواهم بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يرهم ويريه من نفسه وأصحابه قوة فتدب أصحابه للخروج فى طلب أبي سفيان وقال لا يخرجن معنا إلا من حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا اجراء الاسد وهى من المدينة على ثمانية أميال وكان بأصحابه القرح فحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الاجر وأتى الله تعالى الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا فنزلت (الذين قال لهم الناس) يعنى الركب الذين استقبلوهم من عبد قيس أو نعيم بن مسعود الأشجعي وإطلاق الناس عليه لما ناله من جنسهم وكلامه كلامهم يقال فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وماله سوى فرس فرد وغير ثوب واحد ولأنه انضم إليه ناس من المدينة وأذاعوا كلامه (ان الناس قد جعوا اليكم فاحشوهم) روى أن أباسفيان نادى عند انصرافه من أحد يا محمد نعوذنا منكم بدو لقابلي ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله تعالى فلما كُن القابل خرج أبو سفيان فى أهل مكة حتى نزل مرّا الظهران فألقى الله تعالى فى قلبه الرعب وبداه أن يرجع فتربه ركب من بنى عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حتى يعبر من زيب ان يطوا المسلمين وقيل لى نعيم بن مسعود وقد قدم معقرافاً له ذلك والترم له عشر من الابل وضمنها منه سهيل بن عمرو فخرج نعيم ووجد المسلمين يتجهزون للخروج فقال لهم أنتم فى دياركم فلم يقلقكم أحد الا شريد افترقون أن تخرجوا وقد جعوا اليكم فترّوا فقال عليه السلام والذي نفسى بيده لا أخرجن ولولم يخرج معي أحد نفسى خرج فى سبعين راكبا كلهم يقولون حمينا الله

ونعم الوكيل قيل هي الكلمة التي قالها ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين ألقى في النار (فزادهم إيماناً) الضمير المستكن للمقول أو لمصدر قال أو لفعله أن أريد به نعيم وحده والمعنى أنهم لم يلتفتوا إلى ذلك بل ثبت به يقينهم بالله تعالى وزادوا طمأنينتهم وأظهروا حجة الإسلام وأخلصوا النية عنده وهو دليل على أن الإيمان يتفاوت زيادة ونقصاناً فإن ازداد اليقين بالآلاف وكثرة التأمل وتناسر الحجج مما لا ريب فيه ويعضده قول ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قلنا يا رسول الله الإيمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار (وقالوا حسبنا الله) أي بحسبنا الله وكفينا من أحسبه إذا كفاه والدليل على أنه بمعنى الحسب أنه لا يستفيد بلاضافة تعريفاً في قولك هذا رجل حسبك (ونعم الوكيل) أي نعم الموكل اليه والمخصوص بالمدح مخدوف أي الله عز وجل (فانقلبوا) عطف على مقدر ينصب عليه الكلام أي فخرجوا إليهم ووافوا الموعد روى أنه عليه الصلاة والسلام وافي بجيشه بدر وأقام بهائماً في إيسال وكانت معهم تجارات قباؤها وأصحابوا خبراً كثيراً والباء في قوله تعالى (بنعمة) متعلقة بمحذوف وقع حالاً من الضمير في فانقلبوا والتزوين للتفخيم أي فرجعوا من مقصدهم ملتبسين بنعمة عظيمة لا يقاد رقردها وقوله عز وجل (من الله) متعلق بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة لفضائلها الذاتية التي يفيدها التنكير بالفضيلة الإضافية أي كاشفة من الله تعالى وهي العافية والثبات على الإيمان والزيادة فيه وحذر العدو منهم (وقض) أي ربح في التجارة وتنكيره أيضاً للتفخيم (لم يمسهم سوء) حال أخرى من الضمير في فانقلبوا أو من المستكن في الحال كأنه قيل منعهم حال كونهم سالمين عن سوء الحال إذا كان مضارعاً منفيًا بلم وفيه ضمير ذي الحال جاز فيه دخول الواو كما في قوله تعالى أو قال أوحي إلى ولم يوح إليه شيء وعدمه كما في هذه الآية الكريمة وفي قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً (واتبعوا) في كل ما أتوا من قول وفعل (رضوان الله) الذي هو مناط الفوز بخير الدارين (والله ذو فضل عظيم) حيث تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الإيمان والتوفيق للمبادرة إلى الجهاد والتصلب في الدين وإظهار الجراءة على العدو وحفظهم عن كل ما يسوءهم مع إصابة النفع الجليل وفيه تحسير لمن تخلف عنهم وإظهار الخطار أيهم حيث حرموا أنفسهم ما فاز به هؤلاء وروى أنهم قالوا هل يكون هذا غزواً فأعطاهم الله تعالى ثواب الغزو ورضي عنهم (انما ذلكم) إشارة إلى المنبسط أو إلى من حمله على التبسط والخطاب للمؤمنين وهو مبتدأ وقوله تعالى (الشیطان) أما خبره وقوله تعالى (يخوف أولياءه) جملة مستأنفة مبينة لشيطنته أو حال كما في قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية الخ وأما صفة والجملة خبره ويجوز أن تكون الإشارة إلى قوله على تقدير مضاف أي انما ذلكم قول الشيطان أي ابليس والمستكن في يخوف انما للمقدّر وانما للشيطان بحذف الراجع إلى المقدّر أي يخوف به والمراد بأولياءه أما يوسفیان وأصحابه فاللفظ الأول محذوف أي يخوفكم أولياءه كما هو قراءة ابن عباس وابن مسعود ويؤيده قوله تعالى (فلا تخافوهم) أي أولياءه (وخافون) في مخالفة أمرى وأما القاعدون فاللفظ الأول الثاني محذوف أي يخوفهم الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير البارز في فلا تخافوهم للناس الثاني أي فلا تخافوهم فقهعدوا عن القتال وتجنبوا وخافوني فجاهدوا مع رسولى وسارعوا إلى ما يأمركم به والخطاب لفریق الخارجين والقاعدین والفاء لترتيب النهی أو الانتهاء على ما قبلها فإن كون الخوف شیطانياً مما يوجب عدم الخوف والتهنى عنه (ان كنتم مؤمنين) فإن الإيمان يقتضى إخبار خوف الله تعالى على خوف غيره ويستدعى الأمن من شر الشيطان وأولياءه (ولا يحزنك) تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتثريقه بتخصيصه بالتسليّة والایذان بأصاليته في تدبير أمور الدين والاهتمام بشؤنه (الذين يسارعون في الكفر) أي يقعون فيه سريعا للغاية حرصهم عليه وشدة رغبتهم فيه وإشارته في على ما وقع في قوله تعالى وسارعوا إلى مغفرة الایة للإشارة باستقراءهم في الكفر ودوام ملابتهم له في مبدأ المسارعة ومنتهى ما كما في قوله تعالى أولئك يسارعون في الخيرات فإن ذلك مؤذن بجلابتهم للخيرات وتعلقهم في قنوتها في طرفي المسارعة وتضاعفها وأما إشارته إلى ما وقع في قوله تعالى وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة الخ فلان المغفرة والجنة منتهى المسارعة وغايتها والمراد بالموصول المنافقون من المتخلفين وطائفة من اليهود حسب ما عین في قوله تعالى بأیها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا

آمنا بأقوالهم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا وقيل قوم ارتدوا عن الاسلام والتعبير عنهم بذلك للاشارة
 بما في حيز الصلة الى مظنة وجود المنهى عنه واعتباره لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى لا يجوز لك بمسارعتهم
 في الكفر ومبادرتهم الى تشيئة أحكامهم ومظاهرتهم لاهله وتوجيه النهى الى جهة بهم مع أن المقصود نهيهم عليه
 الصلاة والسلام عن التأثر منهم للمبالغة في ذلك لما أن النهى عن التأثر ينهي عن التأثر بأصله ونفى له بالمرّة
 وقد يوجه النهى الى اللازم والمراد هو النهى عن اللزوم كما في قولك لا اريدك ههنا وقري لا يجوز لك من أجزن
 المنقول من حزن بكسر الزا والمعنى واحد وقيل معنى حزنه جعل فيه حزنا كما في دهنه أى جعل فيه دهنًا ومعنى
 أسرنه جعله حزينا وقيل معنى حزنه أحدث له الحزن ومعنى أسرنه عرّضه للحزن (انهم ان يضروا الله) تعليل
 للنهى وتكميل للتسليّة بتحقيق نفي ضررهم أبداً أى لن يضروا بذلك أولياء الله البتة وتعليق نفي الضرر به تعالى
 لتشير بفهموا الايدان بأن مضارّتهم بمنزلة مضارّته سبحانه وفيه مزيد مبالغة في التسليّة وقوله تعالى (شيأ)
 في حيز النصب على المصدرية أى شيأ من الضرر والتسكير لتأكيده ما فيه من القلة والحقارة وقيل على نزع
 الجواز أى بشيأ ما أصلا وقيل المعنى لن ينقصوا بذلك من ملكه تعالى وساطعانه شيأ كما روى أبو ذر عن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى لو أن أولكم وآخركم وجميعكم وانسكم كانوا على أتقى قلب رجل
 منكم ما زاد ذلك في ملكي شيأ ولو أن أولكم وآخركم وجميعكم وانسكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم
 ما نقص ذلك من ملكي شيأ والاول هو الانسب بمقام التسليّة والتعليل (يريد الله أن لا يجعل لهم حظا
 في الآخرة) استئناف مبين لسر ابتلائهم بعبادتهم فيه من الانهمال في الكفر وفي ذكر الارادة من الايدان بكال
 خلوص الداعي الى حرمانهم وتعذيبهم حيث تعطلت بهم ارادة أرحم الراحمين ما لا يخفى وصيغة الاستقبال
 للدلالة على دوام الارادة واستمرارها أى يريد الله بذلك أن لا يجعل لهم في الآخرة حظا من الثواب ولذلك
 تركهم في طغيانهم يعمهون الى أن يهلكوا على الكفر (ولهم) مع ذلك الحرمان الكلي (عذاب عظيم)
 لا يقادر قدره قيل لمادات المسارعة في الشيء على عظم شأنه وجلالة قدره عند المسارع وصف عذابه بالعظم
 رعاية للمناسبة وتنبهها على حقارة مسارعوا فيه وخساسته في نفسه والجللة اتمامه بدءا مبينة لحظهم من العقاب
 اثر بيان أن لا شيء لهم من الثواب واما حال من النهي في لهم أى يريد الله حرمانهم من الثواب معذاتهم
 عذاب عظيم (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان) أى أخذوا بمدا منه رغبة فيما أخذوه واعراضا عما تركوه
 وقدمت تحقيق القول في هذه الاستعارة في تفسيره قوله عز وجل أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى مستوفى
 (ان يضروا الله شيأ) تفسيره كما مر غير أن فيه تعريضا ظاهرا بإقتصار المضّر عليهم كأنه قيل وانما يضرون
 أنفسهم فان جعل الموصول عبارة عن المسارعين المهودين بأن يرادوا بشراء الهدى فقر بالايمان اشارة عليه
 اتماما أخذوا به لا من الايمان الحاصل بالفعل كما هو حال المرتدين أو بالقوة القرينة منه الحاصلة بمشاهدة دلالته
 في التوراة كما هو شأن اليهود ومنافقهم فالتكرير لتقرير الحكم وتأكيده ببيان علته بتغيير عنوان الموضوع
 فان ما ذكر في حيز الصلة من الاشتراء المذكور صريح في لحوق ضرره بانفسهم وعدم تعذبه الى غيرهم أصلا
 كيف لا وهو علم في الخسران الكلي والحرمان الابدى دال على كمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم فكيف يتأق
 منهم ما يتوقف على قوة الحزم ورزانة الرأى ورصانة التدبير من مضارّة حزب الله تعالى وهى أعز من الابق
 الفرد وأمنع من عقاب الجور وان أجرى الموصول على عمومهم بان يرادوا بالاشتراء المذكور القدر المشترك الشامل
 للمعنيين المذكورين ولا خذ الكفر بدلا مما نزل منزلة نفس الايمان من الاستعداد القريب له الحاصل بمشاهدة
 الوحى الناطق وملاحظة الدلائل للنصوبة في الآفاق والانفس كما هو دأب جميع الكفرة فالجمله مقررة
 لمضمون ما قبلها تقرير القواعد الكلية لما اندرج تحتها من جزئيات الاحكام هذا وقد جوز كون الموصول
 الاول عالما للكفار والثانى خاصا بالمهودين وأنت خبير بأنه مع خلقه عن النكت المذكورة مما لا يليق بفخامة
 شأن التنزيل لما أن صدور المساعدة في الكفر بالمعنى المذكور وكونه مظنة لاثار الحزن لرسول الله صلى الله
 عليه وسلم كما يفهم من النهى عنه انما يتصور بمن علم انصافه بها وأما من لا يعرف حاله من الكفرة الكائنين
 في الاماكن البعيدة فاستناد المسارعة المذكورة اليهم باعتبار كونهم من مبادئ حزنه عليه السلام
 مما لا وجه له وقوله تعالى (ولهم عذاب أليم) جملة مبتدأة مبينة لكمال فظاغة عذابهم بدكر غاية ايلامه

بعد ذكر نهاية عظمه قيل لما جرت العادة باغتباط المشتري بما اشتراه وسروره بتحصيله عند كون الصفقة رابحة
وبناءه عند كونه خاسرة وصف عذابهم بالايلام مراعاة لذلك (ولا يحسن الذين كفروا أنما على إلههم
خير لا نفسهم) عطف على قوله تعالى ولا يحزنك الذين الآية والفعل مستند إلى الموصول وأن بما في جزئها
سادة مستمفعوليه عند سبويه تمام المقصود بهما وهو تعلق الفعل القلبي بالنسبة بين المبتدأ والخبر أو مستد
أحدهما والآخر محذوف عند الأخفش وما مصدرية أو موصولة حذف عائدها ووصلها في الكتابة لاتباع
الأمم أي لا يحسن الكافرون أن أملاءنا لهم أو أن ما عليه إلههم خير لأنفسهم أو لا يحسن الكافرون خيرية
أملائنا لهم أو خيرية ما عليه لهم ثابتة أو واقعة وما كنههم عن السرور بظواهر أملائنا تعالى إلههم بناء على حسابان
خيرية لهم وتخصيرهم ببيان أنه شر بحث وضرر محض كما أن ما كمال المعطوف عليه نهي الرسول صلى الله عليه
وسلم عن الحزن بظواهر حال الكفرة بناء على توهم الضرر من قبلهم وتسليته عليه السلام ببيان عجزهم عن ذلك
بالكلية والمراد بالموصول أما جنس الكفرة فيندرج تحت حكمه الكلي أحكام المعهودين اندراجا أو لا
وأما المعهودون خاصة فإثارة الانظار على الاضمار لرعاية المفارقة الدائمة بين الصلة وبين الأملاء الذي هو عبارة
عن أمهاتهم وتخليتهم وشأنهم دهرًا طويلًا فإن المقارن له دائماً انما هو الكفر المستمر لا المسارعة المذكورة
ولا الاشتراء المذكور فإنهم من الأحوال المتجددة المتقضية في تضاعف الكفر المستمر وقرئ لا تحسن بالتاء
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الانسب بمقام التولية أو لكل من يتأق منه الحسابان قصدا إلى
إشاعة فظاعة حالهم والموصول مفعول وأنما على لهم أما بدل منه وحيث كان التعويل على البدل وهو سادة
مستد المفعولين كما في قوله تعالى أم تحسب أن أكثرهم يسمعون اقتصر على مفعول واحد كما في قولك
جعلت المتاع بعضه فوق بعض وأما مفعول ثان بتقدير مضاف إنا فيه أي لا تحسن الذين كفروا أم يحسب
أن الأملاء خير لأنفسهم أو في المفعول الأول أي لا تحسن حال الذين كفروا أن الأملاء خير لأنفسهم ومعنى
التفضيل باعتبار رزقهم (أنما على لهم ليزدادوا انما) استئناف مبين لحكمة الأملاء وما كافة واللام لام
الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ بفتح الهمزة ههنا على إيقاع الفعل عليه وكسر هاء فيما سبق على أنه
اعتراض بين الفعل ومفعوله مفيد لزيادة الاعتناء بإبطال الحساب وردة على معنى لا يحسن الكافرون
أن أملائنا لهم ليزدادوا انما حسبا هو شأنهم بل انما هو لئلا في ما فرط منهم بالتوبة والدخول في الإيمان (ولهم)
في الآخرة (عذاب مهين) لما تضمن الأملاء القبيح بطبيعات الدنيا وزينتها وذلك مما يستدعي التعزز والتعجب
وصف عذابهم بالأهانة ليكون جزاؤهم جزاء وفاقا والجملة أما مبتدأ مميئة لحالهم في الآخرة اثر بيان حالهم
في الدنيا وأما حال من الواو أي ليزدادوا انما عذابهم عذاب مهين وهذا متعين على القراءة الأخيرة
(ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه) كلام مستأنف مسوق لوعيد المؤمنين ووعيد المنافقين بالعقوبة
الدينية التي هي القضية والخزي اثر بيان عقوبتهم الآخروية والمراد بالمؤمنين المحضون وأما الخطاب فقد قيل
أنه لجمهور المصدقين من أهل الخلاص وأهل التفات ففيه التفات في ضمن التلوين والمراد بعذابهم عليه اختلاط
بعضهم بعضا واستواءهم في اجراء أحكام الاسلام عليهم اذ هو القدر المشترك بين الفريقين وقيل أنه للكفار
والمنافقين وهو قول ابن عباس والضحاك ومقاتل والكلبي وأكثر المفسرين فقيه تلوين فقط ولعل المنافقين
عطف تفسيري للكفار والافلاشركين المؤمنين والمجاهرين في أمر من الأمور والمراد بعذابهم عليه ما مر
من القدر المشترك فانه كما يجوز نسبته إلى الفريقين معا يجوز نسبته إلى كل منهما مالا الكفر والتفاد كما قيل
فإن المؤمنين ما كانوا مشاركين لهم في ذلك حتى لا يتركوا عليه وقيل أنه للمؤمنين خاصة وهو قول أكثر أهل
المعاني فقيه تلوين والتفات كما مر والتعرض لإيمانهم قبل الخطاب للاشعار بعلل الحكم والمراد بعذابهم
عليه ما مر غير مرة والاول هو الاقرب واليه جنح المحققون من أهل التفسير لكونه صريحا في كون المراد
بجناهم عليه ما ذكر من القدر المشترك بين الفريقين من حيث هو مشترك بينهما بخلاف القولين الآخرين فانهما
يجهزل من ذلك كيف لا والمفهوم مما عليه المتأفقون هو الكفر والتفاد ومما عليه المؤمنون هو الإيمان
والاخلاص لا القدر المشترك بينهما ولئن فهم ذلك فأنما يفهم من حيث الاتساع إلى أحدهما لا من حيث
الاتساع إليهما معا وعليه يدور أمر الاختلاط المروج إلى الافراز واللام في ليدرا ما متعلقة بالخبر المقدير

لكان كما هو رأى البصرية واتصاب الفعل بعدها بأن المقصرة أى ما كان الله مريدا أو متصديا لأن يذن
 المؤمنين الخ ففى توجيه النفى الى ارادة الفعل تأكيده ومبالغة ليست فى توجيهه الى نفسه وانما عريضة للتأكيده
 ناصبة للفعل بنفسها كما هو رأى الكوفة ولا يقدح فى ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف الجر فى عملها
 وقوله عز وجل (حق عيز الخبيث من الطيب) غاية لما يقيد النفى المذكور كأنه قيل ما يتركهم الله تعالى
 على ذلك الاختلاط بل يقدح الامور ويرتب الاسباب حتى يعزل المنافق من المؤمن وفى التعبير عنه ما بما ورد به
 النظم الكريم تسهيل على كل منهما بما يلقى به واشعار بعلة الخبيث وافراد الخبيث والطيب مع تعدد
 ما أريد بكل منهما وتكثره لاسيما بعد ذكر ما أريد بأحدهما أعنى المؤمنين بصيغة الجمع للايدان بأن مدارا فراقا أحد
 الفريقين من الآخر وانصافهما بوصفهما لا خصوصية ذاتهما وتعدد آحادهما كما فى مثل قوله تعالى ذلك أدنى
 أن لا تعلموا وتطيره قوله تعالى تذهل كل مرضعة عما أرضعت حيث قصد الدلالة على الانصاف بالوصف
 من غير تعرض لكون الموصوف من العقلاء أو غيرهم وتعلق الميزان بالخبيث المعصية عن المنافق مع أن المتبادر
 مما سبق من عدم ترك المؤمنين على الاختلاط تعلقهم بهم وافرازهم عن المنافقين لما أن الميزان الواقع بين الفريقين
 انما هو بالتصرف فى المنافقين وتغييرهم من حال الى حال مغايرة للاولى مع بقاء المؤمنين على ما كانوا عليه من
 أصل الايمان وان ظهر مزيد اخلاصهم لا بالتصرف فيهم وتغييرهم من حال الى حال اخرى مع بقاء المنافقين على
 ما هم عليه من الاستتار ولأن فيه مزيدا تأكيده للوعيد كما اشير اليه فى قوله تعالى والله يعلم المقصد من المصلح
 وانما لم يفسد عدم الترك اليهم لما أنه مشعر بالاعتناء بشأن من نسب اليه فان المتبادر منه عدم الترك على حالة غير
 ملائمة كما يشهد به الذوق السليم وقرئ حتى يميز من التمييز وقوله تعالى (وما كان الله ليطلعكم على الغيب)
 تمهيد لبيان الميزان الموعود على طريق تجريد الخطاب للمخلصين تشريفا لهم وقوله عز وجل (ولكن الله يجتبي
 من رسله من يشاء) اشارة الى كيفية وقوعه على سبيل الاحمال واظهار الاسم الجليل فى الموضوعين لتربية المهابة
 فالعنى ما كان الله ليترك المخلصين على الاختلاط بالمنافقين بل يرتب المبادئ حتى يفرج المنافقين من بينهم وما يفعل
 ذلك باطلاعكم على ما فى قلوبهم من الكفر والتناقى ولكنه تعالى يوحى الى رسوله عليه السلام فيضربه بذلك وبما
 ظهر منهم من الاقوال والافعال حسبا حكمي عنهم بعضه فيما سلف فينبضهم على رؤس الاشهاد ويخلصكم من خسة
 الشركاء وسوء جوارهم والتعرض للاجتناب للايدان بأن الوقوف على أمثال تلك الامرار الغيبية لا يتأتى الا من
 رشح الله تعالى لمنصب جليل تقاضت عنه هم الامم واصطفاه على الجاهل لا رشادهم وتعميم الاجتناب
 لسائر الرسل عليهم السلام للدلالة على أن شأنه عليه السلام فى هذا الباب أمر متين له أصل أصيل جار على سنة
 الله تعالى المسلوكة فيما بين الرسل الخالية عليهم السلام وتعميم الامر فى قوله تعالى (فأمنوا بالله ورسوله)
 مع أن سوق النظم الكريم للايمان بالنبي عليه الصلاة والسلام لا يجاب الايمان به بالطريق البرهاني والاشعار
 بأن ذلك مستلزم للايمان بالكل لانه مصدق لما بين يديه من الرسل وهم شهداء ببعثة نبوته عليه الصلاة والسلام
 والمأمورية للايمان بكل ما جاء به عليه الصلاة والسلام فيه خل فيه تصديقه عليه السلام فيما أخبر به من أحوال
 المنافقين دخول أوليا هذا هو الذى يقتضيه جرالة النظم الكريم وقد جوز أن يكون المعنى لا يترككم
 مختلطين حتى عيز الخبيث من الطيب بأن يكلفكم التكليف الصعبة التى لا يصبر عليها الا المخلص الذين امتحن
 الله تعالى قلوبهم كبذل الارواح فى الجهاد وانفاق الاموال فى سبيل الله تعالى فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم
 وشاهد ابعثكم أكرم حتى يعلم بعضكم بما فى قلب بعض بطريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور
 فان ذلك مما استأثر الله تعالى به وأنت خير بأن الاستدلال بالاجتناب الرسل المنبئ عن مزيد من يتهم وفضل
 معرفتهم على انطلق اثريان قصور رتبته عن الوقوف على خطايا السرائر صريح فى أن المراد اظهار تلك السرائر
 بطريق الوعى لا بطريق التكليف بما يؤدى الى خروج أسرارهم عن رتبة الخفاء وأقرب من ذلك حمل الآية
 الكريمة على أن تكون مدوقة لبيان الحكمة فى املائه تعالى للكفرة اثريمان شريته لهم فالعنى
 ما كان الله ليترك المخلصين على الاختلاط أبدا كماثر بهم كذلك الى الآن لسرية شخصيه بل يفرض عنهم المنافقين
 ولذا لم يزل يومئذ خفى الكفرة وشأنهم فأمرهم من عبادة الغلبة فأظهروا من قلوبهم من شأن ما فيها
 من الغيبات واقتضوا على رؤس الاشهاد وقيل قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا

بمذهب لعبد به بغير ذنب من قبلهم والتعصير عن ذلك بنى الظلم مع أن تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرّر
من قاعدة أهل السنة فضلا عن كونه ظلمًا بالغالبين كالنزاهة تعالى عن ذلك بتصوره بصورة ما يستحيل
صدوره عنه سبحانه من الظلم كما يعبر عن ترك الامانة على الاعمال باضاعتها مع أن الاعمال غير موجبة للثواب
حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بأبراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب
في صورة المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبيده وظلام لعبيده على أن المبالغة
كما لا يكفي هذا وقد قيل محل أن الجزأ يعطف على ما قدمت وسيبته للعذاب من حيث أن نفي الظلم مستلزم للعدل
المتقضى لاثابة المحسن ومعاقبة المني وفساده ظاهر فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا
حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب حسبا ذكره القائل في سورة الانفال وقيل سببية ذنوبهم لعذابهم مقيدة
بانضمام انتفاء ظلمه تعالى اليها اذ لولا ذلك لكان أن يعذبهم بغير ذنوبهم وأنت خير بان إمكان تعذيبه
تعالى لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لا يتنافى كون تعذيب هؤلاء الكفرة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى اعتبار
عدمه معه وانما يحتاج الى ذلك أن لو كان المدعى أن جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذنين (الذين
قالوا) نصب أو رفع على الذم وهم كعب بن الاشرف ومالك بن نسي وحبي بن الخطيب وفصاح بن عازوراء
ووهب بن يهودا (أن الله عهد اليها) أي أمرنا في التوراة وأوصانا (أن لا تؤمن رسول حتى يأتيها بقرين
تأكله النار) كما كان عليه أمر أنبياء بني اسرائيل حيث كان يقرب بالقرين فيقوم النبي فيدعو قتل نار من
السما فتنأكله أي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم وأباطيلهم فان أكل النار القرين لم يوجب
الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات سواء ولما كان محصل كلامهم الباطل أن عدم ايمانهم برسول الله
صلى الله عليه وسلم لعدم اتيانه بما قالوا ولو تحقق الايمان به لتحقيق الايمان ردت عليهم بقوله تعالى (قل) أي
تبكيئنا لهم واظهار الكذب (قد جاءكم رسل) كثيرة العدد كبيرة المقدار (من قبلي بالبينات) أي المعجزات
الواضحة (وبالذي قلتم) بعينه من القرين الذي تأكله النار (فلم تلتقوهم ان كنتم صادقين) أي فيما
يدل عليه كلامكم من أنكم تؤمنون لرسول يأتيكم بما اقترحوه فان ذكرناه ويحيي وغيرهما من الانبياء
عليهم الصلاة والسلام قد جاءوكم بما قلتم في معجزات آخر فبالكم لم تؤمنوا لهم حتى اجترأتم على قتلهم
(فان كذبوا) شروع في تسليط رسول الله صلى الله عليه وسلم انما اوحى اليه ما يحزنه عليه الصلاة والسلام
من مقالات الكفرة من المشركين واليهود وقوله تعالى (فقد كذب رسل من قبلك) تعليل لجواب الشرط
أي قتل فقد كذب الخ ومن متعلقة بكذب أو يحذف هو صفة رسل أي كائنه من قبلك (جاءوا بالبينات)
أي المعجزات الواضحات صفة لرسول (والزبر) هو جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحمد من زبره
اذا حسنته وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبره اذا زجرته (والكتاب المنير) قيل أي التوراة والانجيل
والزبور والكتاب في عرف القران ما يتضمن الشرائع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عاقبة
المواقع وقرئ وبالزبر باعادة الجارة دلالة على أنها مغايرة بالذات للبينات (كل نفس ذائقة الموت) وعدو وعد
للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالتسوية وعدمه كما في قوله ولا ذاك الله الا قليلا (وانما نؤفون اجوركم)
أي تعطون اجزية اعمالكم على التمام والكمال (يوم القيامة) أي يوم قيامكم من القبور وفي لفظ التوفية
اشارة الى أن بعض اجورهم يصل اليهم قبله كما ينبي عنه قوله عليه الصلاة والسلام القبر روضة من رياض
الجنة أو حفرة من حفرة النيران (فن زجر عن النار) أي بعد عنها يومئذ ونحي والزحرة في الاصل
تكرير الزح وهو الجذب بجعله (وأدخل الجنة فقد فاز) بالخباة ونيل المراد والقوز الطفر بالبيعة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن يزحرج عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يومئذ
بالله واليوم الآخر ويأتى الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه (وما الحياة الدنيا) أي لذاتها وزخارفها (المتاع
الغرور) شبهت بالمتاع الذي يدل على المستام وبغير حق يشتره وهذا من أثرها على الآخرة فأتاها من
طلب بها الآخرة فهي له متاع بلاغ والغرور اما مصدر أو جمع غار (تلبون) شروع في تسليط رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين عما سلقونه من جهة الكفرة من المكارة ان تسليطهم عما قد وقع منهم
ليوطنوا انفسهم على احتمال عند وقوعه ويستعدوا للقائه ويقابلوه بحسن الصبر والثبات فان مجرم

الاوجال بحار زل أقدام الرجال والاستعداد للكروب محايون الخطوب وأصل الابتلاء الاختيار أى
 تطلب الخبرة بحال المختبر تعرضه لامر يشق عليه غالباً ملابسته أو مقارفته وذلك انما يتصور حقيقة
 بمن لا وقوف له على عواقب الامور وأما من جهة العليم الخبير فلا يكون الانحياز من تمكنه للعبد من
 اختيار أحد الامرين أو الامور قبل أن يرتب عليه شيئاً هو من مبادئ العبادية كما مر والجملة جواب قسم
 محذوف أى والله اتبلون أى لتعاملن معاملة المختبر ليظهر ما عندكم من الثبات على الحق والاعمال الحسنة
 وفائدة التوكيد اما تحقيق معنى الابتلاء فهو بسا للخطب واما تحقيق وقوع المبتلى به مبالغة في الحث على
 ما أريد منهم من التهيؤ والاستعداد (في اموالكم) بما يقع فيها من ضروب الاوقات المؤدية الى هلاكها
 وأما اتفاقها في سبيل الخير مطلقاً فلا يلقى نظمه في سلك الابتلاء لما أنه من باب الضعاف لا من قبيل الانلاف
 (وأنفسكم) بالقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من اصناف المتاعب والخواف والتدائد ونحو ذلك
 وقديم الاموال لكثرة وقوع الهلكة فيها (ولتسعن من الذين آوتوا الكتاب من قبلكم) أى من قبل
 آياتكم القرآن وهم اليهود والنصارى عبر عنهم بذلك للاشعار بعد ار الشقاق والايذان بأن بعض ما يسمعون
 منهم مستند على زعمهم الى الكتاب كما في قوله تعالى ان الله عهد لنا الخ والتصریح بالقبطية لتأكيد
 الاشعار وتقوية المدافن قدم نزول كتابهم مما يؤيد تسكهم به (ومن الذين اشركوا اذى كثيراً) من الطعن
 في الدين الخفيف والقدح في أحكام الشرع الشريف وصدة من أراد أن يؤمن وتخطئة من آمن وما كان
 من كعب بن الاشرف وأضرابه من هجاء المؤمنين وتخرىض المشركين على مضادة رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ونحو ذلك مما لا يخفى (وان تصبروا) أى على تلك التدائد والبلوى عند ورودها وتصابوها
 بحسن التجرى (وتتقوا) أى تتبتلوا الى الله تعالى بالكيفية معرضين عما سواه بالمزلة بحيث يتساوى عندكم
 وصول المحبوب ولقاء المصكروه (فان ذلك) اشارة الى الصبر والتقوى وما فيه من معنى البعد للايذان
 بعلو درجاتها وبعد منزلتها وتوحيد حرف الخطاب اما باعتبار كل واحد من الخطاطبين واما لان المراد بالخطاب
 مجرد التنبيه من غير ملاحظة خصوصية احوال الخطاطبين (من عزم الامور) من معزوماتها التي يتنافس
 فيها المتنافسون أى مما يجب أن يعزم عليه كل أحد لما فيه من كمال المزية والشرف أو مما عزم الله تعالى عليه
 وأمر به وبائع فيه يعنى ان ذلك عزمة من عزيمات الله تعالى لا بد أن تصبروا وتتقوا والجملة تعليل لجواب الشرط
 واقع موقعه كانه قبل وان تصبروا وتتقوا فهو خير لكم او فافعلوا أو فقد احسنتم أو فقد أصبتم فان ذلك الخ
 ويجوز أن يكون ذلك اشارة الى صبر الخطاطبين وتقواهم فالجملة حينئذ جواب الشرط وفي ابراز الامر بالصبر
 والتقوى في صورة الشرطية من اظهار كمال اللطف بالعباد ما لا يخفى (واذا أخذ الله) كلام مستأنف سبق
 ابيان بعض أديانهم وهو كتمانهم ما في كتابهم من شواهد بنبوته عليه الصلاة والسلام وغيرها واذ منصوب على
 المفعولية بضمراً أمر به النبي صلى الله عليه وسلم خاصة بطريق تجريد الخطاب اثر الخطاب الشامل له عليه الصلاة
 والسلام ولما مؤمنين ليكون مضمونه من الوظائف الخاصة به عليه الصلاة والسلام وتوجيه الامر بالذكر الى
 الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنه المقصود بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها على ما مر بيانه في تفسير
 قوله تعالى واذا قال ربك للملائكة انى جاءك الخ أى اذكروا وقت أخذه تعالى (ميثاق الذين آوتوا الكتاب)
 وهم علماء اليهود والنصارى ذكروا بعنوان آباء الكتاب مبالغة في تبيين حالهم (لتبينته) حكاية
 لما خوطبوا به والضمير للكتاب وهو جواب القسم بنبي عنه أخذ الميثاق كانه قيل لهم بالله اتبينته (للناس)
 وتظهر تبيين ما فيه من الاحكام والاخبار التي من جملتها أمر بنبوته عليه الصلاة والسلام وهو المقصود
 بالحكاية وقرئ بالياء لانهم غيب (ولا تكونونه) عطف على الجواب وانما لم يؤكّد بالنون لكونه منضياً
 كما في قولك والله لا يقوم زيد وقيل اكننى بالتأكيدي الاول لانه تأكيده وقيل هو حال من ضمير الخطاطبين
 اما على اضممار مبتدأ بعد الواو أى وأنتم لا تكونونه واما على رأى من جؤز دخول الواو على المضارع المنفى
 عند وقوعه حالاً أى لتبينته غير كائن والنهي عن الكتمان بعد الامر بالبيان اما للمبالغة في ايجاب الامر به
 واما لان المراد بالبيان المأمور به ذكر الآيات الناطقة بنبوته عليه الصلاة والسلام وبالكتمان المنهى عنه ابقاء
 التأويلات الزائفة والشبهات الباطلة وقرئ بالياء كما قبله (فتبذوه) التبذرى والابعاد أى طرخوا

ما أخذ منهم من الميثاق الموثق بفضون التأكيد والقوة (وراء ظهورهم) ولم يراعوه ولم يلتفتوا اليه أصلاً فان
 نبذ الشيء وراء الظهر مثل في الاستهانة به والاعراض عنه بالكلية كما أن جعله نصب العين علم في كمال العناية به
 وفيه من الدلالة على تحتم بيان الحق على علماء الدين وإظهار ما مضوه من العلم للناس أجمعين وحرمة كتمان لغرض
 من الاغراض الفاسدة أو الطمع في عرض من الاعراض الضائية الكاسدة ما لا يخفى وعن النبي صلى الله عليه
 وسلم من كتم علماً عن أهله ألبم بطعام من نار وعن طاووس أنه قال لو هب بن منبه أنى أرى الله سوف يعذبك به هذه
 الكتب وقال والله لو كنت نبياً فكنت العلم كما تكتمه رأيت أن الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لأحد
 من العلماء أن يسكت على علمه ولا يحل لجاهل أن يسكت على جهله حتى يسأل وعن علي رضي الله عنه ما أخذ
 الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا (واشتروا به) أي بالكتاب الذي أمروا ببيانه ونهوا
 عن كتمانهم فان ذكر نبذ الميثاق يدل على ذلك دلالة راضحة وإيقاع الفعل على الكل مع أن المراد به كتم بعضه
 كدلائل نيوته عليه الصلاة والسلام ونحوها لما أن ذلك كتم للكل اذ به يتم الكتاب كما أن رفض بعض أركان
 الصلاة رفض لأكملها أو بمنزلة كتم الكل من حيث أنهم ماسيان في الشناعة واستحجار العقاب كما في قوله تعالى
 وإن لم تفعل فابلق رسالتك والاشترى مستعاراً لاستبدال متاع الدنيا بما كتموه أي تركوا ما أمروا به
 وأخذوا ببدله (مما قلنا) أي شيئاً نافها حقيراً من طعام الدنيا وأعراضها وفي تصور هذه المعاملة بعقد
 المعاوضة لاسيما بالاشترى المؤذن بالرغبة في المأخوذ والاعراض عن المعطى والتعبير عن المشتري الذي
 هو العمدة في العقد والمقصود بالمعاملة بالنفس الذي شأنه أن يكون وسيلة إليه وجعل الكتاب الذي حقه
 أن يتنافس فيه المتنافسون معصوباً بالبناء الداخلة على الآلات والوسائل من نهاية الجزالة والدلالة على كمال
 فطاعة حالهم وغاية قبحها بإيثارهم الذي الحقير على الشريف الخطير وتعتكسهم بجعلهم المقصد الأصلي وسيلة
 والوسيلة مقصداً ما لا يخفى جلالة شأنه ورفعة مكانه (فبئس ما يشتررون) ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل
 بئس ويشتررون صفتهم والمخصوص بالذم محذوف أي بئس شيئاً يشتررونه ذلك الثمن (لأحسب) الخطاب لرسول
 الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد من يصلح له (الذين يفرحون بما آتوا) أي بما فاعلوا كما في قوله تعالى
 أنه كان وعدهم ما تبوأ ويدل عليه قراءة أبي يفرحون بما فاعلوا وقرئ بما آتوا بمعنى أعطوا وبما آتوا
 أي بما آتوه من علم التوراة قال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود حرقوا التوراة وقرحوا وبذلك
 وأحبوا أن يوصفوا بالديانة والفضل روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شيء مما في
 التوراة فكتموا الحق وأخبروه بخلافه وأرواه أنهم قد صدقوه واستحمدوا إليه وقرحوا بما فاعلوا وقيل قرحوا
 بكتمان النصوص الناطقة بنيوته عليه الصلاة والسلام وأحبوا أن يحمدوا بأنهم متبعون مله إبراهيم عليه
 السلام فالأصول عبارة عن المذكورين أو عن مشاهيرهم وضع موضع ضميرهم والجملة مسوقة لبيان
 ما تستتبعه أعمالهم المحكية من العقاب الأخرى أو لبيان قبحها وقد أدرج فيها بيان بعض آخر من
 شأناتهم وهو اسرارهم على ما هم عليه من القبايح وقرحهم بذلك ومحبتهم لأن يوصفوا بما ليس فيهم من
 الأوصاف الجميلة وقد نظم ذلك في سلك الصلة التي حقها أن تكون معلومة الثبوت للموصول عند الخطاب
 أي أنا بشهادة اتصالهم بذلك وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بأنهم رأوا المصلحة في ذلك واستحمدوا به
 وقيل هم المنافقون كافة وهو الأنس بظاهر قوله تعالى (ويتعجبون أن يحمدوا بما لم يفعَلوا) لشبهة أنهم
 كانوا يفرحون بما فاعلوا من اظهار الايمان وقلوبهم مطمئنة بالكفر ويستحمدون الى المسلمين بالايان وهم عن
 فعله بالتميز وكانوا يظهرون محبة المؤمنين وهم في الغاية القاصية من العداوة فالأصول عبارة عن طائفة
 معهودة من المذكورين وغيرهم فان أكثر المنافقين كانوا من اليهود ولعل الأولى اجراء الموصول على عموم
 شامل لكل من يأتي بشيء من الحسنات فيفرح به فرح إعجاب ويؤذ أن يدحه الناس بما هو عار منه من
 الفضائل منتظماً للمعهودين النظام أو لئلا يأتوا ما كان فهو مفعول أول لتعجب وقوله تعالى (فلا تحسبنهم)
 تأكيداً والفاء زائدة والمفعول الثاني قوله تعالى (بمضارة من العذاب) أي متبسين بنجاة منه على أن
 المضارة مصدر ميمي ولا يضر تأنيثها بالتاء لما أنها مبنية عليها وليست للدلالة على الوحدة كما في قوله
 فلولا رجاء النصر منك ورهبة عذابك قد كانوا النابالموارد

ولا سبيل الى جعلها اسم مكان على أن الجارة متعلق بمحذوف وقع صفة لها أي بمفازة كائنة من العذاب لانها ليست من العذاب وتقدير فعل خاص ليصح به المعنى أي بمفازة منجية من العذاب مع كونه خلاف الاصل تعسف مستغنى عنه وقرئ بضم الباء في الفعلين على أن الخطاب شامل للمؤمنين أيضا وقرئ بياء الغيبة وفتح الباء فيهما على أن الفعل له عليه الصلاة والسلام ولكل أحد من يتأق منه الحساب ومفعولاه كما ذكر وقرئ بضم الباء في الثاني فقط على أن الفعل للموصول والمفعول الأول محذوف لكونه عين الفاعل والثاني بمفازة أي لا يحسب الذين يقرحون انفسهم قاترين وقوله تعالى فلا يحسب منهم تأكيدهم للاول والقاء زائدة كما مر ويجوز أن يحمل الفعل الاول على حذف المفعولين معا اختصارا لدلالة مفعولي الثاني عليهما على عكس ما في قوله

بأي كتاب أو بأية سنة * ترى حبه عارا على وتحسب

حيث حذف فيه مفعولا الثاني لدلالة مفعولي الاول عليهما وعلى أن الفعل الاول للرسول صلى الله عليه وسلم والكل حاسب ومفعوله الاول الموصول والثاني محذوف لدلالة مفعول الفعل الثاني عليه والفعل الثاني مسند الى ضمير الموصول والفاء للعطف لظهور تفرع عدم حسابهم على عدم حسابانه عليه السلام ومفعولاه الضمير المنصوب وقوله تعالى بمفازة وتصدير الوعيد بنهيم عن الحساب المذكور لالتنبه على بطلان آرائهم الركيكة وقطع أطماعهم الفارغة حيث كانوا يزعمون أنهم يجنون بما صنعوا من عذاب الاشنة كما يجوابه من المواخذة الديونية وعليه كان مبنى فرحهم وأمانيه عليه السلام وللتعريض بحسبانهم المذكور للاحتمال وقوع الحسابان من جهته عليه السلام (ولهم عذاب أليم) بعدما اشير الى عدم نجاتهم من مطلق العذاب حقق أن لهم فردا منه لا غاية له في المدة والشدة كما ناقح به الجملة الاسمية والتسكير التفضيحي والوصف (ولله) أي خاصة (ملك السموات والارض) أي السلطان القاهر فيها بحيث يتصرف فيها وفيما فيها كما يشاء ويريد ايجادا واعداما احياء وامانة تعذيبا وانابة من غير أن يكون لغيره شائبة دخل في شيء من ذلك بوجه من الوجوه فالجملة مقترنة لما قبلها وقوله تعالى (والله على كل شيء قدير) تقرير لاختصاص ملك العالم الجسماني المعبر عنه بقطره به سبحانه وتعالى فان كونه تعالى قادرا على الكل بحيث لا يشذ من ملكوته شيء من الاشياء يستدعي كون ما سواه كائنا ما كان مقدوره ومن ضرورته اختصاص القدرة به تعالى واستحالة أن يشاركه شيء من الاشياء في القدرة على شيء من الاشياء فضلا عن المشاركة في ملك السموات والارض وفيه تقرير لما مر من ثبوت العذاب الاليم لهم وعدم نجاتهم منه اثر تقرير واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة والاشعار بمناط الحكم فان شمول القدرة لجميع الاشياء من أحكام الألوهية مع ما فيه من الاشعار باستقلال كل من الجملتين بالتقرير (ان في خلق السموات) جملة مستأنفة سبقت لتقرير ما سبق من اختصاصه تعالى بالسلطان القاهر والقدرة التامة صدرت بكلمة التأكيده اعتناء بتحقيق مفهومها أي في انشائها على ما هي عليه في ذواتها وصفاتها من الامور التي يحارفي فهم أجلاها العتول (والارض) على ما هي عليه ذاتا وصفة (واختلاف الليل والنهار) أي في تعاقبها في وجه الارض وكون كل منها مخلقة للاخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات وسكون الارض أو في تفاوتها بازدياد كل منهما بآثارها ذاتها وتفاوتها بحسب الامكنة اما في الطول واقتصر فان البلاد القريبة من القطب الشمالي أيامها الصيفية أطول ولياليها الصيفية أقصر من أيام البلاد البعيدة منه ولياليها واما في أنفسها فان كرية الارض تقتضي أن يكون بعض الاوقات في بعض الاماكن ليلا وفي مقابلته نهارا وفي بعضها صبا وحاوي بعضها ظهرا أو عصرًا أو غير ذلك والليل قيل انه اسم جنس يفرق بين واحد وجعله بالتاء كقوله واما في جمع جمع والصحيح أنه مفرد ولا يحفظ له جمع والليالي جمع ليله وهو جمع غريب كأنهم توهموا أنها ليلا كما في كيككة وكياكي كأنهم جمع كيككة والنهار اسم لما بين طلوع الفجر وغروب الشمس قاله الراغب وقال ابن فارس هو ضياء ما بينهم وتقدير الليل على النهار اما لانه الاصل فان غررا الشهور تظهر في الليالي واما لتقدمه في الخلقية حسبما نبئ عنه قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار أي نزيله منه فيخلفه (لايات) اسم ان دخلته

اللام لتأخره عن خبرها والتشكيك بالتفخيم كما وكيفا أي لا تيات كثيرة عظيمة لا يقادر قدرها الله تعالى تعاجيب
 شئونه التي من جانتها ما تمر من اختصاص الملك العظيم والقدرة التامة به سبحانه وعدم التعرض لما ذكر
 في سورة البقرة من القلق والمطر وتصريف الرياح والسحاب لما أن المتصور ههنا بيان استبداده تعالى بما ذكر
 من الملك والقدرة فاكثفي بعظم الشواهد الدالة على ذلك وأما ههنا فقد قصد في ضمن بيان اختصاصه تعالى
 بالالوهية بيان انصافه تعالى بالرجة الواسعة فنظمت دلائل الفضل والرجة في سلك دلائل التوحيد فان ما فصل
 هنالك من آيات رجته تعالى كما أنه من آيات الوهيته ووحدته (الاولى الالباب) أي لذوى العقول المجلوة
 الخاصة عن شوائب الحس والوهم المتجردين عن العلائق النفسانية المتخلصين من العوائق الظلمانية المتأملين
 في أحوال الحقائق وأحكام النعوت المراقبين في أطوار الملك وأسرار الملكوت المتفكرين في بدائع صنائع الملك
 الخلاق المتدبرين في روائع حكمه المودعة في الانفس والآفاق الناظرين الى العالم بعين الاعتبار والنهوض
 المتفحصين عن حقيقة سر الحق في كل موجود المتأبرين على مراقبته وذكره غير ملتفتين الى شيء مما سواه
 الا من حيث انه سر آتم مشاهدة بجلاله وآله للملاحظة صفات كماله فان كل ما ظهر في مظاهر الابداع وحضر محضر
 التكوين والاختراع سبيل سوي الى عالم التوحيد ودليل قوي على الصانع المجيد ناطق بآيات قدرته فهل
 من سامع واع ومختبر بآباء علمه وحكمته فهل له من داع يكلم الناس على قدر عقولهم ويرد جوابهم بحسب
 مقولهم ويجاور تارة بأوضح عبارة ويلوح أخرى باللفظ إشارة مراعى في الحوار اربابهم وتيسر يحتمل وان من
 شيء الا يسبح بحمده ولكن لا نفقهون تسيبهم فتأمل في هذه الشؤون والاسرار ان في ذلك لعلبة لاولى
 الابصار عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل لك يا عائشة أن تأذني لي الليلة
 في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك وأحب هوائك قد أذنت لك نقام الى قرية من ماء في البيت
 فتوضأ ولم يكسر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقوقه ثم جلس فحمد
 الله تعالى وأثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بليت الارض فأثناء بلال يؤذنه
 بصلاة الغداة فرأيتني فقال له يا رسول الله أتسكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال
 أفلا أكون عبدا شكورا ثم قال ومالي لأبكي وقد أنزل الله تعالى على في هذه الليلة ان في خلق السموات
 والارض الخ ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وروى ويل لمن لا كهاتين فكيفه ولم يتأملها وعن علي رضي
 الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يتوالت في النظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات
 والارض الخ (الذين يذكرون الله) الموصول امام موصول بأولى الالباب بحجور وعلى أنه نعت كاشف له
 بما في حيز الصلة واتمام موصول عنه مرفوع أو منصوب على المدح أو مرفوع على أنه خبر ابتدأ المحذوف وقيل هو
 مرفوع على الابتداء والخبر هو القول الماتر قبل قوله تعالى ربنا وفيه من تفكيك النظم الجليل ما لا يخفى
 وأياتها كان فقد أشير بما في حيز صلته أن المراد بهم الذين لا يفتلون عنه تعالى في عاتية أوقاتهم لاطمئنان قلوبهم
 بذكره واستغراق سرائرهم في مراقبته لما أيقنوا بأن كل ما سواه فائض منه وعائد اليه فلا يشاهدون
 حال من الاحوال في أنفسهم واليه أشير بقوله عز وجل (فيا ما وقعودا وعلى جنوبهم) ولا في الآفاق
 واليه أشير بعبادة الاوهم وعائون في ذلك شأننا من شئونه تعالى فالمراد به ذكره تعالى مطلقا سواء كان
 ذلك من حيث الذات أو من حيث الصفات والافعال وسواء فارنه الذكر اللساني أولا وأما ما يحكي عن ابن عمر
 وعروة بن الزبير وجاعة رضي الله عنهم من أنهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله تعالى فقال
 بعضهم أما قال الله تعالى الذين يذكرون الله فيا ما وقعودا فقاموا يذكرون الله على أقدامهم فليس مرادهم
 به تفسير الآية وتحقيق مصداقها على التعيين وإنما أرادوا به التبرك بذكره موافقة له في ضمن الاتيان بفرد
 من أفراد مدلولها وأما جل الذكر على الصلاة في هذه الاحوال حسب الاستطاعة كما قال عليه السلام
 لعمران بن الحصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب توحى ايماء فما لا يساعده سباق
 النظم الجليل ولا سباقه والقيام والقعود جمع قائم وقاعد كقيام ورقود جمع قائم وراقد واتصافهم بما على
 الحالية من ضمير يذكرون أي يذكرونه قائمين وقاعدين وقوله تعالى وعلى جنوبهم متعلق بمحذوف معطوف
 على الحالية أي وكائنين على جنوبهم أي مضطجعين والمراد أنهم يذكرونه في الاوقات كما مر وتخصيص الاحوال

المدكورة بالذكور ليس تخصيص الذي كرمها بل لانها الاحوال المعهودة التي لا يخلو عنها الانسان غالبا (ويتفكرون في خلق السموات والارض) عطف على يذكرون منتظم معه في حيز الصلة فلا محل له من الاعراب وقيل مجمله النصب على أنه معطوف على الاحوال السابقة وليس بظاهر وهو بيان لتفكرهم في أفعاله سبحانه أنريهم تفكرهم في ذاته تعالى على الاطلاق وإشارة الى تبيجه التي يؤدي اليها من معرفة أحوال المعاد حسبما نطق به السنة الرسل وآيات الكتب فكما أنها آيات تشير بعبادة هادية للخلق الى معرفته تعالى ووجوب طاعته كذلك المخلوقات آيات تكوينية مرشدة لهم الى ذلك فالاولى منبهات لهم على الثانية ودواع الى الاستشهاد بها كهذه الآية الكريمة ونحوها مما ورد في مواضع غير محصورة من التنزيل والثانية مؤيدات للاولى وشواهد دالة على صحة مضمونها وحقيقة مكشوفاتها فان تأمل في تضاعيف خلق العالم على هذا النمط البديع قضى باتصاف خالقه تعالى بجميع ما نطق به الرسل والكتب من الوجوب الذاتي والوحدة الذاتية والملك القاهر والقدرة التامة والعلم الشامل والحكمة البالغة وغير ذلك من صفات الكمال وحكم بأن من قدر على انشاءه بلا مثال يحتذيه أو قانون يتخيه فهو على عادته بالبعث أقدر وحكم بأن ذلك ليس بالحكمة باهرة هي جزاء المكلفين بحسب استحقاقهم المنوط بأعمالهم أي علومهم واعتقاداتهم التسابعة لانظارهم فيما نصب لهم من الحجج والدلائل والامارات والمخايل وسائر أعمالهم المتفرعة على ذلك فان العمل غير مختص بعمل الجوارح بل متناول للعمل القلبي بل هو أشرف أفرادها لما أن لكل من القلب والقالب عملا خاصا به ومن قضية كون الاول أشرف من الثاني كون عمله أيضا أشرف من عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفته تعالى التي هي أول الواجبات على العباد والغاية القصوى من الخلق على ما نطق به قوله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون أي ليعرفون كما أعرب عنه قوله عليه الصلاة والسلام يقول الله تعالى كنت كرا مخفيا فأحييت أن أعرف فخلقت الخلق لا عرف وانما طر يقها النظر والتفكر فيما ذكر من شؤنه تعالى وقدره عليه السلام أنه قال لا تفضوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل أهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في أمر الله تعالى ولذلك قال عليه السلام لا عبادة مثل التفكير وقد عرفت أنه مستتبغ لتحقيق ما جاءت به الشريعة الحقة والما فسر النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليلوكم أيكم أحسن عملا بقوله عليه الصلاة والسلام أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله تعالى فان التورع عن محارمه سبحانه موقوف على معرفة الحلال والحرام المنوطة بالكتاب والسنة فحينئذ تتصادق الآيات التكوينية وتتوافق الأدلة السمعية والعقلية وهو السر في نظم ما يحكي عن المتفكرين من الامور المستدعية للايمان بالشرعية في سلك نتيجة تفكرهم كما استتقف عليه واطهار خلق السموات والارض مع كفاية الاضمار لابرار كمال العناية ببيان حالهم والايذان بكون تفكرهم على وجه التحقيق والتفصيل وعدم التعرض لادراج اختلاف الملوين في سلك التفكير مع ذكره فيما سلف اما للايذان بظهور اندراج فيه لما أن ذلك من الاحوال التابعة لاحوال السموات والارض كما اشير اليه واما للاشعار بمسارعتهم الى الحكم بالنتيجة بمجرد تفكرهم في بعض الآيات من غير حاجة الى بعض آخر منها في اثبات المطلوب والخلق مصدر على حاله أي يتفكرون في انشاءهم ما وابداهما بما فيهما من عجائب المصنوعات وقيل بمعنى المخلوق على أن الاضافة بمعنى في أي يتفكرون فيما خلق فيهما أعم من أن يكون بطريق الجزئية منهما أو بطريق الحلول فيهما أو على أنها بانية (ربنا ما خلقت هذا باطلا) كلمة هذا إشارة الى السموات والارض متضمنة لضرب من التعظيم كما في قوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم والتذكير لما أنهم باعتبار تعلق الخلق بهما في معنى المخلوق أو الى الخلق على تقدير كونه بمعنى المخلوق وباطلا أما صفة لمصدر مؤكد مخدوف أو حال من المفعول به أي ما خلقت هذا المخلوق البديع العظيم الشأن عبنا عاريا عن الحكمة خاليا عن المصلحة كما في عن أوضاع الغافلين عن ذلك المعرضين عن التفكير فيه بل منتظما لحكم جليلة ومصالح عظيمة من جللتها أن يكون مدار انعاش العباد ومنارا يرشدهم الى معرفة أحوال المبدأ والمعاد حسبما أفهمت عنه الرسل والكتب الالهية كما تحققت مفصلا والجملة بتمامها في حيز النصب بقول مقدر هو على تقدير كون الموصول نعتا لاولى الابواب استئناف مبين لنتيجة التفكير ومدلول الآيات ناشئ مما سبق فان النفس عند سماع تخصيص

الآيات المنصوبة في خلق العالم بأولى الاسباب ثم وصفهم بذلك كراثة تعالى والتفكر في محال تلك
الآيات تبقى مترتبة لما يظهر منهم من آثارها وأحكامها كأنه قيل فماذا يكون عند تفكرهم في ذلك وماذا
يترتب عليه من النتيجة فقيل يقولون كيت وكيت مما ينبغي عن وقوفهم على سر الخلق المؤدى الى معرفة صدق
الرسول وحقيقة الكتب الناطقة بتفاصيل الاحكام الشرعية على التفصيل الذي وقفت عليه هذا أو أتماعه حالا
من المستكن في الفعل كما أطبق عليه الجمهور فما لا يساعده جزالة النظم الكريم لما أن ما في حيز الصلة وما هو
قيد له حقه أن يكون من مبادئ الحكم الذي أبرئ على الموصول ودواعي ثبوته له كذكرهم الله عز وجل
في عامة أوقاتهم وتفكرهم في خلق السموات والارض فانهم مما يؤدى الى اجتهاد تلك الآيات والاستدلال
بها على المطلوب ولا ريب في أن قواهم ذلك ليس من مبادئ الاستدلال المذكور بل من نتائج المترتبة
عليه فاعتباره قيد المألى حيز الصلة مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل نعم هو حال من ذلك على تقدير كون
الموصول مرفوعاً أو منصوباً على المدح أو مرفوعاً على أنه خبر لمبتدأ محذوف اذ لا شبهة في أن قواهم ذلك
من مبادئ مدحهم ومحاسن مناقبهم وفي ابراز هذا القول في معرض الحال دون الخبر اشعار بمقارنته
لتفكرهم من غير تعلم وتردد في ذلك وقوله تعالى (سبحانك) أي تنزهك عما لا يليق بك من الامور التي
من عملها خلق ما لا حكمة فيه اعتراض مؤكده لضمون ما قبله ومعدله بعده من قوله تعالى (فحقنا عذاب النار)
فان معرفة سر خلق العالم وما فيه من الحكمة البالغة والغاية الحميدة والقيام بما تقتضيه من الاعمال الصالحة
وتنزيه الصانع تعالى عن العيب من دواعي الاستعاذة عما يعيق بالظن بذلك من وجهين أحدهما الوقوف
على تحقق العذاب فالنساء لترتيب الدعاء على ما ذكر والشأن في الاستعداد لقبول الدعاء فالنساء لترتيب المدح
أعني الوقاية على ذلك كأنه قيل واذا قد عرفنا سرنا وأطعنا أمرنا وزهنا لك عما لا ينبغي فحقنا عذاب النار الذي
هو جزاء الذين لا يعرفون ذلك (ربنا انك من تدخل النار فقد أخرجته) مبالغة في استعداء الوقاية وبيان
اسبابه وتصدير الجمل بالنداء للمبالغة في التضرع والجوار وتأكيد هذا لاظهار كمال اليقين بضمونهم والايذان
بشدّة الخوف واظهار النار في موضع الاضمار لتحويل أمرها وذكر الادخال في مورد العذاب لتعيين كيفية
وتبيين غاية قطاعته قال الواحدى للاخزاء معان متقاربة يقال أخزاء الله أي أبعد وقيل أهانته وقيل
أهلكه وقيل فضعه قال ابن الانبارى الخزي لغة الهلاك بقلب أو بانتطاع حجة أو بوقوع في بلاء والمعنى فقد
أخرجته خزيا لا غاية وراءه كقولهم من أدرك امرئ الصمان فقد أدرك أي المرء الذي لا مرعى بعده وفيه
من الاشعار بظفاعة العذاب الروحاني ما لا ينبغي وقوله تعالى (وما للظالمين من أنصار) تذييل لاظهار
نهاية قطاعة حالهم ببيان خلود عذابهم بفقدان من ينصرهم ويقوم بتخليصهم وغرضهم تأكيد الاستعداد
بوضع الظالمين موضع ضمير المدخلين لذتهم والاشعار بتعجيل دخولهم النار بظلمهم ووضعهم الاشياء في غير
مواضعها وجمع الانصار بالنظر الى جمع الظالمين أي ما الظالم من الظالمين نصير من الانصار والمراد به من ينصر
بالدافعة والقهر وليس في الآية دلالة على نفي الشفاعة على أن المراد بالظالمين هم الكفار (ربنا اننا سمعنا
منادي ينادى للايمان) حكاية لدعاء آخر لهم مبنى على تأملهم في الدليل السمي بعد حكاية دعائهم السابق
المبنى على التفكر في الادلة العقلية ونصير مقدمة الدعاء بانسداد اوطهار كمال الضراعة والابتهال والتأنيب
للايذان بصدور المقال عنهم بوقوع الرغبة وكمال النشاط والمراد بالنداء الدعاء وتعديتهم ما بالي لتضمنها معنى
الانها وبالإلام لاشتمالها على معنى الاختصاص والمراد بالنداء الرسول صلى الله عليه وسلم وتنوينه
للتفخيم وإشارته على الداعي للدلالة على كمال اعتنا به بشأن الدعوة وتبليغها الى الداعي والقاصي لما فيه
من الايذان برفع الصوت وينادي صفة لمناديا عند الجمهور وكفى قولك سمعت رجلا يقول كيت وكيت ولو كان
معرفة السكبان حالاً منه كما اذا قلت سمعت زيدا يقول الخ وفعل قولك سمعت رجلاً يقول كيت وكيت وهذا
اسلوب بديع بصار اليه للمبالغة في تحقيق السماع والايذان بوقوعه بلا واسطة عند صدور المجموع عن المتكلم
ولأنه توسل الى تفصيله واستحضار صورته وقد اختص النظم الكريم بمنزلة زائدة على ذلك حيث عبر
عن المجموع منه بالنداء للايمان على طريقة قولك سمعت متكلماً يتكلم بالحكمة لما أن
التفكير بهد الايمان والتقيد بعد الاطلاق أوقع عند النفس وأجدر بالقبول وقيل المنادى القرآن العظيم

قوله الصمان بفتح الصاد
المجمل وتشديد الميم قال زاده
هو اسم جبل وفي القاموس
والصمان كل أرض صلبة
ذات حجارة الى جنب رمل
بالصمان وهو موضع يعالج اه

(أن آمنوا) أي آمنوا على أن تفسيرية أو بيان آمنوا على أنها مصدرية (بربكم) بما لكم ومتمولى
 أموركم ومباغكم إلى الكمال وفي إطلاق الإيمان ثم تقييده تقييداً لشأنه (فأمننا) أي فآمننا بأمره وأجبنا
 نداه (ربنا) تكرير للتضرع وإظهار لكمال الخضوع وعرض للاعتراف برؤيته مع الإيمان به والقائه
 في قوله تعالى (فاغفر لنا) لترتيب المغفرة أو الدعاء به على الإيمان به تعالى والاقترار برؤيته فان ذلك
 من دواعي المغفرة والدعاء بها (ذنوبنا) أي كنا نؤاخذ بالإيمان يجب ما قبله (وكفرنا سيناتنا) أي
 صغائرنا فانها مكفرة عن مجتبى الكبائر (وتوفنا مع الأبرار) أي مخصوصين بصحبتهم مغتفرين لجوارهم
 معبودين من زميرهم وفيه اشعار بأنهم كانوا يحبون لقاء الله ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه
 والأبرار جمع بار أو بر كالأصحاب وأرباب (ربنا وأنتا ما وعدتنا على رسلك) حكاية لدعاء آخر لهم مسبوق
 بما قبله معطوف عليه لتأخر الصلابة عن الضلعة وتكرير النداء لما تمكزرا والمراد بالموعود الثواب
 وعلى اتما متعلقة بالوعد كما في قولك وعد الله الجنة على الطاعة أي وعدتنا على تصديق رسلك أو بمحذوف
 وقع صفة لمصدر مؤكد محذوف أي وعدتنا وعداً كأننا على السنة رسلك وقيل التقدير منزلنا على رسلك
 أو محذوف على رسلك ولا يخفى أن تقدير الأفعال الخاصة في مثل هذه المواقع تعسف وجع الرسل مع أن المنادي
 هو الرسول صلى الله عليه وسلم وحده لما أن دعوته عليه السلام لا سيما في باب التوحيد وما أجمع عليه الكل
 من الشرائع منطوية على دعوة الكل فتصديقه تصديق أهم عليهم السلام كيف لا وقد أخذ منهم الميثاق
 بالإيمان به عليه السلام لقوله تعالى وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب الآية وكذا الموعود
 على لسانه من الثواب وموعود على السنة الكل وإشاراً بالجمع لإظهار كمال الثقة بالنجاز الموعود ببناء على كثرة
 الشهود (ولا تحزن يوم القيامة) قصدوا بذلك تكبر وعده تعالى بقوله يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا
 معه مطهرين أنهم عن آمن مع رجاؤهم للانتظام في سلوكهم يومئذ وقوله تعالى (أنك لا تخلف الميعاد) تعليل
 لتحقيق ما تقدمه في تلك الدعاء وهذه الدعوات وما في تضاعيفها من كمال الضراعة والابتهال ليست لخوفهم
 من اخلاف الميعاد بل لخوفهم من أن لا يـمـكـنـوا من جملة الموعودين بتغير الحال وسوء الخاتمة والمآل
 فرجعها إلى الدعاء بالتثبيت أو للمبالغة في التعبد والخشوع والميعاد الوعد وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه
 البعث بعد الموت وفي الآيات ثار عن جعفر الصادق من حزية أمر فقال ربنا خمس مرات أنجى الله بما يخاف
 وأعطاه ما أراد وقرأ هذه الآية (فاستجاب لهم ربهم) الاستجابة بمعنى الإجابة وقال تاج القراء الإجابة عامة
 والاستجابة خاصة بإعطاء المسؤل وتعدى باللام وبفسها كما في قوله (فلم يستجبه عند النجيب) وهو عطف
 على الاستئناف المقدر فيما سلف مترتب على ما في حيزه من الادعية كما أن قوله عز وجل ثم قيل للذين ظلموا الخ
 عطف على قيل المقدر قبل لأن أي قيل لهم لأن آمنتم به ثم قيل الآية وكأن قوله تعالى في سورة الاعراف
 ونطبع على قلوبهم معطوف على ما دل عليه معنى أولم يهد لهم الخ كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع الخ
 ولا ضير في اختلافهما صيغة لما أن صيغة المستقبل هناك للدلالة على الاستمرار المناسب لمقام الدعاء وصيغة
 الماضي ههنا للإيذان بتحقيق الاستجابة وتقررها كما لا ضير في الاختلاف بين قوله تعالى اذ تستغيثون
 ربكم وبين ما عطف عليه من قوله تعالى فاستجاب لكم كما سيأتي ويجوز أن يكون معطوفاً على مضمير ينساق
 إليه الذهن أي دعواهم هذه الادعية فاستجاب الخ وأما على تقدير كون المقدر حالاً فهو عطف على يتفكرون
 باعتبار مقارنته لما وقع حالاً من فاعله أعنى قوله تعالى ربنا ربنا الخ فان الاستجابة مترتبة على دعواتهم
 لا على مجرد تفكيرهم وحيث كانت هي من أوصافهم الجميلة المترتبة على أعمالهم بالآخرة استحققت الانتظام
 في سلك محاسنهم المعدودة في أثناء مدحهم وأما على تقدير كون الموصول نعتاً لاولى الالباب فلا ماساغ لهذا
 العطف أصلاً لما عرفت من أن حق ما في حيز الصلة أن يكون من مبادئ جريان الحمد لكم على الموصول
 وقد عرفت أن دعواتهم السابقة ليست كذلك فأين الاستجابة المتأخرة عنها وفي التعرض لعنوان الربوبية
 المنبثقة عن التبليغ إلى الكمال مع الإضافة إلى ضميرهم من تشریفهم وإظهار اللطف بهم ما لا يخفى (أف
 لا أضيع عمل عامل منكم) أي بآتي وهكذا قرأ أبي رضي الله عنه والباء للسببية كأنه قيل فاستجاب لهم ربهم
 بسبب أنه لا يضيع عمل عامل منهم أي سنته السنية مستمرة على ذلك والاتفات إلى التكلم والخطاب لإظهار

كمال الاعتناء بشأن الاستجابة وتشریف الداعين بشرف الخطاب والمراد تأكيدها ببيان سببها والاشعار بأن
 مدارها أعمالهم التي قدموها على الدعاء لا بمجرد الدعاء ونعميم الوعد لسائر العالمين وان لم يبلغوا درجة أولى
 الابواب لتأكيد استجابة الدعوات المذكورة والتعبير عن ترك الانابة بالاضاعة مع أنه ليس باضاعة حقيقة
 اذا الاعمال غير موجهة للثواب حتى يلزم من تحلقه عنها ضياعها البيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره
 بصورة ما يستحيل صدوره عنه من القبائح وابرار الانابة في معرض الامور الواجبة عليه وقرئ بكسر
 الهمزة على اوادة القول أي قائل الانى الخ فلا تنفاد حينئذ وقرئ لأضيق بالتشديد ومن متعلقة بمحذوف
 وقع صفة لعامل أي عامل كائن منكم وقوله تعالى (من ذكر أو انسى) بيان للعامل وتأكيده لعمومه
 وقوله تعالى (بعضكم من بعض) جملة معترضة مبينة لسبب انتظام النساء في سلك الرجال في الوعد فان كون
 كل منهم من الآخر لثقتهم ما من أصل واحد أو لفرط الاتصال بينهما ولا اتفاقهما في الدين والعمل
 مما يستدعي الشراكة والاتحاد في ذلك روى أن أم سلمة رضي الله عنها قالت لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم اني أسمع الله تعالى يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فترت وقوله تعالى (فالذين هاجروا) ضرب
 تفصيل لما أجمل في العمل وتعداد لبعض أحسن أفراد على وجه المدح والتعظيم أي فالذين هاجروا الشرك
 أو الأوطان والعشائر للدين وقوله تعالى (واخرجوا من ديارهم) على الأول عبارة عن نفس الهجرة وعلى
 الثاني عن كيفية هجرتهم وكونها بالقسر والاضطرار (واودوا في سبيلي) أي بسبب إيمانهم بالله ومن أجله
 وهو متناول لكل أذية نالتهم من قبل المشركين (وقاتلوا) أي الكفار في سبيل الله تعالى (وقتلوا)
 امنتم دوا في القتال وقرئ بالعكس لما أن الواو لا تستدعي الترتيب أو لأن المراد قتل بعضهم وقتل آخرين
 اذ ليس المعنى على اتصاف كل فرد من أفراد الموصول المذكور بكل واحد مما ذكر في حيز الصلة بل على
 اتصاف الكل بالكل في الجملة سواء كان ذلك بانصاف كل فرد من الموصول بواحد من الاوصاف المذكورة
 أو باثنين منها أو بأكثر اما بطريق التوزيع أو بطريق حذف بعض الموصولات من البين كما هو رأي الكوفيين
 فكيف لا ولو ادير الحكم على اتصاف كل فرد بالكل لكان قد أضيق عمل من انصف بالبعض وقرئ
 وقتلوا بالتشديد (لا يفرق عنهم شيئاً) جواب قسم محذوف أي والله لا كفرق والجملة السجدة
 خبر للمبتدأ الذي هو الموصول وهذا تصريح بعدم مسألة الداعون بخصوصه بعدما وعد ذلك عموماً
 وقوله تعالى (ولا دخلتهم جنات تجري من تحتها الأنهار) إشارة الى ما عبر عنه الداعون فيما قبل بقواهم
 وأتناما وعد تعالى رسلك وتفسيره (نواباً) مصدر مؤكداً ما قبله فان تكفير السيئات وادخال الجنة
 في معنى الانابة وقوله تعالى (من عند الله) متعلق بمحذوف هو صفة له مبنية لشرفه أي لا مبنية لانابة
 ككاشنة أو شويها كما أن من عنده تعالى بالغنى الى المرتبة القصية من الشرف وقوله تعالى (والله عنده
 حسن الثواب) اعتراض تذييلي مقترن بمضمون ما قبله والاسم الجليل مبتدأ خبره عنده وحسن الثواب
 مرتفع بالظرف على التباعلية لا اعتماداً على المبتدأ وهو مبتدأ ثانٍ والظرف خبره والجملة خبر للمبتدأ الأول
 والغنوية عبارة عن الاختصاص به تعالى مثل كونه بقدرته تعالى وفضله بحيث لا يقدر عليه غيره بحال شيء
 يكون محضرة أحد لا يد عليه لغيره فالاختصاص مستفاد من التثنية سواء جعل عنده خبراً مقدماً لحسن
 الثواب أو لا وفي تصدير الوعد الكريم بعدم اضاعة العمل ثم تعقيبته بمثل هذا الاحسان الذي لا يقادر
 قدره من لطف المسلك المنبئ عن عظم شأن المحسن ما لا يخفى (لا يفرق ثقل الذين كفروا في البلاد) بيان لغير
 ما أوقى الكفرة من حظوظ الدنيا وكشف عن حقارة شأنها وسوء مغبتها اثر بيان حسن ما أوقى المؤمنين
 من الثواب والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على أن المراد تنيئة على ما هو عليه كقوله تعالى فلا تطع
 المكذبين أو على أن المراد نهى المؤمنين كما وجه الخطاب الى مداره القوم ورؤسائهم والمراد أفناؤهم أو لكل
 أحد من يصلح للخطاب من المؤمنين وانتهى للخطاب وانما جعل للتثنية مبالغة أي لا تنظر الى ما عليه الكفرة
 من السعة وفور الخط ولا تقترب بظواهر ما ترى منهم من التبعات في المكاسب والمتاجر والمزارع روى أن بعض
 المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان أعداء الله تعالى فيما ترى من الخير وقد هلكوا
 من الجوع والجهد فترت وقرئ لا يفرقك بالنون الخفيفة (متاع قليل) خبر لمبتدأ محذوف أي هو

قوله مداره جميع مدركه كثر
 وهو السيد الشريف وقوله
 أفناؤهم جميع فنفتح الفاء
 وسكون الذون وهو الجماعة
 كذا يؤخذ من القاموس اهـ

احتاج قليل لا قدر له في جنب ما ذكر من ثواب الله تعالى قال عليه السلام ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل
 أحدكم أصبعه في الميه فليتنظربم يرجع فاذا لم يجدي وجوده لواجديه ولا يضر فقد انه انفاقه (ثم ما واهم)
 أي مصيرهم الذي يأوون اليه لا يبرحونه (جهنم) التي لا يوصف عذابها وقوله تعالى (ونفس المهتدة)
 ذمها وايدان بأن مصيرهم اليها مما جنته أنفسهم وكسبتهم أيديهم والمخصوص بالذم محذوف أي نفس مامهدوا
 لانفسهم جهنم (المؤمن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدون فيها) بيان لكلال
 حسن حال المؤمنين في بيان وتكريره اثر تقرر مع زيادة خلودهم في الجنات ليتم بذلك سرورهم ويزداد
 تبججهم ويتكامل به سواد حال الكفرة وابراد التقوى في حيز المصلحة للاشعار بكون الخصال المذكورة من باب
 التقوى والمراد به الاتقاس من الشر والمعاصي فالوصول مبتدأ والظرف خبر وهو جنات مرتفع به على
 المقام عليه لا اعتماد على المبتدأ أو الظرف خبر بجنات والجملة خبر للوصول وخالدون فيها أي في الجنات حال
 مقترنة من الضمير أو من جنات لتخصصها بالوصف والعامل ما في الظرف من معنى الاستقرار (نزلا من عند
 الله) وقرئ يسكون الزاى وهو ما يعتل للنازل من طعام وشراب وغيرهما قال أبو الشعر الغنوي
 وكذا اذا الجبار بالجدش ضافنا • جعلنا القنا والمرهقات له نزلا

واتصاه على الحالية من جنات لتخصصها بالوصف والعامل فيه ما في الظرف من معنى الاستقرار وقيل هو
 مصدر مؤكد كما تم قيل رزقا أو عطاء من عند الله (وما عند الله خير) مبتدأ وخبر وقوله تعالى (للأبرار)
 من علق بمحذوف هو صفة تلزم أي ما عنده تعالى من الامور المذكورة الدائمة خير كائن للأبرار أي محبة قلب فيه
 الفجار من المتاع القليل الزائل والتعير عنهم بالأبرار للاشعار بأن الصفات المعسودة من أعمال البر كما أنها من
 قبيل التقوى والجملة تذييل لما قبلها (وان من أهل الكتاب من يؤمن بالله) جملة مستأنفة سبقت لبيان أن
 أهل الكتاب ليس كلهم من حكيت هذاتهم من نبي الميثاق وتحريف الكتاب وغير ذلك بل منهم من له مناقب جليلة
 خير لهم عند الله بن سلام وأصحابه وقيل هم أربعون من أهل نجران واثنا وثلاثون من الحبشة وثمانية من
 الروم كانوا نصارى فأسلوا وقيل المراد به أصحاب النجاشي فإنه لما مات نعا جبريل إلى النبي عليه السلام فقال
 عليه السلام اخرجوا فاصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم فخرج إلى البقيع فنظر إلى أرض الحبشة فأبصر سرير
 النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا إلى هذا يصلى على عجل نصراني لم يره قط وليس على دينه
 فنزلت وانما دخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الطرفين بينهما كما في قوله تعالى وان منكم من لم يبطن
 (وما انزل اليكم) من القرآن (وما انزل اليهم) من الكتابين وتأخير ايمانهم بهما عن ايمانهم بالقرآن في الذكر
 مع أن الامر بالعكس في الوجود لما أنه عيار ومهين عليهما فان ايمانهم بهما انما يعتبر بتبعية ايمانهم به اذ لا عبادة
 بأحكامهما المتسوخة والم ينسج منها انما يعتبر من حيث ثبوته بالقرآن ولتعلق ما بعده بهما والمراد بايمانهم بهما
 ايمانهم بهما من غير تحريف ولا كتم كما هو دين المحرفين وأتباعهم من العامة (خاشعين لله) حال من فاعل يؤمن
 والجمع باعتبار المعنى (لا يشكرون بآيات الله غنا قليلا) تصريح بمخافتهم للمعترفين والجملة حال كما قبله ونظمها
 في سلك محاسنهم ليس من حيث عدم الاشتراء فقط بل لتضمن ذلك لظهور ما في الكتابين من شواهد نبوته
 عليه السلام (أولئك) اشارة اليهم من حيث اتصافهم بمعاذ من صفاتهم الحيدة وما فيه من معنى البعد للدلالة
 على علو مرتبتهم وبعدهم عن الشرف والفضيلة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (لهم) وقوله (أجرهم)
 أي المختص بهم الموعود لهم بقوله تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين وقوله تعالى يؤتكم كفلين من رحمته
 مرتفع بالظرف على الفاعلية أو على الابتداء والظرف خبره والجملة خبر لأولئك وقوله تعالى (عند ربهم)
 نصب على الحالية من أجرهم والمراد به التشریف كالصفة (ان الله سريع الحساب) لنفوذ عمله بجميع
 الاشياء فهو عالم بما يستحقه كل عامل من الاجر من غير حاجة الى تأمل والمراد ببيان مرة وصول الامر
 الموعود اليهم (يا أيها الذين آمنوا) اثر ما بين في تضاعيف السورة الكريمة فنون الحكم والاحكام ختمت
 بما يوجب المحافظة عليها فقبل (اصبروا) أي على مشاق الطاعات وغير ذلك من المكاه والشدائد
 (وصابروا) أي غالبوا أعداء الله تعالى بالصبر في مواطن الحروب وأعدى عدوكم بالصبر على مخالفة الهوى
 وتخصيص المصابرة بالامر بعد الامر بطلق الصبر لكونه أشد منه وأشق (ورابطوا) أي اتحموا

في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين للغزو مستعدين له قال تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يوم ماويله في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينقلى عن صلاته الحاجة (واتقوا الله) في مخالفة أمره على الإطلاق فيندوج فيه ماذا كر في تضاعيف المورة الكريمة اندراجاً أولياً (لعلكم تفلحون) كي تتقاعوا في زمره المفلحين الفاضلين بكل مطلوب الناجين من كل الكروب * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران أعطى بكل آية منها أماناً على جسدهم * وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس والله أعلم

(سورة النساء مدنية وح مائة وخمس وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يأيها الناس) خطاب بعم حكمه جميع المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلوكهم من الموجودين حينئذ والحادثين بعد ذلك إلى يوم القيامة عند انتظامهم فيه لكن لا بطريق الحقيقة فإن خطاب المشافهة لا يتناول القاصرين عن درجة التكليف إلا عند الحساب بل لا بطريق تغليب الفريق الأول على الآخرين وأما بطريق نعمهم حكمه لها دليل خارجي فإن الاجماع منعقد على أن آخر الأئمة مكاف بما كلف به أولها كما نبى عنه قوله عليه السلام الحلال ما جرى على لساني إلى يوم القيامة والحرام ما جرى على لساني إلى يوم القيامة وقد فصل في موضعه وأما الامم المدرجة قبل النزول فلا حظ لهم في الخطاب لا خصائص الاواخر والنواهي بمن يتصور منه الامتثال وأما اندراجهم في خطاب ما عداها مما دخل في تأكد التكليف وتقرية الايجاب فستعرف حاله ولفظ الناس ينتظم الذكور والاناث حقيقة وأما صيغة جمع المذكور في قوله تعالى (اتقوا ربكم) فواحدة على طريقة التغليب لعدم تناوئها حقيقة للامات عند غير الحساب وأما ادخالهم في الاخر بالثقوى بما ذكر من الدليل الخارجي وان كان فيه مراعاة جانب الصيغة لكنه يستدعي تخصيص لفظ الناس ببعض أفراده والمأمور به أما مطلق الثقوى التي هي التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك وأما الثقوى فيما يعلق بحق أو آيا الجنس أي اتقوا في مخالفة أوامر ونواهي على الإطلاق أو في مخالفة تكاليف الله الواردة ههنا وأما ما كان فالتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة إلى ضمير المخاطبين لتأييد الامر وتأكيده ايجاب الامتثال به على طريقة الترغيب والترهيب وكذا وصف الرب بقوله تعالى (الذي خلقكم من نفس واحدة) فإن خلقه تعالى إياهم على هذا اللفظ البديع لآبائه عن قدرة شاملة لجميع المقدرات التي من جللتها عقابهم على معاصيهم وعن نعمة كاملة لا يقادروا قدرها من أقوى الدواعي إلى الانتفاء من موجبات نعمته وأنتم الزواجر من كفران نعمته وكذا جعله تعالى إياهم صنواً مفرقة من آرومة واحدة هي نفس آدم عليه السلام من موجبات الاحتراف عن الاخلال بمراعاة ما يثبهم من حقوق الاخوة وتعميم الخطاب في ربكم وخلقكم للامم المسالفة أيضاً مع اختصاصه فيما قبل بالمأمورين بتأه على أن تذكروا ربكم ربوبيته تعالى وخلقكم للكل من مؤكداً الاخر بالثقوى وموجبات الامتثال به تفكيكاً للنظم الكريم مع الاستغناء عنه لأن خلقه تعالى للمأمورين من نفس آدم عليه السلام حيث كان بواسطة ما يثبهم وبينه عليه السلام من الآيات والاشهاد كانت التعرض لخلقهم متضمناً للتعرض لخلق الوسايط جميعاً وكذا التعرض لربوبيته تعالى لهم متضمن للتعرض لربوبيته تعالى لاصولهم فاطبة لاسيما وقد نطق بذلك قوله عز وجل (وخلق منها زوجها) فانه مع ما عطف عليه صريح في ذلك وهو معطوف اما على مقدر نبى عنه سوق الكلام لأن تفريع الفروع من أصل واحد يستدعي إنشاء ذلك الاصل لا محالة كانه قبل خلقكم من نفس واحدة خلقها أولاً وخلق منها زوجها الخ وهو استئناف مسوق لتقرير وحدة المبدأ وبيان كيفية خلقهم منه وتفصيل ما أجل أولاً وصفة للنفس مفيدة لذلك وأما على خلقكم داخل مع في حيز الصلة مقرر ومبين لما ذكر واعادة الفعل مع جواز عطف مفعوله على مفعول الفعل الاول كما في قوله تعالى يأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذي من قبلكم الخ لاظهار ما بين الخلقين من التفاوت فإن الاول بطريق التفريع من الاصل والثاني بطريق الانشاء من المائدة فانه تعالى خلق حواء من ضاع آدم عليه السلام روى أنه عز وجل لما خلقه عليه السلام وأسكنه الجنة التي عليه الذوم فبينما هو بين المناش

والبقطان خلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى فلما انتبه وجدها عنده وتأخذه كخلقها عن ذكر خلقهم لما
أن تذكبر خلقهم أدخل في تحقيق ما هو المقصود من حلهم على الامتثال بالأمر بالتقوى من تذكبر خلقها
وتقديم الجار والمجرور للاعتناء ببيان مبدئية عليه السلام إياها مع ما فيه من التشويق إلى المؤخر كما قرأ مرارا
وأرادها بعنوان الزوجية تمهيدا لما بعده من التناسل (وبت منهما) أي ذكر من تلك النفس وزوجها المخلوقة منها
بطريق التوالد والتناسل (رجالا كثيرا) نعت لرجالها مؤكداً أفاده التنكير من الكثرة والافراد باعتبار معنى
الجمع أو العدد وقبل هو نعت لمصدر مؤكد للفعل أي بنا كثيرا (ونساء) أي كثيرة وترك التصريح بها للاكتفاء
بالوصف المذكور وإشارتهما على ذكرهما وإثبات كيد الكثرة والمبالغة فيها بترشيح كل فرد من الافراد
المبشورة لمبدئية غيره وقرئ وخلق وبات على حذف المبتدأ أي وهو خلق وبات (وانقوا الله الذي تساءلون به)
تكرير للأمر وتذكير لبعض آخر من موجبات الامتثال به فان سؤال بعضهم بعضا بالله تعالى بأن يقولوا ألسنا لك
بالله وأنشدك الله على سبيل الاستعفاف يقتضي الاتقاء من مخالفة أوامر ونواهي وتعليق الاتقاء بالاسم
الخليل لمزيد التأكيد والمبالغة في الخلق على الامتثال بتربية المهابة وإدخال الروعة ولو وقع التساؤل به لايغيره
من أسماءه تعالى وصفاته وتساءلون أصله تساء تساء لون فطرحنا إحدى التاءين تخفضا وقرئ بادغام تاء النقلة على
في السنين لتقاربهما في الهمس وقرئ تساءلون من التثنية أي تساءلون به غيركم وقد فسر به القراءة الاولى
والثانية وحمل صيغة التفاعل على اعتبار الجمع كافي ولأن رأيت الهلال وتراءى بناء وبه فسر عمت تساءلون على وجه
وقرئ تساءلون ينقل حركة الهمزة إلى السين (والارحام) بالنصب عطفًا على محل الجار والمجرور كقولك مررت
بزيد وعمرا وينصرف قراءة تساءلون به وبالارحام فانهم كانوا يقرنونها في السؤال والمناسبة بالله عز وجل
ويقولون ألسنا لك بالله وبالرحم أو عطفًا على الاسم الجليل أي اتقوا الله والارحام وصلوها ولا تقطعوها فان
قطعتها بما يجب أن يتقوا وهو قول مجاهد وقتادة والسدي والفضال والقراء والرجاح وقد جوز الواحدية نصبه
على الاغراء أي والزهد والارحام وصلوها وقرئ بالجر عطفًا على النعمير المجرور وبالرفع على أنه مبتدأ محذوف
الشعر تقديره والارحام كذلك أي مما يتقوا ويتساءل به ولقد نيه سبحانه وتعالى حيث قرن بها باسمه الجليل على أن
صلتها بكان منه كافي قوله تعالى أن لا تعبدوا الاياه وبالوالدين احسانا وعنه عليه السلام الرحم معلقة بالعرش
تقول من وخلق وصله الله ومن قطعني قطعه الله (ان الله كلن عليكم رقبيا) أي مراقبا وهي صيغة مبالغة
من رقب يرقب رقبًا ووقوا ووقبا نا إذا أخذوا النظر لا امر يريد تحقيقه أي حافظنا مطلقا على جميع ما يصدر
عنكم من الافعال والاقوال وعلى ما في ضمائركم من النيات مراد الجوازات لكم بذلك وهو تعليل للأمر
ووجوب الامتثال به وإظهار الاسم الجليل لتأكيد وتقديم الجار والمجرور لرعاية القواصل (وانقوا الله الذي تساءلون به)
(أموالهم) شروع في تفصيل موارد الاتقاء ومطابقه بتكليف ما يقابلها أمر أو نهيا بحقيب الامر بنفسه مرة
بعد أخرى وتقديم ما يتعلق باليتامى لإظهار كمال العناية بأمرهم وللاستتمام بالارحام إذا الخطا بطلاولياء
والاوصياء وقلنا تفوض الوصاية إلى الاجانب واليتيم من مات أبوه من اليتيم وهو الانفراد ومنه الدرّة اليتيمة
ورجعه على يتامى اتمالانه لما جرى مجرى الاسماء جمع على يتامى ثم قلب فقيل يتامى أولانه لما كلن من وادى
الافات جمع على تمي ثم جمع تمي على يتامى والاشتقاق يقتضي صحة اطلاقه على التكثار أيضا واختصاصه
بالصغار مبنى على العرف وأما قوله عليه السلام لا يتم بعد العلم فتعليم الشريعة لا تعيين لمعنى اللفظ أي لا يجري
على اليتيم بعد محكم الايتام والمراد باليتامى أموالهم قطع الخطابين أطعماعهم الفارغة عنها وكف أكتفهم
الخطافة عن اختزالها لورثتها على حالها غير متعرض لها يسوء حتى تأتيمهم وقضيل اليهم سائلة كما ينبغي عنده
ما بعده من النهي عن التبدل والاكل لا الاعطاء بالفعل فانه مشروط بالبلوغ وإسناد الرشد على ما ينطق به
قوله تعالى حتى إذا بلغوا الاية وانما عبر عما ذكر بالايتام مجازا لا ليدان بأنه ينبغي أن يكون مرادهم بذلك
أيصالها اليهم لا مجرد ترك التعرض لها فالمراد بهم اما الصغار على ما هو المتبادر والامر خاص بمن يتولى أمرهم
من الاولياء والاوصياء وشمول حكمه لاولياء من كان بالقضاء عند نزول الآية بطريق الدلالة دون العبارة
وأما من جرى عليه اليتيم في الجملة مجازا أعم من أن يكون كذلك عند النزول أو بالغا فالامر شامل لاولياء
الفرعيين صيغة موجبة عليهم ما ذكر من حفظ أموالهم والحفظ عن اضرارها مطلقا وأما وجوب النفع

الى الكارفة استفاد مما سياتى من الامر به وقيل المراد بهم الصغار وبالابتاء الاعطاء في الزمان المستقبل
وقيل أطلق اسمهم على الكار بطريق الاتساع لقرب عهدهم باليتيم حشا للاولياء على المسارعة الى دفع اموالهم
اليهم اقول ما يلقه الخبل أن يزول عنهم اسمهم المعهود قال ابتاء بمعنى الاعطاء بالفعل وبأياها ما سياتى من قوله تعالى
وابشروا باليتامى الخ فان ما فيه من الامر بالدفع وارد على وجه التكليف الابتدائي لا على وجه تعيين وقته
أو بيان شرطه فقط كما هو مقتضى القولين وأما تعميم الاسم للصغار والكبار فجواز بطريق التغليب مع تعميم
الابتاء للابتاء حالا وللابتاء ما لا وتعميم الخطاب لا وليا كالأقربين على أن من بلغ منهم غرضه ما مور
بالدفع اليه بالفعل وأن من لم يبلغ بعد فغرضه ما مور بالدفع اليه عند بلوغه رشيدا فمع ما سبق تكلف لا يخفى
فالانسيب ما تقدم من حل ابتاء اموالهم اليهم على ما يؤدى اليه من ترك التعرض لهابس ومكابح به التعبير
عن الاعطاء بالفعل بالدفع سواء أريد باليتامى الصغار أو ما يسمي الصغار والكبار حسبا ذكر آنفا وأما ما روى
من أن رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له فلما بلغ طلب منه ماله فنهه فترك فلما سمعها قال أطفنا
اقله وأطعننا الرسول فعوذ بالله من الحبوب الكبير فقبر فادح في ذلك لما أن العزة لعموم اللفظ لا لخصوص
السبب (ولا تبدلوا الخبيث بالطيب) نهى عن أخذ مال اليتيم على الوجه المخصوص بعد النهى الشئى عن
أخذه على الإطلاق وتبدل الشئ بالشئ واستبدله به أخذ الأول بدل الثاني بعد أن كان حاصله أو في شرف
الحصول يستعملان أبدا بافضائهم ما الى الحاصل بأنفسهما الى الزائل بالبقاء كما في قوله تعالى ومن تبدل
الفساد بالايمن الخ وقوله تعالى أنه تبدل الذي هو أدنى بالذى هو خير وأما التبدل فيستعمل تارة
كذلك كما في قوله تعالى وتبدلناهم بجنهين الخ وأخرى بالعكس كما في قولك تبدلت الحلقة بالفساد إذا
أزيتها وجعلتها خاتما نص عليه الأزهرى وتارة أخرى بافضائه الى مفعوليه بنفسه كما في قوله تعالى تبدل الله
سيتانهم حسنات والمراد بالخبيث والطيب أن كان هو الحرام والحلال فالنهى عنه استبدال مال اليتيم بمال
أنفسهم مطلقا كما قاله الفراء والزجاج وقيل معناه لا تذروا أموالكم الحلال وتأكلوا الحرام من أموالهم
فالنهى عنه أكل ماله مكان ما لهم المحقق أو التقدير وقيل هو اختزال ماله مكان حفظه وأيا ما كان فانما عبر عنهم
بهم ما تغير اعماء أخذوا وترغيبا فيما أعطوه وتصويرا لمعاملتهم بصورة ما لا يصدر عن العاقل وإن كان هو الردى
والجيد فورد النهى ما كانوا عليه من أخذ الجيد من مال اليتيم واعطاء الردى من مال أنفسهم وبه قال سعيد
ابن المسيب والنخعي والأزهري والسدي وتخصيص هذه المعاملة بالنهى لخروجها عن العادة لا لباحة
ماعدادها وأما التعبير عنها بتبدل الخبيث بالطيب مع أنها تبدل به أو تبدل الطيب بالخبيث فلا يذان بأن الاولياء
حقهم أن يكونوا في المعاوضات عاملين لليتيم لا لأنفسهم مراعى لجانبه قاصدين لطلب المحبوب اليه مشتري كان
أو تمنا للسلب المملوك عنه (ولأنما كلوا أموالهم الى أموالكم) نهى عن منكر آخر كانوا يتعاطونه أى
لأنما كلوها مضمومة الى أموالكم ولا تذروا بينهم وهذا حلال وذات الحرام وقد خص من ذلك مقدار أجر المثل
عند كون الولي فقيرا (أنه) أى الاكل المضموم من النهى (كان حوبا) أى ذنبا عظيما وقرئ بفتح الحاء وهو
مصدر حوبا وقرئ حابا وهو أيضا مصدر كقال قولا وقال (كبرا) مبالغة في بيان عظم ذنب الاكل المذكور
كانه قيل من يكاد الذنوب العظيمة لا من أفانها (وان خفت أن لا تقسطوا في اليتامى) الاقسط العدل وقرئ
بفتح التاء فقل هو من قسط أى جار ولا مزيدة كما في قوله تعالى لتلا يعلم وقيل هو بمعنى أقسط فان الزجاج حكى
أن قسط يستعمل استعمال أقسط والمراد بالخوف العلم كما في قوله تعالى نحن خاف من موص جثفا عبر عنه
بذلك انما يكون المعلوم مخوفا فاحذروا الامعنا الحقيقي لأن الذى يعلق به الجواب هو العلم بوقوع الجور والخوف
للاخوف منه واللام يكن الامر شاملا لمن يصير على الجور ولا يخافه وهذا شروع في النهى عن منكر آخر كانوا
يشارونه متعلق بأنفس اليتامى أصالة وبأموالهم تبعاً لعقوب النهى عما يعلق بأموالهم خاصة وتأخير عنه لقله
وقوع النهى عنه بالنسبة الى الاول وزوله منه بمنزلة المركب من المفرد وذلك أنهم كانوا يتزوجون من يحمل لهم
من اليتامى الا فى بلوغهم لكن لا لرغبة فيهن بل فى مالهن ويسبون فى العصبية والمعاشرة ويتبرصون بهن أن
يتنقروهن وهذا قول الحسن وقيل هى اليتيمة تكون فى حجر ولها فبرغب فى مالها وبجمالها ويريد أن ينكحها
بادنى من سنة نسائها فنهوا أن ينكحوهن الآن يقسطوا لهن فى حال المصداق وأمروا أن ينكحوها

ما سواهن من النساء وهذا قول الزهري رواية عن عروة عن عائشة رضي الله عنها وأما اعتبار اجتماع عدد
 كثير منهن كما أطبق عليه أكثر أهل التفسير حيث قالوا كان الرجل يجسد البتمة لها مال ويجال ويكون
 وليها في تزويجها ضناهم عن غيره فربما اجتمعت عنده عشرين منهن الخ فلا يساعده الأمر بنكاح غيرهن فان
 المخذور حينئذ يدفع بتفليل عدد هن أي وإن خفتم أن لا تعدلوا في حق البتة إذا تزوجتم بهن بأداة العشرة
 أو بنقص الصداق (فانكحوا ما طاب لكم) ما موصولة أو موصوفة ما بعد ما صلتم ما أوصفتها أو ثرت على من
 ذهبا إلى الوصف وايدنا بأنه المقصود بالذات والغالب في الاعتبار لا البناء على أن الإناث من العقلاء يجرين
 مجرى غير العقلاء لاختلافه بمقام الترغيب فيهن وقرأ ابن أبي عملة من طاب ومن في قوله تعالى (من النساء)
 بيانية وقيل تبعضية والمراد بهن غير البتة بشهادة قرينة المقام أي فانكحوا من استطابتهن فوسكن من
 الاجنبيات وفي إشارتهن بنكاحهن على النهي عن نكاح البتة مع أنه المقصود بالذات من يدلف في
 استئثارهم عن ذلك فان النفس مجبولة على الحرص على ما منعت منه كما أن وصف النساء بالطيب على الوجه
 الذي أشار إليه فيه مبالغة في الاستمالة اليهن والترغيب فيهن وكل ذلك للاعتناء بصرفهم عن نكاح البتة وهو
 السري في توجيه النهي الضمني إلى النكاح المترقب مع أن سبب النزول هو النكاح المحقق لما فيه من المسارعة إلى
 دفع الشر قبل وقوعه قرب واقع لا يرفع والمبالغة في بيان حال النكاح المحقق فان محظورية المترقب حيث كانت
 للبور المترقب فيه محظورية المحقق مع تحقق الجور فيه أولى وقيل المراد بالطيب الحل أي ما حل لكم شرعا
 لأن ما استطابوه شامل للمحرمات ولا يخص له من عداهن وفيه فرار من محذور وقوعه فيما هو أقطع منه لأن ما
 حل لهم يحمل وقد تقرر أن النص إذا تردد بين الاجمال والتخصيص يحمل على الثاني لأن العام المخصوص بحجة
 في غير محل التخصيص والمحمل ليس بحجة قبل ورود البيان أصلا ولئن جعل قوله تعالى حرمت عليكم الخ ذالاعلى
 التفصيل بناء على ادعاء تقدمه في التنزيل فيجعل ذالاعلى التخصيص (مثنى وثلاث ورباع) معدولة عن أعداد
 مكررة غير منصرفة لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها وقيل للعدل والصفة
 فانها بنيت صفات وان لم تكن أصولها كذلك وقرئ وثلاث ورباع على القصر من ثلاث ورباع ومحمل النص
 على أنها حال من فاعل طاب مؤكدة لما أفاده وصف الطيب من الترغيب فيهن والاستمالة اليهن بتوسيع
 دائرة الأذن أي فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين وثلاثا وأربعا ربعا
 حسبما تريدون على معنى أن لكل واحد منهم أن يختار أي عدد شاء من الأعداد المذكورة لأن بعضها لبعض
 منهم وبعضها لبعض آخر كما في قولك اقتسموا هذه البكرة درهمين درهمين وثلاثة وثلاثة وأربعة وأربعة ولو
 أفردت لفهم منه تجوز الجمع بين تلك الأعداد دون التوزيع ولو ذكرت بكلمة أو لفات تجوز الاختلاف
 في العدد هذا وقد قيل في تفسير الآية الكريمة لما نزلت الآية في البتة وما في كل أموالهم من الحبوب الكبير
 أخذ الأولياء يتزوجون من ولايتهم خوفا من حقوق الحبوب بترك الاقساط مع أنهم كانوا لا يتزوجون من ترك
 العدل في حقوق النساء حيث كان تحت الرجل منهم عشرين فقبل لهم أن خفتم ترك العدل في حقوق
 البتة فحصر جتم منها فخافوا أيضا ترك العدل بين النساء فقلوا عدد المتكسرات لأن من تخرج من ذنب
 أو تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متخرج ولا نائب عنه وقيل كانوا لا يتزوجون من الزنى وهم يتزوجون
 من ولاية البتة فقبل أن خفتم الجور في حق البتة فخافوا الزنى فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تخوموا
 حول المحرمات ولا يخفى أنه لا يساعدهما جزالة النظم الكريم لا يقتضيهما على تقدم نزول الآية الأولى وشيوعها
 بين الناس مع ظهور توقف حكمها على ما بعد ما من قوله تعالى ولا تقولوا السفهاء أموالكم إلى قوله تعالى وكفى
 بالله حسيبا (فان خفتم أن لا تعدلوا) أي فيما بينهن ولو في أقل الأعداد المذكورة كما خفتموه في حق البتة
 أو كما لم تعدلوا في حقهن أو كما لم تعدلوا فيما فوق هذه الأعداد (فواحدة) أي فالزموا أو فاختاروا واحدة وذروا
 الجمع بالكلية وقرئ بالرفع أي فالمنع واحدة ونحسبكم واحدة (أو ما ملكت أيمانكم) أي من السراير
 بالغة ما بلغت من مراتب العدد وهو عطف على واحدة على أن اللزوم والاختيار فيه بطريق التسري لا بطريق
 النكاح كما في عطف عليه لاستلزامه ورود ملك النكاح على ملك اليمين بموجب اتحاد الخاطبين في الموضعين
 بخلاف غاسيا في من قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحسنات المؤمنات فما ملكت أيمانكم

فإن المأمور بالكساح هنا لا غير الخططين بل كل العين وانما سوى في السهولة واليسر بين الحزرة الواحدة وبين
 السراى من غير حصر في عدد أقله تبعين وخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم فيهن وقرئ أو من ملكت
 أيمانكم وما في القراءة المشهورة للاذنان بقصور تبتهن عن رتبة العقلاء (ذلك) إشارة الى اختيار
 الواحدة والتسرى (أدنى أن لا تعولوا) العول الميل من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وعال في الحكم
 أى جاور والمراد هنا الميل المحذور والمقابل للعدل أى ما ذكر من اختيار الواحدة والتسرى أقرب بالنسبة الى
 ما عداهما من أن لا تميلوا ميلا محظورا لا تتفانه رأسا بانتفاء محله في الاول وانتفاء خطره في الثاني بخلاف
 اختيار العدد في الماهات فإن الميل المحذور متوقع فيه لتحقيق المحل والخطور من ههنا تبين أن مدار الامر هو عدم
 العول لا تحقيق العدل كما قيل وقد فسر بأن لا يكثر صيا الحكم على أنه من عال الرجل عياله يعولهم أى ما منهم فغير
 عن كثرة العيال بكثرة المؤنة على طريقة الكتابة وبؤيده قراءة أن لا تميلوا من أعال الرجل اذا كثر عياله ووجه
 كون التسرى مظنة قلة العيال مع جواز الاستكثار من السراى أنه يجوز العزل عنهم بغير رضا هن ولا كذلك
 الماهات والجملته مستأنفة جارية بما قبلها مجرى التعليل (وأما النساء) أى اللاتي أمرن بكساحهن
 (صدقاتهن) جمع صدقة كسيرة وهى المهور وقرئ بسكون الدال على التخصيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع
 صدقة كخرفة وبضمها على التوحيد وهو تنقيح صدقة كظلمة في ظلمة (نحلة) قال ابن عباس وقتادة وابن
 جريح وابن زيد فريضة من الله تعالى لانها مفرضة الله في النحلة أى الماله والسرعة والديانة فانتصباها على
 الحالمية من الصدقات أى أعطوهن مهورهن حال كونها فريضة منه تعالى وقال الزجاج تدينا فانتصباها على
 أنها مفعول له أى أعطوهن ديانة وشرعة وقال الكلبى نخلة أى هبة وعطية من الله تعالى وتفضلا منه عليهن
 فانتصباها على الحالمية منها أيضا وقيل عطية من جهة الأزواج من نخلة كذا اذا أعطاه إياه ووجه له عن طيبة
 من نفسه نخلة ونحلا والتعبير عن إتياء المهور بالنحلة مع كونها واجبة على الأزواج لا فائدة بمعنى الإتياء عن
 كمال الرضا وطيب الحاضر وانتصباها على المسدرة لان الإتياء والنحلة بمعنى الإعطاء كأنه قيل وانحلو
 النساء صدقاتن نخلة أى أعطوهن مهورهن عن طيبة أنفسكم وعلى الحالمية من ضمير آتوا أى آتوهن
 صدقاتن ناحلين طيبى النفوس بالإعطاء أو من الصدقات أى مفضولة موطاة عن طيبة النفس بالخطاب
 للأزواج وقيل للأولياء لانهم كانوا يأخذون مهور نسايتهم وكانوا يقولون ههنا لك الناحلة لمن يولد له بنت يعنون
 تأخذ مهورها فتفجع به مال لك أى تعظمه (فان طبن لكم عن شيء منه) الضمير للصدقات وتذكيره لاجرائه
 مجرى ذلك فانه قد يشار به الى المتعة فكافى قوله عز وجل قل أؤنبكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات
 المعدودة وقد روى عن رؤبة أنه حين قيل له فى قوله

فما خطوط من سواد وبلق * كأنه فى الجلد توليع البلق

ان أردت الخطوط ينبغى أن تقول كأنها وان أردت السواد والبلق ينبغى أن تقول كأنها قال الكلبى أردت
 كأن ذلك أو تصدق الواقع موقعه صدقاتن كأنه قيل وآتوا النساء صدقاتهن كفاى قوله تعالى فأصدق وأكن
 حيث عطف أكن على ما دل عليه المذكور موقع موقعه كأنه قيل ان آخرتى أصدق وأكن واللام متعلقة
 بالفعل وكذا عن لكن بتضمينه معنى التجافى والتجاوز ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء أى كائن من الصدقات
 وفيه بحث لهن على تقليل الموهوب (نفسا) غييز والتوحيد لما أن المقصود بيان الجنس أى ان وهن لكم شيئا من
 الصدقات متجاфия عنه نفوسهن طيبات غير مخبئات بما يضطرهن الى البذل من شكاسة أخلاقكم وسوء معاشرتكم
 لكن عدل عن لفظ الهبة والسماحة الى ما عليه النظم الكريم ايدان بابان العمدة فى الامر اغناها وطيب النفس
 وتجاфияها عن الموهوب بالآزة (فكلوه) أى تخذوا ذلك الشيء الذى طاب به نفوسهن وتصر فوافيه فكلوا
 وتخصيص الاكل بالذكر لانه معظم وجوه التصرفات المالية (ههنا مريثا) صفتان من ههنا الطعام ومريثا اذا كان
 سابقا لا تنفص فيه وقيل الهبة الذى يلذه الاكل والمريث ما يحمد عاقبته وقيل ما يباغ فى مجراه الذى
 هو المريث وهو ما بين الخلق الى قم المعدة سمي بذلك لمروء الطعام فيه أى انسياغه ونصبها على أنها صفتان
 للمصدر أى كلا ههنا مريثا أو على أنها حالان من النهر المنسوب أى كلوه وههنا مريثا وقد يوقف على
 كلوه ويبتدأ ههنا مريثا على الدعاء وعلى أنها صفتان أقيمت مقام المصدرين كأنه قيل ههنا مريثا أو ههنا مريثا

التخليل والمبالغة في الاباحة وازالة التبعة روى أن ناسا كانوا يتأخرون أن يقبل أحدهم من زوجته شيئا مما ساقه
اليهم فأنزلت (ولا تؤنوا السفهاء أموالكم) رجوع الى بيان بقية الاحكام المتعلقة بأموال اليتامى وتفصيل
ما أجل فيما سبق من شرط ايتام ما ووقته وكيفيته اثر بيان بعض الاحكام المتعلقة بأنفسهم أعني تكاثر
وبيان بعض الحقوق المتعلقة بغيرهم من الابحاث من حيث النفس ومن حيث المال استطراداً وانطباعاً
للاولياء ثم وأن يؤنوا المذيرين من اليتامى أموالهم مخافة أن يضيعوها وانما أضيف اليهم وهي اليتامى
لأنظاراً الى كونهما تحت ولايتهم كما قيل فانه غير صحيح لا تصافها بالوصف الآتي بل تغزى للاختصاصها
بأصحابها منزلة اختصاصها بالاولياء فإن أموالهم عين أموالهم لما بينهم وبينهم من الاتحاد الجنسي
والنسبي مبالغة في جعلهم على المحافظة عليهم كما في قوله تعالى ولا تقتلوا أنفسكم أي لا يقتل بعضكم بعضاً حيث
عبر عن بني نوعهم بأنفسهم مبالغة في زجرهم عن قتلهم فكأن قتلهم قتل أنفسهم وقد أيد ذلك حيث عبر عن
جعلها مناطاً للمعاش أصحابها يجعلها مناطاً للمعاش الاولياء فنقل (التي جعل الله لكم قيناً) أي جعلها
الله شيئاً تقومون به وتنتهشون على حذف المفعول الأول فلو ضيعتموه لضعتم ثم زيد في المبالغة حتى جعل ما به
القيام قيناً ما فكان في أنفسها قيناً كماكم واتعاشكم وقيل انما أضيفت الى الاولياء لانها من جنس ما يقيم به الناس
معاشهم حيث لم يقصد بها الخصوصية الشخصية بل الجنسية التي هي معنى ما يقام به المعاش وتعمل اليه
القلوب ويدخلها لوقت الاحتياج وهي بهذا الاعتبار لا تختص باليتامى وأنت خير بأن ذلك يهزل من حمل
الاولياء على المحافظة المذكورة فكيف لا والوصلة الجنسية المالية ليست مختصة بما بين أموال اليتامى
وأموال الاولياء بل هي متعققة بين أموالهم وأموال الايجاب فاذن لا وجه لاعتبارها أصلاً وقرئ الثلاث
والواقي وقرئ فيما معنى قياماً كما جاء عوداً بمعنى عياداً وقرئ قواً ما بكسر القاف وهو ما يقام به الشيء أو مصدر
قاوم وقرئ بفقهها (وارزقوهم فيها واكسوهم) أي واجعلوهم مكاناً للرزقهم وكسوهم بأن تجبروا
وتزجروا حتى تكون نفقاتهم من الارباح لا من صلب المال وقيل انطباعاً لكل أحد كأنهم كان والمراد
نهيهم عن أن يفوض أمره الى من لا رشده من نسائه وأولاده وكلاهما وغير ذلك ولا يخفى أن ذلك محذور
بجواز النظم الكريم (وقرلوهم قولا معروفاً) أي كلاماً مائلاً لطيب به نفوسهم وعن سعيد بن جبير ومجاهد
وابن جريح عذوهم عدة جملة بأن تقولوا اذا صلحتم ورشدتم سألنا اليكم أموالكم وكل ما سئلت اليه
النفس لحسنه شرعاً أو اعتلا من قول أو عمل فهو معروف وما أنكرته لفتنه شرعاً أو عقلاً فهو منكراً (وابتأوا
اليتامى) شروع في تعيين وقت تسليم أموال اليتامى اليهم وبيان شرطه بعد الامر بابتأهم على الاطلاق
والنهي عنه عند كون أصحابها سفهاء أي واختبروا من ليس منهم بين السفه قبل البلوغ يتبع أحوالهم في
صلاح الدين والاهتداء الى ضبط المال وحسن التصرف فيه وجز بوجه ما يليق بحالهم فان كانوا من أهل
التجارة فبأن تعلموهم من المال ما يتصرفون فيه بيعاً وابتاعاً وان كانوا من أهله ضياعاً وأهل وخدم فبأن
تعلموهم منه ما يصرفونه الى نفقة عبيدهم وخدمهم وأجرائهم وسائر مصارفهم حتى تثبت لكم كيفية
أحوالهم (حتى اذا بلغوا النكاح) بأن يحتلوا لانهم يصلحون عنده للنكاح (فان أنسب) أي شاهدتم
وتبينتم وقرئ أحسنتم بمعنى أحسنتم كما في قول من قال

خلان العناق من المطايا * أحسن به وحق اليه شوس

(منهم رشداً) أي اهتداء الى وجوه التصرفات من غير عجز وذبذير وتقديم الجار والجور على المفعول
للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ولا اعتماد عبيدتيه والتسوين للدلالة على كفاية رشدي الجملة
وقرئ بفتح الراء والشين وبعضهما (فادفعوا اليهم أموالهم) من غير تأخير عن حد البلوغ وفي ابتأوا دفع
في الابتداء الوارد في أول الامر اذ ان يتناوذاً بحسب المعنى كما أشير اليه فيما سلف ونظم الآية الكريمة
أن حتى هي التي تنسج بعدد الجمل كاتى في قوله

فما زلت القتلى تجمد ماها * بدجلة حتى ماء دجلة أشكل

وما بعد ما جملة شرطية جعلت غاية للاستعلاء وفعل الشرط بلغوا جوابه الشرطية التالية كأنه قيل وابتأوا
اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع أموالهم اليهم بشرط ابتأان الرشدين منهم ونظم الآية الكريمة

قوله بدلتيه هكذا في
النسخ وصوابه عبيدتيه له اهـ

أن من بلغ غير رشيداً ما بالتبذير أو بالعجز لا يدفع إليه ماله أبداً وبه أخذ أبو يوسف ومحمد وقال أبو حنيفة بالنظر
 إلى خمس وعشرين سنة لأن البلوغ بالسنة ثمان عشرة سنة فإذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير
 أحوال الإنسان لما قاله عليه الصلاة والسلام من رزقهم بالصلاة لسبع دفع إليه ماله وأنس منه رشد أول يوم
 (ولا تأكلوها أسرافاً واداراً أن يكبروا) أي مسرفين ومبادرين كبرهم أو لا سرافكم ومبادرة لكم كبرهم
 نفرطون في انفاقها وتقولون تنفق كما تنسهي قبل أن يكبر اليأس فينتزعوها من أيدينا والجملة تأكيد للامر
 بالدفع وقهر لهما وتعهيد لما بعدهما من قوله تعالى (ومن كان غنياً فليستعفف) الخ أي من كان من الأولياء
 والأوصياء غنياً فليستزه عن أكلها وليستعفف بما آناه الله تعالى من الغنى والرزق اشفاقاً على اليتيم وإبقاء
 على ماله (ومن كان) من الأولياء والأوصياء (فقيراً فليأكل بالمعروف) بقدر حاجته الضرورية وأجرة
 سعيه وخدمته وفي الله الاستعفاف والأكل بالمعروف ما يدل على أن الوصي حقا لقيامه عليها عن
 النبي عليه الصلاة والسلام أن رجلاً قال له إن في جري يثيباً أفأكل كل من ماله قال بالمعروف غير
 متأنل مالا ولا وافي ماله بما له وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن ولياً يقيم قال له أفأشرب من لبن ابنة قال
 إن كنت تبغى ضالته ما تلوط حوضها وتنهأ جرباها وتسقيها يوم ورودها فأشرب غير مضرب نسل ولا ناهك
 في الحلب وعن محمد بن كعب بن قزيم كاتنقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الأجير فيما لا بد منه وعن الشعبي
 يأكل كل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي وعن مجاهد بن يساف فإذا
 أيسر أذى وعن سعيد بن جبير إن شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر وليس ما يستتره من الشباب وأخذ
 القوت ولا يجاوز ما كان أيسر قضاء وإن أعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه إن أنزلت نفسي
 من مال الله تعالى منزلة في البيت من عاف مكانه يطاب زيادة العفة (فإذا دفعتم إليهم أمرهم) بعد ما راعيتهم
 بالشرائط المذكورة وتقديم الجواز والجور وعلى المفعول الصريح للاهتمام به (فأشهدوا عليهم) بأنهم
 تسلموها وقبضوها وبرت عندها محكم لما أن ذلك أبعدهم من التهمة وأتت للصومة وأدخل في الامانة وبرائة
 الساحة وإن لم يكن ذلك واجبا عند أصحابنا فإن الوصي مصدق في الدفع مع العين خلافاً لما لاك والشافعي
 رحمه الله (وكفى بالله حسيباً) أي محاسباً فلا تخافوا ما أمركم به ولا تجاوزوا ما حذركم (للرجال
 نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) شروع في بيان أحكام الموارث بعد بيان أحكام أموال اليتامى
 المنتقلة إليهم بالارث والمراد بالأقربين المتوارثون منهم ومن في مملكتهم بمحذوف وقع صفة لنصيب أي لهم
 نصيب كائن مما ترك وقد جوز تعلقه بالنصيب (ولللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) أراد حكمهن
 على الاستقلال دون الدرج في نصابهم بأن يقال للرجال والنساء الخ لا اعتناء بأمرهن والأيذان
 بأصاثنهن في استحقاق الارث والاشارة من أول الامر إلى تفاوت ما بين نصبي الفريقين والمبالغة في إبطال
 حكم الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والأطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذهب عن الحوزة
 روى أن أوس بن ثابت الأنصاري خلف زوجته أم كحة وثلاث بنات فزوى ابناعه سويد وعرفطة أو قتادة
 وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فجاءت أم كحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت إليه فقال
 أرجو حتى أنظر ما يجدنه الله تعالى فترأت فارساً إلى الله قد جعل لهن نصيباً ولم يبين فلا تفرق من مال
 أوس شيئاً حتى يبين فنزل يوصيكم الله الخ فأعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي لأبي الم وهو دليل
 على جواز تأخير البيان عن الخطاب وقوله تعالى (عما قلن منه أو كثر) يدل من ما لا أخيرة بأعادة الجواز
 وإليه يعود التفسير الجور وهذا البديل مراد في الجملة الأولى أيضاً محذوف لله ويل على المذكور وفائدة
 دفع توهم اختصاص بعض الأموال ببعض الورثة كالخيل والآلات الحرب للرجال وتحقيق أن لكل من الفريقين
 حقا من كل ما جلت ودق (نصيباً مرفوضاً) نصب على أنه مصدر مؤكد كقوله تعالى فريضة من الله كأنه قيل
 قسمة مفروضة أو على الحالة إذ المعنى ثبت لهم نصيب كائن مما ترك الوالدان والأقربون حال كونه مفروضاً
 أو على الاختصاص أي أعني نصيباً مقطوعاً مفروضاً واجباً لهم وفيه دليل على أن الوارث لو أعرس عن
 نصيبه لم يسقط حقه (وإذا حضر القسمة) أي قسمة التركة وانما قد تمت مع كونهم لم يفعلوا لانها البصيرة

قوله غير رشيداً الخ قال
 الشهاب التائي أخذ المال
 أهله أي أصلاً والمراد
 نيامها وفي القلموس
 وتأكل المال اكتسبه وعليه
 فغنى غير متأنل غير مكتسب
 قد برأه صححه
 قوله وتلو ط حوضها أي نطيشه
 وقوله وتنهأ جرباها أي تطلها
 بالهنا وهو كتاب القطران
 وقوله ولا ناهك أي ولا
 مستوف جيب ما في الضرع
 كذا أبو خنيس القلموس
 هـ صححه

عنها ولا في القضاء على تعدد ظهور روى الترتيب بفوت تجاوب اطراف الكلام (اولو القربى) ممن لا يرث
(واليتامى والمساكين) من الاجاب (فان رزقوهم منه) أى أعطوهم شيئا من المال المقسوم المدلول عليه
بالقسمة وقيل التعمير لما هو امر ندب كلف به البالغون من الورثة تطييبا لقلوب الطوائف المذكورة
ونصت فاعليهم وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه (وقولوا لهم قولا معروفا) وهو أن يدعوا لهم ويستقلوا
ما أعطوهم ويعتذروا من ذلك ولا يمنوا عليهم (وليش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعفا خافوا عليهم) امر
للاوصياء بأن يخشوا الله تعالى ويتقوه في أمر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذرايرهم الضعاف بعد
وفاتهم أول من حضر المريض من العواد عند الايصاء بأن يخشوا ربهم أو يخشوا أولاد المريض ويستفقا عليهم
شفقتهم على أولادهم فلا يتركوه أن يضربهم بصرف المال عنهم أو للورثة بالشفقة على من حضر القسمة
من ضعفاء الأقارب واليتامى والمساكين متصورين أنهم لو كانوا أولادهم بقوا خلفهم ضعفا مثلهم
هل يجوزون حرمانهم أو للموصي بأن ينظر للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزها صلة للذين على معنى
وليش الذين حالهم وصفتهم أنهم لو شارفوا أن يخلفوا ورثة ضعفا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الأمر عليه
إشارة إلى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وأن يحب أولاد غيره ما يجب لأولاد نفسه وتهديد
للضالقات بحال أولاده وقرئ ضعفا وضعفا في وضعافى (فليقوا الله) في ذلك والفاء لترتيب ما بعده على
ما قبلها (وليقولوا قولا سديدا) أمرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعد ما أمرهم بمراعاة المبدأ
والنتهى إذ لا نفع للأول بدون الثاني ثم أمرهم بأن يقولوا اليتامى مثل ما يقولون لأولادهم بالشفقة وحسن
الادب وأولمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكر التوبة وكلمة الشهادة وأولما حصرى
القسمة عذرا ووعدا حسنا أو يقولوا في الوصية ما لا يؤدى إلى تجاوز الثالث وقوله تعالى (إن الذين يأكلون
أموال اليتامى ظلما) أى على وجه الظلم أو ظالمين استئناف جى به لتقرير مضمون ما فصل من الاوامر
والنواهي (انما يأكلون في بطونهم) أى ملء بطونهم (نارا) أى ما يجزى إلى النار ويؤدى إليها وعن أبي بردة
أنه صلى الله عليه وسلم قال يبعث الله تعالى قوما من قبورهم تأجج أفواههم ناراً فقبل من هم فقال عليه
السلام ألم تر أن الله يقول إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا (وسيلون سعيرا)
أى سيدخلون نارا هائلة مبهمة الوصف وقرئ بنظم الياء مخففا ومشددا من الاصل والتصلة يقال صلى النار
قاسى حرها وصلبته شويته وأصلبته وصلبته ألقىته فيها والسبعير قيل بمعنى مفعول من سعرت النار إذا ألهبت
روى أن أكل مال اليتيم يبعث يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأنفه وأذنيه وعينه فيعرف الناس
أنه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا وروى أنه لما نزلت هذه الآية تنقل ذلك على الناس فاحترزوا عن مخالطة
اليتامى بالكلمة فصعب الأمر على اليتامى فنزل قوله تعالى وإن تخالطوهم الآية (يوصيكم الله) شروع
في تفصيل أحكام الموارث الجملة في قوله تعالى للرجال نصيب الخ وأقسام الورثة ثلاثة قسم لا يسقط بحال
وهم الآباء والأولاد والأزواج فهو لا قسمان والثالث الكلالة أى يأمركم ويعهد إليكم (في أولادكم)
أولاد كل واحد منكم أى في شأن ميراثهم بدئ بهم لأنهم أقرب الورثة إلى الميت وأكثرهم بقاء بعد المورث
(لأنكم مثل حظ الأنثيين) جملة متأنفة جى بها التبيين الوصية وتفسيرها وقيل محلها النصيب يوصيكم
على أن المعنى يفرض عليكم ويشرع لكم هذا الحكم وهذا قريب مما رأاه الفقهاء فانه يجري ما كان بمعنى
القول من الانفعال مجزا في حكاية الجملة بعده وتطير قوله تعالى وعدا الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم
مغفرة الآية وقوله تعالى للذكر لا بد له من ضمير عائدة إلى الأولاد محذوف ثمة بظهوره كافي قولهم السمن منوان
بدرهم أى للذكر منهم وقيل الالف واللام قائم مقامه والاصل لذكرهم ومثل صفة لموصوف محذوف أى للذكر
منهم حظ مثل حظ الأنثيين والبداءة ببيان حكم الذكر لاظهار منزلة على الأنثى كما أن المنطوق في تضعيف حظه
وايشار اسمى الذكر والأنثى على ما ذكرنا أولا من الرجال والنساء للتصنيف على استواء الكار والصغار
من القريشيين في الاستحقاق من غير دخل للبلوغ والكبر في ذلك أصلا كما هو زعم أهل الجاهلية حيث كانوا
لا يورثون الأطفال كالتساء (فإن كن) أى الأولاد والتأنيث باعتبار الخبر وهو قوله تعالى (نساء) أى خلاصا
ليس معنى ذكر (فوق اثنين) خبر ثان أو صفة لتساء أى نساء زائدات على اثنين (فلهن مثل ما ترك) أى المتوفى

المدلول عليه بقرينة المقام (وأن كانت) أي المولودة (واحدة) أي امرأة واحدة ليس معها أخ ولا أخت
 وعدم التعرض للموصوف لظهوره مما سبق (فلهما النصف) مما ترك وقرئ واحدة على كان التامة
 واختلف في التثنية فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الجمهور
 حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين أن حظ الذي كرمثل حظ الاثنين إذا كان معه أثنى وهو الثلثان
 اقضى ذلك أن فرضهما الثلثان ثم لما أوهم ذلك أن يزداد النصب بزيادة العدد رد ذلك بقوله تعالى فإن كن نساء
 فوق اثنتين ويؤيد ذلك أن البنت الواحدة لما استحققت الثلث مع أخيها الأقوى منها في الاستحقاق فلا تنسحقه
 مع مثلها أولى وأحرى وأن البنتين أمس وجها من الأختين وقد فرض الله لهما الثلثين حيث قال تعالى فلهما
 الثلثان مما ترك (ولا بويه) أي لا بوي الميت غير النظم الكريم لعدم اختصاص حكمه بما قبله من الصور
 (لكل واحد منهما) بدل منه ~~بكرير~~ العامل وسط بين المبتدأ الذي هو قوله تعالى (السدس) وبين خبره
 الذي هو لا بويه ونقل الخبرية إليه تنصيحا على استحقاق كل منهما السدس وتأكيده بالتفصيل بعد الإجمال
 وقرئ السدس بسكون الدال تخفيفا وكذلك الثلث والرابع والثلثين (مما ترك) متعلق بمحذوف وقع حالا
 من السدس والعامل الاستقرار المعتبر في الخبر أي كما شاء مما ترك المتوفى (أن كان له ولد) أو ولد ابن ذكر
 كان أو أثنى واحدا أو متهما غير أن الأب في صورة الأئمة بعد ما أخذ فرضه المذكور يأخذ ما بقي من ذوى
 الفروض بالعصوبة (فإن لم يكن له ولد) ولا ولد ابن (وورثه أبواه) لحسب (فلاته الثلث) مما ترك والباقي
 للأب وانما لم يذكر عدم الحاجة إليه لانه لما فرض انحصار الوارث في أبويه وعين نصيب الأم علم أن الباقي
 للأب وتخصيص جانب الأم بالذكر وأحواله جانب الأب على دلالة المثال مع حصول البيان بالعكس أيضا
 لما أن حظها أنحصر واستحقاقه أتم وأوفر وأولاً لاستحقاقه بطريق العصوبة دون الفرض هذا إذا لم يكن
 معهما أحد الزوجين أما إذا كان معهما ذلك فلا ثم ثلث ما بقي بعد فرض أحدهما لثلث الكل كما قاله ابن عباس
 رضي الله عنهما فإنه يفضي إلى تفضيل الأم على الأب مع كونه أقوى منها في الإرث بدليل إضعافه عليها عند
 انفردهما عن أحد الزوجين وكونه صاحب فرض وعصبة وذلك خلاف وضع الشرع (فإن كان له أخوة)
 أي عدد من له أخوة من غير اعتبار التثنية سواء كانت من جهة الأبوين أو من جهة أحدهما وسواء كانوا
 ذكورا أو إناثا أو مختلطين وسواء كان لهم ميراث أو كانوا محجوبين بالأب (فلاته السدس) وأما الذي
 محجوب عنه فهو الأب عند وجوده ولهم عند عدمه وعليه الجمهور وعند ابن عباس رضي الله عنهما أنه لهم
 على كل حال خلا أن هذا الجنب عنده لا يتحقق بمادون الثلاث وبالآخوات الخلف وقرئ فلاته بكسر الهمزة
 اتباعا لما قبلها (من بعد وصية) خبرية متحذوف وإجملة متعلقة بما تقدم جميعا لا بما يليها وحده أي هذه
 الأنصبة للورثة من بعد إخراج وصية (يوصي بها) أي الميت وقرئ مبنيا للمفعول مخففا ومبنيا للفاعل مشددا
 وفائدة الوصف الترغيب في الوصية والندب إليها (أو دين) عطف على وصية الأئمة غير مقيد بما قيدت به
 من الوصف بل هو مطلق يتناول ما ثبت بالبين أو الإقرار في الصحة وإشارته إلى المفيدة للإباحة على الواو للدلالة
 على تساويهما في الوجوب وتقدمهما على القسمة بمجموعين أو منفردين لا بتقديم الوصية على الدين ذكر أم
 تأخرها عنه حكما لاظهار كمال العناية بتنفيذها لكونها مظنة للتفريط في أديانها ولا طرادها بخلاف الدين
 (أباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا) الخطاب للورثة فأباؤكم مبتدأ وأبناؤكم عطف عليه
 ولا تدرون خبره وأيهم مبتدأ وأقرب خبره ونفعان نصب على التمييز منه وهو منقول من الفاعلية كأنه قيل أيهم
 أقرب لكم نفعه وإجملة في حيز النصب لا تدرون وإجملة الكبيرة اعتراضية مؤكدة لوجوب تنفيذ الوصية
 أي أصولكم وفروعكم الذين يتوفون لا تدرون أيهم أنفع لكم أمن يوصي بعض ماله فيعرضكم لنواب الآخرة
 بتنفيذ وصيته أم من لا يوصي بشئ فيعرض عليكم عرض الدنيا وليس المراد بشئ الدراية عنهم بيان اشتباه الأمر عليهم
 وكون أنفعية كل من الأول والثاني في حيز الاحتمال عندهم من غير رجحان أحدهما على الآخر كما في قوله
 عليه الصلاة والسلام مثل أمي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره فان ذلك معزل من قاعدة التأكد
 المذكور والترغيب في تنفيذ الوصية بل تحقيق أنفعية الأول في ضمن التعريض بأن لهم اعتقادا بأنفعية الثاني
 مبنيا على عدم الدراية وقد أشير إلى ذلك حيث عبر عن الأنفعية بأقربية النفع تذكيرا للمناط زعمهم وتعيينا للمشا

خطبتهم ومبالغة في الترغيب المذكور تصوير الثواب الا جل بصورة العاجل لما أن الطباع مجبولة على حبة
 الخير الحاضر كأنه قيل لا تدرون أيهم أنفع لكم فحكمون نظرا الى ظاهر الحال وقرب المال بأفضلية الثاني مع
 أن الامر بخلافه فان ثواب الآخرة لتصدق وصوله الى صاحبه ودوام نفعه به مع غاية قصر مدة ما بينهما من
 الحياة الدنيا أقرب وأحضر وعرض الدنيا السرعة نفاذه وفنائها بعد وأقصى وقيل الخطاب للمورثين والمعنى
 لا تعلمون من أنفع لكم من يرثكم من أصولكم وفروعكم عاجلا وأجلا فتحترروا في شأنهم ما أوصاكم الله تعالى به
 ولا تعتمدوا الى تفضيل بعض وحرمان بعض روى أن أحد المتوالدين اذا كان أرفع درجة من الآخر في الجنة
 سأل الله تعالى أن يرفع اليه صاحبه فيرفع اليه بشفا عته قيل فالجمله الاعتراضية حيث مذمومة لامر القسمة
 وأنت خير بأنه مشعر بأن مدار الارث ما ذكر من أقربية النفع مع أنه العلاقة النسبية (فريضة من الله) نصبت
 نصب مصدر مؤكد لله بل محذوف أي فرض الله ذلك فرضا أو لقوله تعالى يوصيكم الله فانه في معنى يأمركم
 ويفرض عليكم (ان الله كان عليما) أي بالمصالح والرب (حكيم) في كل ما قضى وقد ريد دل فيه الاحكام
 المذكورة دخول أوليا (ولكم نصف ما ترك أزواجكم) من المال شروع في بيان أحكام القسم الثاني من الورثة
 ووجه تقديم حكم ميراث الرجال مما لا حاجة الى ذكره (ان لم يكن لهن ولد) أي ولد وارث من بطنها أو من صلب
 بنها أو بنى بنها وان سفل ذكر ا كان أو أنى واحدا كان أو متعددا لان لفظ الولد ينظم الجميع منكم أو من
 غيركم والباقي لورثتهن من ذوى القروض والعصبات أو غيرهم وليت المال ان لم يكن لهن وارث آخر أصلا
 (فان كان لهن ولد) على نحو ما فصل والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ذكره تقدير عدم الولد وبيان
 حكمه مستتبع لتقدير وجوده وبيان حكمه (فلكم الربع مما تركن) من المال والباقي لباقي الورثة (من بعد
 وصية) متعلق بكلمتا الصورتين لا بما يليه وحده (يوصين بها) في محل الجزاء على أنه صفة لوصية وفائدتها
 ما تر من ترغيب الميت في الوصية وحث الورثة على تنفيذها (أو دين) عطف على وصية سواء كان ثبوته
 بالبينة أو بالاقرار وإينار أو على الواو المأثر من الدلالة على تساويه في الوجوب والتقدم على القسمة وكذا
 تقديم الوصية على الدين ذكر المأثر من ابراز كمال العناية بتنفيذها (ولهن الربع مما تركن ان لم يكن لكم ولد)
 على التفصيل المذکور آنفا والباقي لبقية ورثتهن من أصحاب القروض والعصبات أو ذوى الارحام
 أوليت المال ان لم يكن لكم وارث آخر أصلا (فان كان لكم ولد) على النحو الذي فصل (فلهن الثلث
 مما تركن) من المال والباقي للباقيين (من بعد وصية يوصون بها أو دين) الكلام فيه كما فصل في نظيره
 فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما فرض للمرأة كما في التسبب لازية عليها وشرفه الظاهر ولذلك اختص
 بتشريف الخطاب وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتراكا في الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا أولاد الام
 والمعتق والمعتقة وتستوى الواحدة والعدد منهن في الربع والثلث (وان كان رجل) شروع في بيان أحكام
 القسم الثالث من الورثة المحتمل للسقوط ووجه تأخيرهم عن الاولين بين والمراد بالرجل الميت وقوله تعالى
 (يورث) على البناء للمفعول من ورث لا من أورث خبر كان أي يورث منه (كلاله) الكلاله في الاصل مصدر
 بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعضاء استعيرت للقراية من غير جهة الوالد والولد اضعفها بالاضافة الى
 قرابتها وتطلق على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بوالد ولا ولد من الخلفين بمعنى ذى كلاله كما تطلق
 القراية على ذوى القراية وقد جوز كونها صفة كالهجاجة والفاقة للاحق فنصبها اما على أنها مفعول له أي
 يورث منه لاجل القراية المذكورة أو على أنها حال من ضمير يورث أي حال كونه ذا كلاله أو على أنها خبر لكان
 ويورث صفة لرجل أي ان كان رجل موروث ذا كلاله ليس له والد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل مخففا
 ومشددا فاته صاب كلاله اما على أنها حال من ضمير الفعل والمفعول محذوف أي يورث وارثه حال كونه ذا كلاله
 واما على أنها مفعول به أي يورث ذا كلاله واما على أنها مفعول له أي يورث لاجل الكلاله (أو امرأة) عطف
 على رجل مقيد بما قبله أي أو امرأة يورث كذلك ولعل فصل ذكرها عن ذكره للايذان بشرفه وأصالته
 في الاحكام (وله) أي للرجل ففيه تأكيد للايذان المذكور حيث لم يعترض لها بعد جريان ذكرها أيضا وقيل
 الضمير لكل منهما (أخ أو أخت) أي من الام غيب وقد قرئ كذلك فان أحكام بنى الاعيان والعلات هي التي
 ذكرت في آخر البقرة الكريمة والجمله في محل النصب على أنها حال من ضمير يورث أو من رجل على تقدير كون

يورث صفته ومساقتها لتصور المسئلة وذكر الكلالة لتحقيق جريان الحكم المذكور وان كان مع من ذكر ورثة
 أخرى بطريق الكلالة وأما جريته في صورة وجود الآم أو البسطة مع أن قرأتهما ليست بطريق الكلالة
 فبالاجماع (فلكل واحد منهما) من الاخ والاخت (السدس) من غير تفصيل لذكر على الانثى
 لأن الادلاء الى الميت بمحض الاثوة (فان كانوا أكثر من ذلك) أي أكثر من الاخ والاخت المنفردين بواحد
 أو بأكثر والعا لما مر من أن ذكر احتمال الانفراد مستتب لذكر احتمال التعدد (فهم شركاء في الثلث) يقتسمونه
 بالسوية والباقي لبقية الورثة من أصحاب الفروض والعصبات وهذا أو ما تجوز أن يكون يورث في القراءة
 المشهورة مبنيا للمفعول من أوورث على أن المراد به الوارث والمعنى وان كان رجل يجعل وارثا لاجل الكلالة
 أو ذاك لآلة أي غير والد أو ولد وذلك الوارث أخ أو أخت فلكل واحد من ذلك الوارث وأخيه أو أخته السدس
 فان كانوا أكثر من ذلك أي من الاثنين بأن كانوا ثلاثة أو أكثر فهم شركاء في الثلث الموزع للاثنين لا يزاد عليه شيء
 فيعزل من السداد أما أولاد فلان المعتبر على ذلك التقدير انما هي الاخوة بين الوارث وبين شريكه في الارث من
 أخيه أو أخته لا ما بينه وبين مورثه من الاخوة التي عليها يترتب حكم الارث وبها يتم تصور المسئلة وانما المعتبر
 بينهما الورثة بطريق الكلالة وهي عادة لجميع صور القرابات التي لا تكون بالولادة فلا يكون نصيبه ولا نصيب
 شريكه مما ذكر به من ادعى اختصاصا بالاخوة لا ممتسكا بالاجماع على أن المراد بالكلالة ههنا أولاد الآم
 فقد اعترف بطلان رأيه من حيث لا يحتسب كيف لا وبنا انما هو الاجماع على أن المراد بالاخوة في قوله تعالى
 وله أخ أو أخت هو الاخوة لا خاصة حسبا شهدت به القراءة المحكية والآية الآتية في آخر السورة الكريمة
 ولولأن الرجل عبارة عن الميت والاخوة معتبرة بينه وبين ورثته لما أمكن كون الكل أولاد الآم ثم ان الكلالة
 كانت عليه باقية على اطلاقها ليس فيها شائبة اختصاص بأولاد الآم فضلا عن الاجماع على ذلك والا
 لاقتصر البيان على حكم صورة انحصار الورثة قهرا وانما الاجماع فيما ذكر من أن المراد بالاخ والاخت من كان
 لآم خاصة وأنت خير بأن ذلك في قوة الاجماع على أن يورث من ورث لا من أوورث فتدبر وأما ما يفلان
 يقتضي أن يكون المعتبر في استحقاق الورثة في الفرض المذكور اخوة بعضهم لبعض من جهة الام فقط لما ذكر
 من الاجماع مع ثبوت الاستحقاق على تقدير الاخوة من الجهتين وأما ثالثا فلان حكم صورة انفراد الوارث
 عن الاخ والاخت يبقى حينئذ غير مبين وليس من ضرورة كون حظ كل منهما السدس عند الاجماع كونه
 كذلك عند الانفراد ألا يرى أن حظ كل من الاثنين الثلث عند الاجتماع والنصف عند الانفراد
 وأما ما يفلان تخصيص أحد الورثة بالتوريث وجعل غيره تبعه فيه مع اتحاد الكل في الادلاء الى المورث
 بما لا عهد به (من بعد وصية يوصي بها أو دين) الكلام فيه كالذي مر في نظائره خلا أن الدين ههنا موصوف
 بوصف الوصية جريا على قاعدة تقيد المعطوف بما قيد به المعطوف عليه لا اتفاق الجمهور على اعتبار عدم
 المضارة فيه أيضا وذلك انما يتحقق فيما يكون ثبوته بالافراد في المرض كأنه قيل أو دين يوصي به (غير مضارة)
 حال من فاعل فعل مضمر يدل عليه المذكور وما حذف من المعطوف اعتمادا عليه كما أن رجالا في قوله تعالى
 يسبح له فيها بالغدق والآصال رجال على قراءة البناء للفاعل لفعل ينجي عنه المذكور ومن فاعل
 الفعل المذكور والمحدوف اكتفاء به على قراءة البناء للفاعل أي يوصي بما ذكر من الوصية والدين حال كونه
 غير مضارة للورثة أي بأن يوصي بما زاد على الثلث أو تكون الوصية لقصد الاضرار بهم دون القرية وبأن يقتز
 في المرض بدين كاذبا وتخصيص هذا القيد بهذا المقام لما أن الورثة مظنة لتفريط الميت في حقهم (وصية
 من الله) مصدر مؤكد لفعل محدوف وتنوينه للتقديم ومن متعلقة بضمير وقع صفته مؤكدة لتضمنته
 الذاتية بالضميمة الاضافية أي يوصيكم بذلك وصية كائنة من الله كقوله تعالى فريضة من الله ولعل السر
 في تخصيص كل منهما بعمله لا شعرا بما بين الاحكام المنطقية بالاصول والفروع وبين الاحكام المتعلقة بغيرهم
 من التفاوت حسب تفاوت الفريضة والوصية وان كانت كتابتهما واجبة المراعاة أو منصوب بغير مضارة على
 أنه مفعول به فانه اسم فاعل معتد على ذي الحال أو مني معنى فيعمل في المفعول الصريح وبعضه القراءة
 بالاضافة أي غير مضارة لوصية الله وعهده لا في شأن الاولاد فقط كما قيل اذا تعلق لهم بالمقام بل في شأن الورثة
 المذكورة ههنا فان الاحكام المفصلة كلها مندرجة تحت قوله تعالى يوصيكم الله بآية مجرى تفسيره وبإنه

ومضارتها الاخلال بحقوقهم ونقصها بما ذكر من الوصية بما زاد على الثلث والوصية اقصد الاضرار دون القرية
والاقرار بالدين كاذبا وايضا على الوصية مع أنها واقعة على الورثة حقيقة كما في قوله (يا سارق الليلة أهل الدار)
للمبالغة في الزجر عنها بما يخرجها عن مضارة أمر الله تعالى ومضادته وجعل الوصية عبارة عن الوصية
بالثلث فادونه يقتضي أن يكون غير مضارة حالاً من ضمير الفعل المتعلق بالوصية فقط وذلك يؤدي إلى الفصل بين
الحال وعاملها بأجنبي هو المعطوف على وصية مع أنه لا تنقسم به مادة المضارة لبقاء الاقرار بالدين على
اطلاقه (والله عليم) بالمضارة وغيره (حليم) لا يعاجل بالعقوبة فلا يغتر بالامهال وإيراد الاسم
الجليل مع كفاية الاضمار لا يدخل الروعة وتربية المهابة (تلك) إشارة إلى الأحكام التي تقدمت في شؤون
اليتامى والموارث وغير ذلك (حدود الله) أي شرائعه المحدودة التي لا تجوز تجاوزها (ومن يطع الله
ورسوله) في جميع الأوامر والنواهي التي من جملتها ما فصل ههنا واطهار الاسم الجليل لما ذكرنا (يدخله
جنان) نصب على الظرفية عند الجمهور وعلى المفعولية عند الاخفش (تجرى من تحتها الأنهار) صفة
لجنات منصوبة حسب اتصافها (خالدين فيها) حال مقدرة من مفعول يدخله وصيغة الجمع بالنظر إلى
جمعية من بحسب المعنى كما أن أفراد النعيم بالنظر إلى أفراد العذاب (وذلك) إشارة إلى ما مر من دخول
الجنات الموصوفة بما ذكر على وجه الخلود وما فيه من معنى البعد لا يذان بكال علق درجته (الفوز العظيم)
الذي لا فوز وراءه وصف الفوز وهو الظفر بالخير بالعظم أمّا باعتبار متعلقه أو باعتبار ذاته فإن الفوز بالعظم
عظيم والجملة اعتراض (ومن يعص الله ورسوله) ولو في بعض الأوامر والنواهي قال مجاهد فيهما اقتصر
من الموارث وقال عكرمة عن ابن عباس من لم يرض بقسم الله تعالى ويتعد ما قال الله تعالى وقال الكلبي
يعني ومن يكفر بشعة الله الموارث ويتعد حدوده استحقاقا لا انظمارا في موقع الاضمار للمبالغة في الزجر
بتحويل الأمر وتربية المهابة (ويتعد حدوده) شرائعه المحدودة في جميع الأحكام فيدخل فيها ما ضمن فيه
دخولا أو ليا (يدخله) وقرئ بنون العظمة في الموضعين (نارا) أي عظمة هائلة لا يقادر قدرها (خالدين فيها)
حال كما سبق ولعل إشارته إلى أفراد ههنا نظرا إلى ظاهر اللفظ واختيار الجمع هناك نظرا إلى المعنى لا يذان بأن
الخلود في دار الثواب بصفة الاجتماع أجلب للانس كما أن الخلود في دار العذاب بصفة الانفراد أشد
في استجلاب الوحشة (وله عذاب مهين) أي وله مع عذاب الحريق الجسماني عذاب آخر مهم لا يعرف
كنهه وهو العذاب الروحاني كما يؤذن به وصفه والجملة حالية (واللآتي يأتين الفاحشة من نساءكم)
شروع في بيان بعض آخر من الأحكام المتعلقة بالنساء اثريان أحكام الموارث والآتي جمع التي بحسب
المعنى دون اللفظ وقيل جمع على غير قياس والفاحشة الفعلة القبيحة أريد بها الزنا لزيادة قبحه والاثنيان
الفعل والمباشرة يقال أتي الفاحشة أي فعلها وبشرها وصكذاجاءها وورعها وغشها وقرئ بالفاحشة
فالاتيان بمعناه المشهور ومن متعلقة بمحذوف وقع حالاً من فاعل يأتين أي الآتي ينسحب الزنا كائنات
من نساءكم أي من أزواجكم كما في قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم وقوله تعالى من نساءكم الآتي
دخلتم بهن وبه قال السدي (فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) خبر للموصول والفاء للدلالة على سببية
ما في خبر المصلة للحكم أي فاطلبوا أن يشهد عليهن بآتيانها أربعة من رجال المؤمنين وأحرارهم (فان شهدوا)
عليهن بذلك (فأمسكوهن في البيوت) أي فاحبسوهن فيها واجعلوهن معجنا عليهن (حتى يتوفاهن)
أي إلى أن يستوفى أرواحهن (الموت) وفيه تمهيد للموت وإبرازه في صورة من يتولى قبض الأرواح
وتوفاهن أو يتوفاهن ملائكة الموت (أو يجعل الله لهن سبيلا) أي يشرع لهن حكما خاصا بهن ولعل التعبير
عنه بالسبيل للإيذان بكونه طريقا مسلوكا فليس فيه دلالة على كونه أخف من الحبس كما قاله أبو مسلم
(واللذان يأتينها منكم) هما الزاني والزانية بطريق التغليب قال السدي أريد بهما السكران منهما كما ينبغي
عنه كون عقوبتهما أخف من الحبس المخلد وبذلك يدفع التكرار خلا أنه يبيح حكم الزاني المحبس من بهما
لاختصاص العقوبة الأولى بالمحصنات وعدم ظهور الحاققة بأحد الحكمين دلالة تلحقا بالشركة في المناسك
(فأدوهما) أي بالتوبيخ والتقريع وقيل بالضرب بالتحال أيضا وظاهر أن إجراء هذا الحكم أيضا إنما
يكون بعد الثبوت لكن ترك ذكره تعويلا على ما ذكرنا (فان تابا) عما فعل من الفاحشة بسبب ما لقا

من زواج الاذية وقوارع التوبخ كما ينبغي عنه الفاء (وأصلها) أي أهملها (فأعرضوا عنهما) بقطع
 الاذية والتوبخ فإن التوبة والصالح مما يمنع استحقاق الذم والعقاب وقد جوز أن يكون الخطاب
 للشهود الواقفين على هاتهما أو رادبا ليدان ذمتهم وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الولاة وبالأعراض عنهم
 ترك التعرض لهم بالرفع اليهم قبل كانت عقوبة القر بقبين المذكورين في أوائل الاسلام على ما مر من
 التقصيل ثم نسخ بالحكم لما روى أن النبي عليه الصلاة والسلام قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن
 سبيلا النبي ترحم والبكر تجلد وقبل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا وكانت عقوبة الزناة مطلقا لا على
 الجنس ثم الجلد ثم الرجم وقد جوز أن يكون الامر بالجنس غير منسوخ بأن ترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب
 والسنة ويوصى بما سلكه في البيوت بعد اقامة الحد صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج
 من البيوت والتعرض للرجال ولا ينبغي أنه مما لا بد اعده النظم الكريم وقال أبو مسلم وقد عزاه الى مجاهد أن
 الاولى في الصحاح وهذه في التوامين وما في سورة النور في الزناة والزواني منسكبان المذكور في الاولى
 صيغة الاناث خاصة وفي الثانية صيغة الذكور ولا ضرورة الى المصير الى التغليب على أنه لا إمكان له في الاولى
 وبإياه الامر بإسناده الاربعه فانه غير معهود في الشرع فيما عدا الزنا (ان الله كان توابا) مبالغا في قبول
 التوبة (رحيما) واسع الرحمة وهو تلييل للامر بالأعراض (انما التوبة على الله) استئناف مسوق
 لبيان أن قبول التوبة من الله تعالى ليس على إطلاقه كما ينبغي عنه وصفه تعالى بكونه توابا رحيما بل هو
 مقيد بما ينطق به النص الكريم فقوله تعالى التوبة مبتدأ وقوله تعالى (للذين بعدوا سوء) خبره
 وقوله تعالى على الله متعلق بما يتعلق به الخبر من الاستقرار فإن تقديم الجواز والجرور على عامله المعنوي
 مما لا نزاع في جوازه وصحة هذا الطرف أو بمحذوف وقع حالا من ضمير المبتدأ المستكن فيما يتعلق به الخبر على
 رأي من جوز تقديم الحال على عاملها المعنوي عند كونها ظرفا أو حرف جر كما سبق في تفسير قوله تعالى
 والله على الناس حج البيت وأياما كان فعلى كون التوبة عليه سبحانه صدور القبول عنه تعالى وكلمة على
 للدلالة على التحقق البتة بحكم جرى العادة وسبق الوعد حتى كأنه من الواجبات عليه سبحانه وهذا مراد
 من قال كلمة على بمعنى من وقبل هي بمعنى عند وعن الحسن يعني التوبة التي يقبلها الله تعالى وقبل هي التوبة
 التي أوجب الله تعالى على نفسه بفضله قبولها وهذا يشير الى أن قوله تعالى على الله صفة للتوبة يتقدر
 منطلقه معرفة على رأي من جوز حذف الموصول مع بعض ملته أي انما التوبة الكائنة على الله والمراد
 بالسوء المهمة صغيرة كانت أو كبيرة وقبل الخبر على الله وقوله تعالى للذين متعلق بما يتعلق به الخبر أو
 بمحذوف وقع حالا من ضمير المستكن في متعلق الخبر وليس فيه ما في الوجه الاول من تقديم الحال على العامل
 المعنوي إلا أن الذي يقتضيه المقام ويستدعيه النظام هو الاول لما أن ما قبله من وصفه تعالى بكونه توابا
 رحيما انما يقتضي بيان اختصاص قبول التوبة منه تعالى بالمذكورين وذلك انما يكون بجعل قوله تعالى للذين
 الخ خبرا لا يرى الى قوله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات الخ فانه ناطق بما قلنا كأنه قبل انما
 التوبة لهؤلاء لا هؤلاء (بجهالة) متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يعملون أي يعملون سوءا ملتبسين بها
 أي جاهلين سفيها أو يعملون على أن الباطنية أي يعملونه بسبب الجهالة لأن ارتكاب الذنب مما يهديه الى
 الجهل وليس المراد به عدم العلم بكونه سوءا بل عدم التفكير في العاقبة كما يفعل الجاهل قال قتادة اجتمع
 أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فرأوا أن كل شيء عصى به ربه فهو جهالة عمد كان أو خطأ وعن مجاهد
 من عصى الله تعالى فهو جاهل حتى ينزع عن جهالة وقال الزجاج يعني بقوله بجهالة اختيارهم اللذة القانية
 على اللذة الباقية (ثم يوبون من قريب) أي من زمان قريب وهو ما قبل حضور الموت كما ينبغي عنه ما سياتي
 من قوله تعالى حتى اذا حضر أحدهم الموت الخ فانه مصرح في أن وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه
 التوبة فبقى ما رواه في حيز القبول وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبل أن ينزل به سلطان الموت وعن الفضال كل
 توبة قبل الموت فهو قريب وعن ابراهيم النخعي ما لم يؤخذ بكظمه وهو يجري النفس وروى أبو أيوب عن النبي
 صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يفرغ روحه من عطاءه ولو قبل موته بخواق ناقة وعن الحسن
 أن إبليس قال حين أهب الى الأرض وعزتك لأفارق ابن آدم ما دام روحه في جسده فقال تعالى وعزني

قوله بكظمه هو بالتحريك
 كما في القاموس اهـ

لا أغلق عليه باب التوبة ما لم يفرغ من تبعية أي يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمي ما بين وجود المعصية وبين حضور الموت زمانا قريبا في أي جزء من أجزاء هذا الزمان فهو نائب (فأولئك) إشارة إلى المذكورين من حيث انصافهم بما ذكر وما فيه من معنى البعد باعتبار كونهم بانقضاء ذكركم في حكم البعيد والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أول لكل أحد من يصلح للخطاب وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (يتوب الله عليهم) وما فيه من تكرير الاسناد لتقوية الحكم وهذا وعد بقبول توبتهم اثر بيان أن التوبة لهم والقائه للدلالة على سبيلها للقبول (وكان الله عليما حكما) مبالغة في العلم والحكمة فيبيّن أحكامه وأفعاله على أساس الحكمة والمصلحة والجملة اعتراضية مقترنة لتتميم ما قبلها وإظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار للاشعار بعلو الحكم فإن الألوهية منشأ لاتصافه تعالى بصفات الكمال (وليست التوبة للذين يعملون السيئات) تصريح بمافهم من قصر القبول على توبة من تاب من قريب وزيادة تعيين له بيان أن توبة من عداها بمنزلة العدم وجمع السيئات باعتبار تكرر وقوعها في الزمان المديد لا لأن المراد بها جميع أنواعها وبما مر من سوء نوع منها (حق) إذا حضر أحدكم الموت قال اني تبت الآن حتى حرف ابتداء والجملة الشرطية بعدها غاية لما قبلها أي ليس قبول التوبة للذين يعملون السيئات إلى حضور موتهم وقولهم حينئذ اني تبت الآن وذكر الآن لمزيد تعيين الوقت وإيثاره على تاب لاسقاط ذلك عن درجة الاعتبار والتعاضد عن تسميته توبة (ولا الذين يوتون وهم كفار) عطف على الموصول الذي قبله أي ليس قبول التوبة لهؤلاء ولا لهؤلاء وإنما ذكر هؤلاء مع أنه لا توبة لهم رأسا مبالغة في بيان عدم قبول توبة المستوفين وإيدانها بآثار وجودها كعدمها بل في تكرير حرف النفي في المعطوف اشعار بخفي يكون حال المستوفين في عدم استبعاد الجدوى أقوى من حال الذين يموتون على الكفر والمراد بالموصولين أما الكفار خاصة وأما الفساق وحدثهم وتسميتهم في الجملة الخالية كفارا للتغليب كما في قوله تعالى ومن كفر فإن الله غني عن العالمين وأما ما يسمي القريتين جميعا فالتسمية حينئذ للتغليب ويجوز أن يراد بالاول الفسقة وبالثاني الكفرة ففيه مبالغة أخرى (أولئك) إشارة إلى الفريقين وما فيه من معنى البعد لإيدان بترامي حالهم في الفطاعة وبعد منزلتهم في سوء وهو مبتدأ خبره (اعندنا لهم) أي هيأنا لهم (عدا بالأيما) تكرير الاسناد لما مر من تقوية الحكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لإظهار الاعتناء بكون العذاب معدا لهم وتشكير العذاب ووصفه للتخفيف الذاتي والوصفي (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها) كان الرجل إذا مات قريبه ياتي توبه على امرأته أو على خباتها ويقول ارث امرأته كما ارث ماله فيصير بذلك أحق بها من كل أحد ثم إن شاء تزوجها بلا صداق غير الصداق الاول وإن شاء تزوجها غيره وأخذ صداقها ولم يعطها منه شيئا وإن شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها وإن ذهبت المرأة إلى أهلها قبل القضاء الثوب فهي أحق بنفسها فتمنع ذلك وقبل لهم لا يحل لكم أن تأخذوهن بطريق الارث على زعمكم كما تحازا المواريت وهن كارهات لذلك أو مكراهات عليه وقيل كانوا يمسكونهن حتى يمتن ويرثوا منهن فقبل لهم لا يحل لكم ذلك وهن غير راضيات بما ساءكم وقرى لا تحل بالناء الفوقانية على أن ترثوا بمعنى الورثة وقرى كرها بضم الكاف وهي لغة كالضعف والضعف وكان الرجل إذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر وضيق عليها التفتدي منه بما لها وتحتل فقيل لهم (ولا تعضلوهن) عطف على ترثوا ولا تأكلن كيد النفي والخطاب للأزواج والعزل الحبس والتضييق ومنه عضلت المرأة بولدها إذا اختنقت رجها فخرج بعضه وبقي بعضه أي ولا أن تضيقوا عليهن (لتدعيوا بعض ما تنبوهن) أي من الصداق بأن يدفعن إليكم بعضه اضطرارا فتأخذوه منهن وأنتم لا تعرضن لفعلهن أي إذا ناكبوه بمنزلة العدم لصدوره عن اضطرار وانما عبر عن ذلك بالذهاب به لا بالأخذ ولا بالازهار للمبالغة في تضييعه ببيان تضمنه لامرين كل منهما محذور شنيع الأخذ والازهار منه لأنه عبارة عن الذهاب مستصعبا به (الأن يأتيين بفاحشة مبينة) على صيغة الفاعل من بين معنى تين وقرى على صيغة المفعول وعلى صيغة الفاعل من أيان بمعنى تين أي بينة القبح من التشويز وشكاسة الخلق وأيداء الزوج وأهله بالبداء واللاطفة وبعضه قراءة أي الآن يفعلن عليكم وقيل الفاحشة الزنا وهو استثناء من أعم الأحوال أو أعم الاوقات أو أعم العلل أي ولا يحل لكم عضلوهن في حال من الأحوال أو في

وقت من الاوقات أو لعله من العال الا في حال اتيانهن بفاحشة أو الا في وقت اتيانهن أو الا لا تيانهن بها
 فان السبب حينئذ يكون من جهتهن وأنتم معذورون في طلب الخلع (وعاشروهن بالمعروف) خطاب
 للذين يسيئون العشرة معهن والمعروف ما لا يشكره الشرع والمروة والمراد ههنا النصفة في الميث والنفقة
 والاحمال في المقال ونحو ذلك (فان كرهوهن) وسئمن محبتهم بمقتضى الطبيعة من غير أن يكون من قبلهن
 ما يوجب ذلك من الامور المذكرة فلا تشارقوهن بمجرد كراهة النفس واصبروا على معاشرتهن (فمسي أن
 تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) علة للجزاء أقيمت مقامه للايذان بقوة استلزامها اياه كأنه
 قيل فان كرهوهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه وعسى
 نأتم رافعة لما بعدها مستغنية عن تقدير الخير أي فقد قربت كراهتكم شيئا وجعل الله فيه خيرا كثيرا فان
 النفس ربما تكره ما هو أصلي في الدين وأجد عاقبة وأدنى الى الخير وتحب ما هو بخلافه فليكن تطركم الى ما فيه
 خير وصلاح دون ما تهوى أنفسكم وذكر الفعل الاول مع الاستغناء عنه وانحصار العلة في الثاني لا توسل
 الى تعميم مفعوله ليفيد أن ترتيب الخير الكثير من الله تعالى ليس مخصوصا بمكرهه دون مكروه بل هو سنة
 الهية جارية على الاطلاق حسب اقتضاء الحكمة وأن ما نحن فيه مادة من موادها وفيه من المبالغة في الجميل
 على ترك المضارقة وتعميم الارشاد ما لا يخفى وقرئ ويجعل مرفوعا على أنه خبر مبتدأ محذوف والجملة حالية
 تقديره وهو أي ذلك الشيء يجعل الله فيه خيرا كثيرا وقيل تقديره والله يجعل الله بوضع المظهر موضع المنعبر
 وتبين خير التفصيله الذاتي ووصفه بالكثرة لبيان غنائه الوصفية والمراد به ههنا الولد الصالح وقيل اللفة
 والمحبة (وان أردتم استبدال زوج) أي تزوج امرأة ترغبون فيها (مكان زوج) ترغبون عنها بأن تطلقوها
 (وأنتم احداهن) أي احدي الزوجات فان المراد بالزوج هو الجنس والجملة حالية بانتم اريدون ان تطلقوها
 الشرط أي وقد أنتم التي تريدون أن تطلقوها (فقطارا) أي مالا كثيرا (فلا تأخذوا منه) أي من ذلك
 القطار (شيئا) يسيرا فضلا عن الكثير (أناخذونه بهتانا وانما بيننا) استئناف مسوق لتقرير انتهى
 والتنفير عن المنهى عنه والاستفهام للانكار والتوبيخ أي أناخذونه باهتين وآتين أولاهن والاثم فان
 أحدهم كان اذا تزوج امرأة يمتح بها فاحشة حتى يلطم الى الاقتداء منه بما أعطاها ليعرفه الى تزوج
 الجديدة فهو راعن ذلك والبهتان الكذب الذي يمتح المكذوب عليه ويدهشه وقد يستعمل في الفعل الباطل
 ولذلك فسر ههنا بالظلم وقوله عز وجل (وكيف تأخذونه) انكار لاخذه اثر انكار وتنفير عنه غيب تنفير
 وقد بواغ فيه حيث وجه الانكار الى كيفية الاخذ اذ انابانه عما لا سبيل له الى التحقق والوقوع أصلا لان
 ما يدخل تحت الوجود لا بد أن يكون على حال من الاحوال فاذا لم يكن لشيء حال أصلا لم يكن له حظ من
 الوجود قطعا وقوله عز وجل (وقد أفضى بعضكم الى بعض) حال من فاعل تأخذونه مفيدة لتأكيده
 النكير وتقرير الاستبعاد أي على أي حال أو في أي حال تأخذونه والحال أنه قد جرى بينكم وبينهن أحوال
 منافية له من الخلوة وتقرير المهر وثبوت حق خدمتهن لكم وغير ذلك (وأخذن منكم ميثاقا غليظا) عطف على
 ما قبله داخل في حكمه أي أخذن منكم عهدا وثيقا وهو حق العصبة والمعاشرة أو ما أوفق الله تعالى عليهم في
 شأنهن بقوله تعالى فامسك بعروفي أو تسرع بأحسن أو ما أشار اليه النبي عليه الصلاة والسلام أخذتوهن
 بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى (ولا تنكحوا ما نكح آبؤكم) شروع في بيان من يحرم نكاحها
 من النساء ومن لا يحرم وانما خص هذا النكاح بالنهي ولم ينظم في ذلك نكاح المحرمات الا لتمييز مبالغة في النهي
 عنه حيث كانوا مصرين على تعاطيه قال ابن عباس وجهوا المفسرين كان أهل الجاهلية يتزوجون بأزواج
 آبائهم فهو راعن ذلك واسم الآباء ينظم الاجداد مجازا فتثبت حرمة ما نكحوها نساوا باجاءا ومستقل في اثبات
 هذه الحرمة نفس النكاح اذا كان محصيا وأما اذا كان فاسدا فلا بد في اثباتها من الوطء أو ما يجري مجراه من
 التقبيل والممس بشهوة ونحوهما بل هو المتيقن لها في الحقيقة حتى لو وقع شيء من ذلك بغيركم ملك اليقين أو
 بالوجه المحرم تثبت به الحرمة عندنا خلافا للشافعي في المحرم أي لا تنكحوا التي نكحها آبؤكم وإشارنا على من
 للذهاب الى الوصف وقيل ما صدرية على ارادة المفعول من المصدر (من النساء) بيان لما نكح على

الوجهين (الاما قد سلف) استثناء مما نكح مفيد للمبالغة في التصريح باخراج الكلام مخرج التعليق
 بالتحال على طريقة قوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * جهن فلول من قراع الكتائب
 والمعنى لا تنكحوا حلال آل آبائكم الا من ماتت منهن والمقصود سد طريق الاباحة بالكلية وتطهير قوله تعالى حتى
 يبلغ الجبل في سم الخياط وقيل هو استثناء مما يستلزمه النهي ويستوجبه مباشرة النهي عنه ~~ص~~ كأنه قيل
 لا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء فانه موجب للعقاب الا ما قدمضي فانه معفو عنه وقيل هو استثناء منقطع
 معناه لكن ما قد سلف لا واخذة عليه لأنه مقرر وبأياهما قوله تعالى (انه كان فاحشة ومقتنا) فانه تعليل
 للنهي وبيان لكون النهي عنه في غاية القبح مبغوضا أشد البغض وأنه لم يزل في حكم الله تعالى وعلمه موصوفا
 بذلك ما رخص فيه لامة من الامم فلا يلائم أن يوسط بينهما ما يهون أمره من ترك المأخذة على ما سلف منه
 (وسا سبيلا) في كلمة سا قولان أحدهما أنها جارية مجرى بشر في الذم والعمل ففيها شعير مبهم يفسره
 ما بعده والخصوص بالذم محذوف تقديره وسا سبيلا سبيل ذلك النكاح كقوله تعالى بشرب الشراب أي ذلك
 الماء وثانيهما أنها كسائر الافعال وفيها ضمير يعود الى ما عا د اليه ضميراته وسبيلا تمييز والجملة امام متأنفة
 لا محل لها من الاعراب أو معطوفة على خبر كان محكية بقول ضمير هو المعطوف في الحقيقة تقديره ومقولا
 في حقه سا سبيلا فان السنة الامم كافة لم تزل ناطقة بذلك في الاعصار والامصاره قيل مراتب القبح ثلاث
 القبح الشرعي والقبح العقلي والقبح العادي وقد وصف الله تعالى هذا النكاح بكل ذلك فقوله تعالى
 فاحشة مرتبة قبحه العقلي وقوله تعالى ومقام مرتبة قبحه الشرعي وقوله تعالى وسا سبيلا مرتبة قبحه
 العادي وما اجتمع فيه هذه المراتب فقد بلغ أقصى مراتب القبح (حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم
 وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت) ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن
 وما يقصد به من القبح جهن وبيان امتناع ورود ملك النكاح عليهن وانقضاء محليتهن له رأسا وأما حرمة القبح جهن
 بملك العين في المواد التي تصورها قرار الملك كافي بعض المعطوفات على تقدير رقهن فثابتة بدلالة النص لا اتحاد
 المدار الذي هو عدم تحلية أبعاضهن للملك لا بعبارة بشهادة سباق النظم الكريم وسياقه وانما لم يوجب
 المدار المذكور امتناع ورود ملك العين عليهن رأسا ولا حرمة سببه الذي هو العقد أو ما يجري مجراه كما أوجب
 حرمة عقد النكاح وامتناع ورود حكمه عليهن لأن مورد ملك العين ليس هو البضع الذي هو مورد ملك النكاح
 حتى يفوت بفوات محليته له كملك النكاح فانه حيث كان مورده ذلك فوات بفوات محليته له قطعا وانما ورد
 الرقبة الموجودة في كل رقيق فيتحقق بمحله ختم ثم يزول بوقوع العتق في المواد التي سبب حرمتها محض
 القرابة النسبية كالمذكورات ويبقى في البواقي على حاله مستقيا لجميع أحكامه المقصودة منه شرعا وأما
 حل الوط فليس من تلك الاحكام فلا ضير في تحلقه عنه كما في الجوسية والامتهات تم الجسديات وان علون
 والبنات تتناول بناتهن وان سفلن والاخوات يتنظمن الاخوات من الجهات الثلاث وكذا الباقيات والعمه
 كل انثى ولدها من ولد والدك والحالة كل انثى ولدها من ولد والدك قريبا أو بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت
 تتناول القربى والبعدي (وامهاتكم اللائي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرضاعة) نزل الله تعالى الرضاعة
 منزلة النسب حتى سمي المرضعة أمًا للرضيع والمرضاة اخنا وكذلك زوج المرضعة أبوه وأبواه جدها وأخته عمته
 وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته وأخواته لا ييه وأُم المرضعة جدته وأختها خالته
 وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته وأخواته لا ييه وأُمته ومن ولد لها من غيرهم فهم اخوته وأخواته لا ييه
 ومنه قوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وهو حكم كلي سار على عمومه وأما أم أخيه لا ييه
 وأخت ابنه لا أم وأم ابنه وأم عمه وأم خاله لا ييه فليست حرمتهم من جهة النسب حتى يحل بعمومه ضرورة
 خلوهم في صور الرضاع بل من جهة المصاهرة ألا يرى أن الاولى موطوءة أبيه والثانية بنت موطوءة والثالثة
 أم موطوءة والرابعة موطوءة جده العصيم والخامسة موطوءة جده الفاسد (وامهات نساءكم)
 شروع في بيان المحرمات من جهة المصاهرة أثر بيان المحرمات من جهة الرضاعة التي لها الحمة كلمة النسب
 والمراد بالنساء المنكوحات على الاطلاق سواء كن مدخولات أو لا وعليه جمهور العلماء وروى عن النبي
 عليه الصلاة والسلام أنه قال في رجل تزوج امرأة ثم طلقها قبل أن يدخل بها أنه لا بأس بأن يتزوج ابنتها

ولا يحل له أن يتزوج أمتها وعن عمر وعمران بن الحصين رضي الله عنهما أن الائم تحرم بنفس العقد وعن مسروق
 هي مرسلة فأرسلوا ما أرسل الله وعن ابن عباس أمهم وما أمهم الله خلا أنه روى عنه وعن علي وزيد وابن عمر
 وابن الزبير رضي الله عنهم أنهم قرؤا وأتته نساءكم الملاقى دخلتم بهن وعن جابر روايتان وعن سعيد
 ابن المسيب عن زيد أنه إذا مات عند فخذ ميراثها كره أن يخلف على أمتها وإذا أطلقها قبل أن يدخل بها
 فإن شاء فعل أقام الموت في ذلك مقام الدخول كما قام مقامه في باب المهر والعدة ويلحق بهن الموطوءات بوجه
 من الوجوه المعدودة فيما سبق والمسوسات ونظائرهن والائمهات ثم المرضعات كما تم الجذات حسبا ذكر
 (وربا يسكنم اللاتي في حجوركم) الربائب جمع ربيبة فعيل بمعنى مفعول والتاء للنقل الى اللاحمية والريب ولد
 المرأة من آخر سمى به لانه ير به غالبا كما ير ولداه وان لم يكن ذلك أمرا مطردا وهو المعنى بكونهن في الحجور فاق
 شأنهن الغالب المعتاد أن يكن في حضانه أمتها هن تحت حامية أزواجهن لا كونهن كذلك بالفعل وفائدة
 وصفهن بذلك تقوية علة الحرمة وتكميلها كما أنها النسك في إيرادهن باسم الربائب دون بنات النساء فإن
 كونهن بصدد احتضانهم لهن وفي شرف القلب في حجورهم وتحت حايتهن وتربيتهم مما يقوى الملازمة والشبه
 بينهن وبين أولادهم ويستدعي اجراءهن مجرى بناتهن لا تقييد الحرمة بكونهن في حجورهم بالفعل كما روى
 عن علي رضي الله عنه وبه أخذ داود ومذهب جمهور العلماء ما ذكرنا ولا يخلاف ما في قوله تعالى (من نساءكم
 اللاتي دخلتم بهن) فانه لتقيدها به قطعاً فإن كلمة من متعلقة بمحذوف وقع حالا من ربا يسكنكم أو من ضميرها
 المستكن في الطرف لانه لما وقع صلة تحمل ضميرا أي وربا يسكنم اللاتي استقررن في حجوركم ككائنات
 من نساءكم الخ ولا مساع لمعه لانه حالا من أمتها أو مما أضيفت هي اليه خاصة وهو بين لاسترة به ولا مع ما ذكر
 أو لضرورة أن حالته من ربا يسكنكم أو من ضميرها تقتضي كون كلمة من ابتدائية وحالته من أمتها أو من
 نساءكم تستدعي كونها يائية وادعاء كونها اتصالية منتظمة لمعنى الابتداء والبيان أو جعل الموصول صفة
 للنساء من مع اختلاف عاملهما مما يجب تنزيهه ساحة التزليل عن أمثاله مع أنه سعى في اسكات ما نطق به النبي عليه
 الصلاة والسلام واتفق عليه الجمهور حسبا ذكر فيما قبل وأما ما نقل من القراءة فضعيفة الرواية وعلى تقدير
 الصحة محمولة على النسخ ومعنى الدخول بهن إذا خالهن السرو الباء للتعدية وهي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها
 وشرب عليها الحجاب وفي حكمه اللبس ونظائرهما (فان لم تكونوا) أي فيما قبل (دخلتم بهن) أصلا
 (فلا جناح عليكم) أي في نكاح الربائب وهو تصريح بما أشعر به ما قبله والقاء الاولى لترتيب ما بعدها على
 ما قبلها فإن بيان حكم الدخول مستتبع لبيان حكم عدمه (وحلائل أبنائكم) أي زوجاتهم معيت الزوجة
 حليلة لخلها الزوج أو لخلولها في محله وقبل حل كل منهما إذا رز صاحبه وفي حكمهن من نساءكم ومن يجزين
 مجراهن من المسوسات ونظائرهن وقوله تعالى (الذين من أصلا بكم) لإخراج الادعاء دون أبناء الاولاد
 والابناء من الرضاع فانهم وان سفلوا في حكم الابناء الصلبية (وأن تجمعوا بين الاختين) في حيز الرفع
 عطفاً على ما قبله من المحرمات والمراد به جمعهم في النكاح لا في ملك اليدين وأما جمعهم في الوطء بملك اليدين
 فلحق به بطريق الدلالة لاتحادهما في المدار وقوله عليه الصلاة والسلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
 فلا يجتمع من ماء في رحم أختين بخلاف نفس ملك اليدين فانه ليس في معنى النكاح في الافضاء الى الوطء
 ولا مستلزما له ولذلك يصح شراء الجوسية دون نكاحها حتى لو وطئها لا يحل له وطء احداها حتى يحرم عليه
 وطء الاخرى بسبب من الاسباب وكذا لو تزوج أخت أمته الموطوءة لا يحل له وطء احداها حتى يحرم عليه
 الاخرى لان المنكوحة موطوءة حكما فكأنه جمعها وطأ واسناد الحرمة الى جمعهما لا الى الثانية منهما بان
 يقال وأخوات نساءكم للاحتراز عن افادة الحرمة المؤبدة كما في المحرمات السابقة ولكونه بمنزل من الدلالة
 على حرمة الجمع بينهما على سبيل المعية ويشترك في هذا الحكم الجمع بين المرأة وعمتها ونظائرهما فان مدار حرمة الجمع
 بين الاختين افضاؤه الى قطع ما أمر الله بوصله وذلك بتحقيق الجمع بين هؤلاء بل أولى فان العمة والخالة بمنزلة
 الائم فقوله عليه السلام لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ولا على ابنة أخيها ولا على ابنة أختها من قبل
 بيان التفسير لا بيان التغير وقيل هو مشهور يجوز به الزيادة على الكتاب (الا ما قد سلف) استثناء منقطع
 أي لكن ما قد مضى لا تؤخذون به ولا سبيل الى جعله متصلا بقصد التأكيد والمبالغة كما مر فيما سلف لان قوله

تعالى (إِنَّ اللَّهَ كَانَ قَفُورًا رَحِيمًا) تعليل لما أفاده الاستثناء فيجوز الانتطاع وقال عطاء والسدي معناه
 إلا ما كان من يعقوب عليه السلام فإنه قد جمع بين ليا أم يهوذا وبين راحيل أم يوسف عليه الصلاة والسلام
 ولا يساعده التعليل لأن ما فعله يعقوب عليه السلام كان حلالا في شريعته وقال ابن عباس رضى الله عنهما
 كان أهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله تعالى إلا امرأة الأب والجمع بين الاختين وروى هشام بن عبد الله عن
 محمد بن الحسن أنه قال كان أهل الجاهلية يعرفون هذه المحرمات الا اثنتين نكاح امرأة الأب والجمع بين الاختين
 ألا يرى أنه قد عقب النهي عن كل منهما بما يقوله تعالى إلا ما قد سلف وهذا يشير إلى كون الاستثناء في جماعه على سنن
 واحد وبأبواب اختلاف التعليلين (والمحصنات) بفتح الصاد وهن ذوات الأزواج أحصنهن التزوج أو الأزواج
 أو الأولياء أى أعفهن عن الوقوع في الحرام وقرئ على صيغة اسم الفاعل فانهن أحصن فروجهن عن غير
 أزواجهن أو أحصن أزواجهن وقبل الصيغة للفاعل على القراءة الأولى أيضا وفتح الصاد محمول على الشذوذ
 كما في نظريه ملقح ومسهب من ألحق وأسهب قيل قد ورد الاحصان في القرآن بأزاء أربعة معان الأول التزوج
 كما في هذه الآية الكريمة الثانية العفة كما في قوله تعالى محصنين غير مسافحين الثالث الحرية كما في قوله تعالى
 ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات والرابع الاسلام كما في قوله تعالى فإذا أحصن قيل في تفسيره
 أى أسان وهو معطوفة على المحرمات السابقة وقوله تعالى (من النساء) متعلق بمحذوف وقع حال منها
 أى كائنات من النساء وقائده تأكيدها لادفع توهم شعولها للرجال بناء على كونها موصفة للانفس
 كما توهم (إلا ما ملكت أيمانكم) استثناء من المحصنات استثناء النوع من الجنس أى ملكته واسناد
 الملك إلى الأيمان لما أن سببه الغالب هو الصفقة الواقعة بها وقد اشتر ذلك في الارتفاع لاسيما في اناتهم
 وهن المرادات ههنا رعاية للمقابلة بينه وبين ملك النكاح الوارد على الحرائر والتعبير عنهن بما لا سقاطهن
 بما فيه من قصور الرق عن رتبة العقلاء وهى اتمامة حسب عموم صلتها فالاستثناء حينئذ ليس لأخراج جميع
 أفرادها من حكم التصريم بطريق شمول النفي بل بطريق نفي الشمول المستلزم لأخراج بعضها أى حرمت
 عليكم المحصنات على الإطلاق إلا المحصنات اللاتي ملكتهن فانهن لسن من المحرمات على الإطلاق بل فيهن
 من لا يحرم نكاحهن في الجله وهن المسيبات بغير أزواجهن أو مطلقا حسب اختلاف الرأيين وأما خاصة
 بالذكورات فالمرضى حرمت عليكم المحصنات إلا اللاتي سمين فان نكاحهن مشروع في الجمله أى لغير
 ملاكهن وأما ملكتهم بحكم ملك اليمين فمفهوم بدلالة النص لاتحاد المناط لا بعبارة لما عرفت من أن مساق
 النظم الكريم لبيان حرمة التمتع بالمحرمات المعدودة بحكم ملك النكاح وانما ثبت حرمة التمتع بهن بحكم
 ملك اليمين بطريق دلالة النص وذلك مما لا يجرى فيه الاستثناء قطعا وأما عدهن من ذوات الأزواج مع تحقق
 الفرقة بينهما وبين أزواجهن قطعاً بالتباين أو بالسبي على اختلاف الرأيين فبني على اعتقاد الناس حيث
 كانوا حينئذ غافلين عن الفرقة ألا يرى إلى ما روى عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه من أنه قال أصبنا
 يوم أو طاس سببا لهن أزواج فكرهنا أن تقع عليهن فأسأنا النبي عليه السلام وفي رواية عنه قلنا يا رسول الله
 كيف تقع على نساء قد عرفنا أنسبهن وأزواجهن قتلن والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم
 فاستحللناهن وفي رواية أخرى عنه ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا لا توطأ حامل حتى
 تضع ولا حائل حتى تحيض فأباح وطأهن بعد الاستبراء وليس في ترتيب هذا الحكم على نزول الآية
 الكريمة ما يدل على كونها مسوقة له فان ذلك انما يتوقف على أفادته له بوجه من وجوه الدلالة
 لا على أفادته بطريق العبارة أو نحوها هذا وقد روى عن أبي سعيد رضى الله عنه أنه قال انما نزلت
 في نساء كن يهاجرن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن أزواج فيتزوجهن بعض المسلمين ثم يقدم أزواجهن
 مهاجرين فنهي عن نكاحهن فالمحصنات حينئذ عبارة عن مهاجرات يتحقق أو يتوقع من أزواجهن الاسلام
 والمهاجرة ولذلك لم يزل عنهن اسم الاحصان والنهي لتصريم المحقق وتعريف حال المتوقع والافاء عادهن
 بعزل من الحرمة واستحقاق إطلاق الاسم عليهن وكيف لا وحين انقطعت العلاقة بين الملية وزوجها
 مع اتحادهما في الدين فلا تنقطع ما بين المهاجرة وزوجها أحق وأولى كما يفهم عنه قوله عز وجل فان
 علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لانهن حل لهن ولا هم يحلون لهن الآية (كتاب الله)

مصدر مؤ كد أي كتب الله (عليكم) تحريم هؤلاء كتابا وفرضه فرضا وقيل منصوب على الاغراء بفعل
 مضمر أي الزموا كتاب الله وعليكم متعلق اتما بالمصدر واتما بحذف وقع حالاً منه وقيل هو اغراء آخر مؤ كد
 لما قبله قد حذف مفعوله دلالة المذكور عليه أو بنفس عليكم على رأى من جوزه تقديم المنصوب في باب الاغراء
 كما في قوله يا أيها الناس دلوى دونكا * انى رأيت الناس يمدونك وقرئ ~~كتب~~ الله بالجمع والرفع
 أي هذه فرائض الله عليكم وقرئ كتب الله بلفظ الفعل (وأحسد لكم) عطف على حرمت عليكم الخ
 ونوسيط قوله تعالى كتاب الله عليكم بينهم ما للبالغة في الحمل على المحافظة على المحرمات المذكورة وقرئ
 على صيغة المبني للفاعل فيكون معطوفاً على الفعل المقدر وقيل بل على حرمت الخ فانها جملتان متقابلتان
 مؤسسيتان التحريم والتحليل المنوطان بأمر الله تعالى ولا ضير في اختلاف المسند اليه بحسب الظاهر لا سيما
 بعدما ~~كدت~~ الأولى بما يدل على أن المحرم هو الله تعالى (ما وراء ذلكم) إشارة إلى ما ذكر من المحرمات
 المعدودة أي أحل لكم نكاح ما سواهن انفراداً وجمعاً واحداً إشاراً اسم الإشارة المتعرض لوصف المشار
 اليه وعنوانه على الضمير المتعرض للذات فقط لتذكير ما في كل واحدة منهن من العنوان الذي عليه يدور
~~حكم~~ الحرمة فيفهم مشاركة من في معناهن لهن فيها بطريق الدلالة فان حرمة الجمع بين المرأة وعمتها وبينها
 وبين خالتها ليست بطريق العبارة بل بطريق الدلالة كما سلف وقيل ليس المراد بالاحلال مطلقاً أي
 على جميع الاحوال حتى يرد أنه يلزم منه حل الجمع بين المرأة وعمتها وبينها وبين خالتها بل انما هو احلالهن في الجملة
 أي على بعض الاحوال ولا ريب في حل نكاحهن بطريق الانفراد ولا يقدح في ذلك حرمة بطريق الجمع
 ألا يرى أن حرمة نكاح المعتدة والمطافاة ثلاثاً والخامسة ونكاح الامة على الحرمة ونكاح الملاعة لا تنقذ
 في حل نكاحهن بعد المدة وبعد التحليل وبعد تطليق الرابعة وانقضاء العدة وبعد تطليق الحرمة وبعد اذ كذاب
 الملاعن نفسه وأنت خبير بأن الحل يجب أن يتعلق ههنا بما يتعلق به الحرمة فيما سلف وقد تعلق هناك بالجمع
 فلا بد أن يتعلق الحل ههنا به أيضاً (ان يتبعوا) متعلق بالفعل المذكورين على أنه مفعول له لكن
 لا باعتبار ذاته جابل باعتبار بيانها واطهارها أي بين لكم تحريم المحرمات المعدودة واحلال ما سواهن ارادة
 أن يتبعوا يأموالكم والمفعول محذوف أي يتبعوا النساء أو متروك أي تفعلوا الابتغاء (بأموالكم) بصرفها
 إلى مهورهن أو بدل اشتغال بما وراء ذلكم بتقدير ضمير المفعول (محصنين) حال من فاعل يتبعوا والاحصان
 العفة وتحصين النفس عن الوقوع فيما يوجب اللوم والعقاب (غير مسافحين) حال ثانية منه أو حال من الضمير
 في محصنين والسفاح الزنا والتجور من السفح الذي هو صب المني سمي به لأنه القرض منه ومفعول الفعلين
 محذوف أي محصنين فروجكم غير مسافحين الزواني وهي في الحقيقة حال مؤسدة لأن المحصن غير مسافح
 البتة وما في قوله تعالى (فما استمتعتم به منهن) أما عبارة عن النساء أو عما يتعلق بهن من الافعال وعلى
 التقديرين فهي اما شرطية ما بعدها شرطها واما موصولة ما بعدها ملتها وأياً ما كان فهي مبتدأ خبرها على
 تقدير كونها شرطية اما فعل الشرط أو جوابه أو كلاهما على الخلاف المعروف وعلى تقدير كونها موصولة
 قوله تعالى (فأتوهن أجورهن) والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط ثم على تقدير كونها عبارة عن النساء
 فالعائد إلى المبتدأ هو الضمير المنصوب في فأتوهن سواء كانت شرطية أو موصولة ومن يائية أو تبعيضية
 محلها النصب على الحالية من الضمير المحرور في به والمعنى فأى فردا استمتعتم به أو فالفرد الذي استمتعتم به
 حال كونه من جنس النساء أو بعضهن فأتوهن أجورهن وقد روي تارة جانب اللفظ فأفرد الضمير
 أولاً وأخرى جانب المعنى فجمع ثانياً وثالثاً وأما على تقدير كونها عبارة عما يتعلق بهن من ابتدائية
 متعاقبة بالاستمتاع والعائد إلى المبتدأ محذوف والمعنى أى فعل استمتعتم به من جهتهن من نكاح أو خلوة
 أو نحوهما أو قال فعل الذي استمتعتم به من قبلهن من الافعال المذكورة فأتوهن أجورهن لاجل
 أو جواز بلته والمراد بالاجور المهور فانها أجوراً أيضاً حسن (فريضة) حال من الاجور بمعنى مفروضة
 أو نعت مصدر محذوف أي ايتاء مفروضاً أو مصدر مؤسدة أي فرض ذلك فريضة أي لهن عليكم (ولا جناح
 عليكم فيما تراضيتن به) أي لا اثم عليكم فيما تراضيتن به من الخط عن المهر والابراء منه على طريقة
 قوله تعالى فان طلقن لكم عن شيء من نفسه فسا فكلوه اتر قوله تعالى وآتوا النساء صدقاتهن وقوله تعالى

إلا أن يعفون وتعميمه للزيادة على المسمى لا يساعده رفع الجناح عن الرجال لانها ليست مظنة الجناح الا أن
 يجعل الخطاب للازواج تقليبات أخذ الزيادة على المسمى مظنة الجناح على الزوجة وقيل فيما تراضيتم به
 من نفقة ونحوها وقيل من مقام أو فراق ولا يساعده قوله تعالى (من بعد القرينة) اذ لا تعلق اهما بالقرينة
 الا أن يكون الفراق بطريق الخالعة وقيل نزلت في المتعة التي هي النكاح الى وقت معلوم من يوم أو أكثر سميت
 بذلك لان الغرض منها مجرد الاستمتاع بالمرأة واستمتاعها بما يعطى وقد أبحث ثلاثة أيام حين فحنت مكة
 شرفها الله تعالى ثم سمعت لما روى أنه عليه السلام أباحها ثم أصبح يقول يا أيها الناس اني كنت أهرتك
 بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيامة وقيل أبيع مرتين وحرم مرتين وروى عن ابن
 عباس رضي الله عنهما أن مرجع عن القول بجوازها عند موته وقال اللهم اني أتوب اليك من قول بالمتعة وقول
 في الصرف (ان الله كان عليما) بمصالح العباد (حكيميا) فيما شرع لهم من الاحكام ولذلك شرع لكم هذه الاحكام
 الثلاثة بحالكم (ومن لم يستطع منكم) من اتمام شرطية ما بعدها شرطها أو موصولة ما بعدها حاصلتها والظرف
 متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يستطع أي حال صكونه منكم وقوله تعالى (طولا) أي غنى وسعة
 أو اعتلاء ونيل وأصله الزيادة والفضل مفعول يستطع وقوله عز وجل (أن ينكح المحصنات المؤمنات)
 اتمام مفعول صريح لطولا فان اعمال المصدر المنون شائع ذائع كافي قوله تعالى أو اطعام في يوم ذي مسغبة
 يتماذا مقربة كما أنه قيل ومن لم يستطع منكم أن ينال نكاحهن وأما تقدير حرف الجزأى ومن لم يستطع
 منكم غنى الى نكاحهن أو لنكاحهن فالجواز في محل النصب صفة لطولا أي طولا موصلا اليه أو كانه له أو على
 نكاحهن على أن الطول بمعنى القدرة في القاموس الطول والطائل والطائفة والفضل والقدرة والغنى والسعة
 ومحل أن بعد حذف الجواز نصب عند سيبويه والفراء وجزء عند الكسائي والاختفاء وأما بدل من طولا لان
 الطول فضل والنكاح قدرة وتمام مفعول يستطع وطولا مصدر مؤكده لانه بمعنى اذ الاستطاعة هي الطول
 أو تميز أي ومن لم يستطع منكم نكاحهن استطاعة أو من جهة الطول والغنى أي لا من جهة الطبيعة والمزاج
 فان عدم الاستطاعة من تلك الجهة لا تعلق له بالمقام والمراد بالمحصنات الحررات بدليل مقابلتهن بالمملوكات
 فان حرتهن أحصنهن عن ذل الرق والابتذال وغيرهما من صفات القصور والنقصان وقوله عز وجل
 (فما ملكت أيمانكم) أما جواب للشرط أو خبر للموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط والجواز متعلق
 بفعل مقدر حذف مفعوله وما موصولة أي فليكن امرأه أو أمة من النوع الذي ملكت أيمانكم وهو
 في الحقيقة متعلق بمحذوف وقع صفة لذلك المفعول المحذوف ومن تعيضية أي فليكن امرأه كائنته من ذلك
 النوع وقيل من زائدة والموصول مفعول للفعل المقدر أي فليكن ما ملكت أيمانكم وقوله تعالى
 (من قياتكم المؤمنات) في محل النصب على الحالية من الضمير المقدر في ملكك الراجع الى ما وقيل
 هو المفعول للفعل المقدر على زيادة من ومما ملكت متعلق بنفس الفعل ومن لا بداء الفاية أو بمحذوف وقع
 حالا من قياتكم ومن للتبعيض أي فليكن قياتكم كائنت بعض ما ملكت أيمانكم والمؤمنات صفة
 لقياتكم على كل تقدير وقيل هو المفعول للفعل المقدر ومما ملكت على ما تقدم أنفا ومن قياتكم حال
 من العائد المحذوف وظاهر النظم الكريم يفيد عدم جواز نكاح الأمة للمستطيع كما ذهب اليه الشافعي رحمه
 الله تعالى وعدم جواز نكاح الأمة الكتابية أصلا كما هو رأي أهل الجواز وقد جوزها أبو حنيفة رحمه الله تعالى
 متسكنا بالعمومات فجعل الشرط والوصف هو الافضية ولا نزاع فيها لاحد وقد روى عن ابن عباس رضي الله
 عنهما أنه قال وما وسع الله على هذه الأمة نكاح الأمة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وقوله تعالى
 (والله أعلم بأيمانكم) بوجه معترضه جي بها لتأنيدهم بنكاح الاماء واستتزالهم من رتبة الاستنكاف منه بيان
 أن مناط التفاضل ومدار التفاضل هو الايمان دون الاحساب والانساب على ما نطق به قوله عز قائل يا أيها
 الناس انا خلقناكم من ذكروا نثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم والمعنى أنه
 تعالى أعلم منكم بمراتبكم في الايمان الذي به تنظم أحوال العباد وعليه يدور فلك المصالح في المعاش والمعاد
 ولا تعلق له بخصوص الحزبية والرقى قرب أمة يفوق ايمانها ايمان الحر أو وقوله تعالى (بعضكم من بعض) ان
 لا يدينه الاتصال من حيث الدين فهو بيان لتناسبهم من تلك الحيثية انريان تفاوتهم في ذلك وان أريد به الاتصال

من حيث النسب فهو استراض آخر مؤسك للتأنيس من جهة أخرى والخطاب في الموضوعين أما أن كان
 في الخطاب الذي يعقبه قدر وعي فيما سبق جانب اللفظ وههنا جانب المعنى والالتفات للاهتمام بالترغيب
 والتأنيس وأما لغيرهم من المسلمين كخطابات السابقة لحصول الترغيب بخطابهم أيضا وأيا ما كان قاعدة الأمر
 بالنكاح على وجه الخطاب في قوله تعالى (فانكحوهن) مع انقضاءه من قوله تعالى فما ملكت أيمانكم
 جسيما ذكر زيادة الترغيب في نكاحهن وتقييده بقوله تعالى (باذن ألهن) وتصديره بالفاء للإيذان بترتب
 على ما قبله أي واذ قد وقفتم على جلية الأمر فانكحوهن باذن مواليهن ولا ترفعوا عنهن وفي اشتراط اذن الموالي
 دون مباشرتهم للعدا اشعار بجواز مباشرتهن له (وأتوهن أجورهن) أي مهورهن (بالمعروف) متعلق
 بآتوهن أي آذنوا اليهن مهورهن بغير مطلق وضربا والجماء الى الانقضاء والازجسيما يقتضيه الشرع والعادة
 ومن ضرورته أن يكون الاداء اليهن باذن الموالي فيكون ذكر ايمانهم لبيان جواز الاداء اليهن لا لكون المهور
 لهم وقيل أصله آتوا مواليهن فحذف المضاف وأوصل الفعل الى المضاف اليه (محصنات) حال من مفعول
 فانكحوهن أي حال كونهن عفاف عن الزنا (غير مسافحات) حال مؤسكة أي غير مجاهرات به
 (ولا متخذات أخدان) عطف على مسافحات ولاتأ كيد ما في غير من معنى النبي والخدن صاحب قال أبو زيد
 الاخدان الا صدقا على الفاحشة والواحد خدن وخدين والجمع للمقابلة بالانقسام على معنى أن لا يكون
 لواحدة منهن خدن لا على معنى أن لا يكون لهما أخدان أي غير مجاهرات بالزنا ولا مسرات له وكان الزنا
 في الجاهلية منقسم الى هذين القسمين (فاذا أحصن) أي بالتزويج وقرئ على البناء للفعل أي أحصن
 فروجهن أو أزواجهن (فان أنين بفاحشة) أي فعلن فاحشة وهي الزنا (فعلهن) فنسبت عليهن شرعا
 (نصف ما على المحصنات) أي الحريرات البكار (من العذاب) من الحد الذي هو جلد مائة فخصه بخسون
 كما هو كذلك قبل الاحصان فالمراد بيان عدم تفاوت حدتهن بالاحصان كتفاوت حد الحريرات فالفاء في فان
 أتين جواب اذا والثانية جواب ان فالشرط الثاني مع جوابه مترتب على وجود الاول كما في قولك اذا أتيتني
 فان لم أك بمك فعبدى حر (ذلك) أي نكاح الاماء (لمن خشى العنت منكم) أي لمن خاف وقوعه
 في الاثم الذي تؤدى اليه غلبة الشهوة وأصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعمل لكل مشقة وضرر يعثر
 الانسان بعد صلاح حاله ولا ضرر أعظم من موافقة الماسم بارتكاب أخف القبايح وقيل أريد به الحد لانه
 اذا هو به ياتخشى أن يواقعها فيحد والاول هو اللائق بحال المؤمن دون الثاني لايهامه أن الحدور عنده الحد
 لا ما يوجب (وأن تصبروا) أي عن نكاحهن متعففين كافين أنفسكم عما تشتهيه من المعاصي (خير لكم)
 من نكاحهن وان سبقت كلمة الرخصة فيه لما فيه من تعريض الولد للرق قال عمر رضي الله عنه ايمما حر
 تزوج بأمة فقد أرق نصفه وقال سعيد بن جبيرة ما نكاح الامة من الزنا الا قريب ولأن حق المولى فيها أقوى
 فلا تخلص للزوج خلوص الحريرات ولأن المولى يقدر على استخدامها كيفما يريد في السفر والحضر وعلى بيعها
 للضرر والبيادى وفيه من اختلال حال الزوج وأولاده ما لا مز يد عليه ولانها عتنة مبتدلة خزانة ولاجة
 وذلك كله ذل ومهانة سارية الى الناس كهي وانعزة هي اللاتقة بالمؤمنين ولأن مهرها المولاها فلا تقدر على
 التمتع به ولا على هبته للزوج فلا ينظم أمر المنزل وقد قال عليه السلام الحريرات صلاح البيت والاماء هلاك
 البيت (والله غفور) مبائع في المغفرة فيعقر لمن لم يصبر عن نكاحهن ما في ذلك من الامور المنافية لحال
 المؤمنين (رحيم) مبائع في الرحمة ولذلك رخص لكم في نكاحهن (يريد الله لين لكم) استئناف
 مسوق لتقرير ما سبق من الاحكام وبيان كونها جارية على مناهج المهتدين من الانبياء والصالحين قبل أصل
 النظم الكريم يريد الله أن يبين لكم فزيت اللام لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة ومفعول يبين
 محذوف ثقة بشهادة السياق والسياق أي يريد الله أن يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وأفاضل
 أعمالكم أو ما تعبدكم به من الحلال والحرام وقيل مفعول يريد محذوف تقديره يريد الله تشريع ما شرع من
 التحريم والتحليل لاجل التبيين لكم وهذا مذهب البصريين ويعزى الى سيبويه وقيل ان اللام بنفسها ناصبة
 للفعل من غير افعال أن وهي وما بعدها مفعول للفعل المتقدم فان اللام قد تقام مقام أن في فعل الارادة والامر
 فيقال أردت لاذهب وأن أذهب وأمرتك لتقوم وأن تقوم قال تعالى يريدون ليطفئوا نورا وفي موضع يريدون

أن يطفئوا وقال تعالى وأمرنا النسل وفي موضع وأمرت أن أسلم وفي آخر وأمرت لأعدل بينكم أي أن
 أعدل بينكم وهذا مذهب الكوفيين ومنه البصريون وقالوا إن وظيفة اللام هي الجزاء والنصب فيما قالوا
 بإضمار أن أي أمرنا بما أمرنا بالنسب ويريدون ما يريدون ليطفئوا وقيل يقول الفعل الذي قبل اللام يصدر
 من فروع بالابتداء ويجعل ما بعده خبرا له كما في تسع بالمعدي خير من أن تراءى أي أن نسجع به ويعزى هذا الرأي
 إلى بعض البصريين (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) من الأنبياء والصلحين لتقتدوا بهم (وينوب عليكم)
 إذا تيمم إليه تعالى عما يقع منكم من التقصير والتفريط في مراعاة ما كلفتموه من الشرائع فإن المكلف فلما يخلو
 من تقصير يستدعي تلافيه بالتوبة ويغفر لكم ذنوبكم أو يرشدكم إلى ما يردعكم عن المعاصي ويحكمكم على
 التوبة أو إلى ما يكون كفارة لذنوبكم وليس الخطاب لجميع المكلفين حتى يختلف مراده تعالى عن إرادته
 فين لم ييب منهم بل لطائفة معينة حصلت لهم هذه التوبة (واقطع عليهم) مبالغ في العلم بالاشياء التي من جملتها
 ما شرع لكم من الأحكام (حكيم) مراعى في جميع أفعاله الحكمة والمصلحة (والله يريد أن ينوب
 عليكم) جملة مبتدأة مسوقة لبيان كمال منفعة ما أَرَادَهُ اللهُ تعالى وكال منسرة ما يريد القبرة لالبيان إرادته
 تعالى لتوبته عليهم حتى يكون من باب التكرير للتقرير ولذلك غير الأسلوب إلى الجملة الاسمية دلالة على دوام
 الإرادة ولم يفعل ذلك في قوله تعالى (ويريد الذين يتبعون الشهوات) للإشارة إلى الحدوث وللإيماء إلى كمال
 المباينة بين مضموني الجملتين كما مر في قوله تعالى الله ولي الذين آمنوا الآية والمراد بتبعية الشهوات القبرة
 فإن اتباعها الإثماني وأما المتعاطى لما سوغه الشرع من المشتبهات دون غيره فهو متبع له لا لها وقيل
 هم اليهود والنصارى وقيل هم المجوس حيث كانوا يجالون الأخوات من الأب وبنات الأخ وبنات الاخت
 فلما حرمهن الله تعالى قالوا فأنكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة والخالة عليكم حرام فأنكم حرام
 بنات الأخ والاخت فزلت (أن تميلوا) عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات
 وتكونوا زناة مثلهم وقرئ بالياء التختانية والضمير للذين يتبعون الشهوات (مبلا عظيما) أي بالنسبة
 إلى مبل من اقترف خطيئة على ندرة بالاستحلال (يريد الله أن يخفف عنكم) بما مر من الرخص ما في عهدتكم
 من مشاق التكليف والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب (وخلق الإنسان ضعيفا) عاجزا عن مخالفة
 هواه غير قادر على مقابلة دواعيه وقواه حيث لا يصبر عن اتباع الشهوات ولا يستخدم قواه في مشاق الطاعات
 وعن الحسن أن المراد ضعف الخلقة ولا يساعده المقام فإن الجملة اعتراض تذييلي مسوق لتقرير
 ما قبله من التخفيف بالرخصة في نكاح الأماه وليس لضعف البنية مدخل في ذلك وإنما الذي يتعلق به التخفيف
 في العبادات الشاقة وقيل المراد به ضعفه في أمر النساء خاصة حيث لا يصبر عنهن وعن سعيد بن المسيب ما أيس
 الشيطان من بني آدم قط إلا أنهم من قبل النساء فقد أتى على ثمانون سنة وذهبت إحدى عيني وأنا عاشو
 بالآخرى وإن أخوف ما أخاف على قسنة النساء وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما وخلق الإنسان على البناء
 للفاعل والضمير لله عز وجل وعنه رضي الله عنه ثمانين آيات في سورة النساء هن خير لهذه الأمة مما طلعت عليه
 الشمس وغربت يريد الله ليسين لكم والله يريد أن يوب عليكم يريد الله أن يخفف عنكم أن تجتنبوا بكاء
 ما تنهون عنه إن الله لا يقفر أن يشركه ويقفر ما دون ذلك لمن يشاء إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة
 يضاعفها ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم (يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا
 أموالكم بينكم بالباطل) شروع في بيان بعض الحرمات المتعلقة بالأموال والافئس اثنيان الحرمات المتعلقة
 بالابضاع وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه لظهور كمال العناية بضمونه والمراد بالباطل ما يخالف الشرع
 كالغصب والسرقة والخيانة والقمار وعقود الربا وغير ذلك مما لم يحكم به الشرع أي لا يأكل بعضكم أموال بعض
 بغير طريق شرعي (الأن تكون تجارة صادرة عن تراض منكم) استثناء منقطع وعن متعلقة بمحذوف وقع صفة
 لتجارة أي الآن تكون التجارة تجارة صادرة عن تراض كما في قوله (إذا كان يوما ذا كواكب أشمعا)
 أي إذا كان اليوم يوما صالحا أو الآن تكون الأموال أموال تجارة وقرئ تجارة بالرفع على أن كان تامة
 أي ولكن اقصدوا ما تكون تجارة عن تراض أي وقوعها أو ولكن وجود تجارة عن تراض غير منتهى عنه
 وتخصيصها بالذكر من بين سائر أسباب الملك لكونها معظمها وأغلبها وقوعا وأوقعها لذوى المروءات والمراد

بالتراشي من اضافة المتبايعين فيما تعاقد عليه في حال المبايعة وقت الايجاب والتبول عندنا وعند الشافعي
رحم الله حالة الافتراق عن مجلس العقد (ولا تقتلوا انفسكم) أي من كان من جنسكم من المؤمنين فان كلهم
كنفس واحدة وعن الحسن لا تقتلوا اخوانكم والتعير عنهم بالانفس للمبالغة في الزجر عن قتلهم بصورة
بصورة ما لا يكاد يفعله عاقل أو لا تهلكتوا انفسكم بتعريضهم للعقاب باقرار ما يقضي اليه فانه القتل الحقيقي
لهنا كما يشعر به ابراهيم عقيب النهي عن كل الحرام فيكون مقترا للنهي السابق وقيل لا تقتلوا انفسكم بالبيع
كما يفعله بعض الجهلة أو بارتكاب ما يؤدي الى القتل من الجنايات وقيل بالقائها في التهلكة وأيد بما روى
عن عمرو بن العاص أنه تأوله بالتميم لحوف البرد فلم يشكر عليه النبي عليه الصلاة والسلام وقرئ ولا تقتلوا
بالتشديد للتكثير وقد جمع في التوضيعة بين حفظ النفس وحفظ المال لما أنه شقية هامة من حيث انه سبب اقوامها
وتحصيل كمالها واستيفاء فضائلها وتقدم النهي عن التعرض له لكثرة وقوعه (ان الله كان بكم رحيما)
تعليل للنهي بطريق الاستئناف أي مبالغى الرحمة والرافة ولذلك نهاكم عما نهى فان في ذلك رحمة عظيمة لكم
بالزجر عن المعاصي وللذين هم في معرض التعرض لهم يحفظ أموالهم وانفسهم وقيل معناه انه كان بكم
يا أمة محمد رحيما حيث أمر بني اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون ثوبه لهم وتقيصا لخطاياهم ولم يكفكم تلك
التكاليف الشاقة (ومن يفعل ذلك) إشارة الى القتل خاصة أو لما قبله من أكل الاموال وما فيه من معنى
البعد لا يذنب بعد منزلته ما في الفساد (عدوا وانا واطلما) أي افراطا في التجاوز عن الحد وانا بما لا يستحقه
وقيل أريد بالعدوان التعدي على الغير وباطل الظلم على النفس بتعريضهم للعقاب ومحلها النصيب على الحالية
أو على العلية أي معدا واطلما للعدوان والظلم وقرئ عدوا وانا به كسر العين (فسوف نصليه) جواب
للشرط أي ندخله وقرئ بالتشديد من صلى وبلغ النون من صلاة يصليه ومثله شاة مصلية ويصليه بالياء
والضمير لله تعالى ولذلك من حيث انه سبب للصلى (نارا) أي نارا مخصوصة هائلة شديدة العذاب (وكان
ذلك) أي اصلاؤه النار (على الله يسيرا) لتحقيق الداعي وعدم الصارف واطهار الاسم الجليل بطريق
الالتفات لتربية المهابة وتأكيد استقلال الاعتراض التذليلي (ان تجتنبوا كما أمرتم ان تنهون عنه) أي كما أمر
الذنوب التي نهاكم الشرع عنها مما ذكره هنا وما لم يذكر وقرئ كبير على ارادة الجنس (تكفركم) بنون
العظمة على طريقة الالتفات وقرئ بالياء بالاستناد اليه تعالى والتكفير ماطة المستحق من العقاب بثواب
أزيد أو بتوبة أي تغفر لكم (سيئاتكم) صفاتكم ونجسها عنكم قال المفسرون الصلاة الى الصلاة والجمعة الى
الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرا لما بينهن من الصغائر اذا اجتنبت الكبائر واختلف في الكبائر والا قرب
أن الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه الحد أو صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمة بقاطعه وعن النبي صلى
الله عليه وسلم انها سبع الاشرار بالله تعالى وقتل النفس التي حرمها الله تعالى وقذف المحصنات وأكل مال
اليتيم والربا والفرا من الزحف وعقوق الوالدين وعن علي رضي الله عنه التعقب بعد الهجرة مكان عقوق
الوالدين وزاد ابن عمر رضي الله عنهما السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا
قال له الكافر سبع قال هي الى سبع مائة أقرب منها الى سبع وروى عنه الى سبعين اذ لا صغيرة مع الاصرار
ولا كبيرة مع الاستغفار وقيل أريد به أنواع الشرك لقوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك
ان يشاء وقيل صغرا الذنوب وصغرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها وبحسب فاعلها بل بحسب الاوقات
والاما كن أيضا فأكبر الكبائر الشرك وأصغر الصغائر حديث النفس وما بينهما وسائط يصدق عليه الامران
فن عن له أمران منها ودعت نفسه اليها بحيث لا ينال التكفير عنها عن أكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق
على اجتناب الاكبر من الذنوب (ودخلكم مدخلا) بضم الميم اسم مكان هو الجنة (كريميا) أي حسنا
من ضياء أو مصدر ميمي أي ادخلا مع كرامة وقرئ بفتح الميم وهو أيضا يحتمل المكان والمصدر ونصبه على الثاني
بفعل مقدر مطاوع للمذكور أي ندخلكم فتدخلون مدخلا أو تدخلون مدخلا كما في قوله

وهضة دهر يا ابن مروان لم تدع * من المال الامسحت أو محجفت

أي لم تدع فلم يبق الامسحت الخ (ولا تنذروا ما فضل الله به بعضكم على بعض) أي عليكم ولعلنا اشارة
الاجرام عليه للتنادي عن المواجهة بما يشق عليهم قال الفضال لما نهاهم الله تعالى عن أكل أموال الناس

بالباطل وقتل النفس عقبه بالنهي عما يؤدى اليه من الطمع في أموالهم ونعيمها وقيل نهاهم أولاً عن التعرض
 لأموالهم بالجوارح ثم عن التعرض لها بالقلب على سبيل الحسد لتطهير أعمالهم الظاهرة والباطنة فالله في
 لا يتنوا ما أعطاه الله تعالى بعضكم من الأموال والدينية كالجناء والمال وغير ذلك مما يجري فيه التنافس
 دونكم فإن ذلك قسمة من الله تعالى صادرة عن تدبير لا تقي بأحوال العباد مترتب على الاحاطة بجلائل شؤونهم
 ودقائقها فعلى كل أحد من الفضل عليهم أن يرضى بما قسم له ولا يتقن حظ الفضل ولا يحسد عليه لما أنه
 معارضة لحكم القدر المؤسس على الحكم البالغة لئلا يفتق منه خديرة ولا لانه لو كان خلافه لكان
 مفسدة له كما قيل اذ لا يساعده ما سبأ في من الامر بالسؤال من فضله تعالى فإنه ناطق بأن المنهى عنه متى نصيب
 الغير لا تمنى ما زاد على نصيبه مطلقاً هذا وقد قيل لما جعل الله تعالى في الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين قالت
 النساء نحن أخرج أن يكون لنا سهمان وللرجال سهم واحد لا ناضعفاء وهم أقرباء وأقرب على طلب المعاش منا
 فتركت وهذا هو الانسب بتعليل النهي بقوله عز وجل (لللرجال نصيب مما كتسبوا وللنساء نصيب مما
 اكتسبن) فإنه صريح في جريان النقي بين فريق الرجال والنساء ولعل صيغة المذكر في النهي لما عبر عنهم
 بالبعض والمعنى لكل من الفريقين في الميراث نصيب معين المقدار مما أحبا به بحسب استعداده وقد عبر عنه
 بالاكساب على طريقة الاستعارة التبعية المبنية على تشبيه اقتضاء حاله لنصيبه باكتسابه إياه تأكيذاً
 لاستحقاق كل منهما النصيب وتقوية لاختصاصه به بحيث لا يتخطاه الى غيره فإن ذلك مما يوجب الاتهام
 عن التثني المذكور وقوله تعالى (وأسألو الله من فضله) عطف على النهي وتوسيط التعليل بينهما لتقرير
 الاتهام مع ما فيه من الترغيب في الامتثال بالأمر ~~كأنه~~ قيل لا تتنوا ما يحتص بغيركم من نصيبه المكتسب له
 وأسألو الله تعالى من خزانة نعمه التي لا تفادها وحذف المفعول الثاني للتعميم أى وأسألو ما تريدون
 فإنه تعالى يعطيكموه أو ~~كأنه~~ يكونه معلوماً من السياق أى وأسألو مثله وقيل من زائدة والتقدير وأسألو
 فضله وقد جاء في الحديث لا يتنبن أحدكم مال أخيه ولكن ليقل اللهم ارزقني اللهم أعطني مثله وعن ابن
 معود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سلوا الله من فضله فإنه يحب أن يسأل وأفضل
 العبادة انتظار الفرج وحمل النصيب على الأجر الأخرى وإبقاء الاكتساب على حقيقته بحسب سبب التزول
 ما روى أن أُم سلمة رضى الله عنها قالت لبت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الأجر
 مثل ما لهم على أن المعنى لكل من الفريقين نصيب خاص به من الأجر مترتب على عمله فللرجال أجر بمقابلته ما يليق
 بهم من الأعمال كالجهاد ونحوه وللنساء أجر بمقابلته ما يليق بهن من الأعمال كحفظ حقوق الأزواج ونحوه
 فلا تتن النساء خصوصية أجر الرجال وليسألن من خزانة رحمته تعالى ما يليق بمجاهدتهن من الأجر لا يساعده سياق
 النظم الكريم المتعلق بالمواثيق وفضائل الرجال (إن الله كان بكل شئ عليماً) ولذلك جعل الناس على طبقات
 ورفع بعضهم على بعض درجات حسب مراتب استعداداتهم الفائضة عليهم بحسب المشيئة المبنية على الحكم
 الآتية (ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون) جملة مبتدأة مقزرة لمنهون ما قبلها ولكل مفعول
 ثانٍ بلعلنا قدم عليه لتأكيد الشمول ودفع توهم تعلق الجعل بالبعض دون البعض كما في قوله تعالى لكل جهنمنا
 منكم شرعة ومنهاج أى ولكل ترك جعلنا وورثة متفارقة في الدرجة يلونها ويحزون منها أنصباؤهم بحسب
 استحقاقهم المنوط بما بينهم وبين المورث من العلاقة ومما ترك لبيان لكل قد فصل بينهما بما عمل فيه كإفصل
 في قوله تعالى قل أغير الله أخذ ولياً فاطر السموات والأرض بين لفظ الجلالة وبين مفعبه بالعامل فيما أضيف
 اليه أعنى غير أو ولكل قوم جعلناهم موالى أى ورثنا نصيب معين مغاير لنصيب قوم آخرين مما ترك الوالدان
 والأقربون على أن جعلنا موالى صفة لكل والنهي الرجوع اليه محذوف والكلام مبتدأ وخبر على طريقة
 قولك لكل من خلقه الله انساناً من رزق الله أى حظ منه وأما ما قيل من أن المعنى لكل أحد جعلنا موالى
 مما ترك أى ورثنا من على أن من صلة موالى لانه في معنى الوراث وفي تركه ضمير مستكن عائداً الى كل وقوله
 تعالى الوالدان والأقربون استئناف مفسر للموالى كأنه قيل من هم فقيل الوالدان الخ ففهمه ~~نفسه~~
 للنظم الكريم لأن بيان الموالى بما ذكر يفوت الإبهام المصحح لاعتبار التفاوت بينهم وبه يتحقق الانظام كما أشير
 اليه في تقرير الوجهين الاقربين مع ما فيه من خروج الاولاد من الموالى اذ لا يتناولهم الأقربون ~~نفسه~~ لا يتناول

قوله الآية هو بضم الهمزة
 وتشديد الواو الموحدة المكسورة
 والمنانة التخصية المفتوحة
 الكبير والظلمة كافي القاموس
 وعليه فتع الحكم بما على
 حذف ضفاف أى ذات الآية
 أو على سبيل المبالغة تأتى اه
 معجمه

بالتراشي حراضة المتبايعين فيما تعاقد عليه في حال المبايعة وقت الايجاب والقبول عندنا وعند الشافعي
رحمة الله حالة الافتراق عن مجلس العقد (ولا تقتلوا أنفسكم) أي من كان من جنسكم من المؤمنين فان كلهم
كنفس واحدة وعن الحسن لا تقتلوا اخوانكم والتعير عنهم بالانفس للمبالغة في الزجر عن قتلهم بصوره
بصورة ما لا يكاد يفعله عاقل أو لا تمكوا أنفسكم بتعير بعضها للعقاب باقرار ما يقضي اليه فانه القتل الحقيقي
لها كما يشعر به اراده عقيب النهي عن أكل الحرام فيكون مقتررا للنهي السابق وقيل لا تقتلوا أنفسكم بالضعف
كما يفعله بعض الجهلة أو بارتكاب ما يؤدي الى القتل من الجنايات وقيل بالقائها في التهلكة وأيد بما روي
عن عمرو بن العاص أنه تأوله بالتميم تخوف البرد فلم ينكر عليه النبي عليه الصلاة والسلام وقرئ ولا تقتلوا
بالتشديد للتكثير وقد جع في التوضيعة بين حفظ النفس وحفظ المال لما فيه شقية هاهنا حيث انه سبب لقوامها
وتحصيل كمالها واستيفاء فضايلها وتقديم النهي عن التعرض له لكثرة وقوعه (ان الله كان بكم رحيمًا)
تعليل للنهي بطريق الاستئناف أي مبالغة في الرحمة والرافة ولذلك نهاكم عما نهى فان في ذلك رحمة عظيمة لكم
بالزجر عن المعاصي وللذين هم في معرض التعرض لهم يحفظ أموالهم وأنفسهم وقيل معناه انه كان بكم
بأمة محمد رحيمًا حيث أمر بني اسرائيل بقتلهم أنفسهم ليكون توبة لهم وتقيضًا لخطاياهم ولم يكلفكم تلك
التكاليف الشاقة (ومن يفعل ذلك) إشارة الى القتل خاصة أو لما قبله من أكل الاموال وما فيه من معنى
البعد للايدان ببعده من الزمان في الفساد (عدوا واطمأنا) أي افرطوا في تجاوز عن الحد واجتباها بما لا يستحقه
وقيل أريد بالعدوان التعدي على الغير وباطمأنا الظلم على النفس بتعريضها للعقاب ومحملها النصيب على الحامية
أو على العلية أي معتديا وظالمًا والعدوان والظلم وقرئ عدوا بنا بعد كسر العين (فسوف نصليه) جواب
للشرط أي ندخله وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاة يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء
والضمير لله تعالى أو لذلك من حيث انه سبب للصلى (نارا) أي نارًا مخصوصة هائلة شديدة العذاب (وكان
ذلك) أي اصلاؤه النار (على الله بسيرا) لتحقيق الداعي وعدم الصارف واطهار الاسم الجليل بطريق
الالتفات لتربية المهابة وتأكيده استقلال الاعتراض التذليل (ان تجنبوا كما ترماتهنون عنه) أي كما ترم
الذنوب التي نهىكم الشرع عنها كما ذكرهنا وما لم يذكر وقرئ كبير على ارادة الجنس (تكفرونكم) بنون
العظيمة على طريقة الالتفات وقرئ بالياء بالاسناد اليه تعالى والتكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب
أزيد أو بتوبة أي تغفركم (سينانكم) صفائركم ونعمها عنكم قال المفسرون الصلاة الى الصلاة والجمعة الى
الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن من الصغائر اذا اجتنبت الكبائر واختلف في الكبائر والاقرب
أن الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه الحد أو صرح بالوهد فيه وقيل ما علم حرمة بقاطع وعن النبي صلى
الله عليه وسلم انها سبع الاشر بالله تعالى وقتل النفس التي حرمها الله تعالى وقذف المحصنات وأكل مال
اليتيم والربا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن علي رضي الله عنه التعقب بعد الهجرة مكان عقوق
الوالدين وزاد ابن جرير رضي الله عنهما السر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا
قال له الكبائر سبع قال هي الى سبع مائة أقرب منها الى سبع وروى عنه الى سبعين أو لا صغيرة مع الاصرار
ولا كبيرة مع الاستغفار وقيل أريد به أنواع الشرك لقوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك
من يشاء وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها وبحسب فاعلها بل بحسب الاوقات
والاماكن أيضا فأكبر الكبائر الشرك وأصغر الصغائر حديث النفس وما بينهما وسائط يصدق عليه الامر ان
فن عن له أمران منها ودعت نفسه اليها بحيث لا يتألف فكفها عن أكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق
على اجتناب الاكبر من الثواب (وتدخلكم مدخلا) بضم الميم اسم مكان هو الجنة (كريما) أي حسنا
مريضاً أو مصدر ميمي أي ادخلا مع كرامة وقرئ بفتح الميم وهو أيضا يحتمل المكان والمصدر ونصبه على الثاني
بفعل مقدر مطاوع للمذكور أي ندخلكم فتدخلون مدخلا أو دخولا كما في قوله

وهضة دهر يا ابن مروان لم تدع * من المال الامسحت أو مختلف

أي لم تدع فلم يبق الامسحت الخ (ولا تنهوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) أي عليكم ولعل اشارة
الى السلام عليه للتفادي عن المواجهة بما يشق عليهم قال القفال لما نهاهم الله تعالى عن أكل أموال الناس

بالباطل وقتل النفس عقبه بالهوى عما يؤدى اليه من الطمع في أموالهم ونعيمها وقيل نهاهم أولاً عن التمرض
 لأموالهم بالجوارح ثم عن التمرض لها بالقلب على سبيل الحسد لتطهير أعمالهم الظاهرة والباطنة فالمعنى
 لا تمتدوا ما أعطاه الله تعالى بعضكم من الامور الدنيوية كالجاه والمال وغير ذلك مما يجري فيه التنافس
 دونكم فان ذلك قسعة من الله تعالى صادرة عن تديروا لائق باحوال العباد مترتب على الاحاطة بجلائل شؤونهم
 ودقاتعها فعلى كل واحد من المفضل عليهم أن يرضى بما قسم له ولا يتغنى خط المفضل ولا يحسد عليه لما أنه
 معارضة لحكمكم القدر المؤسس على الحكم البالغة لالاق عدمه خيره ولا لانه لو كان خلافه لكان
 مفسده له كما قيل اذ لا يساعده ما سبأني من الامر بالسؤال من فضله تعالى فانه ناطق بأن المنهى عنه غنى نصيب
 الغير لا غنى ما زاد على نصيبه مطلقاً هذا وقد قيل لما جعل الله تعالى في الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين قالت
 النساء نحن أخرج أن يكون لنا سهمان وللرجال سهم واحد لا ناضعفاء وهم أقرباء وأقدر على طلب المعاش منا
 فنزلت وهذا هو الانسب بتعليل النهى بقوله عز وجل (للرجال نصيب مما كتبوا وللنساء نصيب مما
 اكتبن) فانه صريح في جريان النهى بين فريقى الرجال والنساء ولعل صيغة المذكر في النهى لما عبر عنهم
 بالبعض والمعنى لكل من الفريقين في الميراث نصيب معين المقدار مما أصابه بحسب استعداده وقد عبر عنه
 بالاكساب على طريقة الاستعارة التبعية المبنية على تشبيه اقتضاء حاله لنصيبه باكتسابه اياه تأكيذاً
 لاستحقاق كل منهما نصيبه وتقوية لاختصاصه به بحيث لا يتخطاه الى غيره فان ذلك مما يوجب الانتهاء
 عن التنى المذكور وقوله تعالى (وأسألو الله من فضله) عطف على النهى وتوسيط التعليل بينهما لتقرير
 الانتهاء مع ما فيه من الترغيب في الامتنال بالامر كأنه قيل لا تمتدوا ما يتخص بغيركم من نصيبه المكتسب له
 وأسألو الله تعالى من خرائث نعمه التي لا تفاد لها وحذف المفعول الثاني للتعظيم أى وأسألو ما تريدون
 فانه تعالى يعطىكموه وله كما يكونه معلوماً من السباق أى وأسألو مثله وقيل من زائدة والتقدير وأسألو
 فضله وقد جاء في الحديث لا يتنن أحدكم مال أخيه ولكن ليقل اللهم ارزقني اللهم أعطني مثله وعن ابن
 مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سلوا الله من فضله فانه يجب أن يسأل وأفضل
 العبادة انتظار الفرج وحل النصيب على الاجر الاخرى وابقاء الاكساب على حقيقته يجعل سبب النزول
 ما روى أن أم سلمة رضى الله عنها قالت لبت الله كذب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لسان الاجر
 مثل ما لهم على أن المعنى لكل من الفريقين نصيب خاص به من الاجر مترتب على عمله فللرجال أجر بمقابلته ما يليق
 بهم من الاعمال كالجهاد ونحوه وللنساء أجر بمقابلته ما يليق بهن من الاعمال كحفظ حقوق الأزواج ونحوه
 فلا تنى النساء خصوصية أجر الرجال وليسألن من خرائث رزقه تعالى ما يليق بمجاهلتهن من الاجر لا يساعده سباق
 النظم الكريم المتعلق بالمواريث وفضائل الرجال (إن الله كان بكل شئ عليماً) ولذلك جعل الناس على طبقات
 ورفع بعضهم على بعض درجات حسب مراتب استعداداتهم الفاضلة عليهم ووجب المشيئة المبنية على الحكم
 الالهية (ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والاقربون) جملة مبتدأة مقرونة لمضمون ما قبلها ولكل مفعول
 ثان جعلنا قدم عليه لنا كيد الشمول ودفع توهم تعلق الجعل بالبعض دون البعض كما في قوله تعالى لكل جعلنا
 منكم شريعة ومنهاجاى ولكل تركه جعلنا ورثة متفاوتة في الدرجة يلونها ويميزون منها أنصباهم بحسب
 استحقاقهم المنوط بما بينهم وبين المورث من العلاقة ومما ترك بيان لكل قد فصل بينهما بما عمل فيه كما فصل
 في قوله تعالى قل أغير الله أخذ ولياً فاطر السموات والارض بين لفظ الجلالة وبين صفته بالعامل فيما أضيف
 اليه أعنى غير أو ولكل قوم جعلناهم موالى أى ورواها نصيب معين مغاير لنصيب قوم آخرين مما ترك الوالدان
 والاقربون على أن جعلنا موالى صفة لكل والضمير الراجع اليه محذوف والكلام مبتدأ وخبر على طريقة
 قولك لكل من خلقه الله انساناً من رزق الله أى حظ منه وأما ما قيل من أن المعنى لكل أحد جعلنا موالى
 مما ترك أى ورواها منه على أن من صله موالى لانه في معنى الوراث وفي تركه ضمير مستكن عائداً الى كل وقوله
 تعالى الوالدان والاقربون استئناف مفسر للموالى كأنه قيل من هم فقيل الوالدان الخ فقيهه ففهم
 للنظم الكريم لان بيان الموالى بما ذكر يفوت الابهام المعصم لاعتبار التفاوت بينهم وبه يتحقق الانتظام كما أشير
 اليه في تقرير الوجهين الاولين مع ما فيه من خروج الاولاد من الموالى اذ لا يتناولهم الاقربون حكماً لا بتناول

قوله الالهية هو بضم الهمزة
 وتشديد الواو الموحدة المكسورة
 والمنشأة التامة المفتوحة
 والكبر والعظمة كما في القاموس
 وعليه قعت الحكمهم بما على
 حذف مضاف أى ذات الالهية
 أو على سبيل المبالغة تأمل اه
 معجمه

الوالدين (والذين عقدت أيمانكم) هم من وإلى الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فسخ بقوله
 تعالى وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض وعند أبي حنيفة رحمه الله إذا أسلم رجل على يد رجل وتعاقدوا على
 أن يرثه ويعقل عنه صح عليه عقله وله ارثه ان لم يكن له وارث أصلاً واستناد العقد إلى الايمان لأن المعتاد هو
 المماسحة بها عند العقد والمعنى عقدت أيمانكم عهدهم بخذف اليهود وأقيم المضاف اليه مقامه ثم حذف
 وقرئ عقدت بالتشديد وعاقدت بمعنى عاقدتهم أيمانكم وما سحت موهم وهو مبتدأ متضمن لمعنى الشرط ولذلك
 صدر الخبر أعنى قوله تعالى (فأتوهم نصيهم) بالقاء أو منصوب عنهم يفسره ما بعده كقولك زيد أقاضيه
 أو مرفوع معطوف على الوالدان والاقربون وقوله تعالى فأتوهم الخ جلة متبينة للجملة قبلها ومؤكدة لها
 وانضمير للموالى (ان الله كان على كل شيء) من الاشياء التي من جاتها الايتاء والمنع (شهيداً) ففيه وعد ووعد
 (الرجال قوامون على النساء) كلام مستأنف مسوق لبيان سبب استحسان الرجال الزيادة في الميراث تفصيلاً
 اثرياً يان تفاوت استحقاقهم اجمالاً وإيراد الجملة اسمية والخبر على صيغة المبالغة للايدان بعراقتهم في الاتصاف
 بما استند اليهم وروسخهم فيه أي شأنهم القيام عليهن بالأمر والنهي قيام الولاية على الرعية وعلى ذلك بأمرين
 موهبي وكسبي فقيل (بما فضل الله بعضهم على بعض) الباء سببية متعلقة بقوامون أو بمحذوف وقع حالا
 من ضميره وما مصدرية والضمير البارز لكلا الفريقين تغليباً أي قوامون عليهن بسبب تفضيل الله تعالى إياهم
 عليهن أو ملتبسين بتفضيله تعالى الخ ووضع البعض موضع الضميرين للاشعار بغاية ظهور الأمر وعدم الحاجة
 إلى التصريح بالمفضل والمفضل عليه أصلاً ولمثل ذلك لم يصرح بما به التفضيل من صفات كماله التي هي كمال
 العقل وحسن التدبير ورزاقته الرأى ومن يد القوة في الاعمال والطاعات ولذلك خصوصاً بالنسبة والامامة والولاية
 واقامة الشعائر والشهادة في جميع القضايا وجوب الجهاد والجمعة وغيرها (وبما أنفقوا من أموالهم)
 الباء متعلقة بما تعلقت به الاولى وما مصدرية أو موصولة حذف عائدها من الصلة ومن تبعضية أو ابتدائية
 متعلقة بأنفقوا أو بمحذوف وقع حالا من العائد المحذوف أي وبسبب انفاقهم من أموالهم أو بسبب ما أنفقوه
 من أموالهم أو كما تناسل أموالهم وهو ما أنفقوه من المهر والنفقة روى أن سعد بن الربيع أحد نقباء الانصار
 رضى الله عنهم نشر عن امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير فاطمة ما فأنطلق بها أوها إلى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وشكاه فقال عليه السلام لتقتص منه فتركت فقال عليه السلام أردنا أمر أو أراد الله أمر أو الذي
 أراده الله خير (فالمالحات) شروع في تفصيل أحوالهن وبيان كيفية القيام عليهن بحسب اختلاف
 أحوالهن أي فالمالحات منهن (فأما) أي مطيعات لله تعالى فأما بحق الزوج (حافظات للغيب)
 أي لما وجب الغيب أي لما يجب عليهن حفظه في حال غيبة الأزواج من القروح والاموال عن النبي صلى الله
 عليه وسلم خير النساء امرأة ان نظرت اليها مرتك وان أمرتها أطاعتك واذا غبت عنها حفظت في مالها ونفسها
 وتلا الآية وقيل لا يرارهم وإضافة المال اليها للاشعار بأن ماله في حق التصرف في حكم مالها كما في قوله تعالى
 ولا توفوا السفهاء أموالكم الآية (بما حفظ الله) ما مصدرية أي بحفظه تعالى إياهن بالأمر بحفظ
 الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له أو موصولة أي بالذي حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة
 والقيام بحفظهن والمذهب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على حذف المضاف أي بالامر الذي حفظ حق الله
 تعالى وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال (واللاتي تخافون نشوزهن) خطاب للأزواج وإرشاد لهم
 إلى طريق القيام عليهن والخوف حالة تحصل في القلب عند حدوث أمر مكروه أو عند الظن أو العلم بمحدثه
 وقد يراد به أحدهما أي تظنون عصيانهن وترفعهن عن مطاوعتهن من النشز وهو المرتفع من الارض
 (هن) فانهضوهن بالترغيب والترهيب (واجهروهن) بعد ذلك ان لم ينفع الوعظ والتصيحة (في المضاجع)
 أي في المراقدة فلا تدخلوهن تحت العف ولا تباسروهن فيكون كثاية عن الجماع وقيل المضاجع المبات
 أي لا تبايوهن وقرئ في المضجع وفي المضطجع (واضربوهن) ان لم ينفع ما فعلتم من العظة والهجران
 ضرباً غير مبرح ولا شائن (فإن أطيعنكم) بذلك كما هو الظاهر لانه منتهى ما يعجزوا به (فلا تسيروا
 عليهن سبيلاً) بالتوبيخ والاذية أي فأزيليوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن ككأن لم يكن
 فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له (ان الله كان علياً كبيراً) فاخذروه فانه تعالى أقدر عليكم منكم

على من تحت أيديكم أو أنه تعالى على علوشانه ينجوا وعن سبائكم ويتوب عليكم عند توبتكم فأنتم أحق بالعفو
عن أزواجكم عند اطاعتكم لكم أو أنه تعالى ويكبر أن يظلم أحدا أو ينقص حقه وعدم التعرض لعدم اطاعتهم
لهم لا إيمان بأن ذلك ليس مما ينبغي أن يصدق أو يفرض تحقيقه وإن الذي يتوقع منه ويليق بشأنه لا سيما بعد
ما كان ما كان من الزواج هو الاطاعة ولذلك صدرت الشرطية بأفعال المذبذبة عن سيئة ما قبلها ما بعدها
(وان خضم شقاق بينهما) تلويح للتطاب وتوجيه له إلى الحكماء وأرد على بناء الامر على التقدير المسكوت عنه
أعنى عدم الاطاعة المؤدى إلى الخصاصة والمرافعة اليهم والشتاق المخالفة أتمالان كلا منهما يريد ما يشق على
الآخر وأتمالان كلا منهما في شق أى جانب غير شق الآخر والخوف ههنا بمعنى العلم قاله ابن عباس والحزم
بوجود الشقاق لا ينافي بعث الحكمين لأنه لرجاء ازالته لا التعرف وجوده بالفعل وقيل بمعنى الطق وضيمر التنبية
لزوجين وإن لم يجز لهما ما ذكر جرى ما يدل عليهم وإضافة الشقاق إلى الطرف أتمال على إجراءه مجرى المفعول به
كفى قوله بإسارق الدليل أو مجرى الفاعل كفى قولنا نهارة صائم أى أن علمهم أو ظنهم تأكد المخالفة بحيث لا يقدر
الزوج على ازالتهما (فابعثوا) أى إلى الزوجين لإصلاح ذات البين (حكى) رجلا وسطا صالحا للعسكومة
والاصلاح (من أهله) من أهل الزوج (وحكى) آخر على صفة الاقول (من أهله) فان الاقارب أعرف
بواطن الاحوال وأطلب للاصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز واختلف في أنهم اهل
بيان الجمع والتفريق إن رأيا ذلك فقبل لهما ذلك وهو المروى عن علي رضي الله عنه وبه قال الشعبي وعن
الحسن يجمعان ولا يفرقان وقال مالك لهما أن يخالعا أن كان الاصلاح فيه (ان يريدا) أى الحكيمان (اصلاحا)
أى ان قصدا إصلاح ذات البين وكانت بينهما صحبة وتلويح ما ناصحه لوجه الله تعالى (يوفق الله بينهما) يوقع
بين الزوجين الموافقة والالفة وألقى في نفوسهما المودة والرافة وعدم التعرض لذكر عدم ارادتهما الاصلاح
لما ذكر من الايمان بأن ذلك ليس مما ينبغي أن يفرض صدوره عنهما وأن الذي يليق بشأنهما ويتوقع صدوره
عنهما هو ارادة الاصلاح وفيه من يدر غيب للعكمين في الاصلاح وتحذير عن المساهلة كيلا ينسب اختلال
الامر إلى عدم ارادتهما فان الشرطية الناطقة بدوران وجود التوفيق على وجود الارادة مثبتة عن دوران
عدمه على عدمها وقيل كلا التفسيرين للعكمين أى ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما فتتفق كلمتهما ويحصل
مقصودهما وقيل كلاهما للزوجين أى ان أرادوا اصلاح ما بينهما من الشقاق أوقع الله تعالى بينهما الالفة
والوفاق وفيه تنبيه على أن من أصلح بينه فيما يتوخاه وفقه الله تعالى لمبتغاه (ان الله كان علما خبيرا) بالتطواهر
والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) كلام مبتدأ مسوق
ليبين الاحكام المتعلقة بحقوق الوالدين والاقارب وشيوخهم اثر بيان الاحكام المتعلقة بحقوق الأزواج صدر
بما يتعلق بحقوق الله عز وجل التي هي أكدا الحقوق وأعظمها تنبيه على جلالة شأن حقوق الوالدين ينظمها
في سلكها كافي سائر المواقع وشيئا نصب على أنه مفعول أى لا تشركوا به شيئا من الاشياء صنما أو غيره أو على
أنه مصدر أى لا تشركوا به شيئا من الاشياء الجليلة أو خفيا (وبالوالدين احسانا) أى أحسنوا بهما احسانا
(وبذي القربى) أى بصاحب القرابة من أخ أو عم أو خال أو نحو ذلك (واليتامى والمساكين) من الاجانب
(والجار ذى القربى) أى الذى قرب جواره وقيل الذى له مع الجوار قرب واتصال بنسب أو دين وقرى بالنسب
على الاختصاص تعظيما لحق الجار ذى القربى (والجار الجنب) أى البعيد الذى لا قرابة له وعنه عليه الصلاة
والسلام الجيران ثلاثة ثلاثة حقوق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار
وحق الاسلام وجار له حق واحد وهو حق الجوار وهو الجار من أهل الكتاب وقرى والجار الجنب (والصاحب
بالجنب) أى الرفيق فى أمر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه محبب وحصل بجانبك ومنهم من قعد بجانبك
فى مسجد أو مجلس أو غير ذلك من أدنى محبة التأميت ينك وينه وقيل هى المرأة (وابن السبيل) هو المسافر
المنقطع به أو الضيف (وما ملكت أيمانكم) من العبيد والاماء (ان الله لا يحب من كان مختالا) أى متكبرا
يأنف عن أقاربه وجيرانه وأصحابه ولا ياتفت اليهم (تخورا) يتناخروا عليهم والجللة تعديل للأمر السابق (الذين
يصلون ويأمرون الناس بالعدل) بنهم البناء وسكون الخلاء وقرى بفتح الأول ويفتحهما وبضمهما والموصول
بدل من قوله تعالى من كان أو نصب على الذم أو رفع عليه أى هم الذين أو مبتدأ أخبره محذوف تقديره الذين

قوله المذكر من الايمان الخ
لعل الاولى أن يتول للاديان
الخ فانه لم يذكر تأييد اه

يصلون ويضعون ويصنعون أحقاد بكل ملامة (ويكفون ما آتاهم الله من فضله) أى من المال والفقى أو من نعمته عليه السلام التى ينهاهم فى التوراة وهو أنسب بأمرهم للناس بالفضل فان أحبارهم كانوا يكفونها ويأمرون أعقابهم بكنهم (وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بأن من هذا شأنه فهو كافر بنعمة الله تعالى ومن كان كافرا بنعمة الله تعالى فله عذاب جهنم كما أهان النعمة بالخل والاختفاء والآية نزلت فى طائفة من اليهود كانوا يقولون للأنصار بطريق النصيحة لا تنفقوا أموالكم فانما نخشى عليكم الفقر وقيل فى الذين كتموا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والجملة اعتراض تذييل مقترن لما قبلها (والذين ينفقون أموالهم رثاء الناس) أى للفقير وليقال ما أحضارهم وما أجودهم لا لا ابتغاء وجه الله تعالى وهو عطف على الذين يخلون أو على الكافرين وانما أشار كهم فى الذم والوعيد لان الخل والسرف الذى هو الاتفاق فيما لا ينبغي من حيث أنهم ما طرقاته ربطوا فراط سوا فى القبح واستتباع الالتماع والذم ويجوز أن يكون العطف بناء على اجراء التقارب الوصفي "يجرى التقارب الذاتى" كما فى قوله

الى الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتاب فى المزدحم

أوميتد أخبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يكن الخ كأنه قيل والذين ينفقون أموالهم رثاء الناس (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) ليتحرر وبالالاتفاق مرضيه تعالى وثوابه وهم مشركو مكة المنفقون أموالهم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المنافقون (ومن يكن الشيطان له قرينا فاساء قرينا) أى فقر بينهم الشيطان وانما حذف للايدان بظهوره واستغنائه عن التصريح به والمراد به ابليس وأعوانه حيث جالوهم على تلك القبائح وزيئوها لهم كما فى قوله تعالى ان المبشرين كانوا اخوان الشياطين ويجوز أن يكون وعيد الهم بأن الشيطان يقرن بهم فى النار (وماذا عليهم) أى على من ذكر من الطوائف (لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله) أى ابتغاء لوجه الله تعالى وانما لم يصرح به تعويلا على التفصيل السابق واكتفاء بذكر الايمان بالله واليوم الآخر فانه يقتضى أن يكون الاتفاق لا ابتغاء وجهه تعالى وطاب ثوابه البتة أى وما الذى عليهم أو وأى تبعة ووبال عليهم فى الايمان بالله والاتفاق فى سبيله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد فى الشئ بخلاف ما هو عليه وتحرير على التفهيم لطلب الجواب لعله يؤدى بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والموائد الجميلة وتنبه على أن المدعو الى أمر لا ضرر فيه ينبغي أن يجيب اليه احتياطا فكيف اذا كان فيه منافع لا تخصى وتقديم الايمان بهما الاهمية فى نفسه ولعدم الاعتداد بالاتفاق بدونه وأما تقديم اتفاقهم رثاء الناس على عدم ايمانهم بهم ماع كونه المؤخر أقبح من المقدم فلرعاية المناسبة بين اتفاقهم ذلك وبين ما قبله من بخلهم وأمرهم للناس به (وكان الله بهم) وبأحوالهم المحققة (عليها) فهو وعيد لهم بالعقاب أو بأعمالهم المفروضة فهو بيان لاثباته تعالى اياهم لو كانوا قد آمنوا وأنفقوا كما ينبغي عنه قوله تعالى (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) المثقال مفعول من الثقل كما تقدم من القدر واتصاه على أنه نعت للمفعول قائم مقامه سواء كان الظلم معنى النقص أو معنى وضع الشئ فى غير موضعه أى لا ينقص من الاجر ولا يزيد فى العقاب شيئا قد اذرت أو على أنه نعت للمصدر المحذوف نائب منابه أى لا يظلم ظلالا مقدار ذرة وهى النملة الصغيرة أو كل جزء من اجزاء الهباء فى الكوة وهو الانسب بمقام المبالغة فان قلته فى الثقل أظهر من قلته فى النملة فيه وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه أدخل يده فى التراب ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة (وان تلك حسنة) أى وان تلك منقال ذرة حسنة أنت لتأيت الخبر أولا ضاقته الى الذرة وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وتخفيفا لكثر الاستعمال وقرئ حسنة بالرفع على أن كان تامة (بضاعفها) أى يضاعف ثوابها جعل ذلك مضاعفة لنفس الحسنة تنبيها على كمال الاتصال بينهما كأنهما شئ واحد وقرئ يضعفها وكلاهما بمعنى واحد وقرئ تضاعفها بنون العظمة على طريقة الالتفات عن عثمان النهدي أنه قال لابي هريرة رضى الله عنه بلغنى عندك أنك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يعطى عبده المؤمن بالحسنة ألف ألف حسنة قال أبو هريرة لا بل سمعته صلى الله عليه وسلم يقول يعطيه ألفى ألفى حسنة ثم تلا هذه الآية الكريمة والمراد الكثرة لا التحديد (ويؤت من لدنه) ويعط صاحبها من عنده على نهج الفضل زائد على ما وعدده فى مقابلة العمل (أجر عظيم) عطاء جزيل وانما سماه أجرا لكونه تابعا للاجر من زيد اعليه (فكيف)

محلها أما الرفع على أنها خبر مبتدأ محذوف وأما النصب بفعل محذوف على التشبيه بالحال كما هو رأى سيبويه
 أو على التشبيه بالطرف كما هو رأى الاخضر أي فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم
 أو كيف يصنعون (أذا جئنا) يوم القيامة (من كل أمة) من الأمم (بشهادة) يشهد عليهم بما كانوا عليه من
 فساد العمل وقبائح الأعمال وهو بينهم كافي قوله تعالى وكنتم عليهم شهداء ما دمت فيهم والعامل
في الطرف مضمون المبتدأ والخبر من هول الأمر وعظم الشأن أو الفعل المقدر ومن متعلقة بجئنا (وجئنا بك)
 يا محمد (على هؤلاء) إشارة إلى الشهداء المدلول عليهم بما ذكر (شهادة) تشهد على صدقهم لعلك به قائدهم
 لا اجتماع شرعك لجماع قواعدهم وقيل إلى المكذبين المستفهم عن حالهم تشهد عليهم بالكفر والعصيان
 كما يشهد سائر الأنبياء على أمتهم وقيل إلى المؤمنين كافي قوله تعالى تسكنون أو شهداء على الناس ويكون
 الرسول عليكم شهداء (يومئذ يؤذ الذين كفروا وعصوا الرسول) استئناف لبيان حالهم التي أشير إلى شدتها
 وقطاعتها بقوله تعالى فكيف فإن أريد بهم المكذبون (رسول الله صلى الله عليه وسلم) فالتعبير عنهم بالموصول
 لاسيما بعد الإشارة إليهم بهؤلاء لآدمتهم بما في حيز الصلة والاشعار بعلته ما اعتراه من الحال الفظيعة والأمر
 الهائل وإيراده عليه السلام بعنوان الرسالة لتشريفه وزيادة تقبيح حال مكذبيه فإن حق الرسول أن يؤمن به
 ويطاع لأن يكفر به ويعصى وإن أريد بهم جنس الكفرة فهم داخلون في زميرهم دخولاً وأولياً والمراد
 بالرسول حينئذ الجنس المنتظم للنبي عليه السلام انتظاماً وأولياً وأتماً ما كان ففيه من تهويل الأمر وتفطيع
 الحال ما لا يقادر قدره وقوله تعالى وعصوا عطف على كفروا داخل معه في الصلة والمراد معاصيهم المغيرة
 لكفرهم ففيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بفروع الشرائع في حق المواخظة وقيل حال من ضمير كفروا
 وقيل حاله لموصول آخر أي يؤذ في ذلك اليوم الذين جعوا بين الكفر وعصيان الرسول أو الذين كفروا وقد عصوا
 الرسول أو الذين كفروا والذين عصوا الرسول ولوفي قوله تعالى (لوتسوى بهم الأرض) إن جعلت مصدرية
 فالجمله مفعول ليؤذ أي يؤذون أن يذفنوا فتسوى بهم الأرض كلوفى وقيل يؤذون أنهم لم يبعثوا ولم يخلقوا
 وكانهم والأرض سواء وقيل تصير البهائم تراباً فيؤذون حالها وإن جعلت جازية على بابها فالجمله محذوف
 لدلالة الجمله عليه أي يؤذون تسوية الأرض بهم وجواب لو أيضاً محذوف ايذاناً بزيادة ظهوره أي لسر وأبذلك
 وقوله تعالى (ولا يكنون الله حديثاً) عطف على يؤذ أي ولا يقدر على كتمانهم لآفة جوارحهم تشهد عليهم
 وقيل الواو للعلال أي يؤذون أن يذفنوا في الأرض وهم لا يكنون منه تعالى حديثاً ولا يكذبونه بقولهم والله
 ربنا ما كنا مشركين أذروى أنهم إذا قالوا ذلك ختم الله على أفواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشهد الله الأمر عليهم
 فيمتنون أن تسوى بهم الأرض وقرئ تسوى على أن أصله تسوى فأدغم التاء في السين وقرئ تسوى محذوف
 التاء الثانية يقال تسوى تسوى (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون)
 لما نهوا فمما سلف عن الاشارة به تعالى نهوا عنها بما يؤذى اليه من حيث لا يحتسبون فانه روى أن عبد الرحمن
 ابن عوف رضى الله عنه صنع طعاماً وشرباً حين كانت الخمر مباحة فدعا نفر من الصحابة رضى الله عنهم فأكلوا
 وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب فتقدم أحدهم ليصلي بهم فقرأ أعبد ما تعبدون فزلت وتصدير الكلام
 بحرفي النداء والتوبيخ للمبالغة في جلهم على العمل بموجب النهي وتوجيه النهي إلى قربان الصلاة مع أن المراد
 هو النهي عن إقامتها للمبالغة في ذلك وقيل المراد النهي عن قربان المساجد لقوله عليه السلام جنبوا مساجدكم
 صبيانكم ومجانينكم وبأباه قوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون فاللعن لا تقيها في حالة السكر حتى تعلموا قبل
 الشروع ما تقولونه أذبتلك التجربة يظهر أنهم يعلمون ما سيقروا به في الصلاة وحمل ما تقولون على ما في الصلاة
 يستدعي تقدم الشروع فيها على غاية النهي وحمل العلم على ما بالقوة على معنى حتى تهـ تكونوا بحيث تعاون
 ما مستقره ونه في الصلاة تطويل بلاطائل لأن تلك الحنية انما تظهر بما ذكر من التجربة على أن اشارة ما تقولون
 على ما تقره ون حينئذ يكون عارياً عن الداعي وقيل المراد بالسكر سكر النعاس وغلبة النوم وأتماً ما كان فليس
 مرجع النهي هو المقيد مع بقاء القيد مرخصاً بحاله بل انما هو المقيد مع بقاء المقيد على حاله ان الصلاة كانت
 على المؤمنين كتاباً موقوتاً كما أنه قيل يا أيها الذين آمنوا لا تسكروا في أوقات الصلاة وقد روى أنهم كانوا بعد
 ما نزلت الآية لا يشربون الخمر في أوقات الصلاة فإذا صلاوا العشاء شربوها فلا يصحون الا وقد ذهب عنهم

السكر وعلموا ما يقولون (ولا جنباً) عطف على قوله تعالى وأنتم سكارى فإنه في حيز النصب كأنه قيل لا تقربوا
 الصلاة سكارى ولا جنباً والجنب من أصابه الجنابة يستوى فيه المذكور والمؤنث والواحد والجمع بلربانه مجرى
 المصدر (الاعباري سبيل) استثناء مفرغ من أعم الأحوال محله النصب على أنه حال من ضمير لا تقربوا باعتبار
 تقيده بالحال الثانية دون الأولى والعامل فيه فعل النهي أي لا تقربوا الصلاة جنباً في حال من الأحوال
 الاحتمال كونه مسافراً على معنى أن في حالة السفر ينهي حكم النهي لكن لا بطريق شمول النبي
 لجميع صورها بل بطريق نفي الشمول في الجملة من غير دلالة على انتفاء خصوصية البعض المستثنى ولا على بقاء
 خصوصية البعض الباقي ولا على ثبوت نقيضه لا كتاباً ولا جرسياً فان الاستثناء لا يدل على ذلك عبارة نعم يشير
 الى مخالفة حكم ما بعده لما قبله اشارة اجمالية يكتفى بها في المقامات الخطائية لافي اجابات الاحكام الشرعية
 فان ملأ الامر في ذلك انما هو الدليل وقد ورد عقبه على طريقة البيان وقيل هو صفة جنباً على أن الابعث
 غير أي والجنب غير عابري سبيل ومن حل الصلاة على مواضعها فسر العبور بالاجتياز بها وجوز للجنب عبور
 المسجد وبه قال الشافعي رحمه الله وعندنا لا يجوز ذلك الا أن يكون الماء أو الطريق فيه وقيل ان رجالاً من
 الانصار كانت أبوابهم في المسجد وكان يصيهم الجنابة ولا يجدون عمراً الا في المسجد فرخص لهم ذلك (حتى
 تقتسلوا) غاية للنهي عن قربان الصلاة حاله الجنابة ولعل تقديم الاستثناء عليه للايدان من أول الامر بأن حكم
 النهي في هذه الصورة ليس على الإطلاق كما في صورة السكر تشويهاً الى البيان وروماً لزيادة تفرقه في الازهان
 وفي الآية الكريمة اشارة الى أن المصلي حقه أن يصترع عما يليه ويشغل قلبه وأن يركب نفسه عما يدنسها ولا يكتفى
 بأدنى مراتب التزكية عند امكان أعمالها (وإن كنتم مرضى) شروع في تفصيل ما أجل في الاستثناء وبيان
 ماهو في حكم المستثنى من الاعذار والاقتصار فيما قبل على استثناء السفر مع مشاركة الباقي له في حكم الترخيص
 للاشعار بأنه العذر الغالب المنهي عن الضرورة التي علمها يدور أمر الرخصة كأنه قيل ولا جنباً الا مضطرين واليه
 مرجع ما قبل من أنه جعل عابري سبيل كناية عن مطلق المعذورين والمراد بالمرض ما يمنع من استعمال الماء
 مطلقاً سواء كان ذلك بتعذر الوصول اليه أو بتعذر استعماله (أو على سفر) عطف على مرضى أي أو كنتم على
 سفر ما طال أو قصر وإيراده صريحاً بما عطف عليه من طريق الاستثناء لبناء الحكم الشرعي عليه وبيان كيفية
 فان الاستثناء كما اشير اليه بعزل من الدلالة على ثبوته فضلاً عن الدلالة على كيفية وتقديم المرض عليه للايدان
 باصالة واستعقالاته بأحكام لا توجد في غيره كالاشتداد باستعمال الماء ونحوه (أو جاء أحدكم من الغائط)
 هو المكان الغائر المظلم والجحي منه كناية عن الحدث لأن المعتاد أن من يريد يذهب اليه ليوارى شخصه عن
 أعين الناس واستناد الجحي منه الى واحد منهم من المخاطبين دونهم للتفادي عن التصريح بنسبتهم الى ما يستحي
 منه أو يستهجن التصريح به وكذلك اشارة الكناية فيما عطف عليه من قوله عز وجل (أو لامستم النساء) على
 التصريح بالجماع ونظمهما في سلك سبي سقوط الطهارة والاصير الى التيمم مع كونهما سبي وجوب اليأس باعتبار
 أنفسهما بل باعتبار ريدتهما المستفاد من قوله تعالى (فلم تجدوا ماء) بل هو السبب في الحقيقة وانما ذكرهما لانهما
 وتيمم على أنه سبب للرخصة بعد انعتاد سبب الطهارة الصغرى والكبرى كأنه قيل أو لم تكونوا مرضى
 أو مسافرين بل كنتم فاقدين للماء بسبب من الاسباب مع تحقق ما يوجب استعماله وتخصيص ذكره بهذه
 الصورة مع أنه معتبر في صورة المرض والسفر أيضاً لندرة وقوعه فيها واستغنائه ما عن ذكره اما لأن الجنابة معتبرة
 فيها ما قطعنا فاعلم من حكمها حكم الحدث الا صغر دلالة النص لأن تقدير النظم لا تقربوا الصلاة في حال الجنابة
 الاحتمال كونكم مسافرين فان كنتم كذلك أو كنتم مرضى الخ واما لما قبل من أن عموم اعواز الماء في حق
 المسافر غالب والعجز عن استعمال الماء القائم مقام عدمه في حق المريض مغن عن ذكره لفظاً وما قبل من أن هذا
 التقدير راجع الى الكل وأن قيده وجوب التطهر المسمى عنه بالجحي من الغائط والملازمة معتبر في الكل
 مما لا يساعده انتظام المكرم (فتيمموا صعيداً طيباً) فتيمموا صعيداً طيباً من وجه الارض طاهراً قال الزجاج الصعيد
 وجه الارض تراباً أو غيره وان كان مضر التراب عليه لوضرب التيمم يده عليه ومسح لكان ذلك ظهوراً وهو
 مذهب أبي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي رحمه الله لا بد أن يعلق باليد شيئاً من التراب (فامسحوا بوجوهكم
 وأيديكم) أي الى المرفقين لما روى أنه عليه السلام تيمم ومسح يديه الى مرفقيه ولانه بدل من الوضوء فيقدر

بقدره (إن الله كان عفوا غفورا) تعليل للترخيص والتيسير وتقرير لهما فإن من عادته المستمرة أن يعفو عن الخطأين ويعفو للمذنبين لا بد أن يكون ميسرا لامعسرا وقيل هو كناية عنهما فإن الترفية والمساخطة من روادف العفو وتوابع الغفران (ألم ترأي الذين أتوا نصيبا من الكتاب) كلام مستأنف مسوق لتعجيب المؤمنين من سوء حالهم والتحذير عن موالاتهم والخطاب لكل من يتأق منه الرؤية من المؤمنين وتوجهه إليه ههنا مع توجهه فيما بعد إلى الكل مع الالفاظ بكال شبهة شناعة حالهم وأنها بلغت من الظهور إلى حيث يتعجب منها كل من يراها والرؤية بصرية أي ألم تنظر إليهم فانهم أحقاء بأن نشاهدهم وتعجب من أحوالهم وتجوز كونها قلبية على أن إلى تضمنها معنى الاتهام لما فعلوه بأبائهم تشهير شناعة قطعها في سلك الأمور المشاهدة والمراد بهم أحبار اليهود روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في حبرين من أحبار اليهود كانا يأتيان رأس المنافقين عبد الله بن أبي ورهطه يبطأ عنهم عن الإسلام وعنه رضي الله عنه أيضا أنها نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دحشم كانا إذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لوليا لسانهما وعاباه والمراد بالكتاب هو التوراة وحله على جنس الكتاب المنتظم لها انتظاما أوليا تطويل للمسافة وبالأذى أو بما بين لهم فيها من الأحكام والعلوم التي من جللتها ما عاوه من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وحقيقة الإسلام والتعبير عنه بالنصيب المنبئ عن كونه حقا من حقوقهم التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها لا يذنب بكال ركاكة آرائهم حيث ضيعوه تضييعا وتنوينه تفضيحي مؤيد للتشنيع عليهم والتعجيب من حالهم فالتعبير عنهم بالموصول للتفسيه بما في حيز الصلاة على كمال شناعة عنهم والأشعار بمكان ما طوى ذكره في المعاملة المحسنة عنهم من الهدى الذي هو أحد العوضين وكلمة من متعلقة اتما بأوتوا ويجذف وقع صفة لنصيبا ميمنة لنظامته الإضافية اثريان نظامته الذاتية أي نصيبا كائنا من الكتاب وقوله تعالى (يشترون الضلالة) قيل هو حال مقدرة من وأوتوا ولا ريب في أن اعتبار تقدير اشتراهم المذكور في الآيات بما لا يليق بالمقام وقيل هو حال من الموصول أي ألم تنظر إليهم حال اشتراهم وأنت خبير بأنه حال عن افادة أن مادة التشنيع والتعجيب هو الاشتراء المذكور وما عطف عليه والذي تقتضيه جملة النظم الكريم أنه استئناف مبين لنسب التشنيع ومدار التعجيب المفهومين من صدر الكلام على وجه الاجال والابهام مبني على سؤال نشأ منه كانه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر إليهم فقل يأخذون الضلالة ويتركون ما أوتوه من الهداية وانما طوى ذكر المتروك لغاية ظهور الامر لاسيما بعد الاشعار بالمدكور والتعبير عن ذلك بالاشترا الذي هو عبارة عن استبدال السلعة بالتمن أي أخذها بدلا منه أخذنا شئنا عن الرغبة فيها والاعراض عنه لا يذنب بكال رغبتهم في الضلالة التي حقها أن يعرف عنهما كل الاعراض واعراضهم عن الهداية التي يتنافس فيها المنافسون وفيه من التسجيل على نهاية سخافة عقولهم وغاية ركاكة آرائهم ما لا يخفى حيث صوّرت حالهم بصورة ما لا يكاد يعطاه أحد ممن له أدنى تمييز وایس المراد بالضلالة جنسها الحاصل لهم من قبل حتى يحل بمعنى الاشتراء المنبئ عن تأخرها عنه بل هو فردها الكامل وهو عنادهم وتماديهم في الكفر بعد ما علموا بشأن النبي عليه السلام ووقفوا بحقيقة دينه وأنه هو النبي العربي المشرية في التوراة ولا ريب في أن هذه الرتبة لم تكن حاصله لهم قبل ذلك وقد مر في أوائل سورة البقرة (ويريدون) عطف على يشترون شريك له في بيان محل التشنيع والتعجيب وصيغة المضارع فيها دلالة على الاستمرار المتجدد فان تجدّد حكم اشتراهم المذكور وتكرّر العمل بوجهه في قوة تجدّد نفسه وتكرّره أي لا يكتفون بضلال أنفسهم بل يريدون بما فعلوا من كتمان نعمته عليه السلام (أن تضلوا) أنتم أيضا أيها المؤمنون (السييل) المستقيم الموصول إلى الحق (والله أعلم) أي منكم (بأعدائكم) جميعا ومن جملتهم هؤلاء وقد أخبركم بعد أوتهم لكم وما يريدون بكم لتكفوا عن حذر منكم ومن يخاطبهم أو هو أعلم بحالهم وما لأمورهم والجملة معترضة لتقرير ارادتهم المذكورة (وكفى بالله وليا) في جميع أموركم ومصالحكم (وكفى بالله نصيرا) في كل المواطن فتقوا به واكفوا بولايته ونصرته ولا تتولوا غيره أولا لولائهم وبما يسمونكم من سوء فانه تعالى يكفيكم مكرهم وشرهم فقيه وعد ووعد والباء مزيدة في قائل كفى لتأكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي وتكرير الفعل في الجملتين مع اظهار الجلالة في مقام الانحصار لاسيما في الثاني لتقوية استقلالهما المناسب للاعتراض وتأكيده كفايته عز وجل في كل من الولاية والنصرة والاشعار بعلمتهما فان الألوهية من موجباتهما لا محالة (من الذين هادوا) قيل هو بيان لأعدائكم

وما بينهما اعتراض وفيه أنه لا وجه تخصيص من علمه سبحانه بطائفة من أعدائهم لاسيما في معرض الاعتراض الذي
 حقه العموم والاطلاق وانتظام ما هو المقصود في المقام انتظاما أوليا كما أشير إليه وقيل هو صلة نصيرا أي
 ينصركم من الذين هادوا كما في قوله تعالى فمن ينصرفني من الله وفيه ما فيه من تحجير واسع نصرته عز وجل مع أنه
 لا داعي إلى وضع الموصول موضع ضمير الأعداء لأن ما في حيز الصلة ليس بوصف ملائم للنصر وقيل هو خبر
 مبتدأ محذوف وقع قوله تعالى (يحذفون الكلام عن مواضعه) صفة له أي من الذين هادوا أقوم أو فريق يحذفون
 الخ وفيه أنه يقتضي كون الفريق السابق بعزل من التحريف الذي هو المصادق لاشتراطهم في الحقيقة فالذي
 يليق بشأن التنزيل الجليل أنه بيان للموصول الأول المتناول بحسب المفهوم لاهل الكاين قد وسط بينهما ما وسط
 لمزيد الاعتناء ببيان محلي التشبيح والتجيب والمادة إلى تفتير المؤمنين منهم وتحذيرهم عن مخالطتهم والاهتمام
 بحملهم على الثقة بالله عز وجل والاكتفاء بولايته ونصرته وأن قوله تعالى يحذفون وما عطف عليه بيان لاشتراطهم
 المذكور وتفصيل افنون ضلالهم وقدر وعيت في النظم الكريم طريقة التفسير بعد الإبهام والتفصيل اثر
 الاجمال وما الزيادة تقرير يقتضيه الحال والكلم اسم جنس واحدة كلمة كثر وعرة وتذكر كبر ضميره باعتبار
 افرادها لفظا وجمعية مواضعه باعتبار تعدده معنى وقرئ بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تحريف كلمة وقرئ
 يحذفون الكلام والمراد به ههنا انما ما في التوراة خاصة وانما ما هو أعم منه ومما سيحكي عنهم من الكلمات
 المعهودة الصادرة عنهم في أثناء المحاوره مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مساغ لارادة تلك الكلمات خاصة
 بأن يجعل عطف قوله تعالى (ويقولون سمعنا وعصينا) الخ على ما قبله عطفًا تفسيرا لما استنفذ على سره فان أريد به
 الأول كما هو رأي الجمهور فتحريفه ازالته عن مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها من التوراة كتحريفهم في نعت
 النبي عليه السلام أسمر ربعة عن موضعه في التوراة بأن وضعوا مكانه آدم طوال وكتبر يفهم الرجم بوضعهم بدله
 الخ أو صرفه عن المعنى الذي أنزله الله تعالى فيه إلى ما لا صحة له بالتأويلات الزائفة الملائمة لشهواتهم الباطلة
 وان أريد به الثاني فلا بد من أن يراد بمواضعه ما يليق به مطلقا سواء كان ذلك بتعيينه تعالى صريحا كواضع
 ما في التوراة أو بتعيين العقل أو الدين كواضع غيره وأيا ما كان فقولهم سمعنا وعصينا ينبغي أن يجري على إطلاقه
 من غير تقييد بزمان أو مكان ولا تخصيص بمادة دون مادة بل وأن يحمل على ما هو أعم من القول الحقيقي ومما
 يترجم عنه عنادهم ومكابرتهم ليندرج فيه ما نطقت به ألسنة حالهم عند تحريف التوراة فان من لا يتفقه بتلك
 العظيمة لا يكاد يجاسر على مثل هذه الجناية والافحله على ما قالوه في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم من
 القبايح خاصة يستدعي اختصاص حكم الشرطية الآتية وما بعدها بهم من غير تعرض لتحريفهم التوراة مع أنه
 معظم جناياتهم المعهودة ومن ههنا انكشف لك السر الموعود فتأمل أي يقولون في كل أمر يخاف لاهوائهم
 الفاسدة سواء كان بمحض النبي صلى الله عليه وسلم أولا بلسان المقال أو الحال سمعنا وعصينا عنادا وتحشقا
 لخالفته وقوله تعالى (واسمع غير مسمع) عطف على سمعنا وعصينا داخل تحت القول أي ويقولون ذلك في أثناء
 مخاطبته عليه السلام خاصة وهو كلام ذو وجهين محتمل للشر بأن يحمل على معنى اسمع خال كونك غير مسمع كلاما
 أم لا بسمعهم أو موت أي مدعوا عليك بلا سمعت أو غير مسمع كلاما ترضاء حينئذ يجوز أن يكون نصبه على
 المقهولية والغير بأن يحمل على اسمع منا غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به النبي صلى الله عليه وسلم استهزاء به
 مظهرين له عليه السلام ارادة المعنى الأخير وهم مضطرون في انفسهم المعنى الأول مطمئنون به (وراعنا) عطف
 على اسمع غير مسمع أي ويقولون في أثناء خطابهم له عليه السلام هذا أيضا يوردون كلام من العظام الثلاث في
 مواقعها وهي أيضا كلمة ذات وجهين محتمل للغير بحملها على معنى ارقبنا وانظرنا نكامل وللشر بحملها على
 السب بالاعونة أي الحق أو باجرائها مجرى ما يشبهها من كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسبون بها وهي راعينا
 كانوا يخاطبونهم عليه السلام بذلك ينوون الشتم والاهانة ويظهرون التوقير والاحترام ومصيرهم إلى مسلك
 النفاق في القولين الأخيرين مع تصر يحجمهم بالعصيان في الأول لما قالوا من أن جميع الكفرة كانوا يوجهونه
 بالكفر والعصيان ولا يوجهونه بالسب ودعاء السوء وقيل كانوا يقولون الاترل فيما بينهم وقيل يجوز أن لا ينطقوا
 بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كأنهم نطقوا به (لسبألتهم) أي قتلها وأصرقا للكلام عن نهجه
 إلى نسبة السب حيث وضعوا غير مسمع موضع لا سمعت مكروها وأجروا راعنا المشابهة لراعينا مجرى انظرنا

أوفتلاهم واضحا لما يظهرونه من الدعاء والتوقير الى ما يفتخرونه من السب والتحجير (وطعننا في الدين) أي قد حافيه بالاستهزاء والسخرية واتصاهم ما على العلية ليقولون باعتبار تعلقه بالقولين الاخيرين أي يقولون ذلك اصرف الكلام عن وجهه الى السب والطعن في الدين أو على الحالبية أي لاوين وطاعنين في الدين (ولوأنهم) عندما سمعوا شيئا من أوامر الله تعالى ونواهيها (قالوا) بلسان المقال أو بلسان الحال مكان قولهم سمعنا وعصينا (سمعنا واطعنا) انما أعيد معنما مع أنه متحقق في كلامهم وانما الحاجة الى وضع أطلعنا مكان عصينا للتنبية على عدم اعتباره بل على اعتبار عدمه كيف لا وسمعناهم سماع الرد ومرادهم بحكاية اعلام أن عصيانهم للامر بعد سماعه والوقوف عليه فلا بد من آرائه واقامة سماع القبول مقامه (واسمع) أي لو قالوا عند مخاطبة النبي عليه الصلاة والسلام بدل قولهم اسمع غير سمع اسمع (وانظرنا) أي لو قالوا ذلك بدل قولهم راعنا ولم يدسوا تحت كلامهم شر أو فادا أي لو ثبت أنهم قالوا هذا مكان ما قالوا من الاقوال (لكن) قولهم ذلك (خيرالهم) مما قالوا (وأقوم) أي أعدل وأسد في نفسه وصيغة التفضيل اما على بابها واعتبار أصل الفضل في المفضل عليه بناء على اعتقادهم أو بطريق التهمكهم واما بمعنى اسم الفاعل وانما قدم في البيان حاله بالنسبة اليهم على حاله في نفسه لانهم هم مقصودة على ما ينفعهم (ولكن لعنهم الله بكفرهم) أي ولكن لم يقولوا ذلك واستمروا على كفرهم فخذلهم الله تعالى وأبعدهم عن الهدى بسبب كفرهم بذلك (فلا يؤمنون) بعد ذلك (الاقبلا) قيل أي الا ايماننا قليلا ليعبأ به وهو الايمان ببعض الكتب والرسول أو الا زمانا قليلا وهو زمان الاحتضار فانهم يؤمنون حين لا يشفعهم الايمان قال تعالى وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وكلاهما ليس بايمان قطعا وقد جوز أن يراد بالقلة العدم بالكلية على طريقة قوله تعالى لا يدعون فيها الموت الا الموت الاولي أي ان كان الايمان المعدوم ايمانا فهم يحدثون شيئا من الايمان فهو في المعنى تعليق بالحال وأنت خير بأن الكل يأباه ما يعقبه من الامر بالايمان بالقرآن الناطق بهذا لافضائه الى التكليف بالحال الذي هو ايمانهم بعدم ايمانهم المستتر أما على الوجه الاخير فظاهر وأما على الاولين فلان أمرهم بالايمان المنجز بجميع الكتب والرسول تكليف لهم بايمانهم بعدم ايمانهم ببعض الكتب والرسول وبعدم ايمانهم الى وقت الاحتضار فالوجه أن يحمل القليل على من يؤمن بعد ذلك لكن لا يجعل المستثنى منه ضمير الفاعل في لا يؤمنون لافضائه الى وقوع ايمان من لعنه الله تعالى وخذله مع ما فيه من نسبة القراء الى الاتفاق على غير المختار بل يجعله ضمير المفعول في لعنهم أي ولكن لعنهم الله الا فريقا قليلا فانه تعالى لم يلغ عنهم فلم يستد عليه باب الايمان وقد آمن بعد ذلك فريق من الاحبار كعبد الله بن سلام وكعب وأضرابه كما سيأتي (يا أيها الذين آمنوا انصروا الكتاب) تلوين للخطاب وتوجيه له اما الى من حكيت أحوالهم وأقوالهم خاصة بطريق الالتفات ووصفهم تارة بايتاء الكتاب أي التوراة وأخرى بايتاء نصيب منها التوفيقية كل من المقامين حقه فان المقصود فيها سبق بيان أخذهم المضللة وازالة ما يؤيد بمقابلتها بالتحريف وليس ما أزالوه بذلك كلها حتى يوصفوا بايتائه بل هو بعضها فوصفوا بايتائه وأما ههنا فالمقصود تأكيد ايجاب الامتنال بالامر الذي يعقبه والتحذير عن مخالفته من حيث ان الايمان بالمصدق موجب للايمان بما يصدقه والكفر بالثاني مقتضى للكفر بالاول قطعا ولا ريب في أن المخذور عندهم انما هو لزوم الكفر بالتوراة نفسها لا ببعضها وذلك انما يتحقق بجعل القرآن مصدقا لكلها وان كان مناط التصديق بعضا منه ضرورة أن مصدق البعض مصدق لكل المتضمن له حتما وأما اليهم والى غيرهم فاطبة وهو الاظهر وأما ما كان تفصيل ما فصل لما كان من مظان اقلع كل من الفريقين عما كانوا عليه من المضللة عقب ذلك بالامر بالمبادرة الى سلوك حجة الهداية مشفوعا بالوعيد الشديد على المخالفة فقيل (آمنوا بما نزلنا) من القرآن عبر عنه بالوصول نشره يقال بما في حيز الصلة وتحققه بالكونه من عنده عز وجل (مصدقنا معكم) من التوراة عبر عنها بذلك للايضاح بكمال وقوفهم على حقيقة الحال فان المعية المستدعية له وام تلاوتها وتكرار المراجعة اليها من موجبات العثور على ما في تضاعيفها المؤدى الى العلم بكون القرآن مصدقا لها ومعنى تصديقه اياها نزوله حسبا نعت لهم فيها أو كونه موافقا لها في القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعبدل بين الناس والنبى عن المعاصى والفواحش وأما

ما ينزله من مخالفة لها في جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الامم والاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي
 عن الموافقة من حيث ان كلامها حق بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة التي عليها يدور فلك التشريع حتى لو
 تأخر نزول المتقدم انزل على وفق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق المتقدم قطعاً ولذلك قال عليه الصلاة
 والسلام لو كان موسى حيا لما وسعه الاتباعي (من قبل أن نظم من وجوها) متعلق بالامر مفيد
 للمصارعة الى الامتثال به والحد في الانتهاء عن مخالفة بما فيه من الوعيد الشديد الوارد على ابلغ وجه
 وأكد حيث لم يعلق وقوع التوعده بالمخالفة ولم يصرح بوقوعه عند تنبيهها على أن ذلك أمر محقق غنى
 عن الاختيار به وأنه على شرف الوقوع متوجه نحو الخطاطيين وفي تنكير الوجوه المفيد للتكثير ثم ويل للخطيب
 وفي اجابهاها لطف بالخطاطيين وحسن استدعاء لهم الى الايمان وأصل الطمس محو الآثار وازالة الاعلام
 أي آمنوا من قبل أن نمحو تخطيط صورها ونزيل أمارها قال ابن عباس رضي الله عنهما فجعلها كنف البعير
 أو كحافر الدابة وقال قتادة والخصال نفعها كقوله تعالى فطمسنا أعينهم وقيل فجعلها منابت الشجر كوجوه
 القردة (فتردها على أديارها) فجعلها على هيئة أديارها وأقفاها مطموسة مثلها فالغناء للتسبب أو تسكسها
 بعد الطمس فتردها الى موضع الاقفاء والاقفاء الى موضعها وقد اكتفى بذلك كراشدهما فالغناء للتعقيب وقيل
 المراد بالوجوه الوجوه على أن الطمس بمعنى مطلق التغيير أي من قبل أن نغير أحوال وجهاتهم فنسب أقبالهم
 ووجهاتهم ونكسوها صغارا وادبارا أو نرددهم من حيث جاؤا منه وهي أذرعات الشام فالمراد بذلك اجلاء
 بني النضير ولا يخفى أنه لا يساعده مقام تشديد الوعيد وتعميم التهديد للجميع فالوجه ما سبق من الوجوه وقد
 اختلف في أن الوعيد هل كان بوقوعه في الدنيا أو في الآخرة فقبيل كان بوقوعه في الدنيا ويؤيده ما روى أن
 عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه لما قدم من الشام وقد سمع هذه الآية أي رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قبل أن يأتي أهله فأسلم وقال يا رسول الله ما كنت أرى أن أصل اليك حتى يتعول وجهي الى قضاى وفي رواية
 جاء الى النبي عليه الصلاة والسلام ويده على وجهه وأسلم وقال ما قال ~~وص~~ كذا ما روى أن عمر رضي الله عنه
 قرأ هذه الآية على كعب الاحبار فقال كعب يا رب آمنت يا رب أسلمت بخافة أن يصيبه وعيدها ثم اختلفوا
 فقيل انه منتظر بعد ولا بد من طمس في اليهود ومسخ وهو قول المبرد وفيه أن انصراف العذاب الموعود عن
 أوائلهم وهم الذين باشرُوا أسباب نزوله وموجبات حلوله حيث شاهدوا وشاهد النبوة في رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فكذبوها وفي التوراة فخرقوها وأصرُوا على الكفر والضلالة وتعلق بهم خطاب المشافهة بالوعيد ثم
 نزوله على من وجد بعد مئات من السنين من أصحابهم الضالين باضلالهم العاملين بما مهدوا من قوانين القواية
 بهيئ من حكمة الله تعالى العزيز الحكيم وقيل ان وقوعه كان مشروطا بعدم الايمان وقد آمن من
 أحبارهم المذكوران وأضرابهم ما قل يقع وفيه أن اسلام بعضهم ان لم يكن سيالاً كد نزول العذاب على
 الباقي لتشديدهم التكثير والعناد بعد ازدياد الحق وضوح قيام الحق عليهم بشهادة أمثالهم العدو فلا أقل من
 أن لا يكون سبب رفعه عنهم وقيل كان الوعيد بوقوع أحد الامرين كما يتطابق به قوله تعالى (أو نلعنهم كما لعنا
 أصحاب السبت) فان لم يقع الامر الاول فلا نزاع في وقوع الثاني كيف لا وهم ملعونون بكل لسان في كل زمان
 وتفسير اللعن بالمسخ ليس بمقتزى البتة وأنت خير بأن المتبادر من اللعن المشبه بلعن أصحاب السبت هو المسخ
 وليس في صفة على الطمس والرد على الادبار شافية دلالة على عدم ارادة المسخ ضرورة أنه تغيير مقارن لما عطف
 عليه على أن التوعده لا بد أن يكون أمراً حاداً متتابعاً على الوعيد محذورا عندهم ليكون منجزة عن مخالفة
 الامر ولم يعهد أنه وقع عليهم من بهذا الوصف انما الواقع عليهم ما تداولته الالسنه من اللعن المستقر الذي ألقوه
 وهو بمنزلة من صلاحية أن يكون حكماً لهذا الوعيد أو منجزة للعنيد وقيل انما كان الوعيد بوقوع ما ذكر
 في الآخرة عند الحشر وسيقع فيه الاحكام أحد الامرين أو ~~وص~~ كلاهما على سبيل التوزيع وأما ما روى
 عن عبد الله بن سلام وكعب بن قيس على الاحتياط الا لا يثق بشأنهما والحق أن التظلم الكريم ليس نص في أحد
 الوجهين بل المتبادر منه بحسب المقام هو الاول لأنه أدخل في الزجر وعليه يبق ما روى عن الخبرين لكن لما
 لم يتضح وقوعه لم أن المراد هو الثاني والله تعالى أعلم وأما ما كان فعل السر في تخصيصهم بهذه العقوبة من بين
 العقوبات مراعاة للمشكلة بينها وبين ما أوجبها من جنائهم التي هي التعريف والتغيير والله هو العليم الخبير

(وكان أمر الله) أي ما أمر به كائن ما كان أو أمره بإشباع شيء ما من الأشياء (مفعولا) نافذا كائنا
لا بحالة فدخل فيه ما أوعدهم به دخولا أوليا فالجمله اعتراض تذييلي مقترن لما سبق ووضع الاسم الجليل
موضع التبرير بطريق الالتفات لترسيخ المهابة وتعليل الحكم وتقوية ما في الاعتراض من الاستقلال
(إن الله لا يغفر أن يشرك به) كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من الوعيد وتأكيده وجوب الامتنال بالأمر
بالإيمان ببيان استحالة المغفرة بدونه فانهم كانوا يفعلون ما به علون من التعريف وبطعمعون في المغفرة كما في
قوله تعالى تخاف من بعدهم خلف ورتوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى أي على التعريف ودية ولون
سغفرنا والمراد بالشرك مطلق الكفر المستظم لكفر اليهود انتظاما أوليا فان الشرع قد نص على اشرار أهل
الكتاب قاطبة وقضى بخلود أصناف الكفرة في النار ونزوله في حق اليهود كما قال مقاتل وهو الانسب بسباق
النظم الكريم وسياقه لا يقتضي اختصاصه بكفرهم بل يكفي اندراجهم فيه قطعاً بل لا وجه له أصلاً لاقتضائه
جواز مغفرة مادون كفرهم في الشدة من أنواع الكفر أي لا يغفر الكفر لمن انصف به بالتوبة وإيمان لأن
الحكمة التشريعية مقتضية لسد باب الكفر وجواز مغفرته بالإيمان مما يؤدي إلى قصه ولأن ظلمات الكفر
والمعاصي انما يسترها نور الإيمان فمن لم يكن له إيمان لم يغفر له شيء من الكفر والمعاصي (وبغفر مادون ذلك)
عطف على خبر أن وذلك إشارة إلى الشرك وما فيه من معنى البعد مع قرينه في الذكر لا يذان يبعد درجته وكونه
في أقصى مراتب القبح أي وبغفر مادونه في القبح من المعاصي صغيرة كانت أو كبيرة تفضل من لدنه واحساناً
من غير توبة عنها لكن لا لكل أحد بل (لمن يشاء) أي لمن يشاء أن يغفر له بمن انصف به فقط لا بما فوقه فان
مغفرته ما لمن انصف به ما سواه في استحالة الدخول تحت المشيئة المبنية على الحكمة التشريعية فان اختصاص
مغفرة المعاصي من غير توبة بأهل الإيمان من مقامات الترغيب فيه والزجر عن الكفر ومن علق المشيئة بكل
الفاعلين وجعل الموصول الأول عبارة عن لم يقب والثاني عن تاب فقد ضل سواء الصواب كيف لا وان ساق
النظم الكريم لاظهار كمال عظم جرم الكفر وامتيازهم عن سائر المعاصي ببيان استحالة مغفرته وجواز
مغفرته فلو كان الجواز على تقدير التوبة لم يظهر بينهما فرق للاجماع على مغفرته ما بالتوبة ولم يحصل ما هو
المقصود من الزجر البليغ عن الكفر والاطغيان والجل على التوبة والإيمان (ومن يشرك بالله) اظهار الاسم
الجليل في موضع الاضمار لزيادة تقييد الاشرار وتنطبيع حال من ينصف به (فقد افترى انما عظيماً) أي افترى
واختلق مرتكباً انما لا يقادر قدره ويستحق ردونه جميع الآثام فلا تتعلق به المغفرة قطعاً (ألم تر إلى الذين
يركون أنفسهم) تعجب من حالهم المنافية لما هم عليه من الكفر والاطغيان والمراد بهم اليهود الذين يقولون نحن
أنباء الله وحبائره وقيل ناس من اليهود جازاً بأطفالهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء
ذنب فقال عليه الصلاة والسلام لا قالوا ما نحن الا كهيتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر
عنا بالنهار أي انظر اليهم فتعجب من ادعائهم أنهم أزكيا عند الله تعالى مع ما هم عليه من الكفر والاثم العظيم
أو من ادعائهم التكفير مع استحالة أن يغفر لا كافراً شيئاً من كفره أو معاصيه وفيه تحذير من إعجاب المرء بنفسه
وبعمله (بل الله يزكي من يشاء) عطف على مقدر يساق إليه الكلام كأنه قيل هم لا يزكونها في الحقيقة
لكذبهم وبطلان اعتقادهم بل الله يزكي من يشاء تزكيتاً من يستأهلها من المرئيين من عباده المؤمنين اذ هو
العليم الخبير بما ينطوي عليه البشر من المحاسن والمساوي وقد وصفهم الله بما هم متصفون به من القبايح وأصل
التزكية تقي ما يستقيم بالفعل أو بالقول (ولا يظلمون) عطف على جملة قد حذفت تعويلاً على دلالة الحال
عليها وايداً بأنها غيبة عن الذكر أي يعاقبون تلك الفعل القبيحة ولا يظلمون في ذلك العقاب (قبيلاً) أي
أدنى ظلم وأصغره وهو الخط الذي في شق النواة يضرب به المثل في القلة والحقارة وقيل التقدير ثاب المزكون
ولا ينقص من ثوابهم شيء أصلاً ولا يساعده مقام الوعيد (انظر كيف يفترون على الله الكذب) كيف نصب اما
على التشبيه بالنظر أو بالحال على الخلاف المشهور بين مبيوه والاشفئس والعامل يفترون وبه تعلق على
أي في أي حال أو على أي حال يفترون عليه تعالى الكذب والمراد ببيان شناعة تلك الحال وكال قطعاً
والبالله في عمل النصب بعد نزع الخلاف والنظر متعلق به سواه وهو تعجب آخر تعجب وتنبه على أن ما ارتكبه
متضمن لا مبرر حقيقي موجب للتعجب ادعائهم الاتصاف بما هم متصفون بتقيضه واقترائهم على الله سبحانه

فان ادعاهم الزكاة عنده تعالى متضمن لادعائهم قبول الله وارتضاءه اياهم تعالى عن ذلك علوا كبيرا وان يكون هذا أشنع من الاول جرما وأعظم قبيحا لما فيه من نسبة سبحانه وتعالى الى ما يستعمل عليه بالكلمة من قبول الكفر وارتضاءه لعباده ومغفرة كفر الكافر وسائر معاصيه وجه النظر الى كيفية تشديدا للتشيع وتأكيدهم للتجيب والتصریح بالكذب مع أن الافتراء لا يكون الا كذبا بالمبالغة في تشييع حالهم (وكفى به) أي بافترائهم هذا من حيث هو افتراء عليه تعالى مع قطع النظر عن مقارنته لتركبة أنفسهم وسائر آثامهم العظام (انما بينا) ظاهرا بينا كونه انما والمعنى كفى ذلك وحده في كونهم أشد انما من كل كفارا ثم أوفى استحقاقهم لشد العقوبات لما تكرر وجعل النصير لهم عما لا مساع له لا خلا له به وويل أمر الافتراء فتدبر (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) تجيب من حال أخرى لهم ووصفهم بما ذكر من آيات النصيب لما تكرر من منافاته لما صدر عنهم من القبايح وقوله عز وجل (يؤمنون بالحبث والطاغوت) استئناف مبين لما ذكره التجيب مبنى على سؤال ينساق اليه الكلام كأنه قيل ماذا يفعلون حين ينظر اليهم فقيل يؤمنون بالخ والحبث الاصنام وكل ما عبد من دون الله تعالى فقيل أصله الحبس وهو الذي لا خير عنده فأبدل السين تاء وقيل الحبث الساحر بلغة الحبشة والطاغوت الشيطان قيل هو في الأصل كل ما يطمى الانسان روى أن حبي بن أخبط وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة في سبعين راكبا من اليهود ليحالفوا قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه عليه السلام فقالوا أنتم أهل كتاب وأنتم أقرب الى محمد منكم البنا فلا نأمن مكركم فاجحدوا ولا تهتبا حتى نطمئن اليكم ففعلوا بهذا ايمانهم بالحبث والطاغوت لانهم جحدوا الاصنام وأطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابوسفيان ~~كعب~~ انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أتيون لا نعلم فأبنا أهدي طريقا نحن أم محمد فقال ماذا يقول محمد قال يأمر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما ديتكم قالوا نحن ولالة البيت نسبي الحاج ونقرى الضيف ونفك العاني وذكرنا أفعالهم فقال أنتم أهدي سبيلا وذلك قوله تعالى (ويقولون للذين كفروا) أي لاجلهم وفي حقهم (هؤلاء) يعنونهم (أهدي من الذين آمنوا سبيلا) أي أقوم ديننا وأرشد طريقته وإرادهم بعثوا الان ايمان ليس من قبل القائلين بل من جهة الله تعالى تعريضا لهم بالوصف الجليل وتحظية لمن رجع عليهم المتصفين بأفصح القبايح (أولئك) إشارة الى القائلين وما فيه من معنى البعد مع قربهم في الذكرا لاشعار ببعدهم منزلة في الضلال وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (الذين انعم الله) أي أبعدهم عن رحمة وطردهم والجللة مستأنفة لبيان حالهم واطهار مصيرهم وما لهم (ومن يلعن الله) أي يبعده عن رحمة (فلن نجعله نصيرا) يدفع عنه العذاب دنيويا كان أو آخر ذيا لا بشقاعة ولا بغيرها وفيه تنصيص على حرمانهم مما يطلبون قريش وفي كلمة لن وتوجيه الخطاب الى كل أحد من يتسنى له الخطاب وتوحيد النصير منكر والتعير عن عدمه بعدم الوجدان المنبي عن سبق الطلب مسندا الى المخاطب العام من الدلالة على حرمانهم الابدى بالكلمة ما لا يخفى (أم لهم نصيب من الملك) شروع في تفصيل بعض آخر من قبائحهم وآم منقطعة وما فيها من بل للأشراب والانتقال من ذمتهم بتركبتهم أنفسهم وغيرها مما حكى عنهم الى ذمتهم بادعائهم نصيبا من الملك ويخلطهم المفراط وشبههم البالغ والهجرة لا نكار أن يكون لهم ما يدعون وابطال ما زعموا أن الملك سيصير اليهم وقوله تعالى (فاذن لا يؤتون الناس نقيرا) بيان لعدم استحقاقهم له بل لاستحقاقهم الحرمان منه بسبب أنهم من البخل والذمالة بحيث لو أوتوا شيئا من ذلك لما أعطوا الناس منه أقل قليل ومن حق من أوفى الملك أن يؤثر الغير بشئ منه فالقاء للسمية الجزائية لشرط محذوف أي ان جعل لهم نصيب منه فاذن لا يؤتون الناس مقدار نقير وهو ما في ظهر التواة من النقرة يضرب به المثل في القلة والحقارة وهذا هو البيان الكاشف عن كنه حالهم وإذا كان شأنهم كذلك وهم ملوك فما ظنك بهم وهم أذلاء متفارقون ويجوز أن لا تكون الهمة لا نكار الوقوع بل لا نكار الواقع والتوبيخ عليه أي لعدم منكر اغتر لا تقي بالوقوع على أن القاء للعطف والانتكار متوجه الى مجموع المعطوفين على معنى أنهم نصيب واقر من الملك حيث كانوا أصحاب أموال وبساتين وقصور مشيدة كالملوك فلا يؤتون الناس مع ذلك نقيرا كما تقول لنفي لا يراعى أباه لك هذا القدر من المال فلا تنفق على أيك شيئا وقائدة اذن

نأكد الانكار والتوبيخ حيث يجعلون ثبوت النصب سببا لامتنع مع كونه سببا للاعطاء وهي مظنة عن العمل
 كأنه قبل فلا يؤتون الناس اذن وقرى فاذن لا يؤتوا بالنصب على اعمالها (أم يحسدون الناس) منقطعة
 أيضا مقيدة للاستقبال من تو يخفهم بما سبق الى تو يخفهم بالحسد الذي هو شر الرذائل وأقبحها لاسماعيل ما هم
 بعزل من استحقاقه واللام في الناس للعهد والاشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وجهه على
 الجنس ايذا بجوارزهم للكمالات البشرية فاطبة فكأنهم هم الناس لا غير لا يلائمه ذكر حديث آل ابراهيم
 فان ذلك لئلا يكره ما بين الفريقين من العلاقة الموجبة لاشتراكهم في استحقاق الفضل والمهزة لانكار
 الواقع واستحقاقه فانهم كانوا يطمعون أن يكون النبي الموعود منهم فلما خص الله تعالى بتلك الكرامة
 غيرهم حسدوهم أي بل أيحسدوهم (على ما آتاهم الله من فضله) يعني النبوة والكتاب وازدياد العز
 والنصري وما فيوما وقوله تعالى (فقد آتينا) زعليل لانكار والاستحقاق والزام لهم بما هو مسلم عندهم
 وحسم لما دعه حسدوهم واستبعادهم للمبنيين على توهم عدم استحقاق المحسود لما أوفى من الفضل بيان
 استحقاقه بطريق الوراثة كبراعن كبرواجر الكلام على سنن الكبرياء بطريق الالتفات لانظار كمال
 العناية بالامر والمعنى أن حسدوهم المذكور في غاية القبح والبطلان فانا قد آتينا من قبل هذا (آل ابراهيم)
 الذين هم أسلاف محمد عليه الصلاة والسلام وأبناء أعمامه (الكتاب والحكمة) أي النبوة (وآتيناهم) مع
 ذلك (ملكاً عظيماً) لا يقاد رقدرة فكيف يستبعدون نبوته عليه الصلاة والسلام ويحسدونه على آياتها وتكرير
 الآيات لما يقتضيه مقام التفصيل مع الاشعار بما بين النبوة والملك من المغارة فان أريد به الاتباع بالذات
 فالمراد بآل ابراهيم أنبياءهم خاصة والضمير المنصوب في الفعل الثاني لبعضهم أما بحذف المضاف أو بطريق
 الاستحداً لما أن الملك لم يؤت كلهم قال ابن عباس رضي الله عنهما الملك في آل ابراهيم ملث يوسف وداود
 وسليمان عليهم السلام وان أريد به ما بعدهم وغيره من الآيات بالواسطة وهو اللائق بالمقام والافق لما قبله من نسبة
 آيات الفضل الى الناس فالمراد بآل ابراهيم كلهم فان تشرىف البعض بما ذكر من آيات النبوة والملك تشرىف
 للكل لا عنايتهم بآثاره واقباسهم من أنواره وفي تفصيل ما أوفى وتكرير الفعل ووصف الملك بالعظم
 وتكريره التفعيلى من تأكيد الالزام وتشديد الانكار ما لا يخفى هذا هو المتبادر من النظم الكريم واليه جف
 وجه ورائعة التفسير لكن الظاهر حيث أن يكون قوله تعالى (فختم من آمن به ومنهم من صد عنه) حكاية
 لما صدر عن أسلافهم عقب وقوع المحكي من غير أن يكون له دخل في الالزام الذي سبق له الكلام أي فن
 جنس هؤلاء الحسادين وآبائهم من آمن بما أوفى آل ابراهيم ومنهم من أعرض عنه وأما جعل الضميرين لما ذكر
 من حديث آل ابراهيم فيسند على تراخي الآية الكريمة عما قبلها نزولا كيف لا وحكاية ايمانهم بالحديث
 المذكور واعرأضهم عنه بصفة الماضي انما تصور بعد وقوع الايمان والاعراض المتأخرين عن سماع
 الحديث المتأخر عن نزوله وكذا جعله ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ظاهر بيان حالهم بعد هذا الالزام
 وجهه على حكاية حالهم السابقة لاتساع الفناء المرتبة لما بعدها على ما قبلها ولا يبعد كل البعد أن تكون
 الهمة لتقرر بحسدوهم وتوخيهم بذلك ويكون قوله تعالى فقد آتينا الآية تعديلا له بدلالة على اعراضهم عما
 أوفى آل ابراهيم وان لم يذكر كونه بطريق الحسد كأنه قيل بل أيحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ولا
 يؤمنون به وذلك ديدنهم المستقر فانا قد آتينا آل ابراهيم ما آتينا ففهم أي من جنسهم من آمن بما آتيناهم ومنهم
 من أعرض عنه ولم يؤمن به والله سبحانه أعلم وفيه دلالة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (وكفى بجهنم سعيراً)
 ناراً مهيمة يعذبون بها والجله تدليل لما قبلها (ان الذين كفروا بآياتنا) ان أريد بهم الذين كفروا برسول
 الله صلى الله عليه وسلم فالمراد بالآيات اما القرآن أو ما يسمي كنهه وعضه أو ما يسمي سائر معجزاته أيضا وان أريد
 بهم الجنس المتناول لهم تشاؤلا أو ليا فالمراد بالآيات ما يسمي المذكورات وسائر الشواهد التي آتيتها الانبياء
 عليهم السلام (سوف نصليهم نارا) قال سيويه سوف كلمة تذكرة للتعديد والوعيد وينوب عنها السين وقد
 يذكران في الوعد فيفيدان التأكيد أي ندخلهم ناراً عظيمة هائلة (كلما نضجت جلودهم) أي احترقت وكلما
 ظرف زمان والعامل فيه (بدلناهم جلوداً غيرها) من قبيل بدله بخوفه أم لا من قبيل يتبدل الله بيناتهم
 حسناً أي أعطيناهم مكان كل جلد محترق عند احتراقه جلد جديد مغاير للمحترق صورة وان كان عينه

قوله لا عنايتهم في سعة
 لا عنايتهم اه

مادة بأن يرأى عنه الاحتراق ليعود احساسه للعداب والجله في محل النصب على أنها حال من ضمير نصلهم وقد
 جوز كونها صفة لنار على حذف العائد أي كلما نجت فيها جلودهم فعنى قوله تعالى (ليذوقوا العذاب)
 ليدوم ذوقه ولا يتقطع كقولك للعزير أعزله الله وقيل يخلق مكانه جلدا آخر والعذاب للنفس العاصية لا لآلة
 ادراكها قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يذوقون جلودا أيضا كالمثال القراطيس وروى أن هذه الآية
 قرئت عند عمر رضى الله تعالى عنه فتعال للشارى أعدها فأعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي
 نفسيرها سيدل في ساعة مائة مرة فقال عمر رضى الله عنه هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
 وقال الحسن تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قبل لهم عودا فيعودون كما كانوا وروى أبو هريرة
 عن النبي صلى الله عليه وسلم أن بين منكبي الكافر مرة ثلاثة أيام للراكب المسرع وعن أبي هريرة أنه قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم شرس الكافر وأب الكافر مثل أحد وظل جلد مسيرة ثلاثة أيام والتعبير عن
 ادراك العذاب بالذوق ليس لبيان قلته بل لبيان أن احساسهم بالعداب في كل مرة كاحساس الذائق بالذوق
 من حيث أنه لا يدخله نقصان بدوام الملابس أو لاشعاع حرارة العذاب مع إلامه أو للتنبية على شدة
 تأثره من حيث أن القوة الذاتية أشد الحواس تأثرا أو على سرائقه للباطن ولعل السر في تبديل الجلود
 مع قدرته تعالى على إبقاء ادراك العذاب وذوقه بحاله مع الاحتراق أو مع إبقاء أبدانهم على حالها مصونة
 عن الاحتراق أن النفس وبما توهم زوال الادراك بالاحتراق ولا تستبعد كل الاستبعاد أن تكون مصونة عن
 التألم والعداب صيانة بدنها عن الاحتراق (إن الله صانع عزي) لا يمنع عليه ما يريد ولا يمانعه أحد
 (حكيم) يعاقب من يعاقبه على وفق حكمته والجله لتعليل لما قبلها من الاصلاح والتبديل وظهار الاسم
 الجليل بطريق الاثبات ثم ويل الامر وتربية المهابة وتعليل الحكم فإن عنوان الألوهية منسائط لجميع صفات
 كماله تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) عقب بيان سوء حال الكفرة ببيان حسن حال المؤمنين
 تكمة للمساواة الأولين ومسرته الآخرين أي الذين آمنوا بآياتنا وعملوا بما يقتضينها وهو مبتدأ خبره قوله
 تعالى (سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار) وقرئ سيدخلهم بالياء وذا على الاسم الجليل وفي
 السين تأكيده لوعده (خالدين فيها أبدا) حال مشددة من النعيم المنصوب في سندخلهم وقوله عز وجل
 (لهم فيها أزواج مطهرة) أي مما في نساء الدنيا من الأحوال المستندرة البدنية والادناس الطبيعية في محل
 النصب على أنه حال من جنات أو حال ثانية من النعيم المنصوب أو على أنه صفة لجنات بعد صفة أو في محل
 الرفع على أنه خبر للموصول بعد خبر (وسيدخلهم ظللا) أي فينا لا لاجوب فيه دائما لا تخففه شمس
 اللهم ارزقنا ذلك بفضلنا وكرمك بأرحم الراحمين والظليل صفة مشتقة من لفظ الظل للتأكيده كما
 في ليل أليل ويوم أيوم وقرئ يدخلهم بالياء وهو عطف على سيدخلهم لا على أنه غير الادخال الأول بالذات
 بل بالعنوان كافي قوله تعالى ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ
 (إن الله يامرهم أن تودوا الأمانات إلى أهلها) في تصدير الكلام بكلمة التحقيق وظهار الاسم الجليل وإيراد
 الامر على صورة الاخبار من التسمية وتأكيده وجوب الامتثال به والدلالة على الاعتناء بشأنه ما لا مزيد
 عليه وهو خطاب بـ حكمه المكلفين فاطبة كما أن الامانات تم جميع الحقوق المتعلقة بهم من حقوق الله
 تعالى وحقوق العباد سواء كانت فعلية أو قولية أو اعتقادية وان ورد في شأن عثمان بن طلحة بن عبد الدار سادن
 الكعبة المعظمة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح أغلق عثمان رضى الله عنه
 باب الكعبة وصعد السطح وأبى أن يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه فلو عني بن
 أبي طالب يده وأخذ منه وفتح ودخل النبي صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس أن يعطيه
 المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فتركت فأمر عليا أن يرده إلى عثمان ويعتذر إليه فقال عثمان لعلي أكرهت
 وآذيت ثم جئت زفو فقال لقد أنزل الله تعالى في شأنك قرآنا قرأ عليه الآية فقال عثمان أشهد أن لا اله
 الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فهبط جبريل عليه الصلاة والسلام وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
 السدانة في أولاد عثمان أبدا وقرئ الامانة على التوحيد والمراد بالجنس لا المعهود وقيل هو أمر لا لآلة بآلة
 الحقوق المتعلقة بهم من المناصب وغيرها إلى مستحقها كما أن قوله تعالى (وإذا حكمتم بين الناس)

قوله فينا هو بقاءه وثناء
 تحية ونونين بينهما ألف
 فيعال من السنان كثيرا
 الاقنان وقوله ولا جوب فيه
 بضم الجيم وفتح الواو جمع
 جوبه فتح الجيم بمعنى فرجة
 أي لا فرج فيه يعني أنه
 متصل منبسط هكذا في
 الشهاب اه محجة

أن تحكموا بالعدل) أمرهم بإيصال الحقوق المتعلقة بذيهم الغير إلى أصحابها وحيث كان المأمور به ههنا
 مختصا بوقت المرافعة قد به بخلاف المأمور به أولا فإنه لما يتعلق بوقت دون وقت أطلق إطلاقا فتوله تعالى
 أن تحكموا عطف على أن تؤدوا وقد فصل بين العاطف والمهطوف بالظرف المعمول له عند الكوفيين ولقد تردد
 هو عليه عند البصريين لأن ما بعد أن لا يعمل فيما قبلها عندهم أي وأن تحكموا إذا حكمتم الخ وقوله
 تعالى بالعدل متعلق بتحكموا واعتدروا حال من فاعله أي ملتبذين بالعدل والانصاف (إن الله نعمة يعظكم به)
 ما أمانته موصوفة يعظكم به أو مرفوعة موصولة به كأنه قيل نعم شيئا يعظكم به أو نعم الشيء الذي يعظكم به
 والمخصوص بالمدح محذوف أي نعماء يعظكم به ذلك وهو المأمور به من أداء الأمانات والعدل في الحكومات
 وقرئ نعماء بفتح النون والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها متضمنة لمزيد لطف بالمخاطبين وحسن استدعائهم إلى
 الامتثال بالأمر وإظهار الاسم الجليل لترسية المهابة (إن الله كان سميعا) لا قوا لكم (بصريا) بأفعالكم
 فهو وعد وعيد وإظهار الجلالة لما ذكره آتفا فان فيه تأكيد الكل من الوعد والوعيد (يا أيها الذين آمنوا)
 بعد ما أمر بالولاية بطريق العموم أو بطريق الخصوص بأداء الأمانات والعدل في الحكومات أمر سائر الناس
 بطاعتهم لكن لا مطلقا بل في ضمن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم حيث قيل (أطيعوا الله
 وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) وهم أمراء الحق وولاة العدل كالتلفاء الراشدين ومن يقتدى بهم
 من المهتدين وأما أمراء الجور فيعزل من استحقاق العطف على الله تعالى والرسول عليه الصلاة والسلام
 في وجوب الطاعة لهم وقيل هم علماء الشرع لقوله تعالى ولورثوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين
 يستنبطونه منهم ويأباه قوله تعالى (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله) إذ ليس للمتلدين أن يتنازعوا في شئ
 في حكمه إلا أن يجعل الخطاب لأولى الأمر بطريق الالتفات وفيه بعد وتصدير الشرطية بالنفاء لترتيبها على ما قبلها
 فإن بيان حكم طاعة أولى الأمر عندهم وافقه الطاعة لله تعالى وطاعة الرسول عليه السلام يستدعي بيان
 حكمها عند المخالفة أي إن اختلفتم أنتم وأولو الأمر منكم في أمر من أمور الدين فراجعوا فيه إلى كتاب الله
 (والرسول) أي إلى سنته وقد استدلل به منكم والقياس وهو في الحقيقة دليل على حجيته كيف لا ورده
 المختلف فيه إلى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو المعنى بالقياس ويؤيده الأمر به بعد الأمر
 بطاعة الله تعالى وبطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام فإنه يدل على أن الأحكام ثلاثة ثابت بالكتاب وثابت
 بالسنة وثابت بالردا إليهما بالقياس (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) متعلق بالأمر الأخير الوارد
 في محل النزاع إذ هو المحتاج إلى التحذير من المخالفة وجواب الشرط محذوف عند جمهور البصريين ثقة
 بدلالة المذكور عليه أي إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فردوه الخ فإن الإيمان بهما يوجب ذلك
 أما الإيمان بالله تعالى فظاهر وأما الإيمان باليوم الآخر فلما فيه من العتاب على المخالفة (ذلك) أي الرد
 المأمور به (خير) لكم وأصلح (وأحسن) في نفسه (تأويلا) أي عاقبة وما لا وثقة بديم خيرته
 لهم على أحسنه في نفسه لما تر من تعلق أنظارهم بما يقعهم والمراد بيان انصافه في نفسه بالخبرة الكاملة
 والحسن الكامل في حد ذاته من غير اعتبار فضله على شئ يشاكره في أصل الخبرية والحسن كما ينبغي عنه
 التحذير السابق (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل الله وما أنزل من قبله) تلويح للخطاب
 وتوجيه له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجميعا له من حال الذين يخالفون ما أمر من الأمر المحتوم
 ولا يطيعون الله ولا رسوله ووصفهم بأدعاء الإيمان بالقرآن وما أنزل من قبله أعني التوراة لتأكيد التعجب
 وتشديد التوبيخ والاستعجاب ببيان كمال المباعدة بين دعواهم وبين ما صدر عنهم وقرئ الفعلان على البناء
 للفاعل وقوله عز وجل (يريدون أن يتحاكوا إلى الطاغوت) استئناف سيق لبيان محل التعجب مبنى
 على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل ماذا يفعلون فقيل يريدون الخ وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما
 أن منافقا خاصمهم وديافداهم اليهودي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا المنافق إلى كعب بن الأشرف
 ثم انهم ما أحسوا كمالا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوا اليهودي فلم يرض به المنافق فدعا إلى عمرو بن الخطاب
 رضى الله عنه فقال اليهودي قضي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض به ضائه فقال عمر للمنافق أهكذا
 قال نعم فقال عمر مكانكما حتى أخرج اليكما فدخل فاشتغل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى

قوله فراجعوا فيه الخ
 هكذا في النسخ ومنه في
 البيضاوي قال بعض محبيه
 ولو قال فراجعوا فيه الخ
 لكان أولى اه سمعته

بردم قال هكذا أقضى لمن لم يرض بقضاء الله وقضاة رسوله فنزلت فهبط جبريل عليه الصلاة والسلام وقال ان عمر
فرق بين الحق والباطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت الفاروق فالطاغوت كعب بن الاشرف - يحيى به
لاقرطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى التشبيه بالشیطان والتسمية باسمه أو جعل
اختيار التحاكم الى غير النبي صلى الله عليه وسلم على التحاكم اليه فحكم الى الشيطان وقال الفصل المراد
بالطاغوت كهنة اليهود وسحرةهم وعن الشعبي "أن المنافق دعا خصمه الى كاهن في جهينة فحكم كما اليه وعن
السدي "أن الحدادنة وقعت في قتل بين بنى قريظة والنضير فحكم المسلمون من الفريقين الى النبي صلى الله عليه
وسلم وأبي المنافقون منهما الا التحاكم الى أبي بردة الكاهن الاسلمى "فحكموا اليه فيكون الاقتصار حينئذ في
معرض التعجب والاستقبح على ذكر ارادة التحاكم دون نفسه مع وقوعه أيضا للتنبيه على أن ارادته بما يقضى
منه العجب ولا ينبغي أن يدخل تحت الوقوع فخالطك بنفسه وهذا انبب بوصف المنافقين بأدعاء الايمان
بالتوراة فانه كما يقضى كونهم من منافقي اليهودية قضى كون ماصدر عنهم من التحاكم ظاهر المناقاة لا دعاء
الايمان بالتوراة وليس التحاكم الى كعب بن الاشرف بهذه المثابة من الظهور وأيضا فالتبادر من قوله تعالى
(وقد أمروا ان يكفروا به) كونهم مأمورين بكفره في الكافرين وما ذال الا الشيطان وأولياؤه المشهورون
بولايتهم كالكهنة ونظارهم لا من عداهم ممن لم يشتهر بذلك وقرئ أن يكفروا بها على أن الطاغوت جمع
كما في قوله تعالى أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم والجملة حال من ضمير يريدون مفيدة لتأكيدهم التعجب وتشديد
الاستقبح كالوصف السابق وقوله عز وجل (ويريد الشيطان أن يضلالهم ضلالا بعيدا) عطف على يريدون داخل
في حكم التعجب فان اتباعهم لمن يريد اضلالهم واعراضهم عن يريد هدايتهم أعجب من كل عجب وضلالا
انما صدر مؤكدا للنعمل المذكور بحذف الزوائد كما في قوله تعالى وأنبئنا نوحا حسنا أى اضلالا بعيدا واما
مصدر مؤكدا لفعله المدلول عليه بالفعل المذكور أى فضلو اضلالا وأياما كان فوصفه بالبعد الذي هو نعت
موصوفه بالمبالغة وقوله تعالى (واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله وإلى الرسول) تنكحه لما ذاك التعجب
بيان اعراضهم صريحا عن التحاكم الى كتاب الله تعالى ورسوله اثر بيان اعراضهم عن ذلك في ضمن التحاكم
الى الطاغوت وقرئ ثعلوبا بضم اللام على أنه حذف لام الفعل تخفيفا كما في قولهم ما بايت باله أصلها
بالبية كعافية وكما قالوا في آية ان أصلها آبية فحذفت اللام ر وقعت واو الجمع بعد اللام في تعالى فنمت قصار
تعالوا ومنه قول أهل مكة للمرأة تعالى بكسر اللام وعليه قول أبي فراس الحمداني

أيا يارنى ما انصف الدهريننا * تعالى أقاسمك الهموم تعالى

(رأيت المنافقين) اظهار المنافقين في مقام الاشارة للتسجيل عليهم بالنفاق وذمهم به والاشعار بعله
الحكم والرؤية بصرية وقوله تعالى (يسدون عنك) حال من المنافقين وقيل الرؤية قلبية والجملة مفعول
ثان لها والاول هو الانسب بظهور حالهم وقوله تعالى (صدودا) مصدر مؤكدا لفعله أى يعرضون عنك
اعراضا وإى اعراض وقيل هو اسم المصدر الذى هو الصدد والظاهر أنه مصدر لازم والصدد مصدر
للمتعذى يقال صد عنه صدودا أى أعرض عنه وصدته عنه صددا أى منعه منه وقوله تعالى (فكيف)
شروع في بيان غائلة جناياتهم المحكية وخامة عاقبتها أى كيف يكون حالهم (إذا أصابهم مصيبة)
أى وقت أصابة المصيبة آياهم باقتضاحهم بظهور نفاقهم (بما قدمت أيديهم) بسبب ما عملوا من
الجنايات التي من جعلتها التحاكم الى الطاغوت والاعراض عن حكمك (ثم جاؤك) للاعتذار عما صنعوا من
القبائح وهو عطف على أصابهم والمراد تفضيع حالهم وتحويل مادهم من الخطب واعتراضهم من شدة الامر
عند أصابة المصيبة وعند المجئ للاعتذار (يحلفون بالله) حال من فاعل جاؤك (ان أردنا الا احسانا وتوفيقا)
أى ما أردنا فحكمنا الى غيرك الا الفصل بالوجه الحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا
لحكمك فلا نتواخذنا بما فعلنا وهذا وعيد لهم على ما فعلوا وانهم سيندمون عليه حين لا يتقنعهم الندم ولا يغنى
عنهم الاعتذار وقيل جاء أولياء المنافق يطلبون بدمه وقد أهدره الله تعالى فقالوا ما أردنا أى ما أراد
صاحبنا المقتول بالتحاكم الى عمر رضى الله تعالى عنه الا أن يحسن اليه ويوفق بينه وبين خصمه (أولئك)
اشارة الى المنافقين وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر والنفاق وهو مبتدأ خبر

(الذين يعلم الله ما في قلوبهم) أي من فنون الشرور والفسادات المنافية لما أظهر واللك من الاكاذيب
(فأعرض عنهم) جواب شرط محذوف أي اذا كان حالهم كذلك فأعرض عن قبول معذرتهم وقيل عن عقابهم
لمصلحة في استبقائهم ولا تظهر لهم علمك بما في بواطنهم ولا تهتك سترهم حتى يتقوا على وجل وحذر (وعظمهم)
أي ازجرهم عن النفاق والكيد (وقل لهم في أنفسهم) في حق أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المنطوية على الشرور
التي يعلمها الله تعالى او في أنفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا بالنصيحة لانها في السر انجيع (قولوا بليغا)
مؤثرا واصل الى كنه المراد مطابقا لما سبق له من المقصود فالظرف على التدويرين متعلق بالامر وقيل متعلق
بليغا على رأي من يميز تقديم معمول الصفة على الموصوف أي قل لهم قولوا بليغا في أنفسهم مؤثرا في قلوبهم
يغترون به اغما ما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستئصال والايدان بأن ما في قلوبهم
من مكنونات الشر والنفاق غير خاف على الله تعالى وأن ذلك مستوجب لاشد العقوبات وانما هذه المكافاة
والتاخير لاظهارهم الايمان والطاعة وانما هم الكفر ولئن أظهر والشقاق وبرزوا بأشخاصهم من نفاق
النفاق ليمسهم العذاب ان الله شديد العقاب (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) كلام مبتدأ جي به
تهديد البيان خطتهم في الاشتغال بستر جنائهم بالاعتذار بالباطل وعدم تلافيا بالتوبة أي وما أرسلنا
رسولا من الرسل لشي من الاشياء الا ليطاع بسبب اذنه تعالى في طاعته وأمره المرسل اليهم بأن يطيعوه ويتبعوه
لانه مؤد عنه تعالى فطاعته طاعة الله تعالى ومعصيته معصيته تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله أو يتيسر
الله تعالى وتوفيقه في طاعته (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم) وعرضوها للعذاب على عذاب النفاق بترك طاعتك
والتحاكم الى غيرك (جاؤك) من غير تأخير كما ينصحه عنه تقديم الظرف متوسلين بك في التنصل عن جنائياتهم
القديمية والحادثة ولم يزداد واجنائية على جنائية بالقصد الى سترها بالاعتذار بالباطل والايمان الفاسدة
(فاستغفروا الله) بالتوبة والاخلاس وبالغوا في التضرع اليك حتى انتصبت شفيعا لهم الى الله تعالى واستغفرت
لهم وانما قبل (واستغفر لهم الرسول) على طريقة الالتفات تنجيها الشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما
لاستغفاره وتتميم اعلى أن شفاعته في حيز القبول (لوجدوا الله توابا رحيما) لعلوه مبالغيا في قبول توبتهم
والتفضل عليهم بالرحمة وان فسر الوجدان بالمصادفة كان قوله تعالى توابا حال لا رجا يدا منه أو حال من النعيم
فيه وأياما كان فضله فضل ترغيب للسامعين في المسارعة الى التوبة والاستغفار ومن يد تدنيم لاؤلك المناققين
على ما صنعوا لما أن ظهوره وتأثير قبول التوبة وحصول الرحمة لهم ومشاهدتهم لآثاره ما نعمة زائدة عليها
موجبة لكمال الرغبة في تحصيلها وتمام الحسرة على فواتها (فلا وربك) أي فوربك ولا مزيدة لتأكيده معنى القسم
لالتأكيده الثاني في جوابه أعنى قوله (لا يؤمنون) لانهم تزايدوا في الانبات أيضا كما في قوله تعالى فلا أقسم
بمواقع النجوم ونظائره (حتى يحكموك) أي يتحاكموا اليك ويترافعوا اليك وانما جي بصيغة التكليم مع أنه
عليه الصلاة والسلام حاكم بأمر الله سبحانه ايذا نابا بأن حقهم أن يحكموه حكما فيما بينهم ويرضوا بحكمه وان قطع
النظر عن كونه حاكما على الاطلاق (فيما شجر بينهم) أي فيما اختلف بينهم من الامور واختلط ومنه الشجر
لتداخل أغصانه (ثم لا يجدوا) عطف على مقدري يساق اليه الكلام أي تقتضي بينهم ثم لا يجدوا
(في أنفسهم حرجا) ضيقا (مما قضيت) أي مما قضيت به او من قضائك وقيل شك من أجله اذا شال
في ضيق من أمره (وبسلموا) أي ينقادوا والامر لا يذعنوا له (تسلما) تأكيده لافعل بمنزلة تكريره أي تسلما
تأما بظاھرهم وبباطنهم يقال سلم لأمرا لله وأسلم له بمعنى وحقيقته سلم نفسه له وأسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة أي
ينقادوا لحكمك انقيادا لا شبهة فيه بظاھرهم وبباطنهم قيل نزلت في شأن المنافق واليهودي وقيل في شأن الزبير
ورجل من الانصار حين اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراح من الحزبة كانا يسقيان بها الفضل فقال
عليه الصلاة والسلام اسق يا زبير ثم أرسل الماء الى جارك فغضب الانصاري وقال لأن كان ابن عمك فتغير وجهه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدار واستوف حقلك ثم أرسله الى
جارك كان قد أشاء على الزبير رأي فيه سعة له ونخصه فلما أحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعب للزبير
حقه في صريح الحكم ثم خرجا فزاعا على المقداد بن الاسود فقال ما ان القضاء فقال الانصاري قضى لابن عمه ولوى
شدقه فظن يهودى كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون أنه رسول الله ثم يهملونه في قضاء يقضى بينهم

وإيم الله لقد أذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى فدعانا إلى التوبة منه وقال اقتلوا أنفسكم ففعلنا فبلغ قتلنا سبعين
 ألفا في طلحة رباح حتى رضى عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس أما والله إن الله ليعلم منى الصدق لو أمرني محمد أن
 أقتل نفسي لقتلتها وروى أنه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر رضي الله عنهم فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم والذي نفسي بيده إن من امتي رجلا لا يمان أن ثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي فزت في شأن هؤلاء
 (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم) أي لو أوجبنا عليهم مثل ما أوجبنا على بني إسرائيل
 من قتلهم أنفسهم أو خروجهم من ديارهم حين استقامتهم من عبادة العجل وأن مصدريه أو مفسدة لأن كتبنا
 في معنى أمرنا (ما فعلوه) أي المكتوب المدلول عليه بكتبنا أو أحد مصدري الفعلين (الاقبل منهم) أي
 الأتباع قليل منهم وهم المخلصون من المؤمنين وروى عن عمر رضي الله عنه أنه قال والله لو أمرنا بنينا لقتلنا
 والمحدث الذي لم يفعل بذلك وقيل معنى اقتلوا أنفسكم تعرضوا للقتل بالجهاد وهو بعد وقرئ الاقلا
 بالنصب على الاستثناء أو الافعل قليلا (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به) من متابعة الرسول عليه الصلاة
 والسلام وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به ظاهرا وباطنا وسميت أوامر الله ونواهيها مواعظ لاعتدائها
 بالوعد والوعيد (لكان) أي فعلهم ذلك (خير لهم) عاجلا وأجلا (وأشد تنبيها) لهم على
 الإيمان وأبعد من الاضطراب فيه أو أشد تنبيها لنواب أعمالهم (وإذا لا يتناهم من لدنا بأجر عظيم)
 جواب السؤال مقدر كنه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل واذن لو ثبتوا لا يتناهم فان اذن
 جواب وجزاء (ولهديناهم مسراطا مستقيما) يصلون بسلكه إلى عالم القدس ويقف لهم أبواب الغيب
 قال عليه الصلاة والسلام من عمل بما علم ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم (ومن بطع الله والرسول) كلام مستأنف
 فيه فنهى عن ترغيب في الطاعة ومنه يد تشويق إليها ببيان أن نتيجتها أقصى ما ينهى إليه هم الام وأرفع ما يعتد
 إليه أعناق عزائمهم من مجاورته أعظم الخلائق مقدارا وأرفعهم منار متفنين لتفسير ما بهم في جواب
 الشرطية السابقة وتفصيل ما أجل فيه والمراد بالطاعة هو الانقياد التام والامتثال الكامل لجميع
 الاوامر والنواهي (فأولئك) إشارة إلى الطائفة والجميع باعتبار معنى من كما أن الافراد في فعل الشرط
 باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع التقرب في الذكر لا يذان بعلو درجتهم وبعد منزلاتهم في الشرف
 وهو مبتدأ خبره (مع الذين انعم الله عليهم) والجملة جواب الشرط وترك ذكر المنعم به للاشعار بقصور العبارة
 عن تفصيله وبيان (من النبيين) بيان للنعمة عليهم والتعرض لمعية سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام
 مع أن الكلام في بيان حكم طاعة نبينا عليه الصلاة والسلام بلربان ذكرهم في سبب النزول مع ما فيه من الإشارة
 إلى أن طاعته عليه الصلاة والسلام متفخمة اطاعتهم لاشغال شريعتهم على شرائعهم التي لا تتغير بتغير الاعصار
 روى أن نورا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله ان صرنا إلى الجنة نفضلنا بديرتنا النبوة
 فلانناك وقال الشعبي جاء رجل من الانصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال ما يبكيك يا فلان
 فقال يا رسول الله يا الله الذي لا اله الا هو لا أنت أحب إلى من نفسي وأهلي ومالي وولدي وأبي لا ذكرك وأما
 في أهلي فبأخذني مثل الجنون حتى أراك وذكرك موتى وأنت ترفع مع النبيين وأني ان أدخلت الجنة كنت
 في منزلة أدنى من منزلتك فلم ير ذلك فلم ير ذلك النبي عليه الصلاة والسلام فزنت وروى أن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم كان شديد الحب له عليه الصلاة والسلام قليل الصبر عنه فأنام يوما وقد تغير وجهه وشغل جسمه وعرف
 الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير أني
 إذا لم أراك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى أقال فذكرت الآخرة نخفت أن لا أراك
 هناك لاني عرفت أنك ترفع مع النبيين وان أدخلت الجنة كنت في منزل دون منزل وان لم أدخل فذاك حين
 لا أراك أبدا فزنت فقال عليه الصلاة والسلام والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من
 نفسه وأبويه وأهله وولده والناس أجمعين وحكي ذلك عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم وروى أن انسا
 قال يا رسول الله الرجل يحب قوما وما يلحق بهم قال عليه الصلاة والسلام المرء مع من أحب (والصديقين)
 أي المتقدمين في تصديدهم المباليغين في الصدق والاخلاص في الأقوال والأفعال وهم أفضل أصحاب الانبياء
 عليهم الصلاة والسلام وأما مثل خواصهم المقربين كابي بكر الصديق رضي الله عنه (والتهداة) الذين بدلوا

أرواحهم في طاعة الله تعالى وأعلى كفته (والصالحين) الصارفين أعمارهم في طاعته وأموالهم في مرضاته
وليس المراد بالمعية الاتحاد في الدرجة ولا مطلق الاشتراك في دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث يتمكن
كل واحد منهم من رؤية الآخر وزيارته متى أرادوا وبعد ما بينهم من المسافة (وحسن أولئك رفيقا) الرفيق
الصاحب مأخوذ من الرفق وهو لين الجانب واللطافة في المعاملة قوله ولا فعلاقان جعل أولئك إشارة إلى النبيين
ومن بعدهم على أن ما فيه من معنى البعد لما مر من الرافق رفيقا إما تمييزا أو حال على معنى أنهم وصفوا بالحسن من
جهة كونهم رفقاء للمطيعين أو حال كونهم رفقاء لهم وأفراده لما أنه كالصديق والخليل والرسول يستوى فيه
الواحد والمتعدد أولانه أريد حسن كل واحد منهم رفيقا وإن جعل إشارة إلى المطيعين فهو تمييز على معنى
أنهم وصفوا بحسن الرفيق من النبيين ومن بعدهم لأنفس الحسن فلا يجوز دخول من عليه كما يجوز في الوجه
الأول والجملة تذييل مقترن لما قبله مؤكدا للترغيب والتشويق قيل فيه معنى التمجيد كانه قيل وما أحسن
أولئك رفيقا والاستعلاء بمعنى التمجيد قرئ وحسن يسكون السين (ذلك) إشارة إلى ما للمطيعين من عظيم
الاجر ومزيد الهداية ومرافقة هؤلاء المنعم عليهم أو إلى فضلهم ومنزلةهم وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو
رتبته وبعد منزلته في الشرف وهو مبتدأ وقوله تعالى (الفضل) صفته وقوله تعالى (من الله) خبره أي
ذلك الفضل العظيم من الله تعالى لا من غيره أو الفضل خبره ومن الله متعلق بمحذوف وقع حال منه والعامل
فيه معنى الإشارة أي ذلك الذي ذكر فضل كائن من الله تعالى لأن أعمال المكلفين توجب (وكنى بالله علما)
بجزء من أطاعه وبمصادير الفضل واستحقاق أهله (يا أيها الذين آمنوا اخذوا حذركم) الحذر والحذر
واحد كالآثر والآثر والشبه والشبه أي يتقظوا واحترزوا من العدو ولا تمكثوه من أنفسكم يقال أخذ حذره
إذا تيقظ واحترز من الخوف كانه جعل الحذر آله التي يقي بها نفسه وقيل هو ما يحذره من السلاح والحزم
أي استعدوا للعدو (فانفروا) بكسر الفاء وقرئ بشعها أي اخرجوا إلى الجهاد عند خروجكم (ثبات)
جمع ثبة وهي الجماعة من الرجال فوق العشرة ووزنها في الأصل فعلة كطامة حذفت لامها وعوض عنها
تاء التانيث وهل هي واو أو ياء فيه قولان قيل إنها مشتقة من ثبات وكلاهما على ما قيل من ثبت على
الرجل إذا أثبت عليه كانه جمع محاسنه ويجمع أيضا على ثين جبر الماحذوف من عجزه ومحلها نصب
على الحالة أي انفروا واجاعات متفرقة سرية بعد سرية (أو انفروا جميعا) أي جمعة كوكبة واحدة
ولا تختاروا فتلحقوا بأنفسكم إلى التهلكة (وإن منكم من ليبطئن) أي ليتناقلن وليتخلفن عن الجهاد
من بطأ بمعنى أبطأ كعثره على أعثره والخطاب مكرر رسول الله صلى الله عليه وسلم كاهم المؤمنين منهم والمنافقين
والمبطئون منافقوهم الذين تناقلوا وتخلفوا عن الجهاد أو ليبطئن غيره ويبطئه من بطأ منتولا من بطؤ كقتل
من ثقل كما بطأ ابن أبي ناسي يوم أحد والاول أنسب لما بعده واللام الأولى للابتداء دخلت على اسم ان لفصل
بالتحريك والشاية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استمكن في لبطئن والتقدير
وإن منكم من أقسم بالله لبطئن (فإن أصابكم مصيبة) كقتل وهزيمة (قال) أي المبطل فرح بصدقه وحامدا
(أيه) قد أنعم الله على أي بالعود (اذلم أكن معهم شهيدا) أي حاضر في المعركة فبصيتي ما أصابهم
والفاء في الشرطية لترتيب مفعولها على ما قبلها فان ذكر التبطئة مستتبع لذكر ما يترتب عليها كما أن نفس
التبطئة مستدعية لشيء ينتظر المبطل وقوعه (وإن أصابكم فضل) كفتح وغنمة (من الله) متعلق
بأصابتكم أو بمحذوف وقع صفة لفضل أي فضل كائن من الله تعالى ونسبة أصابة الفضل إلى جناب الله
تعالى دون أصابة المصيبة من العادات الشريفة التزلية كما في قوله سبحانه وإذا مرضت فهو يشفين وتقديم
الشرطية الأولى لما أن مفعولها المقصدهم أوفق وأثرنا قههم فيها أظهر (ليقولن) ندامة على تبطله وقعوده
وتهالكا على حطام الدنيا وتخصر على فواته وقرئ ليقولن بضم اللام إعادة للضمير إلى معنى من وقوله تعالى
(كان لم تكن بينكم وبينه مودة) اعتراض وسط بين الفعل ومفعوله الذي هو (يا ليتني كنت معهم فأفوز
فوزا عظيما) لتلايقهم من مطلع كلامه أن غنمه أعية المؤمنين لنصرتهم ومظاهرتهم حسبا يقتضيه ما في البين
من المودة بل هو للعرض على المال كما ينطبق به آخره وليس إثبات المودة في البين بطريق التعسيق بل بطريق التكميم
وقيل الجملة التشبيهية حال من ضمير ليقولن أي ليقولن مشاءين لا مودة بينكم وبينه وقيل هي داخل في المقول

أى ليقول المنبسط لمن يشبهه من المنافقين وضعفة المؤمنين كأن لم تكن ينكمهم وبين محمد مودة حيث لم يستصحبكم
 في الغزو حتى تفوزوا بما فاز باليتنى كنت معهم و غرضه القاء العدوة بينهم وبينه عليه الصلاة والسلام
 وتأكيدها وكان مخففة من الثقل واسمها ضمير الشأن وهو محذوف وقرئ لم يكن بالياء والمنادى في باليتنى
 محذوف أى يا قوم وقيل بأطلاق للتنبه على الاتساع وقوله تعالى فأفوز نصيب على جواب التنى وقرئ بالرفع
 على أنه خبر مبتدأ محذوف أى فانا أفوز في ذلك الوقت أو على أنه معطوف على كنت داخل معه تحت التنى
 (فليقاتل في سبيل الله) قدم الظرف على الفاعل للاهتمام به (الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) أى
 يبيعونها بها وهم المؤمنون فالقضاء جواب شرط مقدراً أى إن بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون
 أنفسهم في طلب الآخرة والذين يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطلون فالقضاء للتعقيب أى ليركوا
 ما كانوا عليه من التلبط والتفان وليعقبوه بالقتال في سبيل الله (ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب
 فسوف نؤتيه) بنون العظمة التفاتاً (أجر عظيم) لا يقادر قدره وتعقب القتال بأحد الأمرين للاشعار
 بأن الجهاد حق أن يوطن نفسه بأحدى الحسين ولا يخطر بباله القسم الثالث أصلاً وتقديم القتل للايدان
 بتقديمه في استنباط الأجر روى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله تعالى
 لمن جاهد في سبيله لا يخرججه إلا جاهد في سبيله وتصديق كلمته أن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج
 منه مع ما نال من أجر وغنية (وما لكم) خطاب للمأثورين بالقتال على طريقة الالتفات مبالغة في التصريح
 عليه وتأكيدها وهو مبتدأ وخبر وقوله عز وجل (لا تقاتلون في سبيل الله) حال عاملها ما في الظرف
 من معنى الفعل والاستدعاءم للانكار والنفي أى أى شئ لكم غير مقاتلين أى لا عذر لكم في ترك المقاتلة
 (والمستضعفين) عطف على اسم الله أى في سبيل المستضعفين وهو تخليصهم من الأمور وصونهم عن العدو
 أو على السبيل محذوف المضاف أى في خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله بيم
 أبواب الخير وتخليص ضعفة المؤمنين من أيدي الكفرة أعظمها وأخصها (من الرجال والنساء والولدان)
 بيان للمستضعفين أحوال منهم وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصدا المشركين أو لضعفهم عن الهجرة مستنذلين
 بمننهم وانما ذكر الولدان معهم تكميلاً للاستعطف واستجلاب الرحمة وتنبها على تناسي ظلم المشركين
 بحيث بلغ أذاهم الصبيان لأرغام آبائهم وأمهاتهم وايداناً بإجابة الدعاء الآتى واقتراب زمان الخلاص ببيان
 شركتهم في التضرع إلى الله تعالى كل ذلك للمبالغة في الحث على القتال وقيل المراد بالولدان العبيد والاماء
 اذ يقال لهما الوليد والوليدة وقد غلب الذكور على الاناث فأطلق الولدان على الولائد أيضاً (الذين) محله
 الجزع على أنه صفة للمستضعفين أو لما في حيز البيان أو النصب على الاختصاص (يقولون ربنا أخرجنا
 من هذه القرية الظالم أهلها) بالشرك الذي هو ظلم عظيم وبأذية المسلمين وهي مكة والظالم صفتها وتذكيره
 لتذكير ما أسند إليه فان اسم الفاعل والمفعول اذا أجرى على غير من هو له كان كالفعل في التذكير والتأنيث
 بحسب ما عمل فيه (واجعل لنا من لدنك ولياً) كلا الجارين متعلق باجعل لاختلاف معنيهما وقد قدم
 الجوررين على المفعول الصريح لظاهر الاعتناء بهما وبرز الزغبة في المؤخر بتقديم أحواله فان تأخير ما حقه
 التقديم عما هو من أحواله المرغوبة فيه كما يورث شوق السامع إلى وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتناؤه
 بحصوله لا محالة وتقديم اللام على من للمسارة إلى إبراز كون المسؤل نافعاً لهم مرغوباً فيه لديهم ويجوز أن
 تتعلق كلمة من محذوف وقع حالاً من ولياً قدمت عليه لكونه نكرة وكذا الكلام في قوله تعالى (واجعل
 لنا من لدنك نصيراً) قال ابن عباس رضى الله عنهما أى ول علينا واليا من المؤمنين يؤينا ويقوم بمصالحنا
 ويحفظ علينا ديننا وشرعنا ونصرنا على أعدائنا ولقد استجاب الله عز وجل دعاءهم حيث يسر لبعضهم
 الخروج إلى المدينة وجعل ابن يقين منهم خيرولى وأعز ناصر ففتح مكة على يدى نبيه عليه الصلاة والسلام
 فتولاهم أى تول ونصرهم أية نصرة ثم استعمل عليهم عتاب بن أسيد لحماهم ونصرهم حتى صاروا أعز أهلها
 وقيل المراد واجعل لنا من لدنك ولاية ونصرة أى كن أنت ولينا وناصرنا وتكرير الفعل ومتعلقه للمبالغة
 في التضرع والابتهال (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله) كلام مبتدأ سبق لترغيب المؤمنين في القتال
 وتشجيعهم ببيان كمال قوتهم بإمداد الله تعالى ونصرته وغاية ضعف أعدائهم أى المؤمنون انما يقاتلون

في دين الله الحق الموصل لهم الى الله عز وجل وفي اعسلا كلمته فهو وليهم وناصرهم لا محالة (والذين كفروا
 يقاتلون في سبيل الطاغوت) أي فيما يوصلهم الى الشيطان فلا ناصر لهم سواء والنا في قوله تعالى (فقاتلوا
 أولياء الشيطان) لبيان استتباع ما قبلها لما بعدها وذكرهم بهذا العنوان للدلالة على أن ذلك نتيجة
 لقتالهم في سبيل الشيطان والاشعار بأن المؤمنين أولياء الله تعالى لما أن قتالهم في سبيله وكل ذلك لتأكيده
 رغبة المؤمنين في القتال وتقوية عزائمهم عليه فان ولاية الله تعالى علم في العزة والقوة كما أن ولاية الشيطان
 مثل في الذلة والضعف كما أنه قيل اذا كان الامر كذلك فقاتلوا يا أولياء الله أولياء الشيطان ثم سرح بالتعليل
 فقيل (ان كيد الشيطان كان ضعيفا) أي في حد ذاته فكيف بالقياس الى قدرة الله تعالى ولم تعرض لبيان
 قوة جنابه تعالى اذ انما يظهورها حالها فائدة ادخال كان في أمثال هذه المواقع التأكيده لبيان أنه منذ كان كان
 كذلك فالله في ان كيد الشيطان منذ كان كان موصوفا بالضعف (ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم) تهجيب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجسامهم عن القتال مع أنهم كانوا قبل ذلك راغبين فيه حرصا عليه بحيث
 كادوا يشارونه كما ينبغي عنه الامر بكف الايدي فان ذلك مشعر بكونهم يصد دسطلها الى العدو بحيث يكادون
 يسطون بهم قال الكلبي ان جماعة من اصحاب النبي عليه الصلاة والسلام منهم عبد الرحمن بن عوف الزهري
 والمقداد بن الاسود الكندي وقدامة بن مظعون الجني وسعد بن أبي وقاص الزهري رضي الله تعالى عنهم
 كانوا يلقون من مشركي مكة قبل الهجرة أذى شديدا فيشكون ذلك الى النبي عليه الصلاة والسلام ويقولون
 ائذن لنا في قتالهم ويقول لهم النبي عليه الصلاة والسلام كفوا أيديكم (وأقيموا الصلوة وآتوا الزكاة) فاني
 لم أؤمر بقتالهم وبناء القول للمفعول مع أن القتال هو النبي عليه الصلاة والسلام للايذان بكون ذلك بأمر
 الله سبحانه وتعالى ولأن المقصود بالذات والمعتبر في التهجيب انما هو كمال رغبةهم في القتال وكونهم بحيث
 احتاجوا الى التمسك به وانما ذكر في حيز الصلة الامر بكف الايدي لتحقيقه وتصويره على طريقة الكتابة
 فلا يتعلق ببيان خصوصية الامر غرض وكانوا في مدة اقامتهم بمكة مسقرين على تلك الحالة فلما هاجروا
 مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وأمره بالقتال في رقة بدر كرهه بعضهم وشق ذلك عليه لكن
 لاشكافي الدين ولا رغبة عنه بل نفور عن الاخطار بالارواح وخوف من الموت بموجب الجبلة البشرية وذلك
 قوله تعالى (فلما كتب عليهم القتال) الخ وهو عطف على قيل لهم كفوا أيديكم باعتبار مدلوله الكفاية
 اذ حينئذ يفتحق التباين بين مدلولي المعطوفين وعليه يدور أمر التهجيب كأنه قيل ألم تر الى الذين كانوا حرصا
 على القتال فلما كتب عليهم كرهه بعضهم وقوله تعالى (اذأفرق منهم يخشون الناس) جواب لما على
 أن فريق مبتدأ ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة له ويخشون خبره وتصديره باذا المتابعة لبيان مسارعهم
 الى الخشية أثر ذى أثر من غير تلعم وتردد أي فاجأ فريق منهم أن يخشوا الكفار أن يقتلوهم ولعل توجيه
 التهجيب الى الكل مع صدور الخشية عن بعضهم للايذان بأنه ما كان ينبغي أن يصدر عن أحدهم ما ينافي
 حالتهم الاولى وقوله تعالى (كخشية الله) مصدر مضاف الى المفعول محله النصب على أنه حال من فاعل
 يخشون أي يخشونهم مشبهين لاهل خشية الله تعالى وقوله تعالى (أو أشد خشية) عطف عليه بمعنى
 أو أشد خشية من اهل خشية الله أو على أنه مصدر مؤكد على جعل الخشية ذات خشية مبالغة كما في
 جند جده أي يخشونهم خشية مثل خشية الله أو خشية أشد خشية من خشية الله وأياما كان فكلمة أو
 أما للتوبيخ على معنى أن خشية بعضهم كخشية الله وخشية بعضهم أشد منها وأما اللاهيات على السامع وهو
 قريب مما في قوله تعالى وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون يعني أن من يبصرهم يقول انهم مائة ألف أو يزيدون
 (وقالوا) عطف على جواب لما أي فلما كتب عليهم القتال فاجأ فريق منهم خشية الناس وقالوا (ربنا
 لم نكتب علينا القتال) في هذا الوقت لاعلى وجه الاعتراض على حكمه تعالى والانكار لا يجابه بل
 على طريق غنى التخفيف (لولا آخرتنا الى أجل قريب) استزادة في مدة الكف واستمهال الى وقت آخر حذرا
 من الموت وقد جوز أن يكون هذا مما نطق به السنة حالهم من غير أن يتفوهوا به صريحا (قل) أي ترهيد لهم
 فيما يؤملونه بالقعود من المتاع الفاني وترغيبا فيما ياتى لونه بالقتال من النعيم الباقي (ساع الدنيا) أي ما
 يتمتع ويتفقه به في الدنيا (قليل) مزيج التقضى وشيك الانصرام وان آخرتم الى ذلك الاجل (والآخرة) أي

توابها الذي من جلته الثواب المتوط بالقتال (خير) أي لكم من ذلك المتاع القليل لكثرة وعدم انقطاعه وصفاته عن الكدورات وانما قيل (لمن اتقى) حثاله على اتقاه العصيان والاخلال بواجب التكليف (ولا تظلمون قتلاً) عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أي تجزون فيها ولا تنقصون أدنى شيء من أجور أعمالكم التي من جلها معاكم في شأن القتال فلا ترغبوا عنه والقتيل ما في شق النواة من الخيط يضرب به المشق في القلة والحقارة وقرئ يظلمون بالياء إعادة للضمير إلى ظاهر من (أيضا تكونوا يدرككم الموت) كلام مبتدأ مسوق من قبله تعالى بطريق تلويح الخطاب وصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مخاطبين اعتناء بالزامهم أثر بيان حقارة الدنيا وعلو شأن الآخرة بواسطة عليه الصلاة والسلام فلا محل له من الأعراب أو في محل النصيب داخل تحت القول المأمورية أي أيضا تكونوا في الحضر والغيور يدرككم الموت الذي لأجله تكرهون القتال زعمائكم أنه من مظانه وتحبون القبر ودعنه على زعم أنه منجاة منه وفي لفظ الإدراك اشعار بأنهم في الهرب من الموت وهو مجتهد في طلبهم وقرئ بالرفع على حذف الفاء كافي قوله (من يفعل الحسنات الله يشكرها) أو على اعتبار وقوع أيضا كنتم في موقع أيضا تكونوا أو على أنه كلام مبتدأ وأيضا تكونوا متصل بـ لا تظلمون أي لا تنقصون شيئا مما كتب من آجالكم أيضا تكونوا في ملاحم الحروب ومعارك الخطوب (ولو كنتم في بروج مشيدة) في حصون رفيعة أو قصور محصنة وقال السدي وقادة بروج السماء يقال شاد البناء وأشاده وشيده رفعه وقرئ مشيدة بكسر الياء وصفها بـ يفعل فاعلها مجازا كافي قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصير إذا رفعه أو طلاه بالشيد وهو الجص وجواب لو محذوف اعتمادا على دلالة ما قبله عليه أي ولو كنتم في بروج مشيدة يدرككم الموت والجمل معطوفة على أخرى مثلها أي لو لم تكونوا في بروج مشيدة ولو كنتم الخ وقد اطرده حذف الدلالة المذكرة عليها دلالة واضحة فإن الشيء إذا تحقق عند وجود المانع فلا يتحقق عند عدمه أولى وعلى هذه النكتة يدور ما في الوصلية من التأكيد والمبالغة وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى أو لو كان آباءهم لا يعقلون شيئا ولا يهدون (وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله) كلام مبتدأ جري به عقيب ما حكى عن المسلمين لما بينهم من المناسبة في اشتغالها على اسناد ما يكرهونه إلى بعض الأمور وكرهتهم له بسبب ذلك والضمير لليهود والمنافقين روي أنه كان قد بسط عليهم الرزق فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فدعاهم إلى الإيمان فكفروا أمسك عنهم بعض الأملاك فقالوا ما لنا نعرف النقص في غارنا وما نرعى ما نذوقه هذا الرجل وأصحابه وذلك قوله تعالى (وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عندك) أي وان تصبهم نعمة ورعاية نسجوها إلى الله تعالى وان تصبهم بلية من جدد وغلاء أضافوها اليك كما حكى عن أسلافهم بقوله تعالى وان تصبهم سيئة يطيروا بجوسي ومن معه فأمر النبي عليه الصلاة والسلام بأن يرذعهم الباطل ويرشدهم إلى الحق ويلقمهم الحجر ببيان اسناد الكل إليه تعالى على الإجمال إذا لا يجترئون على معارضة أمر الله عز وجل حيث قيل (قل كل من عند الله) أي كل واحدة من النعمة والبلية من جهة الله تعالى خلقا وإيجادا من غير أن يكون لي مدخل في وقوع شيء منهما بوجه من الوجوه كما تزعمون بل وقوع الأولى منه تعالى بالذات تفضيلا ووقوع الثانية بواسطة ذنوب من ابتلى بهاء عقوبة كما سيأتي بيانه فهذا الجواب المجمل في معنى ما قيل رد على أسلافهم من قوله تعالى الا انما طأثرهم عند الله أي انما سبب خيرهم وشرهم أو سبب اصابة السيئة التي هي ذنوبهم عند الله تعالى لا عند غيره حتى يسندوها إليه ويطيروا به وقوله تعالى (فما هؤلاء القوم) الخ كلام معترض بين المبين وبينه مسوق من جهته تعالى لتعيرهم بالجهل وتفتيح حالهم والتعجب من كمال غباوتهم والفناء لترتيبه على ما قبله وقوله تعالى (لا يكادون يفقهون حديثنا) حال من هؤلاء والعامل فيها ما في الطرف من معنى الاستقراء أي وحيث كان الأمر كذلك فأى شيء حصل لهم حال كونهم معزول من أن يفقهوا حديثا أو استئناف مبنية على سؤال نشأ من الاستفهام كأنه قيل ما بالهم وماذا يصنعون حتى يتعجب منه أو يسأل عن سببه فقيل لا يكادون يفقهون حديثنا من الأحاديث أصلا فيقولون ما يقولون إذ لو فقهوا شيئا من ذلك لفهموا هذا النص وما في معناه وما هو أوضح منه من النصوص القرآنية الناطقة بأن الكل فائض من عند الله تعالى وأن النعمة منه تعالى بطريق التفضيل والاحسان والبلية بطريق العقوبة على ذنوب

العباد لاسيما النص الوارد عليهم في صحف موسى وإبراهيم الذي وفي أن لاتزروا زرة وزر أخرى ولم يسندوا
 جناية أنفسهم الى غيرهم وقوله تعالى (ما أصابكم من حسنة) الخ يسلن للعباد الجمل المأمورية واجراؤه
 على لسان النبي عليه الصلاة والسلام ثم سوق اليه من جهته عز وجل بطريقين تلوين الخطاب وتوجيهه
 الى كل واحد من الناس والاتفات لمزيد الاعتناء به والاهتمام بردهم الى طاعة الله والايذان بأن منعمونه
 مبنى على حكمة دقيقة حقيقة بأن يولى بيانها سلام القيوب وتوجيه الخطاب الى كل واحد منهم دون
 كلهم كما في قوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم للمبالغة في التحديق بقطع احتمال
 سببية معصية بعضهم لعقوبة الآخرين أي ما أصابكم من نعمة من النعم (فإن الله) أي فهو منه تعالى
 بالذات تفضلا واحسانا من غير استيجاب لها من قبله كيف لا وان كل ما يقوله المرء من الطاعات التي يفرض
 كونها ذريعة الى اصابة نعمة ما فهي بحيث لا تكاد تكافئ نعمة حياته المقارنة لادائها ولا نعمة اقداره
 تعالى اياه على اداها فضلا عن استيجابها النعمة أخرى ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ما أحد يدخل
 الجنة الا برحمة الله تعالى قبل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا (وما أصابكم من سيئة) أي بلبنة من البلايا
 (فإن تصدق) أي فهي منها بسبب اقترافها المعاصي الموجبة لها وان كانت من حيث الابدان مستسبة اليه
 تعالى نازلة من عنده عقوبة كقوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعرفون عن كثير
 وعن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شمع
 نعله الا يذنب وما يعرفوا الله عنه أكثر وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قبله وما بعده لكن لا لبيان
 حاله عليه الصلاة والسلام بل لبيان حال الكفرة بطريق التصوير ولعل ذلك لاظهار كمال السخط والغضب
 عليهم والاشعار بأنهم اقرب جهلهم وبلادهم بعزل من استحقاق الخطاب لاسيما يمثل هذه الحكمة
 الانية (وأرسلناك للناس رسولا) بيان لجلالة منصبه عليه الصلاة والسلام ومكانته عند الله عز وجل
 بعد بيان بطلان زعمهم الفاسد في حقته عليه الصلاة والسلام بناء على جهلهم بشأنه الجليل وتعميق الناس
 للاستغراق والجارح اما متعلق برسولا فقدم عليه للاختصاص الساخر الى قيد العموم أي مرسل الكل
 الناس لا بعضهم فقط كما في قوله تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس واتما بال فعل فرسولا حال مؤكدة وقد جوز
 أن يكون مصدرامؤكد كما في قوله

لقد كذب الواثون ما فزت عندهم * بسر ولا أرسلتهم برسول

أي برسول بمعنى رسالة (وكفي بالله شهيدا) أي على رسالتك بنصب المعجزات التي من جملتها هذا
 النص الناطق والوحي الصادق والاتفات لتربية المهابة وتقوية الشهادة والجلالة اعراض تذييلي (من يطع
 الرسول فقد أطاع الله) بيان لاحكام رسالته عليه الصلاة والسلام اذ يربان بتحقيقها ونبوتها وانما كان
 كذلك لان الامر والنهي في الحقيقة هو الله تعالى وانما هو عليه الصلاة والسلام مبلغ لاهله ونبيه
 فرجع الطاعة وعدمها هو الله سبحانه روى أنه عليه الصلاة والسلام قال من أحبني فقد أحب الله ومن
 أطاعني فقد أطاع الله فقال المنافقون لا نسجعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى أن
 يعبد غير الله ما يريد الا أن تتخذ ربا كما اتخذت النصارى عيسى فتركت والتعبير عنه عليه الصلاة والسلام
 بالرسول دون الخطاب للايذان بأن مناط كون طاعته عليه الصلاة والسلام طاعة له تعالى ليس خصوصية
 ذاته عليه الصلاة والسلام بل من حقيقة رسالته واطهار الجلالة لتربية المهابة وتأكيده وجوب الطاعة
 بذكر عنوان الألوهية وحل الرسول على الجنس المنتظم له عليه الصلاة والسلام انتظاما أولا بأياه تخصيص
 الخطاب به عليه السلام في قوله تعالى (ومن ولي فما أرسلناك عليهم حفیظا) وجواب الشرط محذوف
 والمذكور وتعليل له أي ومن أعرض عن الطاعة فأعرض عنه انما أرسلنا الرسول لا مبلغا لا حفیظا مهمينا
 تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم بحسبها وحفیظا حال من الكاف عليهم متعلق به قدم عليه رعاية
 لقصاصة وجع الضمير باعتبار معنى من كما أن الافراد في ولي باعتبار لفظه (ويقولون) شروع في بيان
 معاملتهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بيان وجوب طاعته أي يقولون اذا أمرتهم بشئ (طاعة) أي
 أمرنا وشأننا طاعة أو مناط طاعة والاصل النصيب على المصدر والرفع للدلالة على الثبات بسلام (فإذا)

قوله ما أحد الخ كذا في
 بعض النسخ وهو الذي في
 المصاوي وفي بعضها ما
 أحد يدخل الجنة بعمله قبل
 ولا أنت يا رسول الله هل
 ولا أنا الا أن يغفر الله له
 برحمة منه اه وهو الاوفق
 بقوله قبل وان كل ما يقوله
 المرء الخ تأمل اه

برزوا من عندك) أي خرجوا من مجلسك (بيت طائفة منهم) أي من القائلين المذكورين وهم رؤسائهم
 (غير الذي تقول) أي زورت طائفة منهم وسوت خلاف ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة لانهم
 مصرّون على الرذوالعصيان وانما يظهر من ما يظهرون على وجه الاتفاق أو خلاف ما قلت لها والتبیت
 اتمام البيتونة لانه قضاء الامر وتدييره بالليل يقال هذا أمر بيت بيل واما من بيت الشعر لان الشاعر يديره
 ويسويه وتذكير الفعل لان تأنيث الطائفة غير حقيقي وقرئ بادغام التاء في الطاء لقرب المخرج واستناده
 الى طائفة منهم لبيان أنهم المتصدون له بالذات والباقون أتباع لهم في ذلك لان السابقين ثابتون على الطاعة
 (والله يكتب ما يبتون) أي يكتبه في جلة ما يوحى اليك فيطبعك على أسرارهم فلا يحسبوا أن مكرهم يخفى
 عليك فيجدون بذلك الى الأسرار يكتم سبيلا أو يشته في صحائفهم فيجازيهم عليه وأيا ما كان فالجمله اعتراضية
 (فأعرض عنهم) أي لا تبالي بهم وبما صنعوا أو تجنباف عنهم ولا تنسب لانتقام منهم والفاء لسببية
 ما قبلها لما بعدها (وتوكل على الله) في كل ما تاتي وما تذر لاسيما في شأنهم واطهارا للحلالة في مقام
 الاضمار للشعار بعله الحكم (وكفى بالله وكبلا) فكيف يك معرتهم وينتقم لك منهم والاظهار ههنا أيضا لما
 مر وللتنبية على استغلال الجمله واستغنائها عما عداها من كل وجه (أفلا يدبرون القرآن) انكار
 واستنباح لعدم تدبرهم القرآن واعراضهم عن التأمل فيما فيه من موجبات الايمان وتدبر الشيء تأمله
 والنظر في أدباره وما يؤول اليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تشكر ونظر والفاء للعطف على مقدراى
 أي تعرضون عن القرآن فلا يتأملون فيه ليعلموا كونه من عند الله تعالى بعشادة ما فيه من الشواهد التي
 من جاتها هذا الوحي الصادق والنص الناطق بشفاقهم المحكي على ما هو عليه (ولو كان) أي القرآن
 (من عند غير الله) كما يزعمون (لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) بأن يكون بعض أخباره غير مطابق للواقع
 اذ لا علم بالامور الغيبية ماضية كانت أو مستقبله لغيره سبحانه وحديث كانت كلها مطابقة للواقع تعين كونه
 من عنده تعالى قال الزجاج ولولا أنه من عند الله تعالى لكان ما فيه من الاخبار بالغيب مما يسهل المنافقون
 وما يبتون مختلفا بعضه حق وبعضه باطل لان الغيب لا يعلمه الا الله تعالى وقال أبو بكر الاسم ان هؤلاء
 المنافقين كانوا يطأون في السر على أنواع كثيرة من الكيد والمكر وكان الله تعالى يطلع الرسول عليه الصلاة
 والسلام على ذلك ويخبرهم بمفصله فقل لهم ان ذلك لو لم يحصل باخبار الله تعالى لما طرد الصدق فيه ولوقع فيه
 الاختلاف فلما لم يقع ذلك قط علم أنه باعلامه تعالى هذا هو الذي يستدعيه جلاله النظم الكريم وأما جعل
 الاختلاف على التناقض وتفاوت النظم في البلاغة بأن كان بعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه
 على معنى فاسد غير ملتئم وبعضه بالغاحظ لا يجازي وبعضه فاسد راعنه يمكن معارضته كما جئنا اليه الجهور فاما
 لا يساعده السباق ولا السياق ومن رام التقريب وقال لعل ذكره ههنا للتنبية على أن اختلاف ما سبق
 من الاحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف في الحكم والمصالح المقتضية لذلك فقد أبعاد عن الحق براحل
 (واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به) يقال أذاع السر وأذاع به أي أشاعه وأفشاء وقيل
 معنى أذاعوا به فعلوا به الاذاعة وهو أبلغ من اذاعوه وهو كلام مسوق لدفع ما يحصى توهم في بعض المواد من
 شائبة الاختلاف بناء على عدم فهم المراد ببيان أن ذلك لعدم وقوفهم على معنى الكلام لا لتخلف مدلوله عنه
 وذلك أن ناسا من ضعفة المسلمين الذين لا خبرة لهم بالاحوال كانوا اذا أخبرهم الرسول عليه الصلاة والسلام
 بما أوحى اليه من وعد بالظفر أو تحريف من الكثرة يذيعونه من غير فهم لعناء ولا ضبط لفعواه على حسب
 ما كانوا يفهمونه ويحملونه عليه من المحامل وعلى تقدير الفهم قد يكون ذلك مشروطا بأمر وتفوت بالاذاعة
 فلا يظهر أثره المتوقع فيكون ذلك منشا لتوهم الاختلاف ففي عليهم ذلك وقيل (ولورده) أي ذلك الامر
 الذي جاءهم (الى الرسول) أي عرضه على رأيه عليه الصلاة والسلام مستكشفين لعناء وما ينبغي له من
 التدبير والاتفات لما أن عنوان الرسالة من موجبات الرد والمراجعة الى رأيه عليه الصلاة والسلام (والى
 أولى الامر منهم) وهم كبار الصحابة البصراء في الامور رضى الله تعالى عنهم (لعله) أي لعلم الرادون
 معناه وتدييره وانما وضع موضع ضميرهم الموصول فقيل (الذين يستنبطونه منهم) للايدان بأنه ينبغي أن
 يكون قصدهم برده اليهم استكشاف معناه واستيضاح غوام أي لعله أولئك الرادون الذين يستنبطونه أي

يتلقونه ويستخرجون علمه وتدبيره منهم أى من جهة الرسول عليه الصلاة والسلام وأولى الأمر من صحابته
رضوان الله عليهم أجمعين ولما فعلوا فى حقه ما فعلوا فلم يقع فيه ما وقع من الاشتباه وتوهم الاختلاف وقيل لعلمه
الذين يستخرجون تدبيره بقطنهم وتجاربهم ومعرفةهم بأمر الحرب ومكائدها فكلمة من فى منهم يائية وقيل
انهم كانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمن وسلامة أو خوف وخطر اذا عاوبه
وكانت اذا عتهم مفسدة ولوردوا ذلك الخبر الى رسول الله عليه الصلاة والسلام وإلى اولى الأمر لعلم تدبيره
أخبروا به الذين يستنبطونه أى يستخرجون تدبيره بقطنهم وتجاربهم ومعرفةهم بأمر الحرب ومكائدها وقيل كانوا
يقضون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولى الأمر على أمن ووروق بالظهور على بعض الأعداء أو على خوف
فدبونه فينتشر فيبلغ الأعداء فتعود اذا عتهم مفسدة ولوردوا الى الرسول وإلى اولى الأمر وقضوه اليهم
وكانوا كأن لم يسمعوا العلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون وما يذرون فيه وقيل كانوا يسمعون
من أقوال المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالأعلى المؤمنين
ولوردوا الى الرسول عليه الصلاة والسلام وإلى اولى الأمر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو ما يذاع
اولا يذاع لعلم صحته وهل هو ما يذاع اولاً يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول وأولى الأمر
أى يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهة هم فساق النظم الكريم حينئذ لبيان جنائية تلك الطائفة وسوء
تدبيرهم اثر بيان جنائية المنافقين ومكرهم والخطاب فى قوله تعالى (ولو لا فضل الله عليكم ورحمته) لاطائفة
المذكورة على طريقة الالتفات أى لولا فضله تعالى عليكم ورحمته بارشادكم الى طريق الحق الذى هو المراجعة
فى مظان الاشتباه الى الرسول صلى الله عليه وسلم وأولى الأمر (لا تتبعم الشيطان) وعلمت بآراء المنافقين
فيما تأتون وما تذكرون ولم تهتدوا الى سنن الصواب (الا قليلا) وهم اولو الأمر الواقفون على أسرار الكتاب
الراخون فى معرفة أحكامه فالاستثناء منقطع وقيل لولا فضله تعالى عليكم ورحمته بارسال الرسول وانزال
الكتاب لا تتبعم الشيطان وبقيتم على الكفر والفساد الا قليلا منكم قد فضل عليه بهتلى راجع اهتدى به الى
طريق الحق والصواب وعصمه من متابعة الشيطان كفس بن ساعدة الا يادى وزيد بن عمرو بن نضيل وورقة
ابن نوفل وأضرابهم فالخطاب للكل والاستثناء متصل وقيل المراد بالفضل والرحمة النصرة والظفر بالأعداء
أى ولولا حصول النصرة والظفر على التواتر والتتابع لا تتبعم الشيطان وتركتم الدين الا قليلا منكم وهم
أولوا البصائر الناقدة والنيات القوية والعزائم الماضية من أفاضل المؤمنين الواقفين على حقيقة الدين البالغين
الى درجة حق اليقين المستغنيين عن مشاهدة آثار حقيقته من الفتح والظفر وقيل الاتباعا قليلا (فقاتل فى
سبيل الله) تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الالتفات وهو جواب شرط
محذوف ينساق اليه النظم الكريم أى اذا كان الأمر كما حكى من عدم طاعة المنافقين وكيدهم وتقصير
الآخرين فى مراعاة أحكام الاسلام فقاتل أنت وحدك غير مكترث بما فعلوا وقوله تعالى (لا تكلف الانفسك)
أى لا تفعل نفسك استئناف مقترن لما قبله فان اختصاص تكليفه عليه الصلاة والسلام بفعل نفسه من موجبات
مباشرة للقتال وحده وفيه دلالة على أن ما فعلوا من التنبط لا يضروه عليه الصلاة والسلام ولا يؤاخذ به
وقيل هو حال من فاعل قاتل أى فقاتل غير تكلف الانفسك وقرئ لا تكلف بالجزم على النهى وقيل
على جواب الأمر وقرئ بنون العظمة أى لا تكلفك الافعل نفسك لا على معنى لا تكلف أحدا انفسك
(وحرض المؤمنين) عطف على الأمر السابق داخل فى حكمه فان كون حال الطائفتين كما حكى سبب
للأمر بالقتال وحده وبترريض خالص المؤمنين والتبريض على الشئ الحث عليه والترغيب فيه قال الراغب
كانه فى الأصل ازالة الحرص وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به أى رغبهم فى القتال ولا تعنف بهم وانما لم يذكر
الحرص عليه لغاية ظهوره وقوله تعالى (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) عدة منه سبحانه وتعالى
محقة الانحياز بكف شدة الكفرة ومكرهم فان ما صدر بهل وعسى مقترن الوقوع من جهته عز وجل
وقد كان كذلك حيث روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعدأ بأسه فيان بعد حرب أحد موسم بدر الصغرى
فى ذى القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فتنزلت نجر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى سبعين راكبا ووافوا الموعد وألقى الله تعالى فى قلوب الذين كفروا الرعب فرجعوا من مزاظرهم

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وافى بجيشه بدرًا وأقام بها ثمانين ليلة وكانت معهم تجارات فباعوها
 وأصابوا خيرا كثيرا وقدمت في سورة آل عمران (والله أشد بأسا) أي من قريش (وأشد تشكيلا) أي
 تعذبا وعقوبة تنكح من يشاهدنا عن مباشرة ما يؤذى إليها والجله اعتراض تذييل مقترن لما قبلها وإظهار
 الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحسم وتقوية استعلال الجله وتكرير الخبر لتأكيد التشديد وقوله
 تعالى (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها) أي من نوابها جله مستأنفة سبقت إيمان أن له
 عليه الصلاة والسلام فيما أمر به من تحريض المؤمنين حفظا موفورا فإن الشفاعة هي التوسط بالقول في وصول
 شخص إلى منفعة من المنافع الدنيوية أو الآخروية أو خلاصه من مضرة ما كذلك من الشفع كأن المشفوع له
 كان فردا فجعله الشفيع شفعا والحسنة من أمان كانت في أمر مشروع وروى بها حق مسلم ابتغاء لوجه الله
 تعالى من غير أن يتضمن غرض من الأغراض الدنيوية وأي منفعة أجل مما قد حصل للمؤمنين بتحريضه
 عليه الصلاة والسلام على الجهاد من المنافع الدنيوية والآخروية وأي مضرة أعظم مما تحصلوا منه بذلك من
 التنبط عنه ويندرج فيها الدعاء للمسلم فإنه شفاعة إلى الله سبحانه وعليه مساق آية التحية الآتية روى أنه
 صلى الله عليه وسلم قال من دعا لآخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولأن مثل ذلك وهذا بيان
 لمقدار النصيب الموعود (ومن يشفع شفاعة سيئة) وهي ما كانت بخلاف الحسنة (يكن له كفل منها)
 أي نصيب من وزرها مساو لها في المقدار من غير أن يتقص منه شيء (وكان الله على كل شيء مقبلا) أي
 مقبلا من أفعاله على الشيء إذا اقتدر عليه أو شهيدا حفيظا واشتقاقه من القوت فإنه يقوى البدن ويحفظه
 والجله تذييل مقترن لما قبلها على كلا المعنيين (وإذا حيدتم بصية) ترغيب في فرد شافع من أفراد الشفاعة
 الحسنة أثر ما رغبت فيها على الإطلاق وحذر عما يقابلها من الشفاعة السيئة وإرشاد إلى توفية حق
 الشفيع وكيفية أدائه فإن تحية الإسلام من المسلم شفاعة منه لآخيه إلى الله تعالى والتحية مصدر
 حي أصلها تحية كتحية من يحيى وأصل الأصل تحي ثلاث ياءات تحذف الأخيرة وعوض عنها ثانياً التانيث
 وأدغمت الأولى في الثانية بعد نقل حرف كهم إلى الحاء قال الراغب أصل التحية الدعاء بالحياة وطولها ثم
 استعملت في كل دعاء وكانت العرب إذا التي بعضهم بعضا يقول حيالك الله ثم استعملها الشرع في السلام
 وهي تحية الإسلام قال تعالى تحيتهم فيه سلام وقال تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال فسلموا على أنفسكم تحية من
 عند الله قالوا في السلام منية على التحية لما أنه دعاء بالسلامة عن الآفات الدنية والدنيوية وهي مستلزمة
 لطول الحياة وليس في الدعاء بطول الحياة ذلك ولأن السلام من أسماءه تعالى قال بداءة بذكره مما لا ريب في
 فضله ومنيته أي إذا سلم عليكم من جهة المؤمنين (فحيوا بأحسن منها) أي تحية أحسن منها بأن تقولوا
 وعليكم السلام ورحمة الله أن اقتصر المسلم على الأول وبأن تزيد وأوبركاته أن جمعها المسلم وهي النهاية
 لأن نظامها جميع فنون المطالب التي هي السلامة عن المضار ونيل المنافع ودوامها ونماؤها (أوردوها) أي
 أجيبوها بعلمها روى أن رجلا قال أحدهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام
 ورحمة الله وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال الآخر السلام
 عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل فتصني فأين ما قال الله تعالى وتلا الآية فقال عليه الصلاة
 والسلام أنك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وجواب التسليم واجب والخمسة التخيير بين الزيادة وتركها
 وعن الخبي أن السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم الرد واجب ومما من رجل
 يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه إلا نزاع الله منهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد
 في الخطبة ولا في القرآن جهرًا ورواية الحديث وعند دراسة العلم والأذان والإقامة ولا يسم على لاعب الترد
 والشرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعارى في الحمام وغيره قالوا ويسلم الرجل على امرأته
 لا على الأجنبية والسنة أن يسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي والراكب القارس على راكب
 الجار والصغير على الكبير والقليل على الكثير وإذا التقيا ابتدأ وعن أبي حنيفة رضي الله عنه لا يجهر
 بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي عليه الصلاة والسلام إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم أي وعليكم
 ما قلتم حيث كان يقول بعضهم السلام عليكم وروى لا تبد اليهودي بالسلام وإذا بد أنقل وعليك وعن

الحسن أنه يجوز أن يقول للكافر وعليك السلام دون الزيادة وقيل التهمة بالاحسن عند كون المسلم مسلماً وردت مثلها عند كونه كافراً (إن الله كان على كل شيء حسيباً) فيحاسبكم على كل شيء من أعمالكم التي من جلتها ما أمرتم به من التهمة فحافظوا على مراعاتها حسباً أمرتم به (الله لا اله الا هو) مبتدأ وخبر وقوله تعالى (ليجبه منكم الى يوم القيامة) جواب قسم محذوف أي والله ليحشرنكم من قبوركم الى حساب يوم القيامة وقيل الى معنى في الجملة القسمية اتماماً لتأنف لا محل لها من الاعراب أو خبر ثان للمبتدأ أو هي الخبر ولا اله الا هو اعتراض وقوله تعالى (لا ريب فيه) أي في يوم القيامة أو في الجمع حال من اليوم أو صفة للمصدر أي جمعا لا ريب فيه (ومن أصدق من الله حديثاً) انكار لأن يكون أحد أصدق منه تعالى في وعده وسائر أخباره وبيان لاسيما له كيف لا والكذب محال عليه سبحانه دون غيره (فما لكم) مبتدأ وخبر والاستفهام للانكار والنفي والخطاب للجميع المؤمنين لكن ما فيه من معنى التوبيخ متوجه الى بعضهم وقوله تعالى (في المنافقين) متعلق بما جاتعلق به الخبر أي شيء كائن لكم فيهم أي في أمرهم وشأنهم لحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وأما بما يدل عليه قوله تعالى (فثنتين) من معنى الافتراق أي فما لكم تفترون في المنافقين وأما محذوف وقع حالا من فثنتين أي كاثنتين في المنافقين لأنه في الاصل صفة فلما قدمت انتصبت حالا كما هو شأن صفات النكرات على الاطلاق أو من الضمير في تفترون وانتصاب فثنتين عند البصريين على الحالالية من مخاطبين والعامل ما في لكم من معنى الفعل كما في قوله تعالى فمالهم عن التذكرة معرضين وعند الكوفيين على خبرية كان منبهة أي فما لكم في المنافقين كنتم فثنتين والمراد انكار أن يكون للمخاطبين شيء معص لا اختلافهم في أمر المنافقين وبيان وجوب بقول بكفرهم واجرائهم مجرى المجاهرين بالكفر في جميع الاحكام وذكرهم بعنوان النفاق باعتبار وصفتهم السابق روى أنهم قوم من المنافقين استأذوا رسول الله عليه الصلاة والسلام في الخروج الى البدو ومعتلين باجتوا المدينة فلما خرجوا لم يزالوا را حلين مرحلة فمرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في أمرهم وقيل هم قوم هاجروا من مكة الى المدينة ثم بداهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على دينك وما أخرجنا الا اجتوا المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم ناس أظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ثم رجعوا وبأباه ما سبب أي من جعل هجرتهم غاية للنهي عن توليهم قيل هم العريون الذين أغاروا على السرح وقتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورتد ما سبب أي من الآيات الناطقة بكيفية المعاملة معهم من السلم والحرب وهو لا قد أخذوا وقيل بهم ما فعل من المثلة والقتل ولم ينقل في أمرهم اختلاف المؤمنين (والله أركسهم) حال من المنافقين مفيدة لتأكيد الانكار السابق واستبعاد وقوع المنكر ببيان وجود النافي بعد بيان عدم الداعي وقيل من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو أي شيء يمدعوكم الى الاختلاف في كفرهم مع تحقق ما يوجب اتفاقكم على كفرهم وهو أن الله تعالى قدردهم في الكفر كما كانوا (بما كسبوا) بسبب ما كسبوه من الاوتداد واللحوق بالمشركين والاحتياط على رسول الله صلى الله عليه وسلم والعائد الى الموصول محذوف وقيل ما مصدرية أي بكسبهم وقيل معنى أركسهم نكسهم بأن صيرهم للنار وأصل الركن رد الشيء مقلوبا وقرئ ركسهم مثذذوا وركسهم أيضا مخففا (أتريدون أن تهدوا من أضل الله) تجريد الخطاب وتخصيص له بالشائلين بإيمانهم من الفئتين وتوبيخ لهم على زعمهم ذلك واشعار بأنه يؤدى الى محاولة المحال الذي هو هداية من أضله الله تعالى وذلك لأن الحكم بإيمانهم وادعاء اهتدائهم وهم يعزل من ذلك سمى في هدايتهم وارادة لها ووضع الموصول موضع ضمير المنافقين لتشديد الانكار وتأكيد استحالة الهداية بما ذكر في حيز الصلة وتوجيه الانكار الى الارادة لا الى متعلقها بأن يقال أتمدون الخ للمبالغة في انكاره ببيان أنه مما لا يمكن ارادته فضلا عن امكان نفسه وحمل الهداية والاضلال على الحكم بما ياباه قوله تعالى (ومن يضلل الله فليس يجد له سبيلا) أي ومن يخلق فيه الضلال كأنما من كان فليس يجد له سبيلا من السبل فضلا عن أن تهديه اليه وفيه من الافصاح عن كمال الاستحالة ما ليس في قوله تعالى ومن يضلل الله فماله من هاد وتظايره وحمل اضلاله تعالى على حكمه وقضائه بالاضلال محل بحسن المقابلة بين الشرط والجزاء وتوجيه الخطاب الى كل واحد من المخاطبين فلا شعاع بشمول

عدم الوجدان للكل على طريق التفصيل والجملة اما حال من فاعل تريدون أو تدوا والرابط هو الواو
أو اعتراض تذييلي مقرر للانكار السابق ومؤكدا لاستحالة الهداية فينبذ بجوز أن يكون الخطاب لكل
أحد من يصلح له من المخاطبين أو لا ومن غيرهم (ودوا وتكفرون) كلام مستأنف مسوق لبيان غلوهم
وقادهم في الكفر وتصديهم لاضلال غيرهم اذ بيان كفرهم وضلالهم في أنفسهم وكلمة لوم مصدرية غنية عن
الجواب وهي مع ما بعد هانصب على المفعولية أي ودوا أن تكفروا وقوله تعالى (كافروا) نصب
على أنه نعت لمصدر محذوف أي كفر امثل كفرهم أو حال من ضمير ذلك المصدر كما هو رأى سيبويه وقوله
تعالى (فتكفرون سواء) عطف على تكفرون داخل في حكمه أي ودوا أن تكفروا فتكفروا سواء
مستويين في الكفر والاضلال وقيل كلمة لوعلى بابها وجوابها محذوف كفعول ودوا والتقدير ودوا كفركم
لوتكفرون كما كفروا بالسر وبذلك (فلا تتخذوا منهم أولياء) الفاء جواب شرط محذوف وجع أولياء للمراعاة
جمع المخاطبين فان المراد تنهى أن يتخذوا أحد من المخاطبين وليا واحدا منهم أي اذا كان حالهم ما ذكر من
ودادة كفركم فلا توالوهم (حتى يهاجروا في سبيل الله) أي حتى يؤمنوا ويحققوا ايمانهم بهجرة
كأنه الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام لا تعرض من أغراض الدنيا (فان تولوا) أي عن الايمان
الظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة (تخذوهم) أي اذا قدرتم عليهم (واقتلوهم حيث وجدوهم) من
الحل والحرم فان حكمهم حكم سائر المشركين أمترا وقتلا (ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا) أي جانبوهم
مجانبة كلية ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة أبدا (الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق) استثناء
من قوله تعالى تخذوهم واتخذوهم أي الا الذين يصلون الى قوم عاهدوكم ولم يهاجروكم وهم الاسميون
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت خروجه من مكة قد وادع هلال بن عوير الاسلمي على أنه لا يعينه
ولا يعين عياله وعلى أن من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال وقيل هم بنو بكر بن زيد
من بني قحطانة وقيل هم خزاعة (أربابوكم) عطف على الصلة أي أو الذين جاءوكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم
المتنفذين من الأمور بأخذهم وقتلهم فربما كان أحدهما من ترك المحاربين وخلق بالعهاديين والآخر من أتى
المؤمنين وكف عن قتال الفريقين أو على صفة قوم كأنه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين أو الى قوم
كافين عن القتال لكم والقتال عليكم والاول هو الاظهر لما سيأتي من قوله تعالى فان اعتزلوكم الخ فانه
صريح في أنهم كف عنهم عن القتال أحسن من استحقاتهم حتى يعرض عنهم وفرت جاءوكم بسير الحلف حتى
أنه صفة بعد صفة أي بيان ليصلون أو استندت (حصرت صدورهم) حال باضماء قد يدل على أنه قرئ
حصر صدورهم وحصرات صدورهم وحاصر صدورهم وقيل صفة لموصوف محذوف هو حال من فاعل
جاءوا أي أو جاءوكم قوما حصر صدورهم وقيل هو بيان لجاءوكم وهم بنو مدلج جاءوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم غرمة قاتلين والحصر الضيق والانتهاض (أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم) أي من أن يقاتلوكم
أو لا أن يقاتلوكم أو كراهة أن يقاتلوكم الخ (ولو شاء الله لسططهم عليكم) جملة مبتدأة ببارية مجرى التعليل
لاستثناء الطائفة الاخيرة من حكم الاخذ والقتل ونظمهم في سلك الطائفة الاولى الجارية مجرى المعاهدين
مع عدم تعاقبهم بنا ولا بن عاهدونا كالطائفة الاولى أي ولو شاء الله لسططهم عليكم بسط صدورهم وتقوية
قلوبهم وإزالة الرعب عنها (فلقاتلوكم) عقيب ذلك ولم يكفوا عنكم واللام جواب لوعلى التكرير
أو الابدال من الاولى وقرئ فلقطلوكم بالتحفيف والتشديد (فان اعتزلوكم) ولم يهتضوا اليكم (فلم يقاتلوكم)
مع ما علمت من تمكنهم من ذلك بعيشة الله عز وجل (وألقوا اليكم السلم) أي الانقياد والاستسلام وقرئ
يسكون اللام (فما جعل الله اليكم عليهم سبيلا) طريقة بالاسر أو بالقتل فان مكافئتهم عن قتالكم وأن
يقاتلوا قومهم أيضا والقوا اليكم السلم وان لم يعاهدوكم كافية في استحقاقهم لعدم تعرضكم لهم (سجدون)
آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم هم قوم من أسد وغطفان كانوا اذا أتوا المدينة أسلوا وعاهدوا
ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم ككفروا ونكثوا عهدهم ليأمنوا قومهم وقيل هم بنو عبد الدار
وكان ديدنهم ما ذكر (كلارذوا الى الفتنة) أي دعوا الى الكفر وقتال المسلمين (أركسوافيها) قلبوا
فيها أقيم قلب وأشنعه وكانوا فيها شر من كل عدو شرير (فان لم يعتزلوكم) بالكف عن التعرض لكم بوجه ما

(ويلقوا اليكم السلم) أي لم يلقوا اليكم الصلح والعهد بل نبذوه اليكم (ويكفوا أيديهم) أي لم يكفوها
عن قتالكم (لقد وهم واقعة لوهم حيث نفقة وهم) أي تمكثتم منهم (وأولئككم) الموصوفون بما عتد من
الصفات القبيحة (جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) حجة واضحة في الايقاع بهم قتلا وسبيًا لظهور
عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم بأهل الاسلام أو تسلط ظاهرا حيث أذننا لكم في
أخذهم وقتلهم (وما كان لمؤمن) أي وما صنع له ولا لاق بحاله (أن يقتل مؤمنا) بغير حق فإن الايمان
زاجر عن ذلك (الاخطأ) فانه ربما يقع لعدم دخول الاحترار عنه بالصلحية تحت الطائفة البشرية
وانصابه اما على أنه حال أي وما كان له أن يقتل مؤمنا في حال من الاحوال الا في حال الخطأ أو على أنه
مفعول له أي وما كان له أن يقتله لعل من العلى الا للخطأ أو على أنه صفة للمصدر أي الا للخطأ وقبل
الايمان ولا والتقدير وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا عمدا ولا خطأ وقبل ما كان نفي في معنى النفي والاستثناء
منقطع أي لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يقارنه التصدي في الفعل أو إلى الشخص أو لا يقصده
زهوق الروح غالبا ولا يقصده محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل بالسلامة وقرئ خطأ بالمدح وخطأ
كعصا يتخفف الهزيمة • روى أن عباس بن أبي ربيعة وكان أخا أبي جهل لانه أسلم وهاجر إلى المدينة خوفا
من أهله وذلك قبل هجرة النبي عليه الصلاة والسلام فأصبحت أمه لاتأكل ولا تشرب ولا يأويها ستف حتى
يرجع فخرج أبو جهل ومعه الحرث بن زيد بن أبي أنيسة فأتياه وهو في أطعم فقتلته أمه أبو جهل في الذروة
والغارب وقال أليس محمد يحنك على صلة الرحم انصرف وبرأتك وأنت على دينك حتى نزل وذهب معهما
فلما فسخا من المدينة كفاه وجلده كل واحد منهم مائة جلدة فقال الحرث هذا أخي فمن أنت يا حرث فقه
على ان وجدته خاليا أن أقتلك وقد ما به على أمه خلعت لاجل كفاه أو برتد فقه هل بلسانه ثم هاجر بعد ذلك
وأسلم الحرث وهاجر فلقبه عياش بظهر قبا ولم يشعر بالسلامة فأنجى عليه فقتله ثم أخبر بالسلامة فأبى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقتل قتله ولم أشعر بالسلامة فزات (ومن قتل مؤمنا خطأ فمحرر برقية) أي فعله
أو فوجبه فمحرر برقية أي اعتاق نسمة عبر عنها بها كما يعبر عنها بالأس (مؤمنة) أي محكوم بالسلامة
وان كانت صغيرة (ودية مسلمة إلى أهله) مؤداة إلى ورثته يقتسمونها كسائر الموارث اقول نسحاك
ابن سفيان الكلابي كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا امرئ أن أوثق امرأته أشبه النسيان من عقل
زوجها (الآن بصدقوا) أي الآن يتصدق أهله عليه - هي العفو عنها صدقة حشا عليه وتبها على فسدله
وعن النبي عليه الصلاة والسلام كل معروف صدقة وقرئ الآن يتصدقوا وهو متعلق بعليه أو بجملة أي نجب
الدية أو يسلمها إلى أهله الا وقت صدقةهم عليه فهو في محل النصب على الظرفية أو الاحال كونهم متصدقين
عليه فهو حال من الاهل أو القاتل (فان كان) أي المقتول (من قوم عدو لكم) كفار محاربين
(وهو مؤمن) ولم يعلم به الضائل لكونه بين أظهر قومه بأن أسلم فيما بينهم ولم يقارهم أو بأن أتاهم بعد
ما قارهم لهم من المهمات (فمحرر برقية مؤمنة) أي فعلى قاتله الكفارة دون الدية اذ لا ورثة بينه وبين
أهله لانهم محاربون (وان كان) أي المقتول المؤمن (من قوم) كفرة (بينكم وبينهم ميثاق) أي
عهد موثق أو مؤبد (فدية) أي فعلى قاتله دية (مسلمة إلى أهله) من أهل الاسلام ان وجدوا واهل
تقديم هذا الحكم ههنا مع تأخيرها فيما سلف للاشعار بالمسارعة إلى تسليم الدية تحاشيا عن توهم نقض
الميثاق (ومحرر برقية مؤمنة) كما هو حكم سائر المسلمين ولعل أفرادهم بالذكر مع اندراجهم في حكم ما سبق
من قوله تعالى ومن قتل مؤمنا خطأ الخ لبيان أن كونه فيما بين المعاهدين لا يمنع وجوب الدية كما منعه كونه
فيما بين المحاربين وقيل المراد بالمقتول الذي أو المعاهد لئلا يلزم التكرار بلا فائدة ولا التوريت بين المسلم
والكافر وقد عرفت عدم لزومهما (فمن لم يجد) أي رقية ليحررها بأن لم يملكها ولا ما وصل به اليها من الثمن
(فصيام) أي فعله صيام (شهرين متتابعين) لم يخلل بين يومين من أيامهما افطار (توبة) نصب
على أنه مفعول له أي شرع لكم ذلك توبة أي قبولها من تاب الله عليه اذا قبل توبته أو مصدر مؤكد
افعل محذوف أي تاب عليكم توبة وقبل على أنه حال من الضمير الجزوري عليه بتجذوف المناسف أي فعله
صيام شهرين ذاتوبة وقوله تعالى (من الله) متعلق بمحذوف وقع صفة لتوبة أي كائنة منه تعالى

قوله قتل منه الخ اي
خادعه يقال ما زال يقتل
من فلان في الذروة والغارب
اي يدور من وراء خديعته
كذا في القاموس اه

جميعه

خصين دماهم وأموالهم على ما ذكر في أن يقول لخصت دماءكم وأموالكم حتى يتأني البيان وأرتكاب
 تقديره بناء على اقتضاء ما ذكر في تفسير المن آية بناء على أساس واه كيف لا وإنما ذكره بضد التفسير ولأن
 كان أمر امتفرعا على ما فيه المماثلة مبنيا عليه في حقهم لكنه ليس بحكم أريد إثباته في حقه بناء على ثبوته في
 حقهم كالتخصيص المذكور حتى يستحق أن يتعرض له ولا بأمر له دخل في وجوب اعتبار ظاهر الإسلام
 من الداخلين فيه حتى يصح نظمه في سلك ما فرغ عليه قوله فعليكم أن تفعلوا الخ وحمل الكلام على معنى
 أنكم في أول الأمر كنتم مثله في قصور الرتبة في الإسلام فمن الله عليكم وبلغتم هذه الرتبة العالية منه
 فلا تستقصروا حالته نظرا إلى حالكم هذه بل اعتدوا بها نظرا إلى حالكم السابقة يرد أن قتله لم يكن
 لاستقصاء الإسلام بل لتوهم عدم مطابقة قلبه للسانه فان الآية الكريمة نزلت في شأن مرداس بن نهيك من
 أهل فدك وكان قد أسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم غالب بن فضالة
 اللقي فقبروا وبقي مرداس لثقتهم بالإسلام فلما رأى الخليل ألبأ غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا
 وكبروا كبر وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة بن زيد واستاق غنمه فأخبر وارسول
 الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجددا شديدا وقال قتلوه إرادة مامعه فقال أسامة أنه قال بلسانه دون قلبه وفي
 رواية أنما قالها خوفا من السلاح فقال عليه الصلاة والسلام هلا شقت عن قلبه وفي رواية أفلا شقت عن قلبه
 ثم قرأ الآية على أسامة فقال يا رسول الله استغفري فقال كيف بل لا إله إلا الله قال أسامة خازال عليه الصلاة
 والسلام بعيدا حتى وددت أن لم أكن أسأت اليوم ثم استغفري وقال أعنت رقبة وقبل نزلت في رجل
 قال يا رسول الله كذا نطلب القوم وقد هزمهم الله تعالى فقتدت رجلا فلما أحسن بالسيف قال اني مسلم فقتلته
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقتلت مسلما قال انه كان متعوذا فقال عليه الصلاة والسلام أفلا شقت
 عن قلبه (إن الله كان بآئمه لونا) من الأعمال الظاهرة والخفية وبكيفيةاتها (خبيرا) فنجبازيكم بحسبها
 ان خبرا خبيرا وان شرا فشر فلا تهاونوا في القتل واحتاطوا فيه والجله تعليل لما قبلها بطريق الاستئناف
 وقرئ يفتح أن على أنها معموله لتبينوا أو على حذف لام التعليل (لا يستوي القاعدون) بيان لتفاوت
 طبقات المؤمنين بحسب تفاوت درجات مساعيهم في الجهاد بعد ما مر من الأمر به وتحرير المؤمنين عليه
 بأنف القاعد عنه وبترفع نفسه عن انحطاط رتبته فيم تله رغبة في ارتقاع طبقتهم والمراد بهم الذين أذن لهم
 في القعود عن الجهاد اكتفاء بغيرهم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هم القاعدون عن بدر
 والخارجون إليها وهو الظاهر الموافق لما روي عن قتال من أنهم الخارجون إلى تبوك فإنه
 مما لا يوافق التاريخ ولا يساعده الحال إذ لم يكن للمخلفين يومئذ هذه الرخصة وقوله تعالى (من المؤمنين)
 متعلق بمحذوف وقع حالا من القاعدين أي كائنين من المؤمنين وفائدتها الإيدان من أول الأمر بعدم
 إخلال وصف القعود بآئهم والاشعار بعله استحقاقهم لمسايق من الحسنى (غير ألى الضرر) بالرفع
 صفة للقاعدون لجريانه مجرى النكرة حيث لم يقصد به قوم بأعيانهم أو بدل منه وقرئ بالنصب على أنه حال
 منه أو استثناء وبالجر على أنه صفة للمؤمنين أو بدل منه والضرر المرض أو العاهة من عي أو عرج أو زمانة
 أو نحوها وفي معناه العجز عن الأبهة عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه أنه قال كنت إلى جنب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فغشيت السكينة فوقعت نخذه على نخذي حتى خشيت أن ترضها ثم سرى عنه فقال اكتب
 فكنت لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن أم مكتوم وكن أعني يا رسول الله وكيف
 بن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فكشيت السكينة كذلك ثم سرى عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون
 من المؤمنين غير ألى الضرر (والمجاهدون) أرادهم بهذا العنوان دون الخروج المقابل لوصف المطلوب
 عليه كما وقع في عبارة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وصك كذا تقييد المجاهدة بكونها (في سبيل الله
 بأموالهم وأنفسهم) لمدحهم بذلك والاشعار بعله استحقاقهم لعلو المرتبة مع ما فيه من حسن موقع السبيل
 في مقابلة القعود وتقديم القاعدين في الذكر للإيدان من أول الأمر بأن القصور الذي يفي عنه عدم
 الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابلهم فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيتين المتفاوتين زيادة وقصا
 وان جازا اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر باعتباره بحسب قصور القاصر وعليه قوله تعالى هل

يستوى الاعى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور الى غير ذلك وأما قوله تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فاعل تقديم الفاضل فيه لأن صلته ملكة لصله المفضول وقوله عز وجل (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدین درجة) استئناف مسوق لتفصيل ما بين الفريقين من التفاضل المفهوم من ذكر عدم استوائهما اجمالاً ببيان كيفيةه وكيفيته مبنى على سؤال ينساق اليه المقال كأنه قيل كيف وقع ذلك فقيل فضل الله الخ وأما تقدير ما لهم لا يستون فاعلم ان يلقى بجعل الاستئناف تعليلاً لعدم الاستواء مسوقاً لإثباته وفيه تعكيس ظاهر فإن الذى يحق أن يكون مقصوداً بالذات انما هو بيان تفاضل الفريقين على درجات متفاوتة وأما عدم استوائهما فتصارى أمره أن يكون نوطاً لذكره ولأن المجاهدين والقاعدین للعهد فقيد كون الجهاد في سبيل الله معتبر في الأول كما أن قيد عدم الضرر معتبر في الثاني ودرجة نسب على المصدرية لوقوعها موقع المزة من التفضيل أى فضل الله تفضيله أو على نزاع الخافض أى بدرجة وقيل على التمييز وقيل على الحالية من المجاهدين أى ذوى درجة وتنويعها للتشجيع وقوله تعالى (وكلا) مفعول أول لما يعقبه قدم عليه لافادة القصر تأكيدهم كيد اللوعدة أى كل واحد من المجاهدين والقاعدین (وعدا الله الحسنی) أى المثوبة الحسنی وهى الجنة لأحدهما فقط كما في قوله تعالى وأرسلناك للناس رسولا على أن الامام متعلقة برسولا والجملة اعتراض بحى به تداركاً لما عسى يوهمه تفضيل أحد الفريقين على الآخر من حرمان المفضول وقوله عز وجل (فضل الله المجاهدين على القاعدین) عطف على قوله تعالى فضل الله الخ واللام في الفريقين مغنية لهما عن ذكر القيود التى تركت على سبيل التدرج وقوله تعالى (أجر أعظيماً) مصدر مؤكد لفضل على أنه بمعنى اجر وإيناره على ما هو مصدر من فعله للإشعار بكون ذلك التفضيل أجراً لاعمالهم أو مفعول ثان له بتضمينه معنى الاعطاء أى أعطاهم زيادة على القاعدین أجر أعظيماً وقيل هو منصوب بنزع الخافض أى فضلهم بأجر عظيم وقوله تعالى (درجات) بدل من أجر بدلاً الكل مبین لكمية التفضيل وقوله تعالى (منه) متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات دالة على نغامتها وجلالة قدرها أى درجات كأنه منه تعالى قال ابن حجر يزهى سبعون درجة ما بين كل درجتين عدد والفرس الجواد المنتمى سبعين خريفاً وقال السدى هى سبع مائة درجة وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة مائة درجة أعدّها الله تعالى للمجاهدين فى سبيله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ويجوز أن يكون انتصاب درجات على المصدرية كما فى قولك ضربه أسواطاً أى ضربات كأنه قيل فضلهم تفضيلات وقوله تعالى (ومغفرة) بدل من أجر بدلاً البعض لأن بعض الاجرام من باب المغفرة أى مغفرة لما يضرط منهم من الذنوب التى لا يكفرها سائر الحسنات التى يأتى بها القاعدون أيضاً حتى تعد من خصائصهم وقوله تعالى (ورحمة) بدل الكل من أجر مثل درجات ويجوز أن يكون انتصابها بضمها فاعلم ما أى غفر لهم مغفرة ورحمة ورحمة هذا ولعل تكرير التفضيل بطريق العطف المنبئ عن المغيرة وتقييده نارة بدرجة وأخرى بدرجات مع انتصاب المفضل والمفضل عليه حسماً يقتضيه الكلام ويستدعيه حسن النظام اما التزليل الاختلاف العنوائى بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات منزلة الاختلاف الذاتى تمهيداً للسلوك طريق الإيهام ثم التفسير وروما لمزيد التحقيق والتقرير كما فى قوله تعالى فلما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب عظيم كأنه قيل فضل الله المجاهدين على القاعدین درجة لا يقادروا ولا يبلغ كنهها وحيث كان تحقق هذا البون البعيد بينهما وهما الحرمان القاعدین قيل وكلا وعد الله الحسنی ثم أريد تفسير ما أفاده التفسير بطريق الإيهام بحيث يقطع احتمال كونه للوحدة فقيل ما قيل ولله در شأن التزليل وأما للاختلاف بالذات بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات على أن المراد بالتفضيل الأول ما خوله الله تعالى عما جلا فى الدنيا من الغنى والظفر والذكر الجليل الحقيق بكونه درجة واحدة وبالتفصيل الثانى ما أنتم به فى الآخرة من الدرجات العالية القائمة للعصر كما نبئ عنه تقديم الأول وتأخير الثانى وتوسط الوعد بالجنة بينهما كأنه قيل وفضلهم عليهم فى الدنيا درجة واحدة وفى الآخرة درجات لا تحصى وقد وسط بينهما فى الذكر ما هو متوسط بينهما فى الوجود أى الوعد بالجنة توضيحاً لحالهما ومساواة الى تسوية المفضول والله سبحانه أعلم هذا ما بين المجاهدين وبين القاعدین غير أولى الضرر وأما أولو الضرر فهم مساوون للمجاهدين عند الصائين بمفهوم الصفه وبأن الاستثناء من النقي اثبات وأما عند

قوله ونصحت جيوشهم هو من
قولهم رجل ناصح الجيب
أي لا غش فيه كما في القاموس
٥١

من لا يقول بذلك فلا دلالة لعبارة النص عليه وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم في المدينة
أقواما ما سرتهم مسيرا ولا قطعتم وادبا الا كانوا معكم وهم الذين همت نياتهم ونصحت جيوشهم وكانت أفئدتهم
تهوى الى الجهاد وبيهم ما يمنهم من المسير من ضرر أو غيره وبعبارة أخرى ان في المدينة لا أقواما سرتهم من مسير
ولا قطعتم من وادبا الا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم وهم بالمدينة حبسهم العذر قالوا هذه
المساواة مشروطة بشرطة أخرى سوى الضرر قد ذكرت في قوله تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى الى قوله
اذ انصروا الله ورسوله وقبل القاعدون الاول هم الاضراء والثاني غيرهم وفيه من تفكيك النظم الكريم ما لا يخفى
ولا ريب في أن الاضراء افضل من غيرهم درجة كما لا ريب في أنهم دون المجاهدين بحسب الدرجة الدينية
(وكان الله غفورا رحیما) تذييل مقرر لما وعد من المغفرة والرحمة (ان الذين يوفاهم الملائكة) بيان لحال
القاعدین عن الهجرة اثر بيان حال القاعدین عن الجهاد ويوفاهم بحمل أن يكون ماضيا ويؤيده قراءة من قرأ
نوفهم وأن يكون مضارعا قد حذف منه احدى التامین واصله توفاهم على حكاية الحال الماضية والقصد الى
استحضار صورتها وبعضه قراءة من قرأ توفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله تعالى يوفى الملائكة أنفسهم
فيتوفونها أي يكتنهم من استيفائهم فيستوفونها (ظالمی أنفسهم) حال من ضمير توفاهم فانه وان كان مضافا
الى المعرفة الا أنه تنكرة في الحقيقة لان المعنى على الانفصال وان كانت موصولة في اللفظ كما في قوله تعالى غير محلى
الصيد وهديا بالغ الكعبة وثاني عطفه أي محلى الصيد وبالغ الكعبة وثانيا عطفه كأنه قيل ظالمین أنفسهم وذلك
بترك الهجرة واختيار مجاورة الكفرة الموجبة للاخلال بامور الدين فانها نزلت في ناس من مكة قد أسلموا ولم
هاجروا حين كانت الهجرة فريضة (قالوا) أي الملائكة للتوفيق تقرير الهم بتقريبهم في اظهار اسلامهم واقامة
أحكامهم من الصلاة ونحوها وتوفى بعضهم بذلك (فيم كنتم) أي في أي شيء كنتم من أمور دينكم (قالوا) استئناف
مبنى على سؤال نشأ من حكاية سؤال الملائكة كأنه قيل فماذا قالوا في الجواب فقيل قالوا متعافين عن الاقرار
الصريح بما هم فيه من التقصير متعللين بما يوجب على زعمهم (كأما المستضعفين في الارض) أي في أرض مكة
عاجزين عن القيام بمواجب الدين فيما بين أهلها (قالوا) ابطال الله لهم وتبكت الهمم (ألم تكن أرض الله
واسعة فتهاجروا فيها) الى قطر آخر منها فقد درون فيه على اقامة أمور الدين كما فعله من هاجر الى المدينة وإلى
الخيبة وأما حمل تعللهم على اظهار المجتز عن الهجرة وجعل جواب الملائكة تكذبا لهم في ذلك فبره أن سبب
المجتز عنها لا ينحصر في فقدان دار الهجرة بل قد يكون لعدم الاستطاعة للخروج بسبب الفقر أو لعدم تمكن
الكفرة منه فلا يكون بيان سعة الارض تكذبا لهم وردا عليهم بل لا بد من بيان استطاعتهم أيضا حتى يتم
التبكيك وقبل كانت الطائفة المذكورة قد خرجوا مع المشركين الى بدر منهم قيس بن العفاكة بن المغيرة وقيس
ابن الوليد بن المغيرة وأشباهم ما قتلوا فيها فضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم وقالوا لهم ما قالوا فيكون ذلك
منهم تقريرا وتوفى بعضهم بما كانوا فيه من مساعدة الكفرة وانتظامهم في عسكرهم ويكون جوابهم بالاستضعاف
تعللا بأنهم كانوا مهضومين تحت أيديهم وأنهم أخرجوهم كارهين فرد عليهم بأنهم كانوا بسبيل من الخلاص عن
قهرهم متمكنين من المهاجرة (فأولئك) الذين حكيت أحوالهم الفظيمة (مأواهم) أي في الآخرة (جهنم)
كما أن مأواهم في الدنيا دار الكفر لتركتهم الفريضة المحتومة فأواهم مبتدأ وجهنم خبره والجملة خبر لا وتلك
وهذه الجملة خبران والفاء فيه لتضمن اسمها معنى الشرط وقوله تعالى قالوا فيم كنتم حال من الملائكة بأضمار قد
عند من يشترطه أو هو الخبر والعائد منه محذوف أي قالوا لهم والجملة المصدرة بالقام معطوفة عليه مستتبة
منه ومما في حيزه (وسات مصيرا) أي مصيرهم أي جهنم وفي الآية الكريمة ارشاد الى وجوب المهاجرة من
موضع لا يتمكن الرجل من اقامة أمور دينه بأي سبب كان وعن النبي صلى الله عليه وسلم من تزديته من أرض
الى أرض وان كان شبرا من الأرض استوجب له الجنة وكان رفيق أبيه ابراهيم وفيه محمد عليهم الصلاة والسلام
(الاستضعفين) استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه ومن في قوله تعالى (من
الرجال والنساء والولدان) متعلقة بمحذوف وقع حالا من المستضعفين أي كائين منهم وذكر الولدان ان أريد
بهم المماليك أو المراهقون ظاهر وأما ان أريد بهم الاطفال فلهما لقبة في أمر الهجرة وإيهام أنهم ساجدين
لواستطاعتها غير المكلفين لوجبت عليهم ولا شعار بأنهم لا يحصى لهم منها البتة تجب عليهم كما بلغوا حتى كانوا

واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا وان قوامهم يجب عليهم أن يهاجروا بهم متى أمسكت وقوله تعالى
(لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا) صفة للمستضعفين فان ما فيه من الالام ليس للتعريف أو حال منه أو من
الضعف المستكن فيه وقيل تفسير لنفس المستضعفين لكثرة وجوه الاستضعاف واستطاعة الحيلة وجدان أسباب
الهجرة ومباديها واهتداء السبيل معرفة طريق الموضع المهاجر اليه بنفسه أو بدليل (فأولئك) إشارة إلى
المستضعفين الموصوفين بما ذكر من صفات العجز (عسى الله أن يعفو عنهم) بحى بكلمة الاطباع ولفظ العفو ايذا
بأن الهجرة من تأكد الوجوب بحيث ينبغي أن يعتزركها عن تحقق عدم وجوبها عليه ذنبا يجب طلب العفو عنه
رجاء وطمعه الاجزما وقطعاً (وكان الله عفوا غفورا) تذييل مقترن لما قبله (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض
مراغما كثيرا) ترغيب في المهاجرة وتأنيس لها أي يجد فيها مقصولا ومهاجرا وانما عبر عنه بذلك تأكيذا للترغيب
لما فيه من الاشعار بكون ذلك المقصود بحيث يصل فيه المهاجر من الخير والنعمة الى ما يكون سببا لرفع ألم وقومه
الذين هاجروهم والرحم الذل والهوان وأصله لصوق الأنف بالرغام وهو التراب وقيل يجد فيها طريقا يراهم يسلكوه
قومه أي يشارفهم على رغم أنوفهم (وسعة) أي من الرزق (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه
الموت) أي قبل أن يصل الى المقصد وان كان ذلك خارج باب كفايته عنه ايثار الخروج من بيته على المهاجرة وهو
مطغ على فعل الشرط وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وقيل هو حركة الهاء نقلت الى الكاف على نية
الوقف كما في قوله

من عنى سبق لم أضربه * عجبت والدهر كثير عجيبه

وقرئ بالنصب على اضممار أن كما في قوله (والحق بالحق انما استرحنا) (فقد وقع أجره على الله) أي ثبت ذلك عنده
تعالى ثبوت الامر الواجب * روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث بالآيات المتقدمة الى مسلمي مكة
قال جندب بن ضمرة لبنيه وكان شيخا كبيرا اجلوني فاني لست من المستضعفين واني لا هتدي الطريق والله
لا آيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجه الى المدينة فلما بلغ النعيم أشرف على الموت فصفق بيمنه على شماله
ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أباي بك على ما يابيك رسولك فبات حيدا فبلغ خبره أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا لو توفي بالمدينة لكان أتم أجرا فزلت قالوا كل هجرة في غرض ديني من طلب علم أو حج أو جهاد
أو نحو ذلك فهي هجرة الى الله عز وجل والى رسوله عليه الصلاة والسلام (وكان الله غفورا) مبالغا في المغفرة
فيغفر له ما فرط منه من الذنوب التي من جللتها القعود عن الهجرة الى وقت الخروج (رحيما) مبالغا في الرحمة
فيرحمه بما كمال ثواب هجرته (واذا ضربتم في الأرض) شروع في بيان كيفية الصلاة عند الضرورات من السفر
ولقاء العدو والمرض والمطروقة تأكيذا لزيادة المهاجر على المهاجرة وترغيب له فيها لما فيه من تخفيف الموت أي
اذا سافرتم أي مسافرة كانت ولذلك لم يقيد بما قبله المهاجرة (فليس عليكم جناح) أي سرح وما تم
(أن تقصروا) أي في أن تقصروا والقصر خلاف المقد يقال قصرت الشيء أي جعلته قصيرا محذوف بعض أجزائه
أو أوصافه فعلق القصر حقيقة انما هو ذلك الشيء لا بعضه فانه متعلق المحذوف دون القصر وعلى هذا قوله تعالى
(من الصلوة) ينبغي أن يكون مفعولا لتقصروا على زيادة من حسباراء الاخفش وأما على تقدير أن تكون
تبعيضية ويكون المفعول محذوفا كما هو رأي سيبويه أي شيئا من الصلاة فينبغي أن يصار الى وصف الجزئية بصفة
الكل أو يراد بالقصر معنى الجبس يقال قصرت الشيء اذا حبسته أو يراد بالصلاة الجبس ليكون المقصود بعضا
منها وهي الرباعيات أي فليس عليكم جناح في أن تقصروا وبعض الصلاة بتقصيفها وقرئ تقصروا من الاقتصار
وتقصروا من التقصير والكل بمعنى وأدنى مدة السفر الذي يتعلق به القصر عند أبي حنيفة مسيرة ثلاثة أيام
وليلها يسيرا لابل ومشى الاقدام بالاقتصاد وعند الشافعي مسيرة يومين وظاهر الآية الكريمة التخيير وأفضلية
الاتمام وبه تعلق الشافعي وبما روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه أتم في الخروج عن عائشة رضي الله عنها
أنها أتمت نارة وقصرت أخرى وعن عثمان رضي الله عنه أنه كان يتم ويقصر وعندنا يجب القصر لا محالة خلا
أن بعض مشايخنا ساء عزيمه وبعضهم رخصة اسقاط بحيث لا مساغ للاتمام لارخصة ترفيه اذ لا معنى للتخيير بين
الاختف والانتقل وهو قول عمرو بن علي وابن عباس وابن عمر وجابر رضوان الله عليهم وبه قال الحسن وعمر بن عبد
العزيز وقتادة وهو قول مالك وقد روى عن عمر رضي الله عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم

عليه السلام وعن أنس رضي الله عنه خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة فكان يصلي ركعتين
 ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة وعن عمران بن حصين رضي الله عنه ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي
 في السفر إلا ركعتين وصلى بمكة ركعتين ثم قال أئقوا فأنقروم سفر وحين سمع ابن مسعود أن عثمان رضي الله عنه
 صلى بمكة أربع ركعات استرجع ثم قال صليت مع رسول الله عليه الصلاة والسلام بمكة ركعتين وصليت مع أبي
 بكر رضي الله عنه بمكة ركعتين وصليت مع عمر رضي الله عنه بمكة ركعتين فليت حظي من أربع ركعات ركعتان
 متقبلتان وقد اعتذر عثمان رضي الله عنه عن اتخاذه بأهل بمكة وعن الزهري أنه اتخاذه لأنه أجمع الإقامة
 بمكة وعن عائشة رضي الله عنها أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فأثرت في السفر وزيدت في الحضر
 وفي صحيح البخاري أنها قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فأقرت صلاة
 السفر وزيدت في صلاة الحضر وأما ما روى عنها من الاتمام فقد اعتذرت عنه وقالت أنا أئمة المؤمنين حيث حلت
 فهي داري وأما ورد ذلك بنى الجناح لما أنهم ألفوا الاتمام فكانوا مظنة أن يخطر ببالهم أن عليهم نقصا
 في القصر فصرح بنى الجناح عنهم لطيب به نفوسهم وبطمئناوا إليه كما في قوله تعالى فخرج البيت أو اعتمر فلا جناح
 عليه أن يطوف به ما مع أن ذلك الطواف واجب عندنا ركن عند الشافعي وقوله تعالى (ان خفت أن يقتلكم
 الذين كفروا) جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه أي ان خفت أن يعرضوا لكم بما تكرهونه من القتال وغيره
 فليس عليكم جناح الخ وهو شرط معتبر في شرعية ما يذكر بعده من صلاة الخوف المؤداة بالجماعة وأما في حق
 مطلق القصر فلا اعتبار له اتفاقا لظاهر السنن على مشروعيته حسبما وقت على تفصيلها وقد ذكر الطحاوي
 في شرح الآثار مسندا إلى يعلى بن أمية أنه قال قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه اتخاذه الله فليس عليكم
 جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفت أن يقتلكم الذين كفروا وقد أمن الناس فقال عمر رضي الله عنه
 عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وفيه
 دليل على عدم جواز الإكمال لأن التصديق بما لا يحتمل التملك اسقاط محض لا يحتمل الرد كما حقق في موضعه
 ولا يوهن أنه مخالف للكتاب لأن التقييد بالشرط عندنا غايدل على ثبوت الحكم عند وجود الشرط وأما
 عدمه عند عدمه فساكت عنه فان وجد له دليل ثبت عنده أيضا ولا يبقى على حاله لعدم تحقق دليله لا تحقق
 دليل عدمه وناهيك بما سمعت من الأدلة الواضحة وأما عند القائلين بالمفهوم فلا نه غايدل على نفي الحكم عند
 عدم الشرط اذ لم يكن له فائدة أخرى وقد خرج الشرط ههنا مخرج الأغلب كما في قوله تعالى ولا تكرهوا فتيانكم
 على البغاء ان أردن تحصنا بل نقول ان الآية الكريمة مجملة في حق مقدار القصر وكيفيته وفي حق ما يتعلق به
 من الصلوات وفي مقدار مدة الضرب الذي يبط به القصر فكل ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من القصر في حال
 الأمن وتخصمه بالرباعيات على وجه التخصيص وبالضرب في المدة المعينة بيان لا مجال للكتاب وقد قيل ان قوله
 تعالى ان خفت الخ متعلق بما بعده من صلاة الخوف منفصل عما قبله فإنه روى عن أبي أيوب الانصاري رضي
 الله عنه أنه قال نزل قوله تعالى واذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ثم سألو رسول
 الله صلى الله عليه وسلم بعد حول فنزل ان خفت الخ أي ان خفت أن يقتلكم الذين كفروا فليس عليكم جناح الخ
 وقد قرئ من الصلاة أن يقتلكم بغير ان خفت على أنه مقول للمادل عليه الكلام كأنه قيل شرع لكم ذلك
 كراهة أن يقتلكم الخ فان استمرار الاشتغال بالصلاة مظنة لاقتدارهم على ايقاع الفتنة وقوله تعالى
 (ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) تعليل لذلك باعتبار تعالاه بما ذكر أو لما يفهم من الكلام من كون قتلهم
 متوقعة فان كمال عدوتهم للمؤمنين من موجبات التعرض لهم يسوء وقوله تعالى (واذا كنت فيهم) بيان لما قبله
 من النص الجمل الوارد في مشروعية القصر بطريق التفريع وتصور كيفية عند الضرورة التامة وتخصيص
 البيان بهذه الصورة مع الاكتفاء فيما عداها بالبيان بطريق السنة لزيد حاجتها إليه لما فيها من كثرة التغير
 عن الهيئة الأصلية ومن ههنا ظهر لك أن مورد النص الشريف على المقصورة وحكم ما عداها مستفاد من
 حكمها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التجريد وبظاهره يتعلق من لا يرى صلاة الخوف بعده
 عليه السلام ولا ينبغي أن الأئمة بعده نوابه عليه السلام قوام بما كان يقوم به فينبأواهم بحكم الخطاب الوارد له
 عليه السلام كما في قوله تعالى خذ من أموالهم صدقة وقد روى أن سعيد بن العاص لما أراد أن يصلي بطبرستان

صلاة الخوف قال من شهد منكم صلاة الخوف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فوصف له ذلك فصلى بهم كما وصف وكان ذلك بحضوره العصابة رضي الله عنهم فلم يذكره أحد من أهل الجمع وروى في السنن أنهم غزوا مع عبد الرحمن بن عتبة بابل فصلى بهم صلاة الخوف (فأنت لهم الصلوة) أي أردت أن تقيم بهم الصلاة (فلنقم طائفة منهم معك) بعد أن جعلتهم طائفتين وانفقت الطائفة الأخرى بأزاء العدو وليحرسوك منهم وانما لم يصرح به لظهوره (ولياخذوا) أي الطائفة القائمة معك (أسلحتهم) أي لا يضعوها ولا يلقوها وانما عبر عن ذلك بالأخذ للإيدان بالأعانة باستعجابها كأنهم يأخذونها ابتداء (فإذا صدوا) أي القائمون معك وأعدوا الركعة (فليكونوا من ورائكم) أي فليصبروا إلى مقابلته العدو للحراسة (ولمات طائفة أخرى لم يصلوا) بعد وهي الطائفة الواقعة تجاه العدو والحراسة وانما لم تعرف لما أنها لم تذكر في مقابل (فليصلوا معك) الركعة السابقة ولم يبين في الآية الذكر بحال الركعة السابقة لكل من الطائفتين وقد بين ذلك بالسنة حيث روى عن ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم حين صلى صلاة الخوف صلى بالطائفة الأولى ركعة وبالطائفة الأخرى ركعة كما في الآية الكريمة ثم جاءت الطائفة الأولى وذهبت هذه إلى مقابلته العدو حتى قضت الأولى الركعة الأخيرة بلا قراءة وسلموا ثم جاءت الطائفة الأخرى وقضوا الركعة الأولى بقراءة حتى صار لكل طائفة ركعتان (ولياخذوا) أي هذه الطائفة (حذرهم وأسلمتهم) لعل زيادة الأمر بالخوف في هذه المرة تكونها مظنة لوقوف الكفرة على كون الطائفة القائمة مع النبي صلى الله عليه وسلم في شغل شاعل وأما قبلها فربما يظنونهم هم قائلين للعرب وتكليف كل من الطائفتين بما ذكر لما أن الاشتغال بالصلاة مظنة للاقاء السلاح والاعراض عن غيرها ومثنته للجهوم العدو كما ينطبق به قوله تعالى (ووالذين كفروا والذين كفروا عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) فانه استئناف مسوق لتعليل الأمر المذكور والخطاب للفرقة بطريق الالتفات أي تمنوا أن ينالوا منكم غزوة وينتهزوا فرصة فيشتدوا عليكم شدة واحدة والمراد بالامعة ما يتبع به في الحرب لا مطلقا وهذا الأمر للوجوب لقوله تعالى (ولا جناح عليكم أن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم) حيث رخص لهم في وضعها إذا ثقل عليهم استعجابا بسبب مطر أو مرض وأمرهم مع ذلك بالتسقط والاحتياط فصيل (وخذوا حذركم) لئلا يهجم العدو عليكم غيلة روى الكلبي عن أبي صالح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا محاربين بأبجى أعمارهم ففرزوا لايرون من العدو أحدا فوضع الناس أسلحتهم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة له وقد وضع سلاحه حتى قطع الوادي والسماء ترشغال الوادي بينه عليه السلام وبين أصحابه فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصره غوث ابن الحرث المحاربي فقال قلني أله ان لم أقتلك ثم انخدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم على رأسه وقد نسل سيفه من غده فقال يا محمد من يصنعك متى الآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عز وجل ثم قال اللهم اكفني غوث بن الحرث بما شئت ثم أهوى بالسيف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فأكب لوجهه من زلجة زلخها بين كتفيه فبدوسيفه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه ثم قال يا غوث من يصنعك متى الآن قال لأحد قال عليه الصلاة والسلام تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأعطيت سيفك قال لا ولكن أشهد أن لا إله الا الله وألا أعين عليك عدوا فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غوث والله لا نتخير مني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أحق بذلك منك فرجع غوث إلى أصحابه فقص عليهم قصته فآمن بعضهم قال وسكن الوادي فقطع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وأخبرهم بالخبر وقوله تعالى (إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا) تعليل للأمر بأخذ الحذر أي أعد لهم عذابا مهينا بأن يخذلهم وينصرهم عليهم فاهتموا بأمرهم ولا تهملوا في مباشرة الأسباب كي يخذلهم عذابه بأيديكم وقيل لما كان الأمر بالخوف من العدو وموهمه ما توقع غلبته واعتزازه فني ذلك الإيهام بأن الله تعالى ينصرهم ويهين عدوهم لتقوى قلوبهم (فإذا قضيت الصلوة) أي صلاة الخوف أي أيقنوها على الوجه المبين وفرغتم منها (فأذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) أي فادعوا على ذكر الله تعالى وحافظوا على مراقبته ومناجاة ودعائه في جميع الأحوال حتى في حال المسابقة

وتوجه له اليهم بطريق الالتفات ايذا نأبأ أن تعدد جنائيتهم يوجب مشافهتهم بالتوبيخ والتقريع والجملة
 مبتدأ وخبر وقوله تعالى (جادلتم عنهم في الحياة الدنيا) جملة مميّنة لوقوع أولادهم خبرا ويجوز أن يكون
 أولادهم موصولا بمعنى الذين وجادلتم الخصلة والمجادلة أشدّ المخاصمة والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن
 طعمة وأمثاله في الدنيا (فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة) فمن يخاصم عنهم يومئذ عند تعذيبهم وعقابهم
 (أم من يكون عليهم وصيلا) حافظا ومحاميا من بأس الله تعالى وانتقامه (ومن يعمل سوا) قبيحا
 يسوء به غيره كما فعل طعمة بشهادة اليهودي (أو يظلم نفسه) بما يختص به كالحلف بالكاذب وقيل السوء
 مادون الشرك والظلم الشرك وقيل هما الصغيرة والكبيرة (ثم يستغفر الله) بالتوبة الصادقة (يجد
 الله غفورا) لذنوبه كأنه ما كانت (رحيما) متفضلا عليه وفيه مزيد ترغيب اطعمة وقومه في التوبة
 والاستغفار لما أن مشاهدة التائب لا تار المغفرة والرحمة نعمة زائدة كما مر (ومن يكسب أثما) من الآثام
 (فإنما يكسبه على نفسه) حيث لا يتعدى ضرره وباله الى غيره فليحترز عن تعريضه للعقاب والعذاب
 عاجلا وأجلا (وكان الله عليما) بما الغافى العلم (حكما) مراعيًا للحكمة في كل ما قدر وقضى ولذلك
 لا يعمل وزارة وزر أخرى (ومن يكسب خطيئة) صغيرة أو مالا عمد فيه من الذنوب وقرئ ومن يكسب بكسر
 الكاف وتشديد السين وأصله يكسب (أو اثما) كبيرة أو ما كان عن عمد (ثم يرم به) أي يقذف به
 ويسند ووحيد الضمير مع تعدد المرجع لمكان أو وتذكيره لتغليب الاثم على الخطيئة كأنه قيل ثم يرم
 بأحدهما وقرئ يرم بهما وقيل الضمير للكسب المدلول عليه بقوله تعالى يكسب وثم للتراخي في التوبة (بريا)
 أي مما رماه به لجملة عقوبته العاجلة كما فعل طعمة يزيد (فقد احتمل) أي بما فعل من تحميل جريرته على
 البري (بهتاناً) وهو الكذب على الغير بما يهت منه ويخبر عنه سماعة لفظاعته وهوله وقيل هو الكذب
 الذي يتخير في عظمه (وإنما مبيتنا) أي ينافحنا وهو صفة لأثام وقد اكتفى في بيان عظم البهتان بالتسكير
 التفضيحي كأنه قيل بهتاناً لا يقدر قدره وإنما مبيتنا على أن وصف الاثم بما ذكر بمنزلة وصف البهتان به لأنهما
 عبارة عن أمر واحد ورمي البري بجناية نفسه قد مر عنه بهما توبيلا لأمره وتفظد حاله فدار العظم
 والفضامة كون المرمي به للرامي فإن رمى البري بجناية ما خطيئة كانت وإنما بهتان وإنه في نفسه أما كونه
 بهتاناً فظاهر وأما كونه أثماً فلا أن كون الذنب بالنسبة الى من فعله خطيئة لا يلزم منه كونه بالنسبة الى
 من نسبته الى البري منه أيضاً كذلك بل لا يجوز ذلك قطعاً كيف لا وهو كذب محرم في جميع الأديان
 فهو في نفسه بهتان وإنه لا محالة ويكون تلك الجناية للرامي يتضاعف ذلك شدة ويزداد قبحاً لكن لا انضمام
 جنائيه المكسوبة الى رمي البري والالكان الرمي بغير جنائية مثله في العظم ولا يجزأ شتمه على تبرئة نفسه
 الخطأ والالكان الرمي بغير جنائية مع تبرئة نفسه كذلك في العظم بل لاشتماله على قصد تحميل جنائيه على
 البري وأجرا عقوبتها عليه كما ينبغي عنه إيثار الاحتمال على الاكتساب ونحوه لما فيه من الأيذان بالنعكاس
 تقديره مع ما فيه من الأشعار بثقل الوزر وصعوبة الأمر ثم بما ذكر من انضمام كسبه وتبرئة نفسه الى
 رمي البري تزداد الجناية قبحاً لكن تلك الزيادة وصف للعجموع لا لللاثم (ولولا فضل الله عليك ورحمته)
 بأعلامك ما هم عليه بالوحى وتنبهك على الحق وقيل بالنبوة والعصمة (لهم طائفة منهم) أي من بني
 ظفر وهم الذابون عن طعمة وقد جوز أن يكون المراد بالطائفة كلهم ويكون الضمير راجعاً الى الناس وقيل
 هم وقد بنى ثقيف قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا اجتناك لتدابعك على أن لا تكسر أصنامنا
 ولا نشترينا فردتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن يضاولك) أي بأن يضاولك عن القضاء بالحق مع علمهم
 بكنه الأمر والجملة جواب لولا وإنما تأتي همهم مع أن المنى إنما هو تأثيره فقط ايذا نأبأ تافاه تأثيره بالكلية
 وقيل المراد هو الهيم المؤثر ولا ريب في اتفائه حقيقة وقيل الجواب محذوف أي لا ضاولك وقوله تعالى
 لهمست جنة مستأنفة أي لقد همت طائفة الخ (وما يضاولون إلا أنفسهم) لاقتصار وبال مكرهم عليهم من
 غير أن يصيبك منه شيء والجملة اعتراض وقوله تعالى (وما يضارونك من شيء) عطف عليه ومحل الجار
 والمجرور نصب على المصدرية أي وما يضارونك شيئاً من الضرر لما أنه تعالى عاصمك وأما ما خفربيا لك فكان
 علامتك بظاهر الحال ثقة بأقوال القائلين من غير أن يخطر ببالك أن الحقيقة على خلاف ذلك (وأمر الله)

عليك الكتاب والحكمة) أي القرآن الجامع بين العنوانين وقبل المراد بالحكمة السنة (وعلمك) بالوحي من خفيات الامور التي من جعلها وجوه ابطال كيد المنافقين أو من أمور الدين وأحكام الشرع (ما لم تكن تعلم) ذلك الى وقت التعليم (وكان فضل الله عليك عظيما) اذ لا فضل أعظم من النبوة العاتية والرياسة النامة (لا خير في كثير من نجواهم) أي في كثير من تنجى الناس (الامن امر) أي الا في نجوى من امر (بصدقة أو معروف) وقبل المراد بالنجوى المتناجون بطريق الجواز وقبل النجوى جمع نجى نقله الكرماني وأما ما كان فلا يستثناء متصل ويجوز الانقطاع أيضا على معنى لكن من امر بصدقة الخ ففي نجوا الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل فينتظم أصناف الجليل وقنون أعمال البر وقد فسره ههنا بالقرض واغناه الملهوف وصدقة التطوع على أن المراد بالصدقة الصدقة الواجبة (أو اصلاح بين الناس) عند وقوع المشاقة والمعاداة بينهم من غير أن يجاوز في ذلك حدود الشرع الشريف وبين اما متعلق بنفس اصلاح يقال أصلحت بين القوم أو عذوف هو صدقة له أي كائن بين الناس * عن أبي أيوب الانصاري رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ألا أدلك على صدقة خير لك من سائر النعم فقال بلى يا رسول الله قال تصلح بين الناس اذا فاسدوا وتقرب بينهم اذا تباعدوا قالوا ولعل السر في افراد هذه الاقسام الثلاثة بالذكر أن عمل الخير المتعدى الى الناس اما لا يصل المنفعة أو يدفع المضرة والمنفعة اما جسمانية كاعطاء المال واليه الاشارة بقوله تعالى الامن امر بصدقة واما روحانية واليه الاشارة بالامر بالمعروف وأما دفع الضرر فقد أشير اليه بقوله تعالى أو اصلاح بين الناس (ومن يفعل ذلك) اشارة الى الامور المذكورة أعنى الصدقة والمعروف والاصلاح فانه يشار به الى متعدد وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بها للايذان ببعد منزلتها ورفعة شأنها وترتيب الوعد على فعلها اثر بيان خيرية الامر به المأثرت المقصود الاصل هو الترغيب في الفعل وبيان خيرية الامر به للدلالة على خيريته بالطريق الاولى لما أن مدار حسن الامر وقبحه حسن المأمور به وقبحه فثبت خيرية الامر بالامور المذكورة بخيرية فعلها اثبت وفيه تجرئ على الامر بها على فعلها أو اشارة الى الامر بها كأنه قيل ومن يأمر بها والكلام في ترتيب الوعد على فعلها كالذي مر في الخيرية فان استتباع الامر بها للاجر العظيم انما هو لكونه ذريعة الى فعلها فاستتباعه له أولى وأحو (استغناء مرضاة الله) عنه للفعل والتقيد به لان الاعمال بالنيات وأن من فعل خير الغير ذلك لم يستحق به غير الحرمان (فسوف نؤتيه) بنون العظمة على الالتفات وقرئ بالياء (أجر أعظيما) يقتصر عنه الوصف (ومن يشاقق الرسول) التعرض له عنوان الرسالة لاظهار كمال شناعة ما اجتروا عليه من المشاقة والمخالفة وتعليل الحكم الاتي بذلك (من بعد ما تبين له الهدى) ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات الدالة على نبوته (ويتبع غير سبيل المؤمنين) أي غير ما هم مستترون عليه من عقد وعمل وهو الدين القيم (نوله ما نولى) أي نجعله واليما نؤلاه من الضلال ونخذله بأن نخلي بينه وبين ما اختاره (وفصله جهنم) أي ندخله اياها وقرئ بفتح النون من صلاه (وسامت مصبرا) أي جهنم وفيها دلالة على حجة الاجماع وحرمه مخالفته (ان الله لا يفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) قدم تقييده فيما سبق وهو تكرير للتأكيد والتشديد أول قصة طعمة وقدمت مونه كافر اوردى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن شيخا من العرب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا أني لم أشرك بالله شيئا منذ عرفت به وأمنت به ولم أخخذ من دونه وليا ولم أواقع المعاصي جراءة على الله تعالى وما وهمت طرفه عين أني أبهجرا لله هربا واني لنادم نائب مستغفر فخارتى حالي عند الله تعالى فنزلت (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) عن الحق فان الشرك أعظم أنواع الضلالة وأبعدها عن الصواب والاستقامة كما أنه اقترأ وانهم عظيم ولذلك جعل الجزاء في هذه الشرطية فقد ضل الخ وفيما سبق فقد اقترأ انما عظيم حاسما يقتضيه سباق النظم الكريم وسباقه (ان يدعون من دونه) أي ما يعبدون من دونه عز وجل (الا انانا) يعني اللات والعزى ومناة ونحوها عن الحسن انه لم يكن من أحياء العرب حتى الاكان لهم صنم يعبدونه يسعون به أي بنى فلان قيل لانهم كانوا يقولون في أصنامهم هن بنات الله وقيل لانهم كانوا يلبسونها أنواع الحلي ويزينونها على هيات النسوان وقيل المراد باللائكة لقولهم الملائكة بنات الله وقيل تسميتها انما لتأنيث أسمائها أولايتها في الأصل

جبار والجمادات توثت من حيث انها ضاقت الاناث لانفعالها و ارادها بهذا الاسم للتنبيه على فرط حياقة
 عبدتها وتناهي جهلهم والاناث جمع اتى كرباب وربى وقرئ على التوحيد وانشأ ايضا على أنه جمع آيت كقلب
 وقلب أو جمع اناث كبحار وقرئ وانشأوا بالتحفيف والتثقيب جمع وزن كقولك أسد وأسود وأسدي على الاصل
 وقلب الواو ألصق وأجوه في وجوه (وان يدعون) وما يعبدون بعبادتها (الاشيطان امریدا) اذ هو الذى
 أمرهم بعبادتها وأغراهم عليها فكانت طاعتهم له عبادة والمريد والمارد هو الذى لا يعلق بخير وأصل
 التركيب للملاسة ومنه صرح بمزدوشجرة مرداء التي تناثروا عنها (لعنه الله) صفة ثانية للشيطان (وقال
 لا تخذق من عبادك نصيبا مفروضا) عطف على الجملة المتقدمة أى شيطان امریدا جامع ما بين لعنة الله وهذا
 القول الشنيع الصادر عنه عند اللعن ولقد برهن على أن عبادة الاصنام غاية الضلال بطريق التعليل بأن
 ما يعبدونها ينفعه ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالهية غاية المناقاة ثم استدل عليه بأن ذلك عبادة
 للشيطان وهو أقطع الضلال من وجوه ثلاثة الأول أنه منهمك في الشيء لا يكاد يعلق بشئ من الخير والهدى
 فتكون طاعته ضلالا بعيدا عن الحق والثاني أنه ملعون اضلاله فلا تستمع مطاوعته سوى اللعن والضلال
 والثالث أنه في غاية السهي في اهلاصهم واهلاصهم فوالا لهم هذا شأنه غاية الضلال فضلا عن عبادته
 والمفروض المقطوع أى نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء (ولا ضلهم ولا ضلهم) الاماني
 الباطلة كطول الحياة وأن لا يبعث ولا عقاب ونحو ذلك (ولا أمرهم فليبتكن آذان الانعام) أى فليقطع عنها
 بموجب أمرى وبشقنهما من غير تعلم في ذلك ولا تأخير وذلك ما كانت العرب تفعله بالبحائر والسواحب
 (ولا أمرهم فليغيرن) بمثلين به (خلق الله) عن نهجه صورة أو صفة وينتظم فيه ما قبل من فتي معين
 الحامى وخصاء العبيد والوثم والوشى ونحو ذلك وعموم اللفظ يمنع الخصاص مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في
 اليهائم لكان الحاجة وهذه الجملة المستكسمة عن اللعين مما نطق به لسانه مقالا أو حالا وما فيها من اللامات
 كلها تنقسم والمأمور به في الموضوعين محذوف بثقة بدلالة التنظيم عليه (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله)
 يا يثار ما يدعوا اليه على ما أمر الله تعالى به ومجاوزته عن طاعة الله تعالى الى طاعته (فقد خسر خسرانا مبينا)
 لأنه ضيع رأس ماله بالكلية واستبدل بمكانه من الجنة مكانه من النار (يعدهم) أى ما لا يكاد ينجزه
 (وعينهم) أى الاماني الفارغة أو يفعل لهم الوعد والتمنية على طريقة فلان يعطى ويعنع والضميران لمن
 والجمع باعتبار معناها كما أن الافراد في يتخذ وخسر باعتبار لفظها (وما يعدهم الشيطان الا غرورا)
 وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بابقاء الخواطر الفاسدة أو بالسنة أو لياته وغرورا اما
 مفعول ثان للوعد أو مفعول لاجله أو نعت لمصدر محذوف أى وعد اذا غرورا ومصدر على غير لفظ المصدر
 لان يعدهم في قوة بغيرهم بوعده والجملة اعتراض وعدم التعرض للتمنية لانها باب من الوعد (أولئك)
 اشارة الى أولياء الشيطان وما فيه من معنى البعد للاشعار بعدم منزلتهم في الخسران وهو مبتدأ وقوله تعالى
 (ما وأهم) مبتدأ ثان وقوله تعالى (جهنم) خبر للثاني والجملة خبر للاول (ولا يجردون عنها محيصا)
 أى معدلا ومهر بامن خاص الجمار اذا عدل وقيل خلص ونجى وقيل الحيص هو الروغان ينقور وعنهما متعلق
 بمحذوف وقع حالا من محيصا أى كاستناعها ولا ماساغ لتعلقه بمحيصا أما اذا كان اسم مكان فظاهر وأما اذا كان
 مصدرا فلا نه لا يعمل فيما قبله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتدأ خبره قوله تعالى (سندخلهم
 جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا) قرن وعيد الكفرة بوعيد المؤمنين زيادة لمسة هؤلاء ومساءة
 أولئك (وعدا الله حقا) أى وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية
 وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز أن ينتصب الموصول بمنعمر يفسره ما بعده وينتصب وعد الله بقوله تعالى
 سندخلهم لانه في معنى نعدهم ادخال جنات الخ وحقا على أنه حال من المصدر (ومن أصدق من الله قيلا)
 جملة مؤكدة بلفظة والمقصود من الآية معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة لقراءته بوعدا الله الصادق
 لأوليائه والمبالغة في تأكيد كيدهم ترغيبا للعباد في تحصيله والقبيل مصدر كالقول والقال وقال ابن السكيت القبيل
 والقال اسمان لا مصدران ونصبه على التمييز وقرئ يا شمام الصاد وكذا كل صادسا كنه بعد هادال (ليس
 بآمانيسكم ولا آمانى أهل الكتاب) أى ليس ما وعد الله تعالى من الثواب يحصل بآمانيسكم أيها المسلمون

ولا بأمان أهل الكتاب وانما يحصل بالايمان والعمل الصالح ولعل تنظم أمانى أهل الكتاب في سلك أمانى
المسلمين مع ظهور حالها للآيذ ان بعدم اجدا أمانى المسلمين أصلا كما في قوله تعالى ولا الذين يوتون وهم كفار كما
سلف وعن الحسن ايس الايمان بالحق وانكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ان قوما ألهمهم أمانى المغفرة حتى
خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحن الطق بالله وكذبوا الواحسناوا الطق به لاحسنوا العمل
وقيل ان المسلمين وأهل الكتاب اقتضوا فقال أهل الكتاب نينا قبل نبيكم وكنا قبل كتابكم فمن أولى بالله
تعالى منكم فقال المسلمون نحن أولى منكم نينا خاتم النبيين وكنا نينا يقضى على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل
الخطاب للمشركين ويؤيده تقدم ذكرهم أى ليس الامر بأمانى المشركين وهو قولهم لاجنة ولا ناروقولهم
ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لتكون خيرامهم وأحسن حالوقولهم لاوتين مالا وولدا ولا أمانى أهل الكتاب
وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هوذا أو نصارى وة لهم لن نمننا النار الا أياما معدودة ثم قرئ ذلك بقوله
تعالى (من يعمل سوءا يجزيه) عاجلا أو آجلا لما روى أنه لما نزل قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه فن يجمع
هذا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما تحزن أو تعرض أو يصيبك البلا قال بلى يا رسول الله
قال هو ذلك (ولا يجده من دون الله) أى يجاوز الموالاته ونصرته (وليا) بواليه (ولا نصيرا) ينصره
في دفع العذاب عنه (ومن يعمل من الصالحات) أى بعضها أو شيئا منها فان كل أحد لا يتمكن من كلها وليس
سكنا بها (من ذكر أو أنفى) في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان أو من الصالحات فن للابتداء
أى كائن من ذكر الخ (وهو مؤمن) حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيه على أنه
لا اعتداده دون (فأولئك) اشارة الى من بعنوان اتصافه بالايمان والعمل الصالح والجمع باعتبار معناها
كما أن الافراد فيما سبق باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة من الاشعار بعلم رتبة المشار اليه
وبعد منزله في الشرف (يدخلون الجنة) وقرئ يدخلون مبني للمفعول من الادخال (ولا يظلمون شيئا)
أى لا ينقصون شيئا حقيرا من ثواب أعمالهم فان التميز علم في القلة والحقارة واذا لم ينقص ثواب المطيع فلا ن
لا يراد عقاب العاصي أولى وأحرى كيف لا والجمازى أرحم الراحمين وهو السر في الاقتصار على ذكره عقيب
الثواب (ومن أحسن دينا من أسلم وجهه لله) أى أخلص نفسه له تعالى لا يعرف له بأسا وقيل بذل وجهه
له في السجود وقيل أخلص عمله عز وجل وقيل فوض أمره اليه تعالى وهذا انكار واستبعاد لأن يكون
أحد أحسن ديننا من فعل ذلك أو مساويا له وان لم يكن سبب التركيب متعزضا لانكار المساواة ونفيه ايرشده
اليه العرف المطرد والاستعمال الفاشى فانه اذا قيل من أكرم من فلان أو لا أفضل من فلان فالمراد به حتما
أنه أكرم من كل كريم وأفضل من كل فاضل وعليه مساق قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى نظائره ودينانصب
على التمييز من أحسن منقول من المبتدا والتقدير ومن دينه أحسن من دين من أسلم الخ فالتفضيل في الحقيقة
جاري بين الدينين لا بين صاحبيهما فمافيه تنبيه على أن ذلك أقصى ما انتهى اليه القوة البشرية (وهو محسن)
أى أت بالحسنات تارك للسيئات أو أت بالاعمال الصالحة على الوجه اللائق الذى هو حسن الوصف
المستلزم لحسنها الذاتي وقد قدره عليه الصلاة والسلام بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراه
والجمله حال من فاعل أسلم (واتبع ملة ابراهيم) الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها وقبولها (حنيفا)
ما تلاحن الاديان الزائفة وهو حال من فاعل اتبع أو من ابراهيم (واتخذ الله ابراهيم خليلا) اصطفاؤه وخصه
بكرامات تشبه كرامات الخليل عند خليفه واظهاره عليه الصلاة والسلام في موقع الاشهاد لتفخيم شأنه
والتنصيص على أنه الممدوح وتأكيد استتلال الجملة الاعتراضية والخلة من الخلال فانه قد تخلل النفس
وخالطها وقيل من الخلال فان كل واحد من الخليلين يستدخل الآخر ومن الخلل وهو الطريق في الرمل
فانهم ما يتوافقان في الطريق أو من الخلة بمعنى الخصلة فانهم ما يتوافقان في الخصال وفائدة الاعتراض جهة من
جانبها الترغيب في اتباع ملته عليه السلام فان من بلغ من الزاقي عند الله تعالى مبلغا مبعها اتممته خليلا حقيق
بأن يصكون اتباع طر يفته أهم ما يمتد اليه أعناق الهمم وأشرف ما يرمى نحوه أ حداق الامم قيل انه
عليه الصلاة والسلام بعث الى خليل له بمصر في أزمة أصابت الناس بمتار منه فقال خليل لو كان ابراهيم يطلب
الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريد لها للاضياف وقد أصابنا ما أصاب الناس من الشدة فرجع علمانه عليه الصلاة

والسلام فاجتازوا ببطعها لينة فلو امنها الغرائر حياء من الناس وجاؤا بها الى منزل ابراهيم عليه الصلاة والسلام وألقوها فيه وتفرقوا ووجاء أحدهم فأخبر ابراهيم بالقصة فاغتم لذلك غمًا شديدًا لاجتماع الناس بيا به رجاء الطعام فغلبه عيناه وعمدت سارة الى الغرائر فاذا فيها أجود ما يكون من الخواصر فاخترت وفي رواية فأطعمت الناس واتبه ابراهيم عليه السلام فاشتم رائحة الخبز فقال من أين لكم قالت سارة من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماء الله تعالى خليلًا (ولله ما في السموات وما في الارض) جملة مبتدأة سبقت لتقرر وجوب طاعة الله تعالى على أهل السموات والارض ببيان أن جميع ما فيها من الموجودات له تعالى خالقًا ومالكًا لا يخرج عن ملكوته شيء منها فيجازى كلا عوجب أعماله خيرًا وشرا وقيل لبيان أن اتخاذ عز وجل لابراهيم عليه السلام خليلًا ليس لاحتياجه سبحانه الى ذلك في شأن من شأنه كما هو دأب الادميين فان مدار خلتهم اقتنار بعضهم الى بعض في مصالحهم بل لمجرد تكميمه ونشر بفضله عليه السلام وقيل لبيان أن الخلقة لا تخرجه عن رتبة العبودية وقيل لبيان أن اصطفاؤه عليه السلام للخلقة بمحض مشيئته تعالى أي له تعالى ما فيها جميعا يختار منها ما يشاء ان يشاء وقوله عز وجل (وكان الله بكل شيء محيطًا) تذييل مقترن بخبر ما قبله على الوجوه المذكورة فان احاطته تعالى علما وقدرته بجميع الاشياء التي من جملتها ما فيها من المكلفين وأعمالهم مما يقرر ذلك أكل تقرير (وبستفتونك في النساء) أي في حقهن على الاطلاق كما ينبي عنه الاحكام الالهيّة لافي حق ميراثهن خاصة فانه صلى الله عليه وسلم قد سئل عن أحوال كثيرة مما يتعلق بهن فباين حكمه فيما سلف أحيل بيانه على ما ورد في ذلك من الكتاب وما لم يبين حكمه بعد بين ههنا وذلك قوله تعالى (قل الله يفتيكمن فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب) باسناد الافتاء الذي هو بين المبهم وتوضيح المشكل اليه تعالى والى ما تلى من الكتاب فيما سبق باعتبارين على طريقة قولك أغناني زيد وعطاؤه بعطف ما على المبتدأ أو ضميره في الخبر لكان الفعل بالمنعول والجار والمجرور واشار صيغة المنارع للايدان باستمرار التلاوة ودوامها وفي الكتاب اتماما متعلق يتلى أو بمحذوف وقع حالا من المستكن فيه أي يتلى كأنها فيه ويجوز أن يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على أن المراد به اللوح المحفوظ والجملة معترضة مسوقة لبيان عظم شأن المتلو عليهم وأن العدل في الحقوق الميمنة فيه من عظام الامور التي تجب مراعاتها والمحافظة عليها فبايتي حينئذ متناول لما تلى وما سبقتي ويجوز أن يكون مجرورا على القسم المنبي عن تعظيم القسم به وتخصيمه كأنه قيل قل الله يفتيكمن فيهن وأقسم بما يتلى عليكم في الكتاب فالمراد بقوله تعالى يفتيكمن بيانه السابق واللاحق ولا مبالغ لفظه على المجرور ومن فيهن لاختلاله لفظا ومعنى وقوله تعالى (في يتاحى النساء) على الوجه الاول وهو الاظهر متعلق يتلى اي ما يتلى عليكم في شأنهن وعلى الاخيرين بدل من فيهن وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرى يياى على قلب همزة أيامى ياء (اللاى لا قوتونهن ما كتب لهن) أي ما فرض لهن من الميراث وغيره (وترغبون) عطف على الصلة عطف جملة منبئة على جملة منفية وقيل حال من فاعل قوتونهن بتأويل وأنتم ترغبون ولا ريب في أنه لا يظهر لتقييد عدم الاتياء بذلك فائدة الا اذا أريد بما كتب لهن صداقهن (ان تنكوهن) أي في أن تنكوهن لا لاجل التمتع بهن بل لا كل مالهن أو في أن تنكوهن بغيرا كمال الصداق وذلك ما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها من أنها البتمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد أن ينكحها بأدنى من سنة نساءها فنوا أن ينكوهن الا أن يقسطوا الحسن في كمال الصداق أو عن أن تنكوهن وذلك ما روى عنها رضى الله تعالى عنها أنها بتممة يرغب وليها عن نكاحها ولا ينكحها فيفضلها طمعا في ميراثها وفي رواية عنها رضى الله تعالى عنها هو الرجل يكون عنده بتممة هو وليها ووارثها وشريكها في المال حتى في العذق فيرغب أن ينكحها ويكره أن يزوجه رجلًا فيشركه في ماله بما شر كتمه فيفضلها فاما المراد بما كتب لهن على الوجه الاول والاخير ميراثهن وبما يتلى في حقهن قوله تعالى وآتوا النساء أموالهن وقوله تعالى ولاتأكلوا مما أخذوا من النصوص الدالة على عدم التعرض لاموالهن وعلى الوجه الثاني صداقهن وبما يتلى فيهن قوله تعالى وان خفتم أن لا تقسطوا في النساء الآية (والمخضعين من الودان) عطف على يتاحى النساء وما يتلى في حقهن قوله تعالى يوصيكم الله الخ وقد كانوا في الجاهلية لا يورثونهم كما لا يورثون النساء وانما يورثون الرجال القوام بالامور روى أن عيينة

ابن حصن الفزاري جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخبرنا بانك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كانوا من يشهد القتال ويجوز الغنمة فقال عليه الصلاة والسلام كذلك أمرت (وأن تقوموا للسياح بالقسط) بالجزعطف على ما قبله وما يتلى في حقهم قوله تعالى ولا تبتدوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم وشعور ذلك مما لا يكاد يحصر هذا على تقدير كون في تسمى النساء متعلقا يتلى وأما على تقدير كونه بدلا من فيهن فالوجه نصبه عطفا على موضع فيهن أي يفتيكم أن تقوموا ويجوز نصبه باخيار فعل أي ويأمركم وهو خطاب للولادة أو للاولياء والاوصياء (وما تفعلوا) في حقوق المذكورين (من خير) حسبا أمرتم به أو ما تفعلوه من خير على الإطلاق فيندرج فيه ما يتعلق بهم اندراجا أوليا (فإن الله كان به عليما) فيجازيكم بحسبه (وان امرأة خافت) شروع في بيان ما لم يبين فيما سلف من الاحكام أي ان وقعت امرأة (من بعلمها نشوزا) أي تخافها عن ارتفاع عن صحبتها كراهة لها ومنعها لحقوقها (أو اعراضا) بأن يقل محادثتها وموانستها لما يقتضي ذلك من الدواعي والاسباب (فلا جناح عليهما) حينئذ (ان يصلحا بينهما صلحا) أي في أن يصلحا بينهما بأن تحط له المهر أو بعضه أو التمس كاتعت سودة بنت زمعة حين كرهت أن يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبت يومها لعائشة رضي الله عنها أو بأن تنب له شيئا تستلحه وقرئ يصلحا من يتصالحا ويصلحا من يصطلحا ويصالحا من المفاعلة وصلحا اتماما منسوب بالفعل المذكر وعلى كل تقدير على أنه مصدر منه بحذف الزائد وقد يعبر عنه باسم المصدر كأنه قيل اصلاحا أو تصالحا أو اصطلاحا حاشا قرئ الفعل أو بفعل مترتب على المذكور أي فيصلح حالها وصلحا وبينهما ما ظرف للفعل أو سال من صلحا والتعرض لنفي الجناح عنهما مع أنه ليس من جانبها الاخذ الذي هو المظنة للجناح لبيان أن هذا الصلح ليس من قبيل الرشوة المحرمة للمعطي والاخذ (والصلح خير) أي من الفرقة أو من سوء العشرة أو من المصومة فاللام للعهد أو هو خير من الخيور فاللام للجنس والجملة اعتراض مقترن لما قبله وكذا قوله تعالى (وأحضرت الانفس الشح) أي جعلت حاضرة له مطبوعة عليه لا تنفك عنه أبدا فلا المرأة تسبح بحقوقها من الرجل ولا الرجل بوجود بحسن المعاشرة مع دما متافان فيه تحقيقا للصلح وتقرير له بحث كل منهما عليه لئلا ينظر الى حال نفسه فان ذلك يستدعي التماضي في المماكسة والشقاق بل بالنظر الى حال صاحبه فان تح نفس الرجل وعدم ميلاها عن حالتها الجبلية بقبر استمالة مما يعمل المرأة على بذل بعض حقوقها اليه لاستمالاته وكذا شح نفسها بحقوقها مما يحمل الرجل على أن يقنع من قبها ما ينشئ بسرو ولا يكلفها بذل الكثير فيحقق بذلك الصلح (وان تحسنوا) في العشرة (وتتقوا) النشوز والاعراض وان تعاضدت الاسباب الداعية اليهما وتصبروا على ذلك مراعاة لحقوق الصبية ولم تضطروهن الى بذل شيء من حقوقهن (فإن الله كان بما تعملون) أي من الاحسان والتقوى أو بما تعملون جعلا فيدخل ذلك فيه دخولا أوليا (خيرا) فيجازيكم وينيبكم على ذلك البتة لاستحالة أن يضيع أبرا المحسنين وفي خطاب الأزواج بطريق الالتفات والتعبير عن رعاية حقوقهن بالاحسان ولفظ التقوى المنبئ عن ككون النشوز والاعراض مما يتوق منه وترتيب الوعد الكريم عليه من لطف الاستمالة والترغيب في حسن المعاملة ما لا يخفى روى أنها نزلت في عمرة بنت محمد بن مسلمة وزوجها سعد بن الربيع تزوجها وهي شابة فلما علاها الكبر تزوج شابة وأثرها عليها وجفاها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكت اليه ذلك وقيل نزلت في أبي السائب كانت له امرأة قد كبرت وله منها أولاد فإراد أن يطلقها ويتزوج غيرها فقالت لا تطلقني ودعني على أولادي فاقسم لي من كل شهرين ان شئت وان شئت فلا تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو أحب الي غافى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فنزلت (وان تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) أي محال أن تعدلوا على أن تعدلوا بينهن بحيث لا يقع ميل ما الى جانب احداهن في شأن من الشؤون البتة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تولاخذني فيما أملك ولا تملكني وفي رواية وأنت أعلم بما لا أملك يعني فرط محبته لعائشة رضي الله عنها (ولو حرصتم) أي على إقامة العدل وبالغتم في ذلك (فلا تغلبوا كل الميل) أي فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور واعدلوا ما استطعتم فان

عجزكم عن حقيقة العدل انما يصح عدم تسكينكم بها لاجداد ونها من المراتب الداخلية تحت استطاعتكم
 (تذروها) أي التي علمت عنها (كالعلقة) التي ليست ذات فعل أو مطلقة وقرئ كالسجونة وفي الحديث
 من كانت له امرأتان يميل مع احدهما اجاء يوم القيامة وأحدثت به مائل (وان تسلموا) ما كنتم تفسدون
 من أمورهن (وتتوا) الميل فيما يستقبل (فان الله كان عفورا) يفضلكم ما فرط منكم من الميل
 (رحيما) يفضل عليكم برحمته (وان يتفرقا) وقرئ يتفرقا أي وان يفارق كل منهم صاحبه بأن لم يتفق
 بينهم ما وافق بوجه مامن الصلح وغيره (يقن الله كلا) منه ما أي يجهله مستغنيا عن الآخر ويكفه مهماته
 (من سعة) من غناه وقدرته وفيه زجر لها عن المفارقة رغبا لصاحبه (وكان الله واسعا حكيما) مقتدرا
 متفنا في أفعاله وأحكامه وقوله تعالى (ولله ما في السموات وما في الأرض) أي من الموجودات كلها
 ما كان من الخلاق وأرزاقهم وغير ذلك جله مستأنفة منبهة على كمال سعته وعظم قدرته (ولقد وصينا الذين
 اوتوا الكتاب من قبلكم) أي أمرناهم في تكليمهم وهم اليهود والنصارى ومن قبلهم من الامم واللام في الكتاب
 للجنس ومن متعلقة بوصينا أو بأوتوا (واياكم) عطف على الموصول (أن اتقوا الله) أي وصينا كلامكم ومنهم
 بأن اتقوا الله على أن مصدرية حذف عنها الحذف ويجوز أن تكون مفسرة لأن التوصية في معنى القول
 فقوله تعالى (وان تكفروا فان الله ما في السموات وما في الأرض) حيث من تمة القول المحكي أي ولقد قلنا لهم
 ولكم اتقوا الله وان تكفروا الى آخر الآية وعلى تقدير كون أن مصدرية معنى الكلام ارادة القول أي أمرناهم
 واياكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا الآية وقبل هي جلة مستأنفة خوطب بها هذه الآية واياها كان
 فالترتب على كفرهم ليس مضمون قوله تعالى فان الله الآية بل هو الامر بعله كانه قبل وان تكفروا فاعلموا ان الله
 ما في السموات وما في الأرض من الخلاق فاطبة مقتفون اليه في الوجود وسائر النعم المنقذة عنه لا يستغنون
 عن فضله طرفه عن نفسه أن يطاع ولا يعصى ويتق عاقبه ويرجى ثوابه وقد قرئ ذلك بقوله تعالى (وكان الله غنيا)
 أي عن الخلق وعبادتهم (حيدا) محمودا في ذاته حمدوه أو لم يحمدوه فلا يتضرر بكفرهم ومعاصيهم كالا يتنفع
 بشكرهم وتقواهم وانما وصاهم بالتقوى لرحمته لا لحاجته (ولله ما في السموات وما في الأرض) كلام مبني
 مسوق للحاطين نوطئة لما بعده من الشرطية غير داخل تحت القول المحكي أي له سبحانه ما فيه مامن الخلاق
 خلقا وملكا يصرف فهمهم كيف ما يشاء ايجادا واعداما واهياء وامانة (وكني بالله وكبلا) في تدبير أمور
 الكل وكل الامور فلا بد من أن يترك كل عليه لاعلى أحد سواه (ان يشاء يذهبكم أيها الناس) أي يفسدكم
 ويستأصلكم بالآخرة (وبأن باخرين) أي يوجد دفعة مكانكم قوما آخرين من البشر أو خلقا آخرين مكان
 الانس ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء أي ان يشاء افناءكم وايجاد آخرين يذهبكم الخ يعني أن
 ابقاءكم على ما أنتم عليه من العصيان انما هو لكال غنا عن طاعتكم ولعدم تعلق مشيئته المبنية على الحكم
 البالغة باقتنائكم لا لجهز سببانه تعالى عن ذلك علوا كبيرا (وكان الله على ذلك) أي اقتنائكم بالآخرة وايجاد آخرين
 دفعة مكانكم (قدرا) بليغ القدرة وفيه لاسيما في توسط الخطاب بين الجزاء وماعطف عليه من تشديد التهديد
 ما لا يخفى وقبل هو خطاب ابن عادي رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب أي ان يشاء يمتكم ويأت بأناس
 آخرين يوالونه فعنا هو معنى قوله تعالى وان تقولوا استبدل قومنا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ويروي أنهم المائزات
 ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد أبناء فارس (من كان يريد
 ثواب الدنيا) كالجاهد يريد بجهاده الغنية (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) أي فعنده تعالى ثوابها ان
 أراد له فانه يطلب أخس ما فليطلبها كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة أو يطلب أشرفها
 فان من جاهد لوجه الله تعالى لم نخطفه الغنية وله في الآخرة ما هي في جنبه كلاً شئ أي فعند الله ثواب
 الدارين فبطل على كلام ما يريد كقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه الآية (وكان الله سميعا بصيرا)
 عالما بجميع المجموعات والبصائر فيندرج فيها ما صدر عنهم من الأقوال والأعمال المتلفة بمراد انهم اندراجا
 أوليا (يا أيها الذين آمنوا) كونوا قوامين بالقسط) مبالغين في العدل وإقامة القسط في جميع الأمور مجتهدين في ذلك
 حق الاجتهاد (ثم ادع الله) بالحق فيكون شهادتكم لوجه الله تعالى وهو خير ناس وقيل حال (ولو على)

قوله مقتفون الخ هكذا بالرفع
 في السج ولعل قوله محذوف والاصل
 فهم مقتفون تأمل المصحح

أنفسكم) أي ولو كانت الشهادة على أنفسكم بأن تزوروا عليها على أن الشهادة عبارة عن الاخبار بحق الغير سواء كان ذلك عليه أو على ثالث بأن تكون الشهادة مستتعة لضرر دينكم من جهة المشهود عليه (أو أو الدين والاقربين) أي ولو كانت على والديكم وأقاربكم (إن يكن) أي المشهود عليه (غنيا) يتفق في العادة رضاه ويتفق بخطه (أو فقيرا) يترحم عليه غالبا وقرئ إن يكن غني أو فقير على أن كان ثامنة وجواب الشرط محذوف لدلالة قوله تعالى (فألقه أولى بهم) عليه أي فلا تمنعوا عنها طلب الرضا الغني أو ترجعوا إلى الفقير فإن الله تعالى أولى بجنسي الغني والفقير المدلول عليهما بما ذكره ولو لأن الشهادة عليهم ما مصلحة لهما لما شرعها وقرئ أولى بهم (فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) أي مخافة أن تعدلوا عن الحق فإن اتباع الهوى من مظان الجور الذي حقه أن يخاف ويحذر وقيل كراهة أن تعدلوا بين الناس أو إرادة أن تعدلوا عن الحق (وان تلوا) أي ألسنتكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل بأن تأتوا به بالاعلى وجهها وقرئ وان تلوا من الولاية والتصدي أي وان وليستم إقامة الشهادة (أو تعرضوا) أي عن إقامتها رأسا (فإن الله كان بما تعملون) من لي الالسة والاعراض بالكلية أو من جميع الاعمال التي من جملتها ما ذكر (خييرا) فيجازيكم لا محالة على ذلك فهو على القراءة المشهورة وعيد محض وعلى القراءة الأخيرة متضمن للوعيد (يا أيها الذين آمنوا) خطاب لكافة المسلمين بمعنى قوله تعالى (آمنا بالله ورسوله والكتاب الذي أنزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل) اثبتوا على الايمان بذلك ودموا عليه وازدادوا فيه طمأنينة وبقينا أو آمنوا بما ذكره مفعلا بنا على أن ايمان بعضهم اجبالي والمراد بالكتاب الثاني الجنس المتكتم لجميع الكتب السماوية لقوله تعالى وكتبه وبالايمان به الايمان بأن كل كتاب من تلك الكتب منزل منه تعالى على رسول معين لإرشاد أمته إلى ما شرع لهم من الدين بالأوامر والنواهي لكن لا على أن مدار الايمان بكل واحد من تلك الكتب خصوصية ذلك الكتاب ولا على أن أحكام تلك الكتب وشرايعها باقية بالكلية ولا على أن الباقي منها معتبر بالإضافة إليها بل على أن الايمان بالكل مندرج تحت الايمان بالكتاب المنزل على رسوله وأن أحكام كل منها كانت حقة ثابتة إلى ورود ما نسخها وأن ما لم ينسخ منها إلى الآن من الشرائع والأحكام ثابتة من حيث انها من أحكام هذا الكتاب الجليل المصون عن النسخ والتبديل كما مر في تفسير خاتمة سورة البقرة وقرئ نزل وأنزل على البناء للمفعول وقيل هو خطاب لمؤمني أهل الكتاب لما أن عبد الله بن سلام وابن أخيه سلامة وابن أخيه سلمة وأسيدا أبي كعب وثعلبة بن قيس ويامين بن يامين أنوار رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله اننا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال عليه السلام بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتبه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا فعل فزات فآمنوا كلهم فآمرهم بالايمان بالكتاب المتناول للتوراة مع أنهم مؤمنون به من قبل ليس لكون المراد بالايمان ما يعم إنشاء والثبات عليه ولا لأن متعلق الامر حقيقة هو الايمان بما عداها كانه قيل آمنوا بالكل ولا يخصوه ببعض بل لأن المأمور به انما هو الايمان بها في ضمن الايمان بالقرآن على الوجه الذي أشير اليه آنفا لا ايمانهم السابق ولأن فيه حلالهم على التسوية بينها وبين سائر الكتب في التصديق لاشتراك الكل فيما يوجبوه وهو التزول من عند الله تعالى وقيل خطاب لاهل الكتابين فالمعنى آمنوا بالكل لا ببعض دون بعض وأمر كل طائفة بالايمان بكتابها في ضمن الامر بالايمان بجنس الكتاب لما ذكر وقيل هو للمنافقين فالمعنى آمنوا بقلوبكم لا بألسنتكم فقط (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر) أي بشئ من ذلك (فقد ضل ضلالا بعيدا) عن المقصد بحيث لا يكاد يعود إلى طريقه وزيادة الملائكة واليوم الآخر في جانب الكفر لما أن بالكفر بأحد ههنا لا يصفق الايمان أصلا وجمع الكتب والرسل لما أن الكفر بكتاب أو برسل كفر بالكل وتقديم الرسول فيما سبق لذكر الكتاب بعنوان كونه منزلا عليه وتقديم الملائكة والكتب على الرسل لأنهم وسائط بين الله عز وجل وبين الرسل في انزال الكتب (ان الذين آمنوا) حال قتادة هم اليهود آمنوا بموسى (ثم كفروا) بعبادتهم العجل (ثم آمنوا) عند عوده اليهم (ثم كفروا) بعيسى والانجيل (ثم ازدادوا كفرا) بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم قوم تكفروا عنهم الارتداد أو صرخوا على الكفر وازدادوا غمدا في الغي (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا) لما أنه يستبعد عنهم أن يتوبوا عن الكفر ويشتروا على الايمان فان قلوبهم قد ضربت بالكفر وتمزنت على الرد

وكان الايمان عندهم أهون نبي وأدونه لأنهم لو أخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يقرهم وخبر كان محذوف
 أي مريدا ليغفر لهم وقوله عز وجل (بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما) يدل على أن المراد بالذكور الذين
 آمنوا في الظاهر نفاقا وكفروا في السر مرة بعد أخرى ثم ازدادوا كفرا ونفاقا ووضع بشرهم موضع أنذرهم فكأنهم
 (الذين يتخذون الكافرين أولياء) في محل النصيب أو الرفع على الذم يعني اريد بهم الذين أوهم الذين وقيل
 نصب على أنه صفة للمنافقين وقوله تعالى (من دون المؤمنين) حال من فاعل يتخذون أي يتخذون الكفرة
 أنصارا متجاوزين ولاية المؤمنين وكانوا يوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتيم أمر محمد عليه الصلاة والسلام
 فتولوا اليهود (أي يتبعون عندهم العزة) انكار لرأيهم وابطال له وبيان نية رجاؤهم وقطع لاطماعهم
 الفارغة والجملة معترضة مقررة لما قبلها أي يطلبون بموالاته الكفرة القوة والغلبة قال الواحدى أصل العزة
 الشدة ومنه قيل للأرض الشديدة الصلبة عزاز وقوله تعالى (فإن العزة لله بها) تعليل لما يقصد الاستفهام
 الانكارى من بطلان رأيهم وخيبة رجاؤهم فان انحصار جميع أفراد العزة في جناحه عز وعلا بحيث لا ينالها
 الا أولياءه الذين كتب لهم العزة والغلبة قال تعالى والله العزة ورسوله وللمؤمنين يفضي بطلان التعزز
 بغيره سبحانه وتعالى واستحالة الانتفاع به وقيل هو جواب شرط محذوف كأنه قيل ان يتبعوا عندهم عزة فان
 العزة لله وجميعا حال من المستكن في قوله تعالى لله لا عباد على الابتداء (وقد نزل عليكم) خطاب للمنافقين
 بطريق الالتفات مفيد لتشديد التوبيخ الذي يستدعيه تعدد جناباتهم وقرى مبني للمفعول من التزليل
 والانزال ونزل أيضا مخففا والجملة حال من ضمير يتخذون أيضا مفيدة لكمال قباحة حالهم ونهاية استعصامهم
 عليه سبحانه ببيان أنهم فعلوا ما فعلوا من موالاته الكفرة مع تحقق ما عندهم من ذلك وهو ورود النهي الصريح
 عن مجالستهم المستلزم للنهي عن موالاتهم على أبلغ وجهه وأكد اثر بيان انتقام ما يدعوه اليه بالجملة المعترضة
 كأنه قيل يتخذونهم أولياء والحال أنه تعالى قد نزل عليكم قبل هذا بحكمة (في الكتاب) أي القرآن الكريم
 (أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره) وذلك قوله
 تعالى وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم الآية وهذا يقتضي الانزجار عن مجالستهم في تلك
 الحالة الصحيحة فكيف بموالاتهم والاعتزاز بهم وأن هي الخففة من أن وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف
 والجملة الشرطية خبرها وقوله تعالى يكفر بها ويستهزأ بها من آيات الله وقوله تعالى ويستزأ بها عطف عليه داخل في
 حكم الحالية وإضافة الآيات إلى الاسم الجليل لتشريفها وإبانة خطرها وتمويل أمر الكفر بها أي نزل عليكم
 في الكتاب أنه إذا سمعتم آيات الله مكفورا بها ويستزأ بها وفيه دلالة على أن المنزل على النبي عليه السلام وأن
 شوطب به خاصة منزل على الأمة وأن مدار الاعراض عنهم هو العلم بخوضهم في الآيات ولذلك عبر عن ذلك
 تارة بالروية وأخرى بالسمع وأن المراد بالاعراض اظهار المخافة بالقيام عن مجالستهم لا الاعراض بالقلب
 أو بالوجه فقط والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله تعالى يكفر بها ويستزأ بها (انكم اذن مثلهم) جملة
 مستأنفة سبقت لتعليل النهي غير داخل تحت التزليل واذن ملغاة عن العمل لوقوعها بين المبتدأ والخبر أي
 لا تقعدوا معهم في ذلك الوقت انكم ان فعلتموه كنتم مثلهم في الكفر واستباح العذاب وافراد المثل لانه كما صدر
 أولا لاستغناءه بالاضافة إلى الجمع وقرى شاذ امثالهم يافتح لاضافته الى غير ممكن كما في قوله تعالى مثل ما أنكم
 تنطقون وقيل هو منصوب على الظرفية أي في مثل حالهم وقوله تعالى (ان الله جامع المنافقين والكافرين
 في جهنم جميعا) تعليل لكونهم مثلهم في الكفر ببيان ما يستلزمه من شركتهم لهم في العذاب والمراد بالمنافقين
 اما المخاطبون وقد وضع موضع ضميرهم المظهر تسجيلا بتفاقهم وتعليلًا للعصم بما خذا الاشفاق واما الجنس
 وهم داخلون تحت دخول أولياء وتقديم المنافقين على الكافرين لتشديد الوعيد على المخاطبين ونصب جميعا
 مثل ما قبله (الذين يترصدونكم) تلويح للخطاب وتوجيه له الى المؤمنين بتعديد بعض آخر من جنابات المنافقين
 وقبائحهم وهو اما بدل من الذين يتخذون أو صفة للمنافقين فقط اذ هم المتربصون دون الكافرين أو مرفوع
 أو منصوب على الذم أي يتطرون أمركم وما يحدث لكم من ظفرا واخفاق والفاء في قوله تعالى (فإن كان
 لكم فح من الله) لترتيب مضمونه على ما قبلها فان حكاية تربصهم مستتعبة لحكاية ما يقع بعد ذلك كما أن نفس
 التربص يستدعي شيئا ينتظر المترصد وقوعه (قالوا) أي لكم (ألم نكن معكم) أي مظاهرين لكم فأمرهم والناس

في الغنمة (وان كان للكافرين نصيب) من الحرب فانها بحال (قالوا) أي للكفرة (ألم نستحوذ عليكم)
 أي ألم نقلبكم ونمكن من قتلكم وأسركم فأيقينا عليكم (ونغصمكم من المؤمنين) بأن تبطناهم عنكم وخلفناهم
 ما ضغفت به قلوبهم ومرضوا في قتالكم ووافقنا في مظاهرتهم والالكنتم غيبة للنواب فها هو انصيا لنا بما
 أصبتم وتسمية ظفر المسلمين قضا وما للكافرين نصيبا التعظيم شأن المسلمين وتحسيس خط الكافرين وقرئ
 ونغصمكم باضمار أن (فأله يحكم بينكم يوم القيامة) حكما يليق بشأن كل منكم من الثواب والعقاب وأما في الدنيا
 فقد أجرى على من تقوه بكلمة الاسلام حكمه ولم يضع السيف على من تكلم بها نقاشا (ولن يجعل الله
 للكافرين على المؤمنين سبيلا) حيث ذكر كما قد يجعل ذلك في الدنيا بطريق الايثار والاستدراج أو في الدنيا
 على أن المراد بالسبيل الحجة (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) كلام مبتدأ سبق لبيان طرف آخر
 من قبائح أعمالهم أي يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان واطمان تقضيه والله فاعل بهم ما يفعل الغالب
 في الخداع حيث تركهم في الدنيا معصوى الدماء والاموال وأعد لهم في الآخرة الدرك الاسفل من النار
 وقدر التحقير في صدور سورة البقرة وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيضون بنورهم ثم يطفأ
 نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا نقبس من نوركم (واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى) متثاقلين
 كالمكره على الفعل وقرئ بفتح الكاف وهما جعا كسلان (يراءون الناس) ليحبسوههم مؤمنين والمرآة
 مفاعلة بمعنى التفعيل كنتم وناعم أو للمقابلة فان المرآة يرى غيره عمله وهو يرى استنصانه والجله اما استنصاف
 بمعنى على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فهاذا يريدون بقيامهم اليها كسالى فقيل يراءون الخ أو حال من ضمير
 قاموا (ولا يذكرون الله الا قليلا) عطف على يراءون أي لا يذكرونه سبحانه الا ذكر اقله وهو ذكرهم باللسان
 فانه بالاضافة الى الذكر بالقلب قليل أو الازمانا قليلا أو لا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون الا بما يرى من الناس
 وذلك قابل وقيل لا يذكرونه تعالى في الصلاة الا قليلا عند التكبير والتسليم (مذبذبين بين ذلك) حال من فاعل
 يراءون أو منصوب على الذم وذلك اشارة الى الايمان والكفر المدلول عليهما بجمعونة المقام أي مرتدين بينهما
 متحيرين قدذبهم الشيطان وحقيقة المذبذب ما يذب ويدفع عن كلا الجانبين مرة بعد أخرى وقرئ بكسر اللذان
 أي مذبذبين قلوبهم أو رأيهم أو دينهم أو هو بمعنى متذبذبين كما جاء ملصل بمعنى متصل وفي مصحف ابن مسعود
 رضي الله عنه متذبذبين وقرئ مذبذبين بالدهال غير المجهة وكان المعنى أخذهم تارة في دية أي طريقة وأخرى
 في أخرى (لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء) أي لا منسويين الى المؤمنين ولا منسويين الى الكافرين أو لاصارين الى
 الاولين ولالا الى الآخرين فلهذا نصب على أنه حال من ضمير مذبذبين أو على أنه بدل منه أو بيان وتفسيره (ومن
 يضلل الله) لعدم استعداده للهداية والتوفيق (فلن تجد له سبيلا) موصلا الى الحق والصواب فضلا عن
 أن تهديه اليه والخطاب لكل من يصلح له كأنما كان (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون
 المؤمنين) فهو اعن موالاة الكفرة صريحا وان كان في بيان حال المنافقين من جرة عن ذلك مباغاة في الزجر
 والتحذير (أتريدون أن تجعلوا الله عليكم سطانا مبينا) أي أتريدون بذلك أن تجعلوا الله عليكم حجة بينة على
 أنكم منافقون فان موالاتهم أو وضع أدلة النفاق أو سلطانا يسلط عليكم عقابه وبوجيه الانكار الى الارادة دون
 متعلقها بأن يقال أنجعلون الخ للمباغاة في انكاره وتحويل أمره ببيان أنه مما لا يصدر عن العاقل وادته
 فضلا عن صدور نفسه كما في قوله عز وجل أم تريدون أن تسألوا رسوا لكم (ان المنافقين في الدرك الاسفل من
 النار) وهو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم أخبت الكفرة حيث ضموها الى الكفر الاستمراء
 بالاسلام وأهلها وخداعهم وأما قوله عليه السلام ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم أنه مسلم
 من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا اتفقن خان ونحوه فمن باب التشديد والتهديد والتغليظ مباغاة
 في الزجر وتسمية طبقاتها السبع دركات لكونها متدركة متتابعة بعضها تحت بعض وقرئ بفتح الراء وهو لغة
 كالسطر والسطر ويضده أن جمعه أدراك (ولن تجد لهم نصيرا) يخلصهم منه والخطاب كما سبق (الا الذين
 تابوا) أي عن النفاق وهو استثناء من المنافقين بل من ضميرهم في الخبر (وأصلحوا) ما أفسدوا من أحوالهم
 في حال النفاق (واعتصموا بالله) أي وتقوا به وتمسكوا بدينه (وأخلصوا دينهم) أي جعلوا خالصا
 (لله) لا يبتغون بطاعتهم الاوجهه (فأولئك) اشارة الى الموصول باعتبار انصافه بما في حيز الصلة وما فيه

من معنى البعد للايذان بعد المتزلة وعلو الطبقة (مع المؤمنين) اى المؤمنين المعهودين الذين لم يصدر عنهم
نفاق اصلا منذ آمنوا والافهم ايضا مؤمنون اى معهم فى الدرجات العالية من الجنة وقد بين ذلك بقوله تعالى
(وسوف يؤتى الله المؤمنين اجر عظيم) لا يقادر قدره فيسا همونهم فيه (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم
وامنتم) استئناف مسوق لبيان ان مدار تعذيبهم وجودا وعدما انما هو كفرهم لاشئ آخر فيكون مقورا
لما قبله من انما هم عند قوتهم وما استغفاهم فيه فمفيدة للنفي على ابلغ وجه واكد اى اى شئ يفعل الله سبحانه
بتعذيبكم ايتشنى به من الغيظ اى يدرك به الشار اى يستجلب به نفع ما اى يستدفع به ضررا كما هو شأن الملوك
وهو الغنى المتعالى عن امثال ذلك وانما هو امر بقتضيه كفركم فاذا زال ذلك بالايان والشكر انتفى التعذيب
لا بحالة وتقدم الشكر على الايمان لما أنه طريق موصل اليه فان الناظر يدرك اولا ما عليه من النعم الانفسية
والا فاقية فيشكر شكرهم ما ثم يترقى الى معرفة المنعم فيؤمن به وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه
(وكان الله شاكرا) الشكر من الله سبحانه هو الرضا بالسير من طاعة عباداه واضعاف الثواب بمقابلته
(علما) مبالغاف العلم بجميع المعلومات التى من جلته اشكركم وايمانكم فيستحيل ان لا يوفىكم اجوركم
(لا يحب الله الجهر بالسوء من القول) عدم محبة تعالى لشيء كناية عن محطه والباء متعلقة بالجهر ومن
محذوف وقع حال من السوء اى لا يحب الله تعالى ان يجهر احد بالسوء كائنا من القول (الامن ظلم) اى
الاجهر من ظلم بان يدعو على ظالمه او يظلم منه ويذكره بما فيه من السوء فان ذلك غير محذوف عنده سبحانه
وقيل هو ان يبدأ بالشتم فيرد على الشاتم ولن انصر بعد ظلمه الا به وقيل ضاف رجل قوم فلم يطعموه فاشتكاهم
فدعوت على الشكاية فترأت وقرئ الامن ظلم على البناء للنافع للاستثناء منقطع اى ولكن الظالم يرتكب
ما لا يحبه الله تعالى فيجهر بالسوء (وكان الله سمعا) بجميع السموعات فيندرج فيها كلام المظلوم والظالم
(علما) بجميع المعلومات التى من جلته حال المظلوم والظالم فالجمله تنذيل مقترن لما يفيد الاستثناء
(ان تبدوا خيرا) اى خير كان من الاقوال والافعال (او تخفوه او تعفوا عن سوء) مع ما سوغ لكم من
مواخذة المسي والتنصيص عليه مع اندراجها فى ابداء الخير واخفائه لما أنه الحقيقى بالبيان واعاذ كرايداء
الخير واخفائه بطريق التسبيل كما ينبت عنه قوله عز وجل (فان الله كان عفوا قديرا) فان ارادته فى معرض
جواب الشرط يدل على ان العمد هو العفو مع القدرة اى كان مبالغاف العفو مع كمال قدرته على المواخذة
وقال الحسن يعفو عن الجانبين مع قدرته على الاتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله تعالى وقال الكلبي هو اقدر
على عفو ذنوبكم منكم على عفو ذنوب من ظلمكم وقيل عفو عن عقاقد راعى اىصال الثواب اليه (ان الذين
يكفرون بالله ورسوله) اى يؤذون الله مذهبهم ويقتضيه رأيهم لا أنهم يصرون بذلك كما ينبت عنه قوله تعالى
(ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسوله) اى بان يؤمنوا به تعالى ويكفروا بهم لكن لا بان يصرون حوا بالايان به
تعالى وبالكفر بهم فاطبة بل بطريق الاستزام كما يحكيه قوله تعالى (ويقولون تؤمن ببعض ونكفر ببعض) اى
تؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم كما قالت اليهود تؤمن بعيسى والتوراة وعزير ونكفروا بما وراء ذلك وما ذاك
الا كفر بالله تعالى ورسوله وتفرق بين الله تعالى ورسوله فى الايمان لانه تعالى قد امرهم بالايان بجميع
الانبياء عليهم السلام وما من نبي من الانبياء الا وقد اخبر قومه بحقيقة دين نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وعليهم
اجمعين فن كفر بواحد منهم فقد كفر بالكل وبالله تعالى ايضا من حيث لا يحتسب (ويريدون) بقولهم ذلك
(ان يتخذوا بين ذلك) اى بين الايمان والكفر (سبيلا) يسلكونه مع أنه لا واسطة بينهم ما قطعوا الحق
لا يختلف وما ذابوا الحق الا للضلال (اولئك) الموصوفون بالصفات القبيحة (هم الكافرون) الكاملون
فى الكفر لا عبرة بما يدعونه ويسمونه ايمانا أصلا (حقا) مصدر مؤكدا لمضمون الجملة اى حق ذلك اى
كونهم كاملين فى الكفر حقا وصفة لمصدر الكافرين اى هم الذين كفروا كفرا حقا اى ثابتا يقينا لا ريب
فيه (واعتدنا للكافرين) اى لهم وانما وضع المظهر مكان المضمرد ما لهم وتذكير الوصفهم اى لجميع
الكافرين وهم داخلون فى زمرة من دخلوا اوليا (عذابا مهينا) سيد وقونه عند حلوله (والذين آمنوا
بالله ورسوله) اى على الوجه الذى بين فى تفسير قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا بالله ورسوله الاية (ولم
يفرقوا بين احد منهم) بان يؤمنوا ببعضهم ويكفروا باخرين كما فعله الكفرة ودخول بين على احدى قدم

تحقيقه في سورة البقرة بما لا مزيد عليه (أو أئلك) المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة (سوف يؤتيهم أجورهم) الموعودة لهم وتصديره بسوف أتاكيد الوعد والدلالة على أنه كائن لا محالة وان تراخي وقرئ نؤتيهم بنون العظمة (وكان الله غفورا) لما فرط منهم (رحيما) مبالغا في الرحمة عليهم بتضعيف حسناتهم (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء) نزلت في أحبار اليهود حين قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فأتنا بكتاب من السماء جله كما أتى به موسى عليه الصلاة والسلام وقيل كتابا محتررا بخط سماوي على الألواح كما نزلت التوراة أو كتابا ناعيا منه حين ينزل أو كتابا بالنبأ أعيانا بأنك رسول الله وما كان مقصدهم بهذه العظيمة إلا التحكم والتعنت قال الحسن ولوسألوه لكي يتبينوا الحق لا عطاءهم وفيما آتاهم كفاية (فقد سألو موسى أكبر من ذلك) جواب شرط مقدر أي ان استكبرت ما سألوهم منك فقد سألو موسى شيئا أكبر منه وقيل تعديل للجواب أي فلا تسأل بسؤالهم فقد سألو موسى أكبر منه وهذه المسئلة وان صدرت عن أسلافهم لكنهم لما كانوا مقتدين بهم في كل ما يأتون وما يذرون استندت اليهم والمعنى ان لهم في ذلك عرقا راسخا وان ما اقترحوا عليك ليس أول جهالاتهم (فقالوا أرنانا الله جهرة) أي أرنانا نره جهرة أي عيانا أو بجواهر من معانيه له والفاء تفسيرية (فأخذتهم الصاعقة) أي النار التي جاءت من السماء فأهلكهم وقرئ الصاعقة (بظلمهم) أي بسبب ظلمهم وهو نعتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحالة التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا (ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات) أي المعجزات التي أظهرها لفرعون من العصا والبد البيضاء وخلق البحر وغيرها لا التوراة لانهم لم تنزل عليهم بعد (فعدوا عن ذلك) ولم ينسأصلهم وكانوا أحقأ به قبل هذا استدعا لهم الى التوبة كأنه قيل ان أولئك الذين أجزموا تابوا فعصوا عنهم فتوبوا أنتم أيضا حتى نغفوا عنكم (واتينا موسى سلطانا مبينا) سلطانا ظاهرا عليهم حيث أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم توبة عن معصيتهم (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) أي بسبب ميثاقهم ليعطوه على ما روى أنهم امتنعوا عن قبول شريعة التوراة فرفع الله تعالى عليهم الطور فقبلوها وأيضافوا فلا يتقصوه على ما روى أنهم هموا بقتله فرفع الله تعالى عليهم الجبل فخافوا وأقنعوا عن النقص وهو الانسب بما سيأتي من قوله عز وجل (وأخذنا منهم ميثاقا غلفنا) (وقلنا لهم) على لسان موسى عليه السلام والطور مظل عليهم (ادخلوا الباب) قال قتادة كما أخذت أنه باب من أبواب بيت المقدس وقيل هو ايليا وقيل هو أريحا وقيل هو اسم قرية وقيل باب الثمة التي كانوا يصلون اليها فأنهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام (مجددا) أي متطامنين خاضعين (وقلنا لهم لا تعبدوا) أي لا تظلموا باصطداد الحيثان (في السبت) وقرئ لا تعبدوا ولا تعبدوا بفتح العين وتشديد الدال على أن أصله تعبدوا فادغمت التاء في الدال لتقاربهما في الخرج بعد نقل حركته الى العين (وأخذنا منهم) على الامثال بما كانوا عليه (ميثاقا غلفنا) مؤكدا وهو العهد الذي أخذه الله عليهم في التوراة قيل أنهم أعطوا الميثاق على أنهم ان هموا بالرجوع عن الدين فأن الله تعالى يعذبهم بأي أنواع العذاب أراد (فبما نقضهم ميثاقهم) ما منيذة للتأكد كيد أو نكرة تامة ونقضهم بدل منها والباء متعلقة بفعل محذوف أي فبسبب نقضهم ميثاقهم ذلك فعلنا بهم ما فعلنا من اللعن والمسخ وغيرهما من العقوبات النازلة عليهم أو على أعقابهم روى أنهم اعتدوا في السبت في عهد داود عليه السلام فلعنوا ومسحوا قرده وقيل متعلقة بحز مناعلى أن قوله تعالى فبطلتم بدل من قوله تعالى فيما وما عطف عليه فيكون التحريم معللا بالكل ولا ينبغي أن قولهم انا قلنا المسيح وقولهم على مريم البهتان متأخر عن التحريم ولا مساع لتعلقها بما دل عليه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة قوله تعالى وقولهم المعطوف على الجرور فلا يعمل في جازمه (وكفرهم بآيات الله) أي بالقرآن أو بما في كتابهم (وقلناهم الانبياء بغير حق) كزكر يا ويحيى عليهما السلام (وقولهم قلوبنا غلف) جمع أغلف أي هي معانة بأغشية جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهو تخفيف غلف جمع غلاف أي هي أوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره قاله ابن عباس وعطاء وقال الكلبي يعنون ان قلوبنا بحيث لا يصل اليها حديث الا وعتة ولو كان في حديثك خير لوعته أيضا (بل طبع الله عليها بكفرهم) كلام معترض بين المعطوفين يحيى به عن وجه الاستطراد مسارعة الى رد زعمهم الفساد أي ليس كفرهم وعدم

وصول الحق الى قلوبهم لكونها غلظا بحسب الجيلة بل الامر بالعكس حيث ختم الله عليها بسبب كفرهم
 اولست قلوبهم كما زعموا بل هي مطبوع عليها بسبب كفرهم (فلا يؤمنون الا قليلا) منهم كعبد الله بن سلام
 واضرا به او الايمان قليلا لا يعاينيه (وبكفرهم) أي بعيسى عليه السلام وهو عطف على قولهم واعادة الجمار
 لطول ما بينهما بالاستطراد وقد جوز عطفه على بكفرهم فيكون هو وما عطف عليه من اسباب الطبع وقيل
 هذا المجموع معطوف على مجموع ما قبله وتكرر رد كرا الكفر للايدان بتكرار كفرهم حيث كفر واعصى ثم
 بعيسى ثم محمد عليهم الصلاة والسلام (وقولهم على مريم يمتا نا عظيما) لا يقدر قدره حيث نسبوها
 الى ما هي عنه بألف منزل (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) نظم قولهم هذا في سلك
 سائر جنائياتهم التي نعت عليهم ليس لمجرد كونه كذبا بل لتسفيه لابتهاجهم بقتل النبي عليه السلام
 والاستهزاء به فان وصفهم له عليه السلام بعنوان الرسالة انما هو بطريق التهكم به عليه السلام كما في قوله
 تعالى يا ايها الذي نزل عليه الذكرا الخ ولا ياتيه عن ذكرهم له عليه السلام بالوجه القبيح على ما قيل من أن ذلك
 وضع للذكر الجليل من جهته تعالى مكان ذكرهم السيئ وقيل هو نعت له عليه الصلاة والسلام من جهته تعالى
 مدح له ورفع له عليه السلام واظهار الغاية جراتهم في تصديهم لقتله ونهاية وقاحتهم في افتخارهم بذلك
 (وما قتلوه وما صلبوه) حال أو اعتراض (ولكن شبه لهم) روى أن رهطاً من اليهود سبوه عليه السلام
 وأمه فدعاهم فسخفهم الله تعالى قردة وخنزير فأجعت اليهود على قتله فأخبره الله تعالى بأنه رفعه الى
 السماء فقتل لاصحابه أيكم يرضى بأن يلقي عليه شبه فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا قاتلي
 الله تعالى عليه شبه فقتل وصلب وقيل كان رجل شافق عيسى عليه السلام فلما أرادوا قتله قال انا اذ انكم عليه
 قد دخل بيت عيسى عليه السلام فرفع عيسى عليه السلام وألقى شبهه على المنافق قد دخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون
 أنه عيسى عليه السلام وقيل ان ططيانوس اليهودي دخل بيتا كان هو فيه فلم يجده وألقى الله تعالى عليه شبه
 فلما خرج ظن أنه عيسى عليه السلام فأخذ وقتل وأمشال هذه الخوارق لاستبعاد في عصر النبوة وقيل ان
 اليهود لما هموا بقتله عليه السلام فرفع الله تعالى الى السماء شاف رؤساء اليهود من وقوع الفتنة بين عوامهم
 فأخذوا انسانا وقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس وأظهروا لهم أنه هو المسيح وما كانوا يعرفونه الا بالاسم اعدم
 مخالطة عليه السلام لهم الا قليلا وشبه مسند الى الجمار والجرور كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى
 عليه السلام والمقتول أو في الامر على قول من قال لم يقتل أحد ولكن أرجف بشبهه فشاغ بين الناس أو الى
 ضمير المقتول للدلالة انا قتلنا على أن ثم مقتولا (وان الذين اخذوا فيه) أي في شأن عيسى عليه السلام فانه
 لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حتما وتردد آخرون فقال بعضهم
 ان كان هذا عيسى فأين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه عليه
 السلام ان الله رفعه الى السماء انه رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت (لن يشك منه)
 لن ترد والشك كما يطلق على ما لم يترجح أحد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك أكد
 بقوله تعالى (مالهم به من علم الا اتباع الظن) استثناء منقطع أي لكنهم يتبعون الظن ويجوز أن يفسر الشك
 بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس جزما كان أو غيره فلا استثناء حينئذ متصل (وما قتلوه يقينا)
 أي قتلنا يقينا كما زعموا بقولهم انا قتلنا المسيح وقيل معناه وما علموه يقينا كما في قول من قال

كذلك تخبر عنها العالمات بها * وقد قلت بعلي ذلكم يقينا

من قولهم قتل الشيء علما ونحوه علما اذا بالغ علمك فيه وفيه تهكم بهم لاشعاره بعلمهم في الجسلة وقد نفي
 ذلك عنهم بالكلية (بل رفعه الله اليه) ردوا نكار لقتله واثبات لرفعه (وكان الله عزيزا) لا يغالب فيما
 يريد (حكيم) في جميع أفعاله فيدخل فيه تاديبه لبرائه تعالى في أمر عيسى عليه السلام دخولا أو لا
 (وان من أهل الكتاب) أي من اليهود والنصارى وقوله تعالى (الا ليؤمنن به قبل موته) جملة قسمية
 وقعت صفة لموصوف محذوف اليه يرجع الضمير الثاني والاول لعيسى عليه السلام أي وما من أهل
 الكتاب أحد الا ليؤمنن بعيسى عليه السلام قبل أن ترحق روحه بانه عبد الله ورسوله ولات حين ايمان
 لا انقطاع وقت التكليف وبعضه أنه قرئ ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لما أن أحد في معنى الجمع وعن

ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قسره كذلك فقال له عكرمة فان أناه رجل فضرِب عنهقه قال لا تخرج
نفسه حتى يخرج بها شفتيه قال فان خرم من فوق بيت أو احترق أو اكله سبع قال يتكلم به في الهواء ولا
يخرج روحه حتى يؤمن به وعن ثمر بن حوشب قال لي الحجاج آية ما قرأتها الا تخالج في نفسي شيء منها يعني
هذه الآية وقال اني أوتي بالاسير من اليهود والنصارى فأضرب عنهقه فلا أجمع منه ذلك فقلت ان اليهودي
اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله انك عيسى عليه السلام نبياً فكذبت به
فيقول آمنت أنه عيسى بن مريم وتقول للنصارى انك عيسى عليه السلام نبياً فزعمت أنه الله أو ابن الله فيؤمن أنه
عبد الله ورسوله حيث لا يتنعه ايمانه قال وكان متكافاً مستوي جالساً فظنراني وقال من سمعت هذا قلت حدثني
محمد بن علي ابن الحنفية فأخذ يسكت الارض بقضيه ثم قال لقد أخذتها من عين صافية والاخبار بها لهم هذه
وعيد لهم وتعرض على المسارعة الى الايمان به قبل ان يضطروا اليه مع اتقاء جدواه وقيل كلا الضميرين
لعيسى والمعنى وما من أهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسى عليه السلام احدا الا يؤمن به قبل موته
روى أنه عليه السلام ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون
الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله في زمانه الدجال وتقع الامنة حتى ترتفع الاسود مع الابل والنور
مع البقر والذئب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض أربعين سنة ثم يوفى ويصلي عليه
المسلمون ويدفونوه وقيل الضمير الاول يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم (ويوم
القيامة يكون) أي عيسى عليه السلام (عليهم) على أهل الكتاب (نهيماً) فيشهد على اليهود بالكذب
وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً (فبظلم من الذين هادوا) لعل ذكرهم
بهذا العنوان لا يذنب كمال عظم ظلمهم بذكر وقوعه بعدما هادوا أي تابوا من عبادة العجل مثل تلك
التوبة الهائلة المشروطة بجمع النفوس اثنى عشر في حد ذاته بالنسبة الى النفس أي بسبب ظلم عظيم خارج
عن حدود الاشياء والاشكال صادر عنهم (حرماً عليهم طيبات أحلت لهم) وان قبلهم لا ينسب غيره كما زعموا
فانهم كانوا اكثاراً كبروا معصية من المعاصي التي اقرت فوها يحرم عليهم نوع من الطيبات التي كانت محللة
لهم ولين نقدتهم من أسلافهم عقوبة لهم وكانوا مع ذلك يفترون على الله سبحانه ويقولون لسنا بأول من
حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وارايم ومن بعدهما حتى انتهى الامر اليها فكذبهم الله عز وجل في
مواقع كثيرة وبكتمهم بقوله تعالى كل الطعام كان حلالاً لبني اسرائيل الا ما حرّم اسرائيل على نفسه من قبل أن
تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين أي في ادعائكم أنه تعزيم قديم روى أنه عليه السلام
ما كشفهم اخراج التوراة لم يجسر أحد على اخراجها لما أن كون التحريم بظلمهم كان مسطوراً فيها فبها تروا وانقلبوا
صاغرين (وبصّتهم عن سبيل الله كثيراً) أي ناساً كثيراً وأوصداً كثيراً (وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه) فان
الربا كان محرماً عليهم كاهو محرّم علينا وفيه دليل على أن النبي يدل على حرمة المنه عنه (وأكلهم أموال
الناس بالباطل) بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة (وأعدوا للكافرن منهم) أي للمصريين على الكفر
لأن تاب وآمن من بينهم (عذاباً أليماً) سيدوقونه في الآخرة كما ذاقوا في الدنيا عقوبة التحريم (لكن
الراضون في العلم منهم) استدرأ الذين قولة تعالى وأعتدنا للخالصين لكون بعضهم على خلاف حالهم
عاجلاً وأجلاً أي لكن الثابتون في العلم منهم المتقنون المستبصرون فيه غير التابعين للظن كأولئك الجهلة
والمراد بهم عبد الله بن سلام وأصحابه (والمؤمنون) أي منهم وصفوا بالايمان بعدما وصفوا بما يوجب من
الرسوخ في العلم بطريق العطف المنبئ عن المغايرة بين المعطوفين تنزيلاً لاختلاف العنواين منزلة الاختلاف
الذاتي وقوله تعالى (يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) حال من المؤمنون مبينة لكيفية ايمانهم
وقيل اعتراضهم وكذا ما قبله وقوله عز وجل (والمقيمين الصلوة) قيل نصب باضمار فعل تقديره وأعني المقيمين
الصلاة على أن الجملة معترضة بين المبتدأ والخبر وقيل هو عطف على ما أنزل اليك على أن المراد بهم الانبياء
عليهم السلام أي يؤمنون بالكتب والانبياء أو الملائكة قال مكي أي ويؤمنون بالملائكة الذين صفتهم
اقامة الصلوة لقوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقيل عطف على الكاف في اليك أي يؤمنون
بما أنزل اليك والى المقيمين الصلوة وهم الانبياء وقيل على الضمير الجاروف في منهم أي لكن الراضون في العلم منهم

ومن المقيمين الصلاة وقرئ بالرفع على أنه معطوف على المؤمنون بناء على ما مر من تنزيل التفسير العنواني منزلة
التفسير الذاتي وكذا الحال فيما سأتى من المعطوفين فان قوله تعالى (والمؤمنون الزكوة) عطف على
المؤمنون مع اتحاد الكل ذاتا وكذا الكلام في قوله تعالى (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) فان المراد بالكل
مؤمنواهل الكتاب قد وصفوا أولا بكونهم راسخين في علم الكتاب ايذانا بأن ذلك موجب للايمان حتما
وأن من عداهم انما بقوا مصرين على الكفر لعدم رسوخهم فيه ثم بكونهم مؤمنين بجميع الكتب المنزلة على
الانبياء ثم بكونهم عاملين بما فيها من الشرائع والاحكام واكتفى من بينها بذكر إقامة الصلاة وآداء الزكاة
المستتبعين لاسائر العبادات البدنية والمالية ثم بكونهم مؤمنين بالمبدأ والمعاد تحقيقا لحيازتهم الايمان
بقدره واحاطتهم به من طرفيه وتعرضا بأن من عداهم من أهل الكتاب ليسوا بمؤمنين بواحد منهما حقيقة
فانهم يقولونهم عزير ابن الله مشركون بالله سبحانه وبقولهم ان تمسنا النار الا أياما معدودة كافرون باليوم
الآخر وقوله تعالى (أولئك) اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما عتد من الصفات الجميلة وما فيه من معنى البعد
للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى (سنؤتيهم أجرا عظيما) خبره والجملة
خبر للمبتدأ الذي هو الراسخون وما عطف عليه والسين لتأكيد الوعد وتذكيرا لاجر التوفيق وهذا أنسب
بتجاوب طرفي الاستدلال حيث أوعد الاولون بالعذاب الاليم ووعد الآخرين بالاجر العظيم كأنه قيل اتر قوله
تعالى وأعدنا لكافرين منهم عذابا أليما لكن المؤمنون منهم سنؤتيهم أجرا عظيما وأما ما جئ به الخمسة
من جعل قوله تعالى يؤمنون بما أنزل اليك الخ خبرا للمبتدأ في كمال السداد خلا أنه غير متعرض لتقابل الطرفين
وقرئ سميؤتيهم بالياء مراعاة لظاهر قوله تعالى والمؤمنون بالله (انا وأوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين
من بعده) جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله عليه الصلاة والسلام أن ينزل عليهم كتابا من السماء
واحتجاج عليهم بأنه ليس بدعا من الرسل وانما شأنه في حقيقة الارسال وأصل الوحي كشأن سائر مشاهير
الانبياء الذين لا ريب لاحد في نبوتهم والكاف في محل النصيب على أنه نعت لمصدر محذوف أي ايعياء مثل
ايحيا شأنا الى نوح أو على أنه حال من ذلك المصدر المتقدم عزا كما هو رأي سيدي به أي أوحينا الايعياء حال
كونه مشبها بایحيا شأنا الخ ومن بعده متعاقبا وأوحينا وانما يدعى بذلك لأنه أبو البشر وأول نبي شرع الله
تعالى على لسانه الشرائع والاحكام وأول نبي عذبت أمته (ذهب دعوته وقد أهلك الله بدعائه أهل الارض
(وأوحينا الى ابراهيم) عطف على أوحينا الى نوح داخل معه في حكم التشبيه أي وكما أوحينا الى ابراهيم
(واسمعيل وإسحق ويعقوب والاسباط) وهم أولاد يعقوب عليهم السلام (وعيسى وأيوب ويونس
وهرون وسليمان) خصوصا بالذكور مع ظهور انتظامهم في سلك النبيين تشريفا لهم واطهارا لفضلهم كما في قوله
تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وتصريفنا بين يديهم اليهم اليهود من الانبياء وتكرير
الفعل لزيد تقرير الايعياء والتبني على أنهم طائفة خاصة مستقلة بنوع مخصوص من الوحي (وأوتينا
داود ذبور) قال القرطبي كان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الاحكام وانما هي حكم ومواعظ
وتحسين وتوبيخ وبناء على الله تعالى وقرئ بضم الزا وهو جمع زبرية من ذبور والجملة عطف على
أوحينا داخل في حكمه لان آيات الزبور من باب الايعياء أي وكما أوتينا داود ذبورا وياشاره على وأوحينا الى
داود لتحقيق الامثلة في أمر خاص هو آيات الكتاب بعد تحقيقها في مطلق الايعياء ثم اشر الى تحقيقها في أمر
لازم لها زبور ما كليا وهو الارسال فان قوله تعالى (ورسلنا) نصب بمنزلة عليه أوحينا معطوف عليه
داخل معه في حكم التشبيه كما قبله أي وكما أرسلنا رسلا لاجبا يفسره قوله تعالى (قد قصصناهم عليك) أي
وقصصنا رسلا كما قالوا وفرعوا عليه أن قوله تعالى قد قصصناهم على الوجه الاول منصوب على أنه صفة لرسلا
وعلى الوجه الثاني لا محل له من الاعراب فانه مما لا سبيل اليه كما استغف عليه وقرئ برفع رسل وقوله تعالى
(من قبل) متعلق بقصصنا أي قصصنا من قبل هذه السورة أو اليوم (ورسلنا) نصب بمنزلة عليه أوحينا معطوف على
رسلا منصوب بنصبه وقيل كلاهما منصوب بترفع الخافض والتقدير كما أوحينا الى نوح والى رسل الخ والحق
أن يكون اتصافهما بأرسلنا فان فيه تحقيقا للمماثلة بين شأنه عليه الصلاة والسلام وبين شؤون من يعترفون
بنبوته من الانبياء عليهم السلام في مطلق الايعياء ثم في آيات الكتاب ثم في الارسال فان قوله تعالى انا

أوحينا اليك منتظماً لعني آتينالك وأرسلناك حقماً كما قيل أنا أوحينا اليك ايضاً مثل ما أوحينا الى نوح ومثل ما أوحينا الى ابراهيم ومن بعده وآتينالك الفرقان ايضاً مثل ما آتيناد اودزبوراً وأرسلناك ارسالاً مثل ما أرسلنا رسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً آخرين لم نقصهم عليك من غير تفاوت بينك وبينهم في حقيقة الايحاء وأصل الارسال في الكفرة يسألونك شياً لم يعطه أحد من هؤلاء الرسل عليهم السلام ومن ههنا انفتح أن رسلاً لا يمكن نصبه بقصد صانع فان نصبه يجب أن يكون معطوفاً على أوحينا داخله في حكم التشبيه الذي عليه يدور ذلك الاحتجاج على الكفرة ولا ريب في أن قصصنا لا تعلق له بشي من الايحاء والايحاء حتى يمكن اعتباره في ضمن قوله تعالى أنا أوحينا اليك ثم يعتبر بينه وبين المذكور مماثلة معجزة للتشبيه على أن تقديره في رسلا الاول يقتضي تقدير فضيه في الثاني وذلك أشد استحالة وأظهر بطلاناً (وكلم الله موسى) برفع الجلالة ونصب موسى وقرئ على القلب وقوله تعالى (تسليماً) مصدر مؤكدر ارفع لاحتمال الجواز قال القراء العرب تسمى ما وصل الى الانسان كلاماً بأي طريق وصل ما لم يؤكده بالمصدر فاذا كذبه لم يكن الاحتجاج على الكلام والجلة اتمام عطوفة على قوله تعالى أنا أوحينا اليك عطف القصة على القصة لا على آيتنا وما عطف عليه واما حال بتقدير قد كما ينبغي عنه تغيير الاسلوب بالاتفات والمعنى ان التسليم بغير واسطة منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم فلم يكن ذلك قادحاً في نبوة سائر الانبياء عليهم السلام فكيف يتوهم كون نزول التوراة عليه عليه السلام جلة قادحاً في صحة نبوة من أنزل عليه الكتاب مفصلاً مع ظهور أن نزولها كذلك لحكم مقتضية لذلك من جملتها أن بني اسرائيل كانوا في العناد وشدة الشككة بحيث لو لم يكن نزولها كذلك لما آمنوا بها ومع ذلك ما آمنوا بها الا بعد الالتيا واللقى وقد فضل الله تعالى نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم بأن أعطاه مثل ما أعطى كل واحد منهم صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً (رسلاً مبشرين ومنذرين) نصب على المدح وايضاً وأرسلنا أو على الحال بأن يكون رسلاً وطناً لما بعده أو على البدلية من رسلا الاول أي مبشرين لاهل الطاعة بالجنة ومنذرين للعصاة بالنار (لئلا يكون للناس على الله حجة) أي معذرة يعتذرون بها فالتين لولا أرسلت النار سولا فيبين لنا شر أفعلك ويعلمنا ما لم نكن نعلم من أحكامك لقصور القوة البشرية عن ادراك جزئيات المصالح وعجز أكثر الناس عن ادراك كلياتها كما في قوله عز وجل ولولا أن هداناكم لبعذاب من قبله لفلأولوا ربنا لولا أرسلت النار سولا ففتبع آياتك الآية وانما سميت حجة مع استحالة أن يكون لاحد عليه سبحانه حجة في فعل من أفعاله بل له أن يفعل ما يشاء كما يشاء للتشبيه على أن المعذرة في القبول عنده تعالى بمقتضى كرمه ورحمته لعباده بمنزلة الحجة القاطعة التي لا مرد لها ولذلك قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسلاً قال النبي صلى الله عليه وسلم ما أحد أعز من الله تعالى ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وما أحد أحب إليه المدح من الله تعالى ولذلك مدح نفسه وما أحد أحب إليه العذر من الله تعالى ولذلك أرسل الرسل وأنزل الكتب فاللام متعلقة بأرسلنا وقيل بقوله تعالى مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان للناس خبرها وعلى الله متعلق بمحذوف وقع حالاً من حجة أي كائنة على الله أو هو الخبر وللناس حال على الوجه المذكور ويجوز أن يتعلق كل منهما بما يتعلق به الآخر الذي هو الخبر ولا يجوز التعلق بحجة لأن معمول المصدر لا يتقدم عليه وقوله تعالى (بعد الرسل) أي بعد ارسالهم وتبليغ الشرائع الى الامم على ألسنتهم متعلق بحجة أو بمحذوف وقع حصة لها لان الظروف يوصف بها الاحداث كما يخبر بها عنها نحو القتال يوم الجمعة (وكان الله عزيزاً) لا يغالب في أمر من أموره ومن قضيته الامتناع عن الاجابة الى مسئلة المتعنتين (حكماً) في جميع أفعاله التي من جملتها ارسال الرسل وانزال الكتب فان تعدد الرسل والكتب واختلافها في كيفية النزول وتغايرها في بعض الشرائع والاحكام انما هو لتفاوت طبقات الامم في الاحوال التي عليها يدور ذلك التكليف فكأنه سبحانه وتعالى يراهم على أنحاء شتى وأطوار متباينة حسبما تقتضيه الحكمة التكوينية كذلك تعبدتهم بما يليق بشارتهم وتقتضيه أحوالهم المتخلفة واستعداداتهم المتغايرة من الشرائع والاحكام حسبما تقتضيه الحكمة التشريعية وراعى في ارسال الرسل وانزال الكتب وغير ذلك من الامور المتعلقة بعماشهم ومعادهم ما فيه مصلحتهم فسوال تنزيل الكتاب بجملة اقتراح فاسد اذ حينئذ تتعاقم التكاليف فيثقل على المكلف قبولها والخروج عن عهدها واما تنزيل المنصم الواقع حسب الامور الداعية اليه فهو أيسر قبولاً وأسهل امتثالاً (لكن الله

يشهد) بخضف النون ورفع الجلالة وقرئ بتشديد النون ونصب الجلالة وهو استدراك عما يفهم مما قبله
 كأنهم لما اعتنوا عليه بما سبق من السؤال واحتج عليهم بقوله تعالى أنا أوحينا اليك كما أوحينا الخ قبل انهم
 لا يشهدون بذلك لكن الله يشهد (بما أنزل اليك) على البناء للفاعل وقرئ على البناء للمفعول والبناء صلة
 للشهادة أي يشهد بحقيقة ما أنزل اليك من القرآن المجزأ الناطق بنبوتك وقيل لما نزل قوله تعالى أنا أوحينا اليك
 قالوا ما شهدك بهذا فنزل لكن الله يشهد (أنزله بعله) أي ملتبساً بعله الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو
 تأييده على غط بدبع يحجز عنه كل يبلغ أو يعلم بحال من أنزله عليه واستعداد له لا قياس الانوار القدسية أو
 بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم فالجواز والمجرور على الأولين حال من الفاعل وعلى الثالث
 من المفعول والجمله في موقع التفسير لما قبلها وقرئ نزل وقوله تعالى (والملائكة يشهدون) أي بذلك
 مبتدأ وخبر والجمله عطف على ما قبلها وقيل حال من مفعول أنزله أي أنزله والملائكة يشهدون بصدقه
 وحقيقته (وكفى بالله شهيدا) على صحة نبوتك حيث نصب انهما معجزات باهرة وحججا ظاهرة مغنية عن
 الاستشهاد بغيرها (ان الذين كفروا) أي بما أنزل الله تعالى وشهده أو بكل ما يجب الايمان به وهو داخل
 فيه دخولا أو تلبسا والمراد بهم اليهود حيث كفروا به (وصدوا عن سبيل الله) وهو دين الاسلام من أراد سلوكه
 بقولهم ما نعرف صفة محمد في كتابنا وقرئ صدوا مبني للمفعول (قد ضلوا) بما فعلوا من الكفر والصد عن
 طريق الحق (ضلالا بعيدا) لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولأن المضل يكون أعمق في الضلال وأبعد
 من الاقلاع عنه (ان الذين كفروا) أي بما ذكر آنفا (وظلموا) أي محمدا صلى الله عليه وسلم بانكار نبوته
 وكتمان نعوته الجليله ووضع غيرها مكانها أو الناس بصدقه عما فيه ملاحهم في المعاش والمعاد (لم يكن الله
 ليغفرهم) لاستحالة تعاقب المغفرة بالكافرين (ولا يهديهم طريق جهنم) لعدم استعدادهم للهداية الى
 الحق والاعمال الصالحة التي هي طريق الجنة والمراد بالهداية المفهومة من الاستثناء بطريق الاشارة خلقه
 تعالى لأعمالهم السيئة المؤدية بهم الى جهنم عند صرف قدرتهم واختيارهم الى اكتسابها أو سوقهم اليها
 يوم القيامة بواسطة الملائكة والطريق على عمومته والاستثناء متصل وقيل خاص بطريق الحق والاستثناء
 منقطع (خالدين فيها) حال مقدرة من الضمير المنصوب والعامل فيها ما دل عليه الاستثناء دلالة والجملة
 كأنه قبل يدخلهم جهنم خالدين فيها الخ وقوله تعالى (أبدا) نصب على الظرفية رافع لاحتمال حمل الخلود على
 المكث الطويل (وكان ذلك) أي جعلهم خالدين في جهنم (على الله يسيرا) لاستحالة أن يتعذر عليه
 شيء من مراداته تعالى (يا أيها الناس) بعد ما حكى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعطل اليهود بالباطيل
 واقتراحهم الباطل تغشاوره عليهم ذلك بتحقيق نبوته عليه الصلاة والسلام وتقرير رسالته ببيان أن شأنه عليه
 الصلاة والسلام في أمر الوحي والارسل كشؤون من يعترفون بنبوته من مشاهير الانبياء عليهم السلام وأكد
 ذلك بشهادته سبحانه وشهادة الملائكة أمر المكافون كافة على طريق تلوين الخطاب بالايمان بذلك أمر
 مشفق عابا لوجوب الاجابة والوعيد على الرد تنبيه على أن الحجة قد لزمت ولم يبق بعد ذلك لاحد عذر في عدم
 القبول وقوله عز وجل (قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم) تكرر للشهادة وتقرير حقيقة المشهود به وتحميد
 لما يعقبه من الامر بالايمان وايراده عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة اتاكيد وجوب طاعته والمراد
 بالحق هو القرآن الكريم والباء متعلقة بجاء كم فهي للتعدي أو محذوف وقع حالا من الرسول أي ملتبساً بالحق
 ومن أيضا متعلقة اما بالفعل واما محذوف هو حال من الحق أي جاءكم به من عنده تعالى أو جاءكم بالحق كأنتم من
 عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين للايذان بأن ذلك تريتهم وتبلغهم الى
 كمالهم اللائق بهم ترغيبا لهم في الامتثال بما بعده من الامر والفاء في قوله عز وجل (فآمنوا) للدلالة على
 ايجاب ما قبلها لما بعده أي فآمنوا به وبما جاءكم به من الحق وقوله تعالى (خير لكم) منصوب على أنه
 مفعول لفعل واجب الاضمار كما هو رأي الخليل وسيبويه أي اقصدوا أو اتوا أمر اخبركم بما أنتم فيه
 من الكفر أو على أنه نعت لمصدر محذوف كما هو رأي الفراء أي آمنوا ايمانا خيرا لكم أو على أنه خبر كان
 المحضرة الواقعة جوابا للامر لاجراء للشرط الصناعي وهو رأي الكسائي وأبي عبيدة أي يكن الايمان خيرا
 لكم (وان تكفروا) أي ان نصروا واتسموا على الكفر به (فان الله ما في السموات والارض) من

الموجودات سواء كانت داخله في حقيقةهما وبذلك يعلم حال أنفسهما على أبلغ وجه وآكد كده أو خارجه
 عنهما مستقرة فيهما من العقلاء وغيرهم فيدخل في جلته المخاطبون دخولاً أو ليس أي كلماله عز وجل
 خلقا وملكاً وتصراً فالأخروج من ملكوته وقهره شيء منها فمن هذا شأنه فهو قادر على تعذيبكم بكفركم لا محالة
 أو من كان كذلك فهو غنى عنكم وعن غيركم لا يتضرر بكفركم ولا ينتفع بإيمانكم وقيل من كان كذلك فله عبيد
 يعبدونه وينقادون لأمره (وكان الله عليماً) مبالغاً في العلم فهو عالم بأحوال الكل فيدخل في ذلك علمه
 تعالى بكفرهم ودخولاً أو ليساً (حكيماً) مراعياً للحكمة في جميع أفعاله التي من جلته تعذيبه تعالى إياهم
 بكفرهم (يا أهل الكتاب) تجريد الخطاب وتخصيص له بالنصارى زجر إياهم عما هم عليه من الكفر
 والضلال (لا تغفلوا في دينكم) بالافراط في رفع شأن عيسى عليه السلام وادعاء ألوهيته وأما غلو اليهود في
 حط رتبته عليه السلام ورميهم له بأنه ولد لغير رشدة فحق عليهم ذلك فيما سبق (ولا تقولوا على الله الا الحق)
 أي لا تصفوه بما يستحيل اتصافه به من الحلول والاتحاد واتخاذ الصاحبة والولد بل زهوه عن جميع ذلك
 (انما المسيح) قدم تفسيره في سورة آل عمران وقرئ بكسر الميم وتشديد السين كالسكت على صيغة المبالغة
 وهو مبتدأ وقوله تعالى (عيسى) بدل منه أو عطف بيان له وقوله تعالى (ابن مريم) صفة له مفيدة لبيان
 ما وصفوه عليه السلام به من نبوته فله تعالى وقوله تعالى (رسول الله) خبر للمبتدأ والجملة مستأنفة
 مسوقة لتعديل النبي عن القول الباطل المستلزم للامر بضده أعني الحق أي انه مقصور على رتبة الرسالة
 لا يتخطاها (وكلته) عطف على رسول الله أي مكنون بكلمته وأمره الذي هو كن من غير واسطة أب ولا نطفة
 (ألقاها إلى مريم) أي أوصلها إليها وحصلها فيها بنفخ جبريل عليه السلام وقيل ألقاها إليها وأخبرها بها
 بطريق البشارة وذلك قوله تعالى إن الله يبشرك بكلمة منه اسمع المسيح عيسى ابن مريم وقيل الجملة حال
 من ضميره عليه السلام المستكن فيمادل عليه وكلته من معنى المشتق الذي هو العامل فيها وقدم مقدرة معها
 (وروح منه) قيل هو الذي نفخ جبريل عليه السلام في درع مريم فحمت بإذن الله تعالى سمي النفخ روحاً لانه
 وخرج فتخرج من الروح ومن لا يتدأ الفأية مجازاً لا تبعيضية كما زعمت النصارى يتحكى أن طيبياً حاذقاً نصرانياً
 للرشييد ناظر على بن حسين الواقدي المروزي ذات يوم فقال له إن في كتابكم ما يدل على أن عيسى عليه
 السلام جزء منه تعالى وتلاه هذه الآية فقراً الواقدي وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه فقال
 اذن يلزم أن يكون جميع ذلك الاشياء جزءاً منه تعالى علواً كبيراً فانقطع النصراني فأسلم وفرح الرشييد فرحاً
 شديداً ووصل الواقدي بصلته فآخرة وهي متعلقة بمعدوف وقع صفة لروح أي كائنه من جهته تعالى جعلت
 منه تعالى وإن كانت بنفخ جبريل عليه السلام ليكون النفخ بأمره سبحانه وقيل سمي روحاً لحياته الاموات
 وقيل لحياته القلوب كما سمي به القرآن لذلك في قوله تعالى وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا وقيل أريد
 بالروح الوحي الذي أوحى إلى مريم بالبشارة وقيل جرت العادة بأنهم إذا أرادوا وصف شيء بغاية الطهارة
 والنظافة قالوا انه روح فلما كان عيسى عليه السلام متكوناً من النفخ لا من النطفة وصف بالروح وتقديم كونه
 عليه السلام رسول الله في الذكر مع تأخره عن كونه كلمته تعالى وروحاً منه في الوجود لتعقيب الحق من أقول
 الامر بما هو نص فيه غير محتمل للتأويل وتعيين ما آل ما يحتمله وسد باب التأويل الزائغ (فأمنوا بالله) وخصوه
 بالالوهية (ورسله) أجمعين وصفوهم بالرسالة ولا تخرجوا بعضهم عن سلكهم بوصفه بالالوهية (ولا تقولوا
 ثلاثة) أي الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم كما ينسب عنه قوله تعالى أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين
 من دون الله أو الله ثلاثة ان صح أنهم يقولون الله جوهر واحد ثلاثة أقانيم أقنوم الاب وأقنوم الابن
 وأقنوم روح القدس وأنهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود والثاني العلم والثالث الحياة (أنهوا) أي
 عن التثليث (خيرالكم) قدم وجوه انتصاه (انما الله واحد) أي بالذات مستزعة عن التعدد بوجه
 من الوجوه فآله مبتدأ وأوله خبره وواحد نصت أي منفرد في الوهية (سبحانه أن يكون له ولد) أي أسبحه
 تسبيحاً من أن يكون له ولد أو سجدوا تسبيحاً من ذلك فانه انما يصور فين يماثله شيء ويطلق اليه فناء والله
 سبحانه منزّه عن أمثاله وقرئ ان يكون أي سبحانه ما يكون له ولد وقوله تعالى (له ما في السموات وما في

(الاولى) بجهة مستأنفة مسوقة لتعطيل التنزيه وتقريره أى له ما فيه ما من الموجودات خلقا وملكا وتضرعا
لايجزج عن ملكوته شئ من الاشياء التى من جملها عيسى عليه السلام فكيف يتوهم كونه ولده تعالى
(وصكنى بأفقه وكيدلا) البديكل كل المطلق أمورهم وهو غنى عن العالمين فأنى تصور فى حقهم اتخاذ
الولد الذى هو شأن الهزة المتأجرين فى تدبير أمورهم الى من يختلفهم ويتوهم مقامهم (لن يستنكف المسيح)
استنكاف مقتررا مسبقا من التنزيه والاستنكاف الانفة والترفع من تكلف الدع اذ انعمته عن وجهك
بالاصح أى لن يأنف ولن يترفع (أن يكون عبد الله) أى عن أن يكون عبد الله تعالى مستقرا على
عبادته وطاعته حسما هو وظيفة العبودية كيف وان ذلك أقسى مراتب الشرف والاقتصار على ذكر عدم
استنكافه عليه السلام عنه مع أن شأنه عليه السلام المباحاة كأيدي عليه أحواله ويفصح عنه أقواله
أولا يرى أن أول مقالة قالها للناس قوله انى عبد الله آتاني الكتاب وجعلنى نبيا لوقوعه فى موقع الجواب
عما قاله الكفرة روى أن وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم نعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم
قالوا عيسى قال وأى شئ أقول قالوا نقول انه عبد الله قال انه ليس بعار أن يكون عبد الله قالوا بلى فتركت
وهو السر فى جعل المستنكف عنه كونه عليه السلام عبد الله تعالى دون أن يقال عن عبادة الله ونحو ذلك
مع افادة فائدة جليلة هى كمال نزاهته عليه السلام عن الاستنكاف بالكلية فان كونه عبد الله تعالى حالة مستمرة
ستتبعه لدوام العبادات قطعاً فعدم الاستنكاف عنه مستلزم لعدم الاستنكاف عن عبادته تعالى كما أشير
اليه بخلاف عبادته تعالى فانها حالة متجددة غير مستلزمة للدوام يتكفى فى انصاف موصوفها بما تحققتها
مرة فعدم الاستنكاف عنها لا يستلزم عدم الاستنكاف عن دوامها (ولا الملائكة المقربون) عطف على
المسيح أى ولا يستنكف الملائكة المقربون أن يكونوا عبيدا لله تعالى وقيل ان أريد بالملائكة كل واحد منهم
لم يمتنع الى التقدير واحتج بالآية من زعم فضل الملائكة على الانبياء عليهم السلام وقال مساقه لرد النصارى
فى رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضى أن يكون المعطوف أعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون
عدم استنكافهم مستلزما لعدم استنكافه عليه السلام وأجيب بأن مناط كفر النصارى ورفعه لهم عليه السلام
عن رتبة العبودية لما كان اختصاصه عليه السلام وامتيازهم عن سائر أفراد البشر بالولادة من غير أب وبالعلم
بالمغيبات وبالرفع الى السماء عطف على عدم استنكافه عن عبوديته تعالى عدم استنكاف من هو أعلى
درجة منه فملاذ كرفان الملائكة مخلوقون من غير أب ولا أم وعالمون بما لا يعلم البشر من المغيبات ومقارنهم
السموات العلوا ولا تراعى لاحد فى علو درجاتهم من هذه الحيزية وانما النزاع فى علوهم من حيث كثرة الثواب
على الطاعات وبأن الآية ليست للرد على النصارى فقط بل على عبدة الملائكة أيضا فلا اتجاها لما قالوا احذثذ
وان سلم اختصاصها بالرد على النصارى فلعله أريد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير والتفصيل لا باعتبار التكبير
والتفضيل كما فى قولك أصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا امرؤ من ولئن سلم ارادة التفضيل فغاية الامر الدلالة
على أفضلية المقربين منهم وهم الكرويون الذين حول العرش أو من هو أعلى منهم رتبة من الملائكة عليهم
السلام على المسيح من الانبياء عليهم السلام وليس يلزم من ذلك فضل أحد الجنتين على الآخر مطلقا وهل
التشاجر الا فيه (ومن يستنكف عن عبادته) أى عن طاعته فيشمل جميع الكفرة لعدم طاعتهم له تعالى وانما
يجعل المستنكف عنه ههنا عبادته تعالى لا ما سبق لتعليق الوعيد بوصف ظاهر النبوت للكفرة فان عدم
طاعتهم له تعالى مما لا سبيل لهم الى انكار انصافهم به ان قيل لم عبر عن عدم طاعتهم له تعالى بالاستنكاف عنها
مع أن ذلك منهم كان بطريق انكار كون الامر من جهته تعالى لا بطريق الاستنكاف قلنا لانهم كانوا
يستنكفون عن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل هو الاستنكاف عن طاعة الله تعالى اذ لا أمر له
عليه الصلاة والسلام سوى أمره تعالى من بطع الرسول فقد أطاع الله (وبستكبر) الاستكبار الانفة
عما لا ينبغي أن يؤنف عنه وأصله طلب التكبر لنفسه بغير استحقاق له لا بمعنى طلب تحصيله مع اعتقاد عدم
حصوله فيه بل بمعنى اعتد نفسه كبيرا واعتقاده كذلك وانما عبر عنه بما يدل على الطلب لا لئلا يأن ما له
محض الطلب بدون حصول المطالب وقد عبر عن مثل ذلك بنفس الطلب فى قوله تعالى يصعدون عن سيد الله
ويغفونهم اهوجا فانهم ما كانوا يطلبون ثبوت العوج ليدل الله مع اعتقادهم لاستقامتها بل كانوا يريدون

ويعتقدونها معوجة ويحكمون بذلك ولكن عبر عن ذلك بالطلب لما ذكر من الاشعار بأن ليس هنالك شيء سوى
الطلب والاستكبار دون الاستكفاف المنهي عن توهم لحوق العار والتقصير من المستكف عنه (فبيحشرهم
اليه جميعا) أي المستكفين ومقابلهم المدلول عليهم يذكر عدم استكفاف المسيح والملائكة عليهم السلام
وقد ترك ذكر أحد الفريقين في الفصل تعويلا على انشاء التفصيل عنه وثقة بظهور اقتضاء حشر أحدهما
لحشر الآخر ضرورة عموم الحشر للتلاقي كافة كما ترك ذكر أحد الفريقين في التفصيل عند قوله تعالى فأما الذين
آمنوا بالله الآية مع عموم الخطاب لهما اعتمادا على ظهور اقتضاء إثابة أحدهما لعقاب الآخر ضرورة شمول
الجزاء لكل - وقيل الضمير للمستكفين وهما مقدور معطوف عليه والتقدير فيحشرهم وغيرهم وقيل المعنى
فيحشرهم اليه يوم يحشر العباد لمجازاتهم وفيه أن الانسب بالتفصيل الاتي اعتبار حشر الكل في الاجال
على نهج واحد وقرئ فيحشرهم بكسر الشين وهو لغة وقرئ فيحشرهم بضم السين العظيمة بطريق الالتفات
(فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بيان لحال الفريق المطوي ذكره في الاجال قد تم على بيان حال ما يقابله
إثابة لفضله ومسارة الى بيان كون حشره أيضا معتبرا في الاجال وإيراده بعنوان الايمان والعمل الصالح
لا بوصف عدم الاستكفاف المناسب لما قبله وما بعده للتنبية على أنه المستتبع لما يعقبه من الثمرات (فيؤفهمهم
أجورهم) من غير أن ينقص منها شيئا أصلا (ويزيدهم من فضله) تضعيفها أضعافا مضاعفة وبإعطاء
مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (وأما الذين استكفوا) أي عن عبادته عز وجل
(واستكبروا فيعذبهم) بسبب استكفافهم واستكبارهم (عذابا أليما) لا يحيط به الوصف (ولا يجحدون لهم
من دون الله وليا) إلى أمورهم ويدبر مصالحهم (ولأنصرا) ينصرهم من بأسه تعالى وينجيهم من عذابه
(يا أيها الناس) تلويح للخطاب وتوجيهه إلى كافة المكلفين اثر بيان بطلان ما عليه الكفرة من فتون
الكفر والضلال والزاهم بالبراهين القاطعة التي تحجزها صم الجبال وإزاحة شبههم الواهية بالبيئات الواضحة
وتنبية لهم على أن الحجة قد غلت فلم يبق بعد ذلك علة لتعلل ولا عذر لمعتذر (قد جاءكم) أي وصل اليكم
وتقرر في قلوبكم بحيث لا سبيل لكم إلى الانكار (برهان) البرهان ما يبرهن به على المطلوب والمراد به القرآن
الدال على صحة نبوة النبي عليه الصلاة والسلام المثبت لما فيه من الاحكام التي من جملتها ما أشير اليه مما
انبثته الآيات الكريمة من حقيقة الحق وبطلان الباطل وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه
النبي عليه الصلاة والسلام عبر عنه به لما معه من المعجزات التي تشهد بصدقه وقيل هو المعجزات التي أظهرها
وقيل هو دين الحق الذي أتى به وقوله تعالى (من ريسكم) اماما تعلق بجهادكم أو بعدد وف وقع صفة مشتركة
لبرهان مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أي كائن منه تعالى على أن من
لا تبدأ الفاية بجازا وقد جوز على الثاني كونها تبعية بحدف المضاف أي كائن من براهين ريكتم
والتعريض بعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير الخطابين لاظهار اللطف بهم والايذان بأن مجيئه اليهم
لترتيبهم وتكميلهم (وأزلنا اليكم نورامينا) أريد به أيضا القرآن الكريم عبر عنه تارة بالبرهان لما أشير اليه
آتفا وأخرى بالنور التبريقية المنور اغيره ايدانا بأنه بين بنفسه مستغن في ثبوت حقيقته وكونه من عند الله
تعالى بإيجازه غير محتاج إلى غيره مبين اغيره من الامور المذكورة واشهادا بهدائه للخلق واخراجهم من
ظلمات الكفر إلى نور الايمان وقد سلك به مسلك المطلق المبني على تغاير الطرفين تنزيلا للمغايرة العنوانية منزلة
المغايرة الذاتية وعبر عن ملابسته للخطابين تارة بالجيء المسند اليه المنهي عن كمال قوته في البرهانية كآية
يجي بنفسه فثبت أحكامه من غير أن يجي به أحد ويحيى على شبه الكفرة بالابطال وأخرى بالانزال الموقوع
عليه الملائم لطيفة كونه نورا توفيرا له باعتبار كل واحد من عنوانيه حفظه اللاتقي به واستناد انزاله اليه تعالى
بطريق الالتفات لكمال تنويره هذا على تقدير كون البرهان عبارة عن القرآن العظيم وأما على تقدير كونه
عبارة عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو عن المعجزات الظاهرة على يده أو عن الدين الحق فالامر حين وقوله
تعالى اليكم متعلق بأنزلنا فان انزاله بالذات وان كان إلى النبي صلى الله عليه وسلم لكنه منزل اليهم أيضا بواسطة
عليه الصلاة والسلام وانما اعتبر حاله بالواسطة دون حاله بالذات كافي بقوله تعالى انا أنزلنا إليك الكتاب بالحق
لتحكم بين الناس وتطائره لاظهار كمال اللطف بهم والتصريح بوصوله اليهم مباينة في الاغذار وتقدسيه على

المفعول الصريح مع أن حقه التأخر عنه لما ترغبت من الاهتمام بما قدم والتشويق إلى ما أخر وللصافطة
على فواصل الآية الكريمة (فأما الذين آمنوا بالله) حسبما يوجب البرهان الذي أناهم (واعصموا به)
أي عصموا به أنفسهم مما يرد بها من زيغ الشيطان وغيره (فسيدخلهم في رحمة منه وفضل) قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما هي الجنة وما يفضل عليهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وعبر
عن إفاضة الفضل بالإدخال على طريقة قوله (علفها بنا وما ياردا) وتنوين رحمة وفضل تعظيمي ومنه متعلق
بمحذوف وقع صفة مشرفة لرحمة (ويهديهم إليه) أي إلى الله عز وجل وقيل إلى الموعد وقيل إلى عبادته
(صراطا مستقيما) هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة وتقديم ذكر الوعد بادخال الجنة
على الوعد بالهداية إليها على خلاف الترتيب في الوجود بين الموعودين للمسارة إلى التبشير بما هو المقصد
الاصلي - قيل انتصاب صراطا على أنه مفعول أقبل محذوف بقي عنه يهديهم أي يعرفهم صراطا مستقيما
(يستفتونك) أي في الكلالة استفتي عن ذكره بوروده في قوله تعالى (قل الله يفتيك في الكلالة) وقد
ترتبطها في مطلع السورة الكريمة والمستفتي جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه يروي أنه أتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في طريق مكة عام حجة الوداع فقال إن لي أخا فكم آخذ من ميراثها مات وقيل كان
مرضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن كلاله فكيف أصنع في مالي وروى عنه رضي الله عنه
أنه قال عادي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مريض لا عقل فتوضأ وصب من وضوئه على فعمقت فقلت
يا رسول الله لمن الميراث وانما يرثني كلاله فقلت وقوله تعالى (إن امرؤ هلك) استئناف مبين للفتيا وارتفع
امرؤ بفعل يفسره المذکور وقوله تعالى (ليس له ولد) صفة له وقيل حال من الضمير في هلك ورد
بأنه مفسر لعمدوف غير موصوف في الكلام أي أن هلك امرؤ غير ذي ولد ذكر أو أنثى واقصر على ذكر
عدم الولد مع أن عدم الوالد أيضا معتبر في الكلالة ثقة بظهور الامر ودلالة تفصيل الورثة عليه وقوله تعالى
(وله أخت) عطف على قوله تعالى ليس له ولد وأحال والمراد بالاخت من ليست لأم فقط فإن فرضها السدس
وقدم ترتيبه في صدر السورة الكريمة (فلها نصف ما ترك) أي بالفرض والباقي للعصبة أولها بالرد أن لم
يكن له عصبة (وهو) أي المرء المفروض (برثها) أي أخته المفروضة أن فرض هلاكها مع بقائه (أن لم
يكن لها ولد) ذكر أن كان أو أنثى فالمراد بارتثها لها امرأ جميع ما لها إذا هو المشروط بقاء الوالد بالكلية لآرثه
لها في الجملة فانه يمتنع مع وجود بنتها وليس في الآية ما يدل على سقوط الاخت بغير الولد ولا على عدم
سقوطهم وانما دلت على سقوطهم مع الأب السنة الشريفة (فإن كانتا اثنتين) عطف على الشرطية الأولى
أي اثنتين فصاعدا (فلهما الثلثان مما ترك) الضميران يرث بالاخت والتأنيث والتثنية باعتبار المعنى قيل
وقائدة الاخبار عنها اثنتان مع دلالة ألف التثنية على التثنية التثنية على أن المعنى في اختلاف الحكم هو
العدد دون الصغر والكبر وغيرهما (وإن كانوا) أي من يرث بطريق الاخت (اخت) أي مختلطة (رجلا
ونساء) بدل من اخت والاصل وإن كانوا اخت وأخوات فغلب المذكر على المؤنث (فلذلك) أي ولذلك
منهم (مثل حظ الأنثيين) يتسمون التركة على طريقة التعصيب وهذا آخر ما أنزل من كتاب الله تعالى
في الأحكام روى أن الصديق رضي الله تعالى عنه قال في خطبته إن الآية التي أنزلها الله تعالى في سورة
النساء في القسرات فأنزلها في الولد والوالد وثانيها في الزوج والزوجة والاخت من الأم والآية التي ختم
بها السورة في الاخت والأخوات لا يوين أولاد والآية التي ختم بها سورة الانفال أنزلها في أولى الأرحام
(بين الله لكم) أي حكم الكلالة أو أحكامه وشرائعه التي من جعلها حكمها (إن تضلوا) أي كراهة
أن تضلوا في ذلك وهذا رأي البصريين صرح به المبرد وذهب الكسائي والفرأ وغيرهما من الكوفيين
إلى تقدير اللام ولا في طرفي أن أي لثلاث تضلوا وقال الزجاج هو مثل قوله تعالى أن الله يمسك السموات
والارض أن تزولا أي لثلاث زولا وقال أبو عبيد روى للكسائي حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما وهو
لا يدهون أحدكم على ولده أن يوافق من الله اجابتأي ثلاث يوافق فاستحسنه وليس ما ذكر من الآية والحديث
نصا فيذهب إليه الكسائي وأضرابه فإن التقدير فيها عند البصريين كراهة أن تزولا وكراهة أن يوافق
الحج وقيل ليس هنالك حذف ولا تقدير وانما هو مفعول بين أي بين لكم ضلالكم الذي هو من شأنكم إذا

خاليتم وطباعكم لتتروا عنه وتحتروا خلافه وأنت خير بأن ذلك انما يليق بما اذا كان بيانه تعالى على طريقة
تعيين مواقع الخطا والضلal من غير تصريح بما هو الحق والصواب وليس كذلك (والله بكل شئ) من
الاشياء التي من جللتها أحوالكم المتعلقة بعبادكم وعبادتكم (عليهم) مبالغ في العلم فيبين لكم ما فيه مصلحتكم
ومنفعتكم * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة
ورث ميراثا وأعطى من الاجر كن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله تعالى من الذين يتجاوز
عنهم والله أعلم

(سورة المائدة مدنية وهي مائة وعشرون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) الوفاء القيام بموجب العقد وصدق كذا الايفاء والعقد هو العهد
الموثق المشبه بعقد الحبل وتحوه والمراد بالعقد ما يتم بجميع ما أزمه الله تعالى عباده وعقده عليهم من
التكاليف والاحكام الدينية وما بعده قدوته فيما بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به
أو يحسن ديننا بأن يحمل الامر على معنى يتم الوجوب والندب أمر بذلك أولا على وجه الاجمال ثم شرع
في تفصيل الاحكام التي أمر بالايضا بها وابدئ بما يتعلق بضروريات معاشهم فقيل (أحل لكم بهيمة
الانعام) البهيمة كل ذات أربع واطافت الى الانعام للبيان كقوله الخنزير وافراده الارادة الجنس أي أحل
لكم أكل البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية المعدودة في سورة الانعام وألحق بها الطيأ وبقر الوحش
ونحوهما وقيل هي المرادة بالبهيمة ههنا لتقدم بيان حل الانعام والاضافة لما بينهما من المشابهة والمعاثلة
في الاجترار وعدم الايناب وفائدتها الاشعار بعلو الحكم المستتركة بين المضافين كأنه قيل أحلت
لكم البهيمة الشبيهة بالانعام التي بين احلالها فيما سبق المعادلة لها في مناط الحكم وتقديم الجواز والمجوز
على القائم مقام الفاعل لما مر من اوان اظهار العناية بالقصد بما فيه من تجميل المسرة والتشويق الى
المؤخرات ما حقه التقديم اذا أثر تبي النفس مترتبة الى وروده فيمكن عندها فضل تمكن (الا ما تلى
عليكم) استثناء من بهيمة الانعام أي الا يحرم ما تلى عليكم من قوله تعالى حرمت عليكم الميتة ونحوه
أو الا ما تلى عليكم آية تحريمه (غير محلي السيد) أي الاصطياد في البر أو أكل صيده وهو نصب على الحالية
من ضمير لكم ومعنى عدم احلالهم له تقرير حرمة عملا واعتقادا وهو شائع في الكتاب والسنة وقوله
تعالى (وأنت حرم) أي محرمون حال من الضمير في محلي وفائدة تفصيل احلال بهيمة الانعام بما ذكر من عدم
احلال الصيد حال الاحرام على تقدير كون المراد بها الطيأ ونظائرهما ظاهرا قلنا أن احلالها غير مطلق كأنه
قيل أحل لكم الصيد حال كونكم ممنوعين عنه عند احرامكم وأما على التقدير الاول ففائدته اتمام النعمة
واظهار الامتنان باحلالها منذ كبر احتياجهم اليه فان حرمة الصيد في حالة الاحرام من مظان حاجتهم الى
احلال غير حادثة كأنه قيل أحلت لكم الانعام مطلقا حال كونكم ممنوعين عن تحصيل ما يغنيكم عنها في بعض
الاوراق محتاجين الى احلالها وفي اسناد عدم الاحلال اليهم بالمعنى المذكور ومع حصول المراد بأن
يقال غير محلل لكم أو محرم ما عليكم الصيد حال احرامكم من زيادة تربية للامتنان وتقدير للعاجلة ببيان علتها
القرينة فان تحريم الصيد عليهم انما يوجب حاجتهم الى احلال ما يغنيهم عنه باعتبار تحريمه عملا واعتقادا
مع ما في ذلك من وصفهم بما هو اللائق بهم (ان الله يحكم ما يريد) من الاحكام حسبا تقتضيه مشيئته المبنية
على الحكم البالغة فيدخل فيها ما ذكر من التلطيل والتعريض دخول اوليا ومعنى الايفاء بهما الجريان على
موجبهما اعتقادا وعملا والاجتناب عن تحليل المحرمات وتحريم بعض المحلات كالبعيرة ونظائرها التي سبأ في
بيانها (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم التي هلكوا بها) لما بين حرمة احلال الاحرام الذي هو من شعائر الحج عقب
ذلك ببيان حرمة احلال سائر الشعائر واطافتها الى الله عز وجل لتشميرها وتهويل الخطب في احلالها وهي
جمع شعيرة وهي اسم لما أشعر أي جعل شعارا وعلم للناس من مواقيت الحج ومراعى الجمار والطاف والمسعى
والافعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الاحرام وللطواف والسعي والخطا والنحر واحلالها أن

يتهاون بحرمته ويحال بينها وبين المتفكرين بها ويحدث في أشهر الحج ما يصد به الناس عن الحج وقيل المراد بها
 دين الله لقوله تعالى ومن يعظم شعائر الله أي دينه وقيل حرمان الله وقيل فرائضه التي حثها عليه
 واحلالها الاخلال بها والاول أنسب بالمقام (ولا الشهر الحرام) أي لا تحلوه بالقتال فيه وقيل بالنسبة
 والاول هو الاول بحال المؤمنين والمراد به شهر الحج وقيل الاشهر الاربعة المحرم والافراد لارادة الجنس
 (ولا الهدى) بأن تعرض له بالغصب أو بالمنع عن بلوغ محله وهو ما أهدى إلى الكعبة من ابل أو بقرة أو شاة
 جمع هدية كجدي وجدية (ولا القلائد) هي جمع قلادة وهي ما يقاد به الهدى من نعل أو حل أو شجر يعلم به
 أنه هدى فلا تعرض له والمراد النهي عن التعرض لذوات القلائد من الهدى وهي البدن وعطفها على الهدى
 مع دخولها فيه لما زيد التوصية بها لمنزلة ما على ما عداها كما عطف جبريل وميكال على الملائكة عليهم السلام
 كأنه قيل والقلائد منه خصوصاً أو النهي عن التعرض لنفس القلائد مباينة في النهي عن التعرض لأصحابها على
 معنى لا تحلوا قلائد ما فضلا عن أن تحلوا كما نهى عن ابداء الزينة بقوله تعالى ولا يبدن زينتهن مباينة في النهي
 عن ابداء مواضعها (ولا آتين البيت الحرام) أي لا تحلوا قوماً قاصدين زيارته بأن قصدوهم عن ذلك بأي
 وجه كان وقيل هناك مضاف محذوف أي قتال قوم أو أذى قوم آتين الحج وقرئ ولا آتى البيت الحرام بالاضافة
 وقوله تعالى (يتغون فضلا من ربهم ورضوانا) حال من المستمكن في آتين لصفة له لان المختار أن اسم
 الفاعل اذا وصف بطل عمله أي قاصدين زيارته حال كونهم طامعين أن ينسبهم الله تعالى ويرضى عنهم
 وتذكير فضلا ورضوانا للتفخيم ومن ربههم متعلق بنفس الفعل أو محذوف وقع صفة فضلا مغنية عن وصف
 ما عطف عليه أي فضلا كما نمن ربههم ورضوانا كذلك والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة إلى ضميرهم
 لتسريتهم والاشعار بحصول مبالغتهم وقرئ يتغون على الخطاب فالجمله حينئذ حال من ضمير المخاطبين في لا
 تحلوا على أن المراد بيان منافاة حالهم هذه لا منهي عنه لا تقييد النهي بها واصله ارب إلى ضمير الآتين للايمان
 إلى اقتصار التشريف عليهم وحرمان المخاطبين عنه وعن نيل المبتغى وفي ذلك من تعاميل النبي وتناكيد
 والمباينة في استنكار المنهي عنه ما لا يخفى ومن ههنا قيل ان المراد بالآتين هم المسلمون خاصة وبه تسلك من ذهب
 إلى أن الآية محكمة وقد روى أن النبي عليه الصلاة والسلام قال سورة المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا
 حللها وحرموا حرامها وقال الحسن رحمه الله تعالى ليس فيها منسوخ وعن أبي مبصرة فيها ثمان عشرة
 فريضة وليس فيها منسوخ وقد قيل هم المشركون خاصة لانهم المحتاجون إلى نهى المؤمنين عن احلالهم دون
 المؤمنين على أن حرمة احلالهم ثبت بطريق دلالة النص ويؤيده أن الآية نزلت في الخطم بن ضبعة البكرى
 وقد كان أتى المدينة تخلف خيله خارجها فدخل على النبي عليه الصلاة والسلام وحده ووعد أنه يأتي بأصحابه
 فيسلموا ثم خرج من عنده عليه السلام فترسح المدينة فاستاقه فلما كان في العام القابل خرج من البصرة حاجا
 في حجاج بكر بن وائل ومعه تجارة عظيمة وقد قلدا الهدى فسأل المسلمون النبي صلى الله عليه وسلم أن يخلى بينهم
 وينسب فأباه النبي عليه الصلاة والسلام فأمر الله عز وجل بإيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله الآية وقصر
 ابتغاء الفضل بطلب الرزق بالتجارة وابتغاء الرضوان بأنهم كانوا يزعمون أنهم على سداد من دينهم وأن الحج
 يقربهم إلى الله تعالى فوجه فهم الله تعالى بظنهم وذلك الظن الفاسد وان كان بعزل من استتباع رضوانه تعالى
 لكن لا بعد في كونه مدارا لخصول بعض مقاصدهم الدينية وخلصهم عن المكارة العاجلة لا سيما في ضمن
 مراعاة حقوق الله تعالى وتعظيم شعائره وقال قتادة هو أن يصلح معاشهم في الدنيا ولا يجعل لهم العقوبة
 فيها وقيل هم المسلمون والمشركون لما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن المسلمين والمشركين
 كانوا يجعون جميعا فنهى الله المسلمين أن يمنعوا أحدا عن حج البيت بقوله تعالى لا تحلوا الآية ثم نزل بعد
 ذلك انما للمشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام وقوله تعالى ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله
 وقال مجاهد والسجعي لا تحلوا تسبح بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ولا ريب في تناول الآتين
 للمشركين قطعاً اما الاستقلال واما اشتراكا لاسباب من قوله تعالى ولا يجزئكم شأن قوم الخ فتبين
 التسبح كلاً أو بعضاً ولا بد في الوجه الاخير من تفسير الفضل والرضوان بما يناسب القرينين فقيل ابتغاء
 الفضل أي الرزق للمؤمنين والمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة ويجوز أن يكون الفضل على

اطلاقه شامل للفضل الاخرى أيضا ويختص ابتغاؤه بالمؤمنين (واذا حلتم فاصطادوا) نصريح بما أشير
 اليه بقوله تعالى وأنتم حرمة من اتهاه حرمة الصيد بانتفاء موجبها والامر للاباحة بعد الخطر كأنه قيل
 واذا حلتم فلا جناح عليكم في الاصطياد وقرئ أحلتم وهو لغة في حل وقرئ بكسر الفاء بالقاء حركة همزة
 الوصل عليها وهو ضعيف جدا (ولا يجزئكم) نهى عن إحلال قوم من الاثنين خصوا به مع اندراجهم
 في النهي عن إحلال الكل كافة لاستقلالهم بأمرور بجمايتهم كونها صحيحة لإحلالهم داعية اليه وجرم
 جار مجرى كسب في المعنى وفي التعدي الى منقول واحد والى اثنين يقال جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا
 نحو كسبته أيام خلان جرم يستعمل غالبا في كسب ما لا خير فيه وهو السبب في ابتغائه هنا على الثاني
 وقد نقل الأول من كل منهما بالهمزة الى معنى الثاني فيقال أجرمته ذنبا وأكسبته أياما وعليه قراءة من قرأ
 يجزئكم بضم الباء (شئان قوم) بفتح النون ترى يسكونها وكلاهما مصدر أضيف الى مفعوله
 لا الى فاعله كما قيل وهو شدة البغض وغاية المقت (أن صدوكم) متعلق بالشئان بانصدوا لام العلة أى
 لأن صدوكم عام الحديبية (عن المسجد الحرام) عن زيارته والطواف به للعمرة وهذه آية بينة في عوم آئين
 للمشركين قطعا وقرئ أن صدوكم على أنه شرط معترض أغنى عن جوابه لا يجزئكم قد أبرز الصلة المحقق فيها
 سبق في معرض المفروض للتوبيخ والتنبية على أن حقه أن لا يكون وقوعه الاعلى سبيل الفرض والتقدير
 (أن تعتدوا) أى عليهم وانما حذف نحو لا على ظهوره وإيماء الى أن المعتد الاصل من النهي منع
 صدور الاعتداء عن مخاطبة من محافظة على تعظيم الشعائر لا منع وقوعه على التوم مراعاة لحاشيتهم وهو
 ثانى مفعولى يجزئكم أى لا يكذبكم شدة بغضكم اهتم لصدوكم اياكم عن المسجد الحرام اعتدواكم عليهم
 واتقاسمكم منهم للتشقي وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للشئان عن كسب الاعتداء للخطابين لكنه
 في الحقيقة نهى اهتم عن الاعتداء على أبلغ وجهه وأكده فان النهي عن أسباب الشئ ومباديه المؤدية اليه
 نهى عنه بالطريق البرهاني وإبطال لهجية رقد يوجه النهي الى المسبب ويراد النهي عن السبب كما في قوله
 لا أرينك هنا يريد به نهى مخاطبة عن الحضور لديه ولعل تأخير هذا النهي عن قوله تعالى واذا حلتم
 فاصطادوا مع ظهور تعلته بما قبله للايدان بأن حرمة الاعتداء لا تنهى بالخروج عن الاحرام كلها حرمة
 الاصطياد بل هي باقية ما لم تنقطع علاقتهم عن الشعائر الكلية وبذلك يعلم بقاء حرمة التعرض لساكني الاثنين
 بالطريق الاولى (وتعاونوا على البر والتقوى) لما كان الاعتداء غالبا بطريق الظاهر والتعاون امر وا
 أثر ما نهوا عنه بأن تعاونوا على كل ما هو من باب البر والتقوى ومتابعة الامر ومحاربة الهوى فدخل فيه
 ما نحن بسدد من التعاون على العفو والاعتناء عما وقع منهم دخولا أولا ثم نهوا عن التعاون في كل ما هو
 من مقولة الظلم والمعاصي بقوله تعالى (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) فاندرج فيه النهي عن التعاون
 على الاعتداء والانتقام بالطريق البرهاني وأصل لا تعاونوا لا تعاونوا الخذف منه احدى التاءين تحفينا
 وانما أخر النهي عن الامر مع تائم الخلية على التعلية مدارعة الى ايجاب ما هو مقصود بالذات فان المتصور
 من ايجاب ترك التعاون على الاثم والعدوان انما هو تحصيل التعاون على البر والتقوى ثم أمر وا بقوله
 تعالى (واتقوا الله) بالاتقاء في جميع الامور التي من حلتها مخالفة ما ذكر من الاوامر والنواهي فثبت
 وجوب الاتقاء فيها بالطريق البرهاني ثم عدل ذلك بقوله تعالى (ان الله شديد العقاب) أى لمن لا يتقوه
 فيعاقبكم لا محالة ان لم تتقوه واطهار الاسم الجليل لما مر ارامن ادخال الروعة وتربية المهابة وتقوية
 استقلال الجلالة (حزمت عليكم الميمنة) شروع في بيان المحرمات التي اشير اليها بقوله تعالى الامانة على
 عليكم والميمنة ما فارق الروح من غير ذبح (والدم) أى المسفوح منه لقوله تعالى اودما مسفوحا وكان أهل
 الجاهلية يصيبونه في الامعاء ويشوونه ويقولون لم يحرم من فزله أى من فصله (ولحم الخنزير وما اهل لغير
 الله به) أى رفع الصوت لغير الله عند ذبحه كفواههم باسم اللات والعزى (والخنزيرة) أى التي ماتت
 بالخنق (والموقودة) أى التي قتلت بالضرب بالخشب ونحوه من وقذته اذا ضربته (والمرتدة) أى التي
 تردت من علوا الى بئر فانت (والنطيحة) أى التي نطعتا اخرى فماتت بالنطح والتاء للثقل وقرئ
 والمنطوحة (وما كل السبع) أى وما كل منه السبع فمات وقرئ يسكون الباء وقرئ وأكل

٢ قوله فزدهو بضم الفاء
 وسكون الزاى آخره دال
 مهملة ويروى فصد
 يسكون الصاد تحفينا أى
 لم يحرم القرى من فصدت
 له الراحلة فطسى يدمها
 هكذا في القاموس لكن
 المناسب لما نحن فيه أن يفسر
 فزله أو فصله بمن قدم له
 الفصد وهو كافى القاموس
 دم كان يوضع في معى
 ويشوى تأمل هذا وفى
 القاموس ايضا انه روى
 قصده باقاف وفسره بقوله
 أى أعطى قصدا أى قليلا
 اه فراجع اه صحيحه

السبع وفيه دليل على أن جوارح الصيد إذا أكلت مما صادته لم يحل (الأماد كيتم) إلا ما أدركتم ذكاته وفيه بقية حياة يضطرب اضطراب المذبوح وقيل الاستثناء مخصوص بما أكل السبع والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم والمريء بمعدن (وما ذبح على النصب) قبل هو مفرد وقيل جمع نصاب وقرئ بسكون الصاد وأيا ما كان فهو واحد الانصاب وهي أبحار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها وبعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام (وأن تستقسموا بالازلام) جمع زلم وهو القدح أي وحزم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك أنهم إذا قصدوا فعلا ضررًا بواثلاثة أقداح مكتوب على أحدها أمر في ربي وعلى الثاني نهائي ربي وعلى الثالث غفل فإن خرج الآخر مضوا على ذلك وإن خرج الناهي اجتنبوا عنه وإن خرج الغافل أجالوه مرة أخرى فنهى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصاب المعهودة (ذلكم) إشارة إلى الاستقسام بالازلام ومعنى البعد فيه للإشارة إلى بعد منزلته في الشرع (فسق) تمرد وخروج عن الحد ودخول في علم الغيب وضلال باعتقاده أنه طريق إليه واقتراء على الله سبحانه أن كان هو المراد بقولهم ربي وشرك وجهالة أن كان هو الصنم وقيل ذلكم إشارة إلى تناول المحرمات المعدودة لأن معنى تحريمها تحريم تناولها (اليوم) اللام للعهد والمراد به الزمان الحاضر وما يتصل به من الأزمنة الماضية والآتية وقيل يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر الجمعة يوم عرفة في حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على العضباء فكانت عضد الناقة تنشق ثقلها فبركت وأيا ما كان فهو منصوب على أنه ظرف لقوله تعالى (يئس الذين كفروا من دينكم) أي من إبطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث أو غيرها أو من أن يغلبكم عليه لما شاهدوا من أن الله عز وجل وفي بوعده حيث أظهره على الدين كله وهو الانسب بقوله تعالى (فلا تخشوهم) أي أن يظهر واعليكم (واخشون) أي وأخلصوا إلى الخشية (اليوم أكلت لكم دينكم) بالنصر والاظهار على الأديان كلها أو بالنصب على قواعد العقائد والتوقيف على أصول الشرائع وقوانين الاجتماع وتقديم الحمار والجور والأيذان من أول الأمر بأن الأكمال لنفسهم ومصالحهم كما في قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك وعلينا في قوله تعالى (وأتممت عليكم نعمتي) متعلق بأنتم لا بنعمتي لأن المصدر لا يتقدم عليه معموله وتقدمه على المفعول الصريح لما ترعرأت أي أتممتا بفتح مكة ودخولها آمين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكها والنهي عن سبب الشرك وطواف العربان أو بأكال الدين والشرائع أو بالهداية والتوقيف قبل معنى أتممت عليكم نعمتي أتممت لكم وعدى بقولي ولانتم نعمتي عليكم (ورضيت لكم الإسلام ديناً) أي اخترته لكم من بين الأديان وهو الدين عند الله لا غير عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أن رجلاً من اليهود قال له يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقررتمنا الوعد علينا معشر اليهود نزلت لا تخذنا ذلك اليوم عيداً قال أي آية قال اليوم أكلت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي الآية قال عمر رضي الله تعالى عنه قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي أنزلت فيه على النبي عليه الصلاة والسلام وهو قائم بعرفة يوم الجمعة أشار رضي الله تعالى عنه إلى أن ذلك اليوم عيّد لنا وروى أنه لما نزلت هذه الآية بكى عمر رضي الله تعالى عنه فقال له النبي عليه الصلاة والسلام ما يبكيك يا عمر قال أبكاني أنا كلنا في زيادة من ديننا فإذا أكل فإنه لا يكمل شيء إلا نقص فقال عليه الصلاة والسلام صدقت فكانت هذه الآية نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فبالت بعد ذلك إلا أحداً وغائبين يوماً (فمن اضطر) متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب أن يجتنب عنه وهو أن تناولها فسوق وحرمتها من أجله الدين الكامل والنعمة الناقصة والإسلام المرضي أي فمن اضطر إلى تناول شيء من هذه المحرمات (في محصة) أي مجاعة يخاف معها الموت أو مبادية (غير محتاجة لاثم) قبل غير مائل ومنصرف إليه بأن يأكلها تلهذاً أو مجعاً واحداً الرخصة أو يستترعها من مضطر آخر كقوله تعالى غير باغ ولا عاد (فإن الله غفور رحيم) لا يؤاخذ به ذلك (بسا لولئك ما أحل لهم) شروع في تفصيل المحللات التي ذكر بعضها على وجه الإجمال إثر بيان المحرمات كأنهم سألوها عن ما عنيديان أضدادها ولتضمن السؤال معنى القول أو وقع على الجملة فإذا مبتدأ وأحل لهم خبره وضمير الغيبة لما أن بسألون بلفظ الغيبة فإنه كما يعتبر حال المحكي عنه فيقال أقسم زيد لا أفعلن يعتبر حال المحكي فيقال أقسم زيد بلفظ فعلن والمسؤل ما أحل لهم من المطاعم (فلأحل لكم الطيبات) أي ما لم تستخبه الطباع السلية ولم تنفر عنه كما في قوله تعالى ويحسب الله الطيبات ويحرم عليهم

النبات (وما علمتم من الجوارح) عطف على الطيبات بتقدير المضاف على أن ما موصولة والعائد محذوف
 أي وصيد ما علمتموه أو مبتدأ على أن ما شرطية والجواب فكلوا وقد جوز كونها مبتدأ على تقدير
 كونها موصولة أيضا والخبر كلوا وانما دخلته الفاء تشبيها للموصول باسم الشرط ومن الجوارح حال من
 الموصول أو ضمير المحذوف والجوارح الكواصب من سباع البهائم والطير وقيل سميت بها لأنها تخرج
 الصيد غالبا (مكلمين) أي معلمين لها الصيد والمكلم مؤدب الجوارح ومضمر بها الصيد مشتق من
 الكلب لأن التأديب كثيرا ما يقع فيه أولان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه الصلاة والسلام في حق عبته بن
 أبي لهب حين أراد سفر الشام فقال النبي عليه الصلاة والسلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الأسد
 واتصاه على الحالة من فاعل علم وفائدتها المبالغة في التعليم لما أن اسم المكلم لا يقع الاعلى التحرير
 في علمه وقرئ مكلمين بالتخفيف والمعنى واحد (تقولون) حال ثانية منه أو حال من ضمير مكلمين أو استئناف
 (مما علمكم الله) من الحيل وطرق المتعلم والتأديب فإن العلم به الهام من الله تعالى أو مكتسب بالعقل
 الذي هو منحة منه أو مما عز فكلم أن تعلموه من اتباع الصيد برسالة صاحبه وانزجاره برجره وانصرافه بدعائه
 وامساك الصيد عليه وعدم أكله منه (فكلوا مما أمسكن عليكم) قدم في ما سبق أن هذه الجملة على
 تقدير كون ما شرطية جواب الشرط وعلى تقدير كونها موصولة مرفوعة على الاستدعاء خبر لها وأما على
 تقدير كونها عطفا على الطيبات فهي جملة متفرعة على بيان حل صيد الجوارح المعلقة مبينة للمضاف المقدر
 الذي هو المعطوف وبه يتعلق الاحلال حقيقة ومشيرة إلى نتيجة التعليم وانزاد داخله تحت الاحرف الفاء فيها
 كما في قوله أمرتك الخ فافعل ما أمرت به ومن تبعيضه لما أن البعض مما لا يتعلق به الاكل كالجلود والعظام
 والريش وغير ذلك وما موصولة أو موصوفة حذف عاندها وعلى متعلقة بأمسكن أي فكلوا بعض ما أمسكنه
 عليكم وهو الذي لم يأكل منه وأما ما أكل منه فهو مما أمسكنه على أنفسهن لقوله عليه الصلاة والسلام
 لعدي بن حاتم وإن أكل منه فلا تأكل كل انما أمسك على نفسه واليه ذهب أكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط
 عدم الاكل في سباع الطير لما أن تأديبها إلى هذه الدرجة متعذر وقال آخرون لا يشترط ذلك مطلقا وقد روى
 عن سلمان وسعد بن أبي وقاص وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهم أنه إذا أكل الكلب ثلثه وبقي ثلثه وقد
 ذكرت اسم الله عليه فكل (واذكروا اسم الله عليه) الضمير لما علمتم أي هو عليه عند إرساله أولا
 أمسكنه أي هو عليه إذا دركتم ذكاته (واقتوا الله) في شأن محرماته (إن الله سريع الحساب) أي
 سريع اتيان حسابه أو سريع غامه إذا شرع فيه يتم في أقرب ما يكون من الزمان والمعنى على التقديرين أنه
 يؤخذكم سريع في كل ما جل ردق واطهار الاسم الحليل في موقع الاضمار لترية المهابة وتعليل الحكم
 (اليوم أحل لكم الطيبات) قبل المراد بالايام الثلاثة وقت واحد وانما كثر للتأكيد ولا اختلاف الاحداث
 الواقعة فيه حسن تكريره والمراد بالطيبات ما من (وطعام الذين أوتوا الكتاب) أي اليهود والنصارى
 واستثنى على رضي الله تعالى عنه نصارى بن تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها الا شرب
 الخمر وبه أخذ الشافعي رضي الله عنه والمراد بطعامهم ما يتناول ذبائحهم وغيرها (حل لكم) أي حلال
 وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس وهو قول عامة التابعين
 وبه أخذ أبو حنيفة رضي الله عنه وأصحابه وحكم الصابئين حكم أهل الكتاب عنده وقال صاحباهما
 صنفتان صنف يقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة عليهم السلام وصنف لا يقرؤون كتابا ويعبدون النجوم فهو لاه
 ليسوا من أهل الكتاب وأما المجوس فقد سن بهم سنة أهل الكتاب في أخذ الجزية منهم دون أكل ذبائحهم
 ونكاح نسائهم لقوله عليه الصلاة والسلام سنوا بهم سنة أهل الكتاب غيرنا حتى نسايتهم ولا آكلي
 ذبائحهم (وطعامكم حل لكم) فلا عليكم أن تطعموهم وتبيعوهم منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك (والمحصات
 من المؤمنات) رفع على أنه مبتدأ حذف خبره دلالة ما تقدم عليه أي حل لكم أيضا والمراد بهن الحرائر
 العفاق وتخصيصهن بالذكور لبعث على ما هو الاول لالتصق ما عداهن فإن نكاح الاماء المسلمين صحيح
 بالاتفاق وكذا نكاح غير العفاق منهن وأما الاماء الكتابيات فهن كالمسلمات عند أبي حنيفة رضي
 الله عنه خلافا للشافعي رضي الله عنه (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) أي هن

أيضاح لكم وان كن حريات وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهم لا نحل الحريات (إذا أتيتوهن أجورهن) أي مهورهن وتقييد الحل - بآياتها التأكيد وجوبها والحث على الأولى وقيل المراد بآياتها التزامها وإذا نظرت في عملها حل المحذوف وقيل شرطية حذف جوابها أي إذا أتيتوهن أجورهن حلن لكم (محصنين) حال من فاعل أتيتوهن أي حال كونكم أعضاء بالنكاح وكذا قوله تعالى (غير مسافحين) وقيل هو حال من ضمير محصنين وقيل صفة لمحصنين أي غير مجاهرين بالزنا (ولا متخذين أخدان) أي ولا مسررين به والمحدث الصدوق يقع على الذكر والأنثى وهو أمان مجرور عطفاً على مسافحين وزيدت لالتأكيد النفي المستفاد من غيراً ومنصوب عطفاً على غير مسافحين باعتبار أوجه الثلاثة (ومن يكفر بالإيمان) أي ومن ينكر شرائع الإسلام التي من بطلانها بين ههنا من الأحكام المتعلقة بالحل - والحرمه ويمنع عن قبولها (فقد حبط عمله) الصالح الذي عمله قبل ذلك (وهو في الآخرة من الخاسرين) هو مبتدأ من الخاسرين خبره وفي متعلقة بما يتعلق به الخبر من الكون المطلق وقيل محذوف دل عليه المذكور أي خاسر في الآخرة وقيل بالخاسرين على أن الالف واللام للتعريف لا موصولة لأن ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وقيل يفتقر في الطرف ما لا يقتضيه غيره كفا في قوله

ويته حتى إذا تعددا * كان جزائي بالعصا أن أجلدا

(يا أيها الذين آمنوا) شروع في بيان الشرائع المتعلقة بدينهم بعد بيان ما يتعلق بديانهم (إذا قمتم إلى الصلاة) أي أردتم القيام إليها كما في قوله تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله عبر عن إرادة الفعل بالفعل المصباح عنها مجازاً لا يجازو التنبيه على أن من أراد الصلاة حقه أن يسأله لا يفتك عن إرادتها أو إذا قصدتم الصلاة إطلاقاً لا اسم أحد لا زميها على لازمها الآخر وظاهر الآية الكريمة يوجب الوضوء على كل قائم إليها وان لم يكن محذوفاً لما أن الأمر للوجوب قطعاً والابجاع على خلافه وقدرى أن النبي عليه الصلاة والسلام صلى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد فقال عمر رضي الله تعالى عنه صنعت شيئاً لم تكن تصنعه فقال عليه الصلاة والسلام عدا فعلته يا عمر يعني بياناً للجزالة وحل الأمر بالنسبة إلى غير المحدث على النذب مما لا مسامحة له فالوجه أن الخطاب خاص بالمحدثين بقرينة دلالة الحال واشتراط الحدث في التيمم الذي هو بدله وما نقل عن النبي عليه الصلاة والسلام والخلفاء من أنهم كانوا يوضؤون لكل صلاة فلا دلالة فيه على أنهم كانوا يعلونه بطريق الوجوب أصلاً كيف لا وما روى عنه عليه الصلاة والسلام من قوله من وضأ على ظهره كتب الله له عشر حسنات صريح في أن ذلك كان منهم بطريق النذب وما قيل كان ذلك أول الأمر ثم نسخ برده قوله عليه الصلاة والسلام المائدة من آخر القرآن نزولاً فأولوا حللها وحرموا حرامها (فأغسلوا وجوهكم) أي أمرتوا عليهم الماء ولا حاجة إلى ذلك خلافاً لما لاك (وأيدكم إلى المرافق) الجمهورة على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل إلى بمعنى مع كما في قوله تعالى ويزدكم قوة إلى قوتكم وقيل هي إنما تفيد معنى الغاية مطلقاً وأما دخولها في الحكم أو خروجها منه فلا دلالة لها عليه وإنما هو أمر يدور على الدليل الخارجي كما في حفظ القرآن من أوله إلى آخره وقوله تعالى فنظرة إلى ميسرة فإن الدخول في الأول والخروج في الثاني متيقن بناء على تحقق الدليل وحيث لم يتحقق ذلك في الآية وكانت الأيدي متناولة للمرافق حكم بدخولها فيها احتياطاً وقيل إلى من حيث أقادتها للغاية تقتضي خروجها لكن لما تم تميز الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب ادخالها احتياطاً (وامسحوا برؤوسكم) الباء مزيدة وقيل للتبعية فانه التماسق بين قولك مسح المنديل ومسحت بالمنديل وتحقيقه أنها تدل على قضين الفعل معنى الاصاق فكأنه قيل وألصقوا المسح برؤوسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب كما يقتضيه ما لو قيل وامسحوا برؤوسكم فانه كقوله تعالى فأغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في القدر الواجب فأوجب الشافعي أقل ما ينطلق عليه الاسم أخذاً باليقين وأبو حنيفة ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث مسح على ناصيته وقدرها ربع الرأس وما لاك مسح الكل أخذاً بالاحتياط (وأرسلكم إلى الكعبين) بالنصب عطف على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل العصاة وقول أكثر الأئمة والتحديد إذا مسح لم يعد محدوداً وقرئ بالجر على الجوار ونظيره في القرآن كثير كقوله تعالى عذاب يوم الهم ونظائره وللحكمة في ذلك باب مفرد وفائدة التنبيه على أنه ينبغي أن يقتصد في صب الماء عليها ويغسلها غسلاً قرياً من المسح وفي الفصل

بينه وبين اخواته ايماء الى افضلية الترتيب وقرئ بالرفع أى وأرجلكم مفسولة (وإن كنتم جنباً فاطهروا) أى
فاغتسلوا وقرئ فاطهروا أى فطهروا أبداً انكم وفي تعليق الامر بالطهارة الكبرى بالحدث الا كبر إشارة الى
اشتراط الامر بالطهارة الصغرى بالحدث الاصغر (وإن كنتم مرضى) مرضاً يخاف به الهلاك أو ازدياده
بأستعمال الماء (أو على سفر) أى مستقرين عليه (أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم
يجدوا ماءً ففيموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) من لاستداء الغاية وقيل للتبعض
وهي متعلقة بامسحوا وقرئ فأتوا صعيداً وقدمت نفسير الآية الكريمة مشبعة في سورة النساء فليرجع اليه
ولعل التكرير ليصل الكلام في أنواع الطهارة (ما يريد الله) أى ما يريد بالامر بالطهارة للصلاة أو بالامر
بالتييم (ليجعل عليكم من حرج) من ضيق في الامتنال به (ولكن يريد) ما يريد بذلك (ليطهركم) أى
لينظفكم أولي طهركم عن الذنوب فإن الوضوء مكفرها أولي طهركم بالتراب إذا أعوزكم التطهر بالماء ففعل
يريد في الموضعين محذوف واللام للعلّة وقيل من زيادة والمعنى ما يريد الله أن يجعل عليكم من حرج في باب
الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد أن يطهركم بالتراب إذا أعوزكم التطهر بالماء (وليسم) بـ
بشرعه ما هو مطهرة لا بد انكم ومكفرة لذنوبكم (نعمته عليكم) في الدين أو ليسم برخصه انعامه عليكم
بعزائه (لعلكم تشكرون) نعمته ومن لطائف الآية الكريمة أنها مشبهة على سبعة أمور كلها مثنى
طهارتان أصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل
ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وأن التمام مانع وجامد وموجب ما حدث أصغروا كبر وأن المبيع
للعُدول الى البدل مرض وسفر وأن الموعود عليهم ما تطهروا الذنوب وانعام النعمة (واذكروا نعمة الله عليكم)
بالاسلام لتذكركم المنعم وترغبكم في شكره (وميثاقه الذي واثقكم به) أى عهده المؤكد الذي أخذكم
وقوله تعالى (اذقتم سمننا وأطعنا) ظرف لوائقكم به أو لمحذوف وقع حالاً من التيمم الجور وفيه
أو من ميثاقه أى كائنات وقت قولكم سمننا وأطعنا وفائدة التقييده تأكيد وجوب مراعاته بتذكركم ولهم
والترامهم بالمحافظة عليه وهو الميثاق الذي أخذكم على المسلمين حين بايعهم رسول الله عليه الصلاة والسلام
على السمع والطاعة في حال العسر واليسر والمنشط والمكره وقيل هو الميثاق الواقع ليله العتبة وفي بيعة
الرضوان وضافته اليه تعالى مع صدوره عنه عليه الصلاة والسلام لكون المرجع اليه كما نطق به قوله تعالى
إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله وقال مجاهد هو الميثاق الذي أخذكم الله تعالى على عبادته حين أخرجهم
من صلب آدم عليه السلام (واتقوا الله) أى في نسيان نعمته ونقض ميثاقه أو في كل ما تأتون وما تذكرون
فيدخل فيه ما ذكره أولاً (إن الله عليكم بذات الصدور) أى بخفياتها الملازمة لها ملازمة تامة
محصنة لا تطلق الا صاحب عليها فيجازيكم عليها فاطنكم بجليات الاعمال والجملة اعراض تذييل وتعليل
للامر بالانتقاء واظهار الاسم الجليل في موقع الاشعار لترية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استتلال
الجملة (يا أيها الذين آمنوا) شروع في بيان الشرائع المتعلقة بما يجري بينهم وبين غيرهم اثر بيان ما يتعلق
بأنفسهم (كونوا قوامين لله) مقامين لا وامرهم بمثلين بهما عظمين لهما امر اعين لحقوقها (شهداء بالقسط) أى
بالعدل (ولا يجرمونكم) أى لا يجرمونكم (شئنا قوم) أى شدة بغضكم لهم (على أن لا تعدلوا) فلا
تشهدوا في حقوقهم بالعدل أو فتعندوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كشهارة وقذف وقتل نسائهم ونبض
عهد نفياً وغير ذلك (اعدلوا هو) أى العدل (أقرب للتقوى) الذي أمرتم به صريح لهم بالامر بالعدل
وبين أنه يمكن من التقوى بعدم ما نهىهم عن الجور وبين أنه مقتضى الهوى وإذا كان وجوب العدل في حق
الكفار بهذه المشاية فما ظنك بوجوبه في حق المسلمين (واتقوا الله) أمر بالتقوى اثر ما بين أن العدل
أقرب له اعتناء بشأنه وتبنيها على أنه ملاك الامر (إن الله خير بما تعملون) من الاعمال فيجازيكم بذلك
وتكرر بهذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاول نزل في المشركين وهذا في اليهود ولما زاد الاهتمام
بالعدل والمبالغة في اطفاء نائرة الغيظ والجملة تعليل لما قبلها واظهار الجلالة لما مر من حيث كان مضمونها
منبتاع عن الوعد والوعيد عقب بالوعد لمن يحافظ على طاعته تعالى وبالوعيد لمن يخلف بها فقيل (وعد الله
الذين آمنوا وعملوا الصالحات) التي من جلتها العدل والتقوى (لهم مغفرة وأجر عظيم) حذف ثانی

مفعولي وعد استغناء عنه بهذه الجملة فانه استئناف مبنى له وقيل الجملة في موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول فكأنه قيل وعدهم هذا القول (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) التي من جملتها ما تلقت من النصوص الناطقة بالامر بالعدل والتقوى (أولئك) الموصوفون بما ذكر من الكفر وتكذيب الآيات (أصحاب الجحيم) ملابس وهاملا بسمة مؤيدة من السنة السنية القرآنية شفع الوعد بالوعيد والجمع بين الترغيب والترهيب ايضا على الدعوة بالتبشير والانذار (يا أيها الذين آمنوا) اذ كروا نعمة الله عليكم) تذكرة لنعمة الانجاء من الشر ان تذكرة نعمة ايصال الخير الذي هو نعمة الاسلام وما يتبعها من الميثاق وعليكم متعلق بنعمة الله أو بمحذوف وقع حال منها وقوله تعالى (اذ هم قوم) على الاول ظرف لنفس النعمة وعلى الثاني لما يتعلق به عليكم ولا سبيل الى كونه ظرفا لاذ كروا الثاني زمانيهما أي اذ كروا انعامه تعالى عليكم أو اذ كروا نعمة كاشفة عليكم في وقت همهم (أن يبسطوا اليكم أيديهم) أي بأن يبطشوا بكم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للمسارة الى بيان رجوع ضرر البسط وغائته اليهم حلالتهم من أول الامر على الاعتداد بنعمة دفعه كما أن تقديم لكم في قوله عز وجل هو الذي خلق لكم ما في الارض للمبادرة الى بيان ككون المخلوق من منافعهم تعجلا للمسرعة (فكف أيديهم عنكم) عطف على هم وهو النعمة التي أريد تذكرة بها وذكرا لهم لللايدان بوقوعها عند مزيد الحاجة اليها والفاء للتعقيب المفيد لتمام النعمة وكالها واطهار أيديهم في موقع الاشارة لزيادة التقدير أي منع أيديهم أن تعد اليكم عقوب همهم بذلك لأنه كفها عنكم بعد ما مدتوها اليكم وفيه من الدلالة على كمال النعمة من حيث انها لم تكن مشوبة بضرر الخوف والانزعاج الذي قلما يعرى عنه الكف بعد المدة ما لا يخفى مكانه وذلك ما روى أن المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعشقان في غزوة ذي آمار وهي غزوة ذات الرقاع وهي السابعة من مغاربه عليه الصلاة والسلام قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندم المشركون ألا كانوا قد أكبوا عليهم فقتلوا ان لهم بعدها صلاة هي أحب اليهم من آياتهم وأبنائهم يعنون صلاة العصر وهموا أن يوقعوا بهم اذا قاموا اليها فردد الله تعالى كيدهم بأن أنزل صلاة الخوف وقيل هو ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله تعالى عنهم يستقرضهم لدية مسلمين قتلهم معا عمرو بن أمية الضمري خطأ يحسبهم ما مشركين فقتلوا نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونعطيك ما سألت فأجاسوه في صفة وهموا بالقتل به وعمد عمرو بن جحاش الى رجا عظيمة بطرحها عليه فأمر بك الله تعالى يده ونزل جبريل عليه السلام فأخبره فخرج عليه الصلاة والسلام وقيل هو ما روى أنه عليه الصلاة والسلام نزل منزلا وتفرق أصحابه في الأعضاء يستظلون بها فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه بشجرة فجاء اعرابي فأخذه وسله فقال من يمنعك مني فقال صلى الله عليه وسلم الله تعالى فأسقطه جبريل عليه السلام من يده فأخذه الرسول عليه الصلاة والسلام فقال من يمنعك مني فقال لا أحد أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله (وانقوا الله) عطف على اذ كروا أي اتقوه في رعاية حقوق نعمته ولا تخلوا بشكرها أو في كل ما تأتون وما تذكرون قيد خل فيه ما ذكر دخول أوليا (وعلى الله) أي عليه تعالى خاصة دون غيره استقلاله واشتراكا (فليست كل المؤمنين) فانه يكفيهم في ايصال كل خير ودفع كل شر والجملة تذييل مقترن لما قبله وايشار صيغة أمر الغائب واستنادها الى المؤمنين لا يجاب التوكيل على مخاطبين بالطريق البرهاني وللايدان بأن ما وصفوا به عند الخطاب من وصف الايمان داع الى ما أمروا به من التوكل والتقوى وازع عن الاخلال بهما واطهار الاسم الجليل في موقع الاشارة لتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة التذييلية (واقعد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل) كلام مستأنف مشتق على ذكر بعض ما صدر عن بني اسرائيل من الخيانة ونقض الميثاق وما أدى اليه ذلك من التبعات مسوق لتقرير المؤمنين على ذكر نعمة الله تعالى ومراعاة حق الميثاق الذي واثقهم به وتحذيرهم من نقضه أو لتقرير ما ذكر من الهم بالبطش وتحقيقه على تقدير كون ذلك من بني قريظة حسبا من الرواية ببيان أن الغدر والخيانة عادة لهم قديمة توارثوها من أسلافهم واطهار الاسم الجليل لتزينة المهابة وتفضيل الميثاق وتهويل الخطب في تنفضه مع ما فيه من رعاية حق الاستئناف المستدعي للانقطاع عما قبله والالتفات في قوله تعالى (وبعنا منهم اثني عشر نجيبا) للجرى على سنن

الكبرياء أولان البعث كان بواسطة موسى عليه السلام كما سيأتي وتقديم الجبار والمجرور على المفعول
 الصريح لما مر من إرادته من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر والنقيب ضيل بمعنى فاعل مشتق من النقب
 وهو التفتيش ومنه قوله تعالى فنقبوا في البلاد سمي بذلك لتفتيشه عن أحوال القوم وأسرارهم قال الزبيح
 وأصله من النقب وهو النقب الواسع روى أن بني إسرائيل لما استقرت وأبصر بعد مهلك فرعون أمرهم الله
 عز وجل بالسيرة إلى أريحا وأرض الشام وكان يسكنها الجبارة الكنعانيون وقال لهم اني كنتما لكم دارا
 وقرارا فآخروا إليها وجاهدوا من فيها واني ناسركم وأمر موسى عليه السلام أن يأخذ من كل سبط نقيبا
 أمينا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما أمروا به وثقة عليهم فاختر النقباء وأخذ الميثاق على بني إسرائيل
 وكفل اليهم النقباء وسار بهم فلما دنوا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون فرأوا أجراء عظيمة وقوة
 وشوكه فيها واورجعو واحدوا قومههم بما رأوا وقد ساء لهم موسى عن ذلك فتكنوا الميثاق الا كالب بن يوفنا
 نقيب سبط يهوذا ويوشع بن نون نقيب سبط افرايم بن يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام قيل لما توجه
 النقباء إلى أرضهم للتجسس لقيهم عوج بن عنق وكان طوله ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاثين ذراعا وقد عاش
 ثلاثة آلاف سنة وكان على رأسه حزمة حطب فأخذهم وجعلهم في الحزمة وأطلق بهم إلى امرأته وقال
 انظري إلى هؤلاء الذين يزعمون أنهم يريدون قتالنا فطرحهم بين يديها وقال ألا أظعنهم برجلي فقاتل لابل خل
 عنهم حتى يخبروا قومه بما رأوا ففعل فجعلوا يعترفون بأحوالهم وكان لا يحمل عنقود عندهم إلا خمسة رجال
 أو أربعة فلما خرج النقباء قال بعضهم لبعض ان أخبرتم بني إسرائيل بخبر القوم ارتدوا عن بني الله ولكن
 اكتموا إلا عن موسى وهرون عليهم ما السلام فيكونان هما يريان رأيهم فما أخذ بعضهم على بعض الميثاق ثم
 انصرفوا إلى موسى عليه السلام وكان معهم حبة من عندهم وقر رجل فتكنوا عهدهم وجعل كل منهم سبطه
 عن قتالهم ويخبرهم بما رأى الا كالب ويوشع وكان معسكر موسى فرسخا في فرسخ فجاء عوج حتى نظر اليهم
 ثم رجع إلى الجبل فتور منه صخرة عظيمة على قدر المسكر ثم جعلها على رأسه ليطبقها عليهم فبعث الله تعالى
 الهدم فتور من الصخرة وسطها المحاذي لرأسه فالتقت فوقه في عنق عوج وطوقته فصرعته وأقبل موسى
 عليه السلام وطوله عشرة أذرع وكذا طول العصاة التي في السماء عشرة أذرع فما أصاب العصا الا كعبه
 وهو مصروع فقتله قالوا فاقبلت جماعة معهم الخناجر حتى حزوا رأسه (وقال الله) أي لبني إسرائيل فقط أذ
 هم المحتاجون إلى ما ذكر من الترغيب والترهيب كما ينبغي عنه الالتفات مع ما فيه من تربية المهابة وتأكيده
 ما يتفهمه الكلام من الوعد (إني معكم) أي بالعلم والقدرة والنصرة لا بالنصرة فقط فان تنههم على علم
 تعالى بكل ما يأتون وما يذرون وعلى كونهم تحت قدرته وملكوته مما يحملهم على الجد في الامثال بما أمروا
 به والالتزام بما نهوا عنه كأنه قيل اني معكم أجمع كلامكم وأرى أعمالكم وأعلم ضمائمكم فأجازيكم بذلك هذا
 وقد قيل المراد بالميثاق هو الميثاق بالآيمان والتوحيد وبالنقباء ملوك بني إسرائيل الذين يتقربون بأحوالهم
 ويلعن أمورهم بالامر والنهي واقامة العدل وهو الانسب بقوله تعالى (لئن أقم الصلاة وآتيتم الزكاة
 وأمنتم برسلي) أي بجميعهم واللام موطئة للقسم المحذوف وتأخير الآيمان عن إقامة الصلاة وآيتاء الزكاة
 مع كونهما من الفروع المترتبة عليه لما أنهم كانوا معترفين بوجودهم مع ارتكابهم لتكذيب بعض الرسل
 عليهم السلام ولمراعاة المقارنة بينه وبين قوله تعالى (وعزروهم) أي نصرتموهم وقويتموهم وأصله الذب
 وقيل التعظيم والتوقير والثناء بخير وقرئ وعزروهم بالتخفيف (وأفرضتم الله) بالانفاق في سبيل الخير
 أو بالتصدق بالصدقات المندوبة وقوله تعالى (فرضا حسنا) اما مصدر مؤكد وادعى غير صيغة المصدر
 كما في قوله تعالى فتقبلها ربه يقبل حسن وأنتهايا نأحسنا أو مفعول ثان لا فرضتم على أنه اسم للمال
 المقرض وقوله تعالى (لا كفرن عنكم سيئاتكم) جواب للقسم المدلول عليه باللام سادسة جواب الشرط
 (ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار) عطف على ما قبله داخل معه في حكم الجواب متأخر عنه
 في الحصول أيضا ضرورة تقدم التخلية على التحلية (فن كفر) أي برسلي أو بشي مما عتد في حيز الشرط والفاء
 لترتيب بيان حكم من كفر على بيان حكم من آمن تقوية للترغيب والترهيب (بعد ذلك) الشرط المؤكد المعلق به
 الوعد العظيم الموجب للإيمان قطعاً (منكم) متعلق بمفعول وقع حالاً من فاعل كفر ولعل تغيير السبك

حيث لم يقل وان كفرتم عطف على الشرطية السابقة لاخراج كفر الكل عن غير الاحتمال واسقاط من كفر عن
 رتبة الخطاب وليس المراد احداث الكفر بعد الايمان بل مايم الاستمرار عليه أيضا كانه قيل في انصف
 بالكفر بعد ذلك خلا أنه قصد ما يراد ما يدل على الحدوث بيان ترقبهم في مراتب الكفر فان الانصاف بشي بعد
 ورود ما يوجب الاقلاخ عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث (فقد
 ضل سواء السبيل) أي وسط الطريق الواضح ضلالا يئنا وأخطأ خطأ فاحشا لا عذر معه أصلا بخلاف من
 كفر قبل ذلك اذ ربما يمكن أن يكون له شبهة ويوهم له معذرة (فما نقضهم ميثاقهم) الباء مبيية وما
 مزيدة لتأكد الكلام وتكينه في النفس أي بسبب نقضهم ميثاقهم المؤكد لا بشي آخر استعلا لا أو
 انضماما (اعناهم) طردناهم وأبعدناهم من رحمتنا أو مسخناهم قردة وخنازير أو دللناهم بضرب الجزية
 عليهم وتخصيص البيان بما ذكر مع أن حقه أن يبين بعد بيان تحقق نفس اللعن والنقض بأن يقال مثلا نقضوا
 ميثاقهم فاعناهم ضرورة تقدم هيئة الشئ البسيطة على هيئة المركبة لا يذان بأن تحققهما أمر جلي غني
 عن البيان وانما المحتاج الى ذلك ما بينهما من السبيية والمسيية (وجعلنا قلوبهم قاسية) بحيث لا تتأثر
 من الآيات والنذر وقيل أملينا لهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست أو خذلناهم ومنعناهم اللطاف حتى
 صارت كذلك وقرئ قسية وهي اما مبالغة قاسية واما بمعنى رديئة من قولهم درهم قسي أي رديء اذا
 كان مغشوشا ليس وخشونة وقرئ بكسر القاف اتباعا لها بالسين (يحرفون الكلام عن مواضعه) استئناف
 لبيان مرتبة قساوة قلوبهم فانه لا مرتبة أعظم مما يصح الاجترار على تغيير كلام الله عز وجل والافتراء عليه
 وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقيل حال من مفعول لعناهم (ونسوا حظا) أي تركوا
 نصيبا واغفرا (مما ذكرناه) من التوراة أو من اتباع محمد عليه الصلاة والسلام وقيل حرفوا التوراة وزلت
 أشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قد ينسب المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية
 (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) أي خيانة على أنها مصدر كلاغية وكاذبة أو فعله خائنة أي ذات خيانة
 او طائفة خائنة أو شخص خائنة على أن التاء للمبالغة أو نفس خائنة ومنهم من قال يمحذوف وقع صفة لها خلا أن
 من على الوجهين الاولين ابتدائية أي على خيانة أو على فعله خائنة كائنة منهم صادرة عنهم وعلى الوجوه
 الباقية تبعيضية والمعنى أن العذر والخيانة عادة مستمرة لهم ولا سلافهم بحيث لا يكادون يتركونها أو يكتفونها
 فلا تزال ترى ذلك منهم (الا قليلا منهم) استثناء من التعمير المحرور في منهم على الوجوه كلها وقيل من خائنة على
 الوجوه الثلاثة الاخيرة والمراد بهم الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام وأضرابه وقيل من خائنة على الوجه
 الثاني فالمراد بالقليل الضلع القليل ومن ابتدائية كما مر أي الا فعلا قليلا كائنا منهم (فأعف عنهم واصلح)
 أي ان تابوا وآمنوا أو عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف (إن الله يحب المحسنين)
 تعليل للامر وحث على الامتنال به وتنبيه على أن العفو على الاطلاق من باب الاحسان (ومن الذين قالوا
 انا نصارى أخذنا ميثاقهم) بيان لقبائع النصارى وجنباياتهم اثريان قبائع اليهود وخياناتهم ومن متعلقة
 بأخذنا اذ التسديد وأخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم وتديم الجوار والنجور وللدهتمام به ولأن ذكر
 حال احدي الطائفتين مما يقع في ذهن السامع أن حال الاخرى ماذا فكانه قيل ومن الطائفة الاخرى أيضا
 أخذنا ميثاقهم وقيل هي متعلقة بمحذوف وقع خبر المبتدأ محذوف قامت صفته أو صلته مقامه أي ومنهم قوم
 أخذنا ميثاقهم أو من أخذنا ميثاقهم وضعير ميثاقهم راجع الى الموصوف المقدر أو ما في الوجه الاول فراجع
 الى الموصول وقيل راجع الى بني اسرائيل أي أخذنا من هؤلاء ميثاق أو ائلك أي مثل ميثاقهم من الايمان
 بالله والرسول وبما يفرع على ذلك من أفعال الخير وانما نسب تسميتهم نصارى الى أنفسهم دون أن يقال ومن
 النصارى ايذانا بأنهم في قواهم نحن أنصار الله بمعزل من الصدق وانما هو تقول محض منهم وليسوا من نصرة الله
 تعالى في شئ أو اظهار الكمال بسوء صنيعهم ببيان التناقض بين أقوالهم وأفعالهم فان ادعاهم لنصرته تعالى
 يستدعي ثباتهم على طاعته تعالى ومراعاة ميثاقه (فتسوا) عقيب أخذ الميثاق من غير تلعم (حظا) واغفرا
 (مما ذكرناه) في تضاعيف الميثاق من الايمان بالله تعالى وغير ذلك حسبما مر آنفا وقيل هو ما كتب عليهم
 في الانجيل من أن يؤمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام فتركوه ونبدوه وراى ظهورهم واتبعوا أهواءهم

فأختاروا وتفرقوا فسطور ية ومعقوبة وملكانية أعضاء الشيطان (فأخبرنا) أي أن الربا والمضيق من
غري بالشئ إذا زسه ولصقيه وأغراه غيره ومنه القراء وقوله تعالى (فيهم) أما طرف لا غريشاً ومعلق
بمذوف وقع حالاً من مفعوله أي أغرينا (العداوة والبغضاء) كائنة بينهم ولا سبيل إلى جعله ظرفاً للمجاز
لأن المصدر لا يعمل فيما قبله وقوله تعالى (إلى يوم القيامة) أما غاية للأغراء أو للعداوة والبغضاء أي
يتعادون ويتباغضون إلى يوم القيامة حسماً مقتضيه أهواؤهم المختلفة وآراؤهم الزائفة المؤدية إلى التفرق
إلى الفرق الثلاث فتصير بينهم لهم خاصة وقيل لهم ولليهود أي أغرينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى
(وسوف ينتههم الله بما كانوا يصنعون) وعيد شديد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعد سأكبره
بما فعلت أي يجازيهم بما عملوه على الاستمرار من نقض الميثاق ونسيان الخط الوافر بما ذكرناه وسوف
لنا كيد الوعيد والاتفات إلى ذكر الاسم الجليل لثريته المهابة وادخال الروعة لتشديد الوعيد والتعجب
عن العمل بالصنع للإيدان برسوخهم في ذلك وعن البازاة بالتنبيه على أنهم لا يعلمون حقيقة ما يعملونه
من الأعمال السيئة واستيعابها للعذاب فيكون ترتيب العذاب عليها في أفادة العلم بحقيقة حالها بمنزلة الأخبار
بها (يا أهل الكتاب) التفات إلى خطاب الفريقين على أن الكتاب جنس شامل للتوراة والانجيل
أثريان أحواهما من الخيانة وغيرهما من فنون القبايح ودعوة لهم إلى الإيمان برسول الله صلى الله عليه
وسلم والقرآن وإيرادهم بعنوان أهلية الكتاب لانتواء الكلام المصدريه على ما يتعلق بالكتاب وللمبالغة
في التشنيع فإن أهلية الكتاب من موجبات مراعاته والعمل بمقتضاه وبيان ما فيه من الأحكام وقد فعلوا
من الكتم والتخريف ما فعلوا وهم يعلمون (قد جاءكم رسولنا) الإضافة للتشريف والإيدان بوجوب اتباعه
وقوله تعالى (بين لكم) حال من رسولنا وإيثار الجملة الفعلية على غيرها للدلالة على تيجده البيان أي قد جاءكم
رسولنا حال كونه مبيناً لكم على التدريج حسماً مقتضيه المسألة (كثيراً مما كنتم تحقون من الكتاب)
أي التوراة والانجيل كبعضه عليه الصلاة والسلام وآية الرجم في التوراة وبشارة عيسى بأحد عليهما
السلام في الانجيل وتأخير كثيراً عن الجار والجور لما مر من إظهار العناية بالمقدم لما فيه من تفصيل
المسرة والتشويق إلى التوخر لأن ما حقه التقديم إذا أخر لا سيما مع الأشعار بكونه من منافع الخطاب
تبقى النفس مترقبة إلى وروده فيمكن عندها إذا ورد فضل تمكن ولأن في المؤخر ضرب تفصيل ربما يحل
تقديمه بتجاذب أطراف النظم الكريم فإن مما يتعلق بمذوف وقع صفة لكثيراً وما هو موصولة اسمية وما بعدهما
صائغاً والعائد إليهما بمحذوف ومن الكتاب متعلق بمحذوف هو حال من العائد المحذوف والجمع بين صفتي
الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم على الكتم والاختفاء أي بين لكم كثيراً من الذي تحقونه على
الاستمرار حال كونه من الكتاب الذي أنتم أهله والنسكون به (ويصفون عن كثير) أي ولا يظهرون كثيراً
مما تحقونه إذ لم تدع إليه داعية دينية صيانة لكم عن زيادة الاقتضاح كما يفسح عنه التعبير عن عدم الإظهار
بالعفو وفيه حث لهم على عدم الاختفاء ترغيباً وترهيباً والجملة معطوفة على الجملة الحالية داخل في حكمها
وقيل يصفون عن كثير منكم ولا يؤاخذوه وقوله تعالى (قد جاءكم من الله نور) جملة مستأنفة مسوقة لبيان
أن فائدة مجيئ الرسول ليست منحصرة فيما ذكر من بيان ما كانوا يحقونه بل له منافع لا تحصى ومن الله متعلق
بجاء ومن لا يشدها الفاية مجازاً أو بمحذوف وقع حالاً من نوراً ما كان فهو تصريح بما يشعر به إضافة
الرسول من مجيئه من جنبه عز وجل وتقديم الجار والجور على الفاعل للمساواة إلى بيان يكون
المجيء من جهته العالية والتشويق إلى الجلاء ولأن فيه نوع تطويل يحل تقديمه بتجارب أطراف النظم
الكريم كما في قوله تعالى وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وثنين نور للتفخيم والمراعاة
وبقوله تعالى (وكتاب مبين) القرآن لما فيه من كشف ظلمات الشرك والشك وإبانة ما خفي على
الناس من الحق والابحار البين والعطف لتزيل المغيرة بالعنوان منزلة المغيرة بالذات وقيل المراد بالاول
هو الرسول عليه الصلاة والسلام وبالنسبة للقرآن (مديني به الله) فوجد الضمير الجور ولا تعاد المراجع
بالذات أو لكونهما في حكم الواحد أو أريد مديني بما ذكر وتقديم الجار والجور للاهتمام وإظهار الجملة
لأنها ركاز الاعتناء بأمر الهداية ومحل الجملة الرفع على أنها مفعلة ثانية لكتاب أو للنصب على الحالية

عنه لنفسه بالعرفة (من اتبع رضوانه) أي رضاه بالإيمان به ومن موصولة أو موصوفة (سبيل السلام)
 أي طرق السلامة من العذاب والنصاة من العقاب أو سبيل الله تعالى وهي شريعته التي شرعها للناس قبل
 هو مفعول ثان ليهدي والحق أن اتصافه بنزع الخلاف على طريقة قوله تعالى واختار موسى قومه وانما
 يعقدي إلى الثاني بالي أو باللام كما في قوله تعالى أن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم (ويخرجهم) الضمير لمن
 والجمع باعتبار المعنى كما أن الأفراد في اتبع باعتبار اللفظ (من الظلمات) أي ظلمات قنون الكفر والضلال
 (إلى النور) إلى الإيمان (بأذنه) بتيسيره أو بإرادته (ويهديهم إلى صراط مستقيم) هو أقرب الطرق إلى الله
 تعالى ومؤداه إلى السلامة وهذه الهداية عين الهداية إلى سبيل السلام وانما عطف عليها تنزيلا للتغاير الوصفي
 منزلة التغاير الذاتي كما في قوله تعالى ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجينا هم من
 عذاب غلظ (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) أي لا غير كما يقال الكرم هو التسقوى وهم
 المعقوبة القائلون بأنه تعالى قد يصل في بدن إنسان معين أو في روحه وقيل لم يصرح به أحد منهم لكن حيث
 اعتقدوا اتصافه بصفات الله الخاصة وقد اعترفوا بأن الله تعالى موجود فلزمهم القول بأنه المسيح لا غير
 وقيل لما زعموا أن فيه لا هو تافوا لاله الا واحد لزمهم أن يكون هو المسيح فنسب إليهم لازم قولهم توضيحا
 بلهولهم وتفضيضا لمعتقدهم (قل) أي تبكيئنا لهم واطهار البطلان قولهم القاسد والقاسم لهم الحجر والقاء في قوله
 تعالى (فمن يملك من الله شيئا) فصحة ومن استهها مية لانكار والتوبيخ والملك الضبط والحفظ التام عن
 حزم ومن متعلقة به على حذف المضاف أي ان كان الامر كما تزعمون فمن يمنع من قدرته تعالى وإرادته شيئا
 وحقيقته فمن يستطيع أن يملك شيئا منها (ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الارض جميعا)
 ومن حق من يكون الها أن لا يتعلق به ولا بشأن من شأنه بل بشئ من الموجودات قدرة غيره بوجه من الوجوه
 فضلا من أن يعجز عن دفع شئ منها عند تعلقها به لانه فلما كان عجزه ينال ارباب قيسه ظهر كونه يعجز عما تقولوا
 في حقهم والمراد بالاهلاك الامانة والاعدام مطلقا لا بطريق السخط والغضب واطهار المسيح على الوجه الذي
 نسبوا اليه الألوهية في مقام الانحمار لزيادة التقرير والتنصيص على أنه من تلك الحينية بعينها داخل تحت
 قهره وملكوته تعالى وفي المالكية المذكورة بالاستهها م الانكارى عن كل أحد مع تحقق الالزام
 والتبكيئ بنفيها عن المسيح فقط بأن يقال فهل يملك شيئا من الله ان أراد الخ التحقيق الحق بنقي الألوهية عن كل
 ما عداه سبحانه واثبات المطالب في ضمنه بالطريق البرهاني فان انتفاء المالكية المستلزم لاستحالة الألوهية
 متى ظهر بالنسبة إلى الكل ظاهر بالنسبة إلى المسيح على أبلغ وجهه وآكده فيظهر استحالة الألوهية قطعا
 وتعميم إرادة الاهلاك للكل مع حصول ما ذكر من التحقيق بقصرها عليه بأن يقال فمن يملك من الله شيئا ان
 أراد أن يهلك المسيح لنهويل الخطب واطهار كمال العجز ببيان أن الهكل تحت قهره تعالى وملكوته لا يقدر أحد
 على دفع ما أراده فضلا عن دفع ما أراده غيره وللاذيان بأن المسيح اسوة لساائر المخلوقات في كونه عرضة
 للهلك كما أنه اسوة لها فيما ذكر من العجز وعدم استحقاق الألوهية وتخصيص أمته بالذكرم مع اندراجها في ضمن
 من في الارض لزيادة تأكيد عجز المسيح ولعل تظلمها في سلك من فرض إرادة اهلاكهم مع تحقق هلاكها قبل
 ذلك لتأكيد التبكيئ وزيادة تقرير مضمون الكلام يجعل حالها غور ذجال حال بقية من فرض اهلاكه كأنه
 قيل قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح وأمه ومن في الارض وقد أهلك أمته فهل مانعه أحد
 فكذلك حال من عداها من الموجودين وقوله تعالى (ولله ملك السموات والارض وما بينهما) أي ما بين قطري
 العالم الجسماني لا بين وجه الارض ومقر فللك القمر فقط فيتناول ما في السموات من الملائكة عليهم السلام
 وما في أعماق الارض والبحار من المخلوقات تنصيص على كون الكل تحت قهره تعالى وملكوته اثر الإشارة
 إلى كون البعض أي من في الارض كذلك أي له تعالى وحده ملك جميع الموجودات والتصرف المطلق فيها
 إيجادا واعداما واهياء وامانة لا لاجد سواء استقلا لا ولا اشتراكا فهو تحقيق لاختصاص الألوهية به تعالى
 انما بيان انتفاءه عن كل ما سواه وقوله تعالى (يخلق ما يشاء) بجملة مستأنفة مسوقة لبيان بعض أحكام الملك
 والألوهية على وجه من صحت ما اعتراه من النسبة في أمم المسيح لولادته من غير أب وخلق الطير والبهائم والوحوش
 والارواح الاكبر والارض أي يخلق ما يشاء من أوجاع الخلق والإيجاد على أن ما ذكره موصوفة بحالها المنصبة

من المصدريه لا على المفعولية ~~فكيف يمكن~~ خلق أى شئ من غير أصل كخلق السموات
 والارض وأخرى من أصل كخلق ما بينهما فينبئ من أصل ليس من جنسه كخلق آدم وكثير من الحيوانات
 ومن أصل يجانسه أمام ذكر وحده كخلق حواء وأتى وحدها كخلق عيسى عليه السلام أو منهما كخلق
 سائر الناس ويخلق بلا توسط شئ من المخلوقات كخلق عامة المخلوقات وقد يخلق بتوسط مخلوق آخر كخلق الطير
 على يد عيسى عليه السلام معجزة له وأحياء الموتى وإبراء الأكمه والارض وغير ذلك فيجب أن ينسب كله إليه
 تعالى لا إلى من أجرى ذلك على يده (والله على كل شئ قدير) اعتراض تذييل "مقرر لمضمون ما قبله وأظهر
 الاسم الجليل للتعظيم وتقوية استقلال الجمله (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه) حكاية
 لما صدر عن الفريقين من الدعوى الباطلة وبيان لبطلانها بعد ذكر ما صدر عن أحدهما وبيان بطلانها أى
 قالت اليهود نحن أشياع ابنه عزير وقالت النصارى نحن أشياع ابنه المسيح كما قيل لاشياع أبى خبيب وهو
 عبد الله بن الزبير الخبيسون وكما يقول أخاب الملوك عند المفاخرة نحن الملوك وقال ابن عباس رضى الله تعالى
 عنهم ما إن التبت عليه الصلاة والسلام دعا جماعة من اليهود إلى دين الاسلام وخوفهم بعقاب الله تعالى فقالوا
 كيف نخوفنا به ونحن أبناء الله وأحباؤه وقيل إن النصارى يتلون في الانجيل ان المسيح قال لهم انى ذاهب
 إلى أبى وأبيكم وقيل أرادوا أن الله تعالى كالأب لنا في الحق والعطف ونحن كالأبناء له في القرب والمثله وبالجمله
 انهم كانوا يدعون أن لهم فضلا ومزية عند الله تعالى على سائر الخلق فرد عليهم ذلك وقيل لرسول الله صلى الله
 عليه وسلم (قل) الزا ما لهم وتكينا (فلم يعذبكم بذنوبكم) أى ان صح ما زعمتم فإلى شئ يعذبكم
 في الدنيا بالقتل والامر والمسخ وقد اعترفتم بأنه تعالى سيعذبكم في الآخرة بالنار رأيا ما بعد أيام عبادتكم الجبل
 ولو كان الامر كما زعمتم لما صدر عنكم ما صدر ولما وقع عليكم ما وقع وقوله تعالى (بل أنتم بشر) عطف على
 مقدورين حسب عليه الكلام أى لستم كذلك بل أنتم بشر (من خلق) أى من جنس من خلقه الله تعالى
 من غير مزية لكم عليهم (يفضل من يشاء) أن يفرض له من أولئك المخلوقين وهم الذين آمنوا به تعالى
 وبرسله (ويعذب من يشاء) أن يعذبه منهم وهم الذين كفروا به وبرسله مثلكم (وقه ملك السموات
 والارض وما بينهما) من الموجودات لا يفتى إليه سبحانه شئ منها إلا بالملوكية والعبودية والمقهورية
 تحت ملكوته يتصرف فيهم كيف يشاء ايجادا واعداما احياء واماته وأماية وتعذيبا ذاتي لهم اذعاه
 ما زعموا (والله المصير) في الآخرة خاصة لا إلى غيره استقلالاً واشتراكاً فيجازى كلام من الحسن والمسيح بما
 يستدعيه عمله من غير صارف ينشيه ولا عاطف يلو به (يا أهل الكتاب) تكرير للخطاب بطريق الالتفات
 ولطف في الدعوة (قد جاءكم رسولنا بين لكم) حال من رسولنا وإشارته على مبينا لما مر فيما سبق أى بين
 لكم الشرائع والاحكام الدينية المقررة بالوعد والوعيد ومن جملتها ما بين في الآيات السابقة من بطلان
 أقاويلكم الشنعاء ومسايق من أخبار الأمم السالفة وانما حذف تعويلا على ظهور أن مجي الرسول اغا هو
 لبيانها أو يفعله لكم البيان ويذهلكم في كل ما تخشعون فيه إلى البيان من أمور الدين وأما تقدير مثل ما
 سبق في قوله تعالى كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كما قيل فغ كونه تكريرا من غير فائدة برده قوله عز وجل
 (على فترة من الرسل) فان فتور الارسل وانقطاع الوحي انما يرجع إلى بيان الشرائع والاحكام لا إلى بيان
 ما كنتموه وعلى فترة متعلق بجاءكم على الظرفية كما في قوله تعالى واتبعوا ما تلو الشياطين على ملك سليمان أى
 جاءكم على حين فتور من الارسل وانقطاع من الوحي ومن يدا حجاج إلى بيان الشرائع والاحكام الدينية أو
 محذوف وقع سالما من ضمير يبين أو من ضمير لكم أى يبين لكم ما ذكر حال كونه على فترة من الرسل أو سال
 كونكم عليها أو حوج ما كنتم إلى البيان ومن الرسل متعلق بمحذوف وقع صفة لفترة أى كاتمة من الرسل
 مبتدأة من جهتهم وقوله تعالى (أن تقولوا) تعليل لمجي الرسول بالبيان على حذف المضاف إلى كراهة أن
 تقولوا معتذرين عن كفر بطركم في مراعاة أحكام الدين (ما جاءنا من بشير ولا نذير) وهذا قوله تعالى
 الشرائع السابقة وانقطعت أخبارها وزيادة من في الفاعل للمبالغة في نفي الجوى وتكرير ضمير وتذكير للتقليل
 وهذا كما ترى يقتضى أن المقدر أو المنوى فيما سبق هو الشرائع والاحكام لا كذا كما كتبت بل شفوفا
 عما ذكر من الوعد والوعيد وقوله تعالى (فقد جاءكم بشير ونذير) متعلق بمحذوف أى عنبه الفاء الضميمة

وتبين أنه معال به وتبين بشير ونذير للتقويم أي لا تعتدروا بذلك فقد جاءكم بشير أي بشير ونذير أي نذير
(والله على كل شيء قدير) فيقدر على الارسل تترى كما فعله بين موسى وعيسى عليهما السلام حيث كان بينهما
ألف وسبعمائة سنة وألف نبي وعلى الارسل بعد الفترة كما فعله بين عيسى ومحمد عليهما السلام حيث كان بينهما
سبعمائة سنة أو سبعمائة وتسع وستون سنة أو سبعمائة وست وأربعون سنة وأربعة أنبياء على ما روى الكلبي
ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وقيل لم يكن بعد عيسى عليه السلام الا رسول
الله عليه السلام وهو الانسب بما في تنوين فترة من التقسيم الا لا في مقام الامتنان عليهم بأن الرسول قد بعث
اليهم عند كمال حاجتهم اليه بسبب مضي دهر طويل بعد انقطاع الوحي اليهشوا اليه ويعتدروا أعظم نعمة من الله
تعالى وفتح باب الى الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بأنه لم يرسل اليهم من بينهم من غفلتم (واذ قال موسى
لقومه) جعله مستأنفة مسوقة لبيان ما فعلت بنو اسرائيل بعد أخذ الميثاق منهم وتفصيل كيفية نقضهم له
وتعلقه بما قبله من حيث ان ما ذكر فيه من الامور التي وصف النبي عليه السلام ببيانها ومن حيث أشقاه على
انتفاء فترة الرسل فيما بينهم واذا نصب على أنه مفعول لفعل مقدّر خوطب به النبي عليه الصلاة والسلام بطريق
تأويل الخطاب وصرفه عن أهل الكتاب ليعتد عليهم ما صدر عن بعضهم من الحنانيات أي واذا كره لهم وقت قول
موسى لقومه ناصحهم ومسيئهم باضافتهم اليه (يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم) وتوجيه الامر
بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصودة بالذات للمبالغة في الإيجاب ذكرها لما أن
إيجاب ذكر الوقت إيجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولأن الوقت مشغل على ما وقع فيه تفصيلا فاذا
استحضركم كان ما وقع فيه حاضرا بتفاصيله كأنه مشاهد عيانا وعليكم متعلق بنفس النعمة لذا جعلت
مصدرا ويعتدوف وقع حالها اذا جعلت اسماء أي اذكروا انعامه عليكم أو اذكروا نعمته كاتبة عليكم وكذا
اذ في قوله تعالى (اذ جعل فيكم انبياء) أي اذكروا انعامه تعالى عليكم في وقت جعله أو اذكروا نعمته تعالى
كاتبة عليكم في وقت جعله فيما ينسبكم من اقربايتكم انبياء ذوي عدد كثير وأولى شأن خطير حيث لم يبعث من أمة
من الامم ما بعث من بني اسرائيل من الانبياء (وجعلكم ملوكا) عطف على جعل فيكم داخل في حكمه أي جعل
فيكم أو منكم ملوكا كثيرة فانه قد تكاثرت فيهم الملوك تكاثرا لانبياء وانما حذف الطرف تعويلا على ظهور
الامر أو جعل الكل في مقام الامتنان عليهم ملوكا لما أن آثار الملوك يقولون عند المفاخرة ضمن الملوك
وانما لم يسل ذلك المسلك فيما قبله لما أن منصب النبوة من عظم الخطر وعززة المطلب وصعوبة المنال ليس بحيث
يليق أن ينسب اليه ولو مجازا من ليس عن اصطفاء الله تعالى له وقيل كانوا ملوكا في أيدي القبط فأنقذهم الله
تعالى فسمى انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ما جاز وقيل من له بيت وخدم وقيل من له مال
لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق (وأتاكم مالم يوت أحد من العالمين) من فلق البحر واغراق
العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسوى وغير ذلك مما آتاهم الله تعالى من الامور العظام والمراد بالعالمين
الامم الخالية الى زمانهم وقيل من عالمي زمانهم (يا قوم ادخلوا الارض المقدسة) كرر النداء بالاضافة للتشريفية
اهتماما ببيان الامر ومبالغة في حثهم على الامتثال به والارض هي ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها
كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل هي الطور وما حوله وقيل دمشق وقلسطين وبعض الاردن وقيل
هي الشام (التي كتب الله لكم) أي كتب في اللوح المحفوظ أنها تكون مسكا لكم ان آمنتم وأطعتم لقوله
تعالى لهم بعد ما عصوا فانهم محرمون عليهم وقوله تعالى (ولا ترمذوا على أديباركم فتقلبوا خاطرين) فان ترتيب
الخيبة والخسران على الارتداد يدل على اشتراط الرجوع بالجهادة المقررة على الايمان والطلاعة قطعها
أي لا ترجعوا ومدبرين خوفا من الجبارة فالجبار والمجرور متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ترتدوا ويجوز أن
يتعلق بنفس الفعل قبل الما معوا أحول لهم من النقباء يكووا وقالوا يا ليتنا ممنا بمصر تعالوا لنجعل لنا راسا نصرف
بنا الى مصر أو لا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوفاء بالله تعالى وقوله فتقلبوا اما مجزوم عطفا على
ترتدوا أو منصوب على جواب النهي والخسران خسران الدين والدنيا لا سيما دخول ما كتب لهم (قالوا)
استئناف مبنى على سؤال نشأ من مساق الكلام كانه قيل فلماذا قالوا بما لا يثبت له عليه السلام ونفيه فقيل قالوا
غير محتملين بذلك (يا موسى ان فيها قوم مجبارين) متغلبين لا يتأق منازعتهم ولا يتسنى مناصبتهم والجبار العاق

الذي يجبر الناس و يقصرهم كائنات من كان على ما يريد كائنات ما كان فعال من جبره على الامر أى أجبره عليه
(وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها) من غير صنع من قبلنا فإنه لا طاقة لنا بأخراجهم منها (فان يخرجوا منها)
بسبب من الاسباب التي لا تعلق لنا بها (فاناد انلون) حينئذ أتوا بهذه الشرطية مع ~~ممكنون~~ مضمونها
مفهومها مما سبق من توقيت عدم الدخول بخروجهم منها نصير بحال المقصود وتنصيصا على أن امتناعهم من
دخولها ليس الامكانهم فيها أو توافي الجزاء بالجملة الاسمى المصدرة بحرف التحقيق دلالة على تقز الدخول
وشأنه عند تحقق الشرط لا محالة تراها الكمال الرغبة فيه وفي الامثال بالامر (قال رجلان) استئناف
كما سبق كانه قيل هل اتفقوا على ذلك أو خالفهم البعض فقيل قال رجلان (من الذين يخافون) أى يخافون
الله تعالى دون الصدق ويتقونه في مخالفة أمره ونهيه وبه قرأ ابن مسعود وفيه تعريض بأن من عداهما
لا يخافونه تعالى بل يخافون الصدق وقيل من الذين يخافون العدو أى منهم في التنب لافى الخوف وهما يوشع
ابن نون وكالب بن يوقنا من النقباء وقيل هما رجلان من الجبابرة أسلا وصارا الى موسى عليه السلام فالواو
حينئذ لبى اسرائيل والموصول عبارة عن الجبابرة واليهم يعود العائد المحذوف أى من الذين يخافهم
بنو اسرائيل وبعضه قراءة من قرأ يخافون على صيغة المبنى للمفعول أى الخوفين وعلى الاول يكون هذا
من الاشافة أى من الذين يخافون من الله تعالى بالتذكير أو يخوفهم الوعد (انتم الله عليهما) أى بالتثنية
وربط الجائش والوقوف على شؤنه تعالى والثقة بوعده أو بالايان وهو صفة ثانية لرجلان أو اعتراض وقيل
حال من الضمير في يخافون أو من رجلان لتخصه بالصفة أى فالأخطاين لهم ومثبهين (ادخلوا عليهم الباب)
أى باب بلدهم وتقديم الجارة والجرور عليه للاهتمام به لان المقصود انما هو دخول الباب وهم في بلدهم
أى باعته وهم وضاعتهم في المضيق وامنعوهم من البروز الى الصحراء لئلا يجردوا للعرب مجالا (فاذا دخلوه)
أى باب بلدهم وهم فيه (فانهم غالبون) من غير حاجة الى القتال فانا قدرناهم وشاهدنا أن قلوبهم
ضعيفة وان كانت أجسادهم عظيمة فلا تخشوهم واهجموهم عليهم في المضائق فانهم لا يقدرون فيها على الكثر
والقتر وقيل انما حكم بالغبية لما علمها من جهة موسى عليه السلام ومن قوله تعالى كتب الله لكم أولنا علما
من سنته تعالى في نصرته رسوله وما عهدا من منعه تعالى لموسى عليه السلام من قهر أعدائه والاول أنسب
بتعلق الغلبة بالدخول (وعلى الله) تعالى خاصة (فتوكلوا) بعد ترتيب الاسباب ولا تعتمدوا عليها فانهم يعزل
من التأثير وانما التأثير من عند الله العزيز القدير (ان كنتم مؤمنين) أى مؤمنين به تعالى مصدقين
لوعده فان ذلك مما يوجب التوكل عليه حقا (قالوا) استئناف كما سبق أى قالوا غير مباينين بها وبمقالتهما
خطاين لموسى عليه السلام اظهار الاصرارهم على القول الاول ونصير بحال انهم له عليه السلام (ياموسى)
انال ندخلها) أى أرض الجبابرة فضلا عن دخول بابهم وهم في بلدهم (ابدا) أى دهر الطويلا (ماداموا
فيها) أى في أرضهم وهو يدل من أبد ابدل البعض أو عطف بيان (فاذهب) الفاء فصيحة أى فاذا كان
الامر كذلك فاذهب (أنت وربك فقاتلا) أى فقاتلاهما انما قالوا ذلك استهانة واستهزاء به سبحانه وبرسوله
وعدم مبالاة بهما وقصدوا ذهابهما حقيقة كما نبئ عنه غاية جهلهم وقسوة قلوبهم وقيل أرادوا ارادتهما
وقصد هما كما تقول كلمته فذهب يجيبني كأنهم قالوا فأريد اقتالهم واقصدهم وقيل التقدير فاذهب أنت وربك
يعينك ولا يساعده قوله تعالى فقاتلا ولم يذكر واهرون ولا الرجلين كأنهم لم يميزوا بذهابهم أولم يعباوا بقضالهم
وقوله تعالى (انا ههنا قاعدون) يؤيد الوجه الاول وأرادوا بذلك عدم التقدم لعدم التأخر (قال) عليه
السلام لما رأى منهم ما رأى من العناد على طريقة البت والحزن والشكوى الى الله تعالى مع رقة القلب التي
بمثالها تستجلب الرحمة وتستزل النصرة (رب انى لا أملك الانفسى وأنى) عطف على نفسى وقيل على النكير
فى انى على معنى انى لا أملك الانفسى وان أنى لا يملك الانفسى وقيل على النكير فى لا أدلك للفصل (فافرق بيننا)
يريد نفسه وأخاه والفاء لترتيب الفرق أو الدعاء به على ما قبله (وبين القوم الفاسقين) الخارجين عن طاعتك
المصريين على عصيانك بأن تصحك لنا بما نسحقه وعليهم بما يستحقونه وقيل بالتبعية ديننا وبينهم وتخلصنا من
صحبته (قال فانما) أى الارض المقدسة والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الدعاء (محزنة عليهم)
تحرير منع لا تعزيم تعبد لا يدخلونها ولا يملكونها لان كتابتها لهم كانت مشروطة بالايمان والجهاد وحيث

نكسوا على أديبارهم حرمو ذلك وانقلبوا خاسرين وقوله تعالى (أربعين سنة) ان جعل ظر فالحرمة يكون
 التحريم موقتا لا مؤبدا فلا يكون مخالفا لظاهر قوله تعالى كتب الله لكم فالمراد بتحريرهم عليه السلام أنه لا يدخلها
 أحد منهم في هذه المدة لكن لا يعني أن كلهم يدخلونها بعد هابل بعضهم ممن بقي حسبا روى أن موسى عليه السلام
 سار بين بني إسرائيل إلى أريحا وكان يوشع بن نون على مقدمته فتفتحها وأقام بها ما شاء الله تعالى ثم قبضه
 عليه السلام وقيل لم يدخلها أحد ممن قال ان ندخلها أبدا وانما دخلها مع موسى عليه السلام النواشي من
 ذرياتهم فالوقت بالاربعين في الحقيقة تحريرهم على ذرياتهم وانما جعل تحريرهم عليهم لما بينهما من العلاقة
 التامة المتأخاة للاقتصاد وقوله تعالى (يتيهون في الأرض) أي يتصبرون في البرية استئناف لبيان كنفية
 حرمانهم أحوال من ضمير عابهم وقيل الظرف متعلق بيتيهون فيكون التيه موقفا والتحريم مطلقا قيل كانوا
 ستمائة ألف مقاتل وكان طول البرية ثمانين فرسخا وقد تهاوا في ستة فراسخ أو تسعة فراسخ في ثلاثين فرسخا
 وقيل في ستة فراسخ في اثني عشر فرسخا روى أنهم كانوا كل يوم يسرون جادين حتى إذا أسوا إذا هم بحيث
 ارتحلوا وكمكان الطعام يظلمهم من حر الشمس ويطاع بالليل ٤٠ يوم من نور يضيء لهم وينزل عليهم المن والسوى
 ولا تطول شعورهم وإذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالتفري بطول بطوله وهذه الانعامات عليهم مع أنهم
 معاقبون لما أن عقابهم كان بطريق العزل والتأديب قيل كان موسى وهرون معهم ولما كان ذلك
 لهم ماروا وسلامة كالنصارى لآبراهيم وملائكة العذاب عليهم السلام وروى أن هرون مات في التيه ومات
 موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع أريحا بعد موته بثلاثة أشهر ولا يساعده ظاهرا النظم الكريم فانه تعالى
 بعد ما قبل دعوته على بني إسرائيل وعذبهم بالتيه بعيد أن يتجى بعض المدعو عليهم أو ذوارحهم ويقدر
 وفاتهم في محل العقوبة ظاهرا وان كان ذلك لهم ما منزل روح وراحة وقد قيل انهم لم يكونا معهم
 في التيه وهو الانسب بتفسير الفرق بالمباعدة ومن قال بأنهم كانوا معهم فيه فقد فسر الفرق بما ذكر
 من الحكم بما يستحقه كل فريق (فلا تأس) فلا تحزن (على القوم الفاسقين) روى أنه عليه
 السلام ندم على دعائه عليهم فقيل لا تندم ولا تحزن فانهم أحق بأن لا يلقاهم (واتل عليهم) عطف
 على مقدرته على قوله تعالى وإذا قال موسى الخ وتعلقه به من حيث انه تهديد لما سيأتي من جنائيات
 بني إسرائيل بعد ما كتب عليهم ما كتب وجاءتهم الرسل بما جاءت به من البينات (نبأ بني آدم) هما قاييل
 وهابيل ونقل عن الحسن والحسين أنهما رجلا من بني إسرائيل بقريته آخر القصة وليس كذلك اوحى الله
 عز وجل إلى آدم أن يزوج كلا منهما نوامة الآخر وكانت نوامة قاييل أبجل واسما اقلما ففسد عليها أخاه وسخط
 وزعم أن ذلك ليس من عنده تعالى بل من جهة آدم عليه السلام فقال له ما عليه السلام قريبا قاييل فأنكرا
 قبل تزويجها ففعلت ففعلت نار على قريان هابيل فأكته ولم تتعرض لقريان قاييل فازداد قاييل حسدا وسخطا
 وفعل ما فعل (بالحق) متعلق بمحذوف وقع صفة لمصدر محذوف أي تلاوة ملتبسة بالحق والصحة أو حال من
 فاعل اتل أو من مفعوله أي ملتبسا أنت أو نبأهما بالحق والصدق حسبا تنقرو في كتب الاولين (اذقربا قريانا)
 منصوب بالنبا فخر له أي اتل قصتهما ونبأهما في ذلك الوقت وقيل يدل منه على حذف المضاف أي اتل
 عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت ورد عليه بأن اذ لا يضاف إليها غير الزمان كوقته وحينئذ والقربان اسم لما يتقرب به
 إلى الله تعالى من نفسك أو صدقة كالحلوان اسم لما يجلي أي يعطي ويوحده لما أنه في الاصل مصدر وقيل تقديره
 اذقرب كل منهما قريانا (فتقبل من أحدهما) هو هابيل قيل كان هو صاحب زرع وقرب جلاهما ففعلت
 نارا فأكته (ولم يتقبل من الآخر) هو قاييل قيل كان هو صاحب زرع وقرب أردأ ما عنده من القمح فلم تتعرض له
 النار أصلا (قال) استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كأنه قيل لماذا قال من لم يتقبل قريانه فقيل
 قال لا خيه لتضاعف سخطه وحسده لما ظهر فضله عند الله عز وجل (لاقتلتك) أي واقه لاقتلتك بالتون
 المشددة وقرئ بالخففة (قال) استئناف كما قبله أي حال الذي تقبل قريانه لما رأى أن حسده لقبول قريانه
 وعدم قبول قريان نفسه (انما يتقبل الله) أي القريان (من المتقين) لامن غيرهم وانما تقبل قرياني ورد قرياني
 لما فينا من التقوى وعدمه أي انما أتيت من قبل نفسك لامن قبلي فلم تقتلني خلا لانه لم يصرح بذلك بل سلب
 مسلك التعريض حذرا من تهيج غضبه وجلاله على التقوى والاقتلاع عما نواه ولذلك استند القبول إلى الاسم

الجليل لتربية المهابة ثم صرح بتقواه على وجه يستدعي سكون غيظه لو كان له عقل وافر حيث قال بطريق التوكيد (لن بسطت الي يدك لتقتلني ما أنا يا بسط يدي اليك لاقتلك) حيث صدر الشرطية باللام الموطنة للقسم وقدم الجار والمجرور على المفعول الصريح ايذاً من أول الامر برجوع ضرر البسطة وغائلته اليه ولم يجعل جواب القسم الساذم سد جواب الشرط بجملة فعلية موافقة لما في الشرط بل اسمية مصدرية بما للجارية المقيدة لتأكيد النفي بما في خبرها من الباء للمبالغة في اظهار برائه عن بسط اليد ببيان استقراره على نفي البسطة كما في قوله تعالى وما هم بمؤمنين وقوله وما هم بمخارجين منها فان الجملة الاسمية الاليجائية كما تدل بعونة المقام على دوام الثبوت كذلك السلبية تدل بعونته على دوام الاتقاء لا على انتفاء الدوام وذلك باعتبار الدوام والاستقرار بعد اعتبار النفي لا قبله حتى يرد النفي على المقيد بالدوام فيرفع قيده أي والله لئن باشرت قتل حبيبا أو عدتي به وتحقق ذلك منك ما أنا بأفعل مثلك في وقت من الاوقات ثم علل ذلك بقوله (اني أخاف الله رب العالمين) وفيه من ارشاد قاييل الى خشية الله تعالى على أبلغ وجهه وآكده ما لا يخفى كانه قال اني أخافه تعالى ان بسطت يدي اليك لاقتلك أن يعاقبني وان كان ذلك مني لدفع عداوتك عنى فخانك بحالك وأنت البادئ العادي وفي وصفه تعالى بربوبية العالمين تأكيدياً للخوف قيل كان هاييل أقوى منه ولكن تخرج عن قتله واستسلم خوفاً من الله تعالى لان القتل للدفع لم يكن مباحاً حينئذ وقيل تخبرنا لما هو الافضل حسبما قال عليه السلام كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وبأباه التعديل بخوفه تعالى الآن يدعى أن ترك الأولى عنده بمنزلة المعصية في استتباع الغائلة مبالغة في التتره وقوله تعالى (اي اريد أن نبوء بائعي واثق) تعليل آخر لامتناعه عن المعارضة على أنه غرض متأخر عنه كما أن الأول باعث متقدم عليه وانما لم يعطف عليه تنبيهاً على كفاية كل منهما في العلية والمعنى اني اريد باستسلامي لك وامتناعي عن التعرض لك أن ترجع بائعي أي بمنزل اني لو بسطت يدي اليك وبأهلك بسطت يدي اليك كما في قوله عليه السلام المستبان ما قالوا فعلى البادئ ما لم يعتد الظلوم أي على البادئ عين اثم سبه ومثل سب صاحبه بحكم كونه سبباً له وقيل معنى بائعي اثم قتل ومعنى بأهلك اثم الذي لا جله لم يقبل قربانك وكل ما نصب على الحالبة اي ترجع ملتبساً بالاثمين حالاً له ما واعد مراده بالذات انما هو عدم ملاسته للاثم لا ملاسته أخيه له وقيل المراد بالاثم عقوبته ولا ريب في جواز ارادة عقوبة العاصي عن علم انه لا يرعوى عن المعصية أصلاً وبأباه وقوله تعالى (فتكون من أصحاب النار) فان كونه منهم انما يترتب على رجوعه بالاثمين لا على ابتلائه بعقوبتهم وحل العقوبة على نوع آخر يترتب عليها العقوبة النارية برده قوله تعالى (وذلك جزاء الظالمين) فانه صريح في أن كونه من أصحاب النار تمام العقوبة وكالها والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ولقد سلك في صرفه عما نواه من الشر كل مسلك من العظة والتذكير بالترغيب نارة والترهيب أخرى فما أورثه ذلك الا الاصرار على النفي والانهمال في الفساد (فطوعت له نفسه قتل أخيه) أي وسعته وسهله من طاع له المرتع اذا اتسع وترتب التطويع على ما حكى من مقالات هاييل مع تحقيقه قبلها أيضاً كما يفصح عنه قوله لاقتلك لما أن بقاء الفعل بعد ترويضه من الدواعي القوية وان كان استمراره عليه بحسب الظاهر لكنه في الحقيقة أمر حادث وصنع جديد كما في قولك وعظمت فلم يعظ أولاً لان هذه المرتبة من التطويع لم تكن حاصلة قبل ذلك بناء على تردده في قدرته على القتل لما أنه كان أقوى منه وانما حصلت بعد وقوعه على استسلام هاييل وعدم معارضته له والتصريح بأخوته لكمال تقييع ماسوئته نفسه وقرئ فطاوعت على أنه فاعل بمعنى فعل أو على أن قتل أخيه كانه دعا نفسه الى الاقدام عليه فطاوعت ولم تمنع وله زيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله (مقتله) قيل لم يدركاييل كيف يقتل هاييل فقتل ابليس وأخذ طائر ووضع رأسه على حجر ثم شذخها بحجر آخر فتعلم منه فرضع رأس هاييل بين حجرين وهو مستسلم لا يستعصى عليه وقيل اغتاله وهو نائم وكان هاييل يوم قتل عشرون سنة واختلف في موضع قتله فقيل عند غيبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم وقيل في جبل بود ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به تخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره أربعين يوماً وقيل سنة حتى أروح وعكفت عليه الطيور والسباع تنظر مني برمي به فتأكله (فأصبح من الناسرين) ديناودنيا (فبعث الله غراباً يبحث في الارض ليريه كيف يرارى سواة أخيه) روى أنه تعالى بعث غرابين فاقتلا فقتل أحدهما الآخر فخره بمنقاره ورجليه

حفرة فالتقاء فيها والمستكن في ربه لله تعالى وللغراب واللام على الاول متعلقة بعث حتما وعلى الثاني يبعث
ويجوز تعلقها ببعث أيضا وكيف حال من ضمير يوارى والجملة ثانی منعمولى يرى والمراد بسوأة أخيه جسده
الميت (قال) استئناف مبنى على سؤال نشأ من سوق الكلام كأنه قيل فإذ قال عند مشاهدته حال الغراب
فقيل قال (يا ويلتى) هي كلمة جزع وتحمسر والافتاد من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتى احضرى فهذا أو انك
والويل والويله الهلكة (أعجزت أن أكون) أى عن أن أكون (مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى)
تجيب من عدم اهتدائه الى ما اهتدى اليه الغراب وقوله تعالى فأوارى بالنصب عطف على أن أكون وقرئ
بالرفع أى فأنا وارى (فأصبح من النادمين) أى على قتله لما كابد فيه من التصرف فى أمره وحمله على رقبته مدة
طويلة روى أنه لما قتله اسود جسده وكان أبيض فسأله آدم عن أخيه فقال ما كنت عليه وكبلا قال بل قتله
ولذلك اسود جسده ومكث آدم بعده مائة سنة لا يضحك وقيل لما قتل قاييل هايل هرب الى عدن من أرض اليمن
فأتاه ايليس فقال له انما أكلت النار قربان هايل لانه كان يخدمها ويعبد ها فان عبدتها أيضا حصل مقصودك فبنى
بيت نار فعبدها وهو أول من عبد النار (من أجل ذلك) شروع فيما هو المقصود من تلاوة التبيان بيان بعض آخر
من جنایات بنى اسرائيل ومعاصيهم وذلك اشارة الى عظم شأن القتل واقرط قبحه المفهومين مما ذكر فى تضاعف
القصة من استعظام هايل له وكال اجتنابه عن مباشرته وان كان ذلك بطريق الدفع عن نفسه واستسلامه لأن
يقتل خوفا من عقابه وبيان استتباعه لتحمل القاتل لاثم المقتول ومن كون قاييل بمباشرة من جعله الخاسرين
ديتهم وديانهم ومن نداهته على فعله مع ما فيه من العتو وشدة الشكيمة وقساوة القلب والاجل فى الاصل مصدر
أجل شر اذا اجناه استعمال فى تعليل الجنایات كفاى قولهم من جرأ فعلته أى من أن جرأته وجنونه ثم اتسع فيه
واستعمل فى كل تعليل وقرئ من أجل يكسر الهـ مزة وهى لغة فيه وقرئ من أجل بحذف الهمزة والقاء
فتحتها على النون ومن لا بداء النجاسة متعلقة بقوله تعالى (كتبنا على بنى اسرائيل) وتقدمها عليه للقصر
أى من ذلك ابتداء المكاتب ومنه نشأ الامن شئ آخر أى قضينا عليهم وينا (انه من قتل نفسا) واحدة من
النفوس (بغير نفس) أى بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص (أو فساد فى الارض) أى فساد يوجب اهدار
دمها وهو عطف على ما اضيف اليه غير على معنى نفي كلا الامرين معا كما فى قولك من صلى بغير وضوء أو تيمم
بطأت صلاته لاني أحدهما كما فى قولك من صلى بغير وضوء أو توب بطأت صلاته ومدار الاستعمالين
اعتبار ورود النفي على ما يستفاد من كلمة أو من الترديد بين الامرين المنهى عن التغيير والاباحة واعتبار العكس
ومناط الاعتبارين اختلاف حال ما اضيف اليه غير من الامرين بحسب اشتراط نقيض الحكم بتحقيق
أحدهما واشتراطه بتحقيقهما معا فى الاول رد النفي على الترديد الواقع بين الامرين قبل وروده فيفيد نفيهما معا
وفى الثانى رد الترديد على النفي فيفيد نفي أحدهما حتما اذ ليس قبل ورود النفي ترديد حتى يتصور عكسه وتوضيحه
أن كل حكم شرط بتحقيق أحد شيئين مثلا فنقيضه مشروط بانتفاء أحدهما معا وكل حكم شرط بتحقيقهما معا فنقيضه
مشروط بانتفاء أحدهما ضرورة أن نقيض كل شئ مشروط بنقيض شرطه ولا ريب فى أن نقيض الإيجاب
الجزئى كفاى الحكم الاول هو السلب الكلى ونقيض الإيجاب الكلى كفاى الحكم الثانى هو رفعه المستلزم
للسلب الجزئى فنبت اشتراط نقيض الاول بانتفاءهما معا واشترط نقيض الثانى بانتفاء أحدهما ولما كان الحكم
فى قولك من صلى بوضوء أو تيمم صحت صلاته مشروطا بنقيض الشرط المذكور البتة وهو انتفاءهما معا فتعين ورود النفي المستفاد
من غير على الترديد الواقع بين الوضوء والتيمم بكلمة أو فأتى تحقيقهما معا ضرورة عموم النفي الوارد على المبهم
وعلى هذا يدور ما قالوا انه اذا قيل جالس العلماء أو ازهاد ثم أدخل عليه لا التناهية امتنع فعل الجميع نحو ولا تطع
منهم أنما أو كفورا اذ المعنى لا تفعل أحدهما فأيهما فعله فهو أحدهما وأما قولك من صلى بوضوء أو توب صحت
صلاته فثبت كان الحكم فيه مشروطا بتحقيق كلا الامرين كان نقيضه فى قولك من صلى بغير وضوء أو توب بطأت
صلاته مشروطا بنقيض الشرط المذكور وهو انتفاء أحدهما فتعين ورود الترديد على النفي فأعاد نفي أحدهما
ولا يخفى أن اباحة القتل مشروطة بأحد ما ذكر من القتل والفساد ومن ضرورية اشتراط حرمة بانتفاءهما
معا فتعين ورود النفي على الترديد لا محالة كأنه قيل من قتل نفسا بغير أحدهما (فكانما قتل الناس جميعا)

فن قال في تفسيره أو بغير فساد فقد أبعد عن توفية النظم الكريم صفته وما في كائننا كافة مهينة لوقوع الفعل
 بعدها وجبها سال من الناس أو تأكيد ومناط التنبيه استئثار الفطن في تلك حرمة الدماء والاستعصاء
 على الله تعالى وتجبير الناس على القتل وفي استتباع القود واستحلاب غضب الله تعالى وعذابه العظيم
 (ومن أحيائها) أي تسبب لبقاء نفس واحدة موصوفة بعدم ماذ كرم القتل والفساد في الارض أما ينهي
 قاتلها عن قتلها أو استنقاذها من سائر أسباب الهلكة بوجه من الوجوه (فكأنما أحيى الناس جميعا) وجه
 التشبيه ظاهر والمقصود تمويل أمر القتل وتخصيم شأن الأحياء بتصور كل منهم بصورة لا ثقة به في استحباب
 الرهبة والرغبة ولذلك صدر النظم الكريم بضمير الشأن المنبئ عن كمال شهرته ونباهته وتبادره الى الأذهان عند
 ذكر الضمير الموجب لزيادة تقرير ما بعده في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من أول الأمر الا شأن مهم له خطر
 فيبقى الذهن مترقباً لما يعقبه فيمكن عند وروده فضل ممكن كانه قيل ان الشأن الخطير هذا (وقد سبأهم رسلنا
 بالبينات) بجملة مستقلة غير معطوفة على كتبنا أكد بشوكيد القسبي وحرف التحقيق لكمال العناية بتحقيق
 مضمونها وانما لم يقل وقد أرسلنا اليهم رسلنا الخ للتصريح بوصول الرسالة اليهم فانه أدل على تنبيههم في العتق
 والمكابرة أي وبالله لقد سبأهم رسلنا حسبما أرسلناهم بالآيات الواضحة الناطقة بتقرير ما كتبنا عليهم تأكيذاً
 لوجوب صراعاته وتأيداً لتصميم المحافظة عليه (ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك) أي بعد ما ذكر من الكتب
 وتأكيدها بالاصريارسال الرسل تترى وتجديد العهد مرة بعد أخرى ووضع اسم الاشارة موضع الضمير للايضاح
 بكامل تجزئه وانظمة بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايماء الى علو درجته وبعد
 منزلته في عظم الشأن ونم للتراخي في الرتبة والاستبعاد (في الارض) متعلق بقوله تعالى (لمسرفون) وكذا
 الطرف المتقدم ولا يقدح فيه توسط اللام بينه وبينه سالها لالام الاشداء وحفظها الدخول على المبتدأ وانما
 دخولها على الخبر لمكان ان فهي في حيزها الاصل حكما والاسراف في كل أمر التباعد عن حد الاعتدال مع
 عدم مبالاة به أي مسرفون في القتل غير مباينين به ولما كان اسرافهم في أمر القتل مستلزما لتضييعهم في شأن
 الاسياء وجود اود كراو كان هو أقمح الامرين وأقطعهما ما ككتفي بذكره في مقام التشنيع (انما جزاوا الذين
 يحاربون الله ورسوله) كلام مستأنف سيق لي بيان حكم نوع من أنواع القتل وما يتعلق به من الفساد بأخذ
 المال ونظامه وتعيين موجهه العاجل والآخر بيان عظم شأن القتل بغير حق وأدرج فيه بيان ما اشير اليه
 اجمالاً من الفساد المبيح للقتل قبل أي يحاربون رسول الله وذكر الله تعالى للتهديد والتنبية على رفعة محله عنده عز
 وجل ومحاربة أهل شريعته وسالك طريقته من المسلمين محاربة له عليه السلام فيم الحكم من يحاربهم ولو بعد
 أعصار بطريق العبارة دون الدلالة والقياس لان ورود النص ليس بطريق خطاب المشافهة حتى يختص حكمه
 بالكافرين عند النزول فيحتاج في تعيينه لغيرهم الى دليل آخر وفيل جعل محاربة المسلمين محاربة لله تعالى ورسوله
 تعظيماً لهم والمعنى يحاربون أولياءه وأهل الحرب السلب والمراد هنا قطع الطريق وقيل المكابرة بطريق
 اللصوية وان كانت في مصر (ويسعون في الارض) عطف على يحاربون والجار والمجرور متعلق به وقوله تعالى
 (فساداً) أمام صدر موقع الحال من فاعل يسعون أي منسدين أو سفهول له أي للفساد أو مصدر مؤكد
 يسعون لانه في معنى يفسدون على أنه مصدر من أفسد بحدف الزوائد أو اسم مصدر قيل نزلت الآية في قوم
 هلال بن عويمر الأسلمي وكان وادعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يعينه ولا يعين عليه ومن أناء من
 المسلمين فهو آمن لا يهاج ومن مرتبه هلال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو آمن لا يهاج فزقوم من بني كنانة
 يريدون الاسلام بناس من قوم هلال ولم يكن هلال يومئذ شاهداً فقطعوا عليهم وقتلوه وأخذوا أموالهم وقيل
 نزلت في العرنيين وقصتهم مشهورة وقيل في قوم من أهل الكتاب بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد
 فنتقضوا العهد وقطعوا السبيل وأفسدوا في الارض ولما كانت المحاربة والفساد على مراتب متفاوتة ووجوه
 شتى من القتل بدون أخذ المال ومن القتل مع أخذه وأخذ بدون القتل ومن الاتفاقة بدون قتل وأخذ شرعت
 لكل مرتبة من تلك المراتب عقوبة معينة بطريق التوزيع فضيل (ان يقتلوا) أي حد من غير صلب ان افردوا
 القتل ولو عفا الأولياء لا يلتفت الى ذلك لانه حق التسرع ولا فرق بين أن يكون القتل بالتيارحة أولاً
 (أو يصلبوا) أي مع القتل ان جعلوا بين القتل والاخذ بان يصابوا أحياء وتبعج بطونهم يبرح الى أن يموتوا

وفي ظاهر الرواية ان الامام مخير ان شاء اكتفى بذلك وان شاء قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وقتلهم وصلبهم
وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير وقرئ بالتخفيف فيهما (أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) أي أيديهم اليقى
وأرجلهم اليسرى ان اقتصر واعلى أخذ المال من مسلم أو ذمى وكان المقدار بحيث لو قسم عليهم أصاب كل منهم
عشرة دراهم أو ما يساويها قيمته أما قطع أيديهم فلاخذ المال وأما قطع أرجلهم فلاخافة الطريق بتقويت أمنه
(أو تقوا من الارض) ان لم يفعلوا غير الاضافة والسعي للفساد والمراد بالنفي عندنا هو الحبس فانه نفي عن وجه
الارض لدفع شرهم من أهلها ويعززون أيضا لباشرتهم منه والاخافة وازالة الامن وعند الشافعي
رضي الله عنه النفي من بلد الى بلد لا يزال يطلب وهو هارب قزعا وقيل هو النفي عن بلده فقط وكانوا يتقونهم
الى دهلك وهو بلد في أقصى تهامة وناصع وهو بلد من بلاد الحبشة (ذلك) أي ما فصل من الاحكام والاجزئة
قيل هو مبدأ وقوله تعالى (لهم خزي) جملة من خبر مقدم على المبتدا وقوله تعالى (في الدنيا) متعلق بمحذوف
وقع صفة لخزي أو متعلق بخزي على الظرفية والجملة في محل الرفع على أنها خبر لذلك وقيل خزي خبر لذلك ولهم
متعلق بمحذوف وقع حالا من خزي لانه في الاصل صفة له فلما تقدم اتصب حالا وفي الدنيا اما صفة لخزي
أو متعلق به على ما مر والخزي الذل والفضيحة (ولهم في الآخرة) غير هذا (عذاب عظيم) لا يقادر قدره اقباية
عظيم جانيهم فتقوله تعالى لهم خبر مقدم وعذاب مبدأ مؤخر وفي الآخرة متعلق بمحذوف وقع حالا من عذاب
لانه في الاصل صفة له فلما تقدم اتصب حالا أي كآسافي الآخرة (الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم)
استثناء مخصوص بما هو من حقوق الله عز وجل كما نبئ عنه قوله تعالى (فاعلموا أن الله غفور رحيم) أما ما هو
من حقوق الاولياء من النصاص ونحوه فالهم ذلك ان شاء واعفوا وان أحبوا استوفوا وانما يسقط بالتوبة
وجوب استيفائه لا جوازه وعن علي رضي الله عنه أن الحشر بن بدر جاء تابيا بعدما كان يقطع الطريق
فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) لما ذكر عظم شأن القتل والفساد وبين حكمهما
وأشبه في تضاعيف ذلك الى مغفرته تعالى لمن تاب من جانيته أمر المؤمنين بأن يتقوه تعالى في كل ما يأتون
وما يذرون بترك ما يجب اتقاؤه من المعاصي التي من جعلها مذكرا من القتل والفساد وبفعل الطاعات
التي من زمرتها السعي في احياء النفوس ودفع الفساد والمساعدة الى التوبة والاستغفار (وابتغوا) أي
اطلبوا لانفسكم (اليه) أي الى ثوابه والرائي منه (الوسيلة) هي فعلية بمعنى ما يتوسل به ويقترب الى الله تعالى
من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسيل الى كذا أي تقترب اليه بشئ واليه متعلق بها تقدم عليها للاهتمام
به وليست بمصدر حتى لا تعمل فيما قبلها ولعل المراد بها الاتقاء المأمور به فانه ملاك الامر كله كما اشير اليه
وذريعة لتبيل كل خير ومتجاة من كل ضير فالجملة حينئذ جارية عما قبلها مجرى البيان والتأكيد ومطلق
الوسيلة وهو داخل فيها دخول اوليا وقيل الجملة الاولى أمر بترك المعاصي والثانية أمر بفعل الطاعات
وحيث كان في كل من ترك المعاصي المشقة لنفسه وفعل الطاعات المكروهة لها كلفة ومشقة عقب الامر
بهما بقوله تعالى (وجاهدوا في سبيله) بمعاربة أعدائه البارزة والكامنة (اعلمكم تفهون) بفيل مرضاته
والقوز بكراماته (ان الذين كفروا) كلام مبتدأ مسوق لتأكيد وجوب الامتنال بالاوامر السابقة
وترغيب المؤمنين في المساعدة الى تحصيل الوسيلة اليه عز وجل قبل انقضاء أو انه بيان استحالة توسل الكفار
يوم القيامة بأقوى الوسائل الى النجاة من العذاب فضلا عن نيل الثواب (لو أن لهم) أي لكل واحد منهم
كما في قوله تعالى ولو أن لكل نفس ظلت الخ لاجميعهم اذ ليس في ذلك هذه المرتبة من تهويل الامر وتغليب
الحال (ما في الارض) أي من أصناف أموالها وذخائرها وما تر منافعها قاطبة وهو اسم ان ولهم خبرها
ومحملها الرفع بلا خلاف خلا أنه عند سبويه رفع على الابتداء ولا حاجة فيه الى الخبر لاشتمال صلتها على المسند
والمسند اليه وقد اختصت من بين سائر ما يؤول بالاسم بالوقوع بعدل وقيل الخبر محذوف ثم قيل يقدر
مقدما أي لو تابت كون ما في الارض لهم وقيل يقدر مؤخرا أي لو كون ما في الارض لهم ثابت وعند
المبرد والزجاج والكوفيين رفع على الفاعلية والفعل مقدر بعدل أي لو ثبت أن لهم ما في الارض وقوله تعالى
(جميعا) نو كيد لاموصول أو حال منه (ومنه) بالنصب عطف عليه وقوله تعالى (معها) ظرف وقع حالا
من المعطوف والضمير راجع الى الموصول وفائدته التصريح بقرض كينونتهم لهم بطريق المعية لا بطريق

التعاقب تحقيقه كالقضاء الامر مع ما فيه من قوع اشعار بكونه ما شياً واحداً وتعميداً لافراد الضمير الراجع
 اليهما واللام في قوله تعالى (ليفتدوا به) متعلقة بما يتعلق به خبراً أن أعنى الاستقرار المقدر في لهم وبما يخبر
 المقدر عند من يرى تقدير الخبر مقدماً ومؤخراً وبالفعل المقدر بعد لو على رأى المبرّد ومن تخاضعوه ولا ريب
 في أن مدار الاقتداء بما ذكره هو كونه لهم لا ثبوت كونه لهم وإن كان مستلزماً له والبناء في به متعلقة
 بالاقتداء والضمير راجع الى الموصول ومثله معاً وتوحيداً لما اشترى اليه وأما لاجرائه مجرى اسم الإشارة
 كأنه قيل بذلك كما في قوله كأنه في الجلد توليع البهق أى كان ذلك وقيل هو راجع الى الموصول
 والعائد الى المعطوف أعنى مثله محذوف كما حذف الخبر من قياس في قوله فاني وقياسه بالغريب أى وقياس
 أيضاً غريب وقد جوز أن يكون نصب ومثله على أنه مفعول معه ناصبه الفاعل المقدر بعد لو تقريراً
 على مذهب المبرّد ومن رأى رأيه وأنت خير بأنه يؤدي الى كون الرفع للفاعل غير الناصب للمفعول معه
 لأن المعنى على اعتبار المعية بين ما في الارض ومثله في اليك كينونة لهم لا في ثبوت تلك الكينونة وتحقيقها
 ولا ما غلب جعل ناصبه الاستقرار المقدر في لهم لما أن سببويه قد نص على أن اسم الإشارة وحرف الجزاء المتضمن
 للاستقرار لا يعملان في المفعول معه وأن قوله هذا لك وأياك قبيح وإن جوز به بعض النسخة في الطرف وحرف
 الجزاء وقوله تعالى (من عذاب يوم القيامة) متعلق بالاقتداء أيضاً أى لو أن ما في الارض ومثله ثابت لهم
 ليجعل لوه فدية لانفسهم من العذاب الواقع يومئذ (ما تقبل منهم) ذلك وهو جواب لو وترتيبه على ككون
 ذلك لهم لاجل اقتدائهم به من غير ذكر الاقتداء بأن يقال واقتدوا به مع أن الرد والقبول انما يترتب عليه لا على
 مباديه للايدان بأنه أمر محقق الوقوع غنى عن الذكر وانما يحتاج الى الفرض قدرتهم على ما ذكره والمبالغة
 في تحقيق الرد وتخييل أنه وقع قبل الاقتداء على مناج ما في قوله تعالى أنا أنيك به قبل أن يرتد اليك طرفك
 فلما رأه مستقرّاً عنده حيث لم يقبل فأتى به فرأه فلما الخ وما في قوله تعالى وقالت اخرج عليهن فلما رأينه
 أكبرنه من غير ذكر خروجه عليه السلام عليهن ورؤيتهن له والجملة الامتناعية بحالها خبران الذين كفروا
 والمراد تمثيل لزوم العذاب لهم واستحالة نجاتهم منه بوجه من الوجوه المحققة والمفروضة وعن النبي عليه الصلاة
 والسلام يقال للكافر أرايت لو كان لك ملء الارض ذهباً كنت تفندي به فيقول نعم فيقال له قدس ثقت
 أيسر من ذلك وهو كلمة الشهادة وقوله تعالى (ولهم عذاب أليم) تصريح بما أشير اليه بعدم قول فديتهم
 لزيادة تقريره وبيان هوله وشدة قيل محله النصب على الحالية وقيل الرفع عطف على خبر أن وقيل عطف على أن
 الذين فلا محل له كالمعطوف عليه (يريدون أن يخرجوا من النار) استئناف مسوق لبيان حالهم في أثناء
 مكابدة العذاب مبنى على سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل فكيف يكون حالهم أو ماذا يصنعون فقيل يريدون
 الخ وقد بين في تضاعيفه أن عذابهم عذاب النار قيل انهم يقصدون ذلك ويطلبون المخرج فيلقعهم اهب النار
 ويرفعهم الى فوق فهناك يريدون الخروج ولا حين مناص وقيل يكادون يخرجون منها بقوة النار وزيادة
 رفعها اليهم وقيل تمنونه ويريدونه بقولهم وقوله عز وجل (وما هم بخارجين منها) اما حال من فاعل
 يريدون أو اعتراض وأياً ما كان فإشارته بالجملة الاسمية على الفعلية مستندة بما للجارية الدالة بما في خبرها
 من البناء على تأكيد النبي لبيان كمال سوء حالهم باستمرار عدم خروجهم منها فان الجملة الاسمية الاليجالية
 كما تصيد جموعة المقام دوام الثبوت تفيد السلبية أيضاً مع دوام النبي لانتقى الدوام كما مر في قوله تعالى ما أنا
 بباسط الخ وقرئ أن يخرجوا على بناء المفعول من الاخراج (ولهم عذاب عقيم) تصريح بما أشير اليه آنفاً
 من عدم تناسلهم بعد بيان شدته (والسارق والسارقة) شروع في بيان حكم السرقة الصغرى بعد بيان
 أحكام الكبرى وقد عرفت اقتضاء الحال لا يراد ما توسط بينهما من المقال ولما كانت السرقة معهودة
 من النساء كالرجال صرح بالسارقة أيضاً مع أن المعهود في الكتاب والسنة ادراج النساء في الاحكام الواردة
 في شأن الرجال بطريق الدلالة لمزيد الاعتناء بالبيان والمبالغة في الزجر وهو مبتدأ خبره عند سببويه محذوف
 تقديره وفيما يتلى عليكم أو وفيما فرض عليكم السارق والسارقة أى حكمهما وعند المبرّد قوله تعالى (فاقطعوا
 أيديهما) والفاء لتفخيم المبتدأ معنى الشرط اذ المعنى الذي سرق والتي سرفت وقرئ بالانصب وفضلها سببويه
 على قراءة الرفع لأن الانشاء لا يقع خبراً الا بتأويل واضمار السرقة أخذ مال الغير خفية وانما توجب القطع

اذا كان الاخذ من حرز والمأخوذ يساوي عشرة دراهم فما فوقها مع شروط فصلت في موقعها والمراد
 بأيديهم ما أيمانهم كما يقصص عنه قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه والسارقون والسارقات فاقطعوا
 أيمانهم ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله تعالى فقد صفت قلوبكم كما كفاء بتثنية المضاف اليه
 والبداهة اتمام الجارحة ولذلك ذهب الخوارج الى أن المقطع هو المنكب والجم هو رجلي أنه الرسخ لانه عليه
 الصلاة والسلام أنى يسارق فأمر بقطع يمينه منه (جزاء) نصب على أنه مفعول له أى فاقطعوا الجزاء أو
 مصدر مؤ كذا فعله الذي يدل عليه فاقطعوا أى تجاوزوهما جزاء وقوله تعالى (بما كسبنا) على الأول
 متعلق بجزاء وعلى الثاني باقطعوا وما مصدرية أى بسبب كسبهما أو موصولة أى بسبب ما كسبناه من
 السرقة التي تبشر بالأيدي وقوله تعالى (نكالا) مفعول له أيضا على البدلية من جزاء لانهم من نوع واحد
 وقيل القطع معطل بالجزاء والقطع المعلن معلل بالنكال وقيل هو منصوب بجزاء على طريقة الاحوال المتداخلة
 فانه عليه للجزاء والجزاء عليه للقطع كما اذا قلت ضربته تأديبا له احسانا اليه فان الضرب معطل بالتأديب والتأديب
 معطل بالاحسان وقد أجازوا في قوله عز وجل أن يكفر وإيما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء
 من عباده أن يكون بقيامه فعول له ناصبه أن يكفروا ثم قالوا ان قوله تعالى أن ينزل الله مفعول له ناصبه
 بغيا على أن التنزيل على البقي والبقى على الكفر وقوله تعالى (من الله) متعلق بمحذوف وقع صفة لنكالا أى
 نكالا كما تنامنه تعالى (والله عزيز) غالب على أمره يعضيه كيف يشاء من غير تدبيره ولا ضد إيمانه
 (حكيم) في شرائعه لا يعجزكم الاما تقتضيه الحكمة والمصلحة ولذلك شرع هذه الشرائع المنطوية على
 فنون الحكم والمصالح (فن تاب) أى من السراق الى الله تعالى (من بعد ظله) الذي هو سرقة والتصریح
 به مع أن التوبة لا تتصور قبله لبيان عظم نعمته تعالى بتذكير عظم جنايته (وأصلح) أى أمره بالتفصيص
 عن تبعات ما يشره والعزم على ترك المعادة اليها (فان الله يوب عليه) أى يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة
 وأما القطع فلا تنسقطه التوبة عندنا لان فيه حق المسروق منه ونسقطه عند الشافعي في أحد قوليه (ان الله
 غفور رحيم) مبالغ في المغفرة والرحمة ولذلك يقبل توبته وهو تعليل لما قبله واظهار الاسم الجليل للاشعار
 بعله الحكم وتأيد استقلال الجملة وكذا في قوله عز وجل (أل تعلم أن الله له ملك السموات والارض)
 فان عنوان الألوهية مدار أحكام ملكوتها والجار والمجرور خبر مقدم وملك السموات والارض مبتدأ
 والجملة خبر لان وهى مع ما في خبرها ساذجة مستمفوعة على تعلم عند الجمهور وما فيه من تكرير الاسناد لتقوية
 الحكم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين وقيل لكل أحد صالح للخطاب والاستفهام
 الانكارى لتقرير العلم والمراد به الاستشهاد بذلك على قدرته تعالى على ما سيأتى من التعذيب والمغفرة
 على أبلغ وجه وأتمه أى ألم تعلم أن الله له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على
 التصرف الكلى فيهما وفيما فيهما ايجادا واعداءا واهياءا وامانة الى غير ذلك حسما تقتضيه مشيئته (يعذب
 من يشاء) أن يعذبه (ويغفر لمن يشاء) أن يغفر له من غير تدبيره ولا ضد راحه وتقديم التعذيب على
 المغفرة لمراعاة ما بين سببهما من الترتيب والجملة اما تقرير لكون ملكوت السموات والارض له سبحانه
 أو خبر آخر لان (والله على كل شئ قدير) فيقدر على ما ذكر من التعذيب والمغفرة والاظهار في موقع
 الاضمار لما مر مرارا والجملة تذييل مقدر لما قبلها (يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر)
 خوطب عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة للتشريف والاشعار بما يوجب عدم الحزن والمسارة في الشئ
 الوقوع فيه بسرعة ورغبة وابشار كلمة في على كلمة الى الواقعة في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة
 الخ للانبياء الى أنهم مستقرون في الكفر لا يبرحونه وانما ينتقلون بالمسارة عن بعض فنونه وأحكامه الى بعض
 آخر منها كإظهار موالاة المشركين وبراءة الكيد للاسلام ونحو ذلك كما في قوله تعالى أولئك يسارعون
 في الخيرات فانهم مستمرون على الخير يسارعون في أنواعه وأفراده والتعبير عنهم بالموصول للشارف بما في
 حيز صلتهم الى مدار الحزن وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للكفرة عن أن يحزنوه عليه الصلاة والسلام
 يسارعون في الكفر لكنه في الحقيقة نهى له عليه الصلاة والسلام عن التأثر من ذلك والمبالاة بهم على أبلغ وجه
 وأكده فان النهى عن أسباب النشئ ومبادئ المؤدية اليه نهى عنه بالطريق البرهاني وقلع له من أصله وقد

يوجه النهي الى المسبب ويراد به النهي عن السبب كما في قوله لا اريدك ههنا يريد نهى مخاطبه عن الخضوع بين يديه
 وقرئ لا يحزنك من آخره منقولاً من حزن بكسر الزاي وقرئ يسرعون يقال أسرع فيه السبب أي وقع فيه
 سريعاً أي لا تحزن ولا تسال بينهما في الكفر بسرعة وقوله تعالى (من الذين قالوا آمنا بأفواههم) بيان
 للمسارعين في الكفر وقيل متعلق بمحذوف وقع حالاً من فاعل يسارعون وقيل من الموصول أي كائنين من
 الذين الخ والباء متعاقبة يقالوا آمنا وقوله تعالى (ولم تؤمن قلوبهم) جملة حالية من ضمير قالوا
 وقيل عطف على قالوا وقوله تعالى (ومن الذين هادوا) عطف على من الذين قالوا الخ وبه يتم بيان
 المسارعين في الكفر بتقسيمهم الى قسمين المنافقين واليهود فقوله تعالى (سماعون للكذب) خبر مبتدأ
 محذوف راجع الى الضميرين أو الى المسارعين وأما رجوعه الى الذين هادوا فمحمول على الوعيد الآتي ومباديه
 لكل كما ستقف عليه وكذلك جعل قوله ومن الذين الخ خبراً على أن قوله سماعون صفة لمبتدأ محذوف أي
 ومنهم قوم سماعون الخ لادائه الى اختصاص ما عتد من القبائح وما يترتب عليها من الفوائد الدينية
 والاخرية بهم فالوجه ما ذكرناه ولا أي هم سماعون واللام اما التقوية للعمل واما لتضمين السماع معنى
 القبول واما لام كي والمفعول محذوف والمعنى هم مبالغون في سماع الكذب أو في قبول ما يقتره أحبارهم
 من الكذب على الله سبحانه وتحريف كتابه أو سماعون أخباركم وأحد ينكم ليكذبوا عليكم بأن يحضوها
 بالزيادة والنقص والتبديل والتغيير وأخبار الناس وأما ويلهم الدائرة فيما بينهم ليكذبوا فيها بأن يرجفوا بقتل
 المؤمنين وانكسار سراياهم ونحو ذلك مما يضر بهم وأما ما كان فاجله مستأنفة جلدية مجرى التعليل للنهي
 فان كونهم سماعين للكذب على الوجوه المذكورة وإبقاء أمورهم على ما لا أصل له من الاباطيل والاراجيف
 مما يقتضي عدم المبالاة بهم وترك الاعتداد بما يأتون وما يذرون للقطع بظهور بطلان كاذبيتهم واختلال ما
 ينو عليه من الافاعيل الفاسدة المؤدية الى الخزي والعذاب كما سيأتي وقرئ سماعين للكذب بالنصب على الذم
 وقوله تعالى (سماعون لقوم آخرين) خبر ثان للمبتدأ المقدر مقرر للاول ومبين لما هو المراد بالكذب
 على الوجهين الاولين واللام مثل ما في سماع الله لمن حده في الرجوع الى معنى من أي قبل منه حده والمعنى
 مبالغون في قبول كلام قوم آخرين وأما كونها لام التعليل بمعنى سماعون منه عليه الصلاة والسلام لاجل
 قوم آخرين وجهوهم عيوناً ليلقوهم ما معوا منه عليه الصلاة والسلام أو كونها متعلقة بالكذب على أن
 سماعون الثاني مكرر للتأكيده بمعنى سماعون ليكذبوا القوم آخرين فلا يكاد يساعده النظم الكريم أصلاً
 وقوله تعالى (لم يأتواك) صفة أخرى لقوم أي لم يحضروا مجلسك وتجاؤا عنك تكبراً وافرطاً في البغضاء
 قيل هم يهود خيبر والسماعون بنو قريظة وقوله تعالى (يحترقون الكلام من بعده مواضعه) صفة أخرى
 لقوم وصفوا أولاً بغايرتهم للسماعين تنبيهاً على استقلالهم وأصلهم في الرأي والتدبير ثم بعدم حضورهم
 مجلس الرسول عليه الصلاة والسلام أي أنهم يكمل طغيانهم في الضلال ثم باستقرارهم على التعريف بالافراط لهم
 في العتو والمكابرة والاجترار على الافتراء على الله تعالى وتعيين الكذب الذي سمعه السماعون أي يميلونه
 وينيلونه عن مواضعه بعد أن وضعه الله تعالى فيها اما انظروا له أو تغيير وضعه واما معنى يجعله على غير
 المراد وابرائه في غير موده وقيل الجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب ناعية عليهم شأنهم وقيل خبر
 مبتدأ محذوف راجع الى القوم وقوله تعالى (يقولون) كالجملة السابقة في الوجوه المذكورة
 ويجوز أن يكون حالاً من ضمير يحترقون وأما تجوز كونها صفة لسماعون أو حالاً من ضمير فيه كما لا سبيل
 اليه أصلاً كيف لا وإن مقول القول ناطق بأن فائدته من لا يحضر مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم والمخاطب به
 من يحضره فكيف يمكن أن يقوله السماعون المترددون اليه عليه الصلاة والسلام لمن لا يحوم حوله قطماً
 وأدعاء قول السماعين لا عقابهم المخاطبين لمسلمين تعسف ظاهر محتمل بجزالة النظم الكريم والحق الذي لا محيد
 عنه أن المحترقين والقائلين هم القوم الآخرون أي يقولون لا تبعاهم السماعين لهم عند القاتم اليهم أو ما يلهم
 الباطلة مشيرين الى كلامهم الباطل (أن أو تيسم) من جهة الرسول عليه الصلاة والسلام (هنا نخذوه)
 واعلموا بوجبه فانه الحق (وان لم تؤمنوه) بل أو تيسم غيره (فاخذوا) أي فاخذوا قبوله وإياكم وإياد
 وفي ترتيب الامر بالخذول على مجرد عدم اتياء المحترقين من المبالغة في التصدير بما لا يخفى روي أن شريكاً من خيبر

في بشر يفة وهدما حصنان وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا رجمهم الشرفهما فبعثوا رططاً منهم الى بني
 قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان أمركم بالجلد والتعصيم فاقبلوا وان أمركم
 بالرجم فلا تقبلوا وأرسلوا الزائنين معهم فأمرهم بالرجم فأبوا أن يأخذوا به فقال جبريل عليه السلام اجعل
 بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال عليه الصلاة والسلام هل تعرفون شاباً أبيض أعور يسكن فذلك
 يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو أعلم بهم ودي على وجه الارض بما أنزل الله على موسى بن عمران في التوراة
 قال فأرسلوا اليه فقبلوا فاتاهم فقال له النبي عليه الصلاة والسلام أنت ابن صوريا قال نعم قال عليه الصلاة
 والسلام وأنت أعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال لهم أترضون به حكماً قالوا نعم فقال له رسول الله صلى
 الله عليه وسلم أنشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر وأنجياكم وأغرق آل فرعون وظلل عليكم الغمام
 وأنزل عليكم المن والسلوى ورفع فوقكم الطور وأنزل عليكم التوراة فيها احلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم
 الرجم على من أحسن قال نعم والذي ذكرته به لولا خشيت أن يحرقني التوراة ان كذبت أو غيرت ما اعترفت
 لك ولكن كيف هي في كتابك يا محمد قال عليه الصلاة والسلام اذا شهد أربع رطط عدول أنه أدخل فيها كما
 يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم قال ابن صوريا والذي أنزل التوراة على موسى هكذا أنزل الله
 في التوراة على موسى فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت أن كذبه أن ينزل علينا العذاب ثم سأله رسول الله
 صلى الله عليه وسلم عن أشياء كان يعرفها من أعلامه فقال أشهد أن لا اله الا الله وأنت رسول الله النبي
الامى العربي الذي بشر به المرسلون وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزائنين فرجما عند باب المسجد
(ومن يرد الله فتنة) أي ضلالاته أو فضيخته كأنما من كان فيندرج فيه المذكورون اندراجاً أولياً وعدم
التصريح بكونهم كذلك للشعار بكمال ظهوره واستغنائه عن ذكره (فلن نستهطبع له
من الله شيئاً) في دفعها والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها ومبينة لعدم انفكاكهم عن القبائح المذكورة
أبداً (اولئك) إشارة الى المذكورين من المنافقين واليهود وما في اسم الإشارة من معنى البعد لا يذان يبعد
منزلتهم في الفساد وهو مبتدأ أخبره قوله تعالى (الذين لم يرد الله أن يظهر قلوبهم) أي من رجس الكفر وخبت
الضلالة لانهما كهم فيهما واصرارهم عليهما واعراضهم عن صرف اختيارهم الى تحصيل الهداية بالكلية كما
ينبغي عنه وصفهم بالمسارعة في الكفر أولاً وشرح فنون ضلالتهم آخرها والجملة استئناف مبين لكون ارادته
تعالى لفتنهم منوطة بسوء اختيارهم وقبح ضيعهم الموجب لها لا واقعة منه تعالى ابتداء (لهم في الدنيا
خرى) أما المنافقون فخرهم فضيحتهم وهتك سترهم بظهور نفاقهم فيما بين المسلمين وأما خرى اليهود فالذل
والجزية والاقتضاح بظهور كذبهم في كتمان نص التوراة وتكثير خرى للتفخيم وهو مبتدأ ولهم خيره وفي
الدنيا معلق بما يتعلق به الخبر من الاستقرار وكذا الحال في قوله تعالى (ولهم في الآخرة) أي مع
الخرى الديوى (عذاب عظيم) هو الخلود في النار وضرب لهم في الجملة للمنافقين واليهود جميعاً لا لليهود
خاصة كما قيل وتكرير لهم مع اتحاد المرجع لزيادة التبرير والتأكيد والجملة استئناف مبني على
سؤال نشأ من تفصيل أفعالهم وأحوالهم الموجبة للعقاب كأنه قيل لخالهم من العقوبة فقل لهم في الدنيا
الآية (سمعون للكذب) خبر آخر للمبتدأ المقدر كثرناً كيداً لما قبله وتمهيداً لما بعده من قوله تعالى
(أكلون للصح) وهو أيضاً خبر آخر للمقدّر وارد على طريقة الذم أو نداء على أن المراد بالكذب ما يقتضيه
الراشون عند الاكلين والصح بضم السين وسكون الحاء في الاصل كل ما لا يحل كسبه وقيل هو الحرام
مطلقاً من صحته اذا استأجله سمي به لانه مسحوت البركة والمراد به هنا اتمام الرشا التي كان يأخذها المخرفون
على بحريةهم وسائر أحكامهم الزائفة وهو المشهور وأما كان يأخذ فقرائهم من أغنيائهم من المال ليقبوا
على اليهودية كما قيل وأما مطلق الحرام المنتظم لما ذكرنا انتظاماً أولياً وقرئ للصح بضم السين والحاء
وبفتحهما وبفتح السين وسكون الحاء وبكسر السين وسكون الحاء وعن النبي عليه الصلاة والسلام كل لحم
أنبتته الصحف فالنار أولى به (فان جاءوك) لما بين تفاصيل أمورهم الواهية وأحوالهم المختلفة الموجبة
لعدم المبالاة بهم وبما فاعيلهم حسباً أمر به عليه الصلاة والسلام خو طيب عليه الصلاة والسلام ببعض
ما ينبغي عليه من الاحكام بطريق التفريع والفاء فصحة أي واذا كان حالهم كما شرح فان جاءوك متصانين

اليك فيما شجر بينهم من الخصومات (فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) غير مبال بهم ولا خائف من جهتهم أصلاً وهذا
 كما ترى تخييره عليه الصلاة والسلام بين الأمرين فقل هو في أمر خاص هو ما ذكر من زنا المحصن وقيل في قبيل
 قتل من اليهود في بني قريظة والنضير فحكما كوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بنو قريظة اخواننا بنو
 النضير أبونا واحد ديننا واحد ونبينا واحد وإذا قتلوا منا قتيلاً لم ير ضوا بالعود وأعطوا ناسعين وسقام من عمر
 وإذا قتلنا منهم قتلوا القاتل وأخذوا منا الضعف مائة وأربعين وسقام من عمروان كان القليل امرأة قتلوا بها الرجل
 منا وبالرجل منهم الرجلين منا وبالعد منهم الحز من قاض بيننا فجعل عليه الصلاة والسلام الدية سواء وقيل هو
 عام في جميع الحكومات ثم اختلفوا فمن قائل أنه ثابت وهو المروي عن عطاء والنخعي والشامي وقنادة وأبي
 بكر الأصم وأبي مسلم وقائل أنه منسوخ وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة قال ابن عباس رضي
 الله تعالى عنهما لم ينسخ من المائدة إلا آيات قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله نسخها قوله تعالى فاقتلوا المشركين
 وقوله تعالى فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم نسخها قوله تعالى وأن احكم بينهم بما أنزل الله وعليه
 مشايخنا (وان أعرض عنهم) بيان لحال الأمرين اثر تخييره عليه الصلاة والسلام بينهما وتقديم حال الاعراض
 للمساواة إلى بيان أن لا ضرر فيه حيث كان مظنة الضرر لما أنهم كانوا لا يتحاكمون اليه عليه الصلاة
 والسلام الا لطلب الأيسر والاهون عليهم فإذا أعرض عنهم وأبى الحكومة بينهم شق ذلك عليهم فقتلت
 عدوتهم ومضارتهم له عليه الصلاة والسلام فأثنته الله عز وجل بقوله (فلن بصر ولك شيا) من الضررفان
 الله عاصمك من الناس (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) بالعدل الذي أمرت به كما حكمت بالرجم (ان الله
 يحب المقسطين) ومن ضرورته أن يحفظهم عن كل مكروه ومحدور (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة
 فيها حكم الله) تعجب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به ويكفاهي والحال أن الحكم منصوص عليه في كتابهم الذي
 يدعون الايمان به وتنبه على أنهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما هو أهون
 عليهم وان لم يكن ذلك حكم الله على زعمهم فقوله تعالى وعندهم التوراة حال من فاعل يحكمونك وقوله تعالى
 فيها حكم الله حال من التوراة ان جعلت مرتفعة بالظرف وان جعلت مبتدا فهو حال من ضميرها المستكن
 في الخبر وقيل استئناف مسوق لبيان أن عندهم ما يغنيهم عن التحكيم وثانيها الكونه نظيرة المؤنث في كلامهم
 كومة ودودة (ثم يقولون) عطف على يحكمونك داخل في حكم التهجيب وثم للتراخي في الرتبة وقوله تعالى
 (من بعد ذلك) أي من بعد ما حكموك تصريح بما علم قطعاً كيد الاستبعاد والتهجيب أي ثم يعرضون
 عن حكمك الموافق لكتابهم من بعد ما رضوا بحكمك وقوله تعالى (وما أولئك بالمؤمنين) تذييل
 مقزلة دعوى ما قبله ووضع اسم الإشارة موضع ضميرهم للقصد إلى احضارهم في الذهن بما وصفوا به من القبايح
 ايماناً إلى علم الحكم وإلى أنهم قد تميزوا بذلك عن غيرهم أكل تميز حتى انتظموا في سلك الامور المشاهدة وما
 فيه من معنى البعد لا يذنب بعد درجتهم في العتو والمكابرة أي وما أولئك الموصوفون بما ذكر بالمومنين أي
 بكتابهم لا عراضهم عنه أولاً وعن حكمك الموافق له ثانياً وأوهم ما وقيل وما أولئك الكاملين في الايمان
 بكتابهم (انا انزلنا التوراة) كلام مستأنف سبق لبيان علو شأن التوراة ووجوب مراعاة أحكامها
 وأنهم لم يزلوا مرجعية فيما بين الانبياء ومن يقتدى بهم كبراً عن كبر مقبولة لكل أحد من الحكام والمتعاضدين
 محفوظة عن المخالفة والتبديل تحقيقاً لما وصف به المخزفون من عدم ايمانهم بها وقرير الكفرهم وظلمهم
 وقوله تعالى (فيها هدى ونور) حال من التوراة فان ما فيها من الشرائع والاحكام من حيث ارشادها
 للناس إلى الحق الذي لا محمد عنه هدى ومن حيث اظهارها وكشفها ما استنبه من الاحكام وما يتعلق بها من
 الامور المستورة بظلمات الجهل نور وقوله تعالى (يحكم بها النبيون) أي انبياء بني اسرائيل وقيل موسى ومن
 بعده من الانبياء بجهة مستأنفة مبينة لرفع رتبها وسمو طبقها وقد جوز كونه حالاً من التوراة فيكون حالاً
 مقدرة أي يحكمون بأحكامها ويحكمون الناس عليها به تمسك من ذهب إلى أن شريعة من قبلنا شريعة لنا مالم
 تنسخ وتقدم الجارية والجور وعلى الفاعل لما مر من ارامن الاعتناء بشأن المقدم والتشويق إلى المؤخر ولأن في
 المؤخر وما يتعلق به نوع طول وبما يخل بتقديمه تجاوب أطراف النظم الكريم وقوله تعالى (الذين أسلموا)

في تفسير قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فالهوى لا يستبدلوا بما أتى التي فيها بأن تخرجوها منها
أو تتركوا العمل بها وتأخذوا لانفسكم بدلها (ثمنا قليلا) من الرشوة والجهالة وسائر الحظوظ
الدنيوية فأنهم ما وان جلت فدية مستردة في نفسها لاسيما بالنسبة الى ما فات عنهم بترك العمل بها وانما عير
عن المشتري الذي هو العمدة في عقود المعاوضة والمقصود الاصل بالثمن الذي شأنه أن يكون وسيلة
الى تحصيله وأبرزت الايات التي حقها أن يتنافس فيها المتنافسون في معرض الآلات والوسائط حيث قرئت
بالباء التي تصحب الوسائل ايذانا بحجب الغتهم في التعكيس بأن جعلوا المقصد الاقصى وسيلة والوسيلة الادنى
مقصدا (ومن لم يحكم بما أنزل الله) كأننا من كان دون المخاطبين خاصة فأنهم مندرجون فيه اندراجا
أوليا أي من لم يحكم بذلك مستهينا به منكرا له كما يقتضيه ما فعلوه من تحريف آيات الله تعالى اقتضاء بينا
(فأولئك) اشارة الى من والجمع باعتبار مدعائها كما أن الافراد فيما سبق باعتبار لفظها (هم الكافرون)
لاستهاتهم به وهم اما ضمير الفصل أو مبتدأ وما بعده خيره والجملة خبر لا أولئك وقد مر تفصيله في مطلع سورة
البقرة والجملة تذييل مقدر لضمون ما قبلها أبلغ تقرير وتحذير عن الاختلال به أشد تحذير حيث علق فيه
الحكم بالكفر بمجرد ترك الحكم بما أنزل الله تعالى فكيف وقد انضم اليه الحكم بخلافه لاسيما مع مباشرة
مانه واعنه من تحريفه ووضع غيره موضعه وادعاء أنه من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا (وكتبتنا) عطف على
أنزلنا التوراة (عليهم) أي على الذين هادوا وقرئ وأنزل الله على نبي اسرائيل (فيها) أي في التوراة
(أن النفس بالنفس) أي تقادحها اذا قتلتم باغير حق (والعين) تصقأ (بالعين) اذا فقتت بغير حق
(والانف) يجردع (بالانف) المقطوع بغير حق (والاذن) تصلم (بالاذن) المقطوعة ظلما
(والسن) تنقلع (بالسن) المقطوعة بغير حق (والجروح قصاص) أي ذات قصاص اذا كانت بصيت
تعرف المساواة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنهم كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فزات وقري وان
الجروح قصاص وقري والعين الى آخره بالرفع عطف على محل أن النفس لان المعنى كتبنا عليهم النفس بالنفس
اما الاجراء كتبنا مجرى قلنا واما لان معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما يقع
عليه القراءة تقول كتبنا الحمد لله وقرأت سورة انزلناها (فمن تصدق) أي من المستحقين (به) أي
بالقصاص أي من عاقبته والتعير عنه بالتصدق للمباينة في الترغيب فيه (فهو) أي التصديق (كفارة له)
أي للمتصدق يكفر الله تعالى به اذ نوبه وقيل للعباني اذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما زمه وقرئ
فهو كفارته له أي فالتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء وهو تعظيم لما فعل
كقوله تعالى فأجره على الله (ومن لم يحكم) كأننا من كان فيتناول من لا يرى قتل الرجل بالمرأة من اليهود
تناولنا بينا (بما أنزل الله) من الاحكام والنشرايع كأننا ما كان فيدخل فيها الاحكام المحكية دخولا أوليا
(فأولئك هم الظالمون) المبالغون في الظلم المتعدون لحدوده تعالى الواضعون للشيء في غير موضعه والجملة
تذييل مقدر لا يجاب العمل بالاحكام المذكورة (وقضينا على آثامهم) شروع في بيان احكام الانجيل
اثر بيان احكام التوراة وهو عطف على أنزلنا التوراة أي آثار النبيين المذكورين يقال قضيتهم بفلان اذا أتبعته
اياهم فحذف المفعول لدلالة الجار والجرور عليه أي قضيناهم (بعيسى ابن مريم) أي أرسلناه عيسىهم (مصدقاً
لما بين يديه من التوراة) حال من عيسى عليه السلام (وآتيناه الانجيل) عطف على قضينا وقري بفتح
الهمزة (فيه هدى ونور) كما في التوراة وهو في محل النصيب على أنه حال من الانجيل أي كاتنا فيه ذلك
كأنه قيل مستقلا على هدى ونور وتنوينا هدى ونور للتخفيف وسدح في ذلك شواهد نبوته عليه السلام
(ومصدقاً لما بين يديه من التوراة) عطف عليه داخل في حكم الحالية وتكرير ما بين يديه من التوراة لزيادة
التقرير (وهدى وموعظة للمتقين) عطف على معصية فامتنظم معه في سلك الحالية جعل كله هدى بعد
ما جعل مستقلا عليه حيث قيل فيه هدى وتخصيص كونه هدى وموعظة للمتقين لأنهم المهتدون بهداه
والمتفعون بجوداه (ولحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه) أمر مبتدأ لهم بأن يحكموا ويعملوا بما فيه
من الامور التي من جلتها دلائل رسالته عليه الصلاة والسلام وشواهد نبوته وما قرره الشريعة الشريفة
من احكامه وآثار احكامه المنسوخة فليس الحكم بها حكما بما أنزل الله فيه بل هو ابطال وتعطيل له اذ هو

شاهد بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لان شهادته بصحة ما ينسخها من الشريعة شهادة بنسخها وبأن أحكامه
 ما قرنته تلك الشريعة التي شهد بصحتها كما سيأتي في قوله تعالى يا أهل الكتاب استمعي على شيء حتى تقوموا
 التوراة والانجيل الآتية وقبل هو حكاية للأمر الوارد عليهم بتقدير فعل معطوف على آتياء أي وقلنا ليحكم
 أهل الانجيل الخ وقرئ وأن ليحكمكم على أن أن موصولة بالأمر كما في قولك أمرته بأن قم كأنه قيل وآتياء
 الانجيل وأمرنا بأن يحكم أهل الانجيل الخ وقرئ على صيغة المضارع ولام التعليل على أنها متعلقة بمقدركا أنه
 قيل وليحكمكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه آتياء آياه وللعكم بما أنزل الله فيه (ومن لم يحكمكم بما أنزل الله) منكره
 كما أنه قيل وللهدى والموعظة آتياء آياه وللعكم بما أنزل الله فيه (ومن لم يحكمكم بما أنزل الله) منكره
 مستهيناه (فأولئك هم الساسفون) المتزددون الخارجون عن الايمان والجملة تذييل لمقرن لمضمون
 الجملة السابقة ومؤكد لجوب الامتثال بالأمر وفيه دلالة على أن الانجيل مشتمل على الاحكام وأن عيسى
 عليه السلام كان مستقلاً بالشرع مأموراً بالعمل بما فيه من الاحكام قلت أو كثرت لا بما في التوراة خاصة
 وجملة على معنى وليحكمكم بما أنزل الله فيه من ايجاب العمل بأحكام التوراة خلاف الظاهر (وأنزلنا
 اليك الكتاب) أي الفرد الكامل الحقيقي بأن يسمى كتاباً على الاطلاق لحيازته جميع الاوصاف الكمالية
 لجنس الكتاب السماوي وتفوقه على بقية أفراداه وهو القرآن الكريم فاللام للعهد والجملة عطف على
 أنزلنا وما عطف عليه وقوله تعالى (بالحق) متعلق بمحذوف وقع حالاً مؤكدة من الكتاب أي
 ملتبساً بالحق والصدق وقيل من فاعل أنزلنا وقيل من الكاف في اليك وقوله تعالى (مصدقاً لما بين يديه)
 حال من الكتاب أي حال كونه مصدقاً لما تقدمه اتماماً من حيث أنه نازل حسب ما نعت فيه أو من حيث
 أنه موافق له في القصص والمواعيد والدعوة الى الحق والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش
 وأما ما يترأى من مخالفته له في بعض جزئيات الاحكام المنسوخة بسبب تغير الاعصار فليست بمخالفة في
 الحقيقة بل هي موافقة لها من حيث ان كلا من تلك الاحكام حقيق بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة
 التي عليها يدور أمر الشريعة وليس في المتقدم دلالة على ابدية أحكامه المنسوخة حتى يخالفه الناسخ
 المتأخر وانما يدل على مشروعيتها مطلقاً من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هو ناطق بزوالها لما
 أن النطق بصحة ما ينسخها نطق بنسخها وزوالها وقوله تعالى (من الكتاب) بيان لما واللام للجنس
 اذ المراد هو الكتاب السماوي وهو بهذا العنوان جنس برأسه وان كان في نفسه نوعاً مخصوصاً من مدلول
 لفظ الكتاب وعن هذا قالوا اللام لهذا لأن ذلك لا ينتهي الى خصوصية الفردية بل الى خصوصية النوعية
 التي هي أخص من مطلق الكتاب وهو ظاهر ومن الكتاب السماوي أيضاً حيث خص بما عدا القرآن
 (ومهمنا عليه) أي رقيباً على سائر الكتب المحفوظة من التغيير لانه يشهد لها بالصحة والثبات ويقرر أصول
 شرائعها وما يتأبد من فروعها ويعين أحكامها المنسوخة ببيان انتهائها مشروعيتها المستفادة من تلك الكتب
 وانقضاء وقت العمل بها ولا ريب في أن تميز أحكامها الباقية على المشروعية أبعاداً عما انتهى وقت مشروعيتها
 وخرج عنها من أحكام كونه مهمناً عليه وقرئ ومهمناً عليه على صيغة المفعول أي هو من عليه وحفوظ
 من التغيير والتبديل كقوله عز وجل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والحفاظ اتماماً من جهته
 تعالى كما في قوله انا نحن نزلنا الذكروا ناله لحفاظون أو الحفاظ في الاعصار والامصار والفاء في قوله تعالى
 (فاحكم بينهم) لترتيب ما بعده على ما قبلها فان كون القرآن العظيم حقاً مصدقاً لما قبله من الكتب المنزلة
 على الامم مهمناً عليه من موجبات الحكم المأمورية أي اذا كان شأن القرآن كما ذكرنا فاحكم بين أهل الكتابين
 عند فتحكم اليك (بما أنزل الله) أي بما أنزله اليك فانه مشتمل على جميع الاحكام الشرعية الباقية في
 الكتب الالهية وتقديم بينهم للاعتناء ببيان تعميم الحكم لهم ووضع الموصول موضع التمييز للتبعية على عليه
 ما في خبر الصلة للعكم والاتفات باظهار الاسم الجليل لترتبة المهابة والاشعار بعلو الحكم (ولا تتبع أهواءهم)
 الزائفة (عما جاءك من الحق) الذي لا يحد عنه وعن متعلقة بـ لا تتبع على تضمين معنى العدل ونحوه
 كأنه قيل ولا تعدل عما جاءك من الحق متبعاً أهواءهم وقيل بمحذوف وقع حالاً من فاعله أي لا تتبع أهواءهم
 عادلاً عما جاءك وفيه أن ما وقع حالاً لا بد أن يكون فعلاً عاملاً ووضع الموصول موضع ضمير الموصول الاول للايمان

عاني حيز الصلاة من مجي الحق الى ما يوجب كمال الاجتناب عن اتباع الاهواء وقوله تعالى (لكل جعلنا منكم
شريعة ومنهاجا) كلام مستأنف مجي به لحل اهل الكتابين من معاصريه عليه الصلاة والسلام على الاتقياد
بحكمه بما أنزل اليه من القرآن الكريم يبين أنه هو الذي كلفوا العمل به دون غيره من الكتابين وانما
الذين كلفوا العمل بهما من منى قبل نسخهما من الامم السابقة والخطاب بطريق التلويح والاتفات
للناس كافة لكن لا للموجودين خاصة بل للماضين أيضا بطريق التغليب واللام متعلقة بجملة المتعدي
لواحد وهو اخبار يجعل ماض لا انشاء وتقدمها عليه للتخصيص ومنكم متعلق بمحذوف وقع صفة لما عرض
عنه تنوين كل ولا ضير في توسط جعلنا بين الصفة والموصوف كافي قوله تعالى أغبر الله أنخذوليا فاطر السموات
الح والمعنى لكل أمة كآفة منكم أي الامم الباقية والخالية جعلنا أي عينا ووضعنا شريعة ومنهاجا لخاصين
بتلك الامة لا تكاد أمة تخطي شرعتها التي عينت لها فالامة التي كانت من مبعث موسى الى مبعث عيسى
عليهما السلام شرعتهما التوراة والتي كانت من مبعث عيسى الى مبعث النبي عليهما الصلاة والسلام شرعتهما
الانجيل وانما أنتم أي الامم الموجودة من شرعكم القرآن ليس الا فامناويه واهلوا بعافيه والشرعة والشرعة
هي الطريقة الى الماشيه به الدين لكونه سبيلا موصلا الى ما هو سبب للحياة الابدية كما أن الماء سبب للحياة
الفانية والمنهاج الطريق الواضح في الدين من نهج الامر اذا وضح وقرئ شرعة بفتح الشين قيل فيه دليل على
أنها غير متعبدين بشرائع من قبلنا والتحقيق أنما متعبدون بأحكامها الباقية من حيث انها أحكام شرعنا
لا من حيث انها شرعة للأقوابين (ولو شاء الله لمعلمكم أمة واحدة) متفقة على دين واحد في جميع الاعصار
من غير اختلاف بينكم وبين من قبلكم من الامم في شيء من الاحكام الدينية ولا نسخ ولا تحويل ومفعول
المشيئة محذوف تعويلا على دلالة الجزاء عليه أي ولو شاء الله أن يجعلكم أمة واحدة لمعلمكم الخ وقيل المعنى
لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لا جبركم عليه (ولكن ليباؤكم) متعلق بمحذوف يستدعيه النظام أي
ولكن لم يشأ ذلك أي أن يجعلكم أمة واحدة بل شاء ما عليه السنة الالهية الجارية فيما بين الامم
ليعاملكم معاملة من يبتليكم (فبما آتاكم) من الشرائع المختلفة المناسبة لاعصارها وقسرونها لاهل
تعملون بها مدعنين لها معتقدين أن اختلافها يقتضي المشيئة الالهية المبنية على أسس الحكم بالبالغة
والمصالح النافعة لكم في معاشكم ومعادكم أو ترزقون عن الحق وتتبعون الهوى وتستبدلون الحضرة بالحدوى
وتشترون الضلالة بالهدى وبهذا تضح أن مدار عدم المشيئة المذكورة ليس مجرد الابتلاء بل العمدة
في ذلك ما أشير اليه من انطواء الاختلاف على ما فيه مصلحة معاشا ومعادا كما يبنى عنه قوله عز وجل
(فاستبقوا الخيرات) أي اذا كان الامر كما ذكر فسارعوا الى ما هو خير لكم في الدارين من العقائد الخلقية
والاعمال السالفة المندرجة في القرآن الكريم وابتدروها لتهاز الفرصة واحراز السابغة الفضل والتقدم
ففيه من تأكيد الترغيب في الاذعان للحق وتشديد التحذير عن الزيغ ما لا يخفى وقوله تعالى (الى الله مرجعكم)
استئناف مسوق لتعليل استباق الخيرات بما فيه من الوعد والوعيد وقوله تعالى (جميعا) حال من
شعر الخطاب والعامل فيه اما المصدر المخل الى حرف مصدرى وفعل مبنى للفاعل أو مبنى للمفعول وانما
الاستعارة المقترنة في الجواز (فبما كنتم فيه تختلفون) أي فيفعل بكم من الجزاء الفاصل بين الحق
والباطل ما لا يتي لكم معه شائبة شك فيما كنتم فيه تختلفون في الدنيا وانما عبر عن ذلك بما ذكر لوقوعه
موقع ازالة الاختلاف التي هي وظيفة الاخبار (وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم) عطف
على الكتاب أي أنزلنا اليك الكتاب والحكم بما فيه والتعرض لاعتوان انزاله تعالى اياه لتأكيد وجوب
الامتثال بالامر أو على الحق أي أنزلناه بالحق وبان احكم وحكاية انزال الامر بهذا الحكم بعد ما مر من الامر
الصريح بذلك تأكيد كيد له وتهديد لما يعقبه من قوله تعالى (واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك)
أي يفسدوك عن بعضه ولو كان أقل قليل تصوير الباطل بصورة الحق واطهار الاسم الجليل لتأكيد الامر
بتهويل الخطب وأن بصلته بدل استعمال من ضميرهم أي احذروا فتنتهم أو مفعول له أي احذرهم مخافة أن
يفتنوك واعادة ما أنزل الله لتأكيد التحذير بتهويل الخطب وروى أن احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد
فلعلنا نفتنه عن دينه فذهبوا اليه صلى الله عليه وسلم وقالوا يا أبا القاسم قد عرفت أننا احبار اليهود وأننا

استعناك استعنا اليهود كلهم وأن يننا وبين قومنا صومعة فتخاكم اليك فتتضي انسا عابهم ونحن نؤمن بك
 ونصدقك فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فترأت (فان تولوا) أى أعرضوا عن الحكم بما أنزل الله تعالى
 وأرادوا غيره (فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) أى بذنب توليهم عن حكم الله عز وجل وانما غير
 عنه بذلك ايذا نابا بأن لهم ذنوبا كثيرة هذا مع كمال عظمه واحدا من جملتها وفي هذا الابهام تعظيم للتولي كفاي
 قول لبيد أو يرتبط بعض النفوس حامها يريد به نفسه أى نفسا كبيرة ونفسا أى نفس (وان كثيرا من الناس
 للأساقون) أى متمردين في الكفر مصر ون عليه خارجون عن الحدود والمعهوده وهو اعتراض تذييل
 مقتر لمضمون ما قبله (الحكم الجاهلية يغنون) انكار وتجب من حالهم وتوخيهم والفاء للعطف على مقدر
 يقتضيه المقام أى يتولون عن حكمك فيبغون حكم الجاهلية وتقدم المفعول للتخصيص المقيد لتأكيد
 الانكار والتجب لان التولي عن حكمه عليه الصلاة والسلام وطلب حكم آخر منك رجب وطلب حكم
 الجاهلية أفصح وأجيب والمراد بالجاهلية اما الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى الموجبة للميل والمداينة
 في الاحكام فيكون تعبير اليهود بأنهم مع كونهم أهل كتاب وعلم يغنون حكم الجاهلية التي هي هوى وجهل
 لا يصدر عن كتاب ولا يرجع الى وحى واما أهل الجاهلية وحكمهم ما كانوا عليه من التفاضل فيما بين القتلى
 حيث روى أن بنى النضير لما تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصومة قتل وقعت بينهم وبين بنى
 قريظة طلبوا اليه عليه الصلاة والسلام أن يحكم بينهم بما كان عليه أهل الجاهلية من التفاضل فقال عليه
 الصلاة والسلام القتلى سواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فترأت (وقرى برفع الحكمكم على أنه مبتدأ
 ويغنون خبره والراجع محذوف حذفه في قوله تعالى اهذه الذي بعث الله رسولا وقد استضعف ذلك في غير
 الشعر وقرئ بقاء الخطاب اما بالانقضاء لتشديد التوبيخ واما بتقدير القول أى قل لهم أنكم الخ وقرئ بفتح
 الحاء والكاف أى أفا كما حكم الجاهلية يغنون (ومن أحسن من الله حكما) انكار لان يكون أحد
 حكمه أحسن من حكمه تعالى أو مساو له وان كان ظاهر السبك غير متعترض لثنى المساواة وانكارها وقد
 مرتفصيلة في تفسير قوله تعالى ومن أحسن ديننا من أسلم وجهه لله (لقوم يوقنون) أى عندهم واللام
 كافي هيئت لك أى هذا الاستفهام أهم فأنهم الذين يتدبرون الامور بأبصارهم فيعلمون بقينا أن حكم الله
 عز وجل أحسن الاحكام واعداها (يا ايها الذين آمنوا) خطاب بيم حكمه كافة المؤمنين من المخلصين
 وغيرهم وان كان سبب ورود بعضهم كما سبب أى ووصفهم بعنوان الايمان لحملهم من أول الامر على الانزجار
 عما هم واعنه بقوله عز وجل (لا تأخذوا اليهود والنصارى أولياء) فان تذكرا تصافهم بضد صفات
 الفريقين من أقوى الزواجر عن موالاتهم أى لا تأخذوا أحدا منهم وليا معنى لا تصافوهم ولا تعاضروهم
 مصافاة الاحباب ومعاشرتهم ليعنى لا تجعلوهم أولياء لكم حقيقة فانه أمر بمنع في نفسه لا يتعلق به النهي
 (بعضهم أولياء بعض) أى بعض كل فريق من ذينك الفريقين أولياء بعض آخر من ذلك الفريق لامن
 الفريق الاثروا واما أثر الاجال في البيان تعويلا على ظهور المراد لوضوح انتفاء الموالات بين فريقى اليهود
 والنصارى رأسا وبالجملة مستأنفة مسوقة لتعليل النهي وتأكيدها بيجاب الاجتناب عن النهي عنه أى بعضهم
 أولياء بعض متفقون على كلمة واحدة في كل ما يأتون وما يذرون ومن ضرورته اجماع الكل على مصادة تكلم
 ومضارته تكلم بحيث يدومونكم سوء ويخونكم الفوائل فكيف يصور بينكم وبينهم موالاته وقوله تعالى (ومن
 يتوالم منكم فانه منهم) حكم مستنتج منه فان انحصار الموالات فيما بينهم يستدعى كون من يتوالم منهم ضرورة
 أن الاتحاد في الدين الذى عليه يدور أمر الموالات حيث لم يكن يكونهم عن يتوالمهم من المؤمنين تعين أن يكون
 ذلك يكون من يتوالمهم منهم وفيه زجر شديد للمؤمنين عن اظهار صورة الموالات لهم وان لم تكن موالاته في
 الحقيقة وقوله تعالى (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) تعليل لكون من يتوالمهم من لا يهديهم
 الى الايمان بل يخليهم وشأنهم فيقعون في الكفر والضلالة وانما وضع المظهر موضع ضميرهم تنبيها على أن
 توليهم ظلم لما أنه تعريض لانفسهم للعذاب الخالد ووضع للشئ في غير موضعه وقوله تعالى (فترى الذين ينفقون
 أموالهم من رضى) بيان لكيفية توليهم واشعار بسببه وما يؤول اليه أمرهم والفاء للايذان بترتبته على عدم
 الهداية والخطاب اما للرسول صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين واما لكل أحد عن له أهلية له وفيه مزيد تشبيخ

للتشديد أي لا يديهم بل يذرههم وشأنهم فتراهم الخ وانما وضع موضع الضمير الموصول ليشارة في حيز صلتها
 الى أن ما ارتكبه يوم من التولي بسبب ما في قلوبهم من مرض النفاق ورعاية العقد في الدين وقوله تعالى
 (يسارعون فيهم) حال من الموصول والرؤية بصرية وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية والاول هو الانسب
 بظهور نفاقهم أي تراهم يسارعون في موالاتهم وانما قيل فيهم مبالغة في بيان رغبتهم فيها وتهايمهم
 عليها وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على أنهم مستقرون في الموالاته وانما يسارعونهم من بعض مراتبها
 الى بعض آخر منها كما في قوله تعالى أولئك يسارعون في الخيرات لأنهم خارجون عنها متوجهون اليها
 كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض الدنيا على أن الضمير لله سبحانه
 وقيل لمن تصح منه الرؤية وقيل الفاعل هو الموصول والمفعول هو الجملة على حذف أن المصدرية والرؤية
 قلبية أي ويرى القوم الذين في قلوبهم مرض أن يسارعوا فيهم فلما حذف أن انقلب الفعل مرفوعا
 كما في قول من قال ألا أي هذا الزاجري أحضر الوغي والمراد بهم عبد الله بن أبي وأضرابه الذين كانوا
 يسارعون في موادة اليهود وفصاري نجران وكانوا يعتذرون الى المؤمنين بأنهم لا يؤمنون أن تصيبهم
 صروف الزمان وذلك قوله تعالى (يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة) وهو حال من ضمير يسارعون
 والدائرة من الصفات الغالبة التي لا يذكر معها موصوفها أي تدور علينا دائرة من دوائر الدهر ودولة من
 دوله بأن يتقلب الامر وتكون الدولة للكفار وقيل نخشى أن يصيبنا مكرهم من مكاره الدهر كالطوب
 والقمط فلا يعطونا الميرة والقرض * روى أن عبدة بن الصامت رضى الله تعالى عنه قال لرسول الله صلى
 الله عليه وسلم ان لي موالى من اليهود كثير أعدهم واني ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واني الى الله ورسوله
 فقال عبد الله بن أبي اني رجل أخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالى وهم يهود بنى قينقاع ولعله يظهر
 للمؤمنين أنه يريد بالدوائر المعنى الاخير ويظهر في نفسه المعنى الاول وقوله تعالى (فهم يأتونك بالفتح)
 ردة من جهة الله تعالى لعلهم الباطلة وقطع لاطماعهم الفارغة وتبشير المؤمنين بالظفر فان عسى منه سبحانه
 وعد محتوم لما أن الكريم اذا أطمع أطمع لا محالة فما ظنك بأكرم الاكرمين وأن يأتي في محل النص على أنه
 خبر عسى وهو رأى الاخضر أو على أنه مفعول به وهو رأى سيبويه لئلا يلزم الاخبار عن الجملة بالحدث
 كما في قولك عسى زيد أن يقوم والمراد بالفتح فتح مكة قاله السكبي والسدي وقال الضحاك فتح قرى اليهود من
 خير وفدك وقال قتادة ومقاتل هو القضاء الفصل بنصره عليه الصلاة والسلام على من خالفه واعزاز الدين
 (أو أمر من عنده) بقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء (فيصحبوا) أي أولئك المنافقون المتعللون
 بماذكروا وهو عطف على يأتي داخل معه في حيز خبر عسى وان لم يكن فيه ضمير يعود الى اسمها فان فاء السببية
 مفسية عن ذلك فانها تجعل الجملة واحدة (على ما أسر وافي أنفسهم نادمين) وهوما كانوا يكفونهم
 في أنفسهم من الكفر والشك في أمره عليه الصلاة والسلام وتعليق التدامة به لا بما كانوا يظهرونه من موالاته
 الكفرة لما أنه الذي كان يحملهم على الموالاته وبغيرهم عليها فدل ذلك على ندامتهم عليها بأصلها وسببها
 (ويقول الذين آمنوا) كلام مبتدأ مسوق لبيان كمال سوء حال الطائفة المذكورة وقرئ بغير واو على أنه
 جواب سؤال نشأ مما سبق كأنه قيل فماذا يقول المؤمنون حينئذ وقرئ ويقول بالنصب عطفا على يصعدوا وقيل
 على يأتي باعتبار المعنى كأنه قيل فعسى أن يأتي الله بالفتح ويقول الذين آمنوا والاول أوجه لان هذا القول
 انما يصدر عن المؤمنين عند ظهور ردة المنافقين لا عند اتيان الفتح فقط والمعنى ويقول الذين آمنوا مخاطبين
 لليهود مشيرين الى المنافقين الذين كانوا يوالونهم ويرجون دولتهم ويظهرون لهم غاية المحبة وعدم المضارقة عنهم
 في السر والضر والاضراء عند مشاهدتهم لخيبة رجائهم وانعكاس تقديرهم بوقوع ضدها كانوا يتقربونه ويتعللون به
 تحجيبا للمخاطبين من حالهم وتعرضهم (أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم أنهم لم يكفروا) أي بالنصرة
 والمعونة كما قالوا فيما حكى عنهم وان قوتلتهم لننصرنكم واسم الإشارة مبتدأ وما بعده خبره والمعنى انكار ما
 فعلوه واستبعادهم وتحطنتهم في ذلك أو يقول بعض المؤمنين لبعض مشيرين الى المنافقين أيضا هؤلاء الذين
 أقسموا بالكفرة أنهم لم يكفروا فان الخطاب في معكم لليهود على التقديرين الا أنه على الاول من جهة المؤمنين وعلى
 الثاني من جهة المقسمين وهذه الجملة لا محل لها من الاعراب لانها تفسير وحكاية لمعنى أقسموا الكفر لا بالفاظهم

والاقليل انما لهم وجه الايمان أغلظها وهو في الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير وأقسموا بالله
 يجهدون جهداً يمانهم فحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه ولا يبالى به مرفعه لفظاً لانه مؤول بنه كره
 أى يجتهدون في أيمانهم أو على المصدر أى أقسموا اقسام اجتهاد في اليمين وقوله تعالى (حبطت أعمالهم
 فأصبروا خاسرين) اما جملة مستأنفة مسوقة من جهته تعالى لبيان ما كمال ما صنعوه من ادعاء الولاية
 والاقسام على المعية في المنشط والمكروه انرا الاشارة الى بطلانه بالاستنفها م الانكارى واما خبرتان
 للمبتدأ عند من يجوز كونه جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى أو هو الخبر والموصول مع ما في خبر صلته
 ضفة لاسم الاشارة فالاستنفها م حينئذ لا تقر برفعه معنى التجب كأنه قيل ما أحبط أعمالهم فإخسرهم
 والمعنى بطلت أعمالهم التي عملوها في شأن موالائكم وسعوا في ذلك سعياً بليغاً حيث لم تكن لكم دولة
 فينتفعوا بما صنعوا من المساعي وتعملوا من مكابدة المشاق وفيه من الاستنزاف بالمنافقين والتقريع للخطابين
 ما لا يخفى وقيل قاله بعض المؤمنين مخاطباً لبعض تعجباً من سوء حال المنافقين واعتباطاً بما من الله تعالى
 على أنفسهم من التوفيق للاخلاص أهؤلاء الذين أقسموا لكم باغلاظ الايمان انهم أولياؤكم ومعاضدكم
 على الكفار بطلت أعمالهم التي كانوا يتكفون بها في رأى أعين الناس وأنت خير بأن ذلك الكلام من
 المؤمنين انما يليق بما لو أنظروا المنافقون حينئذ خلاف ما كانوا يدعونه ويسمونه عليه من ولاية المؤمنين
 ومعاضدتهم على الكفار فظهر كذبهم وافتضحوا بذلك على رؤس الاشهاد وبطلت أعمالهم التي كانوا
 يتكفون بها في رأى أعين المؤمنين ولا ريب في أنهم يومئذ أشد ادعاء موالائهم من قبل ذلك فضلاً عن أن
 يظهر واخلاف ذلك وانما الذي يظهر منهم التدامة على ما صنعوا وليس ذلك علامة ظاهرة الدلالة على كفرهم
 وكذبهم في ادعائهم فانهم يدعون أن ليست ندامتهم الا على ما أظهروا من موالاة الكفرة خشية اصابة الدائرة
 (يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) وقرئ يرتد بالفتح على لغة الجواز والادغام لغة تميم لما نهى فيما سلف
 عن موالاة اليهود والنصارى وبين أن موالائهم مستدعية للارتداد عن الدين وفصل مصير أمر من يواليهم من
 المنافقين شرع في بيان حال المرتدين على الاطلاق وهذا من الكائنات التي أخبر عنها القرآن قبل وقوعها
 روى أنه ارتد عن الاسلام احدى عشرة فرقة ثلاث في عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام بنو مدليج
 ورئيسهم ذو الحجار وهو الاسود العنسي كان كاهناً تنبأ باليمن واستولى على بلاده فأخرج منها عمال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فكتب عليه الصلاة والسلام الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فأهلكه الله تعالى
 على يد فيروز الديلمي بيته فقتله وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ليله فقتل فسر به المسلمون وقبض
 عليه الصلاة والسلام من الغد وأتى خبره في آخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلة الكذاب تنبأ وكتب
 الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلة رسول الله الى محمد رسول الله أما بعد فان الارض نصفها لى ونصفها
 لك فأجاب عليه الصلاة والسلام من محمد رسول الله الى مسيلة الكذاب أما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء
 من عباده والعاقبة للمتقين فخار به أبو بكر رضى الله عنه يجنود المسلمين وقتل على يدى وحشى قاتل حجة
 رضى الله عنه وكان يقول قتلته في جاهليتي خير الناس وفي اسلامي شر الناس وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد
 تنبأ فبعث اليه أبو بكر رضى الله عنه خالد بن الوليد فانهزم بعد القتال الى الشام فأسلم وحسن اسلامه وسبع في
 عهد أبي بكر رضى الله عنه فزاره قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم النجاء
 ابن عبد البائل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبشة التي زوجت نفسها من
 مسيلة الكذاب وفيها يقول أبو العلاء المعرى في كتاب استغفر واستغفرى

آمت سجاح ووالاها مسيلة * كذابة في بني الدنيا وكذاب

وتكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبصرين قوم الحطيم بن زيد وكفى الله تعالى أمرهم على يد أبي
 بكر رضى الله عنه وفرقة واحدة في عهد عمر رضى الله عنه غسان قوم خبيلة بن الايهم نصرته اللطمة وسيرته
 الى بلاد الروم وقصته مشهورة وقوله تعالى (فسوف يأتي الله) جواب الشرط والعائد الى اسم الشرط
 محذوف أى فسوف يأتي الله مكانهم بعد اهلاكهم (بقوم يحبهم) أى يريد بهم خيري الدنيا والآخرة ومحل

الجملة الجزئية أنها صفة لقوم وقوله تعالى (ويحبونه) أي يريدون طاعته ويحززون عن معاصيه معطوف عليها داخل في حكمها قبل هم أهل الإيمان لما روى أن النبي عليه الصلاة والسلام أشار إلى أبي موسى الأشعري وقال قوم هذا وقيل هم الأنصار رضي الله عنهم وقيل هم القرص لما روى أنه عليه السلام سئل عنهم فضرب يده الكريمة على عاتق سلمان رضي الله عنه وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الإيمان معلقاً بالثريا لباله رجال من أبناء فارس وقيل هم ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وثلاثة آلاف من أقباء النخع جاهدوا يوم القادسية (أدلة على المؤمنين) جمع دليل لا دلول فإن جمعه دليل أي أرفاء رجاء متذللين ومتواضعين لهم واستعماله على التضمن معنى العطف والحنو والتنبية على أنهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أختصهم أول رعاية المقابلة بينه وبين ما في قوله تعالى (أعزة على الكافرين) أي أشداء متغلبين عليهم من عزه إذا غلبه كما في قوله عز وجل أشداء على الكفار رجاء بينهم وهم ماضفان إخوان لقوم ترك بينهم العاطف للدلالة على استقلالهم بالانصاف بكل منهما وفيه دليل على صحة تأخير الصفة الصريحة عن غير الصريحة من الجملة والظرف كما في قوله تعالى وهذا كتاب أنزلناه مبارك وقوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث وقوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث وما ذهب إليه من لا يجوز من أن قوله تعالى يحبهم ويحبونه كلام معترض وأن مبارك خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف وأن من ربهم ومن الرحمن حالان متقدمتان من ضمير محدث تكلف لا يخفى وقرئ أدلة أعزة بالنصب على الحالية من قوم تخصصه بالصفة (يجاهدون في سبيل الله) صفة أخرى اقوم مرتبة على ما قبلها مهيئة مع ما بعده الكيفية عزتهم أو حال من الضمير في أعزة (ولا يجاهدون لومة لائم) عطف على يجاهدون بمعنى أنهم جاسعون بين المجاهدة في سبيل الله وبين التصلب في الدين وفيه تعريض بالمنافقين فانهم كانوا إذا خرجوا في جيش المسلمين خافوا أو لبأهم اليهود فلا يكادون يعملون شيئاً لمصلحةهم فيه لوم من جهتهم وقيل هو حال من فاعل يجاهدون بمعنى أنهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين واعتراض عليه بأنهم نصوا على أن المضارع المنفي بلا أو ما كالمثبت في عدم جواز مباشرة أو الحال له واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغة لا تخفى (ذلك) إشارة إلى ما تقدم من الأوصاف الجميلة وما فيه من معنى البعد للإيداع بعد منزلته في الفضل (فضل الله) أي لطفه وإحسانه لأنهم مستقلون في الانصاف بها (بؤيته من يشاء) أياء أياء ويوفقه لكسبه وتحصيله حسب مقتضيه الحكمة والصلوة (والله واسع) كثير القواضل والالطاف (عليه) مبالغ في العلم بجميع الأشياء التي من جلتها من هو أهل الفضل والتوفيق والجملة اعتراض تذييلي مقترن لما قبله وأظهار الاسم الجليل للأشعار بالاعلة وتأكيده استقلال الجملة الاعتراضية (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) لما نهاهم الله عز وجل عن موالاة الكفرة وعاله بأن بعضهم أولياء بعض لا يتصور ولا يتهم للمؤمنين وبين أن من يتولاهم يكون من جلتهم بين ههنا من هو وليهم بطريق قصر الولاية عليه كأنه قبل لا تتخذوهم أولياء لأن بعضهم أولياء بعض وليسوا بأولياءكم انما أولياءكم الله ورسوله والمؤمنون فاخصوهم بالموالاة ولا تتخطوهم إلى غيرهم وانما أفرد الولي مع تعدده للإيداع بأن الولاية أصالة لله تعالى وولايته عليه السلام وكذا ولاية المؤمنين بطريق التبعية لولايته عز وجل (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) صفة للذين آمنوا الجزية تجري الاسم أو بدل منه أو نصب على المدح أو رفع عليه (وهم راكعون) حال من فاعل الفعلين أي يعملون ما ذكر من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وهم شاعون ومتواضعون لله تعالى وقيل هو حال مخصوصة بإيتاء الزكاة والركوع ركوع الصلاة والمراد بيان كمال رغبتهم في الاحسان ومسايرتهم إليه وروى أنها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع فطرح إليه خاتمه كأنه كان مرجاني خنصر غير محتاج في إخراجها إلى كثير على يؤدي إلى فساد الصلاة ولانقطع التبع حيث تترغب الناس في مثل فعله رضي الله عنه وفيه دلالة على أن صدقة التطوع تسمى زكاة (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا) أو ترا الظهار على أن يقال ومن يتولهم رعاية لما مر من تكتة بيان أصالته تعالى في الولاية كما نبئ عنه قوله تعالى (فان حزب الله هم الغالبون) حيث أضيف الحزب إليه تعالى خاصة وهو أيضاً من باب وضع الظاهر موضع الضمير العائد إلى من أي قائمهم الغالبون لكنهم جعلوا حزب الله تعالى تعظيماً لهم وأثبتنا الغلبتهم بالطريق البرهاني كأنه قيل ومن يتول هؤلاء فانهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا

الذين اتخذوا دينهم هزوا ولعبا) روى أن رفاعه بن زيد وسويد بن الحرث أظهر الإسلام ثم نافقا وكان رجل
من المؤمنين يوادهم ما نفخوا عن موالاتهم ورتب التهي على وصف بعضهم وغيرهما تعميما الحكم وتبنيها على
العلية وايداناً بأن من هذا شأنه جدير بالمعاداة فكيف بالموالاتة (من الذين أوثوا الكتاب من قبلكم) بيان
للمستترين والتعرض لعنوان آية الكتاب لبيان كمال شناعتهم وغاية ضلالتهم لما أن آية الكتاب وأزع لهم
عن الاستهزاء بالدين المؤسس على الكتاب المصدق لكتابهم (والكفار) أي المشركين خصوصاً بالتضاعف
كفرهم وهو عطف على الموصول الأول ففيه إشعار بأنهم ليسوا بمستترين كما ينبغي عنه تخصيص الخطاب بأهل
الكتاب في قوله تعالى يا أهل الكتاب هل تنقمون منا الآية وقرئ بالجزء عطفاً على الموصول الأخير وبعضه
قراءة أخرى ومن الكفار وقراءة عبد الله ومن الذين أشركوا فهم أيضاً من جملة المستترين (أوليا) وجابوهم
كل المجابة (واقفوا لله) في ذلك بتركوا موالاتهم أو ترك المناهي على الإطلاق فيدخل فيه ترك موالاتهم دخولاً
أولياً (ان كنتم مؤمنين) أي حقاً فان قضية الايمان توجب الاتقاء لا المحالة (واذا ناديتكم الى الصلوة
اتخذوها) أي الصلاة أو المناداة ففيه دلالة على شرعية الاذان (هزوا ولعبا) بيان لاستهزائهم بحكم خاص
من أحكام الدين بعد بيان استهزائهم بالدين على الإطلاق اظهرا السكالات شقاوتهم روى أن نصرانياً بالمدينة
كان اذا مع المؤذن يقول أشهد أن محمداً رسول الله يقول أحمق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة ينار
وأهله نيام فطار من شراة في البيت فأحرقته وأهله جميعاً (ذلك) أي الاستهزاء المذكور (بأنهم) بسبب
أنهم (قوم لا يعقلون) فان البهية تؤدي الى الجهل بحسن الحق والزهو به ولو كان لهم عقل في الجملة لما اجتروا
على تلك العظيمة (قل) أحمق رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق تلويح الخطاب بعد نهى المؤمنين عن تولي
المستترين بأن يحاط بهم وبين أن الدين منزّه عما يصح صدور ما صدر عنهم من الاستهزاء ويظهر لهم سبب
ما ارتكبوه وباقهم الجراى قل لا واثق الثجرة (يا أهل الكتاب) وصفوا بأهلية الكتاب تهديد المناسب في من
تسببهم والزائم بكفرهم بكتابهم (هل تنقمون منا) من نقم منه كذا اذا عابه وأنكره وكرهه ينقمه من حد
ضرب وقرئ بفتح القاف من حد علم وهي أيضاً لغة أي مانعيون وما تنكرون منا (الآن آمننا بالله وما أنزل
الينا) من القرآن المجيد (وما أنزل من قبل) أي من قبل انزاله من التوراة والانجيل المتزلين عليكم وسائر
الكتب الالهية (وان أكثركم فاسقون) أي معتردون خارجون عن الايمان بما ذكرنا الكفر بالقرآن مستلزم
للكفر بما يصدق له المحالة وهو عطف على أن آمننا على أنه مفعول له لتنقمون والمنعول الذي هو الذين محذوف
ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه دلالة واضحة فان اتخذ الدين هزوا ولعباً عين نفيه وانكراهه والايمان بما فصل
عين الدين الذي نفيه وخلافه أنه أبرز في معرض علة تنقمهم له تسجيلاً عليهم بكال المكابرة والتعكيس حيث جعلوه
موجباً لنفيه مع كونه في نفسه موجباً لقبوله وارضائه فالاستهزاء من أعظم العلل أي مانتة مؤذون منادينا للعلل
من العلل الا لأن آمننا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل من كتبكم ولأن أكثركم معتردون غير مؤمنين بواحد
منها كرحى لو كنتم مؤمنين بكتابكم الناطق بصحة كتابه الا منتم به واستناد الفسق الى أكثرهم لانهم الحاملون
لا عقابهم على القرد والعناد وقيل عطف عليه على أنه مفعول لتنقمون منا لكن لا على أن المستثنى مجموع
المعطوفين بل هو ما يلزمه ما من المخالفة صكاً أنه قيل ما تنقمون منا الا بما لفتكم حيث دخلنا الايمان وأنتم
خارجون عنه وقيل على حذف المضاف أي واعتقاد أن أكثركم فاسقون وقيل عطف على ما أي ما تنقمون منا
الا أن آمننا بالله وما أنزل الينا وبأنكم فاسقون وقيل عطف على علة محذوفة أي لتسبب انصافكم ولأن أكثركم
فاسقون وقيل الواو بمعنى مع أي ما تنقمون منا الا الايمان مع أن أكثركم الخ وقيل هو منصوب بفعل مقدر
دل عليه المذكور أي ولا تنقمون أن أكثركم فاسقون وقيل هو مرفوع على الابتداء والخبر محذوف أي
وفسقكم معلوم أي ثابت والجملة جالية أو معترضة وقرئ بأن المكسورة والجملة مستأنفة مبنية لكون أكثرهم
فاسقين معتردين (قل هل أتيتكم بشر من ذلك) لما أمر عليه الصلاة والسلام بالزامهم وتسببهم بيان أن مدار
نقمهم للدين انما هو استماله على ما يوجب ارضاءه عندهم أيضاً وكفرهم بما هو مسلم أنهم أمر عليه الصلاة
والسلام عقبيه بأن يسببهم بيان أن الحقيق بالنقم والعيب حقيقة ما هم عليه من الدين المحرف ونسب عليهم
في ضمن البيان جناباتهم وما حاق بهم من تبعاتهم لوعقوباتهم على مناجاة التعريض لئلا يحملهم التصريح بذلك على

قوله مبنية لكون الخ هكذا
في النسخ وبارز عليه اتحاد البيان
واليمين فليست على أه معجبه

ركوب متن المكابرة والعناد ويحاط بهم قبل البيان بما ينبغي عن عظم شأن المين ويستدعي اقبالهم على نصيبه من
الجللة الاستفهامية المشوقة الى الخبرية والتنبؤية المشهورة بكونه امر اخطير الما ان النبأ هو الخبر الذي له شأن وخطر
وحيث كان مناط النظم شرعية المنة وم حقيقة أو اعتقاد أو كان مجرد النظم غير مفيد لشرعية البينة قبل بشر من
ذلك ولم يقل بأنهم من ذلك حقيقة ان شرعية ما سبذ كرو زيادة تقرير لها وقيل انما قيل ذلك لوقوعه في عبارة المخاطبين
حيث أتى نفر من اليهود فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دينه فقال عليه الصلاة والسلام أو من بالله
وما أنزل اليه الى قوله ونحن له مسلمون فحين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام قالوا لا نعلم شر من دينكم وانما اعتبر
الشرية بالنسبة الى الدين وهو منزعه عن شائبة الشرية بالكلية بحجارة معهم على زعمهم الباطل المعقد على كمال
شرية لينت أن دينهم شر من كل شر أي حل أخبركم بما هو شر في الحقيقة مما تعتقدونه شر وان كن في نفسه
خيرا محضا (منو به عند الله) أي برأه ثابنا في حكمه بقرئ مشوبة وهي لغة فيها كشورة وشورة وهي محتمة
بالخير كما أن العقوبة محتمة بالشر وانما وضعت ههنا موضعا على طريقة قوله فحجة بينهم ضرب وجميع ونصها
على التمييز من بشر وقوله عز وجل (من لعنه الله وغضب عليه) خبر ابتدأ محذوف تقديره مضاف قبله مناسب
لما أشير اليه بكلمة ذلك أي دين من لعنه الخ أو بتقدير مضاف قبلها مناسب لمن أي بشر من أهل ذلك والجللة على
التقديرين استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الجللة الاستفهامية اتما على حالها وهو الظاهر المناسب
اسياق النظم الكريم واتما باعتبار التقدير فيها فكانه قبل ما الذي هو شر من ذلك فقيل هو دين من لعنه الله الخ
أو قيل في السؤال من ذا الذي هو شر من أهل ذلك فقيل هو من لعنه الله ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية
المهابة وادخال الروعة وتحويل أمر الأمن وماتبعه والموصول عبارة عن المخاطبين حيث أبعدهم الله تعالى
من رحمته ومخط عليهم بفسادهم وانما حكمهم في المعاصي بعد وضوح الآيات وسنوح البينات (وجعل
منهم القردة والخنازير) أي سمخ بعضهم قردة وهم أصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار مائدة عيسى
عليه السلام وقيل كلا الضميرين في أصحاب السبت سمخت شبا نهم قردة وشيوخهم خنازير وجميع الضمير
الرايع الى الموصول في منهم باعتبار معناه كما أن أفراد الضميرين الآتين باعتبار لفظه وايتا روضعه موضع
ضمير الخطاب المناسب لانبتكم للصد الى اثبات الشرية بما عتد في حيز صلت من الامور الهائلة الموجبة
لهما على الطريقة البرهانية مع ما فيه من الاحتراز عن تهيج بلجاجهم (وعبد الطاغوت) عطف على صلة
من واقراد الضمير للمأزوكذا عبد الطاغوت على قراءة البناء مفعول ورفع الطاغوت وكذا عبد الطاغوت
بمعنى صار معبودا فالراجع الى الموصول محذوف على القراءتين أي عبد فيهم أو ينهم وتقديم أو صافهم
الذكورة بصد اثبات شرية دينهم على وصفهم هذا مع أنه الاصل المستتبع لها في الوجود وان دلالة على
شرية بالذات لان عبادة الطاغوت عين دينهم البين البطلان ودلائلها على بطريق الاستدلال بشرية
الا تمار على شرية ما يوجبها من الاعتقاد والعمل اما لتقصي الى تكبيهم من أول الامر بوصفهم بما لا يسيل لهم
الى الجلود لا بشرية وفضاعته ولا باصافهم به واتما للايذان باستقلال كل من المذم والمؤخر بالدلالة على ما ذكر
من الشرية ولوروى ترتيب الوجود وقيل من عبد الطاغوت ولعنه الله وغضب عليه الخ زعمافهم أن علم الشرية
هو المجموع وقد قرئ عبد الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بالاضافة على أنه نعت كفتن ونقط وكذا عبدة
الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بالاضافة على أنه جمع عبد كقدم أو على أن أصله عبدة حذفت تاؤه للاضافة
بالنصب في الكل عطف على القردة والخنازير وقرئ عبد الطاغوت بالجر عطف على من بناء على أنه مجرور بتقدير
المضاف وقد قيل ان من مجرور على أنه بدل من شر على أحد الوجهين المذكورين في تقدير المضاف وأنت خير
بأن ذلك مع اقتضائه اخلاؤ النظم الكريم عن المزايا المذكورة بالمرّة بما لا يسيل اليه قطعا ضرورة أن المقصود
الاصلي ليس منعون الجللة الاستفهامية بل هو كما مر مقدمة سيقت أمام المقصود لهؤلاء المخاطبين وتوجيه
أذهانهم نحو ثلثي ما يليق اليهم عقوبتها بحجة خبرية موافقة في الكيفية للسؤال الناشئ عنها وهو المقصود افادته
وعليه يدور ذلك الازام والتبكيك حسبما شرح فاذا جعل الموصول بما في حيز صلت من تمة الجللة الاستفهامية
فأين الذي يليق اليهم عقوبتها جوابا عما نشأ منها من السؤال ليصل به الازام والتبكيك واتما بالجللة
الآتية فبمعزل من صلاحية الجواب فكيف لا ولا بد من موافقة في الكيفية للسؤال الناشئ عن الجللة

قوله وكذا عبد الطاغوت بمعنى
الخ أي بفتح العين وضم الباء
على وزن كرم ورفع الطاغوت
كفي اشهاب اه معجمه

الاستفهامية وقد عرفت أن السؤال الثاني عن هيلستدعي وقوع الشر من تمة الخبر عنه لا خبرا كما في الجملة
 المذكورة وسيضع ذلك مزيدا توضيح باذن الله تعالى والمراد بالطاغوت الجبل وقيل هو الكهنة وكل
 من أطاعوه في معصية الله عز وجل فيم الحكم دين النصارى أيضا ويتضح وجه تأخير ذكر عبادته عن
 العقوبات المذكورة إذ لو قدمت عليهم بالتوهم اشتراط الفريقتين في تلك العقوبات ولما كان ما آل
 ما ذكر بصدد التبيكيت أن ما هو شر مما تقصوه دينهم وأن من هو شر من أهل ما تقصوه أنفسهم بحسب ما قدر
 من المضامين وكانت الشريعة على كلا الوجهين من تمة الموضوع غير مقصودة الاثبات لدينهم أو لانتقامهم عقب
 ذلك بآياتها لهم على وجه يشعر بعلة ما ذكر من القبايح لثبوتها لهم بجملته مستأنفة مسوقة من جهته سبحانه
 شهادة عليهم بكمال الشرارة والضلال أو داخله تحت الأمرنا كيد اللزام وتشديد التبيكيت فقيل (أو لك
 شر مكانا) فاسم الإشارة عبارة عن ذكرت صفاتهم الخبيثة وما فيه من معنى البعد للايدان يبعد منزلتهم في
 الشرارة أى أو لك الموصوفون بتلك القبايح والغضاض شر مكانا جعل مكانهم شرًا ليكون أبلغ في الدلالة على
 شرارتهم وقيل شر مكانا أى منصرفا (وأصل عن سواء السبيل) عطف على شر مقرر له أى أكثر ضلالا عن
 الطريق المستقيم وفيه دلالة على ككون دينهم شرًا محضًا بعيدا عن الحق لأن ما يمسكونه من الطريق دينهم
 فإذا كانوا أصلًا كان دينهم ضلالا مبينا لا غاية وراءه وصيغة التفضيل في الموضوعين للزيادة مطلقا لا بالاضافة الى
 من يشاركونهم في أصل الشرارة والضلال (وإذا جاءكم فاعلموا بآياتهم) نزات في ناس من اليهود كانوا يداخون
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويظهرون له الايمان نفقا فأنزل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والجمع
 للتعظيم أوله مع من عنده من المسلمين أى إذا جاءكم فاعلموا بآياتهم (وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به)
 أى يخرجون من عندكم ملتبسين بالكفر كما دخلوا بؤثر فيهم ما سمعوا منك والجمتان سالان من فاعل قالوا
 وبالكفر وبه سالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح أن يقع حالا
 فأحدث أيضا بما فيها من معنى التوقع أن أمارات النفاق كانت لا تحصى وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يظنه
 ويتوقع أن يظهره الله تعالى ولذلك قيل (والله أعلم بما كانوا يكتمون) أى من الكفر وفيه وعيد شديد لهم (وترى)
 خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أول كل أحد من يصلح للخطاب والرؤية بصرية (كثيرا منهم) من اليهود
 والمنافقين وقوله تعالى (يسارعون في الآثم) حال من كثيرا وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية والاول أنسب
 بحالهم وظهور نفاقهم والمسارة المبادرة والمباشرة للشيء بسرعة وإيثار كلمة في على كلمة الى الواقعة في قوله تعالى
 وسارعوا الى مغفرة الخ لما ذكر في قوله تعالى فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم والمراد بالآثم الكذب
 على الإطلاق وقيل الحرام وقيل كلمة الشر لا وقولهم عزير ابن الله وقيل هو ما يختص بهم من الآثام
 (والعدوان) أى الظلم المتعدى الى الغير أو مجاوزة الحد في المعاصي (وأكلهم السحت) أى الحرام خصه بالذكر
 مع اندراجهم في الآثم للمبالغة في التقييد (لبئس ما كانوا يعملون) أى لبئس شأنا كانوا يعملونه والجمع بين صيغتي
 الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار (ولولا ينهاهم الربانيون والاحبار) قال الحسن الربانيون علماء الانجيل
 والاسفار علماء التوراة وقيل كلهم في اليهود وهو تخصيص للذين يقتدى بهم أفناؤهم ويعلمون قباحة ما هم فيه
 وسوء مغيبته على نهي أسافلهم عن ذلك مع توبيخهم على تركه (عن قولهم الآثم وأكلهم السحت) مع علمهم
 بقبحهما ومشاهدتهم باشرتهم لهما (لبئس ما كانوا يصنعون) وهذا أبلغ مما قيل في حق عاصيتهم لما أن العمل
 لا يبلغ درجة الصنع ما لم يتدرب فيه صاحبه ولم يحصل فيه مهارة تامة ولذلك ذم به خواصهم ولأن ترك الحسنة
 أقبح من موازنة المعصية لأن النفس تلتذ بها وتقبل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بأبلغ ذم وفيه
 محاسني على العلماء توبيخهم في النهي عن المنكرات ما لا يخفى وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنها أشد آية
 في القرآن وعن الضمالي ما في القرآن آية أخوف عندي منها (وقالت اليهود) قال ابن عباس وعكرمة والضمالي
 أن الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالا وأخصهم ناحية فلما عصوا الله سبحانه بأن
 كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف عنهم ما بسط عليهم فعند ذلك قال قحاص بن عازوراء (يد الله
 متناهية) وحيث لم يسكن عليه الا تحرون ورضوا به نسبت تلك العظيمة الى الكل كما يقال بنو فلان قوا فلانا واما
 القاتل واحد منهم وأراد بذلك لعنهم الله أنه تعالى محسبك يقترب بالرزق فان كلا من غل اليد وبسطها مجاز عن محض

الجل والجود من غير قصد في ذلك الى اثبات يدوغل أو بسط الأيدي أنهم يستعملونه حيث لا يتصور فيه ذلك كما في قوله

جاد الحى بسط اليدين يؤابل * شكرت نداه تلاعه ووهاده

وقد سلك ليده هذا المسلك السديد حيث قال

وغداة ربح قد شهدت وقرة * اذ أصبحت بيد الشمال زمامها

فانه انما أراد بذلك اثبات القدرة التامة للشمال على التصرف في القرّة كد ما تشاء على طريقة الجاز من غير أن يخطر بباله أن يثبت لها يد اول للقرّة زماما وأصله كناية فيمن يجوز عليه ارادة المعنى الحقيقي كما مر في قوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيامة في سورة آل عمران وقيل أراد واما حكي عنهم بقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء (غلت أيديهم) دعاء عليهم بالذل المذموم والمسكنة أو بالثقر والتكدأ ويقال الايدي حقيقة بأن يكونوا أسارى مغلولين في الدنيا ويسحبوا الى التراب أغلالها في الآخرة فتكون المطابقة حيثئذ من حيث اللفظ وملاحظة المعنى الاصل كما في سبني سب الله دابره (وعصوا) عطف على الدعاء الاقول أي أبعدوا من رحمة الله تعالى (بما قالوا) أي بسبب ما قالوا من الكلمة الشنعاء وقيل كلاهما خبر (بل يدها) ميسوطتان) عطف على قد ربح فتضيه المقام أي كد ليس كذلك بل هو في غاية ما يكون من الجود واليه أشير بتثنية اليد فان أقصى ما ينهي اليه همم الاغنياء أن يعطوا ما يعطونه بكتايدهم وقيل التثنية للتنبية على منعه تعالى لنعمتي الدنيا والآخرة وقيل على اعطائه اكراما وعلى اعطائه استدراجا (يتفق كيف يشاء) جملة مستأنفة وارادة لتأكيد كمال جوده والتنبية على سر ما يلجوا به من الضيق الذي اتخذوه من غاية جهلهم وضلالهم ذريعة الى الاجترار على تلك الكفرة العظيمة والمعنى أن ذلك ليس لقصور في فضله بل لان انفاقه تابع لمشيئته المبني على الحكم التي عليها يدور أمر المعاش والمعاد وقد اقتضت الحكمة بسبب ما فهم من شؤم المعاصي أن يضيق عليهم كما يشير اليه ماسيا في من قوله عز وجل ولو أنهم أطاموا التوراة والانجيل الآية وكيف ظرف ليشاء والجملة في محل نصب على الحالية من ضمير ينفق أي ينفق كائن على أي حال يشاء أي كائن على مشيئته أي مريد أو ترك كما ينفقته لقصد التعميم (وايزيدت كثيرا منهم) وهم علماء وهم رؤساؤهم (ما أنزل اليك) من القرآن المشغل على هذه الآيات وتقدم المفعول للاعتناء به وتخصيص الكثير منهم بهذا الحكم لما أن بعضهم ليس كذلك (من ربك) متعلق بأنزل كما أن اليك كذلك وتأخيره عنه مع أن حق المبدأ أن يتقدم على المنتهى لاقتضاء المقام الاهتمام ببيان المنتهى لان مدار الزيادة هو النزول اليه عليه السلام كما في قوله تعالى وأنزل لكم من السماء ماء والاعراض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشر يفه عليه السلام (طغيانا وكفرا) مفعول ثان للزيادة أي ليزيدتهم طغيانا على طغيانهم وكفرا على كفرهم القديمين ائمان حيث الشدة والغلو وائمان حيث الكرم والكرّة اذ كلتا زلات آية كفر وابطها فيزداد طغيانهم وكفرهم بحسب المقدار كما أن الطعام الصالح للاصحاح يزيد المرضى مرضا (واقبوا بينهم) أي بين اليهود فان بعضهم جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مرجئة وبعضهم مشبهة (العداوة والبغضاء) فلا يكاد تتوافق قلوبهم ولا تتطابق اقوالهم والجملة مبتدأة مسوقة لازاحة ما عسى يتوهم من ذكر طغيانهم وكفرهم من الاجتماع على أمر يؤدى الى الاضرار بالمسلمين قبل العداوة اخص من البغضاء لان كل عدو مبغض بلا عكس كلى (الى يوم القيامة) متعلق بالقبينا وقيل بالبغضاء (كلما أوقدوا نارا للرب أطفأها الله) تصريح بما أشير اليه من عدم وصول غائلة ما هم فيه الى المسلمين أي كلما أرادوا محاربة الرسول عليه الصلاة والسلام ورتبوا مباديها وركبوا في ذلك متن كل صعب وذلول ردّه الله تعالى وقهرهم أو كلما أرادوا حرب أحد قلوبا فانهم لما خالفوا حكم التوراة سلط الله تعالى عليهم بخت نصر ثم أفسدوا فسلط الله عليهم ففرض الروى ثم أفسدوا فسلط الله عليهم الجوس ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المسلمين وللحرب اتمامه لا وقدوا أو متعلق بمحذوف وقع صفة لنا را أي كائنة للحرب (ويسعون في الارض فسادا) أي يجتهدون في الكيد للسلام وأهله واثارة الشر والفتنة فيما بينهم بما يفر ما عبر عنه بايقاد نارا للحرب وفساد اتمامه مفعول له أوفى موقع المصدر أي يسعون للفساد ويسعون سعي فساد (واقه لا يحب المفسدين) ولذلك أطفأ نارة افسادهم واللام اتمامه لئلا يفسدوا وهم داخلون فيه دخولا أوليا واما العهد ووضع المظهر مقام الضمير للتعليل وبيان كونهم راسخين في الافساد

(ولو أن أهل الكتاب) أي اليهود والنصارى على أن المراد بالكتاب الجنس المنتظم للتوراة والإنجيل وأما ذكرها بذلك العنوان تأكيدهم للتشريع فإن أهلية الكتاب توجب إيمانهم به وإقامتهم له لا محالة فكفرهم به وعدم إقامتهم له وهم أهل أقبح من كل قبيل وأشنع من كل شئ ففعلوا قول تعالى (آمنوا) محذوف ثقة بظهوره مما سبق من قوله تعالى هل تنقمون منا إلا أن آمنابا لله وما أنزل البنا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون ومالحق من قوله تعالى ولو أنهم أقاموا التوراة الخ أي ولو أنهم مع صدور ما صدر عنهم من فتن الجنايات قولاً وفعلًا آمنوا بما أتى عنهم الإيمان به فيندرج فيه فرض إيمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وأما إرادة إيمانهم به عليه السلام خاصة فبأبها المقام لأن ما ذكره في ما سبق ومالحق من كفرهم به عليه السلام إنما ذكره متفوقاً بكفرهم بكتابههم أيضاً قصد إلى الإلزام والتبكيك ببيان أن الكفر به عليه الصلاة والسلام مستلزم للكفر بكتابههم فحمل الإيمان نهماً على الإيمان به عليه السلام خاصة محض بتجاوب أطراف النظم الكريم (واتقوا) ما عدا ذلك من معاصيهم التي من جانتها مخالفة كتابهم (لكفرنا عنهم سيئاتهم) التي اقترفوها وإن كانت في غاية العظم ونهاية الكثرة ولم تؤاخذهم بها (ولا دخلناهم) مع ذلك (جنات النعيم) وتكرير اللام لتأكيدهم الوعد وفيه تنبيه على كمال عظم ذنوبهم وكثرة معاصيهم وأن الإسلام يجب ما قبله من السيئات وإن جلت وجاوزت كل حد معهود (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل) براعاة ما فيها من الأحكام التي من جلتها شواهد نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ومبشرات بعثته فإن أقامتهم ما أنما تكون بذلك لبراعة جميع ما فيها من الأحكام لا تتساخ بعضها بنزول القرآن فليست مراعاة الكل من أقامته ما في شيء (وما أنزل إليهم من ربه) من القرآن المجيد المصدق لكتبهم وإيراده بهذا العنوان للإيذان بوجوب إقامته عليهم لنزوله إليهم وللتنصريح بيطلاق ما كانوا يدعون من عدم نزوله إلى بني إسرائيل وتقديم إليهم لما من قبل وفي إضافة الرب إلى ضميرهم من يدلطف بهم في الدعوة إلى الإقامة وقيل المراد بما أنزل إليهم كتب أنبياء بني إسرائيل مثل كتاب شعيا وكتاب حزقيا وكتاب دانيال فأنها مخلوقة بالبركة بجمعه صلى الله عليه وسلم (لا كما رآهم من تحت أرجلهم) أي لوسع عليهم أرزاقهم بأن يفيض عليهم بركات السماء والأرض وأبأن يكثر غرات الأشجار وغلل الزروع وأبأن يرزقهم الجنان اليسانة الثمار فيجبتوا ما تمثل منها من رؤس الأشجار ويلتقطوا ما تساقط منها على الأرض وقيل المراد بالمبالغة في شرح السعة والخصب لاتعيين الجهتين كأنه قيل لا كلوا من كل جهة ومفعول أكلوا محذوف لقصد التعميم أو للصد إلى نفس الفعل كما في قوله فلان يعطى ويمنع ومن في الموضوعين لا ابتداء الغاية وفي هاتين الشرطيتين من حثهم على ما ذكر من الإيمان والتقوى والإقامة بالوعد بنيل سعادة الدارين وزيحهم عن الإخلال به بما ذكر ببيان إفضائه إلى الحرمان عنها وتنبههم على أن ما أصابهم من الضنك والضيق إنما هو من شؤم جناياتهم لا لقصور في قبض الفيض ما لا يخفى (منهم أمة مقصدية) جملة مستأنفة مبنية على سؤال نشأ من مضمون الجملتين المصدريتين بحرف الامتناع الدالين على اتقاء الإيمان والاتقاء وإقامة الكتب المترلة من أهل الكتاب كما أنه قيل هل كانهم كذلك مصرّون على عدم الإيمان الخ فقيل منهم أمة مقصدية أقاموا على أن منهم مبتدأ باعتبار مضمونه أي بعضهم أمة وأما تقدير الموصوف أي بعض كان منهم كما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنابا لله الآية أي طائفة معتدلة وهم المؤمنون منهم كعبد الله بن سلام وأضرابه وثمانية وأربعون من النصارى وقيل طائفة حالهم أمة في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكثير منهم) مبتدأ لتخصصه بالصفة خبره (ما يعملون) أي مقول في حقهم هذا القول أي يسلموا يعملون وفيه معنى التعجب أي ما أسوأ عملهم من العناد والمكابرة وتحريف الحق والأعراض عنه والافراط في العداوة وهم الإخلاف المتعصبون ككعب بن الأشرف وأشباهه والروم (يا أيها الرسول) نودي عليه السلام بعنوان الرسالة تشریفاً له وايداً بأنهم من موجبات الاتيان بما أمر به من تبليغ ما أوحى إليه (بلغ ما أنزل إليك) أي جميع ما أنزل إليك من الأحكام وما يتعلق بها كاتنا ما كان وفي قوله تعالى (من ربك) أي مالك أمورك ومهلكك إلى كمالك إلا أني بك عدة ضمنية يحفظه عليه السلام وكلاهما أي بلغه غير مما قبل في ذلك أحداً ولا خاف أن ينالك مكروه أبداً (وان لم تفعل) ما أمرت به من تبليغ الجميع بالعنى المذكور كما ينبغي عنه قوله تعالى (فابلق رسله) فإن ما لا يتعلق به الأحكام أصلاً من الأسرار الخفية ليست مما يقصد تبليغه إلى الناس أي فما يلقى شيئاً

من رسالته وانسلت مما شرفته من عنوان الرسالة بالمرّة لما أن بعضها ليس أولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكأنك أغفلت أدائها جميعا كما أن من لم يؤمن ببعضها كلن لم يؤمن بأكملها الادلاء كل منها بما يليه غيرها وكونها لذلك في حكم شيء واحد ولا ريب في أن الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به ولا أن كتمان بعضهم الاضاعة لما أذى منها أكثر لبعض أركان الصلاة فان غرض الدعوة ينتقض بذلك وقيل فكأنك ما بلغت شيئا منها كقوله تعالى فكأنما قتل الناس جميعا من حيث أن كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب وقرئ غابلفت رسالاتي وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن كتمت آية لم تبلغ رسالاتي وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالة فوضعت بها ذرعا فأوحى الله إلي أن لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فتقويت وذلك قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) فانه كما ترى عدة كرامة بعصمته من لحوق ضررهم بروحه العزيز بأعنة له عليه السلام على الجدة في تحقيق ما أمر به من التبليغ غير ~~مكرر~~ كثر بعداوتهم وكيدهم وعن أنس رضي الله عنه أنه عليه السلام كان يحرس حتى نزلت فأخرج رأسه من قبة آدم فقال انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمتني الله من الناس وقوله تعالى (ان الله لا يهدي القوم الكافرين) تعليل لعصمته تعالى له عليه السلام أي لا يمكنهم مما يريدون بك من الاضرار وايراد الآية الكريمة في تضاعيف الآيات الواردة في حق أهل الكتاب لما أن الكل قوارع يسوء الكفار معاها ويشق على الرسول صلى الله عليه وسلم مشافهتهم بها وخصوصا ما يتلوها من النص الناعى عليهم كمال ضلالتهم ولذلك أعيد الامر فقيل (قل يا أهل الكتاب) مخاطبا للفرقيين (لستم على شيء) أي دين يعتد به ويلحق بأن يسمى شيئا لظهور بطلانه ووضوح فساده وفي هذا التعبير من التحقير والتصغير ما لا غاية وراءه (حتى تقيموا التوراة والانجيل) أي تراعوها وتحافظوا على ما فيها من الامور التي من جلتها دلائل رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته فان اقامتها انما تكون بذلك وأما مراعاة أحكامها المنسوخة فليست من اقامتها في شيء بل هي تعطيل لها وردلها دلتها لانها شاهدان بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لان شهادتها ما ينسخها شهادة بنسخها واخر وجهها عن كونها من أحكامها وان أحكامها ما قرره النبي الذي بشرهم ما يعصته وذكر في تضاعيفها ما نعوته فاذا اقامتها بيان شواهد النبوة والعمل بما قرره الشريعة من الاحكام كما يفسح عنه قوله تعالى (وما أنزل اليكم من ربكم) أي القرآن المجيد بالايمان به فان اقامة الجميع لا تنافي في ذلك وتقديم اقامة الكتابين على اقامته مع أنها المقصودة بالذات لرعاية حق الشهادة واستنزاهم عن رتبة الشقاق وايراده بعنوان الانزال اليهم لما مر من التصريح بأنهم مأمورون باقامته والايمان به لا كما يزعمون من اختصاصه بالعرب وفي اضافة الرب إلى ضميرهم ما أشير اليه من اللطف في الدعوة وقيل المراد بما أنزل اليهم كتب انبياء بني اسرائيل كما مر وقيل الكتب الالهية فانها بأمرها أمرة بالايمان لمن صدقته المجزة ناطقة بوجوب الطاعة له روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن جماعة من اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألسنت تقرأ أن التوراة حق من عند الله تعالى فقال عليه السلام بلى فقالوا فانما مؤمنون بها ولا تؤمن بغيرها فنزلت وقوله تعالى (وليريدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) بجهة مستأنفة مبينة لشدة شكيتهم وغلوهم في المكابرة والعناد وعدم اقلدة التبليغ فنعاه وتصديرها بالقسم لتأكيد مضمونها وتحقيق مدلولها والمراد بالكثير المذكور علماءهم وروساؤهم ونسبة الانزال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نسبة فيما مر اليهم للانباء عن انسلخهم عن تلك النسبة (فلا تأنس على القوم الكافرين) أي لا تأسف ولا تحزن عليهم لافراطهم في الطغيان والكفر بما نطقه اليهم فان غائلته آتلة اليهم وتبعته طائفة بهم لا تتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم ووضع المظهر موضع المضمحل لتسهيل عليهم بالسوخ في الكفر (ان الذين آمنوا) كلام مستأنف مسوق لترغب من عد المذكورين في الايمان والعمل الصالح أي الذين آمنوا بألسنتهم فقط وهم المنافقون وقيل أعظم من أن يواطئوا قلوبهم أولا (والذين هادوا) أي دخلوا في اليهودية (والصابئون والنصارى) جميع نصران وقدمت تفصيله في سورة البقرة وقوله تعالى والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخر عما في حيزان والتقدير ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كيت وكيت والصابئون كذلك كقوله قاني وقياربه الغريب وقوله والا فاعلموا أنا وانتم • بغاة ما بقينا في شقاق

خلا أنه وسط بين اسم ان وخبره دلالة على أن الصابئين مع ظهور رضائهم وزيفهم عن الاديان كلها حيث قبلت
قوتهم ان صرح منهم الايمان والعمل الصالح فغيرهم أولى بذلك وقيل الجملة الآية خبر للمبتدا المذكور
وخبر ان مقدركا في قوله

نحن بما عندنا وأنت بما * عندك راض والرائى مختلف

وقيل التمازى مرفوع على الابتداء كقوله تعالى والصابئون عطف عليه وهو مع خبره عطف على الجملة
المصدرة بأن ولا مساع لعطفه وحده على محل ان واسمها لا اشتراط ذلك بالفراغ عن الخبر والالارتفع الخبر بأن
والابتداء معا واعتذر عنه بأن ذلك اذا كان المذكور خبرا لهما وأما اذا كان خبرا المعطوف محذوفا فلا محذور
فيه ولا على الضمير في هادوا لعدم التأكيّد والفصل والاستلزامه كون الصابئين هودا وقرى والصابئون
بنو صريجة بتخفيف الهيمزة وقرى والصابون وهو من صبا يصبو لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات
في دينهم وقرى والصابئين وقرى يأبى الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون وقوله تعالى (من آمن بالله
واليوم الآخر وعمل صالحا) أما في محل الرفع على أنه مبتدأ خبره (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)
والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط وجمع الضمائر الاخير باعتبار معنى الموصول ك كما أن افراد ما في صلته
باعتبار لفظه والجملة خبر ان والعائد الى اسمها محذوف أى من آمن منهم وأما في محل التصب على أنه بدل
من اسم ان وما عطف عليه والخبر قوله تعالى فلا خوف والقاء كما في قوله عز وجل ان الذين قتلوا المؤمنين
والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم الآية فالعنى على تقدير ك كون المراد بالذين آمنوا المنافقين
وهو الاظهر من أحدث من هذه الطوائف ايمانا خاصا بالمبدأ والعماد على الوجه اللائق لا كما يزعمه أهل الكتاب
فان ذلك بعزل من أن يكون ايمانا بهما وعلى عملا صالحا حسبا يقتضيه الايمان بهما فلا خوف عليهم حين يخاف
الكفار والعقاب ولا هم يحزنون حين يحزن المقصرون على تضيق العسر وتضييق الثواب والمراد بيان دوام
اتقانهم لا بيان اتقائه ودوامهما كما يوحى به كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر من اراد ان النبي وان دخل
على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام وأما على تقدير ك كون المراد بالذين آمنوا مطلق
المتدينين بدين الاسلام المخلصين منهم والمنافقين فالمراد بمن آمن من انصف منهم بالايمان الخالص بالمبدأ والمعاد
على الاطلاق سواء كان ذلك بطريق النيات والدوام عليه كما هو شأن المخلصين أو بطريق احداثه وانشائه كما هو
حال من عداهم من المنافقين وسائر الطوائف وفائدة التعميم للمخلصين المباغة في رغبة الباقيين في الايمان ببيان
أن تأخرهم في الاتصاف به غير محجل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين الاعلام وأما ما قيل المعنى من كان منهم
في دينه قبل أن ينسخ مصداق قلبه بالمبدأ والمعاد عملا يقتضى شرعه فما لا سبيل اليه أصلا كما مر تفصيلا في سورة
البقرة (لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل) ك كلام مبتدأ مسوق لبيان بعض آخر من جناباتهم المنادية
باستبعاد الايمان منهم أى بالله لقد أخذنا ميثاقهم بالتوحيد وسائر الشرائع والاحكام المكتوبة عليهم في التوراة
(وأرسلنا اليهم رسلا) ذوى عدد كثير وأولى شأن خطير ليقربوهم على مراعاة حقوق الميثاق ويطلعوهم على
ما يأتون ويذرون في دينهم ويتعهدوهم بالعنطة والتذكير وقوله تعالى (كلما جاءهم رسول بما لا تهوى
أنفسهم) جملة شرطية مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الاخبار بأخذ الميثاق وإرسال الرسل
وجواب الشرط محذوف كأنه قيل فبأذا فعلوا بالرسول فقيل كلما جاءهم رسول من أولئك الرسل بما لا تحبه
أنفسهم المنهكة في النفي والفساد من الاحكام الحقة والشرائع عصى وعادوه وقوله تعالى (فريقا كتبوا
وقريقا يقتلون) جواب مستأنف عن استفسار كيفية ما أظهروه من آثار الخيانة المفهومة من الشرطية
على طريقة الاجمال كأنه قيل كيف فعلوا بهم فقيل فريقا منهم كتبوا غير أن يتعرضوا لهم بشئ آخر
من الميقات وفريقا آخر منهم لم يكتبوا بشئ كذبهم بل قتلوهم أيضا وانما أوتر عليه صيغة المضارع على حكاية
الحال الماضية لاستحضار صورتهما الهائلة للتجيب منها والتنبية على أن ذلك دينهم المستمر والمحافظة
على رؤس الاتحاذ الكريمة وتقديم فريقا في الموضوعين للاهتمام به وتشويق السامع الى ما فعلوا به لاللقصر هذا
وأما جعل الشرطية صفة لرسلا كما ذهب اليه الجمهور فلا يساعده المقام أصلا ضرورة أن الجملة الخبرية اذا جعلت
صفة أو صلة ينسخ ما فيها من الحسبكم وتجعل عنوانا للوصف تنبأ له في اثبات أمر آخر له ولذلك يجب

أن يكون الوصف معلوم الانتساب الى الموصوف عند السامع قبل جعله وصفه ومن ههنا قالوا ان الصفات قبل العلم بها أخبار والاعخبار بعد العلم بها أوصاف ولا ريب في أن ما سبق له النظم انما هو بيان أنهم جعلوا كل من جاءهم من رسل الله تعالى عرضة للقتل أو التكذيب حسبما يفيد جعلها استئنافا على أبلغ وجه وأكده لبيان أنه تعالى أرسل اليهم رسلا موصوفين بكون كل منهم كذلك كما هو مقتضى جعلها صفة (وحسبوا أن لا تكون قسنة) أي حسب بنو اسرائيل أن لا يصيبهم من الله تعالى بما أنوأم المداهمة الدهيام والنظرة الشنعاء بلا وعذاب وقرئ لا تكون بالرفع على أن هي المخففة من أن وأنها ختمت بالشان المحذوف وأصله أنه لا تكون قسنة وتعليق فعل الحساب بها وهي التحقيق لتزيله منزلة العلم لكمال قوته وأن بما في حيزها سادسة متعمولة (فعموا) عطف على حسبوا والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها أي آمنوا بأمر الله تعالى فسادوا في فنون التي والفساد وعوا عن الدين بعدما هداهم الرسل الى معاملة الظاهرة وبينوا لهم مناهجه الواضحة (وصموا) عن استماع الحق الذي أقوه عليهم ولذلك فعلوا بهم ما فعلوا وهذا الإشارة الى المرة الاولى من مرتى افساد بنو اسرائيل حين سألوا أحكام التوراة وركبوا المحارم وقتلوا أشعياء وقيل حسبوا أرمياء عليهم السلام لا الى عبادتهم العجل كما قيل فانها وان كانت عصية عظيمة ناشئة عن كمال العمى والصمم لكن في عصر موسى عليه السلام ولا تعلق لها بما حكى عنهم مما فعلوا بالرسول الذين يماهم بعده عليه السلام بأعصار (ثم تاب الله عليهم) حين تابوا ورجعوا عما كانوا عليه من الفساد بعدما كانوا يبايل دهرًا طويلًا تحت قهر بخت نصر أسارى في غاية الذل والمهانة فوجهه الله عز وجل ملكا عظيما من ملوك فارس الى بيت المقدس ليغيره ونجي بقليبا بنو اسرائيل من أسر بخت نصر بعدما هلكه وردهم الى وطنهم وترجع من تفرق منهم في الاكثاف فعمروه ثلاثين سنة فمكثوا وكانوا كالحسن ما كانوا عليه وقيل لما ورثهم من ابن اسفنديار الملك من بعده كستامف ألقى الله عز وجل في قلبه شفقة عليهم فردهم الى الشام وملك عليهم دانيال عليه السلام فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر فقامت فيهم الانبياء فرجعوا الى أحسن ما كانوا عليه من الحال وذلك قوله تعالى ثم ردنا لكم الكرة عليهم وأما ما قيل من أن المراد قبول توبتهم عن عبادة العجل فتدعرت أن ذلك لا تعلق له بالمقام ولم يستند التوبة اليهم كسائر أحوالهم من الحساب والعمى والصمم تجافيا عن التصريح بنسبة الخير اليهم وانما أشير اليها في ضمن بيان توبته تعالى عليهم تهيمد البيان نقضهم اياها بقوله تعالى (ثم عموا وصموا) وهو إشارة الى المرة الاخرى من مرتى افسادهم وهو اجتراءهم على قتل زكريا ويحيى وقصدهم قتل عيسى عليهم السلام لا الى طلبهم الرؤية كما قيل لما عرفت سرته فان فنون الجنائيات الصادرة عنهم لا تمكاد تنهاه خلا أن انحصار ما حكى عنهم ههنا في المزين وترتبه على حكاية ما فعلوا بالرسول عليهم السلام يقتضي بأن المراد ما ذكرناه والله عنده علم الكتاب وقرئ عموا وصموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم أي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نركته اذا ضربته بالنزلة وركبته اذا ضربته بركبته وقوله تعالى (كثير منهم) بدل من الضمير في الفعلين وقيل خبر مبتدأ محذوف أي أولئك كثير منهم (والله بصير بما يعملون) أي بما عملوا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا للصورة الفظيعة ورعاية للقواميل والجملة تذييل أشير به الى بطلان حسابهم المذموم ووقوع العذاب من حيث لم يحتسبوا إشارة اجمالية ككتفى بها تعويلا على ما فصل نوع تفصيل في سورة بنو اسرائيل والمعنى حسبوا أن لا يصيبهم عذاب ففعلوا ما فعلوا من الجنائيات العظيمة المستوجبة لشد العقوبات والله بصير بتفاصيلها فكيف لا يؤاخذهم بها ومن أين لهم ذلك الحساب الباطل ولقد وقع ذلك في المرة الاولى حيث سلب الله تعالى عنهم بخت نصر حامل لهراسب على بابل وقيل جالوت الجزري وقيل فخار يرب من أهل نينوى والاقول هو الاظهر فاستولى على بيت المقدس فقتل من أهله أربعين ألفا من يقرأ التوراة وذهب بالبقية الى أرضه فبوا ههنا على أنه ما يكون من الذل والتكبد الى أن أحدوا توبة صحيحة فردهم الله عز وجل الى ما حكى عنهم من حسن الحال ثم عادوا الى المرة الاخرى من الاقدام فبعت الله تعالى عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اياه خيد رود وقيل سيدروس فقتلهم ما فعل قبل دخل صاحب الجيش مذبح قرايينهم فوجد فيه ما يغني فسالهم فقالوا آدم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقني فقتل عليه الوفا منهم ثم قال ان لم تصدقوني ما تصدقكم أحد

فقالوا انه دم يحيى عليه السلام فقال بمنزل هذا ينتقم الله تعالى منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربى وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهد اباذن الله تعالى قبل ان لا ابقى احدا منهم فهذا (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) شروع في تفصيل قبائح النصارى وابطال اقوالهم الفاسدة بعد تفصيل قبائح اليهود وهؤلاء هم الذين قالوا ان مريم ولدت الها قيل هم الملكانية والماريعة منهن وقيل هم اليعقوبية خاصة قالوا معنى هذا ان الله تعالى حل في ذات عيسى واتخذ بذاته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (وقال المسيح) سال من فاعل قالوا بتقدير قدم مفيدة لمزيد تنبيح حالهم ببيان تكذيبهم للمسيح وعدم انزجارهم عما اصرروا عليه بما اوعدهم به أى قالوا ذلك وقد قال المسيح مخاطبا لهم (يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم) فاني عبد مريوب منكم فاعبدوا خالقى وخالقكم (انه) أى الشأن (من بشرنا الله) أى شيئا في عبادته أو فيما يختص به من صفات الألوهية (فقد حرم الله عليه الجنة) فلن يدخلها ابدا كما لا يصل اليه المحرم عليه المحرم فانه اداوا الموحدين واطهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتحويل الامر وترتبة المهابة (وما واه النار) فانه اهل المعتدة للمشرىكين وهذا بيان لا يتلائم بالعقاب اثريان حرمانهم الثواب (وما للظالمين من انصار) أى مالهم من أحد ينصرهم بانتقادهم من النار اما بطريق المغالبة أو بطريق الشفاعة والجمع لمراعاة المقابلة بالظالمين واللام اما للعهد والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها واما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا ووضعهم على الاول موضع الضمير للتسجيل عليهم بأنهم ظلوا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق والجملة تذييل مقترن لما قبله وهو اما من تمام كلام عيسى عليه السلام واما وارد من جهته تعالى تأكيده المقاتلة عليه السلام وتقرير المنعوتها وقد قيل انه من كلامه عز وجل على معنى أنهم ظلوا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى عليه السلام فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصره قولا لهم وردّه وأذكره وان كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره أو من قول عيسى عليه السلام على معنى لا ينصركم أحد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالة وبعده عن المعقول وأنت خير بأن التعبير عما حكى عنه عليه السلام من مقابلة لقولهم الباطل بصريح الرد والانكار والوعيد بحرمان الجنة ودخول النار عجزت عن عدم مساعدته على ذلك ونفى نصرته له مع خلقه عن الفائدة تصوير لقوى بصورة الضعيف وتحويل اللغز في مقام تهويله بل ربما يوهى بهم ذلك بحسب الظاهر ما لا يليق بشأنه عليه السلام من توهم المساعدة والنصرة لاسيما مع ملاحظة قوله وان كانوا معظمين له الخ الا أن يجعل الكلام على التحكم بهم وكذا الحال على تقدير كونه من تمام كلامه عليه السلام فان زجره عليه السلام اياهم عن قولهم الفاسد بما ذكر من عدم الناصر والمساعد بعد زجره اياهم بما مر من الرد الاكيد والوعيد الشديد بعزل من الافادة والتأثير ولا سبيل ههنا الى الاعتذار بالتمك (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) شروع في بيان كفر طائفة أخرى منهم ومعنى قولهم ثالث ثلاثة ورابع أربعة ونحو ذلك أحد هذه الاعداد مطلقا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور أن ينصب ما بعده بأن يقال ثالث ثلاثة ورابع أربعة وانما ينصبه اذا كان ما بعده دونه بمرتبة كما في قولك عاشر تسعة وتاسع ثمانية قيل انهم يقولون ان الألوهية مشتركة بين الله سبحانه وتعالى وعيسى ومريم وكل واحد من هؤلاء اله وبؤكده قوله تعالى للمسيح أنت قلت للناس اتخذوني وأمتي الهين من دون الله فقوله تعالى ثالث ثلاثة أى أحد ثلاثة آلهة وهو المتبادر من ظاهر قوله تعالى (وما من اله الا اله واحد) أى والحال أنه ليس في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشراكة ومن مزيدة للاستغراق وقيل انهم يقولون الله جوهر واحد ثلاثة أقانيم أقنوم الاب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحياة فعنى قوله تعالى وما من اله الا اله واحد الا اله واحد بالذات منزوع عن شائبة التعدد بوجه من الوجوه (وان لم ينتهوا عما يقولون) من الكفر الشنيع ولم يوحّدوا وقوله تعالى (ليستن الذين كفروا) جواب قسم محذوف سادس فجواب الشرط أى وبالله ان لم ينتهوا اليستهم وانما وضع موضع ضميرهم الموصول لتكرار الشهادة عليهم بالكفر فسن في قوله تعالى (منهم) بيانية أوليستن الذين بقوا منهم على ما كانوا عليه من الكفر فسن تعيضية وانما جيء

بالفعل المنبي عن الحدوث تنبيهها على أن الاستمرار عليه بعد ورود ما ينهي عليه بالقطع من نص عيسى عليه
السلام وغيره كفر جديد وغلوزائد على ما كانوا عليه من أصل الكفر (عذاب اليم) أي نوع شديد
الآلم من العذاب وهمزة الاستفهام في قوله تعالى (أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه) لانكار الواقع
واستبعاده لالانكار الوقوع وفيه تهجيب من اصرارهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي ألا ينتهون
عن تلك العقائد الزائفة والاتاويل الباطلة فلا يتوبون إلى الله تعالى ويستغفرونه بالتوحيد والتزبه عما
نسبوه اليه من الاتحاد والحلول فدار الانكار والتعجب عدم الانتهاء وعدم التوبة معا أو لا يسمعون هذه
الشهادات المكررة والتشديدات المقررة فلا يتوبون عقيب ذلك فدارها عدم التوبة عقيب تحقق ما يوجبها
من جماع تلك القوارع الهائلة وقوله عز وجل (والله غفور رحيم) جملة طالية من فاعل يستغفرونه مؤكدة
للانكار والتعجب من اصرارهم على الكفر وعدم مسارعتهم إلى الاستغفار أي والحال أنه تعالى مبالغ
في المغفرة فيغفروا لهم عند استغفارهم ويغفروا لهم من فضله (ما المسيح ابن مريم الا رسول) استئناف مسوق
لتحقيق الحق الذي لا يحيد عنه ويبان حقيقة طاله عليه السلام وحال أمته بالاشارة أولا إلى أشرف ملهمها
من نفوس الكمال التي بها صار من زمرة أكمل أفراد الجنس وأخرا إلى الوصف المشترك بينهما وبين جميع
أفراد البشر بل أفراد الحيوان استنزالا لهم بطريق التدريج عن رتبة الاصرار على ما تقولوا عليها وإرشادا
إلهم إلى التوبة والاستغفار أي هو مقصور على الرسالة لا يكاد يخطأها وقوله تعالى (قد خلت من قبله الرسل)
صفة لرسول منبئة عن اتصافه بما ينافي الألوهية فان خلق الرسل الساقطة عليهم السلام منذر بخلوهم المقتضى
لاستحالة الألوهية أي ما هو الرسول كالرسل الخالية من قبله خصه الله تعالى ببعض من الآيات كما خص كلا
منهم ببعض آخر منها فان أحى الموقى على يده فقد أحى العصا في يد موسى عليه السلام وجعلات حية تسمى وهو
أعجب منه وان خلق من غير أب فقد خلق آدم من غير أب ولا أم وهو أغرب منه وكل ذلك من جنابه عز وجل
وانما موسى وعيسى مظاهرا لشؤنه وأفعاله (وأمة صديقة) أي وما أمته أيضا لا كسائر النساء اللاتي
يلازمن الصديق أو التصديق ويبلغن في الاتصاف به فارتبتهما الآية بشرين أحدهما نبي والآخر صحابي
فن أين لكم أن تصفوهما بما لا يوصف به سائر الأنبياء وخواصهم (كانا يأكلان الطعام) استئناف مبين لما
أشعر إليه من كونهما كسائر أفراد البشر في الاحتياج إلى ما يحتاج إليه كل فرد من أفرادهن من أفراد
الحيوان وقوله عز وجل (انظر كيف نبين لهم الآيات) تعجب من حال الذين يدعون لهم الربوبية ولا
يرعون عن ذلك بعد ما بين لهم حقيقة طالها ما ينالها لا يحوم حوله شافية ريب وكيف معمول لتبين والجملة في
حيز النصب معلقة لا تقرأ أي انظر كيف نبين لهم الآيات الباهرة المنادية ببطلان ما تقولوا عليها نداء يكذب سمعه
صم الجبال (ثم انظر أني يؤفكون) أي كيف يصرفون عن استماعها والتأمل فيها والكلام فيه كما فيها
قبله وتكرير الأمر بالنظر للمبالغة في التعجب وشم لاظهار ما بين العجيب من التفاضل أي ان ياتسائل الآيات
أمر بدفع في بابها بالغ لأقصى الغايات الخاصة من التحقيق والايضاح واعراضهم عنها مع اتغاف ما يصحبه
بالمرّة وتعاضد ما يوجب قبولها أعجب وأبعد (قل) أمر له عليه الصلاة والسلام بالزامهم وتبكيتهم أثر
تهجيبه من أحوالهم (أتعبدون من دون الله) أي تتجاوزن آياد وتقدمه على قوله تعالى (ما لا يملك لكم
ضررا ولا نفعا) لما مراراً من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر والموصول عبارة عن عيسى عليه
السلام وإشاره على كلمة من تحقيق ما هو المراد من كونه بمنزل من الألوهية رأسا ببيان انتظامه عليه
السلام في تلك الأشياء التي لا قدرة لها على شيء أصلا وهو عليه السلام وان كان يملك ذلك بملكه تعالى آياد
لكنه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضربه الله تعالى من البلاء والمصائب وما ينفع به من النعمة وتقدم
الضرر على النفع لان التكرز عنه أهم من تحزري النفع ولان أدنى درجات التأثير دفع الشر ثم جلب الخير وقوله
تعالى (والله هو السميع العليم) حال من فاعل أتعبدون مؤكدا لانكار والتوبيخ ومقرر للالزام
والتبكيك والرابط هو الواو أي أنشر كون بالله تعالى ما لا يقدر على شيء من ضرركم ونفعكم والحال أن الله
تعالى هو المختص بالاحاطة الشاملة بجميع المسوعات والمعلومات التي من جلتها ما أنتم عليه من الأقوال
الباطلة والعقائد الزائفة والأعمال السيئة وبالقدرة الباهرة على جميع المقدورات التي من جلتها ما ضرركم

ومنافعكم في الدنيا والآخرة (قل يا أهل الكتاب) تلون الخطاب وتوجيهه إلى فريق أهل الكتاب بطريق الالتفات على لسان النبي عليه الصلاة والسلام بعد إبطال مسلك كل منهم اللبس الغفلة في زجرهم عما سلكوه من المسلك الباطل وإرشادهم إلى الامم المشناه (لا تغلوا في دينكم) أي لا تتجاوزوا الحد وهو نهى للنصارى عن رفع عيسى عن رتبة الرسالة إلى ما تفعلوا في حقهم من العظيمة واليهود عن وضعهم له عليه السلام عن رتبته العلية إلى ما تفعلوا عليه من الكلمة الشنعاء وقيل هو خاص بالنصارى كما في سورة النساء فذكرهم بعنوان أهلية الكتاب لتذكير أن الانجيل أيضا ينهاهم عن الغلو وقوله تعالى (غير الحق) نصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق أي غلوا باطلا أو حال من ضمير الفاعل أي لا تغلوا مجاوزين الحق أو من دينكم أي لا تغلوا في دينكم حال كونه باطلا وقيل نصب على الاستئنا المتصل وقيل على المنقطع (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل) هم أسلافهم وأئمتهم الذين قد ضلوا من الفريقين أو من النصارى على القواين قبل مبعث النبي عليه الصلاة والسلام في شريعته (وأضلوا كثيرا) أي قوما كثيرا ممن شابعهم في الزيغ والضلال أو أضلوا كثيرا والمفعول محذوف (وضلوا) عند بعثة النبي عليه الصلاة والسلام وتوضيح محبة الحق وتبيين مناهج الاسلام (عن سواء السبيل) حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه وقيل الأول إشارة إلى ضلالهم عن مقتضى العقل والنقل والثاني إلى ضلالهم عما جاء به الشرع (لعن الذين كفروا) أي لعنهم الله عز وجل وبشاء الفعل للمفعول للجري على سنن الكبرياء (من يخسر إسرائيل) متعلق بمحذوف وقع حالا من الموصول أو من فاعل كفروا وقوله تعالى (على لسان داود وعيسى ابن مريم) متعلق بلعن أي لعنهم الله تعالى في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل إن أهل آيلة لما اعتدوا في السبت دعاء عليهم داود عليه السلام وقال اللهم العنهم واجعلهم آية فسخهم الله قردة وأصحاب المائدة لما كفروا وقال عيسى عليه السلام اللهم عذب من كفر بعدما كل من المائدة عذابا لم تعذب أحدا من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فهم امرأة ولا صبي (ذلك) إشارة إلى اللعن المذكور وإشارته على الضمير للتبعية على كمال ظهوره وامتياز من نظائره وانتظامه بسببه في سلك الأمور والمشاهدة وما فيه من معنى البعد لا يذات بكامل قطاعته وبعد درجته في الشناعة والهول وهو مبتدأ أخبره قوله تعالى (بما عصوا وكانوا يعتدون) والجملة مستأنفة واقعة موقع الجواب عما شأمن الكلام كأنه قيل بأي سبب وقع ذلك فقيل ذلك اللعن الهائل القاطع بسبب عصيانهم واعتدائهم المستمر كما يفيد الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل وينبئ عنه قوله تعالى (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) فانه استئناف مفيد بعبارة لا استمرار عدم التناهي عن المنكر ولا يمكن استمراره إلا باستمرار تعاطي المنكرات وليس المراد بالتناهي أن ينهي كل واحد منهم الآخر عما يفعله من المنكر كما هو المعنى المشهور لصيغة التفاعل بل مجزئ صدور النهي عن أشخاص متعددة من غير اعتبار أن يكون كل واحد منهم ناهيا ومنهيا معا كما في تراءوا أهل ليل وقيل التناهي بمعنى الانتهاء يقال تناهى عن الأمر واتهمى عنه إذا امتنع عنه وتركه فالجملة حينئذ مفسرة لما قبلها من المعصية والاعتداء ومفيدة لاستمرارها صريحا وعلى الأول مفيدة لاستمرار انتفاء النهي عن المنكر بأن لا يوجد فيما بينهم من يتولاه في وقت من الاوقات ومن ضرورته استمرار فعل المنكر حسبما سبق وعلى كل تقدير كما يفيد تنكير المنكر من الوحدة نوعية لاشخصية فلا يقدح وصفه بالفعل الماضي في تعلق النهي به لما أن متعلق الفعل انما هو فرد من أفراد ما يتعلق به النهي والانتها من مطلق المنكر باعتبار تحققه في ضمن أي فرد كان من أفراد على أن المفعول المعبر في الصفة انما هو بالنسبة إلى زمان النزول لا إلى زمان النهي حتى يلزم كون النهي بعد الفاعل فلا حاجة إلى تقدير المعاودة أو المثل أو جعل الفعل عبارة عن الارادة على أن المعاودة كالنهي لا تتعلق بالمنكر المفعول فلا بد من المصير إلى أحد ما ذكر من الوجهين أو إلى تقدير المثل أو إلى جعل الفعل عبارة عن ارادته وفي كل ذلك تعسف لا يفتني (لبئس ما كانوا يفعلون) تنصيح لسوء أعمالهم وتوبيخ منه بالتوكيد القسبي كيف لا وقد آذاهم إلى ما شرع من اللعن الكبير وليس في تنبيهه بذلك دلاله على خروج كفرهم عن السببية مع الإشارة إلى سببته له فيما سبق من قوله تعالى لعن الذين كفروا فان اجراء الحكم على الموصول مشعر بعليته ما في حيز الصلة فلما أن ما ذكر في حيز السببية

مشتغل على كفرهم أيضا (تري كثيرا منهم) أي من أهل الكتاب ككعب بن الأشرف وأخيرا به حيث
خرجوا إلى مشركي مكة ليتفقوا على محاربة النبي عليه الصلاة والسلام والرؤية بصرية وقوله تعالى (يتولون
الذين كفروا) حال من كتبوا الكفر موصوفاً أي يوالون المشركين بعضاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين وقيل من منافق أهل الكتاب يتولون اليهود وهو قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ومجاهد
والحسن وقيل يوالون المشركين وبصافونهم (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم) لبئس شأفاً قدموا بالردواعليه
يوم القيامة (أن يخط الله عليهم) هو المخصوص بالذم على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه
تبييناً على كمال التعلق والارتباط بينهما كأنه مائى واحد ومبالغة في الذم أي موجب بخطه تعالى
ومحله الرفع على الابتداء والجملة قبله خبره والرباط عند من بشرطه هو العموم وأولاً حاجة إليه لأن الجملة عين
المبتدأ أو على أنه خبر لمبتدأ محذوف يعني عنه الجملة المتقدمة كأنه قيل ما هو أو أي شيء هو وقيل هو أن يخط
الله عليهم وقيل المخصوص بالذم محذوف وما اسم تام معرفة في محل رفع بالنسبة إلى فعل الذم وقدمت لهم
أنفسهم جملة في محل رفع على أنها صفة للمخصوص بالذم قائمة مقامه والتقدير لبئس الشيء الذي قدمت لهم
أنفسهم فقوله تعالى أن يخط الله عليهم يدل من شيء المحذوف وهذا مذهب سيبويه (وفي العذاب) أي
عذاب جهنم (هم خالدون) أبداً لا يبدون (ولو كانوا) أي الذين يتولون المشركين من أهل الكتاب
(يؤمنون بالله والنبي) أي نبيهم (وما أنزل إليه) من الكتاب أو لو كان المناقون يؤمنون بالله ونبيها
إيماناً صحيحاً (ما اتخذوهم) أي المشركين أو اليهود (أولياء) فإن الإيمان بما ذكرنا من توليهم
قطعا (ولكن كثيرا منهم فاسقون) خارجون عن الدين والإيمان بالله ونبيه وكما هم أو مستردون
في النفاق مفردون فيه (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) جملة مستأنفة
مسوقة لتقرير ما قبلها من قبائح اليهود وعراقبتهم في الكفر وسائر أحوالهم الشنيعة التي من جعلتها موالاة لهم
للمشركين أكدت بالتوكيد التسمي اعتناء ببيان تحقيق مضمونها وانطلاقاً عما لرسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم أو لكل أحد صالح له أيضاً بأن حالهم مما لا يخفى على أحد من الناس والوجدان منعاً إلى اثنين
أحدهما أشد الناس والساني اليهود وما عطف عليه وقيل بالعكس لأنه ما في الأصل مبتدأ وخبر وموصبة
الفائدة هو الخبر لا المبتدأ ولا ضمير في التقديم والتأخير إذا دل على الترتيب دليل وههنا دليل واضح عليه وهو
أن المتصور بيان كون الطائفتين أشد الناس عداوة للمؤمنين لا كون أشدهم عداوة لهم الطائفتين
المدكورتين وأنت خير بأنه معزل من الدلالة على ذلك كيف لا والافادة في الصورة الشافية أتم وأكمل مع
خلوها عن تعسف التقديم والتأخير إذا المعنى أن تعرف من أشد الناس عداوة للمؤمنين وتتبع
أحوال الطوائف طرّاً وأحاطت بما لديهم خبراً وبألفت في تعرف أحوالهم الظاهرة والباطنة وسعيت في
طلب ما عندهم من الأمور البارزة والكامنة لتجدن الأشد بينك الطائفتين لا غير فتأمل واللام الداخلة
على الموصول متعلقة بعداوة مقوية لعملها ولا يضر كونها مؤنثة بالنسبة مبنية عليها كما في قوله ورهبة
عقابك وقيل متعلقة بمحذوف هو صفة لعداوة أي كأنه للذين آمنوا وصفهم الله تعالى بذلك لشدة شدة
وتضاعف كفرهم وانهمما كهم في اتباع الهوى وقربهم إلى التلذذ وبعدهم عن التحقيق وعمرهم على التردد
والاستعصاء على الأنبياء والاجترار على تكذيبهم ومناصبتهم وفي تقديم اليهود على المشركين بعدلهم
في قرن واحد اشعار بقدومهم عليهم في العداوة كما أن في تقديمهم عليهم في قوله تعالى ولتجدنهم أحرص الناس
على حياة ومن الذين أشركوا أيضاً بقدومهم عليهم في الحرص (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا) أعيد
الموصول مع صلته رومالزيادة التوضيح والبيان (الذين قالوا أنا نصارى) عبر عنهم بذلك اشعاراً بقرب مودتهم
حيث يدعون أنهم أنصار الله وأوداء أهل الحق وإن لم يظهر واعتقاد حقيقة الاسلام وعلى هذه النكتة
مبنى الوجه الثاني في تفسير قوله تعالى ومن الذين قالوا أنا نصارى أخذنا مناسقهم والكلام في مفعول لتجدن
وهل اللام كذا سبق والعدول عن جعل ما فيه التفاوت بين الفريقين شيئاً واحداً قد تضافاً ونافيه بالشدة
والضعف أو بالقرب والبعد بأن يقال آخر ولتجدن أضعفهم عداوة الخ أو بأن يقال أولاً لتجدن أبعد الناس

مودة الخ لا يذان بكال تباين ما بين الفريقين من التفاوت ببيان أن أحدهما في أقصى مراتب النقيضين
والآخر في أقرب مراتب النقيض الآخر (فذلك) أي كونهم أقرب مودة لأمؤمنين (بأن منهم) أي
يسبب أن منهم (قديسين) وهم علماء النصارى وعبادهم ورؤساؤهم والقديسين صيغة مبالغة من تقسس
الشيء إذا تتبعه وطلبه بالليل سموا به لمبالغتهم في تتبع العلم قاله الراغب وقيل القس بفتح القاف تتبع الشيء
ومنه سمى عالم النصارى قديسا لتبعه العلم وقيل قصر الاثروقه بمعنى وقيل انه أعجمي وقال قطرب القس
والقسيس العالم بلغة الروم وقيل ضيعت النصارى الانجيل وما فيه وبقي منهم رجل يقال له قسيسا لم يبدل
دينه فن راعى هديه ودينه قيل له قسيس (ورهبانا) وهو جمع راهب كراصب وركبان وفارس وفرسان
وقيل انه يطلق على الواحد وعلى الجمع وأنشد فيه قول من قال

لوعايت رهبان دير في قلل * لا قبل الرهبان يعدد ووزنل

والترهب التعبد في الصومعة قال الراغب الرهبانية الغلو في تحمل التعبد من فرط الخوف والتسكير لاقادة
الكثرة ولا بد من اعتبارها في القديسين أيضا اذ هي التي تدل على مودة جنس النصارى للمؤمنين فان
اتصاف أفراد كثيرة بجنس بمحالة مظنة لاتصاف الجنس به والافن اليهود أيضا قوم مهتدون ألا يرى الى
عبد الله بن سلام وأضرابه قال تعالى من أهل الكتاب ائمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون الخ
لكنهم لما لم يكونوا في الكثرة كالذين من النصارى لم يتعد حكمهم الى جنس اليهود (وأنتهم لا يستكبرون)
عطف على أن منهم أي وبأنهم لا يستكبرون عن قبول الحق اذ افهموه ويتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وهذه
الخصلة شاملة لجميع أفراد الجنس فسيبها لا قريتهم مودة للؤمنين واضحة وفيه دليل على أن التواضع
والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمود وان كان ذلك من كافر (واذا سمعوا ما أنزل الى
الرسول) عطف على لا يستكبرون أي ذلك بسبب أنهم لا يستكبرون وأن أعينهم تفيض من الدمع عند سماع
القرآن وهو بيان لرفعة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسايرتهم الى قبول الحق وعدم ابائهم اياه (ترى أعينهم
تفيض من الدمع) أي تملى بالدمع فاستعمله الفيض الذي هو الانصباب عن امتلاء مبالغة أو جعلت أعينهم
من فرط البكاء كأنها تفيض بأنفسها (مما عرفوا من الحق) من الاولى لا بداء الغاية والثانية لتبيين
الموصول أي ابتداء الفيض وتشأ من معرفة الحق وحصل من أجله وبسببه ويحتمل أن تكون الثانية تبعية
لان ما عرفوه بعض الحق وحيث ابتكاهم ذلك فما ظنك بهم لو عرفوا كله وقرأوا القرآن وأحاطوا بالسنة وقرأ
ترى أعينهم على صيغة المبني للمفعول (يقولون) استئناف مبني على سؤال نشأ من سكاية حالهم عند
سماع القرآن كأنه قيل ماذا يقولون فقيل يقولون (ربنا آمنا) بهذا أو بمن أنزل هذا عليه أو به ما وقيل
حال من الضمير في عرفوا أو من الضمير المجرور في أعينهم لما أن المضاف جزؤه كما في قوله تعالى وزعمنا ما في
صدورهم من غل اخوانا (فاكتنمنا مع الشاهدين) أي الذين شهدوا بأنه حق أو بقوته أو مع آتته الذين هم
شهداء على الامم يوم القيامة وانما قالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك (وما لنا لا نؤمن بالله
وما جاءنا من الحق) كلام مستأنف قالوه لتحقيق الايمانهم وتقرير الاله بانكار سبب انتقائه ونفيه بالكلية على
أن قوله تعالى لا نؤمن حال من الضمير في لنا والعامل ما فيه من الاستمرار أي شيء حصل لنا غير مؤمنين على
توجيه الانكار والنفي الى السبب والمسبب جميعا كما في قوله تعالى وما لي لا أعبد الذي فطرني وظاهره لا الى
السبب فقط مع تحقق المسبب كما في قوله تعالى فإلههم لا يؤمنون وأمثاله فان همزة الاستفهام كما تكون نارة
لانكار الواقع كما في أنفرب أبالك وأخرى لانكار الوقوع كما في أأضرب أبي كذلك ما الاستفهامية قد تكون
لانكار سبب الواقع ونفيه فقط كما في الآية الثانية وقوله تعالى ما لكم لاترجون لله وقارا فيكون مضمون
الجملة الحالية محقة فان كلام من عدم الايمان وعدم الرجاء أمر محقق قد أنكروا نفي سببه وقد تكون لانكار
سبب الوقوع ونفيه فيسريان الى المسبب أيضا كما في الآية الاولى فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا قطعاً
فان عدم العبادة أمر مفروض حتما وقوله تعالى (ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) حال أخرى
من الضمير المذكور بتقدير مبتدأ والعامل فيها هو العامل في الاولى مقيد ابها أي شيء حصل لنا
غير مؤمنين ونحن نطمع في محبة الصالحين أو من الضمير في لا نؤمن على معنى أنهم أنكروا على أنفسهم عدم

ايمانهم مع أنهم يعلمون في حجة المؤمنين وقيل معطوف على تؤمن على معنى ومالنا فجمع بين ترك الايمان
 وبين الطمع المذكور (فانما هم الله بما قالوا) أي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان أي معتقده وقرئ
 فانما هم الله (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين) أي الذين أحسنوا
 النظر والعمل أو الذين اعتادوا الاحسان في الامور والآيات الاربع روي أنها نزلت في الصحابي وأصحابه
 بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين معه
 وأحضر القيسيين والرهبان فأمر جعفر أن يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وأمنوا بالقرآن
 وقيل نزلت في ثلاثين أو سبعين رجلاً من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم سورة مريم
 فبكوا وأمنوا (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) عطف التكذيب بآيات الله على
 الكفر مع أنه ضرب منه لما أن القصد إلى بيان حال المكذبين وذكركم بمقابلته المصدقين بها جعلا بين الترهيب
 والترهيب (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طبيبات ما أحل الله لكم) أي ما طاب ولذنه كأنه لما تضمن
 ملسات من مدح النصارى على الترهيب ترغيب المؤمنين في كسر النفس ورفض الشهوات عقب ذلك بالنهي
 عن الافراط في الباب أي لا تغوها أنفكم كنع التحريم أو لا تقولوا حرمناها على أنفسنا مبالغة منكم في
 العزم على تركها ترهدهم منكم وقسفا وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لأصحابه يوم ما قال
 وأتبع الكلام في الانذار فقرأوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على أن لا يزالوا صائمين قائمين
 وأن لا ينأوا على الفرس ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقرىوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا
 المسوح ويسبحوا في الارض ويحبوا ما ذا كبرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم أومر
 بذلك ان لانفسكم عليكم حفاف صوموا وأفطروا وقوموا ونموا فاني أقوم وأنام وأصوم وأفطروا كل اللحم
 والدم وأتى النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فترلت (ولا تعتدوا) أي ولا تعتدوا حدود ما أحل لكم
 الى ما حرم عليكم أو ولا تسرفوا في تناول الطبيبات أو جعل تحريم الطبيبات اعتداء وظلما فنهى عن مطلق
 الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها خوفاً أو لئلا يوروده عقبيه أو أريد ولا تعتدوا بذلك (ان الله لا يحب
 المعتدين) تعليل لما قبله (وكلاوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) أي ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فخلاً
 مفعول كلاوا مما رزقكم الله ما حال منه تقدمت عليه لكونه نكرة أو متعلق بكلاوا ومن ابتداءية أو هو المفعول
 وحلالا حال من الموصول أو من عائد المحذوف أو صفة لمصدر محذوف أي أكلا حلالا وعلى الوجه كلاً لولم
 يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة (واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون) تو كيداً للوصية بما أمر
 به فان الايمان به تعالى يوجب المبالغة في التقوى والاتهام عما نهى عنه (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم)
 اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم وهو عندنا أن يحلف على شيء يظن أنه كذلك وليس كما يظن وهو
 قول مجاهد قيل كانوا حلفوا على تحريم الطبيبات على ظن أنه قربة فلما نزل النهي قالوا كيف بأيماننا فترأت
 وعند الشافعي رحمه الله تعالى ما يبدو من المرء من غير قصد كقوله لا والله وبلى والله وهو قول عائشة رضي الله
 تعالى عنها وفي أيمانكم صله يؤاخذكم أو اللغو لانه مصدر أو حال منه (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان)
 أي به فتدكم الايمان وتوثيقها عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتموه اذا حنتم أو بنسكت
 ما عقدتم فحذف العلم به وقرئ بالتخفيف وقرئ عاقدتم بمعنى عقدتم (فكفارته) أي فكفارة نسكتة وهي
 الفعل التي من شأنها أن تكفر الخطيئة وتسترها واستدل بظاهرها على جواز التكفير قبل الحنث وعندنا لا يجوز
 ذلك لقوله عليه الصلاة والسلام من حلف على عين ورأى غيرها خيراً فليأت الذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه
 (أطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم) أي من أقصده في النوع أو المقدار وهو نصف صاع
 من بزل لكل مسكين ومحل النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره أن تطعموا عشرة مساكين طعاماً كأننا من
 أوسط ما تطعمون أو الرفع على أنه بدل من اطعام وأهلون جمع أهل كأرضون جمع أرض وقرئ أهاليكم
 بسكون الياء على لغة من يسكنها في الحلات الثلاث كالألف وهذا أيضاً جمع أهل كالأرضى في جمع أرض
 واليالى في جمع ليل وقيل جمع أهلاء (أو كسوتهم) عطف على اطعام أو على محل من أوسط على تقدير كونه بدلاً
 من اطعام وهو يوجب العورة وقيل ثوب جامع قبض أو رداء أو أزار وقرئ بضم الكاف وهي لغة كقدوة

في قدوة واسوة في أسوة وقرئ أو كاسوتهم على أن الكاف في محل الرفع تقديره أو اطعمهم كاسوتهم بمعنى
 أو كثل ما تطعمون أهليكم اسرافاً وتقتيرا أو اسون بينهم وبينهم أن لم تطعموهم الاوسط (أو تحرير رقية) أي
 أو اعتاق انسان كيفما كان وشرط الشافعي رضي الله تعالى عنه فيه الايمان قياساً على كفارة القتل ومعنى
 أو إيجاب إحدى النصال مطلقاً وخيار التعيين للمكلف (فن لم يجز) أي شيئاً من الامور المذكورة (فصيام)
 أي فكفارة صيام (ثلاثة أيام) والتتابع شرط عندنا لقراءة ثلاثة أيام متتابعات والشافعي رضي الله
 عنه لا يرى الشواذجة (ذلك) أي الذي ذكر (كفارة إيمانكم إذا حلظتم) أي وحظنتم (واحفظوا
 إيمانكم) بأن تضنوا بها ولا تبدلوها كما يشعربه قوله تعالى إذا حلظتم وقيل بأن تبرأوا فيها ما استطعتم ولم يفت
 بها خيراً أو بأن تكفروها إذا حنظتم وقيل أحفظوها كيف حلظتم بها ولا تنسوها عنها وانها (كذلك) إشارة
 إلى مصدر الفعل الآتي لا إلى تبيين آخر مفهوم مما سبق والكاف مقعمة لتأكيدها فأفاده اسم الإشارة من
 التخصيص ومحله في الأصل النصب على أنه نعت مصدر محذوف وأصل التقدير بين الله تبييناً كأنما مثل ذلك
 التبيين فقدم على الفعل لإفادة القصر واعتبرت الكاف مقعمة للتكنة المذكورة فصارت نفس المصدر لا نعتاً له
 وقدمت تفصيله في قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطاً أي ذلك البيان البديع (بين الله لكم آياته) أعلام
 شريعته وأحكامه لا يسانا أدنى منه وتقديم لكم على المفعول لما مر مراراً (لعلكم تشكرون) نعمته فيما
 يعالكم ويسهل عليكم المخرج (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الخمر والميسر والانتصاب) أي الاصنام المنصوبة
 للعبادة (والأزلام) سلف تفسيرها في أوائل السورة الكريمة (رجس) قد رتعا ف عنه العقول وأفراده
 لأنه خبر الخمر وخبر المعطوفات محذوف ثقة بالمذكور أو المضاف محذوف أي شأن الخمر والميسر الخ (من عمل
 الشيطان) في محل الرفع على أنه صفة رجس أي كائن من عمله لأنه مسبب من تسويله وتزيينه (فاجتنبوه)
 أي الرجس أو ما ذكر (لعلكم تفلحون) أي راجين فلاحكم وقيل لكي تفلحوا بالاجتناب عنه وقدمت
 تحقيقه في تفسير قوله تعالى لعلكم تفلحون ولقد أكد تحريم الخمر والميسر في هذه الآية الكريمة بفنون التأكيد
 حيث صدرت بالجملة بأعقابها بالاصنام والأزلام وسما رجساً من عمل الشيطان تنبيهاً على أن تعاطيها ما
 شربحت وأمر بالاجتناب عن عينها وجعل ذلك سبباً يرجي منه الفلاح فيكون ارتكابها خبيثاً ومحقة ثم
 قرر ذلك ببيان ما فيها من المفساد الديني والدينية المتضمنة للتحريم فقل (انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم
 العداوة والبغضاء في الخمر والميسر) وهو إشارة إلى مفسادهما الديني (ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة)
 إشارة إلى مفسادهما الديني وتخصيصهما بإعادة الذكر وشرح ما فيها من الويل للتنبيه على أن المقصود بيان
 حالها وذكر الاصنام والأزلام للدلالة على أنهم ما مثلها في الحرمة والسرارة لقوله عليه الصلاة والسلام شارب
 الخمر كعابد الوثن وتخصيص الصلاة بالأفراد مع دخولها في الذكر للتعظيم والاشعار بأن الصادق عنها كالصادق عن
 الايمان لما أنها أعاده ثم أعيد الحديث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتباً على ما تقدم من أصناف الصوارف
 فقل (فهل أنتم متنبهون) أي انما بأن الأمر في الزجر والتحذير وكشف ما فيها من المفساد والشرور قد بلغ
 الغاية وأن الاعذار قد انقطعت بالكلية (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) عطف على اجتنبوه أي
 أي أطيعوهما في جميع ما أمر به ونهى عنه (واحذروا) أي مخالفتهما في ذلك فيدخل فيه مخالفة
 أمرهما ونهيهما في الخمر والميسر دخولاً أولياً (فان توليتهم) أي أعرضتم عن الامتنال بما أمرتم به من
 الاجتناب عن الخمر والميسر وعن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام والاحترار عن
 مخالفتها (فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين) وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه وخروج عن عهدة الرسالة
 أي خروج وقامت عليكم الحجة وانتهت الاعذار وانقطعت العلل وما بقي بعد ذلك الا العقاب وفيه من عظم
 التهديد وشدة الوعيد ما لا يخفى أو ما قيل من أن المعنى فاعلموا أنكم لم تضروا وتوليكم الرسول لأنه ما كلف
 الا البلاغ المبين بالآيات وقد فعل وانما ضروتم أنفسكم حين أعرضتم عما كلفتموه فلا يساعده المقام
 إذ لا يتوهم منهم ادعاء أنهم يتوليم بضره عليه الصلاة والسلام حتى يرد عليهم بأنهم لا يضره ولا يضره
 أنفسهم (ليس على الذين آمنوا وعلوا الصالحات جناح) أي انهم خرج (فيما طعموا) أي تناولوا
 الكلاً أو شرباً فائق استعماله في الشرب أيضاً مستفيض منه قوله تعالى ومن لم يطعمه فانه مني قبل لما نزل الله

تعالى تحريم الخمر بعد غزوة الاحزاب قال رجال من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام أصيب فلان يوم
 بدر و فلان يوم أحد وهم يشربونها ونحن نشهد أنهم في الجنة وفي رواية أخرى لما نزل تحريم الخمر والميسر
 قالت العصاة رضي الله تعالى عنهم يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون
 الميسر وفي رواية أخرى قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وقد
 شربوا الخمر و فعلوا القمار فتركت وابست كلمة ما في ما طعموه واعتباراً عن المباحات خاصة والالزام تقيداً بأبحاثها
 باتقاء ما عداها من المحرمات لقوله تعالى (إذا ما اتقوا) والالزام منتف بالضرورة بل هي على عمومها
 موصولة كانت أو موصوفة وانما تخصصت بذلك القيد الطارئ عليها والمعنى ليس عليهم جناح فيما تناولوه
 من المأكل والشراب كما تنافوا أن يكون في ذلك شيء من المحرمات والالزام يمكن في الجناح في كل
 ما طعموه بل في بعضه ولا يحدو رقبته إذا لازم منه تقيداً بإباحة الكل بأن لا يكون فيه محرم لا تقيداً بإباحة
 بعضه باتقاء بعض آخر منه كما هو اللازم من الأول (وأمنا و عملوا الصالحات) أي واستقروا على الإيمان
 والاعمال الصالحة وقوله تعالى (ثم اتقوا) عطف على اتقوا داخل معه في حيز الشرط أي اتقوا ما حرم
 عليهم بعد ذلك مع كونه مباحاً فيما سبق (وأمنا و) أي بتصريره وتقديم الاتقاء عليه أملاً للاعتناء به أولاً لأنه
 الذي يدل على التحريم الحادث الذي هو المؤمن به أو واستقروا على الإيمان (ثم اتقوا) أي ما حرم عليهم بعد
 ذلك مما كان مباحاً من قبل على أن المشروط بالاتقاء في كل مرة بإباحة كل ما طعموه في ذلك الوقت لا بإباحة
 كل ما طعموه قبله لا تنسخ إباحة بعضه حينئذ (وأحسنوا) أي عملوا الأعمال الحسنة الجميلة المنتظمة
 لجميع ما ذكر من الأعمال القلبية والقلبية وليس تخصص هذه المراتب بالذكر لتخصيص الحكم بها بل لبيان
 التعمد والتكرر بالغما بالغ والمعنى أنهم إذا اتقوا المحرمات واستقروا على ما هم عليه من الإيمان والأعمال
 الصالحة وكانوا في طاعة الله و مراعاة أمره ونواهيه بحيث كلما حرم عليهم شيء من المباحات اتقوه ثم ونم
 فلا جناح عليهم فيما طعموه في كل مرة من المطاعم والشارب إذا ليس فيها شيء محرم عند طعمه وأنت خير بأن
 ما عدا اتقاء المحرمات من الصفات الجميلة المذكورة لا تدخل لها في اتقاء الجناح وانما ذكر في حيز إذا شاهدة
 باتصاف الذين سئل عن حالهم بها ومدحهم بذلك و حمد أحوالهم وقد أشير إلى ذلك حيث جعلت تلك الصفات
 تبعاً للاتقاء في كل مرة تميزاً بينها وبين ماله دخل في الحكم فإن ساق النظم الكريمة بطريق العبارة وإن كان
 إيمان حال المتصفين بما ذكر من النعوت فيما سبقت بقضية كلمة إذا ما لکنه قد أخرج مخرج الجواب عن حال
 الماضين لاثبات الحكم في حقهم في ضمن التشريع الكلي على الوجه البرهاني بطريق دلالة النص بناء على
 كمال اشتراكهم بالاتصاف بما فكأنه قيل ليس عليهم جناح فيما طعموه إذا كانوا في طاعته تعالى مع ما لهم
 من الصفات الحسنة بحيث كلما أمروا بشيء اتقوه بالامتنان وانما كانوا يتعاطون الخمر والميسر في حياتهم
 لعدم تحريرهمها آنذاك ولو حرمت ما في عصرهم لا تقوه ما بالمرة هذا وقد قيل التكرير باعتبار الأوقات الثلاثة
 أو باعتبار الحالات الثلاث استعمال الإنسان التقوى بينه وبين نفسه وبين الناس وبين الله عز وجل
 ولذلك جيء بالاحسان في الكثرة الثالثة بدل الإيمان إشارة إلى ما قاله عليه الصلاة والسلام في
 تفسيره أو باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى أو باعتبار ما ياتي فانه ينبغي أن يتروك المحرمات توقفاً
 من العقاب والشبهات توقفاً من الوقوع في الحرام وبعض المباحات حفظاً للنفس عن الخسة وتهذيباً لها
 عن دنس الطبيعة وقيل التكرير لمجرد التأكد كما في قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون
 ونظائره وقيل المراد بالأول اتقاء الكفر وبالثاني اتقاء الكبائر وبالثالث اتقاء الصغائر ولا ريب في أنه لا تعلق
 بهذه الاعتبارات بالمقام فأحسن التأمل (والله يحب المحسنين) تنذيل مقترن لمضمون ما قبله أبلغ تقرير
 (يا أيها الذين آمنوا ألبسوا نكاحكم الله) جواب قسم محذوف أي والله أتعامل بكم معاملة من يحتسبكم ليعترف
 أحوالكم (بشيء من الصيد) أي من صيد البر ما كولا أو غير ما كولا ما عدا المستثنيات من الفواسق
 فالإمام للعهد نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله تعالى بالصيد وهم محرمون كانت الوحوش تعشاها في رحالهم
 بحيث كانوا متمكنين من صيدها أخذاً بأيديهم و طعنابراً حرمهم وذلك قوله تعالى (تناه أيديكم و رماحكم)
 فهموا بأخذها فتركت وروى أنه عن إمام حار و حش فحمل عليه أبو اليسر بن عمرو فطعن به رمحه وقتله فقبل

له قتله وأنت محرم فأقرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عن ذلك فأمر الله تعالى الآية فالتأكيـ
السمى في ليلو نكم انما هو التحقيق أن ما وقع من عدم توحيش الصيد عنهم ليس الا ابتلاء سم التحقيق وقوع
المتلى به كالمو كان انزل قبل الابتلاء وتكثير نبي التحقيق المؤذن بأن ذلك ليس من الفتنة الهائلة التي تزل فيها
أقدام الراغبين كالابتلاء بقتل النفس واتلاف الاموال وانما هو من قبيل ما ابتلى به أهل ايلة من صيد
البحر وفائدة التنبيه على أن من لم يثبت في مثل هذا كيف يثبت عند شدائد المحن فمن في قوله تعالى من
الصيد بيانية قطعاً أي بشئ حقيقه والصيد وجعلها تبعيضية يقتضي اعتبار قلته وحقارته بالنسبة الى كل
الصيد بالنسبة الى عظام البلاء فيعبري الكلام عن التنبيه المذكور (ليعلم الله من يخافه بالغيب) أي ليعجز
الغائب من عقابه الاخرى وهو غائب مترقب لقوة ايمانه فلا يعرض للصيد من لا يخافه كذلك لضعف
ايمانه فيقدم عليه وانما عبر عن ذلك بـ (ليعلم الله تعالى) للازم له ايذاً بعد ارجاء ثواباً وعقاباً فانه ادخل في حكمه
على الخوف وقيل المعنى ليعلم الله تعالى من يخافه بالفعل فان علمه تعالى بأنه سيخافه وان كان متعلقاً به قبل
خوفه لكن تعلقه بأنه خائف بالفعل وهو الذي يدور عليه أمر الجزاء انما يكون عند تحقق الخوف بالفعل
وقيل هناك مضاف محذوف والتقدير ليعلم أولياء الله وقرئ ليعلم من الاعلام على حذف المفعول الأول أي
ليعلم الله عباده الخ والعلم على القراءتين متعدي الى واحد واطهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لترية
المهابة وادخال الروعة (فمن اعتدى بعد ذلك) أي بعد بيان أن ما وقع ابتلاء من جهته تعالى لما ذكر من
الحكمة لا بعد تحريمه أو النهي عنه كما قاله بعضهم اذ انتهى والتحريم ليس امر احداثاً يترتب عليه الشرطية
بالفعل ولا بعد الابتلاء كما اختاره آخرون لان نفس الابتلاء لا يصح مدار التشديد العذاب بل رعيته وهم
ككونه عذراً مستوجبا لتخفيفه وانما الموجب للتشديد بيان كونه ابتلاء لان الاعتداء بعد ذلك مكابرة صريحة
وعدم مبالاة بتدبير الله تعالى وخروج عن طاعته وانحلال عن خوفه وخشيته بالكلية أي فمن تعرض
للصيد بعد ما بينا أن ما وقع من كثرة الصيد وعدم توحيشه منهم ابتلاء مؤذناً ليعجز المطيع من العاصي
(وله عذاب أليم) لما ذكر من أنه مكابرة محضة ولأن من لا يملك زمام نفسه ولا يراعي حكم الله تعالى في أمثال
هذه البلايا الهينة لا يكاد يراعيه في عظام المداخر والمراد بالعذاب الليم عذاب الدارين قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهم أيوسع ظهره وبطنه جلدًا وينزع ثيابه (يا أيها الذين آمنوا) شروع في بيان ما يتدارك به
الاعتداء من الاحكام انريان ما يلحقه من العذاب والتصريح بالنهي في قوله تعالى (لا تقتلوا الصيد وأنتم
حرم) مع كونه معلوماً لا سيما من قوله تعالى غير محض الصيد وأنتم حرم تأكيد الحرمة وترتيب ما يعقبه
عليه واللام في الصيد للعهد حسبما سلف وحرم جمع حرام وهو المحرم وان كان في الحل وفي حكمه من في الحرم
وان كان حلالاً كروح جمع رداح والجملة حال من فاعل لا تقتلوا أي لا تقتلوه وأنتم محرمون (ومن قتله)
أي الصيد المعهود ذكر القتل في الموضعين دون الذبح لا ليدان بكونه في حكم الميتة (منكم) متعلق بحذوف
وقع حالاً من فاعل قتله أي كما نأمنكم (متعمداً) حال منه أيضاً أي ذاكرا للاحرام عالم بالجملة قتل ما يقتله
والتعميد بالتعمد مع أن محظورات الاحرام يستوي فيها العمد والخطأ لما أن الآية نزات في المتعمد كما مر من
قصة أبي اليسر ولأن الأصل فعل المتعمد والخطأ لاحق به لتغليظ وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت
السنة بالخطأ وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه لا أرى في الخطأ شيئاً أخذاً باشتراط التعمد في الآية وهو قول
داود وعن مجاهد والحسن أن المراد بالتعمد هو تعمده القتل مع نسيان الاحرام أما اذا قتله عدا وهو ذاكراً
لاحرامه فلا حكم عليه وأمره الى الله عز وجل لانه أعظم من أن يكون له كفارة (بخزاة مثل ما قتل)
برفعهما أي فعلية جزاء مماثل لما قتله وقرئ برفع الاول ونصب الثاني على أعمال المصدر وقرئ بجزء الثاني
على اضافته الى مفعوله وقرئ بخزاة مثل ما قتل على الابتداء والخبرية وقرئ بنصبهما على تقدير فليجز
جزاء أو فعلية أن يجزى جزاء مثل ما قتل والمراد به عند أبي حنيفة وأبي يوسف رضي الله عنهما المنل باعتبار
القيمة يقوم الصيد حيث صيد أو في أقرب الاماكن اليه فان بلغت قيمته قيمة هدي يضر الجاني بين أن
يشترى به ما قيمته قيمة الصيد فيهدى الى الحرم وبين أن يشترى به ما قيمته قيمة نصف صاع
من بر أو صاعاً من غيره وبين أن يصوم عن طعام كل مسكين يوماً فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين تصدق به

أوصام عنه يوما كمالا ذلم يعهد في الشرع صوم مادونه فيكون قوله تعالى (من التسم) بياناً للهدى
المشتري بالقيمة على أحد وجوه التخيير فإن من فعل ذلك يصدق عليه أنه جرى بمثل ما قتل من النعم وعند مالك
والشافعي رحمهما الله تعالى ومن يرى رأيهما هو المثل باعتبار الخلقة والهيئة لأن الله تعالى أوجب مثل
المقتول مقيداً بالنعم فمن اعتبر المثل بالقيمة فقد خالف النص وعن الصحابة رضي الله عنهم أنهم أوجبوا في
النعمامة بدنة وفي الظبي شاة وفي حمار الوحش بقرة وفي الأرنب عناقاً وعن النبي عليه الصلاة والسلام
أنه قال الضبع صيد وفيه شاة إذا قتله المحرم ولنا أن النص أوجب المثل والمثل المطلق في الكتاب والسنة
واجتماع الأئمة والمعقول يراد به أتم المثل صورة ومعنى وأتم المثل صورة بلا معنى فلا اعتبار له
في الشرع أصلاً وإذا لم يكن إرادة الأول اجتماعاً تعيّن إرادة الثاني لكونه معه وودا في الشرع كما في
حقوق العباد ألا يرى أن المماثلة بين أفراد نوع واحد مع كونها في غاية القوة والظهور لم يعتبرها الشرع ولم
يجعل الحيوان عند الاتلاف مضموناً بفرد آخر من نوعه مماثل له في عامة الأوصاف بل مضموناً بقيمته مع أن
المقصود عليه في أمثاله إنما هو المثل قال تعالى فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فثبت لم تعتبر تلك المماثلة
القوية مع تيسر معرفتها وسهولة مراعاتها فلا تلتزم اعتبار ما بين أفراد أنواع مختلفة من المماثلة الضعيفة الخفية
مع صعوبة مأخذها وتعسر المحافظة عليها أولى وأحرى ولأن القيمة قد أريدت فيما لا نظير له إجماعاً فليبق غيره
مراداً إذا لعموم المشترك في مواقع الإثبات والمراد بالمرور إيجاب النظر باعتبار القيمة لا باعتبار العين
ثم الموجب الأصلي للجنابة والجزاء المماثل للمقتول إنما هو قيمته لكن لا باعتبار أن بعده الخافي اليها في صرفها
إلى المصارف ابتداء بل باعتبار أن يجعلها معياراً لقيمة ذرئها أحدي الخصال الثلاث في قيمتها مقامها فقوله
تعالى مثل ما قتل وصح لا زعم للجزاء غير منصرف عنه بحال وأما قوله تعالى من النعم فوصف له معتبر في ثانی
الحال بناء على وصفه الأول الذي هو المعيار له ولما بعده من الطعام والصيام ففهموا أن يعطفا على الوصف
المقارن لا على الوصف اللازم فضلاً عن العطف على الموصوف كما سيأتي بإذن الله تعالى ومما يرشدك إلى أن
المراد بالمثل هو القيمة قوله عز وجل (يحكم به) أي بمثل ما قتل (ذو عدل منكم) أي حكمان عادلان
من المسلمين لكن لأن التقويم هو الذي يحتاج إلى النظر والاجتهاد من العدول دون الأشياء الشاهدة التي
يستوى في معرفتها كل أحد من الناس فإن ذلك ناشئ من الغفلة عما أرادوا بما به المماثلة بل لأن ما جعلوه
معدداً للمماثلة بين الصيد وبين النعم من ضرب مشابهة ومضاهاة في بعض الأوصاف والهيئات مع تحقق
التباين بينهما في بقية الأحوال مما لا يهتدى إليه من أساطين أئمة الاجتهاد وصناديد أهل الهداية والارشاد
الأئمة الذين بالقوة القدسية ألا يرى أن الامام الشافعي رضي الله عنه أوجب في قتل الجمجمة شاة بناء على
ما ثبت بينهما من المماثلة من حيث أن كلا منهما ما يعيب ويهدر مع أن النسبة بينهما من سائر الخفيات كما بين
الضبط والنون فكيف يدور من معرفة أمثال هذه الدقائق العويصة إلى رأي عدلين من آحاد الناس على أن
الحكم بهذا المعنى انما يعلق بالأصناف لا بالأشخاص فبعد ما عين بمقابله كل نوع من أنواع الصيد نوع من أنواع
النعم يتم الحكم ولا يبقى عند وقوع خصوصيات الحوادث حاجبة إلى حكم أصلاً وقرئ يحكم به ذو عدل على
إرادة جنس العادل دون الوحدة وقيل بل على إرادة الامام والجملة صفة للجزاء أو حال منه تخصصه بالصفة
وقوله تعالى (هدايا) حال مقدرة من الضمير في به أو من جزاء لما ذكر من تخصصه بالصفة أو بدل من مثل فمن
نصبه أو من محله فمن جزئه أو نصب على المصدر أي يهديه هدياً والجملة صفة أخرى للجزاء (بالبغ الكعبة) صفة
لهديا لأن الاضافة غير حقيقية (أو كفارة) عطف على محل من النعم على أنه خبر مبتدأ محذوف والجملة
صفة ثانية للجزاء كما أشير إليه وقوله تعالى (طعام مساكين) عطف بيان لكفارة عن عدم اختصاصه بالمعارف
أو بدل منه أو خبر مبتدأ محذوف أي هي طعام مساكين وقوله تعالى (أو عدل ذلك صياماً) عطف على
طعام الخ كما أنه قبل فعله جزاء مماثل للمقتول هو من النعم أو طعام مساكين أو صيام أيام بعدد دم فثبت
تكون المماثلة وصفاً لازماً للجزاء بقدرية الهدى والطعام والصيام أما الأولان فيلما واسطة وأما الثالث
فبواسطة الثاني فيختار الخافي كلاً منها لا من الآخرين هذا وقد قيل إن قوله تعالى أو كفارة عطف على
جزاء فلا يبق حينئذ في النظم الكريم ما يقتدر به الطعام والصيام والاتجاه إلى القياس على الهدى تنصف

لا يخفى هذا على قراءة جزاء بالرفع وعلى سائر القراءات ف قوله تعالى أو كفارة خير مما تداخضوا به من الجمل
معطوفة على جملة هو من الذم وقرئ أو كفارة طعام مساكين بالإضافة لتبيين نوع الكفارة وقرئ طعام
مسكين على أن التبيين يحصل بالواحد الدال على الجنس وقرئ أو عدل بكسر العين والفرق بينهما أن عدل
الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدله ما عدل به في المقدار كأن المفترج تسعة بالمصدر
والمكسور بمعنى المفعول وذلك إشارة إلى الطعام وصيما ما تميز للعدل والخيار في ذلك للجاني عند أبي حنيفة
وأبي يوسف رحمهما الله وللعلمين عند محمد رحمه الله (ليذوق وبال أمره) متعلق بالاستقرار في الجوار
والجور رأى فطيه جزاء ليدوق الخ وقيل يفعل يدل عليه الكلام كأنه قيل شرع ذلك عليه ليدوق وبال أمره
أي سوء عاقبة هتك حرمة الاحرام والوبال في الاصل المكروه والضرب الذي ينال في العاقبة من عمل سوء النقلة
ومنه قوله تعالى فأخذناه أخذاً وينا ومنه الطعام الويل وهو الذي لا تستمره المعدة (عفا الله عما سلف)
من قتل الصيد محرماً قبل أن يسألوا رسول الله عليه الصلاة والسلام وقيل عما سلف منه في الجاهلية لانهم
كانوا متعبدين بشرايع من قبلهم وكان الصيد فيها محرماً (ومن عاد) إلى قتل الصيد بعد النهي عنه وهو محررم
(فبنتقم الله منه) خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء كقوله تعالى
فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً أي فذلك لا يخاف الخ وقوله تعالى ومن كفر فأمتعه أي فأنا أمتعه
والمراد بالانتقام التعذيب في الآخرة وأما الكفارة فعن عطاء وإبراهيم وسعيد بن جبير والحسن أنها واجبة
على العائد وعن ابن عباس رضي الله عنهما وشرع أنه لا كفارة عليه تعلقاً بالظاهر (والله عزير) غالب لا
يغالب (فوانتقام) شديد فينتقم من أصر على المعصية والاعتداء (أحل لكم) الخطاب للعمرين (صيد
البحر) أي ما يصاد في المياه كلها بحراً كان أو نهراً أو غديراً وهو ما لا يعيش إلا في الماء مأكولاً أو غير مأكول
(وطعامه) أي وما يطعم من صيده وهو تخصيص بعد تعميم والمعنى أحل لكم التعرض لجميع ما يصاد
في المياه والاتقاع به وأكل ما يؤكل منه وهو السك عندنا وعند أبي ليلى جميع ما يصاد فيه على أن تفسير
الآية عنده أحل لكم صيد حيوان البحر وأن تطعموه وقرئ وطعموه وقيل صيد البحر ما صيد فيه وطعامه
ما قد فاه أو نصب عنه (متاعكم) نصب على أنه مفعول له مختص بالطعام كما أن نافله في قوله تعالى ووهبنا
له الحق ويعتوب نافله حال محترمة يعسوب عليه السلام أي أحل لكم طعامه غنيماً للمؤمنين منكم يأكلونه
طرباً (وللسيارة) منكم يتزودونه قديداً وقيل نصب على أنه مصدر مؤكد لفعل مقتدر أي متعكم به متاعاً
وقيل مؤكداً على أن أحل لكم فانه في قوة متعكم به غنيماً كقوله تعالى كتاب الله عليكم (وحرم عليكم صيد البر)
وقرئ على بناء الفعل للفعل ونصب صيد البر وهو ما يفرخ فيه وإن كان يعيش في الماء في بعض الاوقات كطير
الماء (مادم محرماً) أي محرمين وقرئ بكسر الدال من داميدام وظاهره يوجب حرمة ما صاده الحلال
على المحرم وإن لم يكن له مدخل فيه وهو قول عمرو بن عباس رضي الله عنهم وعن أبي هريرة وعطاء ومجاهد
وسعيد بن جبير رضي الله عنهم أنه يحل له أكل ما صاده الحلال وإن صاده لاجله إذا لم يشر إليه ولم يدل عليه
وكذا ما ذبحه قبل اخراجه وهو مذهب أبي حنيفة لأن الخطاب للعمرين فكأنه قيل وحرم عليكم ما صدمتم في
البر فيخرج منه صيد غيرهم وعند مالك والشافعي وأحمد لا يباح ما صيده (واتقوا الله) فيما نهاكم عنه
أو في جميع المعاصي التي من جملتها ذلك (الذي إليه تحشرون) لا إلى غيره حتى توهم الخلاص من اخذه
تعالى بالالتجاء إليه (جعل الله الكعبة) قال مجاهد سميت كعبة لتكونها مكعبة مربعة وقيل
لانفرادها من البناء وقيل لارتضاءها من الارض وتوئمتها وقوله تعالى (البيت الحرام) عطف بيان على
جهة المدح دون التوضيح كما تجب الصفة كذلك وقيل مفعول ثان لجعل وقوله تعالى (قياماً للناس)
نصب على الحال ويرد عطف ما بعده على المفعول الأول كما سيأتي بل هذا هو المفعول الثاني وقيل الجعل
بمعنى الانشاء والخلق وهو حال كما مر ومعنى كونه قياماً لهم أنه مدبر لقيامهم أمر دينهم وديارهم اذ هو سبب
لاتعاشهم في أمور معاشهم ومعادهم بلوذه الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه
إليه الطجاج والعمام وقرئ قياماً على أنه مصدر على وزن شبع أعل عينه بما أعل في فعله (والشهر الحرام)
أي الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة وقيل جنس الشهر الحرام وهو ما بعده عطف على الكعبة فالمفعول

الثاني محذوف ثقة بما مر أي وجعل الشهر الحرام (والهدى والقلائد) أيضا قايما لهم والمراد بالقلائد
ذوات القلائد وهي البدن خمت بالذكر لأن الثواب فيها أكثر وبها ألحج بها أظهر (ذلك) إشارة إلى
الجعل المذكور خاصة أو مع ما ذكر من الأمر بحفظ حرمة الاحرام وغيره ومحله النصب بفعل مقدر يدل
عليه السياق وهو العامل في اللام بعده أي شرع ذلك (لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض) فإن
تشرع هذه الشرائع المستتعبة لدفع المضار الدينية والدينية قبل وقوعها وجلب المنافع الأولية والآخرية
من أوضح الدلائل على حكمة الشارع وعدم خروج شيء عن علمه المحيط وقوله تعالى (وأن الله بكل شيء عليم)
تعميم اثر تخصيص للتأكيد ويجوز أن يراد بما في السموات والأرض الاعيان الموجودة فيها وبكل شيء الأمور
المتعلقة بتلك الموجودات من العوارض والاحوال التي هي من قبيل المعاني (اعلموا أن الله شديد العقاب)
وعيدان انتهك محارمه أو أصر على ذلك وقوله تعالى (وأن الله غفور رحيم) وعدلن حافظ على مراعاة
حرمانه تعالى أو أوقع عن الانتهاك بعد تماطيه ووجه تقديم الوعيد ظاهرا (ما على الرسول إلا البلاغ)
تشديد في إيجاب القيام بما أمر به أي الرسول قد أتى بما وجب عليه من التبليغ بما لا مزيد عليه وقامت
عليكم الطاعة ولزم منكم الطاعة فلا عذر لكم من بعد في التفریط (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) فيؤاخذكم
بذلك تقيرا وقطعيرا (فل لا يستوى الخبيث والطيب) حكم عام في نفي المساواة عند الله تعالى بين الردي من
الاشخاص والأعمال والأموال وبين جيدها قصده الترغيب في جيد كل منها والتعذير عن رديها وإن كان
سبب النزول شريح بن ضبعة البكري الذي مرت قصته في تفسير قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا شعائر الله
الخ وقيل نزل في رجل سأل رسول الله عليه الصلاة والسلام أن النمر كانت تجارتي وإني اعتقدت من بيعها
ما لا فهل ينفعني من ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله تعالى فقال النبي عليه الصلاة والسلام إن أنفقته
في حج أو جهاد أو صدقة لم يعدل جناح بعوضة إن الله لا يقبل إلا الطيب وقال عطاء والحسن رضي الله عنهما
الخبيث والطيب الحرام والحلال وتقديم الخبيث في الذكر للاشعار من أول الأمر بأن القصور الذي ينبت عنه
عدم الاستواء فيه لاني مقابلة فإن مفهوم عدم الاستواء بين الشينين المتفاوتين زيادة ونقصانا وإن جازا اعتباره
بجانب زيادة الزائد لكن المتبادر باعتباره بحسب قصور القاصر كما في قوله تعالى هل يستوى الأعمى والبصير
إلى غير ذلك وأما قوله تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فاعل تقديم الفاضل فيه لما أن صلته
مذمومة لصلته المفضول (ولو أعجبك كثرة الخبيث) أي وإن سرك كثرت الخطايا لكل واحد من الذين أمر النبي
صلى الله عليه وسلم بخطاياهم والواول عطف الشرطية على مثلها المقدر وقيل للعمال وقد مر أي لو لم تعجبك كثرة
الخبيث ولو أعجبك وكنتاهما في موقع الحال من فاعل لا يستوى أي لا يستويان كائنين على كل حال
مفروض كما في قولك أحسن إلى فلان وإن أساء إليك أي أحسن إليه إن لم يسئ إليك وإن أساء إليك أي كائنا
على كل حال مفروض وقد حذف الأولى حذفاً مطرداً للدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فإن الشيء إذا تحقق مع
المعارض فلا يتحقق بدونه أولى وعلى هذا السر يدور ما في لو وإن الوصلتين من المبالغة والتأكيد وجواب
لومحذوف في الجملة لدلالة ما قبلهما عليه وسبب غام تحقيقه في مواقع عديدة بإذن الله عز وجل (فأتقوا
الله يا أولى الألباب) أي في تحزى الخبيث وإن كثروا أثر وأعلمه الطيب وإن قل فإن مدار الاعتبار هو الجودة
والرداءة لا الكثرة والقلة فالمحذوف القليل خير من المذموم الكثير بل كلما كثرت الخبيث كان أخبث (لعلمكم
تفطنون) راجح أن تناولوا الفلاح (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء) هو اسم جمع على رأى الخليل
وسيبويه وجهه والبصريين كطرفاء وقصبا أصله شيئا بهم مرتين بينهما ألف فقلت الكلمة بتقديم لامها
على قائمها فصار وزنها فعاء ومنعت الصرف لآل التانيث المدودة وقيل هو جمع شيء على أنه مخفف من شيء
كهن مخفف من هين والأصل أشياء كاهونا بزنة أفعل فاجتمعت همزتان لام الكلمة والتي للتانيث إذا لآل
كألهمة تخففت الكلمة بأن قلبت الهمزة الأولى بالانكسار ما قبلها فصارت أشياء فاجتمعت ياء أولاهما
عين الكلمة فحذفت تخفيفا فصارت أشياء وزنها أفلا ومنعت الصرف لآل التانيث وقيل إنما حذفت
من أشياء الياء المنقلبة من الهمزة التي هي لام الكلمة وفقت الياء المكسورة لتسلم ألف الجمع فوزنها فعاء
وقوله تعالى (إن تبدل لكم نسوكم) صفة لأشياء داعية إلى الانتهاك عن السؤال عنها وخيث كانت النساء

في هذه الشرطية معلقة بأدائها بالسؤال عنها عقب بشرطية أخرى ناطقة باستلزام السؤال عنها لا بدائها
 لموجب للمعذورة قطعاً قليل (وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلنكم) أي تلك الأشياء الموجبة للمساءة
 بالوحي كما ينبغي عنه تقييد السؤال بحين التنزيل والمراد بها ما يشق عليهم ويغهمهم من التكليف الصعبة التي
 لا يطيقونها والأسرار الخفية التي يفتشعون بظهورها ونحو ذلك مما لا خير فيه فكأن السؤال عن الأمور
 الواقعة مستتبع لأدائها كذلك السؤال عن تلك التكليف مستتبع لإيجابها عليهم بطريق التشديد لا ساءتهم
 الأدب واجترانهم على المسئلة والمراجعة وتجاوزهم عما يليق بشأنهم من الاستسلام لأمر الله عز وجل من غير
 بحث فيه ولا تعرض لكيفيته وكميته أي لا تكثروا مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما لا يعنيكم من نحو
 تكاليف شاقة عليكم أن أفناكم بها وكافكم أياها حسبما أوحى إليه لم تطيقوا بها ونحو بعض أمور مستورة
 تكثرهون بروزها وذلك مثل ما روى عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال إن الله تعالى كتب عليكم الحج فقام رجل من بني أسد يقال له عكاشة
 ابن محصن وقيل هو سراقبة بن مالك فقال أفى كل عام يا رسول الله فأعرض عنه حتى أعاد مسئلته ثلاث
 مرات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك وما يؤمنك أن أقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت
 ما استطعتم ولو تركتم لكم لفسدتكم فأنكروني ما ترككم فأنكروني ما ترككم فأنكروني ما ترككم فأنكروني ما ترككم
 أنبياءهم فإذا أمرتكم بأمر فخذوا منه ما استطعتم وإذا نهىكم عن شيء فاجتنبوه ومثل ما روى عن أنس وأبي
 هريرة رضي الله عنهما أنه سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء حتى أحضروه في المسئلة فقام
 عليه الصلاة والسلام مغضباً خطيباً فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال سلوني فوالله ما سألتوني عن شيء ما دمت
 في مقامى هذا إلا بينته لكم فأشقى أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام أن يكون بين يدي أمر قد حضر قال
 أنس رضي الله عنه فجاءت ألفت عينا وشمالاً فلا أجد رجلاً إلا وهو لاف رأسه في ثوبه يبكي فقام رجل من
 قرين من بني سهم يقال له عبد الله بن حذافة وكان إذا لاحت له ألقى إلى غير أبيه وقال يا بني الله من أبي
 فقال عليه الصلاة والسلام أبولحذافة بن قيس الزهري وقام آخر وقال أين أبي قال عليه الصلاة والسلام
 في النار ثم قام عمر رضي الله عنه فقال رضي الله عنه يا أبا عبد الله دينا وعمر رسولاً نبينا وذا الله تعالى
 من الفتن أنا حديثو عهد بجيالهية وشرك فاعف عنا يا رسول الله فكن غضبه عليه الصلاة والسلام (عفا
 الله عنها) استئناف مسوق لإيضاح أن نهىهم عنها لم يكن لمجرد نصياتهم عن المساءة بل لأنها في نفسها معصية
 مستتبعة للمواخذة وقد عفا عنها وفيه من حثهم على الجد في الانتهاء عنها ما لا يخفى وخبر عنها بالمسئلة
 المدلول عليها بالسؤال أي عفا الله تعالى عن مسائلكم السابقة حيث لم يفرض عليكم الحج في كل عام
 جزاء مسئلتكم وتجاوز عن عقوباتكم الأخروية بسائلتكم فلا تعودوا إلى مثلها وأما جعله صفة
 أخرى لأشياء على أن الضمير لها بمعنى لا تسألوا عن أشياء عفا الله عنها ولم يكلفكم أياها فمما لا سبيل إليه أصلاً
 لاقتضائه أن يكون الحج قد فرض أو لا في كل عام ثم نسخ بطريق العفو وأن يكون ذلك معاً أو ما للأعفاطين
 ضرورة أن حق الوصف أن يكون معلوم الثبوت للموصوف عند الخطاب قبل جعله وصفاً وكلاهما
 ضروري الاتصاف قطعاً على أنه يستدعي اختصاص النبي بمسئلة الحج ونحوها إن سلم وقوعها مع أن التنظيم
 الكريم صريح في أنه مسوق للنهي عن السؤال عن الأشياء التي يسوءهم أداؤها سواء كانت من قبيل
 الأحكام والتكاليف الموجبة لمساءتهم بإنشائها وإيجابها بسبب السؤال عقوبة وتشديداً كمسئلة الحج لولا
 عفو الله تعالى عنها أو من قبيل الأمور الواقعة قبل السؤال الموجبة للمساءة بالأخبار بها كمسئلة من قال أين
 أبي إن فاتت تلك الأشياء غير موجبة للمساءة البتة بل هي محتملة لإيجاب المسئلة أيضاً لأن إيجابها للدولى أن
 كان من حيث وجودها فهي من حيث عدمها موجبة للأخرى قطعاً وإيستأدى الحينيتين بحقيقة عند
 السائل وانما غرضه من السؤال ظهورها كيف كانت بل ظهورها بجبئية إيجابها بالمسئلة فلم عبر عنها بجبئية
 إيجابها بالمساءة قلت لتحقيق المنهى عنه كما ستعرفه مع ما فيه من تأكيد النهي وتشديده لأن تلك الجبئية هي
 الموجبة للإتهام والازجاء لا جبئية إيجابها بالمسئلة ولا جبئية ترددها بين الإيجابين إن قيل الشرطية الثانية
 ناطقة بأن السؤال عن تلك الأشياء الموجبة للمساءة مستلزم لأدائها البتة كما مر فلم تخلف الأداة عن السؤال

في مسئلة الحج حيث لم يقرض في كل عام قلنا لوقوع السؤال قبل ورود النهي وما ذكر في الشرطية انما هو
السؤال الواقع بعد وروده اذ هو الموجب للتغليظ والتشديد ولا تخلف فيه ان قيل ما ذكره انما ينشئ فيما اذ
كان السؤال عن الامور المترددة بين الوقوع وعدمه كاذكر من التكاليف الشاقة وأما اذا كان عن الامور
الواقعة قبله فلا يكاد ينشئ لان ما يتعلق به الابداء هو الذي وقع في نفس الامر ولا مرد له سواء كان السؤال قبل
النهي أو بعده وقد يكون الواقع ما يوجب المسرة كما في مسئلة عبد الله بن حذافة فيكون هو الذي يتعلق به الابداء
لا غيره فيتعين التخلف حقا قلنا لا احتمال للتخلف فضلا عن التعين فان المنهى عنه في الحقيقة انما هو السؤال عن
الاشياء الموجبة للمساءة الواقعة في نفس الامر قبل السؤال كسؤال من قال أين أبي لا عايعه او غيرها مما
ليس بواقع لكنه محتمل لا وقوع عند المكافين حتى يلزم التخلف في صورة عدم الوقوع ووجه الكلام ان مدلول
النظم الكريم بطريق العبارة انما هو النهي عن السؤال عن الاشياء التي يوجب ابدؤها المساءة البتة اتماما بان
تكون تلك الاشياء بعرضية الوقوع فتبدي عند السؤال بطريق الانشاء عقوبة وتشديدا كما في صورة كونها
من قبيل التكاليف الشاقة واما بان تكون واقعة في نفس الامر قبل السؤال فتبدي عنده بطريق الاخبار
بها فالتخلف عتق في صورتين معا ومنشأ وجهه عدم الفرق بين المنهى عنه وبين غيره بناء على عدم امتياز
ما هو موجود أو بعرضية الوجود من تلك الاشياء في نفس الامر وما ليس كذلك عند المكافين وملاحظتهم
لا يكمل باحتمال الوجود والعدم وفائدة هذا الابهام الانتهاء عن السؤال عن تلك الاشياء على الاطلاق
حذار ابداء المذموم (والله غفور رحيم) اعتراض تذييلي مقترن لعقوبة تعالى أي مبالغ في مغفرة الذنوب
والاغضاء عن المعاصي ولذلك عضاعكم ولم يؤخذ كم بعقوبة ما فرط منكم (قدسألهافرم) أي سألوها
هذه المسئلة لكن لا عينها بل مثلها في كونها محظورة ومستقيمة للوالب وعدم التصريح بالمثل للمبالغة
في التحذير (من قبلكم) متعلق بسأله (ثم أصحوا بها) أي بسببها أو بمرجوعها (كافرين) فان
يخاسر ائبل كانوا يستفتون أنبياءهم في أشياء فاذا أمروا بها تركوها فلهلكوا (ما جعل الله من بحيرة
ولا سائمة ولا وصيل ولا حام) رذوا بطل لما ابتدعه أهل الجاهلية حيث كانوا اذا تجمعت الناقة خسة أبطن
آخرها ذكروا أذن بها أي شقوها وحرموا ركوبها ودرها ولا تطرد عن ماء ولا عن مرعى وكان يقول
الرجل اذا قدمت من سفرى أو برئت من مرضى فناقى سائمة وجعلها كالبخيرة في تحريم الاتساع بها وقيل
كان الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائمة فلا عقل بينهما ولا ميراث واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت
ذكرا فهو ولا لهم وان ولدت ذكرا وانثى قالوا واصلت اخاها فلم يذبحوا والذكر لا لهم واذا تجمعت من صلب
الفصل عشرة أبطن قالوا قد حنى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل
ما شرع وما وضع ولذلك عدى الى مفعول واحد هو بحيرة وما عطف عليها ومن مزيد لنا كيد النبي
فان جعل التكوين كما يجي نارة متعتيا الى مفعولين واخرى الى واحد كذلك جعل التشريع كما يجي
مرة متعتيا الى مفعولين كما في قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس واخرى الى واحد
كما في الآية الكريمة (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) حيث يفعلون ما يفعلون ويقولون
الله أمرنا بهذا واما هم عروبن حتى فانه أقول من فعل هذه الافاعيل الباطلة هذا شأن رؤسائهم وكبرائهم
(وأكثروهم) وهم أراد لهم الذين يتبعونهم من معاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يشهد به
سائر النظم الكريم (لا يعقلون) أنه اقترأ باطل حتى يخالف قوههم ويهتدوا الى الحق بأنفسهم
فيستترون في أسر التقليد وهذا بيان لقصور عقولهم وعجزهم عن الاهتداء بأنفسهم وقوله عز وجل
واذ أقبل لهم أي للذين عبر عنهم بأكثرهم على سبيل الهداية والارشاد (فقالوا الى ما أنزل الله) من
الحرام من الحلال (قالوا احسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) بيان لعنادهم واستعصائهم على الهادى الى الحق
وانقيادهم للداعي الى الضلال (أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) قيل الواو والصال دخلت عليها
الهمزة لانكار والتجيب أي أحسبهم ذلك ولو كان آباؤهم جهلة ضالين وقيل للعطف على شرطية أخرى
مقدرة قبلا وهو الاظهار والتقدير أحسبهم ذلك أو يقولون هذا القول لو لم يكن آباؤهم لا يعقلون شيئا من

الدين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا لا يعلمون الخ وكلتا هاتين في موقع الحال أى أحسنهم ما وجدوا عليه آباءهم
كائنين على كل حال مفروض وقد حذف الأولى في الباب حذفاً مطرد الدلالة الثانية عليها دلالة واضحة
كيف لا وإن الشئ إذا تحقق عند المانع فلا يتحقق عند عدمه أولى كما في قولك أحسن إلى فلان وإن أساء إليك
أى أحسن إليه إن لم يسئ إليك وإن أساء أى أحسن إليه كائن على كل حال مفروض وقد حذف الأولى
لدلالة الثانية عليها دلالة ظاهرة إذا الاحسان حيث أمر به عند المانع فلا يتحقق عند عدمه أولى وعلى
هذا السريدي ومافي إن ولو الوصليتين من المبالغة والتأكيّد وجواب لو محذوف لدلالة ما سبق عليه أى لو كان
آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون حسبهم ذلك أو يقولون ذلك ومافي لوم من معنى الامتناع والاستبعاد انما هو
بالنظر إلى زعمهم لا إلى نفس الامر وقائده المبالغة في الانكار والتجيب بيان أن ما قالوه موجب للانكار
والتجيب إذا كان كون آباؤهم جهلة ضالين في حيز الاحتمال البعيد فكيف إذا كان ذلك واقعاً لا ريب فيه
وقيل ما ل الوجهين واحد لأن الجملة المقدرة حال فكذلك ما عطف عليها وأنت خير بأن الحال على الوجه
الاخير مجموع الجملة لا الأخيرة فقط وأن الواو للعطف لا للعالم وقدمت التحقيق في قوله تعالى أولو كان آباؤهم
لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون فتدبر (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) أى الزموا أمر أنفسكم واصلحوا وقرئ
بإرفع على الابتداء أى واجبة عليكم أنفسكم وقوله عز وجل (لا يضركم من ضل إذا هتديتم) أما يجوز وم على
أنه جواب للأمر أو نهي مؤكدة وانما ضمت الراء اجاباً للضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدخلة إذا الأصل
لا يضرركم ويؤيده القراءة بفتح الراء وقراءة من قرأ لا يضرركم بكسر الضاد وضعها من ضار يضره ويضوره وأما
مرفوع على أنه كلام مستأنف في موقع التعليل لما قبله وبعضه قراءة من قرأ لا يضرركم أى لا يضرركم
ضلال من ضل إذا كنتم مهتدين ولا يضرهم من أن فيه رخصة في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع
استطاعتهم كيف لا ومن جملة الاهتداء أن يشكر على المنكر حسبات في به الطاعة قال عليه الصلاة والسلام
من رأى منكم منكراً فاستطاع أن يغيره فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وقد روى أن
الصدق رضى الله تعالى عنه قال يوماً على المنبر يا أيها الناس انكم تقرأون هذه الآية وتضعونها غير موضعها
ولا تدرسون ما هي وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس إذا رأوا منكراً فليغيروه
الله بعقاب فأمروا بالمعروف والنهي عن المنكر ولا تغتروا يقول الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا الخ) فيقول
أحمدكم على نفيى والله لتأمرن بالمعروف وتنهين عن المنكر أو ليستعملن الله عليكم شراركم فيسومونكم
سوء العذاب ثم أيدعون خياركم فلا يستجاب لهم وعنه عليه الصلاة والسلام ما من قوم عمل فيهم منكراً أو سئ
فيهم فبيح فلم يغيروه ولم يشكروه الا وحق على الله تعالى أن يعذبهم بالعقوبة جميعاً ثم لا يستجاب لهم والاية ترات
لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة وكانوا يتنون إيمانهم وهم من الضلال بحيث لا يكادون يرفعون عنه
بالامر والنهي وقيل كان الرجل إذا أسلم لاموه وقالوا له سفهت آباءك وضللتم أى نسبتم إلى السفاهة والضلال
فترايت نسامة له بأن ضلال آباءه لا يضره ولا يشينه (إلى الله) لا إلى أحد سواه (مرجعكم) رجوعكم يوم
القيامة (جميعاً) بحيث لا يتخلف عنه أحد من المهتدين وغيرهم (فينبشكم بما كنتم تعملون) في الدنيا من أعمال
الهداية والضلال فهو وعد ووعد للقرين وتنبيه على أن أحد الايواخذ بعمل غيره (يا أيها الذين آمنوا)
استئناف مسوق لبيان الاحكام المتعلقة بأموالهم اثر بيان الاحوال المتعلقة بأموالهم وتنبيههم وتصدية
بحر في النداء والتنبيه لانهما كمال العناية بمضمونه وقوله عز وجل (شهادة بينكم) بالرفع والاضافة إلى
الطرف توسعاً لما باعتبار بحر بانها بينهم أو باعتبار تعلقها بما يجري بينهم من الخصومات مبتدأ وقوله تعالى
(إذا حضر أحدكم الموت) أى شارفه وظهرت علامته ظرف لها وتقديم المفعول لفائدة كمال تمكن الضاعلى
عند النفس وقت وروده عليها فانه أدخل في تهوين أمر الموت وقوله تعالى (حين الوصية) بدل منه
لا ظرف للموت كما توهم ولا لحضوره كما قيل فإن في الابدال تنبيه على أن الوصية من المهمات المقررة التي لا ينبغي
أن يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وقوله تعالى (اثنان) خبر للمبتدأ بتقدير المضاف أى شهادة بينكم
حينئذ شهادة اثنين أو فاعل شهادة بينكم على أن خبرها محذوف أى فيما نزل عليه ~~حكمكم~~ أن يشهد بينكم اثنتان
وقرئ شهادة بالرفع والتنوين والاعراب كما سبق وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على أن عاملها مفعول

العامل في اثنتان أيضا أي ليقم شهادة بينكم اثنتان (ذو عدل منكم) أي من أقاربكم لانهم أعلم بأحوال الميت وأنصح له وأقرب الى تحري ما هو وأصلح له وقيل من المسلمين وهما مفتان لاثنتان (أو آخران) عطف على اثنتان تابع له فيما ذكر من الخبرية والفاعلية أي أو شهادة آخرين أو أن يشهد بينكم آخران أو ليقم شهادة بينكم آخران وقوله تعالى (من غيركم) صفة لا آخران أي كاشان من غيركم أي من الاجانب وقيل من أهل الذمة وقد كان ذلك في بدء الاسلام لعزة وجود المسلمين لاسيما في السفر ثم نسخ وعن مكحول أنه نسخها قوله تعالى وأشهدوا ذوي عدل منكم (إن أنتم) مرفوع بمضمر يفسره ما بعده تقديره ان ضربتم فلما حذف الفعل انفصل الضمير وهذا رأى جمهور البصريين وذهب الاخفش والكوفيون الى أنه مبتدأ بناء على جواز وقوع المبتدأ بعد ان الشرطية بكونه جواز وقوعه بعد اذ افقوله تعالى (ضربتم في الارض) أي سافرتم فيها لا يحمل له من الاعراب عند الاولين لكونه مفسرا ومرفوع على الخبرية عند الباقيين وقوله تعالى (فأصابكم مصيبة الموت) عطف على الشرطية وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه أي ان سافرتم فقام بكم الاجل حينئذ ومما معكم من الاقارب أو من أهل الاسلام من يتولى أمر الشهادة كما هو الغالب المعتاد في الاسفار فليشهد آخران أو فاستشهدوا آخرين أو فاشاهد ان آخران كذا قيل والانساب أن يقتدر عين ما سبق أي فآخران على معنى شهادة بينكم شهادة آخرين أو فان يشهد آخران على الوجوه المذكورة ثمة وقوله تعالى (تحبسونهم) استئناف وقع جوابا عما نشأ من اشتراط العدالة كأنه قيل فكيف نصنع ان ارتبنا بالشاهدين فتقبل تحبسونهم أي تقفونهم أو تصبرونهم والتحليف (من بعد الصلوة) وقيل هو صفة لا آخران والشرط بجوابه المحذوف اعتراض قائمته الدلالة على أن الدلائل اشهاد الاقارب أو أهل الاسلام وأما اشهاد الآخرين فمقتضى الضرورة المبنية اليه وأنت خير بأن يقتضي اختصاص الحبس بالآخرين مع شموله للاولين أيضا قطعاً على أن اعتبار اتصافهم بما يذلل بأبواب مقام الامر بالشهادة اذ ما له فآخران شأنه ما الحبس والتحليف وان أمكن اتعام التقريب باعتبار قيد الارتباب بهما كما يفيد الاعتراض الآتي والمراد بالصلوة صلاة العصر وعدم تعيينها لتعيينها عندهم بالتحليف بعد هالان وقت اجتماع الناس ووقت تصادم ملائكة الليل وملائكة النهار ولأن جميع أهل الاديان يعظمونه ويحجبون فيه الحلق الكاذب وقد روى أن النبي عليه الصلاة والسلام وقتئذ حلف من حلف كما سيأتي وقيل بعد أي صلاة كانت لانها داعية الى النطق بالصدق ونهاية عن الكذب والزور ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر (فيقسمان بالله) عطف على تحبسونهم وقوله تعالى (أن ارتبتم) شرطية محذوفة الجواب لدلالة ما سبق من الحبس والاقسام عليه سبقت من جهته تعالى معترضة بين القسم وجوابه للتنبيه على اختصاص الحبس والتحليف بحال الارتباب أي ان ارتاب بهما الوارث منكم بخيانته وأخذتني من التركة فاحبسوهما وحلفوهما بالله وقوله تعالى (لا تستري به ثما) جواب للقسم وليس هذا من قبيل ما اجتمع فيه قسم وشرط فاكثرتي بذكر جواب سابقهما عن جواب الآخر كما هو الواقع غالباً فان ذلك انما يكون عند مسقة جواب السابق مسقة جواب اللاحق لاتحاد مفعولهما كما في قولك والله ان اتيتني لا كرمك ولا ريب في استحالة ذلك ههنا لان القسم وجوابه كلاهما وقد عرفت أن الشرط من جهته تعالى والاشتراء هو استبدال السلعة بالثمن أي أخذها بدلا منه لا بدله لتحصيلها كما قيل وان كان مستلزما له فان المعبر في عقد الشراء ومفعول هو الجلب دون السلب المعبر في عقد البيع ثم استعير لاخذتني بإزالة ما عنده عينا كان أو مفعلي على وجه الرغبة في المأخوذ والاعراض عن الزائل كما هو المعبر في المستعار منه حسبا من تفصيله في تفسير قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والضمير في به لله والمعنى لا تأخذوا أنفسنا بدلا من الله أي من حرمة عرضنا الذي نأبأ أن نهتكها ونزيلها بالهلف الكاذب أي لا تخلف بالله كاذبين لا جيل المال وقيل الضمير للقسم فلا بد من تقدير مضاف البتة أي لا نستبدل بهصة القسم بالله أي لا تأخذوا أنفسنا بدلا منها عرضنا الذي نأبأ أن نزيل عنه وصف الصدق ونصفه بالكذب أي لا تخلف كاذبين كاذ كروا فلا سداد للمعنى سواء أريد به القسم الصادق والكاذب أم ان أريد به الكاذب فلانه يفوت حينئذ ما هو المعبر في الاستعارة من ككون الزائل شيئا مرغوبا فيه عند الخالف ككرمة اسم الله تعالى ووصف الصفة والصدق في القسم ولا ريب في أن القسم الكاذب ليس كذلك وأما ان أريد به الصادق

فلا نه وإن أمكن أن يتوصل باستعماله إلى عرض الدنيا كالقسم الكاذب لكن لا يحذر فيه وأما التوصل
إليه بترك استعماله فلا إمكان له هنا حتى يصح التبرؤ منه وانما يتوصل إليه باستعمال القسم الكاذب
وليس استعماله من لوازم ترك استعمال الصادق كما في صورة تقدير المضاف فإن إزالة وصف الصدق عن القسم مع بقاء
ما خوذ بترك استعمال الصادق كما في صورة تقدير المضاف فإن إزالة وصف الصدق عن القسم مع بقاء
الموصوف مستلزما لثبوت وصف الكذب له البتة فتأمل وقوله تعالى (ولو كان) أي المقسم له المدلول
عليه بضمي الكلام (ذا قرى) أي قرى سامنا كيدلتبرتهم من الحلف كاذبا ومبالغة في التنزه عنه كأنهم
قالا لا نأخذ لأنفسنا بل من حرمة اسمه تعالى ما لا ولو انضم إليه رعاية جانب الأقرباء فكيف إذا لم يكن كذلك
وصيانة أنفسهم وإن كانت أهم من رعاية الأقرباء لكنها ليست ضمنية للعالم بل هي راجعة إليه وجواب
لو محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه أي لا تشتري به ثمنا والجملة معطوفة على أخرى مثلها كما فصل في تفسير قوله
تعالى ولو أعجبك الخ وقوله عز وجل (ولأنكم شهادة الله) أي الشهادة التي أمرنا الله تعالى بأقامتها
معطوف على لا تشتري به داخل معه في القسم وعن الشعبي أنه وقف على شهادة ثم ابتدأ الله
بالمذنب حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وبغيره كقولهم الله لا فعلن (أنا إذا لم
أعني) أي أن كتمانها وقرئ للثلاثين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادخال النون فيها (فإن
عني) أي اطلع بعد التحليف (على أنهم استحقاقا) حسبا اعترفا به بقولها ما أنا إذا لم أعني أي فعلا
ما يوجب انما من تحريف وكنتم بأن ظهر بأيديهم ما شئ من التركة وادعيا استحقاقهم له بوجه من الوجوه
كما وقع في سبب النزول حسبا أي (فإن خران) أي رجلا آخران وهو مبتدأ خبره (يقومان مقامهما)
ولا محذوف في الفصل بالخبر بين المبتدأ وبين وصفه الذي هو الجار والمجرور بعده أي يقومان مقام اللذين عثر على
خباتهما وليس المراد بتمامهما مقام أداء الشهادة التي تولىها ولم يؤدياها كما هي بل هو مقام الحبس والتحليف
على الوجه المذكور لاظهار الحق وإبراز كذبهما فيما ادعيا من استحقاقهما لما في أيديهما (من الذين استحق)
على البناء للفاعل على قراءة على وابن عباس وأبي رضى الله عنهم أي من أهل الميت الذين استحق (عليهم
الاوليان) من بينهم أي الأقربان إلى الميت الوارثان له الاحقان بالشهادة أي باليمين كما استعرفه ومفعول
استحق محذوف أي استحقا عليهم أن يجزؤوهما للقيام بهما لأنها حقهما ويظهر واجبهما كذب الكاذبين
وهما في الحقيقة الآخران القائم مقام الاولين على وضع المظهر مقام المنعمر وقرئ على البناء للمفعول
وهو الاظهر أي من الذين استحق عليهم الاثم أي جنى عليهم وهم أهل الميت وعشيرته فالاوليان مرفوع على
أنه خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل ومن هما فقيل الاوليان وهو بدل من النعمير في يقومان أو من آخران وقد
جوز ارتفاعه باستحق على حذف المضاف أي استحق عليهم اتداب الاولين منهم للشهادة وقرئ الاولين
على أنه صفة للذين الخ مجرورا ومنصوبا على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة لكونهم
أحق بها وقرئ الاوليين على التنبيه والتصا به على المدح وقرئ الاولان (فيقسمان بالله) عطف على يقومان
(الشهادتنا) المراد بالشهادة اليمين كما في قوله تعالى فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله أي ليميننا على
أنهما كاذبان فيما ادعيا من الاستحقاق مع كونهما حقة صادقة في نفسها (أحق) بالقبول (من شهادتهما)
أي من يمينهما مع كونها كاذبة في نفسها لما أنه قد ظهر للناس استحقاقهما للآثم ويميننا منزلة عن اليمين
والريسة فصيغة التفضيل مع أنه لا حقيقة في يمينهما وأساسا لما لا إمكان قبولها في الجملة باعتبار احتمال
صدقهما في ادعاهما فملكهما الماظهر في أيديهما (وما اعتدينا) عطف على جواب القسم أي ما تجاوزنا
فيها الحق أو ما اعتدينا عليهما بإبطال حقهما (أما إذا لم الظالمين) استئناف مقترن لما قبله أي أما ان اعتدينا
في عينتنا للظالمين أنفسهم به معرضا لخط الله تعالى وعذابه بسبب هذه حرمة اسم الله تعالى أولن
الواضعين الحق في غير موضعه ومعنى النظم الكريم أن المحتضر ينبغي أن يشهد على وصيته عدلين من ذوى
نسبه أو دينه فإن لم يجدهما بأن كان في سفر فآخران من غيرهم ثم ان وقع ارتياب بهما أقسم على أنهما ما كتما
من الشهادة ولا من التركة شيئا بالتغليظ في الوقت فإن اطلع بعد ذلك على كذبهما بأن ظهر بأيديهم ما شئ من
التركة وادعيا ملكه من جهة الميت خلف الورثة وعمل بأيامناهم ولعل تخصيص الاثنين لخصوص الواقعة

فانه روى أن عقيم بن أوس الداري وعدي بن يزيد خرجا إلى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما
 بديل بن أبي صريم مولى عمرو بن العاص وكان مسلما هاجرا فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع
 ماله وطرحه في ساعه ولم يخبرهما بذلك وأوصى اليهما بأن يدفعا ماله إلى أهله ومات ففتشاه فوجداه أمانا
 من فضة وزنه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه ودفعاه إلى أهلكه فأصابوا فيه ~~الصلح~~ كتابا فطلبوا
 منهما الأمان فقالا لا ندرى أمانا أوصى اليك شيئا وأمرنا أن ندفعه اليكم ففعلنا وما لنا بالأمان من علم فرفعهوهما
 إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل بإيهما الذين آمنوا الآية فاستخفاهما بعد صلاة العصر عند المنبر بالله
 الذي لا اله الا هو أنهما لم يحتانا شيئا عما دفع ولا كتمانا خلقا على ذلك فغلب عليه الصلاة والسلام سبيلهما ثم أتاه
 الأمانا وجد بكه فقال من يبيعه اشتريته من عقيم وعدي وقيل لما طالت المدة أظهره فبلغ ذلك في سهم فطلبوه
 منهما فقالا كما اشتريتهما من بديل فقالوا ألم نقل لكاهل باع صاحبنا من ماله شيئا فقلنا لا قالوا ما كان لنا
 بينة ففكرهنا أن نقر به فرفعهوهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله عز وجل فان عثرنا لا يفتاكم عمرو بن
 العاص والمطلب بن أبي وداعة السهميان فلقيا بالله بعد العصر انهما كذبا وناهما فدفع الأمانا اليهما وفي رواية
 إلى أولياء الميت واعلم أنهما ان كانا وارثين لبديل فلا نسخ إلا في وصف اليمين فان الوارث لا يحلف على البتات
 والا فهو منسوخ (ذلك) كلام مستأنف سبق إتيان أن ما ذكره مستتب للمنافع وورد على مقتضى الحكمة
 والمصلحة أي الحكم الذي تقدم تفصيله (أدنى أن يأتمروا بالشهادة على وجهها) أي أقرب إلى أن يؤدى
 الشهود الشهادة على وجهها الذي تحملوهما عليه من غير تحريف ولا خيانة خوفا من العذاب الأخرى
 وهذه كجائزى حكمة شرعية التحليف بالغليظ المذكور وقوله تعالى (أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم)
 بيان لحكمة شرعية رد اليمين على الورثة معطوف على مقتضى عنى المقام كأنه قيل ذلك أدنى أن يأتمروا بالشهادة
 على وجهها ويخافوا عذاب الآخرة بسبب اليمين الكاذبة أو يخافوا الاقتضاح على رؤس الأشهاد بإبطال
 أيمانهم والعمل بأيمان الورثة فينزعروا عن الخيانة المؤدية إليه فأى الخوفين وقع حصل المقصد الذي هو الاتيان
 بالشهادة على وجهها وقيل هو عطف على يأتمروا على معنى أن ذلك أقرب إلى أن يأتمروا بالشهادة على وجهها وأولى
 أن يخافوا الاقتضاح برّد اليمين على الورثة فلا يحلفوا على موجب شهادتهم أن لم يأتمروا بها على وجهها فيظهر
 كذبهم بنكواهم وأما ما قيل من أن المعنى أن ذلك أقرب إلى أحد الأمرين الذين أيمما وقع كان فيه الصلاح
 أداء الشهادة على الصدق والامتناع عن أدائها على الكذب فيأبى المقام ألا تعلق له بالخيانة أصلا ضرورة
 أن الشاهد مضطربها إلى الجواب فالامتناع عن الشهادة الكاذبة مستلزم للاتيان بالصادقة قطعا فليس
 هناك أمران أيمما وقع كان فيه الصلاح حتى توسط بينهما كلمة أو وانها أتت ذلك في شهود لم يهملوا بخيانة
 على أن اضاعة الامتناع عن الشهادة الكاذبة إلى خوف رد اليمين على الورثة ونسبة الاتيان بالصادقة إلى غيره
 مع أن ما يقتضى أحدهما يقتضى الآخر لا محالة تحكم تحت غناقل (واتقوا الله) في مخالفة أحكامه
 التي من أجلها هذا الحكم (واسمعوا) ما تسمعون به كأننا ما كان سمع طاعة وقبول (والله لا يهدي
 القوم الفاسقين) الخارجين عن الطاعة أي فان لم تسمعوا ولم تسمعوا كنتم فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين
 أي إلى طريق الجنة أو إلى ما فيه نفعهم (يوم يجمع الله الرسل) نصيب على أنه بدل استمال من مفعول اتقوا
 لما بينهما من الملازمة فان مدار البدلية ليس ملازمة الطرفين والمظروفيّة وغروها فقط بل هو تعلق تام صحيح
 لا تنقل المذهب من المبدل منه إلى البدل بوجه اجمالى كما فيما نحن فيه فان كونه تعالى خالق الاشياء كافة
 مالك يوم الدين خاصة كلف في الباب مع أن الأمر تقوى الله تعالى يتبادر منه إلى الذهن أن المتقى أى شأن
 من شؤنه وأى فعل من أفعاله وقيل هناك مضاف محذوف به يتمنى الاستمال أى اتقوا عقاب الله حينئذ
 يجوز اتصافه منه بطريق الطريقة وقيل منصوب به ضم معطوف على اتقوا وما عطف عليه أى واحذروا
 أو اذكروا يوم الخ فان تذكروا ذلك اليوم الهائل بما يضطرونهم إلى تقوى الله عز وجل وتلقى أمره بسمع الاشارة
 والطاعة وقيل هو ظرف لقوله تعالى لا يهدي أى لا يهديهم يومئذ إلى طريق الجنة كما يهدي إلى الله المؤمنين
 وقيل منصوب بشؤله تعالى واسمعوا بمحذوف مضاف أى اسمعوا خبر ذلك اليوم وقيل منصوب بفعل مؤخر
 قد حذف للدلالة على ضيق العبارة عن شرحه ويلائم الكمال قطاعة ما يقع فيه من الطامة التامة والدواهي

العامة كما أنه قيل يوم يجمع الله الرسل فيقول الخ يكون من الاحوال والاهوال ما لا ينفي بيانه نطاق المقال
 واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لترتبة المهابة وتشديد التهويل وتخصيص الرسل بالذكر ليس لاختصاص
 الجمع بهم سجدون الامم كيف لا وذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وقد قال الله تعالى يوم ندمو كل
 اناس بامامهم بل لا بانه شرفهم واصالتهم والايذان بعدم الحاجة الى التصريح بجمع غيرهم بناء على ظهور كونهم
 انما عليهم ولاظهار سقوط منزلتهم وعدم لياقتهم بالانتظام في سلك جمع الرسل كيف لا وهم عليهم السلام يجمعون
 على وجه الاجلال واوائك يسحبون على وجوههم بالاغلال (قوله) لهم مشيرا الى خروجهم عن عهدة
 الرسالة كما ينبغي حسبا يعرب عنه تخصيص السؤال بجواب الامم اعرابا واضحا والاصدار الخطاب بأن يقال
 هل بلغتم رسالاتي وماذا في قوله عز وجل (ماذا اُجيبتم) عبارة عن مصدر الفعل فهو نصب على المصدرية أي
 أي اجابة اُجيبتم من جهة ائمتكم اجابة قبول أو اجابة رد وقيل عبارة عن الجواب فهو في محل النصب بعد حذف
 الجار عنه أي بأي جواب اُجيبتم وعلى التقديرين في توجيه السؤال عما صدر عنهم وهم شهدوا الى الرسل
 عليهم السلام كسؤال الموهوبة بمحض من الوائد والعدول عن اسناد الجواب اليهم بأن يقال ماذا اجابوا
 من الانبياء عن كمال تحقير شأنهم وشدة الغبطة والسخطة عليهم ما لا يخفى (قالوا) استئناف مبني على سؤال نشأ
 من سوق الكلام كما أنه قيل فماذا يقول الرسل عليهم السلام هنالك فتقبل يقولون (لا علم لنا) وصيغة المأثري
 للدلالة على التقرروا والتحقق كما في قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف ونظائرهما وانما
 يقولون ذلك نفو ايضا للامر الى علمه تعالى واحاطته بما اعتراه من جهتهم من مقاساة الاهوال ومعاناة
 الهموم والايصال وعرض العجز عن بيان كثرته وقطاعته (انك انت علام الغيوب) تعليل لذلك أي فتعلم
 ما اجابوا واظهروا لسوالم فعلم ما اشعروا في قلوبهم وفيه اظهرا للشكاة ورد للامر الى علمه تعالى بما لقوا
 من قبلهم من الخطوب وكابدوا من الكرب والتعب الى ربه في الانتقام منهم وقيل المعنى لا علم لنا بما احدثوا
 بعدنا وانما الحكم للفاضة ورد ذلك بأنهم يعرفونهم بسيماهم فكيف يخفى عليهم امرهم وانت خير بان مرادهم
 حينئذ ان بعضهم كانوا في زمانهم على الحق ثم صاروا كفرة وعن ابن عباس ومجاهد والسدي رضي الله عنهم أنهم
 يفزعون من أول الامر ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعد ما تاب اليهم عقولهم بالشهادة على أنفسهم ولا يلاعنه
 التعليل المذكور وقيل المراد به المبالغة في تحقيق فضيحتهم وقرئ علام الغيوب بالنصب على التنداء
 أو الاختصاص بالمدح على أن الكلام قد تم عند قوله تعالى أنت أي انك أنت المنعوت بشعوت كمالك المعروف
 بذلك (اذ قال الله يا عيسى ابن مريم) شروع في بيان ما جرى بينه تعالى وبين واحد من الرسل المجموعين من
 المفاوضة على التفصيل اثر بيان ما جرى بينه تعالى وبين الكل على وجه الاجمال ليكون ذلك كالاتموج لتفاصيل
 احوال الباقي وتخصيص شأن عيسى عليه السلام بالبيان تفصيلا من بين شؤون سائر الرسل عليهم السلام مع
 دلالة على كمال هول ذلك اليوم ونهاية سوء حال المكذبين بالرسالة شأنه عليه السلام متعلق بكلام القريرتين
 من أهل الكتاب الذين نعت عليهم في السورة الكريمة جنائياتهم فتفصيله أعظم عليهم وأجلب لحسرتهم وندامتهم
 وأفتى أعضاءهم وأدخل في معرفتهم عن غيبهم وعنادهم واذهب من يوم يجمع الله الخ وصيغة الماضي لما ذكر
 من الدلالة على تحقق الوقوع واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار لما مر من المبالغة في التهويل وكلمة على
 في قوله تعالى (اذ كر نعمتي عليك وعلى والدتك) متعلقة بنفس النعمة ان جعلت مصدرا أي اذ كر انعامي
 عليك أو بمحذوف هو حال منها ان جعلت اسما أي اذ كر نعمتي كاتنة عليك وليس المراد بأمره عليه السلام
 يومئذ كرا النعمة المنتظمة في سلك التعديد تكليفه عليه السلام شكرها والقيام بما وجبها ولات حين تكليف
 مع خروجه عليه السلام عن عهدة الشكر في أوانه أي خروج بل اظهرا أمره عليه السلام بعد أدائك النعم
 حسبما بينه الله تعالى اعتدادا به وتلذذا بذكرها على رؤس الاشهاد لتكون حكاية ذلك على ما أنبأ عنه النظم
 الكريم فويضا ومن جرة الكثرة المختلفين في شأنه عليه السلام افراطا وتفریطا وابطالا وتقولها جميعا
 (اذ أيدتلك) ظرف لنعمتي أي اذ كر انعامي عليك وقت تأييدي لك أحوال منها أي اذ كرها كاتنة وقت تأييدي
 لك وقرئ أيدتك والمعنى واحد أي قوتك (بروح القدس) يجبر بل عليه السلام لتثبيت الحجة أو بالكلام الذي
 يحوي به الدين واضافته الى القدس لانه سبب الظهور عن أوصار الاله تام أو يحوي به الموقر أو النفوس حياة أبدية

وقيل الارواح مختلفة الحقائق فنها طاهرة نورانية ومنها خبيثة ظلمانية ومنها مشرقة ومنها كدرة ومنها
حرة ومنها نذلة وكان روحه عليه السلام طاهرة مشرقة نورانية علوية وأياتها كان فهو نعمة عليهم (تسليم
الناس في المهد وكهلا) استئناف مبين لتأييده عليه السلام أو حال من الكاف وذ كر تكليمه عليه السلام
في حال الكهولة لبيان أن كلامه عليه السلام في تينك الحالتين كان على نسق واحد يدع صادرا عن كمال العقل
مقارنا لرأية الرأي والتدبير وبه استدل على أنه عليه السلام سينزل من السماء لما أنه عليه السلام رفع قبل
التكهل قال ابن عباس رضي الله عنهما أدله الله تعالى وهو ابن ثلاثين سنة ومكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم
رفعه الله تعالى اليه (وَأَدْعَمْتُكَ الْكِتَابَ) عطف على قوله تعالى إذا يدك منصوب بما نصبه أي إذا كر نعمتي
عليكم أوقت تعليلي لك الكتاب (والحكمة) أي جنبهما (والتوراة والإنجيل) خصا بالذ كر مما تناوله
الكتاب والحكمة اظهر الشرفهما وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب (وإذا تخلق
من الطين كهية الطير) أي تصور منه هية مماثلة لهية الطير (بأذني) يتسهل ويسير لعل أن يكون
الخلق صادرا عنه عليه السلام حقيقة بل على أن يظهر ذلك على يده عليه السلام عند مباشرة الاسباب
مع كون الخلق حقيقة لله تعالى كما ينبغي عنه قوله تعالى (فتنفخ فيها) أي في الهية المصورة (فتكون)
أي تلك الهية (طير بأذني) فإن أذنه تعالى لو لم يكن عبارة عن تكوينه تعالى للطير بل عن محض تيسيره
مع صدور الفعل حقيقة عما أسند اليه لكان هذا تكويناً من جهة الهية وتكرير قوله بأذني في الطير مع كونه
شياً واحداً للتبسيه على أن كلاماً من التصوير والتنفخ أمر معظم يدع لا يتسنى ولا يترتب عليه شيء إلا بأذنه تعالى
(وتبرئ الأكمة والارض بأذني) عطف على تخلق (وإذا تخرج الموتي بأذني) عطف على إذا تخلق أعيد فيه إذ
لكون إخراج الموتي من قبورهم لاسيما بعد ما صارت رعيما ممجزة باهرة ونعمة جليلة حقيقة بتدبير
وتفاهر يحا قيل أنخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية وتكرير قوله بأذني في المواضع الأربعة للاعتناء
بتحقيق الحق ببيان أن تلك الخوارق ليست من قبل عيسى عليه الصلاة والسلام بل من جهته سبحانه قد أظهرها
على يديه ممجزة له ونعمة خصها به وأما ذكره في سورة آل عمران مرتين لما أن ذلك موضع الأخبار وهذا موضع
تعداد النعم (وإذا كففت بنى إسرائيل عنك) عطف على إذا تخرج أي منعت اليهود الذين أرادوا بك السوء عن
التعرض لك (أذجنهم بالبينات) بالمعجزات الواضحة بما ذكر وما لم يذكر كالأخبار عما ياء كآون وما يدخرون
في بيوتهم ونحو ذلك وهو ظرف لكففت لكن لا باعتبار الجحى بهما فقط بل باعتبار ما يعقبه من قوله تعالى (وقال
الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين) فإن قولهم ذلك مما يدل على أنهم قصدوا اغتياله عليه السلام المخرج
إلى الكف أي كففتهم عنك حين قالوا ذلك عند مجيئك إياهم بالبينات وانما وضع موضع ضميرهم الموصول لذتهم
بما في حيز الصلة فكلمة من بيانية وهذا إشارة إلى ما جاء به والتذكير لأن أشارتهم إلى ما رأوه من نفس المسمى
من حيث هو أو من حيث هو سحر لا من حيث هو مسمى بالبينات وقرئ إن هذا إلا ساحر مبين فهذا حينئذ
إشارة إلى عيسى عليه السلام (وإذا أوحيت إلى الخواريين) عطف على ما قبله من أخواتها الواقعة ظروفها
للنعمة التي أمر بذكرها وهي وإن كانت في الحقيقة عين ما يفيد الجملة التي أضيف إليها تلك الظروف
من التأييد بروح القدس وتعليم الكتاب والحكمة وسائر الخوارق المعدودة لكنها المغايرتها لها بعنوان
منجي عن غاية الاحسان أمر بذكرها من تلك الحيثية وجعلت عاملة في تلك الظروف لكفاية المغايرة الاعتبارية
في تحقيق ما اعتبر في مدلول كلمة أذن من تعدد النسبة فانه ظرف موضوع لزمان نسبتين ماضيتين واقعيتين فيه
أحدهما معلومة الوقوع فيه للمخاطب دون الأخرى فإراد اقادة وقوعها أيضا له فيضاف إلى الجملة المقيدة
لنسبة الأولى ويجعل ظرفا معمو لا للنسبة الثانية ثم قد تكون المغايرة بين النسبتين بالذات كما في قولك إذا ذكر
إحسانى إليك إذا أحنت إلى تريد تنبيه المخاطب على وقوع إحسانك إليه وقت وقوع إحسانه إليك وهما
نسبتان متغايرتان بالذات وقد تكون بالاعتبار كما في قولك إذا ذكر إحسانى إليك أذن منعتك من المعصية تريد تنبيهه
على كون منعه منها إحسانا إليه لا على إحسان آخر واقع حينئذ ومن هذا القبيل عامة ما وقع في التنزيل من قوله
تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا الآية وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا
اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم إلى غير ذلك من النظائر

ومعنى ايضاً تعالى اليهم امره تعالى اياهم في الانجيل على لسانه عليه السلام وقيل الهامه تعالى اياهم كما في قوله تعالى وأوحينا الى أم موسى وأن في قوله تعالى (أن آمنوا بي وبرسولي) مفسرة لما في الايمان من معنى القول وقيل مصدرية واردة عليه السلام بعنوان الرسالة للتنبية على كيفية الايمان به عليه السلام كأنه قيل آمنوا بوحدايتي في الألوهية والربوبية وبرسالة رسولي ولا تزلوه عن حيزه خطأ ولا رفعا وقوله تعالى (قالوا) استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام ~~كأنه~~ قيل فماذا قالوا حين أوحى اليهم ذلك فقيل قالوا (آمنّا) أي بما ذكر من وحدانيته تعالى وبرسالة رسوله كما يؤذن به قوله هم (واشهد بأننا مسلمون) أي مخلصون في ايماننا من أسلم وجهه لله وهذا القول منهم بمقتضى وحيه تعالى وأمره لهم بذلك نعمة جليلة كما تراهم الفائضة عليه عليه الصلاة والسلام وكل ذلك نعمة على والدته أيضا روي أنه عليه السلام لما علم أنه سيؤمر بذكرها تلك النعم العظام جعل يلبس الشعروباً كل الشجر ولا يدخر شيئاً لغيره يقول لكل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت أي بما أسى بات (اذ قال الحواريون) كلام مستأنف مسوق لبيان بعض ما جرى بينه عليه السلام وبين قومه منقطع عما قبله كما ينبغي عنه الاظهار في موقع الاضمار واذ منصوب بضمير خوطب به النبي عليه الصلاة والسلام بطريق تلويح الخطاب والاتفات لكن لا لأن الخطاب السابق لعيسى عليه السلام فإنه ليس بخطاب وانما هو حكاية خطاب بل لأن الخطاب لمن خوطب بقوله تعالى واتقوا الله الآية فتأمل كأنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم عقيب حكاية ما صدر عن الحواريين من المقالة المعدودة من نعم الله تعالى الفائضة على عيسى عليه السلام اذكر للناس وقت قواهم الخ وقيل هو ظرف لما قالوا أريد به التنبية على أن ادعاءهم الايمان والاخلاص لم يكن عن تحقيق وايقان ولا يساعد النظم الكريم (يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء) اختلف في أنهم هل كانوا مؤمنين أو لا فقيل كانوا كافرين شاكين في قدرة الله تعالى على ما ذكرنا وفي صدق عيسى عليه السلام كاذبين في دعوى الايمان والاخلاص وقيل كانوا مؤمنين وسؤالهم للمائدة ان والتثبت لا لازمة الشك وهل يستطيع سؤال عن الفعل دون القدرة عليه تعبيراً عنه بل لازمه وقيل الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدوة وقيل المعنى هل يستطيع ربك بمعنى هل يجيبك واستطاع في اطاع كاستجاب في أجب وقرئ هل يستطيع ربك أي سؤال ربك والمعنى هل تسأل ذلك من غير صارف بصرفك عنه وهي قراءة على وعائشة وابن عباس ومعاذ رضي الله عنهم وسعيد بن جبير في آخرين والمائدة الخوان الذي عليه الطعام من مائه اذا أعطاه ورفده كأنهم اتعبدوا من تقدم اليه ونظيره قواهم شجرة مطعمة وقال أبو عبيد بن جراح فاعله بمعنى مفعولة كعبشة راضية (قال) استئناف مبني على سؤال ناشئ بما قبله ~~كأنه~~ قيل فماذا قال لهم عيسى عليه السلام حين قالوا ذلك فقيل قال (اتقوا الله) أي من أمثال هذا السؤال (أن كنتم مؤمنين) أي بكل قدرته تعالى وبهجة نبوتى وأن صدقتم في ادعاء الايمان والاسلام فإن ذلك مما يوجب التقوى والاجتناب عن أمثال هذه الاقتراحات وقيل أمرهم بالتقوى ليصير ذلك ذريعة لحصول المسؤل كقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابغوا اليه الوسيلة (قالوا) استئناف كما سبق (تريد أن تأكل منّا) تهديد عذرو بيان لما دعاهم الى السؤال أي لسننريد بالسؤال اراحة شفتينا في قدرته سبحانه على تنزيلها أو في صحة نبوتك حتى يقدح ذلك في الايمان والتقوى بل نريد أن تأكل منها أي أكل تبرك وقيل أكل حاجة وتمتع (وأنظمت قلوبنا) بكال قدرته تعالى وإن كنا مؤمنين به من قبل فإن انشغالنا علم المشاهدة الى العلم الاستدلالي مما يوجب ازدياد الطمأنينة وقوة اليقين (ونعلم) أي علما يقينياً لا يحوم حوله شبهة أصلاً وقرئ ابعلم على البناء للمفعول (أن قد صدقتنا) أن هي الخففة من أن وضيمر الثاني محذوف أي ونعلم أنه قد صدقتنا في دعوى النبوة وأن الله يجيب دعوتنا وان كنا عالمين بذلك من قبل (ونكون عليها من الشاهدين) تشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل ليزداد المؤمنون منهم بشهادتنا طمأنينة ويقينا ويؤمن بسببها كفارهم أو من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر وعليها متعلق بالشاهدين ان جعل اللام للتعريف وبيان لما يثبت دون عليه ان جعلت موصولة كأنه قيل على أي شيء يشهدون فقيل عليها فإن ما يتعلق بالصلة لا يقدّم على الموصول أو هو حال من اسم كان أو هو متعلق

بمحذوف يفهم من الشاهدين (قال عيسى ابن مريم) لما رأى عليه السلام أن لهم غرضاً محضاً في ذلك وأنهم لا يطمعون عنه أزعج على استدعائها واستنزالها وأراد أن يلزمهم ألجبة بكالها روى أنه عليه الصلاة والسلام اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين فطأ طأ رأسه وغض بصره ثم قال (اللهم ربنا) ناداه سبحانه وتعالى مرتين مرة بوصف الألوهية الجاهدة لجميع الكائنات ومرة بوصف الربوبية المنبثة عن التريسة اظهارا لغاية التضرع ومبالغة في الاستدعاء (أنزل علينا) تقديم الطرف على قوله (ماندة) لما مر مراراً من الاهتمام بالقدم والتشويق الى المؤخر وقوله (من السماء) متعلق بأنزل أو بمحذوف هو صفة المائدة أى كاتنة من السماء نازلة منها وقوله (تسعون لنا عيدا) في محل النصب على أنه صفة للمائدة واسم تكون ضمير المائدة وخبرها الماعيدا ولنا حال منه أو من ضمير تكون عندهم يجوز أفعالها في الحال واتمنا وعيد حال من الضمير في لنا لأنه وقع خبرا فيصير ضميرا أو من ضمير تسعون عندهم من يرى ذلك أى يكون يوم نزولها عيدا عظيما وانما استند ذلك الى المائدة لأن شرف اليوم مستعار من شرفها وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمى يوم العيد عيدا وقرئ تكن بالجزم على جواب الامر كما في قوله تعالى فهب لي من لدنك وليا يرثني خلافاً لقراءة الجزم هناك متواترة وههنا من الشواذ (لا ولنا وآخرنا) بدل من لنا باعادة العامل أى عيد المائدة مينا وآخرنا روى أنهم نزلت يوم الاحد ولذلك اتخذوا النصرى عيدا وقيل للروما منا والاتباع وقيل يأكل منها أو ولنا وآخرنا وقرئ لا ولنا وآخرنا بمعنى الامة والطائفة (وآية) عطف على عيدا (منك) متعلق بمحذوف هو صفة لآية أى كاتنة منك دالة على كمال قدرتك وحمدة نبوتك (وارزقنا) أى المائدة أو الشكر عليها (وأنت خير الرازقين) تذييل جار مجرى التعليل أى خير من رزق لانه خالق الارزاق ومعطيا بلا عوض وفي اقباله عليه السلام على الدعاء بتكرير النداء المنبثق عن كمال الضراعة والابتهال وزيادته ما لم يحط به السائلين من الامور الداعية الى الاجابة والقبول دلالة واضحة على أنهم كانوا مؤمنين وأن سؤالهم كان لتصيل الطمانينة كما في قول ابراهيم عليه السلام رب ارفني كيف تحبي الموتى والامنا قبل اعتذارهم بما ذكره ولما أضاف اليه من عنده ما يؤكده ويقر به الى القبول (قال الله) استئناف كما سبق (انى أنزلها عليكم) ورود الاجابة منه تعالى بصيغة التفعيل المنبثة عن التكثير مع كون الدعاء منه عليه السلام بصيغة الافعال لاطهار كمال اللطف والاحسان كما في قوله تعالى قل الله يصيبكم منها ومن كل كرب الخ بعد قوله تعالى لئن ألقيناها من هذه الخ مع ما فيه من مراعاة ما وقع في عبارة السائلين وفي تصدير الجملة بكلمة التحقيق وجعل خبرها اسما تحقيقى للوعد وايدان بانه تعالى مخبر له لاحالة من غير صارف يشبه ولا مانع يلويه واشعار بالاستمرار أى انى منزل المائدة عليكم مرات كثيرة وقرئ بالتخفيف وقيل الانزال والتنزيل بمعنى واحد (فن يكفر بعد) أى بعد تنزيلها (منكم) متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يكفر (فانى أعذبه) بسبب كفره بعدم معاينة هذه الآية الباهرة (عذابا) اسم مصدر بمعنى التعذيب وقيل مصدر بمحذوف الزائد واتصاه على المصدرية بالتقديرين المذكورين وجوز أن يكون مفعولا به على الاتساع وقوله تعالى (لا أعذبه) في محل النصب على أنه صفة لعذابا والضمير له أى أعذبه تعذبا لا أعذب مثل ذلك التعذيب (أحد من العالمين) أى من عالمي زمانهم أو من العالمين جميعا قيل لما سمعوا هذا الوعد الشديد خافوا أن يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريد هاتم تنزل وبه قال مجاهد والحسن رحمهما الله والصحيح الذى عليه جماهير الامة ومشاهير الائمة أنها قد نزلت روى أنه عليه السلام لما دعا بمجادع وأجيب بما أجيب اذ أسفرة حمران نزلت بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم يتظرون اليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها راحة للعالمين ولا تجعلها مثله وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمعته مشوية بلا فلول ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها الخ وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكزاث واذا خسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني حسل وعلى الثالث سمى وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شعون رأس الحواريين يا روح الله آمن طعام الدنيا من طعام الآخرة قال ليس منها ولكن شئ اخترعه الله تعالى بالقدره العالمة كالأما سألتم واشكروا بعد ذكر الله ويردكم من فضله فقلوا يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال يا سمكة اخنى باذن الله فاضرب

ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا فمضوا اقردة وخنازير وقيل كانت تأتهم
أربعين يوماً ما يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار يا كلون حتى اذا فاء التي طارت وهم يتظرون
في ظاهها ولم يأكل منها فقيرا الا غنى مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يرض أبدا ثم أوحى الله تعالى الى عيسى عليه
الصلاة والسلام أن اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فسمع منهم
من مسخ فاصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكنايات وبأكلون المذرة في الحشوش فلما رأى الناس ذلك
فزعوا الى عيسى عليه السلام وبكوا على المسوخين فلما أبصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطف
به وجعل يدعوهم بأسمائهم واحدا بعد واحد فيبكون ويشيرون برؤسهم ولا يقدر على الكلام فعاشوا
ثلاثة أيام ثم هلكوا وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عيسى عليه السلام قال لهم صوموا ثلاثين يوما
ثم سلوا الله ما تشتم بعطكم فصاموا فلما فرغوا قالوا انالو علنا لا احد فعضينا عمله لا طعمنا وسألوا الله تعالى المائدة
فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات حتى وضعتها بين أيديهم فأكل منها آخر
الناس كما أكل منها أولهم قال كعب نزلت منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل الطعام
الا اللحم وقال قتادة كان عليها ثمر من ثمار الجنة وقال عطية العوفي نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء
وقال الكلبي ومما نزلت سمكة وخمسة أرغفة فأكلوا ما شاء الله تعالى والناس ألف ونيف فلما رجعوا
الى قراهم ونشروا الحديث ضحك منهم من لم يشهد وقالوا ويحكم انما صحر أعينكم فمن أراد الله به الخير فليته
على بصيرة ومن أراد قنته رجع الى كفره فمضوا خنازير فكنوا كذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يتوالدوا
ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذلك كل مسوخ (واذا قال الله يا عيسى ابن مريم) معطوف على اذا قال الخواريون
منصوب بما نصبه من الضمير المخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم أو بضمه مستقل معطوف على ذلك أي اذكر
للناس وقت قول الله عز وجل له عليه السلام في الآخرة تو بئنا للكفرة وسميكتا لهم باقراره عليه السلام
على رؤس الاشهاد بالعبودية وأمره لهم بعبادته عز وجل وصيغة الماضي لما مر من الدلالة على التحقق
والوقوع (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمتي الهين) الاتخاذ اتماما متعديا الى مفعولين فالهين تائيها واما الى
واحده فهو حال من المفعول وليس مدار أصل الكلام أن القول متيقن والاستفهام لتعيين القائل كما هو
التياد من ايلاء الهمزة المبتدأ على الاستعمال القاشي وعليه قوله تعالى أنت فعلت هذا بابا آلهتنا ونظائره
بل على أن المتيقن هو الاتخاذ والاستفهام لتعيين أنه بأمره عليه السلام أو من تلقاؤه أنفسهم كافي قوله تعالى
أأنتم أضلتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السيل وقوله تعالى (من دون الله) متعلق بالاتخاذ ومحله النصب
على أنه حال من فاعله أي متجاوزين الله أو بحذوف هو صفة لالهين أي كائنين من دونه تعالى وأياما كان
فالمراد اتخاذها بطريق اشراكهما به سبحانه كافي قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا وقوله
عز وجل ويعبدون من دون الله مالا يضرونهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله الى قوله سبحانه
وتعالى عما يشركون اذ به يتأقن التوبيخ ويتأقن التوبيخ والتبكيت ومن توهم أن ذلك بطريق الاستقلال ثم
اعتذر عنه بأن النصارى يعتقدون أن المجزات التي ظهرت على يد عيسى ومريم عليهما الصلاة والسلام لم يخلقها
الله تعالى بل هما خلقاها فصح أنهم اتخذوهما في حق بعض الاشياء الهين مستقلين ولم يتخذوه تعالى الهما في حق
ذلك البعض فقد أبعد عن الحق بمرادحل وأما من تعنى فقال ان عبادته تعالى مع عبادة غيره كعبادة غن عبده
تعالى مع عبادتهم كما أنه عبدهما ولم يعبدته تعالى فقد غفل عما يجديه واشتغل بما لا يعنيه كدأب من قبله فان
تو بضمهم انما يحصل بما يعتقدونه ويعترفون به صريحا لا بما يلزمه بضرب من التأويل واطهار الاسم الجليل
لكونه في حيز القول المنسند الى عيسى عليه السلام (قل) استئناف مبنى على سؤال نشأ من صدر الكلام كآته
قيل فماذا يقول عيسى عليه السلام حينئذ فقيل يقول وايتا رصيغة الماضي لما مرارا (سبحانك) سبحانه
علم التسبيح واتصاه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه وفيه من المبالغة في التزييه من حيث الاشتقاق من السبح
الذى هو الذهاب والابعاد في الارض ومن جهة النقل الى صيغة التفعيل ومن جهة العدول من المصدر
الى الاسم الموضوع له خاصة المشرى الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل
ما لا يخفى أي أتركك تزييهما لا تقايلك من أن أقول ذلك أو من أن يقال في حقل ذلك وأما تقدير من أن يكون

لك شريك في الالهية فلا يساعده سباق النظم الكريم وسباقه وقوله تعالى (ما يذكرون لي أن أقول
 ما ليس لي بحق) استئناف مقترن للتزييه ومبين للمنزعه منه وما عبارة عن القول المذكور أي ما يستقيم وما ينبغي لي
 أن أقول قولاً لا يوجب لي أن أقوله وإثارة ليس على الفعل المنفي لظهور دلالة على استمرار انتفاء الحقيقة وإقادة
 التأكيدي بما في حيزه من الباء فإن اسمه ضميره العائد إلى ما أخبره بحق والجار مجرور وخيار بينهما للتبيين
 كما في سبائك وشعوه وقوله تعالى (إن كنت قلته فقد علمته) استئناف مقترن لعدم صدور القول المذكور
 عنه عليه السلام بالطريق البرهاني فإن صدوره عنه مستلزم لعلمه تعالى به قطعاً بحيث اتقى علمه تعالى به اتقى
 صدوره عنه حتماً ضرورة أن عدم اللازم مستلزم لعدم الملزوم (تعلم ما في نفسي) استئناف جار مجرى التعليل
 لما قبله كأنه قيل لأنك تعلم ما أخفيه في نفسي فكيف بما أعلنه وقوله تعالى (ولأعلم ما في نفسك) بيان
 للواقع وأظهار لقصوره أي ولا أعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس هو
 الذات ونسبة المعلومات إليها أنها مرجع الصفات التي من جلتها العلم المتعلق بها فلم يكن كسبها إلى الحقيقة
 وقوله تعالى (أنك أنت علام الغيوب) تعليل لمضمون الجملتين منطوقاً ومفهوماً وقوله تعالى (ما قلت لهم
 إلا ما أمرتني به) استئناف مسوق لبيان ما صدر عنه قد أدرج فيه عدم صدور القول المذكور عنه على أبلغ
 وجه وأككد حيث حكم بانتفاء صدور جميع الأقوال المغيرة للأمر به فدخل فيه انتفاء صدور القول
 المذكور دخولاً أولاً أي ما أمرتهم إلا بما أمرتني به وإنما قيل ما قلت لهم نزولاً على قضية حسن الأدب
 ومراعاة لما ورد في الاستفهام وقوله تعالى (أن اعبدوا الله ربي وربكم) تفسير للأمر به وقيل عطف
 بيان للضمير في به وقيل بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقاً يلزم بقاء الموصول بلا عائد
 وقيل خبر مضمراً ومفعول لمثل هو وأتقى (وكنتم عليهم منهياً) رقيباً أراعى أحوالهم وأجلهم على العمل
 بموجب أمر الله وأمنعهم عن المخالفة أو شاهد أحوالهم من كفر وإيمان (مادمت فيهم) ما مصدرية ظرفية
 تقدّر بمصدر مضاف إليه زمان ودمت صلتها أي كنت شهيداً عليهم مدة دواحي فيما بينهم (فلما توفيتني) بالرفع
 إلى السماء كما في قوله تعالى إني متوفيك ورافعك إلى فأن التوفي أخذ الشيء وأفيا والموت نوع منه قال تعالى
 الله توفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها (كنت أنت الرقيب عليهم) لا غيرك فأنتم ضمير الفصل
 أو تأكيدي وقرئ الرقيب بالرفع على أنه خبر أنت والجملة خبر لكان وعليهم متعلق به أي أنت كنت الحافظ
 لأعمالهم والمراقب فتمت من أردت عصمته عن المخالفة بالارشاد إلى الدلائل والتبسيه عليها بإرسال الرسل
 وانزال الآيات وخذات من خذات من الضالين فقالوا ما قالوا (وأنت على كل شيء شهيد) اعتراض تذييلي
 مقترن لما قبله وفيه إيذان بأنه تعالى كان هو الشهيد على الكل حين كونه عليه السلام فيما بينهم وعلى متعلقة بشهيد
 والتقديم لمراعاة الفاصلة (إن تعذبهم فأنهم عبادك) وقد استحقوا ذلك حيث عبدوا غيرك (وان تغفر لهم
 فأنك أنت العزيز) أي القوى القادر على جميع المقدورات ومن جلتها الثواب والعقاب (الحكيم)
 الذي لا يريد ولا يفعل إلا ما فيه حكمة ومصلحة فأن المغفرة مستحسنة لكل مجرم فإن عذبت فعدل وإن غفرت
 ففضل وعدم غفران الشرك إنما هو بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمنع التردد وقيل التردد بالنسبة
 إلى فرقتين والمعنى أن تعذبهم أي من كفر منهم وان تغفر لهم أي من آمن منهم (قال الله) كلام مستأنف
 ختم به حكاية ما حكى عما يقع يوم يجمع الله الرسل عليهم الصلاة والسلام وأشير إلى نتيجة وما له أي يقول الله
 تعالى يومئذ عقيب جواب عيسى عليه السلام مشيراً إلى صدقه في ضمن بيان حال الصادقين الذين هوفوا في زميرهم
 وصيغة الماضي لما مر في قضاؤه مراراً وقوله تعالى (هذا) إشارة إلى ذلك اليوم وهو مبتدأ خبره ما بعده
 أي هذا اليوم الذي حكى بعض ما يقع فيه أجمالاً وبعضه تفصيلاً (يوم ينفع الصادقين) بالرفع والاضافة والمراد
 بالصادقين كما في عنه الاسم المستزود في الدارين على الصدق في الأمور الدنيوية التي معظمها التوحيد الذي نحن
 بسنده والشرائع والأحكام المتعلقة به من الرسل الناطقين بالحق والصدق الداعين إلى ذلك وبه تحصل الشهادة
 بصدق عيسى عليه السلام ومن الأمم المصدقين لهم المقتردين بهم - عمق دأ وعمل وبه يتحقق المقصود بالحكاية
 من ترغيب السامعين في الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم لا كل من صدق في أي شيء - كان ضرورة
 أن الجاني المعترف في الدنيا بجنايته لا ينفعه يومئذ اعترافه وصدقه (صدقهم) أي صدقهم فيما ذكر

من أمور الدين في الدنيا اذ هو المستبوع لنفع يومئذ واعتبار استمراره في الدارين مع أنه لا حاجة اليه كما عرفته
ولادخله في استيعاب النفع والجزاء عمالاً وجاهة هي التي أطبق عليها الجمهور وهي الايق بسباق
النظم الكريم وسباقه وقد قرئ يوم بالنصب اما على أنه ظرف لقول فهذا حيثما اشار الى قوله تعالى أنت
قلت الخ واما على أنه خبر لهذا فهو حيثما اشار الى جواب عيسى عليه السلام أي هذا الجواب منه عليه
السلام واقع يوم ينفع الخ أو الى السؤال والجواب معا وقيل هو خير ولكنه بنى على الفتح وليس بصحيح عند
المبصرين لانه مضاف الى ممكن وقرئ يوم بالرفع والتثنية كقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي الاية
(لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدون فيها أبدا) استئناف مسوق لبيان النفع المذكور كانه قيل
مالهم من النفع فقيل لهم نعم دائم وثواب خالد وقوله تعالى (رضي الله عنهم) استئناف آخر لبيان أنه
عز وجل أقاض عليهم غير ما ذكر من الجنات ما لا قدر لها عنده وهو رضوانه الذي لا غاية وراءه كما ينبغي عنه
قوله تعالى (ورضوانه) اذ لا شيء أعز منه حتى يعتد اليه أعناق الهمم (ذلك) إشارة الى نيل رضوانه
تعالى وقيل الى نيل الكل (الفوز العظيم) لما أن عظم شأن الفوز تابع لعظم شأن المطلوب الذي تعلق به
الفوز وقد عرفت أن لا مطلب وراء ذلك أصلا وقوله تعالى (لله ملك السموات والارض وما بينهما) تحقيق
للحق وتنبه على كذب النصارى وفساد ما زعموا في حق المسيح وأمه أي له تعالى خاصة ملك السموات والارض
وما بينهما من العقلاء وغيرهم تصرف فيها كيف يشاء ايجادا واعداما واحياء وامانة وأمرها ونهيها من غير
أن يكون لشيء من الاشياء مدخل في ذلك وفي اتيار ما على من اختصاصه بالعقلاء على تقدير تناولها للكل مراعاة
للأصل وإشارة الى تساوى الفريقين في استحالة الربوبية حسب تساويهما في تحقق الربوبية وعلى تقدير
اختصاصها بغير العقلاء تنبيه على كمال قصورهم عن رتبة الألوهية واهانة بهم بتغليب غيرهم عليهم (وهو على
كل شيء) من الاشياء (قدير) مبالغ في القدرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة أعطى
من الاجر عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتفلسف في الدنيا
سورة الانعام مكية غيرست آيات أو ثلاث من قوله تعالى قل تعالوا أتتوا وهي مائة وخمس وستون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله) تعليق الحمد المعترف بلام الحقيقة أو لا يابسم الذات الذي عليه يدور كافة ما يوجب من صفات الكمال
واله بؤول جميع نعمات الجلال والجمال لا يذان بأنه عز وجل هو المستحق له بذاته لما مر من اقتضاء اختصاص
الحقيقة به سبحانه لاقتصار جميع أفرادها عليه بالطريق البرهاني ووصفه تعالى ثانيا بما ينبغي عن تفصيل
بعض موجباته المنتظمة في سلك الاجمال من عظام الامار وجلال الانفعال من قوله عز وجل (الذي خلق
السموات والارض) للتنبيه على استحقاقه تعالى له واستقلاله باعتبار أفعاله العظام والانه الجسام أيضا
وتخصيص خلقهما بالذكر لاشتمالهما على جملة الآثار العلووية والسفلية وعامة الآلاء الجليلة
والخفية التي أجلها نعمة الوجود الكافية في ايجاب حده تعالى على كل موجود فكيف بما يتفرع عليه من
قنون النعم الانفسية والافاقية المنوط بها مصالح العباد في المعاش والمعاد أي أنشأهما على ما هما عليه من
القطاعات والطراز الرائق منطويين من أنواع البدائع وأصناف الروائع على ما تنص فيه العقول والافكار
من تعاجيب العبر والاثار تبصرة وذكري لاوى الابصار وجمع السموات لظهور تعدد طبقاتها واختلاف
آثارها وحركاتها وتقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدمها وجودا على الارض كما هي (وجعل
الظلمات والنور) عطف على خلق مترتب عليه لكون جعلهما مسبوقا بخلق منشأهما ومحلها ما دخل معه
في حكم الاشعار بعمله الحمد فكأن خلق السموات والارض وما بينهما لكونه أثر اعظم وانعمة جليلة
موجب لاختصاص الحمد بخالقهما جل وعلا كذلك جعل الظلمات والنور لكونه أمر اخطرا ونعمة عظيمة
مقتض لاختصاصه بخالقهما والجعل هو الانشاء والابداع كالخلق خلا أن ذلك مختص بالانشاء التكويني
وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة وللشريعة أيضا كما في قوله تعالى ما جعل الله
من بهيمة الاية وأما ما كان فيه انشاء عن ملائكة مفعوله بشي آخر بأن يكون فيه أوله أو منه أو نحو ذلك
ملائكة معصية لأن يتوسط بينهما شيء من الظروف لغوا كان أو مستقز الكن لا على أن يكون محدة في الكلام

بل قد افيه كما في قوله عز وجل "وجعل بيننا برزخا" وقوله تعالى "وجعل فيها رايي" وقوله تعالى "واجعل لنا من لدنك وليا" الآية فان كل واحد من هذه الظروف اما متعلق بنفس الجعل أو بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة وأيا ما كان فهو قيد في الكلام حتى اذا اقتضى الحال وقوعه عدة فيه يكون الجعل منعقبا الى اثنين هو ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون أصابعهم في آذانهم ورميا يشبه الا حرف فيظن أنه عدة فيه وهو في الحقيقة قيد بأحد الوجهين كما سلف في قوله تعالى اني ساعل في الارض خليفة حيث قيل ان الطرف مفعول ثان لساعل وقد أشير هنالك الى أن الذي يقضي به الذوق السليم وتقضيه برزاة النظم الكريم أنه متعلق بجعل أو بمحذوف وقع حالا من المفعول وأن المفعول الثاني هو خليفة وأن الأول محذوف على ما مر تفصيله وجمع الظلمات لظهور كثرة أسبابها ومحالها عند الناس ومشاهدتهم لها على التصديق وتقديرها على النور والتقدم الاعدام على الملكات مع ما فيه رعاية حسن المقابلة بين القرينتين وقوله تعالى (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) معطوف على الجملة السابقة الناطقة بما مر من موجبات اختصاصه تعالى بالحد المستدعي لاقتصار العبادة عليه كما حقق في تفسير الفاتحة الكريمة مسوقا لانكار ما عليه الكفرة واستبعاد من مخالفتهم لمعتونها واجترأهم على ما يقضي بطلانه بديهية العقول والمعنى أنه تعالى مختص باستحقاق الحد والعبادة باعتبار ذاته وباعتبار ما فصل من شؤنه العظيمة الخاصة به الموجبة لقصر الحد والعبادة عليه ثم هؤلاء الكفرة لا يعدلون بوجبه ويعدلون به سبحانه أي يسوون به غيره في العبادة التي هي أقصى غايات الشكر الذي رأسه الحد مع كون كل "ما سواه مخلوقا له غير متصف بشئ من مبادئ الحد وكلمة ثم لاستبعاد الشر لبعده وضوح ما ذكر من الآيات التكوينية القاضية بطلانه لا بعد بيانه بالآيات التنزيلية والموصول عبارة عن طائفة الكفار بارحجرى الاسم لهم من غير أن يجعل كفركم بما يجب أن يؤمن به كالأوبعضاعنوا بالموضوع فان ذلك محال باستبعاد ما أسند اليهم من الاثر والباء متعلقة يعدلون ووضع الرب موضع ضميره تعالى لزيادة التشجيع والتفجيع والتقديم لمزيد الاهتمام والمصارعة الى تحقيق مدار الانكار والاستبعاد والمحافظة على الفواصل وتزلز المفعول لظهوره أو لتوجيه الانكار الى نفس الفعل بتنزيله منزلة اللازم ايذانا بأنه المدار في الاستبعاد والاستنكار لا خصوصية المفعول هذا هو الحقيق بجزالة التنزيل والخلق فيضامة شأنه الجليل وأما جعل الباء صلة لكفر واعلى أن يعدلون من العدول والمعنى أن الله تعالى حقيق بالحد على ما خلقه فحمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته فيردون كفرهم به تعالى لاسيما باعتبار ربوبية تعالى اهم أشد شناعة وأعظم جنسية من عدوهم عن حده عز وجل "لتحققه مع اغفاله أيضا فجعل أهون الشرين عدة في الكلام مقصود الافادة واخراج أعظمهما مخرج القيد المفروق عنه مما لا عهد له في الكلام السديد فكيف بالنظم التنزيلي هذا وقد قيل انه معطوف على خلق السموات والمعنى أنه تعالى خلق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه ثم يعدلون به سبحانه ما لا يقدر على شئ منه لكن لا على قصد أنه صلة مستقلة ليكون بمنزلة أن يقال الحمد لله الذي عدلوا به بل على أنه داخل تحت الصلة بحيث يكون الكل صلة واحدة كأنه قيل الحمد لله الذي كان منه تلك النعم العظام ثم من الكفرة الكفر وأنك خير بأن ما ينظم في سلك الصلة المنبثقة عن موجبات حده عز وجل حقه أن يكون له دخل في ذلك الانبياء ولو في الجملة ولا ريب في أن كفرهم بمزول منه وادعاء أنه خلافه لدلالته على كمال الجود ~~كما~~ أنه قيل الحمد لله الذي أنعم بمنزل هذه النعم العظام على من لا يحمده تعسف لا يساعده النظام وتعكيس بأبواب المقام كيف لا ومساق النظم الكريم كما تفصص عنه الآيات الآتية تشجيع الكفرة وتوخيهم ببيان غاية اسمائهم مع نهاية احسانه تعالى اليهم لا بيان نهاية احسانه تعالى اليهم مع غاية اسمائهم في حقه تعالى كما يقتضيه الادعاء المذكور وبهذا انضح أنه لا سبيل الى جعل المعطوف من روافد المعطوف عليه لما أن حق الصلة أن تكون غير مقصودة الافادة بما هو من روافدها وقد عرفت أن المعطوف هو الذي سبق له الكلام فتأمل ولكن على الحق المبين (هو الذي خلقكم من طين) استئناف مسوق لبيان بطلان كفرهم بالبعث مع مشاهدتهم لما يوجب الايمان به اثر بيان بطلان اشراكهم به تعالى مع معانيهم اوجبات توحيده وتخصيص خلقهم بالذ ~~ك~~ من بين سائر دلائل صحة البعث مع أن ما ذكر من خلق السموات والارض من أوصفها وأظهرها كما ورد في قوله تعالى أوليس الذي خلق السموات والارض

بقادر على أن يخلق مثلهم لما أن محل النزاع بعينهم قد لالة بد خلقهم على ذلك أظهر وهم يشون أنفسهم
 أعرف والتعالي عن الحجة النيرة أقبح والاتفات لزيد التشيع والتوبيخ أي ابتداء خلقكم منكم منه فانه
 المادة الاولى للكل لما أنه منشأ آدم الذي هو أبو البشر وانما نسب هذا الخلق الى المخاطبين لا الى آدم
 عليه السلام وهو المخلوق منه حقيقة بأن يقال هو الذي خلق أباكم الخ مع كفاية علمهم بخلقه عليه السلام منه
 في إيجاب الايمان بالبعث وبطلان الامتراء لتوضيح منهاج القياس والمبالغة في اراحة الاشتباه والالتباس
 مع ما فيه من تحقيق الحق والتنبية على حكمة خفية هي أن كل فرد من أفراد البشر له حظ من انشائه عليه
 السلام منه حيث لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت أغوذ جامنطويا على فطرة سائر أفراد
 الجنس انطوا اجماليا مستتبع بالجرى بان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من الطين خلاقا لكل أحد
 من فروعه منه ولما كان خلقه على هذا النمط الساري الى جميع أفراد ذرية أبديع من أن يكون ذلك مقصورا
 على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور اليه وأدل على عظم قدرة الخلاق العليم وكمال علمه وحكمته
 وكان ابتداء حال المخاطبين أولى بأن يكون معيار الاتهام فاعل ما فعل ولله در شأن التزييل وعلى هذا السر
 مدار قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم الخ وقوله تعالى وقد خلقناكم من قبل ولم تكن شيئا كما سبأني
 وقيل المعنى خلق أباكم منه على حذف المضاف وقيل معنى خلقهم منه خلقهم من النطفة الحاصلة من الاغذية
 المتكونة من الارض وأياتا كان فقيه من وضوح الدلالة على كمال قدرته تعالى على البعث ما لا يخفى فان من
 قدر على احياهم ما لم يشم رائحة الحياة قط كان على احياهم ما قارنهم مادة أظهر قدرة (ثم فني) أي كتب
 لموت كل واحد منكم (أجل) خاصا به أي حذا مهينا من الزمان يفنى عند حلوله لا محالة وكلية ثم للآذان
 يتناوت ما بين خلقهم وبين تقدير آجالهم حسبما تقتضيه الحكم البالغة (وأجل مسي) أي حذا مهين ببعثكم
 جميعا وهو مبتدأ التخصيص بالصفة كما في قوله تعالى ولعبد مؤمن ولو قوعه في موقع التفصيل كما في قول من قال
 اذا ما بكى من خلفها انصرفت له • بشق وشق عندنا لم يحول

وتتوينة لتفخيم شأنه وتحويل أمره ولذلك أثر تقديمه على الخبر الذي هو (عنده) مع أن الشائع المستفيض
 هو التأخير كما في قولك عندي كلام حق ولي كتاب نفيس كانه قيل وأي أجل مسي مثبت معين في علمه لا يتغير
 ولا يقف على وقت حلوله أحد لا مجلا ولا مفصلا وأما أجل الموت فعلوم اجالا ونقريا بناء على ظهورا مارانه
 أو على ما هو المعتاد في أعمار الانسان ونسبته أجلا انما هي باعتبار كونه غاية لمدة لشهم في القبول لا باعتبار كونه
 مبدأ للمدة القيامة كما أن مدار التسمية في الاجل الاول هو كونه آخر مدة الحياة لا كونه أول مدة المعات لما أن
 الاجل في اللغة عبارة عن آخر المدة لا عن أولها وقيل الاجل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت
 والبعث من البرزخ فان الاجل كما يطلق على آخر المدة يطلق على كلها وهو الاوّل لما روى عن ابن عباس رضي
 الله عنهما ان الله تعالى قضى لكل أحد أجلين أجلا من مولده الى موته وأجلا من موته الى مبعثه فان كان برأ
 تقيا وصولا للرحم زيد له من أجل البعث في أجل العمر وان كان فاجرا قاطعا نقص من أجل العمر وزيد في أجل
 البعث وذلك قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب فعني عدم تغير الاجل حينئذ عدم تغير
 آخره والاوّل هو الاثني بتفخيم الاجل الثاني المنوط باختصاصه بعلمه تعالى والانطب يتو اليه المبني على
 مقارنته للطامة الكبرى فان كون بعضه معلوما للخلق ومضيه من غير أن يقع فيه شيء من الدواهي كما يستلزمه
 الحمل على المعنى الثاني محل بذلك قطعاً ومعنى زيادة الاجل ونقصه فيما روى تأخير الاجل الاول وتقديمه (ثم أنتم
 تموتون) استبعاد واستنكار لامرأهم في البعث بعد معاينتهم لما ذكر من الحجج الباهرة الدالة عليه أي تموتون في
 وقوعه وتحققه في نفسه مع مشاهدتكم في أنفسكم من الشواهد ما يقطع مادة الامتراء بالكلية فان من قد وعى
 افاضة الحياة وما يتفرع عليها من العلم والقدر وسائر الكالات البشرية على مادة غير مستعدة لشيء منها أصلا
 كان أوضح اقتدارا على افاضة ما على مادة قد استعدت لها وقارتها مادة ومن ههنا تبين أن ما قيل من أن الاجل
 الاول هو النوم والثاني هو الموت أو أن الاول أجل الماضي والثاني أجل الباقي أو أن الاول مقدار ماضى
 من عمر كل أحد والثاني مقدار ما بقى منه مما لا وجه له أصلا لما رأيت من أن مساق النظم المسمى استبعاد
 امتراءهم في البعث الذي عبر عن وقته بالاجل المسمى غيث أو يديه أحدا ما ذكر من الامور الثلاثة في أي شيء

يخبرون ووصفهم بالامراء الذي هو الشك وتوجيه الاستبعاد اليه مع أنهم جازمون بانتفاء البعث مصرّون
على انكاره كما ينبغي عنه قولهم ائذا امتنا وكثرا بابا وعظاما ائتنا المبعوثون ونظائر له دلالة على أن جزمهم المذكور
في أقصى مراتب الاستبعاد والاستنكار وقوله تعالى (وهو الله) بجملة من مبتدأ وخبر معطوفة على ما قبلها
مسوقة لبيان شمول أحكام الهيته تعالى لجميع المخلوقات والحاطة علمه بتفاصيل أحوال العباد وأعمالهم المؤدية
إلى الجزاء اثر الإشارة الى تحقق المعادى تضاعف بيان كيفية خلقهم وتقدير آجالهم وقوله تعالى (في السموات
وفي الارض) متعلق بالمعنى الوصفى الذي ينشأ عنه الاسم الجليل اما باعتبار أصل اشتقاقه وكونه علما للمعبود
بالحق كما أنه قيل وهو المعبود فيهما واما باعتبار أنه اسم اشتهر بما اشتهرت به الذات من صفات الكمال فلو حفظ معه
منها ما يقتضيه المقام من المالكية الكلية والتصرف الكامل حسبما تقتضيه المشيئة المبنية على الحكم البالغة
فعلق به الطرف من تلك الحثية فصارت كما قيل - هو المالك أو المتصرف المدبر فيهما كما في قوله تعالى وهو الذي
في السماء الله وفي الارض الله وليس المراد بما ذكر من الاعتبارين أن الاسم الجليل يحصل على معناه المفعول
أو على معنى المالك أو المتصرف أو نحو ذلك بل يجوز ذلك لاحتفاء أحد المعاني المذكورة في ضمنه كما لو حفظ مع اسم
الاسد في قوله أسد على الخ ما اشتهر به من وصف الجراءة التي اشتهر بها سمهاه بجرى مجرى جري على وبهذا
بين أن ما قبل بصدد التصوير والتفسير أي هو المعروف بذلك في السموات وفي الارض أو هو المعروف المشتهر
بالصفات الكلية أو هو المعروف بالالهية فيهما أو نحو ذلك بعزل من التصديق فإن الاعتبار مع الاسم هو نفس
الوصف الذي اشتهر به اذ هو الذي يقتضيه المقام - بما بين أن لا يشترط به ألا يرى أن كلمة على في المثال
المذكور لا يمكن تعليقها باشتار الاسم بالجراءة قطعا وقيل هو متعلق بما يفيد التركيب الحصري من التوحيد
والتفرد كما أنه قيل وهو المتوحد بالالهية فيهما وقيل بما تقر عند الكل من اطلاق هذا الاسم عليه خاصة كما أنه
قيل وهو الذي يقال له الله فيهما ما لا يشرك به شيء في هذا الاسم على الوجه الذي سبق من اعتبار معنى التوحيد
أو القول في حقوى الكلام بطريق الاستتباع لعل على اسم الجليل على معنى المتوحد بالالهية أو على تقدير
القول وقد جوز أن يكون الطرف خبرا ثانيا على أن كونه سبحانه فيها عبارة عن كونه تعالى مبالغا في العلم
بما فيها من شأنه على تنزيل علمه المقدس عن حصول الصور والاشباح لكونه حضورا منزلة كونه تعالى فيهما
وتصوره به على طريقة التمثيل المبني على تشبيه حالة علمه تعالى بما يقع ما يجاله كونه تعالى فيها فإن العالم
إذا كان في مكان كان عالمه وبما فيه على وجه لا يخفى عليه منه شيء فعلى هذا يكون قوله عز وجل (يعلم سرهم
وجهرهم) أي ما أسررتهم وما جهرتهم من الأقوال أو ما أسررتهم وما أعلنتهم كما سماها كان من الأقوال
والاعمال بآياتهم وتقرير الضمونه وتحقيق الله معنى المراد منه وتعلق علمه عز وجل بما ذكر خاصة مع شموله
لجميع ما فيها حسبما تفيد الجملة السابقة لأنسياق النظم الكريم الى بيان حال الخاطئين وكذا على الوجه
الثاني فإن ملاحظة الاسم الجليل من حيث المالكية الكلية والتصرف الكامل الجارى على اللفظ المذكور
مستتمة لملاحظة علم المحيط حتما فيكون هذا آياتا وتقرير بالارباب وأما على الوجه الثلاثة الباقية
فلا سبيل الى كونه بآياتا لكن لا ما قيل من أنه لا دلالة لاستواء السر والظهر في علمه تعالى على ما اعتبر فيهما من
المعبودية والاختصاص بهذا الاسم اذ ربما يعبد ويختص به من ليس له كمال العلم فانه باطل قطعا اذ المراد بما ذكر
هو المعبودية بالحق والاختصاص بالاسم الجليل ولارباب في أنهم ما علموا لا يتصور فيمن ليس له كمال العلم بديهة
بل لأن ما ذكر من العلم غير معتبر في مدلول شيء من المعبودية بالحق والاختصاص بالاسم حتى يكون هذا آياتا
وبهذا تبين أنه ليس ببيان على الوجه الثالث أيضا لما أن التوحيد بالالهية لا يعتبر في مفهومه العلم الكامل ليكون
هذا آياتا بل هو معتبر فيما صدق عليه المتوحد وذلك غير كاف في البينة وقيل هو خبر بعد خبر عند من يجوز
كون الخبر الثاني جملة كافي قوله تعالى فاذا هي حية تسعى وقيل هو الخبر والاسم الجليل بدل من هو وبه يتعلق
الطرف المتقدم ويكتفى في ذلك بكون المعلوم فيهما كما في قولك رميت الصيد في الحرم اذا كان هو فيه وأنت
خارجة ولعل جعل سرهم وجهرهم فيهما ما توسع الدائرة وتصوير أنه لا يعزب عن علمه شيء منهما في أي مكان
كان لا لانهما قد يكونان في السموات أيضا وتعميم الخطاب لاهلها تعسف لا يجنى (ويعلم ما تكسبون)
أي ما تعملونه لطلب نفع أو دفع ضرر من الاعمال المكتسبة بالقلوب أو بالحواس سرا أو علانية وتخصيصها

بالذكر مع اندراجها فيما سبق على التفسير الثاني للسر والجمهور لا يظهر كمال الاعتناء بها لأنها التي يتعلق بها
 الجواز وهو السر في إعادة يعلم (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم) كلام مستأنف وأرد ليبيان كفرهم بآيات
 الله وأعراضهم عنها بالكيفية بعد ما بين في الآية الأولى إشراكهم بالله سبحانه وأعراضهم عن بعض آيات التوحيد
 وفي الآية الثانية امتراءهم في البعث وأعراضهم عن بعض آياته والالتفات للإشعار بأن ذكر قبائحهم قد اقتضى
 أن يشرب عنهم الخطاب صفحا وتعد دجناياتهم لغيرهم ذمالمهم وتقييد الحالهم بخاتمية وصيغة المضارع لحكاية
 الحال الماضية أو للدلالة على الاستمرار التجدد ومن الأولى مزيدة للاستغراق والثانية تبعية واقعة مع
 مجرورها صفة لآية وإضافة الآيات إلى اسم الرب المضاف إلى ضميرهم لتفخيم شأنها المستتبع لتحويل ما اجترأوا
 عليه في حقها والمراد بها آيات التنزيلية فآياتهم أنزلوها والمعنى ما ينزل إليهم آية من الآيات التراتمية
 التي من جللتها هي آيات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله عز وجل المنبئة عن جريان أحكام الوحيته
 تعالى على كافة الكائنات واطاعة علمه بجميع أحوال الخلق وأعمالهم الموجبة للاقبال عليها والايان بها
 (الا كانوا معرضين) أي على وجه التكذيب والاستهزاء كما ستقف عليه وأما الآيات التكوينية الشاملة
 للمعجزات وغيرها من تعجيب المصنوعات فآياتهم لظهورها لهم والمعنى ما يظهرها لهم آية من الآيات
 التكوينية التي من جللتها ما ذكر من جلال شئونه تعالى الشاهدة بوحدايته الا كانوا معرضين
 تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدى إلى الإيمان بكونها وإشارته على أن يقال الا أعراضها كما وقع مثله في قوله
 تعالى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مسرة للدلالة على استقرارهم على الأعراض حسب استقرار آيات
 الآيات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل والجللة في محل النصب على أنها حال من مفعول
 تأتي أو من فاعله المتخصص بالوصف لا شئها على ضمير كل منهما وأيا ما كان ففيها دلالة بينة على كمال
 مسارعتهم إلى الأعراض وإيقاعهم له في أن الإتيان كما يفصح عنه كلمة لما في قوله تعالى (فقد كذبوا بالحق
 لما جاءهم) فإن الحق عبارة عن القرآن الذي أعراضوا عنه حين أعراضوا عن كل آية آية منه عبر عنه بذلك الإبانة
 لكمال قبح ما فعلوا به فإن تكذيب الحق بما لا يتصور صدوره عن أحد والفاء لترتيب ما بعدهما على ما قبله لكن
 لا على أنها شئ مغاير له في الحقيقة واقع عقبيه أو حاصل بسببه بل على أن الأول هو عين الثاني حقيقة وأما
 الترتيب بحسب التغير الاعتباري وقد لتخصيق ذلك المعنى كما في قوله تعالى فقد جاءوا ظلما وزورا بعد قوله تعالى
 وقال الذين كفروا ان هذا الا فلان افتراء وأعانه عليه قوم آخرون فإن ما جاءوه أي فعلوه من الظلم والزور عين
 قولهم المحكي لكنه لما كان مغاير له مفهومه وأشنع منه حال ترتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على المزمع وهو بلا
 لامره كذلك مفهوم التكذيب بالحق حيث كان أشنع من مفهوم الأعراض المذكور أخرج مخرج اللازم
 البين البطلان فرتب عليه بالفاء اظهار الغاية بطلانه ثم قيد ذلك بكونه بلا تأمل تأكيده الشناعة وتهديد البيان
 أن ما كذبوا به آثر ذي أثيرة عواقب جليلة ستبدو لهم البتة والمعنى أنهم حيث أعراضوا عن تلك الآيات عند
 إتيانها فقد كذبوا بما لا يمكن تكذيبه أصلا من غير أن يتدبروا في حاله وما له وبقته وعلى ما في تضاعيفه
 من الشواهد الموجبة لتصديقه كقوله تعالى بل كذبوا بآياتهم بما يبعثون به كآيتي عنه قوله تعالى
 (فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا يستهزئون) فإن ما عبارة عن الحق المذكور عبر عنه بذلك فهو بلا لامره
 بإتيانهم وتعليل الحكم بما في حيز الصلة وأنباءه عبارة عما سيجي بهم من العقوبات العاجلة التي نطقت بها
 آيات الوعيد وفي لفظ الانباء أي ان بغاية العظم لما أن التبا لا يطلق الا على خير عظيم الوقع وجلها على العقوبات
 الآتية أو على ظهور الاسلام وعلو كلمته بآيات الآتية وسوف تأتي كيد مضمون الجملة وتقريره
 أي فسوف يأتيهم البتة وان تأخر مصداق أنباء الشئ الذي كانوا يكذبون به قبل من غير أن يتدبروا في عواقبه
 وانما قيل يستهزئون أي انباء تكذيبهم كان مقرونا بالاستهزاء كما أشير إليه هذا على أن يراد بالآيات الآيات
 القرآنية وهو الاظهر وأما أن أريد بها الآيات التكوينية فالفاء داخله على أنه جواب شرط محذوف
 والأعراض على حقيقته كأنه قيل ان كانوا معرضين عن تلك الآيات فلا تعجب فقد فعلوا بما هو أعظم منها ما هو
 أعظم من الأعراض حيث كذبوا بالحق الذي هو أعظم الآيات ولا مساغ لحمل الآيات في هذا الوجه على كلها
 أصلا وأما ما قيل من أن المعنى أنهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا بالقرآن فما ينبغي تنزيه التنزيل

عن أسأله (ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن) استئناف مسوق لتعيين ما هو المراد بالانبياء التي سبق بها الوعد وتقرير انبيائها بطريق الاستشهاد وهمزة الانكار لتقرير الرؤية وهي عرفانية مستدعية لمفعول واحد وتم استعهامية كانت أو خبرية معلقة لها عن العمل مفيدة للتكثير سادة مع ما في حيزها مستدعية لمفعولها منصوبة بأهلكنا على المفعولية على أنها عبارة عن الاشخاص ومن قرن بمزلهما على أنه عبارة عن أهل عصر من الأعصار وهو بذلك لا فترانهم برهة من الدهر كما في قوله عليه الصلاة والسلام خير القرون قرني ثم الذين يلونهم الحديث وقبل هو عبارة عن مدة من الزمان والمضاف محذوف أي من أهل قرن وأما اتصالها على المصدرية أو على الظرفية على أنها عبارة عن المصدر أو عن الزمان فتعسف ظاهر ومن الأولى ابتدائية متعلقة بأهلكنا أي ألم يعرفوا بما عايناه الأثام وسماع الأخبار كم أمة أهلكنا من قبل أهل مكة أي من قبل خلقهم أو من قبل زمانهم على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه كعاد وتعود وأضرابهم وقوله تعالى (مكاهم في الأرض) استئناف لبيان كيفية الإهلاك وتفصيل مباديه مبنى على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل كيف كان ذلك فقيل مكاهم الخ وقيل هو صفة اقترن لما أن التكررة مقفلة إلى مخصص فاذا وإيهام ما يصلح مخصصا لها تعين وصفية لها وأنت خبر بأن تترينه التفضيحي مفعول له عن استدعاء المصفة على أن ذلك مع اقتضائه أن يكون مضمونه ومضمون ما عطف عليه من الجمل الأربع أضرابا مفرغا عنه غير مقصود بسياق النظم مؤد إلى اختلال النظم الكريم كيف لا والمعنى حينئذ ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن موصوفين بكذا وكذا وبأهلكنا أيهم يذنبونهم وأنه بين الفساد وتمكين الشيء في الأرض جعله قارفا فيها ولما لم يزل جعلها مقفلة ورد الاستعمال بكل منهما فقيل تارة مكاهم في الأرض ومنه قوله تعالى واقد مكاهم فيما أن مكاهم فيه وأخرى مكاهم في الأرض ومنه قوله تعالى إنما مكاهم في الأرض حتى أجرى كل منهم ما يجري الآخر ومنه قوله تعالى (مالم نمكن لكم) بعد قوله تعالى مكاهم في الأرض كأنه قيل في الأول مكاهم أو في الثاني مالم نمكنكم وما فكرة موصوفة بما بعدها من الجملة المنفية والعايد محذوف محلها انصب على المصدرية أي مكاهم نمكنكم نمكنكم لكم والاتفات لما في مواجهم بضعف الحال من يديان لشأن الفريقين ولدفع الاشتباه من أول الأمر عن مرجعي الضمير بن (وأرسلنا السماء) أي المطر أو السحاب أو المظلة لأنها مبدأ المطر (عليهم) متعلق بأرسلنا (مدرا را) أي مغزرا حال من السماء (وجعلنا الأنهار) أي صيرناها فقوله تعالى (تجري من تحتهم) مفعول ثان لجعلنا أو أنشأناها فحال من مفعوله ومن تحتهم متعلق بتجري وفيه من الدلالة على كونها مسخرة لهم مسخرة على الجريان على الوجه المذكور ما ليس في أن يقال وأجرنا الأنهار من تحتهم وليس المراد بتعداد هاتيك النعم العظام الفائضة عليهم بعد ذكر عكبتهم بيان عظم جنتهم في كفرانها واستحقاقهم بذلك لا عظم العقوبات بل بيان حيازتهم لجميع أسباب نيل الماء وبمبادي الأمن والنجاة من المكاهم والمعاطب وعدم اغناء ذلك عنهم شيئا والمعنى أعطيناهم من البسطة في الأجسام والامتداد في الأعمار والسعة من الأموال والاستظهار بأسباب الدنيا في استحلاب المنافع واستدفاع المضار مالم نمط أهل مكة ففعلوا ما فعلوا (فأهلكناهم يذنبهم) أي أهلكنا كل قرن من تلك القرون بسبب ما يخصهم من الذنوب فما أغنى عنهم تلك العدد والأسباب فيسجل بهم ولا مثل ما حل بهم من العذاب وهذا كما ترى آخر ما به الاستشهاد والاعتبار وأما قوله سبحانه (وأنشأنا من بعدهم) أي أحدثنا من بعد هلاك كل قرن (قرنا آخرين) بدلا من الهالكين فليسان كال قدرته تعالى وسعة سلطانه وأن ما ذكر من إهلاك الأمم الكثيرة لم ينقص من ملكه شيئا بل كلما أهلك أمة أنشأ بدلها أخرى (ولو نزلنا عليك) جملة مستأنفة سبقت بطريق تلوين الخطاب لبيان شدة شكوتهم في المكابرة وما يفرع عليهم من الأقاويل الباطلة اثريان اعراضهم عن آيات الله تعالى وتكذيبهم بالحق واستحقاقهم بذلك لنزول العذاب ونسبة التنزيل ههنا إليه عليه السلام مع نسبة اتیان الآيات وحجج الحق فيما سبق اليهم للإشعار بقدرتهم في نيوتهم عليه السلام في ضمن قدحهم فيما نزل عليه صريحا وقال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحرث وعبد الله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد حيث قالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون أنه من عند الله تعالى وأنت رسوله (ككتابا) أن جعل اسمها كالآمام فقوله تعالى (في قرطاس) متعلق بمحذوف وقع صفة له أي كتابا

كتابنا في صحيفة وان جعل مصدرا بمعنى المكتوب فهو متعلق بنفسه (فلسوفه) أي الكتاب وقيل القرطاس
 وقوله تعالى (بأيديهم) مع ظهور أن اللبس لا يكون عادة إلا باليدى زيادة التعيين ودفع احتمال التجوز الواقع
 في قوله تعالى وأما لسنا السماء أي تفحصنا أي فسوه بأيديهم بعد ما رأوه بأعينهم بحيث لم يبق لهم في شأنه
 اشتباه ولم يقدروا على الاعتذار بتكثير الابصار (لقال الذين كفروا) أي لقالوا وانما وضع الموصول
 موضع الضمير للتنصيص على اتصافهم بما في حيز الصلة من الكفر الذي لا يخفى حسن موقعه باعتبار مفهومه
 اللغوي أيضا (أن هذا) أي ما هذا مشيرين إلى ذلك الكتاب (الاصحريين) أي بين كونه حجة رانعتنا
 وعناد الحق بعد ظهوره كما هو دأب الخصم المنجوج وديدن المكابر الجبوج (وقالوا لولا أنزل عليه ملك)
 شروع في قدسهم في نبوته عليه السلام صريح بما أشار إلى قدسهم فيها ضمنا وقيل هو معطوف على جواب لو
 وليس بذلك الشأن تلك المقالة الشنعاء ليست مما يقدر صدورهم عنهم على تقدير تنزيل الكتاب المذكور بل هي من
 أباطيلهم المحققة وخرافاتهم الملققة التي يتعللون بها كالمضائق عليهم الحيل وعيت بهم العيال أي هلا أنزل عليه
 عليه السلام ملك بحيث نراه وبكاملنا أنه نبى - مما نقل عنهم فيما روى عن الكلبى - ومقاتل ونظيره قولهم لولا أنزل
 إليه ملك فيكون معه نذيرا ولما كان مدار هذا الاقتراح على شيئين انزال الملك كما هو وجعله معه عليه السلام نذيرا
 أحيب عنه بأن ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الوجود أصلا لا شقة له على أمرين متباينين لا يجتمعان في الوجود
 لما أن انزال الملك على صورته يقتضى انتفاء جعله نذيرا وجعله نذيرا يستدعى عدم انزاله على صورته لا محالة
 وقد أشار إلى الأول بقوله تعالى (ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر) أي لو أنزلنا ملكا على هيئته حسبما اقترحوه
 والحال أنه من هول المنظر بحيث لا تطيق بمشاهدته قوى الآحاد البشرية ألا يرى أن الأنبياء عليهم السلام الصلاة
 والسلام كانوا يشاهدون الملائكة ويقفوا وضوعهم على الصور البشرية كضيف إبراهيم ولوط وخصم داود عليهم
 السلام وغير ذلك وحيث كان شأنهم كذلك وهم مؤيدون بالقوى القدسية فما ظنك بمن عداهم من العوام
 فلو شاهدوه كذلك لقضى أمرهم هلاكهم بالكلية واستحال جعله نذيرا وهو مع كونه خلاف مطلوبهم مستلزم لاختلاف
 العالم عما عليه يدور نظام الدنيا والآخرة من ارسال الرسل وتأسيس الشرائع وقد قال سبحانه وما كنا معذبين
 حتى نبعث رسولا وفيه كما ترى إيذان بانهم في ذلك الاقتراح كالباحث عن حقه يظفقه وان عدم الاجابة اليه
 للبقيا عليهم وبناء الفعل الأول في الجواب لانما على الذى هو نون العظمة مع كونه في السؤال مبنيا للمفعول لتحويل
 الامر وتربية المهابة وبناء الثانى للمفعول للجري على سنن الكبرياء وكلمة ثم في قوله تعالى (ثم لا ينظرون) أي
 لا يهلون بعد نزوله طرفة عين فضلا عن أن يندروا به كما هو المقصود بالانزال للتنبيه على تفاوت ما بين قضاء الامر
 وعدم الانتظار فان مفاجأة العذاب أشد من نفس العذاب وأشق وقيل في سبب اهلاكهم أنهم اذا عاينوا الملك
 قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورته وهى آية لا تثنى أبين منها ثم لم يؤمنوا لم يكن بد من اهلاكهم
 وقيل أنهم اذا رأوه يزول الاختيار الذى هو قاعدة التكليف فيجب اهلاكهم والى الثانى بقوله تعالى (ولو
 جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) على أن الضمير الأول للتنذير المفهوم من غوى الكلام بمعونة المقام وانما لم يجعل
 للملك المذكور قبله بأن يعكس ترتيب المفعولين ويقال ولو جعلناه نذيرا لجعلناه رجلا مع فهم المراد منه أيضا
 لتحقيق أن مناط ابراز الجعل الأول في معرض الفرض والتقدير ومدار استلزامه للثانى انما هو ملكية التنذير
 لا نذيرية الملك وذلك لان الجعل حقه أن يكون مفعوله الأول مبدءا والثانى خيرا لكونه بمعنى التصيير المنقول من
 صار الداخلى على المبدء والخبر ولا ريب في أن مصب الفائدة ومدار اللزوم بين طرفى الشرطية هو محمول المقدم
 لا موضوعه فحيث كانت امتناعية أريد بها بيان انتفاء الجعل الأول لاستلزامه المحذور الذى هو الجعل الثانى
 وجب أن يجعل مدار الاستلزام فى الأول مفعولا ثانيا لا محالة ولذلك جعل مقابله فى الجعل الثانى كذلك
 ابانة لكامل التعلق بينهما الموجب لانتفاء اللزوم والضمير الثانى للملك لا لما رجع اليه الأول والمعنى لو جعلنا
 النذير الذى اقترحوه ملكا مثلنا ذلك الملك رجلا لما مر من عدم استطاعة الاحاد لعائنة الملك على هيكله
 وفى اشارة رجلا على بشر الايدان بأن الجعل بطريق التمثيل لا بطريق قلب الحقيقة وتعيين ما يقع به التمثيل
 وقوله تعالى (وللبسنا عليهم) عطف على جواب لو مبقى على الجواب الأول وقرئ بحذف لام الجواب
 اكتفاء بما فى المعطوف عليه يقال لبست الامر على القوم ألبسه اذا شبهته وجعلته مشكلا عليهم وأصله الست

بالثوب وقرئ الضعلان بالاشديد المبالغة أي ونظمتنا عليهم بمثيله رجلا (ما يلبسون) على أنفسهم حينئذ
بأن يقولوا له انما أنت بشر ولست بملك ولوا استدل على ملكيته بالقرآن المجز الناطق بهما أو بمجرات أخر غير
مليئة الى التصديق لكذبوه كما كذبوا النبي عليه الصلاة والسلام ولوا أظهرهم صورته الأصلية لزم الامر الاول
والتعسير عن تمثيله تعالى رجلا باللبس اما لكونه في صورة اللبس أو لكونه سببا للبسهم أو لوقوعه في محبته
بطريق المشاكلة وفيه تأكيدي لاستحالة جعل النذير ملكا كأنه قيل لو فعلناه لفعلنا ما لا يليق بشأن من لبس
الامر عليهم وقد جوز أن يكون المعنى واللبس عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على أنفسهم الساعة في كفرهم
بآيات الله البينة (ولقد استهزئ برسل من قبلنا) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلقاه من قومه
وفي تصدير الجملة بلام القسم وحرف التحقيق من الاعتناء بهما ما لا يخفى وتويز رسل للتخفيف والتكثير ومن
ابتدأية متعلقة بحذف وقع صفة لرسول أي وبالله لقد استهزئ برسل أولى شأن خطير وذوى عدد كثير كائين
من زمان قبل زمانك على حذف المضاف وإقامة المضاف اليه مقامه (خفاق) عقيبته أي أساط أو نزل أو حل
أو نحو ذلك فان معناه يدور على الثمول والازوم ولا يكاد يستعمل الا في الشر والخلق ما يشتمل على الانسان من
مكروه فعله وقوله تعالى (بالمدين حضروا منهم) أي استهزؤا بهم من أوائل الرسل عليهم السلام متعلق بصاق
وتقدية على فاعله الذي هو قوله تعالى (ما كانوا يستهزئون) للمصارعة الى بيان حقوق الشريهم وما اقام موصولة
مفيدة للتوويل أي فأساط بهم الذي كانوا يستهزئون به حيث أهلكوا الاجله واما مصدرية أي قتل بهم وبأل
استهزأهم وتقدية الجار والمجرور على الفعل (عاية القواصل) (قل سبروا في الارض) بعد بيان ما فعلت الامم
الخالية وما فعل بهم خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بانذار قومه وتذكيرهم بأحوالهم الفظيعة تحذير لهم
عما هم عليه وتكملة للتسليية بما في ضمنه من العدة اللطيفة بأنه سيصيق بهم مثل ما حاق باضرابهم الاقارب
وقد أنجز ذلك يوم بدر أي أنجز أي سبروا في الارض لتعرف أحوال أوائل الامم (ثم انظروا) أي تفكروا
(كيف كان عاقبة المكذبين) وكلمة ثم اما لان النظر في آثار المكذبين لا يتسنى الا بعد انتهاء السير الى أما كنهم
واما لاثبات ما ينتمى من التفاوت في مراتب الوجوب وهو الاظهر فان وجوب السير ليس الا لكونه وسيلة
الى النظر كما يفسح عنه العطف بالناء في قوله عز وجل فانظروا الآية وأما أن الامر الاول لا باحة السير للتجارة
ونحوها والثاني لا يحجب النظر في آثارهم وثم اتبعه ما بين الواجب والمباح فلا يتناسب المقام وكيف معلقة
لفعل النظر ومحل الجملة نصب بنزع الخافض أي تفكروا في أنهم كيف أهلكوا بعذاب الاستئصال والعاقبة
مصدر كالعاقبة ونظائرهما وهي منتهى الامر وما له ووضع المكذبين موضع المستهزئين لتحقيق أن مدار أصابة
ما أصابهم هو التكذيب ليتزجر السامعون عنه لاعتناء الاستهزاء فقط مع بقاء التكذيب بحاله بناء على توهم
أنه المدار في ذلك (قل) لهم بطريق الإلحاء والتبكيك (لمن ما في السموات والارض) من العقلاء وغيرهم أي
لمن الكائنات جميعا خلقا وملكاء ونصرتا وقوله تعالى (قل لله) تقرير لهم وتنبه على أنه المتعين للجواب بالاتفاق
بحيث لا يتأتى لاحد أن يجيب بفسيره كأنطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
وقوله تعالى (كتب على نفسه الرحمة) جملة مستقلة داخله تحت الامر ناطقة بشمول رحمة الواسعة لجميع
الخلق شمول ملكه وقدرته لكل مسوقة لبيان أنه تعالى رؤف بعباده لا يجعل عليهم بالعقوبة ويقبل منهم التوبة
والانابة وأن ما سبق ذكره وما خلق من أحكام الغضب ليس من مقتضيات ذاته تعالى بل من جهة الخلق كيف لا
ومن رحمته أن خلقهم على القطرة السليمة وهذا هم الى معرفته وتوحيده نصب الآيات الانفسية والآفاقية
وارسال الرسل وانزال الكتب المشهونة بالدعوة الى موجبات رضوانه والتحذير عن مقتضيات خطئه وقد بدوا
قطرة الله تبدلا وأعرضوا عن الآيات بالمرّة وكذبوا بالكتب واستهزؤا بالرسول وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم
الظالمين ولولا شمول رحمة لملكهم لولا أيضاً ملك الغابرين ومعنى كتب الرحمة على نفسه أنه تعالى قضاهما
وأوجبها بطريق التفضل والاحسان على ذاته المقدسة بالذات لا بتوسط شيء أصلا وقيل هو ما روى عن أبي
هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قضى الله تعالى الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق
العرش ان رحمتي سبقت غضبي وعنه في رواية أنه عليه الصلاة والسلام قال لما قضى الله تعالى الخلق كتب كتابا
وهو عنده فوق العرش ان رحمتي غلبت غضبي وعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكتب

ما أقول شيء ما ابتدأه الله تعالى من خلقه فقال كعب كتب الله كتاباً لم يكتب به قلم ولا مداد كتابية الزبرجد واللازور
 والياقوت أنى أنا لله لاله إلا أنا سبقت رحمتي غضي ومعنى سبق الرحمة وغلبتها أنها أقدم تعاقبا بالخلق
 وأكثر وصولا إليهم مع أنها من مقتضيات الذات المنقضة للتغير وفي التعبير عن الذات بالنفس حجة على من أذع
 أن لفظ النفس لا يطلق على الله تعالى وإن أريد به الذات المشاكلة لما ترى من انتفاء المشاكلة عنها بنوعها
 وقوله تعالى (ليجمعنكم إلى يوم القيامة) جواب قسم محذوف والجملة استئناف مسوقة للوعيد
 على أشراكهم واغفالهم النظر أى والله ليجمعنكم في القبور مبعوثين ومحشورين إلى يوم القيامة فيجازيكم
 على شرككم وسائر معاصيكم وإن أمهلكم بموجب رحمة ولم يعاجلكم بالعقوبة الدنيوية وقيل إلى معنى
 اللام أى ليجمعنكم أيوم القيامة كقوله تعالى أنك بيا مع الناس ليوم لا ريب فيه وقيل هي بمعنى في أى
 ليجمعنكم في يوم القيامة (لا ريب فيه) أى في اليوم أوفى الجمع وقوله تعالى (الذين خسروا أنفسهم)
 أى بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الأصلية والعقل السليم والاستعداد القريب الحاصل من مشاهدة
 الرسول عليه الصلاة والسلام واستماع الوحي وغير ذلك من آئله الرحمة في موضع النصب أو الرفع على الذم
 أى أعنى الذين الخ أو هم الذين الخ أو هو مبتدأ والخبر قوله تعالى (فهم لا يؤمنون) والقاء لتضمن المبتدأ
 معنى الشرط والاشارة بأن عدم إيمانهم بسبب خسارتهم فإن إبطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك
 في التقليد واغفال النظر أدى بهم إلى الإصرار على الكفر والامتناع من الإيمان والجملة تذييل مسوقة
 من جهته تعالى لتشجيع حالهم غير داخل تحت الأمر (وله) أى لله عز وجل خاصة (ماسكن في الليل والنهار)
 نزل الملوان منزلة المكان فعبّر عن نسبة الاشياء الزمانية إليهما بالسكنى فيهما وتعديته بكلمة في كما في قوله تعالى
 وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم أو الساكنون مقابل الحركة والمراد ماسكن فيهما أو تحرك فاكنتى بأحد
 الضدين عن الآخر (وهو السميع) المباليغ في سماع كل مسموع (العليم) المباليغ في العلم بكل معلوم
 فلا يخفى عليه شيء من الأقوال والأفعال (قل) لهم بعدما يكتمهم بما سبق من الخطاب (أغير الله أتخذ ولياً) أى
 معبوداً بطريق الاستقلال أو الاشتراك وانما ساطت الهمزة على المفعول الأول لأعلى الفعل ايذاناً بأن المنكر
 هو اتخذ غير الله ولياً لا اتخذ الولي مطلقاً كما في قوله تعالى أغير الله أبغى وبا وقوله تعالى أغير الله تأمر بى
 أعبد الخ (فاطر السموات والأرض) أى مبدعهما بالجزء صفة للجلالة مؤكدة للانكار لانه بمعنى الماضى
 ولذلك قرئ نظرو ولا يضر الفصل بينهما بالجملة لانه ليست بأجنبية اذ هي عاملة في عامل الموصوف أو بدل
 فإن الفصل بينهما وبين المبدل منه أسهل لأن البدل على نية تكرير العامل وقرئ بالرفع والنصب على المدح وعن
 ابن عباس رضى الله عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى اختصم إلى أعرايان في برفقاً أحدهما أن أفاطرتها أى
 ابتدأتها (وهو بطم ولا يطعم) أى يرزق الخلق ولا يرزق وتخصيص الطعام بالذكرا شدة الحاجة إليه أو لانه
 معظم ما يصل إلى المرزوق من الرزق ومحل الجملة النصب على الحالة فإن مضمونها متقرر لوجوب اتخاذ سببها
 وتعالى ولياً وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبكسر القراءة الأولى أيضاً على أن الضمير غير الله والمعنى أن أشرك
 بمن هو قاطر السموات والأرض ما هو نازل عن ربة الحيوانية وبيناهم بالفاعل على أن الثاني بمعنى يستطعم
 أو على معنى أنه يطعم تارة ولا يطعم أخرى كقوله تعالى يقبض ويبسط (قل) بعد بيان أن اتخذ غير الله
 ولياً بما يقضى بطلانه بديهية العتول (انى أمرت) من جنابه عز وجل (أن أكون أول من أسلم) وجهه الله
 بحمالة لأن النبى -امام أئمة في الاسلام كقوله تعالى وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين وقوله تعالى سبحانه
 نبت اليك وأنا أول المؤمنين (ولأنهم كوني) أى وقيل لى ولا تكونن (من المشركين) أى فى أمر
 من أمور الدين ومعناه أمرت بالاسلام ونهيت عن الشرك وقد جوز عطفه على الأمر (قل انى أخاف ان
 عصيت ربى) أى بخلافه أمره ونهيه أى عصيان كان فيه دخل فيه ما ذكره أولاً وفيه بيان الكمال
 احتياجه عليه السلام عن المعاصى على الإطلاق وقوله تعالى (عذاب يوم عظيم) أى عذاب يوم القيامة
 مفعول خاف والشرطية معترضة بينهما والجواب محذوف دلالة ما قبله عليه وفيه قطع لا طمعهم الفارغة
 وتعريض بأنهم عصاة مستوجبون للعذاب العظيم (من يصرف عنه) على البناء للمفعول أى العذاب وقرئ
 على البناء للفاعل والضمير لله سبحانه وقد قرئ بالانطباع والمفعول محذوف وقوله تعالى (يومئذ) ظرف

لصرف أى فى ذلك اليوم العظيم وقد جوز أن يكون هو المفعول على قراءة البناء لا فاعل بـ حذف المضاف
 أى عذاب يومئذ (فقد رجه) أى نجاه وأنعم عليه وقيل فقد أدخله الجنة كما فى قوله تعالى فمن زحزح عن النار
 وأدخل الجنة فقد فاز والجنة مستأنفة مؤكدة لتمويل المذاب وشعر عنه ورجه لمن وهو عبارة عن غير
 العاصي (وذلك) إشارة إلى الصرف أو الرجة لأنهم مؤقولة بأن مع الفعل وما فيه من معنى البعد لا يذان
 بعلو درجته وبعد مكانه فى الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (الفوز المبين) أى الظاهر كونه فوزاً
 وهو الظفر بالمخية واللائم واللام اقصره على ذلك (وان عسى الله بضر) أى يلية كرض وفقر ونحو ذلك
 (فلا كاش له) أى فلا قادر على كشفه عنك (الاهو) وحده (وان عسى بك بخير) من صحة ونعمة ونحو ذلك
 (فهو على كل شئ قدير) ومن بطلته ذلك فيقدر عليه فيسلك به ويحفظه عليك من غير أن يقدر على دفعه أو على
 رفعه أحد كقوله تعالى فلا راد لفضله وحله على تأكيد الجوابين بأبواب الفاء (مذكرة) روى عن ابن عباس رضى الله
 عنهما أنه قال أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم بقوله أهداه له كسرى فركبها بحبل من شعر ثم أردفني خلفه
 ثم سار بي ميلاً ثم انفتحت إلى فقال يا غلام فقلت إنيك يا رسول الله فقال احفظ الله يحفظك احفظ الله يحفظه
 أما كنت تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله فقد مضى
 القلم بما هو ~~ص~~ كان فلو جهد الخلاق أن يفعلوا بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو جهدوا أن يضروك
 بما لم يكتب الله عليك ما قدروا عليه فان استطعت أن تعمل بالصبر مع الذين فافعل فان لم تستطع فصبر
 فان فى الصبر على ما تكره خيراً كثيراً واعلم أن التصبر مع الصبر وأن مع الكرب فرجاً وأن مع العسر
 يسراً (وهو الظاهر فوق عباده) تصوير لظهوره وعلوه بالقلبية والقدرة (وهو الحليم) فى كل ما يفعله
 وبأخبره (الخبير) بأحوال عباده وخفايا أمورهم واللام فى المواضع الثلاثة للتصبر (قل أى شئ أكبر
 شهادة) روى أن قريشاً قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد لقد سألتنا عنك اليهود والنصارى فزعموا
 أن ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فأرنا من يشهد لك أنك رسول الله فتركت فأى مبتدأ وأكبر خبره وشهادة
 نصب على التمييز وقوله تعالى (قل الله) أمره عليه الصلاة والسلام بأن يتولى الجواب بنفسه أما اللا يذان
 بهينه وعدم قدرتهم على أن يجيبوا بغيره أو لأنهم ربما يتعلمون فيه لا لتردد هم فى أنه أكبر من كل شئ
 بل فى كونه شهيداً فى هذا الشأن وقوله تعالى (شهيد) خبر مبتدأ محذوف أى هو شهيد (بينى وبينكم)
 ويجوز أن يكون الله شهيد بينى وبينكم هو الجواب لأنه إذا كان هو الشهيد بينه وبينهم كان أكبر شئ شهادة
 شهيداً له عليه الصلاة والسلام وتكرر البين لتحقيق المقابلة (وأوحى إلى) أى من جهته تعالى (هذا القرآن)
 الشاهد بصحة رسالتي (لأنذركم به) بما فيه من الوعيد والاقصار على ذكر الانذار لما أن الكلام مع الكفرة
 (ومن بلغ) عطف على ضمير الخطابين أى لأنذركم به يا أهل مكة وسائر من بلغه من الأسود والاحمر ومن الثقلين
 أولاً لأنذركم به أيها الموجودون ومن سيوجد الى يوم القيامة وهو دليل على أن أحكام القرآن تعم الموجودين
 يوم نزوله ومن سيوجد بعد الى يوم القيامة خلا أن ذلك بطريق العبارة فى الكل عند الحنابلة وبالاجماع عندنا
 فى غير الموجودين وفى غير المكانين يومئذ كما مر فى قول سورة النساء (أنتم تشهدون أن مع الله آلهة
 أخرى) تقرير لهم مع انكار واستبعاد (قل لا أشهد) بذلك وان شهدتم به فانه باطل صرف (قل) تكرر
 للأمر للتأكيد (انما هو له واحد) أى بل انما أشهد أنه تعالى لا اله الا هو (وانى برى عما تشركون)
 من الاصنام أو من أشراككم (الذين آتيناهم الكتاب) جواب عما سبق من قولهم اقدسنا عنك
 اليهود والنصارى أخر عن تعيين الشهيد سارعة الى الزامهم بالجواب عن تحككهم بقولهم فأرنا من يشهد لك
 الخ والمراد بالموصول اليهود والنصارى وبالكتاب الجنس المتعلق للتوراة والإنجيل وإيرادهم بعنوان إتياء
 الكتاب لللا يذان بما دار ما أسند إليهم بقوله تعالى (يعرفونه) أى يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم
 من جهة الكتابين بحليلة ونعوت المذكرة فيهما (كما يعرفون أبناءهم) بجلاهم بحيث لا يشكون
 فى ذلك أصلاً روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة قال عمر رضى الله عنه لعبد الله بن سلام
 أنزل الله تعالى على نبيه هذه الآية وكيف هذه المعرفة فقال يا عمر لقد عرفته فيكم حين رأيتكم كأعرف ابني ولا أنا
 أنه قد عرفته بمعرفته نى بابنى لاني لا أدري ما صنع النساء وأشهد أنه حق من الله تعالى (الذين خسروا أنفسهم)

من أهل الكتابين والمشركين بأن ضيعوا فطرته الله التي فطر الناس عليها وأعرضوا عن الميثاق الموجبة للإيمان
 بالكلية (فهم لا يؤمنون) لما أنهم مطبوع على قلوبهم ومغلّ الموصل الرفع على الاستدعاء وخسره الجملته
 المستدرة بالقائه لتسببه الموصل بالشرط وقيل على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين خسروا الخ وقيل
 على أنه نعت للموصول الأول وقيل النصب على الذم فقوله تعالى فهم لا يؤمنون على الوجوه الأخيرة عطف
 على جملة الذين آتيناهم الكتاب الخ (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) بوصفهم النبي الموعود في الكتابين
 بخلاف أوصافه عليه الصلاة والسلام فإنه افترى على الله سبحانه ويقولهم الملائكة بنبات الله وقولهم هؤلاء
 شفعاؤنا عند الله ونحو ذلك وهو انكار واستبعاد لأن يكون أحد أظلم ممن فعل ذلك أو مساوياه وإن كان سبب
 التركيب غير متعزّض لانكار المساواة ونفيه ما يشهد به العرف الفاشي والاستعمال المطرد فإنه إذا قيل من أكرم
 من فلان أولا أفضل من فلان فالمراد به حقاً أنه أكرم من كل كريم وأفضل من كل فاضل ألا يرى إلى قوله
 عز وجل لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون بعد قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا الخ
 والسري في ذلك أن النسبة بين الشيتين اعانتصو رغا لا سيما في باب المغالبة بالتفاوت وزيادة ونقصا فإذا لم
 يكن أحدهما أزيد يتحقق النقصان لا محالة (أو كذب بآياته) كأن كذبوا بالقرآن الذي من جملته الآية
 الناطقة بأنهم يعرفونه عليه الصلاة والسلام كما يعرفون أبناءهم وبالمعجزات وسعوا صمرا وحرفوا التوراة
 وغيروا نعوته عليه الصلاة والسلام فإن ذلك تكذيب بآياته تعالى وكلمة أولاديه أن كل من الافتراء
 والتكذيب وحده بالغ غاية الإفراط في الظلم فكيف وهم قد جعوا بينهم ما فأنبتوا ما نفاه الله تعالى ونفوا ما أنبته
 فأتاهم الله أنى يؤفكون (أنه) الضمير للشان ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغشبة عن ذكره وفائدة تصدير
 الجملة به الايدان بخفاصة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فإن الضمير لا يفهم منه من أول الامر
 الا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقباً لما يعقبه فيتمكن عند ورود له فضل تمكن فكأنه قيل ان الشأن
 الخطير هذا هو (لا يفلح الظالمون) أي لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب وإذا كان حال الظالمين هذا
 فما ظنك بمن في الغاية القاصية من الظلم (ويوم نحشرهم جميعاً) منصوب على الظرفية بضميره وخرق حذف
 ايذاناً بضييق العبارة عن شرحه وبيانته وإيماء إلى عدم استطاعة السامعين لسماعه لكمال فظاعة ما يقع فيه
 من الطامة والداهية التامة فكأنه قيل ويوم نحشرهم جميعاً (ثم نقول) لهم ما نقول كان من الاحوال
 والاهوال ما لا يحيط به دائرة المقال وتقدير صيغة الماضي للدلالة على التحقق ولحسن موقع عطف قوله تعالى
 ثم لم تكن الخ عليه وقيل منصوب على المفعولية بضمير مقدم أي واذا كراهم للتخويف والتحذير يوم نحشرهم الخ
 وقيل وليستقوا أو ليحذروا يوم نحشرهم الخ والضمير للكل وجميع حال منه وقرئ يحشرهم جميعاً ثم يقول بالياء
 فيها (الذين أشركوا) أي نقول لهم خاصة للتوبيخ والتفريع على رؤس الاشهاد (أين شركاؤكم)
 أي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله سبحانه وإضافتها إليهم لما أن شركتها ليست الا بتسميتهم وتقولهم الكاذب
 كما ينفي عنه قوله تعالى (الذين كنتم تزعمون) أي تزعمونها شركاء محذوف المفعولان معا وهذا السؤال
 النبي عن غيبة الشركاء مع عموم الحشر لها لقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون
 من دون الله وغير ذلك من النصوص انما يقع بعد ما جرى بينها وبينهم من التبرؤ من الجانبين وتقطع ما بينهم
 من الاسباب والعلائق حسبما يحكيه قوله تعالى فزيلنا بينهم الخ ونحو ذلك من الآيات الكريمة انما بعد
 حضورها حينئذ في الحقيقة بابعادها من ذلك الموقف وأما بتزليل عدم حضورها بعنوان الشرك والشفاعاة
 منزلة عدم حضورها في الحقيقة اذ ليس السؤال عنها من حيث ذواتها بل انما هو من حيث انها شركاء كما
 يعرب عنه الوصف بالموصول ولا ريب في أن عدم الوصف يوجب عدم الموصوف من حيث هو موصوف فهي
 من حيث هي شركاء غائبة لا محالة وإن كانت حاضرة من حيث ذواتها أصلاً ما كانت أو غيرها وأما ما يقال
 من أنه يحال بينها وبينهم في وقت التوبيخ فيلقد وهم في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها فإمرامكان خزيمهم
 وحسرتهم فربما يشعرون بعدم شعورهم بحقيقة الحال وعدم انقطاع حبال رجائهم عنها بعد وقد عرفت أنهم
 شاهدوها قبل ذلك وانصرفت عروة أطماعهم عنها بالكلية على أنها معلومة لهم من حين الموت والابتلاء
 بالعذاب في البرزخ وانما الذي يحصل يوم الحشر الانكشاف الجلي واليقين القوي المترتب على الحاضرة

والمهاورة (ثم لم تكن فتنتهم) بتأنيث الفعل ورفع فتنتهم على أنه اسم له والخبر (الآن قالوا) وقرئ بنصب فتنتهم على أنها الخبر والآنم الآن قلوا والتأنيث للخبر كما في قولهم من كانت أمك وقرئ بالتذكير مع رفع الفتنة ونصبها ورفعها أنسب بحسب المعنى والجملة عطف على ما قدر عاملا في يوم فتنتهم كما أشير إليه في السالف والاستثناء مقرغ من أعم الأشياء وفتنتهم أما كفرهم مراد به عاقبته أي لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه مدة أعمالهم واقتفروا به شيئا من الأشياء اللاحق وده والتبرؤ منه بأن يقولوا (واقهر بشا ما كما مشركين) وأما جوابهم عبر عنه بالفتنة لأنه كذب ووصفه تعالى برؤيته لهم للمبالغة في التبرؤ من الاشرار وقرئ ربنا على النداء فهو لاظهار الضراعة والابتهال في استدعاء قبول المعذرة وانما يقولون ذلك مع علمهم بأنه يعزل من النفع رأسا من فرط الحيرة والدهش وحله على معنى ما كما مشركين عند أنفسنا وما علمنا في الدنيا أنما على خطا في معتقدا ناعمالا ينبغي أن يتوهم أمر لا فانه مما يوهم أن لهم عذرا ما وأن لهم قدرة على الاعتذار في الجملة وذلك محل يكال هول اليوم قطعاً على أنه قد قضى بطلانه قوله تعالى (انظر كيف كذبوا على أنفسهم) فانه تعجب من كذبهم الصريح بانكار صدقوا والاشراك عنهم في الدنيا أي انظر كيف كذبوا على أنفسهم في قولهم ذلك فانه أمر عجيب في الغاية وأما حمله على كذبهم في الدنيا فتميل يجب تنزيهه ساحة التنزيل عنه وقوله تعالى (وضل عنهم ما كانوا يفتنون) عطف على كذبوا داخل معه في حكم التعجب وما مصدرية أو موصولة قد حذف عائدها والمعنى انظر كيف كذبوا باليمين الفاجرة المغالطة على أنفسهم بانكار صدق دور ما صدر عنهم وكيف ضل عنهم أي زال وذهب افتراؤهم وأما كانوا يفتنونهم من الاشرار حتى نفوا صدوره عنهم بالكناية وتبرؤا منه بالمرّة وقيل ما عبارة عن الشركاء وابتاع الاقترام عليها مع أنه في الحقيقة واقع على أحوالها من الالهية والشركة والشفاعاة ونحوها للمبالغة في أمرها كما أنها نفس المفترى وقيل الجملة كلام مستأنف غير داخل في حيز التعجب (ومنهم من يستمع اليك) كلام مبتدأ مسوق لحكاية ما صدر في الدنيا عن بعض المشركين من أحكام الكفر ثم بيان ما يصدر عنهم يوم الحشر تقرير الما قبله وتحقية المضمونه والضمير للذين أشركوا ومحل الطرف الرفع على أنه مبتدأ باعتبار مضمونه أو بتقدير الموصوف كما في قوله تعالى ومنادون ذلك أي وجمع من الخ ومن موصولة أو موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعضهم أو و بعض منهم الذي يستمع اليك أو فريق يستمع اليك على أن مناط الافادة اقصافهم بما في حيز الصلة أو الصفة لا كونهم ذواتاً أولئك المذكورين وقد مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الخ روى أنه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وأبوجهل وأضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر وكان صاحب أخبار يا أبا قبيل ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته ما أدرى ما يقول إلا أنه يحرك لسانه ويقول أساطير الاولين مثل ما حدثتكم من القرون الماضية فقال أبو سفيان اني لا أراه حقاً فقال أبوجهل كلا فتزلت (وجعلنا على قلوبهم أكنة) من الجعل بمعنى الانشاء وعلى متعلقة به وضمير قلوبهم راجع الى من وجمعيته بالنظر الى معناها كما أن افراد ضمير يستمع بالنظر الى افظها وقد روى جانب المعنى في قوله تعالى ومنهم من يستمعون اليك الآية والاكنة جمع كان وهو ما يستره الشيء وتنويعها للتفخيم والجملة اما مستأنفة للاخبار بما تضمنه من الختم أو حال من فاعل يستمع باضمار قد عند من يقدرها قبل الماضي الواقع حالاً أي يستمعون اليك وقد ألقينا على قلوبهم أعظيمة كثيرة لا يقادروا قدرها خارجة عما يتعارفها الناس (أن يفقهوه) أي كراهة أن يفقهوا ما يستمعونه من القرآن المدلول عليه بذكر الاسقام ويجوز أن يكون مفعولاً لما ينبي عنه الكلام أي منعناهم أن يفقهوه (وفي آذانهم وقرا) صمما وثقلنا عنانهم سمعهم والكلام فيه كما في قوله تعالى على قلوبهم أكنة وهذا تمثيل معرب عن كمال جهلهم بشؤون النبي عليه الصلاة والسلام وفطر نبؤ قلوبهم عن فهم القرآن الكريم ووجع أسماعهم وقد مر تحقيقه في أول سورة البقرة وقيل هو حكاية لما قالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقرآنا وأنت خبير بأن مرادهم بذلك الاخبار بما اعتقدوه في حق القرآن والنبي عليه الصلاة والسلام جهلاً وكفراً من انصافهما بأوصاف مانعة من التصديق والايان ككون القرآن سحراً وشعراً وأساطير الاولين وقس عليه ما تخيلوه في حق النبي صلى الله عليه وسلم لا الاخبار بان هناك أمر اوراء ذلك قد حال بينهم وبين ادراك حائل من قبلهم حتى يمكن جعل النظام الكريم على ذلك (وان يروا)

كل آية) من الآيات القرآنية أي بشاهدوها بسماعها (لا يؤمنوا بها) على عوم النفي لاعلى نفي العموم أي كفروا بكل واحدة منها لعدم اجتماعهم إياها كما هي لما مر من حالهم (حتى إذا جاءوا لم يجدوا) هي حق التي تقع بعدها الجمل والجمل هي قوله تعالى إذا جاءوا (يقول الذين كفروا) وما بينهم ما حال من فاعل جاءوا وانما وضع الموصول موضع الضمير ذمالمهم بما في حيز الصلة وأشعارا بعله الخسبكم أي بلغوا من التكذيب والمكابرة إلى أنهم إذا جاءوا لم يجدوا لأن لا يكتفون بمجرد عدم الإيمان بما سمعوا من الآيات الكريمة بل يقولون (إن هذا) أي ما هذا (الأساطير الأولين) فإن عدنا أحسن الحديث وأصدقها الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من قبيل الأباطيل والخرافات وتبته من ~~ال~~ ككفر لا غاية وراءها ويجوز أن تكون حتى جارة وإذا ظرفية بمعنى وقت مجيئهم ويجادلونك حال كما سبق وقوله تعالى يقول الذين كفروا الخ تفسير للمجادلة والأساطير جمع أسطورة أو أسطورة أو جمع أسطار وهو جمع سطر بالتصريك وأصل الكل السطر بمعنى الخط (وهم يهون عنه) الضمير المرفوع للمذكورين والمجرور للقرآن أي لا يفتخرون بما ذكر من تكذيبه وعدمه من قبيل الأساطير بل يهون الناس عن استماعه لتلايته فتقوا على حقيقته فيؤمنوا به (ويأتون عنه) أي يتابعون عنه بأنفسهم اظهار القايمة تشوهم عنه وتأكيدهم عنهم عنه فإن اجتناب الناهي عن النهي عنه من مقامات النهي ولعل ذلك هو السر في تأخير النأي عن النهي وقيل الضمير المجرور للنبي عليه الصلاة والسلام وقيل المرفوع لأبي طالب ولعل جميعه باعتبار استتباعه لاتباعه فإنه كان يهني قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويأتى عنه فلا يؤمن به وروى أنهم اجتمعوا إليه وأرادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم سوءا فقال

واقبلوا يصلوا اليك بجمعهم • حتى أوسد في التراب دقيفا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة • وابشر بذلوق زمته عيونا
ودعوتى وزعت أنك ناهي • ولقد صدقت وكنت ثم آمينا
وعرضت دينا لا محالة انه • من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذارى سبة • لو جئتني سمعنا بالذم مينا فتركت

(وان يهلكون) أي ما يهلكون بما فعلوا من النهي والنأي (الأنفسهم) بتعريضها لاشتد العذاب وأفظعه عاجلا وآجلا وهو عذاب الضلال والاضلال وقوله تعالى (وما يشعرون) حال من ضمير يهلكون أي يقصرون الاهلاك على أنفسهم والحال أنهم ما يشعرون أي لا يبالوا بسلامتهم ولا باقتصار ذلك عليها من غير أن يضروا بذلك شيئا من القرآن والرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين وانما عبر عنه بالاهلاك مع أن المنفى عن غيرهم مطلق الضرر إذ غاية ما يؤدى إليه ما فعلوا من القدح في القرآن الكريم الممانعة في تمسك أحكامه وظهور أمر الدين للايذان بأن ما يجتنب بهم هو الاهلاك لا الضرر المطلق على أن مقصدهم لم يكن مطلق الممانعة فيما ذكر بل كانوا يغيثون الغوائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ويجوز أن يكون الاهلاك معتبرا بالنسبة إلى الذين يضلونهم بالنهي فقصره على أنفسهم حينئذ مع شعوره للفر يقين مبقى على تنزيل عذاب الضلال عند عذاب الاضلال منزلة العدم (ولو ترى اذ وقفوا على النار) شروع في حكاية ما سيصدر عنهم يوم القيامة من القول المناقض لما صدر عنهم في الدنيا من القبايح المحكية مع كونه كذبا في نفسه والخطاب إنما لرسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك أحد من أهل المشاهدة والعيان قصدا إلى بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الشناعة والفظاعة إلى حيث لا يحتص استغرابا ببراءة دون راء بمن اعتاد مشاهدة الامور العجيبة بل كل من يتأق منه الرؤية يتعجب من هولها وفظاعتها وجواب لو محذوف ثقة بظهوره وايدنا بقصور العبارة عن تفصيله وكذا مفعول ترى لدلالة ما في حيز الطرف عليه أي لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها رأيت ما لا يسهل التعبير وصيغة الماضي للدلالة على التصق أو حين يطلعون عليها اطلعا وهي تحتهم أو يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها من قولهم وقفته على كذا إذا فهمته وعرفته وقرئ وقضوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوا (فقالوا يا ليتنا نرد) أي إلى الدنيا تمنيا للرجوع والخلاص وهيئات ولات حين مناصي (ولانكذب بآيات ربنا) أي بآياته الناطقة بأحوال النار وأحوال الآخرة

يا نفاها اذ هي التي تخطر حينئذ في الهم وتصرخون على ما تظنوا في حقها أو يجتمع آياته المستطعة لتلك الآيات
 انظروا اوليا (ونكون من المؤمنين) بها العاملين بفضائلها حتى لا ترى هذا الموقف الهائل أو تكون
 من فريق المؤمنين الناجين من العذاب الفائزين بحسن المآب ونصب الفعليين على جواب التثني باضممار أن
 بعد الواو وابراما يجري الفاء ويؤيده قراءة ابن مسعود وابن اسحق فلا تكذب والمعنى ان رددنا لم نكذب
 ونكن من المؤمنين وقيل فسبك من أن المصدرية ومن الفعل يهدا مصدر ويهدو قبله مصدر متوهم فيه طغ
 هذا عليه كأنه قيل ليت لنا ردا وانقا تكذيب وكونا من المؤمنين وقرئ برفعهم ما على أنه كلام مستأنف
 كقوله دعني ولا أعود أي وألا أعود تر كني أو لم تتركني أو عطف على رذا وسال من ضميره فيكون داخلا
 في حكم التثني كالوجه الآخر للنصب وتعلق التكذيب بالآتي به لما تضمنه من العدة بالايان وعدم التكذيب
 كن قال ليتني رزقت مالا فأكثرتك على صنيعك فإنه ستم في معنى الواعد فلورزق مالا ولم يكن في صاحبه يكون
 مكذبا لا محالة وقرئ برفع الاول ونصب الثاني وعدم تزوجهما (بل بد الهسم ما كانوا يحضون من قبل)
 اضراب مما ينبغي عنده التثني من الوعد تصديق الآيات والايان بها أي ليس ذلك عن عزيمة صادقة ناشئة
 عن رغبة في الايمان وشوق الى تحصيله والاعتصاف به بل لانه ظهر لهم في موقفهم ذلك ما كانوا يحضونه في الديان من
 الداهية الداهية وظنوا أنهم مواقعوها فظنوها رهول مطلقا قالوا ما قالوا والمراد بها النار التي وقفوا عليها
 اذ هي التي سبق الكلام لتحويل أمرها والتجيب من فطاعة سال الموقفين عليها وبأخفاها تكذيبهم بها
 فان التكذيب بالتثني كفر به واخفاؤه لا محالة واشاره على صريح التكذيب الوارد في قوله عز وجل
 هذه جهنم التي يكذب بها الجحيمون وقوله تعالى هذه النار التي كنتم بها تكذبون مع كونه أنسب بما قبله
 من قولهم ولا تكذب بآيات ربكم لراعاة ما في مقابلة من البدق هذا هو الذي تستدعيه بزالة النظم التكريم
 وأما ما قيل من أن المراد بما يحضون كفرهم ومعاصيهم أو قبائحهم وفضائحهم التي كانوا يكفونها من الناس
 فنظروا في صفتهم وشهادة جوارحهم عليهم أو شركهم الذي يجحدون به في بعض مواقع القيامة بقولهم والله
 ربنا ما كنا مشركين ثم يظهر بما ذكر من شهادة الجوارح عليهم أو ما أخفاه رؤساء الكفرة عن أتباعهم من أمر
 البعث والنشور أو ما كفه علماء أهل الكتابين من صحة نبوة النبي عليه الصلاة والسلام ونعوته الشريفة
 عن عوائدهم على أن الضمير الجحيم واللعوام والمرفوع للغواص أو كفرهم الذي أخفوه عن المؤمنين والضمير الجحيم
 للمؤمنين والمرفوع للمنافقين فبعد الاعتصاف عما في كل منهما من الاعتصاف والاختلال لا سبيل الى شيء من ذلك
 أصلا لما عرفت من أن سوق النظم الشريف لتحويل أمر النار وتقطع حال أهلها وقد ذكر وقوفهم عليها وأشير
 الى أنه اعتراهم عند ذلك من الخوف والخشية والحيرة والدهشة ما لا يحيط به الوصف ورتب عليه تنبيه المذكور
 بالقاء القاضية بسببية ما قبلها لما يدها فاسقاط النار بعد ذلك من تلك السببية وهي في نفسها أدهى الدواهي
 وأزجر الزواجر واستنادها الى شيء من الامور المذكورة التي دونها في الهول والجزع عدم جريان ذكرها فاع
 أمر يجب تنزيهه ساحة التنزيل عن أمثاله وأما ما قيل من أن المراد بزماء ما كانوا يحضون من قبيل دخول
 البيوت من ظهورها وأبوابها مفتوحة فتأمل (ولو ردوا) أي من موقفهم ذلك الى الدنيا حسبما تنزه
 وغاب عنهم ما شاهدوه من الاحوال (لعاد والمآثم واعنه) من فنون القبايح التي من جملتها التكذيب
 المذكور ونسوا ما عاينوه بالكلية لاقتصار انظارهم على الشاهد دون الغائب (وانهم الكاذبون) أي لقوم
 ديدتهم الكذب في كل ما يأتون وما يذرون (وقالوا) حلف على عادوا داخل في حيز الجواب وتوسط قوله
 تعالى وانهم لكاذبون فيه ما لانه اعتراض مسوق لتقرير ما أتاده الشرطية من كذبهم المنصوص ولو آخر لا وهم
 أن المراد ~~تكميل~~ كذبيهم في انكارهم البعث والمعنى لوردوا الى الدنيا لعاد والمآثم واعنه وقالوا (ان هي)
 أي ما الحياة (الاحيائنا الدنيا وما نحن بعبودين) بعدما قارننا هذه الحياة كأن لم يروا ما رأوا من الاحوال
 التي أتوها البعث والنشور (ولو ترى اذ وقفوا على ربهم) الكلام فيه كذا في مرقى نظيره خلا أن الوقوف
 هنا مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده لاعتقاب وقيل عزفوا ربهم
 حق التعريف وقيل وقفوا على بزماء ربهم وقوله تعالى (قال) استئناف مبتدئ على سؤال تشا من الكلام
 السابق كأنه قيل فماذا حال لهم ربهم اذ ذلك فقيل قال (أليس هذا) مشيرا الى ما شاهدوه من البعث

وما يتبعه من الامور العظام (بالحق) تقر بها لهم على تكذيبهم لذلك وقولهم عند سماع ما يخلق به ما هو بحق
وما هو الا باطل (قالوا) استئناف كما سبق (بلى وربنا) أكدوا اعترافهم باليمين اظهار الكمال يقينهم
بحقيقته وايداناً بصدور ذلك عنهم بالرغبة والنشاط طمعاً في نفعه (قال) استئناف كما مر (فذوقوا العذاب)
الذي عاينوه والفاء لترتيب التعذيب على اعترافهم بحقيقة ما كفروا به في الدنيا لكن لا على أن مدار التعذيب
هو اعترافهم بذلك بل هو كفرهم السابق بما اعترفوا بحقيقته الا أن كما نطق به قوله عز وجل (بما كنتم تكفرون)
أي بسبب كفركم في الدنيا بذلك أو بكل ما يجب الايمان به فدخل كفرهم به دخولا أولياً ولعل هذا التوبيخ
والتقريع انما يقع بعد ما وقفوا على النار فقالوا اما قالوا ان الظاهر أنه لا يبقى بعد هذا الامر الا العذاب
(قد خسر الدين كذبوا بلفظ الله) هم الذين حكيت أحوالهم لكن وضع الموصول موضع الضمير للايدان
يتسبب خسرانهم بما في حيز الصلة من التكذيب بلفظه تعالى بقيام الساعة وما يترتب عليه من البعث وأحكامه
المفتزة عليه واستمرارهم على ذلك فان كلمة حتى في قوله تعالى (حتى اذا جاءتهم الساعة) غاية لتكذيبهم
لان خسرانهم فانه أبدي لا حذله (بغتة) البغت والبغتة مفاجأة الشيء بسرعة من غير شعور به يقال بغتة
بغتاً وبغتة أي فجأة واتصاها بما على أنها مصدر واقع موقع الحال من فاعل جاءتهم أي مباغتة أو من مفعوله
أي مبغوتين وأما على أنها مصدر مؤكد على غير المصدر فان جاءتهم في معنى بغتتهم كقولهم آتته ركضاً أو مصدر
مؤكد لفعل محذوف وقع حالاً من فاعل جاءتهم أي جاءتهم الساعة تبغتهم بغتة (قالوا) جواب اذا (يا حسرتنا)
نعالي فهذا أو تلك والحسرة شدة الندم وهذا التحسروان كان يعتريهم عند الموت لم يكن لما كان ذلك
من مبادئ الساعة سمي باسمها ولذلك قال عليه الصلاة والسلام من مات فقد قامت قيامته أو جعل مجيء
الساعة بعد الموت كالواقع بغير فترة لسرعته (على ما قرظنا فيها) أي على تفرطنا في شأن الساعة وتقصيرنا
في مراعاة حقها والاستعداد لها بالايمان بها واكتساب الاعمال الصالحة كما في قوله تعالى على ما قرظت
في جنب الله وقيل الضمير للحياة الدنيا وان لم يجز لها ذلك لكونها معالومة والتفرط التقصير في الشيء
مع القدرة على فعله وقيل هو التضييع وقيل القرط السيئ ومنه القارط أي السابق ومعنى قرظ خلل السبق
لغيره فالتضييع فيه للسبب كما في جللت البعير وقوله تعالى (وهم يعملون أوزارهم على ظهورهم) حال
من فاعل قالوا فأنذته الايدان بأن عذابهم ليس مقصوراً على ما ذكر من الحسرة على ما فات وزال بل يقاسون
مع ذلك تحمل الأوزار النقال والاياء إلى أن تلك الحسرة من الشدة بحيث لا تزول ولا تنسى بما يكابدونه
من فنون العقوبات والسرى في ذلك أن العذاب الروحاني أشد من الجسماني فعوذ برحمة الله عز وجل منهما
والوزر في الاصل الحمل الثقيل سمي به الاسم والذنب لغاية ثقله على صاحبه وذكر الظهور كذا الايدى في قوله
تعالى فيما كسبت أيديكم فان المعتاد حمل النقال على الظهور كما أن المؤلف هو الكسب بالأيدي والمعنى
انهم يتصورون على ما لم يعملوا من الحسنات والحال أنهم يعملون أوزاراً ما عملوا من السيئات (ألا ساء ما يوزون)
تذييل مقرر لما قبله وتكملة له أي بشئ شياً يوزونه وزرهم (وما الخبوة الدنيا الا لعب ولهو) لما سبق
فيما سبق أن وراء الحياة الدنيا حياة أخرى يلقون فيها من الخطوب ما يلقون بين بعده حال تبتك الحياتين
في أنفسهما واللعب عمل يشغل النفس ويفترها عما تنتفع به والله وصرفها عن الجد إلى الهزل والمعنى أتعلى
حذف المضاف أو على جعل الحياة الدنيا نفس اللعب والله ومبالغة كما في قول الخنساء فأنما هي اقبال وادبار
أي وما أعمال الدنيا أي الأعمال المتعلقة بها من حيث هي أو فوما هي من حيث انها محل لكسب تلك الأعمال
الا لعب يشغل الناس ويلهمهم بما فيه من منفعة سريعة الزوال ولذة وشيكة الاضعلال عما يعقبهم من منفعة
جليلة باقية ولذة حقيقية غير متناهية من الايمان والعمل الصالح (وللدار الآخرة) التي هي محل الحياة
الأخرى (خير للذين ينفون) الكفر والمعاصي لان منافعتها خاصة عن المضار ولذا انما غير منغصة بالآلام
مسفرة على الدوام (أفلا تعقلون) ذلك حتى تنفوا ما أنتم عليه من الكفر والعصيان والفاء للعطف على مقدور
أي أنفعلون فلا تفعلون أو لا تنفعلون وقري ينفعلون على الغيبة (قد علم انه ليحزنك الذي
يقولون) استئناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن الذي يعتريه مما حكى عن الكفرة
من الاصرار على التكذيب والمبالغة فيه ببيان أنه عليه الصلاة والسلام بمكانة من الله عز وجل وأن ما يفعلون

في حقه فهو راجع اليه تعالى في الحقيقة وانه يقتسم منهم لاجحالة أشد انتقام وكلمة قد لنا كيد العلم بماذا كر
المفد لتأكيده الوعيد كما في قوله تعالى قد يعلم ما أنتم عليه وقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين وغوهم
بأخراجها الى معنى التكثير حسب ما يخرج اليه رجا في مثل قوله

وان تمس مهجورا القناء فربما أقام به بعد الوفود وفود

بريا على سنن العرب عند قصد الافراط في التكثير تقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول دب
فارس عندي وعنده مقابجة يريد بذلك التحدى في تكثير فرسانه ولكنه يروم اظهار ابراءه عن التزيد وابرار
انه من يقلل كثير ما عنده فضلا عن تكثير القليل وعليه قوله عز وجل ربما يؤذون الذين كفروا لو كانوا مسلمين
وهذه طريقة انما نالك عند كون الامر من الوضوح بحيث لا تخوم حوله شائبة ريب حقيقة كما في الآيات
الكريمة المذكورة وأدعاء كما في البيت وقوله قد أترك القرن مصفرا أنامله وقوله ولكنه قد يهلك المال نأمله
والمراد بكثرة علمه تعالى كثرته تعالى وهو متعدي الى اثنين وما بعده ساقتهما واسم ان ضمير الشأن وخبرها
الجملة المفصلة والموصول فاعل يحزنك وعائده محذوف أي الذي يقولونه وهو ما حكى عنهم من قولهم ان هذا
الأساطير الأولين ونحو ذلك وقرئ يحزنك من أحزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى (فانهم لا يكذبونك)
تعليلا لما يشهر به الكلام السابق من التهمى عن الاعتداد بها قالوا لكن لا يطريق التشاغل عنه وعنده هينا
والاقبال التام على ما هو أهم منه من استعظام جودهم بآياته الله عز وجل كما قيل فانه مع كونه يعزل
من التسلي بالكلية بما يوجبهم كون حزنه عليه الصلاة والسلام خاصة نفسه بل يطريق التسلي بما يضيفه من يلوجه
عليه الصلاة والسلام في جلالة القدر ورفعة المحل والزني من الله عز وجل الى حيث لا غاية وراية حيث
لم يقتصر على جعل تكذيبه عليه الصلاة والسلام تكذيبا لآياته سبحانه على طريقة قوله تعالى من يطع
الرسول فقد أطاع الله بل نفي تكذيبهم عنه عليه الصلاة والسلام وأثبت لآياته تعالى على طريقة قوله تعالى
ان الذين يساءلوك انما يساءلون الله ايذا ناك كمال القرب واضع لال شؤنه عليه الصلاة والسلام في شأن الله
عز وجل ثم فيه استعظام لجنائهم مني عن عظم عقوبتهم كأنه قيل لا تعتد به وكنه الى الله تعالى فانهم
في تكذيبهم ذلك لا يكذبونك في الحقيقة (ولكن الظالمين بآيات الله يجمعون) أي ولكنهم بآياته تعالى
يكذبون فوضع المظهر موضع المضمرة تسجيلا عليهم بالرسوخ في الظلم الذي جودهم هذا فن من قنونه والالتفات
الى الاسم الجليل لتربية المهابة واستعظام ما أقدموا عليه من جود آياته تعالى وإيراد الجود في مورد التكذيب
للايذان بأن آياته تعالى من الوضوح بحيث يشاهد صدقها كل أحد وأن من يشكرها فافانما يشكرها بطريق
الجود الذي هو عبارة عن الانكار مع العلم بخلافه كما في قوله تعالى وحمدوا بها واستبقتهما أنفسهم وهو المعنى
يقول من قال انه نفي ما في القلب اثباته أو اثبات ما في القلب نفيه والباء متعلقة بيجحدون يقال جحد حقه
ويحقه اذا أنكره وهو يعلم وقيل هو لتضمن الجود معنى التكذيب وآياته كان فتقديم الجار والمجرور وللقصر
وقيل المعنى فانهم لا يكذبونك بقولهم ولكنهم يجمعون بالسننهم ويعضده ما روى من أن الاخنس بن شريف
قال لا يجهل يا أبا الحسنكم أخبرني عن محمد أصدق هو أم كاذب فانه ليس عندهما أحد غيرنا فقال له والله
ان محمد الصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنوقصي باللواء والسقاية والحجاية والتبوة فماذا يكون لسان
قريش فنزل وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمى الامين فعرفوا
أنه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق
ولكنهم يجحدون بآيات الله كما روى أن أبا جهل كان يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما نكذبك وانك
عندنا صادق ولكنك تكذب ما جئتنا به فنزل وكان صدق الخبر عند الخبيث ببطاقة خبره لا اعتقاده والاقول
هو الذي تستدعيه الجزالة التنزيلية وقرئ لا يكذبونك من الاكذاب فقيل كلاهما بمعنى واحد كما كثرت
وأزول ونزل وهو الاظهر وقيل معنى أ كذبه وجده كاذبا ونقل عن الكسائي أن العرب تقول كذبت الرجل
أي نسبت الكذب اليه وأ كذبه أي نسبت الكذب الى ما جاء به لاليه وقوله تعالى (ولقد كذبت رسل
من قبلك) افتنان في تسليته عليه الصلاة والسلام فان عموم البلية رجا يهون أمرها بعض تهوين وإرشاده
عليه الصلاة والسلام الى الاقتداء بمن قبله من الرسل الصالحين عليهم الصلاة والسلام في الصبر على ما أصابهم

من أجمعهم من فنون الاذية وعدة ضمنية له عليه الصلاة والسلام مثل ما منحوه من النصر وتصدير الكلام بالقسم
لنا كيد التسلية وتنوين رسل للتخفيف والتكثير ومن اتماما لعلقة بكذبت أو بمحذوف وقع صفة لرسل أي وبالله
لقد كذبت من قبل تكذيبك رسل أولو شأن خطيروذو وعدد كثير وكذبت رسل كانوا من زمان قبل زمانك
(فصبروا على ما كذبوا) ما مصدرية وقوله تعالى (وأوذوا) عطف على كذبوا داخل في حكمه فانسبك
منهم ما صدران من المبنى للمفعول أي فصبروا على تكذيبهم وايدائهم فقام بهم واصطبر على ما نالك من قومك
والمراد بايدائهم اتماما على تكذيبهم واما ما يقارنه من فنون الايداء لم يصرح به ثقة باستلزام التكذيب اياه غالبا
وأيا ما كان فقيه تآكيد للتسلية وقيل عطف على صبروا وقيل على كذبت وقيل هو استئناف وقوله تعالى
(حتى أتاهم نصرنا) غاية للصبر وفيه ايدان بأن نصره تعالى اياهم أمر مقتر لا مرد له وأنه متوجه اليهم لا بد من
اتيانه اليته والاتفات الى فنون العظمة لابرار الاعناء بشأن النصر وقوله تعالى (ولامبدل لكلمات الله)
اعتراض مقتر لما قبله من اتيان نصره اياهم والمراد بكلماته تعالى ما ينبي عنه قوله تعالى واقدس بقت كلنا
لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله تعالى ~~ص~~كتب الله لقلوبنا ~~أ~~نا ورسل
من المواعيد السابقة للرسل عليهم الصلاة والسلام الدالة على نصرة رسول الله أيضا لنفس الآيات المذكورة
ونظا ترها فان الاخبار بعدم تبدلها انما يفيد عدم تبدل المواعيد الواردة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
خاصة دون المواعيد السابقة للرسل عليهم الصلاة والسلام ويجوز أن يراد بكلماته تعالى جميع كلماته التي من
جملتها تلك المواعيد الكريمة ويدخل فيها المواعيد الواردة في حقه عليه الصلاة والسلام دخولاً أوليا والاتفات
الى الاسم الجليل للاشعار بعظمة الحكم فان الألوهية من موجبات أن لا يخاله أحد في فعل من الافعال
ولا يقع منه تعالى خف في قول من الاقوال وقوله تعالى (ولقد جاءك من نبي المرسلين) جلة قسمة جى
بها تحقيق ما منحوا من النصر وتآكيد ما في ضمنه من الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولتقرر بجمع
ما ذكر من تكذيب الامم وما ترتب عليه من الامور والحوادث والجور في محل الرفع على أنه فاعل اتماما باعتبار
مضمونه أي بعض نبي المرسلين أو بتقدير الموصوف أي بعض من نبي المرسلين كما مر في تفسير قوله تعالى ومن
الناس من يقول آمنا بالله الآية وأيا ما كان فالمراد بانهم عليهم السلام على الاول نصره تعالى اياهم بعد التيا
والتي وعلى الثاني جميع ما جرى بينهم وبين أممهم على ما ينبي عنه قوله تعالى أم حسبكم أن تدخلوا الجنة ولما
يأتكم مثل الذين خلو من قبلكم مستهم الباساء والضراء وزلوا الآية وقيل في محل النصب على الحالية
من المستمكن في جاء العائد الى ما يفهم من الجلة السابقة أي ولقد جاءك هذا الخبر كما نؤمن نبي المرسلين
(وان كان كبير عليك اعراضهم) كلام مستأنف محسوق لتآكيد ايجاب الصبر المستفاد من التسلية ببيان
أنه أمر لا محيد عنه أصلا أي ان كان عظم عليك وشق اعراضهم عن الايمان بما جئت به من القرآن
الكريم حسبا بفصح عنه ما حكى عنهم من تسميتهم له أساطير الاولين وتناهيهم عنه ونهيهم الناس عنه
وقيل ان الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في محضر من قريش
فقال يا محمد اتنا بآية من عند الله ~~ك~~ كما كانت الانبياء تفعل وأنا أصدقك فأي الله أن يأتي بآية
فما اقترحوا فأعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك عليه لما أنه عليه الصلاة والسلام
كان شديد الحرص على ايمان قومه فكان اذا سألوا آية يؤد أن ينزلها الله تعالى طمعا في ايمانهم فنزلت
تعالى اعراضهم من تقع بكبر وتقديم الجوار والجور وعليه لما مر من ارامن الاهتمام بالقدم والتشويق الى
المؤخر والجلة في محل النصب على أنها خبر لكان مفسرة لاسمها الذي هو ضمير الشأن ولا حاجة الى تقدير قد
وقيل اسم كان اعراضهم ~~ك~~ بوجه فعلية في محل النصب على أنها خبر لها مقدم على اسمها لانه فعل رافع
لضمير مستتر كما هو المشهور وعلى التقديرين فله تعالى (فان لاستطعت) الخ شرطية أخرى محذوفة
ابتواب وقعت جوابا للشرط الاول والمعنى ان شق عليك اعراضهم عن الايمان بما جئت به من البينات
وعدم عدولهم لها من قبيل الآيات وأحييت أن تجيبهم الى ما سألوه اقترافا فان استطعت (أن تبتغي دفقا)
أي سربا ومنفذا (في الارض) تنفذ فيه الى جوفها (أو سلبا) أي مصعدا (في السماء) تخرج به فيها
(فتأنيبهم) منها (بآية) مما اقترحوه فافعل وقد يجوز أن يكون ابتغاؤها نفس الايمان بالآية

فالقائه في قناتهم حينئذ تفسيرية وتنويع آية للتفصيل أي فان استطعت أن تبقيهم فافعل ذلك آية لهم فافعل
والطرقان متعلقان بمحذوفين هما نعتان لنفسا وسما والاول مجزأ الثاني كيد اذ التثاق لا يكون الا في
الارض أو يثبت في وقد جوز تعلقهما بما محذوف وقع حالا من فاعل يثبت أي أن يثبت نطقا كائنا أنت في الارض
أو سما كائنا في السماء وفيه من الدلالة على تباين حرصه عليه الصلاة والسلام على اسلام قومه وتراحمه
الي حيث لو قدر على أن يأتى بآية من تحت الارض أو من فوق السماء لفعلى رجا لا يمانهم ما لا يفتنى وياشار
الاستغناء على الاتخاذ ونحوه للايدان بأن ما ذكر من التثاق والسلم مما لا يستطيع ابتغائه فكيف بالتخاذ
(ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) أي ولو شاء الله تعالى أن يجمعهم على ما أنتم عليه من الهدى فافعله بأن
يوفقهم للايمان فيؤمنوا معكم ولكن لم يشأ لهم صرف اختيارهم الى جانب الهدى مع تمكثهم التامنه
في مشاهدتهم للآيات الداعية اليه لأنه تعالى لم يوفقهم له مع توجههم الى تحصيله وقيل لو شاء الله لجمعهم
عليه بأن يأتى بهم بآية ملحنة اليه ولكن لم يفعله لخروجه عن الحكمة وقوله تعالى (فلا تكونن من الجاهلين)
نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والميل الى اتيان ما يقترحونه
من الآيات طمعا في ايمانهم مرتب على بيان عدم تعلق مشيئته تعالى بهدايتهم والمعنى واذا عرفت أنه تعالى
لم يشأ هدايتهم وايمانهم بأحد الوجهين فلا تكون بالحرص الشديد على اسلامهم أو الميل الى نزول
مقترحاتهم من الجاهلين بدقائق شؤنه تعالى التي من جلها ما ذكر من عدم تعلق مشيئته تعالى بايمانهم أما
اختياره لافعلهم توجههم اليه وأما اضطرار فخروجه عن الحكمة التشريعية المؤسسة على الاختيار ويجوز
أن يراد بالجاهلين على الوجه الثاني المقترحون ويراد بالنتي منعه عليه الصلاة والسلام من المساعدة على
اقتراحهم وإرادهم بعنوان الجهل دون الكفر ونحوه لتحقيق مناط انتهى الذي هو الوصف الجامع بينه عليه
الصلاة والسلام وبينهم (انما يستجيب الذين يسمعون) تقرير للمعنى أن على قلوبهم أكنة ماضية من
الفقه وفي آذانهم وقرا حاز من السماع وتحقيق لكونهم بذلك من قبيل الموقل لا يتصور منهم الايمان البتة
والاستجابة الاجابة المقارنة للقبول أي انما يقبل دعوتك الى الايمان الذين يسمعون ما يلقي اليهم سماع
تفهيم وتبديدون الموقل الذين هو لا منهم كقوله تعالى انك لا تسمع الموقل وقوله تعالى (والموقل يسمعهم الله)
تمثيل لاختصاصه تعالى بالقدرة على توفيقهم للايمان باختصاصه تعالى بالقدرة على بعث الموقل من القبور
وقيل بيان لاستمرارهم على الكفر وعدم افلاهم عنه أصلا على أن الموقل مستعاض بالكفرة بناء على تشبيه
جهلهم بعوتهم أي وهؤلاء الكفرة يسمعهم الله تعالى من قبورهم (ثم اليه يرجعون) للجزاء حينئذ يستجيئون
وأما قبل ذلك فلا سبيل اليه وقرئ يرجعون على البناء للفعل من رجوع رجوعا والمشهورة أو في بحق المقام
لأنه عن كون مرجعهم اليه تعالى بطريق الاضطرار (وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه) بحكاية لبعض
آخر من أباطيلهم بعد حكاية ما قالوا في حق القرآن الكريم وبيان ما يتعلق به والقائلون رؤساء قريش
وقيل الخبر بن عاصم بن نوفل وأصحابه وقد بلغت بهم الضلالة والطفيات الى حيث لم يقنعوا بما شاهدوا
من البينات التي تحجز لها اسم الجبال حتى اجتروا على ادعاء أنها ليست من قبيل الآيات وانما هي ما اقترحوه
من الخوارق المنيئة أو المعقبة للعذاب كما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من
السماء الآية والتزويل بمعنى الانزال كما ينبت عنه القراءة بالتخفيف فيما سبق وما يفيد التعرض لعنوان
ربوبيته تعالى له عليه الصلاة والسلام من الاشعار بالعلية انما هو بطريق التعريض بالتهكم من جهتهم والطلاق
الآية في قوله تعالى (قل ان الله قادر على أن ينزل آية) مع أن المراد بها ما هو من الخوارق المذكورة لآية
ما من الآيات لقضاء المعنى بحجارة معهم على زعمهم ويجوز أن يراد بها آية موجبة لهلاكهم كاتزال ملائكة
العذاب ونحوه على أن تنويع التفسير والنهيول كما أن اظهار الاسم الجليل لتربية المهابة مع طائفة من
الاشعار بعله القدرة الباهرة والاقتصار في الجواب على بيان قدرته تعالى على تنزيلها مع أنها ليست في خيز
الانكار للايدان بأن عدم تنزيله تعالى اياها مع قدرته عليه الحكمة بالغة يجب معرفتها وهدم عنها غافلون كما
ينبئ عنه الاستدراك بقوله تعالى (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي يسوا من أهل العلم على أن المفعول

مطروح بالكلية أو لا يعلمون شيئا على أنه محذوف مدلول عليه بقريضة المقام والمعنى أنه تعالى قادر على أن
 ينزل آية من ذلك أو آية أخرى فليكن آية فليكن أكثرهم لا يعلمون فلا يدرون أن عدم تنزيلها مع ظهور قدرته عليه
 أن في تنزيلها قلة الأساس التكليف الملقى على قاعدة الاختيار أو استتصاها لهم بالكلية فيقتربون بها جهلا
 ويتخذون عدم تنزيلها ذريعة إلى التكذيب وتخصيص عدم العلم بأكثرهم لما أن بعضهم واقفون على حقيقة
 الحال واتخاذهم ما يفعله من مكابرة وعناد وقوله تعالى (وما من دابة في الأرض) الخ كلام مستأنف
 مسوق لبيان كمال قدرته عز وجل وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على أنه تعالى قادر على تنزيل الآية
 وإنما لا ينزلها حفاظة على الحكم البالغة وزيادة من لتأكيد الاستغراق وفي متعلقة بمحذوف هو وصف الدابة
 مفيد لزيادة التعميم كأنه قيل وما فرد من أفراد الدواب يستقر في قطر من أقطار الأرض وكذا زيادة الوصف
 في قوله تعالى (ولا طائر يطير بجناحيه) مع ما فيه من زيادة التقرير أي ولا طائر من الطيور يطير في ناحية من
 نواحي الجوّ بجناحيه كما هو المشاهد المعتاد وقري ولا طائر بالرفع عطف على محل الجار والمجرور كأنه قيل
 وما دابة ولا طائر (الأم) أي طوائف متخلفة والجمع باعتبار المعنى كأنه قيل وما من دابة ولا طائر إلا
 أم (أمثالكم) أي كل أمة منها منكم في أن أحوالها محفوظة وأمورها متقنة ومصلحتها مرعية جارية على
 سنن السداد ومنظمة في سلك التقديرات الإلهية والتدبيرات الربانية (ما قرطنا في الكتاب من شيء) يقال
 قرط الشيء أي ضيعه وتركه قال ساعدة بن حوية معه سقاء لا يقرط حمله أي لا يتركه ولا يفارقه ويقال قرط في
 الشيء أي أهمل ما ينبغي أن يكون فيه وأغفله ففعله تعالى في الكتاب أي في القرآن على الأول ظرف لغو وقوله
 تعالى من شيء مفعول لقرطنا ومن مزيدة للاستغراق أي ما تركنا في القرآن شيئا من الأشياء المهمة التي من
 جعلها بيان أنه تعالى مراعاة لمصالح جميع مخلوقاته على ما ينبغي وعلى الثاني مفعول للفعل ومن شيء في موضع
 المصدر أي ما جعلنا الكتاب مقرر طائفة شيئا من التفريط بل ذكرنا فيه كل ما لا بد من ذكره وأياتا كان ظاهله
 اعتراض مقرر لضعف ما قبلها وقيل الكتاب اللوح فالمراد بالاعتراض الإشارة إلى أن أحوال الأمم مستتصة
 في اللوح المحفوظ غير مقصورة على هذا القدر الجمل وقري قرطنا بالتخفيف وقوله تعالى (ثم إلى ربهم يحشرون)
 بيان لأحوال الأمم المذكورة في الآخرة بعد بيان أحوالها في الدنيا وإيراد ضميرها على صيغة جمع العقلاء
 لإبرائهم مجراهم والتعبير عنها بالأم أي إلى مالك أمورهم يحشرون يوم القيامة كدأ بكم لا إلى غيره فيجازيهم
 فينصف بعضهم من بعض حتى يبلغ من عدله أن يأخذ للجماء من القرناء وقيل حشرها موتها وبأبواب مقام تهويل
 الخطب وتغليب الحال وقوله تعالى (والذين كذبوا بآياتنا) متعلق بقوله تعالى ما قرطنا في الكتاب من
 شيء والموصول عبارة عن اليهودين في قوله تعالى ومنهم من يستعيبك الآيات ومحله الرفع على الابتداء خبره
 ما بعده أي أوردنا في القرآن جميع الأمور المهمة وأزحناه العلل والأعدا والذين كذبوا بآياتنا التي هي منه
 (صم) لا يسمعونها سمع تدبر وفهم فذلك يسمونها أساطير الأوثان ولا يعتدونها من الآيات ويقتربون
 غيرها (وبكم) لا يتدبرون على أن ينطقوا بالحق ولذلك لا يستجيبون دعوتك لها وقوله تعالى (في الظلمات)
 أي في ظلمات الجهل والظلمات الجاهل والعناد والتقليد أما خبرتان للمبتدأ على أنه عبارة عن العمى
 كما في قوله تعالى صم بكم عمى وأما متعلق بمحذوف وقع حالا من المسكن في الخبر كأنه قيل ضالون كائنين
 في الظلمات أو صفة لبكم أي بكم كائنون في الظلمات والمراد به بيان كمال عراقتهم في الجهل وسوء الحال فإن
 الأصم الأبكم إذا كان بصيرا بما يفهم شيئا بأشارته غيره وان لم يفهمه بعبارة فهو كذا يشعر غيره بما في ضميره
 بالإشارة وان كان معزولا عن العبارة وأما إذا كان مع ذلك أعمى أو كان في الظلمات فيستد عليه باب الفهم
 والتفهم بالكلية وقوله تعالى (من يشأ الله بضله) تحقيق للفق وقري لما سبق من حالهم بيان أنهم من أهل
 الطبع لا يتأتى منهم الإيمان أصلا فمن مبتدأ خبره ما بعده ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستقرة
 من وقوعها شرط لو كون مفعولها مضمون الجزاء واتقاء الغزابة في تعاقبها به أي من يشأ الله اضلاله أي
 أن يخلق فيه الضلال بضله أي يخلق فيه لكن لا يتدبر بطريق الخبر من غير أن يكون له دخل ما في ذلك بل
 يختصرف اختياره إلى كسبه وتقصيله وقس عليه قوله تعالى (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم)
 لا يضل من ذهب إليه أو لا يزل من ثبت قدمه عليه (قل أو أيتكم) أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن

يكنهم ويلقمهم الحجر على السبيل لهم إلى التكبر والكاف حرف جى به لتأكيد الخطاب لا محل له من الاعراب
ومبنى التركيبه وان كان على الاستقبار عن الرؤية قلبية كانت أو بصرية لكن المراد به الاستقبار عن
متعلقها أى أخبروني (ان أناكم عذاب الله) حسبما أتى الامم السابقة من أنواع العذاب الديوى
(أو أنكم الساعة) التى لا يحصى عنها البتة (أغبر الله تدعون) هذا مناسط الاستقبار ومحط التبيكيت
وقوله تعالى (ان كنتم صادقين) متعلق بأرايتكم مؤكداً للتبيكيت كاشف عن كذبهم وجواب الشرط محذوف
ثقة بدلالة المذكور عليه أى ان كنتم صادقين فى أن أصنامكم آلهة كما أنهدعواكم المعروفنة أو ان كنتم
قوماً صادقين فأخبروني أغبر الله تدعون ان أناكم عذاب الله الخ فان صدقهم بأى معنى كان من موجبات
اخبارهم بدعائهم غيره سبحانه وأما جعل الجواب ما يدل عليه قوله تعالى أغبر الله تدعون أعني فلدعوه على
أن الضمير لغبر الله فخل بجزالة النظم الكريم كيف لا والمطلوب منهم انما هو الاخبار بدعائهم غيره تعالى عند
ايمان ما يأتى لانقص دعائهم اياه وقوله تعالى (بل اياه تدعون) عطف على جملة منفية نبى عنها الجملة التى تعلق
بها الاستقبار اياه جلياً كأنه قيل لا غيره تعالى تدعون بل اياه تدعون وقوله تعالى (فكشفت ما تدعون اليه)
أى الى كشفه عطف على تدعون أى فكشفه اثر دعائكم وقوله تعالى (ان شاء) أى ان شاء كشفه لبيان
أن قبول دعائهم غير مطرد بل هو تابع لمشيئته المبينة على حكم خفية قداسه تأثر الله تعالى بعلمها فقد يقبله كما
فى بعض دعواتهم المتعلقة بكشف العذاب الديوى وقد لا يقبله كما فى بعض آخر منها وفى جميع ما يتعلق
يكشف العذاب الاخرى الذى من جملة الساعة وقوله تعالى (وتنسئون ما تشركون) أى تتركون ما
تشركون به تعالى من الاصنام تركا كلياً عطف على تدعون أيضاً وتوسيط الكشف بينهما مع تقارنهما
وتأخر الكشف عنهما لاظهار كمال العناية بشأن الكشف والايدان بترتب على الدعاء خاصة وقوله تعالى
(واقعد أرسلا) كلام مستأنف مسوق لبيان أن منهم من لا يدعوا الله تعالى عند ايمان العذاب أيضاً لقادهم
فى الفنى والخلال لا يتأثرون بالزواجر التكوينية كما لا يتأثرون بالزواجر التنزيلية وتصديره بالجملة القصية لإظهار
منزلة الاهتمام بمنهونه ومفعول أرسلا محذوف قبل أن مقتضى المقام بيان حال المرسل اليهم لاحتل المرسلين
أى وبالله لقد أرسلا رسلنا (الى أمم) كثيرة (من قبلك) أى كائنة من زمان قبل زمانك (فأخذناهم)
أى فكذبوا رسلهم فأخذناهم (بالأساء) أى بالشتة وال فقر (والضراء) أى الضراء والافات وهما
صفتان ثابت لا مذكر لهما (لعلهم يتضرعون) أى لئلا يدعوا الله تعالى فى كشفه لما تضرعون والتذلل ويتوبوا
اليه من كفرهم ومعاصيهم (قلوا اذا جاءهم بأسنا تضرعوا) أى فلم يتضرعوا حيث شمع تحقق ما يستدعيه
(ولكن غصت قلوبهم) استدراك لما قبله أى فلم يتضرعوا اليه تعالى برقة القلب والخموع مع تحقق ما يدعونه
اليه ولكن ظهر منهم تقيضه حيث غصت قلوبهم أى استقرت على ما هى عليه من القساوة أو ازدادت قساوة
كتقولك لم يكرمى اذ جنته ولكن اهانتى (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) من الكفر والمعاصي
فلم يحطروا بآيالههم أن ما اعتراههم من البأساء والضراء ما اعتراههم الا لاجله وقيل الاستدراك لبيان أنه لم يكن
لهم فى ترك التضرع عذر سوى قسوة قلوبهم والاهباب بأعمالهم التى زينها الشيطان لهم وقوله تعالى
(فلما نسوا ما ذكروا به) عطف على مقدر يشاق اليه النظم الكريم أى فانه مكروا به ونسوا ما ذكروا به من
البأساء والضراء فلما نسوا (ففتحنا عليهم أبواب كل شئ) من فنون النعماء على منهلج الاستدراج لما
روى أنه عليه الصلاة والسلام قال مكر بالقوم وروى الكعبة وقرئ فتحنا بالتشديد للتكثير وفى ترتيب الفتح على
اللسان المذكور اشطار بأن التذكير فى الجملة غير خال عن النفع وحتى فى قوله تعالى (حتى اذا فرحو بما آتوا)
حتى التى يتدأبهم الكلام دخلت على الجملة الشرطية كافي قوله تعالى حتى اذا جاء أمرنا الآية وتطأ زموى
مع ذلك غاية لقوله تعالى فتحنا أو ما يدل هو عليه كأنه قيل ففعلوا ما فعلوا حتى اذا اطعوا نوايا ما أخرجهم
وبطروا وأشروا (أخذناهم بفتنة) أى نزل بهم عذاباً فجأة ليكنون أشد عليهم وقعا وأقطع هولاً
(فأذا هم مبلسون) متكسرون غاية الحسرة آيسون من كل خير واجود وفى الجملة الاسمية دلالة على
استقرارهم على تلك الحالة الفظيعة (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) أى آخرهم بحيث لم يبق منهم أحد
من دبره جبراً ودبوراً أى تبعه ووضع الظاهر موضع الضمير للاشعار بغير الحكيم فان هلاكهم بسبب ظلمهم

الذي هو وضع الكفر موضع الشكر واقامة المعاصي مقام الطاعات (والحمد لله رب العالمين) على ما جرى عليهم من النكال فان اهلالك الكفار والعاصي من حيث انه يتخلص لاهل الارض من شوم عقائدهم القاسدة واعمالهم الخبيثة نعمة جليلة مستحيلة للعدو لاسيما مع ما فيه من اعلاء كلمة الحق التي نطق بها رسلم عليهم السلام (قل ارايتم) امر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكرير التبيكيت عليهم وتثنية الالزام بعد تكلمه بالالزام الاول ببيان انه امر مستعجل لم يزل جاري في الائم وهذا ايضا استخبار عن متعلق الرؤية وان كان بحسب الظاهر استخبارا عن نفس الرؤية (ان اخذ الله منكم وبصاركم) بان اسمكم واعمالكم بالكيفية (وختم على قلوبكم) بان غطى عليهم الايق لئلا يسموهم عقل وفهم أصلا وتصيرون مجانين ويجوز أن يكون الختم عطفًا لتفسير بالاخذ المذكور فان السمع والبصر طريقان للقلب منه ما يرد ما يرد من المدركات فأخذهم مسدداً لباب الكيفية وهو السر في تقديم اخذهما على ختمها وأما تقديم السمع على الابصار فلانه مورد الآيات القرآنية وافراده لما لئن أصله صدر وقوله تعالى (من الله) مبتدأ وخبر ومن استغفامية وقوله تعالى (غير الله) صفة للخبر وقوله تعالى (يا أيكم به) أي بذلك على أن الضمير مستعار لاسم الإشارة أو بما أخذ وختم عليه صفة أخرى له والجملة متعلق بالرؤية ومناط الاستخبار أي أخبروني ان سلب الله مشاعركم من الله غيره تعالى يا أيكم بها وقوله تعالى (انظر كيف نصرف الآيات) تعجب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من عدم تأثيرهم عما ينادون من الآيات الباهرة أي انظر كيف تكررها وتكررهم صرقة من أسلوب إلى أسلوب تارة بترتيب المقدمات العقلية وتارة بطريق الترغيب والترهيب وتارة بالنسبة والتذكير (ثم هم يصده فون) عطف على نصرف داخل في حكمه وهو العمدة في التعجب وثم لاستبعاد صدق فهم أي اعراضهم عن تلك الآيات بعد تصرفهم فيها على هذا الخط البديع الموجب للاقبال عليها (قل ارايتكم) تبيكيت آخر لهم بالجاسم الى الاعتراف باختصاص العذاب بهم (ان اتاكم عذاب الله) أي عذابه العاجل الخاص بكم كما أتى من قبلكم من الامم (بغنة) أي بخسة من غير أن يظهر منه مخايل الاثبات وحيث تضمن هذا معنى الخفية قول بل بقوله تعالى (أوجهرة) أي بعد ظهور أماراته وعلائمه وقيل ليلاً أو نهاراً كما في قوله تعالى يأتينا أوجهرة أو نهاراً المبدأ أن الغالب فيما أتى ليلاً البغنة وفيما أتى نهاراً الجهرة وقرئ بغنة أو جهرة وهما في موضع المصدر أي اثبات بغنة أو اثبات جهرة وتقديم البغنة لكونها أهول وأقطع وقوله تعالى (هل يهلك) متعلق بالاستخبار والاستفهام للتمهيد أي قل لهم تقرير الهم باختصاص الهلاك بهم أخبروني ان اتاكم عذابه تعالى حسباناً تستحقونه هل يهلك بذلك العذاب الا أنتم أي هل يهلك غيركم ممن لا يستحقه وانما وضع موضعه (الا انقوم الظالمون) تسجيلاً عليهم بالظلم وايداً بان مناط هلاكهم ظلمهم الذي هو وضعهم الكفر موضع الاعيان وقيل المراد بالظالمين الجنس وهم داخلون في الحكم دخولاً أولياً قال الزجاج هل يهلك الا أنتم ومن أشبهكم وبأباهم تخصيص الاثبات بهم وقيل الاستفهام بمعنى النفي فتعلق الاستخبار حينئذ محذوف وكأنه قيل أخبروني ان اتاكم عذابه تعالى بغنة أو جهرة ماذا يكون الحال ثم قيل ببيان ذلك ما يهلك الظالمون أي ما يهلك بذلك العذاب الخاص بكم الا أنتم فن قيد الهلاك بهلاك التعذيب والخطب لتعقيق الحصر باخراج غير الظالمين لما أنه ليس بطريق التعذيب والخطب بل بطريق الاثابة ورفع المدرجة فقد أهمل ما يجديه واشتغل بالبعينه وأخل بجزالة النظم الكريم وقرئ هل يهلك من الثلاث (وما ترسل المرسلين) كلام مستأنف مسوق لبسان وظايف منصب الرسالة على الاطلاق وتحسين ما في عهدة الرسل عليهم السلام واظهار أن ما يقترحه الكفرة عليه عليه السلام ليس محمياً على بالرسالة أصلاً وصيغة المضارع لبيان أن ذلك أمر مستمر جرت عليه العادة الالهية وقوله تعالى (الامبشرين ومنذرين) حالان مقدرتان من المرسلين أي ما ترسلهم الامم قدرا تبشيره واذارهم ففهم ما معنى العلة الغائية قطعاً أي ليبروا قومهم بالثواب على الطاعة وينذروهم بالعقاب على المعصية أي ليخبروهم بالخبر السار والخبر البشار فينبوا كان أو آخر وبما من غير أن يكون لهم دخل في وقوع الخبر به أهلاً وعليه يدور القصر والالزام أن لا يكون بيان الشرائع والاحكام من وظائف الرسالة والقيام في قوله تعالى (نحن آمن وأصلح) لترتيب ما بعدهما على

قوله وقرئ بغنة الخ أي بفتح
الغين والهاء

ما قبلها ومن موصولة والفناء في قوله تعالى (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) اشبهه الموصول بالشرط
 أي لا خوف عليهم من العذاب الذي أئذروه دينيا كان أو آخره ولا هم يحزنون بفوات ما بشروا به من
 الثواب العاجل والآجل وتقديم نفي الخوف على نفي الحزن مراعاة حق المقام وجمع الضمائر الثلاثة
 الراجعة إلى من باعتبار معناها كما أن أفراد الضمير من السابقين باعتبار افظها أي لا يعتبرهم ما يوجب ذلك
 لأنه يعتبرهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام انتقامهم ما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون
 الخبر في الجملة الثانية منارعا لما تنجز في موضعه من أن النفي وإن دخل على نفس المضارع يفيد الدوام
 والاستقرار بحسب المقام ألا يرى أن الجملة الاسمية تدل بعونة المقام على استمرار الثبوت فإذا دخل عليها
 حرف النفي دل على استمرار الانتفاء لا على انتفاء الاستقرار كذلك المضارع الخالي عن حرف النفي يفيد
 استمرار الثبوت فإذا دخل عليه حرف النفي يفيد استمرار الانتفاء لا انتفاء الاستقرار ولا بعد في ذلك فإن قولك
 ما زيد انشربت مفيد لاختصاص النفي لائق الاختصاص كما بين في محله وقوله عز وجل (والذين كذبوا)
 عطف على من آمن داخل في حكمه وقوله تعالى (بآياتنا) إشارة إلى أن ما ينطق به الرسل عليهم السلام عند
 التبشير والانذار ويبلغونه إلى الامم آياته تعالى وأن من آمن به فقد آمن بآياته تعالى ومن كذب به فقد كذب
 بها وفيه من الترغيب في الإيمان به والتحذير عن تكذيبه ما لا يخفى والمعنى ما ترسل المرسلين إلا تبشروا أمهم
 من جهتنا بما سيقتع منا من الامور السارة والنارة لا يوقعوها المستقللا من تلقاء أنفسهم أو استدعاء
 من قبلنا حتى يتترحووا عليهم ما يترحون فإذا كان الامر كذلك فمن آمن بما أخبروا به من قبلنا تبشروا أو انذروا
 في ضمن آياتنا وأصل ما يجب اصلاحه من أعماله أو دخل في الصلاح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين
 كذبوا بآياتنا التي بلغوها عند التبشير والانذار (يعلمهم العذاب) أي العذاب الذي أئذروه عاجلا
 أو آجلا وأوحية العذاب وجنسه المتطهر له انتظاما أولا (بما كانوا يفسدون) أي بسبب فسقهم المستمر
 الذي هو الاصرار على الخروج عن التسديق والطاعة (قل لأقول لكم عندي خزائن الله) استئناف
 مبني على ما أسس من السنة الالهية في شأن ارسال الرسل وانزال الكتب مسوق لانه يظهر تبرئته صلى الله عليه
 وسلم عما يدور عليه من متهماتهم أي قل للكفرة الذين يتترحون عليكم تارة تنزيل الآيات وأخرى غير ذلك لا أدعي
 أن خزائني متدورة وأنه تعالى منقوضة إلى أنصرف فيها كيفما شاء استقلاله واستدعاء حتى تتترحووا على
 تنزيل الآيات أو انزال العذاب أو قلب الجبال ذهبا أو غير ذلك مما لا يليق بشأني وجعل هذا تبرئا عن دعوى
 الالهية مما لا وجه له قطعاً وقوله تعالى (ولأعلم الغيب) عطف على محل عندي خزائن الله أي ولا أدعي
 أيضاً أني أعلم الغيب من أفعاله تعالى حتى تسألوني عن وقت الساعة أو وقت نزول العذاب أو نحو هذا
 (ولأقول لكم اني ملك) حتى تسألوني من الافعال الخارقة للعادات ما لا يطبق به البشر من الرقي في السماء
 ونحو ما وتعدوا عدم انصافي بفسادهم فادعاني امري كما ينبغي عنه قولهم مال هذا الرسول يا كل الطعام ويشي
 في الاسواق والمعنى اني لا ادعي شيئا من هذه الاشياء الثلاثة حتى تتترحووا على ما هو من آياتها وأحكامها
 وتجعلوا عدم ايمانتي إلى ذلك دليلا على عدم صحة ما ادعيه من الرسالة التي لا تعلق لها بشي مما ذكر قطعاً بل
 انما هي عبارة عن تلقى الوحي من جهة الله عز وجل والعمل بمقتضاه مخسب حسابي عنده قوله تعالى
 (ان اتبع الا ما يوحى الي) لا على معنى تخصيص اتباعه صلى الله عليه وسلم بما يوحى اليه دون غيره بتوجيه
 القصص إلى المنعول بالقياس إلى منفعول آخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيهه القصص إلى
 ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي في الاصل والاثبات في القيد بل على معنى تخصيص حاله صلى الله عليه وسلم باتباع
 ما يوحى اليه بتوجيه القصص إلى نفس الفعل بالقياس إلى ما يفارقه من الافعال الممكن لا باعتبار النفي
 والاثبات معاً في خصوصية فان ذلك غير ممكن قطعاً بل باعتبار النفي فيما يتضمنه من مطلق الفعل والاثبات
 فيما يشار به من المعنى المخصوص فان كل فعل من الافعال الخاصة كمنصرف مثلاً يفعل عند التحقيق إلى معنى
 مطلق هو مدلول لفظ الفعل وإلى معنى خاص يتقومه فان معناه فعل المنصرف يشدك إلى ذلك قولهم معنى فلان
 يعطى وينزع يفعل الاعطاء والمنع فورد القصص في الحقيقة ما يتعلق بالفعل بتوجيه النفي إلى الاصل والاثبات
 إلى القيد كأنه قيل ما أفعل الاتباع ما يوحى الي من غير أن يكون لي مدخل ما في الوحي أو في الموحى بطريق

الاستدعاء أو بوجه آخر من الوجوه أصلاً (قل هل يستوى الاعمى والبصير) مثل الضال والمهتدي
 على الإطلاق والاستفهام انكاري والمراد انكار استواء من لا يعلم ما ذكر من الحقائق ومن يعلمها وفيه من
 الاشعار بكل ظواهرها ومن التفسير عن الضلال والترغيب في الاهتداء ما لا يخفى وتكرير الامر لتفتية
 التبكيت وتأكيده الالتزام وقوله تعالى (أفلات تتفكرون) تشريع وتوبيخ داخل تحت الامر والقضاء للعطف
 على مقدر يقتضيه المتسام أي ألا تسمعون هذا الكلام الحق فلا تفكرون فيه أو تسمعون فلا تفكرون فيه
 فخطا التوبيخ في الاول عدم الامر من معارفي الثاني عدم التفكير مع تحقق ما يوجب (وانذره الذين يخافون
 أن يحشروا إلى ربهم) بعد ما حكى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من الكفرة قوم لا يتعظون بتسريف
 الآيات الباهرة ولا يتأثرون بمشاهدة المعجزات القاهرة قد انفت مشاعرهم بالكلمة والتخوفاً بالاموات وقدر
 ذلك بأن كثر عابهم من فنون التبكيت والالزام ما يلبثهم الجبرأى التام فأبوا إلا الأياء والتكبر وما منع فيهم
 عظة ولا تذكير وما أفادهم الانذار إلا الاصرار على الانكار أمر عليه الصلاة والسلام بتوجيه الانذار إلى
 من يتوقع منهم التأثر في الجلالة وهم المجوزون منهم للحشر على الوجه الاقوى سواء كانوا اجازمين بأصله كآهل
 الكتاب وبعض المشركين المعتزفين بالبعث المتردد في شفاعته آياتهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام كالأولين
 أو في شفاعته الاصنام كالأخرين أو متردد فيهم مامعاً ببعض الكفرة الذين يعلم من حالهم أنهم اذا سمعوا
 بحديث البعث يخافون أن يكون حتماً وأما المنكرون للحشر رأساً والقائلون به القاطعون بشفاعة آياتهم
 أو بشفاعة الاصنام فهم خارجون عن أمر بالذاهرهم وقد قيل هم المترطون في الاعمال من المؤمنين ولا يساعده
 سياق التنظيم الكريم ولا سياقهم بل فيه ما يقتضي باسماحة صحته كما يستفاد عليه والضمير المحرور لما يوحى أو المادل
 هو عليه من القرآن والمفعول الثاني للانه ار اما العذاب الاخرى المدلول عليه بما في حيز الصلاة واما
 مطلق العذاب الذي ورد به الوعيد والتعرض لعنوان الربوبية المبنية عن المالكية المطلقة والتصرف الكلي
 لتربية المهابة وتحقيق الخافة وقوله تعالى (ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع) في حيز النسب على الحالة من
 شمع يحشروا ومن متعلقة بمحذوف وقع حالاً من اسم ليس لانه في الاصل صفة له فلما قدم عليه اتصفت حالاً خلا
 أن الحال الاولى لاخراج الحشر الذي لم يقيد بها عن حيز الخوف وتحقيق أن ما يطبه الخوف هو الحشر على ذلك
 الحالة لا الحشر كيف ما كان ضرورة أن المعتزفين به الجازمين بنصرة غيره تعالى بمنزلة المنكرين له في عدم الخوف
 الذي عليه يدور أمر الانذار وأما الحال الثانية فليست لاخراج الولي الذي لم يقيد بها عن حيز الاتقاء
 لفساد المعنى لاستلزامه ثبوت ولايته تعالى لهم كما في قوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير بل
 تحقيق مدار خوفهم وهو فقدان ما علقوا به رجاءهم وذلك انما هو ولاية غيره سبحانه وتعالى في قوله تعالى ومن
 لا يحب داعي الله فليس بمجزي في الارض وليس له من دونه أولياء والمعنى أنذره الذين يخافون أن يحشروا وغير
 منصرفين من جهة أنصارهم على زعمهم ومن هذا التضع أن لا سبيل إلى كون المراد بالخائفين المترطون من
 المؤمنين اذ ليس لهم ولي سواء تعالى أيضاً أو الحشر بدون نصرة واعمال الذي يخافونه الحشر بدون نصرة
 عز وجل وقوله تعالى (اعلمهم يتقون) تعليل للامر أي أنذرهم لكي يتقوا الكفر والمعاصي أو حال من ضمير
 الامر أي أنذرهم راجعاً لتقواهم أو من الموصول أي أنذرهم مرجعاً منهم التقوى (ولا تطرد الذين يدعون
 ربهم بالغداة والعشي) لما أمر صلى الله عليه وسلم بالانذار المذكورين لينتظموا في سلك المذنبين ثم صلى الله
 عليه وسلم عن كون ذلك بحيث يؤدي إلى طردهم روى أن رؤساء المشركين قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم
 لو طردت هؤلاء الاعبدوا وأرواح جبابهم يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان وأنصارهم رضى
 الله تعالى عنهم جلسنا اليك وحادثنا فقال صلى الله عليه وسلم ما أنا بطارد المؤمنين فقالوا انهم عنا اذا جئنا
 فإذا قنأنا فقد هم معك ان شئت قال صلى الله عليه وسلم نعم طمعا في ايمانهم وروى أن عمر رضى الله تعالى عنه
 قال له عليه الصلاة والسلام لو فعلت حتى تنظر إلى ما يصيرون وقيل ان عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم
 ابن عدي والحارث بن نوفل وفرصة بن عبيد وعمر بن نوفل وأشرف بن عبد مناف من أهل الكثرة أو أبا طالب
 فقالوا يا أبا طالب لو أن ابن أخيك محمد ايماردموالينا وخلفاءنا وهم عبيدنا وعقائنا كان أعظم في مددنا
 وأدنى لاتباعنا اياه فأتى أبو طالب إلى النبي صلى الله عليه وسلم لحذنه بالذي كلموه فقال عمر رضى الله عنه

لوقعت ذلك حتى تنظر ما الذي يريدون والى ما يصيرون وقال سلمان وخباب فينا نزلت هذه الآية بآاء الا قرع
ابن حابس التميمي وعيينة بن حصن القزاري وعباس بن مرداس وذو وهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي
صلى الله عليه وسلم جالساً مع أناس من ضعفاء المؤمنين فلما رأوه حوله صلى الله عليه وسلم حقرهم فأقوه عليه
الصلاة والسلام فقالوا يا رسول الله لوجلس في صدر المسجد ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم خالسا
وحادثناك وأخذنا عنك فقال صلى الله عليه وسلم ما أنا بطارد المؤمنين قالوا فانا نحب أن نجعل لنا معك مجلساً
نعرف لنا به العرب فضلنا فان وفود العرب تأتيك فنسجي أن ترانا مع هؤلاء الا عبد فاذ نحن جئناك فأقهم
عنا فاذ نحن فرغنا فأقعد معهم ان شئت قال صلى الله عليه وسلم نعم قالوا فاكذب لنا كتاباً فدعا بالصحيفة وبعلي
رضي الله تعالى عنه ليكتب ونحن قعود في ناحية فنزل جبريل عليه السلام بالآية فرى عليه السلام بالصحيفة
ودعا فأتينا وجلسنا عنده وكان نومنه حتى غمى ركبته ركبته وكان يقوم عنا اذا أراد القيام فنزلت
واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى أن تقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني
أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات والمراد بذكر الوقتين الدوام وقيل صلاة الفجر
والعصر وقرئ بالغدوة وقوله تعالى (يريدون وجهه) حال من ضمير يدعون أي يدعونه تعالى مخلصين له
فيه وتقييده به لتأكيده عليه للنبي فان الاخلاص من أقوى موجبات الاكرام المضاد للطرده وقوله
تعالى (ما عليك من حسابهم من شيء) اعتراض وسط بين النبي وجوابه تشريره ودفعاً لما عسى يتوهم
كونه مستوطناً لطردهم من أقاويل الطاعنين في دينهم كدأب قوم نوح حيث قالوا ما نراك اتبعك الا الذين هم
أراذلنا بآدي الرأي أي ما عليك شيء مما من حساب ايمانهم وأعمالهم الباطنة حتى تتصدى له وتبني على ذلك
ما تراه من الاحكام وانما وظيفةك حسبا هو شأن منصب النبوة اعتبار طواها والاعمال واجرا الاحكام على
موجبها وأما باطن الامور فحسابها على العلم بذات الصدور كقوله تعالى ان حسابهم الا على ربي وذكر قوله
تعالى (وما من حسابك عليهم من شيء) مع أن الجواب قد تم بما قبله للمبالغة في بيان انتفاء كون حسابهم
عليه صلى الله عليه وسلم بنظمه في سلا ما لا شبهة فيه أصلاً وهو انتفاء كون حسابيه عليه السلام عليهم على طريقة
قوله تعالى لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وأما ما قبل من أن ذلك لتزليل الجملتين منزلة جملة واحدة لتأدية
معنى واحد على نيج قوله تعالى ولا تزروا زرة وزراً أخرى فغير حقيق بجلالة شأن التزويل وتشديد عليك في الجملة
الاولى للقصد الى إيراد النبي على اختصاص حسابهم به صلى الله عليه وسلم اذ هو الداعي الى تصديقه عليه
الصلاة والسلام لحسابهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى انك لا تأخذ بحسابهم حتى يهلك ايمانهم ويدعوك
الحرص عليه الى أن تطرد المؤمنين وقوله تعالى (فتطردهم) جواب النبي وقوله تعالى (فتتكونون
من الظالمين) جواب النبي وقد جوز عطفه على فتطردهم على طريقة التسيب وليس بذلك (وكذلك فينا
بعضهم ببعض) استئناف مبين لما نشأ عنه ما سبق من النبي وذلك اشارة الى مصدر ما بعده من الضمير
الذي هو عبارة عن تقديمه تعالى لفسق اهل المؤمنين في أمر الدين بتوفيقهم للايمان مع ما هم عليه في أمر الدنيا
من كمال سوء الحال وما فيه من معنى البعد للايدان بعلاوة درجة المشار اليه وبعد منزلته في الكمال والكاف
مقحمة لتأكيده ما أفاده اسم الاشارة من المقامة ومحله في الاصل النصب على أنه نعمت لمصدر مؤكد محذوف
والتقدير فتنا بعضهم ببعض فتونا كائنات مثل ذلك الفتون ثم قدم على الفعل لا فائدة القصر المفيد لعدم القصور
فقط واعتبرت الكاف مقحمة فصارت نفس المصدر المؤكد لا نعمته والمعنى ذلك الفتون الكامل البدع فتنا أي
ابتلينا بعض الناس ببعضهم لافتنوا غيره حيث قدمنا الاخرين في أمر الدين على الاولين المتقدمين عليهم في أمر
الدنيا تقدمت ما كلفا واللام في قوله تعالى (ليقولوا) للعاقبة أي ليقول البعض الاولون مشيرين الى الاخرين
محقرين اهتم نظراً الى ما بينهما من التفاوت الفاحش الدنيوى وتعامياً عملها ومناط التفضيل حقيقة
(أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) بأن وقتهم لاصابة الحسوق ولما يسعدهم عنده تعالى من دونهما ونحن
المتقدمون والرؤساء وهم العبيد والضعفاء وغرضهم بذلك انكار وقوع المن رأسا على طريقة قولهم لو كان
خير ما مسبقونا اليه لا تحقير الممنون عليهم مع الاعتراف بوقوعه بطريق الاعتراض عليه تعالى وقوله تعالى
(أليس الله بأعلم بالشاكرين) رد لقولهم ذلك وابطال له واشارة الى أن مقدار استحقاق الانعام معرفة شأن

النعمة والاعتراف بحق المتم والاستغفار لهم لتقرر عمله البالغ بذلك أي ليس الله بأعلم بالشاكرين لنعمه حتى
 تستبعدوا انعامه عليهم وفيه من الإشارة إلى أن أولئك الضعفاء عارفون بحق نعم الله تعالى في تنزيل
 القرآن والتوفيق للايمان شاكرون له تعالى على ذلك مع التعريض بأن القائلين بمعزل من ذلك كله ما لا يخفى
 (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا) هم الذين نهى عن طردهم وصفوا بالايمان بآيات الله عز وجل كما
 وصفوا بالمداومة على عبادة تعالى بالاخلاص تنبيها على احرازهم لفضيلتي العلم والعمل وتأخير هذا
 الوصف مع تقدمه على الوصف الاقول لما أن مدار الوعد بالرحمة والمغفرة هو الايمان بها كما أن مناط النهي
 عن الطرد فيما سبق هو المداومة على العبادة وقوله تعالى (فقل سلام عليكم) أمر بتبشيرهم بالسلامة
 عن كل مكروه بعد ائذ ارمق عليهم وقيل بتبليغ سلامه تعالى اليهم وقيل بأن يداهم بالسلام وقوله تعالى
 (كتب ربكم على نفسه الرحمة) أي قضاها وأوجبها على ذاته المقدسة بطريق التفضل والاحسان بالذات
 لا بتوسط شيء أما صلاتهم بسعة رحمة تعالى وبئيل المطالب اثر تبشيرهم بالسلامة عن المكروه وقوله
 التوبة منهم وفي التعريض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم اظهار اللطف بهم والاشعار بعله الحكيم
 وقيل ان قوم جاءوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انا اصناد نوباعظا ما فلم يرتد عليهم شيئا فانصرفوا فتركت
 وقوله تعالى (أنه من عمل منكم سوءا) بدل من الرحمة وقرئ بكسر الهمزة على أنه تفسير للرحمة بطريق الاستئناف
 وقوله تعالى (بجهالة) حال من فاعل عمل أي عمله وهو جاهل بحقيقة ما يتبعه من المضار والتقييد بذلك
 للايدان بأن المؤمن لا ياشتر ما يعلم أنه يؤدي الى الضرر وأعماله لتبس بالجهالة (ثم تاب من بعده) أي من بعد عمله
 أو من بعد صفه (وأصل) أي ما أقدمه تداركا وعزما على أن لا يعود اليه أبدا (فانه غفور رحيم) أي فأمره
 أنه غفور رحيم أو قل أنه غفور رحيم وقرئ فانه بالكسر على أنه استئناف وقع في صدور الجملة الواقعة خبرا لمن
 على أنها موصولة أو جوابا لله تعالى أنها شرطية (وكذلك تفصل الآيات) قدمتم انضماما فيه من الكلام أي هذا
 التفصيل البديع تفصل الآيات في صفة أهل الطاعة وأهل الاجرام المصيرين منهم والآخرين (ولتستبين سبيل
 المجرمين) بتأنيث الفعل بناء على تأنيث الفاعل وقرئ بالتذكير بناء على تذكيره فان السبيل مما يذكروا ويؤثت وهو
 عطف على عمله محذوفه للفعل المذكور لم يقصد تعليله بها بعينها وانما قصد الاشعار بأن له فوائد جمة من جعلها
 مذكرا وعلة للفعل مقتدره وعبارة عن المذكور فيكون مستأنفا أي ولتستبين سبيلهم تفعل ما تفعل من التفصيل
 وقرئ بنصب السبيل على أن الفعل متعد وتاؤه للخطاب أي ولتستوضح أنت يا محمد سبيل المجرمين فتعاملهم بما
 يليق بهم (قل اني نهيته) أمر عليه الصلاة والسلام بالرجوع الى مخاطبة المصيرين على الشرا ثم أمر بعامله
 من عداهم من أهل الانذار والتبشير بما يليق بجاهلهم أي قل لهم قطعاً لا طمأعهم الفارغة عن ركونه عليه الصلاة
 والسلام اليهم وبياناً لكون ما هم عليه من الدين هوى محضاً وضلالاً يجتأني صرفت وزجرت بما نصب لي من الأدلة
 وأزل على من الآيات في أمر التوحيد (أن أعبد الذين تدعون) أي عن أداة ما تعبدونه (من دون الله)
 كأنما ما كان (قل) كثر الامر مع قرب العهد اعتناء بشأن المأمورية أو ايذاً بنا باختلاف المقولين من حيث
 ان الاول حكاية لما من جهته تعالى من النهي والثاني حكاية لما من جهته صلى الله عليه وسلم من الانتهاء عما ذكر
 من عبادة ما يعبدونه وانما قيل (لا اتبع أهواءكم) استجها لآلهم وتنصيصاً على أنهم فيما هم فيه تابعون
 لآهواء باطله وليسوا على شيء مما يطلق عليه الدين أصلاً واشعاراً بما يوجب النهي والانهاء وقوله تعالى
 (قد صلت اذن) استئناف مؤكداً لانهما عمانني عنه مقرر لكونهم في غاية الضلال والغواية أي ان اتبع
 أهواءكم فقد ضللت وقوله تعالى (وما أنا من المهتدين) عطف على ما قبله والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة
 على الدوام والاستقرار أي دوام النبي واستقراره لانني الدوام والاستقرار كما مر مراراً أي ما أناني شيء من
 الهدى حين أكون في عدادهم وقوله تعالى (بل اني على بينة) تحقيق للحق الذي عليه رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وبيان لاتباعه ايام ان ابطال الباطل الذي عليه الكفرة وبيان عدم اتباعه والبيعة النجسة الواضحة
 التي تفضل بين الحق والباطل والمراد بها القرآن والوحي وقيل هي الخبيث العقلية أو ما يعتمدها ولا يساعده
 المقام والتسوين للتفخيم وقوله تعالى (من ربي) متعلق بمحذوف هو صفة لبينة مؤكدة لما أفاده
 التسوين من القسامة الذاتية بالقسامة الاضافية وفي التعريض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره

صلى الله عليه وسلم من التشريف ورفع الميزة ما لا يخفى وقوله تعالى (وكذبتم به) اما جملة مستأنفة
 أو حالية بتقدير قد أو بدونه بحسب الاستقبح مضمونها واستبعاد وقوعه مع تحقق ما يقتضى عدمه
 من غاية وضوح البينة والتمهير الجور والبيئة والتذكير باعتبار المعنى المراد والمعنى الى على بيئة عظيمة كائن
 من ربي وكذبتم بها وبما فيها من الاخبار التي من جملتها الوعيد بحسب المعذاب وقوله تعالى (ما عندى
 ما تستجملون به) استئناف مبين لخطئهم في شأن ما جعلوه منشأ التكذيب بهم وهو عدم بحسب ما وعد فيها
 من العذاب الذى كانوا يستجملونه بقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين بطريق الاستمراء أو بطريق
 الالتزام على زعمهم أى ليس ما تستجملونه من العذاب الموعود فى القرآن وتعملون تأخره ذريعة الى تكذيبه
 فى حكمى وقد روى حتى أبى به وأظهر لكم صدقه أو ليس أمره مفعول ضالى (ان الحكم) أى ما
 الحكم فى ذلك تهجيلا وتأخيرا أو ما الحكم فى جميع الاشياء فيدخل فيه ما ذكره من أوليا (الاله)
 وحده من غير أن يكون غيره دخل ما فيه بوجه من الوجوه وقوله تعالى (يقص الحق) أى يتبعه بيان لشؤنه
 تعالى فى الحكم المعهود أو فى جميع أحكامه المنتظمة له انظروا أوليا أى لا يحكم الا بما هو حق فيثبت حقيقة
 التأخير وقرئ يقضى فانتصاب الحق حينئذ على المصدرية أى يقضى القضاء الحق أو على المفعولية أى يصنع
 الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها وأصل القضاء الفصل بتمام الامر وأصل الحكم المنع فكانه
 يمنع الباطل عن معارضة الحق أو الخصم عن التعذى على صاحبه (وهو خير الفاضلين) اعتراض تذييل
 مقترن لضمون ما قبله مشير الى أن نص الحق ههنا بطريق خاص هو الفصل بين الحق والباطل هذا هو الذى
 تستدعيه جزالة التبريل وقد قيل ان المعنى الى من معرفة ربي وأنه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد
 صدق وكذبتم به أنتم حيث أنكرتم به تعالى غيره وأنتم خير بأن مساوئ النظم الكبريم فيما سبق وما لحق
 على وصفهم بتكذيب آيات الله تعالى بسبب عدم بحسب العذاب الموعود فيها فتكذيبهم به سبحانه فى أمر
 التوحيد مما لا تعلق له بالمقام أصلا (قل لو أن عندى) أى فى قدرتى ومكنتى (ما تستجملون به) من العذاب
 الذى ورد به الوعيد بأن يكون أمره مفعول ضالى من جهته تعالى (اقضى الامر بيني وبينكم) أى بأن
 ينزل ذلك عليكم اثر استجمالكم بقولكم متى هذا الوعد ونظائره وفى بناء الفعل للمفعول من الايدان تعين
 الفاعل الذى هو الله تعالى وتمويل الامر ومراعاة حسن الادب ما لا يخفى فما قيل فى تفسيره لاهلككم
 عاجلا غنص الربى ولتخاصمت منكم سر بعا معزل من بوقية المقام حقه وقوله تعالى (والله أعلم بالظالمين)
 اعتراض مقترن بأفادته الجملة الامتناعية من انتفاء ككون أمر العذاب مفعول ضالى الله صلى الله عليه وسلم
 المستتبع لانتفاء قضاء الامر وتعليل له والمعنى والله تعالى أعلم بحال الظالمين وبأنهم مستحقون للامهال
 بطريق الاستدراج تشديد العذاب ولذلك لم يفوض الامر الى فلم يقض الامر بتجليل العذاب والله أعلم
 (وعنده مفتح الغيب) بيان لاختصاص المقدورات الغيبية به تعالى من حيث العلم اثريان اختصاص
 كلها به تعالى من حيث القدرة والمفاتيح اما جمع مفتح بفتح الميم وهو الخزن فهو مستعار لما كان الغيب كأنها
 مخازن خزنت فيها الامور الغيبية بفتح عليها وفتح واما جمع مفتح بكسر هاء هو المفتاح ويؤيده قراءة من قرأ
 مفتح الغيب فهو مستعار لما يتوصل به الى تلك الامور على الاستعانة الاولى أى عنده تعالى خاصة
 خزائن غيوبه أو ما يتوصل به اليها وقوله عز وجل (لا يعلمها الا هو) تأكيد لضمون ما قبله وايدان بأن المراد
 هو الاختصاص من حيث العلم لا من حيث القدرة والمعنى ان ما تستجملونه من العذاب ليس مقدورا الى حتى
 الزمكم بتجليله ولا معلوما لى لا خبركم بوقت نزوله بل هو مما يختص به تعالى قدرة وعلما فينزل حسبما
 تقتضيه مشيئته المنبئة على الحكم والمصالح وقوله تعالى (وبعلم ما فى البر والبحر) بيان لتعلق علمه تعالى
 بالمشاهدات اثرية ان تعلقه بالمغيبات تكمله وتبينها على أن الكل بالنسبة الى علمه المحيط سواء فى الجلاء أى
 يعلم ما فيها من الموجودات مفصلة على اختلاف أجناسها وأنواعها وتكثر افرادها وقوله تعالى (وما نسطر
 من ورقة الا يعلمها) بيان لتعلقه بأحوالها المتغيرة بعد بيان تعلقه بذواتها فان تفصيل حال السقوط
 بالذكريس الا بطريق الاكتفاء بذكريسها عن ذكر سائر الاحوال كما أن ذكر حال الورقة وما عطف عليها خاصة
 دون احوال سائر ما فيها من فنون الموجودات الفاضلة للعصر باعتبار أنها النموذج لاحوال سائرها وقوله

تعالى (ولاحية) عطف على ورقة وقوله تعالى (في ظلمات الارض) متعلق بمحذوف هو صفة
 لحبة مفيدة لئلا يقال نفوذ علمه تعالى أى ولا حية كاشنة في بطون الارض الا يعلمها وكذلك قوله تعالى
 (ولا رطب ولا يابس) معطوفان عليها اذا خلان في حكمها وقوله تعالى (الافى كتاب مبين) يدل من الاستثناء
 الاول بدل الكل على أن الكتاب المبين عبارة عن علمه تعالى أو بدل الاشتغال على أنه عبارة عن اللوح المحفوظ
 وقرئ الاخيران بالرفع عطف على محل من ورقة وقيل رفعهما بالابتداء والخبر الا في كتاب مبين وهو الانسب
 بالمقام اشعول الرطب واليابس حيث نزلما ليس من شأنه السقوط وقد نقل قراءة الرفع في ولا حية أيضا (وهو
 الذي يتوفاكم بالليل) أى ينميتكم فيه على استعارة التوفى من الامانة للانامة لما بين الموت والنوم من المشاركة
 في زوال الاحساس والتمييز وأصله قبض النسي بتمامه (ويعلم ما جرحتم بالنهار) أى ما كتبتم فيه والمراد
 بالليل والنهار الجنس المتحقق في كل فرد من أفرادهما اذا التوفى والبعث الموجودين فيها يتحقق قضاء الاجل
 المسمى المترتب عليها لا في بعضها والمراد بعلمه تعالى ذلك علمه قبل الجرح كما يلوح به تقديم ذكره على البعث أى
 يعلم ما تجرحون بالنهار وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وتخصيص التوفى بالليل والجرح بالنهار مع تحقق
 كل منهما فيما يخص بالآخر للجري على سنن العادة (ثم يبعثكم فيه) أى يوقظكم في النهار عطف على
 يتوفاكم وتوسط قوله تعالى ويعلم الخ بينهم ما بين ما في بعثهم من عظيم الاحسان اليهم بالتنبيه على أن
 ما يكتبونه من السيئات مع كونها موجبة لبقائهم على التوفى بل لاهلاكهم بالمرّة بفيض عليهم الحياة
 ويعلمهم كما ينبغي عنه كلة التراخي كأنه قيل هو الذي يتوفاكم في جنس الليالي ثم يبعثكم في جنس النهار مع علمه
 بما ستجرحون فيها (ايقضى اجل مسمى) معين لكل فرد بحيث لا يكاد يتخطى أحدا ما عين له طرفه عين
 (ثم اليه مرجعكم) أى رجوعكم بالموت لا الى غيره أصلا (ثم يبعثكم بهم بما كنتم تعملون) بالمجازاة
 بأعمالكم التي كنتم تعملون في تلك الليالي والايام وقيل الخطاب مخصوص بالكفرة والمعنى انكم ملقون
 كالحيث بالليل كأسبون للاثام بالنهار وانه تعالى مطلع على أعمالكم يبعثكم الله من القبور في شأن ما قطعتم
 به أعمالكم من النوم بالليل وكسب الاثام بالنهار ليقضى الاجل الذي سماه ونشر به لبعث الموتى وجرائهم على
 أعمالهم وفيه ما لا يخفى من التكلف والاخلال لافضائه الى كون البعث معللا بقضاء الاجل المضروب له
 (وهو القاهر فوق عبادهم) أى هو المتصرف في أمورهم لا غيره يفعل بهم ما يشاء ايجادا واعداءا واهياء
 وامانة وتعذيبا وانابة الى غير ذلك (ويرسل عليكم) خاصة أيها المكلفون (حفظة) من الملائكة وهم
 الكرام الكاتبون وعليكم متعلق بمرسل لما فيه من معنى الاستيلاء وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا
 من الاعتناء بالمقدم وانتشوب الى المؤخر وقيل متعلق بمحذوف هو حال من حفظة اذ لو تأخر لكان صفة أى
 كاتبين عليكم وقيل متعلق بحفظة والمحفوظ محذوف على كل حال أى يرسل عليكم ملائكة يحفظون
 أعمالكم كأنه ما كانت وفي ذلك حكمة جليلة ونعمة جليلة لما أن المكلف اذا علم أن أعماله تحفظ عليه وتعرض
 على رؤس الاشهاد كان ذلك أزجر له من تعاطي المعاصي والقبائح وأن العبد اذا وثق بلطف سيده واعتقد
 على صفوه وستره لم يحتشمه احتشامه من خدمه الواقفين على أحواله وحق في قوله تعالى (حتى اذا جاء أحدكم
 الموت) هي التي يتدأ بها الكلام وهي مع ذلك تجعل ما بعده من الجملة الشرطية غاية لما قبلها كأنه قيل
 ويرسل عليكم حفظة يحفظون أعمالكم مدة حياتكم حتى اذا انتهت مدة أحدكم كأننا من كان وجاءه
 أسباب الموت ومباده (توفته رسلنا) الاسترون المقوض اليهم ذلك وهم ملك الموت وأعوانه وانتهى
 هناك حفظ الحفظة وقرئ توفاه ماضيا أو مضارع بطرح إحدى التائين (وهم) أى الرسل (لا يفرطون)
 أى بالتواني والتأخير وقرئ يخففون الافراط أى لا يجاوزون ما حداهم من زيادة أو نقصان والجملة حال من
 رسلنا وقيل مستأنفة سبقت لبيان اعتنائهم بما أمروا به وقوله تعالى (ثم رددوا) عطف على توفته
 والضمير للكل المدلول عليه بأحدكم وهو السر في مجيئه بطريق الالتفات تغليبا والافراد أقولا والجمع آخر
 لوقوع التوفى على الانفراد والرد على الاجتماع أى ثم رددوا بعد البعث بالحشر (الى الله) أى الى حكمه
 وجزائه في موقف الحساب (مولاهم) أى مالكم الذي يلى أمورهم على الاطلاق لانصرهم كافي قوله
 تعالى وأن الكافرين لا مولى لهم (الحق) الذي لا يقضى الا بالعدل وقرئ بالنصب على المدح (الآل)

الحكم) يومئذ صورة ومعنى لا لاحد غيره بوجه من الوجوه (وهو أسرع الحاسبين) بحاسب جميع الخلائق في أسرع زمان وأقصرو لا يشغله حساب عن حساب ولا شأن عن شأن وفي الحديث أن الله تعالى يحاسب الكل في مقدار حليب شاة (قل من ينحيكم من ظلمات البر والبحر) أي قل تقرير الهم بخطا شر كآتهم عن رتبة الالهية من ينحيكم من شدائد هما الهائلة التي تبطل الخواص وتدesh العقول ولذلك استعير لها الظلمات المبطلة لحاسة البصر يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذوكواكب أو من الخسف في البر والغرق في البحر وقرئ ينحيكم من الانجاء والمعنى واحد وقوله تعالى (تدعون) نصب على الحالية من مفعول ينحيكم والضمير لمن أي من ينحيكم منها حال كونكم داعين له أو من فاعله أي من ينحيكم منها حال كونه مدعوا من جهنمكم وقوله تعالى (تضرعوا وخفية) إما حال من فاعل تدعونه أو مصدر مؤكدة أي تدعونه متضرعين جهارا ومسررين أو تدعونه دعاء اعلان واخفاء وقرئ خفية بكسر الظاء وقوله تعالى (لئن أنجيتنا) حال من التاء على أيضا على تقدير القول أي تدعونه قائلين لئن أنجيتنا (من هذه) الشدة والورطة التي عبر عنها بالظلمات (لنكونن من الشاكرين) أي الراضين في الشكر المداومين عليه لاجل هذه النعمة أو جميع النعماء التي من جانتها هذه وقرئ لئن أنجيتنا مراعاة لقوله تعالى تدعونه (قل الله ينحيكم منها ومن كل كرب) أمر صلي الله عليه وسلم بتقرير الجواب مع كونه من وظائفهم للايذان بأنه متعين عندهم ولبناء قوله تعالى (ثم أنتم تشركون) عليه أي الله تعالى وحده ينحيكم مما تدعونه إلى كشفه من الشدائد المذكورة وغيرها من الغموم والكرب ثم أنتم بعد ما شاهدون هذه النعم الجليلة تشركون بعبادته تعالى غيره وقرئ ينحيكم بالكسفة وقوله تعالى (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا) استئناف مسوق لبيان أنه تعالى هو السادر على التائبين في المهالك اثريان أنه هو المنجي لهم منها وفيه وعيد ضمني بالعذاب لأشراكهم المذكور على طريقة قوله عز وجل "أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر إلى قوله تعالى أم أمنتم أن يبعثكم فيه تارة أخرى الآية وعليكم متعلق بيبعث وتقدم على منه قوله الصريح للاعتناء به والمساوغة إلى بيان كون المبعوث مما يضرهم ولتحويل أمر المؤخر وقوله تعالى (من فوقكم) متعلق به أيضا أو بجدوف وقع صفة له عذابا أي عذابا كأنما من جهة الفوق كما فعل عن فعل من قوم لوط وأصحاب الفيل وأشرابهم (أو من تحت أرجلكم) أو من جهة السفلى كما فعل بفرعون وقارون وقيل من فوقكم أكبركم ورؤسائكم ومن تحت أرجلكم سفلةكم وعبدةكم وكلمة أو لمنع الخلو دون الجمع فلا يمنع لما كان من الجهتين معا كما فعل بقوم نوح (أو يلبسكم شيئا) أي يخلطكم فرقا متميزا بين على أهواء شتى كل فرقة مشايعة لأمم فينشأ بينكم القتال فتختلطوا في الملاحم كقول الحاسبي وكتيبة لبسها بكتيبة * حتى إذا التبتت فنضت لها يدى (ويذيق بعضكم بأس بعض) عطف على يبعث وقرئ بنون العظيمة عن طريقة الالتفات لتحويل الأمر والمبالغة في التحذير والبعض الأول الكفار والآخر المؤمنون فضيه وعدو وعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال عند قوله تعالى عذابا من فوقكم أعوذ بوجهك وعند قوله تعالى أو من تحت أرجلكم أعوذ بوجهك وعند قوله تعالى أو يلبسكم شيئا ويذيق بعضكم بأس بعض هذا أهون أو هذا أيسر وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال سألت ربي أن لا يبعث على أتقى عذابا من فوقهم أو من تحت أرجلهم فأعطاني ذلك وسألت أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنع ذلك (انظر كيف نسرف الآيات) من حال إلى حال (لعلهم يشقهون) كى فقهوا وادبوا على جليلة الأمر فيرجعوا عما هم عليه من المكابرة والعناد (وكذب به) أي بالعذاب الموعود والقرآن الجيد الناطق بمجيئه (قومك) أي المعاندون منهم ولعل أرادهم بهذا العنوان للايذان بكال سوء حالهم فإن تكذيبهم بذلك مع كونهم من قومه عليه الصلاة والسلام مما يفضي بقايتهم عقوبتهم وسكايرتهم وتقدير الجار والجرور على الضاعل لما مر مرارا من اظهار الاهتمام بالقدوم والتشويق إلى المؤخر وقوله تعالى (وهو الحق) حال من الضمير المجرور أي كذبوا به والحال أنه الواقع لا محالة أو أنه الكتاب الصادق في كل ما نطق به وقيل هو استئناف وأيا ما كان فضيه دلالة على عظم جنائهم ونهاية قبحها (قل) لهم منبها على ما يؤول إليه أمرهم وعلى أنك قد أدبت ما عليك من وظائف الرسالة (لست عليكم بوكيل) بحفظ وكل إلى أمركم لا منعكم من التكذيب وأجبركم

على التصديق انما انا منذر وقد خرجت عن العهدة حيث اخبرتكم بما سترونه (الكل نبا) أى لكل شئ نبياً به
 من الانباء التي من جملتها عذابكم أو لكل خبر من الاخبار التي من جملتها خبر مجيئه (مستقر) أى وقت استقرار
 ووقوع البتة أو وقت استقرار بوقوع مدلوله (وسوف تعلمون) أى حال نذكركم في الدنيا وفي الآخرة أو فيهما
 معا وسوف لنا كيد كما في قوله تعالى ولتعلمن نبأه بعد حين (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا) أى بالتكذيب
 والاستهزاء بها والطعن فيها كما هو دأب قريش وديدنهم (فأعرض عنهم) بترك مجالستهم والقيام عنهم وقوله تعالى
 (حتى يخوضوا في حديث غيره) غاية للاعراض أى استمر على الاعراض الى أن يخوضوا في حديث غير آياتنا
 والتذكير باعتبار كونها حديثاً فان وصف الحديث بغيرها مشيراً الى اعتبارها بعنوان الحديثية وقيل باعتبار
 كونها قرآناً (وأما يسنك الشيطان) بأن يشغلك فتنسى النهى فتجالسهم ابتداءً أو بقاءً وقرئ يسنك
 من التنسية (فلا تقعد بعد الذكري) أى بعد تذكر النهى (مع القوم الظالمين) أى معهم فوضع المظهر
 موضع المضمرة نعياناً عليهم أنهم بذلك الخوض ظالمون واضعون للتكذيب والاستهزاء موضع التصديق والتعظيم
 راضون في ذلك (وما على الذين يتقون) روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن المسلمين حين نهوا عن مجالستهم
 عند خوضهم في الآيات قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام ونطوف
 بالبيت فنزلت أى ما على الذين يتقون قيام أعمال الخائضين وأحوالهم (من حسابهم) أى بما يحاسبون عليه
 من الجرائم (من شئ) أى شئ مما على أنه في محل الرفع على أنه مبتدأ وما تميمة أو اسم لها وهي حجازية ومن من يذ
 للاستغراق ومن حسابهم حال منه وعلى الذين يتقون في محل الرفع على أنه خبر للمبتدأ أو لما الحجازية على رأى
 من لا يجيز أعمالها في الخبر المتقدم مطلقاً أو في محل النصب على رأى من يجوز أعمالها في الخبر المتقدم عند كونه ظرفاً
 أو حرف جر (ولكن ذكرى) استدراك من التثنية السابق أى ولكن عليهم أن يذكروهم ويذنبوهم بحماهم عليه من
 القبايح بما أمكن من العظة والتذكير ويظهر والهم الكراهة والتكبر ومحل ذكرى أما النصب على أنه مصدر
 مؤكد للفعل المحذوف أى عليهم أن يذكروهم تذكيراً والرفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر أى ولكن عليهم ذكرى
 (اعلمهم يتقون) أى يجتنبون الخوض حياءً أو كراهة لمساءتهم وقد جوز كون الضمير لله وصول أى يذكروهم رجاء
 أن يثبتوا على تقواهم أو يزدادوها (وذر الذين اتخذوا دينهم) الذي كافوه وأمرؤا بقامة مواجبه (لعبا ولهاوا)
 حيث سخر وابه واستهزؤا وأوبنوا أمر دينهم على ما لا يكاد يتعاطاه العاقل بطريق الجد وانما يصدر عنه لو صدر بطريق
 اللعب واللهو كعبادة الاصنام وتحريم البساتين والسواحب ونحو ذلك والمعنى أعرض عنهم ولا تبال بأفعالهم
 وأقوالهم وقيل هو تهديد لهم كقوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا الآية (وغرتهم الحياة الدنيا) وأطمأنوا بها
 حتى زعموا أن لا حياة بعدها أبداً (وذكر به) أى بالقرآن من يصلح للتذكير (أن تبسل نفس بما كسبت) أى لتلا
 تبسل كقوله تعالى أن تضلوا الآية أو مخافة أن تبسل أو كراهة أن تبسل نفوس كثيرة كما في قوله تعالى علمت نفس
 ما أحضرت وترتهن لسوء عملها وأصل الإبدال والبسل المنع ومنه أسد بلسل لأن فرسته لا تفلت منه أو لأنه
 تمتنع والباسل الشجاع لا تمتناعه من قرنه وهذا بلسل عليك أى حرام ممنوع وقد جوز أن يكون الضمير المجرور
 في به راجعاً الى الإبدال مع عدم جريان ذكره كما في ضمير الشأن وتكون الجملة بدلاً منه مفسراً له لما في الإيهام
 أو لا والتفسير ثانياً من التفضيم وزيادة التقرير كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم بجر حاتم على أنه بدل من ضمير
 جوده فالمعنى وذكركم بارتعان النفوس وحسبها بما كسبت وقوله تعالى (ليس لها من دون الله ولي
 ولا شفيع) استئناف مسوق للخبر بذلك وقيل في محل النصب على أنه حال من ضمير كسبت وقيل في محل
 الرفع على أنه وصف للنفس والظاهر أنه حال من نفس فانه في قوة نفس كافرة أو نفوس كثيرة كما في قوله تعالى
 علمت نفس ما أحضرت ومن دون الله متعلق بمحذوف هو حال من ولي كما بين في تفسير قوله تعالى وأذره
 الآية وقيل هو خير ليس فيكون لها حينئذ متعلقاً بمحذوف على البيان (وأن تعدل) أى ان تعد تلك النفس
 (كل عدل) أى كل فداء على أنه مصدر مؤكد (لا يؤخذ منها) على اسناد الفعل الى الجار والمجرور
 لا الى ضمير العدل كما في قوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل فانه المقضى به لا المصدر كما نحن فيه (اولئك) إشارة الى
 الموصول باعتبار اتصافه بما في جزاء الصلة وما فيه من معنى البعد لا يذان يعدد درجاتهم في سوء الحال ومحل الرفع
 على الابتداء والخبر قوله تعالى (الذين أبسلوا بما كسبوا) والجملة مستأنفة سبقت اثر تحذيرهم

من الابلال المدكور ابيان أنهم المبتلون بذلك أى أولئك المخذون دينهم اعباؤهم والمفترون بالحياة الدنيا هم
الذين ابلوا بما كسبوا وقوله تعالى (اهم شراب من حيم) استئناف آخر مبين لكيفية الابلال المدكور
وعاقبته مبنى على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل ماذا لهم حين ابلوا بما كسبوا فقيل لهم شراب من ماء
مغلى يعرج في بطونهم وتتقطع به أعضاؤهم (وعذاب أليم) بشارتشتعل بأبدانهم (بما كانوا يكفرون)
أى بسبب كفرهم المستمر في الدنيا وقد جوز أن يكون لهم شراب الخ حلال من ضمير ابلوا وترتيب ما ذكر
من العذابين على كفرهم مع أنهم معذبون بسائر معاصيهم أيضا حتما ينطق به قوله تعالى بما كسبوا لانه العدة
في ايجاب العذاب والاهم في باب التحذير أو أريد بكفرهم ما هو أعم منه ومن مستبعاته من المعاصي والسيئات
هذا وقد جوز أن يكون أولئك اشارة الى النفوس المدلول عليها بنفس محله الرفع بالابتداء والموصول الثاني
صفته أو بدل منه ولهم شراب الخ خبره والجملة مسوقة لبيان تبعه الابلال (قل أئذعو من دون الله ما لا يتقنا
ولا يضرننا) قيل نزات في أبي بكر رضى الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاصنام فتوجه الامر الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ لا يذ ان بما بين مامن الاتصال والاتحاد تنويع الشأن الصديق رضى الله
تعالى عنه أى أنعبده تجاوزين عبادة الله الجامع لجميع صفات الألوهية التي من جلتها القدرة على النفع والضر
ما لا يقدر على نفعنا اذا عبدناه ولا على ضررنا اذا تركناه وأدنى مراتب المعبودية المدرة على ذلك وقوله تعالى
(ونزد على أعقابنا) عطف على ندعو داخل في حكم الانكار والنفي أى ونزد الى الشرك والتعبير عنه بالرد
على الاعقاب لزيادة تشبيحه بصورة ما هو علم في السج مع ما فيه من الاشارة الى كون الشرك حالة
قد تركت ونبتت وراء الظهر واشارت نرد على نرد لتوجيه الانكار الى الارتداد برذ الغير تصريحا بمخالفة
المخلين وقطعا لاطماعهم الفارغة وايداننا بأن الارتداد من غير راد ليس في حيز الاحتمال ليجتاح الى نفيه
وانكاره وقوله تعالى (بعد اذ هدانا الله) أى الى الاسلام وأنقذنا من الشرك متعاقبة نرد مسوق لتأكيد
النكير لا تحقيق معنى الرد وتصويره فقط والالهي كفى أن يقال بعد اذ هدانا كأنه قيل ونزد الى الشرك
باضلال المضل بعد اذ هدانا الله الذي لا هادى سواه وقوله تعالى (كالذى استهوت الشياطين) في محل
النصب على أنه حال من مرفوع نرد أى أنرد على أعقابنا منسبهين بالذى استهوت مردة الجن واستغوته
الى المهامة والمهالك أو على أنه نعت لمصدر محذوف أى أنرد كما مثل رد الذى استهوت الخ والاستواء استفعال
من هوى في الارض اذا ذهب فيها كأنها ظلت هوى وحسنت عليه وقرئ استواء بألف عمالة وقوله تعالى
(في الارض) اتماما لعلق باستهوته أو بمحذوف هو حال من مفعوله أى كأننا في الارض وكذا قوله تعالى
(حيران) حال منه على أنهم يبدل من الاولى أو حال ثانية عند من يجيزها أو من الذى أو من المستمكن
في الظرف أى تأثمنا ضالا عن الحدا لا يدري ما يمنع وقوله تعالى (له أصحاب) جملة في محل نصب
على أنها صفة لحيران أو حال من الضمير فيه أو مستأنفة سبقت لبيان حاله وقوله تعالى (يدعونه الى الهدى)
صفة لأصحاب أى لذلك المستوى رفيعة يهدونه الى الطريق المستقيم تسمية له بالمصدر بمبالغة كأنه نفس الهدى
(أنتنا) على ارادة القول على أنه بدل من يدعونه أو حال من فاعله أى يقولون أنتنا وفيه اشارة الى أنهم
مهتدون ثابتون على الطريق المستقيم وأن من يدعونه ليس بمن يعرف الطريق المستقيم ليدعى الى اتباعه
وانما يتركب الداعى ومورد النعيق فقط (هل أن هدى الله) الذى هدانا اليه وهو الاسلام (هو الهدى)
وحده وما عداه ضلال محض ونحو بحت كقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال ونحوه وتكرير الامر للاعتناء
بشأن الأمور به ولأن ما سبق للزجر عن الشرك وهذا حث على الاسلام وهو نوطنة لما بعده فان اختصاص
الهدى بهداه تعالى بما يوجب الامتثال بالامر والامر الواردة بعده (وأمرنا) عطف على ان هدى الله هو الهدى
داخل تحت القول واللام في (لتسلم لرب العالمين) لتعليل الامر المحكى وتعيين ما أريد به من الاوامر
الثلاثة كما في قوله تعالى قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلوة ويؤتوا الزكاة الآية كأنه قيل أمرنا وقيل لنا
أسلوا لاجل أن نسلم وقيل هي معنى الباء أى أمرنا بأن نسلم وقيل زائدة أى أمرنا أن نسلم على حذف الباء
وقوله تعالى (وأن أقيموا الصلوة واتقوا) أى الله تعالى في مخالفة أمره عطف على نل على الوجوه الثلاثة
على أن أن المصدرية اذا وصلت بالامر يتجوز هو عن معنى الامر نحو تجزى الصلاة الفعلية عن معنى المضى

والاستقبال فالعنى على الاول امر نأى قيل لنا أسلموا وأقيموا الصلاة واتقوا الله لاجل أن نسلم ونقيم الصلاة وتقية تعالى وعلى الاخيرين أمر نأى بأن نسلم ونقيم الصلاة وتقية تعالى والتعريض لوصف ربوبية تعالى للعالمين لتعليل الامر وتأكيده وجوب الامتثال به كما أن قوله تعالى (وهو الذى خلق السموات والارض) يريد بخلفه ما خلق ما فيه ما أيضا وعدم التصريح بذلك لظهور اشتغالهما على جميع العلويات والسفليات وقوله تعالى (بالحق) متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خلق أو من مفعوله أو صفة لمصدره المؤكدة أى فاعل بالحق أو ملتبسة بالحق أو خلقا ملتبسة به وقوله تعالى (ويوم يقول كن فيكون قوله الحق) استئناف لبيان أن خلقه تعالى لما ذكر من السموات والارض ليس مما يتوقف على مادة أو مدة بل يتم بمجرد الامر التكويني من غير توقف على شئ آخر أصلا وأن ذلك الامر المتعلق بكل فرد فرد من أفراد المخلوقات فى حين معين من أفراد الاحيان حق فى نفسه متضمن للحكمة ويوم ظرف لمضمون جملة قوله الحق والواو بحسب المعنى داخل عليها وتقديمه عليها للاعتناء به من حيث انه مدار الحقيقة وترك ذكر المقول له للثبوت بغاية ظهوره والمراد بالقول كلمة كن تحقيقا أو تمثيلا كما هو المشهور فالعنى وأمره المتعلق بكل شئ يريد خلقه من الاشياء فى حين تعلقه به لا قبله ولا بعده من أفراد الاحيان الحق أى المشهود له بالحقيقة المعروف بها هذا وقد قيل قوله مبتدأ والحق صفة ويوم يقول خبره مقدما عليه كقولك يوم الجمعة القتال وانتصابه بمعنى الاستقرار وحاصل المعنى قوله الحق كائن حين يقول لشيء من الاشياء كن فيكون ذلك الشئ وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات أو على الضمير فى وانقروه أو بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدأ وخبر أو فاعل يـ يكون على معنى حين يقول لقوله الحق أى لقضائه الحق كن فيكون والمراد حين يكون الاشياء ويحدثها أوحين تقوم القيامة فيكون التكوين حشر الاجساد واحياءها فتأمل حق التأمل (وله الملك يوم ينتخ فى الصور) تنبيها لاختصاص الملك به تعالى بذلك اليوم مع عموم الاختصاص بجميع الاوقات افاية ظهور ذلك بانقطاع العلائق المجازية الكامنة فى الدنيا المصححة للمالكية المجازية فى الجملة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار (عالم الغيب والشهادة) أى هو عالمهما (وهو الحكيم) فى كل ما يفعله (الخبير) بجميع الامور الجلية والخفية (واذ قال ابراهيم) منصوب على المفعولية بمنزلة خطب به النبي عليه الصلاة والسلام معطوف على قل أندعوا لى أقيموا كما قيل لفساد المعنى أى واذكرهم بعدما أنكرت عليهم عبادة ما لا يقدر على نفع وضرر وحقت أن الهدى هو هدى الله وما يتبعه من شؤنه تعالى وقت قول ابراهيم الذى يدعون أنهم على ملته موجها (لا يـ آزر) على عبادة الاصنام فان ذلك مما يكرههم ويأذى بفساد طريقهم وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصودة لما مر مرارا من المبالغة فى ايجاب ذكرها وآزر برزئة آدم وعابر وعازرو فالغ وكذلك تارح ذكره محمد بن اسحق والفسح والكلبي وكان من قرية من سواد الكوفة ومنع صرفه للجمعة والعلية وقيل اسمه بالسريانية تارح وآزر لقبه المشهور وقيل اسم صنم لقب هو به للزومه عبادة فهو عطف ببيان لا يـ أو بدل منه وقال الفصح المعناه الشيخ الهرم وقال الزجاج الخطي وقال الفراء وسليمان التميمي المعوج فهو نعت له كما اذا جعل مشتقا من الازر والوزر وأريد به عابد آزر على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقرئ آزر على النداء وهو دليل العلية اذ لا يحذف حرف النداء الا من الاعلام (أتخذ) متعددا الى مفعولين هما (أصناما آلهة) أى أفعلاها لنفسك آلهة على توجيه الانكار الى اتخاذ الجنس من غير اعتبار الجمعية وانما ابراد صيغة الجمع باعتبار الوقوع وقرئ آزر بفتح الهمزة وكسر هاء بعد همزة الاستفهام وزا سأكنة وراة ممنونة منصوبة وهو اسم صنم ومعناه أتعبد آزرا ثم قيل اتخذ أصناما آلهة تـ بذلك وتقرر اوهو داخل تحت الانكار لكونه بياناً له وقيل الازر القوة والمعنى ألاجل القوة والمظاهرة اتخذ أصناما آلهة انكارا التعززه بها على طريقة قوله تعالى أيتبعون عندهم العزة (انى أراك وقومك) الذين يتبعونك فى عبادتها (فى ضلال) عن الحق (مبين) أى بين كونه ضلالا لا اشتباه فيه أصلا والرؤية اما علمية فالطرف مفعولها الثانى واما بصرية فهو حال من المفعول والجملة لتعليل للانكار والتوبيخ (وكذلك نرى ابراهيم) هذه الاراءة من الرؤية البصرية المستفارة للمعرفة ونظرا البصرية أى عرفناه وبصرناه وصيفة

الاستقبال حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها وذلك اشارة الى مصدر نرى لاي اراة اخرى مفهومة
 من قوله اني اراك وما فيه من معنى البعد للايدان بعلى درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكما عزم بذلك
 وانظامه بيده في سالك الامور المشاهدة والكاف لنا كيدما افاده اسم الاشارة من الغنامة ومحملها في الاصل
 النصب على انه نعت لمصدر محذوف وأصل التقدير نرى ابراهيم اراة كاشنة مثل تلك الاراة فتقدم على الفعل
 لا فائدة القصر واعتبرت الكاف مقبحة لانه كذا كورة فصار المشار اليه نفس المصدر المؤكد لانعتاله
 أي ذلك التبصير البديع تبصره عليه السلام (ملكووت السموات والارض) أي ربوبيته تعالى
 وما ملكيته لهما وسلطانه القاهر عليهما وكونهما عابقيهما مر بوباء على كاله تعالى لا تبصرا آخر أدنى منه والملكوت
 مصدر على زنة المبالغة كالرهيب والجيبروت ومعناه الملك العظيم والسلطان القاهر ثم هل هو مختص
 بملك الله عز سلطانه أولا فقد قيل وقيل والا قول هو الاظهر وبه قال الراغب وقيل ملكووتهم ما عابقيهم
 وبداية روي أنه كشف له عليه السلام عن السموات والارض حتى العرش وأسفل الارضين وقيل آياتهما
 وقيل ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والاشجار والبحار وهذه الاقوال
 لا تقتضي أن تكون الاراة بصرية اذ ليس المراد بارادة ما ذكر من الامور الحسية مجردة عن كونه عليه السلام
 من ابصارها ومشاهدتها في أنفسها بل اطلاعه عليه السلام على حقائقها وتعر يفهما من حيث دلالتها على شؤنه
 عز وجل ولا ريب في أن ذلك ليس مما يدرك حسا كما ينبغي عنه اسم الاشارة المتصريح عن كون المشار اليه أمرا
 بديعا فان الاراة البصرية المعتادة بعزل من تلك المناسبة وقري ترى بانها واسناد الفعل الى الملكوت
 أي تبصره عليه السلام دلالة الربوبية واللام في قوله تعالى (وايكون من الموقفين) متعلقة بمحذوف مؤخر
 والجملة اعتراض مقتر لما قبلها أي وايكون من زمرة الراخين في الايقان السالفة درجة عين اليقين من معرفة
 الله تعالى فعلنا ما فعلنا من التبصير البديع المذكور لا محالة آخر فاق الوصول الى تلك الغاية القاصية كمال
 مقرب على ذلك التبصير لا عنده وليس القصر لبيان انحصار فائدته في ذلك وكيف لا وارشاد الخلق والزمان
 المشركين كما سيأتي من فوائد بلاهية بل لبيان أنه الاصل الاصيل والباقي من مستنبهاته وقيل هي متعلقة
 بالفعل السابق والجملة معطوفة على عله أخرى محذوفة ينسحب عليها الكلام أي يستدل بها وليكون الخ
 فينبغي أن يراد على كونهما بآياتهما الا الاستدلال من غايات اراة من غايات اراة نفس الربوبية
 وقوله تعالى (فما بين عليه الليل) على الاول وهو الحق المبين عطف على قال ابراهيم داخل تحت ما أمر
 به كرمب الامر بد كروقه وما بينهما اعتراض مقتر لما سبق وما الحق فان تعرفه عليه السلام ربوبيته وما ملكيته
 للسموات والارض وما فيهما وكون الكل مقهورا تحت ملكوته مقفرا اليه في الوجود وسائر ما يترتب عليه
 من الكليات وكونه من الراخين في معرفة شؤنه تعالى الواصلين الى ذروة عين اليقين بما يقتضي بأن يحكم عليه
 السلام باستحالة الهية مادوا سبحانه من الاصنام والكواكب وعلى الثاني هو تفصيل لما ذكر من اراة
 ملكوت السموات والارض وبيان لكيفية استدلاله عليه السلام ووصوله الى رتبة الايقان ومعنى جن
 عليه الليل ستره بظلامه وقوله تعالى (رأى كوكبا) جواب لما قال رؤيته انما يتحقق بزوال نور الشمس
 عن الحس وهذا صريح في أنه لم يكن في ابتداء الطلوع بل كان غيبته عن الحس بطريق الاضعاف لال بنور
 الشمس والتحقيق أنه كان قريبا من الغروب كما ستعرفه قيل كان ذلك الكوكب هو الزهرة وقيل هو المشتري
 وقوله تعالى (قال هذا ربي) استئناف مني على سؤال نشأ من الشرطية السابقة المنفردة على بيان اراة
 عليه السلام ملكوت السموات والارض فان ذلك مما يحمل السامع على استكشاف ما ظهر منه عليه السلام
 من آثار تلك الاراة وأحكامها كانه قيل فماذا صنع عليه السلام حين رأى الكوكب فقيل قال على سبيل
 الوضع والفرض هذا ربي مجازاة مع أبيه وقومه الذين كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فان المستدل
 على فساد قول يحكمه على رأى خصمه ثم يكثر عليه بالابطال ولعل سلوك هذه الطريقة في بيان استحالة ربوبية
 الكواكب دون بيان استحالة الهية الاصنام لما أن هذا أخفى بطلانا واستحالة من الاول فلو صدق بالحق
 من أول الامر كما فعله في حق عبادة الاصنام لتمادوا في المكابرة والعناد وبلوا في طغيانهم بعمهون وقيل قاله
 عليه السلام على وجه النظر والاستدلال وكان ذلك في زمان مرأته وأول أو ان بلوغه وهو مبني على تفسير

المذكورة بما أتت ما وعطف قوله تعالى ليكون على جاذ كرم من العلة المقترنة وجعل قوله تعالى فلما جن الخ
 تفصيلا لما ذكر من الآراء وبينا الكيفية الاستدلال وأنت خبير بأن كل ذلك مما يحل بحجالة التظم الجليل
 وجلالة منصب التليل عليه الصلاة والسلام (فلما أفل) أي غرب (قال لأحب الأتقين) أي الأرباب
 المتقنين من مكان إلى مكان المتغيرين من حال إلى حال المحققين بالاستارقاتهم بمنزل من استحقاق الربوبية قطعا
 (فلما رأى القمر بارعا) أي مبتدئا في الطلوع اثر غروب الكوكب (قال هذاري) على الأسلوب السابق
 (فلما أفل) كما أفل النجم (قال ثم لم يدهرني) إلى جنبه الذي هو الحق الذي لا يحد عنه (لا يكون
 من القوم السابقين) فإن شيئا مما رأيت لا يليق بالربوبية وهذا مباغلة منه عليه السلام في اظهار النصفة
 وعلله عليه السلام كان اذ ذلك في موضع كان في جانبه الغربي جبل شامخ يستقر به الكوكب والقمر وقت الظهور
 من النهار أو بعده بتليل وكان الكوكب قريبا منه وأنته انشرف في مكشوف أولا والافطالوع القمر بعد أقول
 الكوكب ثم أقوله قبل طلوع الشمس كما في قوله تعالى (فلما رأى الشمس بازغة) أي مبتدئة في الطلوع
 مما لا يكاد يتصور (قال) أي على النهج السابق (هذاري) وانما لم يؤت لما أن المشار إليه والمحكموم
 عليه بالربوبية هو الجرم المشاهد من حيث هو لا من حيث هو مسمى باسم من الاسامي فضلا عن حبيثة تسميته
 بالشمس أولئك كبر الخبر وصيانة الرب عن وصمة التأييد وقوله تعالى (هذا أكبر) تأكيد لما رآه عليه
 السلام من اظهار النصفة مع اشارة خفية الى فساد دينهم من جهة أخرى بيان أن الأكبر أحق بالربوبية
 من الأصغر (فلما أفلت) هي أيضا كما أفل الكوكب والقمر (قال) مخاطبا للكل صادعا بالحق بين أظهرهم
 (يا قوم اني بري مما تشركون) أي من الذي تشركونه من الاجرام المحدثه المنيرة من حالة إلى أخرى المسخرة
 لخدمتها أو من اشراككم وترتيب هذا الحكم وتطهيره على القول دون البروز والظهور من ضروريات سوق
 الاحتجاج على هذا المساق الحكيم فإن كلامه ما وان كان في نفسه اتقا لا منافيا للاستحقاق وهو روضه
 للربوبية فطعا لكن لما كان الاول حالة موجبة لظهور الاثار والاحكام ملائمة لتوهم الاستحقاق في الجلة
 رتب عليها الحكم الاول على الطريقة المذكورة وحيث كان الثاني حالة متضمنة لانطواء اس الاثار وبطالان
 الاحكام المتناقضين للاستحقاق المذكور من اقامة ينة يكاد يعترف بها كل مكابر عنيد رتب عليها ما رتب ثم لما
 تراءى عليه السلام منهم توجه الى مبدع هدى المصنوعات ومنشأ فقال (انني وجهت وجهي للذي فطر السموات
 التي هذه الاجرام التي تعبدونها من اجرائها (والارض) التي تقيسها هي فيها (حينما) أي ما تلاعن الاديان
 الباطلة والعقائد الزائفة كلها (وما آمنوا من المشركين) في شيء من الافعال والاقوال (وحاجه قومه)
 أي شرعوا في مغالبتة في أمر التوحيد (قال) استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية محاجتهم كأنه
 قيل فإذ قال عليه السلام حين اجتمع قتييل قال منكر الما اجتمعوا عليه من محاجته مع قصورهم عن ذلك
 اربة وعزة المطلب وقوة الخصم (أتعاجوني في الله) بادغام نون الجمع في نون الوفاة وقرئ بجذف الاولى وقوله
 تعالى (ودهدان) حال من ضمير المتكلم مؤكدة للاسكار فإن كونه عليه السلام مهديا من جهة الله تعالى
 ومؤيد امن عنده مما يوجب استحالة محاجته عليه السلام أي اعتقاد لوثي في شأنه تعالى ووجدانته والحال
 أنه تعالى هدا في الحق به سد ما سلك طريقكم بالفرض والتقدير وبين بطلانها عينا تاما كما شاهدوه
 وقوله تعالى (ولا أخاف ما تشركون به) جواب عما خرفوه عليه السلام في أنشاء المحاجة من اصابة مكروه
 من جهة أصنامهم كما قال لهود عليه السلام قومه ان نقول الا اعتدوا بهض الهناب وولعهم فلو اذ لك حين
 فعل عليه السلام بالهتهم ما فعل وما موصولة اسمية حذف عاذا وقوله تعالى (الآن يشاء ربي شيئا) استثناء
 مفترغ من أعم الاوقات أي لا أخاف ما تشركون به سبحانه من معبوداتكم في وقت من الاوقات الا في وقت
 مشائته تعالى شأن من اصابة مكروه من جهتها وذلك انما هو من جهته تعالى من غير دخل لاهتكم فيه
 أصلا في التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام اظهار منه تفاديه سبحانه
 وتعالى واستسلام لامره واعتراف بكونه تحت ملكوته وربوبيته وقوله تعالى (وسع ربي كل شيء علما) كأنه
 تعديل للاستثناء أي أحاط بكل شيء علما فلا يبعد أن يكون في علمه تعالى أن يحجب بي مكروه من قبلها بسبب

قوله وقت الظهور هكذا في النسخ
 ولعله وقت الظهور أي وقت ظهور
 الكوكب أو القمر حال كون
 هذا الوقت من النهار أو بعده
 أي بعد وقت الظهور قليل ولا
 نافاه قوله تعالى فلما جن عليه الليل
 وقوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة
 تأمل له مصحح

أى أقرضون عن التأمل في أن آلهنكم جهادات غير قادرة على شئ تمام من نفع ولا ضرر فلا تشذكرون أنها
غير قادرة على اضراى وفي إيراد التذكرون التفكير وتناثره إشارة الى أن أمر أسنامهم مركوز في العقول
لا يوقف الاعلى التذكرون وقوله تعالى (وكيف أخاف ما أشركتم) استئناف مسوق لئلى الخوف منه عليه السلام
بحسب زعم الكفرة بالطريق الإلزامى كما سيأتى بعد نفيه عنه بحسب الواقع ونفس الأمر والاستغناء بالانكار
الواقع ونفيه بالكيفية كما فى قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله الآية لا لانكار الواقع وامتنعاده
مع وقوعه كما فى قوله تعالى كيف تكفرون بالله الخ وفي توجيه الانكار الى كيفية الخوف من المبالغة
ما ليس فى توجيهه الى نفسه بأن يقال أنا أخاف لما أن كل موجود يجب أن يكون وجوده على حال من
الاحوال وكيفية من الكيفيات قطعاً فإذا اتى جميع أحواله وكيفية فقد اتى وجوده من جميع الجهات
بالطريق البرهانى وقوله تعالى (ولا تخافون أنكم أشركتم بالله) حال من ضمير أخاف بتقدير مبتدا والوار
كافية فى الربط من غير حاجة الى ضمير العائد الى ذى الحال وهو مقترولاً لانكار الخوف ونفيه عنه عليه
السلام ومفيد لا عترافهم بذلك فانهم حيث لم يخافوا فى محل الخوف فلا أن لا يخاف عليه السلام فى محل
الامن أولى وأحرى أى وصيف أخاف أنا ما ليس فى حيز الخوف أصلاً وأنتم لا تخافون غائلة ما هو أعظم
المخوفات وأهولها وهو إشراككم بالله الذى ليس كمثل شئ فى الأرض ولا فى السماء ما هو من جملة مخلوقاته
وانما عبر عنه بقوله تعالى (ما لم ينزل به) أى بإشراكه (عليكم سلطاناً) على طريقة التكميم مع الإيدان بأن الأمور
الدينية لا يعقل فيها الاعلى الحجة المنزلة من عند الله تعالى وفى تعليق الخوف الثانى بإشراكهم من المبالغة
ومراعاة حسن الادب ما لا يخفى هذا وأما ما قيل من أن قوله تعالى ولا تخافون الخ معطوف على أخاف
داخل معه فى حكم الانكار والتعجب فما لا سبيل اليه أصلاً لا فضاءه الى فساد المعنى قطعاً وكيف لا
وقد عرفت أن الانكار بمعنى النفى بالكيفية فيؤول المعنى الى نفى الخوف عنه عليه الصلاة والسلام ونفى نفيه
عنهم وانه بين الفساد وحمل الانكار فى الأول على معنى نفى الوقوع فى الثانى على استبعاد الواقع عما لا مسأله
على أن قوله تعالى (فأى الفريقين أحق بالامن) ناطق بطلانه حقاً فانه كلام مرتب على انكار خوفه
عليه الصلاة والسلام فى محل الامن مع تحقق عدم خوفهم فى محل الخوف مسوق لاجلهم الى الاعتراف
باستحقاقه عليه الصلاة والسلام لما هو عليه من الامن وبعدم استحقاقهم لما هم عليه وانما جىء بصيغة
التفضيل المشعرة باستحقاقهم له فى الجملة لاستئصالهم عن رتبة المكابرة والاعتصاف بسوق الكلام على من
الانصاف والمراد بالفريقين الفريقين الآمن فى محل الامن والفريق الآمن فى محل الخوف فأية ارماء عليه
النظم الكريم على أن يقال فأى حق بالامن انما أتم لتأكيد الاجابة الى الجواب الحق بالتبنيى على علة
الحكم والتفادى عن التصريح بخطئهم بالجرىء الاحتراز عن تركية النفس (ان كنتم تعلمون) المفعول
اتما محذوف تعويلاً على ظهوره بمعونة المقام أى ان كنتم تعلمون من أحق بذلك أو قصد الى التعميم أى ان كنتم
تعلمون شيئاً واتمتموا بالمرأة أى ان كنتم من اولى العلم وجواب الشرط محذوف أى فأخبروني (الذين آمنوا)
استئناف من جهته تعالى بين للجواب الحق الذى لا حجة عنه أى الفريق الذين آمنوا (ولم يلبسوا ايمانهم)
ذلك أى لم يخلطوه (بظلم) أى بشرك كما يفعله الفريق المشركون حيث يزعمون أنهم يؤمنون بالله عز وجل
وأن عبادتهم للاصنام من ثقات ايمانهم وأحكامه لكونها لاجل التقريب والشفاعة كما قالوا مانعدهم
الالبقر بونا الى الله زانق وهذا معنى الخلط (اولئك) إشارة الى الموصول من حيث اوصافه بما فى حيز الصلة
وفى الإشارة اليه بعد وصفه بما ذكرنا ان بأنهم تميزوا بذلك عن غيرهم وانتظموا فى سلك الامور المشاهدة
وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم فى الشرف وهو مبتداً ثان وقوله تعالى (لهم الامن)
جملة من خبر مقدم ومبتداً وخبر وقع خبر الاولك وهو مع خبره خبر للمبتداً الاول الذى هو الموصول ويجوز
أن يكون أولئك بدل امن الموصول أو عطف بيان له ولهم خبر للموصول والامن فاعل للظرف لاعتماده على
المبتداً ويجوز أن يكون لهم خبراً متبداً وبالجملة خبراً للموصول ويجوز أن يكون أولئك مبتداً
ثانياً ولهم خبر والامن فاعل له وبالجملة خبراً للموصول أى أولئك الموصوفون بما ذكر من الايمان الخالص
عن شوب الشرك لهم الامن فقط (وهم مهتدون) الى الحق ومن عداهم فى ضلال مبين روى أنه لما نزلت

الآية شق ذلك على العصاة رضوان الله عليهم وقالوا أينالم يظلم نفسه فقال عليه الصلاة والسلام ليس ما تظنون
 انما هو ما قال ايمان لاتبه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك الظلم عظيم وليس الايمان به أن يصدق بوجود الصانع
 الحكيم ويحفظ به هذا التصديق الاشرار به وليس من قضية الخلط بقاء الاصل بعد الخلط حقيقة وقيل المراد بالظلم
 المعصية التي تفسق صاحبها والظاهر هو الاول لوروده مورد الجواب عن حال الفريقين (وتلك) اشارة الى
 ما احتج به ابراهيم عليه السلام من قوله تعالى فلما جئنا وقيل من قوله أتتجافون الى قوله مهتدون وما في اسم
 الاشارة من معنى البعد لتفخيم شأن المشار اليه والاشعار به ولو طبقته ومعومه نزله في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى
 (جئنا) خبره وفي اضافتها الى نون العظمة من التفخيم ما لا يجنى وقوله تعالى (آتيناه ابراهيم) أي أرشدناه
 اليها أو علمناه اياها في محل النصب على أنه حال من جئنا والعامل فيها معنى الاشارة كما في قوله تعالى قد كنت
 بيوتهم خاوية عما ظلموا أو في محل الرفع على أنه خبر ثان أو هو الخبر وجئنا بدل أو بيان للمبتدأ و ابراهيم مفعول
 أول لا آتيناه تقدم عليه الثاني لكونه ضميرا وقوله تعالى (على هومه) متعلق بجئنا ان جعل خبر الثالث
 أو بمحذوف ان جعل بدلا أي آتيناه ابراهيم حجة على قومه وقيل بقوله آتيناه (نرفع) ينون العظمة وقرئ
 بالياء على طريقة الالتفات وكذا الفعل الاتي (درجات) أي رتبا عظيمة عالية من العلم والحكمة
 واتصاها على المصدرية أو الظرفية أو على نزع الخافض أي الى درجات أو على التمييز والمفعول قوله تعالى
 (من نشاء) وتأخيرها على الوجوه الثلاثة الاخيرة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ومفعول
 المشيئة محذوف أي من نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المعطية وابتداء صيغة الاستقبال
 للدلالة على أن ذلك سنة مستمرة جارية فيما بين المصطفين الاخيار غير مختصة بابراهيم عليه السلام وقرئ بالاضافة
 الى من والجملة مسبوقة مسبوقة لما قبلها لا محل لها من الاعراب وقيل هي في محل النصب على أنها حال
 من فاعل آتيناه أي حال كوننا رافعين الخ (ان ربك حكيم) في كل ما فعل من رفع وخفض (عليه) بحال
 من رفعه واستعداده له على مراتب متفاوتة والجملة تعليل لما قبلها وفي وضع الرب مضافا الى ضميره عليه السلام
 موضع نون العظمة بطريق الالتفات في تضاعيف بيان أحوال ابراهيم عليه السلام اظها وان يزيد لطف وعناية به
 عليه السلام (ووديناها اسحق ويعقوب) عطف على قوله تعالى وتلك جئنا الخ فان عطف كل من الجملة
 الفعلية والاسمية على الاخرى مما لا نزاع في جوازها ولا ماساغ لمطابقة على آتيناه لان له محلا من الاعراب نصبا
 ورفعا حسبما بين من قبل فلو عطف هذا عليه لكان في حكمه من الحالية والخبرية المستدعيتين للرباط
 ولا سبيل اليه ههنا (مفعول لما بعده) وتقديره عليه للقصر لكن لا بالنسبة الى غيرهما مطلقا بل
 بالنسبة الى أحد هما أي كل واحد منهما (هدينا) لأحدهما دون الآخر ترك ذكر المهدي اليه لظهوره
 أنه الذي أوتي ابراهيم وأنها مقتديان به (ونوحا) منصوب بضمير يفسره (هدينا من قبل) أي من قبل
 ابراهيم عليه السلام عده هداية نعمة على ابراهيم عليه السلام لان شرف الوالد سار الى الولد (ومن ذريته)
 الضمير لابراهيم لان مساق النظم الكريم لبيان شؤنه العظيمة من اتياء الحجة ورفع الدرجات وهبة الاولاد
 الانبياء وابقاء هذه الكرامة في نسله الى يوم القيامة كل ذلك لا يرام من ينقي الى ملته عليه السلام
 من المشركين واليهود وقيل لنوح لانه أقرب ولان يونس ولو طأ الياس من ذرية ابراهيم فلو كان الضمير له لاختص
 بالمعدودين في هذه الآية والتي بعدها وأما المذكورون في الآية الثالثة فعطف على نوحا وروى عن ابن عباس
 ان هؤلاء الانبياء كلهم مضافون الى ذرية ابراهيم وان كان منهم من لم يلحقه بولاده من قبل أم ولا أب لان لو طأ
 ابن أخي ابراهيم والعرب تجعل الم أبابكم كما أخبر الله تعالى عن أبناء يعقوب أنهم قالوا نعبد الهك واله
 آباءك ابراهيم واسماعيل واسحق مع أن اسمعيل عم يعقوب (داود وسليمان) منصوبان بضمير مضموم محاسن
 وكذا ما عطف عليهما وبه اتفاق من ذريته وتقديره على المفعول الصريح للاهتمام بشأنه مع ما في المفاعيل
 من نوع طول رعايته تأخيرها بجاوب النظم الكريم أي وهدينا من ذريته داود وسليمان (وأيوب)
 هو ابن اموص من أسباط عيص بن اسحق (يوسف وموسى وهرون) أو بمحذوف وقع حالا من المذكورين
 أي وهدينا لهم حال كونهم من ذريته (وكذلك) اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم من جزاء ابراهيم
 عليه السلام ومحمل الكاف النصب على أنه نعت لمصدر محذوف وأصل التقدير (لجزي المحسنين) جزاء

مثل ذلك الجزاء والتقديم للقصر وقد مر تحقيقه مرارا والمراد بالمحسنين الجففس وبما ناله جزائهم بلزانه عليه السلام مطلق المشابهة في مقابلة الاحسان بالاخص والمكافأة بين الاعمال والاجزية من غير يخص لا المماثلة من كل وجه ضرورة أن الجزاء بكثرة الاولاد الانبياء مما اختص به ابراهيم عليه السلام والاقرب أن لام المحسنين للهدى وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وهو عبارة عما أوتي المذكورون من فنون الكرامات وما فيه من معنى البعد للايدان بعلو طبقته والكاف لتأكيدها بأفاده اسم الاشارة من القفامة ومحالها في الاصل النصب على أنه نعمت لمصدر ومحدوف وأصل التقدير ونجزي المحسنين المذكورين جزاء كما نسا مثل ذلك الجزاء فقدم على الفعل لا فائدة القصر واعتبرت الكاف مقبحة للنكتة المذكورة فصار المشار اليه نفس المصدر والمؤكد لانعزاله أي وذلك الجزاء البديع نجزي المحسنين المذكورين لاجزاء آخر أدنى منه والاطهار في موضع الاضمار للشناء عليهم بالاخصان الذي هو عبارة عن الاتيان بالاعمال الحسنة على الوجه اللائق الذي هو حسنهما اوصفي المقارن لحسنها الذي وقد فسر عليه الصلاة والسلام بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة اعتراضية مقترنة لما قبلها (وزكريا) هو ابن آذن (ويحيى) ابنه (وعيسى) هو ابن مريم وفيه دليل بين على أن الذرية تتناول اولاد البنات (والياس) قيل هو ادريس جذوح فبكون البيان مخصوصا بهن في الآية الاولى وقيل هو من أسباط هرون أخى موسى عليهما السلام (كل) أي كل واحد من أولئك المذكورين (من الصالحين) أي من الكاملين في الصلاح الذي هو عبارة عن الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي والجملة اعتراضية على لثناء عليهم بالصلاح (واسماعيل واليسع) هو ابن اخطوب بن العجوز وقرئ واليسع وهو على القراءة تين علم أعجمي أدخل عليه اللام ولا اشتقاق له ويقال انه يوشع بن نون وقيل انه منقول من مضارع وسع واللام كما في يزيد في قول من قال

رأيت الوليد بن يزيد مباركا * شديدا بأعباء الخلافة كاهله

(ويونس) هو ابن متى (ولوطا) هو ابن هاران ابن أخى ابراهيم عليه السلام (وكلا) أي وكل واحد من أولئك المذكورين (فضلنا) بالنسبة لابعضهم دون بعض (على اعمالهم) على عالمي عصرهم والجملة اعتراضية كاختيها وقوله تعالى (ومن آياتهم وذرياتهم واخوانهم) اقامة لعلاقة بما تعلق به من ذريته ومن ابتدائية والمفعول محدوف أي وهديناهم آياتهم وذرياتهم واخوانهم جماعات كثيرة واتمام عطوف على كلا ومن تبعيته أي وفضلنا بعض آياتهم الخ (واجتيناهاهم) عطف على فضلنا أي اصطفيناهاهم (وهديناهم الى صراط مستقيم) تكرر للتأكيد وتعميد لبيان ما هدى اليه (ذلك) اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم من مصادر الافعال المذكورة وقيل الى ما دأبوا به وما في ذلك من معنى البعد لما مر مرارا (هدى الله) الاضافة للتشريف (يهدي به من يشاء من عباده) وهم المستعدون للهداية والارشاد وفيه اشارة الى أنه تعالى متفضل بالهداية (ولو أشركوا) أي هؤلاء المذكورون (لحبط عنهم) مع فضلهم وعلو طبقاتهم (ما كانوا يعملون) من الاعمال المرضية الصالحة فكيف بمن عداهم وهم وأعمالهم (أولئك) اشارة الى المذكورين من الانبياء الثمانية عشر والمعطوفين عليهم عليهم السلام باعتبار انصافهم بما ذكر من الهداية وغيرها من النعمات الجليلة الثابتة لهم وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة من الايدان بعلو طبقتهم وبعدم منزلتهم في الفضل والشرف وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب) أي جنس الكتاب المتحقق في ضمن أي فرد كان من أفراد الكتب السماوية والمراد بآياته التفهيم التام بما فيه من الحقائق والفكرين من الاحاطة بالجماليات والحقائق أعم من أن يكون ذلك بالانزال ابتداء أو بالارث بقاء فان المذكورين لم ينزل على كل واحد منهم كتاب معين (والحكم) أي الحكمة أو فضل الامر على ما يقتضيه الحق والصواب (والنبوة) أي الرسالة (فان يكفروا) أي بهذه الثلاثة أو بالنسبة الجامعة للباقيين (هؤلاء) أي كفار قريش فانهم بكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه من القرآن كافرون بما يستحقه جميعا ونقديم الجواز والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر (فقد وكلناهم) أي أمرنا بجمع اعانتها ووقفنا للايمان بها والقيام بحقوقها (قوما اليها يكافرون) أي في وقت من الاوقات بل مستمرين على الايمان بها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تفيد دوام الثبوت كذلك السلبية تفيد دوام النفي

بمعونة المقام لا تقي الدوام كما حقق في مقامه قال ابن عباس ومجاهد رضي الله تعالى عنهم ما هم الا نصار وأهل
 المدينة وقيل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقيل كل مؤمن من بني آدم وقيل الفرس فان كلامنا هؤلاء
 الطوائف موقوفون للايمان بالانبياء وبالكتب المنزلة اليهم عاملون بما فيها من أصول الشرائع وقروعهما
 الباقية في شريعتنا وبه يتحقق الخروج عن عهدة التوكيل والتكليف دون المنسوخة منها فانها بائنا نسخها
 خارجة عن كونها من أحكامها وقدمت بحقيقته في تفسير سورة المائدة وقيل هم الانبياء المذكورون فالمراد
 بالتوكيل الامر بما هو أعم من اجراء أحكامها كما هو شأنهم في حق كتابهم ومن اعتقاد حقيقتها كما هو شأنهم
 في حق سائر الكتب التي من جلتها القرآن الكريم وقيل هم الملائكة فالتوكيل هو الامر بانزالها وحفظها
 واعتقاد حقيقتها وأما ما كان فتنه كبر قوما للتفخيم والباء الاولى صله لكافرين قدمت عليه بحفاظة على
 القواصل والثانية لتأكيد النبي وأما تقديم صله وكنا على مفعوله الصريح فلما ذكرنا انفسنا من الاهتمام بالمقدم
 والتشويق الى المؤخر ولان فيه نوع طول ربما يؤدي تشديده الى الاخلال بتجاوب النظم الكريم أو الى الفصل
 بين الصفة والموصوف وجواب الشرط محذوف يدل عليه المذكور أي فان يكفر بها هؤلاء فلا اعتداده
 أصلا فقد وقفنا للايمان بها قوما نغما ليسوا بكافرين بها قطعاً بل مستمرون على الايمان بها والعمل بما فيها
 ففي ايمانهم بها مندوحة عن ايمان هؤلاء ومن هذاتين أن الوجه أن يكون المراد بالقوم احدى الطوائف
 المذكورة اذ بايمانهم بالقرآن والعمل بأحكامه تتحقق الغنية عن ايمان الكفرة به والعمل بأحكامه وأما
 الانبياء والملائكة عليهم السلام فايانهم به ليس من قبيل ايمان احاد الامة كما اشير اليه (أولئك) اشارة الى
 الانبياء المذكورين وما فيه من معنى البعد لا يذان بعلورتيتهم وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (الذين هدى الله)
 اى الى الحق والتهج المستقيم والاتفات الى الاسم الجليل للاشعار بعلة الهداية (فهداهم اقتده) أي
 فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد بغيرهم والمراد بهداهم طريقتهم في الايمان بالله تعالى وتوحيده وأصول
 الدين دون الشرائع القابلة للنسخ فانها بعد النسخ لا تبقى هدى والهاء في اقتده للوقف حقها أن تستقط
 في الدرج واستحسن اثباتها فيه أيضا اجراءه ليجرى الوقف واقتداء بالامام وقرئ بأشباعها على أنها
 كناية المصدر (قل لأسأل لكم عليه) أي على القرآن أو على التبليغ فان مساق الكلام يدل على ما وان
 لم يجز ذكرهما (أجرا) من جهتهن كما لم يسأل من قبل من الانبياء عليهم السلام وهذا من جملة ما ذكر
 صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بهم فيه (ان هو) أي ما القرآن (الاذكري للعالمين) أي عظة وتذكير
 لهم كافة من جهته سبحانه فلا يختص بشوم دون آخرين (وما قدروا الله) لما بين شأن القرآن العظيم
 وأنه نعمة جليلة منه تعالى على كافة الامم حسبما ينطق به قوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين عقبه
 ذلك ببيان غمطهم اياها وكفرهم بها على وجه سرى ذلك الى الكفر بجميع الكتب الالهية وأصل القدر
 السبر والحزب يقال قدر الشيء يقدره بالضم قدرا اذا سبره وحزبه ليعرف مقداره ثم استعمل في معرفة الشيء
 في مقداره وأحواله وأوصافه وقوله تعالى (حق قدره) نصب على المصدرية وهو في الاصل صفة للمصدر
 أي قدره الحق فلما أضيف الى موصوفه انتصب على ما كان ينتصب عليه موصوفه أي ما عرفه تعالى حق
 معرفته في اللطف بعباده والرحمة عليهم ولم يراعوا حقوقه تعالى في ذلك بل اخلوا بها اخلا لا (اذ قالوا)
 منكرون لبعثة الرسل وانزال الكتب كافرين بنعمته الجليلة فيهما (ما ارسل الله على بشر من شيء) فتنى
 معرفتهم لقدرة سبحانه كناية عن غمطهم لقدرة الجليل ووصفهم له تعالى بنقيض نعمته الجليل كما أن نفي المحبة
 في مثل ان الله لا يحب الكافرين كناية عن بغض والسطط والافتنى معرفة قدره تعالى يتحقق مع عدم
 التعرض لحظه بل مع السعي في تحصيل المعرفة كما في قول من يناجى مستقصرا معرفته وعبادته سبحانه
 ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتنا أو ما عرفوه حق معرفته في السخط على الكفار وشدة
 بطشه تعالى بهم حسبما نطق به القرآن حين اجترأوا على التفوق بهذه العظيمة الشنعاء فالتقى بعناء الحقيق
 والقائلون هم اليهود وقد قالوه مبالغة في انكار انزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلزموا
 بالأسبيل لهم الى انكاره أصلا حيث قيل (قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى) أي قل لهم ذلك
 على طريقة التبكيت والقام الخج وروى أن مالك بن العيص من أخبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله

صلى الله عليه وسلم انشد الله الذي انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يفيض الخير السمين فانت
 الخير السمين قد سمعت من مال الله الذي تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر رضي الله عنه
 فقال ما انزل الله على بشر من شيء فزعموه وجعلوا مكانه ~~ح~~ كعب بن الاشرف وقيل هم المشركون والزامهم
 انزال التوراة لما أنه كان عندهم من المشاهير الذائعة ولذلك كانوا يقولون لو انما انزل علينا الكتاب لكان
 اهدى منهم ووصف الكتاب بالوصول اليهم لزيادة التقرير وتشديد التثبيت وكذلك اتفقوا بقوله تعالى
 (نورا هدى) فان كونه يناسب نفسه ومبيننا لغيره مما يؤكد الالزام أي تأكيد واتصافه على الحالية من
 الكتاب والعامل أنزل أو من الضمير في به والعامل جاء واللام في قوله تعالى (للناس) اما متعلق به مدي
 أو محذوف هو صفة أي هدى كما نال الناس وليس المراد بهذا مجزأ الزامهم بالاعتراف بانزال التوراة فقط بل
 بانزال القرآن ايضا فان الاعتراف بانزالها مستلزم للاعتراف بانزاله قطعاً لما فيها من الشواهد الناطقة به
 وقد نبى عليهم ما فعلوا بها من التحريف والتغيير حيث قيل (تجعلونه قراطيس) أي تضعونه في قراطيس
 مقطعة وورقات مفترقة بحذف الجار بناء على تشبيه القراطيس بالطرف المبهمة وتجهلونه نفس القراطيس
 المقطعة وفيه زيادة توبيخ لهم بسوء صنيعهم كأنهم أخرجوه من جنس الكتاب ونزلوه منزلة القراطيس الخالية
 عن الكتابة والجملة حال كاسبق وقوله تعالى (تبدونها) صفة لقراطيس وقوله تعالى (وتحفظون كثيراً)
 معطوف عليه والعائد الى الموصول محذوف أي كثيراً منها وقيل كلام مبتدأ لا يحمل له من الاعراب
 والمراد بالكثرة موت النبي عليه الصلاة والسلام وما نزل من أحكام التوراة وقرئ الانفعال الثلاثة
 بالياء جملاً على قالوا وما قدرنا وقوله تعالى (وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) قيل هو حال من فاعل
 تجعلونه يا ضمارة قد أبدونه على اختلاف الرأيين قلت فينبغي أن يجعل ما عبارة عما أخذوه من الكتاب من
 العلوم والشرائع ليكون التقييد بالحال مفيداً للتأكيد التوبيخ وتشديد التشديد فان ما فعلوه بالكتاب من
 التفريق والتقطيع لما ذكر من الابداء والاخفاء شناعة عظيمة في نفسها ومع ملاحظة كونه مأخذ العلوم
 ومعارفهم أشنع وأعظم لا عما نقلوه من جهة النبي صلى الله عليه وسلم زيادة على ما في التوراة ويسألنا لما
 التمس عليهم وعلى آباءهم من مشكلاتها حسبما ينطبق به قوله تعالى ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر
 الذي هم فيه يختلفون كما قالوا الان تلقينهم لذلك من القرآن الكريم ليس مما يبرحهم عما صنعوا بالتوراة أما ما
 ورد فيه زيادة على ما فيها فلا أنه لا تعلق له بها نسبياً ولا اثباتاً وأما ما ورد بطريق البيان فسلات مدار ما فعلوا بها
 من التبديل والتحريف ليس ما وقع فيها من التباس الامر واشتباه الحال حتى يقلعوا عن ذلك بإيضاحه وبيان
 فتكون الجملة حينئذ خالية عن تأصيص كمد التوبيخ فلا تستحق أن تقع موقع الحال بل الوجه حينئذ أن تكون
 استئنافية مقترنة لما قبلها من مجيء الكتاب بطريق التكملة والاستطراد والتهديد لما يعقبه من مجيء القرآن
 ولا سبيل الى جعل ما عبارة عما كتبه من أحكام التوراة كما يفصح عنه قوله تعالى قد جاءكم رسولنا بين لكم
 كثيراً مما كنتم تحفظون من الكتاب فان ظهوره وان كان من جهة إلهية عن الكتب مخافة الافتضاح وصحها لوقوع
 الجملة في موقع الحال لكن ذلك مما يعلمه الكاتمون حقاً هذا وقد قيل الخطاب لمن آمن من قريش كما في قوله
 تعالى لتذرعنهم وما انذرا آباؤهم وقوله تعالى (قل الله) أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يجيب عنهم
 اشعاراً بتعين الجواب بحيث لا يجيد عنه وايداً اناباً بهم أحفوا ولم يقدروا على التكلم أصلاً (ثم ذرهم
 في خوضهم) في باطلهم الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد الزام الجملة والقام الحجر (يلعبون) حال من الضمير
 الاول والظرف صلة للفعل المقدم أو المؤخر أو متعلق بمحذوف هو حال من مفعول الاول أو من فاعل الثاني
 أو من الضمير الثاني لانه فاعل في الحقيقة والظرف متصل بالاول (وهذا كتاب انزالنا) تحقيق لئول
 القرآن الكريم بعد تقرير انزال ما بشر به من التوراة وتكذيب لهم في كلمتهم الشبهة اثر تكذيب (عبارك)
 أي كثير الفوائد ووجه المنافع (مصدق الذي بين يديه) من التوراة لنزوله حسبما وصف فيها والكتب التي قبله
 فانه مصدق لكل في اثبات التوحيد والامر به ونهي الشرك والنبى عنه وفي سائر أصول الشرائع التي لا تنسخ
 (ولتندرا ثم القرى) عطف على ما دل عليه مبارك أي للبركان ولانذارك أهل مكة وانما ذكر باسمها المنقح
 عن كونهما أعظم القرى شأنها وقيل لاهلها فاطمة ايذانا بأن انذارها لها أصل مستتب لانذار أهل

الارض كافة وقرئ لينذر بالياء على أن الضمير للكتاب (ومن حواها) من أهل المدروالوبر في المشارق
 والمغارب (والذين يؤمنون بالآخرة) وبما فيها من آفانين العذاب (يؤمنون به) أي بالكتاب لانهم
 يخافون العاقبة ولا يزال الخوف يعملهم على النظر والتأمل حتى يؤمنوا به (وهم على صلواتهم يحافظون)
 تخصيص محافظتهم على الصلاة بالذكر من بين سائر العبادات التي لا بد للمؤمنين من أدائها للايذان بانافتها
 من بين سائر الطاعات وكونها أشرف العبادات بعد الايمان (ومن أظلم ممن اقترى على الله كذبا) فزعم
 أنه تعالى بعثه نبيا كسيلة الكذاب والاسود العنسي أو اختلق عليه أحكاما من الحل والحرم كعمرو
 ابن لحي وما تبعه أي هو أظلم من كل ظالم وإن كان سبب التركيب على نفي الاظلم منه وانكاره من غير تعرض
 لنفي المساوي وانكاره فإن الاستعمال الفاشي في قولك من أفضل من زيد أو لا اكرم منه على أنه أفضل من كل
 فاضل وأكرم من كل كريم وقد مر تمام الكلام فيه (أو قال أوحى الي) من جهته تعالى (ولم يوح اليه)
 أي والحال أنه لم يوح اليه (شيئ) أصلا كعبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فلما
 نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين فلما بلغ ثم أنشأنا ما خلقنا آخر قال عبد الله تبارك الله أحسن
 الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان ثم قال عليه الصلاة والسلام كتبها كذلك فشك عبد الله وقال لئن
 كان محمد صادقا فقد أوحى الي كما أوحى اليه ولئن كان كاذبا فقد قلت كما قال (ومن قال سائر مثل ما نزل الله)
 الذين قالوا لو نشاء لخلقنا مثل هذا (ولو ترى اذ الظالمون) حذف مفعول ترى لدلالة الظرف عليه أي
 ولو ترى الظالمين اذ هم (في غمرات الموت) أي شدائده من غمره اذا غشيه (والملائكة باسطوا ايديهم) يقبض
 أرواحهم كلمة قاضي المظالم يسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة من غير امهال وتنقيص
 أو باسطوها بالعذاب قائلين (اخرجوا أنفسكم) أي اخرجوا أرواحكم اليان من أجسادكم أو خاصوا
 أنفسكم من العذاب (اليوم) أي وقت الامانة أو الوقت الممتد بعده الى ما لا نهاية (تجزون عذاب الهون)
 أي العذاب المتضمن لشدة واهانة فاضافته الى الهون وهو الهوان لعراقته فيه (بما كنتم تقولون على الله
 غير الحق) كاتخاذ الولد له ونسبة الشريك اليه وادعاء النبوة والوحى كاذبا (ومن عنكم عن آياته تستكبرون)
 فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون بها (ولقد جئتمونا) للعصاة (فرادى) منفردين عن الاموال والاولاد وغير
 ذلك مما آثرتموه من الدنيا أو عن الاعوان والاصنام التي كنتم تزعمون أنها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف
 للتأنيث ككبر الى وقرئ فرادا كخال وفراد ككلاث وفردي كسكري (كما خلقناكم اول مرة) بدل من فرادى
 أي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد أو حال ثانية عندهم يجوزنة تدها أو حال من الضمير في فرادى أي
 مشبهين ابتداء خلقكم عراة حنأة غرلا بهما أو صفة مصدر جئتمونا أي مجيا كخلقناكم اول مرة (وتركتم
 ما حوّلناكم) تفضلنا عليكم في الدنيا فغلبتم به عن الآخرة (وراء ظهوركم) ما قدمتم منه شيئا ولم تخملوا
 تقيرا (وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) أي شركاء الله تعالى في الربوبية واستحقاق
 العبادة (لقد قطع بينكم) أي وقع التقطع بينكم كما يقال جمع بين الشيئين أي أوقع الجمع بينهما وقرئ
 بينكم بالرفع على اسناد الفعل الى الظرف كما يقال قوتل أمامكم وخلفكم أو على أن اليين اسم للفصل
 والوصل أي تقطع وصلكم وقرئ ما بينكم (وضل عنكم) أي ضاع أو غاب (ما كنتم تزعمون) أنها شفعاؤكم
 أو أن لا بعث ولا جزاء (إن الله فائق الحب والنوى) شروع في تقرير بعض افعاله تعالى الدالة على كمال
 علمه وقدرته ولطف صنعه وحكمته اثر تقرير أدلة التوحيد والفاق الشق بيانية أي شاق الحب بالتيات والنوى
 بالشجر وقيل المراد به الشق الذي في الحبوب والنوى أي خالتهما كذلك كافي قولك ضيق فم الركبة ووسع
 أسفلها وقيل الفلق بمعنى الخلق قال الواحدى ذهبوا بفاء الى مذهب فاطر (يخرج الحى من الميت) أي
 يخرج ما ينمو من الحيوان والنبات مما لا ينمو من النطفة والحب والجله مستأنفة مينة لما قبلها وقيل خبر ثان
 لأن وقوله تعالى (ويخرج الميت) كالنطفة والحب (من الحى) كالحيوان والنبات عطف على فائق الحب
 لا على يخرج على الوجه الاول لأن اخراج الميت من الحى ليس من قبيل فائق الحب والنوى (ذاكمكم)
 القادر العظيم الشأن هو (الله) المستحق للعبادة وحده (فأنى تؤفكون) فكيف تصرفون عن

عبادته الى غيره ولا سبيل اليه أصلاً (فائق الاصباح) خبر آخر لآية أولية المحذوف والاصباح مصدر
 منى به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على أنه جمع صبح أى فائق عود الصبح عن يياض النهار واسفاره أو فائق ظلمة
 الاصباح وهى الغيب الذى يلي الصبح وقرئ فائق بالنصب على المدح (وجعل الليل سكناً) يسكن اليه
 التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استئناساً به أو يسكن فيه الخلق من قوله تعالى
 لتسكنوا فيه وقرئ جاعل الليل فانتصاب سكا بفعل دل عليه جاعل وقيل بنفسه على أن المراد به الجعل المستقر
 في الأزمنة المتجددة حسب تجدد هال الجعل الماضى فقط وقيل اسم الفاعل من الفعل المتعدي الى اثنين يعمل
 فى الثاني وان كان بمعنى الماضى لانه لما أضيف الى الاول تعين نصبه للثاني لتعذر الاضافة بعد ذلك
 (والنعم والقسم) معطوفان على الليل وعلى القراءة الأخيرة قيل هما معطوفان على محله والا حسن
 نصبهما حينئذ بفعل مقدر وقد قرئ بالجزم وبالرفع أيضاً على الابتداء والخبر محذوف أى يجعلون (حسباناً)
 أى على ادوار مختلفة بحسب بها الاوقات التى ينيط بها العبادات والمعاملات ومحسوبان حسبانا والحسبان
 بالنظم مصدر حسب كما أن الحساب بالكسر مصدر حسب (ذلك) اشارة الى جعلهما كذلك وما فيه
 من معنى البعد لا يذات بل توربته المشار اليه وبعد منزلته أى ذلك التيسير البديع (تقدير العزيز) الغالب
 القاهر الذى لا يستعصى عليه شئ من الاشياء التى من جلته تيسيرهما على الوجه المخصوص (العليم)
 بجميع المعلومات التى من جلته ما فى ذلك التيسير من المنافع والمصالح المتعلقة بمشاش الخلق ومعادهم
 (وهو الذى جعل لكم النجوم) شروع فى بيان نعمته تعالى فى الكواكب اربابان نعمته تعالى فى النيرين
 والجعل متعدي الى واحد واللام متعلقة به وتأخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور لما مر غير مرة من
 الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر أى أنشأها وأبدعها لاجلكم فقوله تعالى (لتتدوا بها) بدل من
 المجرور باعادة العامل بدل اشتمال كما فى قوله تعالى بلعلنا ان يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا والتقدير جعل
 لكم النجوم لاهتدائكم لئلا على أن غاية خلقها اهتداؤهم فقط بل على طريقة افراد بعض منافعها
 وغاياتها بالذكر حسبما يقتضيه المقام وقد جوز أن يكون مفعولاً ثانياً للجعل وهو معنى التيسير أى جعلها
 كآلة لاهتدائكم فى أسفاركم عند دخولكم المقار وأما الجار كما ينبئ عنه قوله تعالى (فى ظلمات البر والبحر)
 أى فى ظلمات الليل فى البر والبحر وضافتها اليهم مالملازمة فان الحاجة الى الاهتداء بها انما تتحقق عند ذلك
 أو فى مشتهات الطرق عبر عنها بالظلمات على طريقة الاستعارة (قد فصلنا الآيات) أى بينا الآيات
 المتأخرة المذكرة لنعمته التى هذه النعمة من جلالها وألآيات التكوينية الدالة على شؤنه تعالى مفصلة (لقوم
 يعلمون) أى معانى الآيات المذكورة ويعملون بموجبها أو يتفكرون فى الآيات التكوينية فيعلمون حقيقة الحلال
 وتخصيص التفصيل بهم مع عمومته للكل لانهم المنتفعون به (وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة) تذكير
 لنعمة أخرى من نعمته تعالى دالة على عظم قدرته واطيف صنعته وحكمته أى أنشأكم مع كثرتمكم من نفس
 آدم عليه السلام (فستقر ومستودع) أى فلكم استقرار فى الاصلاب أو فوق الارض واستبداع
 فى الارحام أو تحت الارض أو موضع استقرار واستبداع فيما ذكر والتعبير عن كونهم فى الاصلاب أو فوق
 الارض بالاستقرار لانهم مقرهم الطبيعى كما أن التعبير عن كونهم فى الارحام أو تحت الارض بالاستبداع
 لما أن كلامهم ليس بمقرهم الطبيعى وقد حل الاستبداع على كونهم فى الاصلاب وليس بواضح وقرئ فستقر
 بكسر القاف أى فتكم مستقر ومنكم مستودع فان الاستقرار مناسبا بخلاف الاستبداع (قد فصلنا
 الآيات) المدينة لتفاصيل خلق البشر من هذه الآية ونظائرها (لقوم يفقهون) غوامض الدقائق
 باستعمال الفطنة وتدقيق النظر فان لطائف صنع الله عز وجل فى اطوار تخلق بنى آدم مما تحار فى فهمه
 الالباب وهو السر فى ايشاريفقهون على يعلمون كما ورد فى شأن النجوم (وهو الذى أنزل من السماء ماء)
 تذكير لنعمة أخرى من نعمته تعالى منبهة عن كمال قدرته تعالى وسعة رحمته أى أنزل من السحاب أو من سمى
 السماء ماء خاصا هو المطر وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا (فأخرجنا به) التفت
 الى الكلام اظهرا الكمال العناية بشأن ما أنزل الماء لاجله أى فأخرجنا بهظمنا بذلك الماء مع وحدته (نبات
 كل شئ) من الاشياء التى من شأنها النمو من أصناف النجم والشجر وأنواعهما المختلفة فى الكم والكيف

والخواص والاختلافات متساوتان في مراتب الزيادة والنقصان حسبما يفتح عنه قوله تعالى يسقى بماء واحد ونضل بعضها على بعض في الاكل وقوله تعالى (فأخرجنا منه خضرا) شروع في تفصيل ما أجعل من الانخراج وقد يدعى بتفصيل حال النجم أي فأخرجنا من النبات الذي لا ساق له شيئا غضا أخضر يقال شئ أخضر وخضر كآعور وعور وأكثر ما يستعمل الخضر فيما تكون خضرته خلقية وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة وقوله تعالى (نخرج منه) صفة للخضر اوصيغ المضاف لاستحضار الصورة لما فيها من الغرابة أي نخرج من ذلك الخضر (حجاسترا كبا) هو السنبل المستظم للحبوب المتراكبة بعضها فوق بعض على هيئة مخصوصة وقرئ يخرج منه حب متراكب وقوله تعالى (ومن النخل) شروع في تفصيل حال الشجر اثنى عشران حال النجم فقوله تعالى من النخل خبر مقدم وقوله تعالى (من طلعهما) بدل منه بإعادة العامل كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله الخ والطلع شئ يخرج من النخل كأنه نعلان مطبقان والحل بينهما منضود وقوله تعالى (قنوان) مبتدأ أي وحاصلة من طلع النخل قنوان ومن قرأ يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على حب وقيل المعنى وأخرجنا من النخل الخ لا من طلعهما قنوان أو من النخل شئ من طلعهما قنوان وهو جمع قنوه وهو عنقود النخلة كصنوه وصنوان وقرئ بضم القاف كذتب وذوبان ويفتحها أيضا على أنه اسم جمع لأن فعلا ليس من أفعلة الجمع (دانية) سهلة الجنب في قرية من القاطن فانها وان كانت صغيرة ينالها القاعد تأتي بالثر لا يفتقر الطول او ملتهمة متقاربة والاقتصار على ذكرها لدلائلها على مقابلتها كقوله تعالى سرايل تشيكم الخبز وزيادة النعمة فيها (وجنات من أعناب) عطف على نبات كل شئ أي وأخرجنا به جنات كاشعة من أعناب وقرئ جنات بالرفع على الابتداء أي ولكم أو ثمة جنات وقد جوز عطفه على قنوان كانه قيل وحاصلة أو مخرجة من النخل قنوان وجنات من نبات أعناب وأصل زيادة الجنات ههنا من غير اكتفاء بهذا كراسم الجنس كما فيما تقدم وما تأخر لما أن الانتفاع بهذا الجنس لا يأتي غالبا الا عند اجتماع طائفة من أفراد (والزيتون والرمثان) منصوبان على الاختصاص اعز هذين الصنفين عندهم أو على العطف على نبات وقوله تعالى (مشتبه وغير متشابه) حال من الزيتون اكتفى به عن حال ما عطف عليه كما يكتفى بخبر المعطوف عليه عن خبر المعطوف في نحو قوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وتقديره والزيتون مشتبه وغير متشابه والرمثان كذلك وقد جوز أن يكون حالان الرمثان لقربه ويكون المحذوف حال الاول والمعنى بعضه متشابه وبعضه غير متشابه في الهيئة والمقدار واللون والطعم وغير ذلك من الاوصاف الدالة على كمال قدرة صانعها وحكمة منشئها ومبدعها (انظروا الى ثمرة اذا نثر) أي انظروا اليه نظرا اعتبارا واستبصارا اذا خرج ثمرة كيف يخرجها ضيفا لا يكاد ينفذ به وقرئ الى ثمرة (وينعه) أي الى حال نضجه كيف يصير الى كماله اللائق به ويكون شيئا جامعاً للمنافع جمة والينع في الاصل مصدر يثبت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كالجرو وخبز وقرئ بالنهم وهي لغة فيه وقرئ يانعه (ان في ذلكم) اشارة الى ما أمر بالنظر اليه وما في اسم الاشارة من معنى البعد لا يذات بعلم وترتبة المشار اليه وبعد منزلته (لايات لقوم يؤمنون) أي لايات عظيمة وكثيرة دالة على وجود القادر الحكيم ووحدة فاعل حدوث هاتيك الاجناس المختلفة والانواع المتشعبة من أصل واحد وانتباههم الى حاله على غط يدع يحار في فهمه الالباب لا يكاد يكون الا باحداث صانع يعلم تفاصيلها ويرجع ما تشبهه حكمته من الوجوه الممكنة على غيره ولا يعوقه عن ذلك ضدها وبه أو تدبها وبه ولذلك عتب توبخ من أشرك به والرد عليه حيث قيل (وجعلوا لله شركاء) أي جعلوا في اعتقادهم لله الذي شأنه ما فصل في تضاعيف هذه الايات الجليلة شركاء (الجن) أي الملائكة حيث عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وهو اجناسهم تحقير الشأنهم بالنسبة الى مقام الالهية أو الشياطين حيث أطاعوهم كما أطاعوا الله تعالى أو عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم أو قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشیطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأي الشنوية ومفعولا جعلوا قوله تعالى شركاء الجن قدم ثانيا على الاول لاستعظام أن يتخذ الله سبحانه شريك ما كانا ما كان والله متعلق بشركاء قدم عليه للنسبة المذكورة وقيل هما لله شركاء

والجئن بدل من شركاء مفسر له نص عليه الفراء وأبو اسحق أو منصوب بمضمر وقع جوابا عن سؤال مقتدرنا
من قوله تعالى وجعلوا لله شركاء كأنه قيل من جعلوا شركاء لله تعالى فقيل الجئن أى جعلوا الجئن ويؤيده قراءة
أبي حنيفة ويزيد بن قطيب الجئن بالرفع على تقدير هم الجئن في جواب من قال من الذين جعلوا لهم شركاء لله
تعالى وقد قرئ بالجز على أن الإضافة للتبيين (وخلقهم) حال من فاعل جعلوا بتقدير قد أبدونه على
اختلاف الرأيين مؤكدة لما في جعلهم ذلك من كمال القباحة والبطلان باعتبار علمهم بمضمرها أى وقد علموا أنه
تعالى خالقهم خاصة وقيل الضمير للشركاء أى والحال أنه تعالى خلق الجئن فكيف يجعلون مخلوقه شركاء له
تعالى وقرئ خلقهم عطف على الجئن أى وما يخلقونه من الاصنام أو على شركاء أى وجعلوا له اختلافتهم الاكف
حيث نسبوه إليه تعالى (وخرقوا له) أى اقتعلوا واقتروا له يقال خلق خلقا الاختلاق وخرقه وخرقه
بمعنى وقرئ خرقوا بالتشديد للتكثير وقرئ وخرقوا له أى زوروا (بين وبنات) فقالت اليهود عزير ابن الله
وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت طائفة من العرب الملائكة بنات الله (بغير علم) أى بحقيقة
ما قالوه من خطأ أو صواب بل ربما يقول عن عى وجهالة من غير فكر وروية أو بغير علم بربية ما قالوه وأنه من
الشناعة والبطلان بحيث لا يقادر قدره والبهاء متعانة بمحذوف هو حال من فاعل خرقوا أو نعت لمصدر
مؤكدة أى خرقوا ملتصقين بغير علم أو خرقا كأننا بغير علم (سبحانه) استئناف مسوق لتزيينه عز وجل
عما نسبوه إليه وسبحان علم للتبجيل الذى هو التبجيل عن السوء اعتقاد أو قولا أى اعتقاد البعد عنه والحكم
به من سبج في الأرض والماء إذا أبعد فيه ما أو أمعن ومنه فرس بسبوح أى واسع الجرى واتصاه به على
المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه أى السبج سبحانه أى انزهه عما يليق به عندا وعلا تزيها خاصا به
حقيقا يشأنه وفيه مباينة من جهة الاشتقاق من السبج ومن جهة النقل إلى التفعيل ومن جهة العدول عن
المصدر الدال على الجنس إلى الاسم الموضوع له خاصة لاسيما العلم المشير إلى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن
جهة إقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران لأنه سمع له فعل من الثلاث كما ذكر في القاموس
أويده التنزه التام والتباعد الكلي ففيه مباينة من حيث اسناد التنزه إلى ذاته المقدسة أى تنزهه بذاته تنزهها
لا ثقبه وهو الانسب بقوله سبحانه (وتعالى) فانه معطوف على الفعل المنزه لا محالة ولما في سبحان والتعالى
من معنى التباعد قيل (عما يصفون) أى تباعد عما يصفونه من أن له شركاء أو ولدا أو يبدع السموات
والأرض أى مبدعهما ومخترعهما بلا مثال يحتذى ولا قانون يتبعه فان المبدع كما يطلق على
المبدع يطلق على المبدع نص عليه أئمة اللغة كالصريح بمعنى المصرخ وقد جاء بدعه كعنه بمعنى أنشأه كابتهدعه
على ما ذكر في القاموس وغيره ونظيره الجميع بمعنى السمع في قوله امن ربحانه الداعي السميع وقيل هو من
إضافة الصفة المشبهة إلى الفاعل لتخفيف بعد نفسه تشبيها لها باسم الفاعل كإله المشهور رأى يبدع سمواته
وأرضه من بدع إذا كان على غمظ عجب وشكل فائق وحسن رائع أو إلى الطرف كما في قولهم ثبت الغدر بعنى
أنه عديم النظر فيها والاول هو الوجه والمعنى أنه تعالى مبدع لقطرى العالم العلوى والسفلى بلا مادة
فاعمل على الإطلاق منزوع عن الانفعال بالمرّة والوالد عنصر الولد منفعل بالتقال ما ذته عنه فكيف يمكن
أن يكون له ولد وقرئ يبدع بالنصب على المدح وبالجز على أنه بدل من الاسم الجليل أو من الضمير المجرور
في سبحانه على رأى من يجيزه وارتفاعه في القراءة المشددة على أنه خبر مبتدأ محذوف أو فاعل تعالى وأظهره
في موضع الاضمار لتعليل الحكم وتوسيط الطرف بينه وبين الفعل للاهتمام ببيان استحقاقه له تعالى وقوله تعالى
(أنى يكون له ولد) وهو على الاوّل جملة مستقلة مسوقة كإقبحها لبيان استحالة ما نسبوه إليه تعالى وقوله
تنزهه عنه وقوله تعالى (ولم تكن له صاحبة) حال مؤكدة للاستحالة المذكورة فان انتفاء أن يكون
له تعالى صاحبة مستلزم لاتقاء أن يكون له ولد ضرورة استحالة وجود الولد بلا ولادة وان أمكن وجوده
بلا ولادة وانتفاء الاول مما لا ريب فيه لاحتمال ضرورته انتفاء الثانى أى من أين وكيف يكون له ولد
كما زعموا والحال أنه ليس له على زعمهم أيضا صاحبة يكون الولد منها وقرئ لم يكن بتذكير الفعل للفصل
أولاً الاسم ضميره تعالى والخبر والظرف وصاحبة مرتفع به على الفاعلية لا اعتمادا على المتدأ والظرف
خبر مقدم وصاحبة مبتدأ مؤخر وبالجملة خبر لا يكون وعلى هذه الوجه يجوز أن يكون الاسم ضمير الشان

قوله ثبت الغدر بسكون الباء
بمعنى ثابت والغدر بالعين المجبة
والدال الموحدة المقصوحين
آخره راء المكان ذو الحجارة
والشقوق يقال رجل ثبت
الغدر إذا كان ثابتاً في قتال
أركلام والإضافة فيه على
معنى في كما في الشهاب اهـ
مستحقة

لصلاحية الجملة حيث دللنا أن تكون مفسرة الضمير الشأن لا على الوجه الأول لما بين في موضعه أن ضمير الشأن
 لا يفسر إلا بجملة صريحة وقوله تعالى (وخلق كل شيء) أما جملة مستأنفة أخرى سبقت لتحقيق ما ذكر من
 الاستئالة أو حال أخرى مقترنة لها أي أنى يكون له ولد والحال أنه خلق كل شيء انتظمه التكوين والابحار من
 الموجودات التي من جملتها ما سموه ولله تعالى فكيف يتصور أن يكون الخلق ولد الخالق (وهو بكل شيء)
 من شأنه أن يعلم كائنات ما كان مخلوقاً أو غير مخلوق كما ينبغي عنه ترك الاضممار إلى الاظهار (عليه) مبالغ في
 العلم ازلا وأبداً حسبما يعرب عنه العدول إلى الجملة الاسمية فلا يخفى عليه خافية مما كان وما سيجب أن يكون من
 الذوات والصفات والأحوال التي من جملتها ما يجوز عليه تعالى وما لا يجوز من الحالات التي ما زعموه فرد من
 أفرادها والجملة استئناف مقترنة لمضمون ما قبلها من الدلائل الساطعة بطلان مقالتهم الشنعاء التي اجترعوا
 عليها بغير علم (ذلكم) إشارة إلى المنعوت بما ذكر من جلال النعوت وما فيه من معنى البعد للايدان بعلو شأن
 المشار إليه وبعد منزلته في العظمة والخطاب للمشركين المعهودين بطريق الالتفات وهو مبتدأ وقوله تعالى
 (الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء) أخباراً أربعة مترادفة أي ذلك الموصوف بتلك الصفات العظيمة هو الله
 المستحق للعبادة خاصة مالك أمركم لا شريك له أصلاً خالق كل شيء مما كان ومما سيكون فلا تكرار إذ
 المعتبر في عنوان الموضوع انما هو خالقيته لما كان فقط كما ينبغي عنه صيغة الماضي وقيل الخبره والاول والبواقي
 أبدال وقيل الاسم الجليل بدل من المبتدأ والبواقي أخبار وقيل يقدر لكل من الأخبار الثلاثة مبتدأ وقيل
 يجعل الكل بمنزلة اسم واحد وقوله تعالى (فاعبدوه) حكم مترتب على مضمون الجملة فان من جمع هذه
 الصفات كان هو المستحق للعبادة خاصة وقوله تعالى (وهو على كل شيء وكيل) عطف على الجملة المتقدمة
 أي هو مع ما فصل من الصفات الجليلة متولى امور جميع مخلوقاته التي أنتم من جملتها فكلوا اموركم
 اليه وتوسلوا بعبادته إلى نجاح ما ربكم الديونية والاخرية (لاتدركه الابصار) البصر حاسة النظر وقد
 تطلق على العين من حيث انها محلها وادراكها أي عبارة عن الوصول اليه والاحاطة به أي لا تصل اليه الابصار
 ولا تحيط به كما قال سعيد بن المسيب وقال عطاء كأت ابصاراً للمخلوقين عن الاحاطة به فلا تمسك فيه لمنكري الرؤية
 على الإطلاق وقد روى عن ابن عباس ومقاتل رضي الله عنهم لاتدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في الآخرة
 (وهو يدركه الابصار) أي يحيط به اعلمه اذ لا تخفى عليه خافية (وهو اللطيف الخبير) فيدرك ما لاتدركه
 الابصار ويجوز أن يكون تعليلاً للعلمين السابقين على طريقة ألف أي لاتدركه الابصار لانه اللطيف وهو
 يدركه الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستقفاً دامن مقابلاً للكثير لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها
 وقوله تعالى (قد جاءكم بصائر من ربكم) استئناف وارد على لسان النبي عليه الصلاة والسلام والبصائر
 جمع بصيرة وهي النور الذي به تستبصر النفس كما أن البصر نور به تبصر العين والمراد بها الآيات الواردة ههنا
 أو جميع الآيات المنتظمة لها انتظاماً أولياً ومن لا بداء الغاية مجازاً سواء تعلقت بجملة أو بمحذوف هو صفة
 لبصائر والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة إلى ضمير الخطابين لاظهار كمال اللطف بهم أي قد جاءكم من
 جهة ما لم يكن منكم ومبلغكم إلى كما أنكم اللائق بكم من الوحي الساطق بالحق والصواب ما هو كالبصائر للقلوب
 أو قد جاءكم بصائر كائنات من ربكم (فمن أبصر) أي الحق بتلك البصائر وآمن به (فلنفسه) أي فلنفسه
 أبصر أو فابصاره لنفسه لأن نفعه مخصوص بها (ومن عمى) أي ومن لم يبصر الحق بعد ما ظهر له تلك البصائر
 ظهوراً يينا وضل عنه وانما عبر عنه بالعمى تضييعه وتنقيضه (فعلينا) أي فعلينا عني أو فعما عني أو وبال
 عماء (وما أنا عليكم بحفيظ) وانما أنا منذر والله هو الذي يحفظ أعمالكم ويمجاريكم عليها (وكذلك نصرف
 الآيات) أي مثل ذلك التصريف البديع نصرف الآيات الدالة على المعاني الرائقة الكاشفة عن الحقائق
 الفائقة لا نصرفها أدنى منه وقوله تعالى (وليقلوا درست) علمه فعل قد حذف تعويلاً على دلالة السباق
 عليه أي وليقلوا درست من التصريف المذكور واللام للعاقبة والواو اعتراضية وقيل هي عطفة
 على علمه محذوفة واللام متعلقة بنصرف أي مثل ذلك التصريف نصرف الآيات لنزهم الجملة وليقلوا الخ
 وقيل اللام لام الامر وتنصروا القراءة بسكون اللام كأنه قيل وكذلك نصرف الآيات وليقلوا هم ما يقولون

فانه لا احتفال بهم ولا اعتداد بقواهم وهذا امر معناه الوعيد والتنديد وعدم الاكتراث بقواهم ورد عليه بأن
ما بعده ياباه ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ دارست أى دارست العلماء ودرست أى قدمت هذه الآيات
وعفت كما قالوا أساطير الاولين ودرست بضم الراء مبالغة فى درست أى اشتدت دروسها ودرست على البناء
للمفعول بمعنى قرئت أو عفت ودارست وفسروها بدارست اليهود بحمد اصيل الله عليه وسلم وجزاء لاضمار
لاشتمارهم بالدراسة وقد جوز اسناد الفعل الى الآيات وهو فى الحقيقة لاهلها أى دارس أهل الآيات وحملتها
محمد اصيل الله عليه وسلم وهم أهل الكتاب ودرس أى درس محمد ودارسات أى هى دارسات أى قديمت أو ذات
درس **كعبشة راضية** وقوله تعالى (ولنبينه) عطف على ايقولوا واللام على الاصل لان التبيين غاية
التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى أو القرآن وان لم يذكر أى الله صدر رأى ولنفسه التبيين واللام فى قوله
تعالى (لقوم يعلمون) متعلقة بالتبيين وتخصيصه بهم لما أنهم المستفهمون به قال ابن عباس هم اولياؤه الذين
هداهم الى سبيل الرشاد ووصفهم بالعلم للايزار بغاية جهل الاولين وخلوهم عن العلم بالمرآة (اتباع ما أوحى
اليك من ربك) لما سكت عن المشركين قدحهم فى تصريف الآيات عقب ذلك بأمره عليه السلام بالشبات على
ما هو عليه وبعدم الاعتداد بهم وبأباطيلهم أى دم على ما أنت عليه من اتباع ما أوحى اليك من الشرائع
والاحكام التى عمدتها التوحيد وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من اظهار
اللطيف به ما لا يخفى وقوله تعالى (لا اله الا هو) اعراض بين الامرين المتعاطفين مؤكدا ليجاب اتباع
الوحى لاسيما فى امر التوحيد وقد جوز أن يكون جالا من ربك أى منفردا فى الألوهية (وأعرض عن
المشركين) لا تحتفل بهم وبأباطيلهم الباطلة التى من جهلتها ما حكى عنهم آنفا ومن جعله مغشوبا بآية السيف
حل الاعراض على ما يرمى الكف عنهم (ولو شاء الله) أى عدم اثرا كهم حسبا هو القواعد المستقرة
فى حذف مفعول المشية من وقوعها شرط او كون مفعولها مضمون الجزاء (ما أشركوا) وهذا دليل على
أنه تعالى لا يريد ايمان الكافر لكن لا يعنى أنه تعالى يمنع عنه مع توجهه اليه بل يعنى أنه تعالى لا يريد منه
اعدم صرف اختياره الجزئى نحو الايمان وامراره على الكفر والجملة اعراض مؤكدا لاعراض وكذا
قوله تعالى (وما جعلناك عليهم حفيظا) أى رقيباهم مما من قبلنا تحفظ عليهم أعمالهم وكذا قوله تعالى
(وما أنت عليهم بوكيل) من جهتهم تقوم بأمرهم وتدبر مصالحهم وعليهم فى الموضعين متعلق بما بعده قدم
عليه للاهتمام به أو لرعاية النوازل (ولاتبسوا الذين يدعون من دون الله) أى لا تشتموهم من حيث
عبادتهم لا آلهتهم كأن تقولوا تبسوا اليكم ولما تعبدونه مثلا (فيسبوا الله عدوا) تجاوزا عن الحق الى
الباطل بان يقولوا اليكم مثل قولكم لهم (بغير علم) أى بجهالة الله تعالى وبما يجب أن يذكره وقرئ عدوا
يقال عدا يعدو عدوا وعدوا وعدوا وروى أنهم قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول قوله
تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لنتهين عن سب آلهتنا ولنتبعون الهك وقيل كان
المسلمون يسبونهم فنهوا عن ذلك لئلا يستتبع سبهم سب سبجانه وتعالى وفيه أن الطاعة اذا أدت الى معصية
راجحة وجب تركها فان ما يؤدى الى الشر شر (كذلك) أى مثل ذلك التزيين القوى (فيسبوا الله) (فيسبوا الله)
عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توقفا أو تحذيرا ويجوز أن يراد بكل أنتام
الكفرة اذ الكلام فيهم وبعملهم شرهم وفسادهم والمشب به تزيين سب الله تعالى لهم (ثم الى ربهم) مالك
أمرهم (مرجعهم) أى رجوعهم بالبعث بعد الموت (فيعتقهم) من غير تأخير (بما كانوا يعملون) فى
الدنيا على الاستمرار من السببات المزمنة لهم وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل ان يوعده سأخبرك
بما فعلت وفيه نكتة سرية مبنية على حكمة آية وهى ان كل ما يظهر فى هذه النشأة من الاعيان والاعراض
فانما يظهر بصورة مستعارة مخالفة لصورته الحقيقية التى بها يظهر فى النشأة الآخرة فان المعاصى مسمومة
فانه قد برزت فى الدنيا بصورة تستحسنها نفوس العصاة كما نطقت به هذه الآية **بكرية** وكذا الطاعات
فانها مع كونها أحسن الاحسن قد نظرت عندهم بصورة مكرهة ولذلك قال عليه السلام حقت الجنة بالمكاره
وحقت النار بالشهوات فاعمال الكفرة قد برزت لهم فى هذه النشأة بصورة مزينة يستحسنها الغواة ويستحبها
الطاعة وستظهر فى النشأة الآخرة بصورتها الحقيقية المنكرة الهائلة فعند ذلك يعرفون أن أعمالهم ماذا

فعبّر عن اظهارها بصورها الحقيقية بالاخبار المأثرت كلامها سبب للعلم بحقيقتها كما هي فليست برقوله تعالى
(وأقسموا بالله) روى أن قريشا اقترحوا بعض آيات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان فعلت بعض
ما تقولون أتصدقوني فقالوا نعم وأقسموا الزفعلته لئلا يؤمنوا جميعا فنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن ينزلها طمعا في إيمانهم فهم عليه الصلاة والسلام بالدعاء فزلت وقوله تعالى (جهداً أيانهم) مصدر في موقع
الحال أي أقسموا به تعالى جاهدين في إيمانهم (لئلا جاءتهم آية) من مقترحاتهم أو من جنس الآيات وهو
الانسب بحالهم في المكابرة والعناد وتراعى أمرهم في العتو والفساد حيث كانوا لا يبعدون ما يشاهدونه من
المعجزات الباهرة من جنس الآيات (ليؤمنن بها) وما كان مرمى غرضهم في ذلك إلا التحكم على رسول
الله صلى الله عليه وسلم في طلب المعجزة وعدم الاعتداد بما شاهدوا منه من البينات الحقيقية بأن تنقطع بها
الأرض وتسير بها الجبال (قل انما الآيات) أي كلها فيدخل فيها ما اقترحوه ودخولاً أولياً (عند الله)
أي أمرها في حكمه وقضائه خاصة بتصرف فيها حسب مشيئته المبينة على الحكمكم البالغة لا تتعلق بها
ولا بشأن من شؤون القدرة أحد ولا مشيئته لا استقلالا ولا اشتراكا بوجه من الوجوه حتى يمكن أن أتصدى
لاستبصارها بالاستدعاء وهذا كما ترى سدا لباب الاقتراح على أبلغ وجه وأحسنه ببيان علو شأن الآيات
وصعوبة منالها وتعاليتها من أن تكون عرضة للسؤال والاقتراح وأما ما قيل من أن المعنى انما الآيات عند
الله تعالى لا عندى فكيف أجيبكم اليها وأتاكم بها وهو القادر عليها لا أنا حتى أتاكم بها فلا مناسبة
له بالمقام فكيف لا وأيس مقترحهم مجيئها بغير قدرة الله تعالى وإرادته حتى يجابوا بذلك وقوله تعالى
(وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون) كلام مستأنف غير داخل تحت الأمر مسوق من جهته تعالى
ليبين الحكمة الداعية الى ما أشعر به الجواب السابق من عدم مجيئ الآيات خوفاً من المسلمين أو ما ناصه
بطريق التلوين لما كانوا راغبين في نزولها طمعا في سلامهم وإتمامه عليه الصلاة والسلام بطريق التعجيم
لما روى عنه صلى الله عليه وسلم من الهتم بالدعاء وقد بين فيه أن إيمانهم قاهرة وإيمانهم مما لا يدخل تحت الوجود
وان أجيب الى ما سأله وما استفهامة انكارية لا يمكن لا على أن مرجع الانكار هو وقوع المشعر به بل
هو نفس الأشعار مع تحقق المشعر به في نفسه أي وأي شيء يعلمكم أن الآية التي يقتضونها اذا جاءت
لا يؤمنون بل يقولون على ما كانوا عليه من الكفر والعناد أي لا تعلمون ذلك فتتمنون مجيئها طمعا في إيمانهم
فكانت بسطة عذر من جهة المسلمين في غنيم زول الآيات وقيل لا مزيدة فيسوجه الانكار الى الأشعار والمشعر
به جميعا أي أي شيء يعلمكم إيمانهم عند مجيئ الآيات حتى تتموا مجيئها طمعا في إيمانهم فيكون تخطئة لرأي
المسلمين وقيل أن معنى لعل يقال ادخل السوق أن الله يشترى اللهم وعنك وعلك وعلك كلها بمعنى ويؤيده أنه
قرئ لعلها اذا جاءت لا يؤمنون على أن الكلام قد تم قبله والمفعول الثاني يشعركم محذوف كما في قوله تعالى
وما يدريك لعله يزكى والجملة استئناف لتعليل الانكار وتقريره أي أي شيء يعلمكم حالهم وما سيكون عند مجيئ
الآيات لعلها اذا جاءت لا يؤمنون بها فإلحكم تتمنون مجيئها فان غلبه ما يليق بما اذا كان إيمانهم بها محقق
الوجود عند مجيئها لا امر جواز العدم وقرئ انها بالكسر على أنه استئناف حسبما سبق مع زيادة تحقيق لعدم
إيمانهم وقرئ لا يؤمنون بالقوة فانية فالخطاب في وما يشعركم للمتر كين وقرئ وما يشعركم أنها اذا جاءت
لا يؤمنون فارجع الانكار اقدام المتر كين على الاقسام المذكورة مع جهلهم بحال قلوبهم عند مجيئ الآيات
وبكونها حينئذ كما هي الآن (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم) عطف على لا يؤمنون داخل في حكم ما يشعركم
مقيد بما قيد به أي وما يشعركم أن انقلب أفئدتهم عن ادراك الحق فلا يفقهونه وأبصارهم عن اجتلائه فلا
يصرونه لكن لامع توجهها اليه واستعدادها لقبوله بل لكمال نبوغها عنه واعراضها بالكلية ولذلك اخذ كره
عن ذكر عدم إيمانهم أشعارا بأصالتهم في الكفر وحسب انبؤهم أن عدم إيمانهم ناشئ من قلبه تعالى
مشاعركم بطريق الاجبار (كأنهم يؤمنوا به) أي بما جاء من الآيات (أول مرة) أي عند ورود الآيات
السابقة والكاف في محل نصب على أنه نعت لمصدر محذوف منصوب بلا يؤمنون وما مصدرية أي لا يؤمنون
بل يكفرون كفرا كأننا ككفرهم أول مرة وتوسيط تليد الأفتدة والأبصار بينهما لأنه من مقدمات عدم
إيمانهم (ونذرهم) عطف على لا يؤمنون داخل في حكم الاستفهامة الانكارى مقيد بما قيد به مبين لما هو

المراد بتقلب الاقدار والابصار ومغرب عن حقيقته بأنه ليس على ظاهره بأن يقلب الله سبحانه مشاعرهم
عن الحق مع توجههم اليه واستعدادهم لطريق الاجبار بل بأن يخليهم وشأنهم بعدما علم فساد استعدادهم
وفرط نفورهم عن الحق وعدم تأثير اللطف فيهم أصلاً ويطبع على قلوبهم حسماً يقتضيه استعدادهم كما أشرنا
اليه وقوله تعالى (في طغيانهم) متعلق بنذرهم وقوله تعالى (يهمهون) حال من الضمير المنصوب في نذرهم
أي نذعهم في طغيانهم متعبرين لانهم لديهم هداية المؤمنين او مفعول ثان انذرهم أي نصيرهم عامهين وقرئ
يقلب ويذوب الياء على اسنادها الى ضمير الجلالة وقرئ تقلب بالياء والبناء للمفعول على اسناده الى اقدارهم
(ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة) تصریح بما أشعر به قوله عز وجل وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون من الحكمة
الداعية الى ترك الايابة الى ما اقترحوه من الآيات اثنان أنهما في حكمه تعالى وقضائه المبني على الحكم
البالغة لا مدخل لاحد في أمرها بوجه من الوجوه وبيان لكذبهم في أيمانهم الفاجرة على البغ ووجه وأكده
أي ولو أننا لم تقتصر على اتياء ما اقترحوه معنا من آية واحدة من الآيات بل نزلنا اليهم الملائكة كما سألوه
بقولهم لولا انزل علينا الملائكة وقولهم لو ما تأيننا بالملائكة (وكلمهم المولى) وشهدوا بحقيقة الايمان بعد
أن أحينا هم حسبما اقترحوه بقولهم فأتوا باياتنا (وحشرنا) أي جمعنا (عليهم كل شيء قبلاً) بضمين
وقرئ يسكون الباء أي كفلاء بحجة الامر وصدق النبي صلى الله عليه وسلم على أنه جاع قبيلاً بمعنى الكفيل
كرغف ورغف وقضيب وقضب وهو الانسب بقوله تعالى أو تأتى باقته والملائكة قبلاً أي لو لم تقتصر على
ما اقترحوه بل زدنا على ذلك بأن أحضرنا لديهم كل شيء يتأق منه الكفالة والشهادة بما ذكر لا فرادى بل بطريق
المعية أو جماعات على أنه جمع قبيل وهو جمع قبيلة وهو الاوفق لعوم كل شيء وشعوله للانواع والاصناف أي
حشرنا كل شيء نوعاً نوعاً صنف صنفًا وفوجاً فوجاً واتصافه على الحولية وجمعته باعتبار الكل المجموع
اللازم للكل الافرادى أو متباهة وعياناً على أنه مصدر كقبلاً وقد قرئ كذلك واتصافه على الوجهين على أنه
مصدر في موقع الحال وقد نقل عن البرد وساعة من أهل اللغة أن الاخير بمعنى الجهة كما في قولك لي قبل فلان
حق وأن اتصافه على الظرفية (ما كانوا يؤمنوا) أي ما صح وما استقام لهم الايمان لقادهم في العصيان
وغلوهم في التزدد والطغيان وأما سبق التضاء عليهم بالكفر فمن الاحكام المترتبة على ذلك حسبما يتبع عنه قوله
عز وجل ونذرهم في طغيانهم يعمهون وقوله تعالى (الآن يشاء الله) استثناء مفترغ من أعم الاحوال
والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة أي ما كانوا يؤمنوا بعد اجتماع ما ذكر من الامور
الموجبة للايمان في حال من الاحوال الداعية اليه المتقدمة لوجوبه المذكورة الا في حال مشيئته تعالى
لايمانهم أو من أعم العلل أي ما كانوا يؤمنوا لعله من الهال المدودة وغيرها المشيئته تعالى له وأياً ما كان
فليس المراد بالاستثناء بيان أن ايمانهم على خطر الوقوع بناء على كون مشيئته تعالى أيضاً كذلك بل بيان
استحالة وقوعه بناء على استحالة وقوعها كانه قبل ما كانوا يؤمنوا الآن يشاء الله وهيئات ذلك وحالهم
حالهم بدليل ما سبق من قوله تعالى ونقلب اقدارهم الآية كيف لا وقوله عز وجل (ولكن أكثرهم يجهلون)
استدراك من مضمون الشرطية بعد ورود الاستثناء لا قبله ولا ريب في أن الذي يجهلونه سواء أريد بهم
المسلمون وهو الظاهر أو المشركون ليس عدم ايمانهم بلامشيئة الله تعالى كما هو اللازم من حمل النظم الكريم
على المعنى الاول فانه ليس مما يعتقده الاولون ولا مما يذمهم الاخرون بل انما هو عدم ايمانهم لعدم مشيئته
ايمانهم ومربعه الى جهلهم بعدم مشيئته اياه فالمعنى أن حالهم كما شرح ولكن أكثر المسلمين يجهلون عدم
ايمانهم عند مجي الآيات لجهلهم بعدم مشيئته تعالى لايمانهم فيقتنون مجيئها طمعاً فيما لا يكون فالجمله
مقررة لمنهون قوله تعالى وما يشعركم الخ على القراءة المشهورة أو ولكن أكثر المنكرين يجهلون عدم ايمانهم
عند مجي الآيات لجهلهم بعدم مشيئته تعالى لايمانهم حينئذ فيقسمون بالله بجهلهم على ما لا يكاد يكون
فالجمله على القراءة السابقة بيان مبتدأ لما شاختا المقامين ومناط اقسامهم وتقريره على قراءة لا يؤمنون
بالياء فوقانية وكذا على قراءة وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً)
بكلام مبتدأ مسوق لتسليط رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يشاهده من حداوة قريش له عليه الصلاة
والسلام وما ينو عليها مما لا يخبر به من الخلفاء والافاعيل بيان أن ذلك ليس بمختص بآب بل هو أمر ابتلى به

كل من سبقك من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومحل الكاف النصب على أنه نعت لمصدر محذوف اشير
اليه بذلك منصوب بفعله المحذوف مؤكدا لما بعده وذلك اشارة الى ما يفهم مما قبله أي جعلنا لكل نبي عدوا
والتقديم على الفعل المذكور لتقصير المفيد للصابقة أي مثل ذلك العمل الذي جعلنا في ذلك حيث جعلنا لك
عدوا يضادوك ويضارونك ولا يؤمنون ويغوثك الغوائل ويدبرون في ابطال أمرك مكاييد جعلنا لكل نبي
تقدمك عدوا فاعلوا بهم ما فعل بك أعداؤك لاجل انقص منه وفيه دليل على أن عداوة الكفرة للانبياء
عليهم السلام بطلته تعالى للابتلاء (شياطين الانس والجن) أي مرادة الفريقين على أن الاضافة بمعنى من
البيان وقيل هي اضافة الصفة الى الموصوف والاصل الانس والجن الشياطين وقيل هي بمعنى اللام أي
الشياطين التي للانس والتي للجن وهو يدل من عدوا والجعل متعدي الى واحد أو الى اثنين وهو أول مفعوليه قدم
عليه الثاني مسارعة الى بيان العداوة واللام على التقديرين متعلقة بالجعل أو محذوف وهو حال من عدوا
وقوله تعالى (يوشى بعضهم الى بعض) كلام مستأنف مسوق لبيان أحكام عداوتهم وتحقيق وجه الشبه
بين المتشبه والمتشبه به أو حال من الشياطين أو نعت لعدوا وجمع الضمير باعتبار المعنى فانه عبارة عن الاعداء
كما في قوله

إذا أنا لم أنقع صديقي يوده * فان عدوى لم يشتر هم وبغضى

والوحى عبارة عن الايعاء والقول السريع أى يلحق ويوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس أو بعض
كل من الفريقين الى بعض آخر (زخرف القول) أى المسمومة منه المزين ظاهره الباطل باطنه من
زخرفه اذا زينه (غرورا) مفعول له يوشى أى ليغتر بهم أو مصدر في موقع الحال أى غارين أو مصدر
مؤكدا لفعل متقدره وحال من فاعل يوشى أى يغترون غرورا (ولوشاء ربك) رجوع الى بيان الشؤن
الحارية ينسب صلى الله عليه وسلم وبين قومه المفهومة من حكاية ما جرى بين الانبياء عليهم السلام وبين أمهم
كما في عنه الالتفات والتعريض لوصف الربوبية مع الاضافة الى نفسه صلى الله عليه وسلم المعربة عن كمال
اللفظ في التسلية أى ولوشاء ربك عدم الامور المذكورة لايمانهم كما قيل فان القاعدة المستمرة أن مفعول
المتشبهة انما يحذف عند وقوعها شرطاً وكون مفعولها متضمنون الجزاء وهو قوله تعالى (ما فعلوه) أى
ما فعلوا ما ذكر من عداوتك وايحاء بعضهم الى بعض من خرافات الاقاويل الباطلة المتعلقة بأمرك
خاصة لا بما بعده وأمر الانبياء عليهم السلام أيضا كما قيل فان قوله تعالى (فذرهم وما يشعرون) صريح
في أن المراد بهم الكفرة المعاصرون له عليه الصلاة والسلام أى اذا كان ما فعلوه من أحكام عداوتك
من فنون المناسد بشيئته تعالى فتركهم وانترأهم أو وما يفترونه من أنواع المكاييد فان لهم في ذلك عقوبات
شديدة ولت عواقب حميدة لا يتناء شبيئته تعالى على الحكم البالغة البتة (ولتصغى اليه) أى الى زخرف
القول وهو على الوجه الاول علة أخرى لا ليحيا معطوفة على غرورا وما يتبعها اعتراض وانما لم ينصب لفقد
شرطه اذا غرور فعمل الموحى وصغوا لا تشدة فعل الموحى اليه أى يوشى بعضهم الى بعض زخرف القول
ليغتر بهم ولتصغى اليه (أفتد الذين لا يؤمنون بالآخرة) انما خص بالذكر عدم ايمانهم بالآخرة دون
ما عداها من الامور التي يحب الايمان بها وهم بها كافرون اشعاراً بانما هو المدار في صفوا فتدتم الى ما يلقى
اليهم فان لذات الآخرة محفوفة في هذه التشاة بالمكارة والآلهة من زينة بالشهوات فالذين لا يؤمنون بها
وباحوال ما فيها لا يدرون أن وراء تلك المكارة لذات ودون هذه الشهوات آلاما وانما ينظرون الى ما يداهمهم
في الدنيا بادئ الرأي فهم مضطرون الى حب الشهوات التي من جملتها من خرافات الاقاويل ومخوات الاباطيل
وأما المؤمنون بها فحيث كانوا واقفين على حقيقة الحال ناظرين الى عواقب الامور لم يتصور منهم الميل الى
تلك المزخرفات لعلهم يطلونها وخامة عاقبتها وأما على الوجهين الآخرين فهو علة لفعل محذوف يدل عليه
المقام أى ولكون ذلك جعلنا ما جعلنا والمعتزلة جعلوا اللام لام العاقبة أو لام القسم أو لام الامر ووضعه
في غاية الظهور (وليرضوه) لانفسهم بعدما مالت اليه أفندتم (وليقتروا) أى يكتسبوا ووجب
ارتضاؤهم له (ما هم مقترونون) له من القسائح التي لا يليق ذكرها (أفغير الله أبتنى حكما) كلام مستأنف
واراد على ارادة القول والهزمة لانكاروا الفاء للعطف على مقدر يقتضيه الكلام أى قل لهم أأميل الى

وخارف الشياطين فأبغى حكماً غير الله يحكم بيننا ويفصل الحق منا من المبطل وقيل ان حشر كى قر يش قالوا
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكماً من آخبار اليهود أو من أساقفة النصارى ليضربنا عنك
 بما فى كتابهم من أمر لدفع نزات واستناد الابتغاء المنكر الى نفسه صلى الله عليه وسلم لا الى المشركين كما فى
 قوله تعالى أغفِر دين الله يغفون مع أنهم الياسغون لظهار كمال النصفة او لمراعاة قولهم اجعل بيننا وبينك
 حكماً غيراً تاماً دعول أتبغى وحكماً حال منه واما بالعكس وأياً ما كان فتقديمه على الفعل الذى هو المعطوف
 بالقاء حقيقة كما أشير اليه للايدان بأن مدار الانكار هو ابتغاء غيره تعالى حكماً لا مطلق الابتغاء وقيل حكماً
 تميز لما فى غير من الابهام كقولهم ان لنا غير هذا ابلا قالوا الحكمكم أبلغ من الحاكم وأدل على الرسوخ
 لما أنه لا يطلق الا على العادل وعلى من تكثر رمته الحكم بخلاف الحاكم (وهو الذى أنزل اليكم
 الكتاب) بوجه حالية مؤكدة لانكار ابتغاء غيره تعالى حكماً ونسبة الانزال اليهم خاصة مع أن مقتضى
 المقام اظهارة تساوى نسبته الى الحاكمين لاستقامتهم نحو المنزل واستتزالهم الى قبول حكمه بأبهم قوة
 نسبته اليهم أى أغفِر تعالى أتبغى حكماً والحال أنه هو الذى أنزل اليكم وأنتم أمة أمية لا تدررون
 ما تأتون وما تدررون القرآن الناطق بالحق والصواب الحقيق بأن يخص به اسم الكتاب (مفصلاً) أى مبيناً
 فيه الحق والباطل والحلال والحرام وغير ذلك من الاحكام بحيث لم يبق فى أمور الدين شئ من التخليط
 والابهام فأى حاجة بعد ذلك الى الحكم وهذا كما ترى صريح فى أن القرآن الكريم كاف فى أمر الدين مع
 عن غيره ببيانه وتفصيله وأما أن يكون لا يحازه دخل فى ذلك كما قيل فلا وقوله تعالى (والذين آتيناهم الكتاب
 يعلمون أنه منزل من ربك بالحق) كلام مستأنف غير داخل تحت القول المقدر مسوق من جهته سبحانه
 لتحقيق حقيقة الكتاب الذى ينط به أمر الحكمية وتقرير كونه منزلاً من عنده عز وجل ببيان أن الذين وثقوا بهم
 ورضوا بحكميتهم حسبما نقل آنفاً من علماء اليهود والنصارى عالمون بحقيقته ونزوله من عنده تعالى وفى التعبير
 عن التوراة والانجيل باسم الكتاب ايماء الى ما بينهما وبين القرآن من المحامسة المقتضية للاشتراك فى الحقيقة
 والتزول من عنده تعالى مع ما فيه من اليجاز وايراد الطائفتين بعنوان اتياء الكتاب للايدان بأنهم علوة
 من جهة كتابهم حيث وجدوه حسبما عرفت فيه وعما يتوه موافقته فى الاصول وما لا يختلف من الفروع وغيره
 عن أمور لا طريق الى معرفتها سوى الوحى والمراد بالوصول اتمام العلم الفريقتين وهو الظاهر فلا يأتى هو
 التفهيم بالفعل واما الكل وهم داخلون فيه دخولا اولياً فهو أعم مما ذكر ومن التفهيم بالقوة ولا ريب فى أن
 الكل متمكنون من ذلك وقيل المراد مؤمنواهل الكتاب وقرئ منزل من الانزال والتعرض لعنوان
 الربوبية مع الاضافة الى شيعته صلى الله عليه وسلم لتشر يفه عليه الصلاة والسلام والباء فى قوله تعالى بالحق
 متعلق بمحذوف وقع حالاً من الضمير المستكن فى منزل أى ملتبساً بالحق (فلا تكون من المبترين) أى فى أنهم
 يعلمون ذلك لما لا تشاهد منهم آثاراً العلم وأحكام المعرفة فالقاء لترتيب النهى على الاخبار ايلم أهل الكتاب
 بشأن القرآن أو فى أنه منزل من ربك بالحق فيكون من باب التهييج والالهاب كقولهم تعالى ولا تكون من
 المشركين وقيل الخطاب فى الحقيقة للامة وان كان له صلى الله عليه وسلم صورة وقيل الخطاب لكل أحد
 على معنى أن الادلة قد تعاضدت وتظاهرت فلا ينبغي لاحد أن يترى فيه والفاء على هذه الوجوه لترتيب النهى
 على نفس علمهم بحال القرآن (وقت كلمة ربك) شروع فى بيان كمال الكتاب المذكر من حيث ذاته اثر بيان
 كماله من حيث اضافته اليه تعالى بكونه منزلاً منه بالحق وتحقيق ذلك بعلم أهل الكتاب به وانما عبر عنه بالكلمة
 لانها الاصل فى الاتصاف بالصدق والعدل وبما تظهر الاسمار من الحكم وقرئ كلمات ربك (صدقا وعدلا)
 مصدران فصبا على الحال وقيل على التمييز وقيل على العلة وقوله تعالى (لا تبدل لكلماته) اما استئناف
 مبين لفضلهما على غيرها اثر بيان فضلها فى نفسها واما حال أخرى من فاعلت على أن الظاهر مغنى عن الضمير
 الرابط والمعنى أنهم بلغت الغاية القصوى صدقا فى الاخبار والمواعيد وعدلا فى الاقضية والاحكام لا أخذ
 يتبدل شياً من ذلك بما هو أصدق وأعدل ولا بما هو مثله فكيف يتصور ايهما حكم غيره تعالى (وهو السميع)
 لكل ما يتعلق به السمع (العليم) بكل ما يمكن أن يعلم فيه دخل فى ذلك أقوال المتصانين وأحوالهم الظاهرة

والباطنة دخولا أو ليا هذا وقد قيل المعنى لا أحد يقدر على أن يحرفها كما فعل بالتوراة فيكون ضمنا لها
من الله عز وجل بالحفظ كقوله تعالى انما نحن نزلنا الذكروا له لحافظون أولاني - ولا كتاب بعدها ينسخها
(وان قطع أصكتر من في الارض) لما تحقق اختصاصه تعالى بالحكمة لاستقلاله بما يوجبها من انزال
الكتاب الكامل الفاصل بين الحق والباطل وغمام صدق كلامه وكما عدالة أحكامه واستناع وجوده من
يدل شيئا منها واستداده تعالى بالاحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات عقب ذلك بيان أن الكفرة
متصفون بصفات تلك الكلالات من النشائص التي هي الضلال والاضلال واتباع الظنون الفاسدة الناشئة
من الجهل والكذب على الله سبحانه وتعالى إبانة لكلامه مبينة حالهم لما يروونه وتحذير اعداء الركون
اليهم والعمل بأرائهم والمراد من في الارض الناس وبأن كثرة الكفار وقيل أهل مكة والارض أرضها أي
ان قطعهم بأن جعلت منهم حكما (يقولون عن سيد الله) عن الطريق الموصلى اليه وعن الشريعة التي شرعها
لعباده (ان يتبعون الا الاطن) وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق فهم على آثارهم يتدنون وأوجهها لانهم وآراءهم
الباطلة على أن المراد بالاطن ما يقابل العلم والجله استئناف مبنى على سؤال نشأ من الشرطية كأنه قيل كيف
يضلون فقيل لا يتبعون في أموريهم الا الاطن وان الاطن لا يغنى من الحق شيئا فيضلون ضلالا لا مبينا ولا ريب
في أن الضال المتصدى للارشاد انما يرشد غيره الى مسلك نفسه فهم ضالون مضلون وقوله تعالى (وان هم
الا يخرمون) عطف على ما قبله داخل في حكمه أي يكذبون على الله سبحانه فيما يتسبون اليه تعالى كاتخاذ الولد
وجعل عبادة الاوثان ذريعة اليه تعالى وتحليل الميتة وتحريم البهائم ونظائرهما ويقدرون أنهم على شيء وأرى لهم
ذلك وروونه مناط العيوق وحقيقته ما يقال عن ظن وتحريم (ان ربك هو أعلم من يضل عن ميله وهو أعلم
بالمعتدين) تقرير لخصم الشرطية وما بعدها وتأكيدها بقوله لا يفسد من التحذير أي هو أعلم بالقرينين فاحذر
أن تكون من الاقرين ومن موصولة أو موصوفة في محل النصيب لا بنفس أعلم فان أفعال التفصيل لا يوجب
الظاهر في مثل هذه الصور بل فعل دل هو عليه أو استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر بضل والجله معلق عنها
الفعل المقدّر وقرئ بضل يضم الباء على أن من فاعل ليضل ومفعوله محذوف ومحلها النسب عما ذكر من الفعل
المقدّر أي هو أعلم يعلم من يضل الناس فيكون تأكيده التحذير عن طاعة الكفرة وأما أن الفاعل هو الله تعالى
ومن منصوبه بما ذكر أي يعلم من يضل أو مجرورة باضافة أعلم اليها أي أعلم المضلين من قوله تعالى من يضل الله
أو من قولك أضلته اذا وجدته ضالا فلا يساعده السابق والسباق والتفصيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجود
التي يمكن تعلق العلم بها وزومه وكونه بالذات لا بالغير (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) أمر مترتب على المنهي عن
اتباع المضلين الذين من جملته اضلالهم تحليل الحلال وتحريم الحرام وذلك أنهم كانوا يقولون للمسلمين انكم
تعبدون الله فاقبله الله أحق أن تأكلوه مما قلتم أنهم فقيل للمسلمين كلوا مما ذكر اسم الله تعالى خاصة على ذبحه لأعما
ذكر عليه اسم غيره فقط أو مع اسمه تعالى أو مات حنق الله (ان كنتم بآياته) التي من جملتها الآيات الواردة
في هذا الشأن (مؤمنين) فان الايمان بما يقضى استحبابه ما أحله الله والاجتناب عما حرمه وجواب الشرط
محذوف دلالة ما قبله عليه (ومالكم أن لاتأكلوا مما ذكر اسم الله عليه) انكار لأن يكون لهم شيء يدعوهم الى
الاجتناب عن أكل ما ذكر عليه اسم الله تعالى من البهائم والسواحب ونحوها وقوله تعالى (وقد فصل لكم) الخ
جمله حالية مؤكدة للانكار كما في قوله تعالى ومالنا أن لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا أي
وأي سبب حاصل لكم في أن لاتأكلوا مما ذكر اسم الله عليه أو أي غرض يحملكم على أن لاتأكلوا ويمنعكم من
أكله والحال أنه قد فصل لكم (ما حرم عليكم) يقوله تعالى قل لا أحد فيا أوصي الى محرم ما الخ فبقى ما عدا ذلك على
الحال لا بقوله تعالى حرمت عليكم الميتة الخ لانها مدنية وأما التأخر في التلاوة فلا يوجب التأخر في النزول وقرئ
الضلال على البناء المفعول وقرئ الاقول على البناء للفاعل والثاني للمفعول (الاما اضطررتم اليه) مما حرم فانه
أيضا حلال حينئذ (وان كثيرا) أي من الكفار (يضلون) الناس بتحريم الحلال وتحليل الحرام كعمرو بن لحي
وأضرابه وقرئ يضلون (بأهوائهم) الزائفة وشهواتهم الباطلة (بغير علم) مقتبس من الشريعة الشريفة مستند
الى الوحي (ان ربك هو أعلم بالمعتدين) التجاوزين لمحدود الحق الى الباطل والحلال الى الحرام (وذروا ظاهر
الامر وباطنه) أي ما يعلن من الذنوب وما يستر وما يعمل منها بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الجوارح والتجاني

قوله على أن من فاعل يضل
الخ يعني أن فاعل يضل ضمير
مستتر فيه يعود على من وان
كان محلها النسب كما قال على
المفعول ليعلم المقدّر
ومفعول يضل محذوف
والتقدير يعلم ربك الذي يضل
الناس فقيه اه معه

الآخذان (ان الذين يكسبون الاثم) أي يكسبونه من الظاهر والباطن (سيجزون بما كانوا يقترون) كما
ما كان فلا بد من اجتنابهما والجله تطيل للامر (ولانما كلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) ظاهر في تحريم متروك
التسعة عدا كان أو نسيانا أو إليه ذهب داود وعن أحمد بن حنبل مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه
السلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وقرئ أبو حنيفة بين العمد والنسيان وأوله بالمسئة أو بما
ذكر عليه اسم غيره تعالى اقوله (وانه لفسق) فان افسق ما أهل به لغد الله والضمير لما ويجوز أن يكون للاكل
المدلول عليه بلانما كلوا والجله مستأنفة وقيل سالية (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم) المراد
بالشياطين ابليس وجنوده فايحواؤهم وسوستهم الى المشركين وقيل مردة الجوس فايحواؤهم الى أوليائهم
ما أنهموا الى قرين بالشك ان محمدا أو صحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله ثم يزعمون أن ما يقتلون حلال
وما يقتله الله حرام (ليجادلوكم) أي بالوساوس الشيطانية أو بما نقل من أياطيل الجوس وهو يؤيد التأويل
بالمسئة (وان أطيعوهم) في استغلال الحرام وساعدوهم على أياطيلهم (انكم لمشركون) ضرورة أن من ترك
طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد أشرك به تعالى بل آثره عليه سبحانه (أو من كان مينا) وقرئ مينا
على الاصل (فأحييناه) قنيل مبروق لتفسير المسلمين من طاعة المشركين اثر تحذيرهم عنها بالاشارة الى أنهم
مستضيئون بأنوار الوحي الالهى والمشركون ساطون في ظلمات الكفر والطغيان فكيف يعقل اطاعتهم لهم
والهمزة للانكار والنفي والواو لعطف الجمله الاسمية على مثلها الذي يدل عليه الكلام أي أنتم مثلهم ومن كان
مينا فأعطيناه الحياة وما يتبعها من القوى المدركة والمحركة (وجعلناه) مع ذلك من الخارج (نورا) عظيما
(يشى به) أي بسببه والجله استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فماذا يصنع بذلك النور فقيل
يشى به (في الناس) أي فيما بينهم آمنوا من جهتهم أو صفته (كن مثله) أي صفته الحميمة وهو مبتدأ وقوله تعالى
(في الظلمات) خبره على أن المراد به ما للفظ لا المعنى كما في قولك زيد صفته أحمر وهذه الجمله صلة لمن وهي مجرورة
بالكاف وهي مع مجرورها خبر لمن الاولى وقوله تعالى (ليس بخارج منها) حال من المستكن في الظرف وقيل
من الموصول أي غير خارج منها بحال وهذا كما ترى مثل أريد به من بقى في الضلالة بحيث لا يفارقها أصلا كما أن
الاول مثل أريد به من خلقه الله تعالى على فطرة الاسلام وهذا بالآيات البينة الى طريق الحق يسلكه كيف
يشاء لكن لا على أن يدل على كل واحد من هذه المعاني بما يليق به من الالفاظ الواردة في المثلين بواسطة تشبيهه
بما يناسبه من معانيها فان الفاظ المثل باقية في معانيها الاصلية بل على أنه قد انتزعت من الامور المتعددة المعقبة
في كل واحد من جانبي المثلين هيئة على حدة ومن الامور المتعددة المذكورة في كل واحد من جانبي المثلين هيئة
على حدة فشبهت بهما الاوليان ونزلتا منزلة لهما فاستعمل فيهما ما يدل على الاخرين بضرب من التجوز وقد أشير
في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم الآية الى أن التثليل قسم برأسه لا سبيل الى جعله من باب الاستعارة
حقيقة وأن الاستعارة التمثيلية من عبارات المتأخرين نعم قد يجري ذلك على صن الاستعارة بأن لا يذكر المشبه
كهمذين التثليل وتطائرهما وقد يجري على منهاج التشبيه كما في قوله

وما الناس الا كالديار وأهلها • بها يوم سلوها وغدوا بلا قع

(كذلك) أي مثل ذلك التزيين البليغ (زين) أي من جهة الله تعالى بطريق الخلق عند ايجاد الشياطين أو من
جهة الشياطين بطريق الزخرفة والتسويل (للكافرين) التابعين للوساوس الشيطانية الآخذين بالزخرفات
التي يوحونها اليهم (ما كانوا يعملون) ما استمروا على عمله من فنون الكفر والمعاصي التي من جملتها ما جكي
عنهم من القبايح فانها لو لم تكن من شئ لهما أصروا عليها ولما جادلوا بها الحق وقيل الآية نزلت
في حزة رضى الله عنه وأبي جهل وقيل في عمر أو عمار رضى الله عنه ما وأبي جهل (وكذلك) قيل معناه كما جعلنا
في مكة كبر مجرميها ليكرها فيها (جعلنا في كل قرية) من سائر القرى (أكابر مجرميها ليكرها فيها)
ومفعولا جعلنا أكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني والظرف لغوا وهما الظرف وأكابر على أن مجرميها
بدل أو مضاف اليه فان أفعال التفضيل اذا أضيف جازا لافراد والمطابقة ولذلك قرئ أكابر مجرميها وقيل أكابر
مجرميها مفعوله الاول والثاني ليكرها فيها ولا يخفى أن أي معنى يراد من هذه المعاني لا بد أن يكون مشهور
التحقق عند الناس معهودا فيما بينهم حتى يصلح أن تصرف الاشارة عن سياق النظم الكريم وتوجه اليه ويجعل

مقياسا للنظر به باخراجه مخرج المصدر التشبيهي وظاهر أن ليس الأمر كذلك ولا يبدل إلى توجيهها إلى ما يفهم من قوله تعالى كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وإن كان المراد بهم أكبر مكره لأن ما لم المعنى حينئذ بعد الالتيا والتي كما جعلنا أعمال أهل مكة حزينه لهم جعلنا في كل قرية أكبر مجرميها الخ فاذن الأقرب أن ذلك إشارة إلى الكفرة المهودين باعتبار اتصافهم بصفاتهم والأفراد بتأويل الفريق أو المذكور ومحمل التكاف النصيب على أنه المفهوم الثاني بل جعلنا قدم عليه لأفاده التخصيص كما في قوله تعالى كذلك كنتم من قبل الآية والاول أكبر مجرميها والظرف لغو أي ومثل أولئك الكفرة الذين هم صناديد مكة ومجرموها جعلنا في كل قرية أكبرها المجرمين أي جعلناهم متصفين بصفات المذكورين من ينالهم أعماهم مصرين على الباطل مجادلين به الحق ليكروا فيها أي ليفعلوا المكرو فيها وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (وما يذكرون إلا بأنفسهم) اعتراض على سبيل الوعد لرسول الله عليه الصلاة والسلام والوعيد للكفرة أي وما تحقيق غائله مكرهم إلا بهم (وما يشعرون) حال من ضمير يذكرون مع اعتبار ورود الاستثناء على النقيض أي انما يذكرون بأنفسهم والحال أنهم ما يشعرون بذلك أصلا بل يزعمون أنهم يذكرون بغيرهم وقوله تعالى (واذا جاءتهم آية) رجوع إلى بيان حال مجرمي أهل مكة بعدما بين بطريق التسلية أن حال غيرهم أيضا كذلك وأن عاقبة مكر الكل ما ذكره في العظيمة المنقولة انما صدرت عنهم لا عن سائر المجرمين أي اذا جاءتهم آية بواسطة الرسول عليه الصلاة والسلام (قالوا ان تؤمن حتى تؤمن مثل ما أوتي رسل الله) قال ابن عباس رضي الله عنهما حتى يوحى اليها ويأيد جبريل عليه السلام فيخبرنا أن محمد صادق كما قالوا وأتاني بالله والملائكة قبيلنا وعن الحسن البصري مثله وهذا كما ترى صريح في أن ما عاقبنا ما أوتي الرسل عليهم الصلاة والسلام هو ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما أنزل اليه ايمانا حقيقيا كما هو المتبادر منه عند الاطلاق خلا أنه يستدعي أن يعمل ما أوتي رسل الله على مطلق الوحي وخاطبة جبريل عليه السلام في الجملة وأن تصرف الرسالة في قوله تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) عن ظاهرها وتحمل على رسالة جبريل عليه السلام بالوجه المذكور ويراد يجعلها تبليغها إلى المرسل اليه لا وضعها في موضعها الذي هو الرسول لينتفي كونه جوابا عن اقتراحهم وردالة بأن يكون معنى الاقتراح لن تؤمن بكون تلك الآية نازلة من عند الله تعالى إلى الرسول حتى يأتيها جبريل بالذات عيانا كما يأتي الرسول فيخبرنا بذلك ومعنى الرذالة أعلم من يليق برسالة جبريل عليه السلام اليه لا من الأمور اذنا بأنهم يعزل من استحقاق ذلك التتريف وفيه من التحمل ما لا يخفى وقال مقاتل نزلت في أبي جهل حين قال زاحمنا بن عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا بن يوحى اليه والله لا نرضى به ولا تبعه أبدا حتى يأتينا وحي كما يأتيه وقال الضعالب سؤال كل واحد من القوم أن يخص بالرسالة والوحي كما أخبر الله تعالى عنهم في قوله بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صفحا منشرة ولا يخفى أن كل واحد من هذين القولين وإن كان مناسباً للرذالة المذكورة لكنه يقتضي أن يراد بالايان المعلق بايتاء ما أوتي الرسل بمجرد تصديقهم برسالته عليه الصلاة والسلام في الجملة من غير قبول الكفاية للناس وأن تكون كلمة حتى في قول اللعين حتى يأتينا وحي كما يأتيه الخ غاية لعدم الرضا لعدم الاتباع فانه مقر على تقدير ايتاء الوحي وعدمه فالعنى لن تؤمن برسالته أصلا حتى تؤمن من الوحي والنبوة مثل ما أوتي رسل الله أو ايتاء مثل ايتاء رسل الله وأما ما قيل من أن الوليد بن المغيرة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقا لكنت أولى بها منك لاني أكبر منك سنا وأكرم منك مالا ولدا فنزلت فلا تعلق له بكلامهم المردود الآن يراد بالايان المعلق بما ذكر مجزء الايمان بكون الآية النازلة وحيا صادقا لا الايمان بكونها نازلة اليه عليه الصلاة والسلام فيكون المعنى واذا جاءتهم آية نازلة إلى الرسول قالوا لن تؤمن بنزولها من عند الله حتى يكون نزولها اليها لا لنا نحن المستحقون دونها فان ملخص معنى قوله لو كانت النبوة حقا الخ لو كان ما تدعيه من النبوة حقا لكنت أنا النبي لأنك واذ لم يكن الأمر كذلك فليست بحق وما لك تعلق الايمان بحقيقة النبوة بكون نفسه نبيا ومثل ما أوتي نصب على أنه نعت لمصدر محذوف وما مصدرية أي حتى تؤتاها ايتاء مثل ايتاء رسل الله واضافة الايتاء اليهم لانهم منكرين لايتاءه عليه الصلاة والسلام وحيث نصب على المقعولية توسعا لا بنفس أعلم لما عرفت من أنه لا يعمل في الظاهر بل بفعل دل هو عليه أي هو أعلم يعلم الموضع الذي يضعها فيه والمعنى أن منصب الرسالة ليس محالاً بكثر المال والولد وتعاقد الأسباب والعدد وانما يقال بفضائل نفسانية يخصها الله تعالى بمن يشاء من خلص عباده

وقرى رسالته (سبب الذين أجمعوا) استئناف آخر ناع عليهم ما سبق قوله من فنون الشر بعد ما نعى عليهم
 حرمانهم مما أتلوه والسبب للتأكيد ووضع الموصول موضع الضمير للاشارة بأن اصلية ما يصيبهم لا جوارهم
 المستبوع لجميع الشرور والقبائح أى يصيبهم البتة مكان ما غنوه وعلقوا به أطماعهم الفارغة من عزة النبوة
 وشرف الرسالة (صغار) أى ذلة وحقارة بعد كبرهم (عند الله) أى يوم القيامة وقيل من عند الله (وعذاب شديد)
 فى الآخرة وفى الدنيا (بما كانوا يكفرون) أى بسبب مكبرهم المستقر أو بمقابلته وحديث كان هذا من معظم مواد
 اجرامهم صريح بسببته (من يرد الله أن يهديه) أى يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان (يشرح صدره للاسلام)
 فينسع له وينفتح وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهينة لخلوله فيها مصفاة عما ينعى وينافيه واليه أشار عليه
 الصلاة والسلام حين سئل فقال نور يقذفه الله فى قلب المؤمن فينشرح له وينفتح فقالوا هل لذلك من أمارة يعرف
 بها فقال نعم الأمانة الى دار الخلود والاعراض عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله (ومن يرد أن يضله)
 أى يخلق فيه الضلال بصرف اختياره اليه (يجعل صدره ضيقا حرجا) بحيث ينبوع قبول الحق فلا يكاد يدخله
 الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف وحرجا بكسر الراء أى شديد الضيق والاول مصدر وصف به مبالغة (كأنما يصعد)
 ما هذه مهينة لدخول كان على الجبل الفعلية (فى السماء) شبه للمبالغة فى ضيق صدره بمن راول ما لا يكاد يقدر عليه
 فان صعود السماء مثل فيما هو خارج عن دائرة الاستطاعة وفيه تنبيه على أن الايمان يتسع منه كما يتسع منه الصعود
 وقيل معناه كأنما يتصاعد الى السماء نبوءا عن الحق وتباعد فى الهرب منه وأصل يصعد يصعد وقد قرئ به وقرئ
 يصعد وأصله يتصاعد (كذلك) أى مثل ذلك الجعل الذى هو جعل الصدر حرجا على الوجه المذكور (يجعل الله
 الرجس) أى العذاب أو الخذلان قال مجاهد الرجس ما لا خفيه وقال الزجاج الرجس اللعنة فى الدنيا
 والآخرة (على الذين لا يؤمنون) أى عليهم ووضع الموصول موضع الضمير للاشارة بأن جعله تعالى
 معمل بما فى حيز الصلة من كمال نبوءهم عن الايمان واصرارهم على الكفر (وهذا) أى البيان الذى جاء به القرآن
 أو الاسلام أو ما سبق من التوفيق والخذلان (صراط ربك) أى طريقه الذى أرواه وأعادته وطريقته التى
 اقتضتها حكمته وفى التعرض لعنوان الربوبية ايدان بأن تقويم ذلك الصراط للترية وافاضة الكمال
 (مستقيما) لا عوج فيه أو عاد لا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله تعالى وهو الحق مصدقا والعامل فيها معنى
 الاشارة (قد فصلنا الآيات) بيناها مفصلة (لقوم يذكرون) يذكرون ما فى تضاعفها فيعلمون أن كل ما يحدث
 من الحوادث خيرا كان أو شرا فاعلموا بحدوث قضاء الله تعالى وخلقه وأنه تعالى عالم بأحوال العباد حكمهم عادل
 فيما يفعل بهم وتخصيص القوم المذكورين بالذكر لانهم المنتفعون بتفصيل الآيات (لهم دار السلام) أى
 للمتذكرين دار السلامة من كل المكار وهي الجنة (عند ربهم) أى فى ضمانه أو ذخيرة لهم عنده لا يعلم كتبها
 غيره تعالى (وهو وليهم) أى مولا لهم وناصرهم (بما كانوا يعملون) بسبب أعمالهم الصالحة أو توليهم جزائها
 يتولى ايصاله اليهم (ويوم يحشرهم جميعا) منصوب بمنزلة اتاعلى المفعولية أو الظرفية وقرئ بنون العظمة على
 الالفاظ انهويل الامر والضمير المنصوب لمن يحشر من النقلين أى واذكروم يحشر النقلين قائلا (يامعشر الجن)
 أو يوم يحشرهم يقول يامعشر الجن أو يوم يحشرهم ويقول يامعشر الجن يكون من الاحوال والاهوال
 ما لا يساعده الوصف لفظا عنه والمعشر الجماعة والمراد بعشر الجن الشياطين (قد استكثرتم من الانس) أى
 من اغوائهم واضلالهم أو منهم بأن جعلتموهم أتباعكم فحشروا معكم كشولهم استكثر الامير من الجنود وهذا
 بطريق التوبيخ والتقريع (وقال أولياؤهم) أى الذين أطاعوهم ومن فى قوله تعالى (من الانس) اما البيان
 الجنس أى أولياؤهم الذين هم الانس أو متعلقة بمحذوف هو حال من أولياؤهم أى كائنين من الانس (ربنا
 استمع بعضنا لبعض) أى انتفع الانس بالجن بأن دلوه على السموات وما يتوصل به اليها وقيل بأن ألقوا اليهم
 من الاراجف والصر والكهانة والجن بالانس بأن أطاعوهم وحصلوا امرادهم يقول ما ألقوه اليهم وقيل
 استماع الانس بهم أنهم كانوا يعوذون بهم فى المفاز والواووف واستماعهم بالانس اعترافهم بأنهم قادرين على
 اجارتهم (وبلقنا الذى أوجلت لنا) وهو يوم القيامة قالوه اعترافا فاعلوا من طاعة الشياطين واتباع
 الهوى وتكذيب البهت واطهار التهمة عليها وتحذروا على حالهم واستسلاما ربهم وامل الاقتصار على حكاية
 كلام الضالين لا يذ ان بأن المضلين قد أحموا بالمرّة فلم يقذروا على التكلم أصلا (قال) استئناف مبنى على

سؤال نشأ من حكاية كلامهم كانه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ فقيل قال (التار متواكم) أى متزلكم أو ذات
 قوائكم كما أن دار السلام مثنوى المؤمنين (خالد بن فيها) حال والعامل متواكم أن جعل مصدر او معنى الاضافة
 أن جعل مكانا (الاماشاء الله) قال ابن عباس رضى الله عنه ما استثنى الله تعالى قوما قد سبق في علمه أنهم
 يسلمون ويصدقون النبي عليه الصلاة والسلام وهذا مبنى على أن الاستثناء ليس من المحكى وما يعنى من وقيل
 المعنى الا الاوقات التى ينفلون فيها من النار الى الزمهرير فقد روى أنهم يدخلون وادباقيه من الزمهرير ما يميز
 بهض أو صالاهم من بعض فيتعاونون ويطلبون الرذالى الجحيم وقيل يفتح لهم وهم فى النار باب الى الجنة فيسرعون
 لمحوه حتى اذا صاروا اليه سدد عليهم الباب وعلى التقديرين فالاستثناء تمكيمهم وقيل الاماشاء الله قبل
 الدخول كانه قيل النار متواكم أبدا الاما أمهلكم ولا يخفى بعده (ان ربك حكيم) فى أفاعليه (عليم)
 باحوال الثقلين وأعمالهم ويميليق بها من الجزاء (وكذلك) أى مثل ما سبق من تمكين الجن من اغواء
 الانس واضلالهم (نولى بعض الظالمين) من الانس (بعضا) آخر منهم أى نجعلهم بحيث يتولونهم بالاغواء
 والاضلال أو نجعل بعضهم قرناء بعض فى العذاب كما كانوا كذلك فى الدنيا عند اقرار ما يؤذى اليه من القبائح
 (بما كانوا يكسبون) بسبب ما كانوا مستمترين على كسبه من الكفر والمعاصي (يامعشر الجن والانس)
 شروع فى حكاية ما سيكون من توبيخ العشرين وتقريرهم بتقريرهم فيما يتعلق بخاتمة أنفسهم ان حكاية
 توبيخ معشر الجن باغواء الانس واضلالهم وبيان مال أمرهم (ألم يأتكم) أى فى الدنيا (رسل)
 أى من عند الله عز وجل لكن لا على أن يأتى كل رسول كل واحدة من الامم بل على أن يأتى كل أمة رسول
 خاص بها أى ألم يأت كل أمة منكم رسول معين وقوله تعالى (منكم) متعلق بمحذوف وقع صفة لرسول
 أى كانه من جملتكم لكن لا على أنهم من جنس الفريقين معاملة من الانس خاصة وانما جاء لواءهما امالتا كيد
 وجوب اتباعهم والايذان بتقاربهما ذاتا واتحادهما تكتيفا وخطابا كما أنهم ما جنس واحد ولذلك تمكن
 أحدهما من اضلال الآخر وامالتا المراد بالرسول ما يبعث رسل الرسل وقد ثبت أن الجن قد استمعوا القرآن
 وأنذروا به قومهم حيث نطق به قوله تعالى واذا صرنا اليك نعرا من الجن يستمعون القرآن الى قوله تعالى ولوا
 الى قومهم منذرين وقوله تعالى (يقصون عليكم آياتي) صفة أخرى لرسول بحقيقة لما هو المراد من ارسال
 الرسل من التبليغ والانذار وقد حصل ذلك بالنسبة الى الثقلين (وينذرونكم) بما فى تضاعفه من
 القوارع (اشاء يومكم هذا) يوم الحشر الذى قد عاينوا فيه ما أعد لهم من اغانين العقوبات الهائلة (قالوا)
 استثناف مبنى على سؤال نشأ من الكلام السابق كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك التوبيخ الشديد فقيل
 قالوا (شهدنا على أنفسنا) أى ياتيان الرسل وانذارهم وعقابيتهم اياهم بالكفر والتكذيب وباستحقاقهم
 بسبب ذلك للعذاب المخلد سيما فصل فى حكاية جوابهم عن سؤال خزنة النار حيث قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا
 وقلنا ما نزل الله من شئ ان أنتم الا فى ضلال كبير وقد أجمل ههنا فى الحكاية كما أجمل فى حكاية جوابهم
 حيث قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وقوله تعالى (وعزتهم الحياة الدنيا) مع ما عطف
 عليه اعتراض لبيان ما أذاهم فى الدنيا الى ارتكابهم لقبائح التى ارتكبوها وبالجملة بعد ذلك فى الآخرة الى
 الاعتراف بالكفر واستيجاب العذاب وذمهم بذلك أى واعتروا فى الدنيا بالحياة الدنيئة والذات الخسيسة
 الفانية وأعرضوا عن التعيم المقيم الذى بشرت به الرسل واجتروا على ارتكاب ما يجزهم الى العذاب المؤبد
 الذى أنذروهم اياه (وشهدوا) فى الآخرة (على أنفسهم أنهم كانوا) فى الدنيا (كافرين) أى بالآيات
 والنذر التى أتت بها الرسل على التفصيل المذكور آنفا واضطروا الى الاستسلام لاشد العذاب كما يبنى عنه
 ما حكى عنهم بقوله تعالى وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير وفيه من تحسيرهم وتحذير
 السامعين عن مثل صنيعهم ما لا حيز يد عليه (ذلك) إشارة الى ما ذكر من شهادتهم على أنفسهم بالكفر
 واستيجاب العذاب والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (أن تم)
 يمكن ربك مهلك القرى) بمحذوف اللام على أن أن مصدرية أو مخففة من أن ضمير الشأن الذى هو اسمها
 محذوف وقوله تعالى (بظلم) متعلق بما قبله أى بسبب ظلم أو بمحذوف وقع حالا من القرى أى ملتبسة بظلم
 فان ملابسة أهلها للظلم ملابسة للقرية له بواسطتهم وأما كونه حالا من ربك او من ضميره فى مهلك كما

قبل قيامه أن غفله أهله ما مأخوذة في معنى الظلم وحقبة لا محالة فلا يحسن تقييده بقوله تعالى
 (وأهلها غافلون) والمعنى ذلك ثابت لا تنفاه كون ربك أولان الشأن لم يكن ربك مهلك القرى بسبب أي ظلم
 فعلوه من أفراد الظلم قبل أن ينهوا عنه وينبذوا على بطلانه برسول وكتاب وإن قضى به بديهة العاقول وينذروا
 عاقبة جناباتهم أي لولا انتفاء كونه تعالى معذباً بهم قبل إرسال الرسل وانزال الكتب لما أمكن التوبيخ
 بما ذكروا به من ذنوبهم بالكفر واستيجاب العذاب ولا اعتذروا بعدم إتيان الرسل كما في قوله تعالى
 ولو أن أهل كل قرية بعذاب من قبله لقاتلوا رسلهم لولا أرسلنا الرسل لولا فتبع آياتك من قبل أن نزل ونخزي
 وأنما عمل ما ذكرنا تنفاه التعذيب الديني الذي هو اهلال القرى قبل الانذار مع أن التقريب في تعليقه
 بانتفاء مطلق التعذيب من غير بعث الرسل أتم على ما نطق به قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
 لبيان كمال نزاهته سبحانه وتعالى عن كلا التعذيبين الديني والآخرى معاً من غير انذار على أبلغ وجه
 وأكثر منه حيث اقتصر على نفي التعذيب الديني عنه تعالى ليثبت نفي التعذيب الآخرى عنه تعالى على
 الوجه البرهاني بطريق الأولوية فإنه تعالى حيث لم يعذبهم بعذاب يسير منقطع يدون انذار فلان لا يعذبهم
 بعذاب شديد مخلد أولى وأجلى ولو عمل بما ذكر من نفي التعذيب لا نصرف بحسب المقام إلى ما فيه الكلام من نفي
 التعذيب الآخرى ونفي التعذيب الديني غير متعزز له لا صريحاً ولا دلالة ضرورية أن نفي الأعلى لا يدل
 على نفي الأدنى ولأن ترتيب التعذيب الديني على الانذار عند عدم تأثر المنذرين منه معلوم مشاهد عند
 السامعين فيستدلون بذلك على أن التعذيب الآخرى أيضاً كذلك فيمنع جرحون عن الإخلال بواجب الانذار
 أشد انذار هذا هو الذي تستدعيه جزالة النظم الكريم وأما جعل ذلك إشارة إلى إرسال الرسل عليهم السلام
 وانذارهم وخبراً بما سيجزى كما طبق عليه الوجه ورفعه من مقتضى المقام والله سبحانه أعلم (واكمل)
 أي من المكنة من الثقلين (درجات) متفاوتة وطبقات متباينة (مما عملوا) من أعمالهم صالحة كانت
 أو سيئة فإن أعمالهم درجات في أنفسهم أو من جزاء أعمالهم فإن كل جزاء مرتبة معينة لهم أو من أجل أعمالهم
 (ومأربك بغافل عما يعملون) فيخفى عليه عمل من أعمالهم أو قدر ما يستحقون بها من ثواب أو عقاب وقرئ بالتاء
 فعلى الخطاب على الغيبة (وربك الغنى) مبتدأ وخبر أي هو المعروف بالغنى عن كل ما سواه كاشفاً من كان
 وما كان فيدخل فيه غناه عن العباد وعن عبادتهم وفي التعرض لوصف الربوبية في الموضعين لاسيما في الثاني
 لكونه موقع الإشعار مع الإضافة إلى شمسه عليه الصلاة والسلام من أظهار اللطف به عليه السلام وتنزيهه سبحانه
 عن توهم تحول الوعيد إلى آية أيضاً ما لا يخفى وقوله تعالى (ذو الرحمة) خبر آخر وهو الخبير والغنى صفة
 أي يترحم عليهم بالكلفة تكميلهم وعملهم على المعاصي وفيه تبيين على أن ما ساف ذكره من الإرسال ليس
 لنزعه بل لترجحه على العباد وتعميده بقوله تعالى (إن يشأ يذهبكم) أي ما به حاجة إليكم أن يشأ يذهبكم أيها
 العصاة وفي تلويح الخطاب من تشديد الوعيد ما لا يخفى (وبس تخلف من بعدكم) أي من بعد أذهابكم
 (ما يشاء) من الخلق وأينما على من لاظهار كمال الكبرياء واستأطاعتهم عن رتبة العقلاء (كما أنشأكم من
 ذرية قوم آخرين) أي من نسل قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفيتكم وهم أهل سفينة نوح عليه الصلاة
 والسلام لكنه أبقاكم ترجاع إليكم وما في كما مصدرية ومحل الكاف النصب على أنه مصدر نشيئ على
 غير المصدر فإن يستخاف في معنى نشئ كأنه قيل ونشئ أنشاء كأننا كنا نشأكم الخ أو نعت مصدر الفعل المذكور
 أي يستخلف استخلفاً كأننا كنا نشأكم الخ والشرطية استئناف مقترن لمضمون ما قبلها من الغنى والرحمة
 (إن ما وعدون) أي الذي توعدونه من البعث وما يقرع عليهم من الأمور الهائلة وصيغة الاستقبال للدلالة على
 الاستمرار التجديدي (لآت) لواقع لا محالة كقوله تعالى إن ما توعدون لواقع وإشارته عليه لبيان كمال سرعة
 وقوعه بصوره بصورة طاب حيث لا يقوته هارب حسماً يعرب عنه قوله تعالى (وما أنتم بمعجزين) أي
 بفائتين ذلك وإن ركبتم في الهرب متن كل صعب وذلول كما أن إشارته صيغة الفاعل على المستقبل للإيدان بكمال
 قرب الأتيان والمراد بيان دوام انتفاء الإعجاز لا بيان انتفاء دوام الإعجاز فإن الجملة الاسمية كما تدل على دوام
 الثبوت تدل بمعونة المقام إذا دخل عليها حرف النفي على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام كما حقق في موضعه
 (قل يا قوم اعملوا على مكانة لكم) اثر ما بين أهم سالهم وما أهم بطريق الخطاب أمر رسول الله صلى الله

عليه وسلم بطريق التلوين بأن يواجههم بتشديد التهديد وتكرير الوعيد ويظهرهم ما هو عليه من غاية التصليب في الدين ونهاية الوثوق بأمره وعدم المساواة بينهم أي أعمالوا على غاية تمكسكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة إذا تمكن أبلغ تمكن أو على جهتك ومالككم التي أنتم عليها من قواهم مكان ومكانة كقسام ومقامة وقرئ مكانا نكم والمعنى ابتوا على كفركم ومعاد انكم (أني عامل) ما أمرت به من الثبات على الاسلام والاستقرار على الاعمال الصالحة والمصابرة وإيراد التهديد بصيغة الامر مباغلة في الوعيد كأن المهدي يريد تعذيبه مجعلا عليه فيجعله بالامر على ما يؤذى اليه وتسجيل بأن المهدي لا يأتي منه الا الشر كالذي أمر به بحيث لا يجد الى التفصي عنه سبيلا (فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار) سوف لتأكيدهم من الجمله والعلم عرفاني ومن اما استهفاهمية معلة الفعل العلم محلها الرفع على الابتداء وتكون بالهمها وخبرها خبر لها وهي مع خبرها في محل نصب لستاهم مستمفعول تعلمون أي فسوف تعلمون أي لتكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله تعالى هذه الدار لها واما موصولة فعلها النصب على أنها مفعول لتعلمون أي فسوف تعلمون الذي له عاقبة الدار وفيه مع الانذار انصاف في المقال وتنبه على كمال وثوق المنذر بأمره وقرئ بالياء لأن تأنيث العاقبة غير حقيقي (أنه) أي الشأن (لا يفلح الظالمون) وضع الظلم موضع الكثرة أي أنما بأن امتناع السلاخ يترب على أي فرد كان من أفراد الظلم فأنطق بالكفر الذي هو أعظم أفراد (وجعلوا) شروع في تبيين أحوالهم النفعلية بحكاية أقوالهم وأفعالهم الشنيعة وهم مشركو العرب كانوا يعبدون أشياء من حث وتلج الله تعالى وأشياء منهم ما لا آلهتهم فاذا رأوا ما جعلوه لله تعالى زكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه لا آلهتهم وإذا زكيا جعلوه لا آلهتهم تركوه معتلين بأن الله تعالى غنى وما ذالك الا لخب آلهتهم وإيثارهم لها والجعل إنما معتد الى واحد فالجذر ان في قوله تعالى (لله محادرا) متعلقان به ومن في قوله تعالى (من الحث والانعام) بيان لما وفيه تنبيه على فرط جهالتهم حيث أشركوا الخالق في خلقه جحد الا يشدروا على شيء ثم رجوه عليه بأن جعلوا الزكي له أي عيوا له تعالى مما خلقه من الحث والانعام (نصيبا) بصرفونه الى الضيقان والمساكين وتأخيره عن الجوروزين لما مر من الانهزام بالمقدم والتشويق الى المؤخر واما الى مفعولين أو لهم محادرا على أن من تبعية أي جعلوا بعض ما خلقه نصيبا له وما قبل من أن الاول نصيبا والثاني لله لا يساعده سداد المعنى وحكاية جهلهم له تعالى نصيبا تدل على أنهم جعلوا الشر كآلهتهم أيضا نصيبا ولم يذكر اكتفاء بقوله تعالى (فقلوا هذا لله بزعهم وهذا شركائنا) وقرئ بضم الزاء وهو لغة فيه وانعاقبه به الاول للتنبه على أنه في الحقيقة ليس يجعل لله تعالى غير مستمع شيء من الثواب كالتطوعات التي يتقرب بها وجه الله تعالى لا لما قبل من أنه للتنبه على أن ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله تعالى به فان ذلك مستفاد من الجعل ولذلك لم يقيد به الثاني ويجوز أن يكون ذلك تهيدا لما بعده على معنى أن قواهم هذا الله مجتزأ عنهم لا يعملون بعبته الذي هو اختصاصه به تعالى فتقوله تعالى (فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) بيان وتفصيل له أي فاعينوه شركائهم لا يصرف الى الوجوه التي يصرف اليها ما عينوه لله تعالى من قرى الضيقان والتصدق على المساكين وما عينوه لله تعالى اذا وجدوه زكيا يصرف الى الوجوه التي يصرف اليها ما عينوه لا آلهتهم من انفاق عليها وذبح نائل عند هار الاجراء على سدتها ونحو ذلك (ساء ما يحكمون) فيما فعلوا من إيثار آلهتهم على الله تعالى وعملهم عالم بشرع لهم وما جمعنى الذي والتقدير ساء الذى يحكمون حكمهم فيكون حكمهم مبتدأ وما قبله الخبر وحذف لدلالة يحكمون عليه (وكذلك) ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربان بين الله تعالى وبين آلهتهم أو مثل ذلك التزيين البليغ المعهود من الشياطين (زين لكثير من المشركين قتل أولادهم) بؤادهم ونحرمهم لا آلهتهم كان الرجل يحاف في الجاهلية أن ولد له كذا غلاما لينحرن أحدهم كالحلف عبد المطلب وهو مشهور (شركاؤهم) أي أولادهم من الجن او من السدنة وهو فاعل زين أخر عن الطرف والمفعول لما مر غير مرة وقرئ على البناء للمفعول الذى هو القتل ونصب الاولاد وجزأ الشركاء باضافة القتل اليه مفعولا لا يتبعها بفعوله وقرئ على البناء للمفعول ورفع قتل وجزأ أولادهم ورفع شركاؤهم باضافة القتل اليه مفعولا لا يتبعها لما قبل زين لهم قتل أولادهم قيل من زينهم فقبل زينهم شركاؤهم (ليردوهم) أي يهلكوهم بالاغواء

(وليسوا عليهم دينهم) وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل عليه السلام أو ما وجب عليهم أن يتدينوا به واللام للتعليل أن كان التزيين من الشياطين والعاقبة أن كان من السدنة (ولو شاء الله) أي عدم فعلهم ذلك (ما فعلوه) أي ما فعل المشركون فما زين لهم من القتل أو الشرك أو التزيين أو الإرداء واللبس أو الفريقان جميع ذلك على إجراء الضمير مجرى اسم الإشارة (فذرهم وما يفترون) القاء فصحة أي إذا كان ما فعلوه بعيشة الله تعالى فذرهم واقترأهم أو وما يفترونه من الإكلافان فيما شاء الله تعالى حكيا بالغة انما على لهم إيزدادوا انما ولهم عذاب مهين وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى (وقالوا) حكاية لنوع آخر من أنواع كفرهم (هذه) إشارة إلى ما جعلوه لأنهم التفتوا للخبر (انعام وحرث حجر) أي حرام فعل بمعنى مفعول كالذي يحبس في الواحد والكثير والذكر والانثى لأن أصله المصدر ولذلك وقع صفة لانعام وحرث وقرئ حجر بالضم وبضمين ورج أي ضيق وأصله حرج وقيل هو مقلوب من حجر (لا يقطعها إلا من نشاء) يستنون مذموم الاوثة من الربا دون النساء والجملة صفة أخرى لانعام وحرث (يرعهم) متعلق بمحذوف هو حال من فاعل قالوا أي قالوه ملتصقين بزمعهم الباطل من غير حجة (وأنعام) خبر مبنية محذوف وبالجملة معلقة على قوله تعالى هذه أنعام الخ أي قالوا مشيرين إلى طائفة أخرى من أنعامهم وهذه أنعام (حرثت ظهورها) يعنون بها البساتين والسواقي والخوامي (وأنعام) أي وهذه أنعام كما مر وقوله تعالى (لا يذكرن اسم الله عليها) صفة لانعام لكنه غير واقع في كلامهم المحكي كظنائه بل مسوق من جهته تعالى نعيينا للموصوف وتغييره عن غيره كما في قوله تعالى وقولهم آتوا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله على أحد التفسيرات كانه قيل وأنعام ذبحت على الاصنام فانها التي لا يذكر عليها اسم الله وانما يذكر عليها اسم الاصنام وقيل لا يجيئون عليها فان الحج لا يعمرى عن ذكر الله تعالى وقال مجاهد كانت لهم طائفة من أنعامهم لا يذكرن اسم الله عليها ولا في شيء من شأنها الا ان ركنوا ولا ان حلبوا ولا ان تخبوا ولا ان باعوا ولا ان حلبوا (أقرأ عليه) نصب على المصدر اما على أن متخالوه تقول على الله تعالى واما على تقدير عامل من لفظه أي اقترأوا اقترأوا والجاء متعلق بقالوا او باقترأوا المقترأ أو بمحذوف هو صفة له لا باقترأوا لأن المصدر المور كذا لا يعمل أو على الحال من فاعل قالوا أي مقترئين أو على العلة أي لا اقترأوا فالجاء متعلق به (سيجزيهم بها كانوا يفترون) أي يسيبه أو يبدله وفي إيهام الجزاء من التحويل ما لا يخفى (وقالوا) حكاية لغير آخر من قنوت كفرهم (ما في بطون هذه الانعام) يعنون به اجنة البساتين والسواقي (خاصة لكورونا) حلال لهم خاصة والتاء للقل إلى الاسمية أو للماثلة اولان الخاصة مصدر كالعاقبة وقع موقع الخالص مبالغة أو بمحذوف المضاف أي ذو خاصة أو للتأنيث بناء على أن ما عبارة عن الاجنة والتذكير في قوله تعالى (ومحرم على أزواجنا) أي جنس أزواجنا وهن الاناث باعتبار اللفظ وفيه كما ترى حمل للنظم الكريم على خلاف المعهود الذي هو الحمل على اللفظ أو لا وعلى المعنى ثانيا كما في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك وجهنا على قلوبهم الخ ونظائره واما العكس فقد قالوا انه لا نظير له في القرآن وهذا الحكم منهم ان ولد ذلك حيا وهو الظاهر المعتاد (وان يكن ميتة) أي ان ولد ميتة (فهم) أي الذكور والاناث (فيه) أي فيما في بطون الانعام وقيل المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب الاول على الثاني (شركاء) يأكلون منه جميعا وقرئ خاصة بالنصب على أنه مصدر مؤكد والخبر لكورونا أو حال من الضمير الذي في الظرف لامن الذي في ذكرونا ولا من المذكور لانه لا يقدم على العامل المعنوي ولا على صاحبه الجور وقرئ خالصة بالرفع والاضافة إلى الضمير على أنه بدل من ما أو مبتدأ ثان (سيجزيهم وصفهم) أي جزاء وصفهم الكذب على الله تعالى في أمر الصلح والتحرير من قوله تعالى وتصف ألسنتهم الكذب (أنه حكيم علم) تعليل للوعيد بالجزاء فان الحكميم العلم بمصدر عنهم لا يكاد يترك جوارهم الذي هو من مقتضات الحكمة (قد خسروا الذين قتلوا أولادهم) جواب قسم محذوف وقرئ بالتشديد وهم ربيعة ومضر وأضرابهم من العرب الذين كانوا يثدنون بناتهم مخافة السبي والفقر أي خسروا دينهم ودينهم (سفها بغير علم) متعلق بقتلوا على أنه لله أي لخفة عقلهم وجهلهم بأن الله هو الرزاق لهم ولا أولادهم أو نصب على الحال ويؤيده أنه قرئ سنها أو مصدر (وحزموا ما رزقهم الله) من

قوله وخرج أي بغير
الحاء واسكان الراء مفعلة
على إيهام تنافي ذكرها

البصائر والسوائب ونحوهما (أفترأ على الله) نصب على أحد الوجوه المذكورة وإظهار الاسم الجليل في موقع الاصمارة لأظهار كمال عتوهم وطفيتهم (قد ضلوا) عن الطريق المستقيم (وما كانوا مهتدين) إليه وإن هدوا يفتنون الهدايا أو وما كانوا مهتدين من الأصل لسوء سيرتهم فالجمله حينئذ اعتراض وعلى الأول عطف على ضلوا (وهو الذي أنشأ جنات معروشات) تهديد لما سيق من تفصيل أحوال الانعام أي هو الذي أنشأهن من غير شركه لاحد في ذلك بوجه من الوجوه والمعروشات من الكروم المرفوعات على ما يحملها (وغير معروشات) وهن الملقيات على وجه الأرض وقبل المعروشات ما غرسه الناس وعرشوه وغير المعروشات ما نبت في البوادي والجبال (والتخل والزرع) عطف على جنات أي أنشأهما (مختلفاً كاه) وقرئ أكله بسكون الكاف أي ثمره الذي يؤكل في الهيئة والكفمية والضمير أكل التخل والزرع داخل في حكمه أول الزرع والباقي مقيس عليه أو للجمع بين علي تقدير أكل ذلك أو كل واحد منهما أو مختلفاً حال مقدرة اذ ليس بذلك وقت الانشاء (والزيتون والرمان) أي أنشأهما وقوله تعالى (متشابهاً وغير متشابه) نصب على الحالية أي يتشابه بعض أفرادها في اللون والهيئة أو الطعم ولا يتشابه بعضها (كلوا من ثمره) أي من ثمر كل واحد من ذلك (إذا أثمر) وإن لم يدر ذلك ولم ينبع بعد وقبل فأنذته رخصة المالك في الأكل منه قبل اداء حق الله تعالى (وأنوا حصاده) أريد به ما كان يصدق به يوم الحصاد بطريق الوجوب من غير تعيين المقدار لأن كاه المقدرة فانهما فرضت بالمدينة والسورة مكية وقبل الزكاة والآية مدنية والامر بآياتها يوم الحصاد لهم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الاداء ولعلهم أن الوجوب بالاداء لا بالتصفية وقرئ يوم حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه (ولا تسرفوا) أي في التصديق كما روى عن ثابت بن قيس أنه صرم خمسمائة نخلة ففترق ثمرها كلها ولم يدخل منه شيئا إلى منزله كقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط الآية (انه لا يحب المسرفين) أي لا يرضى اسرافهم (ومن الانعام جولة وفرشا) شروع في تفصيل حال الانعام وإبطال ما تعلقوا على الله تعالى في شأنها بالتكريم والتحليل وهو عطف على مقعول انشاء ومن متعلقة به أي وأنشأ من الانعام ما يحمل عليه الأثقال وما يفرض للذبح أو ما يفرض المصنوع من شعره وصفه ووبره وقبل الكبار الصالحة للعمل والصغار الدانية من الأرض كأنها فرش مفروش عليها (كلوا مما رزقكم الله) ما عبارة عما ذكر من الجولة والفرش ومن تعضيبة أي كلوا بهض ما رزقكم الله تعالى أي حلاله وفيه تصريح بأن انشاءها لأجلهم ومصالحهم (ولا تتبعوا) في أمر التحليل والتكريم بتقليد أسلافكم الجاهزين في ذلك من تلقاء أنفسهم المقتربين على الله سبحانه (خطوات الشيطان) فإن ذلك منهم باغوائه واستتباعه أيهم (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة (ثمانية أزواج) الزوج مائة آخر من جنسه يزوجه ويحصل منهما النسل والمراد به الأنواع الأربعة وأرادها بهذا العنوان وهذا العدد تهديد لما سبق له الكلام من الإنكار المتعلق بتكريم كل واحد من الذكور والأنثى وبما في بطنها وهو بدل من جولة وفرشا منصوب بما نصها وجعله مفعولاً للكلوا على أن قوله تعالى ولا تتبعوا الآية مترض ينما أحوالاً من ما معنى مختلفة أو متعددة بأبواب جزالة النظم الكريم اظهره وأنه مسوق لتوضيح حال الانعام بتفصيلها أولاً إلى جولة وفرش ثم بتفصيلها إلى ثمانية أزواج حاصلة من تفصيل الأولى إلى الأبل والبقر وتفصيل الثاني إلى الضأن والعز ثم تفصيل كل من الأقسام الأربعة إلى الذكور والأنثى كل ذلك لتحرير المواد التي تفقوا فيها عليه سبحانه وتعالى بالتحليل والتكريم ثم بتكيتها باطهار كذبهم واقتراثهم في كل مادة من تلك المواد بتوجيه الإنكار إليها مفصلة واثنين في قوله سبحانه وتعالى (من الضأن اثنين) بدل من ثمانية أزواج منصوب بما نصه وهو العامل في من أي أنشأ من الضأن زوجين الكبش والنجعة وقرئ انسان على الابتداء والضأن اسم جنس كالأبل ويجمع ضنين كما مر أو جمع ضائن كأيرو وبتجر وقرئ بفتح الهمزة (ومن المعز اثنين) عطف على مثله شريكه في حكمه أي وأنشأ من المعز زوجين التيس والعنز وقرئ بفتح العين وهو جمع ما عز كصاحب وصاحب وعارس وعرس وقرئ ومن المعز وهذه الأزواج الأربعة تفصيل للفرش ولعل تقديمها في التفصيل مع تأخر أصلها في الأجمال يكون هذين النوعين عرضة لكل الذي هو معظم ما يتعلق به الحل والحرم وهو السر في الاقتصاد على الأمر به في قوله تعالى كلوا مما رزقكم الله من غير تعرض للالتفاف بالحل والركوب وغير ذلك

محرموه في السابعة وأخواتها (قل) تلون للشطاب وتوجيهه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أثر تفصيل
 أنواع الانعام التي أنشأها أي قل بتكيتها لهم واطهار الانشطاء عنهم عن الجواب (الذكرين) من ذينك
 النوعين وهما الكبدش والتيس (حرم) أي الله عز وجل كما تزعمون أنه هو المحرم (أم الاثنين) وهما
 النجعة والعز ونصب الذكرين والاثنين بحرم وهو مؤخر عنهم بحسب المعنى وإن توسط بينهما صورة وكذا قوله
 تعالى (أم ما اشتملت عليه أرحام الاثنين) أي أم ما حلت أمانات النوعين حرم ذكرها كل أو أنق وقوله تعالى
 (يتوفى يعلم) الخ تكرير للالزام وثنية للتبكيك والانعام أي أخبروني بأمر معلوم من جهة الله تعالى من
 الكتاب أو أخبار الأنبياء يدل على أنه تعالى حرم شيئا مما ذكر أو يتوفى نبئة ملتبسة يعلم صادرة عنه (أن كنتم
 صادقين) أي في دعوى التحريم عليه سبحانه وقوله تعالى (ومن الأبل اثني) عطف على قوله تعالى
 من الضأن اثني أي وأنشأ من الأبل اثني هما الجبل والناقبة (ومن البقر اثني) ذكر أو أنق (قل) الخ ما لهم
 في أمر هذين النوعين أيضا (الذكرين) منهما حرم أم الاثنين أم ما اشتملت عليه أرحام الاثنين) من ذينك
 النوعين والمعنى انكار أن الله سبحانه حرم عليهم شيئا من الأنواع الأربعة واطهار كذبهم في ذلك وتفصيل
 ما ذكر من الذكور والاناث وما في بطونهم من المبالغة في الرق عليهم بما يراد الانكار على كل مادة من مواد
 اقتراهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة وأولادها كيفما كانت تارة أخرى مسندين
 ذلك كله إلى الله سبحانه وانما عقب تفصيل كل واحد من نوعي الصغار ونوعي الكبار بما ذكر من الأمر
 بالاستتغهام والانكار مع حصول التبيكيت بإيراد الأمر عقب تفصيل الأنواع الأربعة بأن يقال قل
 الذكور حرم أم الاناث أم ما اشتملت عليه أرحام الاناث لما في التثنية والتكرير من المبالغة في التبيكيت
 والالزام وقوله تعالى (أم كنتم شهداء) تكرير للانعام كقوله تعالى يتوفى يعلم وأم منقطعة ومعنى الهزلة
 الانكار والتوبيخ ومعنى بل الاضراب عن التوبيخ بما ذكر في التوبيخ بوجه آخر أي بل أكنتم حاضرين
 مشاهدين (أذ وصاكم الله بهذا) أي حين وصاكم بهذا التحريم إذا كنتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم حسبا
 يقود اليه مذهبكم إلى معرفة أمثال ذلك الا المشاهدة والسماع وفيه من تركيبك عقولهم والتمسك بهم ما لا يخفى
 (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) فنسب إليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراً وهم المقررون لذلك أو عمرو بن لحي
 ابن قعدة وهو المؤسس لهذا الشر والكل لا شترأ كههم في الافتراء عليه سبحانه وتعالى أي فأى فريق أظلم
 من فريق افترى الخ ولا يقدح في الظلمة الكل كبر بعضهم محترعين له وبعضهم مقتدين بهم والفاء لترتيب
 ما بعدها على ما سبق من تكيةهم واطهار كذبهم وافتراءهم أي هو أظلم من كل ظالم وإن كان المنفى صريحا
 الا ظلمة دون المساواة كما مر غير مرة (ليضل الناس) متعلق بالافتراء (بغير علم) متعلق بمحذوف وقع حالا
 من فاعل افترى أي افترى عليه تعالى جاهلا بصددور التحريم عنه تعالى وانما وصفوا بعدم العلم بذلك مع أنهم
 عالمون بعدم صدوره عنه تعالى ايذانا بخروجهم في الظلم عن الحدود والنهايات فإن من افترى عليه تعالى بغير
 علم بصددوره عنه تعالى مع احتمال الصدور عنه إذا كان أظلم من كل ظالم فخطئك بين افترى عليه تعالى وهو
 يعلم أنه لم يصدر عنه ويجوز أن يكون حالا من فاعل يضل أي ملتبسا بغير علم عابو قدى بهم إليه (إن الله لا يهدي
 القوم الظالمين) كأنهم كان إلى ما فيه صلاح حالهم عاجلا أو آجلا وإذا كان هذا حال المتصفين بالظلم في الجملة
 فخطئك بين هو في أقصى غاياته (قل) أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الزام المشركين وتكيتهم وبيان
 أن ما يتقوله في أمر التحريم افتراء بحت لا أصل له قطعا بأن يبين لهم ما حرمه عليهم وفي قوله تعالى (لا أجد فيما
 أوحى إلي محرما) أي أن يأتى بأن مناط الحل والحرم هو الوحي وأنه صلى الله عليه وسلم قد تتبع جميع ما أوحى
 إليه وتفحص عن المحرمات فلم يجد غير ما فصل وفيه مبالغة في بيان انحصارها في ذلك ومحرم ما صفة لمحذوف أي
 لا أجد فيها تصفحت ما أوحى إلي طعما ما محرم ما من المطاعم التي حرموها (على طاعم) أي أي طاعم كان من
 ذكر أو أنق رداعلى قولهم محرم على أزواجنا وقوله تعالى (يطعمه) لزيادة التقرير (الأن يكون) أي ذلك
 الطعام (ميتة) وقرئ تكون بالنساء لتأنيث الخبر وقرئ ميتة بالرفع على أن كان تامة وقوله تعالى (أو دما
 مسفوحا) حيث عطف على أن مع ما في حيزه أي الوجود ميتة أو دما مسفوحا أي مسفوحا كالدما التي

في العروق لا كالحلال والكبد (أو لحم خنزير فانه) أي الخنزير (رجس) أي لحمه قد رتب عوده ~~أصل~~ كحل
 التباسات أو خبيث (أو فسقا) عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض مقر حرمة (أهل الغير الله به)
 صفة له موضحة أي ذبح على اسم الأصنام وانما هي ذلك فسقا لتوغل في الفسق ويجوز أن يكون فسقا
 منه حلاله لاهل وهو عطف على يكون والمستكن راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون (فمن اضطر)
 أي أصابه الضرورة المداعية الى أكل الميتة بوجه من الوجوه المضطرة (غير باغ) في ذلك على مضطر آخر
 مثله (ولا عاد) قدر الضرورة (فإن ربك غفور رحيم) مبالغ في المغفرة والرحمة لا يؤاخذ بذلك وليس
 التقييد بالحلال الاولي لبيان أنه لو لم يوجد القيد لتحقق الحرمة المبحوث عنها بل للتحذير من حرام آخر هو
 أخذه حق مضطر آخر فان من أخذ لحم الميتة من يد مضطر آخر فأكله فإن حرمة أيسر باعتبار كونه لحم الميتة
 بل باعتبار كونه حقا للمضطر الآخر وأما الخال الثانية فلتحقيق زوال الحرمة المبحوث عنها قطعاً فان التجاوز
 عن القدر الذي يستدبه الرقى حرام من حيث أنه لحم الميتة وفي التعرض لوصف المغفرة والرحمة ايدان بأن
 المعصية باقية لكنه تعالى يغفر له ويرحمه والآية بحكمة لانها تدل على أنه صلى الله عليه وسلم لم يجد فيما أوحى
 اليه الى تلك الغاية غيره ولا ينافيه ورود التحريم بعد ذلك في شيء آخر فلا يصح الاستدلال به على نسخ الكتاب
 بخبر الواحد ولا على حل الاشياء التي هي غيرها الا مع الاستصحاب (وعلى الذين هادوا) خاصة لا على
 من عداهم من الاولين والآخرين (حزمننا كل ذي طمر) أي كل ماله اصبع من الابل والسباع والطيور
 وقيل كل ذي مخالب وحافر وسمى الحافر ظمراً مجازاً والسبب عن الظلم هو تعميم التحريم حيث كان بعض
 ذوات الظفر حلالاً لهم فلما ظلموا عم التحريم كلها وهذا تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل بابطال
 ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيبهم في ذلك فانهم كانوا يقولون لسنا أول من حرمت عليه وانما كانت محرمة
 على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر اليها (ومن البقر والغنم حرمتا عليهما) لا لحمهما
 فانها باقية على الحل والشحوم الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط (الا ما حلت ظهورهما)
 استثناء من الشحوم مخرج لما علق من الشحم بظهورهما عن حكم التحريم (أو الحوايا) عطف على
 ظهورهما أي ما حلتها الحوايا وهي جمع حاوية أو حاوية كقاصع أو قواصع أو حاوية كسفينة وسفائن (أو ما
 اختلط بعظم) عطف على ما حلت وهو شحم الالية واختلاطه بالعظم اتصاله بعجب الذنب وقيل هو كل شحم
 متصل بالعظم من الاضلاع وغيرها (ذلك) إشارة الى الجزاء أو التحريم فهو على الاول نصب على أنه مصدر
 مؤكد لما بعده وعلى الثاني على أنه مفعول ثان له أي ذلك التحريم (جزيناهم بينهم) بسبب ظلمهم وهو قتلهم
 الانبياء بغير حق وأكلهم الربا وقذفهم واغنه وأكلهم أموال الناس بالباطل كقوله تعالى قبطم من الذين
 هادوا حرمتا عليهم طيبات أحلت لهم وكانوا كلماً نوابغاً عصية عقوبوا بخير من شيء مما أحل لهم وهم يشكرون
 ذلك ويدعون أنها لم تزل محرمة على الامم فرد ذلك عليهم وأكذبوا له تعالى (وانا الصادقون) أي في جميع
 أخبارنا التي من جملتها هذا الخبر وقد ألقاهم الحجر قوله تعالى كل الطعام كن حلالاً بنى اسرائيل الا ما حرّم
 اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين روى أنه صلى الله عليه
 وسلم لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا أن يخرجوا التوراة كيف وقدين فيها جميع ما يحذرون أو يضع يسان
 (فان كذبوا) قيل الضمير لليهود لانهم أقرب ذكر اول ذكر المشركين بعد ذلك بعنوان الاشرار وقيل للمشركين
 فالمرعى على الاول ان كذبك اليهود في الحكم المذكور وأصرّوا على ما كانوا عليه من ادعاء قدم التحريم (وقل)
 لهم (ربكم ذورجة واسعة) لا يؤاخذكم بكل ما تافوه من المعاصي ويهلككم على بعضها (ولا يرد بأسه)
 بالكفة (عن القوم الجرمين) فلا تنكروا وما وقع منه تعالى من تحريم بعض الطيبات عليكم عقوبة وتشديداً
 وعلى الثاني فان كذبك المشركون فيما فصل من أحكام التحليل والتحريم فقل لهم ربكم ذورجة واسعة
 لا يعاجلكم بالعقوبة على تكذيبكم فلا تفتروا بذلك فانه امهال لا اهمال وقيل ذورجة للطيبين وذو بأس
 شديد على الجرمين فأقيم مقامه قوله تعالى ولا يرد بأسه الخ لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع الدلالة على
 أنه لاحق بهم البتة من غير صارف يصرفه عنهم أصلاً (سيعقول الذين أشركوا) محاكاة لقن آخر من كفرهم
 واخباره قبل وقوعه ثم وقوعه حسماً بخبره كما يحكيه قوله تعالى عند وقوعه وقال الذين أشركوا الوشاء الله

ما عبدنا من دونه من شيء صريح في أنه من عند الله تعالى (لو شاء الله ما أشركنا) أي لو شاء تخلاف ذلك
 مثبتة ارتضا لما فعلنا الاشرار نحن (ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) أرادوا به أن ما فعلوه حق مرضي عند
 الله تعالى لا الاعتذار من ارتكاب هذه القبائح بإرادة الله تعالى إياها منهم حتى ينتهض ذمتهم به دليلا
 للمعتزلة ألا يرى إلى قوله تعالى (كذلك كذب الذين من قبلهم) أي مثل ما كذب هؤلاء في أنه تعالى منع
 من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب متقدم موهم الرسل فانه صريح فيما قلنا وعطف آباؤنا على الصغير للفصل
 بلا (حتى ذاقوا بأسنا) الذي انزلنا عليهم تكذيبهم (قل هل عندكم من علم) من أمر معلوم يصح
 الاحتجاج به على ما زعمتم (فخرجوه لنا) أي فظهروه لنا (ان تتبعون الاطلاق) أي ما تتبعون في ذلك
 الاطلاق الباطل الذي لا يغني عن الحق شيئا (وان أنتم الاثخرون) تكذبون على الله عز وجل وليس
 فيه دلالة على المنع من اتباع القائل على الاطلاق بل فيما يعارضه قطعي (قل فله الجنة البالغة) الفاء جواب
 شرط محذوف أي واذا قد ظهر أن لا حجة لكم فله الجنة البالغة أي اليقينة الواضحة التي بلغت غاية المشاهدة
 والنبات أو بلغ بها صاحبها صحة دعواه والمراد بها الكتاب والرسول والبيان وهي من الحجج بمعنى القصد كائناتها
 تقصد اثبات الحكم وتطلبه (فلو شاء) هدايتكم جميعا (لهذاكم أجمعين) بالتوفيق لها والجل عليها
 ولكن لم يشأ هداية الكل بل هداية البعض العارفين همهم إلى سلوك طريق الحق وضلال آخرين صرفوا
 اختيارهم إلى خلاف ذلك من غير صارف يلومهم ولا عاطف يشبههم (قل لهم شهداكم) أي أحضرهم وهم وهو
 اسم فعل لا يتصرف على لغة أهل الجاز وفعل يؤنث ويجمع على لغة بني تميم على رأى الجمهور وقد خالفهم البعض
 في فعليته وليس بشيء وأصله عند البصريين هالم من لم إذا قصد حذف الالف لتقدير السكون في اللام فانه
 الاصل وعند الكوفيين هل أم غذف الهززة بالقاء مركبا على اللام وهو بعيد لأن هل لا تدخل الأمر
 ويكون متعديا كما في الآية ولا زما كما في قوله تعالى هلم اليها (الذين يشهدون أن الله حرم هذا) وهم قدوتهم
 الذين تصرون قولهم وانما أمرنا واستحضارهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانه طاعة لهم ضلالتهم وأنه لا متمسك لهم
 كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهاد بالاضافة ووصفوا بما يدل على أنهم شهداء معروفون بالشهادة لهم وبصورة
 مذهبهم (فان شهدوا) بعد ما حضروا بأن الله حرم هذا (فلا تشهد معهم) أي فلا تصدقهم فانه كذب
 بحت واقتراء صرف وبين لهم فساد ما تسلمه منهم موافقة لهم في الشهادة الباطلة (ولا تتبع أهواء الذين
 كذبوا بآياتنا) من وضع المظهر مقام المخبر للدلالة على أن من كذب بآيات الله تعالى وعدل به غيره فهو متبع
 للهوى لا غير وأن من اتبع الحجة لا يكون الا مصداقا لها (والذين لا يؤمنون بالآخرة) كعبدة الاوثان عطف
 على الموصول الاول بطريق عطف الصفة على الصفة مع اتحاد الموصوف كما في قوله
 إلى الماجد القرم وابن الهمام * وليت الكتاب في المزدحم
 فان من يكذب بآياته تعالى لا يؤمن بالآخرة وبالعكس (وهم برهيم يعدلون) أي يجعلون له عدلا عطف
 على لا يؤمنون والمعنى لا تتبع أهواء الذين يجمعون بين تكذيب آيات الله وبين الكفر بالآخرة وبين الاشرار
 به سبحانه لكن لا على أن يكون مدار انتهى الجمع المذكور بل على أن أولئك جامعون لها متصفون بكها
 (قل تعالوا) لما ظهر بطلان ما ادعوا من أن اشرارهم وشرار آباؤهم وتحريم ما حرمه بأمر الله تعالى
 ومشيئته يظهور ويحجزهم عن اخراج شيء يتمسك به في ذلك واحضار شهداء يشهدون بما ادعوا في أمر التحريم
 بعد ما كانوا مرة بعد أخرى يجزيهنا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يبين لهم من المحرمات ما يقتضي
 الحلال بيانه على الاسلوب الحكيم ايذانا بأن حقهم الاجتناب عن هذه المحرمات وأما الاطعمة المحرمة فقد بينت
 بقوله تعالى قل لا أجد الاية وتعال أمر من التعالي والاصل فيه أن يقوله من في مكان عال من هوى أسفل
 منه ثم اتسع فيه بالتعميم كما أن الغنيمة في الاصل اصابة الغنم من العدو ثم استعملت في اصابة كل ما يصاب
 بينهم انساهاهم في الفوز بكل مطلب من غير مشقة (أهل) جواب الأمر وقوله تعالى (ما حرم ربكم) من
 منسوب به على أن ما موصولة والعائد محذوف أي اقرأ الذي حرمه ربكم أي الآيات المشتملة عليه أو مصدرية
 أي الآيات المشتملة على تحريره أو يحرم على أنها استفهامية والجملة مفعول لائل لأن التلاوة من باب القول

كأنه قيل أقل أي شيء حرم ربكم (عليه السلام) متعلق بحرم على كل حال وقيل بأنزل والاقول أنسب بمقام
 الامتناء بإيجاب الاتهام عن المحرمات المذكورة وهو السر في التمرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى
 ضميرهم فان تذكير كونه تعالى ربهم ومالك الامر بهم على الاطلاق من أقوى الدواعي الى اتهامهم عما نهى
 عنه أشد اتهاماً وأن في قوله تعالى (أن لا تشركوا به) مفسرة لفعل التلاوة المعلق بما حرم ولا نهاية كما ينبغي
 عنه عطف ما بعده من الاوامر والنواهي عليه وليس من ضرورة كون المعطوف عليه تفسير التلاوة المحرمات
 بحسب منطوقه كون المعطوفات أيضاً كذلك حتى يمنع انتظام الاوامر في تلك العطف عليه بل يمكن في ذلك
 كونها تفسيراً لها باعتبار لوازمها التي هي النواهي المتعلقة بأضداد ما تعلقت هي به فان الامر بالنهي مستلزم
 للنهي عن ضده بل هو عينه عند البعض كأن الاوامر ذكرت وقصد لوازمها فان عطف الاوامر على النواهي
 الواقعة بعد أن المفسرة لتلاوة المحرمات مع القطع بأن المأمور به لا يكون محرم ما دلبس واضح على أن التحريم
 راجع الى الاضداد على الوجه المذكور فكأنه قيل أقل ما حرم ربكم أن لا تشركوا ولا تسبوا الى الوالدين
 خلا أنه قد أخرج مخرج الامر بالاحسان اليهما بين النبيين المكتفين له للمبالغة في ايجاب مراعاة حقوقهما
 فان مجرد ترك الاساءة اليهما غير كاف في قضاء حقوقهما ولذلك عقب به النبي عن الاشرار الذي هو أعظم
 المحرمات وأكبر الكبائر ههنا وفي سائر المواضع وقيل أن ناصية ومجاهد النصب بعلينكم على أنه لا غراء وقيل
 النصب على البدلية مما حرم وقيل من عاينها المحذوف على أن لازمة وقيل الجز بقدر اللام وقيل الرفع
 بتقدير المتلوان لا تشركوا أو المحرم أن لا تشركوا بزيادة لا وقيل والذي عليه التعويل هو الاول لامور من
 جعلها أن في اخراج المفسر على صورة النبي مبالغة في بيان التحريم وقوله تعالى (شيئاً) نصب على المصدورية
 او المفعولية أي لا تشركوا به شيئاً من الاشرار أو شيئاً من الاشياء (وبالوالدين) أي وأحسنوا بهما
 (احساناً) وقد مر تحقيقه (ولا تقتلوا اولادكم) تكليف متعلق بحقوق الاولاد عقب به التكليف
 المتعلق بحقوق الوالدين أي لا تقتلوهم بالواد (من املاق) أي من أجل فقر كما في قوله تعالى خشية
 املاق وقيل هذا في الفقر الناجز وذاتي المتوقع وقوله تعالى (نحن نرزقكم وايهاهم) استئناف مسوق
 لتعليل النهي وابطال سببية ما اتخذوه سبباً لمباشرة المنهي عنه وضمان منه تعالى لارزاقهم أي نحن نرزق
 الفريقين لا أنتم فلا تخافوا الفقر بناء على عجزكم عن تحصيل الرزق وقوله تعالى (ولا تقرّبوا الزواجر)
 كقوله تعالى ولا تقرّبوا الزنا انه كان قاحشة الآية الا أنه جيء به هنا بصيغة الجمع قصداً الى النبي عن أنواعها
 ولذلك أبدل عنها قوله تعالى (ما ظهر منها وما بطن) أي ما يفعل منها علانية في الحيوانات كما هو دأب
 اراداهم وما يفعل سرّاً باتخاذ الاخذان كما هو عادة اشرافهم وتعليل النبي بقربانها لما لله مبالغة في الزجر
 عنها لقوة الدواعي اليها واتمالا لان قربانها داع الى مباشرتها وتوسيط النبي عنها بين النبي عن قتل الاولاد
 والنهي عن القتل مطلقاً كما وقع في سورة بني اسرائيل باعتبار أنهم مع كونها في نفسها جناية عظيمة في حكم
 قتل الاولاد فان اولاد الزنا في حكم الاموات وقد حال على الله عليه وسلم في حق العزل ذلك وأدخني
 ومن ههنا تبين أن حمل الفواحش على الكبر مطلقاً وتفسير ما ظهر منها وما بطن بما فسره ظاهر الائم
 وباطنه فيما سلف من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله) أي حرم قتلها
 بأن عصمها بالاسلام أو بالعهد فيخرج منها الحربي وقوله تعالى (الابالحق) استثناء مفترغ من أعم
 الاحوال أي لا تقتلوهما في حال من الاحوال الاحال ملازمة لكم بالحق الذي هو أمر الشرع بقتلها
 وذلك بالكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحسان وقتل النفس المعصومة أو من أعم الاسباب أي لا تقتلوهما
 بسبب من الاسباب الابواب الحق وهو ما ذكرنا ومن أعم المصادر أي لا تقتلوهما قتلاً ما لا يقتل كائنات
 بالحق وهو القتل بأحد الامور المذكورة (ذلكم) اشارة الى ما ذكر من التكاليف الخمسة وما في
 ذلك من معنى البعد لا يذان بملو طبعاتها من بين التكاليف الشرعية وهو مبتدأ وقوله تعالى (وصاكم به)
 أي أمركم به ربكم أمراً مؤكداً خبره والجملة استئناف جيء به تجديد العهد وتأكيد الايجاب بالمحافظة على
 ما كفوه ولما كانت الامور المنهي عنها مما تقتضي بدية العقول التي تعقل نفوسكم وتحييها عن مباشرة القبائح المذكورة
 (لعلكم تعقلون) أي تستعملون عقولكم التي تعقل نفوسكم وتحييها عن مباشرة القبائح المذكورة

(ولا تقر بآمال البتيم) توجيه النبي الى قربانه لما أمر من المبالغة في النهي عن أكله ولاخراج القربان النافع
عن حكم النبي بطريق الاستثناء أي لا تعرضوا له بوجه من الوجوه (الاباقي هي أحسن) الاباقي هي التي
هي أحسن ما يكون من الحفظ والتخبر ونحو ذلك والخطاب للأولياء والأوصياء لقوله تعالى (حتى يبلغ
أشدّه) فإنه غاية ما يفهم من الاستثناء لالنهي كأنه قيل احفظوه حتى يصير بالغار شديدا حتى تنزل سلوة اليه
كما في قوله تعالى فان أنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم والاشد جمع شدة كنعمة وأنتم أو شد ككليب
وأكلب أو شد كصرو وأصرو وقيل هو مفرد كأنك (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) أي بالعدل والتسوية
(لا تكلف نفسا الا وسعها) الا ما يسعها ولا يفسر عليها وهو اعتراض حتى يه عقيب الامر بالعدل للايذان
بان مراعاة العدل كما هو عبره كأنه قيل عليكم بما في وسعكم وما دراهم معفة وعنتكم (وإذا قلتم) قولا
في حكومة أو شهادة أو نحوهما (فاعدوا) فيه (ولو كان) أي المقول له أو عليه (ذاقري) أي
ذاق ربة منكم ولا تميلوا نحوهم أصلا وقد مر تحقيق معنى لوفى مثل هذا الموضع مرارا (وبعد الله أوفوا)
أي ما عهد اليكم من الامور المحدودة أو أي عهد كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا أو لم يحد ثم الله عليه
من الايمان والنذور وتقديعه للاعتناء بشأنه (ذاكمكم) اشارة الى ما فصل من التكليف ومعنى البعد لما
ذكر فيما قبل (وصاكم به) أمركم به أمرامو كذا (لعلكم تذكرون) تذكرون ما في تضاعيفه وتعملون
بقتضاه وقرئ بتشديد الذال وهذه أحكام عشرة لا تختلف باختلاف الامم والاعصار عن ابن عباس رضي
الله عنهما هذه آيات محكمة لم ينسخن شيء من جميع الكتب ومن محرمات علي بن آدم كلهم ومن أم الكتاب
من عمل بين دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار والذي نفس كعب بيده ان هذه الآيات
لاول شيء في التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالى الآيات (وان هذا صراطي) اشارة الى ما ذكر في
الآيتين من الامر والنهي فانه مقابل وقيل الى ما ذكر في السورة فانها بأسرها في اثبات التوحيد والنبوة
وبيان الشريعة وقرئ صراطي بفتح اليا ومعنى اضافته الى ضميره عليه الصلاة والسلام اتسابه اليه عليه
الصلاة والسلام من حيث السلوك لا من حيث الوضع كما في صراط الله والمراد بيان أن ما فصل من الاواخر
والنواهي غير مختصة بالمتلوق عليهم بل متعلقة به عليه الصلاة والسلام أيضا وأنه صلى الله عليه وسلم مستمر على
العمل بها ومرارها وقوله تعالى (مستقيما) حال مؤكدة ومحمل أن مع ما في حيزها الجز بحدف لام العلة
أي ولأن هذا صراطي أي مسلكي مستقيما (فاتبعوه) كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا
وتعليل اتباعه بكونه صراطه عليه الصلاة والسلام لا بكونه صراط الله تعالى مع أنه في نفسه كذلك من حيث
أن سلوكه صلى الله عليه وسلم فيه داع للخلق الى الاتباع اذ بذلك يتضح عندهم كونه صراط الله عز وجل وقرئ
بكسر الهمزة على الاستئناف وقرئ أن هذا مخففة من أن على أن اسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف وقرئ
صراطي وقرئ هذا صراطي وقرئ وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك (ولا تتبعوا السبل) الاديان
المختلفة أو طرق البدع والضلالات (فتفرق بكم) بجذف احدى التاءين والباء للتعدية أي فتفرقكم
حسب تفرقها أي أدى سببا فهو كما ترى أبلغ من تفرقكم كما قيل من أن ذهب به لما فيه من الدلالة على الاستصحاب
أبلغ من أذهبه (عن سبيله) أي سبيل الله الذي لا عوج فيه ولا حرج وهو دين الاسلام الذي ذكر بعض
أحكامه وقيل هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان وفيه تنبيه على أن صراطه عليه الصلاة والسلام عين سبيل الله
تعالى (ذاكمكم) اشارة الى ما مر من اتباع سبيله تعالى وترك اتباع سائر السبل (وصاكم به لعلكم تتقون)
اتباع سبيل الكفر والضلالة (ثم أتينا موسى الكتاب) كلام مسوق من جهته تعالى تقرير الوصية
وتحقيقها لها وتهدد المايعة به من ذكر انزال القرآن الجديد كما ينبغي عنه تغيير الاسلوب بالالتفات الى التكلم
معطوف على مقدوره فتضاهي المقام ويستدعيه النظام كأنه قيل بعد قوله تعالى ذلكم وصاكم به بطريق
الاستئناف تصديقا له وتقرير المضمونه فعلن ذلك ثم أتينا الخ كما أن قوله تعالى ونطبع على قلوبهم معطوف
على ما يدل عليه معنى أو لم يهد الخ كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع الخ وأما عطفه على ذلكم وصاكم به
ونظمه معه في سلك الكلام الملقن كما أجمع عليه الجمهور فما لا يليق بجزالة النظم الكبريم فتدبر ونم للتراخي
في الاخبار كما في قولك بلغني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت أمس أعجب أو للتفاوت في الرتبة كأنه قيل ذلكم

وصاكم به قديما وحديثا ثم أعظم من ذلك أنا آتينا موسى التوراة فان آياتها مشتقة على الوصية المذكورة
وغيرها أعظم من التوصية بها فقط (تماما) للكرامة والنعمة أي اتماما لهما على أنه مصدر من أتم
بمخدوف الزوائد (على الذي أحسن) أي على من أحسن القيام به كأننا من كان ويؤيده أنه قرئ على الذين
أحسنوا وتماما على الحسنين أو على الذي أحسن تبليغه وهو موسى عليه السلام أو تمامًا على ما أحسنه
موسى عليه السلام أي أجاده من العلم والشرائع أي زيادة على علمه على وجه التتميم وقرئ بالرفع على أنه خبر
مبتدأ محذوف أي على الذي هو أحسن دين وأرضاه أو آتينا موسى الكتاب تمامًا أي تامة كاملا على أحسن
ما يكون عليه الكتب (وتفصيل لكل شيء) وبينا ما مفصلا لكل ما يحتاج إليه في الدين وهو عطف على تمام
وتصبيها تمامًا على العلية أو على المصدرية كما أشير إليه أو على الحالية وكذا قوله تعالى (وهدي ورحمة) وخبر
(لعلهم) بنبي اسرا فيل المدلول عليهم بذكر موسى وآيات الكتاب والباء في قوله تعالى (بلقيا ربهم) متعلقة
بقوله تعالى (يؤمنون) قدمت عليه بحافظة على القواصل قال ابن عباس رضي الله عنهما كي يؤمنوا
بالبعث ويصدقوا بالثواب والعذاب (وهذا) أي الذي نلت عليكم أو امره ونواهيته أي القرآن (كتاب)
عظيم الشأن لا يقدر قدره وقوله تعالى (أنزلناه مبارك) أي كثير المنافع ديننا وديننا صفتان
لكتاب وتقدم وصف الانزال مع كونه غير صريح لأن الكلام مع منكرية أو خبر أن أنزلنا لاسم الإشارة أي
أنزلناه مشتقًا على فنون الفوائد الدينية والدينية التي فصلت عليكم طائفة منها والفاء في قوله تعالى
(فاتبعوه) لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان عظم شأن الكتاب في نفسه وكونه منزلا من جنابه عز وجل
مستترة بالانصاف الدينية والدينية متوجبة لا تباعه أي إيجاب (واتقوا) مخالفته (لعلكم ترحون)
بواسطة اتباعه والعمل بوجبه (أن تقولوا) عله لا نزلناه المدلول عليه بالمدكور لا لنفسه للزوم الفصل
حيث يبين العامل والمعمول بأجنبي هو مباركة وصفا كان أو خبر أي أنزلناه كذلك كراهية أن تقولوا يوم
القيامة لولم نزل (لما أنزل الكتاب) الناطق بتلك الأحكام العامة لكل الامم (على طائفتين) كاتبتين
(من قبلنا) وهما اليهود والنصارى وتخصيص الانزال بكتايبهما لانهما الذي اشتهر حينئذ فيما بين الكتب
السمائية بالاستعمال على الأحكام لاسما الأحكام المذكورة (وان كنا) ان هي الخففة من أن واللام فارقة
بينها وبين الناقصة وضعف الشأن محذوف ومرادهم بذلك دفع ما يرد عليهم من أن نزوله عليهم ما لا ينافي عموم
أحكامه فلم تعملوا بأحكامه العامة أي وانه كنا (عن دراستهم لغافلين) لا ندري ما في كتابهم اذ لم يكن
على لغتنا حتى تلقى منه تلك الأحكام العامة ونحافظ عليها وان لم يكن منزلا علينا وبها تبيين أن معذرتهم هذه
مع أنهم غير مأمورين بما في الكتابين لا استعمالهما على الأحكام المذكورة المتساوية لكافة الامم كما أن قطع
تلك المعذرة بانزال القرآن لا شتمه أيضا عليها لا على سائر الشرائع والأحكام فقط (أو تقولوا) عطف على
تقولوا وقرئ كلاهما بالياء على الالتفات من خطاب فاتبعوه واتقوا (لو أنزل علينا الكتاب) كما أنزل
عليهم (الكتاب هدي منهم) إلى الحق الذي هو المقصد الأقصى أو إلى ما في تضاعفه من جلائل الأحكام
والشرائع ودقائقها الخدعة اذ هاتوا وقاية أفهامنا ولذلك تلقينا من فنون العلم كالعصص والأخبار والخطب
والاشعار ونحو ذلك طرفا صالحا ونحن آثمون وقوله تعالى (فقد جاءكم) متعلق بمحذوف ينبئ عنه الفناء
الفصيحة اما معلل به أي لا تعدوا بذلك فقد جاءكم الخ واما شرط له أي ان صدقتم فيما كنتم تعدون من
أنفسكم من كونكم أهدي من الطائفتين على تقدير نزول الكتاب عليكم فقد حصل ما فرضتم وجاءكم (بينه)
وأي بينة أي حجة واضحة لا يمكنه كنهها وقوله تعالى (من ربكم) متعلق بجاءكم أو بمحذوف هو صفة لينة
أي بينة كائنة منه تعالى وأيا ما كان ففيه دلالة على فضلها الإضافي كما أن في تنويعها التفعيلي دلالة على
فضلها الذاتي وفي التعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم من يد تأكيد لإيجاب الاتباع (وهدي
ورحمة) عطف على بينة وتنويعها أيضا تفعيلي عبر عن القرآن بالبينّة أي أنا بكال عطفهم من دراسته
ثم بالهدى والرحمة تنبيهها على أنه مشتق على ما اشتمل عليه التوراة من هداية الناس ورحمتهم بل هو عين
الهداية والرحمة (نحن أنزلنا) الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان بحسب القرآن المشتق على الهدى

والرحمة موجب لغاية الظلمية من يكذب أي وإذا كان الأمر كذلك فنحن أظلم (من كذب بآيات الله) وضع
الموصول موضع ضميرهم بطريق الالتفات تنصيصا على اتصافهم بما في حيز الصلاة وأشعار ابعلة الحكم واسقاطا
لهم عن وثية الخطاب وعبر عما جاءهم بآيات الله تهويلا لا للاحمر وتنبها على أن تكذيب أي آية كانت من
آيات الله تعالى كلف في الاظلمية فحاطت بكذب القرآن المتطوى على الكل والمعنى انكار أن يكون أحد
أظلم من فلان أو لا أفضل منه فالمراد به حقا بجهلكم العرف الفاشي والاستعمال المطرد أنه أكرم من كل كريم
وأفضل من كل قاضل وقد مرارا (ومدفع عنها) أي صرف التماس عنها فجمع بين الضلال والاضلال
(سخرى الذين يصدفون) الناس (عن آياتنا) وعيد لهم ببيان جزاء اضلالهم بحيث يفهم منه جزاء
ضلالهم أيضا ووضع الموصول موضع المضمر لتحقيق مناط الجزاء (سوء العذاب) أي العذاب السيئ الشديد
النكاي (بما كانوا يصدفون) أي بسبب ما كانوا يفعلون الصدف والصرف على التجدد والاستمرار وهذا
قصر يحج بما أشعر به اجراء الحكم على الموصول من عليه ما في حيز الصلاة (هل ينظرون) استئناف مسوق
ليبان أنه لا يأتي منهم الايمان بانزال ما ذكر من البينات والهدى وأنهم لا يرجعون عن القمادي في المكابرة
واقترح ما ينافي الحكمة التشريعية من الآيات الملبسة وأن الايمان عند ايمانها بما لا فائدة له أصلا مبالغة
في التبليغ والانتذار وإزاحة العلل والاعذار أي ما ينتظرون (الأن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك)
حسبما اقترحوا بقولهم لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا بقولهم أو تأتي بآية الله والملائكة قبيلا وبقولهم لولا
انزل عليه ملك ونحو ذلك أو لا أن تأتيهم ملائكة العذاب أو يأتي أمر ربك بالعذاب والانتظار محمول على
التنكيل كما سيحى وقرئ يأتيهم بالياء لأن تأتي الملائكة غير حقيقي (أو يأتي بعض آيات ربك) أي غير
ما ذكر كما اقترحوا بقولهم أو تنقط السماء كما زعمت علينا كسفا ونحو ذلك من عظام الآيات التي علقوا بها
ايمانهم والتعصير عنها ببعض للتحويل والتفتيم كما أن إضافة الآيات في الموضعين إلى اسم الرب المنجي عن
المالكية الكلية لذلك وإضافته إلى ضميره عليه الصلاة والسلام للتشريف وقيل المراد بالملائكة ملائكة
الموت وبياتيه سبحانه وتعالى اتيان كل آية بمعنى آيات القيامة والهلاك الكلية بقرينة ما بعده من اتيان
بعض آياته تعالى على أن المراد به أشراط الساعة التي هي الدخان ودابة الارض وخسف بالشرق وخسف
بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج وماجوج ونزول عيسى عليه
السلام ونار تحترق من عدن كما نطق به الحديث الشريف المشهور وحيث لم يكن اتيان هذه الامور بما ينتظرونه
اتيان ما اقترحوه من الآيات فإن تعليق ايمانهم بآياتها انتظار منهم له ظاهرا حمل الانتظار على
التنكيل المبني على تشبيه حالهم في الاصرار على الكفر والقمادي في العناد إلى أن تأتيهم تلك الامور الهائلة
التي لا بد لهم من الايمان عنده شاهدتها البتة بحال المنتظرين لها وأنت خير بأن النظم الكريم بسياقه
المنجي عن تماديهم في تكذيب آيات الله تعالى وعدم الاعتداد بها وسياقه الناطق بعدم نفع الايمان عند
اتيان ما ينتظرونه يستدعي أن يحمل ذلك على أمور هائلة مخصوصة بهم اما بأن تكون عبارة عما اقترحوه
أو عن عقوبات مترتبة على جناباتهم كآيات ملائكة العذاب واتيان أمره تعالى بالعذاب وهو الاذنب
لماسب أي من قوله تعالى قل انتظروا اماما ينتظرون وأما حمله على ما ذكر من اتيان ملائكة الموت واتيان كل
آيات القيامة وتظهور أشراط الساعة مع تحول اتيانها لكل بر وقاجر واشتمال غائلتها على كل مؤمن وكافر
فقد لا يساعد المقام على أن بعض أشراط الساعة ليس مما يسبقه باب الايمان والطاعة نعم يجوز حمل بعض
الآيات في قوله عز وجل (يوم يأتي بعض آيات ربك) على ما يم مقتراحهم وغيرها من الدواهي العظام السالبة
لاختيار الذي عليه يدور تلك التكليف فانه بمنزلة الكبرى من الشكل الأول فيتم التقريب عند وقوعها بدخول
ما ينتظرونه في ذات دخول أول يوم منصوب بقوله تعالى (لا ينفع) فإن امتناع عمل ما بعد لا فيما قبلها عند
وقوعها جواب القسم وقرئ يوم بالرفع على الابتداء والخبر هو الجنة والعائد محذوف أي لا ينفع فيه (نفسا)
من النفوس (ايمانها) حيث لا نكشاف الحال وكون الأمر عينا فامداد قبول الايمان أن يكون
بالغيب كقوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا وقرئ لا ينفع بالنساء الفوقانية لاكتساب الايمان

من ملابسة المضاف اليه تأنيثا وقوله تعالى (لم تكن آمنت من قبل) أي من قبل اتيان بعض الآيات صفة
لنفسا فصل بينهما بالفاعل لاستعماله على ضمير الموصوف ولا ضميريه لانه غير أجنبي منه لا اشتراكهما
في العامل (أو كسبت في إيمانها خيرا) عطف على آمنت بإيراد التريديد على التثنية المفيد لكفاية أحد التثنيين
في عدم النفع والمعنى أنه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا لم تقدم إيمانها أو قدمته ولم تكسب فيه خيرا ومن
ضرورته اشتراط النفع بتحقيق الامرين أي الايمان المتقدم والخير المكسوب فيه معا بمعنى أن النافع هو
تحققهما والايمان المؤخر لغو وتعميل للعاصل لأنه هو النافع وتحققهما شرط في نفعه كما لو كان المتقدم غير
المؤخر بالذات فان قولك لا ينفع الصوم والصدقة من لم يؤمن قبلهما معناه أنهم ما ينفعانه عند وقوعهما بعد
الايمان وقد استدل به أهل الاعتزال على عدم اعتبار الايمان المجرد عن الاعمال وليس بشاخص ضرورة
صحة حمله على نفي التريديد المستلزم اعمومه المفيد بطلوقه لا اشتراط عدم النفع بعدم الامرين معا وبخلافه
لا اشتراط النفع بتحقيق أحدهما بطريق منع الخلو دون الانفصال الحقيقي فالمعنى أنه لا ينفع الايمان
حينئذ نفسا لم يصدر عنها من قبل أحد الامرين أما الايمان المجرد والخير المكسوب فيه فيتحقق النفع بأيهما
كان حسبا تنطبق به النصوص الكريمة من الآيات والاحاديث وما قيل من أن عدم الايمان السابق مستلزم
عدم كسب الخير فيه بالضرورة فيكون ذكره تكرارا بلا فائدة على أن الموجب للخلو في النار هو العدم الاقل
من غير أن يكون الثاني دخل ما في ذلك قطعا فيكون ذكره بصدديان ما يوجب الخلو لغو من الكلام لغو من
الكلام مبني على توهم أن المقصود بوصف النفس بالعدمين المذكورين مجرد بيان ايجالهما للخلو فيها وعدم
نفع الايمان الحادث في انجائهما عنه وليس كذلك والالكن في البيان أن يقال لا ينفع نفسا إيمانها الحادث
بل المقصد الأصلي من وصفها بدينك العدمين في أثناء بيان عدم نفع الايمان الحادث تحقيق أن موجب النفع
أحدي ملكيتهما أي الايمان السابق والخير المكسوب فيه بما ذكر من الطريقة والترغيب في تحصيلهما في
ضمن التحذير من تركهما ولا سبيل إلى أن يقال كما أن عدم الأول مستقل في ايجاب الخلو في النار فيلغو ذكر
عدم الثاني كذلك وجوده مستقل في ايجاب الخلاص عنها فيكون ذكر الثاني لغو لما أنه قياس مع الفارق
كيف لا والخلو فيها أمر لا يتصور فيه تعدد العلل وأما الخلاص عنها مع دخول الجنة فله مراتب بعضها
مرتبة على نفس الايمان وبعضها على فروعه المتفاوتة كما وكيفا وانما لم يقتصر على بيان ما يوجب أصل النفع
وهو الايمان السابق مع أنه هو المقابل لما لا يوجب أصله أي الايمان الحادث بل قرن به ما يوجب النفع الزائد
أي ارشادا إلى تحري الأعلی وتنبهها على كفاية الأدنى واقتضاها للكفرة عما علقوا به أطماعهم الفارغة
من أعمال البر التي عملوها في الكفر من صلة الارحام واعتناق الرقاب وفك العنائة وغائاة الملهوفين وقرى
الاضفاف وغير ذلك مما هو من باب المنكاري بيان أن كل ذلك لغو بحيث لا يقتضاه على غير أساس حسبا تنطبق به
قوله تعالى والذين كفروا أعمالهم كرماد اشتدت به الريح الآية ونحو ذلك من النصوص الكريمة وأن الايمان
الحادث كما لا ينفعهم وحده لا ينفعهم بانضمام أعمالهم السابقة واللاحقة ولك أن تقول المقصود بوصف النفس
بما ذكر من العدمين التعريض بحال الكفرة في عتردهم وتقرير طهم في كل واحد من الامرين الواجبين عليهم
وإن كان وجوب أحدهما منوطا بالآخر كما في قوله عز وجل فلا صدق ولا صلي تسجيلا بكل طغيانهم وايدانا
بتضاعف عقابهم لما تقر من أن الكفار مخاطبون بفروع الشرائع في حق المؤاخذه كما ينبي عنه قوله تعالى
فويل للمشركون الذين لا يؤتون الزكاة اذا تحققت هذا وقفت على أن الآية الكريمة أحق بأن تكون
حجة على المعتزلة من أن تكون حجة اهم هذا وقد قيل انها من باب اللف التقديري أي لا ينفع نفسا إيمانها
ولا كسبها في الايمان لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فيه وليس بواضح فان مبنى اللف التقديري أن يكون
المقدم من مقامات الكلام ومقتضيات المقام قدر ذكره تعويلا على دلالة الملفوظ عليه واقتضائه آياه كما مر
في تفسير قوله عز وجل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فيسخرهم إليه جميعا فانه قد طوى في المفصل ذكر
حشر المؤمنين ثقة بانباء التفصيل عنه أعنى قوله تعالى فاما الذين آمنوا الآية ولا ريب في أن ما قدره هنا
ليس بما يستند عليه قوله تعالى أو كسبت في إيمانها خيرا ولا هو من مقتضيات المقام لانه ليس مما عدوه
وعلقوه بآيات ما ذكر من الآيات كالايمان حتى يرتد عليهم بيان عدم نفعه اذ لا على أن ذلك مشعر بأن لهم بعد

ما أصابهم من الدواهي ما أصابهم بقاء على السلامة وزمات ما يتأتى منهم الكسب والعمل فيه وفيه من الاخلال
 بتمام تهويل الخطب وتفطيع الحال ما لا يخفى وقد أجيب عن الاستدلال بوجود آخر قصارى أمرها
 اسقاط الآية الكريمة عن رتبة المعارضة للنصوص القطعية المتون القوية الدلالة على ما ذكر من كفاية
 الايمان المجرد عن العمل في الانجاء من العذاب الخالد ولو بعد التنبأ والتي لما تقرره من أن الظنى بمنزل من
 معارضة القطعى (قل) لهم بعد بيان حقيقة الحال على وجه التهديد (انتظروا) ما تنتظرونه من اتيان
 أحد الامور الثلاثة لتروا أى شئ تنتظرون (انما تنتظرون) لذلك لتشهد ما يحل بكم من سوء العاقبة وفيه
 تأييد لكون المراد بما ينتظرونه اتيان ملائكة العذاب أو اتيان أمره تعالى بالعذاب كما أشير اليه وعدة ضمنية
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بما ينتظرونه من العذاب ولعل ذلك هو الذى شاهدوه
 يوم بدر والله سبحانه أعلم (ان الذين فرقوا دينهم) استئناف لبيان أحوال أهل الكفاية اثريان حال
 المشركين أى بددوه وبعضوه ففسك بكل بعض منه فرقة منهم وقرئ فارقوا أى بانوا فان ترك بعضه وان
 كان بأخذ بعض آخر منه ترك لكل ومفارقة له (وكانوا شيعا) أى فرقا تشيع كل فرقة اماما لها قال عليه
 الصلاة والسلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلهم فى الهاوية الواحدة وافترقت النصارى
 اثنتين وسبعين فرقة كلهم فى الهاوية الواحدة وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلهم فى الهاوية
 الواحدة واستثناء الواحدة من فرق كل من أهل الكتابين انما هو بالنظر الى العصر الماضى قبل التسخ وأما
 بعده فالكل فى الهاوية وان اختلفت أسباب دخولهم فعنى قوله تعالى (لست منهم فى شئ) لست من
 الصحت عن نفرهم والتعرض لمن يعاصرك منهم بالمناقشة والمؤاخذه وقيل من قتالهم فى شئ سوى تبليغ
 الرسالة واطهار شعائر الدين الحق الذى أمرت بالدعوة اليه فيكون منسوخا بآية السيف وقوله تعالى
 (انما أمرهم الى الله) تعليل لئلا يذكروا أى هو يتولى وحده أمر أولاهم واخراجهم ويديره كيف يشاء حسبما
 تقتضيه الحكمة يؤاخذهم فى الدنيا متى شاء ويأمر بقتالهم اذا أراد وقيل المفرقون أهل البدع والاهواء
 الزائغة من هذه الامة ويرد أنه عليه الصلاة والسلام مأمو به واخذتهم والاعتذار بأن معنى لست منهم
 فى شئ حيث أنت برى منهم ومن مذهبهم وهم برآء منك بأباه التعليل المذكور (ثم يبينهم) أى يوم القيامة
 (بما كانوا يفعلون) عبر عن اظهارهم بالفتنة لما بينهم من الملازمة فى أنهم ما سيبيان للعلم تنبيه على أنهم كانوا
 جاهلين بحال ما ارتكبوه غافلين عن سوء عاقبته أى يظهر لهم على رؤس الاشهاد ويعلمهم أى شئ تشيع كانوا
 يفعلونه فى الدنيا على الاستمرار ويرتب عليه ما يليق به من الجزاء وقوله تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر
 أمثالها) استئناف مبين لمقادير الجزية العاملين وقد صدر بيان الجزية المحسنين المدلول عليهم بذكر
 أضدادهم قال عطاء بن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم يريد من عمل من المصدقين حسنة كتبت له عشر
 حسنات أى من جاء يوم القيامة بالاعمال الحسنة من المؤمنين اذ لا حسنة بغير ايمان فله عشر حسنات
 أمثالها تفضلا من الله عز وجل وقرئ عشر بالتسوية وأمثالها بالرفع على الوصف وهذا أقل ما وعد من
 الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبع مائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بذكر العشر بيان الكثرة لا الحصر
 فى العدد الخاص (ومن جاء بالسيسة) أى بالاعمال السيئة كما ثمن كان من العاملين (فلا يجزى
 الا مثلهما) بحكم الوعد واحدة بواحدة (وهم لا يظلمون) ينقص الثواب وزيادة العقاب (قل)
 انى هدى ربى) أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يبين لهم ما هو عليه من الدين الحق الذى يدعون أنهم
 عليه وقد فارقوه بالكيفية ونصير الجمل بحرف التعقيق لاظهار كمال الاعتناء بمنمونها والتعرض لاعتوان
 الربوبية مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم لمزيد تشريفه أى قل لا أولئك المفرقين أرشدنى ربى بالوحى
 وبما نصب فى الاتفاق والانفس من الآيات التكوينية (الى صراط مستقيم) موصل الى الحق وقوله تعالى
 (دينا) بدل من الى صراط فان محله النصب كما فى قوله تعالى ويهديك صراطا مستقيما أو مفعول لفعل مضمّر
 يدل عليه المذكور (قيما) مصدر نعت به مبالغة والقياس قوما كعوض فأعل لا علل فله كالقيام
 وقرئ قيما وهو فعل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من المستقيم باعتبار الزنة وان كان هو أبلغ منه
 باعتبار الصيغة (مله إبراهيم) عطف بيان لدينا (حنيفا) حال من إبراهيم أى ما تلاح عن الاديان المباطلة

وقوله تعالى (وما كان من المشركين) اعتراض فقرر تنازله عليه السلام عما عليه المفزقون لدينه من عقد وعمل أى ما كان منهم فى أمر من أمور دينهم أصلاً وفرعاً مبرح بذلك رداعلى الذين يدعون أنهم على ملته عليه السلام من أهل مكة واليهود المشركين بقواهم عزير ابن الله والنصارى المشركين بقواهم المسيح ابن الله (قل إن صلاتى ونسكى أعبد الأمر ما أتى المأمور به متعلق بفروع الشرائع وما سبق بأصولها أى عبادتى كلها وقيل وذبحى جمع بينه وبين الصلاة ككافى قوله تعالى فصل الربك وانحرو قيل صلاتى وجمعى (ومحياى وعماتى) أى وما أنا عليه فى حياتى وما أكون عليه عند موتى من الايمان والطاعة أو طاعات الحياة والخيرات المضافة الى الامات كالوصية والتدبير وقرئ محياى بسكون الياء اجراء للوصل مجرى الوقف (لله رب العالمين لا شريك له) خالصة له لا أشرك فيها غيره (وبذلك) إشارة الى الاخلاص وما فيه من معنى البعد للاشعار بعزائرتبه وبعد منزلته فى الفضل أى بذلك الاخلاص (أمرت) لا بشئ غيره وقوله تعالى (وأنا أول المسلمين) لبيان مسارعه عليه السلام الى الامثال بما أمر به وأما ما أمر به ليس من خصائصه عليه السلام بل الكل مأمورون به ويقتدى به عليه السلام من أسلم منهم (قل أغير الله أبغى ربا) آخر فأشركه فى العبادة (وهو رب كل شئ) جملة خالية مؤكدة للتأكيد رأى والحال أن كل ما سواه مربوب له مثلى فكيف يتصور أن يكون شريكاً له فى المعبودية (ولا تكسب كل نفس الا عليها) كانوا يقولون للمسلمين اتبعوا سبلنا ونصل خطاياكم أما جمعى ليكتب علينا ما علمتم من الخطايا لا عليكم وأما جمعى لتحمل يوم القيامة ما كتب عليكم من الخطايا فهذا اردله بالمعنى الاول أى لا تكون جناية نفس من النفوس الا عليها ومحال أن يكون صدورها عن شخص وقرارها على شخص آخر حتى يتأتى ما ذكرتم وقوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) ردله بالمعنى الثانى أى لا تحمل يومئذ نفس حاملة حمل نفس أخرى حتى يصح قولكم (ثم الى ربكم مرجعكم) تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكل لتأكيده الوعد وتشديد الوعيد أى الى مالك أموركم رجوعكم يوم القيامة (فينبشكم) يومئذ (بما كنتم فيه تختلفون) بيان الرشد من الفتن وتمييز الحق من الباطل (وهو الذى جعلكم خلائف الارض) حيث خافتم الامم السالفة أو يخلف بعضكم بعضاً أو جعلكم خلائف الله تعالى فى أرضه تنصرفون فيها على أن الخطاب عام (ورفع بعضكم) فى الشرف والغنى (فوق بعض درجات) كثيرة متفاوتة (ليبلوكم فيما آتاكم) من المال والجاه أى ليعاملكم معاملته من يبتليكم لينظر ماذا تعملون من الشكر وضده (إن ربك) تجريد الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع اضافة اسم الرب الى ضميره عليه الصلاة والسلام لابرار حميد اللطيف به عليه السلام (سريع العقاب) أى عقابه سريع الاتيان لمن لم يراع حقوق ما آتاه الله تعالى ولم يشكره لأن كل آت قريب أو سريع التمام عند ارادته تعالى عنه استعمال المبادئ والآلات (وانه لغفور رحيم) لمن راعاها كما ينبغي وفى جعل خبر هذه الجلالة من الصفات الذاتية الواردة على بناء المبالغة مؤكداً باللام مع جعل خبر الاولى صفة جارية على غير من هى له من التنبيه على أنه تعالى غفور رحيم بالذات مبالغ فيه ما فاعل للعقوبة بالعرض مساع فيها ما لا يخفى والله أعلم * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلت على سورة الانعام جملة واحدة بشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسميع والتحميد فنقرأ الانعام صلى الله عليه واستغفر له اولئك السبعون ألف ملك بعد كل آية من سورة الانعام يوم اوليله والله تعالى اعلم

(سورة الاعراف مكية غير ثمان آيات من قوله واسألهم الى قوله واذ نتقنا الجبل وآياتها ثمان وخمس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(المص) أما صرود على نط التعدد بأحد الوجهين المذكورين فى فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب وأما اسم السورة فمعه الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف والتقدير هذا المص أى مسعى به وتذكير اسم الإشارة مع تأييد المسعى لما أن الإشارة اليه من حيث انه مسعى بالاسم المذكور لا من حيث انه مسعى بالسورة وانما صحت الإشارة اليه مع عدم سبق ذكره لما أنه باعتبار كونه بصدد الذكر صار فى حكم الحاضر المشاهد وقوله عز وجل (كتاب) على الوجه الاول خبر مبتدأ محذوف وهو ما نبئ عنه تعدد الحروف كأنه قيل الخوفا من جنس هذه الحروف مراد به السورة كتاب الخ أو اسم إشارة أشعر به الى تنزيل الحضور المواق منه

منزلة حضور نفس المؤلف أي هذا كتاب الخ وعلى الوجه الثاني خبره خبر جي به اثريان كونه مترجما باسم
 بديع مني عن غرابته في نفسه ابانة بالجملة محل بيان كونه فردا من أفراد الكتب الالهية حائزا للكلالات
 المختصة بها وقد جاوز كونه خيرا والمص مبدأ أي المسمى بالمص كتاب وقد عرفت ما فيه من أن ما يجعل
 عنوانا للوضع حقه أن يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند الخطاب واذلا عهد بالتسمية قبل خفها
 الاخبار بها (أنزل اليك) أي من جهته تعالى في الفعل للمفعول جريا على سنن الكبرياء وايدانا بالاستغناء
 عن التصريح بالتساعل اغاية ظهوره فيه وهو السر في ترك ذكر مبدأ الانزال كما في قوله جل ذكره بلغ
 ما أنزل اليك من ربك ونظائره والجملة صفة للكتاب مشرفة له ولمن أنزل اليه وجعله خيرا له على معنى كتاب عظيم
 الشأن أنزل اليك خلاف الاصل (فلا يكن في صدره حرج) أي شك كما في قوله تعالى فان كنت في شك مما
 أنزلنا اليك خلأته عبر عنه بما يلزمه من الحرج فان الشك الذي يترتب عليه ضيق الصدر كما أن المتيقن بعتره انشراحه
 وانفساحه مبالغة في تنزيهه ساحتها عليه الصلاة والسلام عن نسبة الشك اليه ولو في ضمن النهي فانه من
 الاحوال القلبية التي يستحيل اعتراؤها بالياء عليه الصلاة والسلام وما قد يتبع من نسبته اليه في ضمن النهي فعلى
 طريقة التهيج والالهاب والمبالغة في التفسير والتحذير بآيهم أن ذلك من القبح والشرية بحيث ينهي عنه من
 لا يمكن صدوره عنه أصلا فكيف يمكن ذلك منه والتسوين للتفسير والحج في قوله تعالى (منه) متعلق
 بحرج يقال حرج منه أي ضاق به صدره او بعدد وقع صفة له أي حرج كان منه أي لا يمكن فيك شك ما
 في حديثه أو في كونه كتابا منزلا اليك من عنده تعالى قاله على الاول لترتيب النهي او الانتهاء على مضمون الجملة
 فانه مما يوجب انتفاء الشك فيما ذكره بالكلية وحصول اليقين به قطعاً وأما على الثاني فهي لترتيب ما ذكره على
 الاخبار بذلك لا على نفسه فتدبر وتوجه النهي الى الحرج مع أن المراد منه عليه الصلاة والسلام عنه اتمام الممر
 من المبالغة في تنزيهه عليه الصلاة والسلام عن الشك فيما ذكره فان النهي عن الشيء مما يوجب إمكان صدوره والمنهي
 عنه عن الشيء وأما للمبالغة في النهي فان وقوع الشك في صدره عليه الصلاة والسلام سبب لاتصافه عليه
 الصلاة والسلام به والنهي عن السبب ينهي عن المسبب بالطريق البرهاني وتقي له من أصله بالمرّة كما في قوله تعالى
 ولا يجرم منكم شأن قوم الآية وليس هذا من قبيل لا أدريك ههنا فان النهي هناك واراد على السبب مراداً
 به النهي عن السبب فيكون المآل نهيه عليه الصلاة والسلام عن إعطائهم ما يورث الحرج فتأمل وقيل الحرج
 على حقيقته أي لا يمكن فيك ضيق صدر من تبليغه مخافة أن يكذبوا أو أن تقصر في القيام بحقه فانه عليه
 الصلاة والسلام كان يخاف تكذيب قومه له وأعراضهم عنه فكان يضيق صدره من الاداء ولا ينبت له
 فآمنه الله تعالى ونهاه عن المبالاة بهم قاله حيثما للترتيب على مضمون الجملة أو على الاخبار به فان كلا
 منهما ما موجب للاقدام على التبليغ وزوال الخوف قطعاً وان كان ايجابه الثاني بواسطة الاول وقوله تعالى
 (لتنذره) أي بالكتاب المنزل متعلق بأنزل وما بينهما اعتراض توسط بينهما تقرير الما قبله وغميد الما بعده وحسما
 اتوهم أن مورد الشك هو الانزال لا النذر وقيل متعلق بالنهي فان انتفاء الشك في كونه منزلاً من عنده تعالى
 موجب للاندازه قطعاً وكذا انتفاء الخوف منهم أو العلم بأنه موفوق لقيام بحقه موجب للتعباس على ذلك وأنت
 خير بأنه لا يتأتى على التفسير الاول لان تعليل النهي عن الشك بما ذكره من الانذار والتذكير مع اهماله لا يمكن
 صدوره عنه عليه الصلاة والسلام مشعر بأن النهي عنه ليس محذوراً لذاته بل لافضائه الى فوات الانذار
 والتذكير لا قبل من الايدان بأن ذلك معظم غائلته ولا ريب في فساده وأما على التفسير الثاني فانه يتأتى
 التعليل بالانذار لا ينذر كبر المؤمنين اذ ليس فيه شائبة خوف حتى يجعل غاية لاتنفاثه وقوله تعالى (وذكرى
 للمؤمنين) في حيز النصب باضمار فعله معطوفاً على تنذراى وتذكر المؤمنين تذكرهم أو خبر بلبند المحذوف وتخصيص التذكير
 أن تنذر أي للانذار والتذكير وقيل حرج فوع عطف على كتاب أو خبر بلبند المحذوف وتخصيص التذكير
 بالمؤمنين لا الايدان باختصاص الانذار بالكثرة أي لتنذره المشركين وتذكر المؤمنين وتقدم الانذار لانه أهم
 بحسب المقام (أتبعوا ما أنزل اليكم) كلام مستأنف خوطب به كافة المكلفين بطريق التلويح وأمر وابتاع
 ما أمر النبي صلى الله عليه وسلم قبله بتبليغه بطريق الانذار والتذكير وجعله منزلاً اليهم بواسطة انزاله اليه عليه
 الصلاة والسلام اثر ذكر ما يبعثه من الانذار والتذكير كيد وجوب اتباعه وقوله تعالى (من ربيكم)

متعلق بانزل على أن من لا تبدأ الغاية مجازاً أو محذوف وقع حالاً من الموصول أو من ضميره في الصلة وفي التعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين من يداطف بهم وترغب بهم في الامتثال بما أمروا به وتأكد لوجوبه وجعل ما أنزل ههنا عاملاً للسنن القولية والفعلية بعيد ثم يعدهما حكمه بطريق الدلالة لا بطريق العبادة ولما كان اتباع ما أنزل الله تعالى اتباعاً له تعالى عقب الأمر بذلك بالنهاي عن اتباع غيره تعالى ف قيل (ولا تتبعوا من دونه) أي من دون ربكم الذي أنزل اليكم ما يهديكم إلى الحق ومحله النصب على أنه حال من فاعل فعل النهي أي لا تتبعوا متبعوا من غير الله تعالى (أولياء) من الجن والانس بأن تقبلوا منهم ما يلقونه اليكم بطريق الوسوسة والاعواء من الأباطيل ليضلواكم عن الحق ويحملواكم على البدع والأهواء الزائفة أو من أولياء قدم عليه لكونه نكرة اذ لو أخر عنه لكان صفة له أي أولياء كائنة غيره تعالى وقيل الضمير للموصول على حذف المضاف في أولياء أي ولا تتبعوا من دون ما أنزل الأباطيل أولياء كائنة قيل ولا تتبعوا من دون دين ربكم دين أولياء وقرئ ولا تتبعوا كما في قوله تعالى ومن يتبع غير الإسلام ديناً وقوله تعالى (قل لا ما تذكرون) بحذف إحدى التامين وتخفيف الدال وقرئ بتثنيدها على ادغام التاء المهموسة في الدال المجهورة وقرئ يذكرون على صيغة الغيبة وقليل النصب أمّا ما بعده على أنه نعت لمصدر محذوف مقدم لا قصر أو زمان كذلك محذوف وما من زيادة لتأكيد القلة أي تذكري أقلها أو زماناً قليلاً لا تذكري أن لا كثير حيث لا تتأثرون بذلك ولا تعملون بموجبه وترك كون دين الله تعالى وتبعون غيره ويجوز أن يراد بالقلة العدم كما قيل في قوله تعالى فقل لا ما يؤمنون والجملة اعتراض تذييل مسوق لتقبيح حال المخاطبين والالتفات على القراءة الأخيرة للإيذان باختصاص سوء حالهم في عدم الامتثال بالأمر والنهي صرف الخطاب عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم بطريق المباشرة وأما نصب على أنه حال من فاعل لا تتبعوا وما مصدرية مرتفعة به أي لا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً تذكري لكن لا على توجيه النهي إلى المقيد فقط كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى بل إلى المقيد والمقيد جميعاً وتخصيصه بالذكري لزيادة تقبيح حالهم بجمعهم بين المنكرين (وكم من قرية أهلكناها) شروع في إندادهم بما جرى على الأمم الماضية بسبب اعراضهم عن اتباع دين الله تعالى واصرارهم على اتباع دين أوليائهم وكم خبرية للتكثير في موضع رفع على الابتداء كما في قولك زيد ضربته والخبر هو الجملة بعدها ومن قرية تمييز والضمير في أهلكناها راجع إلى معنى كم أي كثير من القرى أهلكناها أو في موضع نصب بأهلكناها كما في قوله تعالى إنا كل شيء خلقناه بقدر والمراد بأهلكها إرادتها إهلاكها كما في قوله تعالى إذا قمتم إلى الصلوة أي أردنا أهلكها (بجاءها) أي بجاء أهلها (بأسنا) أي عذابنا (بيانا) مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال أي بائتين كقوم لوط (أو هم قاتلون) عطف عليه أي أو قاتلين من القبيلة نصف النهار كقوم شعيب وإنما حذف الواو من الحال المعطوفة على أختم الاستعقالات لاجتماع العاطفين فان واو الحال حرف عطف قد استعبرت للوصول لا اكتفاء بالضمير كما في جاءني زيد هو فارس فانه غير فصيح وتخصيص المالتين بالعذاب لما أن نزول المكروه عند الغفلة والدعة أقطع وحكاية السامعين ازجر وأردع من الاعتذار بأسباب الأمن والراحة ووصف الكل بوصف البيات والقبيلة مع أن بعض المهلكين همزل منها لا سيما القبيلة للإيذان بكال غفلتهم وأمنهم (فما كان دعواهم) أي دعاؤهم واستغاثتهم بهم أو ما كانوا يدعون من دينهم وينتقلونه من مذهبهم (اذ جاءهم بأسنا) عذابنا وعائنا أو ما ربه (الأن قالوا) جميعاً (إنا كنا ظالمين) أي إلا اعترفهم بظلمهم فيما كانوا عليه وشهادتهم بظلمهم فإذ لم يبق لهم عذر ولا حيلة وطمأنينة في الخلاص وهيهات ولات حين منجاة (فلنسلن الذين أرسل اليهم) بيان لعذابهم الأخرى إثر بيان عذابهم الديوى خلا أنه قد تعرض لبيان مبادئ أحوال المكلفين جميعاً لكونه أدخل في التحويل والفاء لترتيب الأحوال الأخرى على الديونية ذكر حسب ترتيبها عليها وجوداً أي لنسلن الأمم قاطبة قائلين ماذا أجبت المرسلين (ولنسلن المرسلين) عما أجيبوا قال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيسألهم ماذا أجبتهم والمراد بالسؤال توبيخ الكفرة وتقريرهم والذي ينبغي بقوله تعالى ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام أو الأول في موقف الحساب والثاني في موقف العقاب (فلنقصن عليهم) أي على الرسل - ين يقولون لا علم لنا أنك أنت علام الغيوب وأعلمهم

وعلى المرسل اليهم جميعا ما كانوا عليه (يعلم) أى عالمين بنظواهرهم وبواطنهم أو بمعلوماتهم (وما كانوا بين) عنهم فى حال من الأحوال فيخفى علينا شئ من أعمالهم وأحوالهم والجله تذييل مقترن لما قبلها (والوزن) أى وزن الأعمال والتمييز بين راجحها وخفيها وجيدها ورديتها ورفعها على الابتداء وقوله تعالى (يومئذ) خبره وقوله تعالى (الحق) صفته أى والوزن الحق ثابت يوم اذ يكون السؤال والقص وقيل خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل ما ذلك الوزن فقيل الحق أى العدل السوى وقرئ القسط واختلف فى كيفية الوزن والجمهور على أن صحائف الأعمال هى التى توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلاق اظهر الله عدله وقطعه للمعذرة كما يسألهم عن أعمالهم فتعرف بها ألسنتهم وجوارحهم ويشهد عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد وكما ثبتت فى صحائفهم فيقرئونها فى موقف الحساب ويؤيده ما روى أن الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر له تسعة وتسعون سجلا مدى البصر فيخرج له بطاقة فيها كلنا الشهادة فتوضع السجلات فى كفة وباتفاق فى كفة فتطيش السجلات وتثقل البطاقة وقيل يوزن الأشخاص لما روى عنه عليه الصلاة والسلام انه ليلأتى العظيم السميع يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوى والحكم العادل وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك واختره كثير من المتأخرين بناء على أن استعمال لفظ الوزن فى هذا المعنى شائع فى اللغة والعرف بطريق الكناية قالوا ان الميزان انما يراد به التوصل الى معرفة مقادير الشئ ومقادير أعمال العباد لا يمكن اظهارها بذلك لانها أعراض قد غابت وعلى تقدير بقائها لا تقبل الوزن وقيل ان الأعمال الظاهرة فى هذه النشأة بصورة عرضية تبرز فى النشأة الآخرة بصورة جوهرية مناسبة لها فى الحسن والقبح حتى ان الذنوب والمعاصي تجسم هناك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وان جهنم محيطة بالكافرين وقوله تعالى الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام فى حق من يشرب من اناء الذهب والفضة انما يجرى جوف بطنه نار جهنم ولا بعد فى ذلك الا يرى أن العلم يظهر فى عالم المثال على صورة اللب كما لا يخفى على من له خبرة بأحوال الحضرات الخمس وقد روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ما انه يؤتى بالأعمال الصالحة على صور حسنة وبالأعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع فى الميزان ان قيل ان المكاف يوم القيامة اتمام مؤمن بأنه تعالى حكيم منزّه عن الجور فيكفيه حكمه تعالى بكيفيات الأعمال وكلماتها واتما مكره فلا يسلم حينئذ أن رجحان بعض الأعمال على بعض الخصوصيات راجعة الى ذوات تلك الأعمال بل يستند الى اظهر الله تعالى اياه على ذلك الوجه فما الفائدة فى الوزن أجيب بأنه يشكف الحال يومئذ وتظهر جميع الاشياء بمجالاتها على ما هى عليه وبأوصافها وأحوالها فى أنفسها من الحسن والقبح وغير ذلك وتخلع عن الصور المستعارة التى بها اظهرت فى الدنيا فلا يبقى لاحد من يشاهد هاشية فى أنها هى التى كانت فى الدنيا بعينها وان كل واحد منها قد ظهر فى هذه النشأة بصورة الحقيقية المستبعدة لصفاته ولا يخفى بآله خلاف ذلك والله تعالى أعلم (فمن ثقلت موازينه) تفصيل للاحكام المترتبة على الوزن والموازين اما جميع ميزان أو جمع موزون على أن المراد به ماله وزن وقد روهوا الحسنات فان رجحان أحدها مستلزم لرجحان الآخر أى فمن رجحت موازينه التى توزن بها حسناته أو أعماله التى لها قدر وزنة وعن الحسن البصرى وحق لميزان توضع فيه الحسنات أن يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات أن يخف (فأولئك) اشارة الى الموصول باعتبار انصافه بقل الميزان والجمعية باعتبار معناه كما أن جمع الموازين لذلك وأما ضمير موازينه فراجع اليه باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايدان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم فى الفضل والشرف (هم المفلحون) الفائزون بالنجاة والثواب وهم اما ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويقيدها اختصاصا بالمستند المستند اليه أو مبتدأ خبره المفلحون والجله خبر لا أولئك وتعريف المفلحون للدلالة على أنهم الناس الذين بلغوا أنهم مفلحون فى الآخرة أو اشارة الى ما يعرفه كل أحد من حقيقة المفلحين وخصائصهم (ومن خفت موازينه) أى موازين أعماله أو أعماله التى لا وزن لها ولا اعتداد بها وهى أعماله السيئة (فأولئك) اشارة اليهم باعتبار انصافهم بتلك الصفة القبيحة والجمعية ومعنى البعد لما مر آنفا فى نظيره وهو مبتدأ خبره (الذين خسروا أنفسهم) أى ضيعوا القطرة السليمة التى فطروا عليها وقد أيدت

بالات اليقظة وقوله تعالى (عما كانوا ياتسئلون) متعلق بخبر وما مصدرية وبالات متعلق بيطلمون على
تضمن معنى التكذيب قدم عليه لمراعاة الفواصل والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار
الظلم في الدنيا أى فأولئك الموصوفون بحققة الموازين الذين خسروا أنفسهم بسبب تكذيبهم المستقر بآياتنا
ظالمين (ولقد مكناكم في الأرض) لما أمر الله سبحانه أهل مكة بالتباعد ما أنزل إليهم ونهاهم عن اتباع غيره وبين
لهم وخامة عاقبته بالاهلاك في الدنيا والعذاب الخالد في الآخرة ذكرهم ما أفاض عليهم من فنون النعم
الموجبة لاشكر ترتعيا في الامتثال بالأمر والنهي اثر ترهيب أى جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا أو ملكا لكم
فيها واقدردناكم على التصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معايش) المعايش جمع معيشة وهى ما يعاش به
من الطعام والمشارب وغيرها أو ما يوصل به الى ذلك والوجه في قرأته اخلاص اليباء وعن ابن عامر أنه
همزة تشبيهه بمعايش ومدائن والجعل بمعنى الانشاء والابداع أى أنشأنا وأبدعنا لمصالحكم ومنافعكم
فيها أسباجا تعيشون بها وكل واحد من الطرفين متعلق به أو بمعدوف وقع حالا من مفعوله المنكر اذ لو أن
لكان مفعوله وتقديرهما على المفعول مع أن حقهما التأخير عنه لما مر غير مرة من الاعتناء بشأن
المقدم والتشويق الى المؤخر فإن النفس عند تأخير ما حقه التقديم لا سيما عند كون المقدم منبها عن منفعة
للسامع تبقى مترتبة لورود المؤخر فيمكن فيها عند الورود فضل تمكن وأما تقديم اللام على فى فلما أنه المنى عما ذكر
من المنفعة فالاعتناء بشأنه أتم والمسارة الى ذكره أهم هذا وقد قيل ان الجعل متعد الى مفعولين ثانيهما أحد
الطرفين على أنه مستقر تقدم على الاول والطرف الاخر متعلق بالجعل أو بالمعدوف الواقع حالا من
المفعول الاول كما مر وأنت خير بانه لا فائدة معتد بها في الاخبار بجعل المعايش حاصله لهم أو حاصله في الأرض
وقوله تعالى (قليلما تشكرون) أى تلك النعمة تذييل مسوق لبيان سوء حال المخاطبين وتحذيرهم وبقية
الكلام فيه عين ما مر في تفسير قوله تعالى قليلما تذكرون (واقدر خلقناكم ثم صورناكم) تذكرة لنعمة عظيمة
فائضة على آدم عليه السلام سارية الى ذريته موجبة لشكرهم كافة ونأخيره عن تذكرة ما وقع قبله من نعمة
التمكين في الأرض أما لانها فائضة على المخاطبين بالذات وهذه بالواسطة وأما للايدان بأن كلامها نعمة
مستقلة مستوجبة لاشكر على حيالها فإن رعاية الترتيب الوقوعى ربما تؤدى الى توهم عدال الكل نعمة
واحدة كما ذكر في قصة البقرة وتصدير الجملتين بالقسم وحرف التعقيب لاطهار كمال العناية بضمه ونحو ما واما
نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين مع أن المراد بهما خلق آدم عليه السلام وتصويره حقما توفية لمقام
الامتنان حقه وتأکید الوجوب الشكر عليهم بالمرى الى أن أهم حظا من خلقه عليه السلام وتصويره لما أنهما
ليسا من الخصائص المقصورة عليه عليه السلام كسجود الملائكة له عليه السلام بل من الامور السارية الى
ذريته جمعا اذ الكل مخلوق فى ضمن خلقه على غطه ومصنوع على شاكلته فكانهم الذى تعلق به خلقه وتصويره
أى خالقنا أى آدم طينا غير مصور ثم صورناه أبدع تصويرا وحسن تقويم سارا اليكم جميعا (ثم قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم) صريح فى أنه ورد بعد خلقه عليه الصلاة والسلام وتسويته ونفخ الروح فيه أمر منجز غير
الامر المعلق الوارد قبل ذلك بقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وهو المراد بما
حكى بقوله تعالى واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية فى سورة البقرة وسورة بنى اسرائيل وسورة الكهف
وسورة طه من غير تعرض لوقته وكلمة ثم ههنا تقتضى تراخيه عن التصوير من غير تعرض لبيان ما جرى بينهما
من الامور وقد بينا فى سورة البقرة أن ذلك ظهور بفضل آدم عليه السلام بعد المحاوراة المسبوقه بالاخبار
بأسخلافه عليه السلام حسب ما نطق به قوله عز وجل واذا قال ربك للملائكة انى جاءك فى الارض خليفة الى
قوله وما كنتم تكتمون فان ذلك أيضا من جملة ما يبط به الامر المعلق من التسوية ونفخ الروح وعدم ذكره عند
الحكاية لا يقتضى عدم ذكره عند وقوع المحكى كما أن عدم ذكر الامر المعلق عند حكاية الامر المتخير لا يستلزم
عدم مسبقه به فان حكاية كلام واحد على أساليب مختلفة يقتضيها المقام ليست بعزيزة فى الكلام العزيز
فلعله قد أتى الى الملائكة عليهم السلام أو لاجمع ما يتوقف عليه الامر المتخير اجمالا بأن قيل مثلا انى خالق
بشر امين طين وجاعل اياه خليفة فى الارض فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وتبين لكم فضله فقعوا له
ساجدين خلقه فسواء فنخ فيه من روحه فغالوا عند ذلك ما قالوا أو اتى اليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط

المذكورة بأن قيل انزعج الروح اني جاعل هذا خليفة في الارض فهناك ذكر وافي حقه عليه السلام ما ذكرنا
فأيده الله تعالى بتعليم الاسماء فشاهد وامنه عليه السلام ما شاهد واقعه ذلك ورد الامر المنجز اعتناء بشأن
المامورية وايضا بوقته وقد حكى بعض الامور المذكورة في بعض المواطن وبعضها في بعضها اكتفاء بما ذكر
في كل موطن مما ترك في موطن آخر والذي يرفع غشاوة الاشتباه من البصائر السليمة أن ما في سورة من من
قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة اآيات بدل من قوله اذ يختصمون فيما قبله من قوله ما كان لي من علم بالملا الا على
اذ يختصمون أي بكلامهم عند اختصاصهم ولا ريب في أن المراد بالملا الاعلى الملائكة وآدم عليهم السلام
وابليس حسباً طبق عليه جهور المفسرين وباختصاصهم ما جرى بينهم في شأن الخلافة من التقاول الذي من جلته
ما صدر عنه عليه السلام من الانبياء بالاسماء ومن قضية البدلية وقوع الاختصاص المذكور في نفسه باعيف
ما شرح فيه مفصلاً من الامر المعاق وما علق به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من مجود
الملائكة وعناد ابليس ولعنه واخراجهم من بين الملائكة وما جرى بعده من الافعال والاقوال واذ ليس
تمام الاختصاص بعد مجود الملائكة ومكابرة ابليس وطرده من بين الماعرف من أنه أحد المختصين كما أنه
ليس قبل الخلق ضرورة فاذا هو بعد نفخ الروح وقبل السجود بأحد الطريقين المذكورين والله تعالى أعلم
(فبعدوا) أي الملائكة عليهم السلام بعد الامر من غير تلغيم (الابليس) استثناء متصل لما أنه كان
جنياً مفرداً مغموراً بألوف من الملائكة متصفاً بصفاتهم فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثنى استثناء واحد منهم
اولاً من الملائكة جنساً والادون يقال لهم الجن كما ترى في سورة البقرة فقوله تعالى (لم يكن من الساجدين)
أي من سجداً كلام مستأنف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء فان عدم السجود قد
يكون للتأمل ثم يقع السجود وبه علم أنه لم يقع قط وقيل منقطع حينئذ يكون متصلاً بما بعده أي لكن ابليس لم يكن
من الساجدين (قال) استئناف مسوق للجواب عن سؤال نشأ من حكاية عدم سجوده كأنه قيل فاذا قال
الله تعالى حينئذ وبه يظهر وجه الالتفات الى الغيبة اذ لا وجه لتقدير السؤال على وجه الخطاطبة وفيه فائدة
أخرى هي الاشعار بعدم تعلق المحكي بالخطاطين كما في حكاية الخلق والتصوير (ما منعك أن لا تسجد) أي
أن تسجد كما وقع في سورة ص ولا مزيدة مؤكدة لمعنى الفعل الذي دخلت عليه كما في قوله تعالى لتألم أهل
الكتاب منبهة على أن الموضع عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مصروف الى خلافه فالعنى ما صرفك
الى أن لا تسجد (أذا أمرتك) قيل فيه دلالة على أن مطلق الامر للوجوب والفور وفي سورة الحجر يا ابليس
ما لك أن لا تكون مع الساجدين وفي سورة ص ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي واختلاف العبارات عند
الحكاية يدل على أن اللعين قد أدرج في معصية واحدة ثلاث معاص مخالفة الامر ومفارقة الجماعة والآباء
عن الانظام في سلك أولئك المقتربين والاستكبار مع تحقير آدم عليه السلام وقد وضح حينئذ على كل واحدة
منها لكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اكتفاء بما ذكر في موطن آخر واشعاراً بأن كل
واحدة منها كافية في التوبيخ واظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ رأساً في سورة البقرة وسورة
بن اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه (قال) استئناف مسبق مبق على سؤال نشأ من
حكاية التوبيخ كأنه قيل فاذا قال اللعين عند ذلك فقيل قال (أنا خير منه) متجانساً عن تطبيق جوابه على
السؤال بأن يقول منعني كذا مذهباً لنفسه بطريق الاستئناف شيئاً بين الاستلزام لمنعه من السجود على رجمه
ومشعر بأن من شأنه هذا لا يحسن أن يسجد لمن دونه فكيف يحسن أن يؤمر به كما ينبغي عنه ما في سورة الحجر من
قوله لم أكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون فهو أول من أسس بنيان التكبر واخترع القول
بالحسن والقبح العقليين وقوله تعالى (خلقني من نار وخلقته من طين) تعليل لما ادعاه من فضله عليه ولقد
أخطأ اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر وزل عنه ما من جهة الفاعل كما أنبأ عنه قوله تعالى
ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أي بغير واسطة على وجه الاعتناء به وما من جهة الصورة كما به عليه بقوله
تعالى ونفخت فيه من روحي وما من جهة الغاية وهو ملاك الامر ولذلك أمر الملائكة بسجودهم عليه السلام
حين ظهر لهم أنه أعلم منهم بما يدور عليه أمر الخلافة في الارض وأن له خواص ليست لغيره وفي الآية دليل
على الكون والفساد وأن الشياطين أجسام كائنة ولعل إضافة خلق البشر الى الطين والشياطين الى النار

باعتبار الجزء الغالب (قال) استئناف كما سلف والفاء في قوله تعالى (فأهبط منها) لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين من مخالفة الامر وتعليقه بالباطيل واصرارته على ذلك أي فأهبط من الجنة والاضمار قبل ذكرها لشهرة كونه من سكانها قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا في عدن لافي جنة الخلد وقبل من زمرة الملائكة المعززين فان الخروج من زمرة هم هبوط واي هبوط في سورة الحجر فخرج منها وأما ما قيل من أن المراد الهبوط من السماء فيرده أن وسوسته لا دم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد فلا بد أن يحصل على احد الوجوهين قطعاً وتكون وسوسته على الوجه الاول بطريق النداء من باب الجنة كما روى عن الحسن البصري وقوله تعالى (فما يكون لك) أي فما يصح ولا يستقيم لك ولا يليق بشانك (أن تكبر فيها) أي في الجنة أو في زمرة الملائكة تعليل للامر بالهبوط فان عدم صحة أن يتكبر فيها علة للامر المذكور فانها مكان المطيعين الخاشعين ولا دلالة فيه على جواز التكبر في غيرها وفيه تنبيه على أن التكبر لا يليق بأهل الجنة وأنه تعالى إنما طرده لتكبره لا لجهرد عصيانه وقوله تعالى (فأخرج) تأكيده للامر بالهبوط متفرع على علمه وقوله تعالى (انك من الصاغرين) تعليل للامر بالخروج مشعراً بأنه لتكبره أي من الاذلاء وأهل الهوان على الله تعالى وعلى أوليائه لتكبرك وعن عر رضي الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال اتعش نفسك الله ومن تكبر وعد اطوره وهسه الله الى الارض (قال) استئناف كما تممى على سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل فماذا قال اللعين بعد ما سمع هذا الطرد المؤكد فقيل قال (أنظري) أي أمهلني ولا تمنني (الي يوم يعنون) أي آدم وذريته للجزاء بعد فئاتهم وهو وقت النسخة الثانية وأراد اللعين بذلك أن يجد فسخة من اغواتهم ويأخذ منهم ثاره ويضوم من الموت لاستحالة بعد البعث (قال) استئناف كما سلف (انك من المنظرين) ورود الجواب بالجله الاسمية مع التعرض لشمول مأسأله لآخرين على وجه يشعر بأن السائل يسألهم في ذلك صريح في أنه اخبار بالانظار المقدر ولهم ازلا لانشاء لانظار خاص به اجابة لدعائه وأن استنظاره كان طلباً لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه من جلته لم لا تأخير العقوبة كما قيل أي انك من جله الذين أخرت آجالهم ازلا سيما تقتضيه الحكمة التكوينية الى وقت فناء غير ما استثناء الله تعالى من الخلائق وهو النسخة الاولى لا الى وقت البعث الذي هو المسؤل وقد ترك التوقيت للايجاز ثقة بما وقع في سورة الحجر وسورة ص كما ترك ذكر النداء والفاء في الاستنظار والانتظار تعويلاً على ما ذكره ما بقوله عز وجل رب فأنظريني الى يوم يعنون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وفي انتظاره ابتلاء للعباد وتعرض للثواب ان قلت لا ريب في أن الكلام المحكي له عند صدوره عن المتكلم حالة مخصوصة تقتضي وروده على وجه خاص من وجوه النظم بحيث لو أدخل بشئ من ذلك سقط الكلام عن رتبة البلاغة البتة فالكلام الواحد المحكي على وجوه شتى ان اقتضى الحال وروده على وجه معين من تلك الوجوه الواردة عند الحكاية فذلك الوجه هو المطابق لقتضى الحال والبالغ الى رتبة البلاغة دون ما عداه من الوجوه اذا تمهد هذا فنقول لا يخفى ان استنظار اللعين إنما صدر عنه مرة واحدة لا غير فقامه ان اقتضى اظهار الضراعة وترتيب الاستنظار على ما حاق به من اللعن والطرده على نهج استدعاء الجبري في مقابلة الكسر كما هو المتبادر من قوله رب فأنظريني كما حكي عنه في السورتين فالحكي ههنا يكون بعزل من المطابقة لقتضى الحال فضلاً عن العروج الى معارج الابهاز قلنا مقام استنظاره مقتض لما ذكر من اظهار الضراعة وترتيب الاستنظار على الحرمان المدلول عليه بالطرده والرجم وكذا مقام الانتظار مقتض لترتيب الاخبار بالانتظار على الاستنظار وقد طبق الكلام عليه في نيتك السورتين وفي كل واحد من مقامى الحكاية والمحكي جميعاً حظه وأما ههنا حيث اقتضى مقام الحكاية مجرد الاخبار بالاستنظار والانتظار سبقت الحكاية على نهج الابهاز والاختصار من غير تعرض لبيان كيفية كل واحد منهما عند المخاطبة والحوار ان قلت فاذن لا يكون ذلك نقلاً للكلام على ما هو عليه ولا مطابقتاً لقتضى المقام قلنا الذي يجب اعتباره في نقل الكلام إنما هو أصل معناه ونفس مدلوله الذي يقيد به وأما كيفية افادته له فليس مما يجب مراعاته عند النقل البتة بل قد تراعى وقد لا تراعى حسب اقتضاء المقام ولا يقدح في أصل الكلام تجريد معناه بل قد يراعى عند نقله كيفيات وخصوصيات لم يراعها المتكلم أصلاً ولا يخل ذلك بكون المنقول أصل المعنى ألا يرى أن جميع المقالات المنقولة في القرآن الكريم إنما تحكى بكيفيات واعتبارات لا يكاد يقدّر على مراعاتها من تكلم بها حقواً ولا لا يمكن

صدور الكلام المجز عن البشر فيما اذا كان المحكي كلاما واما عدم مطابقته لمقتضى الحال فنسوة الغفلة عما
 يجب توحيده مقتضاها من الاحوال فان ملاك الامر هو مقام الحكاية واما مقام وقوع المحكي فان كل مقتضاه
 موافق لمقتضى مقام الحكاية يوفي كل واحد من المقامين حقه كما في سورة الحجر وسورة ص فان مقام الحكاية
 فيهما لما كل مقتضاهما يفي الكلام وتفصيله على الكيفيات التي وقع عليها روى حق المقامين معا واما في هذه
 السورة الكريمة فحيث اقتضى مقام الحكاية الايجاز روى جانبه الا يرى ان الخطاب لمنكر اذا كان ممن
 لا يفهم الاصل المعنى وجب على المنكلم ان يبرز كلامه عن التأكيدي سايرا الخواص والمزايا التي يقتضياها
 المقام ويخطب بها شاسبه من الوجوه لكنه مع ذلك يجب ان يقصد معنى زائدا يفهمه سامع آخر بليغ هو
 تجريد عن الخواص رعاية لمقتضى حال الخطاب في الفهم وبذلك يرتقى كلامه عن رتبة أصوات الحيوانات
 كما حقق في مقامه فاذا وجب مراعاة مقام الحكاية مع افضائها الى تجريد الكلام عن الخواص والمزايا
 بالترتبة فاطنك بوجوب مراعاته مع تحلية الكلام بمزايا أخرى يرتقى بها الى رتبة الايجاز لاسيما اذا وفي حق مقام
 وقوع المحكي في السورتين الكريمتين وكان هذا الايجاز مبنيا عليه وثق به (قال) استئناف كلمته
 (فما أغويتني) الباء للقسم كما في قوله تعالى فبعزتك لأغوينهم فان اغواءه تعالى اياه أثر من آثار قدرته عز
 وجل وحكم من أحكام سلطانه تعالى في حال الاقسام بهما واحدا فعمل الاعمين أقسم بهما جميعا فحكي تارة قسمه
 بأحدهما وأخرى بالآخر والفاء لترتيب مضمون الجملة على الانتظار ومصدرية أى فأقسم يا غواثك اياي
 (لا قعدت لهم) أولسببية على أن الباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا بقوله لا قعدت لهم كما في الوجه الأول
 فان اللام تصد عن ذلك أى نسبب اغواثك اياي لاجلهم أقسم بعزتك لا قعدت لآدم وذريته ترصد ابهم كما
 يقعد القطاع للقطع على السابلة (صراطك المستقيم) الموصل الى الجنة وهو دين الاسلام قال تعود مجاز
 متفرع على الكناية واتصاه على الطرفية كما في قوله كما عدل الطريق الثعلب وقيل على نزاع الجار تقديره على
 صراطك كقولك ضرب زيد الظهر والبطن (ثم لا تئينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم)
 أى من الجهات الأربع التي يعتاد هجوم العدو منها مثل قصده اياهم للتسويل والاضلال من أى وجه يتيسر
 باتيان العدو من الجهات الأربع ولذلك لم يذكر الفوق والتحت وعن ابن عباس رضى الله عنهما من بين أيديهم
 من قبل الآخرة ومن خلفهم من جهة الدنيا وعن أيمنهم وعن شمائلهم من جهة حسناهم وسبائهم وقيل من
 بين أيديهم من حيث يعلمون ويقدر على التكرز منه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدر على
 وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم أن يعلموا ويكرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم ومن حيث
 لا يتيسر لهم ذلك وانما عدى الفعل الى الاقوين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الآخرين بحرف
 الجواز فان الاقوى منهما كالتصرف المتجاف عنهم المأذ على عرضهم وتطيره جلست عن عينه (ولا تجدأ كثرهم
 شاكرين) أى مطيعين وانما قاله ظنا لقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى منهم مبدءا للشرك متعتدا
 ومبدءا للخير واحد أو قيل جمعه من الملائكة عليهم السلام (قال) استئناف كما سلف مرارا (أخرج منها) أى
 من الجنة أو من السماء أو من بين الملائكة (مذهوما) أى مذبذوبا من ذأمة اذا ذتمه وقرئ مذوما
 كسول فى مسؤل أو ككول فى مكبل من ذأمة يذمه ذميا (مدحورا) مطرودا (لم تبعك منهم) اللام
 موطئة للقسم وجوابه (لا ملائكة جهنم منكم اجمعين) وهو سادس جواب الشرط وقرئ لمن تبعك بكسر
 اللام على أنه خبر لا ملائكة على معنى لمن تبعك هذا الوعد أو على لا يخرج ولا ملائكة جواب قسم محذوف ومعنى
 منكم منكم منهم على تغليب الخطاب (ويا آدم) أى وقلنا كما وقع في سورة البقرة وتصدير الكلام بالنداء
 للتنبية على الاهتمام بملئ الأمور به وتخصيص الخطاب به عليه السلام للايدان بأصاليته فى تلقى الوحي وتعالى
 الأمور به (اسكن أنت وزوجك الجنة) هو من السكن الذى هو عبارة عن اللبث والاستقرار والاقامة
 لامن السكون الذى هو ضد الحركة وأنت ضمير كذب المستكبر ليصح العطف عليه والفاء فى قوله تعالى
 (فكلوا من حيث شئتم) لبيان المراد مما فى سورة البقرة من قوله تعالى وكلامها رغدا حيث شئتم من أن
 ذلك كان جمعا مع الترتيب وقوله تعالى من حيث شئتم فى معنى منها حيث شئتم ولم يذكر ههنا رغدا فبما ذكر

هناك وتوجيه الخطاب إليهما لتعميم التشريف والايذان بتساويهما في مباشرة المأمورية فان حواء اسوة له عليه
السلام في حق الاكل بخلاف السكن فانها تابعة له فيه ولتعليق النهي بها صريحا في قوله تعالى (ولا تقربا
هذه الشجرة) وقرئ هذى وهو الاصل لتصغيره على ذباو الهاء بدل من الياء (فتكونا من الظالمين) فاحيزم
على العطف أو نصب على الجواب (فوسوس لهما الشيطان) أي فعل الوسوسة لاجلها أو تركها لهما
كلاما مخفيا منه ادراكا متكررا وهي في الاصل الصوت الخفي كالمهملة والخشنة ومنه وسوس الخفي
وقد سبق بيلن كيفية وسوسته في سورة البقرة (ليبدى لهما) أي ليظهر لهما واللام للعاقبة أو للقرض
على أنه أراد بوسوسته أن يوسوهما بالكشف عورتيهما ولذلك عبر عنهما بالسواة وفيه دليل على أنه كشف
العورة في الخلوة وعند الزوج من غير طاعة قبض مستهجن في الطباع (ما ووري عنهما من سواتهما) ما عطي
وستر عنهما من عوراتهما وكلاما لا يريانهما من أنفسهما ولا أحد منهما من الآخر وإنما لم تقلب الواو للمضمومة
همزة في المشهورة كما قلبت في أوصل تصغيرا أصل لأن الثانية ممتدة وقرئ سواتهما بحذف الهمزة والفتحة حركتها
على الواو وقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها (وقال) عطف على وسوس بطريق البيان (ما نجا كجار بكاعن
هذه الشجرة) أي عن أكلها (الأن تكونا ملكين) أي الاكراهة أن تكونا ملكين (أو تكونا من الخالدين)
الذين لا يموتون أو يخلدون في الجنة وليس فيه دلالة على افضلية الملائكة عليهم السلام لما أن من المعلوم
أن الحفائق لا تقلب وإنما كانت رغبة ما في أن يحصل لهما أو صاف الملائكة من الكالات القطرية
والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك بعزل من الدلالة على الافضية بالمعنى المتنازع فيه (وقامهما إلى
سكنات الناصحين) أي أقسم لهما وصيغة المغالبة للمبالغة وقبل أقسمه بالقبول وقبل قاله أنه أقسم بالله
انك لمن الناصحين وأقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة (فدلاهما) فزلهما على الأكل من الشجرة وفيه تنبيه على
أنه أهبطهما بذلك من درجة عالية فان التدلية والادلاء إرسال الشيء من الأعلى إلى الأسفل (بغور) بما
غرهما به من القسم فانهم ما ظنوا أن أحد الا يقسم بالله كاذبا أو متبسين بغور (فلما ذاقا الشجرة بدت لهما
سواتهما) أي فلما وجد اطعمهما آخذين في الأكل منها أخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فنهت عنهما
باسمها وظهرت لهما عوراتهما واختلف في أن الشجرة كانت السنبلة أو الكرم أو غيرها وما وأن اللباس
كان نورا أو ظفرا (وطفقا يخصفان) طفق من أفعال الشروع والتلبس كما أخذ وجعل وأنشأ وعلق
وهية وانبرى أي أخذ ابرقعا ويلقان ورقة فوق ورقة (عليهما من ورق الجنة) قيل كان ذلك ورق
التين وقرئ يخصفان أي يخصفان أنفسهما ويخصفان من التخصيف ويخصفان أصله يخصفان
(وناداهما ربهما) مالك أمرهما بطريق العتاب والتوبيخ (ألم أنهما) وهو تفسير للبنداء فلا محل له
من الاعراب أو معمول لقول محذوف أي وقال أو فلان ألم أنهما (عن تلك الشجرة) ما في اسم الإشارة
من معنى البعد لما أنه إشارة إلى الشجرة التي نهى عن قربانها (وأقل لك) عطف على أنهما أي ألم أقل لك
(إن الشيطان لك عدو مبين) وهذا عتاب وتوبيخ على الاعتراض بقوله العدو كما أن الأول عتاب على
مخالفة النهي قيل فيه دليل على أن مطلق النهي للتحريم ولكما متعلق بعد ولما فيه من معنى الفعل أو محذوف
هو حال من عدو ولم يحك هذا القول ههنا وقد حكى في سورة طه بقوله تعالى إن هذا عدو لك ولزوجك الآية
دوى أنه تعالى قال لا دم ألم يكن فيما مضت من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزت ولكن
ما ظننت أن أحد من خلقت يحلف بك كاذبا قال فيعزى لاهبطك إلى الأرض ثم لا تنال العيش الا كذا فاهبط
وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرق فحرق وسقى وحصد وداس وذرى وعجن وخبز (فلا يربنا ظننا أنفسنا
أي ضررناها بالمعصية والتمريض للخارج من الجنة (وان لم تغف لنا) ذلك (وترحمنا لتكونن من
الخاسرين) وهو دليل على أن الصغائر يعاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع
اجتناب الكبائر ولذلك جلا حواها ما ذلك على عادات المقرين في استعظام الصغير من السيئات واستصغار
العظيم من الحسنات (قال) استئناف كما مر مرار (اهبطوا) خطاب لا دم وحوا وذريتهما
أولهما ولا يلبس كثر الامر له تبعالهما حاله لم أنهم قرنا أبدا أو أخبر عما قال لهم مفرقا كما في قوله تعالى
يا أيها الرسل كلوا من الطيبات ولم يذكرهما قبول نوبتهما ثقة بما ذكر في سائر المواضع (بعضكم لبعض)

عدو) بجملة حالبة من فاعل اهبطوا أي متفادين (ولكم في الارض مستقر) أي استقرار وموضع
 استقرار (ومشاع) أي قسح وانتفاع (الى حين) هو حين انقضاء آجالكم (قال) أعيذ الاستئناف
 اما للايذان بعدم اتصال ما بعده بما قبله فكما في قوله تعالى قال فما خطبكم أيها المرسلون اثر قوله تعالى
 قال ومن يقتط من رحمة ربه الا الضالون وقوله تعالى قال أرايتك هذا الذي كرمت علي بعد قوله تعالى قال
 أأصعد لمن خلقت طينا واما لانها مارا لا عتاء بعضهم ما بعده من قوله تعالى (فيها نصيبون وفيها عتقون ومنها
 تخرجون) أي الجزاء كقوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى (يا بني آدم)
 خطاب للناس كافة ويرادهم بهذا العنوان مما لا يخفى سريه (قد أنزلنا عليكم لباسا) أي خلقنا لكم
 بدعيرات سمائية وأسباب نازلة منها ونظيره وأنزل لكم من الأنعام الخ وقوله تعالى وأنزلنا الحديد
 (يواري سواكم) التي قصد ايليس ابداءها من أبوكم حتى اضطر الى خصف الاوراق وأنتم مستغنون
 عن ذلك وروى أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عرايا ويقولون لا تطوف بعبنا الله تعالى فيها فترأت
 واهل ذكر قصة آدم عليه السلام حينئذ للايذان بأن انكشاف العورة أول سوء أصاب الانسان من قبل
 الشيطان وأنه أغواهم في ذلك كما أغوى أبويهم (وربنا) ولباسا تصلبون به والربش الجمال وقيل ما لا
 ومنه تربش الرجل أي قول وقرى رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب (ولباس الثقوي) أي خشبة الله
 تعالى وقيل الايمان وقيل السميت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالأيديدا من خبر جملة (ذلك خير)
 أو خير وذلك صفته كأنه قيل ولباس الثقوي المشار اليه خير وقرى ولباس الثقوي بالنصب عطف على
 لباسا (ذلك) أي انزال اللباس (من آيات الله) دالة على عظيم فضله وعميم رحمته (لعلهم يذكرون)
 فيعرفون نعمته أو يتعظون فيشورعون عن القبائح (يا بني آدم) تكرر النداء للايذان بكمال الاعتناء بعضهم
 ما صدريه ويرادهم بهذا العنوان مما لا يخفى سببه (لا يفتنكم الشيطان) أي لا يوقعكم في الفتنة
 والجنة بأن يمنعكم من دخول الجنة (كما أخرج أبوكم من الجنة) نعم لمصدر محذوف أي لا يفتنكم
 فتنة مثل أخرج أبوكم وقد جوز أن يكون التقدير لا يخرجكم بفتنة أخرى كما مثل أخرج أبوكم
 والنهي وان كان متوجها الى الشيطان لكنه في الحقيقة متوجه الى المخاطبين كما في قولك لا أرينك ههنا
 وقد مر تحقيقه مرارا (ينزع عنها لباسها ويربها سواها) حال من أبوكم أو من فاعل أخرج
 واستناد النزاع اليه للتسبيب وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى (انه يراكم هو وقبيله) أي
 جنوده وذريته استئناف له عايل النهي وتأكيده التحذير منه (من حيث لا ترونهم) من لا ينداء غاية الرؤية
 وحيث ظرف لمكان انتفاء الرؤية ولا ترونهم في محل الجزاء إضافة الطرف اليه ورؤيتهم لنا من حيث لا نراهم
 لا تقتضي امتناع رؤيتنا لهم مطلقا واستحالة قتلهم لنا (انا جعلنا الشياطين) جعل قبيله من جملة جمع
 (أولياء الذين لا يؤمنون) أي جعلناهم عبا أو جندنا بينهم من المناسبة أو بارسالهم عليهم وتمكينهم من اغوائهم
 وجعلهم على ما سؤلوا لهم أولياء أي قرناء مسطين عليهم وبالجملة تعليل آخر للنهي وتأكيده التحذير (واذا
 فعلوا فاحش) جملة مبتدأة لا محل لها من الاعراب وقد جوز عطفها على الصلة والفاحشة الفعل المتناهية
 في القبح والناء لانها مجرأة على الموصوف المؤنث أو للنقل من الوصفية الى الاسمية والمراد بها عبادة
 الأصنام وكشف العورة في الطواف ونحوهما (قالوا) جوابا للشاهين عنها (وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا
 بها) محضين بأمر من تقليد الآباء والافتراء على الله سبحانه ولعل تقديم المقدم للايذان منهم بأن آباءهم انما
 كانوا يضلون بها بأمر الله تعالى بهاعلى أن ضلوا أمرنا بهم ولا آباءهم حينئذ يظهر وجه الاعراض عن الاول
 في رد مقالتهم بقوله تعالى (قل ان الله لا يأمر بالفسخاء) فان عادته تعالى جارية على الامر بحسن
 الاعمال والحث على مراضى الخصال ولا دلالة فيه على أن قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه عاجلا والعقاب
 آجلا على فان المراد بالفاحشة ما يفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا
 سؤلين مترتين كأنه قيل لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا ففعلنا آباءكم فقبلا الله أمرنا بها
 وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل بخلافه لا مطلقا (أتقولون على الله ما لا تعلمون) من تمام القول
 المأمورية والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وتوجيه الانكار والتوبيخ الى قولهم عليه تعالى ما لا تعلمون

صدوره عنه تعالى مع أن بعضهم يعلمون عدم صدوره عنه تعالى بمبالغة في انكار تلك الصورة فإن اسناد ما لم
يعلم صدوره عنه تعالى اليه تعالى اذا كان منكرا فاسناد ما علم عدم صدوره عنه اليه عز وجل أشد قبها وأحق
بالانكار (قل أمر ربي بالقسط) بيان للمأمور به اثر في ما أسند أمره اليه تعالى من الامور انتهى عنها
والقسط العدل وهو الوسط من كل شئ المجاني عن طرفي الافراط والتفريط (وأقيموا وجوهكم) وتوجهوا الى
عبادته مستقيمين غير عاذلين الى غيرها أو أقيموا وجوهكم نحو القبلة (عند كل مسجد) في كل وقت وجود
أو مكان سجود وهو الصلاة أو في أي مسجد حضرتم الصلاة عنده ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم
(وادعوه) واعبدوه (مخلصين له الدين) أي الطاعة فإن مصيركم اليه بالآخرة (كأبدكم) أي أنشأكم
ابتداء (تعودون) اليه باعاده فيجازيكم على أعمالكم وانما شبهه الاعادة بالابتداء تقرير الامكانها
والقدرة عليها وقيل كأبدكم من التراب تعودون اليه وقيل حفاة عراة غرلا تعودون اليه وقيل كما
بدأكم مؤمنا وكافرا بعبادكم (فريقاهدي) بأن وفقهم للإيمان (وفريقا حق عليهم الضلالة) بمقتضى
القضاء السابق التابع للمشيئة المبنية على الحكم البالغة واتصاه بفعل مضمر يفهم ما بعده أي وخذل
فريقا (انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله) تعليل لخذلانه أو تحقيق لضلالتهم (ويحسبون
أنهم مهتدون) فيه دلالة على أن الكافر الخاطئ والمعاند سواء في استحقاق الذم والعارق أن يحمله على
المقصر في النظار (يا بني آدم خذوا زينتكم) أي ثيابكم لمواراة عورتكم (عند كل مسجد) أي طواف
أو صلاة ومن السنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئة للصلاة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلاة (وكأوا
واشربوا) مما طاب لكم روى أن بني عامر كانوا في أيام جهنم لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما
يعظمون بذلك جهنم فهم المسلمون بمنزلة قنات (ولا تسرفوا) بتحريم الحلال أو بالتعدي الى الحرام أو
بالافراط في الطعام والشرع عليه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كل ما نمت والنس ما نمت ما أخطأتك
خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد جع الله الطب في نصف آية فقال كلوا واشربوا
ولا تسرفوا (انه لا يحب المسرفين) أي لا يرضى فعلهم (قل من حرم زينة الله) من الثياب وما يتجمل
به (التي أخرج لعباده) من الثياب كالأقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالذروع
(والطيبات من الرزق) أي المستلذات من المأكول والمشرب وفيه دليل على أن الأصل في المطاعم والملابس
وأشياء التجميل الاباحية لان الاستفهام في من انكارى (قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا)
بالاصالة والكفارة وان شاركوهم فيها فالتبع (خالصة يوم القيامة) لا يشاركهم فيها غيرهم واتصاه على
الحالية وقرئ بالرفع على أنه خبر بعد خبر (كذلك فصل الآيات لقوم يعلمون) أي مثل هذا التفصيل تفصيل
سائر الاحكام لقوم يعلمون ما في تضاعيفها من المعاني الرائقة (قل انما حرم ربي الفواحش) أي
ما تنفاحش قبحه من الذنوب وقيل ما يتعلق منها بالفروج (ما ظهر منها وما بطن) بدل من الفواحش أي
جهرها وسرها (والانثم) أي ما يوجب الاتم وهو تعميم بعد تخصيص وقيل هو شرب الخمر (والبغى) أي
الظلم أو الكبر أو فرد بالذكر لمبالغة في الزجر عنه (بغير الحق) متعلق بالبغى مؤكده معنى (وأن تشركوا
بأفقه ما لم ينزل به سلطانا) تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لا يدل عليه برهان (وأن تقولوا على الله
ما لا تعلمون) بالاحسان في صفاته والافتراء عليه كقولهم والله أمرنا بها وتوجيه التحريم الى قولهم عليه تعالى
ما لا يعلمون وقوعه لا ما يعلمون عدم وقوعه قد مر سره (ولكل أمة من الامم المهلكة) (أجل) حتم معين
من الزمان مضروب لمهلكهم (فاذا جاء اجلهم) ان جعل الضمير للام المدلول عليها بكل أمة فافهم ان الاجل
مضاف اليه لا فائدة المعنى المقصود الذي هو بلوغ كل أمة اجلها الخاص بها ومجيئها اياها بواسطة اكساب
الاجل بالاضافة عموما فيقيد معنى الجمعية كأنه قيل اذا جاءهم آجالهم بأن يحيى كل واحد من تلك الامم
اجلها الخاص بها وان جعل لكل أمة خاصة كما هو الظاهر فالظاهر في موقع الاضمار لزيادة التقرير
والاضافة الى الضمير لا فائدة كمال التمييز أي اذا جاءها آجلها الخاص بها (لا يستأخرون) عن ذلك
الاجل (ساعة) أي شيئا قليلا من الزمان فانهم آمنوا في غاية القلة منه أي لا يتأخرون أصلا وصيغة
الاستفهام للاستعجال للاشعار بجهنم وحرمانهم عن ذلك مع طلبهم له (ولا يستقدمون) أي ولا يتقدمون عليه

وهو عطف على يستأخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدّم مع إمكانه في نفسه كالتأخير بل للمبالغة في انتفاء
التأخير بطلانه في سلك المستحيل عقلا ~~ص~~ كما في قوله سبحانه وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى
إذا حضر الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يؤتون وهم كفار فان من مات كافرا مع ظهور أن لا توبه له
وأما قد نظم في عدم القبول في سلك من سوفها الى حضور الموت ايذا بانبتساوي وجود التوبة حينئذ وعدمها
بالمرة وقبل المراد بالحيء الذي بحيث يمكن التقدم في الجملة كجبي اليوم الذي ضرب اهلاكم ساعة فيه وليس
بذلك وتقديم بيان انتفاء الاستيخار لما أن المقصود بالذات بيان عدم خلاصهم من العذاب وأملما في قوله تعالى
ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون من سبق السبق في الذكرك فلما أن المراد ههنا بيان سر تأخير
اهلاكم مع استحقاقهم له حسبما ينبي عنه قوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الاصل فسوف يعلمون
قالاهم هناك بيان انتفاء السبق (يا بني آدم) تلويح للخطاب وتوجيه له الى كلفة الناس اهتماما بشأن ما في
حيزه (أما يا بنيكم) هي ان الشرطية ضمت اليها مالتا كيد معني الشرط ولذلك لم تفعّلها النون الثقيلة
أو الخفيفة وفيه تنبيه على أن ارسال الرسل أمر جائز لا واجب عقلا (رجل متكم) الجار متعلق بمحذوف
هو صفة لرسول أي كانوا من جنسكم وقوله (يتصون عليكم آياتي) صفة أخرى لرسول أي يبينون لكم
أحكامي وشراي وقوله تعالى (فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) جملة شرطية وقعت جوابا
للشرط أي فمن اتقى منكم التكذيب وأصلح عمله فلا خوف الخ وكذا قوله تعالى (والذين كذبوا بآياتنا
واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) أي والذين كذبوا بآياتنا واتوا بالافتراء في الاول
للايدان بأن مدار الافلاح ليس مجرد عدم التكذيب بل هو الانتفاء والاجتناب عنه وادخال القاء في الجزاء
الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمساخطة في الوعيد (فمن أظلم من اقترى على الله كذبا أو كذب بآياته)
أي تقول عليه تعالى ما لم يقله أو كذب ما قاله أي هو أظلم من كل ظالم وقد مر تحقيقه مرارا (أولئك)
اشارة الى الموصول والجمع باعتبار معناه كما أن افراد الفعلين باعتبار افعله وما فيه من معنى البعد للايدان
بتماذيه في سوء الحال أي أولئك الموصوفون بما ذكر من الافتراء والتكذيب (يتالاهم نصيبهم من الكتاب)
أي مما كتب لهم من الارزاق والاعمار وقيل الكتاب اللوح أي ما أنبت لهم فيه وأياما كلن في البداية
متعلقة بمحذوف وقع حالا من نصيبهم أي يتالاهم نصيبهم كتابا من الكتاب وقيل نصيبهم العذاب وسواد الوجه
وزرقة العيون وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كتب ان يقترى على الله سواد الوجه قال تعالى ويوم
القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقوله تعالى (حتى اذا جاءتهم رسلنا) أي ملك الموت
وأخوانه (يتوفونهم) أي حال كونهم متوفين لا رواحهم يؤيد الاول فان حتى وان كانت هي التي يتبدأ بها
الكلام لكنها غاية لما قبلها فلا بد أن يكون نصيبهم مما يتتبعون بها الى حين وفاتهم أي يتالاهم نصيبهم من
الكتاب الى أن ياتيه ملائكة الموت فاذا جاءتهم (قالوا) لهم (أينما كنتم تدعون من دون الله) أي أين
الالهة التي كنتم تعبدونها في الدنيا وما وقعت موصولة بأين في خط المصحف وحققها الفصل لانها موصولة
(قالوا) استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية سؤال الرسل كآية قبل فلذا قالوا عند ذلك فقيل
قالوا (ضلوا عنا) أي غابوا عنا أي لا ندري مكانهم (وشهدوا على أنفسهم) عطف على قالوا أي اعترفوا
على أنفسهم (أنهم كانوا) أي في الدنيا (كافرين) عابدين لما لا يستحق العبادة أصلا حيث شاهدوا حاله
وضلاله وله أنه أريد بوقت مجيئ الرسل وحال التوفي الزمان المتقدم ابتداء الجبي والتوفي الى اتهامه يوم
الجزاء بناء على تحقق الجبي والتوفي في كل ذلك الزمان بقاء وان كان حدوتهما في أوله فقط أو قصديان غاية
سرعة وقوع البعث والجزاء كأنهما حاصلان عند ابتداء التوفي كما ينبي عنه قوله عليه الصلاة والسلام
من مات فقد قامت قيامته والاف هذا السؤال والجواب وما ترتب عليهما من الاصر يدخول النار وما جرى بين
أهلها من التلاعن والتقاول انما يكون بعد البعث لا محالة (قال) أي الله عز وجل يوم القيامة بالذات
أو بواسطة الملك (ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم) أي كافرين من جملة أمم معاصيهم لهم (من الجنة
والانس) يعني كفارا الام الماضية من التوعدين (في النار) متعلق بقوله ادخلوا (فلما دخلت أمة)

من الامم السابقة واللاحقة فيها (لعلنا نستحيها) التي ضلت بالافتداهم بها (حقا اذا اذاركوافهم باجمعها)
أي تداركوها وتلاحقوا في النار (فأتأخرهم) دخولاً أو منزلة وهم الاتباع (لا ولاهم) أي لا جملهم
اذ الخطاب مع الله تعالى لاسعهم (ربنا هؤلاء أضلونا) سنو النسا الضلال فاقتدينا بهم (فأتهم عذاباً مضاعفاً)
أي مضاعفاً (من النار) لانهم ضلوا وأضلوا (قال لكل ضعف) أما القادة فلما ذكركم من الضلال
والاضلال وأما الاتباع فلنكفروهم وتقليدهم (ولكن لا تعاون) أي مالكم ومالككم فريق من العذاب
وقرئ بالياء (وقالت أولاهم) أي مخاطبين (لا تأخرهم) حين معوا جواب الله تعالى لهم (فما كان لكم)
عليان من فضل) أي قد تدب أن لا فضل لكم علينا وانما اياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب
(فدوقوا العذاب) أي العذاب المعهود والمضاعف (بما كنتم تكسبون) من قول القادة (ان الذين)
كذبوا بآياتنا) مع وضوحها (واستكبروا عنها) أي عن الايمان بها والعمل بمقتضاها (لا تفتح لهم)
أبواب السماء) أي لا تقبل ادعيتهم ولا أعمالهم ولا تخرج اليها أرواحهم كما هو شأن أدعية المؤمنين
وأعمالهم وأرواحهم والسماء في تفتح لتأنيث الابواب والتشديد لكثرة قرئ بالتخفيف وبالتخفيف والياء
وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب على أن الفعل للآيات وبالياء على أنه لله تعالى (ولا يدخلون الجنة)
حتى يبلج الجبل في سم الخياط) أي حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم فيما هو علم في ضيق المسلك وهو ثقب
الابرة وفي كون الجبل مما ليس من شأنه الولوج في سم الابرة مباينة في الاستبعاد وقرئ الجبل كالقمل والجبل
كالنغر والجبل كالنقل والجبل كالنصب والجبل كالجل وهي الجبل الغليظ من القنب وقيل جبل السفينة وهم
بالضم والكسر وقرئ في سم الخيط وهو الخياط أي ما يخاط به كالحزام والحزم (وكذلك) أي ومثل ذلك
الجزء الفطيع (تجزى المجرمين) أي جنس المجرمين وهم داخلون في زميرهم دخولاً أقلياً (لهم من جهنم)
مهاد) أي فراش من تحتهم والنووين للتفخيم ومن تجريدية (ومن فوقهم غواش) أي أغشية والنووين
للبدل عن الاعلال عند سبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف كما في قوله تعالى وله الجوار
المنشآت (وكذلك) ومثل ذلك الجزء الشديد (تجزى الطامنين) عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالطامنين
أخرى اشعاراً بأنهم يتكذّبونهم الآيات انصفوا بكل واحد من ذلك الوصفين القبيحين وذكر الجرم مع الحرمان
من دخول الجنة والظلم مع التعذيب بالنار والتنبية على أنه أعظم الجرائم والجرائر (والذين آمنوا) أي
بآياتنا وبكل ما يجب أن يؤمن به فيدخل في الآيات دخولاً أقلياً وقوله تعالى (وعملوا الصالحات) أي
الاعمال الصالحة التي شرعت بالآيات وهذا اجتهاد الاستكبار عنها (الانكاف نفساً الاجمعها) اعتراض
وسط بين المبتدأ الذي هو الموصول والتبديل الذي هو جملة (اولئك اصحاب الجنة) للترغيب في اكتساب
ما يؤدى الى النعيم المقيم ببيان سهولة مثاله وتيسر تحصيله وقرئ لانكاف نفس واسم الاشارة مبتدأ وأصحاب
الجنة خبره والجملة خبر للمبتدأ الاقل أو اسم الاشارة قبل من المبتدأ الاقل الذي هو الموصول والخبر أصحاب
الجنة وما فيه من معنى البعد لا ليدان بعدم منزلتهم في الفضل والشرف (هم فيها خالدون) حال من أصحاب الجنة
وقد جوز كونه حالاً من الجنة لاشتماله على خبرها والعامل معنى الاضافة أو اللام المقترنة أو خبر ثان لا وائت على
رأى من جوزها وفيها متعلق بخالدون (ونزعنا ما في صدورهم من غل) أي نخرج من قلوبهم أسباب الغل
أو نظهرها عنه حتى لا يكون بينهم الا التواد وصيغة الماضي للآيدان بتحقيقه وتقريبه وعن علي رضي الله تعالى
عنه انه لا رجوع أن يكون أتوا عمشان وطلحة والزبير منهم (تجزي من تحتهم الانهار) زيادة في لذتهم وسرورهم
والجملة حال من المضمر في صدورهم والعامل أتم معنى الاضافة وأما العامل في المضاف أو حاله من فاعل
نزعنا والعامل نزعنا وقيل هي مستأنفة للاخبار عن صفة أحوالهم (وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا)
أي لما جزاؤه هذا (وما كنا لنهتدي) أي لهذا المطلب الاعلى أو المطلب من المطالب التي هذا من جملتها (لولا)
أن هدانا الله) ووقفنا له واللام لتأكيد النفي وجواب لولا محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه ومفعول نهتدي
وهذا الثاني محذوف الظهور المراد أو لا وادة التعميم كالشبه اليه والجملة مستأنفة أو حالية وقرئ ما كنا
نهتدي بالخبر واو على أنها مبنية ومفسرة للاولى (أقد جاء تنديل ربنا) جوابه قسم مقدّر قالوه نجما

واقتضاها بالوفاة واجتماعها بما فيها منهم الرسل عليهم السلام والباء في قوله تعالى (بالحق) اما التعدية
فهي متعلقة بجاءات اول الملازمة فهي متعلقة بمقدور وقع حال من الرسل أى واقفه لقد جاءوا بالحق أو لقد جاءوا
ملتبسين بالحق (ونودوا) أى نادتهم الملازمة عليهم السلام (أن تلكم الجنة) أن مقسرة لما في النداء
من معنى القول أو مخففة من أن وضمر الشأن مخذوف ومعنى السعد في اسم الإشارة أما لانهم نودوا عند
رؤيتهم أياها من مكان بعيد وأما رفع منزلتها وبعدها رتبة ما وأما لا لشعار بأن تلك الجنة التي وعدوها في الدنيا
(أورثوها بما كنتم تعملون) في الدنيا من الاعمال الصالحة أى أعطيتوها بسبب أعمالكم أو عقابا
أعمالكم والجنة حال من الجنة والعامل معنى الإشارة على أن تلكم الجنة مبتدأ وخير أو الجنة صفة والخبر
أورثوها (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) تبيحا بحالهم وشماة بأصحاب النار وتحسيرا لهم
لا لجزء الاخبار بحالهم والاستخبار عن حال مخاطبيهم (أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا) حيث قلنا هذا
المنزل الجليل (فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا) حذف المفعول من الفعل الثاني اسقاطا لهم عن رتبة
التشريف بالخطاب عند الوعد وقيل لأن ما ساءهم من الموعد لم يكن بأمره مخصوصا بهم وعدا كالبعث
والحساب وتعميم أهل الجنة فانهم قد وجدوا جميع ذلك حقا وإن لم يكن وعدمه مخصوصا بهم (قالوا نعم) أى
وجدناه حقا وقرئ بكسر العين وهي لغة فيه (فأذن مؤذن) قيل هو صاحب الصور (بينهم) أى بين
الفرقة (أن لعنة الله على الظالمين) بأن المخففة أو المنسرة وقرئ بأن المشتدة ونصب لعنة وقرئ أن بكسر
الهمزة على إرادة القول أو إجراء أذن مجرى قال (الذين يصدون عن سبيل الله) حصة مقررة للظالمين أو رفع
على الذم أو نصب عليه (ويغوتم ساويا) أى يغنون لها سواها بأن يصفوها بالزيف والميل عن الحق وهو أبعد
شيئ منها والعوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم يكن مستصا بالفتح ما كان في المنصب كالزعم والخاط (وهم
بالأسنة كافرون) غير متفرقين (وبينهما حجاب) أى بين الفريقين كقوله تعالى فضرب بينهم بسورا وبين الجنة
والنار لينع وصول أثر أحدهما إلى الأخرى (وعلى الأعراف) أى على أعراف الحجاب وأعلى عليه وهو السور
المضروب بينهم جمع عرف مستعار من عرف القرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه بظهوره عرف من
غيره (رجال) طائفة من الموحدين قصر وافي العمل فيجلسون بين الجنة والنار حتى يقضى الله تعالى فيهم
ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالأنبياء والشهداء والأخيار والعلماء من المؤمنين أو ملائكة يرون في صور
الرجال (يعرفون كلا) من أهل الجنة والنار (بسيماهم) بعلامتهم التي أعلمهم الله تعالى بها كبياض الوجه
وسواده فعلى من سام الله إذا أرسلها في المرعى معلمة أو من رسم بالقلب كالخام من الوجه وانما يعرفون ذلك
بالإلهام أو بتعليم الملائكة (ونادوا) أى رجال الأعراف (أصحاب الجنة) حين رأوهم (أن سلام عليكم)
بطريق الدعاء والتحية أو بطريق الأخبار بنجاتهم من المكارة (لم يدخلوها) حال من فاعل نادوا أو من مفعوله
وقوله تعالى (وهم يطعمون) حال من فاعل يدخلوها أى نادوهم وهم لم يدخلوها حال كونهم طامعين في دخولها
متفرقين له أى لم يدخلوها وهم في وقت عدم الدخول طامعون (وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار)
أى إلى جهنم وفي عدم التعرض لتعلق أنظارهم بأصحاب الجنة والتعبير عن تعاقب أبصارهم بأصحاب النار
بالصرف اشعار بأن التعلق الاول بطريق الرغبة والميل والثاني بخلافه (قالوا) متعوذين بأقواله تعالى من سوء
حالهم (ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) أى في النار وفي وصفهم بالظلم دون ما هم عليه حينئذ من العذاب
وسوء الحال الذي هو الموجب للدعاء اشعار بأن المحذور عندهم ليس نفس العذاب فقط بل مع ما يوجب
ويؤدى إليه من الظلم (ونادى أصحاب الأعراف) كتر ذكرهم مع كفاية الاضمار لزيادة التقريب (رجالاً) من
رؤساء الكفار حين رأوهم فيما بين أصحاب النار (يعرفونهم بسيماهم) الدالة على سوء حالهم يومئذ وعلى رياستهم
في الدنيا (قالوا) يدل من نادى (ما أغنى عنكم) ما أتا استغفاهية للتوبيخ والتقريع أو نافية (جحدكم)
أى أنما عكم وأشاعكم أو بجهلكم للمال (وما كنتم تستكبرون) ما صدرية أى ما أغنى عنكم بجهلكم واستكباركم
المستمر عن قبول الحق أو على الخلق وهو الانسب بما بعده وقرئ تستكبرون من الكثرة أى من الأموال
والجنود (أهلؤا الذين أقسمت لا ينالهم الله برجة) من تمة قولهم للرجال والإشارة إلى ضعف المؤمنين
الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلقون صريحا أنهم لا يدخلون الجنة أو يضعون ما ينفي عن ذلك

كاف قوله تعالى أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال (ادخلوا الجنة) ثلوثين للخطايا وتوجيه له المبد
أولئك المذكورين أى ادخلوا الجنة على رغم أنوفهم (لا خوف عليكم) بعد هذا (ولأنتم تحزنون) أو
قبل لأصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله تعالى بعد أن حبسوا وشاهدوا أحوال الفريقين وعرفوهم
وقالوا لهم ما قالوا ولا يظهر أن لا يكون المراد بأصحاب الاعراف المقصرين في العمل لأن هذه المقالات وما
تنفزع هي عليه من المعرفة لا يلحق بمن لم يتعين حاله بعد وقبل لما عبروا أصحاب النار أقسموا أن أصحاب الاعراف
لا يدخلون الجنة فقال الله تعالى أو الملائكة رداعليمهم أهؤلاء الخ وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستئناف
وتقديره دخلوا الجنة مقولاً في حقهم لا خوف عليكم (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة) بعد أن استقر
بكل من الفريقين القرار واطمأنت به الدار (أن أفيضوا علينا من الماء) أى صبوه وفيه دلالة على أن الجنة
فوق النار (أو عمار زككم الله) من سائر الاشربة ليلام الأفاضة أو من الاطعمة على أن الأفاضة عبارة
عن الاعطاش بكثرة (قالوا) استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل فماذا قالوا فقبل قالوا (إن الله
حرمهم على الكافرين) أى منعهم منهم منعاً كلياً فلا سبيل إلى ذلك قطعاً (الذين اتخذوا دينهم لهواً
ولعباً) كتحريم البيرة والسائبة ونحوهما والتصدية حول البيت والاهو صرف الهم إلى ما لا يحسن أن
يصرف اليه واللعب طلب الفرح بما لا يحسن أن يطلب (وعزتهم الحياة الدنيا) بزخارفها العاجلة
(فاليوم نساهم) نفعل بهم ما يفعل الناسى بالنسي من عدم الاعتداد بهم وتركهم في النار تركاً كلياً والقاء
في اليوم فصحة وقوله تعالى (كانسوا القساء يومهم هذا) في محل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف أى
نساهم نسياناً مثل نسيانهم لقاء يومهم هذا حيث لم يخطر ببالهم ولم يعتدوا له وقوله تعالى (وما كانوا
ما يتأبججعدون) عطف على ما نسوا أى وكما كانوا مذككرين بأنهم من عند الله تعالى انكاراً مستقراً
(وقد رجسناهم بكتاب فصلناه) أى بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواظع والضمير للكفرة قاطبة والمراد
بالكتاب الجففس أو للمعاصرين منهم والكتاب هو القرآن (على علم) حال من فاعلى فصلناه أى عالمين بوجه
تفصيله حتى جاء ك كياً أو من مفعوله أى مشتقاً على علم كثير وقرئ فصلناه أى على سائر الكتب عالمين
بفضله (هدى ورجة) حال من المفعول (اقوم يؤمنون) لأنهم المغتصرون لا تارة المغتصبون من أنوار
(هل ينظرون إلا ما ينظرون) أى ما ينظرونه ولا الكفرة بعدم إيمانهم به إلا ما يؤل إليه أمره من تبيين صدقه بظهور
ما أخبر به من الوعد والوعيد (يوم يأتي تأويله) وهو يوم القيامة (يقول الذين تسوه من قبل) أى
تركوه تركاً المنسى من قبل آيات تأويله (قد جاء ربنا بالحق) أى قد بين أنهم قد جاءوا بالحق (فهل
لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) اليوم ويدفعوا عنا العذاب (أو زرد) أى هل نرد إلى الدنيا وقرئ بالنصب
عطفاً على فيشفعوا أولان أو بمعنى إلى أن فعلى الأول المسؤل أحد الامرين أما الشفاعة لدفع العذاب أو الرد
إلى الدنيا وعلى الثانى أن يكون لهم شفعاء أما لاحد الامرين أو لآخر واحد هو الرد (فتعمل) بالنصب على
أنه جواب الاستفهام الثانى وقرئ بالرفع أى فحين نعمل (غير الذى كنا نعمل) أى فى الدنيا (قد خسروا
أنفسهم) بصرف أعمارهم التى هى رأس مالهم إلى الكفر والمعاصى (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أى
ظهر بطلان ما كانوا يفترونه من أن الاصنام شركاء الله تعالى وشفعائهم يوم القيامة (إن ربكم الله الذى
خلق السموات والارض فى ستة أيام) شروع فى بيان مبدأ القطرة اثر بيان معاد الكفرة أى أن خالقكم
وما لكم الذى خلق الاجرام العلوية والسفلية فى ستة أوقات كقوله تعالى ومن يؤلمهم يومئذ بربه أوفى
مقدار ستة أيام فان المتعارف أن اليوم زمان طلوع الشمس إلى غروبها ولم تكن هى حينئذ فى خلق الاشياء
مدرجات القدرة على ابداءها دفعة دليل على الاختيار واعتبار النظر وحدث على الثانى فى الامور (ثم
استوى على العرش) أى استوى أمره واستولى وعن أصحابنا أن الاستواء على العرش صفة الله تعالى
بلا كيف والمعنى أنه تعالى استوى على العرش على الوجه الذى عناء منزها عن الاستقرار والتكن والعرش
الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه أول التشبيه بسر الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل
للملك (يقضى الليل النهار) أى يقضى به ولم يذكر العكس للعلم به أولان اللفظ يحتملها ولذلك قرئ بنصب الليل

ورفع النهار وقرئ بالتشديد للدلالة على التكرار (يطلبه حثينا) أي يعقبه سريعا كالمطالب له لا يفصل بينهما
شيء والحديث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف أو سال من الفاعل أو من المفعول بمعنى حثنا وحثونا
(والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) أي خلقت حال كونهن مسخرات بقضائه وتسميته وقري
كلها بالرفع على الابتداء والخبر (ألا اله الخلق والامر) فانه الموجد لكل والمتصرف فيه على الاطلاق
(تبارك الله رب العالمين) أي تعالى بالوحدانية في الألوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الآية
الكرمية والله تعالى أعلم أن الكفرة كانوا متخذين أربابا يذبحون لهم أن المستحق للربوبية واحد والله تعالى
لانه الذي له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فأبدع الافلاك ثم زينها بالنجوم
والقمر والنجوم كما أشار إليه بقوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد إلى الاجرام السفلية فخلق
جسمها قابلا للصورة المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها صور نوعية متباينة الآثار والافعال وأشار إليه
بقوله تعالى وخلق الارض في يومين أي مافي جهة السفلى في يومين ثم أنشأ أنواع المواليث الثلاثة بتركيب
موادها أولا وتصورها ثانيا كما قال بعد قوله تعالى خلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك
فيها وقدر فيها أوقاتها في أربعة أيام أي مع اليومين الاقوين لما فصل في سورة السجدة ثم لما تم له عالم الملك عد
إلى تدبيره كالمالك الجالس على سريرته فسدر الامر من السماء إلى الارض بتحرك الافلاك وتسميتها بالكواكب
وتكوين المسالي والايام ثم صرح بما هو فذلك التبرير ونتيجته فقال تعالى ألا اله الخلق والامر تبارك الله رب
العالمين ثم أمر بأن يدعوه مخلصين متذللين فقال (ادعوا ربكم) الذي قد عرفتم شؤنه الجليله (تضرعوا وخفية)
أي ذوى ضرع وخفية فإن الاخفاء دليل الاخلاص (انه لا يحب المعتدين) أي لا يحب دعاء المجاوزين
لما أمروا به في كل شيء فيدخل فيه الاعتداء في الدعاء دخولا أوليا وقد نيه به على أن الداعي يجب أن لا يطلب
مالا يليق به كرتبة الانبياء والصعود إلى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي صلى
الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم اني أسألك الجنة وما قرب إليها
من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين (ولا تفسدوا
في الارض) بالكفر والمعاصي (بعد اصلاحها) يبعث الانبياء عليهم السلام وشرع الاحكام (وادعوه
خوفا وطمعا) أي ذوى خوف نظرا إلى قصور أعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع نظرا إلى سعة رحمته
ووفور فضله واحسانه (إن رحمة الله قريب من المحسنين) في كل شيء ومن الاحسان في الدعاء أن يكون
مقرونا بالخوف والطمع وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم أو لانه صفة محذوف أي أمر قريب أو على
تشبيهه بفعل الذي هو معنى مفعول أو الذي هو مصدر كالقبض والصهيل أو للفرق بين القريب من النسب
والقريب من غيره أولا كتنايه التذكير من المضاف اليه كما أن المضاف يكتب التأنيث من المضاف اليه
(وهو الذي يرسل الرياح) عطف على الجملة السابقة وقرئ الريح (بشرا) تخفيف بشر جمع بشرا أي مبشرات
وقري بفتح الباء على أنه مصدر بشره بمعنى باشرات أو للبشارة وقرئ نشارا بالنون المنصومة جمع نشور أي
ناشرات ونشر على أنه مصدر في موقع الحال بمعنى ناشرات أو مفعول مطلق فان الارسل والنشر متقاربان
(بين يدي رحمة) قدام رحمة التي هي المطرفان الصبا تثير السحاب والشمال تجعه والجنوب تدره والدبور
تفرقه (حتى اذا أقلت) أي حلت واشتقاقه من القلة فان المقل للشيء يستقله (سحابا نقالا) بالماء
جميعه لانه بمعنى السحاب (سقناه) أي السحاب وافراد الضمير لا قراد اللفظ (بلد ميت) أي لاجله ولمنفعته
اولا حيا ثم أواسقيه وقرئ ميت (فأنزلنا به الماء) أي بالبلاد أو بالسحاب أو بالسوق أو بالريح والتذكير
بأنزل المذكور وكذلك قوله تعالى (فأنزجنا به) ويحتمل أن يعود الضمير إلى الماء وهو الظاهر وإذا كان
للبلاد فالإيصال في الاول والظرفية في الثاني وإذا كان لغیره فهي للسبيبة (من كل الثمرات) أي من كل
أنواعها (كذلك نخرج الموتى) الإشارة إلى اخراج الثمرات أو إلى احياء البلاد الميت أي كما يحييه باحداث
القوة النامية فيه وطريقتها بأنواع التسمات والثمرات تخرج الموتى من الاجداث ويحييها برزء النفوس إلى
مواد أبدانها بعد جمعها وطريقتها بالقوى والحواس (اعلمكم تذكرون) بطرح احدي التائين أي
تذكرون فتعلمون أن من قدر على ذلك قدر على هذا من غير شبهة (والبلاد الطيب) أي الارض الكريمة

التربة (يخرج نباته باذن ربه) بحسبته وتيسيره عبره من كثرة النبات وحسنه وغزاره نفعه لانه أوقعه
 في مقابلة قوله تعالى (والذي خبت) من البلاد كالسجدة والحرة (لا يخرج الانكدا) قليلا عديم النفع
 ونصبه على الحال والتقدير والبلد الذي خبت لا يخرج نباته الانكدا الخذف المضاف وأقيم المضاف اليه
 مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ لا يخرج الانكدا أى لا يخرج منه البلد الانكدا فيكون الانكدا مفعولا
 وقرئ نكدا على المصدر أى ذاك نكدا ونكدا بالاسكان للتخفيف (كذلك) أى مثل ذلك التصريح بالمديح
 (انصرف الآيات) أى نزلتها ونكترها (اقوم يشكرون) نعمة الله تعالى فيذكرون فيها ويعتبرون بها وهذا
 كما ترى مثل لارسال الرسل عليهم السلام بالشرائع التي هي ما حياة القلوب الى المكلفين المنفسين الى المقربين
 من أنوارها والمجرومين من مقام آثارها وقد عقب ذلك بما يحسنه ويقرره من قصص الامم الخالية بطريق
 الاستئناف فقيل (انقد أرسلنا نوحا الى قومه) هو جواب قسم محذوف أى والله انقد أرسلنا نوحا واطراد
 استعمال هذه اللام مع قد لكون مدخولها مظنة للتوقع الذي هو معنى قد فان الجملة التسمية انما ساق
 لتأكيدها الجملة المقسم عليها ونوح هو ابن لماك بن متوشلح بن أخنوخ وهو ادريس النبي عليهم السلام قال ابن
 عباس رضى الله تعالى عنهم ما بعث عليه الصلاة والسلام على رأس أربعين سنة من عمره وبعث يدعوه قومه
 تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره أئنا ومائتين وأربعين سنة وقال
 مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعوه قومه
 تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألفا وأربعمائة وخمسين سنة
 (فقل يا قوم اعبدوا الله) أى اعبدوه وحده وترك التقيد به للايذان بأنها العبادة حقيقة وأما العبادة
 بالاشراك فليست من العبادة في شئ وقوله تعالى (مالكم من الله غيره) أى من مستحق للعبادة استئناف
 مسوق لتعليل العبادة المذكورة والأمر به لا غيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذي هو الرفع على الابتداء
 أو النساعلية وقرئ بالخبر باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستئناف وحكم غير حكم الاسم الواقع بعد الا
 أى مالكم من اله الا اياه كقولك ما في الدار من أحد الا زيد أو غير زيد فن اله ان جعل مبتدأ فلكم خبره أو خبره
 محذوف ولكم للتخصيص والتبيين أى مالكم في الوجود أو في العالم اله غير الله (انى أخاف عليكم) أى ان لم
 تعبدوه حسبا أمرت به (عذاب يوم عظيم) هو يوم القيامة أو يوم الطوفان والجملة لتعليل للعبادة
 ببيان الصارف عن تركها اثر تعليلها ببيان الداعي اليها ووصف اليوم بالعظم لبيان عظم ما يقع فيه وتكميل
 الانذار (قال الملا من قومه) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية قوله عليه الصلاة والسلام كأنه
 قيل فماذا قالوا له عليه الصلاة والسلام في مقابلة نعمه فقيل قال الرؤساء من قومه والاشراف الذين يملكون
 صدور المحافل بأجرامهم والقلوب بجلالهم وهيبهم والابصار بجمالهم وأجبتهم (اننا نراك في ضلال) أى في هاب
 عن طريق الحق والصواب والرؤية قلبية ومفعولها الضمير والظرف (مبين) بين كونه ضلالا (قال) استئناف
 كما سبق (يا قوم) ناداهم باضافتهم اليه استمالة لقلوبهم نحو الحق (ليس في ضلالة) أى شئ ما من الضلال
 قصد عليه الصلاة والسلام تحقيق الحق في نفي الضلال عن نفسه ردا على الكفرة حيث بالغوا في إنباته له عليه
 الصلاة والسلام حيث جعلوه مستترا في الضلال الواضح كونه ضلالا وقوله تعالى (وانك كن من
 رب العالمين) استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه من كونه في أقصى مراتب الهداية فان رسالة رب
 العالمين مستلزمة له لا محالة كأنه قيل ليس بي شئ من الضلال وانك في الغاية القاصدة من الهداية ومن
 لا تبدأ الغاية مجازا متعلقة بمحذوف هو صفة لرسول مؤكدة لما يفيد التنوين من التمام الذاتية بالتمام
 الاضافية أى رسول وأى رسول كان من رب العالمين (أبلغكم رسالات ربي) استئناف مسوق
 لتقرير رسالته وتفصيل أحكامها وأحوالها وقيل صفة أخرى لرسول على طريقة أنا الذي سميت أى حيدره
 وقرئ أبلغكم من الابلاغ وجمع الرسالات لاختلاف أوقاتها وتفاوت معانيها أولان المراد بها ما أوحى
 اليه والى النبيين من قبله وتخصيص ربيته تعالى به عليه الصلاة والسلام بعد بيان عمومها للعالمين للاشعار
 بعلة الحكم الذي هو تبليغ رسالته تعالى اليهم فان ربيته تعالى له عليه الصلاة والسلام من موجبات
 امتثاله بأمره تعالى بتبليغ رسالته تعالى اليهم (وأوضح لكم) عطف على أبلغكم مبين لكيفية أداء

الرسالة وزيادة اللام مع تعقيد النص نفسه للدلالة على انحصار النصيحة لهم وانها لمنعتهم وبسطتهم خاصة
ومصلحة المضارع للدلالة على تجديد نصيحته لهم كما يعرب عنه قوله تعالى رب اني دعوت قومي لئلا ولهم سارا وقوله
تعالى (واعلم من اقمه لا تعلمون) عطف على ما قبله وتقرير لرسالته عليه الصلاة والسلام أي أعلم من جهة
الله تعالى بالوحي ما لا تعلمونه من الامور الآتية أو أعلم من شؤنه عز وجل وقدرته القاهرة وبطشه الشديد على
أعدائه وأن بأسه لا يرق عن القوم الجرمين ما لا تعلمونه قيل كانوا لم يسموا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا
غافلين آمنين لا يعلمون ما علمه نوح عليه السلام بالوحي (أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم) جواب ورد لما
اكتفى عن ذكره بقولهم انما اتوا في ضلال مبين من قولهم ما زالك الا بشر امثلنا وقولهم لو شاء الله لازل
ملائكة والهزة للانكار والواو للعطف على مقدور ينصب عليه الكلام كأنه قيل استبعدتم وعجبتم من أن
جاءكم ذكر أي وصى أو وعظة من مالئكم أموركم ومرتبتكم (على رجل منكم) أي على لسان رجل من جنسكم
كقوله تعالى ما وعدتنا على رسلك وقلم لا جل ذنب ما قلتم من أن الله تعالى لو شاء لازل ملائكة (ليذكركم) علة
للمعنى أي ليذكركم عاقبة الكفر والمعاصي (ولتتقوا) عطف على المسئلة الاولى مترتبة عليها (ولعلكم
ترجون) عطف على العلة الثانية مترتبة عليها أي ولتعلق بكم الرحمة بسبب تقواكم وفائدة حرف الترجي
التنبية على عزلة المطلب وأن التقوى غير موجب للرحمة بل هي منوطة بفضل الله تعالى وأن المتقى ينبغي أن
لا يعتمد على تقواه ولا يأمن عذاب الله عز وجل (فكذبوه) فقوا على تكذيبه في دعوى النبوة وما نزل عليه
من الوحي الذي بلغه اليهم وأنذرهم عما في تضاعيفه واستمروا على ذلك هذه المدة المتطاولة بعدما كثر عليه
الصلاة والسلام عليهم الدعوة مراراً فلم يزد هم دعاؤه الا فراراً حسباً انطق به قوله تعالى رب اني دعوت قومي
ليلا ونهار الايات اذ هو الذي يعقبه الانجاء والاعراق لا يجرّد التكذيب (فأنجيناهم والذين معه) من المؤمنين
قيل كانوا أربعين رجلاً وأربعين امرأة وقيل تسعة أبناء الثلاثة وستة من آمن به وقوله تعالى (في القلث)
متعلق بالاستقرار أي استمروا معه في القلث أو محبوبه فيه أو بفعل الانجاء أي أنجيناهم
في السفينة ويجوز أن يتعلق بمضمر وقع حالاً من الموصول أو من ضميره في الطرف (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا)
أي استمروا على تكذيبها وليس المراد بهم الملائكة المتصدين للعواب فقط بل كل من أصرت على التكذيب منهم
ومن أعقابهم وتقديم ذكر الانجاء على الاعراق للمصارعة الى الاخبار به والايدان بسبق الرحمة التي هي
مقتضى الذات وتقدمها على الغضب الذي يظهر أثره بمقتضى جرائمهم (انهم كانوا قوماً عابثين) هي القلوب
غير متبصرين قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهم سمعت قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة والعباد وقرئ
عابثين والاول أدل على الثبات والقرار (والى عاد) متعلق بمضمر عطوف على قوله تعالى أرسلنا في قصة
نوح عليه السلام وهو التائب بقوله تعالى (أناهم) أي وأرسلنا الى عاد أخاهم أي واحداً منهم في النسب
لا في الدين كقولهم يا أبا العرب وقيل العامل فيهما الفعل المذكور فيما سبق وأخاهم عطوف على نوح والاول
هو الاول وأياتنا كان فعل تقديم البحر ورهسنا على المفعول الصريح للعدا عن الاضمار قبل المذكور بذلك
الى ذلك ما سبق أي من قوله تعالى ولوطاً الخ فأن قومه لما لم يعهدوا باسم معروف يقتضى الحال ذكره عليه
السلام صلى الله عليه وسلم كما في قصة عاد وغودومدين خواق في النظم الكريم بين قصته عليه السلام وبين القصص
الثلاث وقوله تعالى (هودا) عطف بيان لاخاهم وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ادم
ابن سام بن نوح عليه السلام وقيل هود بن صالح بن ارنخش بن سام بن نوح ابن عم أبي عاد واقام جعل منهم لانهم
أفهم لكلامه وأعرف بحاله في صدقه وأمانته وأقرب الى اتباعه (قال) استئناف مبتدئ على سؤال نشأ من
حكاية ارساله عليه السلام اليهم كأنه قيل فماذا قال لهم فقيل قال (يا قوم اعبدوا الله) أي وحده كما يعرب عنه
قوله (بالكم من الله غيره) فانه استئناف جار مجرى البيان للعبادة بالمأمور بها والتعليل لها أو لا صريحاً كأنه قيل
خسوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئاً اذ ليس لكم اله سواه وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله وقرئ بالجر جلاله
على لفظه (أفلا تتقون) انكار واستبعاد لعدم اتفانهم عذاب الله تعالى بعدما علموا ما حل بقوم نوح والقاه
للعطف على مقدور يقتضيه المقام أي ألا تفكرون أو أنفعلون فلا تتقون فالتوبيخ على المستوفين معاً وأن تعلمون

ذلك فلا تتقون قالتوا بيخ على المعطوف فقط وفي سورة هود أفلا تعقلون ولعله عليه السلام خاطبهم بكل منهما
وقد اكتفى بحكاية كل منهما في موطن عن حكايته في موطن آخر كما يذكره هنا ما ذكره هناك من قوله تعالى
ان أنتم الا مقفرون وقس على ذلك حال بقية ما ذكره وما لم يذكر من أجزاء القصة بل حال تقاطعها في سائر القصص
لا سيما في المجاورات الجارية في الاوقات المتعددة والله أعلم (قال الملا الذين كفروا من قومه) استئناف
كما مر وانما وصف الملا بالكفر اذ لم يكن كلهم على الكفر كما قوم نوح بل كان منهم من آمن به عليه السلام
ولكن كان يكتنهم ايمانه كثره بن سعد وقيل وصفوا به ليجرد الذم (انا لراى في سفاهة) أى ممة كفا في خفة
عقل راسخا فيها بحيث فارت دين آبائكم ألا انهم هم السفاهة ولكن لا يعلمون (وانا لانتظنك من الكاذبين)
اي فيما اذعيت من الرسالة قالوا اعراقتهم في التقليد وحرمانهم من النظر الصحيح (قال) مستعطف لهم
ومستجيلا لقلوبهم مع ما سمع منهم ما سمع من الحكمة الشنعاء الموجبة لتغليظ القول والمساغة بالسوء
(يا قوم ليس بي سفاهة) أى شئ منها ولا شائبة من شوائبها (وانى رسول من رب العالمين)
استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه ويقتضيه من كونه في الغاية القصوى من الرشد والامانة والصدق
والامانة فان الرسالة من جهة رب العالمين موجبة لذلك حقا كما أنه قيل ليس بي شئ مما نسبوا لى اليه وانكى
في غاية ما يكون من الرشد والصدق ولم يصرح بنفى الكذب اكتفاء بما في حيز الاستدراك ومن لا يتدأ الغاية
بجواز المتعلقة بمذوق وقع صفة لرسول مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية
وقوله تعالى (ابلغكم رسالاتى) استئناف سبق لتقرير رسالته وتفصيل أحوالها وقيل صفة أخرى
لرسول والكلام في اضافة الرب الى نفسه عليه السلام بعد اضافته الى العالمين وكذا في جمع الرسالات
كلاذى مر في قصة نوح عليه السلام وقرئ ابلغكم من الابلاغ (وآنا لاكم ناصح أمين) معروف بالنصح
والامانة مشهورين الناس بذلك وانما جى بالجملة الاسمية دلالة على الثبات والاستمرار وايدنا باننا من
هذا حاله لا يحوم حوله شائبة السفاهة والكذب (أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم) الكلام فيه
كلاذى مر في قصة نوح عليه السلام (على رجل منكم) أى من جنسكم (اينذركم) ويحذركم عاقبة ما أنتم
عليه من الكفر والمعاصى حتى نسبوا لى الى السفاهة والكذب وفي اجابة الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم
أجمعين من يشافهمهم عمالا خير فيه من أمثال تلك الاباطيل بما حكي عنهم من المقالات الحققة المعربة عن نهاية
الحلم والزناة وكمال الشدة والرافة من الدلالة على حيازتهم القدر المعلى من مكارم الاخلاق ما لا يخفى مكانه
(واذ كروا اذ جعلكم خلفاء) شروع في بيان ترتيب أحكام النصح والامانة والاذار وتفصيلها واذ منصوب
بأذ كروا على المفهولة دون الظرفية وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع
أنها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما أن ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما فيه بالطريق
البرهاني ولأن الوقت مشغل عليها فاذا استحضرت كانت هي حاضرة بتفاصيلها كأنها شاهدتها عيانا ولعله
معطوف على مقدركا أنه قيل لا تعجبوا من ذلك أو تدبروا في أمركم واذ كروا وقت جعله تعالى اياكم خلفاء
(من بعد قوم نوح) أى في مساكنهم أو في الارض بأن جعلكم ملوكا فان شدة ادب عاد من ملك معمورة
الارض من رمل عالج الى شجر عمان (وزادكم في الخلق) أى في الابداع والتصوير أو في الناس (بسطه) قامة
وقوة فانه لم يكن في زمانهم مثلهم في عظم الاجرام قال الكلبي والسدي كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع
وقامة القصير ستين ذراعا (فاد كروا لا اله الا الله) التى أنتم بها عليكم من فنون النعماء التى هذه من بجلتها وهذا
تكرير للتذكير لزيادة التقرير وتعميم اثر تخصيص (لعلكم تفلحون) كى يؤذيك ذلك الى الشكر المؤدى الى
التجاة من الكروب والقوز بالمطلوب (قالوا) مجيبين عن تلك النصائح العظيمة (أجنتنا لنعبد الله وحده) أى
لتخصه بالعبادة (ونذرا ما كان يعبد آباؤنا) انكروا عليه عليه السلام بحجته لتخصه تعالى بالعبادة والاعراض
عن عبادة الاوثان انهما كافي التقليد وبالمألوف والأسلافهم عليه ومعنى الجى اما بحجته عليه السلام
من متعبده ومنزله واما من السماء على التكلم واما القصد والتعدي مجازا كما يقال في مقابله ذهب يستمنى
من غير ارادة معنى الذهاب (فانتنا بما نعدنا) من العذاب المدلول عليه بقوله تعالى افلا تتقون (ان كنت

(من الصادقين) أى فى الاخبار ينزل العذاب ويجواب ان محذوف لدلالة المذكور عليه أى فانتبه (قال قد وقع عليكم) أى وجب وحق أن ينزل بأمر اركم هذا بناء على تنزيل المتوقع منزلة الواقع كما فى قوله تعالى أى أمر الله (من ربكم) أى من جهته تعالى وتقدير الطرف الاول على الثانى مع أن مبدأ الشئ متقدم على منتهاه للمساوغة الى بيان اصابه المكروه لهم وكذا تقديرهما على الفاعل الذى هو قوله تعالى (رجس) مع ما فيه من التثويق الى المؤخر ولأن فيه نوع طول بما عطف عليه من قوله تعالى (وغضب) فرما يحل تقديرهما بجواب النظم الكريم والرجس العذاب من الارتجاس الذى هو الاضطراب والغضب ارادة الانتقام وتثنيهما للتخفيف والتحويل (أتجادلوننى فى أسماء) عارية عن المسمى (سميتموها) أى سميتم بها (أنتم وآباؤكم) انكار واستقباح لانكارهم بحجته عليه السلام داعيا لهم الى عبادة الله تعالى وحده وترك عبادة الأصنام أى أتجادلوننى فى أشياء سميتموها آلهة ليست هى الا محض الاسماء من غير أن يكون فيها من مصداق الالهية شئ ما لأن المستحق للعبودية بالذات ليس الا من أوجد الكل وأنهم لو استحققت ان كان ذلك يجعله تعالى أما بانزال آية أو نصب حجة وكلاهما مستحيل وذلك قوله تعالى (ما نزل الله بها من سلطان) واذ ليس ذلك فى حيز الامكان تحقق بطلان ما هم عليه (فاتظروا) مترتب على قوله تعالى قد وقع عليكم أى فاتظروا ما تطلبونه بقولكم فانتبا عما بعدنا الخ (أنى معكم من المشظرين) لما يحل بكم والفاء فى قوله تعالى (فاتجنبنا) فصحة كما فى قوله تعالى فاتجنبنا أى فوقع ما وقع فأتجنبنا (والذين معه) أى فى الدين (برحة) أى عطفية لا يقاد رقدوها وقوله تعالى (منا) أى من جهتنا متعلق بمحذوف هو نعت لرجة مؤكدة لفخامتها الذاتية المنزهة من تشكيها بالفخامة الاضافية (وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) أى استأصلناهم بالكفة ودترناهم عن آخرهم (وما كانوا مؤمنين) عطف على كذبوا داخل معه فى حكم الصلة أى أصر وأعلى الكفر والتكذيب ولم يرعوا عن ذلك أبدا وتقدم حكاية الانجاء على حكاية الاهلال لقدم ترسره وفيه توبيخ على أن مناط النجاة هو الايمان بالله تعالى ونصديق آياته كما أن مدار البوار هو الكفر والتكذيب وقصتهم أن عاد اقوم كانوا يالين بالاحقاف وكانوا قد تبسطوا فى البلاد ما بين عمان الى حضرموت وكانت لهم أصنام يعبدونها صا وصورا والهة فابعث الله تعالى اليهم هودا نبيا وكان من أوسطهم وأفضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا اعتوا وتجبر فأمسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم بلا طلبوا الى الله الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشر كهم وأهل مكة اذ ذاك العجاليق أولاد علي بن لا وذين سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر بن فهرت عاد الى مكة من أمثالهم سبعين رجلا منهم قيل بن عمرو بن ثدبن سعد الذى كان يكتم اسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا عن الحرم فأزلهم وأكرمهم وكانوا اخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتقنيههم قيتنا معاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له أهمه ذلك وقال قد هلك اخوالى وأصهارى وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحي أن يكلمهم خشية أن يظنوا به نقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقيثين فقالنا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية

ألا يا قبل ويحك قم فهينم * اعلى الله يسقيننا غما ما

فيسق أرض عاد ان عادا * قد أمسوا لا يبينون الكلاما

فلما غشاه قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذى نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا القومكم فقال لهم مر ثدبن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان أطعتم نبيكم وتبتم الى الله تعالى سقيتم وأظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مر ثدا لا يقدم معنا فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فأنشأ الله تعالى صحابات ثلاثا بيضاء وجرا وسودا ثم ناداه مناد من السماء يا قبل اختر لنفسك واقتومك فقال اخترت السوداء فانها أكثرهن ما منفرجت على عاد من واد يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض عطرنا نجاءهم منها رج عقيم فأهلكتم ونجا هود والمؤمنون معه فأبوا مكة فعبدوا الله تعالى فيها الى أن ماتوا (والى عود أظاهم صالحا) عطف على ما سبق من قوله تعالى والى عاد أشاهم هودا موافق له فى تقديم الحجر وور على المنصوب وعود قبيلة من العرب سموها باسم أبيهم الا كبره وذين عاد

ابن آدم بن سام ابن نوح عليه السلام وقيل انما هو بذلك لقلة ما منهم من التمد وهو الماء القليل وقرئ بالصرف
 يتأويل السلي وكانت مساكنهم الجربين الجبار والنمام الى وادي القرى وأخوة صالح عليه السلام لهم من
 حيث النسب كهود عليه السلام فانه صالح بن عبيد بن اسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن عود ولما كان
 الاخبار بارساله عليه السلام اليهم مظنة لأن يسأل ويقال فاذا قال لهم قيل جوابا عنه بطريق الاستئناف
 (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الله غيره) وقدم الكلام في نظائره (قد جاء تكلم بينه) أي آية ومجزة
 ظاهرة شاهدة بنبوت وهي من الاضطرار الجارية بحرق الابطخ والابرق في الاستئناف عن ذكر موصوفاتها
 سالة الافراد والجمع كالصالح افرادا وجمعا وكذلك الحسنة والسينة سواء كانتا صفتين للاعمال أو المنوبة
 أو الحالة من الرخاء والشدة ولذلك أوليت العوامل وقوله تعالى (من ربكم) متعلق بجماعكم أو بحذوف
 هو صفة لينة كما مر اراوا والمراد بها الناقة وليس هذا الكلام منه عليه السلام اقول ما خاطبهم اتردع عنهم
 الى التوحيد بل انما قاله بعد ما نصحههم وذكروا كرههم نعم الله تعالى فلم يقبلوا كلامه وكذبوه الا يرى الى ما في سورة
 هود من قوله تعالى هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها آخر الآيات * روى أنه لما أهلك عاد عمرت
 عود بلادها وخلفوهم في الارض وكثروا وعمرها أعمار اطوا الاحق ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم
 في حياته ففتحوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله تعالى وأفسدوا في الارض
 وعبدوا الاوثان فبعث الله تعالى اليهم صالحا وكانوا قوما صالحا من أولادهم تسلفوا دعاهم الى الله عز
 وجل فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فبالوه آية فقال آية تريدون قالوا نخرج معنا الى
 عبادنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وتدعو الهنا فان استجب لك استجب لنا استجب لنا استجبنا
 فقال صالح عليه السلام نعم فخرج معهم ودعوا أوثانهم وسألوا الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو
 وأشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفا
 وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك وأجبتنا فأخذ صالح عليه السلام عليهم المواثيق
 اني فعلت ذلك التومن واتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمحضت الصخرة فخرجت الناقة فأنصدمت
 عن ناقة عشرةاء جوفا وبراء كما وصفوا الا يعلم ما بين جنبيها الا الله تعالى وعظماؤهم يتطرون ثم فحبت ولدا منها
 في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع أعقابهم من ناس من رؤسهم أن يؤمنوا فكنيت الناقة مع ولدها
 ترمي الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فاذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فارتفعها حتى تشرب كل ما فيها
 ثم تتفجع فيحتدون ماشاءوا حتى تأتي أو انهم فيشربون ويذخرون وكانت اذا وقع الحزن تصيفت بظهر الوادي
 فيهرب منها أنعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد تشب بطن الوادي فتهرب مواسمهم الى ظهره فتشق ذلك عليهم
 وزيت عقرها لهم امرأتان غنية أم غنم وصدقة بنت المختار لما أضرت به من مواسمها وكثرت في المواثيق
 فعقروها واقتسموا الحما وطخروا فانطلق سبها حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغاثا لانا وكان صالح عليه السلام
 قال لهم أدركوا الفصل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه فانفتحت الصخرة بعد رغاثة فدخلها فقال
 لهم صالح تصحبون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم حمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم
 يصحبكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقرئوا فأنجاهم الله تعالى الى أرض فلسطين ولما كان اليوم الرابع
 وارتفع الضحى تخطوا بالصبر وتكفوا بالانطاع فأتتهم صيحة من السماء ورجفة من الأرض ففقت قلوبهم
 فهلكوا وقوله تعالى (هذه ناقة الله لكم آية) استئناف مسوق لبيان البينة وإضافة الناقة الى الاسم الجليل
 لتعظيمها وتبجيتها من جهته تعالى بلا أسباب معهوده وسياطه معتادة ولذلك كانت آية وأي آية ولكم بيان
 لمن هي آية له واتصاب آية على الحالية والعامل فيها معنى الإشارة وبجوز أن يكون ناقة الله بدلا من هذه أو عطفا
 بيان له أو مبتدأ أناسا ولكم خبرا عما في آية (قد رويها) فزبرج على كونها آية من آيات الله تعالى فان ذلك
 مما يوجب عدم التعرض لها (نأكل في أرض الله) جواب الامر أي الناقة ناقة الله والارض أرض الله
 تعالى فازكوها تأكل ما تأكل في أرض ربهما فليس ليكم أن تقولوا اينها وينها وعسى أن كل بالرفع على أنه
 في موضع الحال أي آكلة فيها وعدم التعرض للشرب انما لا كلفا عنه بذرا الاكل أو لتعظيمه له أيضا كما في قوله
 علفتمنا وما باردا وقد ذكر ذلك في قوله تعالى لها شرب ولكم شرب يوم معلوم (ولا تمسوها بسون) نهي

قوله تنفجج من التفجع تنفجج
 الماء الموهمل على الجيم وهو
 أن تخرج ما بين رجليه العلب
 كذا نقله السحاب عن
 الجوهري اه صححه
 قوله سقيا بفتح السين
 والقاف أي ولدها الذكرا
 في زكريا اه صححه
 قوله فاشعبت تشديد الجيم
 بعد القاء أي انشعبت كما في
 السحاب اه صححه

عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالشهر - الشامل لانواع الازية ونكر السوء بالغة في الشيء أي لا تتعرضوا لها بشئ مما يسوءها أصلا ولا تطردوها ولا تريوها اكراما لآية الله تعالى (فياخذكم عذاب أليم) جواب للشيء ويروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالجرف في غزوة تبوك قال لا يصحابه لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذنين الا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل الذي أصابهم وقال عليه الصلاة والسلام علي - رضي الله عنه يا علي - أتدري من أشقى الأولين قال الله ورسوله أعلم قال عاقر ناقة صالح أتدري من أشقى الآخرين قال الله ورسوله أعلم قال قاتلك (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد) أي خلفاء في الارض أو خلفاء لهم كما مر (وبوأكم في الارض) أي جعل لكم مائة ومائة في ارض الجربين الجبار والشام (تخذون من سهولها قصورا) استئناف مبين لكيفية النبوة أي تبثون في سهولها قصورا رفيعة أو تبثون من سهولة الارض بما تفضلون منها من الرهص واللبن والاشجر (وتحتون الجبال) أي الضخور وقرئ تحتون بفتح الحاء وتحتون باشباع القصعة كما في قوله ينباع من ذفر أسيل حرة والحت نجبر الشيء الصلب فاتصا الجبال على المقعولية واتصا بقوله تعالى (بيوتا) على أنها حال مستمرة منها كما تقول خطت هذا الثوب قصا وقيل اتصا الجبال على اسقاط الجارة أي من الجبال واتصا بيوتا على المقعولية وقد جوز أن يضمن تحت معنى الاتخاذ فاتصا بها على المقعولية قيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء (فاذكروا آلاء الله) التي أنعم بها عليكم بما ذكرنا أو جميع الآلة التي هذه من جللتها (ولا تعثوا في الارض مفسدين) فان حق آلاءه تعالى أن تشكروا ولا تهمل ولا يغفل عنها فكيف بالكفر والعثي في الارض بالفساد (قال المسألة الذين استكبروا من قومهم) أي عثوا وتكبروا استئناف كما سلف وقرئ بالواو عطف على ما قبله من قوله تعالى قال يا قوم الخ واللام في قوله تعالى (لذين استضعفوا) للتبليغ وقوله تعالى (من آمن منهم) بدل من الموصول باعادة العامل بدل الكل ان كان ضمير منهم لقومه وبدل البعض ان كان للذين استضعفوا على أن من المستضعفين من لم يؤمن والاقول هو الوجه اذ لا داعي الى توجيه الخطاب أولا الى جميع المستضعفين مع أن المجاورة مع المؤمنين منهم على أن الاستضعاف يختص بالمؤمنين أي قالوا المؤمنين الذين استضعفوا واستردوهم (أفألمون أن صالحا مرسل من ربه) وانما قالوه بطريق الاستهزاء بهم (قالوا انابعأرسل به مؤمنون) عدلوا عن الجواب الموافق لسؤالهم بأن يقولوا نعم أو نعم أنه مرسل منه تعالى مسارعة الى تحقيق الحق واطهار ما لهم من الايمان الثابت المستقر الذي ينبغي عنه الجملة الاسمية وتبليها على أن أمر ارسله من الظهور بحيث لا ينبغي أن يسأل عنه وانما التحقيق بالسؤال عنه هو الايمان به (قال الذين استكبروا) أعيد الموصول مع صلته مع كفاية التخيير اذ انابعأرسلهم قد قالوا ما قالوه بطريق العتو والاستكبار (انابعأرسلهم كافرين) وانما لم يقولوا انابعأرسلهم كافرين اظهرا لمخالفتهم اياهم وردا لمقالتهم (فعتروا الناقة) أي نحروها أسند العقر الى الكل مع أن المباشر بعضهم للملابسة أو لان ذلك لما كان برضاهم فكانت فعله كلهم وفيه من تهويل الامر وتفظيعه بحيث أصابت غائلته الكل ما لا يخفى (وعتوا عن أمر ربهم) أي استكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح عليه السلام من الامر والنهي (وقالوا) مخاطبين له عليه السلام بطريق التمجيز والاختصاص على زعمهم (يا صالح اتقنا بما تعدنا) أي من العذاب والاطلاق لا علم به قطعا (ان كنت من المرسلين) فان كونك من جعلتهم يستدعي صدق ما تقول من الوعد والوعيد (فأخذتهم الرجفة) أي الزلزلة لكن لا اثر ما قالوا ما قالوا بل بعد ما جرى عليهم ما جرى من مبادي العذاب في الايام الثلاثة حسب ما مر تفصيله (فأصبحوا في ديارهم) أي صاروا في أرضهم وبلدهم أو في مساكنهم (جاثمين) جاثمين موقفي لا حراك لهم وأصل الجثوم السبول يقال الناس جثوم أي قعود لا حراك لهم ولا ينسبون نسبة قال أبو عبيدة الجثوم للناس والظير والبوك للابل والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب ولا حركة كما يكون عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من شدة الاخذ وسرعة البطش اللهم انما بك نعوذ من نزول مخطك وحلول غضبك وجاثمين خسر لا يصحوا والظفر متعلق به ولا مساع لكونه خيرا وجاثمين حال لا فضائه الى كون الاخبار بكونهم في ديارهم مقصودا بالذات وكونهم جاثمين قيد اتباعه لغير

مقصود بالذات قبل حيث ذكرت الرجفة وحدثت الدار وحيث ذكرت الصيحة جمعت لان الصيحة كانت
 من السماء فبلغوها أكثر وأبلغ من الزلزلة فقرن كل منهما بما هو أليق به (فتولى عنهم) أتر ما شاهد ما جرى
 عليهم تولى مغفمهم منصرف على ما فاتهم من الايمان مكتزن عليهم (وقال يا قوم اقدأ بلغكم رسالتى ونصحت
 لكم) بالترغيب والترهيب وبذات فيكم وسبحى ولكن لم تقبلوا منى ذلك وصيغة المضارع فى قوله تعالى (ولكن
 لا تحبون الناصحين) حكاية حال ماضية أى شأنكم الاستمرار على بغض الناصحين وعداوتهم خاطبهم عليه الصلاة
 والسلام بذلك خطاب رسول الله عليه الصلاة والسلام أهل قليب بدر حيث قال انا وجدنا ما وعدناكم نأحقا فهل
 وجدتم ما وعد ربكم حقا وقيل انما تولى عنهم قبل نزول العذاب بهم عند مشاهدته عليه الصلاة والسلام لعلاماته
 تولى ذاهب عنهم منصرف لا مصادراهم على ما هم عليه وروى أن عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم
 العذاب يوم السبت وروى أنه خرج فى مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدنان ساطعا فلم
 أنهم قد هلكوا وكانوا ألفا وخمسمائة دار وروى أنه رجع عن معه فسكنوا ديارهم (ولو طأ) منصوب
 بفعل مضمر معطوف على ما سبق وعدم التعرض للمرسى اليهم مقتدما على المنصوب (وما وقع فيما سبق
 وما لحق قدمه بيانه فى قصة هود عليه السلام وهو لوط بن هاران بن تارخ ابن أنخى ابراهيم كان من أرض بابل
 من العراق مع عمه ابراهيم فهاجر الى الشام فقتل فلسطين وأنزل لوطا الاردن وهى كورة بالشام فأرسله الله
 تعالى الى أهل سدوم وهى بلد بجمص وقوله تعالى (اذ قال لقومه) ظرف للمضمر المذكور أى أرسلنا لوطا الى
 قومه وقت قوله لهم الخ ولعل تهيبدا رساله عليه السلام بذلك لما أن رساله اليهم لم يكن فى اول وصوله اليهم
 وقبل هو بدل من لوطا بدل اشتمال على أن اتصا به ياذ كراى اذ كروقت قوله عليه السلام اقومه (أنا نون
 الفساحشة) بطريق الانكسار التوبيخى التقرىبى أى أنتم تعلمون تلك الفساحشة المتناهية فى القبح المتبادية
 فى الشرية والسوء (ما سبقكم بها) ما علمها قبلكم على أن الياء للتعدية كفى قوله عليه السلام سبقك
 بها عكاشة من قولك سبقته بالسكرة أى شربتها قبله ومن فى قوله تعالى (من أحد) مزيدة لتأكيد النفي
 وإفادة معنى الاستغراق وفى قوله تعالى (من العالمين) للتبعض والجملة مستأنفة مسوقة لتأكيد النكير
 وتشديد التوبيخ والتقرىب فان مباشرة التوبيخ قبيح واختراعه أقيع ولقد أنكر الله تعالى عليهم أولا اتيان
 الفساحشة ثم وجعهم بأنهم اول من علمها فان سبقك النظم الكريم وان كان على نفي كونهم مسجونين من غير
 تعرض لكونهم سابقين لكن المراد أنهم سابقون لكل من عداهم من العالمين كما مر تحقيقه مرارا فى نحو قوله
 تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو مسوقة جوابا عن سؤال مقتدر كآته قبل من جهتهم لم لا تأتياها فقبل
 يسأل الله واظهار الزاجر ما سبقكم بها أحد لغاية قبها وسوء سبيلها فكيف تفعلونها قال عمرو بن دينار ما نرا
 ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط قال محمد بن اسحق كانت لهم غار وقري لم يكن فى الدنيا مثلها فقصدهم
 الناس فآذوهم فعرض لهم ابليس فى صورة شيخ ان فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فأبوا فلما ألح الناس عليهم
 قصدوهم فأصابوا غلبا فاصبوا حاقا فخبثوا فاستحككم فيهم ذلك قال الحسن كانوا لا يفعلون ذلك الا بالقرباء وقال
 الكلبي اول من فعل به ذلك الفعل ابليس الخبيث حيث تمثل لهم فى صورة شاب جميل فبدعاهم الى نفسه ثم عبثوا
 بذلك العمل (انكم لتأون الرجال) خبر مستأنف لبيان تلك الفساحشة وقرئ بهم جزين صريحين وبليين
 الثانية بغيره وبعده أيضا على أنه تأكيد لانكار السابق وتشديد للتوبيخ وفى زيادة ان واللام مزيد توبيخ
 وتقرىب كأن ذلك أمر لا يتحقق صدوره عن أحد فيؤ كدنا كيدا قويا وفى ايراد لفظ الرجال دون الغلمان
 والمردان ونحوهما مبالغة فى التوبيخ وقوله تعالى (شهوة) مفعول له أو معدر فى موقع الحال وفى التقيد
 بها وصفهم بالهيمية الصرفة وتبيينه على أن العاقل ينبغي له أن يكون الداعى له الى المباشرة طلب الولد وبقائه
 النوع لا قضاء الشهوة ويجوز أن يكون المراد الانكار عليهم وتقريعهم على اشتغالهم تلك الفساحشة الخبيثة
 المكروهة كما ينبى عنه قوله تعالى (من دون النساء) أى متجاوزين النساء اللاتى هن محال الاشتغال كما ينبى
 عنه قوله تعالى من أظهر لكم (بل أنتم قوم مسرفون) اضراب عن الانكار المذكور الى الاخبار بحالهم
 التى أفضت بهم الى ارتكاب أمثالها وهى اعتياد الاسراف فى كل شئ أو عن الانكار عليهم بالالذم على جميع

معانيهم أو عن محذوف أي لا عذر لاسمكم فيه بل أنتم قوم عاد تنكم الاسراف (وما كان جواب قريته) أي
المستكبرين منهم المتولين للامر والنهي المتصدقين للعقد والحل وقوله تعالى (الأن قالوا) استثناء مفترغ من
أعم الأشياء أي ما كان جوابا من جهة قومه شيء من الأشياء الا قواهم أي لمعضهم الآخرين المباشرين
للأمور معرضين عن مخاطبته عليه السلام (أخرجوهم) أي لوطا ومن معه من أهله المؤمنين (من قريتهم)
أي الا هذا القول الذي يستحيل أن يكون جوابا للكلام لوط عليه السلام وقرئ برفع جواب على أنه اسم
كان والآن قالوا الخ خبرها وهو أظهر وان كان الا قول اقوى في الصنعة لان الاعرف أحق بالاسمية وأياما
كان فليس المراد أنه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن مقالات لوط عليه السلام ومواعظه الا هذه المقالة الباطلة
كما هو المتعارف الى الافهام بل انه لم يصدر عنهم في المرة الأخيرة من مرات المحاورات الجارية بينهم وبينه عليه
السلام الا هذه الكلمة الذئبة والافقد صدر عنهم قبل ذلك كثير من الترهات حسبما حكى عنهم في سائر السور
الكريمة وهذا هو الوجه في نظائره الواردة بطريق القصر وقوله تعالى (انهم أناس يتطهرون) تعليل للامر
بالاخراج ووصفهم بالتطهر للاستمراء والسخرية بهم وبطهرهم من الفواحش والخبائث والافتقار بما هم فيه
من القذارة كما هو ديدن الشطار والدعار (فأنجيئناهم وأهلهم) أي المؤمنين منهم (الا امرأته) استثناء من
أهلها فانها كانت تسرب الكفر (كانت من الغابرين) أي الباقين في ديارهم الهالكين فيها والتذكير
للتغليب وإيمان استحقاقها لما يستحقه المباشر للفاحة والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ
عن استثنائها من حكم الانجاء كأنه قيل فماذا كان حالها فقيل كانت من الغابرين (وأما مطرنا عليهم مطرا)
أي نوعا من المطر يجيبا وقد بينه قوله تعالى وأما مطرنا عليهم مجارة من مجيل قال أبو عبيدة مطر في الرحمة
وأما مطر في العذاب وقال الراغب مطر في الخير وأما مطر في العذاب والصحيح أن أمطرنا يعني أرسلنا عليهم ارسال
المطر قيل كانت المؤتلفة خمس مدائن وتيل كانوا أربعة آلاف بين الشام والمدينة فأما مطر الله عليهم الكبريت
والنار وقيل خسف بالقيمين منهم وأما مطر الطجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل أمطر عليهم ثم خسف بهم
وروي أن نايبر منهم كان في الحرم فوقف الحجر له أربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عايسه
وروي أن امرأته التفتت نحو ديارها فأصابها بحجر فماتت (فانظر كيف كان عقوبة الجرمين) خطاب لكل
من يتأق منه التأمل والنظر تهجسا من حالهم وتحذيرا من أعمالهم (والى مدين أحاهم شعيبا) عطف على قوله
والى عاد أحاهم هو داودا وعطف عليه وقد روي ههنا ما في المعطوف عليه من تقديم الجور وعلى المتصوب أي
وارسانا اليهم وهم أولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام شعيب بن ميكائيل بن يشجب بن مدين وقيل شعيب بن
ثوب بن مدين وقيل شعيب بن يثرون بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا أهل
يخس للمكاييل والموازين مع كفرهم (قال) استئناف مبني على سؤال نشأ عن حكاية ارساله اليهم كأنه قيل
فماذا قال لهم فقيل قال (يا قوم اعبدوا الله ما لاكم من اله غيره) مر تفسيره مرارا (قد جاء تنكم بينة) أي
مبجزة وقوله تعالى (من ربكم) متعلق بجاء تنكم أو محذوف هو صفة لفاعله مؤكدة لغضامته الذاتية
المستفادة من تنكيره بغضامته الاضافية أي فينة عظيمة ظاهرة كاشنة من ربكم ومالك أموركم ولم يذكره بجزته
عليه السلام في القرآن العظيم كما لم يذكر أكثر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم فها ما روي من محاربة عصا
موسى عليه السلام اثنين حين دفع اليه غنمه ومنها ولادة الغنم الدرع خاصة حين وعد أن يكون له الدرع من
أولادها ومنها وقوع عصا آدم عليه السلام على يده في المرات السبع لان كل ذلك كان قبل أن يستنبأ موسى عليه
السلام وقيل البينة بجيشه عليه السلام كما في قوله تعالى يا قوم أرايتم ان كنت على ينة من ربى أي حجة واضحة
وبرهان نير عبر بهما عما آتاه الله من النبوة والحكمة (فأوفوا الكيل) أي المكيل كما وقع في سورة هود
ويؤيده قوله تعالى (والميزان) فان المتبادر منه الا أنه وان جاز كونه مصدرا كالمعاد وقيل الالكيل
والوزن على الاشياء والفضاء لترتيب الامر على محيى البينة ويجوز أن تكون عاطفة على اعبدوا فان عبادة الله
تعالى موجهة للاجتناب عن المناهى التي معظمها بعد الكفر اليخس الذي كانوا يباشرونه (ولا تبغضوا
الناس أشياءهم) التي تشربونها مما يعتقدون على تمامها أي شيء كان وأي مقدار كان فانهم كانوا يبغضون

الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسبين لا يدعون شيئا الا مكسوه قال زهير
 أنى كل أسواق العراق اناوة * وفي كل ماباع امرؤ مكس درهم
 (ولا تفسدوا في الارض) أى بالكفر والحيف (بعد اصلاحها) بعدما أصلح أمرها وأهلها الانبياء
 وأتباعهم ببراء الشرائع أو أصلحو فيها وأضافته اليها كإضافة مكر الليل والنهار (ذلكم خير لكم)
 إشارة الى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطابقة أو فى الإنسانية وحسن الاحدوث
 وما يطلبونه من التكسب والربح لأن الناس اذا عرفوهم بالامانة رغبوا فى معاملتهم وصاحرتهم (ان كنتم
 مؤمنين) أى مصدقين لى فى قولى هذا (ولا تعدوا بكل صراط تعدون) أى بكل طريق من طرق الدين
 كالشيطان وصراط الحق وان كان واحد الكثرة تشعب الى معارف وحدود وأحكام وكثروا اذا رأوا احدا
 يشرع فى شئ منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعبيا انه كذاب لا يفتنك عن
 دينك ويتعدون لمن آمن به وقيل يقطعون الطريق (وتصدون عن سبيل الله) أى السبيل الذى قعدوا
 عليه فوقع المظهره وقع المظهر يانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتبقيها لما كانوا عليه أو الايمان
 بالله أو بكل صراط على أنه عبارة عن طرق الدين وقوله تعالى (من آمن به) مفعول تصدون على أعمال
 الاقرب ولو كان مفعول تعدون اقبل وتصدونهم وتعدون حال من الضمير فى تصعدوا (وتبغونهم عوجا) أى
 وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه أو بوصفها للناس بأنها معوجة وهى أبعد شئ من شائبة الاعوجاج
 (واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم) بالبركة فى النسل والمال (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) من
 الامم الماضية كقوم نوح ومن بعدهم من عاد وثمود وأضرابهم واعتبروا بهم (وان كان طائفة منكم آمنوا
 بالذى أرسلت به) من الشرائع والاحكام (وطائفة لم يؤمنوا) أى به أو لم يفعلوا الايمان (فاصبروا حتى
 يحكم الله بيننا) أى بين الفريقين بنصر المحققين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعد للكافرين (وهو خير
 للمساكين) اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه (قال الملا الذين استكبروا من قومه) استعنفاف مبنى على
 سؤال يساق اليه المقال كأنه قيل فما اذا قالوا بعد ما سمعوا هذه المواعظ من شعيب عليه السلام فقبل قال
 أشرف قومه المستكبرون متطاولين عليه عليه السلام غير مكثفين بمجرد الاستعصاء عليه والامتناع من
 الطاعة له بل بالغين من العتو والاستكبار الى أن قصدوا الاستتباعه عليه السلام فيأمرهم فيه وأتباعه المؤمنين
 واجتروا على اكرامهم عليه بوعيد التنى وخاطبوه بذلك على طريقة التوكيد التسمى (انخرجنك يا شعيب
 والذين آمنوا) بنسبة الاخراج اليه عليه السلام أولا والى المؤمنين ثانيا بامطفهم عليه تنبيهها على أصالته عليه
 السلام فى الاخراج وتبعيتهم له فيه كما ينبئ عنه قوله تعالى (معك) فانه متعلق بالاخراج لا بالايمان وتوسط
 النداء باسمه العلى بين المعطوفين لزيادة التقرير والتهديد الناشئة عن غاية الوقاحة والطغيان أى واقه
 لنخرجنك وأتباعك (من قريتنا) بغض الكرم ودفع ما فتنتكم المترتبة على المساكنة والجوار وقوله تعالى
 (أولتعودن فى ملتنا) عطف على جواب القسم أى واقه ليكون أحد الامرين البتة على أن المقصد الاصل هو
 العود وانما ذكر التنى والاجلاء لمحض القسر والالجام كما يفصح عنه عدم تعرضه عليه السلام لجواب الاخراج
 كأنهم قالوا لاندعكم فيما بيننا حتى تدخلوا فى ملتنا وادخلهم له عليه السلام فى خطاب العود مع استحالة
 كونه عليه السلام فى ملتهم قبل ذلك انما هو بطريق تغليب الجماعة على الواحد وانما لم يقولوا أولتعيدنكم
 على طريقة ما قبله لما أن مرادهم أن يعودوا اليها بصورة الطوعية حذار الاخراج باختيارا هون الشرين
 لا عادتهم بسائر وجوه الاكراه والتعذيب (قال) استعنفاف كما سبق أى قال عليه السلام رد المقالتهم
 الباطلة وتكذيبهم فى أيمانهم الفاجرة (اولو كما كارهين) على أن الهمة لانكار الوقوع ونفيه لانكار الواقع
 واستقباحه كالتى فى قوله تعالى أولو جنتك بشئ مبين ويجوز أن يكون الاستعنفاف فيه باقيا على حاله وقدم
 من ارأ أن كلمة لوفى مثل هذا المقام ليست لبيان اتقاء الشئ فى الزمن الماضى لاتقاء غيره فيه فلا يلاحظ لها
 جواب قد حذف تعويلا على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الاعتدال قصد الى بيان الاعراب على القواعد
 الاصناعية بل هى لبيان تحقق ما يفيد الكلام السابق بالذات أو بالواسطة من الحكم المرجح أو المنفى على كل

حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوت
 او انتفاءه مع ثبوت او انتفاؤه مع ماعداء من الاحوال بطريق الاولوية لما أن الشيء متى تحقق مع المنافي
 القوي فلا يتحقق مع غيره أولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة
 للجملة على نظيرتها المتعاقبة لها الشاملة لجميع الاحوال المقابلة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لا تستقصا
 الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والامر والنهي كما في قولك فلان جواد
 يعطى ولو كان فقيرا أو بخيل لا يعطى ولو كان غنيا وكقولك أحسن اليه ولو أساء اليك ولا تمنه ولو أهانك لبقائه
 على حاله سالما غيرا وأما فيما نحن فيه فمفعول كور كور قبلها وأن ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو
 الا أن كلمة لوفى الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وأن ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو
 نفس مدلوله وأن الجملة حال من ضميره أو بما يعاقب به وأن ما في خبر لوفى مقرر على ما هو عليه من الاستبعاد بخلاف
 ما نحن فيه لما أن كلمة لوفى متعلقة بنفس الفعل مقتضية ضميه المذكور وأن ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو مدلوله
 لا مدلول المذكور وأن الجملة حال من ضميره لا من ضمير المذكور كما سيأتي وأن المقصود الاصل "انكار مدلوله
 من حيث قارنته للحالة المذكورة وأما تقدير مقارنته لغيرها فتوسيع الدائرة وأن ما في خبر لوفى لا يقصد
 استبعاد في نفسه بل يقصد الاشعار بأنه أمر مقرر الا أنه أخرج مخرج الاستبعاد مباينة في الانكار من
 جهة أن العود عما يكره عند كون الكراهة أمرا مستبعدا فكيف به عند كونه أمرا محققا ومعاملة مع
 المخاطبين على معتقدهم لاستنزاهم من رتبة المضاد وليس المراد بالكراهة مجرد ذكرها للمؤمنين لا عود في مله
 الكفر ابتداء حتى يقال انها معلومة لهم فكيف تكون مستبعدة عندهم بل انما هي كراهتهم له بعد وعيد
 الانحراج الذي جعل قريبا للقتل في قوله تعالى ولو أنا كتبنا الآية فأنهم كانوا يستبعدونها ويطمعون في أنهم
 حينئذ يحتارون العود خشية الانحراج اذرب مكره ويختار عند حلول ما هو أشد منه وأقطع والتقدير أعود
 فيها لو لم تكن كارهين ولو كانوا كارهين غير مباينين بالاكراهة فالجملة في محل النصب على الحالالية من ضمير الفعل المقتدر
 حسما أشير اليه إذ ما له أن يعود فيها حال عدم الكراهة وحال الكراهة انكارا لما يفيد كلفهم الشبهة
 باطلا فها من العود على أي حالة كانت غير أنه اكتفى بذلك الحالة الثانية التي هي أشد الاحوال منافاة للعود
 وأصكرها بعد امنه تنبيهها على أنها هي الواقعة في نفس الامر وثقة باغنائها عن ذكر الاولى اغناء واضحا
 لان العود الذي تعلق به الانكار حين تحقق مع الكراهة على ما يوجب كلامهم فلا يتحقق مع عدمها أولى ان
 قلت النبي المستفاد من الاستفهام الانكاري فيما نحن فيه بمنزلة صريح النبي ولا ريب في أن الاولوية هناك
 معتبرة بالنسبة الى النبي الا يرى أن الاولى بالتحقق فيما ذكر من مثال النبي عند الحالة المسكوت عنها أعني عدم
 النبي هو عدم الاعطاء لان نفسه فكان ينبغي أن يكون الاولى بالتحقق فيما نحن فيه عند عدم الكراهة عدم
 العود لان نفسه اذ هو الذي يدل عليه قولنا أعود لأنه في معنى لا نعود فلم يختلف الحال بينهما قلت لما أن مناط
 الاولوية هو الحكم الذي أريد بيان تحققه على كل حال وذلك في مثال النبي عدم الاعطاء المستفاد من
 الفعل المنفي المذكور وأما فيما نحن فيه فهو نفس العود المستفاد من الفعل المقتدر اذ هو الذي يقتضيه
 الكلام السابق أعني قولهم لتعودن وأما الاستفهام بخارج عنه وارد عليه لا بطل ما يفيد ونفي
 ما يقتضيه لأنه من تمامه كما في صورة النبي وتوضيح أنه بين النفيين فرقا معنويا يختلف به أحكامهما التي
 من جملتها ما ذكر من اعتبار الاولوية في أحدهما بالنسبة الى نفسه وفي الآخر بالنسبة الى متعلقه ولذلك
 لا تستقيم اقامة أحدهما مقام الآخر على وجه الكلية الا يرى أنك لو قلت مكان أنعود فيها الخ لا نعود فيها
 ولو كانوا كارهين لا ختل المعنى اختلافا فاحتلان مدلول الاول في العود المقيد بحال الكراهة ومدلول الثاني
 تقييد العود المنفي بها وذلك لان حرف النفي يباشر نفس الفعل وينفيه وما يذكر بعده يرجع اليه من
 حيث هو منفي وأما هذه المزة الاستفهام فانها تباشر الفعل بعد تقييده بما بعده لما أن دلالتها على الانكار
 والنفي ليست بدلالة وضعية كدلالة حرف النفي حتى يتعلق معناها بنفس الفعل الذي يليها ويكون ما بعده
 راجعا اليه من حيث هو منفي بل هي دلالة عقلية مستفادة من سياق الكلام فلا بد أن يكون ما يذكر
 بعد الفعل من موانعه ودواهي انكاره ونفيه خفيا ليكون قرينة صارفة للهمزة عن حقيقتها الى معنى الامكان

والذي ثم لما كان المقصود نفي الحكم على كل حال مع الاقتصار على ذكر بعض منها فمن ذكر ما عداها
لا يستلزم تحققه معه تحقيقه مع غيره بطريق الاولوية ~~وصكانت~~ حال الكراهة عند كونها قيد النفس
العود كذلك أي مغنيا عن ذكر سائر الاحوال ضرورة أن تحقق العود في حال الكراهة مستلزم تحقيقه في
حال عدمها اليقينة وعند كونها قيد النفيه بخلاف ذلك أي غير مغني عن ذكر غيرها ضرورة أن نفي العود في حال
الكراهة لا يستلزم نفيه في غيرها بل العكس فإن نفيه في حال الارادة مستلزم لنفيه في حال الكراهة
قطعا استقام الاول لا فادته نفي العود في الحالتين مع الاقتصار على ذكر ما هو مغني عن ذكر الاخرى
ولم يستقيم الثاني لعدم افادته اياه على الوجه المذكور ان قيل بما وجه استقامتهما جميعا عند ذكر المعطوفين
معما حيث يصح أن يقال لا تعود فيها الولم تكن كارهين ولو كانا كارهين كما يصح أن يقال انعود فيها الولم تكن كارهين
ولو كانا كارهين مع أن المقتر في حكم الملفوظ قلنا وجهها أن كلا منهما ما يقصد معنى صحيحا في نفسه لا أن معنى
أحدهما عين معنى الآخر ومتلازمان متفقان في جميع الاحكام كيف لا ومدلول الاول أن العود منتف في
الحالتين ومدلول الثاني أن العود في الحالتين منتف وكلا المعنيين صحيح في نفسه صحيح لنفي العود في الحالتين
مع ذكرهما معا غير أن الثاني صحيح لنفي العود في الحالتين مع الاقتصار على ذكر حالة الكراهة على
عكس المعنى الاول فانه صحيح لنفيه فيه مامع الاقتصار على ذكر حالة الارادة (قد افترى على الله كذبا)
أي كذبا عظيما لا يقادر قدره (ان عدنا في ملتكم) التي هي الشرك وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله
عليه أي ان عدنا في ملتكم (بعد اذ نجانا الله منها) فقد افترى بنا على الله كذبا عظيما حيث نزع حيث أن الله
تعالى نذ اوليس كذله شيء وأنه قد تبين لنا أن ما كنا عليه من الاسلام باطل وأن ما كنتم عليه من الكفر حق
وأي اقترأ أعظم من ذلك وقيل انه جواب قسم محذوف حذف عنه اللام تقديره والله لقد افترى بنا الخ
(وما يكون لنا) أي وما يصح وما يستقيم لنا (أن نعود فيها) في حال من الاحوال أو في وقت من الاوقات
(الأن يشاء الله) أي الاحال مشيئة الله تعالى أو وقت مشيئته تعالى اعودنا فيها وذلك مما لا يكاد يكون
كما ينبغي عنه قوله تعالى (ربنا) فإن التعرض لعنوان ربوبيته تعالى لهم بما ينبغي عن استحالة مشيئته تعالى
لارتدادهم قطعا وكذا قوله تعالى بعد اذ نجانا الله منها فان نتيجته تعالى لهم منها من دلائل عدم مشيئته لعودهم
فيها وقيل معناه الآن يشاء الله خذلائنا وقيل فيه دليل على أن الكفر بمشيئته تعالى وأيا ما كان فليس المراد
بذلك بيان أن العود فيها في حيز الامكان وخطر الوقوع بناء على كون مشيئته تعالى كذلك بل بيان استحالة
وقوعها كانه قيل وما كان لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا وهيئات ذلك بدليل ما ذكر من موجبات عدم
مشيئته تعالى له (وسع ربنا كل شيء علما) فهو محيط بكل ما كان وما سيكون من الاشياء التي من جات
أحوال عبادهم وعزائمهم ونياتهم وما هو الاذن بكل واحد منهم فبحال من لطفه أن يشاء عودنا فيها بعد ما نجانا
منها مع اختصاصنا به خاصة حسبا ينطق به قوله تعالى (على الله توكلنا) أي في أن يشيئنا على ما نحن عليه من
الايمان ويتم علينا نعمته بالنجائنا من الأشرار بالكلية واظهار الاسم الجليل في موقع الاشعار بالبالغة في
التضرع والخواار وقوله تعالى (ربنا افق بيننا وبين قومنا بالحق) اعراض عن مقاوتهم اثر ما ظهر له عليه
الصلاة والسلام أنهم من العتو والعناد بحيث لا يصور منهم الايمان أصلا واقبال على الله تعالى بالدعاء
لفصل ما بينه وبينهم بما يليق بحال كل من الفريقين أي الحكيم بيننا بالحق والفتاح الحكومة أو أظهر
أمرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويميز الحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه (وأنت خير الفاتحين) تذييل
مقرر لمضمون ما قبله على المعنيين (وقال الملا الذين كفروا من قومه) عطف على قال الملا الذين الخ ولعل
هؤلاء غير أولئك المستكبرين ودونهم في الرتبة شأنهم الوساطة بينهم وبين العاتية والقسام بأمرهم حسبا
يزاء المستكبرون ويجوز أن يكون عين الاولين وتغيير الصلة لما أن مدارقواهم هذا هو الكفر كما أن مناط قولهم
السابق هو الاستكبار أي قال أشرفهم الذين أصروا على الكفر لاعتقائهم بعد ما شاهدوا صلاية شعيب عليه
السلام ومن معه من المؤمنين في الايمان وخافوا أن يستتبعوا قومهم تثبيطا لهم عن الايمان به وتغييرا لهم عنه
على طريقة التوكيد القسمي والله (استنابعتم شعيبا) ودخلتم في دينه وتركتم دين آبائكم (انكم اذا

(لخاسرون) أى فى الدين لا شترائكم الضلالة بهذاكم أوفى الدنيا لقوات ما يحصل لكم باليخص والتخلف واذن
 حرف جواب وجزاء معترض بين اسم أن وخبرها وبالجملة سادة مستجوابى الشرط والقسم الذى وطأته اللام
 (فأخذتهم الرجفة) أى الزلزلة وهكذا فى سورة العنكبوت وفى سورة هود وأخذت الذين ظلموا الصيحة أى
 صيحة جبريل عليه السلام وأعلمهم من مبادئ الرجفة فأسند هلاكهم إلى السبب القريب تارة وإلى البعيد
 أخرى (فأصبحوا فى دارهم) أى فى مدينتهم وفى سورة هود فى ديارهم (جائعين) أى ميتين لازمين لما كنهم
 لأبراح لهم منها (الذين كذبوا شيعيا) استئناف لبيان ابتلائهم بشؤم قولهم فيما سبق لخرجك يا شعيب والذين
 آمنوا معك من قريتنا وعقوبتهم بعبادته والموصل مبتدأ أخبره قوله تعالى (كان لم يفنوا فيها) أى
 استوصلوا بالمزلة وصاروا كأنهم لم يقيموا بقريتهم أصلا أى عوقبوا بقرابهم ذلك وصاروا هم المخرجين من القرية
 انخراجا لادخول بعدهم أبدا وقوله تعالى (الذين كذبوا شيعيا كانوا هم الخاسرين) استئناف آخر لبيان
 ابتلائهم بعقوبة قولهم الأخير وإعادة الموصل والصلة كما هى لزادة التقرير والایذان بأن ما ذكر فى حيز الصلة
 هو الذى استوجب العقوبتين أى الذين كذبوه عليه السلام وعوقبوا بمقاتلتهم الأخيرة فصاروا هم الخاسرين
 للدنيا والمدین لا المتبعون له عليه الصلاة والسلام وبهذا القصر اكتفى عن التصريح بانجائهم عليه الصلاة
 والسلام كما وقع فى سورة هود من قوله تعالى ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه الخ (فتولى عنهم وقال
 يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم) قاله عليه الصلاة والسلام بعد ما هلكوا فأسفاهم لشدة حزنه عليهم
 ثم انكر على نفسه ذلك فقال (فكيف آسى) أحزن حزنا شديدا (على قوم ~~كافرين~~) أى مصرين على الكفر
 ليسوا أهل حزن لاسـ تحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم أو قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت
 فى الإبلاغ والانداد ويزدات وسعى فى النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولى فكيف آسى عليكم وقرئ آسى باماتين
 (وما أرسلنا فى قرية من نبي) إشارة إجمالية إلى بيان أحوال سائر الأمم اثر بيان أحوال الأمم المذكورة تفصيلا
 ومن مزيدة لتأكيده التنبى والصفة محذوفة أى من نبي كذب أو كذبه أهلها (الأخذنا أهلها) استثناء
 مفرغ من أعم الأسوال وأخذنا فى محل النصب من فاعل أرسلنا والفعل الماضى لا يتبع بعد إلا بالأحد
 شرطين أما تقدير قد كما فى هذه الآية أو مقارنة قد كما فى قولك ما زيدا الاقدام والتقدير وما أرسلنا فى قرية من
 القرى المهلكة نبي من الأنبياء فى سال من الأحوال الاحال كوننا أخذنا أهلها (بالأساء) بالبوؤس والفقر
 (والضر) بالضر والمرض ~~لصكن~~ لا على معنى أن ابتداء الأرسال مقارن للأخذ المذكور بل على أنه
 مستتبع له غير منفك عنه بالآخرة لاسـ بكبرهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه حسب ما فعلت الأمم المذكورة
 (أعلمهم بضر عون) كى يضر عوا ويتدللوا ويحطوا بأردية الكبر والعزة عن أكافهم كقوله تعالى لقد أرسلنا
 إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالأساء والضر ~~أعلمهم بضر عون~~ (ثم بدلنا) عطف على أخذنا داخل فى حكمه
 (مكان السيئة) التى أصابتهم للغة المذ كورة (المسنة) أى أعطيتناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة
 الرخاء والسعة كقوله تعالى ويلوناهم بالمسنات والسيئات (حتى عفاوا) أى كفروا وعددا وعددا من
 عفا التبت اذا كثرت وكاثف وأبطرهم النعمة (وخالوا) غير واقفين على أن ما أصابهم من الامرين
 ابتلاء من الله سبحانه (قدمس) أباءنا الضراء والسرء) كما سننا ذلك وما هو الا من عادة الدهر يعاقب
 فى الناس بين الضراء والسرء من غير أن يكون هناك داعية تؤدى اليهما أو تبتعد عنهم ولعل تأخير
 السرء للاشعار بأنهم يعاقب الضراء فلا يضر فيها (فأخذناهم) انزل ذلك (بضعة) بقاء أشد الاخذ وأقطعهم
 (وهم لا يشعرون) بذلك ولا يخطر على بالهم شي من المنكاره كقوله تعالى حتى اذا فرسوا بما أوفوا الآية
 وليس المراد بالاختياف اهلا كهم طرفه عين كاهل لا عاد وقوم لو طبل ما يسمعه وما يعضى بين الاخذ والتمام
 الا هلاك أيام كدأب غود (ولو أن أهل القرى) أى القرى المهلكة المدلول عليها بقوله تعالى فى قرية وقيل
 هى مكة وما حولها من القرى وقيل جفس القرى المنتظمة لما ذكرهم هنا انتظاما أولا (آمنوا) بما أوصى
 إلى أنبيائهم معتبرين بما جرى عليهم من الابتلاء بالضرء والسرء (واتقوا) أى الكفر والمعاصى أو اتقوا
 ما أذكروا به على السنة الانبياء ولم يصروا على ما فعلوا من القبائح ولم يصموا ابتلاء الله تعالى على عادات

الدهر وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وحدهما والله واتقوا الشرك (لفتحنا عليهم بركات من السماء
 والارض) لوسعنا عليهم الخير ويسرنا لهم من كل جانب مكان ما أصابهم من ذنوب العقوبات التي بعضها
 من السماء وبعضها من الارض وقيل المراد المطر والنبات وقرئ لفتحنا بالتشديد للتكثير (ولكن كذبوا) أي
 ولكن لم يؤمنوا ولم يتقوا وقد اكتفى بذكر الاول لاستلزامه الثاني (فأخذناهم بما كانوا يكسبون) من أنواع
 الكفر والمعاصي التي من جملتها قواهم قد مس آباءنا الخ وهذا الاخذ عبارة عما في قوله تعالى فأخذناهم بغتة
 لاعن الجذب والتمحيط كما قيل فانهم ما قدزلا يتبدل الحسنة مكان السيئة (أفأمن أهل القرى) أي أهل القرى
 المذكورة على وضع المظهر موضع المضمحل لا يذنبون بأن مدار التوبيخ أمن كل طائفة ما أناهم من البأس لأمن
 مجموع الامم فإن كل طائفة منهم أصابهم بأس خاص بهم لا يعتد بهم إلى غيرهم كما سيأتي والهزة لانكار الواقع
 واستصحابه لانكار الوقوع وتفيقه كما قاله أبو شامة وغيره اقله تعالى فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون
 والفاء للعطف على أخذناهم وما بينهما اعتراض توسط بينهما للمصارعة الى بيان أن الاخذ المذكور بما كسبته
 أيديهم والمهني أبعد ذلك الاخذ أمن أهل القرى (أن يأتيهم بأسنا بياتا) أي تبيننا أو وقت بيات أو مبيتا
 أو مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البتة ويحيى في التبييت كالسلام في التسليم (وهم نائمون) حال من
 ضميرهم البارز والمستتر في بياتا (أو أمن أهل القرى) انكار بعد انكار للمبالغة في التوبيخ والتشديد ولذلك
 لم يقل أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أو ضحى وهم يلعبون وقرئ أو يسكون الواو على
 التريديد (أن يأتيهم بأسنا ضحى) أي ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت (وهم يلعبون) أي
 يلعبون من قرط الغفلة أو يشتغلون بما لا ينفعهم كأنهم يلعبون (أفأمنوا مكر الله) تكرر للتكثير لزيادة التقرير
 ومكر الله تعالى استعارة لاستدراج العبد وأخذه من حيث لا يحتسب والمراد به اتیان بأمره تعالى في
 الوقتين المذكورين ولذلك عطف الاول والثالث بالفاء فإن الانكار فيه ممتوجه الى ترتب الامن على الاخذ
 المذكورين وأما الثاني فن تتمه الاول (فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) أي الذين خسروا أنفسهم
 وأضاعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها والاستعداد ان القرى المستفاد من النظر في الآيات (أو لم يهد
 للذين يرون الارض من بعد أهلها) أي يخلصون من خلاقلهم من الامم المهلكة ويرون ديارهم والمراد بهم أهل
 مكة ومن حولها وتعدية فعل الهداية باللام اما لتزييلها منزلة اللازم كأنه قيل أغفلوا ولم يفعل الهداية لهم الخ
 وأما لانها بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل على التقديرين هو الجملة الشرطية أي أو لم يبين لهم ما كل
 أمرهم (أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) أي أن الشأن لو نشاء أصبناهم بجزء ذنوبهم أو بسبب ذنوبهم كما أصبنا
 من قبلهم وقرئ نهد بنون العظمة فالجملة مفعوله (ونطبع على قلوبهم) عطف على ما يفهم من قوله تعالى
 أو لم يهد كأنه قيل لا يهدون أو يفتنون عن الهداية أو عن التفكير والتأمل أو منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع
 ولا يجوز عطفه على أصبناهم على أنه بمعنى طبعنا لافضائه الى نفي الطبع عنهم لانه في سياق جواب لو (فهم
 لا يسمعون) أي أخبار الامم المهلكة فضلا عن التدبر والنظر فيها والاعتناء بما في تضاعفها من الهداية
 (ذلك القرى) جملة مستأنفة جارية مجرى الفذلك لما قبلها من القصص منبهة عن غاية غواية الامم المذكورة
 وتعاديلهم فيها بعد ما أتتهم الرسل بالمعجزات الباهرة وتلك اشارة الى قرى الامم المهلكة على أن الامم للعهد وهو
 مبتدأ وقوله تعالى (نقص عليك من انبيائها) خبره وصيغة المضارع للاستدراك لان عدم انقضاء القصة بعد ومن
 للتبعض اي بعض أخبارها التي فيها عظة وتذكير وقيل تلك مبتدأ أو القرى خبره وما بعده حال أو خبر بعد خبر
 عند من يجوز كون الخبر الثاني جملة كافية قوله تعالى فاذا هي حية تسي وتصدر الكلام بذكر القرى وازدادة
 الانبياء اليها مع أن المقصود أنبياء أهلها والمقصود بيان أحوالهم حسب ما يعرب عنه قوله تعالى (ولقد
 جاءهم رسلهم بالبينات) لما أن حكاية هلاكهم بالآخرة على وجه الاستئصال بحيث يشمل اما كنهم أيضا بالتحلف
 بها والرجفة وبقائهم حاوية معطلة أهول وأقطع والبيان في قوله تعالى بالبينات متعلقة اما بالفعل المذكور
 على أنها التعدية واما بمحذوف وقع حالا من فاعله أي ملتبس بالبينات لكن لا بأن يأتي كل رسول بينة واحدة
 بل ببينات كثيرة خاصة به معينة له حسب اقتضاء الحكمة فإن مراعاة انقسام الاحاد الى الاتحادات هي فيما بين

الرسول وخمير الامم والجله مستأنفة ميثنة اكمال عتوقهم وعنادهم أى وبالله لقد جاء كل أمة من تلك الامم المهلكة
رسولهم الخاص بهم بالمعجزات البينة المتكررة المتواردة عليهم الواضحة الدلالة على صحة رسالته الموجبة للايمان
حقها وقوله تعالى (فما كانوا يؤمنوا) بيان لاستمرار عدم ايمانهم في الزمان الماضي لالعدم استمرار ايمانهم
وترتيب حالتهم هذه على مجيى الرسل بالبينات بالقضاء لما أن الاستمرار على فعل من الافعال بعد ورود ما يوجب
الافلاخ عنه وان كان استمراره في الحقيقة لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث نحو وعظته فلم
ينزح وودعته فلم يجب واللام لتأ كيد التني أى خاصص وما استقام لقوم من اوائلك الاقوام في وقتهم من
الاقوات أن يؤمنوا بل كن ذلك تمتعاً منهم الى أن اقواما لقوا الغاية عتوقهم وشدة شكيتهم في الكفر والطغيان ثم
ان كان المحكى عنهم آخر حال كل قوم منهم فالمراد بعدم ايمانهم المذكور ههنا اصرارهم على ذلك بعد الالتيا والى
وبما أشير اليه بقوله تعالى (بما كذبوا من قبل) تكذيبهم من لدن مجيى الرسل الى وقت الاصرار والعناد
وانما لم يجعل ذلك مقصودا بالذات كالأول بل جعل صله للموصول ايذاً نابعاً بين نفسه وانما المحتاج الى البيان
عدم ايمانهم بعد نواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التى كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من
أصحاب العقول والموصول الذى تعلق به الايمان والتكذيب سلباً وإيجاباً عبارة عن جميع الشرائع التى جاء
بها كل رسول أصولها وفروعها وان كان المحكى جميع أحوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكره أولاً كفرهم
المستمر من حين مجيى الرسل الخ وبما أشير اليه آخر تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من جعل الموصول المذكور
عبارة عن أصول الشرائع التى أوجعت عليها الرسل فاطبة ودعوا أعمهم اليها أثر ذى أثر لا يستحال تبدلها
وتغيرها مثل مله التوحيد ولو ازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيى رسالهم أنهم ما كانوا في زمن الجاهلية بحيث
لم يسمعوا كلمة التوحيد قط بل كانت كل أمة من أولئك الامم يتسامعون بها من بقايا من قبلهم فيكذبونها ثم
كانت حالتهم بعد مجيى رسالهم بحالتهم قبل ذلك كأن لم يبعث اليهم أحد وتخصيص التكذيب بعدم الايمان
بما ذكر من الاصول لظهور حال الباقى بدلالة النص فانهم حين لم يؤمنوا بما أوجعت عليه كلفة الرسل فلا ن
لا يؤمنوا بما تنفرد به بعضهم أولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصودا بالذات لما أن ما عليه يدور فك العذاب
والعقاب هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسماً بعرب عنه قوله تعالى وما كلفه مدين حتى نبعت رسولا
وانما ذكر ما وقع قبلها يسايراً لاعتقائهم في الكفر والتكذيب وعلى كلا التقديرين فالضمائر الثلاثة متوافقة
في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع الى أسلافهم والمعنى فما كان الانباء ليؤمنوا بما كذب به الاباء ولا يخفى ما فيه
من التعسف وقيل المراد ما كانوا ليؤمنوا لو أحييناهم بعد اهلاكمهم ورددناهم الى دار التكليف بما كذبوا
من قبل كقوله تعالى ولوردوا العباد والمأنه واعنه وقيل الباء للسببية وما مصدرية أى بسبب تعوقدهم تكذيب
الحق وتمترنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يرد عليه ههنا ما ورد في سورة يونس من مخافة الجحيم ويريجع الى المصدرية
من قبيل الاسماء كما هو رأى الاخفش وابن السراج ليرجع اليه الضمير فيه (كذلك) أى مثل ذلك الطبع
الشديد المحكم (بطبع الله على قلوب الكافرين) أى من المذكورين وغيرهم فلا يكاد يؤثر فيها الايات والذنور
وقيه تحذير للسامعين واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وادخال الروعة (وما وجدنا
لاكثرهم) أى أكثر الامم المذكورين واللام متعلقة بالوجدان كما ي قولك ما وجدت له ما لا أى ما صادفت له
ما لا ولا تشبه أو بمحذوف وقع حالا من قوله تعالى (من عهد) لانه في الاصل صفة للذكر فلما قدمت عليها
انصبت حالا والاصل وما وجدنا عهدا كما نال أكثرهم ومن مزيدة للاستعراق أى وما وجدنا لاكثرهم من
وفاء عهد فانهم نقضوا ما عاهدوا الله عليه عند ساس البأساء والضراء فأتين لئن أنجيتنا من هذه لتكونن
من الشاكرين فتخصيص هذا الشأن بأكثرهم ليس لان بعضهم كانوا يوفون بعهودهم بل لان بعضهم كانوا
لا يبعدون ولا يوفون وقيل المراد بالعهود ما عهد الله تعالى اليهم من الايمان والتقوى بنصب الايات وانزال
الحج وقيل ما عهدوا عند خطاب ألث بربكم فالمراد بأكثرهم كما هم وقيل الضمير للناس والجله اعترض فأت
أكثرهم لا يوفون بالعهود بأى معنى كان (وان وجدنا أكثرهم) أى أكثر الامم أى علمناهم كفاية فذلك وجدت
زيد اذا حفظ وقيل الاول أيضاً كذلك وان محققة من ان ضمير الشأن محذوف أى ان الشأن وجدناهم

(الفاستق) خارجين عن الطاعة ناقضين للعهد وعند الكوفيين أن نافية واللام بمعنى الأي ما وجدناهم
 الافاستق (ثم بعثنا من بعدهم موسى) أي أرسلناه من بعد انقضاء وقائع الرسل المذكورين أو من بعد هلاك
 الامم المحكية والتصريح بذلك مع دلالة ثم على التراخي للايدان بأن بعثه عليه الصلاة والسلام جرى على سنن
 السنة الالهية من ارسال الرسل تترى وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر من الاعتناء
 بالمقدم والتشويق الى المؤخر (بآياتنا) متعلق بمحذوف وقع حالا من منقول بعثنا أو صفة أصدره أي بعثناه
 عليه الصلاة والسلام ملتبسا بآياتنا أو بعثناه بعثنا ملتبسا بها وهي الآيات التسع المفصلات التي هي العصا واليد
 البيضاء والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم حسب ما سيأتي على
 التفصيل (الى فرعون) هو لقب لكل من ملك مصر من العداقة كما أن كسرى لقب لكل من ملك فارس
 وقصر لكل من ملك الروم واسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان (وله) أي أشرف قومه
 وتخصيصهم بالذكور مع عموم رسالته عليه الصلاة والسلام لقومه كافة حيث كانوا جميعا مأمورين بعبادة
 رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة الشنعاء التي كان يذيعها الطاغية ويقبلها منه فتنة الباغية لاصالتهم
 في تدبير الامور واتباع غيرهم لهم في الورد والصدور (فظلوا بها) أي كفروا بها اجري الظلم مجرى الكفر
 لكونهم ممان وادوا حد أو ضمن معنى الكفر أو التكذيب أي ظلوا كافرين بها أو مكذبين بها أو كفروا بها
 مكان الايمان الذي هو من حقها لوضوحها وهذه المعنى وضع ظلوا موضع كفو واقتبل ظلوا أنفسهم بسببها
 بأن عترضوها للعذاب الخالد أو ظلوا الناس بصدقهم عن الايمان بها والمراد به الاستقرار على الكفر بها إلى أن
 لقوا من العذاب ما لقوا الا يرى الى قوله تعالى (فاظفر كيف كان عاقبة المفسدين) فكأن ظلمهم بها مستتبعا
 لتلك العاقبة الهائلة كذلك حكاية ظلمهم بها مستتبعا للامر بالنظر اليها وكيف خبر كان قدم على اسمها لاقتضائه
 الصدرة والجله في حيز النصب باسقاط المساقض أي فاظفر بعين عقلك الى كيفية ما فعلنا بهم ووضع المفسدين
 موضع ضميرهم للايدان بأن الظلم مستلزم للافساد (وقال موسى) كلام مستدأ مسوق لتفصيل ما أجل فيما
 قبله من كيفية اطهار الآيات وكيفية عاقبة المفسدين (يا فرعون اني رسول) أي البك (من رب العالمين) على
 الوجه الذي مر بيانه (حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق) جواب عما ينساق اليه الذهن من حكاية ظلمهم
 بالآيات من تكذيبه اياه عليه الصلاة والسلام في دعوى الرسالة وكان أصله حقيق على أن لا أقول الخ كما هو
 قراءة نافع فقلب اللام من الالباس كما في قول من قال وتشق الرياح بالضياطرة الحجر أولان ما لمك فتد لزمته
 أو لا عراق في الوصف بالصدق والمعنى واجب على القول الحق أن أكون أنا قائله لا يرشني الابطال ناطقابه
 أو ضمن حقيق معنى حرص أو وضع على موضع الباء لا فائدة التمكن كقولهم رفعت على القوس وجئت على حال
 حسنة ويؤيده قراءة أبي بالباء وقرئ حقيق أن لا أقول وقوله تعالى (قد جئكم بينة من ربكم) استئناف
 مقدر لما قبله من كونه رسولا من رب العالمين وكونه حقيقا بقول الحق ولم يكن هذا القول منه عليه الصلاة
 والسلام وما بعده من جواب فرعون اثر ما ذكره من ابل بعد ما جرى بينه من المحاوراة المحكية بقوله تعالى
 قال فئن ربك الا آيات وقوله تعالى وما رب العالمين الا آيات وقد طوى ههنا ذكره للايجاز ومنه متعلقة اما
 بجئتمكم على أنها لا ابتداء الغاية مجازا واما محذوف وقع صفة لينة مفيدة لفخامتها الاضافة المؤكدة لفخامتها
 الذاتية المستفادة من التنوين التفعيلى واضافة اسم الرب الى المخاطبين بعد اضافته فيما قبله الى العالمين
 لتأكيد وجوب الايمان بها (فا رسل معي بنى اسرائيل) أي غفلهم حتى يذهبوا معي الى الارض المقدسة التي
 هي وطن آبائهم وكان قد استعبد هم بعد انقراض الامباط يستعملهم ويكفهمم الا فاعيل الشاقة فأنقذهم الله
 تعالى بموسى عليه الصلاة والسلام وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى عليه
 السلام أربع مائة عام والفاء لترتيب الارسال أو الامر به على ما قبله من رسالته عليه السلام ومجيئه بالينة
 (قال) استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الكلام كأنه قيل فاذ قال فرعون له عليه السلام حين
 قال له ما قال فقيل قال (ان كنت جئت بآية) أي من عندهم أرسلنا كأنه عجب (فأت بها) أي فأحضرها
 حتى تثبت بها رسالتك (ان كنت من الصادقين) في دعوائك فان كونك من جنس المعروفين بالصدق يقتضي

قوله بالضياطرة جمع ضياطر
 وهو الضخم اللثيم العظيم
 الاست كالضوطر والضطر
 والحجر كناية عن العجم لغلبة
 الحجر على الوانهم وأصله
 تشق الضياطرة الحجر بالرمح
 فقلبه الشاعر وجعل الرماح
 شقبت بهم لتكسرهما من كثرة
 المطعن فيهم هكذا يؤخذ من
 القساموس والشهاب وزاده
 اه مصححه

اظهار الآية لاجل حاله (فألقى عصاه فأذهى نعيان مدين) أى ظاهر أمره لا يشك في كونه نعيانا وهو الحية
 العظيمة وإظهار الجمله الاسمية للدلالة على كمال سرعة الانقلاب وثبات وصف النعيانية فيها كأنها في الأصل
 كذلك روى أنه لما ألقاها صارت نعيانا أشعر فأغراقاه بين لحبيه غمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض
 والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه وأحدث فانهزم الناس من دحين فأت منهم خمسة
 وعشرون ألفا فصاح فرعون يا موسى أنشدك بالذى أرسلك خذها وأنا أو من بك وأرسل معك بنى اسرائيل
 فأخذهم فعاد عصاه (ونزع يده) أى من جيبه أو من تحت ابطامه (فأذهى نعيانهم للناظرين) أى يضاء بيضاء
 نورانيا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظارة تعجبا من أمرها وذلك ما روى أنه أرى فرعون يده وقال ما هذه
 فقال يدك ثم أدخلها جيبه وعليه مدرعة صوف وزعها فأذهى نعيانهم بيضاء نورانيا غلب شعاعه شعاع
 الشمس وكان عليه السلام آدم شديد الادمة وقيل يضاء للناظرين لأنها كانت يضاء في جبلتها (قال الملا
 من قوم فرعون) أى الاشراف منهم وهم اصحاب مشورته (ان هذا السار علم) أى مبالغ في علم
 السحر ما هرفيه قالوه تصديقاً لفرعون وتقريراً لكلامه فان هذا القول بعينه معزى في سورة الشعراء اليه
 (يريد أن يخرجكم من أرضكم) أى من أرض مصر (فإذا تأمرون) بفتح النون وما في ماذا في
 محل النصب على أنه مفعول ثان لتأمرن بحذف الجارة والاول محذوف والتقدير بأى شئ تأمرننى وهذا
 من كلام فرعون كما في قوله تعالى ذلك ليعلم أى لم أخشع بالغيث أى فإذا كان كذلك فماذا تشيرون على فى أمره
 وقيل قاله الملا من قبله بطريق التبليغ الى العادة فقوله تعالى (قالوا أربعه وأخاه) على الاول وهو الاظهر
 حكاية لكلام الملا الذين شاؤهم فرعون وعلى الثاني لكلام العادة الذين خاطبهم الملا ويأباه أن الخطاب
 لفرعون وأن المشاورة ليست من وظائفهم أى أخوه وأخاه وعدم التعرض لذكره لظهور كونه معه حبا
 يشادى به الايات الاخر والمعنى آخر أمرهم ما وأصدرهم ما عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبر شأنهما وقرئ
 أربعه وأربعه من أرباء وأرباء (وأرسل في المداين حاشرين) قيل هي مدائن صعيد مصر وكان رؤساء
 السحرة ومهوتهم بأقصى مدائن الصعيد وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ما أنهم كانوا سبعين ساحرا
 أخذوا السحر من رجلين مجوسيين من أهل يثوى مدينة يونس عليه السلام بالموصل ورد ذلك بأن المجوسية
 ظهرت بزادشت وهو غيايا بعد موسى عليه الصلاة والسلام (يا نوح بكل ساحر علم) أى ما هرفى
 السحر وقرئ بكل سحر علم والجمله جواب الامر (وجاء السحرة فرعون) بعدما أرسل اليهم الحاشرين
 وانما لم يصرح به حسبا في قوله تعالى فأرسل فرعون في المداين حاشرين للايدان بسارعة فرعون الى
 الارسال ومبادرة الحاشرين والسحرة الى الامتثال (قالوا) استئناف منوط بسؤال نشأ من حكاية عجيبة
 السحرة كأنه قيل فماذا قالوا له عند مجيئهم آياه فقيل قالوا مدلين بما عندهم واثقين بغيرتهم (ان انسا لاجرا
 ان كئنا نحن الغالبين) بطريق الاخبار بثبوت الاجر واجبا به كأنهم قالوا لا بد لنا من أجر عظيم حينئذ
 أو بطريق الاستفهام التقريرى بحذف الهمزة وقرئ بآياتها وقولهم ان كنا لجهردعين منا ثبوت الاجر
 لا لثردهم في الغلبة وتوسيط النعيم وتعطية الخبر باللام للتصريح أى ان كئنا نحن الغالبين لاموسى (قال نعم)
 وقوله تعالى (وانهم لمن المقترين) عطف على محذوف سدمه حرف الايجاب كأنه قال ان لكم لاجرا
 وانكم مع ذلك لمن المقترين بين لامبالغة في الترغيب • روى أنه قال لهم تكونون اول من يدخل مجلى وأخر من
 يخرج منه (قالوا) استئناف كما مر كأنه قيل فماذا فعلوا بعد ذلك فقيل قالوا متصددين لشأنهم بخاطبين
 لموسى عليه السلام (يا موسى انما أن تلقى) ما تلقى أولا (واما ان تكون نحن الملقين) أى لما تلقى أولا
 أو القاطنين للالقاء أو لاخبروه عليه السلام بالبداهة بالالقاء مراعاة للادب واظهار العبودية وأنه لا يختلف حالهم
 بالتقديم والتأخير ولكن كانت رغبتهم في التقديم كما ينبغي عنه تغييرهم للنظم بتعريف الخبر وتوسيط ضمير الفصل
 وتأن كيد الضمير المتصل (قالوا) غير مبال بأمرهم أى ألقوا ما تلقون (فلم ألقوا) ما ألقوا
 (سحروا عين الناس) بأن خيلوا اليهم ما لا حقيقة له (واسترهواهم) أى بالغوا في اربابهم (وجاءوا بسحر
 عظيم) في بابه روى أنهم ألقوا احبالا غلاظا وخشبيا طوالا كأنها حيات ملأت الوادى وركب بعضها

بعضا (وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون) الفاء فصيحة أى فألقها فصارت
حية فاذا هي الآية وانما حذف للاشعار بمسارعة موسى عليه السلام الى الالتقاء وبغاية سرعة الانقلاب كأن
لقفها ما يأفكون قد حصل متصلا بالامر بالالتقاء وصيغة المضارع لاستحضار صورة التلف المائلة والافك
الصرف والتلب عن الوجه المعتاد وما موصولة أو موصوفة والعائد محذوف أى ما يأفك كونه ويرتدونه
أو مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المنعول روى أنهم لما تلتفت ملء الوادى من الحشب والحبال ورفعها موسى
فرجعت عصا كما كانت وأعدم الله تعالى بقدرته الباهرة تلك الاجرام العظام أو فرقتها اجزاء لطيفة قالت
السحرة لو كان هذا صبرا لبقيت حبالنا وعصينا (فوقع الحق) أى قضت لظهور أمره (وبطل ما كانوا يعملون)
أى ظهر بطلان ما كانوا مستمسين على عمله (فقلوبوا) أى فرعون وقومه (هنالك) أى فى مجلسهم (وانقلبوا
صاغرين) أى صاروا أذلا مبهوتين أو رجعوا الى المدينة أذلا مقهورين والاول هو الظاهر لقوله تعالى
(والقى السحرة ساجدين) فان ذلك كان بمجرد من فرعون قطع أى خروا سجدا كأنما ألقاهم ملق
لشدة خروهم كيف لا وقد هم لهم الحق واضطرهم الى ذلك (قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون)
أبدلوا الثانى من الاول لئلا يتوههم أن مرادهم فرعون عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال لما آمنت السحرة
اتبع موسى من بنى اسرائيل ستمائة ألف (قال فرعون) منكر اعالى السحرة ومو بخالهم على ما فعلوه (آمنت به)
بهمزة واحدة اتماعا على الاخبار المحض المتضمن للتو ميخ أو على الاستفهام التوبيخي بحذف الهمزة كما مر
فى ان لنا اجرا وقد قرئ بتحقيق الهمزتين معا وبحقيق الاولى وتسهيل الثانية بين بين أى آمنت بالله تعالى
(قبل أن أذن لكم) أى بغبر أن أذن لكم كفى قوله تعالى لنفدا البحر قبل أن تنفد كلمات ربي لا أن الأذن منه
يمكن فى ذلك (ان هذا لكم مكرهم) يعنى ان ما صنعتوه ليس مما اقتضى الحال صدوره عنكم اقوة الدليل
وظهور المعجزة بل هو حيلة احتلتوها مع مو اطاعة موسى (فى المدينة) يعنى مصر قبل أن تخرجوا الى الميعاد
روى أن موسى عليه الصلاة والسلام وأمير السحرة التقيا فقال له موسى أرايتك ان غلبتك أنؤمن بى وتشهد
أن ما جئت به الحق فقال الساحر والله لئن غلبتني لاؤمن بك وفرعون يسمعهما وهو الذى نشأ عنه هذا القول
(تخرجوا من أهلها) أى القبط وتخلص هي لت وبنى اسرائيل وهاتان شبهتان ألقاهما الى أسمعاع عوام القبط
عند ما ينتهم لارتفاع أعلام المعجزة ومشاهدتهم لخضوع أعناق السحرة لها وعدم تمالكهم من أن يؤذوا بها
ليمنعهم بهما عن الايمان بنبوته موسى عليه الصلاة والسلام بإراءة أن ايمان السحرة مبنى على الموازنة بينهم
وبين موسى وأن غرضهم بذلك اخراج القوم من المدينة وابطال ملكهم ومعلوم أن مفارقة الاوطان المألوفة
والنعمة المعروفة مما لا يطاق به فجمع اللعين بين الشبهتين تشبيها للقبط على ما هم عليه وتهيجا لعداوتهم له عليه
الصلاة والسلام ثم عقبه بما بالو عيديليرهم أن له قوة وقدرة على المداغة فقال (سوف تعلمون) أى عاقبة
ما فعلتم وهذا عيذ سابقه بطريق الاجمال للتهويل ثم عقبه بالتفصيل فقال (لاقطعن أيديكم وأرجلكم من
خلاف) أى من كل شق طرفا (ثم لاصلبنكم أجمعين) تنصيحكم وتذكيرا لآمالكم قيل هو أول من سن ذلك
فسرع الله تعالى لقطاع الطريق تعظيما لجرمهم ولذلك سماه الله تعالى محاربة لله ورسوله (قالوا) استئناف
مسوق للجواب عن سؤال ينساق اليه الذهن كأنه قيل فاذا قال السحرة عندما سمعوا عيذ فرعون هل تأثروا به
أو تصلبوا فيما هم فيه من الدين فقتل قالوا ثابتن على ما أعددنا من الايمان (انا الى ربنا منقلبون) أى
بالموت لا محالة فسواء كان ذلك من قبل أو لا فلا يأتى بوعيدك أو انا الى رحمة ربنا ونوابه منقلبون ان فعلت بنا
ذلك كأنهم استطابوا مشغفا على لقاء الله تعالى أو انا جميعا الى ربنا منقلبون فيحكم بيننا وبينك (وما ننقم منا)
أى وما ننكر وتعييب منا (الآن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا) وهو خبر الاعمال وأصل المفاخر ليس مما يأتى
لنا العدول عنه طلبا لمرضايتك ثم أعرضوا عن مخاطبته اظهار المافى قلوبهم من العزيمة على ما قالوا وتقرير الاله
ففرعوا الى الله عز وجل وقالوا (ربنا أفرغ علينا صبرا) أى أفض علينا من الصبر ما يغمرنا كما يغمر الماء
أو صب علينا ما يطهرنا من أوضار الاوزار وأدناس الاثام وهو الصبر على وعيد فرعون (وتوفنا مسلمين)
ثابتن على ما رزقنا من الاسلام غير منتوين من الوعيد قيل فعلهم ما أوعدهم به وقيل لم يقدر عليه لقوله تعالى
آتمنا ومن اتبعكم الضالون (وقال الملا من قوم فرعون) مخاطبين له بعد ما شاهدوا من أمر موسى عليه

السلام (أنذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض) أي في أرض مصر بتغيير الناس عليك وصرفهم عن متابعتك (ويذكرك) عطف على يفسدوا وأجواب الاستفهام بالواو كما في قول الخطيب

ألم ألك بأمرهم ويكون بيني وبينكم المودة والائمان

أي ليكون منك ترك موسى ويكون تركه إليك وقرئ بالرفع عطفا على أنذر أو استئنفا أو حالا وقرئ بالسكون كأنه قيل يفسدوا ويذكرك كقوله تعالى فأصطفى وأكن (والله بك) ومعبوداتك قيل أنه كان يعبد الكواكب وقيل صنع اقنومه أصناما وأمرهم بأن يعبدوها تنزيها باليه ولذلك قال أماربكم الأعلى وقرئ والهيك أي عبادتك (قال) مجيبا لهم (سنقتل أبنائهم ونسحق نساءهم) كما صكنا فعل بهم ذلك من قبل لم يعلم أناعلى ما كاعليه من التهور والغلبة ولا يتوهم أنه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة يذهب ملكا على يديه وقرئ سنقتل بالتخفيف (وأنا فوقهم قاهرون) كما كنا لم نغير حالنا أصلا وهم مقهورون تحت أيدينا كذلك (قال موسى لقومه) تسليتهم وعدة بحسن العاقبة حين سمعوا قول فرعون وتضرعوا منه (استعينوا بالله واصبروا) على ما هم من أقاويله الباطلة (إن الأرض لله) أي أرض مصر وأجنس الأرض وهي داخله فيها دخولا أوليا (يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) الذين أنتم منهم وفيه إيدان بأن الاستعانة بالله تعالى والصبر من باب التقوى وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم إن (قالوا) أي بنو إسرائيل (أؤذينا) أي من جهة فرعون (من قبل أن تأتينا) أي بالرسالة يعنون بذلك قتل أبنائهم قبل مولد موسى عليه الصلاة والسلام وبعده (ومن بعد ما جئنا) أي رسولا يعنون به ما توقعدهم به من إعادة قتل الأبناء وسائر ما كان يفعل بهم لعداوة موسى عليه السلام من فنون الجور والظلم والعذاب وأما ما كانوا يستعبدون به ويمتنعون فيه من أنواع الخدم والمهن كما قيل فليس مما يلحقهم بواسطته عليه السلام فليس لذكره كثير ملازمة بالمقام (قال) أي موسى عليه الصلاة والسلام لما رأى شدة جرحهم مما شاهدوه مسليا لهم بالتصريح على التوح به في قوله إن الأرض لله الخ (عسى ربكم أن يهلك عدوكم) الذي فعل بكم ما فعل وتوعدكم بأعدائه (وبستخلفكم في الأرض) أي يجعلكم خلفاء في أرض مصر (فبما طر كيف تعملون) أحسنأ قبيحا فيجازيكم حسبا يظهر منكم من الأعمال وفيه تأكيد لتسليته وتحقيق للامر قيل لعل الاتيان بفعل الطمع لعدم الجزم منه عليه السلام بأنهم هم المستخلفون بأعيانهم أو أولادهم فتدروى أن مصر انما فتحت في زمن داود عليه السلام ولا بساعده قوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها فان المتبادر استخلاف أنفس المستضعفين لاستخلاف أولادهم وانما مجي فعل الطمع للجري على سنن الكبرياء (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) شروع في تفصيل مبادئ الهلاك الموعود وايدان بأنه تعالى لم يهلكهم بعد ذلك ولم يكونوا في خفض ودعة بل رتب أسباب هلاكهم فتقولوا من حال الى حال إلى أن حل بهم عذاب الاستئصال وتصدير الجمل بالقسم لاظهار الاعتناء بمنعوتها والسنون جمع سنة والمراد به عام القحط وفيه الغستان أشهرهم الجراؤها مجرى المذكر السالم فيرفع بالواو وينصب ويجز بالياء ويحذف نونه بالاضافة واللغة الشامية اجراء الاعراب على النون ولكن مع الياء خاصة أاما بانيات تنوينها أو يحذفه قال الفراء هي في هذه اللغة مصروفة عند بني عامر وغير مصروفة عند بني غنم ووجه حذف التنوين التخفيف وحذف التنوين للاضافة وعلى ذلك جاء قول الشاعر

دعاني من نجد فان سنيته لعين بشاشيبا وشيبنا مردا

وجاء الحديث اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف وسنينا كسني يوسف باللغتين (ونقص من الثمرات) بأصاية العاهات عن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل الخلة الاخرة قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أما السنون فكانت ابياديتهم وأهل ماشيتهم وأما نقص الثمرات فكان في أمصارهم (لعلهم يذكرون) كي يذكروا ويعتظوا بذلك ويقضوا على أن ذلك لاجل معاصيهم وينجزوا عما هم عليه من العتو والعناد قال الزجاج إن أحوال الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله عز وجل وفي الرجوع اليه تعالى ألا يرى الى قوله تعالى واذا مسه الشر فذود دعاء عريض وقد مر تحقيق القول في لعل وفي محلها في تفسير قوله تعالى لعلكم تتقون في أوائل سورة البقرة وقوله تعالى (فأذا جاءتهم الحسنة) الخ يبين لعدم تذكرهم وتعاديتهم في التي

أى فإذا جاءتهم الساعة والخصب وغيرهما من الخيرات (قالوا نشاهده) أى لا بد لنا واستحقاقنا لها (وان
 نصهم سبيته) أى جدد وبلاء (يطيروا موسى ومن معه) أى يشاءوا بهم ويقولوا ما أصابنا إلا بشؤمهم
 وهذا كما ترى شاهد بكل قسوة قلوبهم ونهاية جهلهم وغباوتهم فإن الشدائد ترقق القلوب وتلين العرائك
 لاسيما بعد مشاهدة الآيات وقد كانوا بحيث لم يؤثر فيهم شئ مما بل ازدادوا عتوا وعنادا وتعريف الحسنة
 وذكرها بأداة التحقيق للإيدان بكثرة وقوعها وتعلق الإرادة بها بالذات كما أن تكثير السبب وإيرادها بحرف
 الشك للإشعار بحدرة وقوعها وعدم تعلق الإرادة بها إلا بالعرض وقوله تعالى (الانما طائرتهم عند الله)
 استئناف مسوق من قبله تعالى لرد مقالهم الباطلة وتحقيق الحق في ذلك وتصديره بكلمة التنبيه لابرار كمال
 العناية بضمونه أى ليس سبب خيرهم إلا عنده تعالى وهو حكمه ومشتته المتفتنة للحكم والمصالح وأليس سبب
 شؤمهم وهو أعمالهم السيئة إلا عنده تعالى أى مكتوبة لديه فأنها التي ساقته اليهم ما يسوؤهم لا ما عداها
 وقرئ انما طيرهم وهو اسم جمع طائر وقيل جمع له (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك فيقولون ما يقولون مما
 حكى عنهم واستناد عدم العلم إلى أكثرهم للإشعار بأن بعضهم يعلمون أن ما أصابهم من الخير والشر من
 جهة الله تعالى أو يعلمون أن ما أصابهم من المصائب والبلاء ليس إلا بما كسبت أيديهم ولكن لا يعلمون
 بمقتضاه عناد واستكبارا (وقالوا) شروع في بيان بعض آحما أخذ به آل فرعون من فتون العذاب
 التي هي في أنفسها آيات بينات وعدم إرعائها مع ذلك عما كانوا عليه من الكفر والعناد أى قالوا بعد
 مارأوا مارأوا من شأن العصا والسنين ونقص الثروات (مهماتنا تنابه) كلمة مهمات تستعمل للشرط
 والجزاء وأصلاهما ما للجزائية نعمت اليها ما المازيدة للتأكييد كما نعمت إلى أين وان في أيها تكونوا واتما
 نذهب بك خلا أن الف الأولى قلبت هاء حذرا من تكرير المتجانسين هذا هو الرأى السديد وقيل مع كلمة
 يصوت بها الناهي نعمت اليها ما الشرطية وشغلها الرفع بالابتداء والتصب بفعل يفسره ما بعدها أى شئ
 تظهره لدينا وقوله تعالى (من آية) بيان لهم ما نصيبتهم أيها آية لجاراتهم على رأى موسى عليه السلام
 واستمرزاتهمهم والاشعار بأن عنوان ككونها آية لا يؤثر فيهم وقوله تعالى (لتسخرنا بها) اظهارا لكل
 الطغيان والغلوفية وتسمية للإرشاد إلى الحق بالنص وتكثير الإيضاح والضميران الجروان راجعان إلى مهما
 وتذكيرا لاول المرعاة جانب اللفظ لاجتماعه وتأييد الشان للحافظة على جانب المعنى لتبيينه بآية كما في قوله
 تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا يحسبها وما يحسب فلا مرسل له (فما نحن لك بمؤمنين) بمصدقين لك
 ومؤمنين لتبوتك (فأرسلنا عليهم) عقوبة لجراتهم لاسيما القولهم هذا (الظوفان) أى الماء الذى طاف
 بهم وغشى أمانا ككنهم وحروثهم من مطر أو سيل وقيل هو الجسدرى وقيل الموتان وقيل الطاعون
 (والجراد والقمل) قبل هو كرا القردان وقيل أولاد الجراد قبل نبات أجنتها (والضفادع والدم) روى
 أنهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة لا يستطيع أن يخرج أحد من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه
 إلى تراقيهم ولم يدخل بيوت بني إسرائيل منه قطرة وهي في خلال بيوتهم وقاض الماء على أرضهم وركد فنعهم
 من الحارث والتصرف ودام ذلك سبعة أيام فقلوا له عليه الصلاة والسلام ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن
 نؤمن بك فدعا فكشف عنهم فثبت من العشب والكلام لم يمهده قبله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فأكل
 زروعهم وغمارهم وأبوابهم وسقوفهم وثيابهم ففزعوا إليه عليه الصلاة والسلام لما ذكر فخرج إلى العمراء
 وأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت إلى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله تعالى عليهم القمل
 فأكل ما أبقت الجراد وكان يقع في أطعمتهم ويدخل بين ثيابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا إليه ثالثا فرفع عنهم
 فقالوا قد تحققتنا الآن أنك ساحر ثم أرسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام إلا وجدت فيه
 وكما أنت تتلى منها مضاجعهم وتنب إلى قدورهم وهي تغلى وإلى أفواههم عند التكلم ففزعوا إليه رابعا
 وتضرعوا فأخذ عليهم العهود فدعا فكشف الله عنهم ففزعوا العهد فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياههم
 دما حتى كان يجتمع القبطى والامراتيلى على أناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسراتيلى ماء على خاله ويعص
 من فم الاسراتيلى فيصير دما في فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف (آيات) حال من المنصوبات المذكورة

(مفصلات) مبيّنات لا يشك على عاقل أنّها آيات الله تعالى ونقمة وقيل مفترقات بعضها من بعض لا متصّات
أحوالهم وكان بين كل آيتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة منها أسبوعاً وقيل أنه عليه السلام لبث
فيهم بعد ما غلب الصخرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل (فاستكبروا) أي عن الإيمان بها
(وكانوا قوماً مجرمين) بجلّة معترضة مقترنة لمضمون ما قبلها (ولما وقع عليهم الرجز) أي العذاب المذكور
على التفصيل فاللام للجنس المنتظم لكل واحدة من الآيات المفصلة أي كلما وقع عليهم عقوبة من تلك العقوبات
قالوا في كل مرة (يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) أي بعهد عندك وهو النبوة أو بالذي عهد
اليك أن تدعوه فيجيبك كما جابك في آياتك وهو صلة لادع أو سال من الضمير فيه يعني ادع الله متوسلاً إليه
بما عهد عندك أو متعلق بمخدوف دل عليه التماسهم مثل أسعفنا إلى ما نطلب بحق ما عندك أو قسم أجيب بقوله
تعالى (لئن كشفت عنا الرجز) الذي وقع علينا (لنؤمننّ لك ولنرسلنّ معك بنى إسرائيل) أي أقسمنا بعهد
الله عندك لنزكشفت الخ (فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالقره) أي إلى حد من الزمان هم بالقوه
فعدّون بعده أو مهلكون (إذا هم ينكتون) جواب لما أي فلما كشفنا عنهم فاجزأ النكت من خبر تارة
وتوقف (فانتقمنا منهم) أي فأردنا أن نتقم منهم لما أسلفوا من المعاصي والجرائم فان قوله تعالى (فأغرقناهم)
عين الانتقام منهم فلا يصح دخول الفاء بينهما ويجوز أن يكون المراد مطلق الانتقام منهم والفاء
تفسيرية كما في قوله تعالى ونادي نوح ربه فقال رب الخ (في اليم) في البحر الذي لا يدرك قره وقيل في بلته
(بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) فاعل للأغرق أي كان أغرقهم بسبب تكذيبهم بآيات الله
تعالى وأعراضهم عنها وعدم تفكيرهم فيها بحيث صاروا كالغافلين عنها بالكناية والفاء وإن دلت على ترتب
الغرق على ما قبله من النكت لكنه صرح بالتعليل إذا ما بأن مدار جميع ذلك تكذيب آيات الله تعالى
والأعراض عنها ليكون ذلك منجزة للسامعين عن تكذيب الآيات الظاهرة على يد رسول الله صلى الله عليه
وسلم والأعراض عنها (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) أي بالاستعباد وذبح الأبناء والجمع بين
صبيغى الماضى والمستقبل للدلالة على استمرار الاستضعاف وتجدده وهم بنو إسرائيل ذكروا بهذا العنوان
أظهرا الكمال لطفه تعالى بهم وعظيم احسانه اليهم في رفعهم من حضيض المذلة إلى أوج العزة (مشارك
الأرض ومغاربها) أي جانبيها الشرق والغرب حيث ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة والعمالة
وتصرّ فوائى أحكناهما الشرقية والغربية كيف شاؤا وقوله تعالى (التي باركنا فيها) أي بالخصب وسعة
الأرزاق صفة للمشارك والمغارب وقيل للأرض وفيه ضعف للفصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف كافى
قولك قام أم هند وأبوها العاقلة (وعت كلمة ربك الحسن) وهى وعدة تعالى إياهم بالنصر والتكفين كما ينبت
عنه قوله تعالى وتريد أن غنّ على الذين استضعفوا في الأرض وتجعلهم أئمة وتجعلهم الوارثين وقسرى كلمات
لتعدّد المواعيد ومعنى تمت مضت واستمرت (على بنى إسرائيل بما صبروا) أي بسبب صبرهم على الشدائد
التي كابدوها من جهة فرعون وقومه (ودعّرنا) أي خزّنا وأهلكنا (ما كان يصنع فرعون وقومه) من
العمارات والقصور رأى ودعّرنا الذي كان فرعون يصنعه على أن فرعون اسم كان يصنع خبر مقدم والجملة
الكونية صلة ما واء العائد محذوف وقيل اسم كان ضمير عائد إلى ما الموصولة ويصنع مسند إلى فرعون
والجملة خبر كان والعائد محذوف أيضاً والتقدير ودعّرنا الذي كان هو يصنعه فرعون الخ وقيل كان زائدة
وما مصدرية والتقدير ما يصنع فرعون الخ وقيل كان زائدة كاذكروا موصولة اسمية والعائد محذوف
تقديره ودعّرنا الذي يصنعه فرعون الخ أي صنعه والعدول إلى صيغة المضارع على هذين القولين
لاستحضار الصورة (وما كانوا يعرشون) من الجنات أو ما كانوا يرفعونه من البنيان كصرح هامان
وقرى يعرشون بضم الراء والكسر أقصع وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله عز وجل (وجاوزنا بين
إسرائيل البحر) شروع في قصة بنى إسرائيل وشرح ما أحدثوه من الأمور الشنيعة بعد أن أنقذهم الله عز
وجل من ملكة فرعون ومن عليهم من النعم العظام الموجبة للشكر وأراهم من الآيات الكبار ما تحفّز له صم
الجبّال تسليّة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإيقاظاً للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة أنفسهم ومراقبة

أحوالهم وجاز بمعنى جاز وقرئ جواز بالتشديد وهو أيضا بمعنى جاز فعدى بالياء أى قطع عنايتهم البحر
 روى أنه عبر بهم موسى عليه السلام يوم عاشوراء بعد ما أهلك الله تعالى فرعون فصاموه شكرا لله عز
 وجل (فأتوا) أى مزوا (على قوم) قيل كانوا من ندم وقبل من العدا لمة الكنعانيين الذين أمر موسى
 عليه السلام بقتلهم (بعكفون على أصنامهم) أى يواظبون على عبادتها ويلزمونها وقرئ بكسر
 الكاف قال ابن جرير كانت أصنامهم تماثيل بقروها وأول شأن الجبل (قالوا) عند ما شاهدوا أحوالهم
 (يا موسى اجعل لنا إلهة) مثالا نعبد (كألهم إلهة) الكاف متعلقة بمحذوف وقع صفة لآلهها وما موصولة
 وأهم صلتها وإلهة بدل من ما والتقدير اجعل لنا إلهة كأننا كالذى استقرز هولهم (قال أنكم قوم تجهلون)
 تعجب عليه السلام من قولهم هذا أتر ما شاهدوا من الآيات الكبرى والمعجزة العظمى فوصفهم بالجبل المطلق
 اذ لا جهل أعظم مما ظهر منهم وأكد بقوله (أن هؤلاء) يعنى القوم الذين يعبدون تلك التماثيل (متبر)
 أى مدتم كسر (ما هم فيه) أى من الدين الباطل أى يتر الله تعالى ويهدم دينهم الذى هم عليه عن قريب
 ويحطم أصنامهم ويتركها راضا وانحاسى بالجملة الاسمية للدلالة على التصق (وباطل) أى مضعل
 بالكلية (ما كانوا يعملون) من عبادتها وان كان قصدهم بذلك التقرب الى الله تعالى فإنه كفر محض وليس
 هذا كما فى قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كما توهم فإن المراد به أعمال البر التى عملوها
 فى الجاهلية فإنها فى أنفسها حسنة لو فارت الايمان لاستبعت أجورها وانما بطلت لمقارنتها الكفر
 وفى ايقاع هؤلاء اسمالات وتقديم الخبر من الجملة الواقعة خبرها وهم لعبدية الاصنام بأنهم هم المعترضون
 للتبار وأنه لا يعدوهم البتة وأنه لهم ضرب من لاذب يحذرهم عاقبة ما طلبوا ويغض اليهم ما أحبوا (قال أغير الله
 أبعيكم إلهة) شروع فى بيان شؤن الله تعالى الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى بعد بيان أن ما طلبوا
 عبادته مما لا يمكن طابعه أصلا لكونه هالكاباطلا ولذلك وسط بينه ما قال مع كون كل منهما كلام موسى عليه
 الصلاة والسلام والاستفهام للانكار والتعجب والتوبيخ وادخال الهمة على غير لادان بأن المنكر هو كون
 المبتنى غير تعالى لما أنه لا اختصاص الانكار بغيره تعالى دون انكار الاختصاص بغيره تعالى واتصاب غير
 على أنه مفعول أبغى محذوف اللام أى أبغى لكم أى أطاب لكم غير الله تعالى وإلهها ما تغيز أو حال أو على
 الحالية من إلهها وهو المفعول لا ببق على أن الأصل أبغى لكم إله غير الله تعالى وإلهها ما تغيز أو حال أو على
 النكرة انتصبت حالا (وهو فضلكم على العالمين) أى والحال أنه تعالى خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تبيين
 على ما صنعوا من سوء المعاملة حيث قابلوا تخصيص الله تعالى إياهم من بين أمثالهم بما لم يستحقوه تفضيلا
 بأن عمدوا الى أخس شئ من مخلوقاته تعالى فجعلوه شريكا له تعالى تسألهم ولما يعبدون (واذا نجيناكم)
 تذكير لهم من جهته سبحانه بنعمة الانجاء من ملكة فرعون وقرئ نجيناكم من التنجية وقرئ أنجاءكم فيكون
 موقفا من جهة موسى عليه الصلاة والسلام أى واذا كروا وقت انجاءنا إياكم (من آل فرعون) من
 ملكتهم لا بترد تخليصكم من أيديهم وهم على حالهم فى المكنة والقدرة بل بإدلاكهم بالكلية وقوله تعالى
 (يسوءونكم سوء العذاب) من سامه خسفاً أى أولاء إياه أو كلفه إياه وهو انما استثناف لبيان ما أنجى إلههم
 منه أو حال من المخاطبين أو من آل فرعون أو منهما معا لا شتمه على ضميرهما وقوله تعالى (يقتلون أبناءكم
 ويستحيون نساءكم) بدل من يسوءونكم مبين أو مفسر له (وفى ذلكم) الانجاء أو سوء العذاب (بلا)
 أى نعمة أو محنة (من ربكم) من مالك أمركم فإن النعمة والتعظيم كلهاهما منه سبحانه وتعالى (عظيم)
 لا يتأدر قدره (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) روى أن موسى عليه السلام وعد بنى إسرائيل وهم عصران
 إله الله عدوهم أن إلههم بكتاب فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى عليه السلام ربه
 الكتاب فأمره بصوم ثلاثين يوما وهو شهر ردى القعدة فلما أتم الثلاثين أنكر خلوف فيه فتسول فقالت الملائكة
 كأنهم من فيك رائحة المسك فأفسدت به بالسواك وقيل أوحى الله تعالى إليه أما علمت أن ريح قم الصائم أطيب
 عندى من ريح المسك فأمره الله تعالى بأن يزيد عليهم عشرة أيام من ذى الحجة لذلك وذلك قوله تعالى
 (وأغمسناها بعشر) والتعبير عنها بالليالى لأنها غرر الشهور وقيل أمره الله تعالى بأن يصوم ثلاثين يوما

وأن يعمل فيها بما يقربه من الله تعالى ثم أنزلت عليه التوراة في العشر وكلم فيها وقد أجعل ذكر الأربعين في
سورة البقرة وفصل ههنا وواعدنا بني وعدا وقد قرئ كذلك وقيل الصيغة على باب ياء على تنزيل قبول
موسى عليه السلام منزلة الوعد وثلاثين مفعول ثان لواعدنا بحذف المضاف أي اتمام ثلاثين ليلة (فتم سميات
ربه أربعين ليلة) أي بالغاً أربعين ليلة (وقال موسى ل أخيه هرون) حين توجه إلى المناسجة حسب ما أمر به
(اخلفني) أي كن خلفي (في قومي) وراقبهم فيما يأتون وما يذرون (وأصلح) ما يحتاج إلى الإصلاح
من أمورهم أو كن مصلحاً (ولا تتبع سبيل المفسدين) أي لا تتبع من سلك الفساد ولا تطع من دعاك إليه
(ولما جاء موسى لميقاتنا) لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص أي اختص بميقاتنا (وكله ربه) من غير
واسطة كما يكلم الملائكة عليهم السلام وفيما روى أنه عليه الصلاة والسلام كان يسمع ذلك من كل جهة تنبيه على
أن سماع كلامه عز وجل ليس من جنس سماع كلام المحدثين (قال رب أرني انظر اليك) أي أرني ذاك بأن
تمكنني من رؤيتك أو فتجلي لي فأنتظر اليك وأرأله وهو دليل على أن رؤيته تعالى جائزة في الجملة لما أن طلب
المستحيل مستحيل من الأنبياء لا سيما ما يقتضي الجهل بشؤون الله تعالى ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن أرى
ولن أريك ولن تنظر إلى تنبيهها على أنه قاصر عن رؤيته لزوقها على معدني الرأي ولم يوجد فيه ذلك بعد وجعل
السؤال لتبكيته قومه الذين قالوا أرنا الله جهوراً خطأ إذ لو كانت الرؤية بمنزلة لوجب أن يجهلهم ويرى شبههم
كما فعل ذلك حين قالوا اجعل لنا آياتاً وأن لا يتبع سبيلهم كما قال ل أخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال
بالجواب على استحالتها أشد خطأ إذ لا يدل الأخبار بعدم رؤيته آياه على أنه لا يراه أبداً وأن لا يراه غيره أصلاً
فضلا عن أن يدل على استحالتها ودعوى الضرورة مكابرة أو جهل بحقيقة الرؤية (قال) استئناف مبني على
سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فماذا قال رب العزة حين قال موسى عليه السلام ما قال قيل قال (لن تراني
و لكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني) استند إلى البيان أنه لا يطيق بها وفي تعليقه بالاستقرار
الجبل أيضاً دليل على الجواز ضرورة أن المعلق بالممكن ممكن والجبل قيل هو جبل أوردن (فلما تجي ربه للجبل)
أي ظهرت له عظمته وتصدى له اقتداره وأمره وقيل أعطى الجبل حياة ورؤية حتى رآه (جعله دكا) مدكوكاً
فتنتا والدكا والدق أخوان كالك وكال الشق وقرئ دكا أي أرضاً مستوية ومنه ناقة دكا لتي لا سنام لها وقرئ
دكا جمع دكا أي قطعاً (وخر موسى صعقا) مفسداً عليه من هول ما رآه (فلما أفاق) الإفاقة رجوع العقل
والفهم إلى الإنسان بعد ذهابه ما بسبب من الأسباب (قال) تعظيماً لما شاهده (سبحانك) أي تنزيهاً
لك من أن أسألت شيئاً بغير إذن منك (ثبت اليك) أي من الجراءة والأقدام على السؤال بغير إذن (وأنأول
المؤمنين) أي بعظمتك وجلالك وقيل أول من آمن بأنك لا ترى في الدنيا وقيل بأنه لا يجوز السؤال بغير إذن
منك (قال يا موسى) استئناف مسوق لتسليته عليه الصلاة والسلام من عدم الإجابة إلى سؤال الرؤية كأنه
قيل إن منعك الرؤية فقد أعطيتك من النعم العظام ما لم أعط أحد من العالمين فأغنتها وثار على شكرها
(أني اصطفتك) أي اخترتك واتخذتك صفوة وآثرتك (على الناس) أي المعاصرين لك وهرون وإن كان
نبياً كان مأموراً باتباعه وما كان كليماً ولا صاحب شرع (برسالاتي) أي بأسفار التوراة وقرئ برسالتني
(وبكلامي) وبكلامي بالذيفير واسطة (نقدما آيتك) أي أعطيتك من شرف النبوة والحكمة (وكن
من الشاكرين) على ما أعطيت من جلال النعم قيل كان سؤال الرؤية يوم عرفة وإعطاء التوراة يوم النحر
(وكتبنا له في الألواح من كل شيء) أي عما يحتاجون إليه من أموريهم (موعظة وتفصيلاً لكل شيء) بدل
من الجار والجرور أي كتبنا له كل شيء من المواعظ وتفصيل الأحكام واختلف في عدد الألواح وفي جوهرها
ومقدارها فقيل أنها كانت عشرة ألواح وقيل سبعة وقيل لوحين وإنما كانت من زمردة جارية جارية عليه
السلام وقيل من زبرجدة خضراء أو باقوتة خضراء وقيل أمر الله تعالى موسى بقطعها من صخرة صماء لينهاه
فقطعهما بيده وشققها بأصابعه وعن الحسن رضي الله عنه كانت من خشب نزلت من السماء فيها التوراة
وأن طواها كان عشرة أذرع وقيل أنزلت التوراة وهي سبعون وقرء بغير قرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها
الأربعة نفر موسى ويوشع وعزير وهيسي عليهم السلام وعن مقاتل رضي الله عنه كتب في الألواح أني أنا الله

الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تزفوا ولا تعفوا والوالدين (تخذهما) على الضمار
قول معطوف على كتيبتنا أي فقلنا خذها (بقوة) بجدة وعزيمة وقيل هو يدل من قوله تعالى فخذ ما آتيتك
والضمير للآلواح أو لكل شيء لأنه بمعنى الأشياء أو الرسالة أول التوراة (وأمر قومك ياخذوا بأحسنها)
أي بأحسن ما فيها كالعفو والصبر بالاضافة الى الاقتصاص والانتصار على طريقة الذنب والحث على اختيار
الافضل كما في قوله تعالى واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم أو بواجباتها فانها أحسن من المباح وقيل
المعنى ياخذوا بها وأحسن ضلته قال قطرب أي بحسنها وكلها حسن كقوله تعالى ولذكر الله أكبر وقيل هو
أن تحمل الحكمة المحققة للمعتنين أو ليعان على أشبه محتملاتها بالحق وأقربها الى الصواب (سأريكم
دارا فاسقين) تلويح للخطاب وتوجيه له الى قومه عليه الصلاة والسلام بطريق الالتفات حملا لهم على الجدة
في الامتنال بما أمروا به اتماعا على نهي الوعيد والترهيب على أن المراد بدار الفاسقين أرض مصر وديار عاد
وعود وأشراهم فان رقيتها وهي خالية عن أهلها خالية على عروشها موحية للاعتبار والانذار عن مثل
أعمال أهلها كيلا يحل بهم ما حل بأولئك واما على نهي الوعيد والترهيب على أن المراد بدار الفاسقين
أما أرض مصر خاصة أو مع أرض الجبارة والعمالة بالشام فنهى أيضا عما أتبع ابن اسرائيل وكتب لهم
حسما ينطبق به قوله عز وجل يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ومعنى الارادة الادخال
بطريق الايراد ويؤيده قراءة من قرأ أسأروا نكسكم بالنساء الثلاثة كما في قوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا
يسفكون دماءكم مشارق الارض ومغاربها وقرئ أسأروا نكسكم ولعله من أورث الزند أي سألني بالكم وقوله تعالى
(سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض) استئناف مسوق لتحذيرهم عن التكبر الموجب لعدم التفكير
في الآيات التي هي ما كتب في ألواح التوراة من المواعظ والاحكام أو ما يعمرها وغيرها من الآيات التكوينية
التي من جملتها ما وعداراه من دار الفاسقين ومعنى صرفهم عنها الطبع على قلوبهم بحيث لا يكادون يفكرون
فيها ولا يعتبرون بها الامرارهم على ما هم عليه من التكبر والتجبر كقوله تعالى فلما زاغوا عن الله فلوهم وتقدم
الجار والجرور على المنعول الصريح لاطهار الاعضاء بالمقدمة والتشويق الى المؤخر مع أن في المؤخر نوع طول
يحل تقديمه بتجارب أطراف النظم الجليل أي سأطبع على قلوب الذين يعدون أنفسهم كبراء ويرون لهم على
الخلق مزية وفضلا فلا ينتفعون بآيات التنزيلية والتكوينية ولا يفتنون بمقام آثارها فلا تسلكوا مسلكهم
لتكونوا أمثالهم وقيل المعنى سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون في ابطال ما رآه من الآيات
فأبى الله تعالى الاحقاق الحق وازهاق الباطل وعلى هذا فالانسب أن يراد بدار الفاسقين أرض الجبارة
والعمالة المشهورين بالفسق والتكبر في الارض وبارائتهم للخطابين ادخالهم الشام واسكانهم في مساكنهم
وسأصرفهم عن آياتي قوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ويكون قوله تعالى
سأصرف عن آياتي الخ جوابا عن سؤال مقدرناسي من الوعد بدخول الشام على أن المراد بالآيات ما تلى
آنفا ونظائره وبصرفهم عنها الزالتم عن مقام معارضتها وممانعتها الوقوع أخبارها وظهور أحكامها وآثارها
بأهلها كهم على يد موسى عليه الصلاة والسلام حين سار بعد التيه بن بق من بني اسرائيل أو بذريأتهم على
اختلاف الروايتين الى أريحا ويوشع بن نون في مقدمته ففحصها واستقر بنو اسرائيل بالشام وملكوا مشارقها
ومغاربها كأنه قيل كيف يرون دارهم وهم فيها فقبل سألهم وأمناعا عدل الى الصرف ليزدادوا ثقة بالآيات
واطمانا بها وقوله تعالى (بغير الحق) اتمالة للتكبر أي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل وظلمهم
المفرط أو متعاقبهم ذوف هو حال من فاعله أي يتكبرون ملتبسين بغير الحق وقوله تعالى (وان يروا كل آية
لا يؤمنوا بها) عطف على يتكبرون داخل معه في حكم الاله والمراد بالآية آيات المنزلة فالمراد برقيتها ما شاهدتها
بسماعها أو ما يعمرها وغيرها من المعجزات فالمراد برقيتها ما طاق المشاهدة المنتظمة للسمع والابصار أي
وان يشاهدوا كل آية من الآيات لا يؤمنوا بها على عموم النفي لا على نفي الموم أي كفروا بكل واحدة منها
لعدم اجتلائهم اياها كما هي وهذا كما ترى يؤيد كون الصرف بمعنى الطبع وقوله تعالى (وان يروا سبيل الرشدا
لا يتخذوه سبيلا) عطف على ما قبله داخل في حكمه أي لا يتوجهون الى الحق ولا يسلكون سبيله أصلا لا سبيلا
الشيطنة عليهم ومطبووعينهم على الانحراف والزيغ وقرئ بفتحين وقرئ الرشاد ونلائتها لغات كالبسم

والسقم والسقام (وان يروا سبيل التي يتخذوه سبيلا) أى يختارونه لانفسهم مسلكا مستمرا لا يكادون يعدلون عنه لموافقة لاهوائهم الباطلة واقضائه بهم الى شهواتهم (ذلك) اشارة الى ما ذكر من تكبرهم وعدم ايمانهم بشئ من الآيات واعراضهم عن سبيل الرشاد وبقاهاهم التام الى سبيل التي وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (بانهم) أى حاصل بسبب أنهم (كذبوا باياتنا) الدالة على بطلان ما اتصفوا به من القبايح وعلى حقيقة أصدادها (وكانوا عنها غافلين) لا يفكرون فيها والالما فاعلوا ما فعلوا من الاباطيل ويجوز أن يكون اشارة الى ما ذكر من الصرف ولا يمنعها الاشعار بعلمية ما في حيز الصلة كيف لا وقد مر أن ذلك في قوله تعالى ذلك بما عصوا الآية يجوز أن يكون اشارة الى ضرب الذلة والمسكنة والبؤس بالغضب العظيم مع كون ذلك معللا بالكفر بايات الله صريحا وقيل محل اسم الاشارة النصب على المصدر أى ما صرف فهم ذلك الصرف بسبب تكذيبهم باياتنا وعظمتهم عنها (والذين كذبوا باياتنا ولفوا الآخرة) أى وبلغناهم الدار الآخرة اولقائهم ما وعده الله تعالى فى الآخرة من الجزاء ومحل الموصون الرفع على الابتداء وقوله تعالى (حبطت أعمالهم) خبره أى ظهر بطلان أعمالهم التي كانوا يعملوها من صلة الارحام وأغاثة الملهوفين ونحو ذلك أو حبطت بعد ما كانت مرجوة النفع على تقدير ايمانهم بها (هل يجوزون) أى لا يجوزون (الاما كانوا يعملون) أى الاجزاء ما كانوا يعملونه من الكفر والمعاصي (واتخذ قوم موسى من بعده) أى من بعده ذهابه الى الطور (من حلهم) متعلق باتخذ كالجار الاول لا اختلاف معهم ما فات الاول لا ابتداء والثاني للتبعيض أو للبيان أو الثاني متعلق بمحذوف وقع حالا عما بعده اذ لو تأخر لكان صفة له وازدادة الى الهم مع أنها كانت للقيط لادنى الملاينة حيث كانوا استعاروها من اربابهم فاقبل الفرق فبعيت في أيديهم واما أنهم لما كوهابها به الفرق فذلك منوط بملك بني اسرائيل غنائم القبط وهم مستأمنون فيما بينهم فلا يساعدهم قولهم حلنا أوزارنا من زينة القوم والحلى بضم الحاء وكسر اللام جمع حلى كندى وندى وقرئ بكسر الخاء بالاتباع كدى وقرئ حلهم على الافراد وقوله تعالى (عجلا) مفعول اتخذ أخر عن الجور والمأثم من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يجعل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقيل هو منعت الى اثنين بمعنى التصيير والمفعول الثاني محذوف أى الها وقوله تعالى (جسدا) بدل من عجلا أى جنة دارم ولحم أو جسدا من ذهب لا روح معه وقوله تعالى (له خوار) أى صوت يقرئ بالجم والهمزة وهو الصياح نعت لعجلا روى أن السامري لما صاغ العجل ألقى في فمه ترابا من أنف فرس جبريل عليه الصلاة والسلام وقد كان أخذه عند فلق البحر أو عند توجهه الى الطور فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح في جوفه فيصوت والانصب عما في سورة طه هو الاول وانما نسب اتخاذهم اليه وهو فعله اتمالا به واحده منهم واما لانهم رضوا به فكانهم هم فعلوه واما لان المراد بالاتخاذ اتخاذهم اياه اله الاصله واحداً (الم يروا أنه لا يكلمهم) استئناف مسوق لتقريبهم ونشنيهم وتركيب عقولهم فيما أقدموا عليه من المكر الذي هو اقتضاه اله أى الم يروا أنه ليس فيه شئ من أحكام الألوهية حيث لا يكلمهم (ولا يهديهم سبيلا) بوجه من الوجوه فكيف اتخذوه الها وقوله تعالى (اتخذوه) أى فعلوا ذلك (وكانوا ظالمين) أى واضعين للاشياء في غير موضعها فلم يكن هذا قول منكرف فعله والجمله اعتراض تذييل وتكرير اتخذوه لتثنية التشنيع وترتيب الاعتراض عليه (ولما سقط في أيديهم) أى ندموا على ما فعلوا غاية الندم فان ذلك كناية عنه لان النادم المتحسر يعض يده ثم يفتقر يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على البناء للفاعل بمعنى وقع العض فيها فاليد حية وقيل الزجاج معناه سقط الندم في أنفسهم اما بطريق الاستعارة بالكناية أو بطريق التمثيل (ورأوا أنهم قد ضلوا) باتخاذ العجل أى تبينوا بحيث يتقنوا بذلك حتى كانوا رؤى بأعينهم وتقدم ذكر ندمهم على هذه الرؤية مع كونه متأخرا عنها للمساورة الى بيانها والاشعار بغاية سرعته كأنه سابق على الرؤية (قالوا) والله (لئن لم يرجعنا ربنا) بانزال التوبة المكفرة (ويقرنا) ذنوبنا بالتجاوز عن خطيئتنا وتقدم الرحمة على المعفرة مع أن التولية حقها أن تقدم على التولية اتمالا للمساورة الى ما هو المقصود الاصلى واما لان المراد بالرحمة مطلق ارادة الخير بهم وهو مبدأ الانزال التوبة المكفرة لانهم واللام في لئن موطئة للقسم كما أشير اليه وفي قوله تعالى (انكروا من الخاسرين) بلواب القسم وما حكي عنهم من التدامة والرؤية والقول وان

كان بعد ما رجع موسى عليه الصلاة والسلام اليهم كما ينطق به الآيات الواردة في سورة طه لكن أريد بتقديمه
 عليه حكاية ما صدر عنهم من القول والفعل في موضع واحد (ولما رجع موسى الى قومه) شروع في بيان
 ما جرى من موسى عليه السلام بعد رجوعه من الميقات اثر بيان ما وقع من قومه بعده وقوله تعالى (عضبان
 اسفا) حالان من موسى عليه السلام أو الثاني من المستكن في عضبان والاسف الشديد الغضب وقيل الحزين
 (قال بشما خلفتموني من بعدى) أى بشما فعلتم من بعد غيبتى حيث عيذتم الهمل بعد ما رأيتم فعلى من توحيد
 الله تعالى ونفى الشركاء عنه واخلاص العباد له أو من جعلكم على ذلك وكفكم عما طمعت نحوه أبصاركم
 حيث قلتم اجعل لنا الهة كالهم آلهة ومن حق الخلق أن يسيروا بسيرة المستخلف فان الخطاب للعبيدة من
 السامري وأشيعاءه أو بشما حاقتم مقامى ولم تراعوا عهدى حيث لم تكفوا العبد عما فعلوا فان الخطاب
 لهرون ومن معه من المؤمنين كما ينبي عنه قوله تعالى قال يا هرون ما منعك أن تأتيهم ضلوا أن لا تتبعنى أفعميت
 أمرى ويجوز أن يكون الخطاب للكل على أن أراد بالخليفة ما يعم الامر من المذكورين وما تكره موصوفة
 مفسرة لقاعل بش المستكن فيه والخصوص بالذم محذوف تقديره بش خلافة خلفتمونيها من بعدى
 خلافتكم (أعجلتم أمر ربكم) أى تركتموه غير تام على تضمين عمل معنى سبق يقال عمل عن الامر اذا تركه غير
 تام أو أعجلتم وعد ربكم الذى وعدنيهم من الاربعين وقدرتم موتى وغيرتم بعدى كما غيرت الامم بعد أنبيائهم (والقى
 الألواح) طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حجة للدين روى أن التوراة كانت سبعة أسباع في سبعة
 ألواح فلما ألقاها انكسرت فرفعت سنة أسباعها التي كان فيها تفصيل كل شئ وبقي سبع كان فيه المواعظ
 والاحكام (وأخذ برأس أخيه) يشع رأسه عليه ما السلام (يجزه اليه) حال من ضمير أخذ فسله عليه
 السلام نوها أنه قصر في كفهم وهرون كان أكبر منه عليهم ما السلام ثلاث سنين وكان جولا ولذلك كان
 أحب الي بنى اسرائيل (قال) أى هرون مخاطبا لموسى عليه ما السلام (ابن أم) محذوف حرف النداء
 وتخصيص الاتم بالذكر مع كونهما شقيقين لما أن حق الاتم أعظم وأحق بالمراعاة مع أنها كانت مؤمنة وقد
 قاست فيه الخناوف والشدايد روى بكسر الميم باسقاط الياء تحقيقا كالمنادى المضاف الى الياء وقراءة الفتح
 زيادة التخصيف أو لتشبيهه بخمسة عشر (ان القوم استضعفوا) وكادوا يقتلونى (ازاحة لئولهم التقصير
 في حقه والمعنى بذات جهدى في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلى (فلا تشمت بي الاعداء) أى
 فلا تفعل بي ما يكون سببا لسمائهم (ولا تفعلنى مع القوم الظالمين) أى معدودا في عدادهم بالمواخذة
 أو النسبة الى التقصير وهذا يؤيد كون الخطاب للكل أو لا تعتقد أنى واحد من الظالمين مع برائى منهم ومن
 ظلمهم (قال) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية اعتذار هرون عليه السلام كانه قبل فما
 ذا قال موسى عند ذلك فقبل قال (رب اغفر لى) أى ما فعلت بأخى من غير ذنب مقرر من قبله (ولا أخى)
 ان فرط منه تقصير ما فى كفهم عما فعلوه من العظيمة استغفر عليه السلام لنفسه ليرضى أخاه ويظهر للشامتين
 رضاه لئلا تشمت بهم به ولا خيبه لئلا يذنبه بأنه محتاج الى الاستغفار حيث كان يجب عليه أن يقاتلهم
 (وأدخلنا في رحمتك) بزيادة الانعام بعد غفران ما سلف منا (وأنت أرحم الراحمين) فلا غرو في انظامنا
 في سلك رحمتك الواسعة في الدنيا والآخرة والجله اعتراض تذييل متز لما قبله (ان الذين اتخذوا الهمل)
 أى قوا على اتخاذه واستقرؤا على عبادته كك السامري وأشيعاءه من الذين أشربوه في قلوبهم كما يفسح
 عنه كون الموصول الثاني عبارة عن السامريين فان ذلك صريح في أن الموصول الاول عبارة عن المصريين
 (سبناهم) أى في الآخرة (غضب) أى عظيم لا يقادر قدره مستتبع لقنون العقوبات لما أن جرهم
 أعظم الجرائم وأقبح الجرائر وقوله تعالى (من ربه) أى مالكمهم متعلق بسبناهم أو محذوف هو نعت الغضب
مؤكدا فأفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية أى كائن من ربه (وذلة في الحياة
 الدنيا) هى ذلة الاقتراب التي تضرب بها الاحمال والمسكنة المنظمة لهم ولاولادهم جمعوا والملة التي اخضع
 بها السامري من الانفراد عن الناس والابتلاء بلا ماس يروى أن بقاياهم اليوم يقولون ذلك واذا من
 أخذهم أحد غيرهم حاجبها في الوقت وإراد ما نالهم في حيز السين مع مضيه بطريق تغليب حال الاختلاف

على حال الاسلاف وقيل المراد بهم -م- التائبون وبالغضب ما أمروا به من قتل أنفسهم واعتذر عن السيئ
بأن ذلك حكاية عما أخبر الله تعالى به موسى عليه السلام حين أخبره بافتتان قومه واتخاذهم الجبل بأنه
سيدنا لهم غضب من ربهم وذلك فيكون سابقا على الغضب وأنت خير بأن سباق النظم الكريم وسياقه نايلان
عن ذلك نبوة اظاها وكيف لا وقوله تعالى (وكذلك نجزي المفترين) ينادي على مخالفه فانهم شهداء تائبون
وكيف يمكن وصفهم بعد ذلك بالافتراء وايضا ليس يجوزى الله تعالى كل المفترين بهذا الجزء الذي طاهره
قهر وباطنه لطف ورحمة وقيل المراد بهم أنباؤهم المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان تعبير الانباء
بأفَاعِيل الاءاء مشهور ومعروف منه قوله تعالى واذا قلتم نفسا الآية وقوله تعالى واذا قلتم يا موسى الآية
والمراد بالغضب الغضب الاخرى وبالدلالة ما أصابهم -م- من القتل والاجلاء وضرب الجزية عليهم وقيل
المراد بالموصول المتخذون حقيقة وبالغصير في نالهم أخلافهم ولا ريب في أن توسيط حال هؤلاء في نضا صيف
بيان حال المتخذين من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه (والذين علموا السيات) أى -سيرة- كانت (ثم تابوا)
عن تلك السيات (من بعدها) أى من بعد عملها (وآموا) ايمانا صحيحا خالصا واشتغلوا باقامة
ما هو من مقتضى سيئاته من الاعمال الصالحة ولم يصروا على ما فعلوا كالطائفة الاولى (ان يك من بعدها) أى
أى من بعد تلك التوبة المتروكة بالايمان (لغفور) للذنوب وان عظمت وكثرت (رحيم) مبالغ في افاضة
فنون الرحمة الديوية والاخرى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى منهيه عليه السلام للتشريف
(واسكت عن موسى الغضب) شروع في بيان بقية الحكاية اثر ما بين تجوزب القوم الى مصر وتائب
والاشارة الى ما كل منهم حاله الا أى لما سكت عنه الغضب باعتذار أخيه ونوبة القوم وهذا صريح في أن
ما حكى عنهم من الندم وما يترع عليه كان بعد مجي موسى عليه الصلاة والسلام وفي هذا النظم الكريم من
البلاغة والمبالغة تنزيل الغضب الحاصل له على ما صدر عنه من الفعل والقول منزلة الا صر بذلك المغرى عليه
بالتكلم والتشديد والتعبير عن سكونه بالسكوت ما لا يخفى وقرئ سكن وسكت وأسكت على أن الفاعل
هو الله تعالى أو أخوه أو التائبون (أخذ الألواح) التى أنشأها (وفي نسخة) أى فيما نسخ فيها وكتب
فعله بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها أى من الألواح المنكسرة (هدى) أى يسلن الحق (ورحة)
للخلق بارشادهم الى مانيه الخير والصلاح (للذين هم يرهون) اللام الاولى متعلقة بـ حذف هو صفة لرحمة
أى كاشنة لهم أو هى لام الاجل أى هدى ورحمة لاجلهم والشاية لتقوية عمل الفعل المؤخر كافي وقوله تعالى
ان كنتم لارؤيا تعبرون أو هى أيضا لام العلة والمفعول محذوف أى يرهون المعاصى لاجل ربهم لا لارباب والسمعة
(واخبار موسى وممه) شروع في بيان كيفية استدعاء التوبة وكيفية وقوعها واختيارية مدى الى اثنين
ثانيه ما يجوز من أى اختار من قومه جعذف الجارة وواصل الفعل الى الجور وكافى وقوله
اختارك الناس اذ رث خلافتهم واعتل من كان رجبى عنده السؤل

أى اختاروا من الناس (سبعين رجلا) فسهولوا لاختيار آخر عن الثاني لما مر من أرامن الاعتناء بالمقدم
والتشويق إلى المؤخر (لما قاتنا) الذى وقتناه بعد ما وقع من قومه ما وقع لالميعات الكلام الذى ذكره قبل
ذلك كما قيل قال السدى أمره الله تعالى بأن يأتيه فى ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه تعالى من عبادة الحجر
ووعدهم موعدا فاختر عليه السلام من قومه سبعين رجلا وقال يتحدثون حتى اختارهم ليتوبوا إليه تعالى
فما صنعوه وبسألوه التوبة على من تركوهم وراءهم من قومه قالوا اختار عليه الصلاة والسلام من كل سبط ستة
فزاد اثنان فقال ليخلف منكم رجلا فتشاوروا فقال عليه الصلاة والسلام إن لمن قعد مثل أجر من خرج فشهد
كأب ويوشع وذهب مع الباقين وأمرهم أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثم يخرج بهم إلى طور سيناء فلما
دنا من الجبل غشيهم غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه تعالى يكلم موسى بأمره ونهايه
حسما بشا وهو الأمر بقتل أنفسهم توبة (فلما أخذتهم الرجفة) مما اجترأ عليه من طلب الرؤية فإنه يروى
أنه لما انكشف الغمام أقبلوا إلى موسى عليه السلام وقالوا إن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة أى
الصاعقة أو رجفة الجبل فصعقوا منها أى ماتوا ولعلهم أرادوا بقولهم إن نؤمن لك لن نصدقك فى أن الأمر بما
نؤمن من الأمر بقتل أنفسهم فوالله تعالى حتى نراه حيث قاسوا ورؤيته تعالى على سماع كلامه قياسا فامدوا الخيـ

شاهد موسى تلك الحالة الهائلة (قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل) أي حين فرطوا في التهي عن عبادة العجل
 وما فارقوا عبادته حين شاهدوا الصرارهم عليها (واياي) أيضا حين طلبت منك الرؤية أي لو شئت أهلكنا
 بذنوبنا لأهلكنا حينئذ أراد به عليه السلام تذكير العفو السابق لاستحباب العفو واللاحق فإن الاعتراف
 بالذنب والشكر على النعمة مما يربط العبد ويستجلب المزيد يعني أنا كما تستحقين للاهلاك ولم يكن من
 موافقة الا عدم مشيئتكم أيام حيث اطفئت بنا وعفوت عنا تلك الجرائم فلا غرو في أن تعفو عنا هذه الجريمة
 أيضا وحمل الكلام على التقى بأياه قوله تعالى (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) أي الذين لا يعلمون تفاصيل
 شؤونك ولا يتنبهون في المداحض والهمزة اما لانكار وقوع الاهلاك ثقة بلطف الله عز وجل كما قاله ابن الانباري
 اول الاستعطاف كما قاله المبرد أي لا تهلكنا (ان هي الا فتنة) استئناف مقترن لما قبله واعتذار عما صنعوا
 بيان منشا غلظهم أي ما الفتنة التي وقع فيها السفهاء وقالوا بسببها ما قالوا من العظيمة الا فتنتك أي محنتك
 وابتلاؤك حيث أجمعهم كلامك فافتنتوا بذلك ولم يتنبهوا فطفه هو اخصاف فوق ذلك تابعين للقياس الفاسد وقوله
 تعالى (فضلناهم من نشاء ونهتدي من نشاء) اما استئناف مبين لحكم الفتنة أو حال من فتنتك أي حال كونها
 مضلها بالخ أي فضل بسببها من نشاء اضلاله فلا يتهدي الى التثبت وتهدي من نشاء هدايته الى الحق فلا
 يترزل في أمثاله فيقوى بها إيمانه (أنت ولينا) أي القائم بأمرنا الديني والآخرية ونابصرنا وحافظنا
 لا غيرك (فاغفر لنا) ما فارقناه من المعاصي والنساء لترتيب الدعاء على ما قبله من الولاية كأنه قيل فن شأن
 الولي المغفرة والرحمة وقيل ان إقدامه عليه الصلاة والسلام على أن يقول ان هي الا فتنتك الخ جرامة عظيمة
 فطلب من الله تعالى غفرانها والتجاوز عنها (وارحنا) بأفاضة آثار الرحمة الديني والآخرية علينا
 (وأنت خير الغافرين) اعتراض تذييلي مقترن لما قبله من الدعاء وتخصيص المغفرة بالذكر لانها الاهم بحسب
 المقام (واكتب لنا) أي عين لنا وقيل أوجب وحقق وأثبت (في هذه الدنيا حسنة) أي نعمة وعافية
 أو خصلة حسنة قال ابن عباس رضي الله عنهما اقبل وقادتنا وردنا بالمغفرة والرحمة (وفي الآخرة)
 أي واكتب لنا فيها أيضا حسنة وهي المثوبة الحسنى والجنة (أنا هدانا اليك) أي تبنا وأبنا اليك من هاد
 يهود اذ ارجع وقرئ بكسر الهاء من هاده يهده اذا حركه وأماله يحتمل أن يكون مبنيا للمفاعلة أو للاحق
 يعني أملنا أنفسنا أو أملنا اليك وتجوز أن تكون القراءة المشهورة على بناء المفعول على لغة من يقول عود
 المريض مع كونه بالغة ضعيفة مما لا يليق بشأن التزليل الجليل والجملة استئناف مسوق لتعليل الدعاء فإن
 التوبة مما يوجب قبوله بوجوب الوعد المحتوم وتصديرها بحرف التحقيق لاظهار كمال النشاط والرغبة في
 التوبة والمعنى اننا تبنا ورجعنا عما صنعنا من المعصية العظيمة التي جئناك للاعتذار عنها وعما وقع ههنا من
 طلب الرؤية فبعد من اطفك وفضلك أن لا تقبل توبة التائبين قيل لما أخذتهم الرجفة ما تواجد عافأخذ
 موسى عليه الصلاة والسلام تشرع الى الله تعالى حتى أحياهم وقيل رجفوا وكادت تبين مفاسدهم
 وأشر فواعلي الهلاك فخاف موسى عليه الصلاة والسلام فبكى فكشفها الله تعالى عنهم (قال) استئناف
 وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الكلام ككأنه قيل فماذا قال الله تعالى عند دعاء موسى عليه السلام
 فقيل قال (عذاب أصيب به من أشاء) لعله عز وجل حين جعل توبة عبدة العجل بقتلهم أنفسهم ضمن موسى
 عليه السلام دعاء التخفيف والتيسير حيث قال واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة أي خصلة حسنة
 عارية عن المشقة والشدة فإن في قتل أنفسهم من العذاب والتشديد ما لا يخفى فأجاب تعالى بأن عذابي شأنه
 أن أصيب به من أشاء تعذيبه من غير دخل لغيري فيه وهم ممن تناولته مشيتي ولذلك جعلت توبتهم مشوبة
 بالعذاب الديني (ورحمي وسعت كل شيء) أي شأنها أن تسع في الدنيا المؤمن والكافر بل كل ما يدخل
 تحت الشئبة من المكلفين وغيرهم وقد نال قومك نصيب منها في ضمن العذاب الديني وفي نسبة الاصابة
 الى العذاب بصيغة المضارع ونسبة السعة الى الرحمة بصيغة الماضي ايدان بأن الرحمة مقتضى الذات
 وأما العذاب فيقتضى معاصي العباد والمشيئة معتبرة في جانب الرحمة أيضا وعدم التصريح بها للاشعار
 بنهاية الظهور ألا يرى الى قوله تعالى (فما كتبها) أي أنبتها وأعينها فانه متفرع على اعتبار المشيئة

كانه قيل فاذا كان الامر كذلك أى كما ذكر من اصابه عذابى وسعة رحمتى لكل من أشاء فسا كتبها مكتبة
 كرامة كما دعوت بتوكل واكتب لنا فى هذه الخ أى سأكتبها خاصة غير مشوبة بالعذاب الدينى
 (الذين يتقون) أى الكفر والمعاصى اما ابتداء أو بعد ملاستم ما وفيه تعريض بقومه كأنه قيل لا تقول
 لانهم غير متقين فيكفهم ما قدر لهم من الرحمة وان كانت مقارنة للعذاب الدينى (ويؤتون الزكاة) وفيه
 أيضا تعريض بهم حيث كانت الزكاة شاقة عليهم ولعل الصلاة انما لم تذكر مع انافتها على سائر العبادات
 انكشافا عنها بالالتقاء الذى هو عبارة عن فعل الواجبات بأسرها وترك المنكرات عن آخرها وإيراد آية
 الزكاة لما رمت من التعريض (والذين هم بإيماننا) جميعا (يؤمنون) إيانا من غير اخلاص بشئ منها وفيه
 تعريض بهم وبكفرهم بالآيات العظام التى جاء بها موسى عليه الصلاة والسلام وبما سيجي بعد ذلك من الآيات
 البينات كتطليل الغمام وانزال المني والسلوب وغير ذلك وتكرير الموصول مع أن المراد به عين ما أريد بالموصول
 الأول دون أن يقال ويؤمنون بإيماننا عطف على يؤتون الزكاة كما عطف هو على يتقون لما أشير إليه من القصر
 بتقديم الجار والمجرور أى هم بجميع آياتنا يؤمنون لا ببعضها دون بعض (الذين يتبعون الرسول) الذى
 فوحى إليه كإيا مختصا به (النبي) أى صاحب المجزة وقيل عنوان الرسالة بالنسبة إليه تعالى وعنوان النبوة
 بالنسبة إلى الأمة (الأمي) بضم الهمزة نسبة إلى الأم كأنه باق على حاله التى ولد عليها من أمه أو إلى أمته
 العرب كما قال عليه الصلاة والسلام أنا أمة لا تحب ولا تكتب أو إلى أم القرى وقرئ بفتح الهمزة أى الذى
 لم يمارس القراءة والكتابة وقد جمع مع ذلك علوم الآيتين والآخرين والموصول بدل من الموصول الأول بدل
 الكل أو منصوب على المدح أو مرفوع عليه أى أعنى الذين أوهم الذين وأما جعله مبتدأ على أن خبره يأمرهم
 أو أولئك هم المؤمنون غير سديد (الذى يجدونه مكتوبا) باسمه ونعونه بحيث لا يشكون أنه هو ولذلك عدل
 عن أن يقال يجدون اسمه أو وصفه مكتوبا (عندهم) زيد هذا الزيادة التثنية وأن شأنه عليه الصلاة والسلام
 حاضر عندهم لا يغيب عنهم أصلا (فى التوراة والإنجيل) اللذين قد سجد بهم ما بنو اسرائيل سابقا ولاحقا
 والظرفان متعلقان بيجدونه أو بكتوبا واذكر الإنجيل قبل نزوله من قبيل ما نحن فيه من ذكر النبى عليه الصلاة
 والسلام والقرآن الكريم قبل مجيئه ما (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) كلامه ستأنف لا محل له من
 الاعراب قاله الزجاج متضمن لتفصيل بعض أحكام الرحمة التى وعد فيها سابق بكتبها اجلا فان ما بين فيه من
 الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واحلال الطيبات وتحريم الخبائث واسقاط التكاليف الشاقة كلها من
 آثار رحمة الواسعة وقيل فى محل النصب على أنه حال مقدرة من مفعول يجدونه أو من النبى أو من المستكن
 فى مكتوبا أو منسرا مكتوبا أى لما كتب (ويحل لهم الطيبات) التى حرمت عليهم بشؤم ظلمهم (ويحرم عليهم
 الخبائث) كالدملح والخنزير والربا والرشوة (ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم) أى يخفف عنهم
 ما كانوا من التكاليف الشاقة التى هى من قبيل ما كتب عليهم حينئذ من كون التوبة بقتل النفس كتعيين
 القصاص فى العمد والخطا من غير شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع التجاسة من الجلد
 والثوب واحراق الغنائم وتحريم السبت وعن عطائه أنه كانت بنو اسرائيل اذا قاموا يصولون لبس والمسوح
 وغلوا أيديهم إلى أعناقهم وربما ثقب الرجل رقوته وجعل فيها طرف السلسلة وأوثقها إلى السارية يحبس
 نفسه على العبادة وقرئ أصارهم أصل الاصر الثقل الذى يأصر صاحبه من الحرالك (فالذين آمنوا به) تعليم
 لكيفية اتباعه عليه الصلاة والسلام وبيان لعل ورتبة متبعية واعتناهم بمقتضى الرحمة الواسعة فى الدارين
 اترى بيان نعونه بالجليلة والاشارة إلى ارشاده عليه الصلاة والسلام إياهم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر
 واحلال الطيبات وتحريم الخبائث أى فالذين آمنوا بنبوته وأطاعوه فى أوامره ونواهيه (وعزروه) أى
 عظموه ووقروه وأعانوه بمنع أعدائه عنه وقرئ بالتخفيف وأصله المنع ومنه التعزير (ونصروه) على أعدائه
 فى الدين (واتبعوا التوراة التى أنزل معه) أى مع نبوته وهو القرآن عبر عنه بالتوراة المنهى عن كونه ظاهرا بنفسه
 ومظاهر غيره أو مظهر للعقائد كاشفا عنها المناسبة للاتباع ويجوز أن يكون معه متعلقا باتباعوا أى واتباعوا
 القرآن المنزل مع اتباعه عليه الصلاة والسلام بالعمل بسنته وبما أمر به ونهى عنه وأتبعوا القرآن مصاحبين له

في اتباعه (أولئك) إشارة إلى المذكورين من حيث انصافهم بما فصل من الصفات الفاضلة للاشعار
بعلية الحكم وما فيه من معنى البعد للايدان بما قد رجحتهم وسقطت في الفضل والشرف أي أولئك
المنعوتون بتلك النعوت الجليلة (هم المنطعون) أي هم القائلون بالمطلوب الناجون عن الكروب لا غيرهم
من الأمم فيدخل فيهم قوم موسى عليه الصلاة والسلام دخولا أوليا حيث لم ينجوا عما في توابعهم من المشقة
الهائلة وبه يتحقق التحقيق ويتأتى التوفيق والتطبيق بين دعائه عليه الصلاة والسلام وبين الجواب لا بمجرد
ما قيل من أنه لما دعاه نفسه ولبنى إسرائيل أجيب بما هو منطوق على توابع بني إسرائيل على استحيائهم الرؤية
على الله عز وجل وعلى كفرهم بآياته العظام التي أجراها على يد موسى عليه الصلاة والسلام وعرض بذلك في
قوله تعالى والذين هم بآياتنا يؤمنون وأريد أن يكون استماع أوصاف أعقابهم الذين آمنوا برسول الله صلى الله
عليه وسلم وبما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من أهل الكتابين لطنا بهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل
الصالح (قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم) لما حكى ما في الكتابين من نعوت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وشرف من يتبعه من أهلها ونبيلهم لبعادة الدارين أمر عليه الصلاة والسلام ببيان أن تلك البعادة غير
مختصة بهم بل شاملة لكل من يتبعه كآثار من كان ببيان عموم رسالته لاقتلن مع اختصاص رسالة سائر الرسل
عليهم السلام بأقوامهم وارسال موسى عليه السلام إلى فرعون وملته بالآيات التسع إنما كان لأمرهم بعبادة
رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة التي كان يدعيها الطاغية وبقبلها منه فتنة الباغية وبارسال بني إسرائيل من
الأسرى وأقسم وأما العمل بأحكام التوراة فمقتضى بني إسرائيل (جميعا) حال من التمييز اليكم (الذي له ملك
السموات والأرض) منصوب أو مرفوع على المدح أو مجرور على أنه صفة للجلالة وان حيل بينهما بما هو متعلق
بما أضيف إليه فانه في حكم المتقدم عليه وقوله تعالى (لا اله الا هو) بيان لما قبله فأن من ملك العالم كان
هو الا اله لا غيره وقوله تعالى (يحيي ويميت) زيادة تقرير الوهية والفاء في قوله تعالى (فآمنوا بالله ورسوله)
لتفريع الأمر على ما تمهد وتقرر من رسالته عليه الصلاة والسلام وإيراد نفسه عليه الصلاة والسلام بعنوان
الرسالة على طريقة الالتفات إلى الغيبة للحبالغة في ايجاب الامتثال بأمره ووصف الرسول بقوله (انبي
الاحي) المدحه عليه الصلاة والسلام به ما دل زيادة تقرير أمره وتحقيق أنه المكتوب في الكتابين ووصفه
بقوله تعالى (الذي يؤمن بالله وطلحاته) أي ما أنزل إليه وإلى سائر الرسل عليهم السلام من كتبه ووحيه لحل أهل
الكتابين على الامتثال بما أمروا به والتصريح بإيمانه بالله تعالى للتنبيه على أن الايمان به تعالى لا ينفك
عن الايمان بكلماته ولا يتحقق الا به وقرئ وكلمته على ارادة الجفس أو القرآن تنبها على أن المأمور به هو الايمان
به عليه الصلاة والسلام من حيث أنزل عليه القرآن لا من جهة أخرى أو على أن المراد به عيسى عليه الصلاة
والسلام تعريضا باليهود وتنبيها على أن من لم يؤمن به لم يعتد بإيمانه (واتبعوه) أي في كل ما يأتي وما يذر من
أمر الدين (اعلمكم تتدون) علة للفعلين أو حال من فاعلها أي رجاء لا هتد اتكم إلى المطلوب أو راجين له
وفي تعليقه بهما ايدان بأن من صدقه ولم يتبعه بالتمام أحكام شريعته فهو معزل من الاهتداء مستقر على التي
والضلالة (ومن قوم موسى) كلام مبتدأ مسوق لدفع ما عسى يؤهم تخصيص كتب الرحمة والتقوى
والايمان بالآيات بتبني رسول الله صلى الله عليه وسلم من حرمان أسلاف قوم موسى عليه السلام من كل
خير وبيان أن كلهم ليسوا كما حكيت أحوالهم بل منهم (أمة يهدون) أي الناس (بالحق) أي مقربين به
أو يهدونهم بكلمة الحق (وبه) أي بالحق (يهدون) أي في الأحكام الجارية فيما بينهم وصيغة المضارع
في الفعلين لحكاية الحال الماضية وقيل هم الذين آمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم وبآباءه أنه قد مر ذكرهم فيما
سلف وقيل إن بني إسرائيل لما بالغوا في العتو والظلم حتى اجتروا على قتل الانبياء عليهم السلام تبرأ سبط
منهم عما صنعوا واعتذروا وسألوا الله تعالى أن يفرق بينهم وبين أولئك الطاغين فتخ الله تعالى لهم نفقا في
الأرض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم اليوم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا
وقد ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل عليه السلام ذهب به ليلة الأسراء فحوهم فكلهم فقال
جبريل عليه السلام هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الأحمى فآمنوا به وقالوا يا رسول الله

ان موسى اوصانا من ادرك منكم احد فليقرأ منى عليه السلام فردد محمد على موسى السلام عليه ما السلام
 ثم اقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم يكن نزلت يومئذ فريضة غير الصلاة والزكاة وامرهم ان
 يتقوا مكنهم وكانوا يستقون فامرهم ان يحكموا ويتركوا السبت هذا وانت خبير بان تخصصهم بالهداية
 من بين قومه عليه السلام مع ان منهم من آمن بجميع الشرائع لا يخرجون عن بعد (وقطعتناهم) أى قوم
 موسى لا الامة المذمومة منهم وقرئ بالتخفيف وقوله تعالى (انثى عشرة) ثانياً مفعولى قطع لتفنه
 معنى التصير والتأنيث للعمل على الامة او القطعة أى صيرناهم انثى عشرة امة او قطعة متميزة بعضها من بعض
 او حال من مفعوله أى فرقناهم معدودين هذا العدد وقوله تعالى (اسباطاً) بدل منه ولذلك جمع أو عجزه على
 أن كل واحدة من اثنى عشرة قطعة اسباط لا سبط وقرئ عشرة بكسر الشين وقوله تعالى (أما) على الاول بدل
 بعد بدل أو نعت لاسباطا وعلى الثانى بدل من اسباطا (وأوحينا الى موسى اذا استسقاء قومه) حين استولى
 عليهم العطش فى التيه الذى وقعوا فيه بسوء صنيعهم لا يجزأ استسقاؤهم اياه عليه الصلاة والسلام بل باستسقاؤه
 لهم لقوله تعالى واذا استسقى موسى لقومه وقوله تعالى (أن اضرب بعصاك الحجر) منسرفاً على الإيجاء وقد
 مزيان شأن الحجر فى تفسير سورة البقرة (فانجست) عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام قد حذف تعويلاً
 على كمال الظهور وايداً نابغاية مسارعة عليه السلام الى الامتثال واشعاراً بعدم تأثر الضرب حقيقة
 وتنبهاً على كمال سرعة الانجاس وهو الانجاس كأنه حصل أن الامر قبل تحقق الضرب كما فى قوله تعالى
 اضرب بعصاك الحجر فانطلق أى فضرِب فانجست (منه اثنا عشرة عينا) بعدد الاسباط وأما ما قبل من
 أن التقدير فان ضربت فقد انجست فغير تحقيق بجزالة النظم التنزيل وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها
 (قد علم ككل أناس) كل سبط عبر عنهم بذلك ايذاناً بكثرة كل واحد من الاسباط (مشرهم) أى عينهم
 الخاصة بهم (وظلنا عليهم الغمام) أى جعلناهم بحيث تاق عليهم ظلها تسير فى التيه بسيرهم وتكسب باقامتهم
 وكان ينزل بالليل عود من نار يسرون بصوته (وأنا ناعلهم المن والسوى) أى الترحيحين والسماوى قيل كان
 ينزل عليهم المن مثل النج من الشجر الى الطلوع لكل انسان صاع وتبع الخنوب عليهم السماوى فيذبح الرجل
 منه ما يكفيه (كلوا) أى وقتلناهم كلوا (من طيبات ما رزقناكم) أى مسئلناهم وما موصولة كانت أو موصوفة
 عبارة عن المن والسوى (وما ظلونا) رجوع الى سبب الكلام الاول بعد حكاية خطابهم وعومعطوف
 على جملة محذوفة للايجاز والاشعار بأنه أمر محقق غنى عن التصريح به أى فظلوا أن كثر واشتد النهم
 الجليل وما ظلونا بذلك (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) اذ لا يخطأهم شره وتقدم المفعول لافادة التصر
 الذى يقتضيه النفي السابق وقبه ضرب من التكميم بهم والجمع بين صيغتي الماضى والمستقبل للدلالة على
 تباديلهم فيما هم فيه من الظلم والكفر (واذ قيل لهم) منصوب بضمير خطب به النبي عليه الصلاة والسلام
 وايراد الفعل على البناء للمفعول مع استناده اليه تعالى كما ينصحه عنه ما وقع فى سورة البقرة من قوله تعالى
 واذا قلنا للجرى على سبب الكبرياء والايدان بالغنى عن التصريح به اتعين الفاعل وتفسير النظم بالامر بالذكر
 لتشديد التوبيخ أى اذ كرههم وقت قوله تعالى لاسلافهم (اسكنوا هذه القرية) منصوب على المشعولية
 يقال سكنت الدار وقيل على الطرفية انساها وهي بيت المقدس وقيل أريحا وهي قرية الحبارين وكان فيها قوم
 من بنية عاد يقال لهم العمالة رأسهم عوج بن عثق وفى قوله تعالى اسكنوا ايذان بأن المأمور به فى سورة
 البقرة هو الدخول على وجه السكنى والاقامة ولذلك اكتبى به عن ذكر رغدا فى قوله تعالى (واسكنوا منها)
 أى من مطاعها ونهارها على أن من تبعه فيها أو منها على أنها ابتدائية (حيث شئتم) أى من نواحيها
 من غير أن يراكم فيها أحد فان الاكل المستمر على هذا الوجه لا يكون الارغدا واسعا وعطف كلوا
 على اسكنوا وبالواو لشارتها مما زاماً بخلاف الدخول فانه مقدم على الاكل ولذلك قيل هناك فكلوا (وقولوا
 حطة) أى مسئلنا وأمرنا حطة لذوننا وهي فعلية من الحط كالجلسة (وادخلوا الباب) أى باب القرية
 (مجدداً) أى متطامنين مخبتين أو ساجدين شكرياً على اخراجهم من التيه وتقدم الامر بالدخول على الامر
 بالقول المذكور فى سورة البقرة غير محتمل بهذا الترتيب لان المأمور به هو الجمع بين الفعلين من غير اعتبار الترتيب

بينهما ثم ان كان المراد بالقرية أريحا فقد روى أنهم دخلوها حيث سار اليها موسى عليه السلام عن بقي من بني
 اسرائيل اوبذرا ربيهم على اختلاف الروايتين فقصها كما ترى سورة المائدة وأما ان كان بيت المقدس فقد روى
 أنهم لم يدخلوه في حياة موسى عليه السلام فقبل المراد بالباب باب القبة التي كانوا يصلون اليها (تغفر لكم
 خطيئاتكم) وقرئ خطاياكم كما في سورة البقرة وتغفر لكم خطيئاتكم وخطاياكم وخطيئكم على البناء للمفعول
 (سنزيد المحسنين) عدة بشيتين بالمغفرة وبالزيادة وطرح الواو ههنا لا يخل بذلك لانه استئناف مترتب على تقدير
 سؤال نشأ من الاخبار بالغفران كأنه قيل فماذا لهم بعد الغفران فقيل سنزيد وكذلك زيادة منهم زيادة بيان
 (فقبل الذين ظلموا منهم) بما أمروا به من التوبة والاستغفار حيث أعرضوا عنه ووضعوا موضعهم (قولا)
 آخر مما لا يخبر به روى أنهم دخلوه زاحفين على أسيانهم وقالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالانبطية حطاً
 ثم شأنا بعد حنطة حراً استخفاً فأبأمر الله تعالى واستهزأ بموسى عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى
 (غير الذي قيل لهم) نعت لقولنا صرح بالمغفرة مع دلالة التبديل عليها قطعاً لتحقيقاً للمخالفة وتنصيصاً على
 المغفرة من كل وجه (فأرسلنا عليهم) اثر ما فعلوا ما فعلوا من غير تأخير وفي سورة البقرة على الذين ظلموا والمعق
 واحد والارسل من فوق فيكون كالانزال (رجز من السماء) عذاباً كأنها والمراد الطاعون روى أنه مات
 منهم في ساعة واحدة أربعة وعشرون ألفاً (بما كانوا يظلمون) بسبب ظلمهم المستقر السابق واللاحق حسماً
 يفيد الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لاسبب التبديل فقط كما يشهر به ترتيب الارسل عليه بانفساء
 والتصريح بهذا التعليل لما أن الحكم ههنا مترتب على المنعردون الموصول بالظلم كما في سورة البقرة وأما التعليل
 بالفسق بعد الاشعار بهلية الظلم فتقدم وجهه ههنا والله تعالى أعلم (واسألهم) عطف على المقدّر في اذ قيل
 أي واسأل اليهود المعاصرين لك سؤال تقرير وتقدير كقوله وتجاهلهم لحدود الله تعالى واعلامهم
 بأن ذلك مع كونه من علومهم الخفية التي لا يقف عليها الا من مارس كتبهم قد أساطه النبي عليه الصلاة
 والسلام خبروا اذ ليس ذلك بالتلقين من كتبهم لانه عليه الصلاة والسلام بعزل من ذلك تعيين أنه من جهة الوحي
 الصريح (عن القرية) أي عن حالها وخبرها وما جرى على أهلها من الداهية الداهية وهي ايلة قرية بين مدين
 والطور وقيل هي مدين وقيل طبرية والعرب تسمى المدينة قرية (التي كانت حاضرة البحر) أي قرية منه مشرفة
 على شاطئه (اذ يعدون في السبت) أي يتجأوزون حدود الله تعالى بالصيدين السبت واذ ظرف للمضاف
 المحذوف أو بدل منه وقيل ظرف لكانت أو حاضرة وليس بذلك اذ لا فائدة في تقييد الكون أو الحضور بوقت
 العدوان وقرئ يعدون وأصله يعدون ويعدون من الاعداد حيث كانوا يعدون آلات الصيدين السبت وهم
 متهمون عن الاشتغال فيه بغير العبادة (اذ تأتيهم حيتانهم) ظرف ليعدون أو بدل بعد بدل والاول هو
 الاولى لأن السؤال عن عدوانهم أدخل في التقرير والحيتان جمع حوت قلبت الواو اي لا تنكسر ما قبلها
 كنون ونيان انظروا معنى واضافتها اليهم للاشعار باختصاصها بهم لاستقلالها بما لا يكاد يوجد في سائر افراد
 الجنس من الخواص الخارقة للعادة أو لان المراد بها الحيتان الكائنة في تلك الناحية وان ما ذكر من الاتيان
 وعدمه لا اعتباراً لها أو هو في عدم التعرض يوم السبت (يوم سبتهم) ظرف لتأتيهم أي تأتيهم يوم تعظيمهم
 لامر السبت وهو مصدر سبتت اليهود اذا عظمت السبت بالتحيز للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة
 لاختصاصهم بأحكام فيه وبؤيد الاول قراءة من قراء يوم سبتهم وقوله تعالى (شرعاً) جمع شارع من
 شرع عليه اذا نادوا أشرف وهو حال من حيتانهم أي تأتيهم يوم سبتهم ظاهرة على وجه الماء قرية من الساحل
 (ويوم لا يسبتون) أي لا يراعون أمر السبت لكن لا يجرّد عدم المراعاة مع تحقق يوم السبت كما هو المتبادر
 بل مع اتقانهم ما معاً أي لا سبت ولا مراعاة كما في قوله ولا ترى الضب يسبحها فيبحر وقرئ لا يسبتون من اسبت
 ولا يسبتون على البناء للمفعول يعني لا يدخلون في السبت ولا يدار عليهم حكم السبت ولا يؤمرون فيه
 بما أمروا به يوم السبت (لا تأتيهم) كما كانت تأتيهم يوم السبت حذاراً من صيدهم وتغيير السبت حيث
 لم يقل ولا تأتيهم يوم لا يسبتون لما أن الاخبار باتيانهم يوم سبتهم مظنة أن يقال فماذا حالها يوم لا يسبتون
 فقيل يوم لا يسبتون لا تأتيهم (كذلك نبأهم) أي مثل ذلك البلاء العجيب الغريب نعماء لهم معاملة من

يحتجبهم ليظهر عدوتهم ونواخذهم به وصيغة المضارع للحكاية الحال الماضية لاستحضار صورته والتجيب
 منها (بما كانوا يفسقون) أى بسبب فسقهم المستقر المدلول عليه بالجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
 لكن لا في تلك المادة فإن فسقهم فيه لا يكون سببا للابواب بل بسبب فسقهم المستقر في كل ما يأتون وما يذرون
 وقيل كذلك متصل بما قبله أى لا تأتيتهم مثل ما تأتيتهم يوم سببتهم فالجمله بعده حيثما استئناف مبنى على
 السؤال عن حكمة اختلاف حال الحيات بالآتيان تارة وعدمه أخرى (وأذقات) عطف على أذيعدون
 مسوق لعدائهم في العدوان وعدم ارتجارهم عنه بعد العظات والاندارات (أشعة منهم) أى جماعة من صلواتهم
 الذين ركبوا في عظمتهم متن كل صعب وذلول حتى ينسوا من احتمال القبول لآخرين لا يقطعون عن
 التذكير ورجاء النفع والتأثير مبالغة في الاعتذار وطمعاً في فائدة الانذار (لم تعطون قوما الله مهلكهم) أى
 محترمهم بالكلية ومظهر الارض منهم (أو معذبهم عذاباً شديداً) دون الاستئصال بالمرّة وقيل مهلكهم
 تخزيهم في الدنيا أو معذبهم في الآخرة لعدم إقلاعهم عما كانوا عليه من الفسق والظلمات والترديد مانع الخلق
 دون منع الجمع فانهم مهلكون في الدنيا ومعذبون في الآخرة وإشارة بصيغة اسم الفاعل مع أن كلاماً من
 الأهلak والتعذيب مقرب للدلالة على تحققه وما تقررهما البتة كأنهم ما واقعان وإنما قالوه مبالغة في أن
 الوعظ لا ينجع فيهم أو ترهيباً للقوم أو سؤالاً عن حكمة الوعظ ونفعه وإعلامهم بأنما قالوه يحضرون القوم حثاهم
 على الاعتناء فان ثبت القول به لا كهم وعذابهم مما يليق في قلوبهم الخوف والخشية وقيل المراد طائفة من
 الفرقة الهالكة أجاوباه وعاطفهم رداعليم وتهكم ما بهم - وليس بذلك كما ستدف عليه (قالوا) أى الوعاظ
 (معذرة الى ربكم) أى نعظهم معذرة اليه تعالى على أنه مفعول له وهو الانسب بظاهر قواهم لم تعطون أو نعذر
 معذرة على أنه مصدر لفعل محذوف وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى موعظتنا معذرة اليه تعالى
 حتى لا نسب الى نوع تفريط في التنبه عن المنكر وفي إضافة الرب الى ضمير المخاطبين نوع تعريض بالسائلين
 (وإعلامهم يفتون) عطف على معذرة أى ورجاء لأن يتقوا بعض التقاة وهذا صريح في أن السائلين لم تعطون
 الخ ليسوا من الفرقة الهالكة والألوجب الخطاب (فلما نوا ما ذكرناه) أى تركوا ما ذكرهم به صلواتهم
 ترك السامعي للشيء وأعرضوا عنه أعراضاً كلياً بحيث لم يخطر ببالهم شيء من تلك المواعظ أصلاً (أنجيئنا الذين
 يتهون عن السوء) وهم الفريشان المذكوران وإخراج أنجيئناهم مخرج الجواب الذي حقه الترتيب على
 الشرط وهو نسيان المعتدين المستمع لاهلاكهم لما أن ما في حيز الشرط شيئاً أن نسيان والتذكير كأنه
 قيل فلما ذكرنا المذكورين ولم يذكروا المعتدون أنجيئنا الأولين وأخذنا الآخرين وأما تصدير الجواب بأنجيئناهم
 فلما تقرر أمرهم من المسارعة الى بيان نجياتهم من أول الأمر مع ما في المؤخر من نوع طول (وأخذنا الذين
 ظلموا) بالاعتداء ومخاطفة الأمر (بعذاب بئيس) أى شديد وزناو معنى من يؤس يؤس بأساً إذا اشتد
 وقرئ يؤس على وزن فيعل بفتح العين وكسر هاء وبس كذرو بس على تخفيف العين ونقل حركتها الى الفاء
 ككيد في كيد ويس بقلب الهمزة ياء كذيب في ذب ويس كريس بقلب همزة بئيس ياء وأدغام الياء فيها ويس
 على تخفيف يس كهين في هين وتكثير العذاب للتفخيم والتحويل (بما كانوا يفسقون) متعلق بأخذنا كالبيان
 الأولى ولا ضير فيه لاختلافهما معنى أى أخذناهم بما ذكروا من العذاب بسبب عمادهم في الفسق الذي
 هو الخروج عن الطاعة وهو الظلم والعدوان أيضاً وأجاء الحكم على الموصول وأن أشعر بعلة ما في حيز
 الصلة له لكنه صرح بالتعليل المذكور أيضاً بأن العلة هو الاستمرار على الظلم والعدوان مع اعتبار
 كون ذلك خروجاً عن طاعة الله عز وجل لأنفس الظلم والعدوان والالماؤا عن ابتداء المباشرة
 ساعة ولعله تعالى قد عذبهم بعذاب شديد دون الاستئصال فلم يقطعوا عما كانوا عليه بل ازدادوا
 في الفسق فحذوهم بعد ذلك لقوله تعالى (فلما عتوا وعمانهوا عنه) أى تمردوا وتكبروا وأبوا أن يتركوا
 ما نهوا عنه (قد ألهم كونا فردة خاصتين) صاغرين أذلاء بعداء عن الناس والمراد بالامر هو الامر التكويني
 لا القولى وترتيب المسخ على العتو عن الانتهاء عما نهوا عنه للإيدان بأنه ليس لتصوصية الحوت بل العمدة
 في ذلك هو مخاطفة الأمر والاستعصاء عليه تعالى وقيل المراد بالعذاب البئيس هو المسخ والجمله الثانية تقرير

فلاولى روى أن اليهود أمروا باليوم الذى أمر نابه وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت وهو المعنى بقوله
 تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه فالتوا به وحرم عليهم الصيد فيه وأمروا بتعظيمه فكانت
 الحيتان تأتيتهم يوم السبت كأنها الخفاص لا يرى وجه الماء لكثرتها ولا تأتيتهم فى سائر الايام فكانوا على
 ذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن أخذها يوم السبت فاتخذوا حياضاً سهلة الورد
 صعبة الصدور ففعلوا فجعلوا يسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها وبأخذونها
 يوم الاحد وأخذوا وجل متهم حوتاً وربط في ذنبه خيطاً الى خشبة فى الساحل ثم شوا يوم الاحد فوجد جاره
 ريح السمك فتطلع فى تنوره فقال له انى أرى الله سيعذبك فلما لم يره عذب أخذ في يوم السبت القبايل حوتين
 فلما رأوا أن العذاب لا يعالجهم استمروا على ذلك فصادوا وأكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحو اثنى عشر
 ألفاً فصار أهل القرية اثلاثاً ثلث استمروا على النهي وثلاث ملأوا التذكري وسمنوه وقالوا للواعظين
 لم تعظون الخ وثلاث باشروا الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون نحن لانسلكم أنفسكم و القرية ببعدار للعسلين
 باب ولله متدين باب ولعنهم داود عليه السلام فأصبح الناهون ذات يوم فى مجالسهم ولم يخرج من المعتدين
 أحد فقالوا ان لهم لساناً فعلموا الجدار فظنوا فاذا هم قدرة ففتحو الباب ودخلوا عليهم فعرست القرية
 انساباً هم من الانس وهم لا يعرفونها فجعل القرد يأتى نسيبه فيشتم نسيابه فيبكي فيقول له نسيبه ألم تهكم
 فيقول القرد برأسه بلى ثم ما تواعن ثلاث وقيل صار الشبان قدرة والشيوخ خنازير وعن مجاهد رضى الله
 عنه مسخت قلوبهم وقال الحسن البصرى أكلوا والله أو ختم أكلها أهلها أثنتها خزيا فى الدنيا وأطولها
 عذابا فى الآخرة ما واهم الله ما حوت أخذ قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله تعالى
 جعل موعدا الساعة أدهى وأمر (واذ تأذن ربك) منصوب على المنعولية بمنزلة معطوف على قوله تعالى
 واسألهم وتأذن بمعنى آذن كأن تواعد بمعنى أوعد أو بمعنى عزم فإن العازم على الامر يحدث به نفسه وأجرى
 مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله فذلك أجيب بجوابه حيث قيل (ليعلمن عبيهم الى يوم القيامة) أى واذكر
 لهم وقت ايجابه تعالى على نفسه أن يسلط على اليهود النية (من يسومهم سوء العذاب) كالأذلال وضرب
 الجزية وغير ذلك من فنون العذاب وقد بعث الله تعالى عليهم بعد سليمان عليه السلام بجنت نصر فخر بديارهم
 وقتل مقاتلتهم وسبى نسائهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقى منهم وكانوا يؤذونها الى الجحوش حتى بعث
 النبى عليه الصلاة والسلام ففعل ما فعل ثم ضرب الجزية عليهم فلا تزال مضرورية الى آخر الدهر (ان ربك اسرع
 العتاب) يعاقبهم فى الدنيا (وانه يغفور رحيم) لمن تاب وأمن منهم (وقطعناهم) أى فرقنا بين اسرائيل
 (فى الارض) وجعلنا كل فرقة منهم فى قطر من أقطارها بحيث لا تتكلموا ناحية منهمامتهم تكلمة لاديارهم حتى
 لا تكون لهم شوكة وقوله تعالى (أعما) اماما فقول ثمان لقطعنا أحوال من مقعوله (منهم الصالحون)
 صفة لا مما أوبدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ومن يسير بسيرهم (ومنهم دون ذلك) أى ناس دون ذلك
 الوصف أى يخطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتم (ولم يواهم بالحسنات والسيئات) بالنم والنقم
 (لعلهم يرجعون) عما كانوا فيه من الكفر والمعاصى (يخلف من بعدهم) أى من بعد المذكورين (خلف)
 أى يدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع فى الشر والخلف بفتح اللام
 فى الخير والمراد به الذين كانوا فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم (ورنوا الكتاب) أى التوراة من
 أسلافهم يقرؤونها ويتفون على ما فيها (ياخذون عرض هذا الادنى) استئناف مسوق لبيان ما يصنعون
 بالكتاب بعد ورائتهم اياه أى يأخذون بطعام هذا الشئ الادنى أى الدنيا وهو من الدنيا والدناوة والمراد به
 ما كانوا يأخذونه من الرشا فى الحكومات وعلى تعريف الكلام وقيل حال من واو رنوا (ويقولون سيغفر لنا)
 ولا يؤاخذنا الله تعالى بذلك ويتجاوز عنه والجملة تحت مل العطف والحالية والفعل مستند الى الجارة
 والمجرور وأصدر يأخذون (وان ياتهم عرض منه لا يأخذوه) حال من انهم فى لنا أى يرجون الغفرة
 والحال أنهم مصررون على الذنب عائدون الى مثله غير تائبين عنه (لم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) أى
 الميثاق الوارد فى الكتاب (أن لا يؤدوا على الله الا الحق) عطف بيان للميثاق أو متعاقبه أى بأن لا يقولوا

الحق والمراد به الرد عليهم والتوبيخ على شتم القول بالمعزة بلا توبة والدلالة على أنها اقترأ على الله تعالى وخرج
عن ميثاق الكتاب (ودرسوا ما فيه) عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فإنه تقدير أو على ورتوا وهو
اعتراض (والدار الآخرة خير للذين يتقون) ما فعل هؤلاء (أفلا تعقلون) فاعلموا ذلك فلا تستبدلوا الأدنى
المؤدى إلى العقاب بالنعيم الخلد وقرئ بالياء وفي الالتفات تشديد للتوبيخ (والذين يسكنون بالكتاب)
أى يتسكنون في أمور دينهم يقال مسك بالشيء وتمسك به قال مجاهد هم الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبداقه
ابن سلام وأصحابه تمسكوا بالكتاب الذى جاء به موسى عليه السلام فلم يحرقوه ولم يكفروه ولم يتخذوه مأكلة
وقال عطاهم أمة محمد عليه الصلاة والسلام وقرئ يسكنون من الامساك وقرئ تمسكوا واستمسكوا وانقلا
اقوله تعالى (وأعلموا الصلوة) ولعل التغيير في المشهور للدلالة على أن التمسك بالكتاب أمر مستقر في جميع
الازمنة بخلاف إقامة الصلاة فانها مختصة بانتمائها وتخصيصها بالذكركم من بين سائر العبادات لانها قائم عليها
ومحل الموصول اما الجزئية على الذين يتقون وقوله أفلا تعقلون اعتراض مقدر لما قبله واما الرفع على الابتداء
والتعريف قوله تعالى (انا انضيع أجرة المصلين) والابط اما الضمير المحذوف كما هو رأى جمهور البصريين
والتقدير أجرة المصلين منهم واما الالف واللام كما هو رأى الكوفيين فإنه في حكم مصلحهم كفى قوله تعالى فان
الجنة هي المأوى أى مأواهم وقوله تعالى مفتحة لهم الابواب أى أبوابها واما العموم في مصلحين فإنه من الروابط
ومنه نعم الرجل زيد على أحد الوجوه وقيل الخبر محذوف والتقدير والذين يسكنون بالكتاب مأجورون
أو مثابون وقوله تعالى انا انضيع الخ اعتراض مقدر لما قبله (واذقنا الجبل فوقهم) أى قلنعنا من مكانه
ورفعناه عليهم (كأنه ظلة) أى سقيفة وهى كل ما اظلك (وظنوا) أى تيقنوا (أنه واقع بهم) ساقط عليهم لأن
الجبل لا يثبت في الجوف ولا يمشى كالنواير عدون به واطلاق الظن في الحساية لعدم وقوع متعلقه وذلك أنهم سمعوا
أن يقبلوا أحكام التوراة لثقلها فرفع الله تعالى عليهم الطور وقيل لهم ان قبلتم ما فيها فبها والالية عن عليكم
(خذوا ما آتيناكم) أى وقلنا أو فاعلموا ما آتيناكم من الكتاب (بقوة) بجدة وعزيمة على تحمل مشاقه
وهو حال من الواو (واذكروا ما فيه) بالعمل ولا تتركوه كالنسي (اعلمكم تتقون) بذلك قبائح الاعمال ورذائل
الاخلاق أو راجين أن تنظموا في سلك المتقين (واذا خذربك) منصوب بضمير معطوف على ما انتصب به
اذتقنا سوق للاحتجاج على اليهود بتذكير الميثاق العام المنظم للشأن قاطبة وتوبيخهم بنقضه اثر الاحتجاج
عليهم بتذكير ميثاق الطور وتعليق الذكرك بالوقت مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر
بيان مرارا أى واذا كرلهم أخذربك (من بنى آدم) المراد بهم الذين ولد لهم كائنات من كان فلا بعد نسل سوى
من لم يولد بسبب من الاسباب كالعقم وعدم التزوج والموت صغيرا وإشارارا لاخذ على الخارج للابذان
بالاعتناء بشأن الماخوذ لما فيه من الانبياء عن الاجتهاد والاصطفاة وهو السبب في اسناده الى اسم الرب
بطريق الالتفات مع ما فيه من التمهيد للاستفهام الآتى وضافته الى ضميره عليه الصلاة والسلام للتشريف
وقوله تعالى (من ظهروهم) بدل من بنى آدم بدل البعض بذكر الجارية كما في قوله تعالى للذين استضعفوا
لمن آمن منهم ومن في الموضعين ابتدائية وفيه مزيد تقرير لا يتناهى على البيان بعد الابهام والتفصيل غيب
الاجمال وتنبية على أن الميثاق قد أخذ منهم وهم في أصلاب الانبياء ولم يستودعوا في أرحام الاتهام وقوله
تعالى (ذريتهم) مفعول أخذ آخر عن المفعول بواسطة الجارية لاشتماله على ضمير راجع اليه ولمراعاة أصالته
ومنتثيته ولم يتردد من التشويق الى المؤخر وقرئ ذرياتهم والمراد بهم أولادهم على العموم فيندرج فيهم
اليهود المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اندراجا أوليا كما اندرج أسلافهم في بنى آدم كذلك
وتخصيصهما باليهود سابقا وخلفا مع أن ما أريد ببيانهم من بديع صنع الله تعالى عز وجل شامل لكل كافة
مخل بخصامة التزييل وجزالة التقليل (وأشهدهم على أنفسهم) أى أشهد كل واحدة من أولئك الذريات
الماخوذ من ظهور بابائهم على نفوسها لا على غيرها فقرر الله ربوبيته التامة وما تستتبعه من المعبودية على
الاختصاص وغير ذلك من أحكامها وقوله تعالى (أأستبر بكم) على إرادة القول أى قائلا أأستبر بكم
وما لك أمركم ومريكم على الاطلاق من غير أن يكون لاحد مدخل في شأن من شأنكم فينظم استحقاق

المعبودية ويستلزم اختصاصه به تعالى (قالوا) استئناف مبنى على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فماذا قالوا حينئذ فقيل قالوا (بلى شهدنا) أى على أنفسنا بانك ربنا والهنا الرب لتساغيرك كما ورد في الحديث الشريف وهذا تمثيل لخلقته تعالى إياهم جميعا في مبدأ الفطرة مستعدين للاستدلال بالدلائل المنصوية في الاتفاق والانفس المؤدية إلى التوحيد والاسلام كما ينطق به قوله عليه الصلاة والسلام كل مولود يولد على الفطرة الحديث مبنى على تشبيه الهيئة المنتزعة من تعريضه تعالى إياهم لمعرفة ربوبيته بعد تمكنهم منها وكيفية من العقول والبصائر ونصب لهم في الاتفاق والانفس من الدلائل غكينا تاما ومن تمكنهم منها تمكنا كاملا ونعزضهم لها تعريضا قويا هيئة منتزعة من حله تعالى إياهم على الاعتراف به بطريق الامر ومن مسارعتهم إلى ذلك من غير تعلم أصلا من غير أن يكون هناك أخذوا وشهاد وحوال وجواب كما في قوله تعالى فقال لهم والارض انبساطوعا وكرها قالنا أتينا طائعين وقوله تعالى (أن تقولوا) بالبناء على تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى معاصريه من اليهود تشديدا في الإلزام أو إليهم وإلى متقدميهم بطريق التغليب لكن لا من حيث أنهم مخاطبون بقوله تعالى ألسنت بربكم فإنه ليس من الكلام المحكى وقرئ بالياء على أن النكير للذرية وأيا ما كان فهو مفعول له لما قبله من الأخذ والشهاد أى فعلنا ما فعلنا كراحة أن تقولوا أو لا تقولوا إياها الكفرة أو يقولوا هم (يوم القيامة) عند ظهور الامر (انا كنا عن هذا) عن وحدانية الربوبية وأحكامها (عافلين) لم تنبه عليه فانهم حيث جبلوا على ما ذهكروا من التهور التام لتحقيق الحق والقوة القرينة من الفعل صادر والمجوجين عاجزين عن الاعتذار بذلك اذ لا سبيل لاحد إلى انكار ما ذهكروا من خلقهم على الفطرة السليمة وقوله تعالى (أو تقولوا إنما أشركنا أبائنا) عطف على تقولوا وأولئك المخلوقون الجوع أى هم اخترعوا الاشرار وهم سنوه (من قبل) أى من قبل زماننا (وكنا) نحن (ذرية من بعدهم) لانتم تدعى إلى السبيل ولا تنقدروا على الاستدلال بالدلائل (أفتنكنا بما فعل المبطلون) من آباءنا الماضين بعد ظهور أنهم المجرمون ونحن عاجزون عن التدبير والاستبعاد بالرائى أو أتواخذنا فتنكنا الخ فان ما ذكر من استعدادهم الكامل يستدعيهم باب الاعتذار بهذا أيضا فان التقليد عند قيام الدلائل والقدرة على الاستدلال بهما لا مساع له أصلا هذا وقد حجت هذه المقابلة على الحقيقة كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما من أنه لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام مسح ظهره فأخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة فقال ألسنت بربكم قالوا بلى فتودى يومئذ جف القلم عما هو كائن إلى يوم القيامة وقد روى عن عمر رضى الله عنه أنه سئل عن الآية الكريمة فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال ان الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون وليس المعنى أنه تعالى أخرج الكل من ظهره عليه الصلاة والسلام بالذات بل أخرج من ظهره عليه السلام أبنائه الصلبية ومن ظهرهم أبنائهم الصلبية وهكذا إلى آخر السلسلة لكن لما كان المظهر الاصلى ظهره عليه الصلاة والسلام وكان مساق الحديثين الشريفين بيان حال الفريقين اجبالا من غير أن يتعلق بذكر الوسائط غرض على نسب اخراج الكل إليه وأما الآية الكريمة فحيث كانت مسوقة للاحتجاج على الكفرة المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان عدم افادة الاعتذار باسناد الاشرار إلى آباءهم اقتضى الحال نسبة اخراج كل واحد منهم إلى ظهر آبيهم من غير تعرض لخراج الابناء الصلبية لآدم عليه السلام من ظهره قطعا وعدم بيان الميثاق في حديث عمر رضى الله تعالى عنه ليس ببيان لعدم ولا مستلزما له وأما ما قالوا من أن أخذ الميثاق لاسقاط عذر الغفلة حسما ينطق به قوله تعالى أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ومعلوم أنه غير ادفع لغفلتهم في دار التكليف اذ لا فرد من أفراد البشرية كذا ذلك فردا ولكن لا بما قبل من أن الله عز وجل قد أوضح الدلائل على وحدانيته وصدق رسوله فيما أخبروا به فن أنكره كان معاندا ناقضا للعهد ولزمته الجنة ونسيانهم وعدم سقطهم لا يسقط الاحتجاج بعد اخبار الخبر الصادق بل بأن قوله تعالى أن تقولوا الخ ليس مفسوعولا له لقوله تعالى وأشهدهم وما يتفزع عليه من قولهم بلى شهدنا حتى يجب كون ذلك الشهاد والشهادة محضة وظاهرا لهم

في الزامهم بل لفعل مضارع ينسحب عليه الكلام والمعنى فعلنا ما فعلنا من الامر بك الميثاق وبيان ~~مكره~~ كراهة
 أن تقولوا أو ثلاثا تقولوا أي الكفرة يوم القيامة أنا كنا غافلين عن ذلك الميثاق لم تنبه عليه في دار التكليف
 والاعمالنا ووجه هذا على قراءة الجمهور وأما على القراءة بالياء فهو مفعول له لنفس الامر المضمر العامل
 في إذا أخذ والمعنى اذكر لهم الميثاق المأخوذ منهم فيما مضى لئلا يفتخروا يوم القيامة بالغفلة عنه أو بتقليد
 الآباء هذا على تقدير كون قوله تعالى شهدنا من كلام الذرية وهو الظاهر فأما على تقدير كونه من كلامه تعالى
 فهو العامل في أن تقولوا ولا محذور أصلا إذا المعنى شهدنا فلو كان هذا الثلاثة تقولوا يوم القيامة الخ لا نأثر لكم
 ونكذبكم حينئذ (وكذلك) إشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده وما فيه من معنى البعد للايدان بعلو
 شان المشار اليه وبعد منزلته والكاف مشعرة مؤكدة لما أفاده اسم الإشارة من الغنامة والتقديم على
 الفعل لإفادة القصر ومجمله النصب على المصدرية أي ذلك التفصيل البليغ المستتبع للمنافع الجليلة (نفصل
 الآيات) المذكورة لا غير ذلك (والمهم يرجعون) ويرجعوا عما هم عليه من الاصرار على الباطل وتقليد
 الآباء ففعل التفصيل المذكور قالوا وان ابتدأتان ويجوز أن تكون الثانية عاطفة على مقدر مترتب على
 التفصيل أي وكذلك تفصل الآيات ليقفوا على ما فيها من المرغبات والزواجر ويرجعوا الخ (واتل عليهم)
 عطف على المضمر العامل في إذا أخذ وارد على غطه في الانباء عن المحور بعد الكور والاضلالة بعد الهدى أي
 واتل على اليهود (بنالذي آتيناها آياتنا) أي خبره الذي له شأن وخطره وهو أحد علماء بني اسرائيل وقيل هو
 بنو بن باعورا أو بلعام بن باعر من الكنعانيين أتى على علم بعض كتب الله تعالى وقيل هو أمية بن أبي الصلت
 وكان قد قرأ الكتب وعلم أن الله تعالى مرسل في ذلك الزمان رسولا ورجا أن يكون هو الرسول فلما بعث الله تعالى
 النبي صلى الله عليه وسلم حسده وكفريه والاول هو الانسب ب مقام توحيج اليهود به ناتهم (فانسلخ منها)
 أي من تلك الآيات انسلاخ الجلد من الشاة ولم يخطر لها يباله أصلا أو خرج منها بالكلية بأن كفر بها ونبذها
 وراء ظهره وأياتها كان فاتبعه عنه بالانسلاخ المنبئ عن اتصال المحيط بالمحاط خفة وعن عدم الملافة بينهم أيدا
 للايدان بكمال مباينته للآيات بعد أن كان بينهما كمال الاتصال (فاتبعه الشيطان) أي تبعه حتى لحقه وأدركه
 فصار قريشاه وهو المعنى على قراءة فاتبعه من الاتعمال وفيه تلويح بأنه أشد من الشيطان غواية أو تبعه
 خطواته (فكان من الغاوين) فصار من زمرة الضالين الراسخين في الغواية بعد أن كان من المهتدين
 وروى أن قومه طلبوا اليه أن يدعو على موسى عليه السلام فقال كيف أدعو على من معه الملائكة فلم يزلوا
 به حتى فعل فبقوا في التيه وردد أنه التيه كان لموسى عليه السلام روحا وراحة وانما عذب به بنو اسرائيل
 وقد كان ذلك بدعائه عليه السلام عليهم كما تروى في سورة المائدة (ولوشئنا) كلام مستأنف مسوق لبيان مناط
 ما ذكر من انسلاخه من الآيات ووقوعه في مهاوى الغواية ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا وكون
 مفعولها مضمر على الجزاء على القاعدة المستمرة أي ولوشئنا رفعه (رفعناه) أي الى المنازل العالية للإبرار العالمين
 بتلك الآيات العاملين بموجبها لكن لا بعض مشيئتنا من غير أن يكون له دخل في ذلك أصلا فانه منساف
 للحكمة التشريعية المؤسسة على تعليق الاجزىة بالافعال الاختيارية للعباد بل مع مباشرته للعمل المؤدى
 الى الرفع بصرف اختياره الى تحصيله كما ينبي عنه قوله تعالى (بها) أي بسبب تلك الآيات بأن عمل بموجبها
 فان اختياره وان لم يكن مؤثرا في حصوله ولا في ترتب الرفع عليه بل كلاهما ما يخلق الله تعالى لكن خلقه تعالى
 منوط بذلك البتة حسب جريان العادة الالهية وقد أشير الى ذلك في الاستدراك بأن أسند ما يؤدى الى
 نقض التالى اليه حيث قيل (ولكنه أخلد الى الارض) مع أن الاخلاص اليها أيضا مما لا يتحقق عند صرف
 اختياره اليها لا بخلقها تعالى كانه قيل ولوشئنا رفعه مباشرة لسببه لرفعناه بسبب تلك الآيات التي هي
 أقوى أسباب الرفع ولكن لم نشأ لمباشرة لسبب تقيضه فترك في كل من المقامين ما ذكر في الآخر تعويلا
 على اشعار المذكور بالمطوى كما في قوله تعالى وان يمسك الله بضرة فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير
 فلا راد لفضله وتخصيص كل من المذكورين بمقامه للايدان بأن الرفع مراده تعالى بالذات وتفضل محض
 عليه لا دخل فيه لقوله حقيقة كيف لا وجميع أفعاله ومبادئها من نعمه تعالى وتفضلاته وأن تقيضه انما أصابه

بسوء اختياره على موجب الوعيد لا بالارادة الذاتية له سبحانه كما قيل في وجه ذكر الارادة مع الخير والمس
مع الشر في الآية المذكورة وهو السر في جريان السنة القرآنية على استناد الخير اليه تعالى وازافة
الشر الى الخير كما في قوله تعالى واذا امرت فهو يشقى ونظائره والاخلاد الى الشئ المبيل اليه مع
الاطمئنان به والمراد بالارض الدنيا وقيل السفالة والمعنى ولكنه آثر الدنيا الدنية على المنازل السنية
أو الضعة والسفالة على الرفعة والجلالة (واتبع هواه) معرضا عن تلك الآيات الجليلة فاشطأ ببلغ انحطاط
وارتد أسفل سافلين والى ذلك أشير بقوله تعالى (مثله كمثل الكلب) لما أنه أخس الحيوانات وأسفلها وقد
مثل حاله بأخس أحواله وأذلها حيث قيل (ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) أي في حاله التي هي
مثل في السوء كصفته في أرذل أحواله وهي حالة دوام اللهث به في سالتى التعب والراحة فكأنه قيل فتردى
الى ما لا غاية وراءه في الخسة والدناءة واينار بالجلالة الاسمية على الفعلية بأن يقال فصار مثله كمثل الكلب الخ
للايدان بدوام اتصافه بذلك الحالة الخسية وكما استقراره واستقراره عليها والخطاب في فعل الشرط
لكل أحد ممن له حظ من الخطاب فانه أدخل في اشاعة فظاعة حاله والله ادلاع اللسان بالتنفس الشديد أي
هو ضيق الحال مكروب دائم اللهث سواء هيجته وأزعجته بالطرده العنيف أو تركته على حاله فانه في الكلاب طبع
لا تقدر على نفث الهواء المتسخ وجلب الهواء البارد بسهولة اضعف قلبها وانقطاع فؤادها بخلاف سائر
الحيوانات فانها لا تحتاج الى التنفس الشديد ولا يلحقها الكرب والمضايقة الا عند التعب والاعياء والشرطية
مع أختها تنفس لما بهم في المثل وتقصيل لما أجل فيه وتوضيح للتقيل ببيان وجه الشبه لا محمل له من الاعراب
على منهاج قوله تعالى خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون اتر قوله تعالى أن مثل عيسى عند الله كمثل آدم وقيل
هي في محمل النصب على الحالية من الكلب بناء على خروجهما من حقيقة الشرط وتحولهما الى معنى التسوية
حسب تحول الاستفهام من المتناقضين اليه في مثل قوله تعالى أنذرهم أم لم تنذرهم كانه قيل لا هنا
في الحالين وأياما كان فلا يظهر أنه تشبيه للهية المنزعة مما اعتراه بعد الانسلاخ من سوء الحال واضطراب
القلب ودوام القلق والاضطراب وعدم الاستراحة بحال من الاحوال بالهية المنزعة مما ذكر من حال
الكلب وقيل للمادة عابهم على موسى عليه السلام خرج لسانه فتدلى على صدره وجعل يلهث كالكلب الى أن
هلك (ذلك) اشارة الى ما ذكر من الحالة الخسية منسوبة الى الكلب أو الى المنسلخ وما فيه من معنى البعد
للايدان بعدم منزلتها في الخسة والدناءة أي ذلك المثل السيئ (مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) وهم اليهود حيث
أو توفى التوراة ما أو توفى نعوذ النبي عليه الصلاة والسلام وذكر القرآن المجز ومافيه فصدة قوه وبشروا
الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتخون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وانسلخوا من حكم التوراة (فأقصص
القصص) القصص مصدر مسمى به المفعول كالسلب واللام للعهد والقاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أي اذا
تحقق أن المثل المذكور مثل هؤلاء المكذبين فأقصص عليهم حسما أو وحى اليك (اعلمهم يتفكرون) فيفقهون على
جلية الحال وينزحرون عما هم عليه من الكفر والضلال ويعلمون أنك قد علمته من جهة الوحي فيزدادون ايقانا
بك والجله في محمل النصب على أنها حال من ضمير مخاطب أو على أنها مفعول له أي فأقصص القصص راجيا
لتفكرهم أي أو رجاء لتفكرهم (سأ مثلا) استئناف مسوق لبيان كمال قبح حال المكذبين بعد بيان كونه
كحال الكلب أو المنسلخ وسأ بمعنى بش وفعالها ضمير فيها ومثلا تميز مفسر له والخصوص بالذم قوله تعالى
(القوم الذين كذبوا بآياتنا) وحيث وجب التصديق بينه وبين الفاعل والتميز وجب المصير الى تقدير مضاف
اتما اليه وهو الظاهر أي سأ مثلا مثل القوم الخ أو الى التميز أي سأ أصحاب مثل القوم الخ وقرى سأ مثلا
القوم واعادة القوم موصوفا بالموصول مع كفاية الضمير بأن يقال سأ مثلا مثلهم للايدان بأن مدار السوء ما
في حبز الصلة ولزبط قوله تعالى (وأنفسهم كانوا يظلمون) به فانه اتما معطوف به على كذبوا داخل معه في حكم
الصلة بمعنى جمعوا بين تكذيب آيات الله بدم قيام الحجة عليها وعلمهم بها وبين ظلمهم لانفسهم خاصة أو منقطع عنه
بمعنى وما ظلموا بالتكذيب لانفسهم فان وباله لا يخطأها وأياما كان فني يظلمون لمح الى أن تكذيبهم بالآيات
متضمن للظلم بها وأن ذلك أيضا معتبر في القصر المستفاد من تقديم المفعول (من جده الله فهو المهتدى) لما أمر

التي عليه الصلاة والسلام بأن يقص قصص المنسلخ على هؤلاء الضالين الذين مثلهم كمثل استقروا فيه ويتركوا
ما هم عليه من الإخلال إلى الضلالة ويمتدوا إلى الحق عقب ذلك بتحقيق أن الهداية والضلالة من جهة الله
عز وجل وإنما العظة والتذكير من قبيل الوسائط العادية في حصول الاهتداء من غير تأثير لها فيه سوى
كونها تدعو إلى صرف العبد اختياره نحو تخصيصه حسب ما يبط به خلق الله تعالى أيام كسائر أفعال العباد
فالمراد بهذه الهداية ما يوجب الاهتداء قطعاً لكن لا لأن حقيقة الدلالة الموصلة إلى البغية البتة بل لأنها
الغرد الكامل من حقيقة الهداية التي هي الدلالة إلى ما يوصل إلى البغية أي ما من شأنه الاتصال إليها كما سبق
تحقيقه في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وليس المراد مجرد الأخبار بالهداء من هداة الله تعالى حتى يتوهم
عدم الاستفادة بحسب الظاهر الظاهر واستلزام هدايته تعالى للاهتداء ويحمل النظم الكريم على تعظيم شأن
الاهتداء والتنبية على أنه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لولم يحصل له غيره لكفاه بل هو قصر الاهتداء على من
هداه الله تعالى حسب ما يقتضي به تعريف الخبر فالمعنى من يهداه الله أي يخلق فيه الاهتداء على الوجه المذكور
فهو المهتدي لا غير كما تنبأ من كان (ومن يضل) بأن لم يخلق فيه الاهتداء بل خلق فيه الضلالة لصرف
اختياره نحوها (فأولئك) الموصوفون بالضلالة على الوجه المذكور (هم الخاسرون) أي الكاملون
في الخسران لا غير وأفراد المهتدي نظر إلى لفظ من وجع الخاسرين نظراً إلى معناه لا لبيان اتحاد مناج
الهدى وتفريق طرق الضلال (ولقد ذرأنا) كلام مستأنف مقترن بـ مقترن ما قبله بطريق التذييل أي خلقنا
(الجهنم) أي لدخولها والتعذيب بها وتقديره على قوله تعالى (كثيراً) أي خلقنا كثيراً مع كونه مفعولاً
به لما في نوابه من نوع طول يؤدى توسطه بينهم ما تأخيره عنها إلى الإخلال بجزالة النظم الكريم
وقوله تعالى (من الجن والإنس) متعلق بمحذوف هو صفة لكثيراً أي كانوا منهم ما وتقدم الجن لأنهم أعرق
من الإنس في الانصاف بما نحن فيه من الصفات وأكثرت عدداً وأقدم خلقاً والمراد بهم الذين حقت عليهم
الكلمة الأزلية بالشقاوة لكن لا بطريق الخبر من غير أن يكون من قبلهم ما يؤدى إلى ذلك بل لعلمه تعالى
بأنهم لا يصرفون اختيارهم نحو الحق أبداً بل يصرون على الباطل من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم
من الآيات والنذر في هذا الاعتبار جعل خلقهم مغيا بها كما أن جميع الفريقين باعتبار رتبة عددهم الكامل
النظري للعبادة وتمكنهم التمام منها جعل خلقهم مغيا بها كما نطق به قوله تعالى وما خلقت الجن والإنس
إلا ليعبدون وقوله تعالى (لهم قلوب) في محل نصب على أنه صفة أخرى لكثيراً وقوله تعالى
(لا يفقهون بها) في محل الرفع على أنه صفة ألقاب مؤكدة لما يفيد تنكيرها وإيهامها من كونها
غير معهودة مخالفة لسائر أفراد الجنس فائدة لكماله بالكلية لكن لا بحسب النظرة حقيقة بل بسبب امتناعهم
عن صرفها إلى تخصيصه وهذا وصف لها بكل الأغراق في السأوة فإنها حيث لم تأت منها الفقه بحال
فكأنها خلقت غير قابلة له رأساً وكذا الحال في أعينهم وآذانهم وحذف المفعول للتعميم أي لهم
قلوب ليس من شأنها أن يفقهوا بها شيئاً مما من شأنه أن يفقه فيدخل فيه ما يليق بالمقام من الحق ودلائله
دخولاً وأولاً وتخصيصه بذلك محل بالأفصاح عن كنه حالهم (ولهم أعين لا يبصرون بها) الكلام فيه
كما في عاطف هو عليه والمراد بالبصار والسمع المنقيين ما يختص بالعقل من الإدراك على ما هو وظيفة
الثقلين لا ما يتناول مجرد الأحساس بالشج والصوت كما هو وظيفة الأنعام أي لا يبصرون بها شيئاً من
المبصرات فيندرج فيه الشواهد التكوينية الدالة على الحق اندراجاً أولياً (ولهم آذان لا يسمعون بها)
أي شيئاً من المسموعات فيتناول الآيات التزييلية تناولاً أولياً وإعادة الخبر في الجملتين المعطوفتين مع انظام
الكلام بأن يقال وأعين لا يبصرون بها وآذان لا يسمعون بها لتقرر رسوخ حالهم وفي إثبات المشاعر الثلاثة
لهم ثم وصفها بعدم الشعور دون سلبها عنهم ابتداءً بأن يقال ليس لهم قلوب يفقهون بها ولا أعين يبصرون بها
ولا آذان يسمعون بها من الشهادة بكل رسوخهم في الجهل والغواية ما لا يخفى (أولئك) إشارة إلى المذكورين
باعتبار انصافهم بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد لا لبيان بعد منزلتهم في الضلال أي أولئك
الموصوفون بالأوصاف المذكورة (كلا نعمام) أي في انتفاء الشعور على الوجه المذكور وفي أن

مشاعرههم متوجهة الى أسباب التعيش مقصورة عليها (بل هم أضل) فانها تدرك ما من شأنها أن تدركه من المنافع والمضار فتجتمد في جلبها وسلبها غاية جهدها مسح كونها بعزل من الخلود وهو لا يسد ذلك حيث لا يعجزون بين المنافع والمضار بل يعكسون الامر فيتركون النعيم المقيم ويقدمون على العذاب الخالد وقيل لانها تعرف صاحبها وتذكره وتطيعه وهو لا لا يعرفون ربهم ولا يذكرونه ولا يطيعونه وفي الخبر كل شيء أطوع لله من ابن آدم (أو تلك) المنعوتون بما هم من مثلية الانعام والشريعة منها (هم الغافلون) الكمالون في الغفلة المستحقون لان يخص بهم الاسم ولا يطلق على غيرهم فكيف لا وانهم لا يعرفون من شؤون الله عز وجل ولا من شؤون ما سواها شيئا فيشركون به سبحانه وليس كمثل شيء وهو السميع البصير أصنامهم التي هي من أخس مخلوقاته تعالى (ولله الاسماء الحسنى) تنبيه للمؤمنين على كيفية ذكره تعالى وكيفية معاملته مع الخلق بذلك الغافلين عنه سبحانه وعماء يليق به من الامور وما لا يليق به اثر ببيان غفلتهم التامة وضلالهم الطامة والحسنى تأنيت الاحسن أي الاسماء التي هي أحسن الاسماء وأجلها الانباتها عن أحسن المعاني وأشرفها (فادعوه بها) أي فسموه بتلك الاسماء (وذروا الذين يلحدون في أسمائه) الاتحاد واللحد الميل والاتخاف يقال لحدوا لحدوا ذامال عن القصد وقرئ يلحدون من الثلاث أي يميلون في شأنها عن الحق الى الباطل اما بأن يسموه تعالى بما لا توقف فيه أو بما يؤهم معنى فاسدا كما في قول أهل البدو يا أبا المكارم يا أبيض الوجه يا بنى ونحو ذلك فالمراد بالترك المأمور به الاجتناب عن ذلك وبأسمائه ما أطلقوه عليه تعالى وسموه به على زعمهم لا أسمائه تعالى حقيقة وعلى ذلك يحمل ترك الانتماء بأن يقال يلحدون فيها واما بأن يعدلوا عن تسميته تعالى ببعض أسمائه الكريمة كما قالوا وما الرحمن ما تعرف سوى رحمان الرحمة فالمراد بالترك الاجتناب أيضا وبالأسماء أسمائه تعالى حقيقة فالمراد في جميع أسمائه الحسنى واجتنابوا الخراج بعضها من البين واما بأن يطلقوها على غيره تعالى كما سمو أصنامهم آلهة واما بأن يشقوا من بعضها أسماء أصنامهم كما اشتقوا الثلاث من الله تعالى والعزى من العزيز فالمراد بالأسماء أسمائه تعالى حقيقة كما في الوجه الثاني والاطهار في موقع الانتماء مع التجريد عن الوصف في الكل لا يذيان بأن الحادهم في نفس الاسماء من غير اعتبار الوصف وليس المراد بالترك حينئذ الاجتناب عن ذلك اذ لا يتوهم صدور مثل هذا الاتحاد عن المؤمنين ليؤمنوا بتركه بل هو الاعراض عنهم وعدم المبالاة بما فعلوا ترقيا لتزول العقوبة بهم عن قريب كما هو المتبادر من قوله تعالى (سيجزون ما كانوا يعملون) فانه استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الامر بعدم المبالاة والاعراض عن المجازاة كانه قيل لم لا ينابى بالحادهم ولا تصدى لمجازاتهم فقول لانه سينزل بهم عقوبته وتشفون بذلك عن قريب واما على الوجهين الاخرين فالمراد في اجتناب الحادهم كيلا يصيبكم ما أصابهم فانه سينزل بهم عقوبة الحادهم (ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) بيان اجمالى لحال من هذا المنحصرين من الثقلين الموصوفين بما ذكر من الضلال والاتحاد عن الحق ومحل الطرف الرفع على أنه مبتدأ اما باعتبار خبره نعمونه أو بتقدير الموصوف وما بعده خبره كما مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس الخ أي وبعض من خلقنا أمة أي طائفة كثيرة يهدون الناس ملتبسين بالحق أو يهدونهم بكافة الحق ويهدونهم على الاستقامة وبالحق يحكمون في الحكومات الخارجية فيما بينهم ولا يجورون فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة الآية وعنه عليه الصلاة والسلام ان من أمتي قوم على الحق حتى ينزل عيسى وروى لا تزال من أمتي طائفة على الحق الى أن يأتي أمر الله وروى لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون وفيه من الدلالة على صحة الاجماع ما لا يخفى والاقتصار على نعتهم بهداية الناس للاذيان بأن اهتداهم في أنفسهم أمر محقق غنى عن التصریح به (والذين كذبوا بآياتنا) شروع في تحقيق الحق الذي به يهدى الهادون وبه يعدل العادلون وحمل الناس على الاهتداء به على وجه التهيب ومحل الموصول الرفع على أنه مبتدأ خبره ما بعده من الجملة الاستيعابية وإضافة الآيات الى نون العظمة لتبشر بها واستعظام الاقدام على تكذيبها أي والذين كذبوا بآياتنا التي

هي معيار الحق ومصدق الصدق والعدل (سنستدرجهم) أي نستدنيهم البتة الى الهلاك شيئاً
والاستدراج استفعال من درج اتماعني صعود ثم انزع فيه فاستعمل في كل نقل تدريجي سواء كان بطريق
الصعود او الهبوط أو الاستقامة واما معني مشي مشياً ضعيفاً واما معني طوى والاول هو الانسب بالمعني
المراد الذي هو النقل الى أعلى درجات المهالك ليبلغ أقصى مراتب العقوبة والعذاب ثم استعبر لطلب كل نقل
تدريجي من حال الى حال من الاحوال الملازمة للمستقل الموافقة لهواه بحيث يزعم أن ذلك ترقى في مراتب
منافعه مع أنه في الحقيقة تزدني مهاري مصارعه فاستدراجهم سبحانه اياهم أن يوارع عليهم الذم مع انهم ما كرم
في الحق فيجب وأنهم اللطف لهم منه تعالى فيزدادوا بطرا وطمعاً بما لا يمكن لأعلى أن المطلوب تدريجهم
في مراتب الذم بل هو تدريجهم في مدارج المعاصي الى أن يحق عليهم كلمة العذاب على أفطع حال وأشنعها
والاول وسيلة اليه وقوله تعالى (من حيث لا يعلمون) متعلق بمضمون وقع صفة لمصدر الفعل المذكور
أي سنستدرجهم استدراجاً كأنهم من حيث لا يعلمون أنه كذلك بل يحسبون أنه أثره من الله عز وجل وتقریب
منه وقيل لا يعلمون ما يراد بهم (وأمل لهم) عطف على سنستدرجهم غير داخل في حكم السين لما أن الاملاء
الذي هو عبارة عن الامهال والاطالة ليس من الامور التدريجية كالاستدراج الحاصل في نفسه شيئاً
فتسبيل هو فعل يحصل دفعة وانما الحاصل بطريق التدريج آثاره وأحكامه لانفسه كما يلوح به تغيير التعبير
بتوحيد الضمير مع ما فيه من الاقتناع المنبئ عن مزيد الاعتناء بمضمون الكلام لابتنائه على تجديد القصد
والعزيمة وأما أن ذلك للأشعار بأنه بعض التقدير الالهي والاستدراج بتوسط المدرجات فبناء دالة تون
العظمة على الشرح كما وفي ذلك والاحترز عن إيرادها في قوله تعالى لا يحسبن الذين كسروا انما على
لهم خير لانفسهم انما على لهم الآية بل انما إيرادها في أمثال هذه الموارد بطريق الجريان على سنن الكبرياء
(ان كيدى متين) تقرير للوعيد وتأكيد كيدله أي قوى لا يذاع بقوة ولا يجيله والمراد به الاستدراج والاملاء
مع نتيجة ما القى في الاخذ الشديد على غرة قسمة كيد الما أن ظاهره لطف وباطنه قهر واما نفس ذلك الاخذ
فقط فالسمية لكون مقدّماته كذلك وأما أن حقيقة الكيد هو الاخذ على خفاء من غير أن يعتبر فيه
انظهار خلاف ما يظنه فما لا تعويل عليه مع عدم مناصبته للمقام ضرورة استدعائه لاعتبار العقيد المذكور
حقاً (أولم يفكروا ما يصاحبهم من جنة) كلام مبتدأ مسوق لانكار عدم تفكيرهم في شأنه عليه الصلاة والسلام
وجاهلهم بحقيقة حاله الموجهة للايمان به وبما أنزل عليه من الآيات التي كذبوا بها والهمزة لانكار والتعجب
والتوبيخ والاول لا عطف على مقدريه استدعيه سابق النظم الكريم وسياقه وما اما استدعاهما من انكارية
في محل الرفع بالابتداء والخبر بصاحبهم واما نافية اسمها جنة وخبرها بصاحبهم والجنة من المصادر التي يراد بها
الهيئة كالكربة والجلاسة وتنكيرها للتقليل والتحقير والجله معلة لفعل التفكير لكونه من أفعال القلوب ومحملها
على الوجهين النصب على نزع الجمار أي كذبوا بها ولم يفكروا في أي شيء من جنون ما كانوا يصاحبهم الذي
هو أعظم الامة الهادية بالحق وعليه أنزلت تلك الآيات أو في أنه ليس بصاحبهم شيء من جنة حتى يؤذيه التفكير
في ذلك الى الوقوف على صدقه وصحة نبوته فيؤمنوا به وبما أنزل عليه من الآيات وقيل قد تم الكلام عند قوله
تعالى أولم يفكروا أي كذبوا بها ولم يفعلوا التفكير ثم ابتدئ فتبيل أي شيء بصاحبهم من جنة بما على طريقة
الانكار والتعجب والتكيت أو قيل ليس بصاحبهم شيء منها والتعبير عنه عليه الصلاة والسلام بصاحبهم للايدان
بأن طول صاحبهم له عليه الصلاة والسلام مما يطالعهم على نزاهته عليه الصلاة والسلام عن شائبة ما ذكر
ففيه تأكيد للتكبر وتشديده والتعرض لنفي الجنون عنه عليه الصلاة والسلام مع وضوح استتاله ثبوته
له عليه الصلاة والسلام لما أن التكلم بما هو خارق لقضية العقول والعادات لا يصدر الا عن به من الجنون
كيف ما اتفق من غير أن يكون له أصل ومعنى أو عن له تأييد الهی يخبر به عن الامور الغيبية واذ ليس به عليه
السلام شائبة الاقل تعين أنه عليه الصلاة والسلام موقد من عند الله تعالى وقيل أنه عليه الصلاة والسلام
علا الصفا لئلا يخجل بدعوى قریشا نخذاً لئلا يحذرهم بأس الله تعالى فقال فأتاهم ان صاحبكم هذا
الجنون بات يهوت الى الصباح فتزالت فالتصريح بنفي الجنون حينئذ لارادة على عظيمهم الشنعاء والتعبير عنه

قوله تون أي تون

عليه الصلاة والسلام يصاحبههم وارد على شاكلة كلامهم مع ماقيه من التكنة المذكورة وقوله تعالى
(ان هو الاذير مبين) بجهة مقزرة لمنحون ما قبلها ومبينة لحقيقة حاله عليه الصلاة والسلام على منهاج قوله
تعالى ان هذا الاملك كريم بعد قوله تعالى ما هذا بشرا أى ما هو عليه الصلاة والسلام الامبالغ في الاذار
مظهره غاية الاظهار ابراز الكمال الرأفة ومبالغة في الاعتذار وقوله تعالى (أولم ينظروا انى ملكوت
السموات والارض) استئناف آخر مسوق للانكار والتوبيخ باخلالهم بالتأمل فى الآيات التكوينية المنصوبة
فى الاتفاق والانفس الشاهدة بجهة مضمون الآيات المنزلة اثر ما نعى عليهم اخلاهم بالتفكر فى شأنه عليه
الصلاة والسلام والهزمة لما ذكر من الانكار والتعجب والتوبيخ والوالوالعطف على المقدر المذكور أو على
الجملة المنفية بلم والملكوت الملك العظيم أى كذبوا به أو لم يتفكروا فيما ذكر ولم ينظروا تأمل فيما يدل عليه
السموات والارض من عظم الملك وكمال القدرة (وما خلق الله) أى وفيما خلق فيه ما على أنه عطف على ملكوت
وتخصيصه بهما لكمال ظهور عظم الملك فيهما أو وفى ملكوت ما خلق على أنه عطف على السموات والارض
والتعميم لاشتراك الكل فى الدلالة على عظم الملك فى الحقيقة وعليه قوله تعالى فسبحان الذى يده ملكوت
كل شئ وقوله تعالى (من شئ) بيان لما خلق مفيد لعدم اختصاص الدلالة المذكورة بمثل المصنوعات
دون دعاتها والمعنى أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق فيه ما من جليل ودقيق بما ينطق
عليه اسم الشئ يدلهم ذلك على العلم بوحدة انبته تعالى وبما رشوته التى ينطق بها تلك الآيات فيؤمنوا
بها الاتحاد ما فى المدلول فان كل فرد من أفراد الاصلكون مما عزوهان دليل لا تخ على الصانع المجيد
وسبيل واضح الى عالم التوحيد وقوله تعالى (وان عسى أن يكون قد اقترب أجلهم) عطف على ملكوت
وأن مخففة من أن واهما ضمير الشأن وخبرها عسى مع فاعلها الذى هو أن يكون واسم يكون أيضا ضمير
الشأن والخبرة قد اقترب أجلهم والمعنى أولم ينظروا فى أن الشأن عسى أن يكون الشأن قد اقترب أجلهم وقد
جوز أن يكون اسم يكون أجلهم وخبرها قد اقترب على أنها جملة من فعل وفاعل هو ضمير أجلهم لتقدمه حكما
وأيا ما كان فمناط الانكار والتوبيخ تأخيرهم للنظر والتأمل أى لعالمهم يؤنون عما قريب فخالهم لا يسارعون
الى التدبر فى الآيات التكوينية الشاهدة بما كذبوه من الآيات القرآنية وقد جوز أن يكون الاجل
عبارة عن الساعة والاضافة الى ضميرهم للابدنهم لها من جهة انكارهم لها وبجنتهم عنها وقوله تعالى
(فبأى حديث بعده يؤمنون) قطع لاحتمال ايمانهم رأسا ونفى له بالسكينة مترتب على ما ذكر من تكذيبهم
بالآيات واخلاهم بالتفكير والنظر والباء متعلقة يؤمنون وضمير بعده لا يأت على حذف المضاف المفهوم
من كذبوا والتذكير باعتبار كونهم اقرا تأوبا وبها بالمدكور واجراء الضمير مجرى اسم الإشارة والمعنى
أ كذبوا به ولم يتفكروا فيه يوجب تصديقهم من أحواله عليه الصلاة والسلام وأحوال المصنوعات فبأى
حديث يؤمنون بعد تكذيبه ومعه مثل هذه الشواهد القوية كلالهيات وقيل الضمير للقرآن والمعنى
فبأى حديث بعد القرآن يؤمنون اذ لم يؤمنوا به وهو النهاية فى البيان وقيل هو انكار وتكذيبهم
مترتب على اخلاهم بالمسارعة الى التأمل فيما ذكر كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب فخالهم لا يسارعون الى
الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأى حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا
وقيل الضمير لأجلهم والمعنى فبأى حديث بعد انقضاء أجلهم يؤمنون وقيل للرسول عليه الصلاة والسلام
على حذف مضاف أى فبأى حديث بعد حديثه يؤمنون وهو اصدق الناس وقوله تعالى (من يضل
الله فلا هادى له) استئناف مقزرا لما قبله من شئ عن الطبع على قلوبهم وقوله تعالى (ويذرهم فى طغيانهم)
بالباء والرفع على الاستئناف أى وهو يذرهم وقرئ بنون العظيمة على طريقة الالتفات أى ونحن نذرهم
وقرئ بالياء والجزم عطف على محل فلا هادى له كأنه قيل من يضل الله لا يهده أحد ويذرهم وقد روى الجزم
بالنون عن نافع وأبى عمرو فى الشواذ وقوله تعالى (يعصون) أى يتبرّدون ويتخبرون حال من مفعول
يذرهم وتوحيد الضمير فى حيز النفي نظرا الى لفظ من وجهه فى حيز الآيات نظرا الى معناها التخصيص على شمول
النفي والاثبات للكل (يسألونك عن الساعة) استئناف مسوق لبيان بعض أحكام ضلالهم وطمعائهم

أي عن القيامة وهي من الأسماء الغالبة واطلاقها عليها إنما لوقوعها بغتة أو لمرعة ما فيها من الحساب أو لأنها
 ساعة عند الله تعالى مع طوإها في نفسها قيل إن قوما من اليهود قالوا يا محمد أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيا
 فإنا نعلم متى هي وكان ذلك امتحاناً منهم مع علمهم أنه تعالى قد استأثر بعلمها وقيل الساتلون قريبش وقوله تعالى
 (إيان مرساها) بفتح الهمزة وقد قرئ بكسر ها وهو ظرف زمان متضمن لمعنى الاستفهام ويليه المبتدأ والفعل
 المضارع دون الماضي بخلاف متى حيث يليها كلاهما قيل اشتقاقه من أي - فعلان منه لأن معناه أي وقت
 وهو من أويت إلى الشيء لأن البعض أو إلى الكل متسانداً إليه ومحل الرفع على أنه خبر مقدم ومرساها مبتدأ
 مؤخر أي متى أرسلوها أي أنبأهم أو تقريرها فإنه مصدر ميمي من أرساه إذا أثبته وأقره ولا يصح كاد يستعمل
 إلا في الشيء الثقيل كما في قوله تعالى والجبال أرساها ومنه مرسة السفن ومحل الجملة قيل الجزع على البدلية
 من الساعة والتحقيق أن محلها النصب بنزع الخافض لأنها بدل من الجمار والبحر ودل من البحر وورقسط كأنه
 قيل يسألونك عن الساعة عن أيان مرساها وفي تعليق السؤال بنفس الساعة أولاً وبوقت وقوعها ثانياً
 تنبيه على أن المقصد الأصلي من السؤال نفسها باعتبار حلولها في وقتها المعين لا وقتها باعتبار كونه محلاً
 لها وقد سلك هذا المسلك في الجواب الملقن أيضاً حيث أضيف العلم المطلوب بالسؤال إلى ضميرها فأخبر
 باختصاصه به عز وجل حيث قيل (قل إنما علمها) أي علمها بالاعتبار المذكور (عند ربى) ولم يقل إنما
 علم وقت إرسالها ومن لم يتنبه لهذه النكتة حل النظم الكريم على حذف المضاف والتعرض لعنوان الرواية مع
 الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام لا يذات بأن توفيقه عليه الصلاة والسلام للبواب على الوجه المذكور
 من باب الترتيب والارشاد ومعنى كونه عنده تعالى خاصة أنه تعالى قد استأثر به بحيث لم يخبر به أحد من ملك
 مقرب أو نبي مرسل وقوله تعالى (لا يجليها لوقتها إلا هو) بيان لاستمرار تلك الحالة إلى حين قيامها وإقباط
 كل من أظها وأمرها بطريق الأخبار ومن جهته تعالى أو من جهة غيره لاقتضاء الحكمة التشريعية إياه فإنه
 أدعى إلى الطاعة وأزجر عن المعصية كما أن إخفاء الأجل الخاص للإنسان كذلك والمعنى لا يكشف عنها ولا
 يظهر للناس أمرها الذي نسألون عن الأهل بالذات من غير أن يشعر به أحد من المخلوقين فيتوسط في إظهاره
 لهم لكن لا بأن يخبرهم بوقتها قبل مجيئه كما هو المسؤول بل بأن يقيمها فيشاهدوها عياناً كما يوضح عنه التجربة
 المنبثقة عن الكشف التام المزيل للجهل بالكلية وقوله تعالى لوقتها أي في وقتها قيد للتجربة بعد ورود الاستثناء
 عليها لا قبله كأنه قيل لا يجليها إلا هو في وقتها إلا أنه قد تم على الاستثناء للتنبيه من أقول الأمر على أن تجليتها
 ليست بطريق الأخبار بوقتها بل بإظهار عينها في وقتها الذي يسألون عنه وقوله تعالى (نزلت في السموات
 والأرض) استئناف كما قبله مقترن لضمون ما قبله أي كبرت وشقت على أهلها من الملائكة والنفوس
 كل منهم أحمه خفاؤها وخروجها عن دائرة العقول وقيل عظمت عليهم حيث يشعرون منها ويخافون
 شدائد ها وأهوالها وقيل نقلت فيهما إذ لا يطيقها منهن ما وما فيهن من شئ أصلاً والأول هو الأنسب بما قبله
 وبما بعده من قوله تعالى (لاتأتينكم الابغثة) فإنه أيضاً استئناف مقترن لضمون ما قبله فلا بد من اعتبار الثقل
 من حيث الخفاء أي لاتأتينكم إلا بغثة على غفلة كما حال عليه الصلاة والسلام إن الساعة تهب بالناس والرجل
 يصلح حوضه والرجل يسقى ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه (يسألونك
 كأنك حنى عنها) استئناف مسوق لبيان خطتهم في توجيه السؤال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء على
 زعمهم أنه عليه الصلاة والسلام عالم بالمسؤول عنه أو أن العلم بذلك من مواجب الرسالة اثر بيان خطتهم في
 أصل السؤال بإعلام شأن المسؤول عنه والجملة التوجيهية في محل النصب على أنها حال من الكاف جى - بها يانا
 لما يدعوه إلى السؤال على زعمهم واشعاراً بخطتهم في ذلك أي يسألونك منسباً حالاً عندهم بحال من
 هو حنى عنها أي مبالغ في العلم بها فزيل من حنى وحقيقته كأنك مبالغ في السؤال عنها فإن ذلك في حكم
 المبالغة في العلم بها لما أن من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه به ومبنى التركيب على المبالغة
 والاستقصاء ومنه إسقاء الشارب واحتفاء البقل أي استئصاله والاحتفاء أي الإخفاء في المسئلة أي الإخفاء فيها
 وقيل عن متعلقة يسألونك وقوله تعالى كأنك حنى - معترض وصله حنى - محذوفة أي حنى - بها وقد قرئ كذلك

وقيل هو من الحفاوة بمعنى البر والشفقة فان قرىشا قالوا عليه الصلاة والسلام ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يا أولئك كلك حتى تصفى بهم فقصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوي أمرها عن غيرهم فقيه تخطيطهم من جهتين وقيل هو من حتى بالشيء بمعنى فرح به والمعنى كالتك فرح بالسؤال عنها تحبه مع أنك كاره له لما أنه تعرض لحرم الغيب الذي استأثر الله عز وجل بعلمه (قل انما علمها عند الله) أمر عليه الصلاة والسلام بإعادة الجواب الاول تأكيد الحكم وتقديره واشعار بعلمه على الطريقة البرهانية بإيراد اسم الذات المنبئ عن استنباطها لصفات الكمال التي من جللتها العلم وتهيد التعريض بجهلهم بقوله تعالى (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي لا يعلمون ما ذكر من اختصاص علمها به تعالى فبعضهم ينكرونه وأرأسافلا يعلمون شيئا مما ذكر قطعا وبعضهم يعلمون أنها واقعة البتة ويزعمون أنك واقف على وقت وقوعها فبأسألونك عنه جهلا وبعضهم يدعون أن العلم بذلك من مواجب الرسالة فيتخذون السؤال عنه ذريعة الى القدح في رسالتك والمستثنى من هؤلاء هم الواقفون على جليلة الحال من المؤمنين وأما السائلون عنها من اليهود بطريق الامتحان فهم منتظمون في سلك الجاهلين حيث لم يعملوا بعلمهم وقوله تعالى (قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا) شروع في الجواب عن السؤال ببيان عجزه عن علمها اثر بيان عجزها عن العلم عنه وإبطال زعمهم الذي ينو عليه سؤالهم من كونه عليه الصلاة والسلام بمن يعلمها وإعادة الامر لاظهار كمال العناية بشأن الجواب والنتيجة على استقلاله ومغاييرته للاول والتعرض لبيان عجزه عما ذكر من الترفع والضر لا ثبات عجزه عن علمها بالطريق البرهاني واللام اما متعلق بأملك أو بمعبذوف وقع حالا من نفسه أي لا اقدر لاجل نفسي على جلب نفع ما ولا على دفع ضرر ما (الاماشاء الله) أن املككم من ذلك بأن يلهمني فيه كني منه وبقدري عليه ولكن ماشاء الله من ذلك كأن قال استثناء منقطع وهذا أبلغ في اظهار العجز (ولو كنت أعلم الغيب) أي جنس الغيب الذي من علمه ما بين الاشياء من المناسبات المصححة عادة للسببية والمسببية ومن المليات المستتعبة للمنافعة والمدافعة (لا استكثر من الخير) أي حصلت كثيرا من الخير الذي ينيط تحصيله بالافعال الاختيارية للبشر بترتيب اسبابه ودفع موانعه (وما سئى السوء) أي السوء الذي يمكن التفصلي عنه بالتوقي عن موجدانه والمدافعة بموانعه لا سو تما فان منه ما لا مدفع له (ان انا الانذير وبشير) أي ما انا الا بعد مرسل للانذار والبشارة شأني حياة ما يتعلق بها من العلوم الدينية والدينية لا الوقوف على الغيوب التي لا علاقة بينها وبين الاحكام والشرائع وقد كشفت من أمر الساعة ما يتعلق به الانذار من مجيئها لاصحاله واقترابها وأما الذين وقفها فليس مما يستدعيه الانذار بل هو مما يمدح فيه لما سزم من أن ايهامه ادعى الى الانزجار عن المعاصي وتقديم النذير على البشير لما أن المقام مقام الانذار وقوله تعالى (اقوم يؤمنون) اما متعلق بمحاجبهها لانهم يتفجعون بالانذار كما يتفجعون بالبشارة واما بالبشير فقط وما يتعلق بالنذير محذوف أي نذير للكافرين أي الباقيين على الكفر وبشير اقوم يؤمنون أي في أي وقت كان ففيه ترغيب للكفرة في احداث الايمان وتحذير عن الاصرار على الكفر والطفيان (هو الذي خلقكم) استئناف سبق لبيان كمال عظم جناية الكفرة في جوارحهم على الاشرار بتذكير مبادئ أحوالهم المناقبة له وايقاع الموصول خبر التفخيم شأن المبتدأ أي هو ذلك العظيم الشأن الذي خلقكم جميعا وواحدة من غير أن يكون لغيره مدخل في ذلك بوجه من الوجوه (من نفس واحدة) هو آدم عليه الصلاة والسلام وهذا نوع تفصيل لما أشير اليه في مطالع السورة الكريمة اشارة اجمالية من خلقهم وتصويرهم في ضمن خلق آدم وتصويره وبيان لكيفية (وجعل) عطف على خلقكم داخل في حكم الصلة ولا ضمير في تقدمه عليه وجوده لما أن الواو لا تستدعي الترتيب في الوجود (منها) أي من جنسها كما في قوله تعالى جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن جسدها لما يروى أنه تعالى خلق حواء من ضلع من أضلاع آدم عليه الصلاة والسلام والاول هو الانسب اذا الجنسية هي المؤدية الى الفانية الآتية لا الجزئية والجعل اما بمعنى التصيير بقوله تعالى (روجها) مفعوله الاول والثاني هو الظرف المقدم واما بمعنى الانشاء والظرف متعلق بجعل تقدم على المفعول الصريح لما سزم من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر أو بمحذوف هو حال من المفعول والاول هو الاولى وقوله تعالى (ليسكن اليها) علة غاية الجعل باعتبار تعلقه بغيره وله الثاني أي

ليستأنس بهم أو يطمئن اليها الطمئنة ما صحها للآزدواج كما ياقح به تذكير الضمير ويفصح عنه قوله تعالى (فلما
تغشاهما) أي جامعها (سالت سلا خفيها) في مبادئ الامر فانه عند كونه نطفة أو علقة أو مضغة أخف عليها
بالنسبة الى ما بعد ذلك من المراتب والنهوض لذلك كخفته للإشارة الى نعمته تعالى عليهم في انشائه تعالى
أبائهم متدربين في أطوار الخلق من العدم الى الوجود ومن النعم الى القوة (فقرت به) أي فاستقرت به
كما كانت قبل حيث قامت وقعدت وأخذت وتركت وعليه قراءة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقرئ فقرت
بالتخفيف وفقرت من المور وهو الجنى والذهاب أو من المرية أي فظنت الحمل وارتابت به وأما ما قيل من
أن المعنى سالت سلا خف عليها ولم تلق منه ما يلي بعض الحساب من جهل من الكروب والاذية ولم تستغله
كما يستغلها فقرت به أي فضت به الى ميلاده من غير اخذ داج ولا ازلاق فيرده قوله تعالى (فلما انزلت) اذ معناه
فلما صارت ذات ثقل اكبر الولد في بطنها ولا ريب في أن الثقل به هذا المعنى ليس مقابلا للنفخة بالمعنى المذكور
انما يقابلها الكروب الذي يعترى بعضهن من أول الحمل الى آخره دون بعض أصلا وقرئ انزلت على البناء
للمفعول أي انزلها اجلها (دعوا الله) أي ادم وحواء عليهم السلام لما دهمهما أمر لم يهداه ولم يعرفا ما له
فادعاه وتضرعا اليه عز وجل وقوله تعالى (ربهم) أي مالك أمرهما الحقيقي بأن يخص به الدعاء إشارة
الى أنهم ما قدموا له دعاءهم كما في قوله ما رينا ظلمنا أنفسنا الآية ومعلق الدعاء بخذوف تعويلا
على شهادة الجملة القسمية به أي دعوا الله تعالى أن يؤتيهم ما صالحا ووعدا بعبادته الشكر على سبيل التوكيد
القسمي - وقالوا قائلين (لئن آتينا صالحا) أي ولدا من جنسنا سويا (لنكونن) نحن ومن يتنازل من ذريةتنا
(من الشاكرين) الراغبين في الشكر على نعمائك التي من جلتها هذه النعمة وترتيب هذا الجواب على الشرط
المذكور ولما أنهم ما قد علموا أن ما علق به دعاءهم ما غفوذج لسائر أفراد الجنس ومعاريلها ذاتا وصفة وجوده
مستتبع لوجودها وصلاحه مستلزم لصلاحها فالدعاء في حقه متضمن للدعاء في حق الكل مستتبع له
كأنهم ما قالوا لئن آتينا وذريةتنا أولادا صالحا وقيل ان ضمير آتينا أيضا لهما ولكل من يتنازل من ذريةتهما
فالوجه ظاهر وأنت خير بأن نظم الكل في ذلك الدعاء أصالة بأباه مقام المبالغة في الاعتراف بشأن ما دهمهما
بصدده وأما جعل ضمير انصكون للكل فلا محذور فيه لأن توسيع دائرة الشكر غير محل بالاعتناء المذكور
بل مؤكده وأيا ما كان معنى قوله تعالى (فلما آتاهما صالحا) لما آتاهما ما طلباه أصالة واستبعا عما من الولد
وولد الولد ما تناسلوا فاقوله تعالى (جعلنا) أي جعل أولادهم ما (له) تعالى (شركاء) على حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقام ثقة بوضوح الامر وتعويل على ما يهتبه من البيان وكذا الحال في قوله تعالى
(فيما آتاهما) أي فيما آتى أولادهم من الاولاد حيث سموهم بعد مناف وتجدد العزى ونحو ذلك وتخصيص
اشراكهم هذا بالذكر في مقام التوبيخ مع أن اشراكهم بالعبادة اغلظ منه جنائية وأقدم وقوعا لما أن مساق
النظم الكريم لبيان اخلاصهم بالشكر في مقابلة نعمة الولد الصالح وأول كفرهم في حقه اغناهم وتسميتهم اياه
بما ذكر وقرئ شركاء أي شركاء اذوى شركاء أي شركاء ان قيل ما ذكر من حذف المضاف واقامة المضاف
اليه مقامه اغناهم اليه فيما يكون للذليل ملازمة ما بالمضاف اليه أيضا بسرايته اليه حقيقة أو حكما وتضمن
نسبته اليه صورة مزية يقتضيها المقام كما في مثل قوله تعالى واذ نجيناكم من آل فرعون الآية فان الانجاء منهم
مع أن تعلقه حقيقة ليس الا بأسلاف اليهود قد نسب الى اخلافهم بحكم سرايته اليهم توفية لمقام الامتنان حقه
وكذا في قوله تعالى قل فلم تقتلون انبياء الله الآية فان القتل حقيقة مع كونه من جنائيات آباءهم قد اسند اليهم
بحكم رضاهم به ادا لخلق مقام التوبيخ والتبكيك ولا ريب في انهم ما عليهم الصلاة والسلام بريان من سرية
الجعل المذكور اليهم ما بوجه من الوجوه فمما وجه اسناده اليهم بصورة قلنا وجهه الايدان بتركهم ما الاولى
حيث أقدم ما على نظم أولادهم في ذلك انفسهم والتزام شكرهم في ضمن شكرهم ما وأقدم ما على ذلك قبل تعريف
أحوالهم ببيان ان اخلاصهم بالشكر الذي وعداه وعدم مؤكدا باليمين بنزلة اخلاصها به بالذات في استيجاب
الحث والخلف مع ما فيه من الاشعار بتضاعف جنائيتهم ببيان أنهم يجعلهم المذكور وأقعوهم في ورطة الخلف
والخلاف وجعلهم ما كأنهم ما بشرا بالذات فجعلوا بين الجنائيات على الله تعالى والجنائيات عليهم ما عليهم السلام

(فقال الله عما يشركون) تنزيه فيه معنى التعجب والفاء لترتيبه على ما فصل من أحكام قدرته تعالى وآثار نعمته الزاجرة عن الشرك الداعية الى التوحيد وصيغة الجمع لما اشير اليه من تعين الفاعل وتنزيه آدم وحواء عن ذلك وما في عما اتمام مصدرية أي عن اشراكهم او موصولة او موصوفة أي عما يشركونه به سبحانه والمراد باشراكهم اتمام تسميتهم المذكورة او مطلق اشراكهم المنتظم لها انتظاما أوليا وقرئ تذر كون بناء الخطاب بطريق الالتفات وقيل الخطاب لآل قصي من قريش والمراد بالنفس الواحدة نفس قصي فانهم خلقوا منه وكان له زوج من جنسه عويبة قرشية وطلبا من الله تعالى ولدا صالحا فأعطاها أربعة بنين فسمي بهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار ونسبوا بشرك كونهم لها ولدا صالحا فاعطاهم أربعة بنين فسمي بهم عبد مناف وحواء أتناها ابليس في صورة رجل فتسالها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة أو كلب أو خنزير وما يدريك من اين يخرج نفثا فت من ذلك فذكرته لآدم فأهمل عليه ما ذلك ثم عاد اليها وقال اني من الله تعالى عزلة فان دعونه أن يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا في الملائكة فتقبلت فلما ولدته سمته عبد الحارث فما لا تعويل عليه كيف لا والله عليه الصلاة والسلام كان علماني في علم الاسماء والسميات فعدم علمه بابليس واسمه واتباعه اياه في مثل هذا الشأن الخطير أمر قريب من المحال والله تعالى أعلم بحقيقة الحال (ايشركون) استئناف مسوق لتوبيخ كافة المشركين واستتبع اشراكهم على الاطلاق وابطاله بالكلية ببيان شأن ما أشركوه به سبحانه وتنصيل أحواله القاضية بطلان ما اعتقدوه في حقه أي ايشركون به تعالى (ما لا يخلق شيئا) أي لا يقدروا على أن يخلقوا شيئا من الاشياء أصلا ومن حق المعبود أن يكون شائعا للمعبود لا محالة وقوله تعالى (وهم يحلقون) عطف على لا يخلق وايراد الضميرين بجمع العقلاء مع رجوعهما الى ما المعبر به عن الاصنام انما هو بحسب اعتقادهم فيها واجرائهم لها مجرى العقلاء وتسميتهم لها آلهة وكذا حال سائر انعماء الآتية ووصفها بالملوكة بعد وصفها بان في الخالق لا يانة كمال مناقاة حالها لما اعتقدوه في حقها واظهار غاية جهلهم فان اشراكهم لا يتدر على خلق شيء ما بخالقهم وخالق جميع الاشياء مما لا يمكن أن يسوغه من له عقل في الجملة وعدم التعرض لخلقها لا يذنب بعينه والاستغناء عن ذكره (ولا يستطيعون اهرام) أي لم يبدئهم اذ احزبهم أمر مهم وخطير لم (انصرا) أي انصرا انما يجلب منفعة أو دفع مضرة (ولا أنفسهم ينصرون) اذا اعتراهم حادثة من الحوادث أي لا يدفعونها عن أنفسهم وايراد النصر للمشاكلة وهذا بيان لجهلهم عن اتصال منفعة تام من المنافع الوجودية والعدمية الى عبدتهم وأنفسهم بعد بيان لجهلهم عن اتصال منفعة الوجود اليهم والى أنفسهم خلا أنهم وصفوا ههنا بالملوكة لكونهم أهلا لها وههنا لم يوصفوا بالمنورية لانهم ليسوا أهلا لها وقوله تعالى (وان تدعوهم الى الهدى) بيان لجهلهم عما هو أدنى من النصر المنفي عنهم وأيسر وهو مجرد الدلالة على المطلوب والارشاد الى طريق حصوله من غير أن يحصله الطالب والخطاب للمشركون بطريق الالتفات المنبي عن مزيد الاعتناء بأمر التوبيخ والتبكي أي ان تدعوهم أيها المشركون الى أن يدعوكم الى ما تحصلون به المطالب أو تصبون به عن المنكاره (لا يقيمونكم) الى مرادكم وطلبتكم وقرئ بالتخفيف وقوله تعالى (سواء عليكم ادعوتهم أم أنتم صامتون) استئناف مقترن بصمتهم ما قبله ومبين لكيفية عدم الاتباع أي مستوعبكم في عدم الافادة دعاؤكم اهرام وسكونتكم البحت فانه لا يتغير حالكم في الحالين كما لا يتغير حالهم بحكم الجهادية وقوله تعالى أم أنتم صامتون جملة اسمية في معنى الفعلية معطوفة على الفعلية لانها في قوة أم صمت عدل عنها للمباينة في عدم افادة الدعاء ببيان مساواته للسكون الدائم المستقر وما قبل من أن الخطاب للمسلمين والمعنى وان تدعوا المشركين الى الهدى أي الاسلام لا تتبعكم الخ مما لا يساعده سباق النظم الكريم وسباقه أصلا على أنه لو كان كذلك لقبل عليهم مكان عليكم كما في قوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم فان استواء الدعاء وعدمه انما هو بالنسبة الى المشركين لا بالنسبة الى الداعين فانهم فانزروا بفضل الدعوة (ان الذين تدعون من دون الله) تقرير لما قبله من عدم اتباعهم اهرام أي ان الذين تعبدونهم من دونه تعالى من الاصنام وتسمونهم آلهة (عباد أمثالكم) أي مماثلة لكم لكن لا من كل وجه بل من حيث انهم املوك لله عز وجل مسخرة لامره عاجزة عن النفع والضرر

رسول الله صلى الله عليه وسلم وشيخه المقبول على حاله وقيل له شركين على أن التعليل قد تم عند قوله تعالى
 لا يسمعوا أي وترى المشركين ينظرون إليك والحال أنهم لا يسمعونك كما أنت عليه وعن الحسن إن الخطاب
 في قوله تعالى وإن تدعوا المؤمنين على أن التعليل قد تم عند قوله تعالى ينصرون أي وإن تدعوا أيها المؤمنون
 المشركين إلى الإسلام لا يلتفتوا إليكم ثم خطب عليه السلام بطريق التحريد بأنك تراهم ينظرون إليك
 والحال أنهم لا يسمعونك حق الابصار فتنبهوا على أن ما فيه عليه السلام من شواهد النبوة ودلائل الرسالة من
 الجلاء بحيث لا يكاد ينجي على الناظرين (خذ العفو) بعد ما عد من أباطيل المشركين وقبائحهم
 ما لا يطاق تحمله أمر عليه الصلاة والسلام بجميع مكارم الاخلاق التي من جانتها الاغصاء عنهم أي خذ
 ما عفاك من أفعال الناس وتسهل ولا تكلفهم ما يشق عليهم من العفو الذي هو خذ الجهد أو خذ العفو
 من المذنبين أو الفضل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكاة (وأمر بالعرف) بالجميل المستحسن من
 الأفعال فأنها قريبة من قبول الناس من غير تكبر (وأعرض عن الجاهلين) من غير عماراة ولا مكافأة قبل
 لما نزلت سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام فقال لا أدري حتى أسأل ثم رجع فقال يا محمد
 إن ربك أمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق أمر الله تعالى نبيه
 بمكارم الاخلاق وروى أنه لما نزلت الآية الكريمة قال عليه الصلاة والسلام كيف يارب والغضب محقق فنزل
 قوله تعالى (وأما ينزغك من الشيطان نزغ) التزغ والتزعج والخس الغرزيته وسوسته للناس وأغراؤه
 لهم على المعاصي بغرر السائق لما يسوقه واستدائه إلى التزغ من قبيل جدجده أي وأما يحملك من جهته
 وسوسه ما على خلاف ما أمرت به من اعتراء غضب أو نحوه (فاستعذ بالله) فالتجنى إليه تعالى من شره
 (أنه سميع) يسمع استعاذتك به قولا (عليم) يعلم تضرعتك إليه قلبا في ضمن القول أو بدونه فيعصمك من
 شره وقد جوز أن يراد بنزع الشيطان اعتراء الغضب على نهج الاستعارة كما في قول الصديق رضي الله عنه
 إن شيطاننا يهتري في نفسه زيادة تشفير عنه وفرط تحذير عن العمل بموجبه وفي الأمر بالاستعاذة بالله تعالى
 تهويل لأمره وتنبه على أنه من الغوائل الصعبة التي لا يخلص من مضرتها إلا بالالتجاء إلى سرح عصمته عز
 وجل وقيل يعلم ما فيه صلاح أمرك فيصمك عليه أو يسمع بأقوال من آذاك عليم بأفعاله فيجازه عليه
 (إن الذين اتقوا) استأناف مقتررا بما قبله بيان أن ما أمر به عليه الصلاة والسلام من الاستعاذة بالله
 تعالى سنة مسلوكة للمستبين والاخلال به أديت الفاسدين أي أن الذين اتقوا بوقاية أنفسهم مما يضرتهم
 (إذا سمعهم طائف من الشيطان) أدنى لمة منه على أن تنويه للتحقير وهو اسم فاعل من طاف يطوف كأنها
 تطوف بهم وتدور حولهم لتوقعهم أو من طاف به الخيال بطيف طيفا أي ألم وقري طيف على أنه مصدر
 أو تخفيف من طيف من الواوي أو الباقى كهنين ولين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره فيما سب أي
 (تذكروا) أي الاستعاذة به تعالى والتوكل عليه (فأذا هم) بسبب ذلك التذكر (مبصرون) مواقع الخطأ
 ومكاييد الشيطان فيحترزون عنها ولا يتبعونه (واخوانهم) أي اخوان الشياطين وهم المنهكون في التي
 امرضون عن وقاية أنفسهم عن المضار (يتدوهم في الفتي) أي يكون الشياطين مددا لهم فيه ويعضدوهم
 بالتزوين والحيل عقيمة وقري يتدوهم من الامداد ويمادونهم كأنهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهو لا
 بالاتباع والامتثال (ثم لا يقصرون) أي لا يمسكون عن الاغواء حتى يرذوهم بالكلية ويجوز أن يكون
 انهمير للاخوان أي لا يبرعون عن الفتي ولا يقصرون كالمثقين ويجوز أن يراد بالاخوان الشياطين ويرجع
 الذمير إلى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على من هو له (وإذا لم تأتهم بآية) من القرآن عند تراخي الوحي أو بآية
 مما اقتروه (قالوا لولا اجتبيتها) اجتبي الشيء بمعنى جباه لنفسه أي دلاجهتها من تلقا نفسك تقول لا يرون
 بذلك أن سائر الآيات أيضا كذلك أو دلاجهتها من ربك استدعاء (قل) رداعيتهم (انما اتبع ما يوحى
 إلى من ربي) من غير أن يكون لي دخل مما في ذلك أصلا على معنى تخصيص حاله عليه الصلاة والسلام باتباع
 ما يوحى إليه بتوجيه القصر المستفاد من كلمة انما إلى نفس القول بالنسبة إلى مقابلة الذي كلفوا إياه عليه الصلاة
 والسلام لا على معنى تخصيص اتباعه عليه الصلاة والسلام بما يوحى إليه بتوجيه القصر إلى المفعول بالقياس

الى مفعول آخر كما هو الشائع في موارد الاستعمال وقدمت تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع الامايوحى الى
 كأنه قبل ما فعل الاتباع ما يوحى الى منه تعالى وفي التعرض لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية والتبليغ
 الى الكمال اللاتى مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام من تشريفه عليه الصلاة والسلام والتبني على
 تأييده ما لا يخفى (هذا) اشارة الى القرآن الكريم المدلول عليه بما يوحى الى (بصائر من ربكم) بمنزلة
 البصائر لطلبها تبصر الحق وتدرك الصواب وقيل حجج بينة وبراهين نيرة ومن متعلقة بمحذوف هو صفة
 لبصائر مفيدة انعامها أى بصائر كاشفة منه تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتأكيد
 وجوب الايمان به وقوله تعالى (وهدى ورحمة) عطف على بصائر وتقدم الظرف عليهما وتفسيرهما بقوله تعالى
 (اقوم يؤمنون) لا اذنان بأن كون القرآن بمنزلة البصائر لطلب منه تحقيق بالنسبة الى الكل وبه تقوم الحجة على
 الجميع وأما كونه هدى ورحمة فخص بالمؤمنين به اذ هم المتقربون من أنواره والمغتفون بآثاره والجله من تمام
 القول المأمور به (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له) ارشاد الى طريق الفوز بما أشير اليه من المنافع الجليلة
 التى ينطوى عليها القرآن أى واذا قرئ القرآن الذى ذكرت شؤنه العظيمة فاستمعوا له استماعاً بتحقيق
 وقبول (وأنصتوا) أى واسكتوا فى خلال القراءة وراعوها الى انتصاتها تعظيمها وتكميلها للاستماع
 (لعلكم ترحمون) أى تفوزون بالرحمة التى هى أقصى غرائه وظاهر النظم الكريم يقتضى وجوب الاستماع
 والانصات عند قراءة القرآن فى الصلاة وغيرها وقيل معناه اذا تلا عليه كم الرسول القرآن عند نزوله
 فاستمعوا له وجهور العصاة رضى الله تعالى عنهم على أنه فى استماع المؤمنين وقدرى أنهم كانوا يتكلمون
 فى الصلاة فأمروا باستماع قراءة الامام والانصات له وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ما أن النبى صلى
 الله عليه وسلم قرأ فى المكتوبة وقرأ أصحابه خلفه فترات وأما خارج الصلاة فعامة العلماء على استحبابها
 والآية اتمام تمام القول المأمور به أو استئناف من جهته تعالى فقوله تعالى (واذ كر ربك فى نفسك)
 على الاول عطف على قل وعلى الثانى فيه تجريد الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عام فى الازكار
 كافة فان الاخفاء أدخل فى الاخلاص وأقرب من الاجابة (نضرنا وحيدة) أى متضرعة عاوناتنا (ودون
 الجهر من القول) أى ومتكلما كلاماً دون الجهر فانه أقرب الى حسن التفكير (بالغدو والاصال) متعلق
 بأذكر أى اذكره فى وقت الغدوات والعشيّات وقرئ والاصال وهو مصدر أصلى أى دخل فى الاصيل
 موافق للغدو (ولا تكن من الغافلين) عن ذكر الله تعالى (ان الذين عند ربك) وهم الملائكة عليهم السلام
 ومعنى كونهم عنده سبحانه وتعالى قربهم من رحمة وفضله لتوفرهم على طاعته تعالى (لا يستكبرون
 عن عبادته) بل يؤذونها حجاً أمرأه (وبسبحوه) أى ينزهونه عن كل ما لا يليق بجنان كبريائه
 (وله يسجدون) أى يخصونه بعناية العبودية والتذلل لا يشركون به شيئاً وهو تدرى بسائر المكلفين ولذلك
 شرع السجود عند قرآنه عن النبى صلى الله عليه وسلم اذ قرأ ابن آدم آية السجدة فسجد اعتزل الشيطان
 يبكي فيقول يا ويله أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فى النار وهنه عليه الصلاة
والسلام من قرأ سورة الاعراف جعل الله تعالى يوم القيامة بينه وبين ابليس ستراً وكان آدم عليه السلام
 شفيعاً له يوم القيامة

• (سورة الانفال مدنيه وهى ست وسبعون آية) •

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسألونك عن الانفال) انقل الغنمة سميت به لانها عطية من الله تعالى زائدة على ما هو أصل الاجرى الجهاد
 من الثواب الاخرى ويطلق على ما يعطى بطريق التفضيل زيادة على السهم من الغنم وقرئ عنفان محذوف
 الهمة والثناء مركبتها على اللام وادغام نون عن فى اللام روى أن المسلمين اختلفوا فى غنائم بدر وفى قسمتها
 فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم وان الحكم فيها ألهما جرين أم للانصار أم لهم جميعاً وقيل
 ان الشيا ب قد أبلا يومئذ بلأحسنا فقتلوا سبعين وأسروا سبعين فقالوا نحن المقاتلون ولنا الغنائم
 وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كآراء الكم وفئة تفحازون اليها حتى قال سعد بن معاذ

لرسول الله صلى الله عليه وسلم واقته ما معناه أن نطلب ما طلب هؤلاء زهادة في الاجر ولا جبن من العدو ولكن
 كرهنا أن نرى مصادفك فيعطف عليك خيل من المشركين قنزات وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم
 قد شرط لمن كان له بلاء أن يغله ولذلك فعل الشبان ما فعلوا من القتل والاسرف فألوه عليه الصلاة والسلام
 ما شرطه لهم فقال الشيخ المغنم قليل والناس كثير وان نعط هؤلاء ما شرط لهم حرمت أوصيائك قنزات
 والاول هو الظاهر لما أن السؤال استعلام للحكم الانشال بتضحية كلمة عن الاستعطاء لنفسها كما نطق به
 الوجه الاخير وادعاء زيادة عن ضعف ظاهر والاستدلال عليه بقراءة ابن مسعود وسعد بن أبي وقاص وعلى
 ابن الحسين وزيد ومحمد الباقر وجعفر الصادق وعكرمة وعطية يسألونك الانشال غير منتهض فان منبهاها
 كما قالوا على الحذف والايصال كما يعرب عنه الجواب بقوله عز وجل (قل الانشال لله والرسول) أي حكمها
 يختص به تعالى يقسمها الرسول عليه الصلاة والسلام كيف ما أمر به من غير أن يدخل فيه رأى أحد ولو كان
 السؤال استعطاء لما كان هذا جوابا له فان اختصاص حكم ما شرط لهم من الانشال بالله والرسول لا ينافي
 اعطاءها اليهم بل يحققه لانهم انما يسألونها بموجب شرط الرسول عليه الصلاة والسلام الصادر عنه بأذن الله
 تعالى لا يحكم سيق أيديهم اليها ونحو ذلك مما يحل بالاختصاص المذكور وجعل الجواب على معنى أن الانشال
 بالمعنى المذكور مختصة برسول الله صلى الله عليه وسلم لاحق فيها للمنفذ صكنا من كان مما لا سبيل اليه
 قطعاً من ضرورة ثبوت الاستحقاق بالتنفيذ وادعاء أن ثبوته يدل من أثر التزام تكرار النسخ من غير علم بالنسخ
 الاخير ولا مساع للمصير الى ما ذهب اليه مجاهد وعكرمة والسدي من أن الانشال كانت لرسول الله صلى الله
 عليه وسلم خاصة ليس لاحد غيرها من هذه الآية فتجوز بقوله تعالى فان الله سبحانه وللرسول لما أن المراد بالانشال
 فيما قالوا هو المعنى الاول حتما كما نطق به قوله تعالى واعلموا أنما غنم من شيء الآية على أن الحق أنه لا نسخ
 حينئذ أيضا حسبا قاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بل بين في صدر السورة الكريمة اجمالا أن أمر هامة ونسب الى
 الله تعالى ورسوله ثم بين مدارفها وكيفية قسمتها على التفصيل وادعاء اقتصار هذا الحكم أعني الاختصاص
 برسول الله صلى الله عليه وسلم على الانشال المشروطة يوم يدرى جعل الامم للعهد مع بقاء استحقاق المنفذ في سائر
 الانشال المشروطة بأبام مقام بيان الاحكام كما ينبغي عنه اظهار الانشال في موقع الاختصاص على أن الجواب
 عن سؤال الموعود بيان كونه له عليه الصلاة والسلام خاصة مما لا يليق بشأنه الكريم أصلا وقد روى عن سعد
 ابن أبي وقاص أنه قال قتل أخى غير يوم يدرى فقتلت به سعد بن العاص وأخذت سيفه فأبجيتي فقتل به رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الله تعالى قد شفي صدرى من المشركين فذهب لي هذا السيف فقال لي عليه
 الصلاة والسلام ليس هذا ولا لاك طرحة في القبض فطرحت وبني ما لا يعلم الا الله من قتل أخى وأخذت سبلي
 فاجاوزت الاقبال حتى نزلت سورة الانشال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سعد انك سألتني السيف
 وليس لي وقد صار لي فاذهب فخذ وهذا كما ترى يقتضى عدم وقوع التذليل يومئذ والالكان سؤال السيف
 من سعد بموجب شرطه ووعدده عليه السلام لا بطريق الهبة المبتدأة وحل ذلك من سعد على مراعاة الادب
 مع كون سؤاله بموجب الشرط رده رده عليه الصلاة والسلام قبل النزول وقوله ليس هذا الى الاستحالة
 أن يعد عليه الصلاة والسلام بما لا يتدر على انجازه واعطاه صلى الله عليه وسلم بعد النزول وترتيبه على قوله
 وقد صار لي ضرورة أن مناط صيرورته له عليه الصلاة والسلام قوله تعالى الانشال لله والرسول والفرض أنه
 المانع من اعطاء المسؤل ومما هو نص في الباب قوله عز وجل (فانتوا لله) أي اذا كان أمر الغنائم لله
 تعالى ورسوله فاتتوه تعالى واجتنبوا ما كنتم فيه من المشاجرة فيها والاختلاف الموجب لسخط الله تعالى
 أو فاقته وفي كل ما تاتون وما تدرسون قد دخل فيه ما هم فيه دخولا أو ليا ولو كان السؤال طلبا لله ثمرة لما كان
 فيه محذور ويجب اتقاؤه واطهار الامم الجليل لتربية للمهاجرة وتعليل الحكم (وأصلحو اذان بينكم) جعل ما بينهم
 من الحال للملازمة التامة لئلا يمتنع صاحبها كما جعلت الامور المنصورة في الصدور ذات الصدور رأى أصلحو
 ما بينكم من الاحوال بالمواصلة والمساعدة خياري فكم الله تعالى وتفضل به عليكم وعن عباد بن الصامت نزلت
 فينا عشر أصحاب بدر حين اختلفنا في النقل وسات فيه أخلاقا فنزى الله تعالى من أيدينا ما كان له رسول

قوله سعد بن العاص قال
 ابو عبيد صوابه العاص بن
 سعيد كما في بعض حواشي
 البضاوي وقوله في القبض
 يقتضين ما قبض من الغنائم

ففسحه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين وعن عطاء
كلن الاصلاح بينهم أن دعاهم وقال اقبوا غنائمكم بالعدل فتناولوا قدأكلنا وأنتقنا فقال ايرد بعضكم على بعض
(وأطيعوا الله ورسوله) بقسائم أمره ونهيه وتوسيط الامر باصلاح ذات البين بين الامر بالتقوى والامر
بالطاعة لاظهار كمال العناية بالاصلاح بحسب المقام ويستدريج الامر به بعينه تحت الامر بالطاعة (ان كنتم
مؤمنين) متعلق بالاوامر الثلاثة والجواب محذوف ثقة بدلالة المذکور عليه وهو الجواب على الخلاف
المشهور وأما ما كان فالمقصود تحقيق المعلق ببناء على تحقيق المعلق به وفيه تشبیه للخصاطبيين وحث لهم
على المسارعة الى الامتثال والمراد بالايان كماله أى ان كنتم كاملي الايمان فائق كمال الايمان يدور على هذه
الخصال الثلاث طاعة الاوامر واتقاء المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان (انما المؤمنون)
بجملته مسندة ثقة مسوقة لبيان من أريد بالمؤمنين بكراً وصافهم الجليله المستتبعه لما ذكر من الاتصال
الثلاث وفيه عز يدترغيب لهم في الامتثال بالاوامر المذكورة أى انما الكاملون في الايمان المحصولون فيه
(الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) أى فزعوا لجزء ذكره من غير أن يذكره نال ما يوجب الفزع من صفاته
وأفعاله استعظا ما لثأنه الجليل وتهيبانه وقيل هو الرجل يتم به صفة فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفاً
من عقابه وقرئ وجلت بفتح الجيم وهى لغة وقرئ فرقت أى خافت (واذا نلت عليهم آياته) أى آية كانت
(زادتهم ايماناً) أى يقينا وطمأنينة نفس فان تظاهرا الدلة وتعاضدا الحجج والبراهين موجب لزيادة الاطمئنان
وقوة اليقين وقيل ان نفس الايمان لا يشل الزيادة والنقصان وانما زيادته باعتبار زيادة المؤمن به فانه كلما زادت
آية صدق بها المؤمن فزاد ايمانه عدداً وأما نفس الايمان فهو بحاله وقيل باعتبار أن الأعمال تجعل من الايمان
فيزيد زيادتها والاصوب أن نفس التصديق يقبل القوة وهى التى عبر عنها بالزيادة للشرق الثيرين يقين الانبياء
وأرباب المكاشفات ويقين آحاد الامة وعليه مبنى ما قال على رضى الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا
وكذا بين مقام عليه دليل واحد ومقامات عليه أدلة كثيرة (وعلى ربهم) ماله كهم ومدير أمورهم خاصة
(يتوكلون) يتوكلون أمورهم لا الى أحد سواه وبالجملة معطوفة على الصلة بقوله تعالى (الذين يشعرون
الصلوة ويحاربونهم يتدقون) مرفوع على أنه نعت للموصول الاول أو بدل منه أو بيان له أو منصوب على
القطع المنبئ عن المدح ذكر أولاً من أعمالهم الحسنة أعمال القلوب من الخشعة والاخلاص والتوكل
ثم عقب بأعمال الجوارح من الصلاة والصدقة (أولئك) الشارة الى من ذكرت صفاتهم الحميدة من حيث
انهم متصفون بها وفيه دلالة على أنهم متميزون بذلك عن عداهم أكل غير منظمون بسببه في سلك الامور
المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايدان يعلور تنقسم وبعد منزلتهم في الشرف (هم المؤمنون حقاً) لانهم
حققوا ايمانهم بأن شعروا اليه ما فصل من أفاضل الاعمال الثابتة والقابلة وحققوا صفة لمصدر محذوف
أى أو نلك هم المؤمنون ايماناً حقاً أو مصدر مؤكدة للجملة أى حق ذلك حقاً كقولك هو عبد الله حقاً
(لهم درجات) من الكرامة والزاني وقبل درجات عالية في الجنة وهو اما بجهة مبتدأة مبنية على سؤال نشأ
من تعدد مناقبهم كأنه قيل ما لهم مثابة هذه الخصال فقيل لهم كبت وكيت أو خبر ثان لا وائك وقوله تعالى
(عند ربهم) تمام متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات مؤكدة لما أفاده التنوين من التفاضل الذاتية بالانضمام
الاضافية أى كرامة عنده تعالى أو بما تعلق به الخبر أعني لهم من الاستقرار وفي اضافة الظرف الى الرب
المضاف الى ضميرهم مزيد تشريف واطفاهم وايدان بأن ما وعد لهم متيقن الثبوت والحصول مأمون
القوات (ومغفرة) لما فرط منهم (ورزق كريم) لا يتنهي أمده ولا ينتهى عدده وهو ما أعد لهم من نعم الجنة
(كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) الكاف في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الخصال كمال
اخراجك يعنى أن حالهم في كراحتهم لما رأيت مع كونه حقاً كمالهم في كراحتهم ثم تلو وجبك للعرب وهو حق
أو في محال النصب على أنه صفة لما صدر منه في قوله تعالى الانفال لله أى الانفال ثبتت لله والرسول
مع كراحتهم ثباتاً مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك في المدينة أو من المدينة اخراجك لبيتك بالحق (وان
فرقان المؤمنين لكارهون) أى والحال أن فريقاً منهم كارهون للخروج اما لفرة المطيع عن القتال

أولهم الاحسنة عدد وذلك أن غير قريش أقبلت من الشام وفيه تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا منهم
أوسفان وعمر بن العاص وعمر بن هشام فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر المسلمين فأجمعهم
تلقى العير الكثيرة الخيل وقلة القوم فلما خرجوا بلغ أهل مكة خبر خروجهم فنادى أبو جهل فوق الكعبة
يا أهل مكة الجباة النجباء على كل صعب وذلول عيركم أموالكم إن أصابكم محمد لم تلجوا بعدها أبدا وقد رأت
أخت العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه رؤيا فذات ليلها أتت عجاير أيت كائن ملكا نزل من السماء
فأخذ حفرة من الجبل ثم ساق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة إلا أصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس
رضي الله عنه فقال أبو جهل ما يرضى رجالهم أن يتنبؤوا حتى تنبأ أسوأهم فخرج أبو جهل يجمع أهل مكة
وهم الضمير فقتل له أن العسيرة أخذت طريق الساحل ونجت فأرجع بالناس إلى مكة فقتل لا والله لا يكون
ذلك أبدا حتى تنخر الخبز ووروشرب الخمر ونقسم الثياب والمعارف يدور في قسام مع جميع العرب بمخدر جنة
وإن محمد لم يصب العير وإنما قد أعضضنا قضى بهم إلى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما
في السنة فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن الله وعدكم إحدى الطائفتين إنما العير وإنما قرى شافستار
النجي عليه الصلاة والسلام أنصابه فقال ما تقولون إن القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير
أحب إليكم أم النضير فقالوا بل العير أحب إلينا من لقاء العدو ونغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردد
عليهم فقال إن العير قد ذهبت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو
فقام عند ما غضب النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ما أحسنا ثم قام سعد بن عباد
فقال انظروا أمرنا فمضى فوالله لو سرت إلى عدن أين ما تخلف عنك رجل من الأنصار ثم قال المنذر ابن عمرو
رضي الله عنه يا رسول الله أمض ما أمرك الله فأتنا معك حينما أحببت لا تقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى عليه
السلام اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون فماتت
عين من أنظر ففتح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال شير واعي أيها الناس وهو يريد الانذار لأنهم
قالوا له حين يابعم على المشية أنابر آمن ذمامك حتى تصل إلى ديارنا فإذا وصلت إليها أنت في ذمامنا فخذ معك
مما تمنع منه أبناءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم على الصلاة والسلام يخوف أن تكون الأنصار لا ترى عليهم نصرته
الاعلى عدوهم بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكنا نريد يا رسول الله قال أجل قال قد آمننا بك
وصدقناك وشهدنا أنك ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهدا وناووا ثم سألوا على السبع والطاعة فأمض
يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل
واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا وأنا العير عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا
على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسخره قول سعد ثم قال سير واعي بركة الله وأبشروا فإن الله قد
وعدني إحدى الطائفتين والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم وروى أنه قبل (رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلم حين فرغ من بدر عريك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس رضي الله عنه وهو في وفاقه لا يصح فقال النبي
عليه الصلاة والسلام لم قال لأن الله وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك (يجادلونك في الحق) الذي
هو تلقى النضير لا يشارهم عليه تلقى العير والجبل استئناف أو حل ثانية أي أخرجك في حال مجادلتهم إياك ويجوز
أن يكون حالاً من الضمير في لكارهون وقوله تعالى (بعد ما تبين) منصوب بجادلونك وما معدوية أي بعد
تبين الحق لهم بالأعلام أنهم ينصرون أي غلبوا وجهوا أو يقولون ما كان خروجنا إلا للعير وهلاقت أناسا فاستعدت
وتأهب وكان ذلك لكارهتهم القتال (كأن يأسقون إلى الموت) الكاف في محل نصب على الحالية من الضمير
في لكارهون أي مشبهين بالذين يساقون بالعنف والصغار إلى القتل (وهم ينظرون) حال من ضمير يساقون
أي والحال أنهم ينظرون إلى أسباب الموت ويشاهدونها عيانا وما كانت هذه المرتبة من الخوف والجرع
الافلح عددهم وعدم تأهبهم وكونهم رجالة روى أنه لم يكن فيهم إلا فارسان (وأي بعدكم الله إحدى الطائفتين)
كلام مستأنف مسوق لبيان جيل صنع الله عز وجل بالمؤمنين مع ما به من قلة الحزم وديانة الهمة وقصور
الرأى والخوف والجرع وأذنه صوب على المدح والثناء بغير رطوبة المؤمنين بطريق التلوين والاتساف
واحدى الطائفتين مفعول ثان بعدكم أي أذكروا وقت وعد الله إياكم إحدى الطائفتين وتذكير الوقت مع

قوله ناسا أي إلى أنسى
الذين وأربعين شيخ الهمة
رجل عاشرهم إلى أقام بها
فبست به كأي الشهاب
أه

تونه أصبر هو صدق يصبر
جمع صبور وصدق وقيل
صبر بضم الصاد وتشديد
الباء جمع صابر هكذا
في الشهاب وقوله وبسطه
الذي في البيضاء ونشطه
بالنون والشين المجهدة
أه

أن المقصود تذكري ما فيه من الحوادث لما مر من الامن المباعدة في ايجاب ذكرها لما أن ايجاب ذكر
 الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولأن الوقت مشتمل على ما وقع فيه من الحوادث بتفاصيلها
 فاذا استحضرت كان ما وقع فيه حاضرا مفصلا كأنه مشاهد عيانا وقرئ بعدكم بسكون الدال تخفيفا
 وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها وقوله تعالى (انها لكم) بدل اشتمال
 من احدى الطائفتين مبين لكيفية الوعد أي بعدكم أن احدى الطائفتين كائنة لكم مختصة بكم مسخرة لكم
 تسلطون عليها تسلط الملاك وتصر فون فيهم كيف شئتم (وتؤدون) عطف على بعدكم داخل تحت الامر
 بالذكر أي تحبون (أن غير ذات الشوكة تكون لكم) من الطائفتين لاذات الشوكة وهي النفيور ويسمى أبو
 جهل وهم ألف مقاتل وغير ذات الشوكة هي العيراذ لم يكن فيها إلا أربعون فارسا ورأسهم أبو سفيان والتعبير
 عنهم بهذا العنوان للتنبيه على صيب وادتهم ملاقاتهم وموجب كراهم ونفرتهم عن موافاة النفيور والشوكة
 الحقة مستعارة من واحدة الشوك وشوكا شئنا شباها (ويريد الله) عطف على تؤدون منتظم معه في سلك
 التذكير ليظهر لهم عظيم لطف الله بهم مع دنامة همهم وقصور آرائهم أي اذكروا وقت وعده تعالى اياكم احدى
 الطائفتين وودادكم لادناهما وارادته تعالى لاهلهما وذلك قوله تعالى (أن يحق الحق) أي يشبهه ويعليه
 (بكلما نه) أي بآياته المستزلة في هذا الشأن أو بأوامره الملائكة بالامداد وبما قضى من أسرهم وقتلهم
 وطرحهم في قليب بدر وقرئ بكلمته (ويقطع دابر الكافرين) أي آخرهم ويستأصلهم بالمرة والمعنى أنهم
 تريدون سفاسف الامور والله عز وجل يريد معاليها وما يرجع الى هلق كلمة الحق وعورة الدين وشستان بين
 المرادين وقوله تعالى (ليحق الحق ويطل الباطل) جملة مستأنفة سبقت لبيان الحكمة الداعية الى اختيار
 ذات الشوكة ونصرهم عليها مع ارادتهم لغيرها واللام متعلقة بفعل مقدر مؤخر عنها أي لهذه الغاية الخلية
 فعل ما فعل لا شيء آخر وليس فيه تكرار اذا الاول لبيان تفاوت ما بين الارادتين وهذا البيان الحكمة الداعية
 الى ما ذكر ومعنى احقاق الحق اظهار حقيقته لاجعله متباعد أن لم يكن كذلك وكذا حال ابطال الباطل
 (ولو كره الجحرمون) أي المشركون ذلك أي احقاق الحق وابطال الباطل (اذ تستغيثون ربكم) بدل
 من اذ بعدكم معمول لعماله فالحوادث كبراستعدادهم منه سبحانه والتجاءهم اليه تعالى حين ضاقت عليهم
 الحيل وعيت بهم العيال وامدادهم تعالى حينئذ وقيل متعلق بقوله تعالى ليحق الحق على الظرفية وما قيل من أن
 قوله تعالى ليحق مستقبل لانه منصوب بأن فلا يمكن عمله في اذ لانه ظرف لما مضى ليس بشئ لان كونه مستقبلا
 انما هو بالنسبة الى زمان ما هو غاية له من الفعل المقدر لا بالنسبة الى زمان الاستغاثة حتى لا يعمل فيه بل هما
 في وقت واحد وانما عبر عن زمانها باذ نظر الى زمان انقزول وصيغة الاستقبال في تستغيثون لحكاية
 الحال الماضية لاستحضار صورتها الجلية وقيل متعلق بضم مستأنف أي اذكروا وقت استغاثةكم وذلك
 أنهم لما علموا أنه لا بد من القتال بعلاؤيد عون الله تعالى فائين أي رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين
 اغثنا وعن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم ألف والى اصحابه وهم
 ثلثمائة وبضعة عشر فاستقبل القبلة ومد يديه يدعوا اللهم أنجز لى ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة
 لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فأخذه أبو بكر رضى الله عنه فألقاه على منكبيه والزمه من
 ورائه وقال يا بني الله كفالك مناة ذلك ربك فانه سينجز لك ما وعدك (فاستجاب لكم) عطف على تستغيثون
 داخل معه في حكم التذكير لما عرفت أنه ماض وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة (انى عندكم) أي بأنى
 مخذف الجار وسلط عليه الفعل فنصب محله وقرئ بكسر الهمزة على ارادة القول أو على اجراء استجواب مجرى
 قال لان الاستجابة من معولة القول (بألف من الملائكة مردفين) أي جاعين غيرهم من الملائكة رديفا
 لانفسهم فالمراد بهم رؤساؤهم المستغيثون وغيرهم وقد اكتفى ههنا بهذا البيان الاجامى وبين في سورة آل عمران
 مقدار عددهم وقيل معناه متبعين انفسهم ملائكة آخرين أو متبعين المؤمنين أو بعضهم بعضهم من أردفته اذا
 جئت بعده أو متبعين بعضهم بعض المؤمنين أو انفسهم المؤمنين من أردفته اياه فردفه وقرئ مردفين بفتح
 الدال أي متبعين أو متبعين بمعنى أنهم كانوا مقدمة الجيش أو ساقهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضعها وتشديد

الدال وأصلهما مترادفين بمعنى مترادفين فأدغمت التاء في الدال فالتقى الساكنان فحركت الزاء بالكسر على
 الأصل أو بالضم على الاتباع وقرئ بالافتقار في ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور أن
 المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة أو السافة أو وجوههم وأعيانهم أو من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم
 وقد روى أخبار تدل على وقوعها (وما جعله الله) كلام مستأنف سيق إبان أن الأسباب الظاهرة
 بعزل من التأثير وأما التأثير فمختص به عز وجل لينتق به المؤمنون ولا يفتنوا من النصر عند فقدان أسبابه
 والجعل متعدي إلى مفعول واحد وهو الضمير العائد إلى مصدر فعل مقدرة تفيد المقام اقتضاء ظاهراً مقنياً
 عن النصر يصح به كانه قيل فأنتم بهم وما جعل إمدادكم بهم (الابشري) وهو استثناء مفرغ من أعم
 العلل أي وما جعل إمدادكم بأنزال الملائكة عياناً لشيء من الأشياء إلا للبشرى لكم بأنكم تنصرون
 (ولتطمئنن به) أي بالامداد (قلوبكم) وتسكن إليه نفوسكم كما كانت السكينة لبني إسرائيل كذلك
 فكلادهم ما مفعول له للجعل وقد نصب الأول لاجتماع شرائطه وبقي الثاني على حاله لفتقها وقيل للإشارة
 إلى أصالة في العلية وأهميته في نفسه كما قيل في قوله تعالى والليل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفي قصر
 الامداد عليهم ما شعاع بعدم مباشرة الملائكة لاقتتال وانما كان إمدادهم بتقوية قلوب المبشرين وتكثير
 سوادهم ونحوه كما هو رأي بعض السلف وقيل الجعل متعدي إلى اثنين ثانيهما الابشري على أنه استثناء من أعم
 المفعول أي وما جعله الله شيئاً من الأشياء إلا بشارة لكم فاللام في ولتطمئنن متعلقة بمذوق مؤخر تقديره
 ولتطمئنن به قلوبكم فعل ذلك لالشيء آخر (وما النصر) أي حقيقة النصر على الإطلاق (الامن عند الله) أي
 الاكاث من عدمه عز وجل من غير أن يكون فيه شرك من جهة الأسباب والعدد وانما هي مظاهره بطريق
 جريان السنة الالهية (إن الله عزيز) لا يغالب في حكمه ولا ينازع في أفضيته (حكيم) يفعل كل ما يفعله
 حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجلالة لتعليل لما قبلها متضمن للاشعار بأن النصر الواقع على الوجه المذكور
 من مقتضيات الحكم البالغة (اذ يغشاكم النعاس) أي يجعله غاشياً لكم ومحيطاً بكم وهو يدل ثانياً من اذ يعدكم
 لآظهار نعمة أخرى وصيغة الاستقبال فيه وفيما عطف عليه لحكاية الحال الماضية كما في تستغيثون
 أو منصوب باضمار اذكروا وقيل هو متعلق بالنصر أو بما في من عند الله من معنى الفعل أو بالجعل وليس بواضح
 وقرئ يغشاكم من الاغشاء بمعنى التغشية والفاعل في الوجهين هو الباري تعالى وقرئ يغشاكم على استناد الفعل
 إلى النعاس وقوله تعالى (أمنة منه) على القراءتين الاوليين منصوب على العلية بفعل مترتب على الفعل
 المذكور أي يغشاكم النعاس فتنبسون آمناً كما تنبسون آمناً لا كالأولاء عيماً أو على أنه مصدر لفعل
 آخر كذلك أي فأنتم آمنون آمناً كما في قوله تعالى وأنتهائياً بنا حسناً على أحد الوجهين وقيل منصوب بنفس
 الفعل المذكور والامنة بمعنى الايمان وعلى القراءة الاخيرة منصوب على العلية يغشاكم باعتبار المعنى فإنه
 في حكم تنبسون أو على أنه مصدر لفعل مترتب عليه كما مر وقرئ أمنة كرحمة (وينزل عليكم من السماء ماء)
 تقديم الجارة والمجرور على المنعول به لما مر من الامتنان بالاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر فإن ما حقه التقديم
 إذا أخرت في النفس مترتبة له فعند وروده يمكن عندها فضل تمكن وتقديم عليكم لما أن بيان كون التنزيل
 عليهم أهم من بيان كونه من السماء وقرئ بالتخفيف من الانزال (ليظهر لكم به) أي من الحدث الاصغر
 والا كبر (ويذهب عنكم رجز الشيطان) الكلام في تقديم الجارة والمجرور كما مر آتفا والمراد بجز الشيطان
 وسوسته وتخوينه اياهم من العطش روى أنهم نزلوا في كتيب أعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وتاموا
 فاحتمل أكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فقتل اهلهم الشيطان فوسوس اليهم وقال أنتم يا أصحاب محمد
 تزعمون أنكم على الحق وأنكم تصلون على غير وضوء وعلى الخنابة وقد عطشتم ولو كنتم على الحق ما غلبكم هؤلاء
 على الماء وما ينتظرون بكم إلا أن يجهدكم العطش فإذا قطع أعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من أحبوا وما قوا
 بقيتكم إلى مكة فخرنوا حزننا شديداً وأشدوا فأنزل الله عز وجل المطر فطروا إلى حيا حتى جرى الوادي فاغتسلوا
 وتوضؤوا وسقوا الركاب وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليهم الاقدام وزالت وسوسة
 الشيطان وطابت النفوس وقويت القلوب وذلك قوله تعالى (وليربط على قلوبكم) أي يقويها بالثقة بالطف

الله تعالى فيما بعد بمشاهدة طلائعه (ويثبت به الاقدام) فلا تسوخ في الرمل فالضمير للماء فلا قول ويجوز
أن يكون لا ربط فان القلب اذا قوى وتمكن فيه الصبر والجراة لا تكاد تنزل القدم في معارك الحروب وقوله
تعالى (اذ يوحى ربك الى الملائكة) منصوب بمنصوب مستأنف خو طوبى به النبي عليه الصلاة والسلام
بطريق التعبير بحسب ما ينطق به الكاف لما أن المأمور به مما لا يستطيع غيره عليه الصلاة والسلام فان الوحي
المذكور قبل ظهوره بالوحي المتأق على لسانه عليه الصلاة والسلام ليس من النعم التي يقف عليها عامة الامة
كسائر النعم السابقة التي أمروا به كروية طريق الشكر وقيل منصوب بقوله تعالى ويثبت به الاقدام فلا بد
حينئذ من عود الضمير الجرد في به الى الربط على السلوب ليكون المعنى ويثبت أقدامكم بتدريه قلوبكم وقت
ايحسانه الى الملائكة وأمره بتثبيتهم اياكم وهو وقت القتال ولا يخفى أن تقيد التثبيت المذكور بوقت
مبهم عندهم ليس فيه مزيد فائدة وأما التصابي على أنه بدل ثبات من اذ بعدكم كما قيل فيأباه تخصيص الخطاب به
عليه الصلاة والسلام مع ما عرفت من أن المأمور به ليس من الوظائف العامة للكل كسائر أخواته
وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام من التنويه والتشريف ما لا يخفى
والمعنى اذ كروقت ايحسانه تعالى الى الملائكة (انهم معكم) أي بالامداد والتوفيق في أمر التثبيت فهو
مفعول يوحى وقري بالكسر على ارادة القول أو اجراء الوحي مجراه وما يثرب به دخول كلمة مع من متبوعة
الملائكة انما هي من حيث انهم المباشرون للتثبيت صورة فلمهم الاصاله من تلك الحينية كما في أمثال قوله تعالى
ان الله مع الصابرين والفاء في قوله تعالى (فتبتوا الذين آمنوا) لترتيب ما بعدهما على ما قبلها فان امداده تعالى
ايهم من أقوى موجبات التثبيت واختلوا في كيفية التثبيت فتسالت جماعة انما أمر والتثبيتهم بالبشارة
وتكثير السواد ونحوهما مما يتقوى به قلوبهم وتضع عزائمهم ويأتهم ويتأ كد جدتهم في القتال وهو الانسب
بمعنى التثبيت وحقيقته التي هي عبارة عن الحمل على الثبات في موطن الحراب والجد في مقاساة شدة القتال
وقد روي أنه كان الملك يشبه بالرجل الذي يعرفونه بوجهه فيأتى ويقول اني سمعت المشركين يقولون والله
لئن جئوا علينا لنكشفن ويمشى بين الصفيين فيقول أبشروا فان الله تعالى ناصركم وقال آخرون أمر واجماعة
أعدائهم وجعلوا قوله تعالى (سألقى في قلوب الذين كفروا رعب) تفسير لقوله تعالى اني معكم وقوله تعالى
(فأضربوا) الخ تفسير لقوله تعالى فتبتوا ميمنا لكيفية التثبيت وقد روي عن أبي داود المازني رضى الله عنه
وكان من شهد بدرا أنه قال سمعت رجلا من المشركين يوم بدر لا ضربة فوقعت رأسه بين يدي قيل أن يصل اليه
سيفي وعن سهل بن حنيف رضى الله عنه أنه قال اقدر أيتها اليوم بدر وان أحدنا يبشر سيفه الى المشرك فتقع رأسه
عن جسده قبل أن يصل اليه السيف وأما خبر يربأت قتلهم للكفرة مع عدم ملائمة معنى تثبيت المؤمنين
بما لا يتوقف على الامداد ما فاء الرعب فلا يتجه ترتيب الامر به عليه بالفاء وقد احتذر الاولون بأن قوله تعالى
سألقى الخ ليس يص فيما ذكر بل يجوز أن يكون ذلك اثر قوله تعالى فتبتوا الذين آمنوا الذين آمنوا للملائكة ما
يتبتونهم به كأنه قيل قولوا لهم قولى سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب فأضربوا الخ قالوا ربون هم المؤمنون
وأما ما قيل من أن ذلك خطاب منه تعالى للمؤمنين بالذات على طريق التلوين فيبناء نوعهم وروده قبل القتال
وأنى ذلك والسورة الكريمة انما نزلت بعد تمام الوقعة وقوله تعالى (فوق الاعناق) أي أعاليها التي هي
الذابح أو الهامات (واضربوا منهم كل بنان) قيل البنان أطراف الاصابع من اليدين والرجلين وقيل هي
الاصابع من اليدين والرجلين وقال أبو الهيثم البنان المفاصل وكل متصل بنانة وقال ابن عباس وابن جرير
والنخعيون يعني الأطراف أي اضربوهم في جميع الاعضاء من أعاليها الى أسافلها وقيل المراد بالبنان الاداني
وبنوق الاعناق الاعلى والمعنى فأضربوا الصناديد والسفلة وتكرير الامر بالضرب لمزيد التشديد والاعتناء
بأمره ومنهم متعلق به أو بعد حذف وقع حالا بما بعده (ذلك) إشارة الى ما أصابهم من العقاب وما فيه من
معنى البعد لا يذان بعد درجته في الشدة والفظاعة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل أحد من
يلقى بالخطاب ومحله الرقع على الابداء وخبره قوله تعالى (بأنهم شاقوا الله ورسوله) أي ذلك العقاب الفظيع
واقع عليهم بسبب شاقهم ومغالبتهم من لاسبيل الى مغالبتهم أصلا واشتقاق المشاققة من الشق لما أن كلا

من المشاقين في شق خلاف شق الآخر كما أن اشتقاق المعاداة والخصامة من العدو والخصم أي الجانب
 لأن كلا من المتعادين والمتخاصمين في عدوة وخصم غير عدوة الآخر وخصمه (ومن يشاق الله ورسوله)
 الاظهار في موضع الاضمار لترية المهابة واظهار كمال شناعة ما جرتوا عليه والاشعار بعلل الخسار وقوله
 تعالى (فإن الله شديد العقاب) مما نفس الجزاء قد حذف منه العائد الى من عندهم يلتزمه أي شديد
 العقاب له أو تمليل الجزاء المحذوف أي يعاقبه الله فإن الله شديد العقاب وأما ما كان فالشرطية تكمله لما
 قبلها وتقرر لمضغونه وتحقيق السببية بالطريق البرهاني كأنه قيل ذلك العقاب الشديد بسبب مشاقته ثم الله
 تعالى ورسوله وكل من يشاق الله ورسوله كأنما من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد فاذن له بسبب مشاقته ثم
 هو ما عقاب شديد وأما أنه وعيداهم بما آتاهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا كما قيل في قوله ما بعده من قوله
 تعالى (ذلكم فسذوقه وأن للكافرين عذاب النار) فانه مع كونه هو المسوق للوعيد بما ذكرنا ناطق بكون
 المراد بالعقاب المذكور ما أصابهم عاجلا سواء جعل ذلككم إشارة الى نفس العقاب أو الى ما أتت به الشرطية
 من ثبوت العقاب لهم أماعلى الأول فلان الاظهر أن نفعه النصب بمنعري يستدعيه قوله تعالى فسذوقه
 والواو في قوله تعالى وأن للكافرين الخ بمعنى مع فالعني بانشر واذلكم العقاب الذي أصابكم فسذوقه عاجلا
 مع أن لكم عذاب النار آجلا فوضع انطباع موضع الضمير بانو يفسهم بالكسر وتعليل الحكيم به وأما على
 الثاني فلان الاقرب أن جملة الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى وأن للكافرين الخ معطوف عليه
 والمعنى حكم الله ذلكم أي ثبوت هذا العقاب لكم عاجلا وثبوت عذاب النار آجلا وقوله تعالى فسذوقه
 اعتراض وسط بين الماطوفين للشد يد والضمير على الأول انفس المشار اليه وعلى الثاني لما في ضمته وقد ذكر
 في اعراب الآية الكريمة وجوه أخر مدار الكل على أن المراد بالعقاب ما أصابهم عاجلا والله تعالى أعلم وقرئ
 بكسر الهمزة على الاستئناف (يا أيها الذين آمنوا) خطاب للمؤمنين يحكم كل شئ بما يرضى من الوقائع
 والحروب حتى يه في تضاعيف التهمة الظاهرة للاعتناء بشأنه ومباغتة في حقهم على الحاشية عليه (إذا لقيتم
 الذين كفروا زحفا) الزحف الدبيب يقال زحف السبي زحفا إذا دب على أسنانه قليلا قليلا على به الجيش
 الدهم المتوجه الى العدو لانه لكثرة وقته وكثافته يرى كأنه يزحف وذلك لأن الكل يرى بحسب واحد متصل
 فيحس سر كته بالتمسك باليد في غاية البطء وان كانت في نفس الأمر على غاية السرعة قال فانهم
 وأرسل مثل الطود تحسب أنهم وقوف طاح والركاب

ونصبه أماعلى أنه حال من مفعول انقيم أي زاحفين شعورك وأما على أنه مصدره وكذا فعل مفعول هو الحال منه
 أي يزحفون زحفا وأما كونه حالاً من فاعله أو منه ومن مفعوله معا كما قيل في آية قوله تعالى (فلا تولوهم
 الأدبار) إذ لا معنى لتقييد النهي عن الأدبار بتوجههم السابق الى العدو وبكثرتهم بل توجه العدو اليهم وكثرتهم
 هو الداعي الى الأدبار عادة والمجروح الى النهي عنه وحمله على الاشعار بما سيكون منهم يومئذ حيث تولوا
 مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر ألفا بعيد والمعنى إذا القيمة وهم للقتال وهم كثير جرم وأنتم قليل فلا تولوهم
 أدباركم فضلا عن الفرار بل قالوهم وقائلوهم مع قلنكم فضلا عن أن تنالوهم في العدد أو تساوهم (ومن يولهم
 يومئذ أي يوم النقاء) فضلا عن الفرار وقرئ يسكون الباء (الامتحن بالقاتل) أما بالتوجه الى قتال
 طائفة أخرى أم من هؤلاء وأما بالنزول للكر بأن يخيل عدوه أنه منهزم ليفتره ويخرجه من بين أعوانه ثم يعطف
 عليه وحده أو مع من في الكمين من أصحابه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها (أو تنجز الى فئة) أي
 منجزا الى جماعة أخرى من المؤمنين لينضم اليهم ثم يقاتل بهم العدو عن ابن عمر رضي الله عنهما قال إن
 سرية فزوا وأمامهم فلما رجعوا الى المدينة استحيوا ودخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفزارون فقال
 صلى الله عليه وسلم بل أنتم العكارون أي الكزارون من عكر أي رجع وأنفذككم وأنهم رجل من القادسية
 فأنى المدينة الى عمر رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين هل كنت فقررت من الزحف فقال رضي الله عنه أنا فئتكم
 ووزن متحيز متفعل لا متفعل والالكان متحوزا لانه من حاز يجوز واتصاها أماعلى الحالية والاغولا عمل
 لها وأما على الاستثناء من المولين أي ومن يولهم دبره الأرجلا منهم متحوزا أو متحيزا (فقدباء) أي رجع

(بغضب) عظيم لا يتأدر قدره ومن في قوله تعالى (من الله) متعلقة بمحذوف هو صفة الغضب مؤكداً لقوله
التنوين من الغضامة والهول بالشفاسة الاخافية أى بغضب كائن منه تعالى (وأما وجههم) أى بدل
ما أراد بقراره أن يأوى اليه من مأوى يخفيه من القتل (وبنصر المصير) فى اتساع البؤى موقع جواب
الشرط الذى هو التولية مقرون بذكر المأوى والمصير من الجزالة ما لا مزيد عليه * عن ابن عباس رضى الله
عنه ما ان الفرار من الزحف من أكره الكثر وهذا اذا لم يكن العدو أكثر من الضعف لقوله تعالى الآن
خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة بأهل بيته والحاضرين بعد فى الحرب (فلم تقتلوهم) رجوع الى
بيان بقية أحكام الواقعة وأحوالها وتشرير ما سبق منها والفاء جواب شرط مقدر يستدعيه ما مر من ذكر
امدادته تعالى وأمره بالقتل وغير ذلك كأنه قيل اذا كان الامر كذلك فلم تقتلوهم أنتم يقتلوهم وقد رتبكم
(ولكن الله قتلهم) بنصركم وتسليمكم عليهم والثناء العرب فى قلوبهم ويجوز أن يكون التقدير اذا علمت ذلك
فلم تقتلوهم أى فاعلوا أرفأ خبركم أنكم لم تقتلوهم وقيل التقدير ان افترقتم بقتلهم فلم تقتلوهم على أحد
التأويلين لما روى أنهم لما انصرفوا من المعركة غالبين غافين أقبلوا يتفأخرون يقولون قتلنا وأسرت وفعلت
وتركت فترات وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين طاعت قريش من العنقتل قال هذه قريش جاءت
بجلائهم وأخفها يكذبون رسولك اللهم أنى أسألك ما وعدتني فأتاه جبريل عليه السلام فقال خذ قبضة
من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان قال لعلى رضى الله تعالى عنه أعطيت قبضة من حصبا الوادى فرمى بها
فى وجوههم وقال شامت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهم زموا وذلك قوله عز وجل بطريق تلويح
الخطاب (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) تحقير ما يكون الرمي الظاهر على يده عليه الصلاة والسلام
حينئذ من أفعاله عز وجل وتجريد الفعل عن المنعول به لما أن المتصور الاصل بيان حال الرمي تشبهاً وبأسانا
اذ هو الذى ظهر منه ما ظهر وهو انشأته فى الرمي به فى نفسه وتكثيره الى حيث تصاب عيسى كل واحد من
أولئك الامة الجعشي من ذلك أى وما فعلت أنت يا محمد تلك الرمية المستبعدة لهذا الا انار العليمة حقيقة
حين فعلت بصورة والالكان أثرها من جسد آثارها لا فاعيل البشرية ولكن الله فعلها أى خلقها حين باشرتها
لكن لا على نزع عادته تعالى فى خلق أفعال العباد بل على وجه غير مستند ولذلك أثرت هذا التأثير الخارج
عن طوق البشر ودائرة القوى والقدر فداراياتها لله تعالى ونفها عنه عليه الصلاة والسلام كون أثرها
من أفعاله سبحانه لا من أفعاله عليه الصلاة والسلام وقرئ ولكن الله بالخفيف وانزع فى المحايين واللام
فى قوله تعالى (وليس للمؤمنين منه) أى لمعطهم من عذبه تعالى (بلا حسنة) أى عطاء بجلا غير مشوب
بشائسة الشدائد والمكارة امامتة لمسة بمحذوف متأخرة لولا واعتراضية أى ولا احسان اليهم بالنصر والغنية فعل
ما فعل لا شئ غير ذلك مما لا يجدى سم نفعاً وامبارى فالواو للعطف على علة محذوفة أى ولكن الله رمى ليعمق
الكافرين وايبلى الخ وقوله تعالى (ان الله يجمع) أى يدعائهم واستغاثتهم (عليهم) أى بفسادهم وأحوالهم
الدائمة الى الاجابة تعليل لعلمكم (ذلكم) اشارة الى البلاء الحسن وشدة الرق على أنه خير مبتداه محذوف
وقوله تعالى (وان الله موهن كيد الكافرين) بالاضافة معطوف عليه أى المنقذ بالبلاء المؤمنين وتوهم
كيد الكافرين وابطال حيلهم وقيل المشارة به انزل والزمى والمبداً الامر أى الامر ذلكم أى القتل فيكون
قوله تعالى وان الله الآية من قبيل عطف البيان وقرئ موهن بانسوز بن مخنف ومشدداً ونصب كيد الكافرين
(ان تستفتحوا) خطاب لاهل مكة على سبيل التحكم بهم وذلك أنهم حين أرادوا الخروج فعلنوا بامتار
الكعبة وقالوا اللهم انسرها على الجندى وأهدى الفتيق وأكرم الحزبين أى ان تستنصر والاعلى الجندى
(فند جاءكم الفتح) حيث نصر أعلاهما وقد زعمتم أنكم الاعلى فالتكم فى الجي أو فتد جاءكم الهزيمة والنهر
فالتكم فى نفس الفتح حيث وضع موضع ما يتباه به (وان تفتحوا) عما كنتم عليه من الحراب ومعاداة الرسول
صلى الله عليه وسلام (فهو) أى الاتهام (خير لكم) أى من الحراب الذى ذقم غائلته لما فيه من السلامة من
القتل والامر بزمى اعتباراً بأصل الخبرية فى المفضل عليه هو التكم (وان تهودوا) أى الى حرايه عليه الصلاة
والسلام (فأهدى) لما شاهدتموه من الفتح (ولن تغنى) بانشاء الفوقانية وقرئ بالياء الثانية لان تأنيث الفشة

قوله العنقتل هو عين موهلة
مفتوحة وقاف مفتوحة
وتون ساكنة وقاف ولام
أكتب العظم من الرمل
والمراد به محل شخص وسكن
فى الباب

غير حقيق وللانفصال أى ان تدفع أبدا (عندكم فنتكم) جاءكم التى تجتمعونهم وتستهيمون بهم (شياً) أى
من الاغناء أو من المنارة وقوله تعالى (ولو كنتم) بحالة حالمة وقد مر ان حقيق (وان الله مع المؤمنين)
أى ولان الله مع المؤمنين كان ذلك أو الامران الله مع المؤمنين ويقرب منه بحسب المعنى قراءة الكسر
على الاستئناف وقيل الخطاب لله ومؤمنين والمعنى ان تستنصروا فتدجاءكم التصرون تنهوا عن التكامل
والرغبة عما يرغب فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم من كل شئ لانه مناط لنيل سعادة الدارين وان
تعودوا اليه تعد عليكم بالانكار وتبيح العدو وان تغنى حينئذ كثرتم اذ لم يكن الله معكم بالنصر والامر
ان الله مع الكاملين فى الايمان (يا ايها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا رسوله ولا تقولوا) بطرح احدى التامين
وقرى بادغامها (شئ) أى لا تقولوا عن الرسول فان المراد هو الامر بطاعته والتهى عن الاعراض عنه وذكر
طاعته تعالى للتهديد والتنبية على أن طاعته تعالى فى طاعة رسوله عليه الصلاة والسلام من يطع الرسول
قد أطاع الله وقيل الضمير للجهاد وقيل الامر الذى دل عليه الطاعة وقوله تعالى (وأنتم سمعون) بحالة
حالية وارادة تأكيده وجوب الاتساع عن التولى مطلقا كفاى قوله تعالى فلا تجعلوا الله أندادا وأنتم تعاونون
لالتقييد انتهى عنه بحال السماع كفاى قوله تعالى لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى أى لا تقولوا عنه والحال أنكم
تسمعون القرآن الناطق بوجوب طاعته والمواظاة الزاجرة عن مخالفة سماع فهم واذعان (ولا تسمعوا) بكون سماعهم
تقرير للتهى السابق وتحذير عن مخالفة بالتنبية على أنهم مؤدبة الى النظامهم فى سلك الكثرة يكون سماعهم
كلاماً أى لا تكلموا بغير الله الامر والنهى (كالذين قالوا سمعنا) بمعزلة الادعاء من غير فهم واذعان كالكثرة
والمناقضين الذين يدعون السماع (وهم لا يسمعون) حال من ضمير قالوا أى قالوا ذلك والحال أنهم لا يسمعون
حيث لا يصدقون ما يسمعون ولا يفهمونه حق فهمه فكأنهم لا يسمعون رأساً (ان شر الدواب) استئناف
مسوق لبيان كمال سوء حال المنسب بهم من مخالفة فى التحذير وتقرير التين اثر تقرير أى ان شر ما يدب على
الارض أو شر البهائم (عند الله) أن فى حكمه وقضائه (السمع) الذين لا يسمعون الحق (البكم) الذين
لا يخطون به وصفوا بالسمع والبكم لان ما خلق له الاذن واللسان سماع الحق والنطق به وحيث لم يوجد فهم شئ
من ذلك صاروا كأنهم فاقدون للجارحين رأساً وتقديم الصم على البكم لما أن صممهم متقدم على بكمهم
فان السكوت عن النطق بالحق من فروع عدم سماعهم له كما أن النطق به من فروع سماعهم ثم وصفتو ابعدم التعلل
فقيل (الذين لا يسمعون) تحقيقاً لكمال سوء حالهم فان الاصم لا يكلم اذا كان له عقل رعا يسمعهم بعض
الامور ويهملهم غير بالاشارة ويمتدى بذلك الى بعض مطالبه وأما اذا كان له عقل رعا يسمعهم بعض
الشريعة وسوء الحال وبذلك يظهر كونهم شر من البهائم حيث أبطلوا ما به يميزون عنها وبه يميزون على كثير
من خلق الله عز وجل فصاروا أخس من كل خيس (ولو علم الله فيهم خيراً) شيئاً من جنس الخير الذى من
بحلته صرف توافهم الى تحزى الحق واتباع الهدى (لا سمعهم) سماع نفهم وتدبر ولو قد واصل حقيقته
الرسول عليه الصلاة والسلام وأطاعوه وآمنوا به ولكن لم يعلم فيهم شيئاً من ذلك فلو علمهم عنه بالارة فلم يسمعهم
كذلك فلو علمهم عن الفائدة وخروجه عن الحكمة واليه أشير بقوله تعالى (ولو أسمعهم لتولوا) أى لو أسمعهم
سماع نفهم وهم على هذه الحالة العارية عن الخير بالكلية لتولوا سماعهم من الحق ولم ينفذوا به قط وأرتدوا
بعد ما صدقوا وصاروا كأن لم يسمعوه أصلاً وقوله تعالى (وهم معرضون) اما حال من ضمير تولوا أى
اتولوا على أذبارهم والحال أنهم معرضون سماعهم بقلوبهم واما اعتراض تذيلى أى وهم قوم عادتهم
الاعراض وقيل كنوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى قصياً فانه كان شيئاً مباركاً حتى يشهد ذلك
ونؤمن بك فالتمنى ولو أسمعهم كلام قصى الخ وقيل هم بنو عبد الدارين قصى لم يسم منهم الامصعب بن عير
وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عى عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فانهم الله تعالى فتتولوا جميعاً
بأحد وكانوا أصحاب اللواء وعن ابن جريح أنهم المنافقون وعن الحسن رضى الله عنه أنهم أهل الكتاب
(يا ايها الذين آمنوا) تكرير النداء مع وصفهم ببعث الايمان لتنتشطهم الى الاقبال على الامتثال بما يرد بعده
من الاوامر وتنبيههم على أن فيهم ما يوجب ذلك (استجبوا لله وللرسول) بحسن الطاعة (اذا دعاكم)

أى الرسول اذ هو الما بشر لدعوة الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) من العلوم الدينية التي هي مناط الحياة الابدية كما
 أن الجهول مدار الموت الحقيقي - أو هي ما حياة القلب كما أن الجهول موجب موته وقيل لمجاهدة الكفار لانهم
 لورفضوها انقلبوا بهم وقتلواهم كما في قوله تعالى ولكم في القصاص حياة روى أنه عليه الصلاة والسلام مر على
 أبي بن كعب وهو يصلي فدعا فجعل في صلاته ثم جاء فقال عليه الصلاة والسلام ما منعك من اجابتي قال كنت
 في الصلاة قال ألم تخبر فيما أوصى الى استحييوا الله ولا رسول اذ دعاكم الخ واختلاف فيه فقيل هذا من خصائص
 دعائه عليه الصلاة والسلام وقيل لان اجابته عليه الصلاة والسلام لا تقطع الصلاة وقيل كان ذلك الدعاء لامر
 مهم لا يحتمل التأخير وثمة صلى أن يشطع الصلاة مثله (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) غنيل لغاية قربه
 تعالى من العبد كقوله تعالى وتحسن أقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على أنه تعالى مطلع من مكذوبات
 القلوب على ما عسى يغفل عنه صاحبها أو حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ادراك المنية
 فانها حاله بين المرء وقلبه ألا تصور وتخييل لذلك على العبد قلبه بحيث ينسخ عزائمته ويغير نيته ومقاصده
 ويحول بينه وبين الله كقوله تعالى لا تدعوا دينكم ولا ما يحبكم ولا ما يحب الآدمريين ولا ما يحب
 المعنوية المفوتة بالفرصة وقرئ بين المزة شديد الرأى على حذف الهمة والقسماء كقوله تعالى والراء واجراء الوصل
 تجري الوقف (وأنه) أى الله عز وجل أو انشأن (اليه تشيرون) لا الى غيره فيجوز انكم تجسبون مراتب
 أعمالكم فصارعو الى طاعته تعالى وطاعة رسوله وبانغوا في الاستجابة لهما (وأنه واقفنة لا تصيب الذين
 ظلموا منكم خاصة) أى لا تختص اصابتها بغير انما ظلم منكم بل يعمله وغيره كقوله المنكر بين أظهرهم
 والمداهنة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وانفراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على أن قوله
 لا تصيب الخ اما جواب الامر على معنى ان أصابكم لا تصيبكم الخ وفيه أن جواب الشرط متردد فلا يليق به
 النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله تعالى اذنا لوامسا كنكم لا يحطونكم واما صفة الفتنة
 ولا للثني وفيه شد وذلك لان النون لا تدخل المثنى في غير القسم أولتهى الى ارادة القول كقول من قال
 حتى اذا جن الظلام واختلفت * جاؤا بندق هل رأيت الذئب قط

واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ تصيب وان اختلف المعنى فيه حار قد جوز أن يكون نهيا عن التعرض
 للظلم بعد الامر باتباع الذئب فان وبانه يوجب انقضاء خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجود الاول لتبين
 وعلى الاخيرين لتبيين وفائدة التنبيه على أن الظلم لا يقع منه من غيركم (واعلموا أن الله شديد العقاب)
 ولذلك يصيب بالعذاب من لا يباشر سببه (واذ كررنا انهم حيل) أى وقت كونكم قليلا في العدد واشار الى الجلة
 الائمة لا يذنبان باستمرار ما كانوا يهيم من الله وما يتيهها من الضعف والخوف وقوله تعالى (مستضعفون)
 خبر ثان أو صفة اذ قيل وقوله تعالى (في الأرض) أى في أرض مكة تحت أيدي قريش والخطاب
 لهم هاجرين أو تحت أيدي فارس والروم والخطاب لهم عرب كافة فانهم كانوا أذلاء تحت أيدي الطوائف
 وقوله تعالى (مستضعفون أن يخطبكم الناس) خبر ثالث أو صفة ثانية اذ قيل وصف بالجلة بعد ما وصف
 بالمفرد أو حال من المستضعفون والمراد بالناس على الاول وهو الاظهر اما كقوله قريش واما
 كفار العرب انهم منهم وشدة عداوتهم لهم وعنى انشائي فارس والروم أى واذ كررنا وقت قتلهم وذللتهم
 وهو انكم على الناس وخوفكم من اختطافهم (فأواكم) الى المدينة أو جعل لكم مأوى تخصصون به من
 أعدائكم (وأينكم يندمهم) على الكفار أو بظاهرة الانه أروا بما دأبوا به من الملائكة (ورزقكم من الطيبات)
 من الغنائم (لعلكم تشكرون) هذه النعم الجليلة (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الله والرسول) أصل الخلون
 النقص كما أن أصل اوقاء القمام واستعماله في ضد الامانة لئلا يهيم أى لا تخونوه ما تعطى الفرائض
 والسنن أو بان تضروا خلاف ما تظهرون أو في الغلول في الغنائم * روى أنه عليه الصلاة والسلام حاصر بني
 قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألو الصلح كما صلح بنى النضير على أن يسبروا الى اخوانهم بأذرعات وأريحا
 من الشام فأبى الا أن ينزلوا على حاكم سعد بن معاذ رضى الله عنه فأبوا وقالوا أرسل اليك بالبيعة وكان
 مناصحهم لما أن ماله وعياله كانا في أيديهم فبعته اليهم فقالوا ما ترى هل ينزل على حكم سعد فأشار الى حلقه

أنه الذبح قال أبو لبابة فإزالت قدمي حتى علمت أني خنت الله ورسوله ففشت نفسه على سارية من سواري
 المسجد وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي فتكثت سبعة أيام حتى خرم مغشيا
 عليه ثم تاب الله عليه فقبل له قد تيب عليك بقل تنفست قال لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله صلى الله
 عليه وسلم هو الذي يحلني بخاءه عليه الصلاة والسلام فله فقال إن من تمام توبتي أن أهجردا رقبتي التي أصبت
 فيها الذنب وأن أفتخ من مالي فقال عليه الصلاة والسلام يجوز لك الثلث أن تصدق به (وتخونوا أماناتكم)
 فيما بينكم وهو مجزوم معطوف على الأول أو منصوب على الجواب بالواو (وأنت تعلمون) أنكم تخونون أو وأنتم
 علماء تميزون الحسن من القبيح (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة) لأنها سبب الوقوع في الإثم والعقاب
 أو فتنة من الله عز وجل ليلوكم في ذلك فلا يحملنكم جهنم على الخيانة كآي لبابة (وإن الله عنده أجر عظيم)
 لمن أترضاها تعالى عليهما وراعى حدوده فيهما فنيطواهما معكم بما يؤذيكما إليه (يا أيها الذين آمنوا) تكرر
 الخطاب والوصف بالإيمان لانهما كانا لفظا ركنا للعناية بما بعده والأيذان بأنه محاية تضي الإيمان مراعاته والمحافظة
 عليه كما في الخطابين السابقين (انتموا الله) أي في كل ما تأتون وما تنذرون (يجعل لكم) بسبب ذلك (فرقا)نا
 هداية في قلوبكم تفرقون بين الحق والباطل أو نصرا يفرق بين الحق والمبطل بأعزاز المؤمنين ولذلال
 الكافرين أو مخرجا من التسيئات أو نجاة عما تحذرون في الدارين أو ظهروا بشهر أمركم وينشر صفتكم من
 قولهم بت فعل كذا حتى سطع الفرقان أي السج (ويكفر عنكم سيئاتكم) أي يسترها (ويغفر لكم) ذنوبكم
 بالعفو والتجاوز عنها وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لأنها في أهل
 بدر وقد غفرهما الله تعالى لهم وقوله تعالى (والله ذو الفضل العظيم) تعليل لما قبله وتنبية على أن ما وعده الله
 تعالى لهم على التقوى بفضل منه واحسان لأنه مما يوجب التتوى كما إذا وعد السيد عبده انعاما على عمل
 (وإذا تكلموا بالدين كفر) منصوب على المفعولية بغير خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم معطوف على قوله
 تعالى وإذا كروا إذا أنتم الخ مسوق لئلا تكبر النعمة الخاصة به صلى الله عليه وسلم بعد تكبر النعمة العامة للكل
 أي وإذا كروا فمكرهم بك (ليثبتنوك) بالوثاق وبعضه قراءة من قرأ القيد ولأوالا تخان بالجرح من قواهم
 ضربه حتى أثبتة لاسر إليه ولا براح وقرئ لينبتوك بالشد يد وليثبتنوك من البيات (أو يقتلونك) أي بسبب وفهم
 (أو يخرجونك) أي من مكة وذلك أنه سمعوا بإسلام الانصار ومبايعتهم له عليه الصلاة والسلام فرقوا
 واجتمعوا في دار الندوة يتشاورون في أمره صلى الله عليه وسلم فدخل ابليس عليهم في صورة شيخ وقال أنا
 من بني سعدت باجتماعكم فأردت أن أضرركم ولن تعدوا معي رأيا ونصحا فقال أبو البتري رأيي أن تحبوه
 في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون إليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم
 من يقا تلكنكم من قومه ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمرو رأيي أن تحملوه على جبل وتخرجوه من أرضكم
 فلا يضرركم ما صنع فقال وبئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقا تلكنكم بهم فقال أبو جهل أنا أرى أن تأخذوا من كل
 بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيقتل دمه في أقبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش
 كلهم فإذا طلبوا العقل عطفناه فقال صدق هذا القتي فقتلوا على رأيه فأق جبريل النبي عليهما الصلاة
 والسلام وأخبره بالظهور وأمره بالهجرة فبیت عليا رضي الله تعالى عنه على مضجعه وخرج هو مع أبي بكر رضي
 الله عنه إلى الغار (ويكفرون ويكفرون الله) أي يرد مكرهم عليهم أو يجازيهم عليه أو يعاملهم معاملة الماكرين
 وذلك بأن أخرجهم إلى بدر وقلل المسلمين في أعينهم حتى حلوا عليهم فلقوا منهم ما لقوا (والله خير الماكرين)
 لا يعاب بكرهم عند مكره واستناد أمثال هذا إليه سبحانه مما يحسن للمشاكاة ولا مبالغ له ابتداء لما فيه من
 إيهام ما لا يليق به سبحانه (وإذا أتت على عليهم آياتنا) التي حقها أن يحزن لها صم الجبال (قالوا قد سمعنا لنوشا
 لقلنا مثل هذا) قاله اللعين النضر بن الحارث واستناده إلى الكل لما أنه كان رئيسهم وقاضهم الذي يقولون
 بقوله ويأخذون برأيه وقيل قاله الذين اتفقوا في أمره صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وهذا كما ترى غاية
 المسكارة ونهاية العناد كيف لا ولو استعاضوا شيئا من ذلك فما الذي كان يمنهم من المشيئة وقد تحذروا عشر سنين
 وقرعوا على العجز وذاقوا من ذلك الأمرين ثم قورعوا بالسيف فلم يعارضوا بما سواهم مع انفتهم وفراط استكفاهم

أن يقولوا لاسمى في باب البيان (ان هذا الأساطير الاولين) أى ما يسطرونه من القصص (واذ قالوا اللهم
 ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) هذا أيضا من أباطيل ذلك
 الملعين روى أنه لما قال ان هذا الأساطير الاولين قال له النبي صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله تعالى
 فقال ذلك والمعنى ان القرآن ان كان حقا منزلا من عندك فأمطر علينا الحجارة عتوبة على انكارنا أو ائتنا
 بعذاب أليم سواء والمراد منه التكلم واطهار اليقين والجزم التام على أنه ليس كذلك وحاشاه وقرئ الحق بالرفع
 على أن هو مبتدأ لفصل وقائدة التعريفية الدالة على أن المعلق به كونه حقا على الوجه الذي يدعيه
 صلى الله عليه وسلم وهو تنزيله لا الحق مطلقا ليجوزهم أن يكون مطابقا للواقع غير منزل كالأساطير (وما كان الله
 ليعذبهم وأنت تقيم) جواب لكلمتهم الشنعاء وبيان للموجب لامها اللهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام
 لتأكيد النفي والدلالة على أن تعذيبهم عذاب استئصال والنبي عليه الصلاة والسلام بين أظهرهم خارج عن
 عادته تعالى غير مستقيم في حكمه وقضائه والمراد باستغفارهم في قوله تعالى (وما كان الله معذبهم وهم
 يستغفرون) اما استغفار من بقي منهم من المؤمنين أو قولهم اللهم اغفر أو فرضه على معنى لو استغفروا لم
 يعذبوا كقوله تعالى وما كان ربك ليم لك القرى بظلم وأهلها مصلحون (وما لهم أن لا يعذبهم الله) بيان لاستحقاقهم
 العذاب بعد بيان أن المانع ليس من قبلهم أى وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون (وهم
 يصدون عن المسجد الحرام) أى وحاصلهم ذلك ومن صد عنهم عنه الجاهل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الهجرة
 واحصارهم عام الحديبية (وما كانوا أولياء) حال من ضمير يصدون مفيدة كمال قبح ما صنعوا من الصد
 فان مباشرتهم للصد مع عدم استحقاقهم لولاية أمره في غاية القبح وهو دلتا كانوا يقولون نحن ولاخا البيت
 والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء (ان أولياءه الا المتقون) من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره تعالى
 (واكن أكثرهم لايعلمون) أنه لا ولاية لهم عليه وفيه اشعار بأن منهم من يعلم ذلك ولكنه يعاند وقيل أريد
 بأكثرهم كلهم كما راد بالقلة العدم (وما كان صلاتهم عند البيت) أى دعاؤهم أو ما يسمونه صلاة أو ما يسمونه
 موضعها (الذمك) أى صغير افعال من مكايك وكذا إذا صغر وقرئ بالقصر كالبكى (وتسدية) أى تصفية فاتفعة
 من الصدى أو من الصد على ابدال أحد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على أنه الخبير لكان
 ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب أو عدم ولايتهم للمعبد فانهم بالاتباع عن هذه صلاته روى أنهم
 كانوا يطلون عراة الرجال والنساء مشبهين بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يصفقون ذلك
 إذا أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلي يخاطبون عليه ويرون أنهم يصلون أيضا (فدوقوا العذاب) أى
 القتل والامريوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل أن تكون للعهد والمعهودا لتناوب عذاب أليم (بما كنتم
 تكفرون) اعتقادا وعلا (ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) نزات في المطعمين يوم
 بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش بطم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر أو في أبي سفيان استأجر يوم أحد
 ألفين سوى من استجاش من العرب وأنفق فيهم أربعين أوقية أو في أصحاب العير فانه لما أصيب قريش يوم
 بدر قيل لهم أعينواهم ذالمال على حرب محمد اه لتأندرك ثارنا منه ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله
 (فسينفقونها) تمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو اتفاق يوم بدر والثاني اخبار
 عن انفاقهم فيما يستقبل وهو اتفاق يوم أحد ويحتمل أن يراد بهما واحد على أن مساق الاول لبيان الغرض
 من الاتفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وأنه لم يقع بعد (ثم تكون عليهم حسرة) ندما وغما لقواتها من غير
 حصول المقصود جعل ذاتها حسرة وهي عاقبة انفاقها مباغة (ثم يغلبون) آخر الامر وان كان الحرب بينهم
 حبا لا قبل ذلك (والذين كفروا) أى عوا على الكفر وأصر وأعليه (الى جهنم يحشرون) أى يساقون لا الى
 غيرها (ليبرز الله الخبيث من الطيب) أى الكافر من المؤمن أو الفساد من الصلاح واللام متعلقة بحشرون
 أو يغلبون أو ما أنفق المشركون في عدائه صلى الله عليه وسلم بما أنفق المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله
 ثم تكون عليهم حسرة وقرئ ليبرزاته شديد للمبالغة (ويجعل الخبيث بعضهم على بعض فيركه جميعا) أى يضم
 بعضهم الى بعض حتى يتركوا القربا ازدحامهم فيجمعهم أو يضمهم الى الكافر ما أنفق له عذابه كالكافرين

(فجعل في جهنم) كله (أولئك) إشارة إلى النبيين الذين هم القريبون أو إلى المنفقين وما فيهم من معي
 البعد لأنهم يبعدونهم في الحديث (هم الخاسرون) الكادون في الخسران لأنهم خسروا أنفسهم وأموالهم
 (قل للذين كسروا) هم أبو سفيان وأصحابه أي قل لأجلهم (أن يفتحوا) عما هم فيه من معاداة النبي صلى الله
 عليه وسلم بالدخول في الإسلام (بغفرهم ما قد ساء) من الذنوب وقرئ أن تفتحوا بغفر لكم وبغفر لكم على
 البناء للفاعل وهو الله تعالى (وان يعودوا) إلى قتالهم (فقد مضت سنة الأولين) الذين تحزبوا على الأنبياء
 عليهم السلام بالتدمير كما جرى على أهل بدر فاستوقعوهم مثل ذلك (وقالوا لهم) عطف على قل وقد دعم الخطاب
 لزيادة ترغيب المؤمنين في القتال لتحقيق ما يتبعه قوله تعالى فقد مضت سنة الأولين من الوعيد (حتى
 لا تكون فتنة) أي لا يوجد منهم من ترك (ويكون الدين كله لله) وتضمحل الأديان الباطلة أما باهلاك أهلها
 جميعا أو يرجوعهم عنها خشية القتل (فإن أشهوا) عن الكفر بشنائكم (فإن الله بما يعملون بصير) فيجازيهم
 على آثامهم عنه وإسلامهم وقرئ يتساء الخطاب أي عما يعملون من الجهاد المخرج لهم إلى الإسلام وتعليقه
 بآثامهم للدلالة على أنهم يشابون بالسبيبة كما يشاب المبشرون بالباشرة (وأن تولوا) ولم ينتهوا عن ذلك
 (فاعلموا أن الله مولاكم) ناصركم فتنة وإيه ولا يتألبوا بمعاداتهم (نعم المولى) لا يضيع من تولاه (ونعم النصير)
 لا يغلب من نصره (واعلموا أنما غفتم) عن الكبائر أنها نزلت بيد روقال الواقدي كان الخس في غزوة بني قينقاع
 بعد بدر شهر وثلاثة أيام لانصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة وما موصول وقوله تعالى محذوف
 أي الذي أصبوه من الكفار عنوة وأصل الغنمة أصابة الغنم من العدو ثم اتسع وأطلق على كل ما أصيب منهم
 كما بنا ما كان وقوله تعالى (من شيء) بيان للموصول محذوف النصيب على أنه حال من عائدة الموصول قصده
 الاعتناء بشأن الغنمة وأن لا يشذعن أي ما غنمته كالتأني على اسم الشيء حتى الخيط والمحيط خلا
 أن سلب المقبول للقاتل إذا ناله الإمام وأن الأسارى يخبر فيها الإمام وكذا الأراضي المغنومة وقوله تعالى
 (فإن لله خسة) مبتدأ خبره محذوف أي فحق أو واجب أن لله تعالى خسة وهذه الجلة خبر لانما الخ وقرئ
 بالكسر والاولى أكد وأقوى في الإيجاب لما فيه من تكرار الاستناد كأنه قيل فلا بد من ثبات الخس ولا سبيل
 إلى الإخلال به وقرئ لله خسة وقرئ خسة يسكون الهم والجهور على أن ذكر الله تعالى للتعظيم كما في قوله
 تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وأن المراد قسمة الخس على المعطوفين عليه بقوله تعالى (والرسول ولذي
 القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) وإعادة اللام في ذي القربى دون غيرهم من الأصناف الثلاثة لدفع
 توهم اشتراكهم في سهم النبي صلى الله عليه وسلم لما زيد اقتصاهم به عليه الصلاة والسلام وهم يتوهمون وينووا المطلب
 دون بني عبد شمس وبني نوفل لما روى عن عثمان وجبير بن مطعم رضي الله عنهما أنهم ما قالوا لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم هؤلاء أخوتك يتوهمون لا تشكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم أرايت أخواتنا بني المطلب أعطيتهم
 وحرمتنا وانما نحن وهم بنزلة واحدة فقال صلى الله عليه وسلم إنهم لم يشارقونا في جاهلية ولا إسلام انما بنو
 هاشم وبني المطلب شيء واحد وشك بين أصابعه وكيفية قسمة ما عندنا أنها كانت في عهد رسول الله صلى الله
 عليه وسلم على خمسة أسهم سهم له عليه الصلاة والسلام وسهم للمذكورين من ذوي قرباه وثلاثة أسهم للأصناف
 الثلاثة الباقية وأما بعده صلى الله عليه وسلم فسهمة ساقط وكذا سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقيرهم فهم
 أسوة لساير الفقراء ولا يعطى أغنياءهم فيقسم على الأصناف الثلاثة ويؤيده ما روى عن أبي بكر رضي الله
 عنه أنه منع بني هاشم الخس وقال انما لكم أن يعطى فقيركم وتزوج أيعكم ويخدم من لا خدم له منكم ومن عداكم
 فهو بمنزلة ابن السبيل الغني لا يعطى من الصدقة شيئا وعن زيد بن علي - عليه السلام - قال ليس لنا أن نبي منه قصورا ولا
 نركب منه البراءين وقيل سهم الرسول صلى الله عليه وسلم لولي الأمر بعده وأما عند الشافعي رحمه الله فيقسم
 على خمسة أسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف إلى ما كان يصرفه عليه الصلاة والسلام من مصالح
 المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من أغنيائهم وفسرناهم يقسم بينهم
 للذكر مثل حظ الأنثيين والباقي للفرق الثلاث وعند مالك رحمه الله الأمر فيه مقوض إلى اجتماع الأئمة ان
 رأى قبيح بين هؤلاء وان رأى أعطاه بعضهم دون بعض وان رأى غيرهم أولى وأهم فقيرهم وتعلق أبو المالبة

بظهور الآية الكرمة فقال يقسم ستة أسهم ويصرف سهم الله تعالى إلى رتاج الكعبة لما روى أنه عليه الصلاة
 والسلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها لمصالح الكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة أسهم وقيل لهم الله ليت المثل
 وقيل هو مضموم إلى سهم الرسول عليه الصلاة والسلام هذا شأن الخمس وإنما الخمس الأربعة تنقسم بين
 الغنائمين للزاجل سهم وللأفارس سهمان عند أبي حنيفة رضي الله عنه وثلاثة أسهم عند هارمهما الله قال
 القرطبي لما بين الله تعالى حكم الخمس وسكت عن الباقي دل ذلك على أنه ملك للغنائمين وقوله تعالى (أَنْ كُنْتُمْ
 آمِنْتُمْ بِاللَّهِ) متعلق بمحذوف يعني عنه المذكور أي ان كنتم آمنتم به تعالى فاعلموا أن الخمس من الغنيمة يجب
 التقرب به إلى الله تعالى فاقطعوا أطعواكم منه وأقتسموا بالأسفاس الأربعة وليس المراد به مجرد العلم بذلك
 بل العلم المشفوع بالعمل والطاعة لأمره تعالى (ومما أنزلنا) عطف على الاسم الجليل أي ان كنتم آمنتم بأمره وما
 أنزلنا (على عبدنا) وقرئ عبدنا وهو اسم جمع أو يذهب الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنون فأن بعض
 منازل نازل عليهم بالذات كما ستعرفه (يوم الفرقان) يوم بدر سمى به لفرقه بين الحق والباطل وهو منصوب
 بأنزلنا أو بأمنتم (يوم التقى الجمعان) أي الفريقان من المؤمنين والكافرين وهو بدل من يوم الفرقان
 أو منصوب بالفرقان والمراد ما أنزل عليه الصلاة والسلام يومئذ من الوحي والملائكة والفتح على أن
 المراد بالانزال مجرد الايصال والتبشير فينتظم الكل انتظاما حقيقيا وجعل الايمان بانزال هذه الاشياء من
 موجبات العلم بكون الخمس لله تعالى على الوجه المذكور من حيث ان الوحي ناطق بذلك وان الملائكة والفتح
 لما كانا من جهته تعالى وجب أن يكون ما حصل بسببهما من الغنيمة مصروفة إلى الجهات التي عينها الله تعالى
 (والله على كل شيء قدير) بقدر على نصر القليل على الكثير والدليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم (اذ أنتم
 بالعدوة الدنيا) بدل ثان من يوم الفرقان والعدوة بالضم شط الوادي وكذا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما أيضا
 (وهم بالعدوة القصوى) أي البعدى من المدينة وهي تانيث الاقصى وكان القياس قلب الواو ياء كالدنيا والعليا
 مع كونهم حاضرين بنات الواو لكنهما جاءت على الأصل كالقود واستصوب وهو أكثر استعصا لا من القصيا
 (والركب) أي المعبر أو فؤادها (أسفل منكم) أي في مكان أسفل من مكانكم يعني الساحل وهو نصب على
 الظرفية واقع موقع انخبر والجله حال من الظرف قبله وفانته بالدلالة على قوة العدو واستظهاؤهم بالركب
 وحرسهم على الفتنة عنها وتوطيئ نفوسهم على أن لا يخلوا امرأتهم ويذلوا مشهور جهدهم وضعف شأن
 المسلمين والثبات أمرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مرارا كذا الفرق يقين قلن العدو الدنيا كانت رخوة
 تسوخ فيها الأرجل ولا يمشي فيها إلا بشعب ولم يكن فيها ما يجتلاف العدو والقصورى وكذا قوله تعالى
 (ولولو أنكم اعدتم لاختلفتم في المعاد) أي لو لو اعدتم أنتم وكم القتال ثم علمت ما كنتم وحالهم لاختلفتم أنتم في المعاد
 هيبه منهم وبأسا من الظفر عليهم ليتحققوا أن ما اتفق لهم من الفتح ليس الاستعانة من الله عز وجل تخارفا
 للعادات فيزدادوا إيمانا وشكرا ونظاما نفوسهم بفرض الخمس (ولكن) جمع بينكم على هذه الحال من غير
 ميعاد (ليقتضى الله أمرا كان مفعولا) حقيقيا بأن يفعل من نصرأ وليائته وفهرأ أعدائه أو مقدرا في الازل
 وقوله تعالى (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) بدل منه أو متعلق بفعله لا أي لموت من يموت
 عن بينة عاينه أو يعيش من يعيش عن بينة شاهد حاله لا يكون له حجة ومعدرة فان وقعت بدر من الآيات الواضحة
 أو لصد وكفر من كفر وإيمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة للكفر والإيمان والمراد
 عن هلك ومن حي المشارف لهلاك والحياة أو من سأل في علم الله تعالى الهلاك والحياة وقرئ ليهلك بالفتح وحي
 بفتح الادغام مجتلا على المستقبل (وان الله له سميع عليم) أي بكفر من كفر وعقابه وإيمان من آمن ونوابه
 ولعل الجمع بين الوصفين لا تسقال الامرين على القول والاعتقاد (اذ يريكم الله في ضامك قليلا) منصرب
 باذكرا وبدل آخر من يوم الفرقان أو متعلق بعلمه أي يعلم المصالح اذ يطلعهم في عينك في رؤياك وهو أن تخبره
 أمصالك فيكون تبييتا لهم وتشجيعا على عدوهم (ولولو أنكم كنتم كثيرات لفتنتم) أي لبيتم وحبتم الاندام
 (ولنازعت في الامر) أي أمر القتال وتفرقت آراؤكم في الثبات والقرار (ولكن الله علم) أي أنتم بالسلامة
 من القتل والنزاع (انه عليهم بذات الصدور) يعلم ما سيكون فيهما من الجرأة والجلل والصبر والجزع ولذلك

دبر ماذبر (واذيركموههم اذ التقيتم في أعينكم قليلا) منصوب بمنهم رخطوب به الكل بطريق التلوين
 والتعميم معطوف على المخبر السابق والضمير ان مفعول لا يرى وقليلا حال من الثاني وانما قلناهم في أعين المسلمين
 حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه لمن الى جنبه أترأهم سبعين فقال أراهم مائة تنبينا لهم وتصديقا لرويا
 الرسول صلى الله عليه وسلم (ويقللهم في أعينهم) حتى قال أبو جهل انما أبحاب محمد أكلة جزور قلناهم
 في أعينهم قبل التحام القتال ليحترقوا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثروا حتى رأوهم من بينهم انما جنتهم الكثرة
 فيهم وتواووا بها واهذه من عظام آيات تلك الواقعة فان البصر قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على
 هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما ذلك بصدقه تعالى الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي
 في الشرائط (ليقتضى الله أمرا كان مفعولا) كتر لا اختلاف الفعل المعال به أولان المراد بالامرعة الاتقاء
 على الوجه المذكور وههنا اعزاز الاسلام وأهله واذلال الكفر وحزبه (والى الله ترجع الامور) كلها
 يصرفها كيف ما يريد لا راد لا مره ولا معقب لحكمه وهو الحكيم المجيد (يا أيها الذين آمنوا) صدر الخطاب
 بحرف النداء والتثنية اظهرا الكمال الاعتناء بضمون ما بعده (اذ التقيتم فئة) أي حاربتم جماعة من الكفرة
 وانما لم يوصفوا بالكفر لظهور أن المؤمنين لا يحاربون الا الكفرة واللقاء مما غلب في القتال (فانبتوا) أي
 للقاتلهم في موطن الحرب (واذكروا الله كثيرا) أي في تضاعيف القتال مستعين منه مستعينين به مستظهري
 بذكركم مترقبين لنصره (لعلكم تفلحون) أي تفوزون بجرامكم وتظفرون بمرادكم من النصر والمثوبة
 وفيه تنبيه على أن العبد ينبغي أن لا يشغله شيء عن ذكر الله تعالى وأن يلتجئ اليه عند الشدائد ويتسبل اليه
 بكليته فارغ البال وانما بان لطفه لا ينفك عنه في حال من الاحوال (وأطيعوا الله ورسوله) في كل ما تأتوا
 وما تذكرون فيندرج فيه ما أمروا به ههنا اندراجا أولا (ولا تنازعوا) باختلاف الآراء كما فعلتم بيدرا وأحد
 (فتقتلوا) جواب للنهي وقيل عطف عليه (وتذهب ريجكم) بالنصب عطف على جواب النهي وقرئ بالجزم
 على تقدير عطف فتقتلوا على النهي أي تذهب دوائكم وشوكتكم فانها مستعارة للدولة من حيث انها
 في غنى أمرها ونفاذها مشبهة بها في هبوبها وجريانها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصر لا تكون الا بريح
 يهبها الله تعالى وفي الحديث نهى عن الصبا وأهلك عاد بالديور (واصبروا) على شدائد الحرب (إن الله مع
 الصابرين) بالنصرة والكلافة وما يفهم من كلمة مع من أصالتم انما هي من حيث انهم المباشرون للصبر فهم
 متبعون من تلك الحقيقة ومعهم تعالى انما هي من حيث الامداد والاعانة (ولا تكونوا كالذين خرجوا
 من ديارهم) بعدما أمروا وابعأ مروا به من أحسن الاعمال ونهوا عما يقابلها من قبائحها والمراد بهم
 أهل مكة حين خرجوا لحماية العير (بطورا) أي غفرا وأشرا (ورثاء الناس) ليقنوا عليهم بالشجاعة
 والسماحة وذلك أنهم لما بلغوا بحجة أتاها رسول أبي سفيان وقال ارجعوا فقد سلمت غيركم فأبوا الاظهار آثار
 الجلالة فلقوا ما لقوا حسادا كرفي أوائل السورة الكريمة فنهى المؤمنون أن يكونوا أمثالهم مرثيين بطرين
 وأمروا بالتقوى والاخلاص من حيث إن النهي عن الشيء مستلزم للاصبر بصدقه (وبصدقون عن سبيل الله)
 عطف على بطرا ان جعل مصدر في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر (والله
 بما يعملون محيط) فيجازيهم عليه (واذرينهم الشيطان أعمالهم) منصوب بمنهم رخطوب به الكل بطريق التلوين
 صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين أي واذا كروا بين الشيطان أعمالهم في معاداة المؤمنين وغيرها
 بأن وسوس اليهم (وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم) أي ألقى في روعهم وشغل اليهم أنهم
 لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم وأوهمهم أن اتباعهم اياه فيما يظنون أنها قربات مجير لهم حتى
 قالوا اللهم انصر احدي الفئتين وأفضل الدينين ولكم خبر لا غالب أو صفته وليس صلته والالات صب كقولك
 لا ضارب يا زيد عندنا (فلما ترامت الشمس) أي تلاقى الفريقان (نكص على عقبيه) رجع الله تعالى
 بطل كيد وعاد ما خيل اليهم أنه مجيرهم سببا لهلاكهم (وقال انى برى منكم انى أرى ما لاترون انى أخاف الله)
 أي تبرأ منهم وخاف عليهم ويثس من حالهم لما رأى امداد الله تعالى للمسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش
 على المسير ذكرت ما بينهم وبين كناية من الاحنة فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقه بن مالك

الكثافي وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني محيركم من كثافة فلما رأى الملائكة تنزل فكس وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له الى أين أنتخذلنا في هذه الحالة فقال اني أرى ما لاترون ودفع في صدر الحارث وانطلق فانهم زوا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقفة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمةكم فلما أسلوا عاوا أنه الشيطان وعلى هذا يحتمل أن يكون معنى قوله اني أخاف الله أخافه أن يصيبني بمكرهم من الملائكة أو بهلكتي ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ رأى فيه ما لم يره قبله والاول ما قاله الحسن واختاره ابن جرير (والله شديد العقاب) يجوز أن يكون من كلامه أو مستأنفاً من جهة الله عز وجل (اذ يقول المنافقون) منسوب بنين أو بتكص أو بشديد العقاب (والذين في قلوبهم مرض) أي الذين لم تطمئن قلوبهم بالايان بعد وبقي فيها نوع شبهة وقيل هم المشركون وقيل هم المنافقون في المدينة والعطف لتغاير الوصفين كما في قوله

يا لهف ذباية للعارث **ص** صايج فالغائم فالآيب

(عز هؤلاء) يعنون المؤمنين (ديتهم) حتى تعرضوا للملاطافة لهم به تخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء ألف (ومن يتوكل على الله) جواب لهم من جهته تعالى ورد لقائلهم (فان الله عزيز) غالب لا يذل من توكل عليه واستجار به وان قل (حكيم) يفعل بحكمته البالغة ما تستبعد العقول وتجاوز في فهمه الباب النقول وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه (ولوترى) أي ولورأت فان لولا امتناعية ترد المضارع ماضياً كما أن ان ترد الماضى مضارعاً والخطاب آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن له حظ من الخطاب وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ولوترى اذ وقفوا على النار وكذا في قوله تعالى (اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة) ظرف امرى والمفعول محذوف أي ولوترى الكفرة أو حال الكفرة حين يتوفاهم الملائكة يسدر وتقديم المفعول للاهتمام به وقيل الساعل ضمير عائذ الى الله عز وجل والملائكة مبتدأ وقوله تعالى (يضربون وجوههم) خبره والجملة حال من الموصول قد استغنى فيها بالضمير عن الواو وهو على الاقل حال منه أو من الملائكة أو منهم ما لا شئالة على ضميرهما (وأدبارهم) أي وأستأفهم أو ما أقبل منهم وما أدبر من الاعضاء (وذوقوا عذاب الحريق) على ارادة القول معطوفاً على يضربون أو حالاً من فاعله أي ويقولون أو قائلين ذوقوا بشاره لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد تكلموا فيها بالنار ستمها وجواب لو محذوف لا يذ ان مجزوجه عن حدود البيان أي لرأت أحراراً فظيعاً لا يكاد يوصف (ذلك) إشارة الى ما ذكر من الضرب والعذاب وما فيه من معنى البعد لا شعار بكونهم ما في الغاية الشاصية من الهول والظنطاعة وهو مبتدأ أخيره (بما قدمت أيديكم) أي ذلك الضرب والعذاب واقع بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي ومحل أن في قوله (وأن الله ليس بظلام للعبيد) الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي والامر أنه تعالى ليس بعذاب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع أن تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعاً على ما تقرر من قاعدة أهل السنة فضلا عن كونه ظالماً بالغاً قد مر تحقيقه في سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمنهون ما قبلها أو ما ما قبل من أنها معطوفة على ما للدلالة على أن سببته مقيدة بانفعامه اليه اذ لولا لا يمكن أن يعذبهم بغير ذنوبهم فليس بسديد لما أن امكان تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لا يتأني كون تعذيب هؤلاء الكفرة المعينة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى اعتبار عدمه معه نعم لو كان المدعى كون جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذنين لاحتج الى ذلك (كذاب آل فرعون) في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف مسوق لبيان أن ما حل بهم من العذاب بسبب كفرهم لا بشئ آخر من جهة غيرهم بتشبيه حالهم بحال المعروفين بالاهلاك بسبب جرائمهم لزيادة تقييح حالهم وتشبيهه على أن ذلك سنة مطردة فيما بين الامم المهلكة أي شأنهم الذي استمرزوا عليه مما فعلوا وفعل بهم من الاخذ كذاب آل فرعون المشهورين بقباحة الاعمال وفظاعة العذاب والنكال (والذين من قبلهم) أي من قبل آل فرعون من الامم التي فعلوا من المعاصي ما فعلوا واقواما من العقاب ما اتوا كقوم نوح وعاد وأسرارهم من أهل الكفر والعناد وقوله تعالى (كفروا بآيات الله) تفسير لآبهم الذي فعلوه لا لأب آل فرعون ونحوهم كما قيل فان ذلك معلوم منه بتقصية انتبيه

وقوله تعالى (فأخذهم الله) تفسير لدأبهم الذي فعل بهم - والفاء لبيان كونه من لوازم جنائياتهم وتبعاتها المتفرعة عليها وقوله تعالى (بذنوبهم) لتأكد ما أفاده الفاء من السببية مع الإشارة إلى أن إلهامهم مع كفرهم ذنوباً أخرها دخل في استتباع العقاب ويجوز أن يكون المراد بذنوبهم معاصيهم المتفرعة على كفرهم فتكون الباء للملابسة أي فأخذهم ملتصقين بذنوبهم غير تائبين عنها فدأبهم مجموع ما فعلوا وفعل بهم لا ما فعلوه فقط كما قيل قال ابن عباس رضي الله عنهما إن آل فرعون أيقنوا أن موسى عليه السلام نبي الله فكذبوه كذلك هؤلاء جاء محمد صلى الله عليه وسلم بالصدق فكذبوه فأنزل الله تعالى بهم عقوبته كما أنزل بالفرعون وجعل العذاب من جملة دأبهم مع أنه ليس بحايث صومردا وصمتهم عليه واعتقادهم إياه كما هو المعتبر في مدلول الدأب إنما التغليب ما فعلوه على ما فعل بهم أو لتبذيل مداومتهم على ما يوجبهم من الكفر والمعاصي منزلة مداومتهم عليه لما بينهما من الملازمة التامة وقوله تعالى (إن الله قوي شديد العقاب) اعتراض مقتران بمقوله ما قبله من الأخذ وقوله تعالى (ذلك) الخ استئناف مسوق لتعليل ما يفيد النظم الكريم من كون ما حل بهم من العذاب منوطاً بأعمالهم السيئة غير واقع بلا سببية ما يقتضيه وهو المشار إليه لا نفس ما حل بهم من العذاب والاتقام كما قيل فإنه مع كونه معللاً بماذا كرم كفرهم وذنوبهم لا يتصور تعليله بجريان عادته تعالى على عدم تغيير نعمته على قوم قبل تغييرهم لحالهم ونوهم أن السبب ليس ما ذكر كما هو منطوق النظم الكريم بل ما يستفاد من مفهوم الغاية من جريان عادته تعالى على تغيير نعمتهم عند تغيير حالهم بناء على تخيل أن المعدل ترتب عقابهم على كفرهم من غير تخلف عنه وكوب شطط هائل وابعاد عن الحق بمراحل وتهوين لأمر الكفر بآيات الله واستقاط له عن رتبة إيجاب العقاب في مقام تهويله والتحذير منه فالماضي ذلك أي ترتب العقاب على أعمالهم السيئة دون أن يقع ابتداء مع قدرته تعالى على ذلك (بأن الله) أي بسبب أنه تعالى (لم يكن) في حد ذاته (مغيراً لنعمته أنعمها) أي لم ينبغ له سبحانه ولم يصح في حكمته أن يكون بحيث يغير نعمته أنعمها (على قوم) من الاقوام أي - نعمه كانت جليلة أو هائلة (حتى يغيروا ما بآئتهم) من الأعمال والاحوال التي كانوا عليها وقت ملاستهم بالنعمة ويتصفوا بما يشاءوا سواء كانت أحوالهم السابقة مرضية صالحة أو قبيحة من الصلاح بالنسبة إلى الحادثة كدأب هؤلاء الكفرة حيث كانوا قبل البعثة ككفرة عبدة أصنام مستترين على حالة مصححة لا فاضة نعمة الامهال وسائر النعم الدينية عليهم فلما بعث إليهم النبي صلى الله عليه وسلم بالبينات غيروها إلى أسوأ منها وأخط حيث كذبوه عليه الصلاة والسلام وعادوه ومن تبعه من المؤمنين وتجزوا عليهم يغيرونهم الغوائل فغير الله تعالى ما أنعم به عليهم من نعمة الامهال وعاجلهم بالعذاب والتكال وأصل يك يكن فحذفت النون تخفيفاً لشيء بالحرروف اللينة (وأن الله سميع عليم) عطف على أن الله الخ داخل معه في حيز التعليل أي وبسبب أنه تعالى سميع عليم ويعلم جميع ما يأتون وما يذرون من الأقوال والأفعال السابقة واللاحقة فيرتب على كل منها ما يليق بها من ابتلاء النعمة وتغييرها وقرئ وإن الله يكسر الهزة فالجمله حينئذ استئناف مقترن بضموم ما قبلها وقوله تعالى (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم) في محل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي حتى يغيروا ما بآئتهم تغييراً كافياً كدأب آل فرعون أي كغيرهم على أن دأبهم عبارة عما فعلوه فقط كما هو الانسب بمفهوم الدأب وقوله تعالى (كذبوا بآيات ربهم) تفسير له بتمامه وقوله تعالى (فأهلكناهم) اخبار بترتب العقوبة عليه لأنه من تمام تفسيره ولا ضير في توسط قوله تعالى وإن الله سميع عليم بينهم كما مر نظيره في سورة آل عمران حيث يجوز الانتصاب محل الكاف بأن تغنى مع ما بينهما من قوله تعالى وأولئك هم وقود النار وهذا على تقدير عطف الجملة على ما قبلها وأما على تقدير كونها اعتراضاً فلا غبار في توسطها قطعاً وقيل في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف كما قبله فالجمله حينئذ استئناف آخر مسوق لتقرير ما سبق له الاستئناف الأول بتشبيه دأبهم بدأب المذكورين لكن لا بطريق التكرار المحض بل بتغيير العنوان وجعل الدأب في الجائدين عبارة عما يلزم معناه الأول من تغيير الحال وتغيير النعمة أخذاً بما نطق به قوله تعالى ذلك بأن الله لم يكن مغيراً لنعمته الآية أي دأب هؤلاء وشأنهم الذي هو عبارة عن التغييرين المذكورين كدأب أولئك حيث غيروا حالهم فغير الله تعالى نعمته عليهم فقوله تعالى

كذبوا بآيات ربهم تكذيباً لهم الذي فعلوه من تغييرهم لحالهم وقوله تعالى فأهلكناهم نفسير لدأبهم الذي فعل
 بهم من تغييره تعالى ما بهم من نعمته وأما دأب قريش فاستفاد منه بحكم التشبيه فله در شأن التزويل حيث
 اكتفى في كل من التشبيه بنسبته إلى أحد الطرفين وإضافة الآيات إلى الرب المضاف إلى ضميرهم لزيادة تنبيح
 ما فعلوا بهم من التكذيب والالتفات إلى نون العظمة في أهل كتاب جرياً على سنن الكبرياء التزويل الخطب والكلام
 في النساء وفي قوله تعالى (بنوهم) كالذي مر وعطف قوله تعالى (وأغرقنا آل فرعون) على أهل الكتاب
 اندراجهم تحته للإيدان بكمال هول الاغراق وقطاعته كعطف جبريل عليه السلام على الملائكة (وكل) أي
 وكل من الفرق المذمومة ورين أو كل من هؤلاء وأولئك أو كل من غرق القبط وقتل قريش (كانوا ظالمين)
 أي أنفسهم بالكفر والمعاصي حيث عرّضوها للهلاك أو واضعين للكفر والتكذيب مكان الإيمان والتصديق
 ولذلك أصابهم ما أصابهم (ان شر الدواب) بعدما شرح أحوال المهلكين من شرار الكفرة شرع في بيان
 أحوال الباقيين منهم وتبصير أحكامهم وقوله تعالى (عند الله) أي في حكمه وقضائه (الذين كفروا) أي
 أصروا على الكفر ولو اقبه جعلوا شر الدواب لشر الناس إيماناً إلى أنهم بعزل من شأنهم وانما هم
 من جنس الدواب ومع ذلك شر من جميع أفرادها حسباناً على قوله تعالى انهم الا كالانعام بل هم أضل
 وقوله تعالى (فهم لا يؤمنون) حكم مترتب على عبادتهم في الكفر ورسوخهم فيه وتسمييل عليهم بكونهم
 من أصل الطبع لا يلويهم صارف ولا يثنى عليهم عاطف أصلاً بجوابه على وجه الاعتراض لأنه عطف على كفروا
 داخل معه في حيز الصلة التي لا حكم فيها بالفعول وقوله تعالى (الذين عاهدت منهم) بدل من الموصول الأول
 أو عطف بيان له أو نصب على الذم أي عاهدتهم ومن لا يذنب بان المعاهدة التي هي عبارة عن اعطاء العهد
 وأخذ من الجانبين معتبرة ههنا من حيث أخذهم عليه الصلوة والسلام عهدهم اذ هو المنطوق لقباحة ما نهي
 عليهم من النقص لا اعطاه عليه الصلوة والسلام اياهم عهده كانه قيل الذين أخذت منهم عهدهم وقيل هي
 لتبعض لأن المباشرة بالذات للعهد بعضهم لا كلهم (ثم يتنصون عهدهم) عطف على عاهدت داخل معه
 في حكم الصلة وصيغة الاستقبال للدلالة على ثبات النقص وتعدده وكونهم على نيته في كل حال أي
 يتنصون عهدهم الذي أخذته منهم (في كل مرة) أي من مرات المعاهدة اذ هي التي يتوقع فيها عدم النقص
 ويستتبع وجوده لا من مرات المحاربة كما قيل اذ لا يتوقع فيها عدم النقص بل لا يتصور أصلها حتى يستتبع
 فيها وجوده لكونها مظنة لعدمه فلا فائدة في تنبيه النقص بالوقوع في كل مرة من مراتها بل لا صحة له قطعاً
 لأن النقص لا يتحقق الا في المرة الواردة على المعاهدة لا في المرات الواقعة بعدها بالمعاهدة وإن سلم أن المراد
 هي المرات الواقعة اثر المعاهدة بقي النقص الواقع بلا محاربة كبيع السلاح ونحوه خارجاً من البيان وإن
 عد ذلك من الماربة فلا محيص من لزوم خلو الكلام عن الفائدة بالمرة لأن المحاربة بهذا المعنى عين النقص
 فيقول الامر الى أن يقال يتنصون عهدهم في كل مرة من مرات النقص وحمل المحاربة على محاربة غيرهم
 ليكون المعنى يتنصون عهدهم في كل مرة من مرات محاربة الاعداء مع كونه في غاية البعد والركاكة يستلزم
 خروج بدتهم بالنقص من البيان (وهم لا يتقون) حال من فاعل يتنصون أي يستقرون على النقص والحال
 أنهم لا يتقون نسبة الغدر ولا يبالون بما فيه من امار والنار وقوله تعالى (فأما ستفتنهم) شروع في بيان
 أحكامهم بعد تفصيل أحوالهم والنساء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أي فاذا كان حالهم كذا فاما تصادفهم
 وتظفر بهم (في الحرب) أي في تضاعيفها (فشر دهم) أي فترق عن مناصبتك تفرقاً عنيفاً موجبا
 للاضطراب والاضطراب وذلك عنها بأن تفعل بهم من النكابة والتعذيب ما يوجب أن تتكلم (من خلفهم)
 أي من وراءهم من الكفرة وفيه إيماناً إلى أنهم بعدد الحرب قريب من هؤلاء وقرئ شر ذباً لزال المجمة وأعله
 مقولوب شذر بمعنى فزق وقرئ من خلفهم أي افعل الذمير من وراءهم والمعنى واحد لأن اقتناع التشريد
 في الوراء لا يتحقق الا بتشريد من وراءهم (لعلهم يذكرون) يعظون بما شاهدوا وما نزل بالناقضين
 فيتردعوا عن النقص أو عن الكفر وقوله تعالى (وأما تخافن من قوم خيانة) بيان لأحكام المشركين
 التي نقض العهد اثر بيان أحكام الناقضين له بالفعول والخوف مستعار للعلم أي وأما تعلمن من قوم من المعاهدين

نقض عهد فيمضي بالاحكام منهم من دلائل الغدر وشيايل النمر (فانذ اليهم) أي فاطرح اليهم عهدهم
(على سواء) على طريق مستوفى بان تظهر اليهم النقض وتخيرهم اخبارا مكشوفات بانك قد قطعت ما بينك
وبينهم من الوصلة ولا تنجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد كيبلا يكون من قبلك شائبة خيانة أصلا
فاطرح متعلق بمحذوف وهو حال من النابذ أي فانذ اليهم نابذا على سواء وقيل على استواء في العلم بنقض العهد
بحيث يستوي فيه أقصاهم وأدناهم أو تستوي فيه أنت وهم فهو على الأول حال من المنبذ اليهم وعلى
الثاني من الجانبين (إن الله لا يحب الخائنين) تعليل للأمر بالنبذ اما باعتبار استلزامه للنهي عن المناجزة
التي هي خيانة فيكون تحذير الرسول الله صلى الله عليه وسلم منها واما باعتبار استنباعه لقتال بالآخرة فيكون
حشاه عليه الصلاة والسلام على النبذ أولا وعلى قتالهم ثانيا كانه قيل واتما تعلق من قوم خيانة فانذ اليهم
ثم قائلهم إن الله لا يحب الخائنين وهم من جلتهم لما علمت من حالهم (ولا يحسبن الذين كفروا) أي أنهم هم
محذوف للتكرار وقوله تعالى (سبقتوا) أي قاتلوا أو قتلوا من أن يظهرهم مفسدون فان يحسبن والمراد
اقتناطهم من الخلاص وقطع أطماعهم الفارغة من الانتفاع بالنبذ والافتقار على دفع هذا التوهم مع أن
مقاومة المؤمنين بل الغلبة عليهم أيضا مما تعلق به أمانيهم الباطلة للتنبيه على أن ذلك مما لا يحوم حوله وهمهم
وحسبانهم وإنما الذي يمكن أن يدور في خلدكم حسبان المناس فقط وقيل الفعل مستند الى أحد
أولى من خلفهم والمنعول الأول الموصول المتنازل لهم أيضا وقيل هو التفاعل وأن محذوفة من سبقتوا
وهي مع ما في حيزها سادة معدة المدعوين والتقدير ولا يحسبن الذين كفروا ان سبقتوا وبعضه قراءة من قرأ
أنهم سبقتوا وأظهره في الحذف قوله تعالى ومن آياته يريكم البرق خوفا وقلوبه تعالى غير الله تأمروني أعبد
الآية قاله الزجاج وقرئ بالتساقط على خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي قراءة واضحة وقرئ ولا تحسب
الذين يكسر الباء ويشتبه على حذف النون الخفيفة وقوله تعالى (انهم لا يجزئون) أي لا يفوتون
ولا يجدون طالعهم عاجزا عن ادراكهم تعليل للنهي على طريقة الاستئناف وقرئ بفتح الهاء مرة على حذف
لام التعليل وقيل الفعل واقع عليه ولا زائدة وسبقتوا حال بمعنى سابقين أي مفلتين هارين وهذا على قراءة
الخطاب لازاحة ما عسى يحذر من عاقبة النبذ لما أنه ابتساق للعدو وتكبد لهم من الهرب والخلاص من أيدي
المؤمنين وفيه تنبيه على المقاومة والمقاولة على أبلغ وجهه وأكده كما أشير اليه وقيل نزلت فحين أفلت
من قل المشركين وقرئ لا يجزئون بكسر النون ولا يجزئون بالتشديد (وأعدوا لهم) توجيه الخطاب
الى كافة المؤمنين لما أن الأمور به من وظائف الكل كما أن توجيهه فيما سبق ومالحق الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليكون ما في حيزه من وظائفه عليه الصلاة والسلام أي أعدوا وانتال الذين نبذ اليهم العهد وهي
لجراهم أو قتال الكفار على الإطلاق وهو الانسب بسياق النظم الكريم (ما استطعتم من قوة) من كل
ما يتقوى به في الحرب كما ما كان وعن عقبه بن عامر رضى الله عنه سمعته عليه الصلاة والسلام يقول على المنبر
ألا إن القوة الرمي قالها ثلاثا ولعل تخصصه عليه الصلاة والسلام أيام بالذكر لاناقته على نظائره من القوى
(ومن رباط الخيل) الرباط اسم للثيل التي تربط في سبيل الله تعالى فعال بمعنى مفعول أو مصدر سميت هي به
يقال ربط رباطا ورباطا ورباطة ورباطا أوجع رباط كفضيل وفصال أوجع رباط ككعب وكعب وكعب
وكلب وكلاب وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة مع كونها من جلتها
للإيدان بفضلها على بقية أفرادها كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة (ترهبون به) أي تخفون وقرئ
ترهبون بالتشديد وقرئ تخزون به والضمير لما استطعتم أو للأعداد وهو الانسب ومحل الجملة النصب على
الحالية من فاعل أعدوا أي أعدوا أمرهين به أو من الموصول أو من عائد المحذوف أي أعدوا ما استطعوه
مرهبا به (عدوا لله وعدوكم) وهم كفار مكة خسروا بذلك من بين الكفار مع كون الكل كذلك لقباية
عتوهم ومجاورتهم الحث في العداوة (وآخرين من دونهم) من غيرهم من الكفرة وقيل هم اليهود وقيل المنافقون
وقيل القريش (لأنهم) أي لا تعرفونهم بأعيانهم ولا تعلمونهم كاهم عليه من العداوة وهو الانسب بقوله
تعالى (الله يعلمهم) أي لا غيره فان أعيانهم معلومة لغيره تعالى أيضا (وما تنفقوا من شيء) لأعداد العناد قل

قوله من قل المشركين أي
المنهزم منهم وهو بفتح القاء
ونشد اللام لتوحيده
والمتعد دوجعه قلول وأقلال
كقاي الشهاب والقاموس
اه صححه

قوله العناد هو لسحاب
العدوة وجهه أعند كقاي
القاموس اه صححه

او جل (في سبيل الله) الذي اوضحه الجهاد (يوف اليكم) أي جزاؤه كاملا (وانتم لاتظلمون) بترك الاثابة او ينقص الثواب والتعبير عن تركها بالظلم مع أن الاعمال غير موجبة للثواب حتى يكون ترك ترتيبه عليها ظما للبيان كمال نزاهته سبحانه عن ذلك تصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبايح وابرار الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه تعالى كما مر في تفسير قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم في لا اضيع عمل عامل منكم (وان جنحوا) الجنوح الميل ومنه الجناح ويمتد باللام وبالي أي ان مالوا (للسلم) أي للصلح بوقوع الرهبة في قلوبهم بمشاهدة ما بكم من الاستعداد واعتداد العتاد (فاجنحوا) أي للسلم والتأنيث للحل على تقيضه قال

السلم تأخذ منها ما وضعت به • والحرب يكفيك من أنفسها جرح وقرى فاجنح بضم النون (وتوكل على الله) ولا تحق أن يظهر ذلك السلم وجواضهم مطوية على المكر والكيد (انه) تعالى (هو السميع) فيسمع ما يقولون في خلواتهم من مقالات الخداع (العليم) فيعلم نياتهم فيؤاخذهم بما يستحقونه ويرد كيدهم في شرهم والاية خاصة باليهود وقيل عاقبة نسختها آية السيف (وان يريدوا ان يحذعوك) باظهار السلم وابطال الحراب (فان حسبك الله) أي فاعلم بأن محسبك الله من شرورهم وناصرك عليهم (هو الذي ايدك بنصره) لتعيل لكفايته تعالى اياه عليه الصلاة والسلام بطريق الاستئناف فان تأييده تعالى اياه عليه الصلاة والسلام فيما سلف على ما ذكر من الوجه البعيد من الوقوع من دلائل تأييده تعالى فيما سلف أي أي هو الذي ايدك بامداد من عنده بلا واسطة كقوله تعالى وما النصر الا من عند الله اوبالملائكة مع خرقة للاعداء (وبالمؤمنين) من المهاجرين والانصار (وألف بقر فلو بهم) مع ما كان بينهم قبل ذلك من العصية والضغينة والتسالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا بتوقيفه تعالى كنفس واحدة وهذا من ابرم محجزاته عليه الصلاة والسلام (لوا أنفقت ما في الارض جميعا) أي لتأتلف ما بينهم (ما ألفت بين قلوبهم) استئناف مقترن لما قبله ومبين لعزلة المطالب وصعوبة المآخذ أي تناهى التعادى فيما بينهم الى حد لوانفق منفق في اصلاح ذات البين جميع ما في الارض من الاموال والخاثر لم يتدر على التأنيف والاصلاح وذكر القلوب للاشعار بأن التأليف بينها لا يتسنى وان أمكن التأليف ظاهرا (واكن الله أف بينهم) قلبا وقالبيا بقدرته الباهرة (انه عزيز) كامل القدرة والغلبة لا يستعصى عليه شيء مما يريد (حكيم) بعلم كيفية تسخير ما يريد وقيل الاية في الاوس والخزرج كان بينهم احن لامدادها ووافانغ اذنت ساداتهم واعاظهم ودقت أعناقهم وجاجهم فأنسى الله عز وجل جميع ذلك وألف بينهم بالاسلام حتى تصافوا واصبحوا يرمون عن قوس واحدة وصاروا أنصارا (يا أيها النبي) شروع في بيان كفايته تعالى اياه عليه الصلاة والسلام في جميع اموره وأمور المؤمنين أوفى الامور الواقعة بينهم وبين الكفرة كافة اثر بيان كفايته تعالى اياه عليه الصلاة والسلام في مادة خاصة وتصدير الجملة بحرفي النداء والتنبية للتنبية على مزيد الاعتناء بضمونها وابراده عليه الصلاة والسلام بعنوان النبوة للاشعار بعلية الحكم (حسبك الله) أي كافيك في جميع امورك اوفيا بينك وبين الكفرة من الحراب (ومن اتبعك من المؤمنين) في محل النصب على أنه مفعول معه أي كنالك وكفى أتباعك الله ناصر كما في قول من قال

• تحسبك والنصالك عتب مهند •

وقيل في موضع الجر عطفًا على الضمير كما هو رأي الكوفيين أي كافيك وكافهم اوفى بحمل الرفع عطفًا على اسم الله تعالى أي كفاك الله والمؤمنون والاية نزلت في البيداء في غزوة بدر قبل القتال وقيل أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر رضى الله عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت في اسلام هر رضى الله عنه (يا أيها النبي) بعد ما بين كفايته اياهم بالنصر والامداد أمر عليه الصلاة والسلام بترتيب مبادئ نصره وامداده وتكرير الخطاب على الوجه المذكور لانه كمال الاعتناء بشأن الأمور (حرض المؤمنين على القتال) أي بالغ في حثهم عليه وترغيبهم فيه بكل ما أمكن من الامور المرغبة التي اعظمها تذكير وعده تعالى بالنصر وحكمه بكفايته تعالى اوبكفايتهم وأصل التحريض الحرض وهو أن يهك المرء حتى يشق على الموت وقال الراغب ~~كان~~ أنه في الاصل ازالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به قلت فالوجه حينئذ أن يجعل الحرض عبارة عن ضعف القلب الذي هو من باب نهك المرض وقيل

معنى تحريضهم تسميتهم حرصاً بأن يقال انى ارادنى هذا الامر حرصاً أى يحرض ضافيه التوجيه الى الاقدام وقرئ
 حرص بالصاد المهمل وهو واضح (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) وعد كريم منه تعالى
 يغلب كل جماعة من المؤمنين على عشرة أمثالهم بطريق الاستئناف بعد الامر بتحريضهم وقوله تعالى
 (وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً) مع انهم مضمونه مما قبله ليكون كل منهم اعدة بتأييد الواحد على العشرة
 لزيادة التقرير المفيدة لزيادة الاطمئنان على أنه قد يجرى بين الجوعين القليلين ما لا يجرى بين الجوعين الكثيرين
 مع أن التفاوت فيما بين كل من الجوعين القليلين والكثيرين على نسبة واحدة فبين أن ذلك لا يتفاوت
 في الصورتين وقوله تعالى (من الذين كفروا) بيان للألف وهذا القيد معتبر في المائتين أيضاً وقد ترك ذكره
 تعويلاً على ذكره ههنا كما ترك قيد الصبر ههنا مع كونه معتبراً حتمية بذكره هناك (بأنهم قوم لا يفقهون)
 متعلق بغلبوا أى بسبب أنهم قوم جهلة بالله تعالى وباليوم الآخر لا يقاتلون احتساباً وامثالاً بأمر الله تعالى
 واعلاء كرامته وابتغاء رضوانه كما يشعل المؤمنون وانما يقاتلون للعبية الجاهلية واتباع خطوات الشيطان
 وانارة نائرة البقي والعدوان فلا يستحقون الا الشهر والمخلدان وأما ما قبل من أن من لا يؤمن بالله واليوم
 الآخر لا يؤمن بالمعاد فالسعادة عنده ليست الا هذه الحياة الدنيوية فيشبع بها ولا يعرضها للزوال بمزاولة
 الحروب واقحام موارد الخطوب فيميل الى ما فيه السلامة فيفتري غلب وأماناً يعتقد أن لا سعادة في هذه
 الحياة الفانية وانما السعادة هي الحياة الباقية فلا يبالى بهذه الحياة الدنيا ولا يقيم لها وزناً فيقدم على
 الجهاد بقلب قوى وعزم صحيح فيقوم الواحد من مثله مقام الكثير فكلام حق لكنه لا يلائم المقام
 (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً) لما كان الوعد السابق متضمناً لا يجلب مقاومة الواحد للعشرة
 وثباته اهم كما نقل عن ابن جرير أنه كان عليهم أن لا يفتروا ويثبت الواحد للعشرة وقد بعث رسول الله صلى الله
 عليه وسلم حجة في ثلاثين رأياً كفاً في ابا جهل في ثلثمائة راكب فوزهم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه بعد مدة فسخ
 وخفف عنهم مقاومة الواحد للاثنتين وقيل كأن فيهم قلة في الابتداء ثم لما كثروا نزل التخفيف والمراد بالضعف
 ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفادتين في الاهداء الى القتال لا الضعف في الدين كما قيل وقرئ
 ضعفاً بضم الضاد وهى لغة فيه كالفقر والفقر والمكث والمكث وقيل الضعف بالفتح ما في الرأي والعقل وبالضم
 ما في البدن وقرئ ضعفاً بجمع ضعيف والمراد بعلمه تعالى بضعفهم علمه تعالى به من حيث هو متحقق بالفعل لا علمه
 تعالى به مطلقاً كيف لا وهو ثابت في الازل وقوله تعالى (فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين) تفسير
 للتخفيف وبيان لكيفية وقرئ تكن ههنا وفيما سبق بالتاء الفوقانية (وان يكن منكم ألف يغلبوا الفين باذن الله)
 أى بتيسيره ونسيهه وهذا القيد معتبر فيما سبق من غلبة المائة المائتين والالف وغلبة العشرين المائتين كما أن
 قيد الصبر معتبر ههنا وانما ترك ذكره ثقة بما مر وبقوله تعالى (والله مع الصابرين) فانه اعتراض تذييلي مقدر
 لمضمون ما قبله والمراد بالعبية معية نصره وتأنيده ولم يتعرض ههنا لحال الكفرة من الخذلان كما لم يتعرض
 ههنا لحال المؤمنين مع أن مدار الغلبة في الصورتين مجموع الامرين اعنى نصر المؤمنين وخذلان الكفرة
 اكفاء بما ذكر في كل مقام مما ترك في المقام الآخر وما يشعر به كلمة مع من متبوعة مدخولها الاصالته من
 من حيث انهم المباشر للامر كما مر ارا (ما كان لنبى) وقرئ للنبى على العهد والاول ابلغ لما فيه من بيان
 أن ما ذكره مطردة فيما بين الانبياء عليهم الصلاة والسلام أى ماصح وما استقام لنبى من الانبياء عليهم السلام
 (أن يكون له اسرى) وقرئ بتأنيث الفعل وأسارى أيضاً (حتى يفتن في الارض) أى يكثر القتل ويبالغ فيه
 حتى يذل الكفر ويقل حربه وبعز الاسلام ويستولى أهله من اتخذه المرض والجرح اذا انقله وجعله بحيث
 لا حراك له ولا براح وأصله الخيانة التى هى الغلط والكثافة وقرئ بالتشديد للبالغ (تريدون عرض الدنيا)
 استئناف مسوق للعتاب أى تريدون جطامها بأخذكم القدام وقرئ يريدون بالياء (والله يريد الآخرة) أى
 يريد لكم نواب الآخرة الذى لا مقدار عنده للدنيا وما فيها وأورد بسبب نيل الآخرة من اعزاز دينه وقمع أعدائه
 وقرئ بجز الآخرة على اخصار المضاف كما في قوله

أكل امرئ تحسين امرأ * ونار توقد بالليل نارا

(والله عز وجل) يغلب أوليائه على أعدائه (حكيم) يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالافتخار ونهى
عن أخذ الفداء حين كانت الشوكة لاهل شركين وخبر بينه وبين النبي بقوله تعالى فأتانا متابعين واما فداء لما تحوّل
الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بسبعين أسيراً منهم العباس
وعقيل بن أبي طالب فاستشار فيهم فقال أبو بكر قوماً وأهلك استبقهم لهل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية
تقوى بها أصحابك وقال عمار شرب أعناقهم فأنهم أئمة الكفر والله أغناك عن الفداء مكن علياً من عقيل
وحزرة من العباس ومكني من فلان نسب له فلنضرب أعناقهم فقال عليه الصلاة والسلام إن الله ليلين قلوب
رجال حتى تكون أولين من الذين وإن الله ليشد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك بأب بكر مثل
إبراهيم قال فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإن أغفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذرعني الأرض
من الكافرين دياراً فغير أصحابه فأخذوا الفداء فترت فدخل عرو رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاذا هو وأبو بكر يسيكان فقال يا رسول الله أخبرني فإن وجدت بكاء بكيت والابتهاكت فقال أبكي على
أصحابك في أخذهم الفداء واتد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة الشجرة قرينة منته وروى أنه عليه
الصلاة والسلام قال لو نزل عذاب من السماء لما نجى غير عرو وسعد بن معاذ وكان هو أيضاً من أشرار الافتخار
(ولا كتاب من الله سبق) أي لولا حكم منه تعالى سبق إثباته في اللوح المحفوظ وهو أن لا يعاقب الخطي في
اجتهاده أو أن لا يعذب أهل بدرا وقوما لم يصرح لهم بالنهي وأما أن الفدية التي أخذوها استحل لهم فلا يصلح
أن يعتد من موانع العذاب فإن الحل اللاحق لا يرفع حكم الحرمة السابقة كأن الحرمة اللاحقة كالإ
الحرمة لا ترفع حكم الإباحة السابقة على أنه قاض في تحويل مانعي عليهم من أخذ الفداء (المستكم) أي
لا صابكم (فما أخذتم) أي لاجل ما أخذتم من الفداء (عذاب عظيم) لا يقدر وقدره (فكلوا مما غنمتم)
روى أنهم أمسكوا عن الغنائم فترت قالوا الفداء لترتيب ما بعده على سبب محذوف أي قد أبحث لكم الغنائم
فكلوا مما غنمتم والظاهر أنهم لم يظف على مقدور مقتضيه المقام أي دعه فكلوا مما غنمتم وقبل ما عبارة عن
الفدية فإنهم من جلة الغنائم رأيا به سباق النظم الكريم وسبقه (حلالاً) حال من الغنوم أو صفة للمصدر
أي أكلا حلالاً وقائده الترغيب في أكلها وقوله تعالى (طيباً) صفة للحلالا مفيدة لتأكيد الترغيب
(وانتوا الله) أي في مخالفة أمره ونهيه (إن الله غفور رحيم) فيغفر لكم ما فرط منكم من استحالة الفداء
قبل ورود الأذن فيه ويرحمكم ويتوب عليكم إذا تقيتموه (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم) أي في ملككم
كأن أيديكم فابضة عليهم (من الأسرى) وقرئ من الأسارى (إن يعلم الله في قلوبكم خيراً) خلوص إيمان
وصحة نية (يؤتكم خيراً مما أخذتمكم) من الفداء وقرئ أخذ على البناء للفاعل روى أنها نزلت في العباس
كأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقدي ابن أخيه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث فقال يا محمد
تركنتي أنكتف قريباً ما بقيت فقال له عليه الصلاة والسلام فأين الذئب الذي دفعته إلى أم الفضل وقت
خروجك من مكة وقلت لها ما أدري ما يصيبني في وجهي هذا فإن حدث في حديث فهو لك ولعبد الله وعبيد
الله والفضل فقال العباس ما يدريك فقال أخبرني به ربي قال العباس فأنا أشهد أنك صادق وأن لا اله الا الله
وأنت عبده ورسوله والله لم يطاع عليه أحد الا الله والله دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتاباً في أمرك
فأما إذا أخبرني بذلك فلا ريب قال العباس بعد حين فابذلني الله خيراً من ذلك لي الآن عشرون عبداً وإن
أدناهم يضرب في عشرين أنفساً وأعطاني زمزم ما أحب أن في بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة
من ربي يا أول به ما في قوله تعالى (وبغفر لكم والله غفور رحيم) فإنه وعد بالمغفرة مؤكداً بما بعده من
الاعتراض التذليل (وإن يريدوا خيانتك) أي نكث ما يبعولك عليه من الإسلام وهذا كلام مسوق
من جهة تعالى لتسليته عليه الصلاة والسلام بطريق الوعد له والوعيد لهم (فقد خانوا الله من قبل) بكفرهم
ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه (فأمكن منهم) أي أقدرك عليهم حسداً رأيت يوم يدركون أعادوا
الخيانة فاعلم أنه سيملك منهم أيضاً وقيل المراد بالخيانة منع ما تمنوا من الفداء وهو بعيد (والله عليم) فيعلم
ما في نياتهم وما يستحقونه من العقاب (حكيم) يفعل كل ما يدره حسباً يقتضيه حكمته البالغة (إن الذين

قوله والفضل في البيضاوي
زيادة فتم بعد الفضل فليجبر
اه

أمنوا وهاجروا) هم المهاجرون هاجروا وأوطانهم بحسب الله تعالى ورسوله (وجاهدوا بأموالهم) بأن صرفوها
إلى الكراع والسلاح وأنفقوها على المحارِبِ (وأنفُسهم) ببشارة القتال واقتحام المعارك والحوار في
المهلك (في سبيل الله) متعلق بجهادوا قيد لنوع الجهاد وأصل تقديم الأموال على النفس لما أن الجهاد
بالأموال أكثر وقوعاً وأتمّ دفعا للعاجية حيث لا يتصور الجهاد بالنفس بلا جهاد بالمال (والذين آووا
ونصروا) هم الانصار آووا المهاجرين وأنزلوهم منازلهم وبذلوا إليهم أموالهم وآثروهم على أنفسهم ولو كانت
بهم خصاصة ونصروهم على أعدائهم (أولئك) إشارة إلى الموصوفين بما ذكر من النعوت الفاضلة وما فيه
من معنى البعد لإثبات انعلاق طبقتهم وبعدهم منزلة في الفضيلة وهو مبتدأ وقوله تعالى (بعضهم) إمّا يدل منه
وقوله تعالى (أولياء بعض) خبره وإتماماً لبيان أن أولياء بعض خبره والجملة خبر للمبتدأ الأول أي بعضهم
أولياء بعض في المسيرات وقد كان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الأقارب حتى نسخ
بقوله تعالى وأولو الارحام الآية وقيل في النصرة والمظاهرة ويردّ قوله تعالى فعليكم النصرة بعد نفي موالاتهم
(والذين آمنوا ولم يهاجروا) كسائر المؤمنين (مالكم من ولايتهم من شيء) أي من توابعهم في الميراث وإن كانوا
من أقرب أقاربكم (حتى يهاجروا) وقرئ بكسر الواو وتشديد الهمزة بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة (وإن
استنصروكم في الدين فعليكم النصر) فواجب عليكم أن تنصروهم على المشركين (الاعلى قوم) منهم (بينكم
وبينهم ميثاق) معاهدة فانه لا يجوز نقض عهدهم بنصرتهم عليهم (والله بما تعملون بصير) فلا تخالفوا أمره
كأن لا يحل بكم عقابه (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) أحرمتهم أي في الميراث أو في الموازنة وهذا بعينه ومعه
مفيد لنفي الموازنة والموازنة بينهم وبين المسلمين وإيجاب المباحة والمصارمة وإن كانوا أقارب (الاتفعلوه)
أي ما أمرتم به من التواصل بكم وتولي بعضكم ببعض حتى التوارث ومن قطع العلائق بكم وبين الكفار
(تصلن فتنة في الأرض) أي تحصل فتنة عظيمة فيها وهي ضعف الايمان وظهور الكفر (وعداء كبير) في
الدارين وقرئ كثير (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون
حقاً) كلام مسوق لثناء عليهم والشهادة لهم بنصرتهم بالقدح المعلى من الايمان مع الوعد الكريم بقوله تعالى
(لهم مغفرة ورزق كريم) لا تبعثله ولا مئة فيه فلا تكرر لما أن مساق الأول لا يجيب التواصل بينهم (والذين
آمنوا من بعد وهاجروا) بعد هجرتكم (وجاهدوا معكم) في بعض مغازيكم (فأولئك منكم) أي من جملةكم
أيها المهاجرون والانصار وهم الذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
ألحقهم الله تعالى بالسابقين وجعلهم منهم نفساً واحدة وترغيباً في الايمان والهجرة وفي توجيه الخطاب إليهم
بطريق الالتفات من تشریفهم ورفع شأنهم لا يخفى (وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض) أحرمتهم في
التوارث من الاجانب (في كتاب الله) أي في حكمه أو في اللوح أو في القرآن واستدل به على تورث ذوي
الارحام (أن الله بكل شيء عليم) ومن جملة ما في تعليق التوارث بالقرابة الدينية أو لا وبالقرابة النسبية آخر
من الحكم البالغة * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال وبرائة فأنا شفيع له يوم القيامة وشاهد
أنه يرى من المنافق وأعطي عشر حسنة بعد كل منافق ومنافقة وكان العرش وجملة يستغفرون له
أيام حياته والله تعالى أعلم

(سورة براءة مدنية وهي مائة وثلاثون آية)

وهاها أسماء آخر سورة التوبة والمثقة والحوث والمنقرة والمبغضة والمنيرة والحافرة والخزيرة والفاضحة
والمنكدة والمشردة والمدممة وسورة العذاب لما فيها من ذكر التوبة ومن التبرئة من النفاق والبحث والتنفير
عن حال المنافقين وأثارها والحفر عنها وما يحزهم ويشردهم ويدمدم عليهم واشتهارها بهذه الاسماء يستلزم
بأنها سورة مستقلة وليست بعضها من سورة الانفال وأدعاء اختصاص الاشتغال بالقائلين باستقلالها
خلاف الظاهر فيكون حكمه ترك التسمية عند النزول نزولها في رفع الايمان الذي يأتي مقامه التصدير
بما يشعري قائله من ذكر اسمه تعالى مشفوعاً بوصف الرحمة كما روى عن ابن عباس رضي الله عنه لا الاشتباه
في استقلالها وعدمه كما يحكى عن ابن عباس رضي الله عنهما ولا رعاية ما وقع بين الحسابات رضي الله عنهم

من الاختلاف في ذلك على أن ذلك ينزاع الى القول بأن التسبب ليست من القرآن وإنما كتبت للفصل بين
السور كما نقل عن قدماء الحنفية وأن مناط اثباتها في المصاحف وتركها انما هو رأى من تصدى بلج القرآن
دون التوقيف ولا ريب في أن الصحيح من المذهب أنها آية فذة من القرآن أنزلت للفصل والتبرك بها وأن لا
مدخل لرأى أحد في الاثبات والترك وانما المتبع في ذلك هو الوحي والتوقيف ولا مزية في عدم نزولها همنا
والالا متنع أن يقع في الاستقلال اشتباه أو اختلاف فهو اما لاتحاد السورتين أو لما ذكرنا لا سبيل الى
الاول والابينة عليه الصلاة والسلام لتحقيق مزيد الحاجة الى البيان اتعاضا دلة الاستقلال من كثرة
الآيات وطول المدة فيما بين نزولها حيث لم يبينه عليه الصلاة والسلام تعيين الثاني لان عدم البيان من
الشارع في موضع البيان بيان لعدم

(براهة) خبر مبتدأ محذوف وتنوينه للتفخيم وقرئ بالنصب أى اسمعوا راءة ومن في قوله تعالى (من الله
ورسوله) ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لها ليفيد زيادة تفخيم وتهويل أى هذه براهة مبتدأة من جهة
الله تعالى ورسوله واصلة (الى الذين عاهدتم من المشركين) وانما لم يذكر ما يتعلق به البراهة حسبا ذكر
في قوله تعالى ان الله يرى من المشركين اكتفاء بما في خبر الصلة فانه منتهى عنه انباء ظاهرا واحترازا عن
تكرير لفظة من وقيل هي مبتدأة تخصها بالصفة وخبره الى الذين الخ والذي تقتضيه جزالة النظم هو الاول
لان هذه البراهة امر حادث لم يهده عند مخاطبين ذاتهم اولا عنوان ابتدائهم من الله تعالى ورسوله حتى يخرج
ذلك العنوان بخارج الصفة لها ويجعل المتصور بالذات والعمدة في الاخبار شيئا آخر هو وصولها الى المعاهدين
وانما الحقيقي بأن يعنى بافادته حدوث تلك البراهة من جهته تعالى ووصولها اليهم فان حق الصفات قبل علم
المخاطب بثبوتها الموصوفات ان تكون اخبارا وحق الاخبار بعد العلم بثبوتها ما هي له أن تكون صفات كما
حقق في موضعه وقرئ من الله بكسر النون على أن الاصل في تحريك الساكن الكسر ولكن الوجه هو النسخ
في لام التعريف خاصة لكثرة الوقوع والعهد العقد الموثق باليمين والخطاب في عاهدتم للمسلمين وقد كانوا عاهدوا
مشركي العرب من أهل مكة وغيرهم باذن الله تعالى وانفاق الرسول صلى الله عليه وسلم فتكم والابن خنزة وبنى
كأنه فامر المسلمون ببذل العهد الى الساكنين وأمهالوا أربعة أشهر ليسيروا أين شاؤوا وانما نسبت البراهة الى الله
ورسوله مع شمولها للمسلمين واشترأ كههم في حكمها ووجوب العمل بموجبها وعلقت المعاهدة بالمسلمين خاصة مع
كونهم باذن الله تعالى وانفاق الرسول صلى الله عليه وسلم للانبياء عن تجزها وتحتهم من غير توقف على رأى
المخاطبين لانها عبارة عن انهاء حكم الامان ورفع الخطر المترتب على العهد السابق عن التعرض للكفرة وذلك
منوط بجواب الله عز وجل لانه امر كسائر الاوامر الجارية على حسب حكمة تقتضيها وداعية تستدعيها
تترتب عليها آثارها من غير توقف على شئ أصلا واشترأ المسلمين في حكمها ووجوب العمل بموجبها انما هو على
طريقة الامتنال بالامر لا على أن يكون لهم مدخل في انعامها أو في ترتب أحكامها عليها وأما المعاهدة فحيث
كانت عقدا كسائر العقود الشرعية لا تحصل في نفسها ولا تترتب عليها أحكامها الا بعبارة المتعاقدين على
وجوه مخصوصة اعتبرها الشرع لم يتصور مدورها عنه سبحانه وانما الصادر عنه في شأنها هو الاذن فيها
وانما الذي يباشرها ويولى أمرها المسلمون ولا يخفى أن البراهة انما تتعلق بالعهد لا بالاذن فيه فنسبت كل واحدة
منهم الى من هو أصل فيها على أن في ذلك تفخيخا الشأن البراهة وتهويل الامرها وتسجيلا على الكفرة بغاية
الذل والهوان ونهاية الخزي والخذلان وتنزيها للساحة السجنان والكبرياء عما يؤولهم شائبة النقص والبداء
تعالى عن ذلك علوا كبيرا وادراجه عليه الصلاة والسلام في النسبة الاولى واخراجه عن الثانية لتنويه
شأنه الرفيع واجلال قدره المنيع في حلالا المقامين صلى الله عليه وسلم وايشار بالجملة الاسمية على الفعلية
كان يقال قد برئ الله ورسوله من الذين أوغروا بذلك للدلالة على دوامها واستمرارها وللتوسل اليه وتوحيها
بالتنوين التفخيمي كما أشير اليه (فسيحوا) السباحة والسيح الذهاب في الارض والسير فيها بسهولة
على مقتضى المشيئة كسبح الماء على موجب الطبيعة فقيهه من الدلالة على كمال التوسعة والترفيه ما ليس في سيرها
وتظايرها وزيادة قوله عز وجل (في الارض) لقصد التعميم لا قطارها من دار الاسلام وغيرها والمراد باحة ذلك

اهتم وتخليتهم وشأنهم من الاستعداد للحرب أو تحصين الامل والمال وتحصيل المهرب أو غير ذلك لا تكليفهم
 بالسياسة فيها وتلويح الخطاب بصرفه عن المسلمين وتوجيهه اليهم مع حصول المقصود بصيغة أمر الغائب
 أيضا للامبالاة في الاعلام بالامهال حسما لما ذة تعللهم بالعدلة وقطعا لما ذة اعتذارهم بعدم الاستعداد
 وايتار صيغة الامر مع تسفي افادة ذلك المعنى بطريق الاخبار أيضا كأن يقال مثلا فلنكم أن تسبحوا وتضجوا
 ذلك لاظهار كمال القوة والغلبة وعدم الاكتراث اهتم ولا استعدادهم فكأن ذلك أمر مطلوب منهم والفاء
 لترتيب الامر بالسياسة وما يعقبه على ما تؤذن به البراءة المذكورة من الحراب على أن الاول مترتب على نفسه
 والثاني بكلامه علقه على عنوان كونه من الله العزيز لا لترتيب الاول عليه والثاني على الاول كما في قوله تعالى
 قل سبروا في الارض فانظروا للحك كانه قيل هذه براءة موجبة لقتالكم فاسمعوا في تحصيل العدد والاسباب
 وبالغوا في اعتماد العتاد من كل باب (أربعة أشهر واعلموا أنكم) بسياسة حكم في أقطار الارض في العرض
 والطول وان ركبت من كل صعب وذلول (غير محجزى الله) أي لا تفوتونه بالحرب والتحصن (وأن الله)
 وضع الاسم الجليل موضع المنع لثبوت المهابة وتمويل أمر الاخزاء وهو الاذلال بما فيه فضيحة وعار (محجزى
 الكافرين) أي محجزىكم ومذلككم في الدنيا بالقتل والاسر وفي الآخرة بالعذاب وايتار الاظهار على الاضمار
 لذمهم بالكفر بعد وصفتهم بالاشراك وللإشعار بأن علة الاخزاء هي كفرهم ويجوز أن يكون المراد جنس
 الكافرين فيدخل فيه المخاطبون دخولا أقويا والمراد بالاشهر الاربعه هي الاشهر الحرم التي علق القتال
 بانسلاخها فبيل هي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر
 وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر وجعلت حرما لحرمه قتلهم فيها أو لتغليب ذي الحجة والمحرم على
 البقية وقيل من عشر ذي القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول لأن الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت
 للنبي الذي كان فيهم ثم صار في العام القابل في ذي الحجة وذلك قوله عليه الصلاة والسلام ان الزمان قد
 استدار كهينته يوم خلق الله السموات والارض روى أنه عليه الصلاة والسلام أمر أبا بكر رضي الله تعالى
 عنه على موسم سنة تسع ثم أتته عليه رضي الله تعالى عنه على العصابة ليتراها على اهل الموسم فقيل له عليه
 الصلاة والسلام لو بعثت بها إلى أبي بكر فقال صلى الله عليه وسلم لا يؤذى عنى الرجل منى وذلك لأن عادة
 العرب أن لا يتولى أمر العهد والنقض على القبيلة الرجل منها فلما دنا على سمع أبو بكر النخاع فوقف فقال هذا
 رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال أميرأ ومأمور قال مأمور فضيا فلما كان قبل يوم التروية
 خطب أبو بكر رضي الله عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام على رضى الله عنه يوم النحر عند جرة العقبة
 فقال يا أيها الناس اني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين
 آية ثم قال أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الاكل
 نفس مؤمنة وأن يتم إلى كل ذي عهد عهده (وأذان من الله ورسوله) أي اعلام منهم ما فعال بمعنى الافعال
 كالاعطاء بمعنى الاعطاء ورفع كرفع براءة والجملة معطوفة على مثلها وانما قيل (الى الناس) أي كافة لأن
 الاذان غير مختص بقوم دون آخرين كالبراءة الخاصة بالناسكتين بل هو شامل لعبادة الكثرة وللمؤمنين
 أيضا (يوم الحج الاكبر) هو يوم العيالات فيه تمام الحج ومعظم أفعاله ولأن الاعلام كان فيه ولما روى أنه
 عليه الصلاة والسلام وقف يوم النحر عند الجرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة
 لقوله عليه الصلاة والسلام الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لأن العمرة تسمى الحج الاصغر ولأن المراد
 بالحج ما يقع في ذلك اليوم من أعماله فانه أكبر من باقي الاعمال ولأن ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون
 والمشركون أولانه ظهر فيه عز المسلمين وذلل المشركين (أن الله) أي بأن الله وقرئ بالكسر لما أن الاذان
 فيه معنى القول (برى من المشركين) أي المعاهدين الناكثين (ورسوله) عطف على المستكن في برى
 أو على محل ان واسمها على قراءة الكسر وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان ولأن الواو بمعنى مع أي برى
 معه منهم وبالجز على الجوار وقيل على القسم (فان تبتم) من الشرك والغدر التفات من الغيبة الى الخطاب
 لزيادة التهديد والتشديد والفاء لترتيب مقدم الشرطية على الاذان بالبراءة المذيلة بالوعيد الشديد المؤذن

بلين عربيتهم وانكار شدة كبريتهم (فهو) أى فالتوب (خير لكم) فى الدارين (وان توبيتهم) عن
 التوبة أو ثبتهم على التولى عن الاسلام والوفاء (فاعلموا انكم غير محجزى الله) غير سابقين ولا فاشين (وبشر الدين
 كفروا) تلويح للخطاب وصرف له عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان المشارة (بعذاب أليم) وان كانت
 بطريق التكم انما تلحق عن يتقف على الاسرار الالهية (الا الذين عاهدتم من المشركين) استدرالك من التبد
 السابق الذى أخر فيه القتال أربعة أشهر كما أنه قيل لا تعلموا لنا كثرين فوق أربعة أشهر لكن الذين عاهدوهم
 ثم لم يكدوا عهدهم فلا تجروهم بحرى النا كثرين فى المسارعة الى قتالهم بل أقوا اليهم عهدهم ولا يضر فى ذلك
 تحلل الفاصل بقوله تعالى وأذان من الله ورسوله الخ لانه ليس بأجنبي بالكلمة بل هو أمر باعلام تلك البراءة
 ككأنه قيل واعلموها وقيل هو استند متصل من المشركين الاول ويرد بقاء الثانى على العموم مع
 كونهم ما عبارة عن فريق واحد وجعله استثناء من الثانى بأياه بقاء الاول كذلك وقيل هو استدراك
 من المقتدر فى فسحوا أى قولوا لهم سيجوا أربعة أشهر راكن الذين عاهدتم منهم (ثم لم ينقصوكم شيئاً) من
 شروط الميثاق ولم يقتلوا منكم أحداً ولم يضرهم ولم يقط وقدرى بالمعجزة أى لم ينقصوا عهدهم شيئاً من النقص وكلمة
 ثم للدلالة على ثباتهم على عهدهم مع عمادى المدة (ولم يظاهروا) أى لم يعاونا (عليكم أحداً) من أعدائكم كما
 عدت بنو بكر على خزاعة فى غيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فظاهروهم قريش بالسلاح (فأقوا اليهم عهدهم)
 أى أقوا اليهم كلاماً (الى مذتهم) ولا تنفاجوهم بالقتال عند مضى الاجل المضروب لنا كثرين ولا تعاملوهم
 معاملة لهم قال ابن عباس رضى الله عنهم أبى طى من بنى كنانة من عهدهم تسعة أشهر فأتهم اليهم عهدهم (ان الله
 يحب المتقين) لتعليل لوجوب الامتثال وتبنيه على أن مراعاة حقوق العهد من باب التقوى وأن التسوية
 بين الوفى والغادر منافية لذلك وان كان المعاهد مشركاً (فاذا انسلاخ) أى انقضى استعير له من الانسلاخ
 الواقع بين الحيوان وجلده والاعقاب اسناده الى الجلد والمعنى اذا انقضى (الاشهر الحرم) وانفصلت
 عما كانت مشددة عليه سائرته انفصال الجلد عن الشاة وانكشفت عنه انكشاف الجباب عما وراءه كما ذكره
 أبو الهيثم من أنه يقال أهلاًنا شهر كذا أى دخلنا فيه واسنائه فتحن نزاد كل ليلة لباساً منه الى مضى نصفه
 ثم نسلطه عن أنفسنا جزأ حتى نسلطه عن أنفسنا كله فينسلخ وأنشد

إذا ما سلخت الشهر أهلاً مثل ذلك * كفى قاتلاً سلخى الشهور واهلاً

وتحقيقه أن الزمان محيط بما فيه من الزمانات مستعمل عليه اسمقال الجلد للحيوان وكذا كل جزء من أجزاءه
 الممتدة من الايام والشهور والسنين فاذا مضى فكأنه أنسلخ عما فيه وفيه مزيد لطف لما فيه من التلويح
 بأن تلك الاشهر كانت حرزاً لأولئك المعاهدين عن غوائل أيدي المسلمين فنيط قتالهم بزوالها والمراد به ما
 سائر من الاشهر الاربعة فقط ووضع المظهر موضع المنعرب ليكون ذريعة الى وصفها بالحرمه تأكيد لما ينفى
 عنه اباحة السياحة من حرمة التعرض لهم مع ما فيه من مزيد الاعتناء بشأنها أو هى مع ما فهم من قوله تعالى
 فأقوا اليهم عهدهم الى مدتهم من جهة مدة بقيت لغيرنا كثرين فعلى الاول يكون المراد بالمشركين فى قوله تعالى
 (فاقتلوا المشركين) النا كثرين خاصة فلا يكون قتال الباقيين مفهوماً من عبارة النص بل من دلالة وعلى الثانى
 مفهوماً من العبارة الا أنه يكون الانسلاخ وما يطر به من القتال حينئذ شيئاً لا دفعة واحدة كأنه قيل
 فاذا تم ميقات كل طائفة فاقتلوهم وجلها على الاشهر المعهودة الدائرة فى كل سنة لا يساعده النظم الكريم
 وأما انه يستدعى بقاء حرمة القتال فيها اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فلا اعتداد به لانهما نسخا بقوله
 تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة كما توهم فانه رجم بالغيب لانه ان أريد به ما فى سورة الانفال فانه نزل عقب
 غزوة بدر وقد صح أن المراد بالذين كذبوا فى قوله تعالى قل للذين كفروا الخ أبو سفيان وأصحابه وقد أسلم
 فى أواسط رمضان عام الفتح سنة ثمان وسورة التوبة انما نزلت فى شوال سنة تسع وان أريد ما فى سورة البقرة
 فانه أيضاً نزل قبل الفتح كما يعرب عنه ما قبله من قوله تعالى وأخرجوهم من حيث أخرجوكم أى من مكة وقد فعل
 ذلك يوم الفتح فكيف ينسخ به ما ينزل بعده بل لان اعتقاد الاجماع على اتساقها كافى فى الباب من غير حاجة
 الى كون سنة ثمان مئة ولا اينا وقد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم حاصر الطائف لعشرتين من المخزوم (حيث

وجدهم) من حل وحرم (وخذوهم) أي ايسروهم والاخلذوا لاسير (واحصروهم) أي قيدوهم
أو امنعوهم من الثقلب في البلاد قال ابن عباس رضي الله عنهما حبسوا بينهم وبين المسجد الحرام (واقعدواهم
كل مرصد) أي كل عز ومجتاز يجتازون منه في أسفارهم واتصاه على الطرفية أي ارضدوهم واربوهم حتى
لا يعزوا به وفائدته على التفسير الثاني دفع احتمال أن يراد بالحصر المحاصرة المعهودة (فإن تابوا) عن الشرك
بالإيمان غلبوا ضاروا بماذا كرم القتل والاسر والحصر (وأقاموا الصلوة وأبوا الزكاة) تصديقاً لتوبتهم
وإيمانهم وأكثف يذكروها عن ذكر بقية العبادات لكونهم أراهم العبادات البدنية والمالية (فلما أسلموا)
قدعوهم وشأنهم ولا تفرقوا عنهم بشئ مما ذكر (إن الله غفور رحيم) يغفروا لهم ما سلف من الكفر والغدر ويثبتهم
بإيمانهم وما عاتبهم وهو تعاليل لا مبرية في السبيل (وإن أحد) شروع في بيان حكم المتصددين لمبادئ التوبة
من سماع كلام الله تعالى والخوف على شعائر الدين اثر بيان حكم التائبين عن الكفر والمصرين عليه
وهو صفة بشرط معتبر يفسره الظاهر لا بالابتداء لأن أن لا تدخل الاعلى الفعل (من المشركين استجواباً)
بعد انقضاء الاجل المشروب أي سألت أن تؤمنه وتكون له جارا (فأجره) أي آمنه (حتى يسمع كلام الله)
ويتدبره ويطلع على حقيقة ما تدعو اليه والاقتصار على ذكر السماع لعدم الحاجة الى شيء آخر في الفهم لكونهم
من أهل اللبس والفصاحة وحتى سواء كانت للغاية او للتعليل متعلقة بما عندها لا بقوله تعالى استجواباً لأنه
يؤدى الى اعمال حتى في المعنى وذلك مما لا يكاد يرتكب في غير ضرورة الشعر كما في قوله

فلا والله لا يلقي اناس في حثالي يا بني يري

كذا قيل الا أن تعلق الاجابة بسماع كلام الله تعالى باحد الوجهين يستلزم تعلق الاستجابة أيضاً بذلك او
في معناه من امور الدين وما روى عن علي رضي الله عنه أنه اتاه رجل من المشركين فقال ان أراد الرجل
منا أن يأتي محمد بعد انقضاء هذا الاجل اسماع كلام الله تعالى او الحاجة قتل قال لا لأن الله تعالى يقول
وان أحد من المشركين استجواباً فأجره الخ فالمراد بما فيه من الحاجة هي الحاجة المتعلقة بالدين لا بما يعمله
وغيرها من الحاجات الدنيوية كما ينبغي عنه قوله أن يأتي محمد فان من يأتيه عليه السلام اغاياته لا أمور
المتعلقة بالدين (ثم أبلغه) بعد استماعه ان لم يؤمن (مأمناً) أي مكفراً الذي يأمن فيه وهو دار قومه
(ذلك) يعني الامر بالاجارة وابلغ المأمن (بأنهم) بسبب أنهم (قوم لا يعلمون) ما الاسلام وما حقيقة وقوم
جهلة فلا بد من اعطاء الامان حتى يفهموا الحق ولا يبق لهم معذرة أصلاً (كيف يكون للمشركين عهد)
شروع في تحقيق حقيقة ما سبق من البراءة وأحكامها المنفردة عليهم وتبيين الحكمة الداعية الى ذلك والمراد
بالمشركين التائبين لأن البراءة تنافي في شأنهم والاستفهام انكارى لا يعنى انكار الواقع كما في قوله تعالى
كيف تكفرون بالله الخ بل يعنى انكار الوقوع ويكون من الكون التام وكيف في محل نصب على التشبيه
بالحال او الظرف وقيل من الكون الناقص وكيف خبر يكون قدّم على اسمه وهو عهد لاقتضائه الصدارة
ولامشركين متعلق بمحذوف وقع حالاً من عهد ولو كان من غير الكان صفة له أو يكون عندهم من يجوز عمل
الافعال الناقصة في الظروف وعند متعلق بمحذوف وقع صفة لعهد أو بنفسه لأنه مصدر أو يكون كاسر ويجوز
أن يكون الخبر للمشركين وعند كما ذكر أو متعلق بالاستقرار الذي تعلق به للمشركين ويجوز أن يكون الخبر عند
انه وللمشركين اتمانين واما حال من عهد واما متعلق يكون أو بالاستقرار الذي تعلق به الخبر ولا يمانى
بتقديم معمول الخبر على الاسم لكونه حرف جر وكيف على الوجهين الاخيرين نصب على التشبيه بالظرف
أو الحال كما في صورة الكون التام وهو الاولى لان في انكار ثبوت العهد في نفسه من المباغة ما ليس في انكار
ثبوته للمشركين لان ثبوته الرابطي فرع ثبوته العيني فانتفاء الاصل يوجب انتفاء الفرع رأساً وفي توجيهه
الانكار الى كيفية ثبوت العهد من المباغة ما ليس في توجيهه الى ثبوته لان كل موجود يجب أن يكون وجوده
على حال من الاحوال قطعاً فاذا اتفق جميع احوال وجوده فتعددت في الوجود على الطريق البرهاني أي على
أي حال او في أي حال يوجد لهم عهد متدبره (عند الله وعند رسوله) يستحق أن يراعى حقوقه ويحفظ عليه
الى اتمام المدة ولا يمتدحرض لهم بحسبه قتلاً ولا أخذاً أو أماناً بأمنوا به من عذاب الآخرة كما قيل فلا سبيل

الى اعتباره أصلاً إذ لا دخل لعهدهم في ذلك إلا من قطعوا وان كان من عباد الله تعالى وعهد رسول الله كعهد غير النساكئين وتكرير كلمة عند لا يذان بعدم الاعتداد به عند كل منه ما على حدة (الآل الموثق) يستدرك من النفي المنهوم من الاستفهام المتبادر شهوة لجميع المعاهد بن أي لكن الذين (عاهدتم عند البصيرة الجوام) وهم المستثنون فيما سلف والتمرض لكون المعاهدة عند المسجد الحرام لزيادة بيان المنهاج والاشعار بسبب وكادتها ومحل الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى (فأستقاموا لكم فاستقيموا لهم) والقائم لثمنه معنى الشرط وما أتمام صدوية منصوبة المحل على الظرفية بتقدير المضاف أي فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم وأما شرطية منصوبة المحل على الظرفية الزمانية أي أي زمان استقاموا لكم فاستقيموا لهم أو مرفوعة على الابتداء والعائد محذوف أي أي زمان استقاموا لكم فيه فاستقيموا لهم فيه وقيل الاستثناء متصل بمحل النصب على الأصل أو الجز على البديل من المشركون والمراد بهم الجنس لا المعهود وأياً ما كان فحكم الأمر بالاستقامة ينتهي بآياته مدة العهد لأن استقامتهم التي وقت بوقتها بالاستقامة المأمور بها عبارة عن مراعاة حقوق العهد وبعد انقضاء مدته لا عهد ولا استقامة فصار عين الأمر الوارد فيما سلف حيث قبل فأنقروا إليهم عهدهم إلى مدتهم خلا أنه قد صرح به هنا بما لم يصرح به هناك مع كونه معتبراً قطعاً وهو تقييد الأقسام المأمور به ببقائهم على ما كانوا عليه من الوفاء (إن الله يحب المتقين) تعليل للأمر بالاستقامة وأشعار بأن القيام بموجب العهد من أحكام التقوى كما مر (كيف) تكرير لاستنكار ما مر من أن يكون للمشركون عهد حقيقى بالمراعاة عند الله سبحانه وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما ما قيل من أنه لاستبعاد ثباتهم على العهد فكأن ترى لاق ما يذكر بعد التعليل للاستبعاد عين عدم ثباتهم على العهد لا أنه شيء يستدعيه وإنما عياد الاستنكار والاستبعاد تأكيدهما وتعيد التعداد العمل الموجبة لهما لا لخلل تخلق ما في البين من الارتباط والتقريب وحذف الفعل المستكرراً لا يذان بأن النفس مستحضرة له مفرقة لورود ما يوجب استنكاره لا مجرد كونه معلوماً كما في قوله

وخبيرتماني إنما الموت بالقرى • فكيف وهاتاهضة وقيل

فانه علمه معصية لا مريضة أي كيف يكون لهم عهد معتد به عند الله تعالى وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم (وإن يظهر وأعليكم) أي وحالهم أنهم إن يظهر وأعليكم أي يظفروا بكم (لا يرقبوا فيكم) أي لا يراعى في شأنكم وأصل الرقيب النظر بطريق الحفظ والرعاية ومنه الرقيب ثم استعمل في مطلق الرعاية والمراقبة ابلاغ منه كالمراعاة وفي نفي الرقيب من المبالغة ما ليس في نفيها (الاولادقة) أي حلفاً وقيل قرابة ولا عهداً وحققاً يعاب على اغفاله مع ما سبق لهم من تأكيده الايمان والمواثيق يعني ان وجوب مراعاة حقوق العهد على كل من المتعاهدين مشروط بمراعاة الآخر لها فإذا لم يراعها المشركون فكيف تراعونها على منوال قول من قال

علام تقبل منهم فدية وهم • لافضة قبلوا مناه ولا ذها

وقيل الآل من أسماء الله عز وجل أي لا يراعوا حق الله تعالى وقيل الجوار وما له الحلف لانهم اذا أقاموا وصحوا وتحالفوا رغبوا به أصواتهم لتشهيره ولما كان تعليق عدم رعاية العهد بالظفر موهماً للرعاية عند عدمه كشف عن حقيقة شؤونهم الجليلة والخفية بطريق الاستئناف وبين أنهم في حالة العجز أيضاً ليسوا من الوفاء في شيء وأن ما يظهر منه - داهنة لا مهادنة فصيل (يرضونكم بأفواههم) حيث يظهر من الوفاء والمصافاة ويعدون لكم بالايمان والطاعة ويؤكدون ذلك بالايمان الفاجرة ويتعللون عند ظهروهم خلافه بالمعاذير الكاذبة ونسبة الارضاء الى الافواه لا يذان بأن كلامهم مجرد ألفاظ يفتقون بها من غير أن يكون لها مصداق في قلوبهم (وتأبى قلوبهم) ما يفيد كلامهم (وأكثرهم فاسقون) خارجون عن الطاعة فان مراعاة حقوق العهد من باب الطاعة فمتردون ليست لهم مروءة رادعة ولا عقيدة وازعة ولا يستترون كما يتعاطا بعضهم عن يتفادى عن القدر ويتعفف عما يجزأ الحدود السوء (اشتروا بآيات الله) بآياته الأحرى بالايضاء بالعهود والاستقامة في كل أمر أو يجمع بين آياته فيدخل فيها ما ذكره من الآيات أي تركوها وأخذوا بآياتها (ثنا قليلاً) أي شيئاً حقيراً من حطام الدنيا وهو أوهوهم وشهواتهم التي اتبعوها وأما انفق أبو سفيان من الطعام وصرفه الى الاعراب (فصدوا) أي

عدلو وانكبوا من صد صدودا وأصر فوا غيرهم من صد جهدا والفاء للدلالة على سبيبة الاشتراء لذلك (عن سبيله)
 أي الدين الحق الذي لا يحيد عنه والاضافة للتشريف الاصح قيل يته الحرام حيث كانوا يصدون الجحاج والعمار
 عنه (انهم ساء ما كانوا يعملون) أي بشر ما كانوا يعملونه أو عملهم المستقر وانخصوص بالذم محذوف وقد جوز
 أن تكون كلمة ساء على أصلها من التصرف لازمة بمعنى فجع أو منهية والمفعول محذوف أي ساءهم الذي يعملونه
 أو عملهم وقوله عز و علا (لا يربهم من الاولاد) فاع عليهم عدم مراعاة حقوق عهد المؤمنين على
 الاطلاق فلا تكرار وقيل هذا في اليهود أو في الاعراب المذكورين ومن يحذو حذوهم وأما ما قيل من أنه تفسير
 لقوله تعالى يعملون أو دليل على ما هو مخصوص بالذم فشر باختصاص الذم والسوء بعملهم هذا دون غيره
 (وأما ذلك) الموصوفون بمعاذ من الصفات السيئة (هم المعتدون) المجاوزون الغاية القصوى من الظلم
 والشرارة (فان تابوا) أي عما هم عليه من الكفر وسائر انطاظهم والفاء للايدان بأن تقريرهم عما نفي عليهم
 من مساوي أعمالهم من جرعة عنها ومظنة للتوبة (وأقاموا الصلوة وآتوا الزكاة) أي التزموها وعزموا
 على اقامتها (فاخوانكم) أي فهم اخوانكم وقوله تعالى (في الدين) متعلق باخوانكم ما فيه من معنى
 الفعل أي لهم ما لكم وعليهم ما عليكم فعاملوهم معاملة الاخوان وفيه من استقامتهم واستجلاب قلوبهم
 ما لا مزيد عليه والاختلاف بين جواب هذه الشرطية وجواب التي مرت من قبل مع اتحاد الشرط فيها
 لما أن الاولى سبقت اثر الامر بالقتل وتطأه فوجب أن يكون جوابها أمرا بخلاف ذلك وهذه سبقت
 بعد الحكم عليهم بالاعتداء واشباهه فلا بد من كون جوابها حكما بخلافه البتة (ونفصل الآيات) أي تبينها
 والمراد بها أتماما من الآيات المتعلقة بأحوال المسلمين من النكاح وغيرهم وأحكامهم طائفي الكفر
 والايان وأما جميع الآيات فيندرج فيها تلك الآيات اندراجا اوليا (لقرم يعملون) أي ما فيها من الاحكام
 أو اقوم عاملين وهو اعتراض للثب على التامل في الاحكام المندرجة في تضاعفها والحفاظة عليها (وان تكثروا)
 عطف على قوله تعالى فان تابوا أي وان لم يفعلوا ذلك بل نقضوا (أيمانهم من بعد عهدهم) الموثق بها
 وأظهر وأما في ضمائرهم من الشر وأخرجهم من القوة الى الفعل حسبا يني عنه قوله تعالى وان يظهروا عليكم
 لا يرقبوا الآية أو ثبتوا على ما هم عليه من النكث لأنهم ارتدوا بعد الايمان كما قيل (وطعنوا في دينكم)
 قد حوافيه بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام (فقاتلوا في الكفر) أي فقاتلوههم وانما أوثر ما عليه النظم الكريم
 للايدان بأنهم صاروا بذلك ذوي رياسة وتقدم في الكفر أحقاء بالقتل والقتال وقيل المراد بأنهم رؤسائهم
 وصناديدهم وتخصيصهم بالذكرا مالا هيمة قتلهم واللمنع من مراقبتهم لكونهم مظنة لها واللدلالة على استئصالهم
 فان قتلهم غالبا يكون بعد قتل من دونهم وقرى أئمة بتحقيق الهمزة في الاصل والافصح اخراج الثانية بين
 بين وأما التصريح بالباء فلحن ظاهر عند الفراء (انهم لا أيمان لهم) أي على الحقيقة حيث لا يراعونها ولا
 يعدون نقضها محذورا وان أجروها على ألسنتهم وانما علق النبي بها كالتكث فيما سلف لا بالامهه انو كذبها لانهم
 العمد في المواثيق وجعل الجمله تعليلا لامر بالقتال لا يساعده تعليقه بالنكث والطعن لان حالهم في أن
 لا أيمان لهم حقيقة بعد النكث والطعن كما لهم قبل ذلك وحله على معنى عدم بقاء أيمانهم بعد النكث والطعن
 مع أنه لا حاجة الى بيانه خلاف الظاهر ولعل الاولى جعلها تعليلا لضمون الشرط كأنه قيل وان تكثروا وطعنوا
 كما هو المتوقع منهم اذ لا أيمان لهم حقيقة حتى لا يتكثروا ولا يستمرار القتال المأمور به المستفاد من سياق
 الكلام كأنه قيل فقاتلوههم الى أن يؤمنوا انهم لا أيمان لهم حتى يعقد معهم عهد آخر وقرى بكسر الهاء
 على أنه مصدر بمعنى اعطاء الايمان أي لا سبيل الى أن تعطوهم امانا بعد ذلك أبد وأما العكس كما قيل فلا وجه له
 لاشعاره بأن معاهدتهم معنا على طريقة أن يكون اعطاء الايمان من قبلهم وذلك بين البطلان أو بمعنى الاسلام
 ففي كونه تعليلا لامر بالقتال اشكال بل استحالة لانه ان حل على انتفاء الاسلام مطلقا فهو معزل عن العلية
 للقتل أو لامر به كما قيل النكث والطعن وان حصل على انتفائه فيما سبقت فلا يلائم جعل الانتفاء غاية للقتال
 فيما سبقت قالوجه أن يجعل تعليلا لما ذكر من مضنون الشرط كأنه قيل ان تكثروا وطعنوا وهو الظاهر من حالهم
 لانه لا اسلام لهم حتى يرتدعوا عن نقض جنس ايمانهم وعن الطعن في دينكم (لعلهم ينتهون) متعلق بقوله

تعالى قتلواهم أي قاتلوهم ارادة أن يمتوا أي ليكن غرضكم من القتال انتهاؤهم عما هم عليه من الكفر
 وسائر العظام التي يرتكبونها الايصال الازدية بهم كما هو ديدن المؤذنين (الأتقنلون) لهمزة الداخلة على انتفاء
 مقاتلتهم للأنكار والتوبيخ تدل على تخصيصهم على المقاتلة بطريق جهلهم على الاقرار بانها كانت امر لا يمكن
 أن يعترف به طامعا لئلا يكل شناعته فيلجئون الى ذلك ولا يقدرون على الاقرار به فيختارون المقاتلة (قوما تكتسوا
 أي انهم) التي حالتوها عند المعاهدة على أن لا يعاونوا عليهم فعاونوا بنى بكر على خراعة (وهو اباحراج الرسول)
 من مكة حين تشاوروا في أمره يدار الندوة حسبا ذكرفي قوله تعالى واذا عكركم الذين كفروا فيكون نعبا عليهم
 جنايتهم القديمة وقيل هم اليهود تكتسوا عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وهو اباحراجهم من المدينة (وهم يدومكم)
 بالعبادة والمقاتلة (اول مرة) لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم أولا بالكتاب المبين وتحداهم به
 فعزلوا عن المحاجة ليجزهم عنها الى المقاتلة اوبدهوا بقتال خراعة خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم لأن اعانة
 بنى بكر عليهم قتال معهم (اتخشونهم) أي اتخشون أن ينالكم منهم مكروه حتى تتركوا قتالهم ويجزهم أولا بترك
 مقاتلتهم وحننهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الرغبة فيها ويحقق أن من كان على تلك الصفات السيئة
 حقيقى بان لا تتركه صادمته ويوجب من فرط فيها (فانتهى حتى أن تخشوه) بمناقاة أمره وترك قتال أعدائه
 (ان كنتم مؤمنين) فان قنينة الايمان تخصيص الشخصية به تعالى وعدم المبالاة بمن سواه وفيه من التشديد
 ما لا يخفى (قاتلوهم) تجريد للامر بالقتال بعد التوبيخ على تركه ووعده بنصرهم وبتعذيب أعدائهم واخراجهم
 وتشجيعهم (بعدهم الله بأيديكم ويجزهم) قتلوا سرا (ويصمركم عليهم) أي يجعلكم جميعا غاليلين عليهم
 أجمعين ولذلك أخرج عن التعذيب والاخراج (ويصف صدور قوم مؤمنين) ممن لم يشهد القتال وهم خراعة
 قال ابن عباس رضى الله عنهما هم بطون من الين وسبأ قدموا مكة فأسلموا فلقوا من أهلها اذى كثيرا
 فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتركهم الله عليه وسلم فقتل الله عليه السلام أبشروا فان الفرج قريب
 (ويذهب غيظ قلوبهم) بما كابدوا من المكاره والمكاييد وأقصد أنجز الله سبحانه جميع ما وعدهم به على اجل
 ما يـكون فكان اخباره عليه السلام بذلك قبل وقوعه معجزة عظيمة (ويوب الله على من يشاء) كلام
 مستأنف يبنى على ما سبق يكون من بعض أهل مكة من التوبة المقبولة بحسب مشيئته تعالى المبينة على الحكم
 المبالغة فكان كذلك حيث أسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ بالنصب باضمار أن ودخول التوبة في جلة
 ما اجيب به الامر بحسب المعنى فان القتال كما هو سبب لفل شوكتهم والانه شكيتهم فهو سبب للتدبر في أمرهم
 وتوبتهم من الكفر والمعاصي ولا اختلاف في وجه السببية غير السبب والله تعالى أعلم (والله) ايثارا لظاهر
 الجلالة على الاسماراترية المهابة وادخال الروعة (عليه) لا يخفى عليه خافية (حكيم) لا يفعل ولا يأمر
 الا بما فيه حكمة ومصلحة (ام حسبتم) أم منقطعة بحسبها للدلالة على الانتقال من التوبيخ السابق الى آخر
 وما فيها من همزة الاستفهام الانكاري توبيخهم على الحسبان المذكور أي بل أحسبتم (أن تتركوا)
 على ما أنتم عليه ولا تؤمروا بالجهاد ولا يتلوا بما يحصوكم والخطاب اقل من شق عليهم القتال من المؤمنين
 اول المعافقين (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) الواو حالية وما للثني مع التوقع والمراد من نفي العلم نفي المعلوم
 بالطريق البرهاني اذ لو شئ راحة الوجود لم قطعنا لما يعلم لم يزل عدمه قطعا أي أم حسبتم أن تتركوا والحال
 أنه لم يبين الخالص من المجاهدين منكم من غيرهم وما في لما من التوقع منبه على أن ذلك سيكون وفائدة التعبير
 عما ذكر من عدم التبين بعدم علم الله تعالى أن المقصود هو التبين من حيث كونه متعلقا بالعلم ومدار الثواب
 وعدم التعرض لحال المقصرين لما أن ذلك بعزل من الاندراج تحت ارادة اكرم الاكرمين (ولم يتخذوا)
 عطف على جاهدوا داخل في حيز الصلة أو حال من فاعله أي جاهدوا حال كونهم غير متخذين (من دون الله
 ولا رسوله ولا المؤمنين وايضا) أي بطانة وصاحب سر وهو الذي تطلع عليه ما في ضميرك من الامرار الخفية
 من اللوج وهو الدخول ومن دون الله متعلق بالانحياز ان أبقى على حاله أو مفعول ثان له ان جعل به معنى
 النصير (والله خير بما تعملون) أي بجميع أعمالكم وقرئ على الغيبة وهو تذييل يشرح ما تروهم من ظاهر
 قوله تعالى ولما يعلم الخ أو حال متداخلة من فاعله أو من مفعوله والمعنى ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم

والحال أنه يعلم جميع أعمالكم لا يخفى عليه شيء منها (ما كان للمشركين) أي ما صح وما استقام لهم على معنى
 في الوجود والتحقق لا في الجواز كما في قوله تعالى أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين أي ما وقع وما
 تحقق لهم (أن يعمرها) عبارة معتد بها (مساجد الله) أي المسجد الحرام وانما جامع لانه قبله المساجد
 وامامها فعمره كما مرها أولان كل ناحية من نواحيه المختلفة الجهات مسجد على حiale بخلاف سائر
 المساجد اذ ليس في نواحيها اختلاف الجهة وبؤيده القراءة بالتوحيد وقيل ما كان لهم أن يعمرها واشياء
 من المساجد فضلا عن المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ويايأ أنهم لا يتصدون لتعمر سائر المساجد ولا
 يفخرون بذلك على أنه مبنى على كون النبي معنى في الجواز واليساقفة دون في الوجود (شاهدين على أنفسهم
 بالكفر) أي بانظار آثار الشرك من نصب الاوثان حول البيت والعبادة لها فان ذلك شهادة صريحة على
 أنفسهم بالكفر وان أبو أن يقولوا نحن كفار كما نقل عن الحسن رضي الله عنه وهو حال من الضمير في يعمرها
 أي يحال أن يكون ما هو عبارة عمارة بيت الله مع ملاستهم لما يشافها ويحيطها من عبادة غيره تعالى فانها
 ليست من العمارة في شيء وأما ما قيل من أن المعنى ما استقام لهم أن يحجهم وارين أمرين متنافيين عمارة بيت
 الله تعالى وعبادة غيره تعالى فليس يعرب عن كنه المرام فان عدم استقامة الجمع بين المتنافيين انما يستدعي
 انتفاء أحدهما لا بعينه لا انتفاء العمارة الذي هو المقصود وروى أن المهاجرين والانصار أقبلوا على
 أسارى بدر يعبرونهم بالشرك وطفق على رضي الله تعالى عنه يوبخ العباس بشتم النبي صلى الله عليه وسلم
 وقطعة الرحم وأغلظ له في القول فقال العباس تذكروا مساويتا وتكفون محاسنا فاقال ولكم محاسن
 قالوا نعم اننا نعمر المسجد الحرام ونحج الكعبة وسقى الحج ونفك العاني فترأت (أولئك) الذين يتعدون
 عمارة المسجد وما يضافها من أعمال البر مع ما بهم من الكفر (حبطت أعمالهم) التي يفخرون بها بما قارنها
 من الكفر فصارت هباء منثورا (وفي النار هم خالدون) لكفرهم ومعاصيهم وايراد الجمله اسمية للمبالغة
 في الدلالة على الخلود والظرف متعلق بالخبر قدم عليه للاهتمام به ومراعاة الصلوة وكلتا الجملتين مستأنفة
 لتقرير النفي السابق الأولى من جهة نفي استتباع الثواب والثانية من جهة نفي استدفاع العذاب (انما يعمر
 مساجد الله) الكلام في ايراد صيغة الجمع كما مر فيما مر خلا أن ارادة جميع المساجد وادراج المسجد الحرام
 في ذلك غير مخالفة لمقتضى الحال فان الايجاب ليس كالسلب وقد قرئ بالافراد أيضا والمراد ههنا أيضا قصر
 تحقق العمارة ووجودها على المؤمنين لا قصر جوارها وليساقفها أي انما يصح وبسته قيم أن يعمرها عبارة
 يعتد بها (من آمن بالله) وحده (واليوم الآخر) بما فيه من البعث والحساب والجزاء حسبما نطق به الوحي
 (وأقام الصلوة وآتى الزكوة) على ما علم من الدين فيندرج فيه الايمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم حتما
 وقيل هو مندرج تحت الايمان بالله خاصة فان أحد جزئى كلتي الشهادة علم للكل أي انما يعمرها من جموع
 هذه الكمالات العلمية والعملية والمراد بالعمارة ما يعم مرمة ما استمر منها ونظفها وتزينها بالفرش
 وتويرها بالسرج وادامة العبادة والذكور دراسة العلوم فيها ونحو ذلك وصياتها مما لم ين له كحديث الدنيا
 وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث في المسجد بأكل الحسنات كإننا كل البهيمة الحشيش وقال
 عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى ان يوتى في أرضي المساجد وان زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد
 ظهر في بيته ثم زاورى في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره وعنه عليه الصلاة والسلام من ألف المسجد أأفه
 الله تعالى وقال عليه الصلاة والسلام اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وعن أنس رضي الله
 عنه من امرج في مسجد مر اجالم تزل الملائكة وحله العرش تستغفر له مادام في ذلك المسجد ضوؤه (ولم يحش)
 في أمور الدين (الا الله) فعلم بموجب أمره ونهيه غير آخذ له في الله لومة لائم ولا خشية ظالم فيندرج فيه
 عدم الخشية عند القتال ونحو ذلك وأما الخوف الجلبى من الامور المخوفة فليس من هذا الباب ولا يمدخل
 تحت التكليف والخطاب وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فأريد في تلك الخشية عنهم (فعسى أولئك)
 المنعوتون تلك التعوت الجيلة (أن يكونوا من المهتدين) الى مباحثهم من الجنة وما فيها من فنون المطالب
 العلية وابرأ اهندائهم مع ما بهم من الصفات السنية في معرض التوقع لقطع أطماع الكفرة عن الوصول

الى مواقف الاهتداء والاتضاع باعمالهم التي يحسبون أنهم في ذلك محسنون وتويعهم بقطعهم بأنهم مهتدون فان المؤمنين مع ما بهم من هذه الكمالات اذا كان أمرهم دائرين لعل وعسى فبال الكفرة وهمهم وأعمالهم أعمالهم وفيه لطف للمؤمنين وترغيب لهم في ترجيح جانب الخوف على جانب الرجاء ورفض الاعتذار بالله تعالى (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام) أي في الفضيلة وعلو الدرجة (كن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله) السقاية والعمارة مصدران لا يتصور تشبيههما بالاعيان فلا بد من تقدير مضاف في أحد الجانبين أي أجعلتم أهلها ما كن آمن بالله الخ ويؤيده قراءة من قرأ سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام أو أجعلتموهما كما عيان من آمن الخ وعلى التقديرين فالخطاب أتم الله شركين على طريقة الالتفات وهو المتبادر من تخصيص ذكر الايمان بجانب التشبيه وأما البعض المؤمنين المؤثرين للسقاية والعمارة ونحوهما على الهجرة والجهاد ونظائرهما وهو المناسب للاكتفاء في الرد عليهم ببيان عدم مساواتهم عند الله للفرق الثاني وبيان أعظمية درجاتهم عند الله تعالى على وجه يشعر بعدم حرمان الأولين بالكلية وجعل معنى التفضيل بالنسبة الى زعم الكفرة لا يجدي كثير نفع لانه ان لم يشعر بعدم الحرمان فليس يشعر بالحرمان أيضا أتم على الأول فهو توبيخ للمشركين ومداراه على انكار تشبيه أنفسهم من حيث انصافهم بوصفهم المذكورين مع قطع النظر عما هم عليه من الشرك بالمؤمنين من حيث انصافهم بالايمان والجهاد أو على انكار تشبيه وصفهم المذكورين في حد ذاتهم مع الانحاض عن مقارنتهم بالشرك بالاعيان والجهاد وأما اعتبار مقارنتهم له كما قيل فيأباه المقام كيف لا وقد بين أنما حبط أعمالهم بذلك الاعتبار بالمرة وكونه بمنزلة العدم فتويعهم بعد ذلك على تشبيههم بالاعيان والجهاد ثم رد ذلك بما يشعر بعدم حرمانهم عن أصل الفضيلة بالكلية كما أشير اليه مما لا يساعد النظم التنزيلى ولو اعتبر ذلك لما احتجج الى تقرير انكار التشبيه وتأكيد بني آخراذ لا شيء أظهر بطلاناً من تشبيه المعدم بالوجود فالعنى أجعلتم أهل السقاية والعمارة في الفضيلة كن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله أو أجعلتموهما في ذلك كالايمان والجهاد وشئان بينهما فان السقاية والعمارة وان كانت في أنفسهما من أعمال البر والخير لکنهما وان خلتا عن القواعد بعزل عن صلاحية أن يشبه أهلها بأهل الايمان والجهاد أو يشبه نفسه ما بنفس الايمان والجهاد وذلك قوله عز وجل (لا يستويون عند الله) أي لا يساوي الفريق الأول الثاني من حيث انصاف كل منهما بوصفهما ومن ضرورته عدم التساوي بين الموصفين الأولين وبين الآخرین لانه المدار في التفاوت بين الموصوفين واستناد عدم الاستواء الى الموصوفين لان الأهم بيان تفاوتهم وتوجيه النبي ههنا والانكار فيما سلف الى الاستواء والتشبيه مع أن دعوى المفضلين بالسقاية والعمارة من المشركين والمؤمنين انما هي الأفضلية دون التساوي والتشابه للمبالغة في الرد عليهم فان في التساوي والتشابه نقي للأفضلية بالطريق الأولى والجملة استئناف لتقرير الانكار المذكور وتأكيد كيد أرواح من مفعولى الجملة والرابط هو الضمير كأنه قيل أسويتم بينهم حال كونهم متفاضلين عند تعالى وقوله تعالى (واقه لا يجدى القوم الظالمين) حکم عليهم بأنهم مع ظلمهم بالاشراك ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم ضالون في هذا الجعل غير مهتدين الى طريق معرفة الحق وتمييز الرابح من المرجوح وظالمون بوضع كل منهما موضع الآخر وفيه زيادة تقر بعدم التساوي بينهم وقوله تعالى (الذين آمنوا وجاهدوا وسبيل الله بأموالهم وأنفسهم) استئناف لبيان مراتب فضلهم اثر بيان عدم الاستواء وضلال المشركين وظلمهم وزيادة الهجرة وتفصيل نوعي الجهاد فلا يذان بأن ذلك من لوازم الجهاد لانه اعتبر بطريق التدارك أمر لم يعتبر فيما سلف أي هم باعتبار انصافهم بهذه الاوصاف الجميلة (أعظم درجة عند الله) أي أعلى رتبة وأكثر كرامة ممن لم يتصف بها كما من كان وان حاز جميع ما عداها من الكمالات التي من جملتها السقاية والعمارة (وأوشك) أي المنعوتون بتلك المنعوت الفاضلة وما في اسم الاشارة من معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم في الرتبة (هم الفائزون) المختصون بالفوز العظيم أو بالفوز المطلق كأن فوز من عداهم ليس بفوز بالنسبة الى فوزهم وأتم على الثاني فهو توبيخ ان يؤثر السقاية والعمارة من المؤمنين على الهجرة والجهاد روى أن علياً قال للعباس رضي الله عنهما بعد اسلامه يا عم ألا تهاجرون أئمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألت في أفضل من الهجرة أسقى

حاج بيت الله وأمر المسجد الحرام فلما نزلت قال ما أرا في النارك سقايتنا فقال عليه السلام أقيموا على سقايتكم
 فإن لكم فيها خيرا وروى النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما أباي
 أن لا أعمل علابعد أن أسقى الحاج وقال آخر ما أباي أن لا أعمل علابعد أن أعمر المسجد الحرام وقال آخر
 الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم فزجرهم عمر رضي الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن إذا صليتم استقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه فدخل
 فأنزل الله عز وجل هذه الآية والمعنى أجمعتم أهل السقاية والعمارة من المؤمنين في الفضيلة والرفعة
 كن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله أو أجمعتموهما كالأيمان والجهاد وانما يذكر الأيمان في جانب
 المشبه مع كونه معتبرا فيه قطعاً وتعويلاً على ظهور الأمر وأشعاراً بأن مدار انكار التشبيه هو السقاية
 والعمارة دون الأيمان وانما يترك ذكره في جانب المشبه به أيضاً توفية لادانكار وتذكير الأسباب
 الرجحان ومبادئ الأفضلية وإذنا بكال التلازم بين الأيمان وماتلاه ومعنى عدم الاستواء عند الله تعالى
 على هذا التقدير ظاهر وكذا أعظمية درجة الفريق الثاني وأما قوله تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين
 فالمراد به عدم هدايته تعالى لهم إلى معرفة الرأى من المرجوح وظلمهم بوضع كل منهم موضع الآخر لعدم
 الهداية مطلقاً ولا الظلم عموماً والقصر في قوله تعالى وأولئك هم الفاعلون بالنسبة إلى درجة الفريق الثاني
 أو إلى الفوز المطلق ادعاء كما مر والله أعلم (ببشرهم) وقرئ بالتخفيف (بهم برحمة) عظيمة (منه ورسولان)
 كبير (وجنات) عالية (أهم فيها) في تلك الجنات (نعيم مقيم) نعم لا تنفاد لها وفي التعرض لعنوان الربوبية
 تأكيد كيد للبشرية وترية له (خالدين فيها) أي في الجنات (أبدًا) تأكيد للخلود لزيادة توضيح المراد به
 إذ قد يراد به المكث الطويل (إن الله عنده أجر عظيم) لا قدر عنده لا جوراً الدنيا وأولادها التي في مقابلته
 والجملة استئناف وقع تعليلها سابق (يا أيها الذين آمنوا لا تخذوا آباءكم وأخوانكم أو إماءكم) نهي
 لكل فرد من أفراد المخاطبين عن موالاة فرد من المشركين بقضية مقابلة الجمع بالجمع الموجبة لانقسام الاتحاد
 إلى الاتحاد كما في قوله عز وجل وما للظالمين من أنصار لأن موالاة طائفة منهم فإن ذلك مفهوم من التظم دلالة
 لا عبارة والآية تنزات في المهاجرين فانهم لما أمروا بالهجرة قالوا إن هاجرنا قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشيرتنا
 وذهب تجاراتنا وحلكت أموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فتركت فهاجرنا فجعل الرجل يأتيه ابنه
 أو أبوه أو أخوه أو بعض أقاربه فلا يلتفت إليه ولا يتركه ولا يلتفت عليه ثم رخص الله في ذلك وفي تنزات
 في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة نهيًا عن موالاةهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعام أحدكم طعم
 الأيمان حتى يحب في الله ويغض في الله حتى يحب في الله أبعد الناس منه ويغض في الله أقرب الناس إليه
 (إن استخبروا الكفر) أي اختاروه (على الأيمان) وأصر وأعليه أصرار الأيرجى معه الاقلاع عنه أصلاً
 وتعليل النهي عن الموالاة بذلك لما أنها قبل ذلك ربما تؤدي بهم إلى الإسلام بسبب شعورهم بحساسن الدين
 (ومن يتوهم) أي واحد منهم كما أشير إليه وأفراد الضمير في الفعل لمراعاة لفظ الموصول ولا يذان باستقلال
 كل واحد منهم في الاتصاف بالظلم لأن المراد تولي فرد واحد وكلمة من في قوله تعالى (منكم) للجنس لا للتبعية
 (فأولئك) أي أولئك المتولون (هم الظالمون) بوضعهم الموالاة في غير موضعها كأن ظلم غيرهم كالاظلم
 عند ظلمهم (قل) تلويح للخطاب وأمر له عليه الصلاة والسلام بأن يثبت المؤمنين ويقوى عزائمهم على الانتهاء
 عما نهوا عنه من موالاة الآباء والأخوان ويزهدهم فيهم ومن يجري مجراهم من الأبناء والأزواج ويقطع
 علاقتهم عن زخارف الدنيا ويزينت على وجه التوبيخ والترهيب (إن كان آباؤكم وأبناءؤكم وأخوانكم
 وأزواجكم) لم يذكر الأبناء والأزواج فيما سلف لأن موالاة الأبناء والأزواج غير مستادة بخلاف المحبة
 (وعشيرتكم) أي أقرباؤكم مأخوذ من العشرة أي العصبية وقيل من العشرة فانهم جماعة ترجع إلى عقد كعقد
 العشرة وقسرى عشيرتكم وعشائركم (وأموال اقترفوها) أي اكتسبوها وانما وصفت بذلك إيماء إلى
 عزيمتها عندهم لحصولها بذلك اليمين (وتجارة) أي أمتعة اشترى بقوها للتجارة والربح (تخشون كسادها)
 بفوات وقت رواجها بقية يتكلم عن مكة المعظمة في أيام الموسم (ومساكن ترضونها) أي منازل تعجبكم

الافاضة فيها من الدور واليساتين والتعرض للصفات المذكورة للايذان بأن اللوم على محبة ما ذكر من زينة الحياة الدنيا ليس لتناسي ما فيها من مبادئ المحبة وموجبات الرغبة فيها وإنما مع ما لها من فنون المحاسن بعزل عن أن يؤثر فيها على حبه تعالى وحب رسوله عليه الصلاة والسلام كافي قوله عز وجل "ما غفر لك بربك الكريم" (أحب اليكم من الله ورسوله) بالحب الاختياري المستبغ لآثره الذي هو الملازمة وعدم المضارقة لالحب الجبلي الذي لا يخلو عنه الشرفانه غير داخل تحت التكليف الدائر على الطائفة (وجهه في سبيله) نظم حبه في سلك حب الله عز وجل وحب رسوله صلى الله عليه وسلم تنويها لشأنه وتبنيها على أنه مما يجب أن يحب فضلا عن أن يكره وايدنا بأن محبته واجبة الى محبته مما فاق الجهاد عبارة عن قتال أعدائهم الا لجل عدوتهم فمن يحبهم ما يجب أن يحب قتال من لا يحبهم (فتربصوا) أي انتظروا (حتى يأتي الله بأمره) حين ابن عباس رضي الله عنهما أنه فتح مكة وقيل هي عقوبة عاجلة أو آجلة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) الخارجين عن الطاعة في موالاته المشركون أو القوم الفاسقين كافة فيدخل في زميرتهم هؤلاء دخولا أولا أي لا يرشداهم الى ما هو خير لهم وفي الآية الكريمة من الوعيد ما لا يكاد يتخلص منه الا من تداركه لطف من ربه والله المستعان (لقد نصركم الله) الخطاب للمؤمنين خاصة (في مواطن كثيرة) من الحروب وهي مواضعها ومقاماتها والمراد بها وقعات بذروقرية والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة (ويوم حنين) عطف على محل في مواطن يحذف المضاف في أحد ههنا أي وموطن يوم حنين أو في أيام مواطن كثيرة ويوم حنين ولعل التغيير للايحاء الى ما وقع فيه من قلة الثبات من أول الامر وقيل المراد بموطن الوقت كقتل الحسين وقيل يوم حنين منصوب بمنصرم معطوف على نصركم أي ونصركم يوم حنين (إذا أحببتكم كفرتكم) بدل من يوم حنين ولا منع فيه من عطفته على محل الظرف بناء على أنه لم يكن في المعطوف عليه كثرة ولا إيجاب اذ ليس من قضية العطف مشاركة المعطوفين فيما أضيف اليه المعطوف أو منصوب باضممارا ذكر وحنين واديين مكة والطائف كانت فيه الواقعة بين المسلمين وههم اثنا عشر ألفا عشرة آلاف منهم من شهد فتح مكة من المهاجرين والانصار وأنصار من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وكانوا أربعة آلاف فحين ضاقتهم من امداد سائر العرب وكانوا الجمل الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين اسمه سلمة بن سلامة الانصاري لن تغلب اليوم من قلة فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقته لواقعة لا شديدا فانهزم المشركون وخلوا الذراري فأكب المسلمون على الغنائم فتنادى المشركون يا حياة السود اذكروا الفضائح فتراجعوا فأدركت المسلمين كلمة الاغجاب فانكشفوا وذلك قوله عز وجل (فلم تغن عنكم شيئا) والاعناء اعطاء ما يدفع به الحاجة أي لم تعطكم تلك الكثرة ما تدفعون به حاجتكم شيئا من الاعناء (وضاقت عليكم الارض بما رحبت) أي برحمتها وسعتها على أن ما مصدرية والباء بمعنى مع أي لا تجدون فيها نفرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب ولا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكان (ثم وليتم مدبرين) روى أنه بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجام يقلته وابن عمه أبو سفيان بن الحرث آخذا بركابه وهو يركض البغلة نحو المشركين وهو يقول أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب روى أنه عليه الصلاة والسلام كان يحمل على الكفار فيفرون ثم يحملون عليه فيقتلهم فعل ذلك بضع عشرة مرة قال العباس كنت أكف البغلة لئلا تسرع به نحو المشركين ونأهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على أنه عليه الصلاة والسلام كان في الشجاعة ورباطة الجأش سببا للغايات القاصية وما كان ذلك الا لكونه مؤيدا من عند الله العزيز الحكيم فعند ذلك قال يا رب اتقني بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا صبح بالناس فتنادى الانصار نخذا نخذا ثم نادى يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فكثروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك وذلك قوله تعالى (ثم أنزل الله سكينته على رسوله) أي رحمة التي تسكن بها القلوب وتطمئن اليها اطمئنانا كقيام مستبعا للنصر القريب وأما مطلق السكينة فقد كانت حاصله له عليه الصلاة والسلام قبل ذلك أيضا (وعلى المؤمنين) عطف على رسوله وتوسيط الجلالة بينهم للدلالة على ما بينهما من التفاوت أي المؤمنين الذين انهزموا وقيل على الذين تبعوا مع النبي صلى الله عليه وسلم أو على الكل وهو الانسب ولا ضير في تحقق أصل السكينة في الثابتين من قبل والتعرض لوصف الايمان للاشعار

بعلية الانزال (وانزل جنود الم ترها) أى بأبصاركم كما يرى بعضكم بعضا وهم الملائكة عليهم السلام عليهم
 البياض على خيول بني قنقار النبي صلى الله عليه وسلم الى قتال المسلمين فقال هكذا حين حتى الوطيس فأخذ
 كفاسا من التراب فرمى به نحو المشركين وقال شأهت الوجوه فلم يبق منهم أحد الا استلأت به عيناه ثم قال
 عليه الصلاة والسلام انهم زمر اورب الكعبة واختلفوا في عدد الملائكة يومئذ فقل خمسة آلاف وقيل
 ثمانية آلاف وقيل ستة عشر ألفا وفي قتالهم أيضا فقل قاتلوا وقيل لم يشانلوا الا يوم بدر وانما كان نزولهم
 لتقوية قلوب المؤمنين بالنساء الخواطر الحسنة وتأيدهم بذلك والقضاء الرعب في قلوب المشركين قال سعيد بن
 المسيب حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما كشفت المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب
 البغلة الشهباء تلقانا رجالا يبيض الوجوه فقالوا شأهت الوجوه ارجعه وافرجهنا فركبوا كافنا (وعذب
 الذين كذبوا) ياقتل والاسروا السبي (وذلك) أى ما فعل بهم بما ذكر (جزء الكافرين) لكفرهم في الدنيا
 (ثم يوب الله من بعد ذلك على من يشاء) أن يوب عليهم لحكمة تقتضيه أى يوفقه للاسلام (والله غفور)
 يتجاوز عما سلف منهم من الكفر والمعاصي (رحيم) يفضل عليهم ويثيبهم روى أن ناسا منهم جاؤا رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وبايعوه على الاسلام وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وأبر الناس وقد سبى أهلونا وأولادنا
 وأخذت أموالنا قبل سبى يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال عليه الصلاة
 والسلام ان عندى ما ترون ان خير القول أصدقه اختاروا المذراري بكم ونساءكم وأما أموالكم قالوا ما كنا
 نعدل بالا حساب شيئا فقال صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري
 والاموال فلم يعدلوا بالا حساب شيئا من كان يده سبى وطابت نفسه أن يرد فشاؤه ومن لا فليعلمنا وليكن
 قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا اقدر ضينا وسلمنا فقال عليه الصلاة والسلام اما لا ندري لعل
 فيكم من لا يرثى فمروا عرفاءكم فليعرفوا ذلك البنا فرفعت اليه العرفاء أنهم قد رضوا (يا أيها الذين آمنوا
 انما المشركون نجس) وصفوا بالصدر مبالغته كأنهم عين النجاسة أو هم ذور نجس نجس باطنهم أولان معهم
 الشرك الذي هو بمنزلة النجس أولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملازمة لهم * عن
 ابن عباس رضى الله عنهم ما أن أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا فوضأ وأهل
 المذاهب على خلاف هذين المتولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم وهو تخفيف نجس ككبد في كبد
 كأنه قيل انما المشركون نجس اوضرب نجس وأكثرا ما جاءنا به الجرس (فلا يقربوا المسجد الحرام)
 تقربوا على نجاستهم وانما نهى عن القرب للمبالغة أو للمنع عن دخول الحرم وهو مذهب عطاء وقيل المراد
 به النهى عن الدخول مطلقا وقيل المراد بالمنع عن الحج والعمرة وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى وبؤيده
 قوله عز وجل (بعد ما هم هداة) فان تقييد النهى بذلك يدل على اختصاص المنهى عنه بوقت من أوقات العام
 أى لا يجزوا ولا يعتمر وابعدهم هذا وهو عام فسمعت من الهجرة حين أخر أبو بكر رضى الله عنه على الموسم
 ويدل عليه قول على رضى الله عنه حين نادى بديرة ألا لا يجع بعد عامنا هذا مشرك ولا يجعون من دخول
 الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عنده وعند الشافعي يجعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يجعون
 من جميع المساجد ونهى المشركين أن يقربوه راجع الى نهى المسلمين عن تمكينهم من ذلك وقيل المراد أن يجعوا
 من نوى المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك (وان خفتهم عليه) أى فتراسبب منعهم من الحج
 وانقطاع ما كانوا يجلبونه اليكم من الارفاق والمكاسب وقضى عائله على أنها مصدر كالغانية أو طالعائلة
 (فسوف يغنيكم الله من فضله) من عطائه أو من تفضله بوجه آخر فأرسل الله تعالى السماء عليهم مدرارا أغزى بها
 خيرهم وأكرمهم وأسأل أهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك أعود عليهم
 بما خافوا العيلة لقواته ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من أقطار الارض (ان شاء) أن
 يغنيكم ميثقة تابعة للحكمة الداعية اليها وانما قيد ذلك بها لتقطع الآمال الى الله تعالى ولأن الغنى ليس
 مطردا بحسب الافراد والاحوال والافاق (ان الله علم) بمصالحكم (حكيم) فيما يعطى ويمنع (قاتلوا
 الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) أمرهم بقتال أهل الكافرين اثر امرهم بقتال المشركين وجمعهم من أن

قوله تبالة بفتح التاء وجرش
 يضم الجيم وفتح الراء وشين
 مهيئة قرأتان من قرى اليمن
 كافى زكريا اه معجمه

يحوو ما حول ما كانوا يفعلونه من الحج والعمرة غير خائفين من الفاقة المتوهمه من انقطاعهم وبههم
في تضاعيف ذلك على بعض طرق الاغناء الموعود على الوجه الكلي - وأرشدتهم الى سلوكه ابتغاء لفضله واستنجازا
لوعده والتعبير عنهم بما اوصول للايذان بعليه ما في حيز الصلة للامم بالقتال وبانتظامهم بسبب ذلك في سلك
المشركين فان اليه ودمه ثنية والنصارى مثلثة فهم بعزل من أن يؤمنوا بالله سبحانه ولا ياليوم الا ترفاق علمهم
بأحوال الآخرة كالأعلم فإيمانهم المبني عليه ليس بإيمان به (ولا يحزرون ما حرم الله ورسوله) أي ما ثبت
تحريره بالوحي متلقوا وغير متلق وقيل المراد برسوله الرسول الذي يزعمون اتبعه أي يخالفون أصل دينهم
المسوخ اعتقادا وعلا (ولا يدينون دين الحق) الثابت الذي هو ناسخ السابقين والاديان وهو دين الاسلام وقيل
دين الله (من الذين أتوا الله كتاب) من التوراة والانجيل فمن يسانية لا تبعيضية حتى يكون بعضهم على
خلاف ما نعت (حتى يعطوا) أي يقبلوا أو يعطوا (الجزية) أي ما تقر عليهم أن يعطوه مشتق من جزى
دينه أي قضاه أو لانهم يحزرون بها من من عليهم بالاغناء عن القتل (عن يد) حال من الضمير في يعطوا أي عن يد
مؤانية مطبوعة بمعنى منقادين أو من يدهم بمعنى مسلمين بأيديهم غير باعشين بأيدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل
فيه أو عن غنى ولذلك لم تجب الجزية على الفقير العاجز أو عن يد قاهرة عليهم أي بسبب يدهم معنى عاجز من أذلاء
أو عن انعام عليهم فان ابقاء مهتهم بما بذلوا من الجزية نعمة عظيمة عليهم أو من الجزية أي نقدا مسلمة عن يد
الي يد وغاية القتال ليست نفس هذا الاعطاء بل قبوله كما أشير اليه (وهم صاغرون) أي أذلاء وذلك بأن يأتي
بها بنده ما شاء غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جائس ويؤخذ بتلبيبه ويشال له أذا الجزية وان كان
يؤذيها وهي تؤخذ عند أبي حنيفة رضي الله عنه من أهل الكتاب مطلقا ومن مشركي الهجمل من مشركي
العرب وعند أبي يوسف رضي الله عنه لا تؤخذ من العربي كأيما كان أو مشركا وتؤخذ من الأعمى كأيما كان
أو مشركا وعند الشافعي رضي الله عنه تؤخذ من أهل الكتاب عربيا أو عجميا ولا تؤخذ من أهل الأوثان
مطلقا وذهب مالك والاوزاعي الى أنها تؤخذ من جميع الكفار وأما المجوس فقد اتفقت الصحابة رضي
الله عنهم على أخذ الجزية منهم لقوله عليه الصلاة والسلام سنوا بهم سنة أهل الكتاب وروى عن علي
رضي الله عنه أنه كان لهم كتاب يدرسون فيه فأصبحوا وقد أسرى على كتابهم ثم فرغ من بين أظهرهم واتفقا على
تحريم ذبحهم ومناحتهم لقوله عليه الصلاة والسلام في آخر ما نقل من الحديث غيرنا حتى نسايمهم وأكل ذبيحتهم
ووقت الأخذ عند أبي حنيفة رضي الله عنه أول السنة وتسقط بالموت والاسلام ومقدارها على الفقير المعقل
اشع عشر درهما وعلى المتوسط الحال أربعة وعشرون درهما وعلى الغني ثمانية وأربعون درهما ولا جزية
على فقير عاجز عن الكسب ولا على شيخ فان أو زمن أو صبي أو امرأة وعند الشافعي رضي الله عنه تؤخذ
في آخر السنة من كل واحد دينار غنيا كان أو فقيرا كان له كسب أو لم يكن (وقالت اليهود) بجله مبتدأة
سبقت لتبرير ما تمر من عدم إيمان أهل الكتابين بالله سبحانه وانتظامهم بذلك في سلك المشركين (عزير
ابن الله) مبتدأ وخبر وقرى بغير تنوين على أنه اسم أجنبي كعازر وعزار غير منصرف للجهة والتعريف وأما
تعليله بالتقاء الساكنين أو بجعل الابن وصفا على أن الخبر محذوف فتعسف مستغنى عنه قيل هو قول قدمائهم
ثم انتطع فحكى الله تعالى ذلك عنهم ولا عبرة بانكار اليهود وقيل قول بعض ممن كان بالمدينة عن ابن عباس رضي
الله عنهما أنه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس منهم وهم سلام بن مشكم ونعسان بن أوفى وشاس بن قيس
ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فخاص بن عازر وهو الذي قال إن الله فقير ونحن أغنياء وسبب هذا
القول أن اليهود قتلوا الانبياء بعدهم وصلى عليه السلام فرفع الله تعالى عنهم التوراة ومحاسنها من قلوبهم فخرج
عزير وهو غلام يسبح في الأرض فأناه جبريل عليه السلام فقال له أين تذهب قال أطاب العلم فحفظه التوراة
فأملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يحرم حرفا فقالوا ما جع الله التوراة في صدره وهو غلام الا أنه ابنه قال الامام
الكلي لما قتل بخت نصر علماءهم جميعا وكان عزير اذ ذاك صغيرا فاستصغره ولم يقتله فلما رجع بنو اسرائيل الى
بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله تعالى عزير اليهم التوراة ويكون آية بعد ما أماته مائة
عام يقال انه أناء ملك بآناه فيه ماء فستاه فخلت في صدره فلما أتاهم فقال لهم اني عزير كذبوه فقالوا ان كنت

كما تزعم فأمرنا علينا التوراة ففعل فتسألوا ان الله تعالى لم يقذف التوراة في قلب رجل الا لانه ابنه تعالى الله
 عن ذلك علوا كبيرا * وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود اضعوا التوراة وعلموا بغير الحق فأنساهم
 الله تعالى التوراة ونسخها من صدورهم ورفع التابوت فضرع عزير الى الله تعالى وابتهل اليه فعاد
 حفظ التوراة الى قلبه فأذرقومه به ثم ان التابوت نزل فعرضوا ما تلاه عزير على ما فيه فوجدوه مثله فتسألوا
 ما قالوا (وقالت النصارى المسيح ابن الله) هو أيضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لأن يكون ولد بغير أب
 أولاً أن يفعل ما فعله من ابراء الاكهم والابرص واحياء الموتي من لم يكن الها (ذلك) إشارة الى ما صدر عنهم من
 العظمتين وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد درجة المشار اليه في الشناعة والنفاسة (قولهم بأفواههم)
 اماناً تكيد لنسبة القول المذموم ورايهم ونفي التجوز عنها أو اشعار بأنه قول مجتزئ عن برهان وتحقيق مماثل
 لاهم حمل الموجود في الافواه من غير أن يكون له مصداق في الخارج (ينهاهون) أى في الكفر والشناعة
 وقرئ بغيرهم (قول الذين كفروا) أى يشابه قولهم على حذف المضاف وإقامة المضاف اليه مقامه عند
 انتقابه مرفوعاً قول الذين كفروا (من قبل) أى من قبلهم وهم المشركون الذين يقولون الملائكة بنات الله
 أو اللات والعزى بنات الله لا قدم ماؤهم كما قيل اذ لا تعد في القول حتى يتأني التشبيه وجعله بين قولي القرينين
 منع اتحاد القول ليس فيه مزيد مزينة وقيل الضمير للنصارى أى يضاهاى قولهم المسيح ابن الله قول اليهود
 عزير الخ لانهم أقدم منهم وهو أيضا كما ترى فانه يستدعي اختصاص الرد والابطال بقوله تعالى ذلك قولهم
 بأفواههم بقول النصارى (قاتلهم الله) دعاء عليهم جميعاً بالاهلاك فان من قاتله الله هلك أو تهيج من شناعة
 قولهم (أنى يؤفكون) كيف يصرفون من الحق الى الباطل والحال أنه لا سبيل اليه أصلاً (اتخذوا) زيادة
 تقرير لما سلف من كفرهم بالله تعالى (أخبارهم) وهم علماء اليهود واختلف في واحدة قال الاعمى لا أدرى
 أهو حبر أم حبر وقال أبو الهيثم بالفتح لا غير وكان اللبث وابن السكيت يقولان حبر وحبر للعالم ذمياً كان أو مسلماً
 بعد أن كان من أهل الكتاب (ورهبانهم) وهم علماء النصارى من أصحاب الصوامع أى اتخذ كل واحد
 من القرينين علماءهم لا الكل الكلي (أرباباً من دون الله) بأن أطاعوهم في تحريم ما أحله الله تعالى وتحليل
 ما حرّمه أو بالسجود لهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان عبادة له في قوله تعالى يا أبت لا تعبد الشيطان وقوله
 تعالى بل كنوا عبداً لله قال الجن قال عدى بن حاتم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنق صليب من ذهب
 وكان اذ ذلك على دين يسمى الركوسية فريق من النصارى وهو يقرأ سورة براءة فقال يا عدى أطرح هذا اللون
 فطرحته فلما انتهى الى قوله تعالى اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله قلت يا رسول الله لم يكونوا
 يعبدونهم فقال عليه الصلاة والسلام أليس يحترمون ما أحل الله فحترمونه ويحلون ما حرّم الله فتستحلونه
 فقلت بلى قال ذلك عبادتهم قال الربيع قلت لابي العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني اسرائيل قال انهم
 رجا وجدوا في كتاب الله تعالى ما يخالف اقوال الاحبار فكانوا يأخذون بأقوالهم ويتركون حكم كتاب الله
 (والمسيح ابن مريم) عطف على رهبانهم أى اتخذوا النصارى وبامعبودا بعد ما قالوا انه ابنه تعالى عن ذلك
 علواً كبيراً وتخصيص اتخاذيه بشير الى أن اليهود ما فعلوا ذلك بعزير وتأخير في الذكر مع أن اتخاذهم له عليه
 الصلاة والسلام وبامعبود أقوى من مجرد الاطاعة في أمر التحليل والتحريم كما هو المراد باتخاذهم الاحبار
 والرهبان أرباباً لانه مختص بالنصارى ونسبته عليه الصلاة والسلام الى أمته من حيث دلالة على ربوبيته
 المنافية للربوبية للالذين بكل ركازهم والقضاء عليهم بنهاية الجهل والحقارة (وما أمروا) أى والحال
 أن أولئك الكفرة ما أمروا في كتابهم (الا يعبدوا الها واحداً) عظيم الشأن هو الله سبحانه وتعالى
 ويطيعوا أمره ولا يطيعوا أمر غيره بخلافه فان ذلك محض بعبادته تعالى فان جميع الكتب السماوية متفقة
 على ذلك قاطبة وقد قال المسيح عليه السلام انه من بشرنا بالله فقد حرم الله عليه الجنة وأما اطاعة الرسول
 صلى الله عليه وسلم وسائر من أمر الله تعالى بطاعته فهي في الحقيقة اطاعة الله عز وجل أو وما أمر الذين
 اتخذهم الكفرة أرباباً من المسيح والاحبار والرهبان الا ليوحدوا الله تعالى فكيف يصح أن يكونوا أرباباً وهم
 مأمورون مستعبدون مثاهم ولا يقدح في ذلك كون ربوبية الاحبار والرهبان بطريق الاطاعة فان تخصيص

العبادة تعالى لا يتحقق الا بتخصيص الطاعة أيضا به تعالى وحيد لم يخصها به تعالى لم يخصوا العبادة به سبحانه (لا اله الا هو) صفة ثانية لالهائه أو استثناف مقترن للتوحيد (سبحانه عما يشركون) عن الاشتراك به في العبادة والطاعة (يريدون أن يطمثوا نورا لله) اطفاء النار عبارة عن ازالة لهبها الموجبة لزال نورها عن ازالة نورها كما قيل لكن لما كان الغرض من اطفاء النار لا يراد بها الا النور كما صابح ازالة نورها جعل اطفاءها عبارة عنها ثم شاع ذلك حتى كان عبارة عن مطلق ازالة النور وان كان لغیر النار والسري في ذلك انحصار امكان الازالة في نورها والمراد بنور الله سبحانه اما بحسنه النيرة الدالة على وحدانيته وتنزهه عن الشركاء والاولاد أو الشرائع العظيم الناطق بذلك أي يريد أهل الكتابين أن يردوا التشران ويكذبوه فيما نطق به من التوحيد والتبزه عن الشركاء والاولاد والشرائع التي من جملتها ما خالفوه من أمر الحلال والحرام (يا فواهم) بأفواويلهم الباطلة الخارجة منها من غير أن يكون لها مصادق تطبق عليه أو أصل تستند اليه حسب ما حكى عنهم وقيل المراد به نبوة النبي صلى الله عليه وسلم هذا وقد قيل مثلت حالهم فيما ذكر بحال من يريد طمس نور عظيم منبث في الآفاق بنفخه (ويا بى الله) أي لا يريد (الا أن يتم نوره) بأعلاء كلمة التوحيد واعزاز دين الاسلام وانما صرح الاستثناء المتعرج من الموجب لكونه بمعنى النبي كما أشير اليه لوقوعه في مقابلة قوله تعالى يريدون وفيه من المبالغة والدلالة على الامتناع ما ليس في نبي الارادة أي لا يريد شيئا من الاشياء الا انما نوره فيندرج في المستثنى منه بقاؤه على ما كان عليه فضلا عن الاطفاء وفي اظهار النور في مقام الاضمحار مضاعفا الى شيمه عز وجل زيادة اعتناء به أنه ونشر يف له على تشريف واشعار بعلو الحكم (ولو كره الكافرون) جواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملته معطوفة على جملة قبلها مقدرة وكذا هي في موقع الحال أي لا يريد الله الا انما نوره لولم يكره الكافرون ذلك ولو كرهوه أي على كل حال مفسر ورض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها لدلالة واضحة لان الشيء اذا تحققت عند المنافع فلا يتحقق عند عدمه أولى وعلى هذا السري دور ما في ان ولو الوصلتين من التأكد يدور قد مر زيادة تحقيق لهذا امرارا (هو الذي أرسل رسوله) ملتبسا (بألهدى) أي القرآن الذي هو هدى للمؤمنين (ودين الحق) النبايت وهو دين الاسلام (ليظهره) أي رسوله (على الدين كله) أي على أهل الاديان كلهم وأول ظهور الدين الحق على سائر الارباب بنسخه اياها بحسب مقتضى الحكمة والجليلة بيان وتقرير لما يعمون الجملة السابقة والكلام في قوله عز وجل (ولو كره المشركون) كما في سابق خلا ان وصفهم بالشرك بعد وصفهم بالكفر للدلالة على أنهم ضعو الكفر بالرسول الى الكفر بالله (يا ايها الذين آمنوا) شروع في بيان حال الاحبار والرهبان في اغوائهم لاراداهم اثر بيان سوء حال الاتباع في اتخاذهم لهم أربابا يطيعونهم في الاوامر والنواهي واتباعهم لهم فيما يأبون وما يذرون (ان كثير من الاحبار والرهبان لبأ كرون أموال الناس بالباطل) يأخذونها بطريق الرشوة لتغيير الاحكام والشرائع والتخفيف والمساهمة فيها وانما عبر عن ذلك بالاكل بناء على أنه معظم الغرض منه وتغيير الحال لهم وتغيير السامعين عنهم (ويصدون) الناس (عن سبيل الله) عن دين الاسلام أو عن المسالك المقررة في التوراة والانجيل الى ما افتروه وحذروا بأخذ الرشوة أو صدون عنه بانفسهم بأكلهم الاموال بالباطل (والذين يكزنون الذهب والفضة) أي يجمعونهم ما ويحفظونها سواء كان ذلك بالدفن أو بوجه آخر والموصول عبارة عما عن الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في الوصف بالحرص والتمسك بما بعد وصفهم بما سبق من أخذ الرشوة والباطل في الاباطيل واما عن المسكين الكاذبين غير المنفقين وهو الانسب بقوله عز وجل (ولا ينفقون مما في سبيل الله) فيكون نظامهم في قرن المرتشين من أهل الكتاب تغليظا ودلالة على كونهم اسوة لهم في استهتاق البشارة بالذاب الاليم فالمراد بالانفاق في سبيل الله الزكاة لما روى أنه لما نزل كبر ذلك على المسلمين فذكر عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تعالى لم يفرض الزكاة الا لطيب بها ما بقي من أموالكم واقوله عليه الصلاة والسلام ما أذى زكاة فليس بكثير أي بكثير أو وعد عليه فان الوعيد عليه مع عدم الانفاق فيما أمر الله بالانفاق فيه وأما قوله عليه الصلاة والسلام من ترك مفرأ أو يضيأ كوى بها ونحوه فالمراد بها ما لم يؤد حقها لقوله عليه الصلاة والسلام ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها الا اذا كان

قوله فذكر عمر الخ أي ذكر ما
ذكر من الوعيد على الذين
يكنزون ام

يوم القيامة صنعت له صنفاً من ناري كوى بها جنبه وجنبته وظهره (فبشرهم بعذاب أليم) خبر للموصول والفاء لتعني معنى الشرط ويجوز أن يكون الموصول منه وباشعل بنفسه فبشرهم (يوم) منصوب بعذاب أليم أو ضمير يدل عليه ذلك أي يمدون أو يذكرون (يسمى عليها في نار جهنم) أي يوم توفد النار ذات حى شديد عليها وأصله تحمى النار فجعل الاحياء للنار مبالغة ثم حذفت النار وأسمد الفعل الى الجاز والمجرور تنبيهاً على المتصور فانتقل من صيغة التأنيث الى الذك كبر كما تقول رفعت القصة الى الامير فان طرحت القصة قات رفعت الى الامير وانما قيل عليها والمذكور شيان لأن المراد بهما دنانير ودرهم كثيرة كما قال علي رضي الله عنه أربعة آلاف ومادونهم انقصة وما فوقها كنز وكذا الكلام في قوله تعالى ولا تشقوها وقيل القصة للاموال والكثرة فإن الحكم عام وتخصيصها بالذكر لانهم ما قانون القول أو لانتقضة وتخصيصها للترتيب ودلالة حكمها على أن الذهب كذلك بل أولى (فكوى بها جباةهم وجنوبهم وظهورهم) لأن جباةهم لها وامساكهم فان اطلب الوبابة بالفتح والتسم بالمطاعم الشهية والملابس البهية اولانهم ازوروا عن السائل وأعرضوا عنه وولوه ظهورهم اولانهم أشرف الاعضاء الظاهرة فانما المنسلة الى الاعضاء الرئيسية التي هي الدماغ والقلب والكبد اولانهم اصول الجهات الاربعه التي هي متساوون البدن وما آخره وجنباة (ههنا ما كنزتم) على ارادة القول (لأنفسكم) لمنفعتهم فكان عين منصرفتها وسبب تعذيبها (فذكروا ما كنتم تكذبون) أي وبال كنزكم أو ما كنزتم وقري بنظم النون (أن سنة الشهور) أي عددها (عند الله) أي في حكمه وهو معمول لها لانهم مصدر (الشعائر) خبر لان (شهوراً) تميز مؤكداً كما في قولك عندي من الدنانير عشرون ديناراً والمراد الشهور القمرية فاذا علم اي دور فانا الاحكام الشرعية (في كتاب الله) في الاصح المحفوظ أو فيما أنبأه وأوجبه وهو صفة اشياء أي الاشياء عشر شهر رمضان في كتاب الله وقوله عز وجل (يوم خلق السموات والارض) متعلق بما في الجاز والمجرور من معنى الاستقرار أو بالكتاب على أنه مصدر والمعنى ان هذا أمر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله تعالى الاجرام والحركات والازمنة (منها) أي من تلك الشهور الاثني عشر (أربعة حرم) هي ذوات عدة وذو الحجة والحرم ورجب ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في خطبته في حجة الوداع ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذوات عدة وذو الحجة والحرم ورجب من شهر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه من الحل والحرم وعاد الحج الى ذي الحجة بعدما كانوا أزالوه عن محله بالنسيء الذي احسنه في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذي الحجة وكانت حجة أبي بكر رضي الله عنه قبلها في ذي القعدة (ذلك) أي تحريم الاشهر الاربعه المعينة المعدودة وما في ذلك من معنى البعد لتفخيم المنار اليه هو الدين القيم) المستقيم دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وكانت العرب قد عسكرت به ورأته منهما وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويكرهون القتال فيها حتى انه لو قاتل رجل قاتل أبيه أو أخيه لم يهجمه ومما رجا الاسم ومنصل الاسنة حتى أحسنوا الذي فقروا (فلا تظلموا في أنفسكم) به تلك حرم منهن وار تكاب ما حرم فيهن والجهود على أن حرمة القتال فيهن منسوخة وأن الظلم ارتكاب المعاصي فيهن فانه أعظم وزراً كارتكاب ما في الحرم وعن عطاة أنه لا يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا أن يقاتلوا وما نسخ ويؤيد الا قول أنه عليه الصلاة والسلام حصر طائفاً وغزاهوا وزن بمضين في شوال وذو القعدة (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) أي جميعاً وهو مصدر كمنع عن الشيء فان الجبيع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال (واعلموا أن الله مع المتقين) أي معكم بالنصر والامداد فيما تباشرونه من القتال وانما وضع المظهر موضع مدحهم بالقوى وحسن التماسرين عليه وايداً باناً انه المدار في النصر وقيل هي بشارة وشمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم (انما النسيء) هو مصدر نساء اذا أخرت نساء ونساء ونسيء شأخو مس مساومسا ومسا ومسا وقري بهم جميعاً وقري بقاب الهمزة ياء وتشديد الياء الاولى فيها كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا مكانه شهراً آخر حتى رفصوا وخصوص الاشهر واعتبروا بجزء العدد ورجعوا زادوا في عدد الشهر بأن يجعلوا ثلاثة عشر أو أربعة عشر لئلا يسع لهم الوقت ويجعلوا أربعة عشر

قوله وتشديد الخ الذي في
البيضاوي وادغام الخ وهو
الاصوب كما لا يخفى اهـ

مجموعه

من السنة حرما ولذلك نص على العدد المعين في الكتاب والسنة أي انما تأخير حرمة شهر الى شهر آخر
 (زيادة في الكفر) لانه تحليل ما حرّمه الله وتحريم ما حله فهو كفر آخر مضموم الى كفرهم (يضل به الذين
 كفروا) ضلالا على ضلالهم القديم وقرئ على البناء للفاعل من الافعال على أن النعل لله سبحانه أي يخاف
 فيهم الضلال عند مباشرتهم لمبادئه وأسبابه وهو المعنى على التراءة الاولى أيضا وقيل المضلون حينئذ
 رؤسائهم والموصول عبارة عن أتباعهم وقرئ يضل بفتح الياء والضماد من ضلل يضل ويضل بنون العظمة
 (يحلونه) أي الشهر المؤخر (عاما) من الاعوام ويحرمون مكانه شهرا آخر مما ليس بحرام (ويحرمونه) أي
 يحافظون على حرمة كما كانت والتعبير عن ذلك بالكفر يحرم باعتبار احلالهم له في العام الماضي أو لاسنادهم له
 الى آلهتهم كما سيجيء (عاما) آخر اذا لم يتعلق بتغييره غرض من اغراضهم قال الكلبي أقول من فعل ذلك
 رجل من كنانة يقال له نعيم بن نعلبة وكان اذا هم الناس بالصدور من الموسم يقوم فيخطب ويقول لا مرد
 لما قضيت وأنا الذي لا أعاب ولا أجاب فيقول له المشركون ليبيك ثم يسألونه أن ينسبهم شهرا يغيرون فيه
 فيقول ان صفر العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة وان قال حلال عقدوا
 الاوتار وشدوا الازجة وأغاروا وقيل هو جنادة بن عوف الكندي وكان مطاعا في الجاهلية وكان
 يقوم على جبل في الموسم فينادي بأعلى صوته ان آلهتكم قد أحلت لكم الحزم فأجلوه ثم يقوم في العام
 القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت عليكم المعزوم فحرموه وقيل هو رجل من كنانة يقال له القلس قال
 قائلهم ومناسي الشهر القلس وعن ابن عباس رضي الله عنهما أقول من سنّ النبي عرو بن لحى
 ابن قعدة بن خندف والجلتان تفسيران للضلال أو حال من الموصول والعامل عامله (ليواحتوا) أي ليوافقوا
 (عدة ما حرّم الله) من الاشهر الاربعة واللام متعلقة بالفعيل الثاني أو بما يدل عليه مجموع الفعلين
 (فيحلوا ما حرّم الله) بخصوصه من الاشهر المعينة (زيراهم سوء أعمالهم) وقرئ على البناء للفاعل
 وهو الله سبحانه والمعنى جعل أعمالهم مشتهرة للطبع محمودة للنفس وقيل خذلهم حتى حسبوا قبيح
 أعمالهم حسنا فاسقروا على ذلك (والله لا يهدي الكافرين) هداية موصلة الى المطلوب البتة
 وانما يهديهم الى ما يوصل اليه عند سلوكه وهم قد صدّوا عنه بسوء اختيارهم فتأهوا في شبه الضلال
 (يا أيها الذين آمنوا) رجوع الى حديث المؤمنين وتجريد عزائمهم على قتال الكفرة اثر بيان طرف من
 قبائحهم الموجبة لذلك (مالكم) استنفهام فيه معنى الانكار والتوبيخ (ادأقبل لكم انفروا في سبيل الله
 انما قلتم) تسلطاً ثم وتساوتم أصله تناقستم وقد قرئ كذلك أي أي شيء حصل أو حاصل لكم أو ما تصنعون
 حين قال لكم النبي صلى الله عليه وسلم انفروا أي اخرجوا الى الغزو في سبيل الله مشاقين على أن الفعل
 ماض لفظاً مضارع معنى كأنه قيل تتشاقلون فالعامل في الظرف الاستقرار المقدّر في لكم أو معنى الفعل
 المدلول عليه بذلك ويجوز أن يعمل فيه الحال أي مالكم مشاقين حين قيل لكم انفروا وقرئ أنما قلتم على
 الاستنفهام الانكاري التوبيخي فالعامل في الظرف حينئذ انما هو الأول (الى الارض) متعلق بأنما قلتم
 على تضمينه معنى الميل والاخلاد أي انما قلتم ما تملن الى الدنيا وشهواتها النسائية مما قليل وكرهتم مشاق الغزو
 ومتابعيه المستتبع للراحة الخالدة كقوله تعالى أخلد الى الارض واتبع هواه أو الى الإقامة بأرضكم
 ودباركم وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عمرة وخط وقبط
 وقد أدركت غمار المدينة وطابت ظلالها مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ذلك وقيل ما خرج رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاهها الاورى بغيرها الا في غزوة تبوك فانه عليه الصلاة والسلام بين اهم المقصد
 فيها ليستعدوا لها (أرضيت بالحياة الدنيا) وغرورها (من الآخرة) أي بدل الآخرة ونعيمها الدائم
 (فما متاع الحياة الدنيا) أظهر في مقام الاضمار لزيادة التفسير رأى فما التمتع بها وبذلك انما (في الآخرة)
 أي في جنب الآخرة (الا دليل) أي مستحق لا يؤبه له وفي تشریح الحياة الدنيا بما يؤذن بتناسها وبستهوى
 انزعة فيها وتجريد الآخرة عن مثل ذلك مبالغ في بيان حقارة الدنيا ودوامتها وعظم شأن الآخرة وعلوها
 (الانتمروا) أي ان لا تنفروا الى ما استنفرتهم اليه (بعد بكم) أي الله عز وجل (عدا باليا) أي يهلككم

بسبب فطبع هائل كقطع ونحوه (ويستبدل) بكم بعد اهلا ككم (قوما غيركم) وصفهم بالمغايرة لهم
لتأكيد الوعيد والتشديد في التهديد بالدلالة على المغايرة الوصفية والذاتية المستلزمة للاستئصال أي قوما
مطيعين مؤثرين الآخرة على الدنيا يسروا من أولادكم ولا أرحامكم كأهل اليمن وأبناء فارس وفيه من الدلالة
على شدة السخط ما لا يخفى (ولا تنصروهم شيئا) أي لا يتدحشوا فيكم في تدمير دينه أصلا فإنه الغنى عن كل
شيء في كل شيء وقيل النصير للرسول صلى الله عليه وسلم فإن الله عز وجل وعده بالعصمة والنصرة وكان وعده
مفعولا لا محالة (والله على كل شيء قدير) فيقدر على اهلا ككم والايان بقوم آخرين (الانصروه فقد
نصره الله) أي ان لم تنصروه فسينصره الله الذي قد نصره في وقت ضرورة أشد من هذه المرة فحذف الجزاء
وأقيم سببه مقامه وان لم تنصروه فقد أوجب له النصر حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غير
(إذا أخرجه الذين كفروا) أي تسببوا لخروجه حيث أذن له عليه الصلاة والسلام في ذلك حين هو باخراجه
(ثاني اثنين) حال من نصيره عليه الصلاة والسلام وقرئ بسكون الياء على لغة من يجري الناقص مجرى
المتصور في الأعراب أي أحد اثنين من غير اعتبار كونه عليه الصلاة والسلام ثانيا فان معنى قولهم ثالث ثلاثة
ورابع أربعة ونحو ذلك أحد هذه الأعداد مطلقا لا ثلثات والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور أن ينصب
ما بعده بأن يقال ثالث ثلاثة ورابع أربعة وقدم في قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة من
سورة المائدة وجعله عليه الصلاة والسلام ثانيهما المشي الصديق أمامه ودخوله في الغار أولا لا كونه وتسمية
البساط كما ذكر في الأخبار فجعل مستغنى عنه (ادعوا في الغار) بدل من إذا أخرجه بدل البعض إذا المراد به
زمان متسع والخيار تشب في أعلى ثور وهو جبل في معنى مكة على مسيرة ساعة مكشافية ثلاثا (أذيتول) بدل
ثان أو ظرف لثاني (صاحبه) أي الصديق (لا تخزن ان الله معنا) بالعون والعصمة والمراد بالمعية الولاية
الدائمة التي لا تقوم حول صاحبها شائبة شيء من الحزن وما هو المشهور من اختصاص مع المتبوع فالمراد
بما فيه من المتبوعة هو المتبوعة في الأمر المباشر (روى) أن المشركين طلعوا فوق الغار فاشق أبو بكر
رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان نصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه الصلاة والسلام
ما ظنك يا نبي الله ثالثا لها وقبل لما دخل الغار بعث الله تعالى حماة في أسفله والعكبرون فنجبت
عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أعم أبصارهم ففعلوا بتردد دون حول الغار ولا يشظنون قد أخذ
الله تعالى أبصارهم عنه وفيه من الدلالة على علو طبقة الصديق رضي الله عنه وسابغة صحبه ما لا يخفى
ولذلك قالوا من أنكر صحبة أبي بكر رضي الله عنه فقد كفر لا نكاره كلام الله سبحانه وتعالى (فأنزل الله
سكينته) أمنت التي سكن عندها القلوب (عليه) على النبي صلى الله عليه وسلم فالمراد به ما لا يحوم حوله
شائبة الخوف أصلا وعلى صاحبه اذ هو المنزعج وأما النبي صلى الله عليه وسلم فكان على طمأنينة من أمره
(وأيدوه بجنودهم) عطف على نصره الله والجنود هم الملائكة النازلون يوم بدر والاحزاب وحزن وقيل
هم الملائكة أنزلهم الله ليحرسوه في الغار ويا بام وصفهم بعدم رؤية الخطاطيبين لهم وقوله عز وجل (وجعل كلمة
الذين كفروا سفلَى) يعني الشر لك أو دعوة الكفر فإن ذلك الجعل لا يتحقق بمجرد الانجذاب بل بالقتل والاسر
ونحو ذلك (ولله الله) أي التوحيد أو دعوة الاسلام (هي العليا) لا يدانيها شيء وتغير الاسلوب للدلالة
على أنهم في نفسها كذلك لا يتبدل شأنها ولا يتغير حالها دون غيرها من الكام ولذلك وسط ضمير الفصل وقرئ
بالنصب عطف على كلمة الذين (والله عزيز) لا يغالب (حكيم) في حكمه وتدبيره (انفروا) تجريد للامر
بالانفوار بعد التوبيخ على تركه والانكار على المساهلة فيه وقوله تعالى (خفافا وثقالا) حالان من ضمير
الخطاطيبين أي على أي حال كان من يسر وعسر حاصلين بأي سبب كان من الصحة والمرض أو الغنى والفقر
أو قلة الأعيال وكثرتهم أو غير ذلك مما ينتظمه مساعدة الأسباب وعدمها بعد الامكان والتدرة في الجملة
وما ذكر في تفسيرهم من قولهم خففا قاله عيالكم وثقالا لكثرتهم أو خففا من السلاح وثقالا منه
أو ركبانا ومثاة أو شبانا وشيوخا أو مهازيلا وسمانا أو مصحاحا ومراضا ليس لتخصيص الأمرين المتقابلين
بالإرادة من غير مقارنة للباقي وعن ابن أم مكتوم أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلي أن انفرا قال

عليه الصلاة والسلام ثم حتى نزل ليس على الاعشى حرج * وعن ابن عباس رضى الله عنهما نسخت
بقوله عز وجل ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) يجب
لجهادهم ما إن أمكن وبأحد هـما عند مكانه واعوازا لا تخرج حتى إن من ساعده النفس والمال يجاهد بهما
ومن ساعده المال دون النفس يغزى مكانه من حاله على عكس حاله إلى هـذا ذهب كثير من العلماء وقيل هو
إيجاب للقسم الأول فقط (ذلكم) أى ما ذكر من النفي والجهاد وما فى اسم الإشارة من معنى البعد لا يذات
بعد منزلته في الشرف (خير لكم) أى خير عظيم في نفسه أو خير مما يتبعى بتركه من الراحة والدعة وسعة العيش
والتمتع بالاموال والاولاد (ان كنتم تعلمون) أى تعلمون الخير علمتم أنه خير أو ان كنتم تعلمون أنه خير اذلا احتمال
غير الصدق في اخبار الله تعالى فيبادروا اليه (لو كان) صرف للخطاب عنهم وتوجيه له الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم تعديد الماصدر عنهم من الهتاف قولوا فاعلا على طريق المباشرة وبإسناد الدعاة همهم وسائر
ردائلهم أى لو كان ما دعوا اليه (عرضا فرينا) العرض ما عرض لك من منافع الدنيا أى لو كان ذلك غنما
سهل الماخذ قريب المنال (وسمرا فاصدا) ذا قصد بين القريب والبعيد (لا تبول) في التضرع طمعاً في
الفوز بالغنية وتعلق الاتباع بكلا الأمرين يدل على عدم تحققه عند توسط السفر فقط (ولكن بعدت عليهم
الشقة) أى المسافة الشاقة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والسين (وسيجلفون) أى المتخافون
عن الغزو وقوله تعالى (بأنه) امامتعلق بـ سيجلفون أو هو من جملة كلامهم والقول مراد على الوجهين أى
سيجلفون بالله اعتذارا عند قولك قائلين (لو استطعنا) أو سيجلفون قائلين بالله لو استطعنا الخ أى لو كان
لنا استطاعة من جهة القدرة أو من جهة الصحة أو من جهة ما جيعنا حسبا عن أهمهم من الكذب
والتعامل وعلى كلا التقديرين فتقوله تعالى (نخرجنا منكم) سادمتجوا بى القسم والشرط جيعا أما على الثانى
فظاهر وأما على الاول فلان قولهم لو استطعنا فى قوة بالله لو استطعنا لانه بيان لقوله تعالى سيجلفون بالله
وتصديق له والاخبار بما سيكون منهم بعد القول وقد وقع حسبا أخبر به من جملة المعجزات الباهرة وقرئ
لو استطعنا بنسب الواو تشبيها لها بواو الجمع كما فى قوله عز وجل فتقوا الموت (يهاكون أنفهم) يدل
من سيجلفون لان الحلف الكاذب اهـلاك للنفس ولذلك قال عليه الصلاة والسلام النسيان القابحة تدع
الديار بالاقص أو حال من فاعله أى مهلكين أنفسهم أو من فاعل خرجنا جى به على طريقة الاخبار عنهم كانه
قيل نعم لك أنفسنا أى نخرجنا معكم مهلكين أنفسنا كما فى قولك حلف ليفعلن مكان لا فعلن (والله يعلم أنهم
لكاذبون) أى فى منزهة الشرطية وفيما ادعوا انحناء من اتقاء تحقق المقدم حيث كانوا مستطيعين للخروج
ولم يخرجوا (عفا الله عنك) صريح فى أنه سبحانه وتعالى قد عفا عنه عليه الصلاة والسلام ما وقع منه عند
استئذان المتخافين فى التخلف معتذرين بعدم الاستطاعة واذنه اعتمادا على أيمانهم وموائمتهم نظاؤها عن
المزاحم من ترك الاولى والافضل الذى هو الثانى والتوقف الى انجلاء الامر وانكشاف الحاله وقوله عز
وجل (لم أذن لهم) أى لاى سبب أذنت لهم فى التخلف حين اعتلوا بعللهم بيان لما أشير اليه بالعضوم من ترك
الاولى وإشارة الى أنه ينبغي أن تكون أموره عليه الصلاة والسلام منوطة بأسباب قوية موجبة لها أو ممتصة
وأن ما أبرزوه من معرض التعلل والاعتذار مشقوقا بالايان كان بعزل من كونه سببا للأذن قبل ظهور
صدقه وكنا اللامين متعلقة بالأذن لاختلافهما فى المعنى فان الاولى للتعليل والثانية للتبليغ والضمير المحرور
لجميع المستأذنين وتوجه الانكار الى الاذن باعتبار شموله لكل لا باعتبار تعلقه بكل فرد فردا تحقيق عدم
استطاعة بعضهم كما ينبى عنه قوله سبحانه (حتى يتبين لك الذين صدوا) أى فيما أخبروا به عند الاعتذار
من عدم الاستطاعة من جهة المال أو من جهة البدن أو من جهة ما حسبا عن أهمهم هناك (والم
الكاذبين) فى ذلك فتعامل كلام من الغريقين بما يستحقه وهو بيان لذلك الاولى الافضل وتخصه ضله
عليه الصلاة والسلام عليه فان كلمة حتى سواء كانت بمعنى اللام أو بمعنى الى لا يمكن تعلقها بقوله تعالى لم أذن
لاستلزامه أن يكون اذنه عليه الصلاة والسلام لهم معلا أو مضيا بالتبين والعلم ويكون توجه الاستفهام
اليه من تلك الحثية وذلك بين التساؤل بما يدل عليه ذلك كانه قيل لم سارعت الى الاذن لهم وهلا تأنيت

حتى ينبغي الامر كما هو قضية الحزم قال قتادة وعمر بن ميمون اثنان فعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر
 فيه ما ينشئ اذنه للمنافقين واخذ الفداء من الاسارى فعاتبه الله تعالى كما تسمعون وتغيير الأسلوب بأن عبر
 عن الفريق الاول بالموصول الذي صلته فعل دال على الحدوث وعن الفريق الثاني باسم الفاعل المقصد للدوام
 للايذان بأن ما ظهر من الاولين صدق حادث في امر خاص غير صحيح لنظمهم في سلك الصادقين وأن ما صدر
 من الآخرين وان كان كذبا حادثا متعلقا بأمر خاص لكنه أمر جار على عادتهم المستمرة ناشئ عن رصوخهم
 في الكذب والتعبير عن ظهور الصادق بالتبين وعما يتعلق بالكذب بالعلم لما هو المشهور من أن مدلول الظهور هو
 الصدق والكذب احتمال عقلي فظهر رصده انما هو تبين ذلك المدلول وانقطاع احتمال نقيضه بعدما كان
 محتملا لاه احتمال عقليا وأما كذبه فأمر حادث لادلالة الخبر عليه في الجملة حتى يكون ظهوره تبينه بل هو
 نقيض لمدلوله فإيتعلق به يكون علما مستأنسا واستناده الى ضميره عليه الصلاة والسلام لا الى المعلومات بيناه
 الفعل للمفعول مع استناد التبين الى الاولين لما أن المقصود ههنا علمه عليه الصلاة والسلام بهم ومواخذتهم
 بوجبه بخلاف الاولين حيث لا مواخذة عليهم ومن لم يتبين لهذا حال حتى يتبين لك من صدق في عذره عن كذب
 فيه واستناد التبين الى الاولين وتعلق العلم بالآخرين مع أن مدار الاستناد والتعلق أولا وبالذات هو وصف
 الصدق والكذب كما أشير اليه لما أن المقصد هو العلم بكلا الفريقين باعتبار اتصافهما بصفة ما المذكورين
 ومعاملتهم بما يجب استحقاقهما لا العلم بوصفهما بماذا يتبعهما أو باعتبار قيامهما بما عرفت في هذا وفي تصدير
 فاتحة الخطاب بيشارة العقودون ما يؤهم العتاب من مراعاة جانبه عليه الصلاة والسلام وتعهده بحسن
 المفاوضة ولطف المراجعة ما لا ينبغي على أولى الالباب قال سفيان بن عيينة انظر الى هذا اللطف بدأ بالعفو
 قبل ذكر العقوبة وأخطأ وأساء الادب وبسما فاعل فيما قال وكتب من زعم أن الكلام كثاية عن الجناية
 وأن معناه أخطأت وبسما فاعلت هب أنه كثاية أليس إيتارها على التصريح بالجناية للتلطيف في الخطاب
 والتخفيف في العتاب وهب أن العفو مستلزم للخطأ فهل هو مستلزم لكونه من التبع واستتباع اللائحة
 بحيث يصح هذه المرتبة من المشافهة بالسوء أو يسوغ انشاء الاستتباع بكلمة بسما المنبئة عن بلوغ القبح
 الى رتبة يتوجب منها ولا ينبغي أنه لم يكن في خروجهم مصالحة للدين أو منفعة للمسلمين بل كان فيه فساد وخيال
 حسيما نطق به قوله عز وجل لو خرجوا لخرجوه سبانه كما يفسح عنه قوله تعالى ولكن كره الله اتباعهم
 الآية ثم كان الاولى تأخير الاذن حتى يظهر كذبهم أثر ذي أثر ويشتبهوا على رؤس الاتهام ولا يتمكنوا
 من التمتع بالعيش على الامن والدعة ولا يتسنى لهم الاتهام فيما بينهم بأنهم غزوه عليه الصلاة والسلام وأرضوه
 بالكاذب على أنه لم يمتنا لهم عيش ولا قرأت لهم عين اذ لم يكونوا على أمن واطمئنان بل كانوا على خوف من
 ظهور أمرهم وقد كان (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر) تنبيه على أنه كان ينبغي أن يستدل
 باستئذانهم على حالهم ولا يؤذن لهم أي ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنونك في (أن يجاهدوا بأموالهم
 وأنفسهم) وأن الخلف منهم يادرون اليه من غير توقف على الاذن فضلا عن أن يستأذنونك في الخلف وحيث
 استأذنك هؤلاء في الخلف كان ذلك مثبته للتأني في أمرهم بل دليلا على نفاقهم وقيل المستأذن فيه محذوف
 ومعنى قوله تعالى أن يجاهدوا كراهة أن يجاهدوا ثم قيل المحذوف هو الخلف والمعنى لا يستأذنك المؤمنون
 في الخلف كراهة الجهاد فيتوجه النفي الى الشيد وبه يمتاز المؤمن من المنافق وهو وان كان في نفسه أمر اخفيا
 لا يوقف عليه بادي الامر لكن عامة أحوالهم لما كانت منبئة عن ذلك جعل أمرا ظاهرا متورا وقيل هو
 الجهاد أي لا يستأذنك المؤمنون في الجهاد كراهة أن يجاهدوا بشأه على أن الاستئذان في الجهاد رعا يكون
 لكراهته ولا ينبغي أن الاستئذان في الشيء لكراهته عالا يقع بل لا يعقل ولوسلم وقوعه فلا يستأذن لعله الكراهة
 مما لا يمتاز بحسب الظاهر من الاستئذان لعله الرغبة ولوسلم فالذي نفي عن المؤمنين يجب أن ينبت للمنافقين
 وظاهر أنهم لم يستأذنا في الجهاد لكراهتهم له بل انما استأذنا في الخلف (والله عليهم بالمتقين) شهادة لهم
 بالانتظام في ملك المتقين وعدة لهم بأجل الدواب وتقر برأيتهم ما سبق كأنه قيل والله عليهم بأنهم كذلك
 واشعار بأن ما صدر عنهم معال بالتقوى (انما يستأذنك) أي في الخلف مطلقا على الاول أو لكراهة الجهاد
 على الثاني (الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) تخصيص الايمان بهما في الموضعين للايذان بأن الباعث

على الجهاد بذي النفس والمال انما هو الايمان به - ما اذ به ينسب للمؤمنين استبدال الحياة الابدية والنعيم
المقيم الخالد بالحياة الفانية والمتاع الكاسد (وارتابت قلوبهم) عطف على الصلة واشار صيغة الماضي
للدلالة على تحقق الريب وتترزه (فهم) حال كونهم (في ريبهم) وشكهم المستقر في قلوبهم (يترددون)
اي يتحيرون فان التردد ديدن التحير كما ان النبات ديدن المستبصر والتعبير عنه به مما لا يخفى حسن موقعه
(ولو ارادوا الخروج) يدل على ان بعضهم قالوا عند الاعتذار كازيد الخروج لكن لم تهباله وقد قرب الرحيل
بحيث لا يمكننا الاستعداد قليل تكذيبا لهم لو ارادوه (لا عدوا له) أي للخروج في وقته (عدة) أي أهبة
من الزاد والراحلة والسلاح وغير ذلك مما لا بد منه للسفر وقرئ عدة بمعنى حذف التاء والاضافة الى ضمير الخروج
كما فعل بالعدة من قال وأخلفوا عدة الامر الذي وعدوا أي عدته وقرئ عدة بكسر العين وعدة بالاضافة
(ولكن كره الله اتباعهم) أي نهوضهم للخروج قيل هو استدراك لما يقضيه من مقدم الشرطية فان اتفاه
ارادتم للخروج يستلزم اتفاه خروجهم وكره الله تعالى اتباعهم يستلزم تبطؤهم عن الخروج فكانت
قيل ما خرجوا ولكن تبطؤوا والاتفاق في المعنى لا يمنع الوقوع بين طرفي لكن بعد تحقق الاختلاف نفيا
واثباتا في اللفظ كقولك ما أحسن الى زيد ولكن أساء والاظهر أن يكون استندرا كما من نفس المقدم على
نهج ما في الاقيسة الاستثنائية والمعنى لو ارادوا الخروج لاعتدوا له عدة ولكن ما ارادوه لما أنه تعالى كره
اتباعهم لما فيه من الفساد التي ستبين (فنبطهم) أي حبسهم بالحبس والكل فتببطوا عنه ولم يستعدوا له
(وقيل اعدوا مع القاعدين) تمثيل لالتقاء الله تعالى كراهة الخروج في قلوبهم أو لوسوسة الشيطان بالامر
بالعود أو وهو حكاية قول بعضهم لبعض أو هو اذن الرسول صلى الله عليه وسلم لهم في العود والمراد بالقاعدين
أما المعذورون أو غيرهم وأيا ما كان فغير حال عن الذم (لخرجوا فيكم) بيان لسر كراهته تعالى لاتباعهم
أي لو خرجوا مخالطين لكم (ما زادكم) أي ما أوردكم شيئا من الاشياء (الاخبالا) أي فساد أو شرا
فلا يستثناء مفترغ متصل وقيل منقطع وایس بذلك (ولا وضعوا خلاصكم) أي واسعوا فيما بينكم بالناسم
والتضريب وافساد ذات الدين من وضع البعير وضعا اذا أسرع وأضعته انا أي حملته على الاسراع والمعنى
لا وضعوا ركبهم بينكم والمراد به المبالغة في الاسراع بالناسم لان الركب أسرع من الماشي وقرئ ولا رقصوا
من رقص الناقة أسرع وأرقصتها أنا وقرئ ولا وفضوا أي أسرعوا (يغفونكم الفتن) يحاولون أن يغفونكم
بابتساع الخلاف فيما بينكم والقاء الرعب في قلوبكم وافساد نيائكم والجملة حال من ضمير أضعوا واستئناف
(وفيكم سماعون لهم) أي غمامون يسمعون حديثكم لاجل نقله اليهم أو فيكم قوم ضعفة يسمعون للمنافقين
أي يطيعونهم والجملة حال من مفعول يغفونكم أو من فاعله لاشقاقها على ضمير ما أو مستأنفة واعلمهم
لم يكونوا في كمية العدد وكيفية الفساد بحيث يخل مكانهم فيما بين المؤمنين بأمر الجهاد اخلاصا ولم يكن
فساد خروجهم معادلا لانتفعته ولذلك لم تقتض الحكمة عدم خروجهم فخرجوا مع المؤمنين ولكن حيث كان
انضمام المنافقين القاعدين اليهم مستتبعا للخلل كل كره الله اتباعهم فلم ينسب اجتماعهم فاندفع فسادهم ووجه
العتاب على الاذن في عودهم مع تترزه لاشكاله ونضمن خروجهم لهذه المفساد أنهم لو قعدوا وبغير اذن منه
عليه الصلاة والسلام اظهروا فسادهم فيما بين المسلمين من أول الامر ولم يقدر واعي مخالطتهم والسعي فيما بينهم
بالاراجيف ولم ينسب لهم التمتع بالعيش الى أن يظهر حالهم بقوارع الآيات النازلة (والله عليم بالظالمين) علما
بخطا بنمائرهم وظواهرهم وما فعلوا فيما مضى وما يتأتى منهم فيما سبأ أي ووضع المظهر موضع المضمحل
عليهم بالظلم والتشديد في الوعيد والاشعار بترتبته على الظلم ولعله شامل للفرقتين الساعين والقاعدين
(لقد ابتغوا الفتنة) تشبیهة شملك وتفریق أصحابك منك (من قبل) أي يوم أحد حين انصرف عبد الله بن
أبي بن سلول المنافق عن معه وقد تخلف بمن معه عن تبوك أيضا بعد ما خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم الى
ذي جدة أسفل من ثبة الوداع وعن ابن جريح رضي الله عنه وقفا الرسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية
ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا من المنافقين ليبتكروا به عليه الصلاة والسلام فردهم الله تعالى خاسئين
(وقلبوا الامور) تقلب الامر تصرفه من وجه الى وجه وترديده لاجل التدبير والاجتهاد في المكر والحيلة

يقال للرجل المتصرف في وجوه الحيل حول وقلب أى اجتهدوا ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الآراء
 في إبطال أمرك وقرئ بالتخفيف (حقى جاء الحق) أى النصر والتأييد الإلهي (وظهر أمر الله) غلب دينه
 وعلا شرعه (وهم كارهون) والحال أنهم كارهون لذلك أى على رغم منهم والأتان لتسليم الرسول صلى الله
 عليه وسلم والمؤمنين عن تخلف المتخلفين وبيان ما يبطئهم الله تعالى لاجله وهتك أسرارهم وكشف أسرارهم
 وأزاحه أعذارهم تدارك المعاصي بفوت بالمبادرة إلى الأذن وايداناً بأن ما فات به ليس مما لا يمكن تلافيه
 فهو شال للخطب (ومنهم من يقول انذني) في القعود (ولا تفتني) أى لا توقعني في الفتنة وهي المعصية
 والاثم يريداني متخلف لا محالة اذنت أو لم تأذن فأنذني حتى لا أقع في المعصية بالخالفه أو لا تفتني في الهلكة
 فاني ان خرجت معك هلك مالي وعيالي لعدم من يقوم بصالحهم وقيل قال الجذب بن قيس قد علمت الانصار اني
 مشتهر بالنساء فلا تفتني بنات الاصفر يعني نساء الروم ولكن أعينك بعالي فاتركني وقرئ ولا تفتني من أفتنه
 بمعنى فتنه (ألا في الفتنة) أى في عينها ونفسها وأكل أفرادها الغنى عن الوصف بالكمال الحقيقي باختصاص
 اسم الجنس به (سقطوا) لا في شئ مغاير لها فضلاً عن أن يكون مهراباً ومخلصاً عنها وذلك بما فعلوا من العزيمة
 على التخلف والجراعة على الاستئذان بهذه الطريقة الشنيعة ومن القعود بالاذن المبسني عليه وعلى
 الاعتذارات الكاذبة وقرئ بأفراد الله لم يحافظوا على لفظ من وفي تصدير الجملة بحرف التنبيه مع تقديم
 الظرف ايذان بأنهم وقعوا فيها وهم يحسبون أنها منجى من الفتنة زعماءهم أن الفتنة انما هي التخلف
 بغير اذن وفي التعبير عن الافتتان بالسقوط في الفتنة تنزيل لها منزلة المهواة المهلكة المنهكة عن ترتيبهم
 في دركات الردى أسفل سافلين وقوله عز وجل (وان جهنم محيط بالكاافرين) وعيد لهم على ما فعلوا
 معطوف على الجملة السابقة داخل تحت التنبيه أى جامعة لهم يوم القيامة من كل جانب وايشار بالجملة
 الاسمية للدلالة على الثبات والاستقرار ومحيط بهم الآن تنزيلاً لشيء سيقتع عن قريب منزلة الواقع أو وضعاً
 لأسباب الشئ موضعه فان مبادئ احاطة النار بهم من الكفر والمعاصي محيط بهم الآن من جميع الجوانب
 ومن جعلت ما فتر وامنهم وما سقطوا فيه من الفتنة وقيل تلك المبادئ المتشكلة بصور الاعمال والاخلاق هي
 النار بعينها ولكن لا يظهر ذلك في هذه النشأة وانما يظهر عند تشككها بصورها الحقيقية في النشأة الآخرة
 والمراد بالكاافرين اما المنافقون وايشار وضع المظهر وضع المنعزل لتسجيل عليهم بالكفر والاشعار بأنه
 معظم أسباب الاحاطة المذكورة واما جميع الكافرين الشاملين للمنافقين فهو لا أوليا (ان تصيبك)
 في بعض مغازيك (حسنة) من الظفر والغنية (سوءهم) تلك الحسنات أى يورثهم مساءة لقرط حدهم
 وعداوتهم لك (وان تصيبك) في بعضها (مصيبة) من نوع شدة (يفولوا) متبجحين بما صنعوا حامدين
 لأنهم (قد أخذنا أمراً) أى تلافينا ما بهم من الامر يعنون به الاعتزال عن المسلمين والقعود عن
 الحرب والمداراة مع الكفرة وغير ذلك من أمور الكفر والنفاق قولوا فعلا (من قبل) أى من قبل اصابة
 المصيبة في وقت تداركك يشيرون بذلك الى أن المعاملة المذكورة انما تروج عند الكفرة بوقوعها حال قوة
 الاسلام لابعاد اصابة المصيبة (يفولوا) عن مجلس الاجتماع والتحدث الى أهاليهم أو يعرضوا عن النبي صلى
 الله عليه وسلم (وهم فرحون) بما صنعوا من أخذ الامر وبما أصابه عليه الصلاة والسلام والجملة حال
 من الضمير في يقولوا ويفولوا في الاخرة فقط لمقارنة الفرح لهم بما حال المصيبة بأن يقال وان تصيبك مصيبة
 تسررهم لا ايدان باختلاف حالهم حالتي عروضا المساءة والمسرّة بأنهم في الاولى مضطرون وفي الثانية
 مختارون (قل) بياناً لبلال ما يروا عليه مسرّتهم من الاعتقاد (ان يصيبنا) ابدأ وقرئ هل يصيبنا وهل
 يصيبنا من فعل لا من فعل لانه واوى يقال صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب (الاما كتب الله لنا)
 أى أثبتة لمصلحتنا الدينية أو الاخرية من النصرة عليكم أو الشهادة المؤقتة الى النعيم الدائم (هو مولانا)
 ناصرنا ومتولى أمورنا (وعلى الله) وحده (فليتوكل المؤمنون) التوكل تفويض الامر الى الله والرضا
 بما فعله وان كان ذلك بعد ترتيب المبادئ العادية والفاء للدلالة على السببية والاصل ليتوكل المؤمنون على الله

قدّم الطرف على الفعل لا فائدة القصرتم أدخل الفاء للدلالة على استجابة تعالى للتوكل عليه كما في قوله تعالى
واياي قارهبون والجملة ان كانت من تمام الكلام المأمور به فأنظرها الى اسم الجليل في مقام الاضمار لاظهار
التبرك والتلذذ به وان كانت موقفة من قبله تعالى أمر المؤمنين بالتوكل اثر أمره عليه الصلاة والسلام
بما ذكره فالامر ظاهر وكذا إعادة الامر في قوله عز وجل (قل هل تربصون بنا) لانقطاع حكم الامر
الاول بالاشافي وان كان أمر الغائب وأما على الوجه الاول فهي لابرار كمال العناية بشأن المأمور به والاشعار
بما بينه وبين ما أمر به أولا من الفرق في السياق والتربص التكتل مع انتظار محبي شيء خيرا كان أو شرا
والبناء للتعدي واحدى التامين محذوفة أى ما تنتظرون بنا (الاحدى الحسينين) أى العاقبتين اللتين
كل واحدة منهما هى حسنى العواقب وهما النصر والشهادة وهذا نوع بيان لما أمرهم في الجواب الاول
وكشف حقيقة الحال باعلام أن ما يرغمونه مضره للمسلمين من الشهادة أنفع مما به تدونه من منفعة من النصر
والغنية (وحن تربص بكم) احدى السورين من العواقب اما (أن يصيبكم الله بعذاب من عنده) كما أصاب
من قبلكم من الامم المهلكة والطرف صفة عذاب ولذلك حذف عامله وجوبا (أو) بعذاب (بأيدينا) وهو
القتل على الكفر (تربصوا) الفاء فصحة أى اذا كان الامر كذلك فتربصوا بنا ما هو عاقبتنا (انامعكم
تربصون) ما هو عاقبتكم فاذا اتى كل منا ومنكم ما يترجمه لانشاهدون الامايسرنا ولا نشاهد الامايسرهم
(قل أنفقوا) أموالكم في سبيل الله (طوعا أو كرها) مصدران وقعا موقع الفاعل أى طائعتين أو كارهين
وهو أمر في معنى الخبر كقوله تعالى استغفر لهم أولا تستغفر لهم والمعنى أنفقتم طوعا أو كرها (ان يقبل
منكم) ونظم الكلام في سلك الامر للمبالغة في بيان تساوى الامرين في عدم القبول كأنهم أمر وأبأن
يقتضوا الحال فينفقوا على الخاليين فينظروا هل يقبل منهم فبشاهدوا عدم القبول وهو جواب قول جدين
قيس ولكن أعينك بما لى ونفى القبول بحتمل أن يكون بمعنى عدم الاخذ منهم وأن يكون بمعنى عدم الاغاية عليه
وقوله عز وجل (انكم كنتم قوما فاسقين) أى عاتين متبردين تعاليل لرد انصافهم (وما منهم من أن يقبل منهم)
وقرى بالتخاتية (نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله) استنفاء من أعين الاشياء أى ما منهم قبول نفقاتهم
منهم شيء من الاشياء الا كفرهم وقرى يقبل على البناء للفاعل وهو الله تعالى (ولا يأتون الصلوة الا وهم
كسالى) أى لا يأتونها في حال من الاحوال الاحال كونهم متناقضين (ولا ينفقون الا وهم كارهون) لانهم
لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا فتقوله تعالى طوعا أى من غير الزام من جهته عليه الصلاة
والسلام لارغبة أو هو فرضى لتوسيع الدائرة (فلاننجيك أموالهم ولا أولادهم) فان ذلك استدراج لهم
ووبال عليهم حسبا فيئ عنه قوله عز وجل (انما يريد الله ليذهب بهما في الحياة الدنيا) بما يكابدون لجهنما
وحفظها من المتاع وما يقاسون فيها من الشدائد والمصائب (وتزهي أنفسهم وهم كافرون) فيموتوا
كافرين مستغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك لهم نعمة لانعمة وأصل الزهوق الخروج بصعوبة
(ويحافظون بالله انهم لمنكم) في الدين والاسلام (وما هم منكم) في ذلك (ولكنهم قوم يفرقون) يحافظون
أن يفعل بهم ما يفعل بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية ويؤيدونه بالايان الفاجرة (لويجدون ملجأ) استئناف
مقرر لمضمون ما سبق من أنهم ليسوا من المسلمين وأن التجاءهم الى الانتماء اليهم انما هو للتقية اضطرابا حتى
انهم لو وجدوا غير ذلك ملجأ أى مكانا حصينا يلجئون اليه من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة وايضا رصيفة
الاستقبال في الشرط وان كان المعنى على المضي لا فائدة استمرار عدم الوجدان فان المضارع المنى الواقع
موقع الماضي ليس ناصا في افادة استفاء استمرار الفعل كما هو الظاهر بل قديفدا استمرار انتفاءه أيضا حسبا
بقتضيه المقام فان معنى قولك لو تحسن الى لشكرتك أن انتفاء الشكر بسبب استمرار انتفاء الاحسان لا انه
بسبب انتفاء استمرار الاحسان فان الشكر يتوقف على وجود الاحسان لا على استمراره كما حقق في موضعه
(أو مغارات) أى غير انا وكهوف فيخفون فيها أنفسهم وقرى بضم الميم من أغار الرجل اذا دخل الغور وقيل
هو معتد من غارا اذا دخل الغور أى أمكنة يغيرون فيها أشخاصهم وأهلهم ويجوز أن يكون من أغار الغلب
اذا أسرع بمعنى مهارب ومغار (أو مدخلا) أى نفقا يندسون فيه ويصغرون وهو مفتعل من الدخول وقرى

مدخل من المدخل ومدخل من الادخال أى مكانا يدخلون فيه أنفسهم وقسرى متدخلا ومنسدا دخلا
من المدخل والاندخال (لولا) أى اصر فوا وجوههم وأقبلوا وقرئ لولوا أى لا تتجاءوا (البه) أى الى
أحمد ما ذكر (وهم يجمعون) أى يسرعون بحيث لا يردعهم شئ من القرس الجوح وهو الذى لا يثنيه اللجام
وفيه اشعار بكمال عقوهم وطغيانهم وقرئ يجمعون بمعنى يجمعون ويشتمون ومنه الجازة (وممنهم من يلزك)
بكسر الميم وقرئ بنهها أى يعيبك سراً وقرئ يلزك ويلامزك مبالغة (في الصدقات) أى فى شأنها وقسمتها
(فان أعطوا منها) بيان لفساد ازمهم وأنه لا منشأ له سوى حرصهم على حطام الدنيا أى ان أعطوا منها قدر
ما يريدون (رضوا) بما وقع من القسمة واستحسنوها (وان لم يعطوا منها) ذلك المقدار (اذا هم يستخطون)
أى يضاجون السخط واذا اناب مناب فاء الجزاء قبل نزات الآية فى أبى الجواط المنافق حيث قال ألا ترون
الى صاحبكم يتقسم صدقاتكم فى رعاة الغنم ويرغم أنه يعدل وقيل فى ابن ذى النوى بصرة وأسمه حرقوس
ابن زهير التميمي رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب أهل مكة
بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام وذاك ان لم أعدل فن يعدل وقيل هم
المؤلفة قلوبهم والاول هو الاظهر (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله) أى ما أعطاهم الرسول صلى الله عليه
وسلم من الصدقات طيبى النفوس به وان قيل وذكر الله عز وجل للتعظيم والتثنية على أن ما فعله الرسول
صلى الله عليه وسلم كان بامر من سبحانه (وقالوا حسبنا الله) أى كفا ناضله ومنعه بنا وما قسمه لنا (سيفينا
الله من فضله ورسوله) بعد هذا حسبنا ترجو ونؤمل (انا الى الله راغبون) فى أن يخولنا فضله والآية بأسرها فى
حيز الشريط والجواب مخدوف بناء على ظهوره أى لكان خير الهم (انما الصدقات) شروع فى تحقيق حقيقة ما
صنعه الرسول صلى الله عليه وسلم من القسمة ببيان المصارف وردقاته القالة فى ذلك وحسم لاطماهم الفارغة
المنية على زعمهم الفاسد ببيان أنهم معزله من الاستحقاق أى جنس الصدقات المشقة على الأنواع المختلفة
(للهنر والمساكين) أى مخصوصة بهؤلاء الاصناف الثمانية الآتية لا تتجاءزهم الى غيرهم كأنه قيل انما عي
لهم لا غيرهم فالتدوين لعلقة بينهما وبينهم يقولون فيها ما يقولون وما سوغهم أن يتكاملوا فيها وفى قائمها
والفقير من له أدنى شئ والمساكين من لا شئ له هو المروى عن أى حنيفة رضى الله عنه وقد قيل على العكس
ولكل منهما وجه يدل عليه (والعالمين عليها) الساعين فى جمعها وتخصيلها (والمؤلفة قلوبهم) هم أصناف
فهم أنصار من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألفهم ليسلموا فغير شغلهم ومنهم قوم أسلموا
وبنائهم ضعيفة فيؤلف قلوبهم بأجرال العطاء كعبينة بن حصن والقرع بن حابس والعباس بن مرداس ومنهم
من يترقب باعطائهم اسلام نظرائهم ولعل الصنف الاول كان يعطيه الرسول صلى الله عليه وسلم من خمس الخمس
الذى هو خالص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشئ منها على قتال الكفار وما نعى الزكاة وقد سقط سهم
هؤلاء بالاجماع لما أن ذلك كان لتكثير سواد الاسلام فلما أوزم الله عز وجل وأعلى كلمته استغنى عن ذلك
(وفى الرقاب) أى وللصرف فى ذلك الرقاب بأن يعان المساكين بشئ منها على أداء نجومهم وقيل بأن يفدى
الاسارى وقيل بأن يتباع منها الرقاب فتمسك وأبائما كان فالعدل عن اللام لعدم ذكرهم بعنوان صحيح
للمالكية والاختصاص كالذين من قبلهم أولاد الذين بعدهم قرار ملكهم فيما أعطوا وكفى الوجهين الاولين
أو بعدم ثبوته رأسا كفى الوجه الاخير وللأشعار برسوخهم فى الاستحقاق الصدقة لما أن فى النظرية المنبئة
عن احاطتهم بها وكونهم محلها ومركزها (والانصار من) أى الذين تداينوا لانفسهم فى غير معصية اذا لم يكن
لهم نصاب فاضل عن دينهم وكذلك عند الشافعى رضى الله عنه من غرم لاصلاح ذات البين والاطفاء للنائرة
بين القبيلتين وان كانوا أغنياء (وفى سبيل الله) أى فقراء الغزاة والحجج والمنقطع بهم (وابن السبيل) أى
المسافر المنقطع عن ماله وتكرر الظرف فى الاخيرين للإيدان بزيادة فضلهم ما فى الاستحقاق أولما ذكر
من ارادها بعنوان غير صحيح للمالكية والاختصاص فهذه مصارف الصدقات فلا تصدق أن يدفع صدقة
الى كل واحد منهم وأن يقتصر على من قبلهم لان اللام لبيان أنهم مصارف لا تخرج عنهم لالابسات الاستحقاق
وقد روى ذلك عن عمرو بن عباس وحذيفة رضى الله عنهم وعند الشافعى لا يجوز الآن بصرف الى ثلاثة

قوله الجازة هي ذراعة
من صوف كفى القاموس
أ ه منجحه

من تلك الاصناف (فريضة من الله) صدر عن كماله عليه صدر الآية أي فرض لهم الصدقات فريضة ونقل عن سيبويه أنه منصوب بفعله مقدرا أي فرض الله ذلك فريضة أو حال من الضمير المستكن في قوله لافقرأ أي انما الصدقات كائنة اهل حال كونها فريضة أي مفروضة (والله اعلم) بأحوال الناس ومراقب استحقاقهم (حكيم) لا يفعل الاما تفتت فيه الحكمة من الامور الحسنة التي من جملتها سوق الحقوق الى مستحقها (ومنهم الذين يؤذون النبي) نزلت في فرقة من المنافقين قالوا في حقه عليه الصلاة والسلام ما لا ينبغي فتال بعضهم لا تفعلوا فانما تخاف أن يبلغه ذلك فيقع بنا فتال الجلاس بن سويد يقول ما شئنا ثم نأتيه فننكر ما قلنا ونخاف فيصدقنا بما نقول انما محمد أذن سامعة وذلك قوله عز وجل (ويقولون هو أذن) أي يسمع كل ما قيل من غير أن يتدبر فيه ويميز بين ما يليق بالقبول لمساعدة أمارات الصدق له وبين ما لا يليق به وانما قالوه لانه عليه الصلاة والسلام كان لا يواجههم بسوء ما صنعوا او يصنع عنهم حلا وكر ما فعلوه على سلامة القلب وقالوا ما قالوا (قل أذن خير لكم) من قبيل رجل صدق في الدلالة على المبالغة في الجود والصالح كانه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الاذن ويجوز أن يكون المراد أذنا في الخير والحق وفيما ينبغي سماعه وقبوله لا في غير ذلك كما يدل عليه قراءة درجة بالجر عطا عليه أي هو أذن خير ودرجة لا يسمع غيرهما ولا يقبله وقسرى أذن يسكون الذال فيها وقرى أذن خير على أنه صفة أو خبر ثان وقوله عز وجل (يومن بالله) تفسير لكونه أذن خير لهم أي يصدق بالله تعالى لما قام عنده من الأدلة الموجبة له وكون ذلك خيرا للمخاطبين كما أنه خير لعاين مما لا يخفى (ويؤمن للمؤمنين) أي يصدقهم لماعلم فيهم من الخلو واللام مزيدة للفرقة بين الايمان المشهور وروين الايمان بمعنى التسليم والتصديق كما في قوله تعالى تؤمن لك الخ وقوله تعالى فآمن لموسى الخ (ورجعة) عطف على أذن خير أي وهو درجة بطريق اطلاق المصدر على الفاعل للمبالغة (لذين آمنوا منكم) أي للذين أظهر وا الايمان منكم حيث يقبله منهم لكن لا تصديقاهم في ذلك بل رفقاهم وترجماء عليهم ولا يكشف أسرارهم ولا يمتك أسرارهم واستناد الايمان اليهم بصيغة الفعل بعد نسبتهم الى المؤمنين بصيغة الفاعل المنبئة عن الروح والاستمرار لا يان بأن ايمانهم أمر حادث مالم ين قرار وقرى بالنصب على أنه ساعلة الفعل دل عليه أذن خير أي يأذن لكم درجة (والذين يؤذون رسول الله) بالنقل عنهم من قولهم هو أذن ونحوه وفي صيغة الاستقبال المشعرة بترتب الوعيد على الاستمرار على ما هم عليه اشعار بقبول توبيخهم كذا أفصح عنه قوله تعالى فيما سيأتي فان يترى بوايك خير الله (لهم) بما يجتهدون عليه من أذيتهم عليه الصلاة والسلام كما ينبغي عنه بناء الحكم على الموصول (عذاب اليم) وهذا اعتراض مسوق من قبله عز وجل على نهج الوعيد غير داخل تحت الخطاب وفي تكرير الاستناد بآيات العذاب الاليم لهم ثم جعل الجملة خبرا للموصول ما لا يخفى من المبالغة وإيراده عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة مضافا الى الاسم الجليل لغاية التعظيم والتبعية على أن أذيتهم راجعة الى جنايه عز وجل موجبة لكمال السخط والغضب (يخلفون بالله لكم) الخطاب للمؤمنين خاصة وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعين ثم يأتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالايمان ليعذروهم ويرضوا عنهم أي يخلفون لكم أنهم ما قالوا ما نقل اليهم مما يورث أذاة النبي صلى الله عليه وسلم وأما التخلف عن الجهاد فليس بداخل في هذا الاعتذار (يرضوكم) بذلك وافراد رضائهم بالتعليل مع أن عدة أغراضهم ارضاء الرسول صلى الله عليه وسلم وقد قبل عليه الصلاة والسلام ذلك منهم ولم يكذبهم لانيان بأن ذلك يعجزل من أن يكون وسيلة الى ارضائه عليه الصلاة والسلام وأنه صلى الله عليه وسلم انما يكذبهم رفقاهم وسرا لعيوبهم لاعتراضهم بفاعلا كما أشير اليه (والله ورسوله أحق أن يرضوه) أي أحق بالارضاء ولا يتسنى ذلك الا بالمطاعة والامتاعة وايضا حقوقه عليه الصلاة والسلام في باب الاجلال والاعظام مشهدا ومغيبا وأما ما أنوبه من الايمان الفاجرة فانما يرضى به من انحصر طريق علمه في الاخبار الى أن يجي الحق ويرهق الباطل والجللة نصب على الحالية من ضمير يخلفون أي يخلفون لكم لارضائكم والحال أنه تعالى ورسوله أحق بالارضاء منكم أي يعرضون عما يهجمهم ويحديهم ويشتغلون بما لا يعنيههم وافراد الضمير في رضوه اما لانيان بأن رضاءه عليه الصلاة والسلام مندرج تحت رضاه سبحانه وارضائه عليه الصلاة والسلام ارضاءه تعالى لقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وأما لانه مستعار لاسم الإشارة الذي يشار به الى

الواحد والمتعدد بتأويل المذكور كما في قول رؤبة

ففيها خطوط من سواد وبلق * كأنه في الجلد تولى بلبق

أي كأن ذلك لا يقال أي حاجة إلى الاستعارة بعد التأويل المذكور لأننا نقول لولا الاستعارة لم يتسن التأويل لما أن الخبر لا يعترض الالذات ما يرجع إليه من غير تعرض لوصف من أوصافه التي من جملتها المذكورية وإنما المعترض لها اسم الإشارة وأما لأنه عائد إلى رسوله والكلام بجلتان حذف خبر الأولى لدلالة خبر الثانية عليه كما ذهب إليه سيدييه ومنه قول من قال

نحن بما عندنا وأنت بما * عندك راض والرائي مختلف

أولى الله على أن المذکور خبر الجملة الأولى وخبر الثانية محذوف كما هو رأي المبرد (إن كانوا مؤمنين) جوابه محذوف تعويلا على دلالة ما سبق عليه أي إن كانوا مؤمنين فليرضوا الله ورسوله بما ذكرناه ما أحق بالارضاء (ألم يعلموا) أي أو أئلك المنافقون والاستثناء لتوبيخ على ما أقدموا عليه من العظيمة مع علمهم بسوء عاقبتها وقسري بالنساء على الالتفات لزيادة التوبيخ والتوبيخ أي ألم يعلموا بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم من فزون القوارع والاندارات (أنه) أي الشأن (من يحسد الله ورسوله) المحادة من الحد كالمشاققة من الشق والمحاداة من العدو بمعنى الجانب فإن كل واحد من مباشري كل من الأفعال المذكورة في محمل غير محمل صاحبه ومن شرطية جوابها قوله تعالى (فإن له نار جهنم) على أن خبره محذوف أي فحق أن له نار جهنم وقرئ بكسر الهمزة والجملة الشرطية في محل الرفع على أنها خبر لآن وهي مع خبرها ساذجة مستدقة ففعول يعلموا وقيل المعنى فله وأن تكرير الأولى تأكيد الطول العهد لآمن باب التأكيد اللغوي المانع للأولى من العمل ودخول الفاء كما في قول من قال

لقد علم الحى النجاة أنى * إذا قلت أما بعد أنى خطيبها

وقد يجوز أن يكون فإن له معطوفا على أنه ويجواب الشرط محذوف تقديره ألم يعلموا أنه من يحسد الله ورسوله لا فإن له الخ ورد بأن ذلك اغما يجوز عند كون فعل الشرط ماضيا أو مضارا عاجزا وما لم (خالدا فيها) حال مقدرة من الضمير المجزور وان اعتبر في الطرف ابتداء الاستعارة وحدوثه وان اعتبر مطلق الاستعارة فالامر ظاهر (ذلك) أشير إلى ما ذكر من العذاب الخالد بذلك أي أنما بعد درجته في الهول والقطاعة (الخرى العظمى) الخرى الذل والهوان المقارن للفضيحة والندامة وهي غرات تنافهم حيث يشتصون على

رؤس الأشهاد بظهورها وطلوع العذاب الخالد بهم والجملة تذييل لما سبق (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم) في شأنهم فإن ما نزل في حقهم نازل عليهم (سورة تنبئهم بما في قلوبهم) من الأسرار الخفية فضلا عما كانوا يظهرونه فيما بينهم من أقاويل الكفر والنفاق ومعنى تنبئهم بما في قلوبهم مع أنه معلوم لهم وأن المحذور عندهم اطلاع المؤمنين على أسرارهم لا اطلاع أنفسهم عليها أنها تضيع ما كانوا يخفونه من أسرارهم فتستشرفها بين الناس فيسبونها من أقوال الرجال مذاعة فكأنها تخبرهم بها أو المراد بالتنبيه المباعدة في كون السورة مشتملة على أسرارهم كأنهم سألوا من أحوالهم الباطنة ما لا يعلمونه فتنبئهم بها وتنبي عليهم قبايحهم وقيل معنى يحذر يحذر وقيل التنبيه أن الأولان للمؤمنين والثالث للمنافقين ولا يسأل بالتفكير عند ظهور الأمر بعود المعنى إليه أي يحذر المنافقون أن تنزل على المؤمنين سورة تخبرهم بما في قلوب المنافقين وتمتلك عليهم أسرارهم قال أبو مسلم كان أظهرا لحذرهم بطريق الاستهزاء فانهم كانوا إذا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر كل شيء ويقول أنه بطريق الوحى يكذبونه ويستهزئون به ولذلك قيل (قل استهزؤا) أي افعلوا الاستهزاء وهو أمر تهديد (إن الله مخرج) أي من القوة إلى الفعل أو من الكمون إلى البروز (ما تحذرون) أي ما تحذرونه من انزال السورة ومن يخازيكم ومثالبكم المستكنة في قلوبكم الفاضحة لكم على ملا الناس والتأكيد لذكر أنكارهم بذلك لالافع ترددهم في وقوع المحذور وإذ ليس حذرهم بطريق الحقيقة (ولئن سألتهم) عما قالوا (أيقون أنما كنا نخوض ونلعب) روى أنه عليه الصلاة والسلام كان يسير في غزوة تبوك وبين يديه ركب من المنافقين يستهزئون بالقرآن وبالرسول صلى الله عليه وسلم ويقولون

انظروا الى هذا الرجل يريد أن يفتح حصون الشام وقصورها هيئات هيئات فأطاع الله تعالى نبيه على ذلك فقال احبوا عليّ الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كافي شيء من أمرك ولا من أمر أصحابك ولكن كفا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر (قل) غير ملتفت الى اعتذارهم ناعيا عليهم جنباياتهم منزلا لهم منزلة المعترف بوقوع الاستهزاء وبخالهم على اخطائهم موقع الاستهزاء (ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون) حيث عقب حرف التقرير بالاستهزاء ولا يستقيم ذلك الا بعد تحقق الاستهزاء وثبوته (لا تعتذروا) لا تشتموا غلوا بالاعتذار وهو عبارة عن محو أثر الذنب فانه معلوم الكذب بين البطالان (قد كثرتم) أظهرتم الكفر يا أيها الرسول صلى الله عليه وسلم والطعن فيه (بعدايمانكم) بعد اظهركم له (ان نعم عن طائفة منكم) اتوبتهم واخلاصهم أو تحنيتهم عن الايذاء والاستهزاء وقسري ان يوقف على اسناد الفعل الى الله سبحانه وقسري على البناء للمفعول مستندا الى التلطف بتذكير الفعل وبثانيته أيضا ذهابا الى المعنى كأنه قيل ان ترحم طائفة (تعذب) بنون العظمة وقسري بالياء على البناء للفعل وبالياء على البناء للمفعول مستندا الى ما بعده (طائفة بأنهم كانوا مجرمين) مصرين على الاجرام وهم غير التائبين أو مباشرين له وهم غير المجتنبين قال محمد بن ابي حنيفة عن رجل واحد هو يحيى بن حبر الاشجبي لما زات هذه الآية تاب عن نقاشه وقال اللهم اني لا أزال أسمع آية تنشق عنها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول أحد أنا غلبت أنا كفت أنا دفت فأصيب يوم القيامة نفا أحد من المسلمين الا عرف مصرعه غيره (المساقون والمناقات) التعرض لحوال الاناث للاذيان بكال عراقهم في الكفر والتناق (بعضهم من بعض) أي متشابهون في النفاق والبعد عن الايمان كأعضاء الشيء الواحد بالشخص وقيل أريد به نفي أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في حلقهم بالله انهم منكم وتقرير قوله تعالى وما هم منكم وقوله تعالى (يا أمرون بالملك) أي بالكفر والمعاصي (ويهنون عن المعروف) أي عن الايمان والطاعة استئناف مقترن لهنوع ما سبق ومفصّل عن مضادة حال المؤمنين أو خير ثان (ويقبضون أيديهم) أي عن الملامات والانفاق في سبيل الله فان قبض اليد كناية عن النسخ (سوا الله) أغفلوا ذكره (فسيهم) فتركهم من رحمته وفضله وخذاهم والتعبير عنه بالنسيان للمشاكلة (ان المناقطين هم السابقون) الكاملون في التردد والنسق الذي هو الخروج عن الطاعة والانسلاخ عن كل خير والاطهار في موقع الاشعار لزيادة التقرير كافي قوله تعالى (وعدا الله المنافقين والمنافقات والكفار) أي الجاهرين (نار جهنم خالدين فيها) مقدرين الخلود فيها (هي حسبيهم) عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عقابها وعذابها (ولعنهم الله) أي أبعدهم من رحمته وأهلنهم وفي اظهار الاسم الجليل من الايدان بشدة السخط مالا يخفى (ولهم عذاب مقيم) أي نوع من العذاب غير عذاب النار دائم لا ينقطع أبدا ولهم عذاب مقيم معهم في الدنيا لا ينقطع عنهم وهو ما يقاسونه من تعب النفاق الذي هم منه في بليدة دائمة لا يأمنون ساعة من خوف الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على أسرارهم (كالذين من قبلكم) التفات من الغيبة الى الخطاب للتشديد والكاف في محل الرفع على الخبرية أي أنتم مثل الذين من قبلكم من الامم المهلكة أو في حيز النصب بفعل مقدر أي فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم (كانوا أشد منكم قوة وأكثر احوالا وأولادا) تفسير ويبيان لشبههم بهم وتغيب لخالهم بحالهم (فاستمتعوا) تمتعوا وفي صيغة الاستعمال ما ليس في صيغة المفعول من الاستزادة والاستدامة في التمتع (بجلاقتهم) بنهيهم من ملاذ الدنيا واستمتاعه من الخلق يعني التقدير وهو ما قدر لصاحبه (فاستمتعتم بجلالكم كما استمتع) الكاف في محل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي استمتعا كما استمتعوا (الذين من قبلكم بجلاقتهم) ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم الخبيثة من الشهوات الفانية والتهائم بها عن النظر في العواقب الحقة واللذات الحقيقية عهد الذم الخاطئين بمشابهتهم اياهم واقتنائهم أثرهم (وخضتم) أي دخلتم في الباطل (كالذي خاضوا) أي كالذين باستنطاق النون أو كالقوج الذي أو كالخوض الذي خاضوه (أو أهلك) إشارة الى المتصفين بالاولا وصف المعدودة من المشبهين والمشبه بهم لا الى الفريق الاخير فقط فان ذلك يقتضي أن يكون حبوط أعمال المشبهين وخسرانهم مفهوما ضمنيا لا صريحا ويؤدى الى خلوتهم

الخطاب عن الفائدة اذ الظاهر حينئذ اولئككم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من يصلح للخطاب
 أى أولئك الموصوفون بما ذكر من الافعال الذميمة (حبطت أعمالهم) ليس المراد بها أعمالهم المعدودة
 كما يشعره التعبير عنهم باسم الإشارة فان غائلتها غنية عن البيان بل أعمالهم التى كانوا يصحون بها أجورا
 حسنة لو قارنت الايمان أى ضاعت وبطلت بالسكينة ولم يرتب عليها أثر (فى الدنيا والآخرة) بطريق
 المثوية والكرامة أتمنى الآخرة فظاهروا فى الدنيا فلا تنماى ترتب على أعمالهم فيها من الصحة والسعة
 وغير ذلك حسبا يبنى عنه قوله عز وجل "من كان يريد الخيرة الدنيا وزينة فانوف اليهم أعمالهم فيها وهم
 فيها لا يخسرون ليس ترتبه عليها على طريقة المثوية والكرامة بل بطريق الاستدراج (وأولئك) أى
 الموصوفون بحبوط الاعمال فى الدارين (هم الخاسرون) الخاسرون فى الخسران فى الدارين الخاسرون
 لمباديه وأسبابه طرأ فانه قد ذهبت رؤس أموالهم التى هى أعمالهم فيما ضرتهم ولم ينفعهم قط ولو أنها ذهبت
 فيها لا يضرهم ولا ينفعهم لكنى به خسرانا وإرادتهم الإشارة فى الموضوعين للاشعار بعلمية الاوصاف المشار
 اليها للحيوط والخسران (ألم يأتهم) أى المنافقين (نبا الذين من قبلهم) أى خبرهم الذى له شأن وهو
 ما فعلوا وما فعل بهم والاستفهام للتقرير والتحذير (قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين)
 وهم قوم شعيب (والمؤتفكات) قريات قوم لوط انتفكت بهم أى انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وأمطروا
 سجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين وانتفكات كهن انقلاب أحوالهن من الخير الى الشر (اتتهم رسالهم
 بالبينات) استأنف البيان بنبههم (فما كان الله ليظلمهم) الفاء للعطف على مقدر يشجب عليه الكلام
 ويستدعيه النظام أى فكذبوهم فأهلكهم الله تعالى فما ظلمهم بذلك وإشارته على التظلم الكريم
 للمبالغة فى تنزيهه ساحة السجنان عن الظلم أى ماصح وما استقام له أن يظلمهم ولكنهم ظلموا أنفسهم وبالجموع
 بين صيغتي المانئ والمستقبل فى قوله عز وجل "ولكن كانوا أنفسهم يظلمون" للدلالة على استقرار
 ظلمهم حيث لم ير الزواجر ضوئها للعتاب بالكفر والتكذيب وتقديم المفعول لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة
 من غير قصد الى قصر المظلمية عليهم على رأى من لا يرى التقديم موجبا للتقصير فيكون كافى قوله تعالى وما
 ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم من غير قصر للظلم على الفاعل أو المفعول وسيجيى لهذا مزيد بيان فى قوله سبحانه
 ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) بيان
 لحسن حال المؤمنين والمؤمنات حالا وما لاثريان فمع حال أضدادهم عاجلا وأجلا والتعبير عن نسبة
 هؤلاء بعضهم الى بعض بالولاية وعن نسبة أولئك الى الاتصال بالايذان بأن نسبة هؤلاء بطريق القرابة
 الدينية المبنية على المعاهدة المستتمة للآثار من المعونة والنصرة وغير ذلك ونسبة أولئك بمقتضى الطبيعة
 والعادة (يا أمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) أى جنس المعروف والمنكر المتضمنين لكل خير وشر
 (ويقيمون الصلاة) فلا يزالون يذكرون الله سبحانه فهو فى مقابلة ما سبق من قوله تعالى نسوا الله (ويؤتون
 الزكاة) بمقابلة قوله تعالى ويقيمون أيديهم (ويطيعون الله ورسوله) أى فى كل أمر ونهى وهو بمقابلة
 وصف المنافقين بكمال الفسق والخروج عن الطاعة (أولئك) إشارة الى المؤمنين والمؤمنات باعتبار انصافهم
 بمسلف من الصفات الفاضلة وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعدهم فى الفضل أى أولئك المنعوفون
 بما فصل من النعوت الجليلة (سبحهم الله) أى يفيض عليهم آثار رحمة من التأيد والنصرة البتة فان السبح
 مؤكدة لوقوع كافى قولك سأنتقم منك (ان الله عزيز) تعليل للوعد أى قوى قادر على اعزاز أوليائه وقهر
 أعدائه (حكيم) يبنى أحكامه على أساس الحكمة الداعية الى ايصال الحقوق من النعمة والنعمة
 الى مستحقها من أهل الطاعة وأهل المعصية وهذا وعد للمؤمنين متضمن لوعيد المنافقين كما أن ما سبق
 فى شأن المنافقين من قوله تعالى فنسيهم وعيداهم متضمن لوعيد المؤمنين فان منع لطفه تعالى عنهم لطف
 فى حق المؤمنين (وعدا الله المؤمنين والمؤمنات) تفصيل لا تار رحمة الاخرية اثر ذكر رحمة الديونة
 والاعظم فى موقع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بعلمية وصف الايمان لحصول ما تعلق به الوعد وعدم
 التعرض لذكر ما مر من الامر بالمعروف وغير ذلك للايذان بأنه من لوازمه ومستتبعاته أى وعدهم وعدا

شاملا لكل أحد منهم على اختلاف طبقاتهم في مراتب الفضل كيف وكما (جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) فإن كل أحد منهم فائز بها لا محالة (ومساكن طيبة) أي وعد بعض الخواص التكميل منهم منازل فطيبة النفوس أو بطيب فيها العيش في الخبر أنها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الأحمر (في جنات عدن) هي أبي أي أما كن الجنات وأستغنا * عن النبي صلى الله عليه وسلم عدن دار الله لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والعديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخل ذلك وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن في الجنة قصر يقال له عدن حوله البروج والمروج وله خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حوراء لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد وعن ابن مسعود رضي الله عنه هي بطنان الجنة وسرتهما فعدن على هذا علم وقيل هو بعنائه اللغوي أعنى الإقامة والخلود فرجع العطف إلى الاختلاف الوصف وتغايره فكأنه وصفه أولا بأنه من جنس ما هو أشرف الأماكن المعروفة عندهم من الجنات ذات الأنهار الجارية ليميل إليها طبايعهم أول ما يقرع أسماعهم ثم وصفه بأنه مخوف بطيب العيش معزى عن شوائب الكدورات التي لا يكاد يخلو عنها أما كن الدنيا وفيها ما تشهى النفس وتلذذ العين ثم وصفه بأنه دار إقامة وشارة في جوار العين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو أعلى من ذلك كله فقال (ورضوان من الله) أي وشئ يسير من رضوانه تعالى (أكبر) أذ عليه يدور فوز كل خير وسعادة وبه شاطئ كل شرف وسيادة ولعل عدم نظمه في ذلك الوعد مع عزته في نفسه لأنه مقتضى في ضمن كل موعود ولأنه مقتضى الدارين * روى أنه تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لنرضي وقد أعطيتنا ما لم نعط أحدا من خلقت فيقول أنا أعطيتكم أفضل من ذلك قالوا أو أى شئ أفضل من ذلك قال أحسن عليكم رضوانى فلا أخط عليكم أبدا (ذلك) إشارة إلى ما سبق ذكره وما فيه من معنى البعد لا ليدان بعد درجته في العظم والفضامة (هو الفوز العظيم) دون ما يعتد الناس فوزا من حظوظ الدنيا فإنها مع قطع النظر عن فوائدها ونفعها وتكديدها ليست بالنسبة إلى أدنى شئ من نعم الآخرة بمثابة جناح البعوض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا ترن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء ونعم ما قال من قال

تالله لو كانت الدنيا بأجبعها * تبق علينا ويأتى رزقها رغدا
ما كان من حق حر أن يدل بها * فكيف وهي متاع يضمحل خذا

(يا أيها النبي جاهد الكفار) أي الجاهرين منهم بالنسبة (والمنافقين) بالجنة وإقامة الحدود (واعلظ عليهم) في ذلك ولا يأخذك بهم رافة قال عطاء بن رباح هذه الآية كل شئ من المؤمن والمنافق (وإياهم جهنم) جملة مستأنفة لبيان أجل أمرهم اثريان عاجل وقيل حالية (وبئس المصير) تذييل لما قبله والخصوص بالذم محذوف (يخافون بالله ما قالوا) استئناف لبيان ما صدر عنهم من الجرائم الموجبة لما مر من الأمر بالجهاد والغلبة عليهم ودخول جهنم * روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المختلفين فيسمعهم من كان منهم معه عليه الصلاة والسلام فقال الجلاس بن سويد منهم لئن كان ما يقول محمد حقا لآخاؤنا الذين خلفناهم وهم ساداتنا وأشرافنا فخن شر من الخمر فقال عامر بن قيس الأنصاري للجلاس أجل والله أن محمد الصادق وأنت شر من الخمر فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستخفى فلقب بألقاب فرفع عامر يده فقال اللهم أنزل على عبدك وتبديك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق فنزل وأبشار صيغة الاستقبال في يخافون لاستحضار الصورة أو للدلالة على تكرار الحلف وصيغة الجمع في قالوا مع أن القائل هو الجلاس للآية أن بئسهم رضاهم بقوله صاروا بمنزلة القائل (ولقد قالوا كلمة الكفر) هي ما حكى آنفا والجملة مع ما عطف عليها اعتراض (وكفروا بعد إسلامهم) أي وأظهروا ما في قلوبهم من الكفر بعد إظهارهم الإسلام (وهو ما يعلم بانوا) هو الشك برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أنه توافق خمسة عشر منهم على أن يدفعوه عليه الصلاة والسلام عن راحلته إذا تسمن العقبة بالليل وكان عامر بن ياسر أخذًا بخطام راحلته يقودها وحذيفة بن اليمان خلفها يسوقها فيبغها ما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الابل وبه شعة السلاح فالتفت فاذا قوم مثلثون فقال اليكم اليكم يا أعداء الله فهربوا

وقيل هم المنافقون يقتل عامر لردّه على الجلاس وقيل أرادوا أن يتوجوا عبد الله بن أبي ابن سلول وإن لم يرض
به رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما نفعهم) أي وما أنكرهم وما عابوا أو وما وجدوا ما يورث شهرة لهم (الآن
أغناهم الله ورسوله من فضله) سبحانه وتعالى وذلك أنهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
في غايه ما يكون من ضنك العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنمة فأثر وبالغنائم وقتل للجلاس مولى فأمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه اثني عشر ألف درهم فاستغنى والاستغناء مفرغ من أعم - المساعيل
أو من أعم العال أي وما أنكروا شيئا من الأشياء الا اغناء الله تعالى إياهم أو وما أنكروا ما أنكره والعلة من العال
الا اغناء الله إياهم (فان يوتوا) عساهم عليه من الكسر والتفريق (يلتخيرونهم) في الدارين قيل لما تلاها
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجلاس إرسول الله لقد عرض الله على التوبة والله لقد قلت وصدق عامر
فتاب الجلاس وحسنت توبته (وان يولوا) أي استقرزوا على ما كانوا عليه من التولى والاعراض عن
الدين أو أعرضوا عن التوبة بعد هذا العرض (يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا) بالقتل والاسر والتب
وغير ذلك من فنون العقوبات (والآخرة) بالنار وغيرهما من آفان العذاب (وما لهم في الارض) مع سعتها
وتباعد أقطارها وكثرة أهلها المصححة لوجدان ما نفي بقوله عز وجل (من ولي ولا نصير) يتخذهم من العذاب
بالشفاعة أو المدافعة (ومهم) بيان لتبائح بعض آخر منهم (من عهد الله لن أن آمن فضله لنصدقن) لنؤتين
الزكاة وغيرهما من الصدقات (ولقد وزن من السالحين) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ما يريد الحج وقرئ
بالنون الحفيفة فيهما قيل نزات في تلبية بن حاطب أبي النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله
أن يرزقني ما لا فاقا عليه الصلاة والسلام يا تلبية قليل تؤذي حقه خير من كثير لا تطيقه فراجع وقال والذي
بعثك بالحق لن يرزقني الله ما لا لأعطين كل ذي حق حقه فدعا له فأتخذ غنما ففت كما ينبغي الدود حتى ضاقت بها
المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى
لا يسعه وادفنت يا ويح تلبية فبعث سعد بن قيس لاختد الصدقات فاستقبلها ما الناس بسدقاتهم ومزأ تلبية
فسأله الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه الفرائض فقتال ما هذه الجزية ما هذه
الأخت الجزية وقال أرجع حتى أرى رأيي وذلك قوله عز وجل (فلما أتاهم من فضله يخجلوا به) أي منعوا حتى
الله منه (وتولوا) أي أعرضوا عن طاعة الله سبحانه فلما أرجعها قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل
أن يكلمهم يا ويح تلبية مرتين فنزلت غشا تلبية بالصدقة فقال عليه الصلاة والسلام إن الله منعه أن أقبل منك
يجعل يحنو التراب على رأسه فقال عليه الصلاة والسلام هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فتبعض عليه الصلاة
والسلام فخا به إلى أبي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها ووجه إلى عمر رضي الله عنه في خلافة فلم يقبلها وهلك
في خلافة عثمان رضي الله عنه وقيل نزات فيه وفي سهل بن الحرث وجند بن قيس ومعتب بن قشير والاول هو
الاشهر (وهم معرضون) جملة معترضة أي وهم قوم عادتهم الاعراض أو سالية أي تولوا باجرامهم وهم
معرضون بقلوبهم (فأعقبهم) أي جعل الله عاقبة فعلهم ذلك (نفاقا) راحنا (في قلوبهم) إلى يوم يلقونه
إلى يوم موته الذي يلقون الله تعالى عنده أو يلقون فيه جزاء عملهم وهو يوم القيامة وقيل فأورثهم الجن
نفاقا مكن في قلوبهم ولا يلاغه قوله عز وجل (عما خلقوا الله ما وعدوه) أي بسبب اخلافهم ما وعدوه تعالى
من التصديق والصلاح (وعما كانوا يكذبون) أي وبكونهم مستمرين على الكذب في جميع المقالات التي
من جملتها وعدهم المذکور وتخصيص الكذب به يؤدى إلى تخليد الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
عن المزية فإن تسبب الاعقاب المذکور بالاخلاق والكذب يقتضى بإسناده إلى الله عز وجل اذ لا معنى
لكونهما سببين لاعتقاب الجنل التفريق والتحقيق أنه لما كانت الفناء الدالة على الترتيب والتفريق منبهة عن
ترتيب اعتقاب التفريق الخلد على أفعالهم المحسنة عنهم من المعاهدة بالتصدق والصلاح والجنل والتولى
والاعراض وفيها ما لا دخل له في الترتيب المذکور كالمعاودة أزيح ما في ذلك من الابهام بتعيين ما هو المدار في
ذلك والله تعالى أعلم وقرئ بتشديد الذال (ألم يعلموا) أي المنافقون أو من عاهد الله وقرئ بالناء الفوقانية
خطابا للمؤمنين فالهمزة على الاول للإنكار والتوبيخ والتهديد أي ألم يعلموا ((أن الله يعلم سرهم ونجواهم))

أى ما أسر وأيه فى أنفسهم وماتنا جوابه فيما بينهم من المطاعين وتسمية الصدقة جزية وغير ذلك مما لا خبر فيه
وسر تقدم السر على التجوى سيظهر فى قوله سبحانه وستردون الى عالم الغيب والشهادة (وان الله علام
الغيوب) فلا يخفى عليه شئ من الاشياء حتى اجترأ على ما اجترأ عليه من العظام وظهور اسم الجلالة
فى الموقعين لانقاء الروعة وتربية المهابة وفى اراد العلم المتعلق بسرهم ونحو اهم بصيغة الفعل الدال على
الحدوث والتجدد والعلم المتعلق بالغيوب الكثيرة الدائمة بصيغة الاسم الدال على الدوام والمباغاة من النغامة
والجزالة لا يخفى وعلى الشافى لتقرير علم المؤمنين بذلك وتنبههم على أنه تعالى مؤاخذهم ومجازيهم بما علم
من أعمالهم (الذين يلزون) نصب أو رفع على الذم ويجوز جزمه على البدلية من الغمير فى سرهم ونحو اهم
وقرى بضم الميم وهى لغة أى يعيرون (المطوعين) أى المتطوعين المتبرعين (من المؤمنين) حال من المطوعين
وقوله تعالى (فى الصدقات) متعلق بيلزمون روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حث الناس على الصدقة
فأتى عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقية من ذهب وقيل بأربعة آلاف درهم وقال كان لى ثمانية آلاف قافضت
وبى أربعة وأمسكت لعلالى أربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت
فبارك الله حتى صولحت ثمانى أربعة نساء عن ربع الثمن على ثمانى ألفاً ونصبتى عادم بن عدى ثمانية وسق من
تمر وجاء أبو عقيل الانصارى بصاع من تمر فقال لى لى أجز بالجرير على صاعين فتركت صاعاً لعلالى وجئت
بصاع فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتره على الصدقات فلزمهم المتنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن
وعادم الأرياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبى عقيل ولكنه أحب أن يذكر نفسه ليعطى من
الصدقات فنزلت (والذين لا يجدون الأجهدهم) عطف على المطوعين أى ويلزون الذين لا يجدون الاطافتهم
وقرى بفتح الجيم وهو مصدر جهد فى الامر اذا بالغ فيه وقيل هو بالضم الطائفة والفتح المشقة (فيسخرون
منهم) عطف على يلزون أى يمزقونهم والمراد بهم الفريق الاخير (سخر الله منهم) اخمار بجارزانه تعالى
اياهم على ما فعلوا من السخرية والتعير عنها بذلك للمساكلة (ولهم) أى ثابت لهم (عذاب أليم) التنوين
للتثنية والتثنية وايراد الجلالة اسمية للدلالة على الاستمرار (استغفروهم أو لا تستغفروهم) اخبار باستواء
الامر بين الاستغفار لهم وتركه فى استحالة المغفرة ونصويره بصورة الامر للمبالغة فى بيان استوائهما كأنه
عليه الصلاة والسلام أمر بامتحان الحلال بأن يستغفر تارة ويترك أخرى ليظهر له جلبة الامر كما مر فى قوله
عز وجل قل أنفة واطوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم (ان تستغفروهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) بيان
لاستحالة المغفرة بعد المبالغة فى الاستغفار واثبات الاستواء بينه وبين عدمه روى أن عبد الله بن عبد
الله بن أبى وكان من المخلصين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرض أليه أن يستغفره ففعل عليه
الصلاة والسلام فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام محافظاً على ما هو الاصل من أن مراتب الاعداد
حدود معينة يخالف حكم كل منها حكم ما فوقها ان الله قدر خص لى فسأريد على السبعين فنزلت سواء عليهم
أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ان يغفر الله لهم وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبع مائة فى مطلق
التكثير لاستعمال السبعة على جملة أقسام العدد فكانم العدد بأشهر وقيل هى أكل الاعداد لجهلها معانيها
ولأن الستة أول عدد تام تعادل أجزائها العجيبة اذ نصفها ثلاثة وثلاثها اثنان وسدسها واحد وجعلتها ستة
وهي مع الواحد سبعة فكانت كاملة اذ لا مرتبة بعد التمام الا الكمال ثم السبعون غاية الكمال اذ الاحاد غاية
العشرات والسبع مائة غاية الغايات (ذلك) إشارة الى امتناع المغفرة لهم ولو بعد المبالغة فى الاستغفار
أى بذلك الامتناع ليس لعدم الاعداد باستغفار لى بل (بأنهم) أى بسبب أنهم (كفروا بالله ورسوله) كفروا
متجاوزاً عن الحد كما يلوح به وصفهم بالفسق فى قوله عز وجل (والله لا يهدي القوم الفاسقين) فان الفسق
فى كل شئ عبارة عن التردد والتجاوز عن حدوده أى لا يهديهم هداية موصلة الى المقصد البتة لمخالفة ذلك
للعزيمة التى عليها يدور تلك التكوين والتشريع وأما الهداية بمعنى الدلالة على ما يوصل اليه فهى متحققة
لا محالة ولكنهم بسوء اختيارهم لم يقبلوها فوقعوا فى ما وقعوا وهو تزييل مؤكداً لقبله من الحكم فان مغفرة
الكفار انما هى بالاقلاع عن الكفر والاقبال الى الحق والمنهم فيه المطبوع عليه بعزل من ذلك وفيه تنبيه

قوله بالجرير بالجيم أى بالحبل
والياء زائدة أى أجز الحبل
لاستقاء الناس كما فى زكريا
اه معجمه

قوله لاستعمال السبعة الخ
نقل الشهاب عن البيضاوى
فى شرح المصابيح ان السبعة
تستعمل فى الكثرة يقال
سبع الله اجره أى كثره
وذلك لان السبعة عدد
كامل جامع لأنواع العدد
كله اذ الاعداد اتمازوج
او فرد واما زوج زوج واما
زوج فرد فالزوج هو الاثنان
والفرد هو الثلاثة وزوج
الزوج هو الاربعة وزوج
الفرد هو الستة اه معجمه

على عذر النبي صلى الله عليه وسلم في استغفارهم وهو عدم بآسهم من إيمانهم حيث لم يعلم أنهم مطلوبون على
 النبي والضللال إذا لم ينوع هو الاستغفار لهم بعد تبيين حالهم كما سيأتي من قوله عز وجل "ما كان لاني الآية
 (فرح المخالفون) أي الذين خلفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالاذن لهم في القعود عند استئذانهم أو خلفهم
 الله بتبسيطه إياهم لما علم في ذلك من الحكمة الخفية أو خلفهم كإلهم أو نفاقهم (بمقتدهم) متعلق بفرح
 أي بقعودهم وتبخلهم عن الغزو (خلاف رسول الله) أي خلفه وبعد خروجه حيث خرج ولم يخرجوا
 يقال أقام خلاف حتى أي بعدهم ظهروا ولم يظعن ويؤيده قراءة من قرأ خلف رسول الله فاتصاه على
 أنه نطف لمقتدهم إذا فائدة في تقييد فرحهم بذلك وقيل هو بمعنى الخساسة وبعضه قراءة من قرأ خلف
 رسول الله بضم الخاء فاتصاه على أنه ممنوعول له والعامل أما فرح أي فرحوا لأجل مخالفتهم عليه الصلاة
 والسلام بالتعود وأما مقتدهم أي فرحوا ببقعودهم لأجل مخالفتهم عليه الصلاة والسلام أو على أنه حال
 والعامل أحد المذكورين أي فرحوا مخالفتين له عليه الصلاة والسلام بالتعود أو فرحوا بالتعود
 مخالفتين له عليه الصلاة والسلام (وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) لا إشارا للدعة
 والخفض على طاعة الله تعالى فقط بل مع ما في قلوبهم من الكفر والنفاق فإن إشارا أحد الآخرين قد يتحقق
 بأدنى رجحان منه من غير أن يبلغ الاستمرارية الكراهية وإنما أوتر ما عليه النظم الكريم على أن يقال
 وكرهوا أن يخرجوا إلى الغزوات أي الجهاد في سبيل الله مع كونه من أجل الرغائب وأشرف المطالب
 التي يجب أن يتنافس فيها المتنافسون قد كرهوه كما فرحوا بأفجع التبعات الذي هو القعود خلاف رسول الله
 صلى الله عليه وسلم (وقالوا) أي لاخوانهم تبييناتهم على التخلف والتعود وتواصيا فيما بينهم بالشر والفساد
 أولئك مؤمنين تبسيطاً لهم عن الجهاد ونهيهم عن المعروف وظهرت بعض العلل الداعية لهم إلى ما فرحوا به من
 القعود فقد جردوا ثلاث خلال من خصائص الكفر والضللال الفرح بالتعود وكراهية الجهاد ونهي الغير
 عن ذلك (لا تشروا في الحرب) فإنه لا يستطاع شدة (قل) وداعيتهم وتجهيلهم (نارجهنم) التي
 ستدخلنهم إيماناً علم (أشد حراً) مما تحذرون من الحر المأمور وتتحذرون الناس منه فأنكم لا تحذرونها
 وتعرضون أنفسكم لها بإثارة القعود على النفي (لو كانوا يفتقرون) اعتراض تذييلي من جهته سبحانه وتعالى
 غير داخل تحت القول المأمور به مؤكداً لمؤنه وجواب لو أتممت رأي لو كانوا يفتقرون أنها كذلك أو كيف
 هي أو أن ما آثمهم بها لم يفعلوا ما فعلوا ولتأثروا بهذا الإلزام وأما غير منوى على أن لو لم يجز ذلك النبي عن
 امتناع تحقق مدخولها أي لو كانوا من أهل انقطاع واقعة كما في قوله عز وجل "قل انظروا ماذا في السموات
 والارض وما نفى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون" (فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً) أخبار عن عاجل
 أمرهم وآجله من الضحك القليل والبكاء الطويل المؤدى إليه أعالمهم السببية التي من جملتها ما ذكر من الفرح
 والفناء السببية ما سبق للأخبار بما ذكر من الضحك والبكاء لأنفسهما إذ لا يتصور السببية في الأول
 أصلاً وقد لا وكثيراً منه صواب على المصدريه أو الظرفية أي ضحكاً قليلاً وبكاء كثيراً أو زماناً قليلاً وزماناً كثيراً
 وإخراجه في صورة الأمر للدلالة على تحتم وقوع الخبر به فإن أمر الأمر المطاع مما لا يكاد يتخلف عنه المأمور به
 خلا أن المقصود إفادته في الأول هو وصف القلة فقط وفي الثاني وصف الكثرة مع الموصوفين بروي أن أهل
 النفاق يكونون في السارعة الدنيا لا يرفأ لهم دمع ولا يكتفون بنوم ويجوز أن يكون الضحك كناية عن الفرح
 والبكاء عن الغم وأن تكون القلة عبارة عن العدم والكثرة عن الدوام (جزاء عما كانوا يكسبون) من فنون
 المعاصي والجمع بين صبغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار والتجدي ماداموا في الدنيا وجزاء
 مفعول له بالفعل الثاني أي ليكوا أجزاء أو مصدر حذف ناصبه أي يجوزون بما ذكر من البكاء الكثير جزاء
 بما كسبوا من المعاصي المذكورة (فان رجعت الله) الفاء لتفريع الأمر الآتي على ما بين من أمرهم
 والفعل من الرجوع المتعدي دون الرجوع اللازم أي فان ردت الله تعالى (إلى طائفة منهم) أي إلى المتنافقين
 من المتخلفين في المدينة فان تخلف بعضهم إنما كان لعذر عاتق مع الإسلام أو إلى من بقي من المتنافقين المتخلفين
 بأن ذهب بعضهم بالموت وبالغيبة عن البلد أو بأن لم يستأذن البعض عن قتادة أنهم كانوا اثني عشر رجلاً قليل

فيهم ما قبل (فاستأذنونك للخروج) معك الى غزوة أخرى بعد غزوتك هذه (فقل) اخراجهم عن ديوان
 الغزاة وابعاد المحلهم عن محفل صحبتك (ان تخرجوا معي ابدان تقاتلوا معي عدوا) من الاعداء وهو
 اخبار في معنى النهي للمبالغة وقد وقع كذلك (انكم) تمليل للماسلف أي لانكم (رضيتم بالعودة) أي
 عن الغزو وفرحتكم بذلك (اول مرة) هي غزوة تبوك (فاعدوا) الفاء التقرية لا امر بالعودة بطريق العقوبة
 على ما صدر عنهم من الرضا بالعودة أي اذ رضيت بالعودة أول مرة فاعدوا من بعد (مع الخائفين) أي
 المتخلفين الذين ديدنهم العودة والتخلف دائما وقرئ الخائفين على التصريف كان محو أساميتهم من دفتر المجاهدين
 ولزمهم في قرن الخائفين عقوبة لهم أي عقوبة وتذكيرهم بالتفضيل المضاف الى الموت هو الاكثر الدائر
 على الالة فالتكاد تسبح قائل يقول هي كبرى امراته او اول مرة (ولا تصل على احد منهم مات)
 صفة لاحد وانما جئ بصيغة الماضي تيمنا على تحقق الوقوع لا محالة (ابدا) متعلق بالنهي أي لا تدع
 ولا تستغفر لهم ابدا (ولا تقم على قبره) أي لا تقف عليه لدفن او لزيارة والدعاء روى أنه عليه الصلاة
 والسلام كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول بعث الى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ابائيه فلما دخل عليه قال عليه السلام أهلكك حب اليه ودفن قال يا رسول الله
 بعث اليك لتستغفر لي لا لتؤني وسأله أن يكفنه في شعاعه الذي يل جلده ويصل عليه فلما مات دعاه ابنه وكان
 مؤمنا صالحا فأجاب عليه السلام تسليته ومراعاة لجانيه وأرسل اليه قصصه فكفن فيه فلما هم بالصلاة اوصى
 نزلت وعن عمر رضي الله عنه أنه قال لما هلك عبد الله بن أبي ووضعناه لي صلى عليه قام رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقلت انصلي على عدو الله القائل يوم كذا وكذا والقائل يوم كذا وكذا وعددت أيامه
 الحيشة فتبسم عليه السلام وصلى عليه ثم مشى معه وقام على حفرة حتى دفن فوالله ما لبث الا يسيرا حتى نزل
 ولا تصل الخ فاصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك على منافق ولا قام على قبره وانما لم يسه عن التكفين
 بقصصه صلى الله عليه وسلم لان الضمة بالقوم يصح كانت مظنة الاخلال بالكرام على أنه كان مكافأة لله بخصه
 الذي كان ألبسه العباس رضي الله تعالى عنه حين اسري بدر والخير مشهور (انهم كذبوا بالله ورسوله) تعليل
 للنهي على معنى أن الاستغفار للميت والوقوف على قبره انما يكون لاستصلاحه وذلك مستحيل في حقهم
 لانهم استخزوا على الكفر بالله ورسوله مدة حياتهم (وما يؤاؤهم فاسقون) أي ممتردون في الكفر خارجون
 عن حدود كابين من معنى الفسق (ولا تنجبك أموالهم وأولادهم) تنكير للماسبق وتقرير لمضمونه بالاخبار
 بوقوعه ويجوز أن يكون هذا في حق فريق غير الفريق الاول وتقدم الاموال في أمثال هذه المواقف على
 الاولاد مع كونهم اعز منها اما معوم مساس الحاجة اليها بحسب الذات وبحسب الافراد والافات
 فانها بما لا يتنمى لكل أحد من الآباء والامهات والاولاد في كل وقت وحين حتى ان من له اولاد ولا مال له
 فهو وأولاده في ضيق ونكال وأما الاولاد فانما يرغب فيهم من بلغ مبلغ الابوة واتما لان المال مشاط لبقاء
 النفس والاولاد لبقاء النوع واتما لانهم اقدم في الوجود ومن الاولاد لان الاجزاء المنوية انما تحصل من الاغذية
 كما سيأتي في سورة الكهف (انما يريد الله) بما تمعهم به من الاموال والاولاد (ان يهديهم بها في الدنيا)
 بسبب معاناتهم المشاق ومكابدتهم الشدائد في شأنها (وترزق انفسهم وهم كافرون) أي فيموتوا كافرين
 بأشتغالهم بالتمتع بها والالتناء عن النظر والتدبر في العواقب (واذا انزلت سورة) من القرآن ويجوز
 أن يراد بها بعضها (ان استوا بالله) أن مفسرة لما في الانزال من معنى القول والوحى أو مصدرية حذف عنها
 الجارة أي بأن آمنوا (وجاهدوا مع رسوله) لا عزاز دينه واعلاء كلمته (استأذنك أولوا الطول منهم) أي
 ذوو الفضل والسعة والقدرة على الجهاد يدنا وما لا (وقالوا) عطف تفسيري لاستأذنك معن عن ذكر
 ما استأذنا فيه يعني العودة (ذرنا نحن مع القاعدتين) أي الذين قعدوا عن الغزو لما بهم من عذر (رضوا)
 استئناف لبيان سوء صنيعهم وعدم امتثالهم لكلام الامرين وان لم يردوا الاول سرى (بأن يكونوا مع الخوارج)
 مع النساء اللاتي شانهن العودة ولزوم البيوت جمع خائفة وقيل الخائفة من لا خير فيه (وطبع على قلوبهم فهم)
 بسبب ذلك (لا يفقهون) ما في الايمان بالله وطاعته في اوامره ونواهيه واتباع رسوله عليه السلام والجهاد

من السعادة وما في أحد ذلك من الشقاوة (لكن الرسول والدين آمنوا معه) بالله وبما جاء من عنده تعالى وفيه ايمان بأنهم يسوا من الايمان بالله في شيء وان لم يعرفوا عنه مصر يحا عراشهم عن الجهاد باستثناهم في القعود (جاهدوا بأموالهم وأنفسهم) أي ان تخلف هؤلاء عن الغزو فقد غدا اليه ونهض له من هو خير منهم وأخلص نية ومعتقدا وأقاموا أمر الجهاد بكل ما نفعه كقوله تعالى فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلناهم قنوما ليسوا بها بكافرين (وأولئك) المنعوتون بالنعوت الجلية (لهم) بواسطة نعمتهم المازورة (الخيرات) أي منافع الدارين النصر والغلبة في الدنيا والجنة والكرامة في العقب وقيل الحور كقوله عز قاتلا فيهن خيرات حسن وهي جمع خيرة تخفيف خيرة (وأولئك هم المفلحون) أي الشائرون بالمطلوب لان حاز بها من المفلحون الغاية عما قبل وتكريرا من الإشارة تنويه لشأنهم ورب مكانهم (أعد الله لهم) استئناف لبيان كونهم منزهين أي هيأ لهم في الآخرة (جنت تجري من تحتها الانهار خالدون فيها) حال مقدرة من النعيم المجرور والعامل أعد (ذلك) اشار الى ما فهم من اعداد الله سبحانه لهم الجنات المذكورة من نيل الكرامة العظمى (النور العظيم) الذي لا فوز وراءه (وجاء المعتذرون من الاعراب ليؤذن لهم) شروع في بيان أحوال منافق الاعراب اثنان منافق أهل المدينة والمعتذرون من عذري الامر اذا قصر فيه وتواني ولم يجذ وحقيقته أن يومهم أن له عذرا فيما فعل ولا عذر له او المعتذرون بادغام التاء في الذال وقتل حركتها الى العين وهم المعتذرون بالباطل وقرئ المعتذرون من الاعذار وهو الاجتهاد في العذر والاحتشاد فيه قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان يسألهم افا نقتل نسائي الخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزو نامة لك اغارت أعراب طي على اهلنا ومواسينا فقتل عليه السلام سبعينني الله تعالى عنكم وعن مجاهد نمر بن غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله سبحانه وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعتذرون بتشديد العين والذال من تعذر يعني اعتذروا وهو لحن اذا التفت في العين ادغامها في الطاء والراء والصاد في الموطوعين واذا كى وامصدق وقيل أريد بهم المعتذرون بالحق وبه فسر المعتذرون والمعتذرون أي الذين لم يفرطوا في العذر (وقعد المذبح كذبوا الله ورسوله) وهم منافقوا الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا فظهر أنهم كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان والطاعة (سبب الذين كفروا منهم) أي من الاعراب أو من المعتذرين فان منهم من اعتذر وانكسره لا اكسره (عذاب أليم) بالقتل والاسرى في الدنيا والنار في الآخرة (ليس على الصالحين عذر على الرضى) كالمري والزمنى (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) فقرهم كزينة وجهينة وبنى عذرة (خرج) انهم في الخلف (اذا نصحوا لله ورسوله) وهو عبارة عن الايمان بهم ما والطاعة لهم في السر والعلن وتوابعهم في السراء والضراء والحب فيهم والبغض فيهم ما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه (ماعلى المحسنين من سبيل) استئناف مقترن بخبر ما سبق أي ليس عليهم جناح ولا الى معانيبتهم سبيل ومن مزيدة للمأ كيد ووضع المحسنين موضع النكير للدلالة على ان نظامهم بنصحهم لله ورسوله في سلك المحسنين او تعديل لنقي الخرج عنهم أي ماعلى جنس المحسنين من سبيل وهم من جعلتهم (والله غفور رحيم) تذييل مؤيد لمنهون ما ذكره مشير الى أن بهم حاجة الى المغفرة وان كان تخلفهم بعذر (ولا على الذين اذا ما اتوا بالحق انهم عطف على المحسنين كما يؤذنه قوله عز وجل فيما سألني انما السبيل الآية وقيل عطف على الضعفاء وهم البكاؤون سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمرو وعلمة بن غنم وعبد الله بن معقل وعلمة بن زيد أنوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انذرنا الخروج فاجلنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخسوفة فغز معك فقال عليه السلام لا اجد قتلوا واهم يكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد ونعمان وقيل أبو موسى الاشعري وأصحابه رضى الله تعالى عنه (قلت لا اجد ما احل لكم عليه) حال من الكاف في أنوك بان عارده وما عاة لما سألوه عليه السلام وغيره مما يحمل عليه عادة وفي ايشار لا أجد على ليس عندي من لطيف الكلام ولطيف قلوب السائلين ما لا يخفى كانه عليه السلام يطلب ما يسألونه على الاستمرار فلا يجده (تولوا) جواب اذا (وأعينهم تفيض) أي تسيل بشدة (من الدمع) أي دمعافان من البهانية مع مجرور هاني حيز النصب على التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها الا فادتها أن العين بيمينها صارت دمعافا ضا والجملة حالية وقوله عز اسمه (حرنا) نصب على العلية او الحالية او المصدرية لفعل دل عليه ما قبله أي يفيض للعز فان الحزن يسند الى العين مجازا

قوله على الخفاف جمع خف
والمرقوعة التي بشد على
خفها جلد اذا شرب المشي
والنعال جمع نعل والمخسوفة
من الخسف وهي خياطة
النعل وهذا يجوز عن ذي
الخلف والمخاف انظر الشهاب
اله مجيبه

كافيض او يقولوا نحن نين او يحزنون حزننا فقه كون هذه الجملة سالما من الضمير في تفيض (ألا يجدوا) على
 حذف لام متعلقة بحزننا وتفيض اي اثلا يجدوا (ما ينفقون) في شراء ما يحتاجون اليه اذ لم يجدوه عندك
 (انما السيل) بالعاقبة (على الذين يستأذنونك) في الخلف (وهم اغنياء) واجدون لاهبة الغزو ومع سلامتهم
 (رضوا) استئناف تعليلي لما سبق كانه قيل ما بالهم استأذنوا وهم اغنياء فقبل رضوا (بان يكونوا مع الخوالب)
 الذين شانهم الضعة والدناءة (وطبع الله على قلوبهم) أي خذلهم فغفلوا عن وخامة العاقبة (فهم) بسبب ذلك
 (لا يعلمون) أبدا غائلة ما رضوا به وما يستتبعه آجلا كالم يعلموا بحساسة شأنه عاجلا (يعتذرون اليكم)
 استئناف لبيان ما يتصدون له عند القول اليهم * روى أنهم كانوا بضعة وعشرين رجلا فلما رجع عليه السلام
 اليهم جاؤا يعتذرون اليه بالباطل والخطاب (رسول الله صلى الله عليه وسلم) وأصحابه فانهم كانوا يعتذرون اليهم
 أيضا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط أي يعتذرون اليكم في الخلف (اذا رجعتم) من الغزو ومنتهين
 (اليهم) وانما لم يقل الى المدينة اذ انما بان مدار الاعتذار هو الرجوع اليهم لا الرجوع الى المدينة فلعل منهم
 من بادر الى الاعتذار قبل الرجوع اليها (قل) تخصيص هذا الخطاب برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تكميله
 فيما سبق لأصحابه أيضا لما أن الجواب وظيفته عليه السلام وأما اعتذارهم فكان شاملا للمسلمين شمول
 الرجوع اليهم (لا تعتذروا) أي لا تفعلوا الاعتذار كقوله تعالى اخذوا فيها ولا تكلمون ولا تعتذروا
 بما عندكم من العاذر وأما التعرض لعنوان كذبه فلا يسهل عدمه قوله تعالى (ان تؤمن لكم) أي ان تصدقكم
 في ذلك أبدا فإنه استئناف تعليلي للأنه مبنى على سؤال نشأ من قبلهم متفرع على ادعاء الصدق في الاعتذار
 كأنهم قالوا لم لا نعتذر فقبل لاننا لا نصدقكم أبدا فيكون عبثا اذ لا يترتب عليه عرض المعتذر وقوله عز وجل
 (قد نبأنا الله من أخباركم) تعليل لا تنفاه التصديق أي أعلمنا بالوحي بعض أخباركم المنافية للتصديق
 بما يشرحه من الشر والفساد وأنتم ترون في ضمائرهم وحيا غمورا لا يرازي معرض الاعتذار من الأكاذيب
 وجميع ضمير المتكلم في الموضوعين للمبالغة في حسم أطعامهم من التصديق رأسا ببيان عدم رواج اعتذارهم
 عند أحد من المؤمنين أصلا فان تصديق البعض لهم ربما يطمعهم في تصديق الرسول أيضا صلى الله عليه وسلم
 بواسطة المصدقين وللإيدان بأن اقتضاهم بين المؤمنين كافة (وسرى الله عملكم) فيما سأل أي آمنينون اليه تعالى
 بما أنتم فيه من النفاق أم تشبهون وكأنه استنباه وأمهال للتوبة وتقديم مقبول الرؤية على ما عطف على قاعله
 من قوله تعالى (ورسوله) للإيدان باختلاف حال الرؤيتين وتساوتهما وللاشارة بأن مدار الوعيد هو عمله
 عز وجل بأعمالهم (ثم تزدون) يوم القيامة (الى عالم الغيب والشهادة) للجزاء بما ظهر منكم من الأعمال
 ووضع المظهر موضع المضمحل تشديدا للوعيد فان علم سبحانه وتعالى بجميع أعمالهم الظاهرة والباطنة وحاطته
 بأحوالهم البارزة والكامنة مما يوجب الزجر العظيم (فيتبشكهم) عند ردكم اليه ووقوفكم بين يديه
 (بما كنتم تعملون) أي بما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من الأعمال السيئة السابقة واللاحقة
 على أن ما موصولة والعائد اليها محذوف او بعمليكم المستمرة على أن ما موصولة والمراد بالتبشكة بذلك المجازاة به
 وإشارتها عليها لمراعاة ما سبق من قوله تعالى قد نبأنا الله الخ فان المناسبة الاخبار المتعلقة بأعمالهم وللإيدان
 بأنهم ما كانوا عاملين في الدنيا بحقيقة أعمالهم وانما لم يلو نها يومئذ (سجلفون بالله لكم) تأكيدهم المعاذيرهم
 الكاذبة وتقريراتها والسين للتأكيدهم والمجلفون عليه محذوف يدل عليه الكلام وهو ما اعتذروا به
 من الأكاذيب والجملة بدل من يعتذرون او يسيان له (اذا انقلبتم) أي انصرفتم من الغزو (اليهم) ومعنى
 الانقلاب هو الرجوع والانصراف مع زيادة معنى الوصول والاستيلاء وفائدة تقييد حللهم به الإيدان
 بأنه ليس لدفع ما خاطبهم النبي عليه السلام به من قوله تعالى لا تعتذروا الخ بل هو أمر مبدأ (لتعرضوا)
 وتصفعوا (عنهم) صفح رضا فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم كما يفصح عنه قوله تعالى لتعرضوا عنهم (فأعرضوا عنهم)
 لكن لا تعرضوا رضا كما هو مطلبهم بل اعراض اجتناب ومقت كما يعرب عنه قوله عز وجل (انهم رجس)
 فانه صريح في أن المراد بالاعراض عنهم اما الاجتناب عنهم لما فيهم من الرجس الروحاني واما ترك استصلاحهم
 بترك المعاتبة لان المقصود بها التطهير بالحمل على الانابة وهو لا أرجس لا تقبل التطهير فلا يتعرض لهم بها وقوله

عز وجل (وما أوهام جهنم) أمان تمام التعليل فان كونهم من أهل النار من دواعي الاجتناب عنهم وموجبات ترك استصلاحهم باليوم والعتاب واما تعليل مستقل أي وكفتم النار عتبا بآبوتها فلا تكتفوا أنتم في ذلك (جزاء) نصب على أنه مصدر مؤكد لفعل مقدر من لفظه وقع حالا أي يجوزون جزاء أولئك المنهون بالجله السابقة فانهم أقدمه لمعنى المجازاة قطعا كأنه قيل يجوزون جزاء (عما كانوا يكسبون) في الدنيا من فنون البيئات أو على أنه مفعول له (يخلصون لكم) بدل مما سبق وعدم ذكر المخلصين لظهوره أي يخلصون به تعالى (لترضوا عنهم) يخلصهم وتستر دعوا عنهم ما كنتم تفعلون بهم (فانترضوا عنهم) حصارا وما وساعدتوهم في ذلك (فان الله لا يرزى عن القوم الفاسقين) أي فان رضاكم عنهم لا يجديهم - ثم تعالى لان الله ساخط عليهم ولا أثر لرضاكم عند خطيئتهم - ووجه الفاسقين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالخروج عن الطاعة المستوجب لما حل بهم من الخط وللاية ان بشمول الحكم لمن شاركهم في ذلك والمراد به نهى المخاطبين عن الرضا عنهم والاعتذار بما ذيرهم الكاذبة على أبلغ وجه وأكده فان الرضا عن لا يرزى عنه الله تعالى مما لا يكاد يصدر عن المؤمن وقيل انما قيل ذلك للتلاية ووجه متوهم أن رضا المؤمنين من دواعي رضا الله تعالى قيل هم جدين فيس ومعتب بن قشير وأصحابهم ما كانوا عثمانيين منافقا فقتل النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين حين قدم المدينة لا لتجاسوهم ولا لتكلامهم وقيل جاء عبد الله بن أبي يحنف أن لا يتخلف عنه أبدا (الاعراب) هي صيغة جمع وليست بجمع للعرب قاله سيوطي لا يلزم كون الجمع اخص من الواحد فان العرب هو هذا الجيل الخاص سواء سكن البوادي أم القرى وأما الاعراب فلا يطلق الاعلى من يسكن البوادي ولهذا نسب إلى الاعراب على لفظه فقيل أعرابي وقال أهل اللغة رجل عربي وجهه العرب كما يقال مجوسي ويهودي ثم يحذف ياء النسب في الجمع فيقال المجوس واليهود ورجل أعرابي ويجمع على الاعراب والاعاريب أي أصحاب البدو (اشتد كثرا ونفاقا) من أهل الحضرة بلغائهم وقسوة قلوبهم ونوحشهم ونسبهم في معزل من مشاهدة العلماء ومقاصضهم وهذا من باب وصف الجنس بوصف بعض أفراده كما في قوله تعالى وكان الإنسان كفورا اذ ليس كلهم كاذر على ما سخط به خبرا (وأجدرا أن لا يعلموا) أي احق وأخلق بان لا يعلموا (حدود ما أنزل الله على رسوله) بعدهم عن مجلسه صلى الله عليه وسلم وحرماتهم من مشاهدة مجازاته ومعابته ما ينزل عليه من الشرائع في تضاعيف الكتاب والسنة (والله اعلم) بأحوال كل من أهل البر والمدر (حكيم) فيما يصيب به مسيئتهم ومحسنهم من العقاب والثواب (ومن الاعراب) شروع في بيان تشعب جنس الاعراب إلى فريقين وعدم انحصارهم في الفريق المذكور كما يترأى من ظاهر النظم الكريم وشرح لبعض مشايخ هؤلاء المتفرعة على الكفر والنفاق بعد بيان تأديهم فيها واصل الاعراب على الفريق المذكور خاصة وان ساعده كون من يحكي حاله بعضا منهم وهم الذين يصدد الانفاق من أهل النفاق دون فقرائهم أو أعراب أسد وعظفان وتيم كما قيل لكن لا يساعده ما سبأني من قوله تعالى ومن الاعراب من يؤمن الخ فان أولئك ليسوا من هؤلاء قطعاً وانما هم من الجنس أي ومن جنس الاعراب الذي نعت بنعت بعض أفرادهم (من يتخذ ما ينفق) من المال أي يعتد ما يصرفه في سبيل الله ويتصدق به صورة (مفرما) أي غرامة وخسرانا لازما اذ لا يتفق احتسابا ورجاءا ثواب الله تعالى ليكون له مغنما وانما يتفق رياء وتقية فهي غرامة محضة وما في صيغة الاختصاص معنى الاختيار والانتفاع بما يتخذ انما هو باعتبار غرض المنفق من الرياء والتقية لا باعتبار ذات النفقة أعني كونها غرامة (ويتربص بكم الدوائر) أصل الدائرة ما يحيط بالشيء والمراد بها ما لا يحيط عنه من مصائب الدهر أي ينتظر بكم دوائر الدهر ونوبه ودوله ليذهب غلبتكم عليه فيخلص مما ابتلى به (عليهم دائرة السوء) دعاء عليهم بقوم ما أرادوا بالمؤمنين على نهج الاعتراض كقوله سبحانه غلت أيديهم بعد قول اليهود ما قالوا والسوء مصدر ثم أطلق على كل ضرر وشدة وأضيفت إليه الدائرة ذمما كما يقال رجل سوء لأن من دارت عليه مئذها وهي من باب اضافة الموصوف إلى صفته فوصفت في الأصل بالمصدر وبالغة ثم أضيفت إلى صفتها كقوله عز وجل ما كان أبولأمر أسوء وقيل معنى الدائرة يقتضي معنى السوء فانما هي اضافة بيان وتأكيده كما قالوا نحن النهار ولحيارأسه وقرئ بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة (والله جميع) لما يقولونه عند

الاتفاق مما لا خيرة فيه (تليق) بما يضره منه من الامور القاسية التي من جملتها أن يتر بصوابكم الدواير وفيه
من شدة الوعيد ما لا يحق (ومن الاعراب) أي من جنسهم على الاطلاق (من يؤمن بالله واليوم الآخر
ويتخذ) أي يأخذ لنفسه على وجه الاصطناء والادخار (ما يلقى) أي يتلقاه في سبيل الله تعالى (مربات)
أي ذرائع اليها ولا يزالان يتمايزان من كمال الاختصاص جعل كسبها نفس القربات والجمع باعتبار أنواع
القربات أو أفرادها وهي ذاتي منه على يتخذ وقوله تعالى (بما يلقى) صحتها أو ظرف ليتخذ (وصلوات
الرسول) أي وسائل اليها فإنه عليه الصلاة والسلام كانت يده عولة متدنية بالخير والبركة ويستغفر لهم ولذلك
سئل لمصدق أن يده عولة مصدق عنه أخذ صدقته لكن ليس له أن يدل عليه كما فعله عليه الصلاة والسلام
حين قال اللهم صل على آل أبي أوفى فان ذلك منصبه فله أن يتفضل به على من يشاء والتعريض لوصف الايمان
بالله واليوم الآخر في الطريق الاخير مع أن مساق الكلام لبيان الفرق بين الفريقين في شأن اتخاذ ما يتقانه
حالا وما لا لأن ذكر اتخاذ ذريعة الى القربات والصلوات معني عن التصريح بذلك لكمال العناية بايمانهم
وبيان انصافهم به وزيادة الاعتناء بتفريق الفرق بين الفريقين من أول الامر واما الفريق الاول فانصافهم
بالكفر والنفاق معلوم من سياق النظم الكريم صريحا (انما يفر بينهم) شهادة لهم من جناب الله
تعالى بحجة ما اعتقده وتصديق لجهنهم والتميز بما يلقى والتأنيث بآثار الخير مع ما مر من تعدده بأحد
الوجهين والتشكيك لتفخيم المغنى عن الجمع أي قرينة عظيمة لا يكتمه كنهها وفي ايراد الجلة اسمية وتصديرها بحرفي
التنبيه والتحقيق من الخبر المألف في والافتقار الى بيان كونها قرينة لهم لانها الغاية القصوى وصلوات
الرسول من ذرائعها وقوله تعالى (سبيد منهم انفسهم) وعدا لهم باحاطة رجته الواسعة بهم وتفسير
لقربة كما أن قوله عز وجل والله سبحانه عليهم وعد الاقارب عيب الدعاء عليهم والسبب تدلالة على تحقق ذلك
وتترد البتة وقوله تعالى (ان الله عاشرهم) لتعيل تحقق الوعد على نسيج الاستئناف التحقيق قيل
هذا في عبد الله ذي الجادين وقومه وقيل في بني مضر من مزينة وقيل في أسلم وغفار وجهية وروى
أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلم وغازل وغفارت من جهينة ومزينة خبر عند الله
يوم القيامة من نعمهم وأسد بن خزيمه وحرارز وغفارت (والسابقون الاولون من المهاجرين) بيان
لفئتين اشرف المسلمين اثر بيان فضائلهم وناراد بهم الذين صلوا الى القبلة أو الذين شهدوا وابدوا
أو الذين أسلموا قبل الهجرة (والسابقون) أهل بيعة النبوة الاولى وكانوا سبعة نفر وأهل بيعة العسبة
التيانية وكانوا سبعة من رسلهم والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة صعب بن غير وقسرى بالرفع عطفا على
والسابقون (والذين آمنوا بهم باسنان) أي ملتصقين به والمراد به كل خصلة حسنة وهم اللاحقون
بالسابقين من الفريقين على أن من تبع فضيلة أو الذين اتبعوه هيبا لايمان والطاعة الى يوم القيامة فالمراد
بالسابقين جميع المهاجرين والانصار ومن يباينة (رضي الله عنهم) خبر لا سمعنا أي رضي عنهم بقبول
طاعتهم وارقضاء أعمالهم (ورضاهم) بما نالوه من رضاه المستتبع بلميع المطالب طرا (وأعد لهم)
في الآخرة (جنات تجري من تحتها الانهار) وقرئ من تحتها كما في سائر المواضع (خائدين فيها أبدا) من غير
انتهاء (ذلك الفوز العظيم) الذي لا فوز وراءه وما في اسم الإشارة من معنى البعد لبيان بعد منزلتهم في مراتب
النضل وعظم الدوحة من مؤمنى الاعراب (ومن حولكم من الاعراب) شروع في بيان أحوال منافق
أهل المدينة ومن حولها من الاعراب بعد بيان حال أهل المدينة منهم أي من حول بلادكم (منافقون)
وهم جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا نازلين حولها (ومن أهل المدينة) عطفا على من حولكم
عطفا مفردا على مفرد وقوله تعالى (مردوا على اتفاق) اما جلة مستأنفة لاشغل لها من الاعراب موقفة
لبيان غورهم في النفاق اثر بيان انصافهم به واما صفة للمبتدأ المذكور فصل بينهما وبينه بآعطف على خبره واما
صفة لحدوف اقيمت هي مقامه وهو مبتدأ خبره من أهل المدينة كما في قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا والجلة
عطفا على الجلة السابقة أي ومن أهل المدينة قوم مردوا على النفاق أي غمر واقع من مرن فلان على عمله
ومرد عليه اذا درب به وضرى حتى لان عليه ومهر فيه غير أن مرد لا يكاد يستعمل الا في الشر فالمراد على

قوله للمصدق هو يخفف
الصاد وتشديد الدال
المكبورة أخذ الصدقة اهـ

الوجهين الاولين شاملين لاثنتين حسب شمول النفاق وعلى الوجه الاخير خاص بخلاف أهل المدينة وهو الاظهر
والانسب بذكر منافق أهل البادية أو لا تهم ذكر منافق الاعراب الجاهل للمدينة ثم ذكر منافق أهلها والله
تعالى أعلم وقوله عز شانه (لا تعلمهم) بيان اقتردهم أي لا تعرفهم أنت لكن لا بأعيانهم وأسمائهم وأنسابهم
بل بعنوان نفاقهم يعني أنهم بلغوا من المهادنة في النفاق والتشويق في مراعاة التهمة والتجاسي عن مواقع التهم
الى مبلغ يحكي عليك حالهم مع ما أنت عليه من علو الكعب وسوق اليأس في كمال الفطنة ومدق الفراسة وفي
تعايق نفي العلم بهم مع أنه متعلم بحالهم بمبالغة في ذلك وإيماء الى أن ما هم فيه من صفة النفاق اعراقهم
ورسوخهم فيه صارت بمنزلة ذاتياتهم أو متخصاتهم بحيث لا يهتدون لا يعرفهم بشئ الصفة عالمهم وحل
عدم علمه بالصلاة والسلام بأعيانهم على عدم علمه عليه السلام بعد مجي هذا البيان على أنه عليه الصلاة
والسلام يعلم أن نفاقهم منافقين لكن لا يعرفهم بأعيانهم مع كونه خلاف الظاهر عار عاردهم من المبالغة
وقوله عز وبن (نحن يعلمهم) تقرير لما سبق من مهارتهم في فن النفاق أي لا ينف على سرائرهم المركزية في
ضمائمهم الامن لا تخفى عليه خافية ما هم عليه من شدة الاهتمام بإبطان الكفر واطهار الاخلاص وفي تعاقب
العلم بهم مع أن المقصود بيان تعلقه بحالهم ما رضى تعليق نفسه بهم وقوله عز شانه (سنعذبهم) وعيد لهم
وتحقيق لعذابهم حسب ما علم الله فيهم من موجباته والسين لتأكيده (مقرنين) عن ابن عباس رضى الله عنهما
أن النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فأنك منافق اخرج يا فلان فأنك منافق
فأخرج ناسا وفنحهم فهذا هو العذاب الاول والثاني اما انقتل واما اذاب القبر أو الاول هو القتل والثاني
عذاب القبر أو الاول أخذ الزكوات منهم بعد وفاءهم بما جرت به عادة الانبياء وانما اذاب الطاعات الفارغة
عن الثواب واعل تذكر عذابهم لما فيهم من الكفر المشفوع بالنفاق او النفاق المؤكد باقتردهم ويجوز أن
يكون المراد بالمرتين مجزئتين من الكثرة كما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين أي مرة بعد أخرى (ثم يردون)
يوم القيامة (الى عذاب عظيم) هو عذاب النار وفي تفسير السبك باسناد عذابهم السابق الى نون
العظمة حسب اسناد ما قبله من العلم واسناد ردهم الى العذاب اللاحق الى أنفسهم اذ ان باختلافهما
حالا أن الاول خاص بهم وقوعا وزمانا وتولاه سبحانه وتعالى والثاني شامل لعامة الكفرة وقوعا وزمانا
وان اختلفت طبقات عذابهم (واخرون) بيان لحال طائفة من المسلمين ضعيفة الهمم في أمور الدين
وهو عطف على منافقين أي ومنهم يعني ومن سواكم ومن أهل المدينة قوم آخرون (اعترفوا بنوبهم)
التي هي تحفلهم من الغزو وإيثار الدعوة عليه والرضاء بسوء جور المنافقين وتذموا على ذلك ولم يردوا
بالمعاذير الكاذبة ولم يذموا ما صدر عنهم من الاعمال السيئة كما فعل من اعتاد اخفاء ما فيه وإبراز ما يشافيه
من المنافقين الذين اعتدروا بالخير فيه من المعاذير المؤكدة بالايان الفاسدة حسب دينهم المألوف
وهم رهط من المخلفين أو ثقاتهم على سوازي المسجد عند ما بلغهم ما نزل في المنافقين فتقدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين حسب عادته الكريمة وراهم كذلك فسأل عن شأنهم فتقبل
انهم أقسموا أن لا يخلوا أنفسهم حتى تعلمهم فقال عليه الصلاة والسلام وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى أوامر
فيهم فنزلت (خطاوا وعلوا صالحا) هو ما سبق منهم من الاعمال الصالحة والخروج الى المعازي السابقة
وغيرها وما لحق من الاعتراف بنوبهم في الخلف عن هذه الميزة وتذمهم وندامتهم على ذلك وتخصيصه بالاعتراف
لا يناسب الخط لا سيما على وجه يؤذن بتوارد المختلطين وكون كل منهم مختلوطا ومخلوطا به كما يؤذن به
تبدل الواو بالباء في قوله تعالى (واحرصثا) فان قولك خلط الماء باللبن يقتضي ايراد الماء على اللبن
دون العكس وقولك خلط الماء باللبن معناه ايقاح الخلط بينهما من غير دلالة على اختصاص أحدهما
بكونه مخلوطا والاخر بكونه مخلوطا به وترك تلك الدلالة للدلالة على جعل كل منهم ماصفا بالوصفين جميعا
وذلك فيما نحن فيه يورود كل من العاملين على الآخرة مبدءا أخرى والمراد بالعمل السيئ ما صدر عنهم من
الاعمال السيئة أو لا واثرا عن الكلي التوبة والانشاء وقيل الواو بمعنى الباء كما في قولهم بعث الشاة
ودرها معنى شاة بدرهم (عسى الله أن يتوب عليهم) أي يقبل توبتهم المقهومة من اعترافهم بنوبهم (ان الله

قوله والتشويق قال الشبهة
هو كالتأنيق التصنع والتكلف
بانطه بار الشبهة وهي الخدق
وما يجب الناظر اراه معصية

غفور رحيم) يتجاوز عن سيئات التائب ويفضل عليه وهو تعليل لما يفيد كلة عسى من وجوب القبول فانها
 للاطماع الذي هو من أكرم الأكرمين ايجاب وأي ايجاب (خدم أموالهم صدقة) روى أنهم لما طلقوا
 قالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفنا عنك فتصدق بها وظهرنا قبال عليه الصلاة والسلام ما أمرت أن
 آخذ من أموالكم شيئا فزات فليست هي الصدقة المفروضة لكونها أموالا بها ولما روى أنه عليه الصلاة
 والسلام أخذ منهم الثاثل وترك لهم الثلثين فوقع ذلك بيانا لما في صدقة من الاجمال وانما هي كنافة لذنوبهم
 حسبا فيني عنه قوله عز وجل (تطهرهم) أي عماء لظغوا به من أوصار الخلف والتاء للخطاب والتعليل يجوز
 على أنه جواب للامر وقسري بالرفع على أنه حال من ضمير المخاطب في خذ أو صفة لصدقة والتاء للخطاب
 أو للصدقة والعائد على الأول محذوف ثقة بما بعده وقسري تطهرهم من أظهرهم بمعنى طهرهم (وتركهم بها)
 بآيات الباء وهو خبر مبتدأ محذوف والجملة حال من الضمير في الامر أي وفي جوابه أي وأنت تركهم بها أي تخي
 تلك الصدقة حسنتهم إلى مراتب المصين أو أموالهم أو تسالغ في تطهيرهم هذا على قراءة الجزم في تطهرهم
 وأما على قراءة الرفع فسواء جعلت التاء للخطاب أو للصدقة وكذا إذا جعلت الجملة الأولى حالا من ضمير المخاطب
 أو صفة للصدقة على الوجهين فالثانية عطف على الأولى حالا وصفة من غير حاجة إلى تقدير المبدأ التوجيه
 دخول الواو في الجملة الحالية (وصل عليهم) أي واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم (ان صلواتك)
 وقرئ صلواتك مرعاة لعدد المدعولهم (سكنهم) تسكن نفوسهم إليها وتطمئن قلوبهم بها روي عنه بأنه
 سبحانه قل قلوبهم والجملة تعليل للامر بالصلاة عليهم (والله سمع) يسمع ما صدر عنهم من الاعتراف بالذنب
 والتوبة والدعاء (عليهم) بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم ومن الاخلاص في التوبة والدعاء أو يسمع
 يجيب دعاءهم عليهم بما تقتضيه الحكمة والجملة حذفت تذييل للتعليل مقترنة بضمونه وعلى الأول تذييل
 لما سبق من الآيتين محقق لما فيه ما (ألم يعلموا) وقرئ بالتاء والضمير اما للتائبين فهو تحقيق لما سبق من قبول
 توبتهم وتطهير الصدقة وتركيتها لهم وتقرير لذلك وتوطئ لقلوبهم ببيان أن المتولى لقبول توبتهم وأخذ
 صدقاتهم هو الله سبحانه وان أسند الأخذ والتطهير والتزكية اليه عليه الصلاة والسلام أي ألم يعلم أولئك
 السابقون (ان الله هو يقبل التوبة) الصحيحة الخاصة (عن عباده) المخلصين فيها ويتجاوز عن سيئاتهم كما ينصح
 عنه كلمة عن والمراد بهم أما أولئك السابقون ووضع المطهر في موضع المنع من الاعتداء بالعبادة لتبطلها
 وأما كافة العباد وهم داخلون في ذلك دخولا أوليا (ويأخذ الصدقات) أي يقبل صدقاتهم
 على أن اللام عوض عن المضاف اليه أو جنس الصدقات المندرج تحته صدقاتهم اندراجا أوليا أي هو الذي
 يتولى قبول التوبة وأخذ الصدقات وما يتعلق بها من التطهير والتزكية وان كنت أنت المباشر لها ظاهر اوقبه
 من تقرير ما ذكره في شأن النبي صلى الله عليه وسلم على نهج قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
 ما لا يخفى (وان الله هو النواب الرحيم) تأكيد لما عطف عليه وزيادة تقرير لما يقرره مع زيادة معنى ليس فيه
 أي ألم يعلموا أنه المختص المستأثر بلوغ الغاية القصوى من قبول التوبة والرمسة وأنت ذلك سنة مستقرة له
 وشأن دائم والجلتان في حيز النصب يعلموا بصدق كل واحدة منهما مبدءا ومعنوايه وأما الغير السابقين من المؤمنين
 فقد روى أنهم قالوا لما تيب على الأولين هؤلاء الذين تابوا كانوا بالا من معنا لا يكتفون ولا يجالسون
 فما لهم فزات أي ألم يعلموا ما للتائبين من الخصال الداعية إلى التكرمة والتقريب والانتظام في سلك المؤمنين
 والتلحق بحسن القبول والجمالية هو ترغيب لهم في التوبة والصدقة وقوله تعالى (وقل اعلموا) زيادة
 ترغيب لهم في العمل الصالح الذي من بجلته التوبة وللأولين في الثبات على ما هم عليه أي قل لهم بعد
 ما بان لهم شأن التوبة أعمالوا ما تشاؤون من الاعمال فظاهره ترخيص وتخيير وباطنه ترغيب وترغيب
 وقوله عز وجل (فسيرى الله عملكم) أي خيرا كان أو شرا فعليل لما قبله وتأكيد للترغيب والترغيب
 واللين للتأكيد (ورسوله) عطف على الاسم الجليل وتأخير عن المفعول للاشعار بما بين الرؤيتين
 من التفاوت (والمؤمنون) في الخبر لو أن رجلا عمل في صخرة لا باب لها ولا كوة تخرج عنه إلى الناس
 كائنا ما كان والمعنى أن أعمالكم غير خافية عليهم كما رأيتم وتبين لكم ثم ان كان المراد بالرؤية معناها
 الحقيقي فلا مظهر وان أريد بها ما لها من الجزاء خيرا أو شرا فهو خاص بالديوى من اظهار المدح

والثناء والذكر الجليل والاعزاز ونحو ذلك من الاجزية وأضدادها (وستردون) أى بعد الموت (الى عالم الغيب والشهادة) في وضع الظاهر موضع المنع من تحويل الامر وتربية المهابة ما لا يخفى ووجه تقديم الغيب في الذكر لمة عالمه وزيادة خطره على الشهادة غنى عن البيان وقيل ان الموجودات الغائبة عن الحواس علل أو كالمعلل للموجودات المحسوسة والعلم بالمعلل علل لآله بالمعلولات فوجب سبق العلم بالغيب على العلم بالشهادة * وعن ابن عباس رضى الله عنهما الغيب ما يسر ونه من الاعمال والشهادة ما يظهر ونه كقوله تعالى يعلم ما يسر ون وما يعلنون فالتقديم حينئذ لصيق أن نسبة علم المحيط بالسر والعلن واحدة على أبلغ وجه وأكده لا لاسهام أن علمه سبحانه بما يسر ونه أقدم منه بما يعلنونه كيف لا وعلمه سبحانه بعلمه ما نه منزه عن أن يكون بطريق حصول الصورة بل وجود كل شئ ونحوه في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الامور البارزة والسكينة واما للايدان بأن رتبة السر متقدمة على رتبة العلن اذ ما من شئ يعلن الا هو أو بمباديه القريبة أو البعيدة من قبل ذلك في القلب فتعلق علمه تعالى به في حاله الاولى متقدم على تعلقه به في حاله الثانية (فينبئكم) عقيب الرد الذي هو عبارة عن الامر الممتد الى يوم القيامة (بما كنتم تعملون) قبل ذلك في الدنيا والمراد بالتبينة بذلك الجزاء بحسبه ان خير الخير وان شره افشر فهو وعد ووعد (وآخرون) عطف على آخرون قبله أى ومن المتخفين من أهل المدينة ومن حواصليها من الاعراب قوم آخرون غير المعترفين المذكورين (مرجون) وقرئ مرجون من أرجيته وأرجانه أى آخرته ومنه المرجئة الذين لا يتطهرون بقبول التوبة (لا امر الله) في شأنهم قال ابن عباس رضى الله عنهما هم كعب بن مالك ومرة بن الربيع وهلال بن أمية لم يسارعوا الى التوبة والاعتذار كما فعل أبو سابة وأصحابه من شذأ أنفسهم على السوارى واطهار النعم والخزع والتندم على ما فعلوا فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى أصحابه عن أن يسلموا عليهم ويكلموهم وكانوا من أصحاب بدر فجهروهم والناس في شأنهم على اختلاف فن قاتل هلكوا وقائل عسى الله أن يغفر لهم فصاروا عندهم مرجئين لا امره تعالى (اتمايعذبهم) ان يشعوا على ما هم عليه من الحال وقيل ان أصر واعلى النفاق وليس بذلك فان المذكورين ليسوا من المنافقين (واتما يوب عليهم) ان خاست نيتهم وصحت نيتهم والجملة في محل النصب على الحالية أى منهم هؤلاء اتما يعذبون واتما يتوبوا عليهم وقيل آخرون مستأدومرجون صفته وهذه الجملة خبره (والله اعلم) بأحوالهم (حكيم) فيما فعل بهم من الارباء وما بعده وقرئ والله غفور رحيم (والذين اتخذوا مسجدا) عطف على ما سبق أى ومنهم الذين أنصب على الذم وقرئ بغيروا ولا تها قصة على حياهما (شرارا) أى مضارة للمؤمنين واتصاه به على أنه مفعول له أو مفعول ثان لاتخذوا أو على أنه مصدر مؤكد لفعل مقدر منصوب على الحالية أى يضارون بذلك شرارا أو على أنه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا من ضمير اتخذوا أى مضارين للمؤمنين * روى أن بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجدا قبا بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم فيصلى بهم في مسجدهم فلما فعله عليه الصلاة والسلام حسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا بنى مسجدنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى عمار الراهب أيضا اقدم من الشام وهو الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وقد كان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد لا أجد قوما يشاؤونك الا قاتلت معهم فلم يزل يفعل ذلك الى يوم حنين فلما نهزم هاربوا الى الشام وأرسل الى المنافقين أن استمعوا وما استمعتم من قوة وسلاح فأتى ذاهب الى قيسر وآت بجندود ومخرج مجندا وأصحابه من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قبا وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا الذى العلم والحاجة والليلة المطيرة والشتية ونحن نحب أن نصلى لنفسانية وتدعوا بالبركة فقال عليه الصلاة والسلام انى على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما قفل عليه الصلاة والسلام من غزوة تبوك سالوا اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا عيال ابن الدخشم ومع بن عدى وعامر بن السكن ووحشى فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الطالم أهله فاعدموه وأحرقوه ففعلوا وأمر أن يتخذ مكانه ككاسة تلقى فيها الجيف والقمامة وهلك أبو عامر الفاسق بالشام بقسرين * (وكفرا) تقوية للكفر الذى يضررونه (وتقرىضا

بين المؤمنين الذين كانوا يصلون في مسجد قبا بمكة من قبضتهم فمأرادوا أن يتفرقوا وتختلف كلمتهم
(وارصادا) اعدادا وانتظارا وترقباً (من حارب الله ورسوله) وهو الراهب الفاسق أى لاجله حتى يحيى
فيصلى فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قبل) متعاقباً يتخذوا أى يتخذوه من قبل أن
يتأفقوا بالتحالف حيث كانوا يتوبون قبل غزوة تبوك أو بحارب أى حاربهم ما قبل اتخاذ هذا المسجد
(وإضافته أن اردنا) أى ما أردنا بيننا هذا المسجد (الالحق) الإلهية الحسنى وهى الصلاة وذكر الله
والتوسعة على المصلين أو الأرادة الحسنى (والله يشهد أنهم كاذبون) فى حلقهم ذلك (لأنهم) للصلاة
(فيه) فى ذلك المسجد جادعوا إليه (أبداً لمسجد أسس) أى بنى أصله (على التقوى) يعنى مسجد
قبا أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه أيام مقامه بقبا وهى يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء
والخمس وخارج يوم الجمعة وقيل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعن أبي سعيد رضى الله
عنه مات النبي صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذى أسس على التقوى فأخذ حصياً فضرب به الأرض
وقال مسجدكم هذا مسجد المدينة واللام التاملاً لبدء أول قسم المحذوف أى والله لمسجد وعلى التقديرين
مسجد مبتدأ وما بعده صفته وقوله تعالى (من أقول يوم) أى من أيام تأسيسه متعلق بتأسيس وقوله تعالى
(أحق أن تقوم فيه) أى للصلاة وذكر الله تعالى خبره وقوله تعالى (فيه رجال) جملة مستأنفة مبنية
لاحتمية أقيامه عليه الصلاة والسلام فيه من جهة الحال بعد بيان أحقيته له من حيث المحل أو صفة أخرى
للمبتدأ أو حال من التعمير فيه وعلى كل حال ففيه تحقيق وتقرير لاستحقاقه القيام فيه والمراد بكونه
أحق نفس كونه حقيقاً به إذ لا استحقاق فى مسجد الضرار رأساً وإنما عبر عنه بصيغة التفضيل لفضله وكماله
فى نفسه أو الأفضلية فى الاستحقاق المتناول لما يكون باعتبار زعم الباقى ومن يشايعه فى الاعتقاد وهو
الانساب عباسى (يحجون أن يطهروا) من العاصى والحاصل الذميمة إرضاء الله سبحانه وقيل من
الجنابة فلا يشامون عليها (والله يحب المطهرين) أى يرضى عنهم ويدينهم من جنابه أذناه الحب حبيبه
قيل لما زانت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فإذا الانصار
جالوس فقال المؤمنون أنتم فسكت القوم ثم أعادها فقال عمر رضى الله تعالى عنه يا رسول الله انهم مؤمنون
وأنا معهم فقال عليه الصلاة والسلام أترضون بالقضاء قالوا نعم قال عليه الصلاة والسلام انصبرون على البلاء
قالوا نعم قال اشكروا فى الرخاء قالوا نعم قال عليه الصلاة والسلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر
الانصار ان الله عز وجل قد أتى عليكم ما الذى تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فأتبع الغائط بالاجار
الثلاثة ثم تتبع الاجار الماء فلا النبي عليه الصلاة والسلام فيه رجال يحجون أن يطهروا وقرئ أن يطهروا
بالادغام وقيل هو عام فى التطهر عن نجاسات كلها وكانوا يتبعون الماء اثر البول وعن الحسن رضى الله عنه
هو التطهر عن الذنوب بالتوبة وقيل يحجون أن يطهروا بالنجاسة المكفرة لذنوبهم فمما عن آخرهم (ومن أسس
بنيانه) على بناء الفعل للناس على والتصب وقرئ على البناء للمفرد والرفع وقرئ أسس بنيانه على الإضافة
جمع أساس وأساس بالنفع والكسر جمع اس وقرئ أساس بنيانه جمع اس أيضاً واس بنيانه وهى جملة مستأنفة
مبنية تخيرية الرجال المذكورين من أهل مسجد الضرار والهمزة لأنكار والنساء للعطف على مقدر أى أبعد
ما علم حالهم من أسس بنيان دينه (على تقوى من الله ورضوان) أى على قاعدة محكمة هى التقوى من الله
وابتغاء مرضاته بالطاعة والمراد بالتقوى درجتها الثانية التى هى التوقى عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك وقرئ
تقوى بالتقوى على أن الالف للالحاق دون التانيث (خير آمن أسس بنيانه) ترك الأضمار للايضاح
باختلاف البنيان ذات الاختلافهما وصفوا وضافه (على شفا جرف هار) الشفا الجرف والشفا الجرف
ما جرفه السيل أى أسس أصله واحترق ما تحته بقي وأهيا يريد الانهدام والهار الهاء المصدرة المشرفة
الى السقوط من هاريم ورويعار أو هاريم قدمت لامة على عينه فصار كغازورام وقيل حدثت عنه اعتباراً
أى بغير موجب جفى وجوه الاعراب على لامة (فانما ربه فى نار جهنم) مثل ما ينو عليه أمر دينهم فى البطلان
وسرعة الانطمان بما ذكر ثم رشح بانهيائه فى النار ووضع عقابله الرضوان تنبيهاً على أن تأسيس ذلك على أمر

يحفظه من النار ويوصله الى الرضوان ومقتضياتها التي ادناها الجنة وتأسيس هذا على ما هو بصدد الوقوع
 في النار ساعة فساعة ثم معبرهم اليها لاجل حاله وقرئ جرف بسكون الراء (واقه لا يدي القوم الظالمين) أي
 لانفسهم أو الواضعين للأشياء في غير مواضعها أي لا يرشدهم الى ما فيه نجاستهم وصلاحهم ارشاداً موجباً له
 محالة وأما الدلالة على ما يرشدهم اليه ان استرشدوا به فهو متحقق بلا اشتباه (لا يزال بنيانهم الذي بنوا) البنيان
 مصدر أرزق به المفعول ووصفه بالموصل الذي صلته فعله لا يذ ان بكيفية بنائهم له وتأسيسه على اوهن قاعدة
 وأوهى أساس ولا شعاع بهل الحكم أي لا يزال مسجدهم ذلك مبنياً ومهدوماً (ريسة في قلوبهم) أي سبب رية
 وشك في الدين كأنه نفس الريسة أتماحال بنيانه فظاهر لما أن اعتزالهم من المؤمنين واجتماعهم في مجمع على حياله
 يظهر روت فيه ما في قلوبهم من آثار الكفر والنفاق ويدبرون فيه أمورهم ويتشاورون في ذلك ويبقى بعضهم الى
 بعض مامعاً ومن أمر المؤمنين بما يزيدهم رية وشكاً في الدين وأتماحال هدمه فلما أنه رخصه ما كان في قلوبهم
 من الشر وتضاعفت آثاره وأحكامه أو سبب رية في أمرهم حيث ضعت قلوبهم ووهي اعتقادهم بخفاء
 أمرهم على المؤمنين لانهم لم يظهروا من أمرهم بعد البناء أكثر مما كانوا يظهرونه قبل ذلك وقت اختلاطهم
 بالمؤمنين وسامت ظنونهم بانفسهم فلما هدم بنيانهم تضاعف ذلك الضعف وتقوى وصاروا مرتابين
 في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يتركهم على ما كانوا عليه من قبل أو يأمر بقتلهم ونهب أموالهم وقال
 الكلبي معني رية حسرة وندامة وقال السدي وحبيب والمبرد لا يزال هدم بنيانهم حرازة وغنطاف قلوبهم
 (الآن تقطع) من الفعل يقطع أي الآن تقطع (قلوبهم) قطعاً وتنفوقاً أجزاء بحيث
 لا يبق لها قابلية ادراكها وانفصالها وهو استثناء من أعم الاوقات وأعم الاحوال ومحله النصب على
 الظرفية أي لا يزال بنيانهم رية في كل الاوقات أو كل الاحوال الا وقت تقطع قلوبهم أو حال تقطع قلوبهم
 فحينئذ يسلمون عنها وأما امادات سالمة فالريسة باقية فيها فهو تصوير لامتناع زوال الريسة عن قلوبهم ويجوز أن
 يكون المراد حقيقة تقطعها عند قتلهم أو في التبرير أو في النار وقرئ تقطع على بناء الجعول من التفعيل وعلى
 البناء للفعل منه على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم أي الآن تقطع أنت قلوبهم بالقتل وقرئ على البناء
 للجعول من الثلاث مذكراً ومؤنثاً وقرئ الى أن تقطع قلوبهم والى أن تقطع قلوبهم على الخطاب وقرئ ولو
 قطعت قلوبهم على اسناد الفعل مجهولاً الى قلوبهم ولو قطعت قلوبهم على الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
 أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب وقبل الآن يوجبوا به تقطع بها قلوبهم ندماً وأسناً على تفرطهم (والله اعلم)
 بجميع الاشياء التي من علمها ما ذكر من أحوالهم (حكيم) في جميع أنفاله التي من زمرتها أمره الوارد
 في حقهم (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) ترغيب للمؤمنين في الجهاد ببيان فضيلته اثر بيان
 حال المخلفين عنه ولقد بواخ في ذلك على وجه لا مزيد عليه حيث عبر عن قبول الله تعالى من المؤمنين أنفسهم
 وأموالهم التي بذلوها في سبيله تعالى وإثباته اياهم بمقابلتها بالجنة بالراء على طريقة الاستعارة التبعية
 ثم جعل المبيع الذي هو العمد والمقصد في العقد أنفس المؤمنين وأموالهم والتمن الذي هو الوسيلة في الصفقة
 الجنة ولم يجعل الامر على العكس بأن يقال ان الله يباع الجنة من المؤمنين بأنفسهم وأموالهم ليدل على
 أن المقصد في العقد هو الجنة وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الانفس والاموال وسيلة اليها اي انا بخلق
 كمال العناية بهم وبأموالهم ثم انه لم يقل بالجنة بل قيل (بأن لهم الجنة) مبالغة في تقرر وصول الثمن اليهم
 واختصاصهم بهم كأنه قيل بالجنة الشائبة لهم المختصة بهم وأما ما يقال من أن ذلك ادح المؤمنين بأنفسهم بذلوا
 أنفسهم وأموالهم بمجرد الوعد لكمال ثقتهم بوعده تعالى وأن تمام الاستعارة موقوف على ذلك اذ لو قيل بالجنة
 لاحتمل كون الشراء حقيقة لانها صالحة للعوضه بخلاف الوعد بها فليس بشئ لان مناط دلالة ما عليه النظم
 الكريم على الوعد ليس كونه جملته ظرفية معذرة بأن فان ذلك بعزل من الدلالة على الاستقبال بل هو الجنة
 التي يستحيل وجودها في الدنيا ولو سلم ذلك يكون العوض الجنة الموعود بها لا الوعد بها (يقاتلون في سبيل
 الله) استئناف لكن لا بيان ما لاجله الشراء ولا لبيان نفس الشراء لان قتالهم في سبيل الله تعالى ليس
 باشتراء الله تعالى منهم أنفسهم وأموالهم بل هو بذل لهم ما في ذلك بل لبيان البيع الذي يستدعيه الاشتراء

المذكور كانه قيل كيف يبيعون أنفسهم وأموالهم بالجنة فقيل يشاتلون في سبيل الله وهو بذل منهم لانفسهم
وأموالهم الى جهة الله سبحانه وتعالى بضم الهاء واللام واللام واللام وقوله تعالى (فبعضهم يقاتل وبعضهم لا يقاتل) بيان لكون القتال
في سبيل الله بذل للنفس وان المقاتل في سبيله بذل لها وان كانت سالمة غائمة فان الاستناد في الفعلين ليس
بطريق اشتراط الجمع بينهما ولا اشتراط الاتصاف بأحدهما البتة بل بطريق وصف الكل بحال البعض
فانه يتحقق القتال من الكل سواء وجد الفعلان أو أحدهما منهم أو من بعضهم بل يتحقق ذلك وان لم يصدر
منهم أحدهما أيضا كما اذا وجد المضاربة ولم يوجد القتال من أحد الجانبين ولم توجد المضاربة أيضا
فانه يتحقق الجهاد بمجرد العزيمة والتفكير وتكثير السواد وتقديم حالة القتالية على حالة المتسولية للأيديان
بعدد الفرق بينهم في كونهم مأمدا أم لا لكون القتال بذل للنفس وقرئ بتقديم المبتدأ للمفعول رعاية لكون
الثناء عريضة في الباب وايدنا بعدم مالاتهم بالموت في سبيل الله تعالى بل بكونه واجب لهم من السلامة
كما قيل في حقهم

لا يفرحون اذا نالت رماحهم • قوما وليوا بجهادهم اذا نزلوا

لا يتبع الطعن الا في شجورهم • وما لهم عن حياض الموت تهليل

وقيل في يقاتلون الخ معنى الامر كما في قوله تعالى فيجاهدوهم في سبيل الله بأموالكم وانفسكم (وعدا عليه)
مصدر مؤكدا ما يدل عليه كون الثمن مؤجلا (حقا) نعم لو عدوا للطرف حال منه لانه لو تأخر كان صفة له
وقوله تعالى (في التوراة والانجيل والفرقان) متعلق بمعدوف وقع صفة لوعدا أي وعدا مشتبها في التوراة
والانجيل كما هو مثبت في القرآن (ومن أوفى بعهده من الله) اعتراض مقترن لمخبرون ما قبله من حضية
الوعد على نفع المبالغة في كونه سبحانه أوفى بعهده من كل واف فان اخلاف المعاهد مما لا يكاد يصدر عن
كرام المخلوق مع امكان صدوره عنهم فكيف يجنب المطلق الغنى عن العالمين جل جلاله وسبب التركيب
وان كان على انكار أن يكون أحد أوفى بعهده من تعالى من غير تعرض لانكار المساواة ونسبها لكن
المقصود به قصد امطراد انكار المساواة ونفيها قطعا فاذا قيل من أكرم من فلان أو لا أفضل منه فالمراد به
حتمنا أنه أكرم من كل كريم وأفضل من كل فاضل (فاستبشروا) النفات الى الخطاب تشريفا لهم على تشريف
وزيادة لسرورهم على سرور والاستبشار اظهارة السرور والسين فيه ليس لطلب كاسته وقد وأقد والنساء
لترتيب الاستبشار أو الامر به على ما قبله أي فاذا كان كذلك فسر وانهاية السرور وافر حوا غاية الفرح بما
فرتم به من الجنة وانما قيل (بنيكم) مع أن الاجتماع به باعتبار أدائه الى الجنة لان المراد ترغيبهم في الجهاد
الذي عبر عنه بالبيع وانما يذكر العبد بعنوان الشراء لان ذلك من قبل الله سبحانه لامن قبلهم والترغيب
انما يكون فيما بينهم من قبلهم وقوله تعالى (الذي يا بعتهم) لزيادة تقريرهم وللاشعار بكونه مغاير للسائر
البياعات فانه يبيع للناس بالباقي ولان كالا يدين له سبحانه وتعالى عن الحسن رضى الله عنه انفسا هو
خلقها وأموالها ورزقها روى أن الانصار لما بارأوه عليه الصلاة والسلام على العقبة قال عبد الله بن رواحة
رضي الله تعالى عنه اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال عليه الصلاة والسلام اشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا
به شيئا واشترط انفسى أن تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم قال فاذا فعلنا ذلك فمالنا قال انكم الجنة قالوا ربح
البيع لا تقبل ولا تستقبل ومرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعراحي وهو يقرؤها قال كلام من قال كلام
الله عز وجل قال يبيع والله مريح لا تقبله ولا تستقبل فخرج الى الغزو واستشهد (وذلك) أي الجنة التي
جعلت ثمنا بمساواة ما بذلوا من انفسهم وأموالهم (هو الفوز العظيم) الذي لا فوز أعظم منه وما في ذلك من معنى
البعد اشارة الى بعد منزلة المشار اليه وسعور رتبته في الكمال ويجوز أن يكون ذلك اشارة الى البيع الذي
أمروا بالاستبشار به ويجعل ذلك كانه نفس الفوز العظيم او يجعل فوزا في نفسه فالجمله على الاقل تدل لالة
الكريمة وعلى الثاني لقوله تعالى فاستبشروا مقر لمخبرونه (التائبون) رفع على المدح أي هم التائبون
يعني المؤمنين المذكورين كما يدل عليه القراءة بالياء نصبا على المدح ويجوز أن يكون مجرورا على أنه صفة
للمؤمنين وقد جوز الرفع على الابتداء وانظر محذوف أي التائبون من أهل الجنة أيضا وان لم يجاهدوا كقولهم

تعالى وكلا وعد الله الحسنى ويجوز أن يكون خبره قوله تعالى (الصابغون) وما بعده خبره خبر أي الصابغون
 من الكفر على الحقيقة هم الجاهلون لهذه النعوت الفاضلة أي المخلصون في عبادة الله تعالى (الصابغون)
 لتسمائهم ولما نالهم من السراء والضراء (الصابغون) الصائغون لقوله عليه الصلاة والسلام سيأخذ
 امتي الصوم شبه به لأنه عاتق عمن الشهوات ولا يراخه نفسانية يتوسل بها إلى العتور على خلقها الملك
 والملكوت وقيل هم الصابغون في الجهاد وطالب العلم (الصابغون الساجدون) في الصلاة (الصابغون
 المعروف) بالإيمان والطاعة (والصابغون عن المنكر) عن الشرك والمعاصي والعطف فيه للدلالة على
 أن التعاطفين بمنزلة خصلة واحدة وأما قوله تعالى (والصابغون لحدود الله) أي فيما بينه وعينه من الحقائق
 والشرايع عملا وحلا للناس عليه فلا يتوهم اختصاصه بأحد الوجوهين (وبشر المؤمنين) أي الموصوفين
 بالنعوت المذكورة ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتمية على أن ملائكة الأمر والإيمان وأن المؤمنين
 الكامل من كان كذلك وحذف البشرية للإيدان بخروجه عن حد البيان وفي تخصيص الخطاب بالاولين
 اظهار زيادة اعتناء بأمرهم من الترغيب والتسلي (ما كان لاني والذين آمنوا) بالله وحده أي ما صرح لهم
 في حكم الله عز وجل وحكمته وما استقام (ان يستغفروا للمشركين) به سبحانه (ولو كانوا) أي المشركون
 (أولي قربي) أي ذوي قرابة لهم ويجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة أخرى قبلها
 محذوفة حذفاً مطرداً كما بين في قوله تعالى ولو كره الكافرون وظنوا أنهم (روى أنه عليه الصلاة والسلام قال
 لعنه أبي طالب لما حضرته الوفاة يا عم قل كلمة أجاج لك بها عند الله فاني فقال عليه الصلاة والسلام لا زال
 استغفر لك ما لم أنه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج إلى الأبواء فزار قبر أخته ثم قام مستعبدا فقال اني
 استأذنت ربي في زيارة قبر أمتي فاذن لي واستأذنته في الاستغفار اراه اقل يأذن لي وأذن لي على الآيتين (من بعد
 ما تبين لهم) أي للنبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنين (أنهم) أي المشركين (أصحاب الجحيم) بأن ما نوا على
 الكفر وأذن الوحي بأنهم يموتون على ذلك (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه) بقوله واغفر لأبي أي بأن يوفقه
 للإيمان وتهديه إليه كما يلوح به تعليله بقوله أنه كان من الضالين والجملة استئناف مسوق لتقرير ما سبق ودفع
 ما يترامى بحسب الظاهر من المخالفة وقرئ وما استغفار إبراهيم لأبيه وقرئ وما يستغفر إبراهيم على حكاية
 الحال الماضية وقوله تعالى (الاعن موعدة) استثناء مفرغ من أعم العمل أي لم يكن استغفاره عليه
 السلام لأبيه أثر ناشئ عن شيء من الأشياء الاعن موعدة (وعدها) إبراهيم عليه الصلاة والسلام (آياه)
 أي آياه وقد قرئ كذلك بقوله لاستغفرت لك وقوله ما استغفرتك ربي بناء على رجاء إيمانه لعدم تبين حقيقة
 أمره والاعن موعدها آياه كأنه قيل وما كان استغفار إبراهيم لأبيه الاعن موعدة مبنية على عدم تبين أمره كما
 يأتي عنه قوله تعالى (فلما تبين له) أي لإبراهيم بأن أوحى إليه أنه مصر على الكفر غير مؤمن أبداً وقيل بأن مات
 على الكفر والاول هو الانسب بقوله تعالى (انه عدو لله) فان وصفه بالعداوة بما آياه حالة الموت (قبر أمته)
 أي تنزه عن الاستغفار له وتجنب كل التجانب وفيه من المبالغة ما ليس في تركه وظنوا (ان إبراهيم لا واه) الكثير
 التأوه وهو كناية عن كمال الرأفة ورقة القلب (حليم) صبور على الأذية والمحنة وهو استئناف لبيان ما كان
 يدعوه عليه الصلاة والسلام إلى ما صدر عنه من الاستغفار وفيه ايذان بأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام
 كان أواهاً حليماً فلذلك صدر عنه ما صدر من الاستغفار قبل التبين فليس غيره أن يأتي به في ذلك وقتاً كيد
 لوجوب الاجتناب عنه بعد التبين بأنه عليه الصلاة والسلام تبرأ منه بعد التبين وهو في كمال رقة القلب والحلم
 فلا بد أن يكون غيراً أكثر منه اجتناباً وتبرؤاً وأما أن الاستغفار قبل التبين لو كان غير محذور لما استثنى
 من الاتساع به في قوله تعالى الا قول إبراهيم لأبيه لاستغفرت لك فقد حقق في سورة مريم بأذن الله تعالى
 (وما كان الله ليضل قوماً) أي ليس من عادته أن يضلهم بالضللال عن طريق الحق ويجري عليهم أحكامه
 (بعد اذ هداهم) للإسلام (حق بين لهم) بألوحى صريحاً ودلالة (ما يقون) أي ما يجب اتقاؤه من محظورات
 الدين فلا يترجموا عما نهوا عنه وأما قبل ذلك فلا يسمى ما صدر عنهم ضلالاً ولا يؤاخذون به فكانه تسلياً للذين
 استغفروا للمشركين قبل ذلك وفيه دليل على أن الغافل غير مكلف بما لا يستتبع معرفته العقل (ان الله بكل

تنبي عليهم) تليل لما سبق أي انه تعالى عليهم بجميع الاشياء التي من جملتها حاجتهم الى بيان قبح ما لا يستقل
 العقل في معرفته فيبين لهم ذلك كما فعل ههنا (ان الله له ملك السموات والارض) من غير شريك له فيه (يحيي
 ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) لما منعهم من الاستغفار للمشركين وان كانوا أولى قرب
 ومن ذلك التبرؤ منهم وأساين لهم أن الله تعالى مالك كل موجود ومتولى اموره والغالب عليه ولا ياتى لهم
 نصر ولا ولاية الا منه تعالى ليتوجهوا اليه بشرا بشرهم متبرئين عما سواه غير فاعدين الاياه (لقد تاب الله على
 النبي) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو العفو عن اذنه للمنافقين في التخليف عنه (والمهاجرين
 والانصار) قيل هو في حق زلات سبقت منهم يوم أحد ويوم حنين وقيل المراد ببيان فضل التوبة وانه ما من
 مؤمن الا وهو محتاج اليها حتى النبي صلى الله عليه وسلم لما صدر عنه في بعض الاحوال من ترك الاولى
 (الذين اتبعوه) ولم يتخللوا عنه ولم يخافوا بامر من او امره (في ساعة العسرة) أي في وقتها والتعبير عنه بالساعة
 لزيادة تعيينه وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهيرة ثقب عشرة على بعد واحد ومن الزاد تزودوا
 القرامد ودوا لشعب المرس والاهالة الزخمة وبلغت بهم الشدة اني أن اقتسم القرية ثلثان وربما مصها الجماعة
 ليشربوا عايب الماء المتغير وفي عسرة من الماس حتى شحروا الابل واعتصروا فرونها وفي شدة زمان من حجارة
 القيط ومن الجذب والقمط والضيقة الشديدة ووصف المهاجرين والانصار بما ذكر من اتباعهم له عليه الصلاة
 والسلام في مثل هاتيك المراتب من الشدة للمبالغة في بيان الحاجة الى التوبة فان ذلك حيث لم يقم عنهما قلان
 لا يستغنى عنهما غيرهم أولى وأحرى (من بعدما كاد يربغ فلوب فريق منهم) بيان لنهاى الشدة وبلوغها
 الى ما لا غاية وراها وهو اشراق بعضهم على أن يميلوا الى التخليف عن النبي عليه الصلاة والسلام وفي كاد ضمير
 الشأن وضمير القوم الراجع اليه لضمير في منهم وقرئ بتأنيث الفعل وقرئ من بعدما ما زاعت فلوب فريق منهم
 يعني المتخلفين من المؤمنين كآتي لبابة وأضرابه (ثم تاب عليهم) تكرر لئلا كيد وتنبه على أنه يتأب عليهم
 من أجل ما كابدوا من العسرة والمراد أنه تاب عليهم لكيد وودتهم (انهم هم رؤوف رحيم) استئناف تعليل
 فان صفة الرأفة والرحمة من دواعي التوبة والعفو ويجوز كون الاول عبارة عن ازالة الضرر والثاني
 عن ابدال المنفعة وأن يكون أحدهما تسويقا والآخر للواقع (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) أي وتاب
 الله على الثلاثة الذين أخرأمرهم عن أمر أبي لبابة وأصحابه حيث لم يقبل معذرتهم مثل أولئك ولا ردت
 ولم يتطع في شأنهم بشئ إلى أن نزل فيهم الوحي وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرة بن الربيع وقرئ
 خلقوا أي خلفوا الغازين بالمدينة أوفدوا من الخالفة وخلف القم وقرئ على المخلفين والاول هو الانب
 لان قوله تعالى (حتى اذا ضاقت عليهم الارض) غاية للتخليف ولا يناسبه الا المعنى الاول أي خلفوا وأخر
 أمرهم الى أن ضاقت عليهم الارض (بما رحبت) أي برحبها ووسعها لاعراض الناس عنهم وانقطاعهم عن
 مضاوضتهم وهو مثل لشدة الحيرة كأنه لا يستقر به قرار ولا نطمئن له دار (وصاف عليهم انفسهم) أي اذا
 رجعوا الى انفسهم لا يطمئنون بشئ لعدم الأمن والسرور وامنيتلاء الوحشة والحيرة (وظنوا أن لا ملجأ
 من الله الا اليه) أي علوا أنه لا ملجأ من مخطئه تعالى الا الى استغفاره (ثم تاب عليهم) أي وقهم
 لتوبة (ليتوبوا) أو أنزل قبول توبتهم لمير وامن بجله التوابين أو رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد
 أخرى ليستقيموا على توبتهم (ان الله هو التواب) المباليغ في قبول التوبة كما وكيفا وان كثرت الجناسات
 وعظمت (الرحيم) المتفضل عليهم بنبون الا لامع استحقاقهم لافان العقاب • روى أن ناسا من المؤمنين
 تخافوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من بداهه وكره مكانه فلق به عليه الصلاة والسلام • عن الحسن
 رضي الله عنه أنه قال بلغني أنه كان لاحدهم حائط فكان خيرا من مائة ألف درهم فقال يا حائلنا
 ما خلفني الا ظلك واتطارد غارك اذهب فأتني سبيل الله ولم يكن لآسر الا أهله فقال يا أهله ما باطنى
 ولا خلفي الا القسبك فلا جرم والله لا كابدن الشدائد حتى ألحق رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأبطزاده
 ولحق به عليه الصلاة والسلام قال الحسن رضي الله عنه • كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصبر
 عليها وعن أبي ذر الغفاري أن بعيره ابطا به فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم

قوله سجادة في بعض النسخ
 برارة وهي معناها اه

مصحه

ما شيا فقال عليه الصلاة والسلام لما رأى سواده كن أباذر فقال الناس هو ذا النفاق عليه الصلاة والسلام
 رحم الله أباذر يعني وحده ويموت وحده ويبعث وحده وعن أبي خيثمة أنه بلغ بستانه وكانت له امرأة
 حسنة فرشت له في الظل وبسطت له المصير وقررت إليه الرطب والماء الباردين فقال ظل ظليل ورطب
 يابس وما بارد وامرأة حسنة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام ورجل
 ناقته وأخذ سيفه ورجحه ومز كل ريح فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه إلى الطريق فاذا براكب يزهاه
 السراب فقال كن أيا خيثمة فكانه قد ربح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له ومنهم من بقى لم يلحق به
 عليه الصلاة والسلام منهم الثلاثة قال كعب رضى الله عنه لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه
 فردت علي كالمغضب بعد ما ذكرني وقال يا ليت شعري ما خلف كعبا فتدبيل له ما خلفه الا حسن برديه
 والنظر في عطفه فقال عليه الصلاة والسلام ما أعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا أيها الثلاثة فنذكر
 لنا الناس ولم يكلمنا أحد من قريب ولا بعيد فلما مضت أربعون ليلة أمرنا أن نعتزل نساءنا ولا نقر بهن
 فلما تمت خمسون ليلة اذا انبأنا من ذروة سلع أبريا كعب بن مالك فخررت لله ساجدا وكنت كك
 وصفتي ربي وضافت عليهم الارض بمأربحت وضافت عليهم أنفسهم وتابعت البشارة فلبست ثوبي واطلقت
 إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول
 إلى حتى صاحني وقال لئن كنت توبة الله عليك فلن أنساها طلحة رضى الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وهو يستنير استنارة القمر أبريا كعب بخير يوم من عز عليك منذ ولدتك أمك ثم تلا علينا الآية وعن
 أبي بكر الوراثي أنه سئل عن التوبة النصوح فقال أن يضيق على التائب الارض بمأربحت ويضيق عليه
 نفسه كتوبة كعب بن مالك وما حبيه (يا أيها الذين آمنوا) خطاب عام يندرج فيه التائبون اندراجا أوليا
 وقيل لمن تخلف عليه من الطلقاء عن غزوة تبوك خاصة (اتقوا الله) في كل ماتأتون وماتذرون فيدخل
 فيه المعاملة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر المغازي دخول أوليا (وكونوا مع الصادقين) في إيمانهم
 وعهودهم وفي دين الله نية وقولا وعملا وفي كل شأن من الشؤون فيدخل ما ذكرنا وفي توبتهم واتباعهم فيكون
 المراد بهم حينئذ هؤلاء الثلاثة وأشرابهم * وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه خطاب لمن آمن من أهل
 الكتاب أي كونوا مع المهاجرين والانصار وانظموا في سلكهم في الصدق وسائر المحاسن وقرئ من الصادقين
 (ما كان لاهل المدينة) ماصح وما استقام لهم (ومن حولهم من الاعراب) كزينة وجهينة وأشجع
 وغفار وأشرابهم (أن يخلفوا عن رسول الله) عند توجهه عليه الصلاة والسلام إلى الغزو (ولا يرغبوا)
 نصب وقد جوز الجزم (بأنفسهم عن نفسه) أي لا يصرفوها عن نفسه الكريمة ولا يصرفوها عما لم يكن عنه
 نفسه بل يكابدوا معه ما يكابده من الأهوال والخطوب والكلام في معنى النهي وإن كان على صورة الخبر (ذلك)
 إشارة إلى ما دل عليه الكلام من وجوب المشايعة (بأنهم) بسبب أنهم (لا يصيبهم ظمأ) أي عطش
 يسير (ولا نصب) ولا تعب ما (ولا محنة) أي مجاعة ما لا ما يستباح عنده المحرمات من مراتبها فان الظما
 والنصب اليسيرين حين لم يخلو من الثواب فلا لا يتجاوز ذلك منه أولى فلا حاجة إلى تأكيدهم التقي بذكر
 كلمة لا ويجوز أن يراد بها تلك المرتبة ويكون الترتيب بناء على كثرة الوقوع وقتله فان الظمأ أكثر وقوعا
 من النصب الذي هو أكثر وقوعا من المحنة بالمعنى المذكور فتوسط كلمة لا حينئذ ليس لتأكيد التقي بل للدلالة
 على استئلال كل واحد منها بالفضيلة والاعتداد به (في سبيل الله) واعلاء كلمته (ولا يطون موطئا)
 يغيظ الكفار) أي لا يدوسون بأرجلهم وحواقر خيولهم وأخفاف رواحلهم دوسا أو مكانا يداوس (ولا يتلون
 من عدوئنا) مصدر كالقتل والاسم والتعب أو مفعول أي شيئا يتال من قبلهم (الا كتب لهم به) أي
 بكل واحد من الأمور المعدودة (عمل صالح) وحسنة مقبولة مستوجبة بحكم الوعد الكريم للثواب الجليل
 ونيل الزاني والتسوين للتفخيم وكون المكتوب عين ما فعلوه من الأمور لا يمنع دخول الباء فان اختلاف العنوان
 كاف في ذلك (إن الله لا يضيع أبرارهم) على أحسانهم تعليل لما سلف من الكتب والمراد بالمحسنين
 إنما المبعوث عنهم ووضع الظاهر موضع المضمر لادحهم والشهادة عليهم بالانتظام في سلك المحسنين وأن أعمالهم

من قبيل الاحسان ولا لشعار بعلمية المأخذ لكم واما جنس المحسنين وهم داخلون فيه دخولا اوليا
(ولا ينفقون نفقة صغيرة) ولو غرة أو علاقة سوط (ولا كبيرة) كما أنفق عثمان رضي الله عنه والترتيب
باعتبار ما ذكر من كثرة الوقوع وقلته ووسيطه لالتنصيص على استبعاد كل منهما بالكتب والجزاء لانتفاء كيد
النفي كما في قوله عز وجل (ولا يقطعون) أي لا يجتازون في سيرهم (وابيا) وهو في الاصل كل من خرج
من الجبان والا كما يكون منفذ المليل اسم فاعل من ودى اذا سال ثم شاع في الاوض على الاطلاق
(الا كتب لهم) أي اثبت لهم ذلك الذي فعلوه من الاتصاف والتطوع (ليجزىهم الله) بذلك (أحسن
ما كانوا يعملون) أحسن جزاء أعمالهم أو جزاء أحسن أعمالهم (وما كان المؤمنون لينفروا كافة)
أي ماصح وما استقام لهم أن ينفروا جميعا نحو غزو وأطلب علم كما لا يستقيم لهم أن يتنبطوا جميعا فان ذلك
محل بأمر المعاش (فلولا نفر) فهلا نفر من كل فرقة أي طائفة كثيرة (منهم) كاهل بلدة
أو قبيلة عظيمة (طائفة) أي جماعة قليلة (لينةقوهوا في الدين) أي تكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا
مشاق تحصيلها (ولينذروا قومهم) أي وليجملوا غايه سعيهم ومسمى غرضهم من ذلك ارشاد القوم وانذارهم
(اذا رجعوا اليهم) وتخصيصه بالذكر لانه أهم وفيه دليل على أن التفقه في الدين من فروض الكفاية وأن يكون
غرض التعلم الاستقامة والاقامة لا الترفع على العباد والتوسط في البلاد كما هو دين أنبياء الزمان والله
المستعان (لعلهم يحذرون) ارادة أن يحذروا عما يندرون واستدل به على أن أخبار الاحاديث لا
عموم كل فرقة يقتضي أن ينفر من كل ثلاثة نفر ذوا بقرية طائفة الى التفقه لتندفر فرقتها كي يندروا ويحذروا
فلولم يعتبر الاخبار لما يتواتر لم يفد ذلك وقد قيل للآية وجه آخر وهو أن المؤمنين لما سمعوا ما نزل في المتخالفين
سارعوا الى النصير رغبة ورهبة وانقطعوا عن التفقه فأمر وأن ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويوق
أعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع الفقه الذي هو الجهاد الا كبر لان الجدال بالحق هو الاصل والمقصود من
البعثة فالنصير في التفقه هو اولينذروا البواق الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجوع الطوائف أي
ولينذروا البواق قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في أيام غيبتهم من العلوم (يا أيها الذين آمنوا
قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) أمروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما أمر عليه الصلاة والسلام
أولا بانداز عشرته فان الاقرب أحق بالشفقة والاستصلاح قيل هم اليهود حوالى المدينة كبنى قريظة والنضير
وخبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة بالنسبة الى العراق وغيره (وليجدوا
فيكم غلظة) أي شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الفين كسخطه ويضمها وهما لغتان فيها (واعلموا أن الله
مع المتقين) بالعصاة والنصرة والمراد بهم اما الخياطون ووضع الظاهر موضع النصير للتنصيص على أن الايمان
والقتال على الوجه المذكور من باب التقوى والشهادة يكونهم من زمرة المتقين واما الجنس وهم داخلون
فيه دخولا اوليا والمراد بالمعية الولاية الدائمة وقد ذكر وجه دخول مع التسويع في قوله تعالى ان الله معنا
واذا ما أنزلت سورة من سور القرآن (فهم) أي من المنافقين (من يقول) لاخوانه لينبئهم على النفاق
اولعوام المؤمنين وضعفهم ليصدتهم عن الايمان (أيكم زادت هذه) السورة (ايمانا) وقرئ بنسب أيكم على
تقدير فعل يفسره المذكر (أي أيكم زادت زادت هذه الخ) وايراد الزيادة مع أنه لا ايمان فيهم أصلا باعتبار
اعتقاد المؤمنين حسبا انطق به قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا ذلت على آياته
زادتهم ايمانا (فأما الذين آمنوا) جواب من جهة سبحانه ونحقيق الحق وتعيين لحالهم عاجلا وأجلا أي فأما
الذين آمنوا بالله تعالى وعابا من عنده (فزادتهم ايمانا) بزيادة العلم اليقيني الحاصل من التدبر فيها والوقوف
على ما فيها من الحقائق وانضمام ايمانهم بما فيها بايمانهم السابق (وهم يستبشرون) بنزولها وبما فيه من
المنافع الدينية والدنيوية (وأما الذين في قلوبهم مرض) أي كفروا وسوء عقيدة (فزادتهم رجسا الى رجسهم)
أي كفراهم بامتنعوا الى الكفر بغيرها وعقائد باطلة وأخلاقا ذميمة كذلك (وما نواوهم كافرين)
واسمحكم ذلك الى أن يموتوا عليه (أولايرون) الهزيمة للانكار والتوبيخ والوالوال لطف على مشدراي
ألا يتظرون ولا يرون (أنهم) أي المنافقين (يفتنون في كل عام) من الاعوام (مرة أو مرتين) والمراد يجتهد

التكثير لا يسان الوقوع حسب العدد المزبور أى يتلون بأقافين البليات من المرض والشدّة وغير ذلك مما يدكر
 الذنوب والوقوف بين يدي ربّ العزة فيؤدى الى الايمان به تعالى أو بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فيعائتون ما ينزل عليه من الآيات لاسيما الشوارع الزائدة للايمان الناعية عليهم ما فيهم من القبايح الخزية
 لهم (ثم لا يتوبون) عطف على لا يرون داخل تحت الانكار والتوبى وكذا قوله تعالى (ولا هم يذكرون)
 والمعنى أولاً يرون افتتاحهم الموجب لايمانهم ثم لا يتوبون عما هم عليه من النفاق ولا هم يذكرون تلك الفتن
 الموجبة للتذكّر والتوبة وقرئ بالتاء والخطاب للمؤمنين والهمزة للتعجب أى ألا تنظرون ولا ترون أحوالهم
 العجيبة التى هي افتتاحهم على وجه التتابع وعدم التنبه لذلك فقوله تعالى ثم لا يتوبون وما عطف عليه معطوف
 على يفتنون (واذا ما أنزلت سورة) بيان لأحوالهم عند نزولها وهم في محفل تبليغ الوحي كما أن الأول
 بيان لمقالاتهم وهم غائبون عنه (نفار بعضهم الى بعض) تغامروا بالعيون انكاراً لها أو ضربة بها
 أو غيظاً لما فيهم من مخازيهم (هل يراكم من أحد) أى قائلين هل يراكم أحد من المسلمين لتصرف مظهرين
 أنهم لا يظهرون على استعائها ويغلب عليهم النضح فيفتضحون أو ترامقوا يشاورون في تدبير الخروج
 والانسلال لو اذابة ولون هل يراكم من أحد ان قتم من المجلس وإراد ضمير الخطاب لبعث المخاطبين على الجذ
 في اتهام الفرصة فإن المرء بشأنه أكثر اهتماً ما منه بشأن أصحابه كما في قوله تعالى ولا يشعرك
 بكم أحدًا وقيل المعنى واذا ما أنزلت سورة في عيوب المنافقين (ثم انصرفوا) عطف على نظر بعضهم والتراخي
 باعتبار وجدان الفرصة والوقوف على عدم رؤية أحد من المؤمنين أى انصرفوا جميعاً عن محفل الوحي خوفاً
 من الاقتضاح أو غير ذلك (صرف الله قلوبهم) أى عن الايمان بحسب انصرفهم عن المجلس والجملة اخبارية
 أو دعائية (بأنهم) أى بسبب أنهم (قوم لا يشعرون) أسوأ القوم أو لعدم التدبر (انقدجواكم) الخطاب للعرب
 (رسول) أى رسول رسول عظيم الشأن (من أنفسكم) من جنسكم عربي قرئى منكم وقرئ بفتح الفاء أى
 أشرفكم وأفضلكم (عزى عليه ما عنتم) أى شاق شديد عليه عنكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم
 سوء العاقبة والوقوع في العذاب وهذا من نتائج ما سلف من الجحاسة (حريص عليكم) فى ايمانكم وصلاح
 حالكم (بالمؤمنين) منكم ومن غيركم (رؤف رحيم) قدم الابلغ منهم ما وهى الرأفة التى هي عبارة عن شدة الرحمة
 بحفاظة على الفواصل (فان تولوا) تلويح للخطاب وتوجيه له الى النبي صلى الله عليه وسلم تسليمة له أى ان
 أعرضوا عن الايمان بك (فقل حسبى الله) فانه يكفيك وبعبتك عليهم (لا اله الا هو) استئناف مقترن بلعنون
 ما قبله (عليه توكلت) فلا أرجو ولا أخاف الا منه (وهو رب العرش العظيم) أى الملك العظيم أو الجسم
 الاعظم المحيط الذى تنزل منه الاحكام والفتاوى وقرئ العظيم بالرفع وعن أبى أن آخر ما نزل هاتان الايتان
 وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن على الآية آية وحراً فاما خلا سورة براءة وسورة قل هو الله
 أحد فانهما أنزلتا على ومعهما سمعون ألف صنف من الملائكة

(سورة يونس عليه السلام مكية وآياتها مائة وتسع آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) بتخفيف الراء المفتوحة وقرئ بالامالة اجراء للاصلية مجرى المنقلبة عن الياء وقرئ بين بين وهو اما
 مسرود على غط التعديد بطريق التحدى على أحد الوجهين المذكورين فى فاتحة سورة البقرة فلا محل له
 من الاعراب واما اسم السورة كما عليه اطباى الاكثر فحمله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أى هذه السورة
 مسماة بالر وهو أظهر من الرفع على الابتداء لعدم سبق العلم بالتسمية بعد فتحها الاخبار بها لاجعلها عنوان
 الموضوع تنوفاً على علم المخاطب بالانتساب كما مره والاشارة اليها قبل جريان ذكرها لما أنتم باعتبار كونها
 على جناح الذكر وبصده صارت فى حكم الحاضر كما يتال هذا ما اشترى فلان أو والنصب بتقدير فعل
 لائق بالمقام نحو اذ كرأوا قرأ وكلمة (تلك) اشارة اليها اما على تقدير كون ال مسرودة على غط التعديد فقد نزل
 حضور مادتها التى هي الحروف المذكورة منزلة ذكرها فاشير اليها كأنه قيل هذه الكلمات المؤلفة من جنس
 هذه الحروف المبسوطة الخ واما على تقدير كونه اسم السورة فقد نوت بالاشارة اليها بعد تنويعها بتعيين

اسمها أو الامر بذكرها أو بقرائنها أو ما في اسم الإشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتها في الغفلة ومحلها
الرفع على أنه مبتدأ خبره قوله تعالى (آيات الكتاب) وعلى تقدير كون الر مبتدأ فهو مبتدأ ثان أو بدل من
الأول والمعنى هي آيات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمقصود بيان بعضية هامة وصفها بما اشتهر
انصافه به من النعوت القاضية والصفات الكاملة والمراد بالكتاب التام لجميع القرآن العظيم وإن لم ينزل
الكل حينئذ إنما باعتبار عينه وتحققه في علم الله عز وجل أو في الألواح أو باعتبار أنه أنزل جملة إلى السماء الدنيا
كجواهر المشهور فإن فاتحة الكتاب كانت مسماة بهذا الاسم وبأن القرآن في عهد النبوة ولما يحصل المجموع
الشخصي اذ ذلك فلا بد من ملاحظة كل من الكتاب والقرآن بأحد الاعتبار المذكورة وأما جميع
القرآن النازل وقتئذ المتفاهم بين الناس اذ ذلك فانه كما يطلق على المجموع الشخصي يطلق على مجموع
ما نزل في كل عصر الا يرى إلى ما روى عن جابر بن عبد الله أنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يجمع بين
الرجلين من قتلى أحد في نوب واحد ثم يقول أيهم أكثر أخذ القرآن فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في العدد
فإن ما يفهمه الناس من القرآن في ذلك الوقت ويحافظون على التفاوت في أخذه انما هو المجموع النازل
حينئذ من غير ملاحظة تحقق المجموع الشخصي في علم الله سبحانه أو في اللوح ولا لنزوله جملة إلى السماء الدنيا
(الحكيم) ذي الحكمة وصف به لاشتماله على فنون الحكم الباهرة ونطقه بها وهو من باب وصف الكلام
بصفة صاحبه أو من باب الاستعارة المكنية المنفية على تشبيه الكتاب بالحكيم الناطق بالحكمة هذا وقد
جعل الكتاب عبارة عن نفس السورة وكلمة تلك الإشارة إلى ما في نعتهم من الآي فانها في حكم الحاضر لاسيما
بعد ذكر ما تضمنته من السورة عند بيان اسمها أو الامر بذكرها أو بقرائنها وينبغي أن يكون المشار إليه
حينئذ كل واحدة منها لاجتماعها من حيث هو جميع لانه عين السورة فلا يكون للاضافة وجه ولا تخصيص
الوصف بالمتضاف إليه حكمه فلا يتأني ما قصد من مدح المضاف بما للمتضاف اليه من صفات الكمال ولأن في بيان
انصاف كل منها بالكمال من المبالغة ما ليس في بيان انصاف الكل بذلك والمتبادر من الكتاب عند الاطلاق
وإن كان كله بأحد الوجهين المذكورين لكن جهة اطلاقه على بعضه أيضا مما لا ريب فيها والمعهود المشهور
وإن كان انصاف الكل بأحد الاعتبارين بما ذكر من نعت الكمال إلا أن شهرة انصاف كل سورة منه بما
انصاف به الكل مما لا يشكرو عليه يدور وتحقق مدح السورة بكونها بعضا من القرآن الكريم اذ لولا أن بعضه
منعوت بنعت كله داخل تحت حكمه لما تنبى ذلك وفيه ما لا يخفى من التكلف والتعسف (اكان للناس عجا)
الهمزة لا ابتكار تعجبهم ولتعجب السامعين منه لكونه في غير محله والمراد بالناس كفار مكة وانما عجب
عنهم باسم الجفلس من غير تعرض لكفرهم مع أنه المدار لتعجبهم كما تعرض له في قوله عز وجل قال الكافرون
الحل تحقيق ما فيه الشبهة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعيين مدار التعجب في زعمهم ثم تبين
خطأهم واطهار بطلان زعمهم بإيراد الانكار والتعجب واللام متعلقة بحذف وقع حالاً من عجبهم وقيل
بعجبا على التوسع المشهور في الظروف وقيل المصدر إذا كان بمعنى اسم الفاعل أو اسم المفعول جازة تقديم
معموله عليه وقيل متعلقة بكان وهو مبنى على دلالة كان الناقصة على الحدث (أن أوحينا) اسم كان قد تم
عليه خبرها اهتماماً بشأنه لكونه مدار الانكار والتعجب وتشويهاً إلى المؤخر ولأن في الاسم ضرب تفصيل
ففي مراعاة الأصل نوع اخلال بتجارب أطراف الكلام وقرئ برفع عجب على أنه الاسم وهو نكرة والخبر
أن أوحينا وهو معرفة لأن أن مع الفعل في تأويل المصدر المضاف إلى المعرفة البتة والختار حينئذ أن تجعل
كان نامة وأن أوحينا متعللاً بعجب على حذف حرف التعليل أي أحدث للناس عجب لأن أوحينا أو من أن
أوحينا أو بدلا من عجب لكن لأعلى توجيه الانكار والتعجب إلى حدوثه بل إلى كونه عجباً فإن كون الابدال
في حكم تسمية المبدل منه ليس معناه اهداره بالمرّة وانما قيل للناس لا عند الناس للدلالة على أنهم اتخذوه
أعجوبة لهم وفيه من زيادة تشييح حالهم ما لا يخفى (إلى رجل منهم) أي إلى بشر من جنسهم كقولهم أبعث
الله بشرا رسولا أو من أفتانهم من حيث المال لا من عظمائهم كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من
القرنين عظيم وكلا الوجهين من ظهور البطلان بحيث لا مزيد عليه أما الأول فلأن بعث الملك انما يكون
عند كون المبعوث إليهم ملائكة كما قال سبحانه قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئن لنقلبنا

٢ قوله أفتانهم بفتح الهمزة
وبالقاف والمد أي عن الشهرة
لهجاء ومال ورياسة ونحو
ذلك مما يدونه من اسباب
العز والاجلال والافهور
عندهم بحسب شرف النسب
أظهر من الشمس ذكره ذكربا

عليهم من السماء ملكا رسولا وأما عامة البشر فهم يهزل من استحقاق المناوضة الملكية كيف لا وهي
منوطة بالتناسب والتجانس فبعث الملك إليهم من أحسن الحكماء التي عليهم يدور فلك التكوين والتشريع
وأما الذي تفتحه الحكمة أن يبعث الملك من بينهم إلى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة
القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروسائي والجسماني ليقاوموا من جانب ويلتقوا إلى جانب وأما الثاني فلما أن
مناط الأمطفاء لا شجرة الرسالة هو التقدم في الانصاف بما ذكر من النعمات الجميلة والصفات الجليلة والسبق
في أحرار الفضائل العلية وحيازة المسكنات السنية جليلة واكتسابا ولا ريب لأحد منهم في أنه عليه الصلاة
والسلام في ذلك الشأن في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية وأما التقدم في الرياسات الدينيوية
والسبق في نيل المخطوط الدينية فلا دخل له في ذلك قطعا بل له إخلال به غالبا قال عليه الصلاة والسلام لو كانت
الديار ترزق عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء (إن أئذ الناس) أن مصدرية لجواز كون
صلتها أمرا كما في قوله تعالى وأن أقم وجهك للدين الحنيف والانشاء في الدلالة على المصدرسيان
فساغ وقوع الأمر والنهي صلة حسب وقوع الفعل فيجوز عند ذلك عن معنى الأمر والنهي نحو تجرد الصلة
العملية عن معنى الخشي والاستقبال وجوب كون الصلة في الوصول إلى الشيء خيرية انما هو للتوصل بها
إلى وصف المعارف بالجل لا للتصور في دلالة الانشاء على المصدر أو منسرة إذا لا يحا فيه معنى القول وقد جوز
كونها مخففة من المثقلة على حذف ضمير الشأن والقول من الخبر والمعنى أن الشأن قولنا أئذ الناس والمراد
به جميع الناس كافة لا مأريد بالاول وهو النكتة في إظهار الاظهار على الاضمار وكون الثاني عين الاول عند
إعادة المعرفة ليس على الإطلاق (وبشر الذين آمنوا) بما أوحينا من صدقوه (أن أئهم) أي بأن لهم (قدم
صدق) أي سابقة ومتميزة رفيعة (عند ربهم) وانما عبر عنها بما أذهب يحصل السبق والوصول إلى المنازل
الرفيعة كما يعبر عن النعمة باليد لانها تعطى بها وقيل مقام صدق والوجه أن الوصول إلى المقام انما يحصل
بالقدم. اضافة إلى الصدق للدلالة على تحفة هدايتهم والتنبيه على أن مداريسل ما نالوه من المراتب العلية
هو صدقهم فان التصديق لا ينفك عن الصدق (قال الكافرون) هم المنهجون وإيرادهم ههنا بعنوان
الكفر مما لا حاجة إلى ذكر سببه وترك العاطف لمرآته يجري البيان للجملة التي دخل عليها همزة الانكار
أو لكونه استئنافا مبني على السؤال كأنه قيل ماذا صنعوا بعد التعجب هل بقوا على التردد والاستبعاد
أو قطعوا فيه بشئ فقيل قال الكافرون على طريقة التأكيد (إن هذا) دعوتهم به ما أوحى إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم من القرآن الحكيم المنطوي على الانذار والتبشير (للمحرمين) أي ظاهرا وقرى لساخر
على أن الإشارة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرى ما هذا المحرمين وهذا الاعتراف من حيث لا يشعرون
بأن ما عاينوه خارج عن طوق البشر نازل من جانب خلاق القوى والقدر ولكنهم هموم بما قالوا عما دأبوا
في العناد كما هو ديدن المكابر اللجوج ودأب الفهم المججوج (إن ربكم) كلام مستأنف سبق لإظهار بطلان
تجهيمهم المذكور وما بنوا عليه من المقالة الباطلة غيب الإشارة إليه بالانكار والتعجب وحقق فيه حقيقة
ما تنجبوا منه وحجة ما أنكروا بالتنبيه الإجمالي على بعض ما يدل عليهم من شؤون الخلق والتقدير وأحوال
التكوين والتدبير ويرشد هم إلى معرفتها بأدنى تذكير لا اعتراضهم به من غير تكبر أقوله تعالى قل من رب السموات
السبع ورب العرش العظيم سبق قولون الله قل أفلا تتقون وقوله تعالى قل من يرزقكم من السماء
والارض إلى قوله تعالى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله أي إن ربكم ومالك أمركم الذي تنجبون من أن
يرسل إليكم وجلا منكم بالانذار والتبشير وتعدون ما أوحى إليهم من الكتاب الحكيم صراها هو الله الذي خلق
السموات والارض) وما فيه من أصول الكائنات (في ستة أيام) أي في ستة أوقات أو في مقدار ستة
أيام معهودة فان نفس اليوم الذي هو عبارة عن زمان كون الشمس فوق الارض مما لا يتصور تحفة حين
لا أرض ولا سماء وفي خلقها مدبر جامع القدرة الساتعة على ابداءها دفعة دليل على الاختيار واعتبار للنظار
وحت لهم على التأني في الاحوال والاطوار وأما تخصيص ذلك بالعدد المعين فامر قد استأثر به ما يستدعيه
علام الغيوب جلت قدرته ودقت حكمته وإشاره صيغة الجمع في السموات لما هو المشهور من الايدان بأنها

أجرام مختلفة الطبع متباينة الارتفاع والاحكام (ثم استوى على العرش) العرش هو الجسم المحيط بسائر
الاجسام حتى به لا ارتفاع له أو التشبيه بسير الملائكة فان الاوامر والتدابير منه تنزل وقيل هو الملك ومعنى استوائه
سبحانه عليه استيلاؤه عليه أو استواء أمره وعن أصحابنا أن الاستواء على العرش صفة له سبحانه بلا
كيف والمعنى أنه سبحانه استوى على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن التمكن والاستقرار وهذا بيان
لجلالة ملكه وسلطانه بعد بيان عظمة شأنه وسعة قدرته بما مر من خلق هاتيك الاجرام العظام (يدبر الامر)
التدبير النظر في أديار الامور وعواقبها تقع على الوجه المحمود والمراد به هنا التقدير على الوجه الاتم الاكل
والمراد بالامر أمر ملكوت السموات والارض والعرش وغير ذلك من الجزئيات الحادثة شيئا فشيئا على اطوار
شقي وأشياء لا تكاد تخص من المناسبات والمباينات في الذوات والصفات والازمنة والاقوات أي يتدرج ما ذكر
من أمر الكائنات الذي ما تمجيد وامن من سر البعث والوحى وقد من جعله وشعبه من دوحته وبهي أسباب
كل منها حدوثا وبقائه في أوقاتها المعينة ويرتب مصالحها على الوجه الفائق والفظ اللائق ^{حسب ما تقتضيه}
الحكمة وتستدعيه المصلحة والجلالة في تحمل النصب على أن حال من ضمير استوى وقد جوز كونها خبرا ثانيا
لان أو مستأنفة لا تحمل لها من الاعراب مبنية على سؤال نشأ من ذكر الاستواء على العرش المنبني
عن اجراء أحكام الميثاق وعلى كل حال فإشارة صيغة المضارع للدلالة على تجدد التدبير واستمراره وقوله عز
وجل (ما من شيء) بيان لاستبداده سبحانه في التقدير والتدبير ونفي الشفاعة على أبلغ الوجوه فان نفي
جميع أفراد الشفيع عن الاستغرافية يستلزم نفي الشفاعة على أن الوجوه كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم
من أمر الله وهذا بعد قوله تعالى يدبر الامر جاز مجرى قوله تعالى وهو يجز ولا يجبر عليه عقوب قوله تعالى
قل من يبدد ملكوت كل شيء وقوله تعالى (الامن بعد اذنه) استثناء مفرغ من أعم الاوقات أي ما من
شفيع يشفع لاحد في وقت من الاوقات الا بعد اذنه المنبني على الحكمة الباهرة وذلك عند كون الشفيع
من المستطيقين الاخيار والمنفوع له من بليق بالشفاعة كتقوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون
الامن اذن له الرحمن وقال صوابا وفيه من الدلالة على عظمة جلالة سبحانه ما لا يخفى (ذلكم) إشارة الى
المعلوم بآية العنقة أي ذلكم العظيم الشأن المنعوت بما ذكر من دعوت الكمال اليه عليها يدور استحقاق
الالوهية (الله) وقوله تعالى (ربكم) بيان له أو بدل منه أو خبر ثان لاسم الإشارة وهذا بعد بيان أن ربهم الله
الذي خلق السموات والارض الخ زيادة التقرير والمبالغة في التذكير ولتقرير مع الامر بالعبادة عليه بقوله
تعالى (فاعبدوه) أي وحدوه من غير أن تشركوا به شيئا من ملك أو نبي فضل أو جاد لا يصبر ولا يسمع
ولا يضر ولا يتفزع وآمنوا بما أنزل اليكم (أفلاتنكرون) أي أنتم تعلمون أن الامر كما فصل فلا تنكرون ذلك
حتى تقفوا على فساد ما أنتم عليه فترددوا عنه (اليه) لا الى أحد سواء استعلا لا أو اشتراكا (مرجعكم)
أي بالبعث كما ينبغي عنه قوله تعالى (جميعا) فانه حال من الضمير الجبرولي كونه فاعلا في المعنى أي اليه
رجوعكم مجتمعين واجله تاتل ليل لوجوب العباداة (وعدا الله) مصدر مؤن كد لنفسه لان قوله عز وجل اليه
مرجعكم وعد منه سبحانه بالبعث أو لفضل مقتدر أي وعد الله وأيا ما كان فهو دليل على أن المراد بالمرجع هو
الرجوع بالبعث لان ما ياباوت بعزل من الوعد كما أنه بعزل من الاجتماع وقرئ بصيغة الفعل (حقا) مصدر
أتمم كد للمادل عليه الاول (الله اخلق) وقرئ يبدئ (ثم يعيده) وهو استئناف على به وجوب
المرجع اليه سبحانه وتعالى فان غاية الابد والاعادة هو جزاء المكافين بأعمالهم حسنة أو سيئة وقرئ بالفتح
أي لانه ويجوز كونه منصوبا بما نصب وعد الله أي وعد الله وعد ابد الخ ثم اعادته وقرئ بما نصب حقا
أي حق حقايد الخ (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط) أي بالعدل وهو حال من فاعل
يجزى أي ملتبسا بالعدل أو متعلق بيجزى أي ليجزىهم بقسطه ويوفىهم أجورهم وانما أجل ذلك اي انما بانه لا ينفى
به الحصر أو بقسطهم وعد لهم عند ايمانهم ومباشرتهم للأعمال الصالحة وهو الانسب بقوله عز وجل (والذين
كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) فان معناه ويجزى الذين كفروا بسبب كفرهم
وتكرير الاسناد يجعل الجملة الطرفية خبرا لاموصول لتقوية الحكم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل

للدلالة على مواظبتهم على الكفر وتغيير النظم الكريم لا يذنب بحال استحقاقهم للعقاب وأن التعذيب يمول
عن الانتظام في سلك العلة الغائية للخلق بدءا واعدة وانما يحقق ذلك بالكفرة على موجب سوء اختيارهم
وأما المقصود الأصلي من ذلك فهو الانابة (مرادى جعل الشمس ضياء) تنبيه على الاستدلال على وجوده
تعالى ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته بآثاره في النيران بعد التنبيه على الاستدلال بما مر من ابداع
السموات والارض والاستواء على العرش وغير ذلك ويبيان لبعض أفراد التدبير الذي أشار إليه إشارة اجالية
وارشاد الى أنه حيث دبرت أمورهم المتعلقة بعاشم هذا التدبير البديع فلا تذبذب مصالحهم المتعلقة بالمعاد
بارسال الرسول وانزال الكتاب وتبيين طرائق الهدى وتعيين مهاوى الردى أولى وأحرى والجعل ان جعل
بمعنى الانشاء والابداع فضيا حال من مقعوله أى خلقها لئلا تكون ذات ضياء على حذف المضاف أو ضياء
محمضا للغة وان جعل بمعنى التصيير فهو مقعوله انشائي أى جعلها ضياء على أحد الوجهين المذكورين لكن
لا بعد أن كانت خالية عن تلك الحالة بل أبدعها كذلك كما في قوائمه ضيق قم الركبة ووسع أسفلها والضياء
مصدر كقيام أو جمع ضوء كسيما وسوطا وآثره منتقلة من الواو لا تنكسار ما قبلها وقوى ضياء
بمـ مرتين بينهما ألف بتقديم اللام على العين (والقمر نوراً) الكلام فيه كالقمر في الشمس والضياء أقوى
من النور وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور فيه اشعار بأن نوره مستفاد من الشمس (وقدره) أى
قدره وهياً (منازل) أو قدره مسيره في منازل أو قدره دامتازل على اثنين التقدير معنى التصير وتخصيص
القدر به هذا التقدير لسرعة سيره ومعاينة منازلته وعلق أحكام الشريعة به وكونه عمدة في تواريخ العرب
وقد جعل الضمير لكل منهما وهى ثمانية وعشرون منزلة ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتناقص
عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستقل الى الثامنة والعشرين فاذا كان في آخر منزله
دق واستقر ثم يستمر ليدين أو ليلة اذا انقضى الشهر ويكون مقام الشمس في كل منزلة منها ثلاثة عشر يوماً
وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت اليها العرب الانواء المسطرة وهى الشيطان والبطين والثرية
الذبران الهقعة الهقعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العقراء السمك الغفر الزباني
الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد البع سعد العود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم
فرغ الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت (تعلوا) اما تعاقب الليل والنهار المنوطين بطول الشمس
وغروبها أو باعتبار نزول كل منها في تلك المنازل (عدد السنين) التي يتعاقب بها غرض على إقامة
مصالحكم الدينية والدنيوية (والحساب) أى حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي وغير ذلك
بما يتطابق به من المصالح المذكورة وتخصيص العدد بالسنين والحساب بالايام والليالي لما لم يعتبر في السنين
المعدودة معنى مغايراً لمراتب الاعداد كما اعتبر في الاوقات المحسوبة وتحققه أن الحساب احصاء ماله كمية
انفصالية تكرير أمثاله من حيث يحصل بطائفة معينة منها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل كالسنة
المحصلة من اثني عشر شهراً قد تحصل كل من ذلك من ثلاثين يوماً قد تحصل كل من ذلك من أربع وعشرين
ساعة مثلاً والعقد مجرد احصائه تكرير أمثاله من غير اعتبار أن يحصل بذلك شيء كذلك ولما لم يعتبر في السنين
المعدودة تحصل حد معين له اسم خاص غير أسامي مراتب الاعداد وحكم مستقل أضيف اليها العدد وتحصل
مراتب الاعداد من العشرات والمئات والالوف اعتبارى لا يجدى في تحصل المعدودات فاعتبر
في الاوقات المحسوبة تحصل ما ذكر من المراتب التي لها أسماء خاصة وأحكام مستقلة علق بها الحساب المنهني
عن ذلك والسنة من حيث تحققاتها في نفسها ما يتعلق به الحساب وانما الذي يتعلق به العد طائفة منها وتعلقه
في ضمن ذلك بكل واحدة من تلك الطائفة ليس من الحيثية المذكورة أعني حثية تحصلها من عدة أشهر قد
تحصل كل واحد منها من عدة أيام قد يحصل كل منها بطائفة من الساعات فإن ذلك وظيفة الحساب بل من
حيث انه يفرق من تلك الطائفة المعدودة من غير أن يعتبر معها شيء غير ذلك وتقديم العدد على الحساب مع أن
الترتيب بينهما متعلقهما وجودا وعلمهما الى العكس لان العلم المتعلق بعدد السنين علم اجالى بما يتعلق به الحساب
تفصيلاً وان لم يتخذ الجهة أولاً لان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصل أمر آخر حسباً حتى آتوا نازل من
الحساب الذي اعتبر فيه ذلك منزلة البسيط من المركب (ما خلق الله ذلك) أى ما ذكر من الشمس والقمر

على ما حكى من الاحوال وفيه ايدان بأن معنى جعلهم ما على تلك الاحوال والهيئات ليس الا خلقهما كذلك
كما أشير اليه ولا يقدح في ذلك أن استفادة القمر النور من الشمس أمر حادث فإن المراد بجعله نورا انما هو جعله
بحيث يتعطف بالنور عند وجود شرائط الانصاف به بالفعل (الابالحق) استثناء مقترع من أعم احوال الفاعل
أو المفعول أى ما خلق ذلك ملتبسا بشئ من الاشياء الامتصاص بالحق مراعى مقتضى الحكمة البالغة أو مراعى
فيه ذلك وهو ما أشير اليه اجمالاً من العلم بأحوال السنين والافاق المنوط به أمور معاملة ملأهم وعبادتهم
(يفصل الآيات) أى الآيات التكوينية المذكورة أو جميع الآيات فيدخل فيها الآيات المذكورة ودخولها
أولياً أو يفصل الآيات التنزيلية المنبهة على ذلك وقرئ بنون العظمة (لقوم يعلمون) الحكمة في ابداع الكائنات
فيستدلون بذلك على شؤون مبدعها جل وعلا أو يعلمون ما في تضاعيف الآيات المنزلة فيؤمنون بها وتخصيص
التفصيل بهم لانهم المتفعون به (ان في اختلاف الليل والنهار) تنبيه آخر اجمالاً على ما ذكرنا في تعاقبها
وكون كل منهما خلفه للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات وسكون الارض
أو في تضاعفها في أنفسهما بازدياد كل منهما باقتضاس الآخر وانقسامه بازدياده باختلاف حال الشمس
بالنسبة اليها اقربا وبعدا بحسب الازمنة أو في اختلافهما وتفاوتهما بحسب الامكنة انما في الطول والقصر فأن
البلاد القريبة من القطب الشمالى أيامها الصيفية أطول ولياليها الصيفية أقصر من أيام البلاد البعيدة منه
ولياليها وانما في أنفسهما فأن كربة الارض تقتضى أن يكون بعض الاوقات في بعض الاماكن املا وفي مقابلة
نهارا (وما خلق الله في السموات والارض) من أصناف المصنوعات (لآيات) عظيمة أو كثيرة الدالة على
وجود الصانع تعالى ووحدته وكمال علمه وقدرته وبإلغ حكمته التي من جملة مقتضياتها ما أنكره من ارسال
الرسول صلى الله عليه وسلم وانزال الكتاب والبعث والجزاء (لقوم يتقون) خصهم بذلك لان الداعى الى النظر
والتدبر انما هو تقوى الله تعالى والحد من العاقبة فهم الواقفون على أن جميع المخلوقات آيات دون غيرهم
وكأنى من آية في السموات والارض يترجون عليها وهم عنها معرضون (ان الذين لا يرجون لقاءنا) بيان لما ك
أمر من كفر بالبعث وأعرض عن البينات الدالة عليه بعد تحقيق أن مرجع الكل اليه تعالى وأنه يعيدهم
بعد موتهم للجزاء نوابا وعقابا وتفصيل بعض الآيات الشاهدة بذلك والمراد ببقائه انما الرجوع اليه تعالى
بالبعث أو لقاء الحساب كما في قوله عز وجل انى ظننت أنى ملاق حسابه وأياتا كان فقيه مع الالتفات الى ضمير
الجلالة من تهويل الامر ما لا يخفى والمراد بعدم الرجاء عدم التوقع مطلقا المنتظم لعدم الامل وعدم الخوف فأن
عدمهما لا يستدعى عدم اعتقاد وقوع المأمول والخوف أى لا يتوقعون الرجوع اليها أو لقاء حسابنا المؤدى
انما الى حسن الثواب أو الى سوء العذاب فلا يأملون الا قول واليه أشير بقوله عز وجل (ورضوا بالحياة الدنيا)
فانه منبئ عن اشارة الادنى الخسيس على الاعلى النقيس كقوله تعالى أرضيت بالحياة الدنيا من الآخرة
ولا يخافون الثاني واليه أشير بقوله تعالى (واطمأنوا بها) أى سكنوا فيها يسكنون من لا يراحو له منها آمتين
من اعتراء المزيجات غير مخاطر ينباهاهم ما يسوءهم من عذابنا وقيل المراد بالرجاء معتناه الحقيقي وباللقاء حسن
اللقاء أى لا يأملون لقاءنا بالبعث والاحياء بالحياة الابدية ورضوا بئلا منها ومما فيها من فنون الكرامات
السنية بالحياة الدنيا الدنية الفانية واطمأنوا بها أى سكنوا اليها مكبين عليها قاصرين مجامع همهم على
لذا نذها وزخارفها من غير صارف يلوهم ولا عاطف ينشيمها ويشار البساء على كلمة الى المنبشة عن مجرد الوصول
والانتهاء للايدان تمام الملازمة ودوام المصاحبة والمؤانسة وحمل الرجاء على الخوف فقط يا باء كلمة الرضا
بالحياة الدنيا فانها منبشة عما ذكر من ترك الاعلى وأخذ الادنى واختيار صيغة الماضى فى الصلتين الاخيرتين
للدلالة على التحقق والتفكر كما أن اختيار صيغة المستقبل فى الاولى للايدان بأسرارة عدم الرجاء (واذنبهم
عن آياتنا) المفصلة فى صفات الكون حسبا أشير الى بعضها وآياتنا المنزلة المنسوبة على الاستشهاد بها
المتفقة معها فى الدلالة على حقية ما لا يرجونه من اللقاء المترتب على البعث وعلى بطلان ما رضوا به واطمأنوا
اليه من الحياة الدنيا (غافلون) لا يفكرون فيها أصلا وانبهوا على ذلك وذكرنا نوابا أنواع القوارع لانهم
فيما ينصدهم عنها من الاحوال الممدودة وتكرير الوصول للتوسل به الى جعل صلتهم جملة اسمية منبشة

عما هم عليه من استمرار الغفلة ودوامها وتزيل التغير الوصفي منزلة التغير الذاتي ايذا بغير الوصف
 الاخير لاوصاف الاول واستقلاله باستتباع العذاب هذا وأما ما قبل من أن العطف أمان التغير الوصفي
 والتنبية على أن الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات وأساو الانهماك في الشهوات بحيث لا يخطر ببالهم
 الآخرة أصلا وأمان التغير القريين والمراد بالآيتين من أنكر البعث ولم يرد إلا الحياة الدنيا وبالأحرار من آلهام
 حب العاجل عن التأمل في الآجل فكلام نابع عن السداد فتأمل (أولئك) الموصوفون بما ذكر من صفات
 سوء (مأواهم) أي مكانهم ومقرهم الذي لا يبرح لهم منه (النار) لا ما طمأنوا بها من الحياة الدنيا
 ونعيمها (بما كانوا يكسبون) من الاعمال القلبية المعدودة وما يستتبعه من أصناف المعاصي
 والسيئات أو يكسبهم آياها والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجديدي والباء
 متعلقة بضمون الجملة الأخيرة الواقعة خبرا عن اسم الإشارة وهو مع خبره خبر لان في قوله تعالى ان الذين
 لا يرجون لقاءنا الخ (ان الذين آمنوا) أي فعلوا الايمان أو آمنوا بما يشهد به الآيات التي غفل عنها الغافلون
 أو بكل ما يجب أن يؤمن به فيندرج فيه ذلك اندراجا أوليا (وعملوا الصالحات) أي الاعمال الصالحة
 في أنفسهم والاتقاة بالايمان وانما ترك ذكر الموصوف لجريانها بحري الاسماء (يهدى بهم) أوثر الانتفات
 تشير بقالهم بإضافة الرب وأشعارا بعله الهداية (بإيمانهم) أي يهديهم بسبب ايمانهم إلى مأواهم ومقصدهم
 وهي الجنة وانما لم تذكر تعويلا على ظهورها وانما يبق النفس إليها لاسيما بملاحظة ما سبق من بيان مأوى
 الكفرة وما آواهم إليه من أعمالهم السيئة ومناجاة ما لحق من التلويح والتصريح وفي النظم الكريم اشعار
 بأن مجرد الايمان والعمل الصالح لا يكفي في الوصول إلى الجنة بل لابد بعد ذلك من الهداية الربانية وأن الكفر
 والمعاصي كافية في دخول النار ثم انه لا نزاع في أن المراد بالايمان الذي جعل سببا لتلك الهداية هو ايمانهم
 الخاص المشفوع بالاعمال الصالحة لا الايمان المجرد عنها ولا ما هو أعم منهما إلا أن ذلك يعزل عن الدلالة
 على خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة من أن الايمان الخالي عن العمل الصالح يفضي إلى الجنة في الجنة
 ولا يتخذ صاحبه في النار فان منطوق الآية الكريمة أن الايمان المقرون بالعمل الصالح سبب للهداية إلى الجنة
 وأما أن كل ما هو سبب لها يجب أن يكون كذلك فلا دلالة لها ولا لغيرها عليه قطعا كيف لا وقوله عز وجل
 الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون متباد بخلافه فان المراد بالظلم هو الشرك كما
 أطبق عليه المفسرون والمعنى لم يخالطوا ايمانهم بشرك ولئن خل على ظاهره أي ضايد دخل في الاهتداء من آمن
 ولم يعمل صالحا ثم مات قبل أن يظلم بفعل حرام أو بترك واجب (يجرى من تحتهم الانهار) أي بين أيديهم
 كقوله سبحانه وهذه الانهار تجري من تحتي أو تجري وهم على سرر مرفوعة وأرائك مصفوفة والجملة
 مستأنفة أو خبر ثان لان أحوال من مفعول يهديهم على تقدير كون المهدى إليه ما يريدونه في الجنة كما قبل
 وقيل يهديهم ويستددهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدى إلى الثواب والجنة وقوله تجري من تحتهم
 الانهار جار مجرى التفسير والبيان فان التمسك بحبل السعادة في حكم الوصول إليها وقيل يهديهم إلى ادراك
 الحقائق البدئية بحسب القوة العملية كما قال عليه الصلاة والسلام من عمل بعمالة ورثة الله علم ما لم يعلم
 (في جنات النعيم) خبر آخر وأحوال أخرى منه أو من الانهار أو متعلق بجري أو يهدي فالمراد بالمهدى إليه
 أمانا زلهم في الجنة أو ما يريدونه فيها (دعواهم) أي دعاؤهم وهو مبتدأ وقوله عز وجل (فيها) متعلق به
 وقوله تعالى (سبحانك اللهم) خبر أي دعاؤهم هذا الكلام وهو معمول لمقدر لا يجوز اظهاره والمعنى اللهم
 اننا نسبحك تسبيحا واعلمهم يقولونه عندما عابوا فيها من تعاجيب آثار قدرته تعالى وتساخج رجليه ورافقه
 ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر تقديره بالمقامه تعالى عن شوائب العجز والنقصان وتزويها
 لوعده الكريم عن سمات الخلق (وتحبسهم فيها) النسيئة التكرمة بالحالة الجلية أصلها حبسك الله حياة
 طيبة أي ما يحب به بعضهم بعضا أو تحبب الملائكة إياهم كما في قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب
 سلام أو تحبب الله عز وجل لهم كما في قوله تعالى سلاما فولا من رب رحيم (سلام) أي سلامة عن كل مكروه
 (وآخر دعواهم) أي شاعة دعايتهم (أن الحمد لله رب العالمين) أي أن يقولوا ذلك نعماله عز وجل بصفات الاكرام

اثره تعالى بصفات الجلال أى دعاؤهم منحصر فيما ذكر اذ ليس لهم مطلب متقرب حتى يتظلموه فى سلك الدعا
 وأن هى المنفعة من أن المنفعة أصله أنه الحمد لله فحذف غير الشأن كفى قوله أن هالك كل من يحنى ويتعل
 وقرئ أن الحمد لله بالتشديد وتصب الجدول "نوسط ما ذكر تحيتههم عند الحكاية بين دعااتهم وخاتمة للتوسل الى
 ختم الحكاية بالحمية تبركهم أن التحية ليست بأجنبية على الاطلاق ودعوى كون ترتيب الوقوع أيضا كذلك
 بأن كانوا حين دخلوا الجنة وعابوا عظيمة الله تعالى وكبرياءه مجدوه واعتوه بهوت الجلال ثم حياهم الملائكة
 بالسلامة من الآفات والفوز بأصناف الكرامات أو حياهم بذلك رب العزة فحمدوه تعالى وأنشأ عليه
 يا باها الاضافة الاخر الى دعاؤهم وقد جوز أن يكون المراد بالداء العباداة كفى قوله تعالى وأعتزلكم
 وما تدعون الخ ايذا بان لا تكليف فى الجنة أى ما عبادتهم الآن يسبحوه ويحمدوه وليس ذلك بعبادة
 اغياهم منه ويتطهرون به تلذذا ولا يساعد تعيين الملائكة (ولو يجعل الله للناس) هم الذين لا يرجون لقاء
 الله تعالى لانكارهم البعث وما يترتب عليه من الحساب والجزاء أشير الى بعض من عظام معاصيهم المتفرعة
 على ذلك وهو استنجالهم بما أوعدهوا به من العذاب تكذيبا واستمراء وإبرادهم باسم الجنس لما أن تعجيل الخير
 لهم ليس دائرا على وصفهم المذنبين واذ ليس كل ذلك بطريق الاستدراج أى لو يجعل الله لهم (الخير)
 الذى كانوا يستنجلون به فانهم كانوا يتولون اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمرنا بحجارة من السماء
 أو أننا بعذاب أليم ونحو ذلك وقوله تعالى (استنجالهم بالخير) نصب على أنه مصدر تهيى وضع موضع مصدر
 ناصبه دلالة على اعتبار الاستنجال فى جانب المشبه كاعتبار التعجيل فى جانب المشبه به واشعارا بسرعة
 اتيته تعالى لهم حتى كان استنجالهم بالخير نفس تعجيله لهم والتقدير ولو يجعل الله لهم الشر عند استنجالهم
 به تعجلا مثل تعجيله لهم الخير عند استنجالهم به فحذف ما حذف تعويلا على دلالة الباقى عليه بقضى اليهم
 أجلهم) لادى اليهم الاجل الذى عين لهذا بهم وأميته وأهلكوا بآلة وما أمهلوا طرفه عين وفى ايتار صيغة
 المبني للمفعول جرى على سنن التكبرياء مع الايدان بتعين الضاعل وقرئ على البناء للفاعل كما قرئ
 لقضينا واختيار صيغة الاستقبال فى الشرط وان كان المعنى على المضى لا فائدة أن عدم قضاء الاجل لاستمرار
 عدم التعجيل فان المضارع المنفى الواقع موقع الماضي ليس ينص فى افادة انتفاء استقرار النحل بل قد يفيد
 استمرار انتفاءه أيضا بحسب المقام كما حقق فى موضعه واعلم أن مدار الافادة فى الشرطية أن يكون التالى أمرا
 مقارا للمقدمات فى نفسه مترتبا عليه فى الوجود كفى قوله عز وجل "لو يطعكم فى كثير من الامر لعنتم فان العنت
 أى الوقوع فى المشقة والهلاك أمر مغاير اطاعته عليه الصلاة والسلام لهم مترتب عليه فى الوجود أو يكون
 فردا كاملا من أفراد ممتازا عن البقية بأمر يخصه كفى الاجوبة المحذوفة فى مثل قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا
 على ربهم وقوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار وقوله تعالى ولو ترى اذ يخرجون ونظائرهما أى رأيت
 أمرا هائلا فظيما أو نحو ذلك كما فى قوله تعالى ولو ياخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهورها
 من دابة اذا فسر الجواب بالاستئصال فانه فرد كامل من أفراد مطلق المؤاخذة قد عبر عنه بما لا مزيد عليه
 فى الدلالة على الشدة والفظاعة فحسن موقعه فى معرض التالى للمؤاخذة المطلقة وأما ما نحن فيه من القضاء
 فليس بأمر مغاير لتعجيل الشر فى نفسه وهو ظاهر بل هو أمثاله أو جزئ منه كسائر جزئياته من غير حيزية
 له على البقية اذ لم يعتبر فى مفهومه ما ليس فى مفهوم تعجيل الشر من الشدة والهول فلا يكون فى ترتيبه عليه
 وجودا أو عدم ما يزيد فائدة مصححة بله تاليا له فالخلق أن المقدم ليس نفس التعجيل المذكور بل هو ارادته
 المستتبة للقضاء المذكور وجودا أو عدم ما كفى قوله تعالى ولو ياخذهم بما كسبوا الجمل لهم العذاب
 أى لو يريدوا أخذتهم فان تعجيل العذاب لهم نفس المؤاخذة أو جزئ من جزئياتها غير ممتاز عن البقية فليس
 فى بيان ترتيبه عليهم وجودا أو عدم ما يزيد فائدة وانما الضائدة فى بيان ترتيبه على ارادتها حسبا ذكر وأيضاً
 فى ترتيب التالى على ارادة المقدم ما ليس فى ترتيبه على نفسه من الدلالة على المبالغة وتحويل الامر والدلالة على
 أن الامور منوطة بارادته تعالى المبينة على الحكم المبالغة (فقد را الذين لا يرجون لقاءنا) بنون العظمة الدالة
 على التشديد فى الوعيد وهو عطف على مقدر تنبئ عنه الشرطية كما أنه قيل لكن لا تفعل ذلك لما تقتضيه
 الحكمة فتتركهم أمهالا واستدراجا (فى طغيانهم) الذى هو عدم رجاء اللقاء وانكار البعث والجزاء

وما يفتقر على ذلك من أعمالهم السيئة ومقالاتهم الشنيعة (يعمهون) أي يترددون ويصيحرون وفي وضع الموصول موضع الضمير نوع بيان للطف بيان بما في حيز الصلة وأشعار بعليته للترك والاستدراج (واذا مس الإنسان الضر) أي أصابه جنس الضر من مرض وفقر وغيرهما من الشدائد أصابية يسيرة (دعانا) لكشفه وإزالته (لجنبه) حال من فاعل دعائه هادة ما عطف عليه من الحالين واللام بمعنى على كما في قوله تعالى يحزنون للأذقان أي دعانا كأننا على جنبه أي مضطجعا (أو قاعدا أو قاعضا) أي في جميع الأحوال مما ذكر وما لم يذكر وتخصيص المعدودات بالذكر لعدم خلو الإنسان عنها عادة أو دعائنا في جميع أحوال مرضه على أنه المراد بالضر خاصة مضطجعا عاجزا عن القعود وقاعدا غير قادر على النهوض وقاعضا لا يستطيع الحراك (فلما كشفنا عنه ضره) الذي منه غمب دعانا حسبا ينبغي عنه القاء (مر) أي مضى واستمر على طريقته التي كان يتبعها قبل مساس الضر ونسي حالة الجهد والبلاء أو مر عن موقف الضراعة والانهال ونأى بجانبه (كأن لم يدعنا) أي كأنه لم يدعنا لخفف وحذف ضمير الشأن كما في قوله كأن لم يكن بين الجحون إلى الصفا والجحلة التشبيهية في محل نصب على الحالية من فاعل مر أي مر من سببها بمن لم يدعنا (إلى ضر) أي إلى كشف ضره (مسه) وهذا وصف للجنس باعتدال حال بهض أفراده عن هو متصف بهذه الصفات (كذلك) نصب على المصدرية وذلك إشارة إلى مصدر الفعل الآتي وما فيه من معنى البعد للتفخيم والكاف مقعمة للدلالة على زيادة تخافة المشار إليه الحقا ما لا يكاد يترك في لغة العرب ولا في غيرها ومن ذلك قولهم مثلك لا يخل مكان أنت لا يخل أي مثل ذلك التزيين الجيب (زين للمسرفين) أي للموصوفين بما ذكر من الصفات الذميمة وأسرافهم لما أن الله تعالى أنما أعطاهم القوى والمشاعر ليصرفوها إلى مصارفها وبسته عملوها فيما خلقت له من العلوم والأعمال الصالحة فلما صرفوها إلى ما لا ينبغي وهي رأس ما لهم فقد أتلفوها وأسرفوا أسرافا ظاهرا والتزيين اتما من جهة الله سبحانه على طريقة التخلية والخذلان أو من الشيطان بالوسوسة والتسويل (ما كانوا يعملون) من الأعراض عن الذكروا الدعاء والانهام في الشهوات وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث أن في كل منهما أملاء للكفرة على طريقة الاستدراج بعد الانقضاء من الشر المقدر في الأولى ومن الضر المقترن في الأخرى (وانتدأ هلك القرون) أي القرون الحالية مثل قوم نوح وعاد وأضرابهم ومن في قوله تعالى (من قبلكم) متعاقبة بأهلكنا أي أهلكناهم من قبل زمانكم والخطاب لاهل مكة على طريقة الالتفات للمباغاة في تشديد التهديد بهدئا بيده بالتوكيد القسبي (لما ظلموا) ظرف للأهلاك أي أهلكناهم حين فعلوا الظلم بالكذب والتفادى في النفي والاضلال من غير تأخير وقوله تعالى (وجاءتهم رسالهم) حال من ضمير ظلموا بإشمار قد وقوله تعالى (باليينات) متعلق بجهاتهم على أن الباء للتعدي أو بمحذوف وقع حالا من رسالهم والهاء على إفراطهم في الظلم وتناهيهم في المكابرة أي ظلوا بالكذب وقد جاءتهم رسالهم بالآيات البينة الدالة على صدقهم أو ملتبسين بها حين لا مجال للتكذيب وقد جوز أن يكون قوله تعالى وجاءتهم عطف على ظلوا فلا محل له من الأعراب عند سيدييه وعند غيره محله الجزل لأنه معطوف على ما هو مجرور بإضافة الظرف إليه وليس الظلم منحصرا في التكذيب حتى يحتاج إلى الاعتذار بأن الترتيب الذي لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعي كما في قوله تعالى ورفع أبويه على العرش وخزوا له الخ بل هو محمول على سائر أنواع الظلم والتكذيب مستفاد من قوله تعالى (وما كانوا يؤمنوا) على ابلغ وجه وآ كده فان اللام لتأ كيد النبي أي وما صح وما استقام أهم أن يؤمنوا الفساد استعدادهم وخذلان الله تعالى إياهم لعلمه بأن الأطف لا تنجح فيهم وبالجملة على الأول عطف على ظلوا لأنه اخبار بأحداث التكذيب وهذا بالاصرار عليه وعلى الثاني عطف على ما عطف عليه وقيل اعتراض بين الفعل وما يجري مجرى مصدره التشبيهية أعني قوله تعالى (كذلك) فان الجزء (يخزي القوم المجرمين) أي كل طائفة مجرمة وفيه وعيد شديد وتهديد كيد لاهل مكة لا شرا كههم لا أولئك المهلكين في الجرائم والجرائم التي هي تكذيب الرسول والاصرار عليه وتقرر برهنتهم ما سبق من قوله تعالى ولولا جعل الله للناس الشر استجبالهم بالخير وقرئ بالياء على الالتفات إلى الغيبة وقد جوز أن يكون المراد

بالقوم الجرمين أهل مكة على طر بقة وضع الظاهر موضع ضمير الخطاب ايذا باناباتهم اعلام في الاجرام وباباه
 كل الاباء قوله عز وجل (ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم) فانه صريح في انه ابتداء تعرض
 لا مورههم وأن ما بين فيه انما هو مبادئ احوالهم لا اختبار كقياسات اعمالهم على وجه يشعر باسقاطهم نحو
 الايمان والطاعة فحال أن يكون ذلك اثر بيان منتهى امرهم وخطابهم بيت القول باهلا كهم الكمال
 اجرامهم والمعنى ثم استخلفناكم في الارض من بعد اهلاك اولئك القرون التي تسمعون اخبارها وتشاهدون
 آثارها استخلاف من يحتبر (لننظر) أي لنعامل معاملة من ينظر (كيف تعملون) فهي استعارة تمثيلية
 وكيف منصوب على المصدرية يعملون لا ينتظر فان ما فيه من معنى الاستفهام مانع من تقدم عامله عليه
 أي أي على أعلى الحالة أي على أي حال تعملون الاعمال اللائقة بالاستخلاف من أوصاف الحسن
 كقوله عز وجل ليلوكم ايكم أحسن عملا فقيه اشعار بأن المراد بالذات والمقصود الاصل من الاستخلاف
 انما هو ظهور الكيفيات الحسنة للاعمال الصالحة وأما الاعمال السيئة فيعزل من أن تصدر عنهم لاسيما بعد
 ما سمعوا أخبار القرون المهلكة وشاهدوا آثار بعضها فضلا عن أن ينظم ظهورها في سلك العلة الغائية
 للاستخلاف وقيل منصوب على أنه مفعول به أي عمل تعملون أخيرا ثم شرافنا عملكم بحسبه فلا يكون
 في كلمة كيف حينئذ دلالة على أن المعبر في الجزاء جهات الاعمال وكيفياتها لا ذواتها كما هو رأي القائل بل
 تكون حينئذ مستعارة لمعنى أي شيء (واذا أتى عليهم) التفات من خطابهم الى الغيبة اعراض عنهم وتوجيهها
 للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعديد جناباتهم المضادة لما أريد منهم بالاستخلاف من تكذيب
 الرسول والكفر بالآيات البينات وغير ذلك كدأب من قبلهم من القرون المهلكة وصيغة المضارع للدلالة
 على تجدد جوابهم الاتي حسب تجدد التلاوة (آياتنا) الدالة على حقبة التوحيد وبطلان الشرك والاضافة
 لشريف المضاف والترغيب في الايمان به والترهيب عن تكذيبه (بينات) حال كونها واختمات الدلالة على ذلك
 وابراد فعل التلاوة مبنيا لله فاعول مستند الى الآيات دون رسول الله صلى الله عليه وسلم بيناته لافاعل للشعار
 بعد ما الحاجة لتعين التالي وللايدان بأن كلامهم في نفس المتلذذون التالي (قال الذين لا يرجون لقاءنا)
 وضع الموصول موضع الضمير اشعارا بعلية ما في حيز الصلة للعظيمة المحكية عنهم وأنهم انما اجترأوا عليه لعدم
 خوفهم من عقابه تعالى يوم اللقاء لانكارهم له وبما هو من مباديه من البعث وذلما لهم بذلك أي قالوا لمن يتلوها
 عليهم وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما يذكروا انما يتعجبهم (انت بقرآن غير هذا) اشاروا بهذا الى
 القرآن المشتمل على تلك الآيات لا الى نفسها فقط قصد الى اخراج الكل من البين أي انت بكتاب آخر نقرؤه ليس
 فيه ما نستعيده من البعث والحساب والجزاء وما نكرهه من ذم آلهتنا ومعايها والوعيد على عبادتها (اوبتله)
 بتغيير ترتيبه بأن تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية أخرى خالية عنها وانما قالوه كيد او طمعا في المساعدة
 ليسلوا به الى الازام والاستهزاء به (قل) لهم (ما يكون لي) أي ما يصح وما يستقيم لي ولا يمكنني أصلا
 (أن ابتله من تلقاء نفسي) أي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وقرئ بفتح التاء وقصر الجواب
 ببيان امتناع ما اقترحوه على اقتراحهم الثاني للايدان بأن استحالة ما اقترحوه أولا من الظهور وبمحيط لا حاجة
 الى بيانها وأن التصدي لذلك مع كونه ضائعا رعا بعد من قبيل المجازاة مع السفهاء اذ لا يصدر مثل ذلك
 الاقتراح عن العقلاء ولأن ما يدل على استحالة الثاني يدل على استحالة الاول بالطريق الاولى (ان اتبع)
 أي ما أتبع في شيء مما أتى وأذر (الا ما يوحى الي) من غير تغييره في شيء أصلا على معنى قصر حاله عليه السلام
 على اتباع ما يوحى اليه لا قصر اتباعه على ما يوحى اليه كما هو التبادر من ظاهر العبارة كانه قبل ما أفعل
 الا اتباع ما يوحى الي وقد مر تحقيق المتسام في سورة الانعام وهو تعديل لصدر الكلام فان من شأنه اتباع
 الوحي على ما هو عليه لا يستبد بشيء دونه قطعا وفيه جواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد ما استر ضوا به
 عليه الصلاة والسلام بهذا السؤال من أن القرآن كلامه عليه الصلاة والسلام ولذلك قيد التبديل في الجواب
 بقوله من تلقاء نفسي وجماء عصيانا عظيما مستتبعا لعذاب عظيم بقوله تعالى (انني أخاف ان عصيت ربي عذاب
 يوم عظيم) فانه تعديل لمنهون ما قبله من امتناع التبديل واقتصار أمره عليه الصلاة والسلام على اتباع الوحي

أى أخاف ان عصيته تعالى بتعاطي ما ليس لي من التبديل من تلقاء نفسي والاعراض عن اتباع الوحي
 عذاب يوم عظيم هو يوم القيامة أو يوم اللقاء الذى لا يرجونه وفيه اشعار بأنهم استوجبوه بهذا الاقتراح
 والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتحويل أمر العصيان واظهار كمال نزاهته عليه
 السلام عنه وايراد اليوم بالتعظيم ووصفه بالعظم لتحويل ما فيه من العذاب وتفظيعه ولا مساغ لجل
 مقترحهم على التبديل والاثبات بقرآن آخر من جهة الوحي بتفسير قوله تعالى ما يـ~~كون~~ون لي أن ابـ~~دله~~
 من تلقاء نفسي بأنه لا يتسـ~~هل~~ لي أن ابـ~~دله~~ بالاستدعاء من جهة الوحي ما اتبع الامايوسى الى من غير صنع ما
 من الاستدعاء وغيره من قبل لانه برده التعليل المذكور لان المقترح حينئذ ليس فيه معصية أصلاً كما لوهم
 فان استدعاء تبديل الآيات النازلة حسب مقتضى الحكمة التشرعية بعضها ببعض لا سيما وجوب اقتراح
 الكفرة بما لا ريب في كونه معصية بل لانه ليس فيه معصية الاقتراح مع أنها المقصودة بما ذكر في التعليل ألا يرى
 الى ما بعده من الآيتين الكريمتين فانه صريح في أن مقترحهم الآيتين بغير القرآن وتبديله بطريق الاقتراح وأن
 زعمهم في الاصل أيضاً كذلك وقوله عز وجل (قل لو شاء الله ما تلونه عليكم) بتحقيق حقيقة القرآن وكونه من
 عنده تعالى اثنى بان بطلان ما اقترحوا الآيتين به واستحالته عبارة ودلالة وانما صدر بالامر المستقل
 مع كونه داخل تحت الامر السابق اظهار الكمال الاعتناء بشأنه وايداناً باستقلاله مفهوم ما اولوا باقائه برهان
 دال على كونه بأمر الله تعالى ومشيئته كما سبأى وما سبق بجزء اخبار باستحالته ما اقترحوه ومنه قول شاء
 محذوف ينـ~~بني~~ عنه الجزاء لا غير ذلك كما قيل فان مفعول المشيئة انما يحذف اذا وقعت شرطاً وكان مفعولها
 مضمون الجزاء ولم يكن في تعلقها به غرابة كما في قوله ولو شئت أن ابكى دما لكيتيه حيث لم يحذف لفقدان
 الشرط الاخير ولأن المستلزم للجزاء أعني عدم تلاوته عليه الصلاة والسلام للقرآن عليهم انما هو مشيئته
 تعالى له لا مشيئته لغير القرآن والمعنى ان الامر كله منوط بمشيئته تعالى وليس لي منه شيء قط ولو شاء عدم
 تلاوتي له عليكم لا بأن شاء عدم تلاوتي له من تلقاء نفسي بل بأن لم ينزله على ولم يأمرني بتلاوته كما ينـ~~بني~~ عنه ايشار
 التلاوة على القراءة ما تلونه عليكم (ولا ادراككم به) أى ولا أعلمكم به بواسطة والتالى وهو عدم التلاوة
 والادراك منتف فينتفى المقدم أعني مشيئة عدم التلاوة ولا يخفى أنهم مستلزمة لعدم مشيئة التلاوة قطعاً
 فانتفاؤها مستلزم لاتفانها حتماً وانتفاء عدم مشيئة التلاوة انما يكون بتحقيق مشيئة التلاوة فثبت أن تلاوته
 عليه الصلاة والسلام للقرآن بمشيئته تعالى وأمره وانما قيدنا الادراك بكونه بواسطة عليه الصلاة والسلام
 لأن عدم الاعلام مطلقاً ليس من لوازم الشرط الذى هو مشيئة عدم تلاوته عليه السلام فلا يجوز نظمه في ذلك
 الجزاء وفي اسناد عدم الادراك اليه تعالى المنـ~~بني~~ عن استناد الادراك اليه تعالى ايذان بأن لا دخل له عليه السلام
 في ذلك حسب مقتضى المقام وقرئ ولا ادراككم ولا ادراككم بالهمزة فيهما على لغة من يقول اعطأت وأرضأت
 في أعطيت وأرضيت أو على أنه من الدرر بمعنى الدفع أى ولا جعلتكم تلاوته عليكم خصماً تدرؤننى بالجـ~~دال~~
 وقرئ ولا انذر تكلم به وقرئ لا ادراككم باللام الجواب أى لو شاء الله ما تلونه عليكم أنا ولا أعلمكم به على لسان غيرى
 على معنى انه الحق الذى لا يحصى عنه لولم أرسل به أنا لا رسل به غيرى البتة أو على معنى أنه تعالى ينـ~~بني~~ على
 من يشاء فخصني بهذه الكرامة (فقد ايت فيكم عمراً) تعليل للملازمة المستلزمة لكون تلاوته بمشيئة الله تعالى
 وأمره حسبما بين آنفاً لكن لا بطريق الاستدلال عليها بعدم تلاوته عليه الصلاة والسلام فيما سبق بسبب
 مشيئته تعالى اياه بل بطريق الاستشهاد عليها بما شاهدوا منه عليه الصلاة والسلام في تلك المدة الطويلة
 من الأمور الدالة على استحالة كون التلاوة من جهته عليه الصلاة والسلام بلا وحي وعمر انصب على التشبيه
 بظرف الزمان والمعنى قد آتت فيما بينكم دهرامديد مقدار أربعين سنة تحفظون تفاصيل أحوالى طرأ
 وتحيطون بما لى خبراً (من قبله) أى من قبل نزول القرآن لا تعاطى شيئاً مما يتعلق به لامن حيث نظمه المعجز
 ولا من حيث معناه الكاشف عن أسرار الحقائق وأحكام الشرائع (أفلا تـ~~قلون~~) أى ألا تلاحظون ذلك
 فلا تـ~~قلون~~ امتناع صدوره عن مثلى ووجوب كونه منزلاً من عند الله العزيز الحكيم فانه غير خاف على من له عقل
 سليم والحق الذى لا محيد عنه أن من له أدنى مسكة من العقل اذا تأمل في أمره عليه الصلاة والسلام وأنه نشأ
 فيما بينهم هذا الدهر الطويل من غير مصاحبة العلماء في شأن من الشؤون ولا مراعاة اليهم في فن من الفنون

ولا تخاطبة البلغاء في المفاوضة والحوار ولا خوض معهم في انشاء الخطب والاشعار ثم أتى بكساب بهرت فصاحت به كل فصيح فائق وبذت بلاغته كل بليغ رائق وعلا نطقه كل منشور ومنظوم وحوى خواه بدائع أصناف العلوم كاشف عن أسرار الغيب من وراء أستار الكهون ناطق بأخبار ما قد كان وما سيكون مصدق لما بين يديه من الكتب المنزلة مهين عليهم في أحكامها المجملات والمفصلة لا يبقى عنده شبهة اشتباه في أنه وحى منزل من عند الله هذا هو الذي اتفقت عليه كلمة الجمهور ولكن الانسب بيناء الجواب فيما سلف على مجرد امتناع صدور التغيير والتبديل عنه عليه الصلاة والسلام لكونه معصية موجبة للعذاب العظيم واقتصار حاله عليه الصلاة والسلام على اتباع الوحي وامتناع الاستبداد بالرأى من غير تعرض هناك ولا ههنا لكون القرآن في نفسه أمراً خارجاً عن طوق البشر ولا لكونه عليه الصلاة والسلام غير قادر على الايمان بمثله أن يستشهد ههنا على المطلب بما يلائم ذلك من أحواله المستقرة في تلك المدة المتطاولة من كمال نزاهته عليه الصلاة والسلام عما يوهم شبهة صدور الكذب والافتراء عنه في حق أحد كائن من كان كما نبه عليه في تبليغ المستترى على الله تعالى والمعنى قد ثبت فيما بين ظهرانيكم قبل الوحي لا أن تعرض لاحد قط بتحكم ولا جدال ولا أحوم حول مقال فيه شبهة فضلا عما فيه كذب او افتراء أو لا تلاخظون فلا تمقلون أن من هذا شأنه المطرد في هذا العهد البعيد مستحيل أن يفترى على الله عز وجل ويتحكم على كافة الخلق بالاوامر والنواهي الموجبة لسلب الاموال وسفك الدماء ونحو ذلك وأن ما أتى به وحى مبين تنزيل من رب العالمين وقوله عز وجل (فن اظلم من افترى على الله كذبا) استغفهم انكارى معناه الجحد أى لا أحد أظلم منه على معنى أنه اظلم من كل ظلام وان كان سبيل التركيب مفيدا لانكار أن يكون أحد أظلم منه من غير تعرض لانكار المساواة ونفسها فانه اذا قيل من أفضل من فلان او لا أعلم منه يفهم منه حتماً أنه أفضل من كل فاضل وأعلم من كل عالم وزيادة قوله تعالى كذباً مع أن الافتراء لا يكون الا كذلك للايذان بأن ما أضافوه اليه فمعناه وحلوه عليه الصلاة والسلام عليه صرحاً مع كونه افتراء على الله تعالى كذب في نفسه قرب افتراء يكون كذبه في الاستناد فقط كما اذا استند ذنب زيد الى عمرو وهذا للمبالغة منه عليه الصلاة والسلام في التنادى عما ذكر من الافتراء على الله سبحانه (او كذب بآياته) فكفر بها وهذا انطباع للمشركين بكذبهم للقرآن وحملهم على أنه من جهته عليه الصلاة والسلام والافتراء على الله تعالى كذب في نفسه على ما سبق من بيان كون القرآن عشيته تعالى وأمره فلا مجال للحل والافتراء على الافتراء بالتحاذي والولد والشرى أى واذا كان الامر كذلك فمن افترى عليه تعالى بأن يتخلى كلاماً فيقول هذا من عند الله أو يدل بعض آياته تعالى ببعض كما تجاوزون ذلك في شأنى وكذلك من كذب بآياته تعالى كما تفعلونه اظلم من كل ظلام (أنه) الضمير لآلئان وقع اسمالان والخبر ما يشبه من الجملة ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصديرها بالايذان بشخامة مضعونه سامع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شأنهم لم له خطر فيبقى الذهن من متروكها لما يعقبه فيمكن عند وروده عليه فضل تمكن فيكاته قيل ان الشأن هذا أى (لا يفلح المجرمون) أى لا ينجون من محذور ولا يظفرون بطلوب والمراد جنس المجرمين فيندرج فيه المقتري والمكذب اندراجاً وائياً (ويعبدون من دون الله) حكاية لجنابة أخرى اهم نشأت عنها جنائهم الاولى معطوفة على قوله تعالى واذا اتلى عليهم الآية عطف قصة على قصة ومن دون متعلق بـ يعبدون ويحمله النسب على الحالبة من فاعله أى منجبا وزين الله سبحانه لاجبى ترك عبادته بالكلية بل يعنى عدم الاكتفاء به او جعلها قرشاً لعبادة الاصنام كما يشص عنه سياق النظم الكريم (ملا يضربهم ولا ينفعهم) أى ما ليس من شأنه الضر والنفع من الاصنام التي هي جادات وما موصولة أو موصوفة وتقديم نفي الضر لان أدنى أحكام العبادة دفع الضر الذي هو أول المنافع والعبادة أمر حادث مسبق بعدم الذي هو مظنة الضر بحيث لم يقدر الاصنام على الضر لم يوجد لاحداث العبادة سبب وقيل لا يضربهم ان تركوا عبادتها ولا ينفعهم ان عبدوها كان أهل الطائف يعبدون اللات وأهل مكة عزي ومنى وهبل واسافوناثة (ويقولون هؤلاء سفهاء غافلون عند الله) عن النضر بن الحرث اذا كان يوم القيامة يشفع الى اللات قبل انهم كانوا يعقدون ان المتولى لكل اقليم روح معين من ارواح

الافلاك فعبثوا بالروح صفاء معينة من الاصنام واشتغلوا بعبادته ومقصودهم ذلك الروح ثم اعتقدوا
 أن ذلك الروح يكون عند الاله الاعظم مستغلا بعبوديته وقبل انهم كانوا يعبدون الكواكب فوضعوا الهيا
 أصناما معينة واشتغلوا بعبادتها قصد الى عبادة الكواكب وقبل انهم وضعوا طلسمات معينة على تلك
 الاصنام ثم تقرر بوالها وقبل انهم وضعوا هذه الاصنام على صور أنبيائهم وكبرهم وزعموا أنهم متى اشتعلوا
 بعبادة هذه القبايل فان أوائل الكبر يشقون لهم عند الله تعالى (قل) تبكيئاهم (انتم تبشرون الله بما لا يعلم)
 أي تخبرونه بما لا وجود له أصلا وهو كون الاصنام شفعاء لهم عند الله تعالى اذ لولا علمه علام الغيوب
 وفيه تفرع لهم وتكم بهم وبعبادته من المحال الذي لا يكاد يدخل تحت الصحة والامكان وقرئ انهم يتنبسون
 بالتحقيق وقوله تعالى (في السموات والارض) حال من العباد المحذوف في يعلم مؤكدة للشي لان ما لا
 يوجد فيها فهو منتف عاده (سبحانه وتعالى عما يشركون) عن اشراكهم المستلزم لتلك المسألة الباطلة او عن
 شركائهم الذين يعتقدونهم شفعاء لهم عند الله تعالى وقرئ تشركون بناء على أنه من جملة القول المأمور
 به وعلى الاول هو اعتراض تنزيه من جهة سبجانه وتعالى (وما كان الناس الا امة واحدة) بيان لان
 التوحيد والاسلام ملة قديمة اُجعت عليها الناس قاطبة فطرة وتشريعا وان اشركوا فروعها جهالات ابتداعها
 القوافل خلافا للجمهورية وشقا للجماعة وأما حمل اتحادهم على الاتفاق على الضلال عند الفترة واختلافهم
 على ما كان منهم من الاتباع والاصرار فحاصل الاحتمال له أي وما كان الناس كافة من أول الامر المتفقين
 على الحق والتوحيد من غير اختلاف وذلك من عهد آدم عليه الصلاة والسلام الى أن قتل قابيل هابيل وقبل
 الى زمن ادريس عليه السلام وقبل الى زمن نوح عليه السلام وقبل من حين الطوفان حين لم يذره الله من
 الكافرين ديارا الى أن ظهر فيما بينهم الكفر وقبل من لدن ابراهيم عليه الصلاة والسلام الى أن أظهر عمرو بن
 لحي عبادة الاصنام فالمراد بالناس العرب خاصة وهو الانسب بآراء الآية الكريمة اثر حكاية ما حكى عنهم
 من الهنات وتنزيه ساحة الكبرياء عن ذلك (فاختلفوا) بأن كثر بعضهم وثبت آخرون على ما هم عليه خفاك
 كل من الفريقين الا سخر لأن كلامهم ما أحدث ملة على حدة من ملل الكفر بخلاف الملة الا سخر فان الكلام
 ليس في ذلك الاختلاف اذ كل منهم ما يبطل حينئذ فلا يتصور أن يقتضى بينهم ما يابقى الحق واهلاك المبطل
 والنساء التعشيبية لا تنافي امتداد زمان الاتفاق اذ المراد ببيان وقوع الاختلاف عقب انصرام مدة الاتفاق
 لا عقب حدوث الاتفاق (ولولا طمس سبقت من ربك) بتأخير القضاء بينهم أو بتأخير العذاب الفاصل بينهم
 الى يوم القيامة فانه يوم الفصل (لقضى بينهم) عاجلا (فيما فيه يختلفون) بتمييز الحق من الباطل بابقاء
 الحق واهلاك المبطل وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية وللدلالة على الاستمرار (ويقولون)
 حكاية بلخاية أخرى لهم معطوفة على قوله تعالى ويعبدون وصيغة المضارع لاستحضار صورة معالمتهم
 الشنعاء والدلالة على الاستمرار والقاتلون أهل مكة (لولا انزل عليه آية من ربه) أرادوا آية من الآيات التي
 اقترحوها كأنهم افترط العتو والفساد ونهاية التماذى في المكابرة والعناد لم يعتدوا بالبيئات النازلة عليه
 السلام من جنس الآيات واقترحوا غيرها مع أنه قد أنزل عليه من الآيات الباهرة والمعجزات المتكاثرة
 ما يضطرهم الى الانقياد والقبول لو كانوا من أرباب العقول (قل) لهم في الجواب (اعمال الغيب لله) اللام
 للاختصاص العلى دون التكويني فان الغيب والشهادة في ذلك الاختصاص سبحانه والمعنى ان ما اقترحوه
 وزعمتم أنه من لوازم النبوة وعائتم ايمانكم بنزوله من الغيوب المختصة بالله تعالى لا ووقوفى عليه (فاتطروا)
 نزوله (ان معكم من المنتظرين) أي لما يفعل الله بكم لاجترائكم على مثل هذه العظيمة من بجود الآيات
 واقترح غيرها وجعل الغيب عبارة عن الصارف عن انزال الآيات المقترحة بأباه ترتيب الامر بالانتظار على
 اختصاص الغيب به تعالى (واذا ذقنا الناس رحمة) رحمة واسعة (من بعد ضراء مستهم) أي خالطتهم
 حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم واستناد المسامر الى الضراء بعد استناد الاذاقة الى ضمير الجملة من
 الآداب القرآنية كافي قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين وتطائره قيل سلط الله تعالى على أهل مكة
 القطع سبع سنين - حتى كادوا يموتون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا باطعنون في آياته تعالى ويعادون رسوله

عليه الصلاة والسلام ويكيدونه وذلك قوله تعالى (إذا هم مكرروا آياتنا) أي بالطعن فيها وعدم
الاعتداد بها والاحتياط في دفعها وإذا الأولى شرطية والثانية جوابية كأنه قيل فاجزأ وقوع المكر
منهم وتشكير مكر للتخفيف وفي متعلقة بالاستقرار الذي يعلق به اللام (فل الله امرع مكرها) أي أجعل عقوبة
أي عذابه أمرع وصول اليكم مما يأتي منكم في دفع الحق وتسمية العقوبة بالمكر لوقوعها في مقابلة مكرهم
وجوداً أو ذكراً (ان رسلنا) الذين يحفظون أعمالكم والاضافة للتشريف (يكتبون ما تكرون)
أي مكرهم أو ما تذكرون وهو تحقيق للاقتحام منهم وتنبه على أن ما دبروا في اخفائه غير خاف على الحفظه فضلاً
عن العلم الخبير وصيغة الاستقبال في الفعلين للدلالة على الاستمرار والتجدد وبالجملة تعليل من جهته
تعالى لا سرعية مكره سبحانه غير داخل في الكلام الملتزم كقوله تعالى ولو جئنا جملة مددافان كتابه الرسل
لما يذكرون من مبادئ بطلان مكرهم ويخاف أثره عنه بالكلية وفيه من المبالغة ما لا يوصف وتلويح الخطاب
بصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم للتشديد في التوبيخ وقرئ على لفظ الغيبة فيكون حينئذ تعليلاً
لما ذكر أولاً من (هو الذي يسيركم) كلام مستأنف مسوق لبيان جنابه أخرى أهم مبنية على ما مر آنفاً
من اختلاف حالهم حسب اختلاف ما يعترفهم من السر والعلن أي يمكنكم من السير فكيفما مسخرة اعتد
الملازمة به وقبلها (في البر) مشاة وزبانا وقرئ ينشركم من النشرو منه قوله عز وجل بشر تنشرون
(والبحر حتى إذا كنتم في الفلك) أي السفن فانه يجمع فلك على زنة أسديج اسدلا على وزن قتل وغاية التسيير
ليست ابتداء ركوبهم فيها بل مضعون الشرطية بقامه كما ينبغي عنه ايشار الكون المؤذن بالدوام على الركوب
المشعر بالحدوث (وهرين) أي السفن (بهم) بالذين فيها والالتفات الى الغيبة للأيان بحالهم من سوء الحال
الموجب للاعراض عنهم كأنه يذكرا غيرهم مساوي أحوالهم ايجبهم منها وبستهدي منه الانكار والتوبيخ
وقيل ليس فيه التفات بل معنى قوله تعالى حتى إذا كنتم في الفلك إذا كان بعضكم فيها إذا الخطاب للكل ومنهم
المسيرون في البر فالغائب الغائب عائد الى ذلك المضاعف المقدر كافي قوله تعالى او كظلمات في بحر لجي يغشاه
أي أو كذي ظلمات يغشاه موج (بريح طيبة) ايئة الهموب موافقة لمقصدهم (وفر حواجها) تلك الريح لطيفها
وموافقتها (جاءتها) جواب اذا والضمير المنصوب للريح الطيبة أي تلقتها واستنوت عليها من طرف مخالف
لهما فان الهموب على وقعها لا يسمى شبحاً لريح أخرى عادة بل هو اشتداد للريح الأولى وقيل للفلك والأول
أظهر لاستلزامه للثاني من غير عكس لأن الهموب على طريقة الريح الينة بعد مجيئها بالنسبة الى الفلك
دون الريح الينة مع أنه لا يستتبع تلاطم الأمواج الموجب لمجيئها من كل مكان ولأن التهور بل في بيان
استيلائها على ما فرحوا به وعلقوا به حبساً لرجائهم أكثر (ريش عاصف) أي ذات عصف وقيل العصفوف
مختص بالريش فلا حاجة الى الفارق وقيل الريح قد يذكروا (وجاءهم الموج) في الفلك (من كل مكان) أي من
أمكنة مجيئ الموج عادة ولا بعد في مجيئه من جميع الجوانب أيضاً لا يجب أن يكون مجيئه من جهة هموب
الريش فقط بل قد يكون من غيرهما بحسب أسباب تنقله (وطنوا أنهم احيط بهم) أي هلكوا فان ذلك مثل
في الهلاك أصله احاطة العدو بالحي أو سدت عليهم مسالك الخلاص (دعوا الله) بدل من ظنوا يدل اشتغال
لما بينهما من الملازمة والتلازم أو استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الأذهان كأنه قيل فماذا صنعوا
فقبل دعوا الله (مخلصين له الدين) من غير أن يشركوا به شيئاً من آلهتهم لا مخلصين للدعاء به تعالى فقط
بل للعبادة أيضاً فانهم عجزوا عن تخصيص الدعاء به تعالى لا يكتفون بمخلصين له الدين (لئن انجيئنا) اللام موطئة
للقسم على ارادة القول أي فالتين والله لئن انجيئنا (من هذه) الورطة (لنكونن) البتة بعد ذلك أبداً
(من الشاكرين) لنعمك التي من جلتها هذه النعمة المسؤلة وقيل الجملة مفعول دعوا لان الدعاء من قبيل
القول والأول هو الأولى لاستدعاء الثاني لاقتصار دعائهم على ذلك فقط وفي قوله لنكونن من الشاكرين
من المبالغة في الدلالة على كونهم ثابتين في الشكر مثابرين عليه منتظمين في سلك المنعوتين بالشكر الراضين فيه
ما ليس في أن يقال لنشكركن (فلما انجأهم) مخلصهم من الكربة والفناء للدلالة على سرعة الاجابة
(إذا هم يهونون في الارض) أي فاجزأ الفساد فيها وسارعوها اليه متراقين في ذلك متجاوزين عما كانوا عليه

من حدود العيث من قولهم بغي الجرح اذا تراجى في الفساد وزيادة في الارض للدلالة على شمول بغيهم لاقطارها
وصيغة المضارع للدلالة على التصدد والاستمرار وقوله تعالى (بغير الحق) تأكيدي لما يفيد البغي ومعناه أنه
بغير الحق عندهم أيضا بأن يكون ذلك ظاهرا لا يخفى قبحه على أحد كما في قوله تعالى ويقتلون النبيين بغير
الحق وأما ما قيل من أنه للاحتراز عن البغي بحق كخرب الغزاة ديار الكفرة وقطع أشجارهم واحراق زرعهم
فلا يساعد التظلم الكريم لا يقتضاه على كون البغي بمعنى افساد صورة الشيء وابطال منفعة دون ما ذكر من
المعنى اللائق بحال المفسدين (يا أيها الناس) توجيه الخطاب الى أولئك الباغيين للتشديد في التهديد والمبالغة
في الوعيد (انما بغيكم) الذي تماطونه وهو مبتدأ وقوله تعالى (على أنفسهم) خبره أي عليكم في الحقيقة
لا على الذين تبغون عليهم وان ظن كذلك وقوله تعالى (متاع الحياة الدنيا) بيان لكون ما فيه من المنفعة
العاجلة شيئا غير معتد به سر يع الزوال دائم الويل وهو نصب على أنه مصدر موقر لله عمل مقتدر بطريق
الاستئناف أي تتمعون متاع الحياة الدنيا وقيل على أنه مصدر وقع موقع الحال أي تتمعون بالحياة الدنيا
والعامل هو الاستمرار الذي في الخبر لا نفس البغي لانه يؤدي الى الفصل بين المصدر ومفعوله بالخبر ولا يخبر
عن الموصول الابعدام صلاته وأنت خير بأنه ليس في تشديد كون بغيهم على أنفسهم بحال فتمتعهم بالحياة الدنيا
معنى يعتد به وقيل على أنه نظير زمان نحو ومقدم الحاج أي زمن متاع الحياة الدنيا وفيه ما مر زعمه وقيل
على أنه مفعول لافعل دل عليه المصدر أي تبغون متاع الحياة الدنيا ولا يخفى أنه لا يدل على البغي بمعنى الطلب
وجعل المصدر أيضا بعناء مما يخفى جيزالة التظلم الكريم لان الاستئناف لبيان سوء عاقبة ما حكي عنهم من البغي
المفسر بالافساد المفرط اللائق بجهالهم فأى مناسبة بينه وبين البغي بمعنى الطلب وجعل الاول أيضا بعناء
مما يجب تنزيهه مساحة التنزيل عنه وقيل على أنه مفعول له أي لاجل متاع الحياة الدنيا والعامل ما ذكر من
الاستمرار وفيه أن المعلن بما ذكره نفس البغي لا كونه على أنفسهم وقيل العامل فيه فعل مدلول عليه بالمصدر
أي تبغون لاجل متاع الحياة الدنيا على أن الجملة مستأنفة وقيل على أنه مفعول صريح للمصدر وعلى
أنفسكم ظرف لقوم متعلق به والمراد بالنفس الجنس والخبر محذوف لطول الكلام والتقدير انما بغيكم على أبناء
جنسكم متاع الحياة الدنيا محذورا وظاهر الفساد أو نحو ذلك وفيه ما مر من اقتضائه على ما لا يليق بالمقام من
كون البغي بمعنى الطلب نعم لوجه نصبه على العلة أي انما بغيكم على أبناء جنسكم لاجل متاع الحياة الدنيا
محذورا كما اختاره بعضهم لكان له وجه في الجملة لكن الحق الذي يقتضيه جيزالة التنزيل انما هو الاول وقرئ
متاع بالرفع على أنه الخبر والظرف صلة للمصدر أو خبر ثان أو خبر ابتداء محذوف أي هو متاع الخ كما في قوله
تعالى الاساعة من نهار بلاغ أي هذا بلاغ فالمراد بأنفسهم على الوجه الاول أبناء جنسهم وانما عبر عنهم بذلك
هز الشفقة عليهم وحنانهم على ترك ايتار التمتع المذكور على حقوقهم ولا مجال للعمل على الحقيقة لان كون
بغيهم وبالا عليهم ليس شيئا عندهم حسيما يقتضيه ما حكي عنهم ولم يخبر به بعد حتى يجعل من تسمية الكلام ويجعل
كونه متاعا مقصودا لافادة على أن عنوان كونه وبالا عليهم قادح في كونه متاعا فضلا عن كونه من مبادئ
ثبوت المبتدأ كما هو المتبادر من السوق وأما كون البغي على أبناء الجنس فعلم الثبوت عندهم ومتضمن
لمبادئ التمتع من أخذ المال والاستيلاء على الناس وغير ذلك وأما على الوجهين الآخرين فلا موجب
للعُدول عن الحقيقة فان المبتدأ انما نفس البغي او الضمير العائد اليه من حيث هو ولا من حيث كونه وبالا
عليهم كما في صورة كون الظرف صلة للمصدر فتدبر وقرئ متاعا الحياة الدنيا أما نصب متاعا فعلى ما مر وأما
نصب الحياة فعلى أنه بدل من متاعا بدل اشتمال وقيل على أنه مفعول به لمتاعا اذا لم يكن اتصافه على المصدرية
لان المصدر المؤكد لا يعمل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تمكروا لأنكم ولا تبغوا ولا تبغوا ولا تبغوا
ولا تشكوا ولا تمننا وكان يتلوها وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والشك
والمكر قال تعالى انما بغيكم على أنفسكم وما يذكرون الا بأنفسهم فن تكث فانما تكث على نفسه وعنه عليه
الصلاة والسلام أسرع الخيرة واباصلة الرحم وأبجل الشر عتقا بالبغي واليمين الفاجرة وروى ثنتان يجهلها الله
تعالى في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لو بغي جبل على جبل لدنا الباغى

(ثم ينصرونهم) عطف على ما مر من الجملة المستأنفة المقدرة كأنه قيل تتمتعون متاع الحياة الدنيا ثم ترجعون الدنيا وانما غير السبيل الى الجملة الاسمية مع تقديم الجار والمجرور للدلالة على الثبات والفصل (فنبشركم بما كنتم تعملون) في الدنيا على الاسبق من البني وهو وعيد بالجزاء والعذاب كتقول الرجل لمن يتوعد ما خبرك بما فعلت وفيه نكتة خفية مبنية على حكمة آية وهي أن كل ما يظهر في هذه النشأة من الاعيان والاعراض فاعا يظهر بصورة مغايرة لصورته الحقيقية التي بها يظهر في النشأة الآخرة فان المعاصي مثلا عموم قاتله قد برزت في الدنيا بصورة تستحسنها نفوس العصاة وكذا الطاعات مع كونها أحسن الاسان قد ظهرت عندهم بصورة كروية ولذلك قال عليه الصلاة والسلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فالبحر في هذه النشأة وان برز بصورة تشبه البغاة وتستحسنها الغواة لفتهم به من حيث أخذ المال واقتنى من الاعداء وذلكت لئلا يكون ذلك ليس يمتنع في الحقيقة بل هو تضرر من حيث لا يتصورون وانما يظهر لهم ذلك عند ابرازها كانوا يعملونه من البني بصورة الحقيقة المضادة لما كانوا يشاهدونه على ذلك من الصورة وهو المراد بالنشأة المذكورة والله سبحانه وتعالى اعلم (الخاصة بالحياة الدنيا) كلام مستأنف مسوق لبيان شأن الحياة الدنيا وقصر مدة التمتع بها وقرب زمان الرجوع الموعود وقد شبه حالها العجبية الشأن البديعة المثال المتظلمة لغرابتها في سلك الامثال في سرعة تقضيها وانصرام نعيمها غيب اقبالها واغترار الناس بها بحال ما على الارض من أنواع النبات في زوال رونقها ونضارتها فجأة وذاهبها حطاما لم يبق لها أثر أصلا بعد ما كانت غضة طرية قد اتف بعضها ببعض وزيت الارض بالوانها وتقوت بعد ضمه فها بحيث طمع النام وظنوا أنهم سالت من الجوانح وليس المشبه به ما دخله الكاف في قوله عز وجل (كلوا من ثمره من السماء فاختلط به نبات الارض) بل ما يفهم من الكلام فانه من التشبيه المركب (بما كل الناس والانعام) من البقول والزرع والحشيش (حقا اذا أخذت الارض زخرفها) جعلت الارض في تزيتها بما علمها من أصناف النباتات وأشكالها والوانها المختلفة الموقفة آخذة زخرفها على طريقة التمثيل بالعروس التي قد أخذت من ألوان الثياب والزين فزينت بها (وازينت) أصله زينت فأدغم وقرئ على الاصل وقرئ وأزينت كغيبات من غير اعلال والمعنى صارت ذات زينة وازينات كياضت (وظن أهلها أنهم قادرون عليها) متكبرون من حمدها ورفع غلتها (انها أمرنا) جواب اذا أي ضرب زرعها بما يحتاجه من الآفات والعاهات (ليلا ونهارا فجعلناها) أي زرعها وساير ما عليها (حصيدا) أي شيئا بما حمده من أصله (كان لم تغن) كأن لم يغن زرعها والمضاف محذوف للعبارة وقرئ بتذكير الفعل (بالامس) أي فيما قبل بزمن قريب فان الامس مثل في ذلك كأنه قيل لم تغن أنفسا (كذلك) أي مثل ذلك التفصيل البديع (نفصل الآيات) أي الآيات القرآنية التي من جملتها هذه الآيات المنبهة على أحوال الحياة الدنيا أي نوضحها ونبينها (لقوم يتفكرون) في تضاعفها وريقة فون على معانيها وتخصيص تفصيلها بهم لانهم المتفكرون بها ويجوز أن يراد بالآيات ما ذكر في أثناء التمثيل من الكائنات والصفات وتفصيلها وتصريحها على الترتيب المحكي ايجادا واعداما فانها آيات وعلا مات يستدل بها من تفكيرها على أحوال الحياة الدنيا حلا وما لا (والله يدعو الى دار السلام) ترغيب للناس في الحياة الآخرة السابقة اثر ترغيبهم عن الحياة الدنيوية الفانية أي يدعو الناس جميعا الى دار السلامة عن كل مكروه وآفة وهي الجنة وانما ذكرت بهذا الاسم لذكر الدنيا بما يقابلها من كونها معرضة لآفات اولى دار الله تعالى وتخصيص الاضافة للتبريقية بهذا الاسم الكريم للتشبيه على ذلك اولى دار سلم الله والملائكة فيها على من يدخلها او يسلم بعضهم على بعض (ويهدي من يشاء) هداية منهم (الى صراط مستقيم) موصل اليها وهو الاسلام والترؤد بالتقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على أن الامر غير الارادة وأن من أصر على الضلالة لم يرد الله رشده (للمذين احسنوا) أي أعمالهم أي عملوا على الوجه اللائق وهو حسن الوصف المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله أن تعبدوا الله كأنكم تراه فان لم تكن تراه فانه يرأى (الحسنى) أي المثوبة الحسنى (وزيادة) أي وما يزيد على تلك المثوبة فضلا قوله عز وجل ويريدهم من فضله وقيل الحسنى

قوله والذين يكسروا الزاوي
وفتح الياء جمع زينة

مثل حسناتهم والزيادة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وأكثر وقبل الزيادة مفقودة من الله ورضوان وقيل
الحسنى الجنة والزيادة اللقاء (ولا يرقى وجوههم) أي لا يغشاها (قتر) غيرة فيها اسواد (ولاذلة) أي
أثره وان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق أهل النار ولا يرهقهم ما يوجب ذلك من الحزن وسوء الحال
والسكير للحقير أي شيء منهم ما والجللة مستأنفة لبيان أنهم من المكارة أثر بيان فوزهم بالمطالب والثاني
وان اقتضى الأول لأنه ذكر أذكارا بما يتقدم الله تعالى منه برحمته وتقديم المفعول على الفاعل للاهتمام
بيان أن المصون من الرق أشرف أعضائهم وللتشويق إلى المؤخر فان ما حقه التقديم إذا أخرت في النفس
مترتبة لوروده فعند وروده عليها يمكن عندها فضل تمكن ولأن في الفاعل ضرب تفصيل كما في قوله تعالى يخرج
منهم المذاوئ والمرجان وقوله عز وجل وجاء في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين (أولئك) إشارة
إلى المذكورين باعتبار اتصافهم بالصفات المذكورة وما في اسم الإشارة من معنى البعد للايدان بعلو درجتهم
ومعطية لهم أي أولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجميلة الفانزون بالمنازلات الناجون عن المكارة
(أصحاب الجنة هم فيها خالدون) بلا زوال دافعون بلا انتقال (والذين كسبوا السيئات) أي الشرك
والمعاصي وهو مبتدأ بتقدير المضاف خبره قوله تعالى (جزاء سيئة بمثلها) أي جزاء الذين كسبوا
السيئات أن يجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزداد عليها كما يزداد في الحسنة وتغيير السبيل حيث لم يقل
وللذين كسبوا السيئات السوى مراعاة ما بين الفريقين من كمال التساق والتباين وإيراد الكسب للايدان
بأن ذلك انما هو له وصنيعهم وبسبب جنائيتهم على أنفسهم أو الموصول معطوف على الموصول الأول كأنه
قيل وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها كقولك في الدار زيد والحجرة عمرو وفيه دلالة على أن المراد
بالزيادة الفضل (وزرعتهم ذلة) وأي ذلة كما ينبغي عنه التنوين التفضيحي وفي اسناد الرق إلى أنفسهم دون
وجوههم ايدان بأنها محيطة بهم غاشية لهم جميعا وقرى يرهقهم بالياء التحيانية (مالهم من الله من عاصم)
أي لا يعصمهم أحد من خطئه وعذابه تعالى أو مالهم من عنده تعالى من يعصمهم كما يكون للمؤمنين وفي نفي
العاصم من المبالغة في نفي العصمة ما لا ينبغي والجللة مستأنفة أو حال من ضمير ترهقهم (كأنما أغشيت
وجوههم قطعاً من الليل) أقرط اسوادها ونظمتها (مظلمة) حال من الليل والعامل فيه أغشيت لأنه العامل
في قطعها وهو موصوف بالجار والنجور والعامل في الموصوف عامل في الصفة أو معنى الفعل في من الليل وقرى
قطعاً يسكون الطاء وهو طائفة من الليل قال

افتح الباب وانظري في النجوم * كم علينا من قطع ليل بهيم

فيجوز كون مظلمة صفة له أو سالمة وقرى كأنما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلمة والجللة كما قبلها
مستأنفة أو حال من ضمير ترهقهم (أولئك) أي الموصوفون بما ذكر من الصفات الذميمة (أصحاب النار هم
فيها خالدون) وحيث كانت الآية الكريمة في حق الكفار بشهادة السياق والسباق لم يكن فيها تمسك
لأوعدية (ويوم نحشرهم) كلام مستأنف مسوق لبيان بعض آخر من أحوالهم القطعية وتاخير
في المذكور مع تقدمه في الوجود على بعض أحوالهم المحكية سابقاً للايدان باستقلال كل من السابق واللاحق
بالاعتبار ولوروى الترتيب الخارجي لعدم الكل شيئاً واحداً كما مر في قصة البقرة ولذلك فصل عما قبله
ويوم منصوب على المفعولية بضمير أي أنذرهم أو ذكرهم وضمير نحشرهم لكلا الفريقين الذين أحسنوا
والذين كسبوا السيئات لأنه المتبادر من قوله تعالى (جميعاً) ومن أفراد الفريق الثاني بالذكر في قوله تعالى
(ثم نقول للذين أشركوا) أي نقول للمشركين من بينهم ولأن توخيهم وتهديدهم على رؤس الأشهاد أقطع
والاخبار بمحشر الكل في يوم أو دل اليوم أدخل وتخصيص وصف أشراكم بالذكر في حيز الصلة من بين سائر
ما اكتسبوه من السيئات لا يقتضئ التوبيخ والتقريع عليه مع ما فيه من الايدان بكونه معظم جنائياتهم
وعدة سيئاتهم وقيل للفريق الثاني خاصة فيكون وضع الموصول موضع الضمير لما ذكرنا (مكانكم)
نصب على أنه في الأصل ظرف لفعل أقيم مقامه لا على أنه اسم فعل وحركته حركة بناء كما هو رأي الفارسي
أي الزموا حتى تنظروا ما يفعل بكم (أنتم) نأ كيد للضمير المنقلب إليه من عامله لستة مسته (وشركاؤكم)

عطف عليه وقرئ بالنصب على أن الواو بمعنى مع (فزيانا) من ذلت النون عن مكانه أزيل أي أزيلته والتضعيف
للتكثير والتعدية وقرئ فزايانا بجمعناه نحو كفته وكلمته وهو معطوف على نقول وإشارة صيغة الماضي
للدلالة على التحقق المورث لزيادة التوبيخ والتخسير والقائه للدلالة على وقوع التزييل ومباديه عقيب الخطاب
من غير مهلة أيذنا بكال رخصة ما بين الفريقين من العلاقة والوصلة أي ففترقنا (بينهم) وقطعنا أقرانهم
والوصل التي كانت بينهم في الدنيا لكن لا من الجانبين بل من جانب العبد فقط لعدم احتمال شمول الشركاء
للسياطين كما سيجي من حيث أمالهم وانصرفت عرى أطماعهم وحصل لهم اليأس الكلي من حصول
ما كانوا يرجونه من جهنم والحال وإن كانت معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب لكن هذه المرتبة
من اليقين إنما حصلت عند المشاهدة والمشافهة وقيل المراد بالتزييل التفريق الحسي أي فباعدا بينهم بعد
الجمع في الموقف وتبرؤ شركائهم منهم من عبادتهم كما في قوله تعالى أينما كنتم تشركون من دون الله قالوا
ضلوا عن صراطنا وحينئذ في قوله تعالى (وقال شركائهم) حالية بتقدير كلمة قد عند من يشترطها وبودونه عند غيره
لا عاطفة كما في التفسير الأول لاستدعاء المحاورة المحاضرة الفاسدة بالمباعدة وليس في ترتيب التزييل بهذا
المعنى على الأمر بل زوم المكان ما في ترتيبه عليه بالمعنى الأول من النكتة المذكورة ليصار لأجل رعايتها
إلى تغيير الترتيب الخارجي فإن المباعدة بعد المحاورة حقا وأما قطع الأقران والعلاقة فليس كذلك بل ابتداء
حاصل من حين الحشر بل بعض مراتبه حاصل قبله أيضا وإنما الحاصل عند المحاورة أقصاها كما أشير إليه
فلا عند ادعاء في تقديمه من التغيير لاسيما مع رعاية ما ذكر من النكتة ولو سلم تأخير جميع مراتبه عن المحاورة
فراعاة تلك النكتة كافية في استدعاء تقديمه عليها ويجوز أن تكون حالية على هذا التقدير أيضا والمراد
بالشركاء قيل الملائكة وعزير والمسح وغيرهم من عبده من أولى العلم ففيه تأييد لجوع التفسير إلى الكل
وقولهم (ما كنتم إيانا تعبدون) عبارة عن تبرئهم من عبادتهم وأنهم إنما عبدوا في الحقيقة أهواءهم
وشياطينهم الذين أغووهم لأنها لا شرا لهم بالأشراك دونهم كقولهم سبحانه أنت وإيمان دونهم
الآية رتبة إلى الأصنام ينطقها الله الذي أنطق كل شيء فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي كانوا يتوقعونها
(فكني بالله شهيدا بيننا وبينكم) فانه العليم الخبير (إن كان عبادتكم لصافين) أي عن عبادتكم لساو تركه
لظهور ووللايدان بكال العذلة عنها والغفلة عبارة عن عدم الارتضاء والافعدم شعور الملائكة بعبادتهم لهم
غير ظاهر وهذا يقطع احتمال كون المراد بالشركاء الشياطين كما قيل فإن ارتضاءهم بأشراكهم بما لا ريب
فيه وإن لم يكونوا مجبرين لهم على ذلك وإن كانت من إن واللام فارقة (هنالك) أي في ذلك المقام الدهش
أوفي ذلك الوقت على استعارة ظرف المكان للزمان (تبلو) أي تختبر وتذوق (كل نفس) مؤمنة كانت
أو كافرة سعيدة أو شقية (ما أسلفت) من العمل وتعاينه بكنهه مستقبلا لأنه من نفسه أو شر أو غير
أو شر وأما ما علت من حالها من حين الموت والابتلاء بالعذاب في البرزخ فأمر بجل وقرئ يلبسون العظمة
ونصب كل وأبدال ما منه أي نعماملها معاملة من يلبوها ويعرف أحوالها من السعادة والشقاوة باختبار
ما أسلفت من العمل ويجوز أن يراد نصيب البلاء أي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشرف فيكون
ما منصوبه بنزع الخافض وقرئ تلو أي تتبع لأن عملها هو الذي يهديها إلى طريق الجنة أو إلى طريق
النار أو تقرأ في صيغة أفعالها ما قدمت من خير أو شر (وردوا) الضمير للذين أشركوا على أنه معطوف
على زيلا وما عطف عليه وقوله عز وجل (هنالك تبلوا) الخ اعتراض في أثناء الحكاية مقول للضحايا (إلى الله)
أي إلى جزائه وعقابه (مولاهم) بهم (الحق) أي المتحقق الصادق ربوبيته لا ما اتخذوه ربا بطلا وقرئ الخلق
بالنصب على المدح كقولهم الحمد لله أهل الجدا وعلى المصدر الموقد (وضل عنهم) وضاع أي ظهر ضياعه
وخلاله لأنه كان قبل ذلك غير ضال أو ضل في اعتقادهم أيضا (ما كانوا يفترون) من أن آلهتهم تشفع لهم
أو ما كانوا يدعون أنها آلهة هذا وجعل الضمير في رد والنفس المدلول عليها بكل نفس على أنه معطوف
على تلو وأن العدول إلى الماضي للدلالة على التحقق والتقرير وأن إشارة صيغة الجمع للإيدان بأن ردتهم
إلى الله يكون على طريقة الإجماع لا يلائمه الله وصف الحقيقة في قوله تعالى مولاهم الحق فانه للتعريض

بالمردودين حسبا أشير اليه ولما كُتفي فيه بالتحريض بعضهم أو جعل الحق على معنى العدل في الثواب والعقاب فقول عز وجل وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ مما لا مجال فيه للتدارك قطعا فان ما فيه من الضمائر الثلاثة للمشركين فيلزم التفكيك حقا وتخصيص كل نفس بالنفوس المشتركة مع عموم البلوى للكل بأبام مقام تحويل المقام والله تعالى أعلم (قل) أي لا واثك المشركين الذين حكيت أحوالهم وبين ما يؤدّي اليه أعمالهم احتجابا على حقيقة التوحيد وبطلان ما هم عليه من الاشرار (من يرزقكم من السماء والارض) أي منهما جميعا فان الارزاق تحصل بأسباب سماوية وادارية وادارية أرضية أو من كل واحدة منهما بتوسعة عليكم وقيل من لبيان كلمة من على حذف المضاف أي من أهل السماء والارض (أم من يملك السمع والابصار) أم من قطعة وما فيها من كلمة بل للاضراب عن الاستفهام الاول لَكُنْ لا على طريقة الابطال بل على وجه الانتقال وصرف الكلام عنه الى استفهام آخر تنبيه على كفايته فيما هو المقصود أي من يستطيع خلقهما وتوحيدهما على هذه الفطرة العجيبة أو من يحفظهما من الآفات مع كثرتهم بأمرعة انفعالهما من أدنى شيء يصيبهما (ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) أي ومن يحيي ويميت أو ومن ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان (ومن يدير الأمر) أي ومن يدير أمر العالم جميعا وهو تعميم بعد تخصيص بعض ما اندرج تحته من الامور الظاهرة بالذكر (فسيقولون) بل لا تعلم ولا تأخير (الله) اذ لا مجال للمكابرة لغاية وضوحه والخبر محذوف أي الله يفعل ما ذكر من الافعال لا غيره (فقل) عند ذلك تبيكتهم (أفلا تتقون) الهمزة لانكار عدم الانتفاء بمعنى انكار الواقع كما في أنضرب أباك لا بمعنى انكار الوقوع كما في أنضرب أبي والقاء للعطف على مقدر ينسحب عليه التظلم الكريم أي أنعلون ذلك فلا تتقون أنفسكم عذابه الذي ذكر لكم بما تتعاطونه من انحرافكم به ما لا يشاركه في شيء مما ذكر من خواص الالهية (فذا لكم) فذا لكم لما تقدم أي ذلكم الذي اعترفتم بانصافه بالندوات المذكورة وهو مبتدأ وقوله تعالى (الله) خبره وقوله تعالى (ربكم) أي ما لكم فكم ومتولى اموركم على الاطلاق بدل منه أو بيان له وقوله تعالى (الحق) صفة له أي ربكم الثابت ربوبيته والمتحقق ألوهيته فتدق الايجاب فيه (عاشا) يجوز أن يكون الكل امما واحدا قد غلب فيه الاستفهام على اسم الإشارة وأن يكون ذاموصولا بمعنى الذي أي ما الذي (بعد الحق) أي غيره بطريق الاستعارة واطهار الحق اتمالات المراد به غير الاول واما زيادة التقرير ومراعاة كمال المقابلة بينه وبين الضلال والاستفهام انكارى بمعنى انكار الوقوع ونفيه أي ليس غير الحق (الا الضلال) الذي لا يختاره أحد حيث ثبت أن عبادة من هو نعوت بما ذكر من النعوت الجبلية له حتى ظهر أن ما عداها من عبادة الاصنام ضلال محض اذ لا واسطة بينهم وانما سميت ضلالا مع كونها من أعمال الجوارح باعتبار انتمائهم على ما هو ضلال من الاعتقاد والرأى هذا على تقدير كون الحق عبارة عن التوحيد وأما على تقدير كونه عبارة عن الاول فالمراد بالضلال هو الاصنام لاعتبارها والمعنى فماذا بعد الرب الحق الثابت ربوبيته الا الضلال أي الباطل الضائع المضلل وانما سمى بالمصدر مبالغة كأنه نفس الضلال والضياغ وهذا النسب بقوله تعالى وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ على التفسير الثاني (فأنى تصرفون) استفهام انكارى بمعنى انكار الواقع واستبعاد والتعجب منه وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الانكار الى نفس الفعل لان كل موجود لا بد من أن يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا فاذا اتفق جميع احوال وجوده فقد اتفق وجوده على الطريق البرهاني كما مرارا والفاء لترتيب الانكار على ما قبله أي كيف تصرفون من الحق الذي لا محيد عنه وهو التوحيد الى الضلال عن السبيل المستبين وهو الاشرار وعبادة الاصنام أو من عبادة ربكم الحق الثابت ربوبيته الى عبادة الباطل الذي سمعتم ضلاله وضياغه في الآخرة وفي ايثار صيغة المبني للمفعول ايذان بأن الانصراف من الحق الى الضلال مما لا يصدر عن العاقل بارادته وانما يشع عند وقوعه بالقسر من جهة صارف خارجي (كذلك) أي كما حقت الربوبية لله تعالى أو كما أنه ليس بعد الحق الا الضلال أو أنهم مصروفون عن الحق (حقت كلمة ربك) وحكمه وقضاؤه (على الذين فسقوا) أي تمردوا في الكفر وخرجوا من أقصى حدوده (أنهم لا يؤمنون) بدل من الكلمة أو تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب

(قل هل من شركائكم) احتجاج آخر على حقيقة التوحيد وبطلان الاشراك باظهار كون شركائهم بعزل
من استحقاق الالهية ببيان اختصاص خواصها من بدء الخلق واعادته به سبحانه وتعالى وانما لم يطف على
ما قبله ايذانا باستقلاله في اثبات المطلوب والسؤال للتبكيك والالزام وقد جعلت هلية الاعادة وتحققها
لوضوح مكانهم او من وجوب برهانهم بغيره لبدء الخلق فنظم في سلكه حيث قيل (من يبدأ الخلق ثم يعيده)
ايذانا تلازمهما وجودا وعلميا يستلزم الاعتراف به الاعتراف بهما وان صدقهم عن ذلك ما به من المكابرة
والعناد ثم امر عليه الصلاة والسلام بأن يبين لهم من يفعل ذلك فقيل له (قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده)
أي هو يفعلهما لا غير كما كان لا بأن ينوب عليه الصلاة والسلام عنهم في ذلك كما قيل لان القول
المأمور به غير ما يريد منهم من الجواب وان كان مستلزما له اذ ليس المسؤول عنه من يبدأ الخلق ثم يعيده كما في قوله
تعالى قل من رب السموات والارض قل الله حتى يكون القول المأمور به عين الجواب الذي اريد منهم ويكون
عليه الصلاة والسلام نائباً عنهم في ذلك بل انما هو وجود من يفعل البدء والاعادة من شركائهم فالجواب
المطلوب منهم لا لا غير نعم امر عليه الصلاة والسلام بأن يفعله مقلته ايذانا بعينه وتحققه واشعاراً بأنهم
لا يجترئون على التصريح به تخافة التبكيك والقيام بالحجة لا مكابرة ولما جازت تدبر واعادة الجملة في الجواب
بتمامها غير محذوفة الخبر كما في الجواب السابق لمزيد التأكيد والتحقيق (فاني تؤفكون) الاقلت الصرف
والقلب عن الشيء وقد يخص بالقلب عن الرأي وهو الانسب بالمقام أي كيف تقبلون من الحق الى الباطل
والكلام فيه كما ذكر في تصرفون (قل هل من شركائكم) احتجاج آخر على ما ذكر في الزمان اهم غيب الزمان
والخام ان الزمان وفصله عما قبله لما ذكر من الدلالة على استقلاله (من يهدي الى الحق) أي بوجه من الوجوه
فان أدنى مراتب المعبودية هداية المعبود لبعده الى ما فيه صلاح أمرهم وأمان عيّن طريق الهداية وتخصيصه
بصب الخبز وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر كما قيل فخل بما يقتضيه المقام من كمال التبكيك والالزام
فان العجز عن الهداية على وجه خاص لا يستلزم العجز عن مطلق الهداية وهدى كما يستعمل بكلمة الى
لأنه معنى الانتهاء يستعمل باللام للدلالة على أن المشيئة غاية الهداية وأنهم لم توجه نحوه على سبيل
الاتفاق ولذلك استعمل بها ما أسند الى الله تعالى حيث قيل (قل الله يهدي للغة) أي هو يهدي له دون
غيره وذلك بما ذكر من نصب الأدلة والنجح وارسال الرسل وانزال الكتب والتوفيق للنظر والتدبر وغير ذلك
من فنون الهدايات والكلام في الامر بالسؤال والجواب كما مر في فناء (ان يهدي الى الحق) وهو الله
عز وجل (أحق أن يتبع أم لا يهدي) بكسر الهاء أصله يهدي فأدغم وكسرت الهاء لالتقاء الساكنين
وقرئ بكسر الياء اتباعا لحركة الهاء وقرئ بفتح الهاء نقلا لحركة التاء اليها أي لا يهدي بنفسه فضلا عن
هداية غيره وفيه من المبالغة ما لا يخفى وانما في عهده الاهتداء مع أن المفهوم مما سبق في الهداية لما أن فيها
مستتبع انفيه غالباً فان من اهتدى الى الحق لا يخلو عن هداية غيره في الجملة وأدناها كونه قدوة له بأن يراه
في ذلك مسلكه من حيث لا يدري والفاء لترتيب الاستفهام على ما سبق من تحقق هدايته تعالى صريحا
وعدم هداية شركائهم المفهوم من التصريح من عدم الجواب المنفي عن الجواب بالعدم فان ذلك مما يضطرهم
الى الجواب الحق لا لتوجيه الاستفهام الى الترتيب كما يقع في بعض المواضع فان ذلك يختص بالانكار
كما في قوله تعالى أفن اتبع رضوان الله الخ ونحوه والهمزة متأخرة في الاعتبار وانما تدعيها في الذكر لظهور
عراقته في اقتضاء الصدارة كما هو رأي الجمهور حتى لو كان السؤال بكامة أي لاخرت حقا لا يرى الى قوله تعالى
فأي الفريقين أحق بالامن اثر تقدير ما يلجئ المشركين الى الجواب من حالهم وحال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقرئ لا يهدي بهي لا يهدي لغيره لازماً ولا يهدي غيره وصيغة التفضيل اتماعاً على حقيقته وانما فضل عليه
محذوف كما اختاره مكي والتقدير أفن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أم لا يهدي أم من لا يهدي أحق الخ
واما معنى حقيق كما اختاره أبو حيان وأما كان فالاستفهام للالزام وأن يتبع في حيز النصب أو الجوز بعد
حذف الجارة على الخلاف المعروف أي بأن يتبع (الآن يهدي) استثناء مفترغ من أعم الاحوال أي
لا يهدي أولاً يهدي غيره في حال من الاحوال الا سال هدايته تعالى له الى الاهتداء أو الى هداية الغير وهذا
حال اشراف شركائهم من الملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام وقيل المعنى أم من لا يهدي من الاوثان الى

مكان فينتقل اليه الآن ينقل اليه أو الآن ينقله الله تعالى من حاله الى أن يجعله حيوانا مكافيا فيه وقرئ
 الآن يهدي من التفعيل للمبالغة (فالكلم) أي أي شئ لكم في اتخاذكم هؤلاء شركاء لله سبحانه وتعالى
 والاستغناء عنهم فلا تنكروا التوبيخ وفيه تعجيب من حالهم وقوله تعالى (كيف تحكمون) أي بما يشفي
 صريح العقل يطلانه انكار حكمهم الباطل وتعجب منه وتشفيع لهم بذلك والفاء لترتيب كذا الانكارين على
 ما ظهر من وجوب اتباع الهادي الى الحق ان قلت التبيك بالاستغناء السابق انما يظهر في حق من يعكس
 جوابه الصحيح فيحكم بأحقية من لا يهدي بالاتباع دون من يهدي وهم ليسوا حاكين بأحقية شركائهم لذلك
 دون الله سبحانه وتعالى بل باستحقاقهم ما يجتمع مع رجحان جانبه تعالى حيث يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند
 الله قلت حكمهم باستحقاقه تعالى للاتباع بطريق الاشتراك حكمهم منهم بعدم استحقاقه تعالى لذلك
 بطريق الاستقلال فصاروا حاكين باستحقاق شركائهم له دون الله تعالى من حيث لا يحتسبون (وما يتبع
 أمرهم) كلام مبتدأ غير داخل في حيز الأمر مسوق من قبله تعالى لبيان عدم فهمهم لمضمون
 ما أمروهم وألقاهم الحجر من البرهان الثبر الموجب لاتباع الهادي الى الحق الناصي عليهم بطلان حكمهم وعدم
 تأثيرهم من ذلك لعدم اهتمامهم الى طريق العلم أصلا أي ما يتبع أمرهم في معتقداتهم ومخاويراتهم
 (الاطنا) واهيا من غير التفات الى فرد من أفراد العلم فضلا عن أن يسلكوا مسالك الأدلة الصحيحة الهادية
 الى الحق المبنية على المقدمات العقلية الحقة فيها وما مضى منها وبقوا على صحتها وبطلان ما يخالفها من
 أحكامهم الباطلة فيحصل التبيك والالزام فالمراد بالاتباع مطاق الاعتقاد الشامل لما يقارن القبول
 والانقياد وما لا يقارنه وبالعصر ما أشير اليه من أن لا يكون لهم في شأنه اتباع أفراد العلم والتفات
 اليه ووجه تخصيص هذا الاتباع بأكثرهم الأشعار بأن بعضهم قديرون العلم فيقتضون على حقبة التوحيد
 وبطلان الشرك لكن لا يقبلونه مكابرة وعندا فيحصل بالتسوية اليهم التأثير من البرهان المزبور وان لم يظهر
 وكونهم أشد كفر أو أكثر عذبا من الفريق الاوّل لا يردح فيما بينهم من خوى الكلام عرفا من كون أو اثنان
 أسوأ حالا من غيرهم اذا اعتبر سوء الحال من حيث الفهم والادراك لا من حيث الكفر والعذاب أو ما يتبع
 أكثرهم منه عمرهم الاطنا ولا يتركونه أبدا فن حرف النفي الداخل على المضارع يفيد استمرار النفي بحسب
 المقام فالمراد بالاتباع حينئذ هو الاذعان والانقياد والتصبر باعتبار الزمان ووجه تخصيص هذا الاتباع
 بأكثرهم مع مشاركة المعادين لهم في ذلك التلويح بما سيكون من بعضهم من اتباع الحق والتوبة كما سيأتي
 هذا وقد قيل المعنى وما يتبع أكثرهم في اقرارهم بالله تعالى الاطنا غير مستند الى برهان عندهم وقبل وما يتبع
 أكثرهم في قولهم لا صنام انما آلهة الاطنا والمراد بالاكثر الجميع فتأمل وقيل الضمير في أكثرهم للناس
 فلا حاجة الى التكلف (ان الظن لا يغني من الحق) من العلم اليقيني والاعتقاد الصحيح المطابق للواقع
 (شيأ) من الغناء ويجوز أن يكون مفعولا به ومن الحق حاله والجملة استئناف ببيان شأن الظن وبطلانه
 وفيه دلالة على وجوب العلم في الاصول وعدم جواز الاكتفاء بالتقليد (ان الله علم بما يفعلون) وعيد لهم
 على أفعالهم السيئة فيندرج تحتها ما حكى عنهم من الاعراض عن البراهين الناطقة والاتباع للظنون الفاسدة
 اندراجا أولا وقرئ تفعلون بالالتفات الى الخطاب لتشديد الوعيد (وما كان هذا القرآن) شروع في بيان
 ردهم للقرآن الكريم اثر بيان ردهم للدلة العقلية المندرجة في نضاعيفه أي وما صح وما استقام أن
 يكون هذا القرآن المشعرون بشئون الهدايات المستوجبة للاتباع التي من جعلها هاتيك البيعة الناطقة
 بحقبة التوحيد وبطلان الشرك (أن يفترى من دون الله) أي افتراء من الخلق أي مفترى منهم سمي بالمصدر
 مبالغة (ولكن تصديق الذي بين يديه) من الكتب الالهية المشهود على صدقها أي مصدقا لها كيف
 لا وهو لكونه معجزا دونها عيارا عليها شاهد بصحتها ونصيبه بأنه خبر كان مقدرا وقد جوز كونه علة لفعل
 محذوف تقديره لكن أنزه الله تصديق الخ وقرئ بالرفع على تقدير المبتدأ أي ولكن هو تصديق الخ (وتفصيل
 الكتاب) عطف عليه نصبا ورفعا أي وتفصيل ما كتب وأثبت من الحقائق والشرائع (لا ريب فيه) خبر
 ثالث داخل في حكم الاستدراك أي منتقيا عنه الريب أو حال من الكتاب وان كان مضافا اليه فانه مفعول

في المعنى أو استئناف لا يحسن له من الاعراب (من رب العالمين) خبر آخر أي كاشفاً من رب العالمين
أو متعلق بتصديق أو تفصيل أو بالفعول المعلل به سما ولا ريب فيه اعتراض كما في قولك زيد لا شك فيه
كريم أو حال من الكتاب أو من التفسير في فيه وصاق الآية الكريمة بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب
اتباعه (أم يقولون افتراء) أي بل أي قولون افتراء محمد عليه الصلاة والسلام والهزيمة لا تكرار الواقع
واستبعاده (قل) تبكيئنا لهم واظهار البطلان مقابلهم الفاسدة أن كان الأمر كما تقولون (فأتوا بسورة مثله)
أي في البلاغة وحسن الصياغة وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم منلى في العربية والفصاحة وأشد تمزناً
منى في النظم والعبارة وقرئ بسورة مثله على الإضافة أي بسورة كتاب مثله (وادعوا) للمظاهرة والمعاونة
(من استطعتم) دعاء والاستعانة به من آلهتكم التي تزعمون أنها معزة لكم في المهمات والمهمات ومدارحكم
الذين تلجئون إلى آرائهم في كل ما تاتون وما تذكرون (من دون الله) متعلق بادعوا ودون جار مجرى أداة
الاستئناء وقدمت قصده في قوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله أي ادعوا سواء تعالى من استطعتم
من خلقه فإنه لا يقدر عليه أحد واخراجهم من حكم الدعاء للتصحيح على برأيتهم منه تعالى وكونهم
في عدوة المضادة والمشاقة لا بيان استبداده تعالى بالقدرة على ما كانوا فأن ذلك مما يؤهم أنهم لو دعوه تعالى
لأجابهم إليه (إن كنتم صادقين) أي في أني افتريته فان ذلك مستلزم لا مكان الاثبات بمثله وهو أيضاً مستلزم
لقدرةكم عليه والجواب محذوف لدلالة المذکور عليه (بل كذبوا بما لم يحيطوا به) انحراب وانتقال
عن اظهار بطلان ما قالوا في حق القرآن العظيم بالتحدي إلى اظهاره ببيان أنه كلام ناشئ عن جهلهم بشأنه
الجليل فاعبارة عن كماله لا بما فيه من ذكر البعث والجزاء وما يخالف دينهم كما قيل فإنه مما يجب تنزيهه ساحة
التعزير عن مثله أي سارعو إلى تكذيبه أنكرى أنكر من غير أن يتدبروا فيه ويتقوا على ما في تضاعفه من
الشواهد الدالة على كونه كما وصف أنفسنا وعلّموا أنه ليس بما يمكن أن يكون له نظير يقدر عليه الخلق والتعبير
عنه بما لم يحيطوا به دون أن يقال بل كذبوا به من غير أن يحيطوا به أو نحو ذلك فلا يذنب بكلام جهلهم به
وأنهم لم يعلموا إلا بعنوان عدم العلم به وبأن تكذيبهم به أعم وبسبب عدم علمهم به لما أن إدارة الحكم على الموصول
مشعرة بعلمه ما في خبر الصلة له (ولما يأتهم تأويله) عطف على الصلة أو حال من الموصول أي ولم يشعروا بعد
على تأويله ولم يبلغ أذهانهم معانيه الرائقة المنبئة عن علو شأنه والتعبير عن ذلك بآيات التأويل لا شعاعاً بأن
تأويله متوجه إلى الأذهان منساق إليها بنفسه أو لم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الأخبار بالغيب حتى يتبين
أنه صدق أم كذب والمعنى أن القرآن مجز من جهة النظم والمعنى ومن جهة الأخبار بالغيب وهم قد فاجؤا
تكذيبه قبل أن يتدبروا قلمه ويتفكروا في معناه أو يتنظروا وقوع ما أخبر به من الأمور المستقبلة ونفى اثبات
التأويل بكلمة لما الدالة على التوقع بعد نفي الاحاطة بعلمه بكلمة لم لتأكيدهم الذم وتشديد التنبيه فان
الشناعة في تكذيب الشيء قبل علمه المتوقع امتناعه أخش منه في تكذيبه قبل علمه مطلقاً والمعنى أنه كان يجب
عليهم أن يتوقفوا إلى زمان وقوع المتوقع فلم يفعلوا وأما أن المتوقع قد وقع بعد وأنهم استعزوا عند ذلك أيضاً
على ما هم عليه أو لا فلا تعرض له هنا والاستشهاد عليه بعدم انقطاع الذم أو ادعاء أن قولهم افتراء تكذيب
بعد التدبر ناشئ من عدم التدبر قد تبرك كيف لا وهم لم يقولوا بعد التحدي بل قبله وادعاء كونه مسبوفاً بالتحدي
الوارد في سورة البقرة يرده أنهم ساءمة وهذه مكبة وانما الذي يدل عليه ما سيأتي عليك من قوله تعالى ومنهم
من يؤمن به ومنهم الخ وقوله تعالى (كذلك) الخ ووصف لحالهم المحكي ويبيان ما يؤذي إليه من العتوية أي
مثل ذلك التكذيب المبني على يادى الرأي والمجازفة من غير تدبر وتأمل (كذب الذين من قبلهم) أي فعلوا
التكذيب أو كذبوا ما كذبوا من المعجزات التي ظهرت على أيدي أنبيائهم أو كذبوا أنبياءهم (فانظر كيف كان
عاقبة الظالمين) وهم الذين من قبلهم من المكذبين وانما وضع المظهر موضع المنضم للايضاح بكون التكذيب
ظلماً أو بعلته لاصابة ما أصابهم من سوء العاقبة وبدخول هؤلاء الظالمين في زمرة جرما ووعيد ادخول
أوليا وقوله عز وجل (ومنهم) الخ ووصف لحالهم بعد اثبات التأويل المتوقع اذ حيث يمكن تنويعهم إلى
المؤمن به وغير المؤمن ضرورة امتناع الايمان بنى من غير علم به واشتركا السكل في التكذيب والكفر به قبل

ذلك حسبا أفاده قوله تعالى بل كذبوا بآيالم يحيطوا به أي ومن هؤلاء المكذبين (من يؤمن به) عند الاساطة بعلمه وإتيان تأويله وظهور حقيقته بعد ما سمر في المعارضة ورازوا قواعدهم فيها اقتضاءات دونها أو بعد ما شاهدوا وقوع ما أخبر به كما أخبر به مرارا ومعنى الايمان به اتمنا الاعتقاد بحقيقته فقط أي يصدق به في نفسه ويعلم أنه حق ولكنه يعاند ويكابرو هؤلاء هم الذين أشير بقصر اتباع الظن على أكثرهم إلى أنهم يعلمون الحق على التفسير الاول كما أشير إليه فيما سلف وأما الايمان الحقيقي أي يؤمن به ويتوب عن الكفر وهم الذين أشير بالقصر المذكور على التفسير الثاني إلى أنهم سيثبتون الحق كما مر (ومنهم من لا يؤمن به) أي لا يصدق به في نفسه كما لا يصدق به ظاهر الفطر غباوته والمنفعة عن الاساطة بعلمه كما ينبغي وإن كان فوق مرتبة عدم الاساطة به أصلا أو لصحافة عقله واختلال تمييزه وعجزه عن تخليص علومه عن تخاططة الظنون والاهام التي ألفها فيبقى على ما كان عليه من الشك وهذا القدر من الاساطة وإتيان التأويل كاف في مقابلة ما سبق من عدم الاساطة بالمرّة وهؤلاء هم الذين أريدوا فيما سلف بقوله عز وجل وما يتبع أكثرهم الا الظن على التفسير الاول أو لا يؤمن به فيما سيأتي بل يثبتون على كفرهم معاندا كان أو شاكا وهم المستمرون على اتباع الظن على التفسير الثاني من غير ادعان للحق وانقياد له (وربك أعلم بالمتسدين) أي بكلا الفريقين على الوجه الاول لا بالمعاندين فقط كما قيل لا شرا كهما في أصل الافساد المستدعي لا شرا كهما في الوعيد أو بالمصريين الباقين على الكفر على الوجه الثاني من المعاندين والساكنين (وان كذوبك) أي ان غموا على تكذيبك وأدبروا عليه حسبا أخبر عنهم بعد الزام الخلة بالتحدي (فقل لي على ولاكم عليكم) أي تبرأ منهم فقد أعدت كقولهم تعالى فان عصوا فقل اني بريء والمعنى لي جزاء على ولاكم جزاء عليكم حقا كان أو باطلا وتوحيد العمل المتشاف اليهم باعتبار الاتحاد النوعي ولما رعاة كما مال المتقابلة (أنهم يريثون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون) تأكيد لما أفاده لام الاختصاص من عدم تعدى جزاء العمل إلى غير عامله أي لا تؤاخذون بعملي ولا تؤاخذ بعملكم ولما فيه من اتهام المتاركة وعدم التعرض لهم قيل انه منسوخ بآية السيف (ومنهم من يستمعون اليك) بيان لكونهم مطبوعا على قلوبهم بحيث لا سبيل إلى ايمانهم وانما يجمع النصير الرجوع إلى كلمة من رعاية لطباب المعنى كما أفرد فيما سلف أي محافظة على ظاهر اللفظ ولعل ذلك للايعاء إلى كثرة المستمعين بناء على عدم توقف الاستماع على ما توقف عليه النظر من المتقابلة واتسقاء الجواب والعلمة أي ومنهم مناس يستمعون اليك عند قراءتك القرآن وتعليمك الشرائع (أفأنت تسمع الصم) همزة الاستفهام انكارية والفاء عاطفة وليس الجمع بينهما لترتيب انكار الاسماع على الاستماع كما هو رأي سيبويه والجمهور وعلى أن يجعل تقديم الهمزة على الفاء لاقتضاءها الصدارة كما تقتضي في موضعه بل لانكار ترتيبه عليه حسبا هو المعتمد لكن لا بطريق العطف على الفعل المذكور لادانه إلى اختلال المعنى لانه اما صفة أو صفة وأياتا كان فالعطف عليه يستدعي دخول المعطوف في حيزه وتوجه الانكار اليه من تلك الحقيقة ولا ريب في فساد بل بطريق العطف على مقتدر مفهوم من خوى النظم كأنه قيل أليس يستمعون اليك فأنت تسمعهم لانكار الاستماع بهم فانه أمر محقق بل انكارا لوقوع الاستماع عقيب ذلك وترتبه عليه حسب العادة الكلية بل نفسا لا مكانا أيضا كما ينبغي عنه وضع الصم موضع ضميرهم ووصفهم بعدم العقل بقوله تعالى (ولو كانوا لا يعقلون) أي ولو انهم إلى صممهم عدم عقولهم لان الاسم العاقل ربما تفرس اذا وصل إلى صماخه صوت وأما اذا اجتمع فقدان السمع والعقل جميعا فقد تم الامر (ومنهم من ينظر اليك) وفيه ما يدل على نيوتك الواضحة (أفأنت) أي أعقيب ذلك أنت تقديم وانما قيل (تهدي العمى) تربية لانكار هدايتهم وبراك الوقوعها في معرض الاستحالة وقد كد ذلك حيث قيل (ولو كانوا لا يبصرون) أي ولو انهم إلى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك هي البصيرة ولذلك يحذف من العمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصر الا الحق فحيث اجتمع فيهم الحق والعمى فقد اندست عليهم باب الهدى وجواب لوفي الجملة محذوف لدلالة قوله تعالى تسمع الصم تهدي العمى عليه وكل منهما معطوفة على جملة مقتدره مقابلة لهما في الفعوى كذاهما في موضع الحال من مفعول الفعل السابق أي أفأنت تسمع الصم لو كانوا يعقلون ولو كانوا لا يعقلون أفأنت تهدي العمى لو كانوا

يصرّون ولو كانوا يصرون أى على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا للدلالة
 الثانية عليها دلالة واضحة فان الشئ اذا تحقق عند تحقق المانع أو المانع القوي فلا يتحقق عند عدمه
 أو عند تحقق المانع الضعيف أولى وعلى هذه النكتة يدور ما في لو وان الوصلتين من التأكيد وقد مر الكلام
 في قوله تعالى ولو كره الكافرون وظنوا أنه مرارا (ان الله لا يظلم الناس) إشارة الى أن ما حكى عنهم من عدم
 اهتدائهم الى طريق الحق ونعتل مشاعرهم من الادراك ليس لامر مستند الى الله عز وجل من خلقهم مؤلفي
 المشاعر ونحو ذلك بل انما هو من قبلهم أى لا ينقصهم (شياً) مما يربط به مصالحهم الدينية والدينية وكما لا تتم
 الاولوية والاخرية من مبادئ ادراكاتهم وأسباب علومهم من المشاعر الظاهرة والباطنة والارشاد الى
 الحق بإرسال الرسل وانزال الكتب بل يوفهم ذلك من غير اخلال بنى أصلاً (ولكن الناس) وقضى
 بالتخفيف ورفع الناس وضع الظاهر موضع الضمير لزيادة تعيين وتقرير رأى لكنهم بعدم استعمال مشاعرهم
 فيما خلقت له واعراضهم عن قبول دعوة الحق وتكذيبهم للرسل والكتب (أنفسهم يظلمون) أى ينقصون
 ما ينقصون عما يخلون به من مبادئ حكمهم وذرائع اهتدائهم وانما لم يذكر ما أن مرعى الغرض انما هو
 قصر الظلم على أنفسهم لا بيان ما يعلق به الظلم والتعبر عن فعلهم بالنقص مع كونه تفويتا بالكلية وابطالا بالمرّة
 لمراعاة جانب قرينته وقوله عز وجل أنفسهم اتما تأكيد للناس فيكون عزلة ضمير الفصل في قوله تعالى
 وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين في قصر الظلمية عليهم وتمامه قول ليطلمون حسماً وقع في سائر المواقع
 وتقدم عليه ليجزى الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد الى قصر المظلمية عليهم على رأى من لا يرى
 التقدير موجبا للقصر فيكون ككفا في قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم من غير قصر للظلم لا على
 الفاعل ولا على المفعول وأما على رأى من يراه موجبا لفضل ايثار قصر هادون قصر الظلمية عليهم للمبالغة في
 بيان بطلان ادعائهم وصفاة عقولهم لما أن أقبح الامرين عند اتحاد الفاعل والمفعول وأشدّهما انكارا عند
 العقل ونفرة لدى الطبع وأوجبهما حذرهما عند كل أحد هو المظلمية لا الظلمية على أن قصر الاول عليهم
 مستلزم لما يفتنه ظاهرا الحال من قصر الثانية عليهم ضرورة أنه اذا لم يظلم أحد من الناس الاتقسه يلزم أن
 لا يظلمه الا نفسه اذ لو ظلمه غيره يلزم كون ذلك الغير ظالما لغير نفسه والمفروض أن لا يظلم أحد الا نفسه فاكفى
 بالقصر الاول عن الثاني مع رعاية ما ذكر من الفائدة وصيغة المضارع للاستمرار فعلا او اثباتا فان حرف النفي
 اذا دخل على المضارع يفيد بحسب المقام استمرار النفي لاني الاستمرار لا يرى أن قولك ما زيد اضرب بديل
 على اختصاص النفي لا على نفي الاختصاص ومساق الآية الكريمة لازام الحجة ويجوز أن يكون للوعيد
 قائل المضارع المنفي للاستقبال والمثبت للاستمرار والمعنى ان الله لا يظلمهم بهذيه يوم القيامة شيئا من الظلم
 ولكنهم أنفسهم يظلمون ظالما مستمرا فان مباشرتهم المستمرة للسيئات الموجبة للتعذيب عين ظلمهم لانفسهم
 وعلى الوجهين فالآية الكريمة تذييل لما سبق (ويوم يحشرهم) منصوب بمحشر وقرئ بالنون على الالتفات
 أى اذ كراهم أو اذ ردهم يوم يحشرهم (كان لم يلبثوا) أى ككأنهم لم يلبثوا (الاساعة من النهار) أى شيئا
 قليلا منه فانهم امثل في غاية القلة وتخصيصها بالنهار لان ساعاته أعرف حالا من ساعات الليل والجملة في موقع
 الحال من ضمير المفعول أى يحشرهم مشبهين في أحوالهم الظاهرة للناس بمن لم يلبث في الدنيا ولم يظلم
 في نعمها الا ذلك القدر اليسير فان من أقام بهادرا وتمتع بمتاعها لا يخلو عن بعض آثار نعمة وأحكام بهجة
 منافية لما هم من رثانة الهيئة وسوء الحال أوجع لم يلبث في البرزخ الا ذلك المقدار ففائدة التقييد بيان كمال
 يسر الحشر بالنسبة الى قدرته تعالى ولو بعدد هرطويل وانهما بطلان استبعادهم وانكارهم بقولهم
 أنذارنا وكنازبا وعظما ما أنالنا معوثون ونحو ذلك أوجبان تمام الموافقة بين الشأنين في الاشكال والصور
 فان قوله الالبث في البرزخ من موجبات عدم التبدل والتغير فيكون قوله عز وجل (يتعارفون بينهم) بيانا وتقريراً
 له لان التعارف مع طول العهد ينقلب تناكرا وعلى الاول يكون استقنافاً أى يعرف بعضهم بعضا كأنهم
 لم يتعارفوا الا قليلا وذلك أول ما خرجوا من القبور اذ هم حينئذ على ما كانوا عليه من الهيئة المتعارفة فيما بينهم
 ثم ينقطع التعارف بشدة الاحوال المذهلة واعتراء الاحوال المعضلة المغيرة للصور والاشكال المبذلة لها

من حال الى حال (قد خسرو الذين كذبوا بلفاء الله) شهادة من الله سبحانه وتعالى على خسراهم وتجب منه وقيل حال من ضمير يتعارفون على ارادة القول والتعبير عنهم بالموصول مع كون المقام مقام اضمار لذمتهم بما في حيز الصلة والاشعار بعلمية لما أصابهم والمراد بلفاء الله ان كان مطلق الحساب والجزاء أو حيز اللقاء فالمراد بالخسرا ان الوضعية والمآقي وضعوها في تجارتهم ومعاملاتهم واشترائهم الكفر بالايان والضلالة بالهدى ومعنى قوله تعالى (وما كانوا مهتدين) ما كانوا عارفين بأحوال التجارة مهتدين لطرقها وان كان سوء اللقاء فان خسار الهلاك والضلال أى قد ضلوا وهلكوا بكذبيهم وما كانوا مهتدين الى طريق النجاة (واما نرينك) أصله ان نرك وما مزيدة لنا كيد معنى الشرط ومن ثمة اكد الفعل بالنون أى بنصرتك بأن تظهر لك (بعض الذى نعدهم) أى وعدناهم من العذاب ونجعله في حياتك قتراه والعدول الى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة أولدلالة على التجدد والاستمرار أى نعدهم وعدا متجددا حسبما تقتضيه الحكمة من انذار غيب انذار وفي تخصيص البعض بالذكر رمز الى العدة بارادة بعض الموعد وقد أراه يوم بدر (أو توفيتك) قبل ذلك (فاليان سر جههم) أى كيف ما دارت الحال أريشالك بعض ما وعدناهم أولا فاليان سر جههم فى الدنيا والآخرة فنخبر ما وعدناهم البتة وقيل المذكور جواب للشرط الثانى كأنه قيل فاليان سر جههم فتريه في الآخرة وجواب الاول محذوف لظهوره أى فذلك (ثم الله شهيد على ما يفعلون) من الانفعال السيئة التى حكت عنهم والمراد بالهتادة اتمام قضاها وتبجتها وهى معاقبته تعالى ايهاهم واما اقامتها وأدائها بانطاق الجوارح واطهار اسم الجلالة لادخال الروعة وتربية المهابة وتأكيده التهديد وقرئ ثمة أى هنالك (ولكل آفة) من الامم الخالية (رسول) يبعث اليهم بشريعة خاصة مناسبة لاحوالهم ليدعوهم الى الحق (فاذا جاء رسولهم) فبلغهم ما أرسل به فكذبوه وخالفوه (قضى بينهم) أى بين كل أمة ورسولها (بالقسط) بالعدل وحكم بنجاة الرسول والمؤمنين به وهلاك المكذبين كقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (وهم لا يظلمون) فى ذلك القضاء المستوجب لتعذيبهم لانه من نتائج أعمالهم أو لكل أمة من الامم يوم القيامة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف يشهد عليهم بالكفر والايان كقوله عز وجل وحي بالنبين والشهداء وقضى بينهم (ويشولون حتى هذا الوعد) استجبالا للموعد وامن العذاب على طريقة الاستهزاء به والانكار حسبما يرشد اليه الجواب لاطلبا لتعيين وقت مجيئه على وجه الازام كفاي سورة الملك (ان كنتم صادقين) أى فى انه يأتينا والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الذين يتلون عليهم الآيات المتضمنة للموعد المذكور وجواب الشرط محذوف اعتمد على ما تقدم حسبما حذف في مثل قوله تعالى فائتينا بعدنا ان كنت من الصادقين فان الاستجبال فى قوة الامر بالايان بحلة كأنه قيل فليأتنا بحلة ان كنتم صادقين ولما فيه من الاشعار بكون اتيانه بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم قيل (قل لأملك لنفسى ضرا ولا نفعا) أى لا أقدر على شئ منهم ما يوجه من الوجوه وتقديم الضر لما أن مساق النظم لاظهار المعجزات وأما ذكر النفع فلتوسيع الدائرة تكمله للمعجز وما وقع فى سورة الاعراف من تقديم النفع للاشعار بأهميته والمقام مقامه والمعنى انى لا املك شيئا من شؤنى ردأ وإرادامع أن ذلك أقرب حصولا فكيف أملك شؤنكم حتى أتسبب فى اتيان عذابكم الموعد (الا ماشاء الله) استثناء منقطع أى ولكن ماشاء الله كأن وجهه على الاتصال على معنى الا ماشاء الله أن أملكه بأبام مقام التبرؤ من أن يكون له عليه السلام دخل فى اتيان الوعد فان ذلك يستدعى بيان كون المتنازع فيه مما لا يشاء الله أن يملكه عليه السلام وجعل ما عبارة عن بعض الاحوال المهمة المنوطة بالافعال الاختيارية المفوضة الى العباد على أن يكون المعنى لأملك لنفسى شيئا من الضر والنفع الا ماشاء الله أن أملكه منهم ما من الضر والنفع المترتب على أفعالي الاختيارية كالضر والنفع المترتب على الاكل والشرب عدما وجودا تعسف ظاهر وقوله تعالى (لكل أمة أجل) بيان لما أتى بهم فى الاستثناء وتقييد لما فى القضاء السابق من الاطلاق المظهر بكون المقضى به أمر مخير غير متوقف على شئ غير يحيى الرسول وتكذيب الآفة أى لكل أمة أمة عن قضى بينهم وبين رسولهم أجل معين خاص بهم لا يتعدى الى أمة أخرى مضروب لعذابهم بحل بهم عند حلوله (اذا جاء أجلهم) ان جعل الاجل عبارة عن حتم معين من الزمان فمعنى مجيئه ظاهر وان أريد به ما امتد اليه من الزمان فمعنى عبارة عن انقضائه اذ هنالك يتحقق مجيئه

يتقاسمه والضمير ان جعل للام المدلول عليها بكل أمة فاعلموا بالاجل مضافا اليه لافادة المعنى المقصود الذي هو
 بلوغ كل أمة أجلها الخاص بها ومجيئها اياها بغيرها من بين الامم بواسطة كتاب الاجل بالاضافة عموما
 يفيد مع معنى الجمعية كأنه قيل اذا جاءهم آجالهم بأن يجي كل واحدة من تلك الامم أجلها الخاص بها وان
 جعل لكل أمة خاصة كما هو الظاهر فالظاهر في موقع الاضمار زيادة التقرير والاضافة الى الضمير لافادة كمال
 التعيين أي اذا جاءها أجلها الخاص بها (فلا يستأخرون) عن ذلك الاجل (ساعة) أي شيئا قليلا من الزمان
 فانها مثل في غاية القلة منه أي لا يتأخرون عنه أصلا وصيغة الاستفعال للاشعار بجزءهم عن ذلك مع طلبهم له
 (ولا يستقدمون) أي لا يتقدمون عليه وهو عطف على يستأخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع امكانه
 في نفسه كالتأخير بل للمبالغة في انتفاء التأخير بنظمه في سلك المستحيل مثلا كما في قوله سبحانه وتعالى وليست
 التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار
 فان من مات كافرا مع ظهور أن لا توبة له رأسا قد نظم في عدم قبول التوبة في سلك من سوفها الى حضور
 الموت ايذانا بتساوي وجود التوبة حينئذ وعدمها بالمرّة كما مر في سورة الاعراف وقد جوز أن يراد بمعنى
 الاجل دنوه بحيث يمكن التقدم في الجملة كقوله اليوم الذي ضرب لهلاكهم ساعة معينة منه لكن ليس
 في تشييد عدم الاستئثار بدنوه مزيد فائدة وتقديم بيان انتفاء الاستئثار على بيان انتفاء الاستقدام لأن
 المقصود الاية بيان عدم خلاصهم من العذاب ولو ساعة وذلك بالتأخر وأما ما في قوله تعالى ما تسبق من أمة
 أجلها وما يستأخرون من سبق السبق في الذكر فلأن المراد هناك بيان سر تأخير عذابهم مع استحقاقهم له
 حسبما بيني عنه قوله عز وجل ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون فالأمة اذا ذاك
 بيان انتفاء السبق كما ذكر هناك (قل) لهم غيبا بينت كيفية بيان سنة الله عز وجل فيما بين الامم على الاطلاق
 ونهيتهم على أن عذابهم أمر مقرر محتوم لا يتوقف الاعلى على شيء أجله المعلوم ايذانا بكمال دنوه وتنزيله
 منزلة اتيانه حقيقة (أرايت) أي أخبروني (ان أناكم عذابي) الذي تستهجلون به (بيانا) أي وقت بيان
 واشتغال بالنوم (أوتها را) أي عند اشتغالكم بمشاغلكم جميعا عين لكم من الاجل بمقتضى المشيئة التابعة
 للحكمة كما عين لسائر الامم المهلكة وقوله عز وجل (ما ذا يستجمل منه المجرمون) جواب للشرط بحذف الفاء
 كما في قوله ان أتيك ماذا اطعمني والمجرمون موضوع موضع المضمر لتأكيده الانكار ببيان مباينة حالهم
 للاستجبال فان حق المجرم أن يهلك فزعامن اتيان العذاب فضلا عن استجباله والجملة الشرطية متعلقة بأرايت
 والمعنى أخبروني ان أناكم عذابي تعالى أي شيء تستهجلون منه سبحانه والشيء لا يمكن استجباله بعد اتيانه والمراد
 به المبالغة في انكار استجباله بانخراجه عن حيز الامكان وتنزيله في الاستحالة منزلة استجباله بعد اتيانه بناء على
 تنزيل مقرر اتيانه ودنوه منزلة اتيانه حقيقة كما أشير اليه وهذا الانكار بمنزلة النهي في قوله عز وجل لا تأمر
 الله فلا تستهجلوه خلا أن التنزيل هناك صريح وهناك مني كما في قول من قال لفرعه الذي يتقاضاه حقه أرايت
 ان أعطيتك حقه فاذ اطلب مني يريد المبالغة في انكار التقاضي بنظمه في سلك التقاضي بعد الاعطاء بناء
 على تنزيل مقرر منه منزلة نفسه وقوله عز وجل (انما اذا ما وقع آمنتم به) انكار لا يمانهم بنزول العذاب بعد وقوعه
 حقيقة داخل مع ما قبله من انكار استجبالهم به بعد اتيانه حكما تحت القول المأثور به أي أبعد ما وقع العذاب
 وحل بكم حقيقة آمنتم به حين لا يتفهمكم الايمان انكار التأخير الى هذا الحد واذا تاباس متباعدة للنسب
 والحسرة ليقطعوا عما هم عليه من العناد ويتوجهوا نحو التدارك قبل قوت الوقت فتقديم النظر للقصر وقيل
 ما ذا يستجمل منه متعلق بأرايت وجواب الشرط محذوف أي تتدموا على الاستجبال أو تعرفوا خطاه
 والشرطية اعتراض مقرر لمنهون الاستخبار وقيل الجواب قوله تعالى انما اذا ما وقع الخ والاستفهامية الاولى
 اعتراض والمعنى أخبروني ان أناكم عذابي آمنتم به بعد وقوعه حين لا يتفهمكم الايمان ثم جى بكلمة المتراخي
 دلالة على الاستبعاد ثم زيد أداة الشرط دلالة على استقلاله بالاستبعاد وعلى أن الاول كالتهميد له وجى باذلا
 مؤكدا بما ترشيعا للمعنى الوقوع وزيادة للتجهيل وأنهم لم يؤمنوا الا بعد أن لم يتفهمهم الايمان البتة وقوله تعالى
 (الآن) استئناف من جهته تعالى غير داخل تحت القول الملحق مسوق لتقرير مضمون ما سبق على اراحة
 القول أي قيل لهم عند ايمانهم بعد وقوع العذاب الآن آمنتم به انكار التأخير وتوحيضا عليه ببيان انه لم يكن

ذلك لعدم سبق الانذار به ولا للتأمل والتدبر في شأنه ولا لشيء آخر مما عسى يعد عذرا في التأخير بل كان ذلك على
 طريق التذكيب والاستهجال به على وجه الاستهزاء وقرئ آلان بجذف الهمزة والقائه كتهاء على اللام
 وقوله تعالى (وقد كنتم به تستعجلون) أي تكذبا واستهزاء بجعله وقعت سالما من فاعل امنتم المقدر لتشديد
 التوبيخ والتقريع وزيادة التنديم والتصيير وتقديم الجارة والمجرور على الفعل لمراعاة القواصل دون القصر
 وقوله تعالى (ثم قيل) الخ تأكيذا للتوبيخ والعتاب بوعيد العذاب والعقاب وهو عطف على ما قدر قبل آلان
 (للذين ظلموا) أي وضعوا الكفر والتكذيب موضع الايمان والتصديق أو ظلموا أنفسهم بتعريضهم للعذاب
 والهلاك ووضع الموصول موضع النكير لذهمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعليته لاصابة ما أصابهم (ذوقوا
 عذاب الخلد) المؤلم على الدوام (هل تجزون) اليوم (الايما كنتم تكسبون) في الدنيا من أصناف الكفر
 والمعاصي التي من جعلها مآز من الاستهجال (ويستنبئونك) أي يستخبرونك فيقولون على طريقة الاستهزاء
 أو الانكار (أحق هو) أحق خبر قدم على المبتدأ الذي هو النكير للاهتمام به ويؤيده قوله تعالى انه خلق أو
 مبتدأ والنكير مرتفع به ساد مسددا خبر والجملة في موقع النصب يستنبئونك وقرئ الحق هو تعريضا بأنه باطل
 كنهه قيل أهو الحق لا الباطل أو أهو الذي سميت به الحق (قل) لهم غير ملتفت الى استهزائهم مفضيا عما
 قصدوا وبإيالة الامر على أساس الحكمة (أي ورب) أي من حروف الايجاب بمعنى نعم في القسم خاصة كما أن
 هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة ولذلك يوصل بواو (انه) أي العذاب الموعود (الحق) لثابت البتة أكد
 الجواب بأنتم وجوه التأكيده حسب شدة انكارهم وقوته وقد زيد تقريره وتحقيقا بقوله عز اسمه (وما أنتم
 بمحجزين) أي بفاتنين العذاب بالهرب وهو لاحق بكم لا محالة وهو تام معطوف على جواب القسم أو مستأنف
 سابق لبيان عجزهم عن الخلاص مع ما فيه من التقرير المذكور (ولو أن لكل نفس ظمأ) بالشرك أو التعدي
 على الغير أو غير ذلك من أصناف الظلم ولو مرة حسبا بغيره كون الصفة فعلا (ما في الارض) أي ما في الدنيا
 من خزائنها وأموالها ومناقعها فاطية بما كثرت (لا فتدب به) أي بلعلته فدية اهمل العذاب من اقتداء
 بمعنى فداء (وأسر) أي النفوس المدلول عليها بكل نفس والعدول الى صيغة الجمع مع تحقق العموم
 في صورة الافراد أيضا لفادة تهويل الخطب بكون الاسرار بطريق المعية والاجتماع وانما لم يراع ذلك
 فيما سبق لتحقيق ما يتوخى من فرض كون جميع ما في الارض لكل واحدة من النفوس واثار صيغة جمع
 المذكور لفظ النفس على الشخص أو لتغليب ذكره ومدلوله على انائه (الندامة) على ما فعلوا من الظلم أي
 أخفوها ولم يظهرها لكن لئلا يطباروا التجلدهيات ولات حين اصطبار بل لانهم بهتوا (لما رأوا العذاب)
 أي عندما ينتهم من قضاة الحال وشدة الاحوال ما لم يكونوا يحتسبون فلم يقدر روعا على أن يخطقوا بشئ
 فلما بمعنى حين منصوب بأسر وأوسر شرط حذف جوابه دلالة ما تقدم عليه وقيل أسر هاروسا وهم عن
 أضلوهم حياء منهم وخوفهم ولكن الامر أشد من أن يعتريهم هنالك شئ غير خوف العذاب وقيل
 أسر والندامة اخلصوها لان امرها اخلصها أو لان سر الشئ خالصته حيث تخفى ويضيقها فيه تنكم بهم
 وقيل اظهر والندامة من قواهم أسر الشئ وأسر اذا أظهره حين عيل صبره وفنى تجلده (وقضى بينهم) أي
 أوقع القضاء بين الظالمين من المشركين وغيرهم من أصناف أهل الظلم بأن أظهر الحق سواء كان من حقوق الله
 سبحانه أو من حقوق العباد من الباطل وعمول أهل كل منهما بما يليق به (بالقسط) بالعدل وتخصيص الظلم
 بالتعدي وحمل القضاء على مجرد الحكومة بين الظالمين والمظلومين من غير أن يتعرض لحال المشركين وهم أظلم
 الظالمين لا يساعده المقام فان مقتضاه اما كون الظلم عبارة عن الشرك أو عما يدخل فيه دخولا أو ما
 (وهم) أي الظالمون (لا يظلمون) فيما فعل بهم من العذاب بل هو من مقتضيات ظلمهم ولو ازمه الضرورية
 (آلان لله ما في السموات والارض) أي ما وجد في حقيقته ما أوجار جاعلها متمكنا فيهما وكلمة ما
 لتغليب غير العقلاء على العقلاء فهو تقرير لكمال قدرته سبحانه على جميع الاشياء وبيان لاندراج الكل تحت
 ملكوته يتصرف فيه كيفما يشاء ايجادا واعدا واثابة وعقابا (الان وعده الله) اظهار الاسم الجليل
 لتفخيم شأن الوعد والاشعار بعلة الحكم وهو اما بمعنى الموعود أي جميع ما وعده كائنات ما كان فيندرج فيه

العذاب الذي استجلوه وما ذكر في أثناء بيان حاله اندراجاً أولاً أو بعينه المصدرى أى وعده بجميع ما ذكر
 تحقق قوله تعالى (حق) على الأول ثابت واقع لا محالة وعلى الثاني مطابق للواقع وتصدراً للجلتين بحرفي
 التنبيه والتحقيق للتبصير على تحقق منهن ما انقترن به من ماسلف من الآيات الكريمة والتنبيه على
 وجوب استحضاره والمحافظة عليه (ولكن أكثرهم) لقصور عقولهم واستيلاء الغفلة عليهم والفهم بالاحوال
 المحسوسة المعتادة (لا يعلمون) ذلك فيقولون ما به ولون ويفعلون ما يفعلون (ويحيى ويميت) في الدنيا من غير
 دخل لاحد في ذلك (واليه ترجعون) في الآخرة بالبعث والحشر (يا أيها الناس) التفات ورجوع الى استقامتهم
 نحو الحق واستنزالهم الى قبوله واتساعه غيب تحذيرهم من غوائل الضلال عما تلى عليهم من الفوارغ الشاغرة
 عليهم سوء عاقبتهم وايدان بأن جميع ذلك مسوق لصالحهم ومنافعهم (قد جاءكم موعدة) هي الوعدة والعظة
 التذكير بالهواقب سواء كان بالزجر والرهيب أو بالالسة والترغيب وكلمة من في قوله تعالى (من ربكم)
 ابتدائية متعلقة بجاء تكلم أو تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع مفعلة أو عظة أى موعدة كاتمة من مواظ ربكم
 وفي التمرض لهن وان الربوبية من حسن الموقع ما لا يخفى (وشفا لما في الصدور) وهدي ورحمة للمؤمنين
 أى كتاب جامع لهذه الفوائد والمنافع فانه كاشف عن أحوال الاعمال حسنة سيئاتها وسينتها صامع في الاولى
 ورادع عن الاخرى ومبين للمعارف الخفية التي هي شفا لما في الصدور من الادواء القلبية ككآبهل
 والشك والشرك والنفاق وغيرها من العقائد الزائفة وما دلى طريق الحق واليقين بالارشاد الى الاستدلال
 بالدلائل المنصوبة في الآفاق والانفس وفي مجيئه رحمة للمؤمنين حيث نجوا به من ظلمات الكفر والضلال
 الى نور الايمان وتخلصوا من دركات الشيران وارتقوا الى درجات الجنان والتكفير في الكل للتغيم (قل)
 تلوين للخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأمر الناس بأن يغفروا ما في مجيئه القرآن العظيم
 من الفضل والرحمة (بفضل الله وبرحمته) المراد به ما أتى ما في مجيئه القرآن من الفضل والرحمة وأما الجنس وهما
 داخلان فيه دخلاً أولاً والباء متعلقة بمحذوف وأصل الكلام ليفرحوا بفضل الله وبرحمته وتكرر الباء
 في قوله لا يأتى بالاستعلاء استيعاب الفرح ثم قدم الجارة والمجرور على الفعل لا فائدة القصرت ثم أدخل عليه
 الفاء لا فائدة معنى السببية فصار بفضل الله وبرحمته ليفرحوا ثم قيل (فبذلك فليفرحوا) للتاكيد والتقرير
 ثم حذف الفعل الاول لدلالة الثاني عليه والفاء الاولى جزائية والثانية للدلالة على السببية والاصل ان
 فرحوا بشئ فبذلك ليفرحوا لا بشئ آخر ثم أدخل الفاء للدلالة على السببية ثم حذف الشرط ومعنى البعد
 في اسم الإشارة للدلالة على بعد درجة فضل الله تعالى ورحمته ويجوز أن يراد بفضل الله وبرحمته فليفتنوا
 فبذلك فليفرحوا ويجوز أن يتعلق الباء بجاء تكلم أى جاءكم موعدة بفضل الله وبرحمته فبذلك أى فبجبيتهما
 فليفرحوا وقرئ فليفرحوا وقرأ أبو قحافة عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل
 بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام وقيل فضله الاسلام ورحمته ما وعد عليه (هو) أى ما ذكر من فضل
 الله ورحمته (خير مما يحسبهم) من عظام الدنيا وقرئ يحسبهم أى فبذلك فليفرح المؤمنون هو خير مما
 يحسبهم من أيها الخساطيون (قل آيتم) أى أخبروني (ما أنزل الله لكم من رزق) ما منصوبة المحل بما بعدها أو
 بما قبلها واللام للدلالة على أن المراد بالرزق ما حل لهم وجعله منزلاً لانه مقتدر في السماء يحصل هو أو ما يتوقف
 عليه وجوده أو بقاءه بأسباب سماوية من المطر والكواكب في الانضاج والتلوين (فجاءكم منه) أى جعلتم بعضه
 (حراماً) أى حكمتم بأنه حرام (وحلالاً) أى جعلتم بعضه حلالاً أى حكمتم بحله مع كون كله حلالاً وذلك
 قولهم هذه أنعام وحرت حلالاً وقولهم ما في بطون هذه الانعام خالصة لا كورنا ومحرم على أزواجنا
 ونحو ذلك وتقديم الحرام لظهور أثر الجعل فيه ودوران التوبيخ عليه (قل) تذكيراً لتاكيد الأمر بالاستغفار
 أى أخبروني (الله أذن لكم) في ذلك الجعل فأنتم فيه متمثلون بأمره تعالى (أم على الله تفترون) أم متصلة
 والاستفهام لتقرير والتبكيك لتحقيق العلم بالثبوت الاخير قطعاً كأنه قيل أم لم يأذن لكم بل تفترون عليه سبحانه
 فأظهر الاسم الجليل وقدم على الفعل دلالة على كمال قبح انكارهم وتاكيد التبيكيت اثرنا كيد مع مراعاة
 الفواصل ويجوز أن يكون الاستفهام للانكار وأهم منقطعة ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال من التوبيخ
 والزجر بانكار الاذن الى ما يفيد هزئهم من التوبيخ على الافتراء عليه سبحانه وتعالى وتقدم الجارة والمجرور

على هذا يجوز أن يكون للقصر كانه قيل بل أعلى الله تعالى خاصة تفوتون (وما ظن الذين يفوتون على الله الكذب) كلام مسوق من قبله تعالى لبيان هول ماسبقه فونه غير داخل تحت القول المأثور به والتعبير عنهم بالوصول في موقع الاضمار قطع احتمال الشك الاول من الترييد والتسجيل عليهم بالافتراء وزيادة الكذب مع أن الافتراء لا يكون الا كذبا لاظهار كمال قبح ما فعلوا وكونه كذبا في اعتقادهم أيضا وكلمة ما استفهامية وقعت مبتدأ وظن خبرها ومفعولاه محذوفان وقوله عز وجل (يوم القيامة) ظرف لنفس الظن أي أي شيء ظنهم في ذلك اليوم يوم عرض الافعال والاقوال والجحازاة عليهم مشتقا لا بشتال والمراد تنويله وتقطيعه يوم ما يتعلق به مما يصنع بهم يومئذ وقيل هو ظرف لما يتعلق به ظنهم اليوم من الامور التي ستقع يوم القيامة تنزيلا له ولما فيه من الاحوال لكمال وضوح امره في التقزرو والتحقق منزلة المسلم عندهم أي أي شيء ظنهم لما سيقع يوم القيامة أي يحسبون انهم لا يسألون عن افتراءهم أولا يجازون عليه أو يجازون جزاء يسيرا ولاجل ذلك يفعلون ما يفعلون كلاتهم اني أشد العذاب لان معصيتهم أشد المعاصي ومن أظلم من أفترى على الله كذبا وقرئ على لفظ الماضي أي أي ظن ظنوا يوم القيامة وايراد صيغة الماضي لانه كائن فكانه قد كان (ان الله لذو فضل) أي عظيم لا يكتنه كنهه (على الناس) أي جميعا حيث أنهم عليهم بالعقل المميزين الحق والباطل والحسن والقيح ورجمهم بانزال الكتب وارسال الرسل وبين لهم الامرار التي لا تستقل العقول في ادراكها وأرشدهم الى ما يحرم من أمر المعاش والمعاد (ولكن أكثرهم لا يشكرون) تلك النعمة الجليلة فلا يصرفون قواهم ومشاعرهم الى ما خلقت له ولا يتبعون دليل الحق فيما يستبديه ولا دليل الشرع فيما لا يدرك الا به وقد فضل عليهم ببيان ماسبقه فونه يوم القيامة فلا يلتفتون اليه فيقعون فيما يقعون فهو تذليل لما سبق مقرر لمضغونه (وما تكون في شأن) أي في أمر من شأنت شأنه أي قصدت قصده مصدر بمعنى المنعول (وما تلو منه) الضمير للشأن والظرف صفة مصدر محذوف أي تلاوة كانه من الشأن اذ هي معظم شؤنه عليه السلام أول التنزيل والاضمار قبل الذكرك لتفخيم شأنه ومن ابتدائية أو تبعيضية أو لله عز وجل ومن ابتدائية والتي في قوله تعالى (من قرآن) مزيدة لتأكيده الثاني وابتنائية على الوجه الاول وبيانية أو تبعيضية على الثاني والثالث (ولا تعملون من عمل) تعميم للخطاب اثر تخصيصه بمقتضى الكل وقدر وعي في كل من المقامين ما يليق به حيث ذكر اولاً من الاعمال ما فيه نغامة وجلالة وثانياً ما يتناول الجليل والحسير (الا كما عليكم شهودا) استثناء مفرغ من أعم احوال الخطاطبين بالافعال الثلاثة أي ما تلابسون بشئ منها في حال من الاحوال الاحال كوتار قباه مطلعين عليه حافظين له (اذ تفيضون فيه) أي تخوضون وتندفعون فيه وأصل الافاضة الاندفاع بكثرة أو بقوة وحيث أريد بالافعال السابقة الحالة المستمرة الدائمة المقارنة للزمان الماضي ايضا وتر في الاستثناء صيغة الماضي وفي الظرف كلمة اذ التي تفيد المضارع معني الماضي (وما يعزب عن ربك) أي لا يعدو ولا يغيب عن علمه الشامل وفي التعرض لعنوان الربوبية من الاشعار باللفظ ما لا يخفى وقرئ بكسر الزاء (من مقال ذرة) كلمة من مزيدة لتأكيده الثاني أي ما يعزب عنه ما يساوي في الثقل ثلثة صغيرة أو هباء (في الارض ولا في السماء) أي في دائرة الوجود والامكان فان العامة لا تعرف سواهما عمكائيس في أحدهما أو متعلقا بهما وتقدير الارض لان الكلام في حال أهلها والقصود اقامة البرهان على احاطة علمه تعالى بتفاصيلها وقوله تعالى (ولا أصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين) كلام برأسه مقترن لما قبله ولا نافية للبس وأصغرا سمها وفي كتاب خبرها وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف أو على محله مع الجواز جعل الاستثناء منقطعا كانه قيل لا يعزب عن ربك شيء ما لكن جميع الاشياء في كتاب مبين فكيف يعزب عنه شيء منها وقيل يجوز أن يكون الاستثناء متصلا ويعزب بمعنى بين ويصدر والمعنى لا يصدر عنه تعالى شيء الا وهو في كتاب مبين والمراد بالكتاب المبين اللوح المحفوظ (ألا ان أولياء الله) بيان على وجه التبشير والوعدهما هو نتيجة لاعمال المؤمنين وغاية لما ذكر قبله من كونه تعالى مهيبا على نبيه عليه السلام وأتمته في كل ما يأتون وما يذرون واحاطة علمه سبحانه بجميع ما في السماء والارض وكون الكل مثبثا في الكتاب المبين بعد ما أشير الى قطاعة حال المفترين على الله تعالى يوم القيامة وما سطر عليهم من الهول اشارة اجمالية على طريق التهديد والوعيد وصدرت الجملة بحرف في التنبيه والتصديق لزيادة تقرير

منه ونها والولى لغة القريب والمراد بأولياء الله خالص المؤمنين اقرهم الروحاني منه سبحانه وتعالى كما سيفصح عنه تفسيرهم (لا خوف عليهم) في الدارين من حقوق مكروه (ولا هم يحزنون) من قنات مطلوب أى لا يعترهم ما يوجب ذلك لانه يعترهم لا يحزنون ولا يحزنون ولا انه لا يعترهم خوف وحزن أصلا بل يستمرون على النشاط والسرور كيف لا واستشعار الخوف والخشية استغظا ما جلل الله سبحانه وهيبته واستتصارا للعبادة والسعي في اقامة حقوق العبودية . . . صائص الخواص والمقربين والمراد ببيان دوام انتقامهم لا ببيان انتقام دوامهما كما يوهمه كون الخبر في فعل الموصولة الثانية مضار عالمات مرارا من أن النبي وان دخل على نفس المضارع يفيد الاستمرار والدوام بحجج المقام وانما لا يعترهم ذلك لان مقصدهم ليس الا طاعة الله تعالى ونيل رضوانه المستقيم للكرامة والزلفى وذلك مما لا ريب في حصوله ولا احتمال لقوانه بموجب الوعد بالنسبة اليه تعالى وأما ما عدا ذلك من الامور الدنيوية المترددة بين الحصول والقوات فهي بعزل من الانتظام في سلك مقصدهم وجود او عدمها حتى يخافوا من حصول ضارها أو يحزنوا بفوات نافعها وقوله عز وجل (الذين آمنوا) أى بكل ما جاء من عند الله تعالى (وكانوا يشعرون) أى يشعرون أنفسهم عما يحق وقائتها عنه من الافعال والتروك وقاية دائمة حسبا يفيد الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل ببيان وتفسيرهم وإشارة الى ما به نالوا ما نالوا على طريقة الاستئناف المبني على السؤال ومحل الموصول الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل من أولئك وما سبب فوزهم بتلك الكرامة فقيل هم الذين جمعوا بين الايمان والتقوى المغضين الى كل خير المخمين عن كل شر وقيل محل النصب أو الرفع على المدح أو على انه وصف مادح لاولياءه ولا يقدح في ذلك توسط الخبر والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منها الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقى عن الشرك التي يفيدها الايمان أيضا ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك أعنى تنزه الانسان عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبطل اليه بالكلية وهي التقوى الحقيقية المأمورة به في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وبه يحصل الشهود والحضور والترب الذي عليه يدور اطلاق الاسم عليه وهكذا كان حال كل من دخل معه عليه السلام تحت الخطاب بقوله عز وجل ولا تعملون من عمل خلا أن لهم في شأن التبطل والانتزاع درجات متفاوتة حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفاضلة عليهم بموجب المشيئة المنبئية على الحكم الالهي أقصاها ما انتهى اليه هم الانبياء عليهم السلام حتى جمعوا بذلك بين رياسة النبوة والولاية ولم يعتصموا بالاشباح عن الاستغراق في عالم الارواح ولم تستدعهم الملازمة بمصالح الخلق عن التبطل الى جناب الحق الكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية فلا كراهة للولاية هو والتقوى المذكورة وأولياء الله هم المؤمنون المتقون ويقرب منه ما قيل من انهم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان ويؤولوا القيام بحق عبودية الله تعالى والدعوة اليه ولا يخالفه ما قيل من انهم الذين يذكرون الله برؤيتهم لما روى عن سعيد بن جبيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من أولياء الله فقال هم الذين يذكرون الله برؤيتهم أى بسبحهم واخبارهم وسكينتهم ولا ما قيل من انهم المتحابون في الله لما روى عن عمر رضى الله عنه انه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عباد اليه والانبيا ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما أعمالهم فلعننا نجهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير أرحامهم ولا أموال يعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعل من نور لا يخافونه اذا شاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس فان ما ذكر من حسن السمات والسكنة المذكورة لله تعالى باب التلوين لا سبحانه من الاحكام الدنيوية اللازمة للايمان والتقوى والالاء الخاصة بهم الحقيقية بالتحسين ان يأكذ كراظه ورهاوقربها من أفهام الناس قد أورد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلاما من ذلك حسبا يقتضيه مقام الارشاد والتذكير ترغيبا للساكنين أو غيرهم من الحاضرين فيما يخصه بالذكر هناك من أحكامهما فاعل الحاضرين أولئك كانوا محتاجين الى اصلاح الحال من جهة الاقوال والافعال والملابس ونحو ذلك والحاضرين ثانيا مقتضرين الى تاليف قلوبهم وعطفها نحو المؤمنين الذين لا علاقة بينهم وبينهم من جهة النسب والقربا وتأكيد ما بينهم من الاخوة الدينية ببيان عظم شأنها ورفعة مكانتها وحسن عاقبتها ليراعوا حقوقها ويحجروا من لا يوافقهم في الدين من أرحامهم وأما ما ذكر من انه يغبطهم الانبياء فتصوير الحسن حالهم على طريقة التخييل قال الكواشي وهذه

مبالغة والمعنى لو فرض قوم بهذه الصفة لكانوا هؤلاء وقيل أولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وجعل قوله عز وجل الذين آمنوا وكانوا يتقون تفسير التوليم إياه تعالى وقوله عز وجل (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) تفسير التولية تعالى إياهم ولا ريب في أن اعتبار القيد الأخير في مفهوم الولاية غير مناسب لمقام ترغيب المؤمنين في تحصيلها والثبات عليها وبشارتهم بآثارها وتأنجهم بأهل محل بذلك إذا التحصيل انما يتعلق بالمقدور والاستبشار لا يحصل إلا بعلم وجود سببه والتقدير المذكور ليس بمقدور لهم حتى يحصلوا الولاية بتحصيله ولا بعلمهم عند حصوله حتى يعرفوا حصول الولاية لهم ويستبشروا بعلمهم آثارها بل التولي بالكرامة عين نتيجة الولاية فاعتبارها في عنوان الموضوع ثم الأخبار بعدم الخوف والحزن مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل فالذي يقتضيه نظمه الكريم أن الأول تفسير للأولياء حسبما شرح والشافي بيان لما أولاهم من خيرات الدارين بعد بيان انجائهم من شرورهما ومكارههما واجله مستأنفة كما سبق كأنه قيل هل لهم وراء ذلك من نعمة وكرامة فتقيل لهم ما يسرهم في الدارين وتقديم الأول لما أن التولية سابقة على التحلية مع ما فيه من مراعاة حتى المقابلة بين حسن حال المؤمنين وسوء حال الكافرين وتجميل ادخال المصرة بتبشير الخلاص عن الأهوال وتوسيط البيان السابق بين بشارة الخلاص عن المحذور وبشارة الفوز بالمطلوب لانهما ركبا للعناية بتفسير الأولياء مع الايذان بأن انتفاء الخوف والحزن لا تنافي عما يؤدي اليهما من الأسباب والبشرى مصدر أراده البشرية من الخيرات العاجلة كالنصر والفتح والغنية وغير ذلك والآجلة الغنية عن البيان وإيثار الإيهام والاجمال للايذان بكونه وراء البيان والتفصيل والظرفان في موقع الحال منه والعامل ما في الخبر من معنى الاستعترار أي أهم البشرية حال كونهم في الحياة الدنيا وحال كونهم في الآخرة أي عاجلة وآجلة أو من الخير المجرور أي حال كونهم في الحياة الخ ومن البشرية العاجلة النماء الحسن والذكر الجليل ومحبة الناس * عن أبي ذر رضى الله عنه قلت يا رسول الله الرجل يعمل لله ويحبه الناس فقال عليه السلام تلك عاجل بشرى المؤمن هذا وقيل البشرية مصدر والظرفان متعلقان به * أما البشرية في الدنيا فهي البشارات الواقعة للمؤمنين المتقين في غير موضع من الكتاب المبين وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له وعنه عليه الصلاة والسلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وعن عطاء لهم البشرية عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة * وأما البشرية في الآخرة فتلقى الملائكة إياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من يساهن وجوههم واعطاء الصعائف بأيمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات فتكون هذه بشارة بما سبق من البشارات العاجلة والآجلة المطلوبة لغاياتها الالذاتها ولا يخفى أن صرف البشارة الناجزة عن المقاصد بالذات الى وسائلها مما لا يساعدهم بجلالة شأن التنزيل الكريم (لا تبديل لكلمات الله) لا تفسير لا قواله التي من جملتها مواعيد الواردة بشارة للمؤمنين المتقين فيدخل فيها البشارات الواردة ههنا دخولا أوليا ويثبت امتناع الاختلاف فيها بتواضعها وعلى تقدير كون المراد بالبشرى الرؤيا الصالحة فالمراد بعدم تبديل كلماته تعالى ليس عدم الخلاف بينهما وبين نتائجها الدينية والآخروية بل عدم الخلاف بينهما وبين ما دل على ثبوتها وقوعها فيما سبأ بطريق الوعد من قوله تعالى لهم البشرية فتدبر (ذلك) إشارة الى ما ذكر من أن لهم البشرية في الدارين (هو الفوز العظيم) الذي لا فوز وراءه وفيه تفسير لما أبهم فيما سبق وهاتيك الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق البشرية وتعظيم شأنه وليس من شرطه أن يكون بعده كلام متصل بما قبله أو هذه تذييل والسابقة اعتراض (ولا يحزنك قواهم) نسبية للرسول صلى الله عليه وسلم عما كان يلتهن من جهتهم من الأذية الناشئة عن مخالفتهم الموحشة وتبشير له عليه الصلاة والسلام بأنه عز وجل ينصره ويعززه عليهم إتيان أن له ولا تباعه امان من كل محذور وفوزا بكل مطلوب وفري ولا يحزنك من آخره وهو في الحقيقة نهى له عليه السلام عن الحزن كأنه قيل لا تحزن بقواهم ولا تبال بشكذبيهم وتساورهم في تدبيرهم لا تلك وإبطال أمرك وسائر ما يفتقرون به في شأنك مما لا خيرة فيه وانما رجع النهي الى قواهم للمبالغة في غيبه عليه السلام عن الحزن لما أن النهي عن التأثير نهى عن التأثير بأصله ونفى له بالمرّة وقد يوجه النهي الى اللازم والمراد هو النهي عن المزوم كما في قولك لا أرينك ههنا وتخصيص النهي عن الحزن بالإبراد مع شمول النفي السابق للحزن

أيضا لما انه لم يكن فيه عليه السلام شائبة خوف حتى ينهي عنه وربما كان يعتريه عليه السلام في بعض
الاوراق نوع حزن فلي عن ذلك وقوله تعالى (ان العزة) تعليل للنهي على طريقة الاستئناف أي الغلبة
والقهر (لله جميعا) أي في ملكته وسلطانه لا يملك أحد شيئا منهم أصلا لا هم ولا غيرهم فهو يقهرهم ويصمم
منهم وينصر لأعليهم وقد كان كذلك فهي من بجله المبشرات العاجلة وقرئ يفتح أن على صريح التعليل أي
لان العزة لله (هو السميع العليم) يسمع ما يقولون في حقك ويعلم ما به زمون عليه وهو كافئهم بذلك (ألا ان الله
من في السموات ومن في الارض) أي العتلاء من الملائكة والنفالين وتخصيصهم بالذكور لا ليدان بعدم الحاجة
الى التصريح بغيرهم فانهم مع شرفهم وعلو طبقتهم اذا كانوا عبيد الله سبحانه مقهورين تحت قهره وملكته
فما عداهم من الموجودات أولى بذلك وهو مع ما فيه من التأكيدهم السابق من اختصاص العزة بالله تعالى
الموجب لسلوته عليه السلام وعدم ميلاته بالمشركين وببقالائهم عهد لما لحق من قوله تعالى (وما يتبع الذين
يدعون من دون الله شركاء) وبرهان على بطلان ظنونهم وأعمالهم المبنية عليها وما امانا في وشركاء مفعول
يتبع ومفعول يدعون محذوف لظهوره أي ما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء في الحقيقة وان
شركاء شركاء فافتصر على أحدهما لظهور دلالة على الآخر ويجوز أن يكون المذكور مفعول يدعون ويكون
مفعول يتبع محذوف لانهما من قوله تعالى (ان يتبعون الا اطلاق) أي ما يتبعون يشيئا ان يتبعون ظنهم
الباطل واما موصولة معطوفة على من كانه قبل والله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أي وله شركاء وهم
وتخصيصهم بالذكور مع دخولهم فيما سبق عبارة أو دلالة للمبالغة في بيان بطلان اتباعهم وفساد ما بنوه عليه
من ظنهم شركاء هم معبودين مع كونهم عبيد الله سبحانه واما استفهامية أي وأي شيء يتبعون أي لا يتبعون شيئا
ما يتبعون الا اطلاق والخيال الباطل كقوله تعالى ما تعبدون من دونه الا أسماء سمعتموها الخ وقرئ تدعون
بالتاء فالاستفهام للتبكيك والتوبيخ كأنه قيل وأي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبين
تقرر الكونهم متبعين لله تعالى مطيعين له ونوايضا لهم على عدم اقتدائهم بهم في ذلك كقوله تعالى اولئك
الذين يدعون يتبعون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقيل ان يتبع هؤلاء المشركون
الا اطلاق ولا يتبعون ما يتبعه الملائكة والنبين من الحق (وانهم الا يحضرون) يكذبون فيما ينسبون له اليه
سبحانه ويجزرون ويتدرون انهم شركاء تقدير باطلا (هو الذي جعل لكم الليل تسكنا وافية والنهار مبصرا)
تفنيه على تفرده تعالى بالقدرة الكاملة والنعمة الشاملة ليداهم على فو حده سبحانه باستحقاق العبادة وتقرير لما
سلف من كون جميع الموجودات الممكنة تحت قدرته وملكته المفصح عن اختصاص العزة به سبحانه والجمع
ان كان بمعنى الابداع والخلق فبصرف حال والا فذلك مفعوله الثاني وهو حال كافي الوجه الاول والمفعول
الثاني لتسكنا وافية وهو محذوف يدل عليه المفعول الثاني من الجملة الثانية كأن العلة العارضة منها محذوفة
اعتمادا على ما في الاولى والتقدير هو الذي جعل لكم الليل مظلم لتسكنا وافية والنهار مبصرا لتتمتعوا
لما احكم كما سيجي نظيره في قوله تعالى وان يسئلك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله
الآية محذوف في كل واحد من الجائين ما ذكر في الاخر اكفاء بالمدكور عن المتروك واستناد الابصار الى
النهار مجازي كالذي في نهاره صائم (ان في ذلك) أي في جعل كل منهما كما وصف اوفيهما وما في اسم الإشارة
من معنى البعد لا ليدان بعدم نزلة المشار اليه وعلو رتبته (لايات) بحسبة كثيرة أو آيات أخر غير ما ذكر
(لقوم يسمعون) أي هذه الآيات المتلوة ونظائرها المنهية على تلك الآيات التكوينية الاسمية بالتأمل فيها
سماع تدبر واعتبار فيعلمون بمقتضاها وتخصيص الآيات بهم مع انها منصوبة لمصلحة الكل لما انهم المتفكرون
بها (قالوا) شروع في ذكر ضرب آخر من أباطيلهم وبيان بطلانه (اتخذ الله ولدا) أي تبناه (سبحانه) تنزيه
وتعديس له عما نسبوا اليه وتنجيب من كلمتهم الحق (هو الحق) على الاطلاق عن كل شيء في كل شيء وهو علة
لتزيه سبحانه وايدان بأن اتخاذ الولد من أحكام الحاجة وقوله عز وجل (له ما في السموات وما في الارض)
أي من العتلاء وغيرهم تقرير لغناه وتحقيق لما كينه تعالى لكل ما سواه وقوله تعالى (ان عندكم من سلطان)
أي حجة (بهذا) أي بما ذكر من قواهم الباطل توضيح لبطلانه بتحقيق سلامة ما أقيم من البرهان الساطع عن

المعارض فن في قوله تعالى من سلطان زائدة لتأكيد النفي وهو مبتدأ والطرف المقدم خبره أو مرتفع على أنه
فاعل للطرف لا اعتماد على النفي وبهذا متعلقاً بالسلطان لأنه بمعنى الجمة والبرهان وأما بحذف وقع صفته
وأما بما في عندكم من معنى الاستقرار كأنه قيل أن عندكم في هذا القول من سلطان والالتفات إلى الخطاب لمزيد
المبالغة في الإلزام والاختتام وتأكيده ما في قوله تعالى (اتقوا الله على ما لا تعلمون) من التوبيخ والتقريع
على جهلهم واختلاقهم وفيه تنبيه على أن كل مقالة لا دليل عليها فهي جهالة وأن العائد لا بد لها من برهان
قطعي وأن التقليد يعزل من الاعتداده (هل) تلون للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسين
لهم سوء غيبتهم ووخامة عاقبتهم (إن الذين يفترون على الله الكذب) أي في كل أمر فبدخل ما نحن بصدده
من الافتراء بذمة الولد والشريك إليه سبحانه دخولا أو لا (لا يسلطون) أي لا ينجون من مكروه ولا يفوزون
بطلوب أصلاً ويخصيص عدم النجاة والنور بما يندرج في ذلك من عدم النجاة من النار وعدم الفوز بالجنة
لا يناسب مقام المبالغة في الزجر عن الافتراء عليه سبحانه (متاع في الدنيا) كلام مستأنف سيق بيان أن
ما يترأى فيهم بحسب الظاهر من نيل المطالب والفوز بالخطوة الدنيوية على الإطلاق أو في ضمن افتراءهم يعزل
من أن يكون من جنس الذلح كأنه قيل كيف لا يفلحون وهم في غبطة ونعيم فتيل هو متاع يسير في الدنيا وليس
بفوز بالمطلوب ثم أشير إلى انتهاء النجاة عن المكروه أيضاً بقوله عز وجل (ثم اليأس من جهنم) أي بالموت (ثم نذيتهم
العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) فيستقون في الشقاء المؤبد بسبب كفرهم المعترف أو يكفرونهم في الدنيا فإنهم
من الذلح وقيل المبتدأ المحذوف حياهم أسم أو تقبلهم وقد قيل أنه افتراء وهم ولا ينبغي أن المتاع إنما يطلق على
ما يكون مطبوعاً عند النفس مرغوباً فيه في نفسه يتبع وينتفع به وانما عدم الاعتداده لسرعة زواله ونفس
الافتراء عليه سبحانه أقبح القبايح عند النفس فتلاعن أن يكون مطبوعاً عندها وعده كذلك باعتبار اجراء
حكم ما يؤدى إليه من رياستهم عليه مما لا وجه له فالوجه ما ذكرنا ولا وليس بعيد ما قيل إن المحذوف هو الخبر أي
لهم متاع والآية أمام سوقة من جهة الله تعالى لتحقيق عدم افتراءهم غير داخل في الكلام المأمور به كما يشتمل
ظاهراً قوله تعالى ثم اليأس من نذيتهم وأما داخل فيه على أن النبي عليه الصلاة والسلام مأمور بشمله
وسكايته عنه عز وجل (وانزل عليهم) أي على المشركين من أهل مكة وغيرهم لتحقيق ما سبق من أنهم لا يسلطون
وأن ما يتقنون به على جناح القوات وأنهم مشرفون على العذاب الخالد (بأنوح) أي خبره الذي له شأن
وخطر مع قومه الذين هم أشرب قومك في الكفر والعداية تدبروا ما فيه من زوال ما توعوا به من النعيم
وحلول عذاب الفرق الموصول بالعذاب المقيم لئلا يترجروا بذلك عما هم عليه من الكفر أو تنكسر شدة شكيتهم
أو يعترف بعضهم بعبثة نبوتك بأن عرفوا أن ما تلوه موافق لما ثبت عندهم من غير مخالفة بينهم أصلاً مع علمهم
بأنك لم تسع ذلك من أحد ليس إلا بطريق الوحي وفيه من تقرير ما سبق من كون الكل لله سبحانه واختصاص
الغزوة به تعالى وانتهاء الخوف والحزن عن أوليائه عز وجل فاطمة وتشجيع النبي صلى الله عليه وسلم وحمله على
عدم المبالاة بهم وبأقوالهم وأفعالهم ما لا ينبغي (اذفال) معمول لنباؤاً وبديل منه بدل اشتمال وأياتاً كان فالمراد
بعض نبش عليه السلام لكل ما جرى بينه وبين قومه واللام في قوله تعالى (لقومهم) للتبليغ (يا قوم إن كان
كبر) أي عظم وشق (عليكم مقامى) أي نفسى كما يقال فعلته لمكان فلان أي فلان ومنه قوله تعالى ولمن خاف
مقام ربه أي خاف ربه أو قباى ومكئ بين ظهرانيكم مدة طويلة أو قباى (وتذكروا ما أتت الله من قبهم) فأنهم كانوا
إذا وعظوا الجماعة يقومون على أرجلهم والجماعة تعود لظهور راسلهم ويسمع من الله توكلت) جواب
للشرط أي دمت على تخصيص التوكل به تعالى ويجوز أن يراد به أحداث مرتبة مخصوصة من مراتب
التوكل (فأجمعوا أركانكم) عطف على الجواب والفاء لترتيب الأمر بالاجتماع على التوكل لا لترتيب نفس الاجماع
عليه أو هو الجواب وما سبق جملة معترضة والاجماع العزم قبل هو متعدي بنفسه وقيل فيه حذف وإيصال قال
السيدوسي أجعت الأمر أفصح من أجعت عليه وقال أبو الهيثم أجمع أمره جعله مجموعاً بعد ما كان متفرقاً
وتفرقه أنه يقول مرة أفل كذا وأخرى أفل كذا وإذا عزم على أمر واحد فتدجمه أي جعله جميعاً
(وشركاءكم) بالنصب على أن الواو بمعنى مع كما يدل عليه القراءة بالرفع عطف على الضمير المتصل تنزيلاً للفصل

منزلة التأكد واستناد الإجماع إلى الشركاء على طريقة التبرك وقيل أنه عطف على أمركم بحذف المضاف أي
أمر شركائكم وقيل منصوب بفعل محذوف أي وادعوا شركاءكم وقد قرئ كذلك وقرئ فاجعوا من الجمع
أي فاعزموا على أمركم الذي تريدون بي من السعي في اهلاكي واحتشدوا فيه على أي وجه يمكنكم (ثم لا يكن
أمركم) ذلك (عليكم غمة) أي مستورا من غمة إذا ستره بل مكشوفاً مشهوراً ونحوه فان السر انما يبصر
إليه استدياب تدرك الخلاص بالهرب أو نحوه فحيث استحال ذلك في حق لم يكن للسر وجه وانما خاطبهم عليه
السلام بذلك اظهار العدم المبالة بهم وأنهم لم يجدوا إليه سبيلاً وثقة بالله سبحانه وبما وعده من عظمته وكلاهما
فكلمة ثم للتراخي في الرتبة واظهار الامر في موقع الأشعار لزيادة تقرير تنبيههم بمقام الامر بالاظهار الذي
يستلزمه النهي عن التستر والاسرار وقيل المراد بأمرهم ما يعترهم من جهة عليه السلام من الحال الشديدة
عليهم المذكورة لديهم والغمة الغم كالكرية والكرب ونحوه للتراخي الزماني والمعنى لا يكن حالكم عليكم غمة
وتخاضوا باهلاكي من مثل مقامى وتذكيرى ولا يخفى أنه لا يساعده قوله عز وجل (ثم اقضوا إلى ولا تنتظروا)
أي أذوا إلى أي أحكموا وذلك الامر الذي تريدون بي ولا تعلموني كقولته تعالى وقضينا إليه ذلك الامر وأدوا
إلى ما هو حق عليكم عندكم من اهلاكي كما يشئ الرجل غريمه فان توسيط ما يحصل بعد الاهلاك بين الامر
بالعزم على مباديته وبين الامر بتضائه من قبيل الفصل بين الشجر وطعنه وقرئ أفنوا بالقاء أي اتهموا إلى
بشركم أو ابرزوا إلى من أفضى إذا خرج إلى القضاء (فان توليتهم) الفاء لترتيب التولي على ما سبق فالمراد به اما
الاستقرار عليه واما احداث التولي المخصوص أي ان أعرضتم عن نصيحتي وتذكيري اثر ما شاهدتم مني من
مخايل صحة ما أقول ودلائلها التي من جملتها دعوى اياكم جميعاً إلى تحقيق ما تريدون بي من سوء غير ما لايكم
وبما يأتي منكم واجتماعكم من الاجابة علمائكم بأنني على الحق المبين مؤيد من عند الله العزيز (فما سألتكم)
بقابلة وعطى وتذكيرى (من أجر) تؤذونه إلى حتى يؤذى ذلك إلى نوايكم اما لاثامكم اياي بالطمع والسؤال
واما لنقل دفع المسؤل عليكم أو حتى يضركم نوايكم المؤدى إلى الحرمان فالاول لاظهار بطلان التولي ببيان
عدم ما يصبحه والثاني لاظهار عدم مبالاة عليه السلام بوجوده وعدمه وعلى التقديرين فالقاء الجزائية
للسببية الشرطية لا لعلام منصرفون الجزاء لانفسه وانما ان توليتهم فاعلموا أن ليس في مناصح له ولا تأثر منه وقوله
عز وجل (ان أجرى الأعلى الله) ينتظم المعنيين جميعاً خلافاً على الاول تأكيداً وعلى الثاني لتبليغ لاسئلتنا
عليه السلام عنهم أي ما ثوابي على العظة والتذكير الاعلى تعالى يشيئ به آمنتم أو توليتهم (وأمرت أن أكون
من المسلمين) المتقادين لحكمه لا أخالف أمره ولا أخرجو غيره والمستسلمين لكل ما يصب من البلاء في طاعة
الله تعالى (فكذبوه) فأمر وأعلى ما هم عليه من التكذيب بعدما ألزمهم الحجة وبين لهم النجدة وحقق
أن توليتهم ليس له سبب غير التمرد والعناد فلا جرم حنت عليهم كلمة العذاب (فحينئذ ومن معه في الفلأ) من
المسلمين وكانوا غنائم (وجعلناهم خلافت) من المهاجرين (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) أي بالظروفان وتأخير
ذكره عن ذكر الانبياء والاستخلاف حسبا وقع في قوله عز وجل والسياء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه
برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة وغير ذلك من الآيات الكريمة لاظهار كمال العناية بشأن المتقدم ولتجليل
المسرة للسامعين وللايدان بسبق الرحمة التي هي من مقتضيات الربوبية على الغضب الذي هو من مستتبعات
جرائم المجرمين (فانظر كيف كان عقوبة المذنبين) تنويل لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول عليه الصلاة
والسلام وتسلية له عليه السلام (ثم بعثنا) أي أرسلنا (من بعده) أي من بعد نوح عليه السلام (رسلاً)
التكثير للتفخيم ذاتاً ووصفاً أي رسلاً كراماً ذوي عدد كثير (إلى قومهم) أي إلى أقوامهم لكن لا بان أرسلنا
كل رسول منهم إلى أقوام الكل أو إلى قوم ما أي قوم كانوا بل كل رسول إلى قومه خاصة مثل دود إلى عاد
وصالح إلى ثمود وغير ذلك من قصصهم ومن لم ينص (لجاءهم) أي جاء كل رسول قومه المخصوصين به
(بالبينات) أي المعجزات الواضحة الدالة على صدق ما قالوا والباء اما متعلقة بالفعل المذكور على أنها التعدية
أو بمحذوف وقع حالاً من ضمير جاءوا أي ملتبسين بالبينات لكن لا بان يأتي كل رسول ببينة واحدة بل ببينات
كثيرة خاصة به معينة له حسب اقتضاء الحكمة فان مراعاة انقسام الآحاد إلى الآحاد انما هي فيما بين ضميري

جاءهم كما أشير إليه (فما كانوا يؤمنوا) بيان لاستمرار عدم إيمانهم في الزمان الماضي لا لعدم استقرار إيمانهم كما مر مثله في هذه السورة **التي** مرة غير مرة أي فاصح وما استقام لقوم من أولئك الأقوام في وقت من الاوقات أن يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعاً منهم لشدة شكيتهم في الكفر والعناد ثم إن كان المحكي آخر حال كل قوم حسب ما يدل عليه حكاية قوم نوح فالمراد بعدم إيمانهم المذكور ههنا استمرارهم على ذلك بعد التنبؤ والتمني وما أشير إليه في قوله عز وجل (بما كذبوا به من قبل) تكذيبهم من حين مجيئ الرسل إلى زمان الاصرار والعناد وانما لم يجعل ذلك مقصوداً بالذات كالأول حيث جعل صله للموصول إيذاناً بأنه بين نفسه غنى عن البيان وانما المحتاج إلى ذلك عدم إيمانهم بعد نواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التي كانت تضطرهم إلى القبول لو كانوا من أصحاب العقول والموصول الذي تعلق به الإيمان والتكذيب دليلان على ما كان عليه من جميع الشرائع التي جاء بها كل رسول أصواها وفروعها وإن كان المحكي جميع أحوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكره أولاً كفرهم المستمر من حين مجيئ الرسل إلى آخره وبما أشير إليه آخراً تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من كون الموصول المذكور عبارة عن أصول الشرائع التي أجمعت عليها الرسل فاطبة ودعوا أممهم إليها آخر ذي أثر لاستحالة تبدلها وتغيرها مثل صلة التوحيد ولو أزمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيئ رسالهم أنهم ما كانوا في زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط بل كان كل قوم من أولئك الأقوام يتسامعون بها من بقايا من قبلهم كقود من يتأباعد وعاد من بقايا قوم نوح عليه السلام فيكذبونها ثم كانت حالتهم بعد مجيئ الرسل كحالتهم قبل ذلك **فكان** لم يبعث إليهم أحد وتخصيص التكذيب وعدم الإيمان بما ذكر من الأصول لظهور حال الباقي بدلالة النص فانهم حيث لم يؤمنوا بما أجمعت عليه كافة الرسل فلا بد أن لا يؤمنوا بما تفرد به بعضهم أولاً وعدم جعل هذا التكذيب مقصوداً بالذات لما أن ما عليه يدور أمر العذاب والعقاب عند اجتماع المكذبين هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسب ما عرّب عنه قوله تعالى وما **كان** معذبين حتى يبعث رسولا وانما ذكر ما وقع قبلها بما نال عراقتهم في الكفر والتكذيب وعلى التقديرين فالنص ثلثة متوافقة في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع إلى قوم نوح عليه السلام والمعنى فما كان قوم الرسل ليؤمنوا بما كذب بعثله قوم نوح ولا ينبغي ما فيه من التعسف وقيل الباء للسياقة أي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتقرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا ينبغي أن ذلك يؤدى إلى مخالفة الجمهور ومن جعل ما المصدرية من قبيل الاسماء كما هو رأى الاخفش وابن السراج يرجع إليها الضمير وفي إرجاعه إلى الحق بادعاء كونه من كوزا في الاذهان ما لا ينبغي من التعسف (كذلك) أي مثل ذلك الطبع المحكم (نطبع) بنون العظمة وقري بالياء على أن الضمير لله سبحانه (على قلوب المعتدين) المتجاوزين عن الحدود المعهودة في الكفر والعناد المتجافين عن قبول الحق وسلوك طريق الرشاد وذلك بخلافهم وتخليتهم وشأنهم لانهم ما كره في الحق والضلال وفي أمثال هذا دلالة على أن الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد (ثم بعثنا) عطف على قوله تعالى ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم عطف قصة على قصة (من بعدهم) أي من بعد أولئك الرسل عليهم السلام (موسى وهرون) خصت بعثتهما عليهما السلام بالذكر ولم يكتف بالندراج خبرهما فيما أشير إليه إشارة إجمالية من أخبار الرسل عليهم السلام مع أقوامهم وأثر في ذلك ضرب تفصيل إيذاناً بخاطر شأن القصة وعظم وقعها كما في نبأ نوح عليه السلام (إلى فرعون وملئه) أي أشرف قومه وتخصيصهم بالذكر لاصالتهم في إدامة المصالح والمهمات ومراجعة الكل إليهم في النوازل والمهمات (بآياتنا) أي متبئين بها وهي الآيات المفصلات في الاعراف (فأسامة كبروا) الاستكبار ادعاء الكبر من غير استحقاق والفاء فصيحة أي فأتياهم قبلهاهم الرسالة فاستكبروا عن اتباعها وذلك قول اللعين لموسى عليه السلام ألم نريك فينا وإيداً وليت فينا من عرل سنين الخ (وكانوا قوماً مجرمين) اعتراض مقترن بضمون ما قبله أي كانوا معتادين لارتكاب الذنوب العظام فإن الاجرام مؤذن بعظم الذنب ومنه الجرم أي الجثية فلذلك اجتروا على ما اجتروا عليه من الاستهانة برسالة الله تعالى وحمل الاستكبار على الامتناع عن قبول الآيات لإساعده قوله عز وجل (فما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا السحر مبين) فانه صريح في أن المراد باستكبارهم ما وقع منهم قبل مجيئ الحق الذي سموا مصرأ أعنى العصا واليد البيضاء كما ينبغي عنه سياق النظم الكريم وذلك أول ما أظهره عليه السلام من الآيات العظام والفاء فيه أيضاً فصيحة معربة

والعقوبة حتى ادعى الربوبية واسترق أسباط الانبياء والجماعة اعتراض تذييل مؤكده لضمون ما سبق
 (وقال موسى) لما رأى تخوف المؤمنين منه (يا قوم ان كنتم آمنتم بالله) أى صدقتم به وبآياته (فعليه توكلوا)
 وبه تثبوا ولا تخافوا أحدا غيره فإنه كافكم كل شر وضمر (ان كنتم مسلمين) مستسلمين اقضاء الله تعالى
 مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فإن المعلق بالايان وجوب التوكل عليه تعالى فإنه المفتضى له
 والمشروط بالاسلام وجوده فإنه لا يفتنى مع التخليط ونظيره ان أحسن اليك زيد فأحسن اليه ان قدرت عليه
 (فقالوا) محبين له عليه السلام من غير تعلف في ذلك (على الله توكلنا) لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ثم دعوا
 ربهم قائلين (ربنا لا تجعلنا قسمة) أى موقع قسمة (للقوم الطالمين) أى لاطاعهم علينا حتى يعذبونا
 أو يفتنونا عن ديننا أو يفتنونا بشاريتهم ولو كان هؤلاء على الحق لما أصيبوا وقوله تعالى (وتجابر جثك من
 القوم الكافرين) دعاء منهم بالانجاء من سوء جوارهم وشوم مصاحبتهم بعد الانجاء من ظلمهم ولذلك عبر
 عنهم بالكفر بعد ما وصفوا بالطم وفي ترتيب الدعاء على التوكل تلوح بأن الداعي حقه أن يبنى دعاءه على التوكل
 على الله تعالى (وأوحينا الى موسى وأخيه أن نبأ) أن مفسرة لأن في الوحي معنى القول أى اتخذامباة
 (القوم كجاسريونا) تسكنون فيها وترجعون اليها للعبادة (واجعلوا) أنفوا وقومكم (بيوتكم) تلك
 (قبله) مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعنى الكعبة فإن موسى عليه السلام كان يصلى اليها
 (وأقيموا الصلوة) أى فيها أمر وابدلك في أول أمرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم
 (وبشر المؤمنين) بالنصرة في الدنيا اجابة لدعوتهم والجنة في العقبى وانما اثني النعمتين أولاً لان النبوة للقوم
 واتخاذ المعابد مما يتولاه رؤساء القوم يتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة فيها مما ينفع كل أحد
 ثم وحده لان بشارة الامة وظيفة صاحب الشريعة ووضع المؤمنين موضع ضمير القوم المدعاهم بالايان
 وللإشارة بأنه المدار في التبشير (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملائه زينة) أى ما يزين به من
 اللباس والمراكب ونحوها (وأموالا) وأنواعا كثيرة من المال (في الحياة الدنيا ربنا ابضوا عن سبلنا)
 دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم عمارسة أحوالهم أنه لا يكون غيره كقولك ان الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهى
 متعلقة بآيت أوله لان ابتداء النعم على الكفر استدرج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها ذريعة
 الى الضلال فكأنهم أو توها بضلوا فيكون ربنا تكرير الاول تأكيذا وتنبها على أن المقصود عرض ضلالهم
 وكفرانهم مقدمة لقوله تعالى (ربنا اطعمهم على أموالهم) الطمس المحو وقرئ بضم الميم أى أهلكها
 (واشدد على قلوبهم) أى اجعلها قاسية واطبع عليهم ما حتى لا تشرح للايان كما هو قضية شأنهم (فلا
 يؤمنوا) جواب للدعاء اودعوا بلفظ النهى او عطف على ابضوا وما بينهما دعاء معترض (حتى يروا العذاب
 الاليم) أى يعاينوه ويوقنوا به بحيث لا ينفعهم ذلك اذ ذلك (قال قد أجيب دعوتكما) يعنى موسى وهرون
 عليهم السلام لانه كان يؤمن كما ينهيه به اضافة الرب الى ضمير المتكلم مع الغير في المولف الثلاث (فاستقيما)
 فاتباعا على ما اتبعنا عليه من الدعوة والزام الحق ولا تستجلا فان ما طلبتما فأتين في وقته لاحالة روى انه مكث
 فيهم بعد الدعاء أربعين سنة (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) أى بعادات الله سبحانه في تعليق الامور
 بالحق والمصالح أو سبيل الجهلة في الاستجبال أو عدم الوثوق بوعد الله تعالى وقرئ بالنون النفيقة
 وكسر هاء الالتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان أيضا (وبجاوزنا بني اسرائيل البحر) هو من جاوز
 المكان اذا اجتخطه وخلفه والياء للتعدي أى جعلناهم مجاوزين البحر بان جعلناه يسا وحفظناهم حتى بلغوا
 الشط وقرئ جاوزنا وهو من التجاوز المرادف للعجاجة لا عما هو يعنى التنفيذ نحو ما وقع في قول الاعشى
 كما جاوز السكى في الباب فيتنى والاقبيل وجوزنا بني اسرائيل في البحر ونظرا للنظم الكريم عن الايدان
 بانه صا لهم عن البحر وبمقارنة العناية الالهية لهم عند الجواز كما هو المشهور في الفرق بين اذهبه وذهب به
 (فاتبعهم) يقال تبعته حتى اتبعته اذا كان سبقك فطقت أى أدركهم ولحقهم (فرعون وجنوده) حتى
 تراءت الفئتان وكاد يجتمع الجماعة (بغيا وعدوا) ظلموا واعتداه أى باغين وعادين أولي بغى والعدون وقرئ
 وعدوا وذلك أن موسى عليه السلام خرج بنى اسرائيل على حين غفلة من فرعون فلما سمع به تبعهم حتى لحقهم

أى قوله كما جاوز الخ السكى
 يفتح السين المهملة وتشديد
 الكاف آخره مثناة تحتية
 هو الممار كالسكى والغيتى
 يفتح الفاء وسكون المثناة
 التحتية وفتح المثناة فوقية
 آخره فاف على وزن فاعل
 هو التجار هكذا يستفاد من
 الصحاح الا انه روى البيت
 في مادة ف ت ن هكذا
 ولا بد من جار مجرى سبيلها
 كما سلك السكى في الباب فيتنى
 وكذلك في مادة س ل ن
 الا ان ما هنا أنسب
 بالمسراع الاول قدس
 إله معصية

ووصل الى الساحل وهم قد خر جوار من البحر ومسلكه هم باق على حاله يسافلكه بجحوده أجمعين فلما دخل
 آخرهم وهم أولهم بالخروج غشيمهم من اليم ما غشيمهم (حتى اذا أدركه الغرق) أي لحقه وألجمه (قال أنت انت
 أي بأنه والتمير للشان وقرئ انه على الاستئناف بدل من أنت وتفسيره (لا اله الا الذي آمننت به بنو
 اسرائيل) لم يقل كما قاله السحرة آمنت برب العالمين رب موسى وهرون بل عبر عنه تعالى بالموصول وجعل صلته
 ايمان بنو اسرائيل به تعالى للاشعار برجوعه عن الاستعصاء وباتباعه لمن كان يستتبعهم طمعا في القبول
 والانتظام معهم في سلك النجاة (وأنا من المسلمين) أي الذين أسلموا أنفسهم لله أي جعلوها سالمة خالصة له
 تعالى وأراد بهم اسم المتابعين اسرائيل خاصة وأما الجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا والجملة على الأول عطف
 على آمنت واينثار الاسمية لادعاء الدوام والاستمرار وعلى الثاني يحتمل الحسابية أيضا من ضمير المتكلم أي آمنت
 بخلق الله من نظام في سلك الراسخين فيه ولقد كثر المعنى الواحد بثلاث عبارات حرصا على القبول المفضي الى
 النجاة وهي هات هي هات بعد ما فات ما فات وأنى ما هوات وقوله عز وجل (الآن) مقول لقول مقدر
 معطوف على قال أي فقبل الآن وهو الى قوله تعالى آية حكاية لما جرى منه سبحانه من الغضب على المخسذول
 ومثابه ما أظهره بالرد على وجه الانكار التوبيخي على تأخيرهم وتقر به بالعصيان والافساد وغير ذلك
 وفي حذف الفعل المذكور وبرا من الخبر المحكي في صورة الانشاء من الدلالة على عظم السخط وشدته الغضب
 ما لا يخفى كما يفسح عنه ما روي من أن جبريل دس فاه عند ذلك بحال البحر وسد به فاهه تا كيد للردة القولية
 بالردة القولية ولا ينافيه تعليله بمخافة ادراك الرحمة فيما نقل أنه قال للنبي عليه السلام فلورا أتني يا محمد
 وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة اذا مراد بها الرحمة الدنيوية أي النجاة التي هي
 طلبية المخسذول وليس من ضرورة ادراكها صحة الايمان كما في ايمان قوم يونس عليه السلام حتى يلزم من
 كراهته ما لا يتصور في شأن جبريل عليه السلام من الرضا بالكفر اذا لا استحالة في ترتب هذه الرحمة
 على مجرد النفوق بكلمة الايمان وان كان ذلك في حالة البأس واليأس فيحصل دسه عليه السلام على سبب باب
 الاحتمال البعيد لكل الغفلة وشدته الخرد فتدبر والله الموفق وحق العامل في الطرف أن يقدروا مؤخر
 ليتوجه الانكار والتوبيخ الى تأخير الايمان الى حد يتبع قبوله فيه أي الآن تؤمن حين يثبت من الحياة
 وأثبتت بالمات وقوله عز وجل (وقد عصيت قبيل) حال من فاعل الفعل المقدري به تشديد التوبيخ
 والتوبيخ على تأخير الايمان الى هذا الآن بيان أنه لم يكن تأخيرهم لعدم بلوغ الدعوة اليه ولالتأمل
 والتدبر في دلائله وآياته ولا شيء آخر مما عسى بعد عذرا في التأخير بل كان ذلك على طريقة الرد والاستعصاء
 والافساد فان قوله تعالى (وكنتم من المفسدين) عطف على عصيت داخل في حيز الحالك أي وكنتم
 من الغالين في الضلال والاضلال عن الايمان كقوله تعالى الذين كفروا وصعدوا عن سبيل الله زدناهم
 عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فهذا عبارة عن فساد الراجع الى نفسه والسارى الى غيره من
 الظلم والتعدي وصدي اسرائيل عن الايمان والاول عن عصيانه الخاص به (قال يوم نصيبك) أي تخرجك
 مما وقع فيه قومك من قعر البحر وتجعلك طافيا وفي التعبير عنه بالنجاسة تلويح بأن مراده بالايمان هو النجاة
 كما مر ونصيبك به أو نلقيك على نجوة من الارض لبر النبوة اسرائيل وقرئ نصيبك من النجاة ونصيبك بالحاء
 من النجاسة أي نلقيك بناحية الساحل (بيدك) في موضع الحال من ضمير الخطاب أي نصيبك ملابسا
 بيدك فقط لامر روحك كما هو مطلوبك فهو نصيبك وحدهم لاطماعة بالمرزة أو عاريا عن اللباس أو كمالا سوا
 أو بدورك وكانت له درع من الذهب يعرف بها وقرئ بأبدانك أي بأجزاء بدنك كلها كقولهم هوى بأجرامه
 أو بدور عنك كأنه كان مظاهرا بينها (لتكون لمن خلفك آية) لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذا كان
 في نحوهم من عظمت ما خيل اليهم انه لا يملك حتى يروى أنهم لم يصعدوا موسى عليه السلام حين أخبرهم بغرقه
 الى أن عاينوه مطرعا على عثرهم من الساحل أو تكون لمن يأتي بعدك من الامم اذا سمعوا ما آل أمر لمن
 شاهد له عبرة ونكالا من الطغيان أو حجة تدلهم على أن الانسان وان بلغ الغاية القصوى من عظم الشان وعلو
 الكبرياء وقوة السلطان فهو مخلوق مقهور ربي عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلفك فعلا ماضيا أي لمن خلفك

قوله بحال البحر يطلق الحال
 كما في انما مرس على الطين
 الاسود وعلى التراب اللين
 وله المراد هنا ٥١

من الجبارة وقرئ ان خلقك بالقاف أى لتكون نكاحك آية كسائر الآيات فان افراده سبحانه اياك باللقاء
الى السائل دليل على أنه قد مد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة في أمرك وبرهان نبر على كمال علمه وقدرته
وحكمته وارادته وهذا الوجه محتمل على القراءة المشهورة أيضا وفي تعديل نحيته بما ذكرنا ان بانهم ليست
لا عزازة اولفائدة أخرى عائدة اليه بل لكمال الاستهانة به وتفضيحه على رؤس الاشهاد وزيادة تظليع حاله
كن يقتل ثم يجزجسده في الامواق أو يدابر أسه في البلاد واللام الاولى متعلقة بنحيك والثانية بمجدوف
وقع حالا من آية أى كائنه لمن خلفك (وان كثيرا من الناس عن آياتنا فاقولون) لا يثبته كرون فيها ولا يعتبرون
بها وهو اعتراض تذييلي يحى به عند الحكاية تقريراً لقوى الكلام المحكى (ولقد بقوا نافي اسرائيل)
كلام مستأنف سيوقايبان النعم الفائضة عليهم انزعمة الاستجابة على وجه الاجمال واخلاصهم بشكرها وأداء
حقوقها أى اسكتهم وأنزلناهم بعدما فييناهم وأهلك أعداءهم (مبوا صدق) أى منزلنا لصلحنا مرضيا
وهو الشأم ومصر ملكوهم بعد القراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيهم ما حبا نطق به قوله تعالى وأورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها (ورزقناهم من الطيبات) أى
اللذائذ (فما استلهوا) في أمر دينهم (حق جاءهم العلم) أى الابدع ما جاءهم العلم بقراءة تم التوراة
وعلمهم بأحكامها أوفى أمر محمد عليه الصلاة والسلام الامن بعدما علموا صدق نبوته وتظاهرهم بمجراته فالمراد
بالمختلفين أعقابهم الذين كانوا في عصر النبي عليه الصلاة والسلام (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا
فيه يختلفون) فيميز بين الحق والمبطل بالاثابة والتعذيب (فان كنت في شك) أى في شك ما يسير على القرض
والتعدي فان مضمون الشرطية انما هو تعليق نبي بشئ من غير تعرض لامكان شئ منه كما كيف لا وقد يكون
كلامهم امتنعا كقوله عز وجل قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين وقوله تعالى لن أشركت ليعبطن علمك
وتظايرها (فما أنزلنا اليك) من القصص التي من جعلتها قصة فرعون وقومه وأخبار بني اسرائيل
(فما ألد الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) فان ذلك محقق عندهم ثابت في كتبهم حسبا ألقينا اليك والمراد
اظها لنبوته عليه السلام بشهادة الاخبار حسبا هو المسطور في كتبهم وان لم يكن اليه حاجة أصلا
أو وصف أهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصدقه نبوته عليه السلام أو تهيج به عليه السلام وزيادة تهيئته على
ما هو عليه من اليقين لا تجوز صدور الشك منه عليه السلام ولذلك قال عليه السلام لا أشك ولا أسأل وقيل
المراد بالوصول مؤمنوا أهل الكتاب ~~عبد الله بن سلام~~ وعيم الدارى وكعب وأضرابهم وقبل الخطاب
لتبجي عليه السلام والمراد أمته أو لكل من يسمع أى ان كانت أعيان السامع في شك مما أنزلنا اليك على
لسان نبينا وفيه تنبيه على أن من خالجه شبهة في الدين ينبغي أن يسارع الى حلها بالرجوع الى أهل العلم
وقرئ فاسأل الذين يقرؤن الكتب (لقد جاء الحق) الذى لا محيد عنه ولا ريب في حقيقته (من ربك)
وظهر ذلك بالآيات القاطعة التي لا يحدم حولها شائبة الارتباب وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى صغيره عليه السلام من التشريف ما لا ينبغي (فلا تـ~~كونون~~ من المسمرين) بالترزل عما أنت عليه من
الجزم واليقين ودم على ذات كما كنت من قبل (ولانكون من الذين كذبوا بآيات الله) من باب التهيج
والالهاب والمراد به اعلام أن التـ~~كذب~~ من القبح والمحدورية بحيث ينبغي أن ينهوا عنه من لا يتصور
امكان حدوثه عنه فكيف يمكن انصافه به وفيه قطع لاطماع الكفرة (فـ~~تكونون~~) بذلك (من المسمرين)
أنفسا وأعمالا (ان الذين حقت عليهم) شروع في بيان سر اصرار الكفرة على ما هم عليه من الكفر
والضلال أى ثبتت ووجبت بمقتضى المشيئة المبينة على الحكمة البالغة (كلمة ربك) حكمه وقضاؤه
بأنهم يموتون على الكفر ويخلدون في النار كقوله تعالى ولـ~~كن~~ حق القول منى لاملات جهنم الى آخره
(لا يؤمنون) أبدا اذ لا كذب لـ~~لامه~~ ولا انتقاص لقضائه أى لا يؤمنون ايمانا تاما فاعا واقعا في آوائه
في تدرج فيهم المؤمنين عندهم عايشة العذاب مثل فرعون باقيا عند الموت فيدخل فيهم المرتدون
(ولو جاءتهم من كل آية) واضحة المدلول مقبولة لدى العقول لان سبب ايمانهم وهو تعلق ارادته تعالى به مفقود
لكن فقد انه ليس لمنع منه سبحانه مع استحقاقهم له بل لسوء اختيارهم المتفرع على عدم استعدادهم لذلك

(حتى يروا العذاب الاليم) كذاب آل فرعون وأضرابهم (فلولا كانت) كلام مستأنف لتقرر ما سبق من استحالة ايمان من حقت عليهم كلمته تعالى لدواء اختيارهم مع غمكهم من التدارك فيكون الاستثناء الاتي بياناً لكون قوم يونس عليه السلام ممن لم يحق عليه الكلمة لاهتمامهم الى التدارك في وقته ولولا معنى خلا وقريه كذلك أى فهلا كانت (قربة) من القرى المهلكة (آمنت) قبل معاينة العذاب ولم تؤخر ايمانها الى حين معاينته كما فعل فرعون وقومه (فنفخها ايمانها) بأن يقبل الله تعالى منها ويكشف بسببه العذاب عنها (الا قوم يونس) استثناء منقطع أى لكن قوم يونس (لما آمنوا) اول ما رأوا أمارات العذاب ولم يؤخروا الى حلوله (كشفتنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا) بعدما اظلمهم وكاد يحل بهم ويجوز أن تكون الجملة في معنى النفي كما يفصح عنه حرف التحضيض فيكون الاستثناء متصلاً اذا المراد بالقرى اهلها كانه قيل ما آمنت طائفة من الامم العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس عليه السلام فيكون قوله تعالى لما آمنوا استثناء فليبين نفع ايمانهم وبؤيده قراءة الرفع على البدلية (ومتعناهم) بمتاع الدنيا بعد كشف العذاب عنهم (الى حين) مقدراً لهم في علم الله سبحانه روى أن يونس عليه السلام بعث الى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مفاضيلهم فافقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وبجروا أربعين ليلة وقيل قال لهم يونس عليه السلام اجلسوا في الدخان ففعلوا ان رأوا سباب الهلاك آمنوا بك فلما مضت خمس وثلاثون غامت السماء غيماً اسودها فلا يدخن دخاناً شديداً ثم يهب طغياناً يغشى مدينتهم ويستود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بأنفسهم ونساءهم وصبيانهم ودوابهم وفزقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب وأولادها حتى بعضها الى بعض وعلت الاصوات والجمجج وأظهروا الايمان والتوبة ونصر عوا الى الله تعالى فرجعهم وكشف عنهم وكان ذلك يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود رضى الله عنه بلغ من قوتهم أن تراذوا المقالم حتى ان الرجل كان يتسلخ الخيروف قد وضع عليه اسام بناته فيرد الى صاحبه وقيل خرجوا الى شيخ من بنية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فأتى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي الموقى ويا حي لا اله الا انت فقالوا فما فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل فاعمل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله (ولو شاء ربك لا آمن من في الارض) تحقيقاً لدوران ايمان كافة المكلفين وجوداً وعدمه على قطب مشيئته تعالى مطلقاً اثرياً بانية كفراً الكثرة لكلمته ومفعول المشيئة محذوف لوجود ما يقتضيه من وقوعها شرطاً وكون مفعولها ممنون الجزاء وأن لا يكون في تعلتها به غرابة كما هو المشهور رأى لو شاء سبحانه ايمان من في الارض من النقلين لا آمن (كلهم) بحيث لا يشذ عنهم احد (جميعاً) مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه لكنه لا يشاء لكونه مخالفاً للحكمة التي عليها بنى اساس التكوين والتشريع وفيه دلالة على أن من شاء الله تعالى ايمانه يؤمن لاحالة (أفأنت تكره اساس) على ما لم يشاء الله منهم حسباً ينبغي عنه حرف الامتناع في الشرطية والافعال لاطف على مقدّر يشعب عليه الكلام كانه قيل اربك لا يشاء ذلك فأنت تكرههم (حتى يكونوا مؤمنين) فيكون الانكار متوجهاً الى ترتيب الاكراه المذكور على عدم مشيئته تعالى ويجوز أن تكون الفاء لترتيب الانكار على عدم مشيئته تعالى بناء على أن الهزاة متأخرة في الاعتبار وانما قدمت لاقترانها الصدارة كما هو رأى الجمهور وأياً ما كان فالمشيئة على اطلاقها اذ لا فائدة بل لا وجه لاعتبار عدم مشيئة الاجزاء خاصة في انكار الترتيب عليه أو ترتيب الانكار عليه وفي ادلاء الاسم حرف الاستفهام ايذاناً بأن الاكراه امر ممكن لكن الشأن في المكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشارك فيه لانه القادر على أن يفعل في قلوبهم ما يبطرهم الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وفيه ايذان باعتبار الاجزاء في المشيئة كما اشير اليه (وما كان لنفس) بيان اتبعية ايمان النفوس المؤمنة لمشيئته تعالى وجوداً بعديان الدوران الكلي عليها وجوداً وعدمه ما أى ما صح وما استقام لنفس من النفوس التي علم الله تعالى أنها تؤمن (ان تؤمن الا باذن الله) أى يتسهله ومضه للاطاف وانما خصت النفس عن ذكره ولم يجعل من قبيل قوله تعالى وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله لان الاستثناء مفرغ من اعم الاحوال أى ما كان لنفس أن تؤمن في حال من أحوال الاحال كونها ملازمة باذنه تعالى فلا بد من كون الايمان مما يؤول اليه سالها كما أن الموت ما ل

لكل نفس بحيث لا يحصى اهاعته فلا بد من تخصيص النفس عن ذكر فان النفوس التي علم الله انها لا تؤمن
 ليس لها حال تؤمن فيها حتى يستثنى تلك الحال من غيرها (ويجعل الرجس) أى الكفر بشيئة ما قبله عبر
 عنه بالرجس الذي هو عبارة عن القبيح المستقذر المستكره لكونه علما في القبح والاستكرام وقيل هو العذاب
 أو الخذلان المؤدى اليه وقرئ بنون العظمة وقرئ بازاي أى يجعل الكفر ويؤيقبه (على الذين لا يعقلون)
 لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات أو لا يعقلون دلائل وأحكامه لما على قلوبهم من الطبع فلا يحصل
 لهم الهداية التي عبر عنها بالاذن فيبقون مغموين ببقايع الكفر والضللال أو مقهورين بالعذاب والشكال
 والجملة معطوفة على مقتدرين يجب عليه النظم الكريم كأنه قيل فبأذن لهم بفتح الاطاف ويجهل الخ (قل)
 مخاطبا لاهل مكة بعناهم على التدبر في ملكوت السموات والارض وما فيه من تعجيب الآيات الانفسية
 والافاقية ليتضح لك أنهم من الذين لا يعقلون وحقت عليهم الكلمة (انظروا) أى تفكروا وقرئ بتقل
 حركة الهمزة الى لام قل (ماذا في السموات والارض) أى اى شئ يدع فيهم ما من عجائب صنعته الدالة على
 وحدته وملكه مال قدرته على أن ماذا جعل بالتركيب اسم واحد مغليا فيه الاستفهام على اسم الاشارة
 فهو مبتدأ أخبره الظرف ويجوز أن يكون ما مبتدأ وذاعه في الذي والظرف صلته والجملة خبر له مبتدأ وعلى
 التدبرين فالبتدأ والخبر في محل نصب باسقاط الخافض وفعل النظر معلق بالاستفهام (وما تعنى) أى
 ما تنفع وقرئ بالتذكير (الآيات) وهي التي عبر عنها بقوله تعالى ماذا في السموات والارض (والنذر)
 جمع نذير على انه فاعل بمعنى منذر أو على أنه مصدر أى لا تنفع الآيات والرسائل المنذرون أو الانذارات (عن
 قوم لا يؤمنون) في علم الله تعالى وحكمه خاتمية والجملة اما حالية أو اعتراضية ويجوز كون ما استفهامية
 انكارية في موضع نصب على المصدرية أى اى اغناء تعنى الخ فالجملة تحث على اعتراضية (فهل ينظرون)
 أى مشركو مكة وأشراهم (الامثال ايام الذين خلوا) أى الايام ما مثل أيام الذين خلوا (من قبلهم)
 من مشركي الامم الماضية أى مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم أيام العرب
 لو قاتعها (قل) تهديد الهيم (فاتظروا) ما هو عاقبتكم (انى معكم من المستظرين) لذلك (ثم نجي
 وسلما) بالتشديد وقرئ بالتخفيف وهو عطف على مقتريدل عليه قوله مثل أيام الذين خلوا وما بينهما
 اعتراض على به مسارعة الى التهديد ومبالغة في تشديد الوعيد كأنه قيل اهلك الامم ثم نجيتنا ورسلا الهيم
 (والذين آمنوا) وصيغة الاستقبال لحكاية الاحوال الماضية لتحويل أمرها باستحضار صورها وتأخير
 حكاية النتيجة عن حكاية الاهدال على عكس ما في قوله تعالى فنجيناك ومن معك في الفلك الخ ونظائره
 الواردة في مواقع عديدة ليتصل به قوله عز وجل (كذلك) أى مثل ذلك الانجاء (حقا علينا) اعتراض بين
 العامل والمعمول أى حق ذلك حقا وقيل بدل من المحذوف الذي ناب عنه كذلك أى انجاء مثل ذلك حقا
 والكاف متعلقة بقوله تعالى (فنجي المؤمنين) أى من كل شدة وعذاب والجملة تذييل لما قبلها مقترن بالخبر
 والمراد بالمؤمنين اما الجنس المتناول للرسول عليهم السلام والاتباع واما الاتباع فقط وانما يذكر انجاء الرسل
 اذ انما بعد عدم الحاجة اليه وأيا ما كان ففيه تنبيه على أن مدار النجاة هو الايمان (قل) لجهور المشركين (يا أيها
 الناس) اثر الخطاب باسم الجنس مصدر الجوف التنبيه تعميما للتبليغ واظهار الكمال العناية بشأن ما بلغ اليهم
 (ان كنتم في شك من ديتي) الذي اتعبد الله عز وجل به وأدعوك اليه ولم تعلموا ما هو وما صفته (فلا تعبدوا الذين
 تعبدون من دون الله) في وقت من الاوقات (والذين اعبدوا الله الذي يتوفاكم) ثم يفعل بكم ما يفعل
 من فنون العذاب أى فاعلموا أنه تخصيص العبادته ورفض عبادة ما سواه من الاصنام وغيرها مما تعبدونه
 جهلا وتقدم ترك عبادة الغير على عبادة تعالى لتقدم الكلية على التولية كما في كلمة التوحيد وللأيدان
 بالمخالفة من أول الامر أو ان كنتم في شك من صحة ديتي وسدادها فاعلموا أن خلاصته اخلاص العبادات لمن
 يبدؤا بعبادته والاعدام دون ما هو بمنزل منهم ما من الاصنام فاعرضوها على عقولكم وأجيبوا فيها أنكاركم
 وانظروا فيها بين الانصاف لتعلموا انه حق لا ريب فيه وفي تخصيص التوفى بالذكور متعلقا بهم ما لا يخفى
 من التهديد والتعريض عما هم فيه بالشك مع كونهم فاطعين بعدم العصاة للأيدان بأن اقصى ما يمكن عروضة
 للعاقل في هذا الباب هو الشك في صحته وأما التقطع بعدمها فلما لا سبيل اليه أو ان كنتم في شك من نياتي

على الدين فاعلموا أني لا اتركها أبدا (وأمرت أن أصكون من المؤمنين) بمادل عليه العقل ونطق به الوحي وهو قصر يخبر بأن ما هو عليه من دين التوحيد ليس بطريق العقل الصريح بل بالامداد السماوي والتوفيق الالهي وحذف حرف الجزم من أن يجوز أن يكون من باب الحذف المطرد مع أن وأن وأن يكون خاصا بفعل الامر كما في قوله امرت أن الخير فافعل ما أمرت به (وأن أقم وجهك للدين) عطف على أن يكون خلافاً من أنه أن محكية بصيغة الامر ولا خير في ذلك لأن مناط جواز وصلها بصيغ الافعال دلالة على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والطلبية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجل وهي لا توصف الا بالجل الخبرية وليس الموصول الخبري كذلك أي وأمرت بالاستقامة في الدين والاستبدا فيه بأداء المأمورية والالتها عن المنهي عنه أو بالاستقبال القبلة في الصلاة وعدم الانفات الى المين والشمال (حنيفاً) حال من الدين أو الوجه أي ما تلاعن الاديان الباطلة (ولا تكون من المشركين) عطف على أقم داخل تحت الامر أي لا تصكون منهم اعتقاداً ولا عملاً وقوله عز وجل (ولا تدع) عطف على قوله تعالى قل يا أيها الناس غير داخل تحت الامر وقيل على ما قبله من النهي والوجه هو الاول لأن ما بعده من الجمل الى آخر الآية متصلة لا يمكن فصل بعضها عن بعض كما ترى ولا وجه لادراج الكل تحت الامر وهو تاكيد للنهي المذكور وتفصيل لما جعل فيه اظهار الكمال العناية بالامر وكشفاً عن وجه بطلان ما عليه المشركون أي لا تدع (من دون الله) استقلالاً ولا اشتراكاً (ما لا يتفعل) اذا دعوته يدفع مكروه أو جلب محبوب (ولا يضرك) اذا تركته بسبب المحبوب دفعاً أو رفعاً أو بإيقاع المكروه وتقديم النفع على الضرر رغبتي عن بيان السبب (فان فعلت) أي ما نهيت عنه من دعاء ما لا ينفع ولا يضرك كني به عنه تنويع الشأنه عليه السلام وتنبهها على رفعة مكانه من أن ينسب اليه عبادة غير الله سبحانه ولو في ضمن الجملة الشرطية (فانك اذا من الظالمين) جزاء للشرط وجواب لسؤال من يسأل عن تبعه ما نهى عنه (وان يمسك الله بضرة) تقرير لما أورد في حيز الصلة من سلب النفع من الاصنام وتصور لا اختصاصه به سبحانه (فلا كاشف له) عنك كما تنامن كان وما كان (الاهو) وحده فيثبت عدم كشف الاصنام بالطريق البرهاني وهو بيان لعدم النفع برفع المكروه المستلزم لعدم النفع بحجب المحبوب استلزاماً لما ظاهراً فان رفع المكروه ادنى مراتب النفع فاذا اتقى اتقى النفع بالكلية (وان يردك بخير) تحقيق لسلب الضرر الوارد في حيز الصلة أي ان يرد أن يصيبك بخير (فلا راد لضره) الذي من جلته ما ارادك به من الخير فهو دليل على جواب الشرط لا نفس الجواب وفيه ايدان بأن فيضان الخير منه تعالى بطريق التفضل من غير استحقاق عليه سبحانه أي لا احد يقدر على رده كما تنامن كما كان فيدخل فيه الاصنام دخولا اولياً وهو بيان لعدم ضرر ما يدفع المحبوب قبل وقوعه المستلزم لعدم ضررها برفعها أو بإيقاع المكروه استلزاماً ما جلياً ولعل ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضرر مع تلازم الامرين فلا يذيان بأن الخير مراد بالذات وأن الضرر انما عي من عيها لوجبه من الدواعي الخارجية لا بالاقصد الاولي أو اريد معنى الفعلين في كل من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منه ما ولا منيل لما يصيب به منها فإوجز الكلام بأن ذكر في احدهما المس وفي الآخر الارادة ليبدل بما ذكر في كل جانب على ما ترك في الجانب الآخر على أنه قد صرح بالاصابة حيث قيل (يصيب به) اظهار الكمال العناية بجانب الخير كما ينبغي عنه ترك الاستغناء فيه أي يصيب بفضل الواسع المنتظم لما ارادك به من الخير وجعل النضل عبارة عن ذلك الخير بعينه على أن يكون من باب وضع المظهر في موضع المضموع لما ذكر من الفائدة بأبواب قوله عز وجل (من يشاء من عباده) فان ذلك ينادى بعموم الفضل وقوله عز وجل (وهو الغفور الرحيم) تذييل لقوله تعالى يصيب به الخ مقترن لمضمونه والكل تذييل للشرطية الاخيرة بحقق لمضمونها (قل) مخاطباً بالاولئك الكفرة بعدما بلغتهم ما وحي اليك (يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم) وهو القرآن العظيم المشتغل على محاسن الاحكام التي من جلتها ما مر آتفاً من أصول الدين واطاعتهم على ما في تضاعيفه من البينات والهدى ولم يبق لكم عذر (فمن اهتدى) بالايان به والعمل بما في مطاويه (فانما يهدي نفسه) أي منفعة اهتدائه لها خاصة (ومن ضل) بالكفر به والاعراض عنه (فانما يضل عليها) أي فويل الضلال مقصور عليها والمراد تنزيه ساحة الرسالة عن شائبة غرض عائذ اليه عليه السلام من جلب

نفع أو دفع ضرر كما يلوح به اسناد الجبى الى الحق من غير اشعار بكون ذلك بواسطة (وما انا عليكم بوكيل)
 بحيث موكل الى امرهم وانما اثبات سير وتدبير (واتبع) اعتقادا وعلا وتبليغا (ما يوحى اليك) على
 نهج التجدد والاستقرار من الحق المذکور المتأكد بما فيوما وفى التعبير عن بلوغه اليهم بالجبى واليه
 عليه السلام بالوحى تنبيه على ما بين المرتبتين من التناقض (واصبر) على ما يعتريك من مشاق التبليغ (حق)
 يحكم الله) بالنصرة عليهم أو بالأمر بالقسطال (وهو خير الحاكمين) اذ لا يمكن الخطأ فى حكمه لاطلاعا على
 السر أو اطلاعا على الظواهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطى له من الاجر عشر
 حسنات بعدد من صدق يونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون والحمد لله وحده

(سورة هود عايمه السلام مكية وهى مائة وثلاث وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) محله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف وقيل على أنه مبتدأ والا قول هو الاظهر كما اشير اليه فى سورة
 يونس او النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اذكر أو اقرأ على تقدير كونه اسما للسورة على ما عليه الطبايق
 الاكثر أو لا محل له من الاعراب مسرود على غط التعديد حسبما فصل فى اخواته وقوله تعالى (كتاب) خبر
 له على الوجه الثانى ولمبتدأ محذوف على الوجوه الباقية (احكمت آياته) نظمت نظاما متناظرا لا يعتربه خلل
 بوجه من الوجوه أو جعلت حكمة لا نظوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها أو صنعت من النسخ
 بعضى التغيير مطاقا أو أيدت بالجمع الشاطعة الدالة على كونها من عند الله عز وجل أو على ثبوت مدلولاتها
 فالمراد بالآيات جميعها أو على حقيقة ما تشتمل عليه من الاحكام الشرعية فالمراد بها بعضها المستقل عليها
 كما اذا فسر الاحكام بالمنع من النسخ بمعنى تبديل الحكم الشرعى خاصة وأما تفسيره بالمنع من الفساد اخذا
 من قواهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لئلا يفسد منها الجراح ففيه ايها ما لا يكاد يليق بشان الآيات
 الكريمة من التداعى الى الفساد لولا المانع وفى اسناد الاحكام على الوجوه المذكورة الى آيات الكتاب
 دون نفسه لاسيما على الوجوه الشاملة لكل آية آية منه من حسن الموقع والدلالة على كونه فى اقصى غاية منه
 ما لا يحصى (ثم فصلت) أى جعلت قصولا من الاحكام والدلائل والمواعظ والقصص أو فصلت فيها مهمات
 العبادى فى العاش والمعاد على الاسناد الجازى والتفسير يجعلها آية آية لا يساعده المقام لان ذلك من الاوصاف
 الاولية لها فلا يناسب عطفه على احكامها بكلمة التراخي وأما المانع من الاطلاق فانه ما وان كانا مع الاحكام
 زمانا حيث لم تزل الآيات محكمة مفصلة لأنها احكمت أو فصلت بعد أن لم تكن كذلك اذا اعلان من قبيل
 قواهم سبحانه من صفير البعوض وكبر الفيل الا انهم ما حيث كانا من صفات الآيات باعتبار نسبة بعضها الى
 بعض على وجه يستتبع احكاما مخصوصة وآثارا معتد بها وبملاحظة مصالح العباد تناسب أن يشار الى
 تراخي رتبتهما عن رتبة الاحكام وانما جعلها آية آية على معنى تفرق بعضها عن بعض يكون من هذا
 القليل الا انه ليس فى مشابهة فى استتباع ما يستتبعه من الاحكام والانتار أو فزقت فى التزييل خفيفة
 بحسب المصالح فان اريد تنزيلها المنجسم بالفعل فالتراخي زمانى وان اريد جعلها فى نفسها بحيث يكون نزولها
 منجما حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فهو رتبى لان ذلك وصف لازم لها حقيق بأن يرتب على وصف احكامها
 وقرئ احكمت آياته ثم فصلت على صيغة التكامل وعن عكرمة والفضال ثم فصلت أى فرق بين الحق والباطل
 (من لدن حكيم خبير) حصة للكتاب وصف بها بعد ما وصف باحكام آياته وتفصيلها الدالين على علو رتبته من
 حيث الذات ابانة بل لالة شأنه من حيث الاضافة أو خبر بعد خبر للمبتدأ المذکور أو المحذوف أو موصلة
 للفعلين وفى بناءهما للمفعول ثم اراد الفاعل بعنوان الحكمة البالغة والاساطة بجلائلها ودقائقها منكرها
 بالتمكيد التفضيلى وربطها بما به لا على النهج المعهود فى اسناد الافاعيل الى قواهم مع رعاية حسن الطبايق
 من الجزالة والدلالة على نظامتها وكونها على اكمل ما يكون ما لا يكتنه كنه (الآن تعبى الله واولاؤه)
 مفعول له محذوف عنه اللام مع فقد ان الشرط أعنى كونه فعلا للفاعل الفعل الماعل جريا على سنن القياس المطرد
 فى حذف حرف الجر مع أن المصدرية كانه قيل كتاب احكمت آياته ثم فصلت لئلا تعبدوا الا الله أى لتتركوا
 عبادة غير الله عز وجل وتجمعوا فى عبادة فان الاحكام والتفصيل على ما فصل من المعانى عما يدعوههم الى

الايمان والتوحيد وما يترفع عليه من الطاعات قاطبة وقيل أن مفسرة لما في التفصيل من معنى القول أى
 قيل لا تعبدوا الا الله (اننى لكم منه) من جهة الله تعالى (نذير) انذركم عذابه ان لم تتركوا ما انتم
 عليه من الكفر وعبادة غير الله تعالى (وبشير) ابشركم بنوابه ان آمنتم به وتعمستم في عبادته ولما ذكر
 شؤون الكتاب من احكام آياته وتفصيلها وكون ذلك من قبل الله تعالى وأورد معظم ما نظم في سلك الغاية
 والامر من التوحيد وترك الاشراك ووسطيته وبين قريفيه اعنى الاستغفار والتوبة ذكر أن من نزل عليه
 ذلك الكتاب مرسل من عند الله تعالى ان يبلغ احكامه وترشيعها بالمؤيدات من الوعد والوعيد لا يذان بان
 التوحيد في اقصى مراتب الاهمية حتى أفرد بالذكر وأيد ايجابه بالخطاب غيب الكتاب مع تلويح بأنه كمالا
 يتحقق في نفسه الامقارنا لكم برسائته عليه السلام كذلك في الذكر لا يتفك أحد هـ ما عن الاسرة قد روى
 في سوق الخطاب بتقديم الانذار على التبشير ما روى في الكتاب من تقديم النفي على الاثبات والتخليص
 على التولية ليتجاوب اطراف الكلام ويجوز أن يكون قوله تعالى ألا تعبدوا الا الله كلاما منقطعا عما قبله
 واردا على لسانه عليه السلام اغراء لهم على اختصاصه تعالى بالعبادة كانه عليه السلام قال ترك عبادة غير الله
 أى الزموا على معنى اتركوا عبادة غير الله تركا مستمرا انى لكم من جهة الله تعالى نذير وبشير أى نذير انذركم من
 عقابه على تقدير استمراركم على الكفر وبشيرا بترككم بنوابه على تقدير ترككم له وتوحيدكم ولما سبق اليهم حديث
 التوحيد واكد ذلك بخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم على وجه الانذار والتبشير شرع في ذكر ما هو من تمانه
 على وجه يتنهن تفصيل ما اجل في وصف البشير والنذير فقبل (وأن استغفروا ربكم) وهو معطوف على
 أن لا تعبدوا على ما ذكر من الوجهين فعلى الاول أن مصدرية لجواز كون صلتها امرا أو نهيا كما في قوله تعالى
 وأن أقم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز كونها فعلا انما هو دلالة على المصدر وهو موجود فيهما ووجوب
 كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجل وهي لا توصف بها الا اذا
 كانت خبرية وأما الموصول الخبري فليس كذلك ولما كان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع
 الامر والنهي صلة حسبا ساغ وقوع الفعل في مجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية
 عن معنى المنهى والاستقبال (ثم توبوا اليه) عطف على استغفروا والكلام فيه كالصلاة فيه والمعنى
 فعل ما فعل من الاحكام والتفصيل انقصوا الله تعالى بالعبادة وتطلبوا منه استمرارا فطر منكم من الشرك ثم
 ترجعوا اليه بالطاعة أو تستمروا على ما أنتم عليه من التوحيد والاستغفار أو تستمروا من الشرك وتوبوا
 من المعاصي وعلى الثاني أن مفسرة أى قيل في أثناء تفصيل الآيات لا تعبدوا الا الله واستغفروا ثم توبوا اليه
 والتعريض لوصف الربوبية تلقين للخطابين وارشادهم الى طريق الاتيهال في السؤال وترشيع لما يعقبه من
 التمتيع وإتياء الفضل بقوله تعالى (يمتعكم متاعا حسنا) أى تمتعوا واتصبا به على أنه مصدر حذف منه الزوائد
 كقوله تعالى انبئكم من الارض نياتا أو على أنه مفعول به وهو اسم لما يتمتع به من منافع الدنيا من الاموال
 والبنين وغير ذلك والمعنى يمتعكم عيشا مرضيا لا يقوتكم فيه شيء مما تشتهون ولا ينقصه شيء من المكدرات (الى
 اجل مسمى) مقدر عند الله عز وجل وهو آخر أعماركم ولما كان ذلك غاية لا يطمح وراءها طامع جرى التمتيع
 اليها مجرى التأيد عادة أو لا يهلككم بعذاب الاستئصال (ويؤت كل ذي فضل) في الطاعة والعمل (فضله)
 جزاء فضله اما في الدنيا أو في الآخرة وهذه تكمله لما أجمل من التمتيع الى اجل مسمى وتبيين لما عسى يمسرفهم
 حـ كتمته من بعض ما يتفق في الدنيا من تفاوت الحال بين العاملين فرب انسان له فضل طاعة وعمل لا يتمتع في
 الدنيا اكثر مما تمتع آخردونه في الفضل وربما يكون المفضل اكثر غنى عا فقيل ويهبط كل فاضل جزاء فضله اما
 في الدنيا كما يتفق في بعض المواد اما في الآخرة وذلك مما لا مرد له وهذا ضرب تفصيل لما أجمل فيما سبق
 من البشارة ثم شرع في الانذار فقيل (وان تولوا) أى تتولوا عما ألقى اليكم من التوحيد والاستغفار والتوبة
 وانما اخر عن البشارة جريا على سنت تقدم الرحمة على الغضب أولان العذاب قد علق بالتولي عما ذكر من التوحيد
 والاستغفار والتوبة وذلك يستدعي سابقة ذكره وقرئ تولوا من ولي (فانى أخاف عليكم) بموجب الشفقة
 والرأفة أو أوقع (عذاب يوم كبير) هو يوم القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم في قوله تعالى ألا يظن أولئك
 أنهم مبعوثون ليوم عظيم أمالكونه كذلك في نفسه أو وصف بوصف ما يكون فيه كما وصف بالثقل في قوله تعالى

نقلت في السموات والارض وقيل يوم الشداوذ قد ابتلوا بقطر كك لو افيه الخيف واما كان فقي اضافة
العذاب اليه توبيل وتفطبع له (الى الله مرجعكم) رجوعكم بالموت ثم البعث الجراء في مثل ذلك اليوم
لا الى غيره (وهو على كل شيء قدير) فيندرج في تلك الكلية قدرته على اماتكم ثم بعثكم وجرائكم
فيعذبكم بأفانين العذاب وهو تقرر بلا سلف من كبر اليوم وتعبيل الخوف ولما اتى اليهم غوى الكتاب على
لسان النبي صلى الله عليه وسلم وسبق اليهم ما ينبغي أن يساق من الترهيب والترهيب وقع في ذهن السامع
أنهم بعد ما سمعوا مثل هذا المقال الذي تحزله صم الجبال هل قابله بالاقبال أم عمادوا فيما كانوا عليه
من الاعراض والضلال فقبل مصدر بكلمة التنبيه اشعارا بأن ما يعقبها من هاتم أمر يجب أن يفهم ويتجنب
منه (ألا انهم يفتنون صدورهم) يزرون عن الحق ويخرفون عنه أي يستزرون على ما كانوا عليه من التولي
والاعراض لأن من عرض عن شيء نفى عنه صدره وطوى عنه كنهه وهذا معنى جزل مناسب لما سبق وقد
نما نحوه العلامة الزخسري ولكن حيث لم يصلح التولي سبب الاستخفاء في قوله عز وجل (ليستخفوا منه)
التجالي اضممار الارادة حيث قال ويريدون ليستخفوا من الله تعالى فلا يطاع رسوله والمؤمنين على اعراضهم
وجعله في قوله المعنى اليه من قبيل الاضممار في قوله تعالى اضرب بعضك البعض فالتلق لا يتلقى ولا يتلقى
أن انسباق المذهب الى توسط الارادة بين ثني الصدور وبين الاستخفاء ليس كانسباقة الى توسط الضرب
بين الامر به وبين الانطلاق وأعل الاظهر أن معناه يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر والاعراض عن الحق
وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يكون ذلك مخفيا مستورا عنها كما تعطف الشاب على ما فيها من الاشياء
المستورة وانما لم يذكر ذلك استهجا بذكره أو إيماء الى أن ظهوره مغن عن ذكره أو ليدب ذهن السامع
الى كل ما لا يخبر فيه من الامور المذكرة فيدخل فيه ما ذكر من قولهم عن الحق الذي اتى اليهم دخولا أو لئلا
يخمنوا بظهور وجهه كك كون ذلك سببا للاستخفاء ويؤيده ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه سأل
في الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو المنطق حسن السباق للحدث يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة
وبعضه في قلبه ما يصادها وقال ابن شداد انه سأل في بعض المنافقين كان اذا مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في
صدره وظهوره وطأ رأسه وغطى وجهه كيلا يراه النبي صلى الله عليه وسلم فكانه انما كان يصنع ما يصنع لانه
لوراء النبي صلى الله عليه وسلم لم يكنه الخفاف عن حضور مجلسه والمصاحبة معه ورجا يؤذي ذلك الى ظهوره في
قلبه من الكفر والنفاق وقرئ يفتنون صدورهم بالماء والماء من الشوى افوعول من الشوى كاحلولي من الحلاوة
وهو بناء مبالغة وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما تفتون وقرئ تفتون وأصله تفتون من تفتون وعمل من التفتون وهو
ما هش من الكلا وضعت يده مطاوعة صدورهم لثني كائني الهش من النبات أو أراد ضعف ايمانهم ورخاوة
قلوبهم وقرئ تفتون من اثنان افعال منه ثم همز كقيل اياضت وادهأت وقرئ تفتون بوزن ترعوى (الاحين
يستفتون فيهم) أي يتخبطون بها للاستخفاء على ما نقل عن ابن شداد أو حين يأتون الى فراشهم ويتدرون
بنياهم فان ما يقع حينئذ حديث النفس عادة وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرى خفيه ويحس ظهره
ويتفتى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي (يعلم ما يستر) أي يستر في قلوبهم (وما يعلمون) أي
يستوى بالنسبة الى علمه المحيط بهم وعلمهم فكيف يحس عليه ما عسى يظهره وانما أقدم السر على العلن
نعيا عليهم من أول الامر ما صنعوا وايدأنا باقتضاهم ووقع ما يحذرونه وتحققه في المساواة بين العلمين على
أبلغ وجهه فكان علمه بما يستر منه أقدم منه بما يعلنونه ونظيره قوله تعالى قل ان تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه
بعلم الله حيث أقدم فيه الاختفاء على الابداء على عكس ما وقع في قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم أو تخفوه
يعلم الله ما يستر به الله اذ لم يتعلق باشعار أن الحاسية بما يخفونه أولى منها بما يبدونه غرض بل الامر بالعكس وأما
هنا فقد تعلق باشعار كون تعلق علمه تعالى بما يستر منه أولى منه بما يعلنونه غرض مهم مع كون ما على السوية
كف لا وعلمه تعالى بعلمه ليس بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي
هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة وأما قوله تعالى وأعلم ما يدون وما كنتم تلقون غيب
كن واودا بصدد الخطاب مع الملائكة عليهم السلام المثرة مقامهم عن اقتضاء التأكيذ والمبالغة في الاخبار
باحاطة علمه تعالى بالافا هر والباطن لم يسلط فيه ذلك المسلك مع انه وقع الغيبة عنه بما قبله من قوله عز وجل

قوله وقرئ تفتون الخ أفاد
الشهاب انه بمنزلة غوفة
مفتوحة فثلاثة ساكنة فتون
مفتوحة تلوها واو مكسورة
وبعد هاتون مشددة وأصله
تفتون على وزن تفعول وقوله
من التفتون اي بكسر المثلثة وتشديد
التون كما في التماموس * وقوله
وقرئ تفتون اي على وزن تظمض
بأن يجعل مكان الواو المكسورة
في القراءة السابقة همزة مكسورة
كما في زاده اه معجم

انى أعلم غيب السموات والارض ويجوز أن يصحكون ذلك باعتبار أن مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن
 اذ ما من شئ يعلن الا وهو أو مبادى به قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه سبحانه بجهاته الاولى متقدم على تعلقه
 بجهاته الثانية (انه عليم بذات الصدور) تعليل لما سبق وتقرير له واقع موقع الكبرى من القياس وفي صيغة
 الفعل وتعليل الصدور بلام الاستعراق والتعسير عن الضمائر بعنوان صاحبيتها من البراعة ما لا يصفه
 الواصفون كانه قيل انه مبالغ في الاحاطة بمضمرات جميع الناس وأسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم
 بحيث لا تنسار قها أصلا فكيف يخفى عليه ما يسرون وما يعلنون ويجوز أن يراد بذات الصدور والقلوب من قوله
 تعالى ولكن تعنى القلوب التي في الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب وأحوالها فلا يخفى عليه سر من أسرارها
 (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها) غذاؤها اللائق بها من حيث الخلق ومن حيث الايصال اليها
 بطريق طبيعي أو ارادى لتكفله اياه تفضلا ورحة وانما يحى به على طريق الوجوب اعتبارا للسبق الوعد وتحقيقا
 لوصوله اليها البتة وحلا للمكلفين على الثقة به تعالى والاعراض عن اتعاب النفس في طلبه (ويعلم مستقرها)
 محل قرارها في الاصلاب (ومستودعها) موضعها في الارحام وما يجري مجراها من البيض ونحوها وانما خص
 كل من الامين بما خص به من المحالين لان النطفة بالنسبة الى الاصلاب في حيزها الطبيعي ومنشأ الخلق وأما
 بالنسبة الى الارحام وما يجري مجراها فهي مودعة فيها الى وقت معين أو مسكنها من الارض حين وجدت
 بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة ولعل تقديم محلها باعتبار حالتها الاخيرة لرعاية المناسبة
 بينها وبين عنوان كونها دابة في الارض والمعنى ما من دابة في الارض الا رزقها الله تعالى حيث كانت من
 اماكنها يسوقه اليها ويعلم موادها المتخالفة المتدرجة في مراتب الاستعدادات المتفاوتة المتطورة في الاطوار
 المتباينة ومقارها المتنوعة ويفيض عليهم في كل مرتبة ما يليق بها من مبادى وجودها وكالاتها المتفرعة عليه
 وقد فسر المستودع بأماكنها في الممات ولا يلائمه مقام التكفل بأرزاقها (كل) من الدواب ورزقها
 ومستقرها ومستودعها (في كتاب مبين) أى مثبت في اللوح المحفوظ البين لمن يتطرق فيه من الملائكة عليهم
 السلام أو المظهر لما ثبت فيه للناظرين ولما انتهى الامر الى انه سبحانه محيط بجميع احوال ما في الارض
 من المخلوقات التي لا تكاد تحصى من مبدا فطرته الى منتهاها اقتضى الحال التعرض لمبدا خلق السموات
 والارض والحكمة الداعية الى ذلك فقبل (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام) السموات
 في يومين والارض في يومين وما عليها من أنواع الحيوانات والنبات وغير ذلك في يومين حسبما فصل في سورة
 حم السجدة ولم يذكر خلق ما في الارض اكونه من تمت خلقها وهو السرف في جعل زمان خلقه تمة لزمان خلقها
 في قوله تعالى في أربعة أيام أى في تمة اربعة أيام والمراد بالايام الاوقات كما في قوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره
 أى في ستة اوقات أو مقدار ستة أيام فان اليوم في المعارف زمان كون الشمس فوق الارض ولا يتصور ذلك
 حين لا أرض ولا سماء وفي خلقها مدرج جامع القدرة التامة على خلقها دفعة دليل على انه قادر مختار واعتبار
 للنظار وحث على التأني في الامور وأما تخصيص ذلك بالعدد المعين فأمر استأثر بعلم ما يقتضيه علام الغيوب
 بجلت حكمته وايشار صيغة الجمع في السموات لما هو المشهور من الاشارة الى كونها أجزا متختلفة الطبائع
 ومتفاوتة الآثار والاحكام (وكان عرشه) قبل خلقهما (على الماء) ليس تحته شئ غيره سواء كان بينهما
 فرجة أو كان موضوعا على منه كما ورد في الاثر فلا دلالة فيه على امكان الخلاء كيف لا ولودل دليل على وجوده
 لا على امكانه فقط ولا على كون الماء أول ما حدث في العالم بعد العرش وانما يدل على أن خلقهما أقدم من خلق
 السموات والارض من غير تعرض للنسبة بينهما (ليألوكم) متعلق بخلق أى خلق السموات والارض
 وما فيها من المخلوقات التي من جملتها أنتم ورتب فيها جميع ما تحتاجون اليه من مبادى وجودكم وأسباب
 معاشكم وأودع في نضاعيفهم من تعاجيب الصنائع والعبر ما تستدلون به على مطالبكم الدينية ليعاملكم
 معاملة من يتلىكم (أيكم احسن عملا) فيجازيكم بالثواب والعقاب غيب ما تبين المحسن من المسمى
 وامتازت درجات أفراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المترتبة على أنظارهم فيما
 نصب من الحجج والدلائل والامارات والتحاييل ومراتب أعمالهم المتفرعة على ذلك فان العمل غير مختص بعمل

الجوارح ولذلك فسر عليه السلام بقوله أيكم أحسن عتلا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله فإن لكل من القلب والقلب عملا مخصوصا به فكأن الأول أشرف من الثاني فكذا الحال في عمله كيف لا ولا على يدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد آثر ذي اثر وانما طريقها النظرى التفكير في بدائع صنائع الملك الخلاق والتدبر في آياته البينات المنصوبة في الانفس والآشفاق ولا طاعة بدون فهم ما في مطاوى الكتاب الحكيم من الاوامر والنواهي وغير ذلك مما له مدخل في الباب وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تفضلوني على يوسف ابن مريم فإنه كان يرفع له كل يوم مثل عمل أهل الأرض قالوا وانما كان ذلك التفكير في امر الله عز وجل الذي هو عمل القلب لان احد الايقاد على أن يعمل في اليوم بجوارحه مثل عمل أهل الأرض وتعليق فعل البلوى أى تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور والذي يقتضى عدم ايراد المقول أصلا مع اختصاصه بأفعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظائره ولذلك اجزى مجراها بطريق التمثيل أو الاستعارة الطبيعية وإيراد صيغة التفضيل مع أن الابتلاء شامل للفريقين باعتبار أعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبیح ايضا لا الى الحسن والاحسن لفظا لا ليدان بأن المراد بالذات والمقصود الاصلى مما ذكر من ابداع تلك البدائع على ذلك النظم الرائع انما هو ظهور كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه على اتم الوجوه الثلاثة والكل الاساليب الراقية يوجب العمل بوجبه بحيث لا يجيد أحد عن سفته المستقيمين بل يمتدى كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة وانما التفاوت بينهم في مراتبهم ما يحسب القوة والضعف والكثرة والقلّة وأما الاعراض عن ذلك والوقوع في مهاوى الضلال فيعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن أن يتقدم ظهوره في سلك العلة الغائية لذلك الصنع البديع وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب ولا يخفى ما فيه من الترغيب في الترقى الى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقائصها والله تعالى أعلم

(ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت) على ما يوجب قضية الابتلاء ليمتدح عليه الجزاء المتفرع على ظهور مراتب الاعمال (ليقولن الذين كفروا) ان ربه الخطاب في قوله تعالى انكم الى جميع المكلفين فالمراد بجمع صلتهم للتخصيص أى لبقوة الكافرين منهم وان وجهه الى الكافرين منهم فهو وارد على طريقة الذم (ان هذا الاسحور مبين) أى مثله في الخديعة أو البطلان وهذا الاشارة الى القول المذكور أو الى القرآن فان الاخبار عن كونهم مبعوثين وان لم يجب كونه بطريق الوحي المتأول أنهم عند معادهم ذلك تخلفوا الى القرآن لاتباعه عنه في كل موضع وكونه عظما عندهم في ذلك فعمدوا الى تكذيبه وتسميته صراعاتهم في العناد وتضادها عن سنن الرشاد وقيل هو اشارة الى نفس البعث ولا يلائم التسمية بالسحر فانه انما يطلق على شئ موجود ظاهرا لا أصل له في الحقيقة ونفس البعث عندهم معدوم بحيث وتعلق الآية الكريمة بما قبلها اتماما من حيث ان البعث كما اشير اليه من تنبأت الابتلاء المذكور فكأنه قيل الامر كما ذكر ومع ذلك ان اخبرتهم بمقدمة فذة من مقدماته وقضية فردة من تنبأت لا يتلعمون في الرد ويعتدون ذلك من قبيل ما لا صحة له أصلا فضلا عن تصديق ما هذه من تنبأته واتما من حيث ان البعث خلق جديد فكأنه قيل وهو الذي خلق جميع الخلق وان ابتداء هذه الحكمة بالساعة ومع ذلك ان اخبرتهم بأنه يعيدهم تارة اخرى وهو أهون عليه يقولون ما يقولون فسبحان الله عما يصفون وقرأ سورة والكسافى الاسحور على أن الاشارة الى السائل أو الى القرآن على أسلوب شعراعر وقرئ بالفتح على تضمين قلت معنى ذكرت أو على أن أنك بمعنى عنك في علك أى ولئن قلت لعلكم مبعوثون على أن الرجاء والتوقع باعتبار حال المخاطبين أى توقعوا ذلك ولا تنبوا القول بانكاره أو على أنه مجازاة معهم في الكلام على نهج المساعدة لتلايسار عوا الى اللجاج والعناد فيمناقض أصماهم بت القول بخلاف ما القوا وألفوا عليه آياته من انكار البعث ويكون ذلك ادعى لهم الى التأمل والتدبر وما فعلوه فانهم الله أنى يؤفكون (ولئن اخرنا عنهم العذاب) المترتب على بعثهم أو العذاب الموعود في قوله تعالى فان تولوا فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قتل جبريل عليه السلام للمستهزئين والظاهر أن المراد به العذاب الشامل للكفرة دون ما يخص بعض منهم على أنه لم يكن موعودا يستجمل منه الجرمون (الى اامة معدودة) الى طائفة من الايام قليلة لان ما يحصره العتقيل (ليقولن ما يحبس) أى أى شئ يمنع من الجحى فكأنه يريد فبئس ما منع وانما كانوا يقولونه بطريق الاستهجال استهزاء لقوله تعالى ما كانوا

يستزئون ومراهم انكار الجحى والجحس رأسا لا الاعتراف به والاستفسار عن سببه (ألا يوم يأتيهم) ذلك
(ليس مصروفا) محبوسا (ع) على معنى أنه لا يرفعه رافع أبدا ان اريد به عذاب الآخرة أو لا يدفعه عنكم
دافع بل هو واقع بكم ان اريد به عذاب الدنيا ويوم منهوب بغير ليس مقدما عليه واستدل به البصريون على
جواز تقديمه على ليس اذا المعول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع متبوعه ورد بأن الطرف يجوز فيه ما
لا يجوز في غيره توسعا وبأنه قد يقدم المعول حيث لا مجال لتقديم العامل كما في قوله تعالى فأما النسيم فلا تهر
وأما السائل فلا تهر فان النسيم والسائل مع هكونهما منصوبين بالفتلين المحزومين قد تقدم ما على لا الناهية
مع امتناع تقدم الفعلين عليهما قال أبو حيان وقد تنبعت جملة من دواوين العرب فلم أظفر بتقديم خبر
ليس عليها ولا بتقديم معه وله الاما دل عليه ظاهر هذه الآية الكريمة وقول الشاعر
فيا بني فابزاد الحاجة * وكنت ايسا في الخناست أقدم

(وحاق بهم) أى أحاط بهم (ما كانوا يستزئون) أى العذاب الذى كانوا يستجملون به استنزاه
وقى التعبير عنه بالوصول تهويل لمكانه واشعار بعليته ما ورد في حيز الصلة من استنزاهم به لنزوله واحاطته
والتعبير عنها بالمأشئ وارد على عادة الله تعالى في أخباره لانها في تحققة ما وثيقه بمنزلة الكائنات الموجودة
وفي ذلك من القسامة والدلالة على علو شأن الخبر وتقرير وقوع الخبر به مالا يخفى (ولئن أذقنا الانسان
منارجه) أى أعطينا نعمة من صحة وأمن وجدة وغيرها وأوصلناها اليه بحيث يجد لذتها (ثم نزعناها
منه) أى سلبناها اليها وإراد النزاع للشعار بشدة تعلقه بها وحرصه عليها (انه ليؤس) شديد القنوط
من روح الله قطوع رجاءه من عود أمثاله عاجلا أو آجلا بفضل الله تعالى لقله صبره وعدم توكله عليه
وثقت به (كفور) عظيم الكفران لمساكف من النعم وفيه اشارة الى أن النزاع انما كان بسبب كفرانهم بما كانوا
يتقبلون فيه من نعم الله عز وجل وتأخيرهم عن وصف بأنهم مع تقدمه عليه لرعاية القواصل على أن اليأس
من فضل الله سبحانه وقطع الرجاء عن اغاضة أمثاله في العاجل وإيصال أجره في الآجل من باب الكفران
للنعمه السالفة ايضا (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته) كنعمة بعد عسقم وجدة بعد عدم وفرج بعد شدّة
وفي التعبير عن ملاسة الرحمة والنعماء بالذوق المؤذن بلذتهم ما وكونها مما يرغب فيه وعن ملاسة الضراء
بالمس المشعر بكونها في أدنى ما ينطلق عليه اسم المصاولة من مرأيتها واستناد الأول الى الله عز وجل دون
الثاني مالا يخفى من الجزالة والدلالة على أن مراده تعالى انما هو إيصال الخير المرغوب فيه على أحسن ما يكون
وأنه انما يريد عباده اليسر دون العسر وانما يتألم ذلك بسوء اختيارهم بيلابسها كأنها بلاصق البشرية من
غير تأثير وأما نزاع الرحمة فانما صدر عنه بقضية الحكمة الداعية الى ذلك وهى كفرانهم بها كما سبق وتذكير
الرحمة باعتبار حقوق النزاع بها (ليقرن ذهب السبائك عني) أى المصائب التى تسوءنى ولن يعتقربى بعد
أمثاله كما هو شأن أولئك الاشرفاء ان الترقب لورود أمثاله مما يكدر السرور ويتقص العيش (انه لفرح)
بطروا وشرب النعم معتز بها (نخور) على التماس بما اوقى من النعم مشغول بذلك عن القيام بحقوقها واللام فى لئن
فى الآيات الاربع موطئة للقسم وجوابه صادقة جواب الشرط (الا الذين صبروا) على ما أصابهم من الضراء
سابقا ولا حقا ايمانا بالله واستسلاما لقضائه (وعملوا الصالحات) شكر على آلائه السالفة والآتية واللام
فى الانسان اما لاستغراق الجحس فالاستثناء منه صل أولاه هذه فتقطع (اولئك) اشارة الى الوصول باعتبار
اتصاله بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى البعد لا يذان بعقد درجاتهم وبعد منزلتهم فى الفضل اى أولئك
الموصوفون بتلك الصفات الحميدة (لهم مغفرة) عطية لذنوبهم وان جت (وأجر) ثواب لاعمالهم الحسنة
(كبير) ووجه تعلق الآيات الثلاث بما قبلهن من حيث ان اذاعة النعماء ومساس الضراء فصل
من باب الابتلاء واقع موقع التفصيل من الاجمال الواقع فى قوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا والمعنى ان
كلما نذاعة النعماء ونزعها مع كونه ابتلاء للانسان أي شكرهم بكونه لا يبتدى الى سنن الصواب بل يصحى كلنا
الحالين عنه الى مهاوى الضلال فلا يظهر منه حسن عمل الامن الصابر من الصالحين أو من حيث ان
انكارهم بالبعث واستنزاهم بالعذاب بسبب بطرهم ونفورهم كأنه قيل انما فعلوا ما فعلوا الآن طبيعة الانسان

قوله لا يبتدى الخ ظاهر
العبارة خلق الجلة من رابط
يربطها باسم ان لان النسيم
المستتر فى مبتدى عائد على
الانسان كما لا يخفى ففعل
الرابط محذوف والتقدير
لا يبتدى فيه الخ تاقل اه
مصححه

مجبولة على ذلك (فاعلم انك بعض ما يوحى اليك) من البيانات الدالة على حقيقة نبوتك المنادية بكونها
من عند الله عز وجل لمن له أذن واعية (وضائق به صدورك) أى عارض لك ضيق صدره بتلاوته عليهم وتبليغه
اليهم في أثناء الدعوة والحاجة (أن يقولوا) لان يقولوا انعاميا عن تلك البراهين التي لا تكاد تخفى صحتها
على أحد من له أدنى بصيرة وتعماديا في العناد على وجه الاقتراح (لولا أنزل عليه كثر) مال خطير مخزون يدل
على صدقه (أو جاء معه ملك) يصدقه قيل قاله عبد الله بن أمية الخزرجي وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما
أن رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا ان كنت رسولا وقال آخرون ان تنسب بالملاتكة يشهدوا
بنبوتك فقال لا أقدر على ذلك فتركت فكانت عليه الصلاة والسلام لما عابن اجتراءهم على اقتراح مثل هذه
الغفائم غير قانع بالبيانات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من أرباب العقول وشاهد ركوبهم
من المكابرة متن كل صعب وذلول صارعين الى المقابلة بالكذب والاسمزاز وتسميتها صرا مثل حاله عليه
الصلاة والسلام بحال من يتوقع أنه أن يضيق صدره بتلاوة تلك الآيات الساطعة عليهم وتبليغها اليهم فحمل
على الخذر منه بما في لعل من الاشفاق فقل (انما أنت نذير) ليس عليك الا الانذار بما صدر
عنهم من الرد والقبول (والله على كل شيء وكيل) يحفظ أحوالنا وأحوالهم فتوكل عليه في جميع أمورنا
فانه فاعل بهم ما يلقى بجالهم والاقصاء على النذير في أقصى غاية من اصابة المحز (أم يقولون افتراء) اضراب
بأمر المنقطعة عن ذكر ترك اعتدادهم بما يوحى ونهاونهم به وعدم اقتناعهم بما فيه من المعجزات الظاهرة
الدالة على كونه من عند الله عز وجل وعلى حقيقة نبوته عليه الصلاة والسلام وشروع في تكرار تكاليفهم لما هو
أشد منه وأعظم وما فيها من معنى الهزيمة للتوبيخ والانكسار والتجيب والضمير المستكن في افتراء النبي
صلى الله عليه وسلم والبارز لما يوحى أى بل يقولون افتراء وليس من عند الله (قل) ان كان الامر كما تقولون
(فأتوا) أنتم أيضا (بعشر سور مثله) في البلاغة وحسن النظم وهونعت لسور أى أمثاله وتوحيد
اقتابا اعتبار مماثلة كل واحدة منها أولان المطابقة ليست بشرط حق بوصف المتن بالمفرد كما في قوله تعالى
أنؤمن بشعرين مثلنا ولا لايحاء الى أن وجه الشبه ومبدأ المماثلة في الجميع شيء واحد هو البلاغة المؤدية
الى مرتبة الإعجاز فكأن الجميع واحد (مقتربات) صفة أخرى لسور آخرت عن وصفها بالمماثلة لما يوحى
لانها الصفة المقصودة بالتكليف اذ بها يظهر عجزهم وقعودهم عن المعارضة وأما وصف الافتراء فلا يتعلق به
عجزهم بل ويرد عليه شيء في مقام التحدى وانما ذكر على نهج المساهلة وارشاء العنان ولانه لو عكس الترتيب
لربما توهم أن المراد هو المماثلة في الافتراء والمعنى فأتوا بعشر سور مماثلة له في البلاغة محتلفات من عند
أنفسكم ان صح أنى اختلقته من عندي فانكم أقدر على ذلك منى لانكم عرب فصحوا بلفظا قد مارستم مبادئ
ذلك من الخطب والاشعار وحفظتم الوقائع والايام وزاوتهم أساليب النظم والنثر (وادعوا) للاستظهار في
المعارضة (من استطعتم) دعاء والاستعانة به من أهلتكم التي تزعمون أنهم أعمدة لكم في كل ما تأتون وما تذكرون
والكهنة ومدادهم الذين تلبون الى آرائهم في الملأ ليسعدوكم فيها (من دون الله) متعلق بادعوا أى
مجتبا وزين الله تعالى (ان كنتم صادقين) في أنى افتريته فان ذلك يستلزم امكان الاتيان بمثله وهو أيضا يستلزم
قدرتكم عليه والجواب محذوف يدل عليه المذكور (فان لم يستحيوا لكم) أى فان لم يفعلوا ما كفوه من
الاتيان بمثله كقوله تعالى فان لم تنزلوا وانما عبر عنه بالاستجابة ايماء الى أنه عليه الصلاة والسلام على حال
أمن من أمره كانت أمره لهم بالاتيان بمثله دعاء لهم الى أمر يريد وقوعه والضمير في لكم للرسول عليه الصلاة
والسلام والجمع للتعظيم كما في قول من قال وان شئت حرمت النساء سواكم أوله وللمؤمنين لانهم أجمع له
عليه الصلاة والسلام في الامر بالتحدى وفيه تنبيه لطيف على أن حقهم أن لا يتفكروا عنه عليه الصلاة والسلام
ويشاصبوا معه لمعارضة المعارضين كما كانوا يفعلونه في الجهاد وارشاد الى أن ذلك مما يفيد الرسوخ في الايمان
والطمأنينة في الايقان ولذلك رتب عليه قوله عز وجل (فاعلموا) أى اعلوا حين ظهر لكم عجزهم
عن المعارضة مع تمالكهم عليه اعلما يقينا مناخا لعين اليقين بحيث لا يحال معه لشبهة ريب بوجه من الوجوه
كأن ما عدا من مراتب العلم ليس به علم لكن لالاشعار وباطحط تلك المراتب بل بارتفاع هذه المرتبة وبه يتضح
سراير ادكالة الشك مع القطع بعدم الاستجابة فان تنزيل سائر المراتب منزلة العدم مستتبع لتزليل الجزم بعدم

الاستجابة منزلة الشك فيه أو ابتوا واستمروا على ما كنتم عليه من العلم (انما أنزل) ملتبسا (بعلم الله)
 الخصوص به بحيث لا يحوم حوله العقل والافهام مستبداً بخصائص الاعجاز من جهتي النظم الرائق
 والاخبار بالغيب (وأن لا اله الا هو) أى واعلموا أيضاً أن لا شريك له فى الألوهية وأحكامها ولا يقدر على
 ما يقدر عليه أحد (فهل أنتم مسلمون) أى مخلصون فى الاسلام أو ثابتون عليه وهذا من باب التثبيت والترقية
 الى معارج اليقين ويجوز أن يكون الخطاب فى الكل للمؤمنين من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم داخل
 تحت الامر بالتصديق والضمير فى لم يستجيبوا المن استطعت أى فان لم يستجب لكم آلهتكم وسائر من اليهم تجارون
 فى مهماتكم وملماتكم الى المعاونة والمظاهرة فاعلموا أن ذلك خارج عن دائرة قدرة البشر وأنه منزل من خالق
 القوى والقدر فإيراد كلمة الشك حينئذ مع الجزم بعدم الاستجابة من جهة آلهتهم تهكم بهم وتسهيل عليهم
 يكال مضافة العذل وترتيب الامر بالعلم على مجرد عدم الاستجابة من حيث انه مسبوق بالدعاء المسبوق
 بنجزمهم واضطرارهم فكأنه قيل فان لم يستجيبوا لكم عند التجاؤن اليهم بعدما اضطرتهم الى ذلك
 وضاعت عليكم الحيل وعيت بكم العالل أو من حيث أن من يستمدون بهم أقوى منهم فى اعتقادهم فاذا ظهر
 عجزهم بعدم استجابتهم وان كان ذلك قبل ظهور عجز أنفسهم يكون عجزهم أظهور وأوضح واعلموا أيضاً أن
 آلهتكم يعزل عن رتبة الشراكة فى الألوهية وأحكامها فهل أنتم داخلون فى الاسلام اذ لم يبق بعد شائبة
 شبهة فى حقيقته وفى بطلان ما كنتم فيه من الشرك فقد دخل فيه الاذعان لكون القرآن من عند الله تعالى
 دخولا أولاً أو مستقادون للحق الذى هو كونه القرآن من عند الله تعالى وتاركون لما كنتم فيه من المكابرة
 والعناد وفى هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبية على قيام الموجب وزوال العذر
 واقتناط من أن يجيرهم آلهتهم من يأس الله عز سلطانه هذا والاوّل أنسب لما سلف من قوله تعالى وضائق به
 صدرك ولما سياتى من قوله تعالى فلا تلك فى مريمه منه وأشدّ ارتباطاً بما يعقبه كما ستحيط به خبراً (من كان
 يريد الحياة الدنيا وزينتها) أى ما يزينها ويحبها من الصحة والامن والسعة فى الرزق وكثرة الاولاد والرياسة
 وغير ذلك والمراد بالارادة ما يحصل عند مباشرة الاعمال لا مجرد الارادة القلبية لقوله تعالى (نوف اليهم
 أعمالهم فيها) وادخال كان عليها للدلالة على استمرارها منهم بحيث لا يكادون يريدون الاخرة أصلاً وليس
 المراد بأعمالهم أعمال كلهم فانه لا يجد كل متقى ما يقناه ولا كل أحد ينال كل ما يهواه فان ذلك منوط بالمشيئة
 الجارية على قضية الحكمة كما نطق به قوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ولا كل
 أعمالهم بل بعضها الذى يترتب عليه الامور المذكورة بطريق الاجر والجزاء من أعمال البر وقد أطلقت وأريد
 بها ثمراتها فالمعنى نوصّل اليهم ثمرات أعمالهم فى الحياة الدنيا كاملة وقرئ يوف على الاستناد الى الله عز وجل
 وتوف بالنوفاية على البناء للمفعول ورفع أعمالهم وقرئ نوفى بالتخفيف ورفع لكون الشرط ماضياً
 كقوله

وان أناء خليل يوم مسغبة • يقول لا غائب مالى ولا حرم

(وهم فيها) أى فى الحياة الدنيا (لا ينجسون) أى لا يتقصون وانما عبر عن ذلك بالنجس الذى هو نقص الحق
 مع أنه ليس لهم شائبة حق فيما أوّوه كما عبر عن اعطائه بالتوفية التى هى اعطاء الحقوق مع أن أعمالهم
 يعزل من كونهم مستوجبة لذلك بناءً للاحر على ظاهرها الحال ومحاذقة على صور الاعمال ومبالغة فى نقي
 النقص كأن ذلك نقص لحقوقهم فلا يدخل تحت الوقوع والصدور عن الكريم أصلاً والمعنى انهم فيها خاصة
 لا يتقصون ثمرات أعمالهم وأجورهم نقضاً كما مطرد ولا يحرمونها حرماناً كما وأما فى الاخرة فهم فى الحرمان
 المطلق واليأس المحقق كما ينطق به قوله تعالى (أو تلك) الخ فانه اشارة الى المذمومين باعتبار ارادتهم
 الحياة الدنيا أو باعتبار نوافيتهم أجورهم من غير نجس أو باعتبارهما معا وما فيه من معنى البعد لا يذ ان بعد
 منزلتهم فى سوء الحال أى أو تلك المريدون للحياة الدنيا وزينتها الموفون فيها ثمرات أعمالهم من غير نجس (الذين
 ليس لهم فى الاخرة الا النار) لانهم هم كانت مصروفة الى الدنيا وأعمالهم مقصورة على تحصيلها وقد
 اجتنبوا غرمتها ولم يكونوا يريدون بها شيئاً آخر فلا جرم لم يكن لهم فى الاخرة الا النار وعذابها المخلط (وسبغ
 ما صنعوا فيها) أى ظهر فى الاخرة جبوط ما صنعوه من الاعمال التى كانت تؤدى الى الثواب لو كانت

معمولة لا آخرة أو حبط ما صنعوه في الدنيا من أعمال البر إذ شرط الاعتقاد بها الاخلاص (وباطل) أي
 في نفسه (ما كانوا يعملون) في أثناء تحصيل المطالب الديني ولاجل أن الأول من شأنه استتباع الثواب
 والآخر وأن عدمه لعدم مقارنته للايمان والنية الصحيحة وأن الثاني ليس له جهة صالحة قط علق بالأول
 الحبوط المؤذن بسقوط أجره بصيغة الفعل المنبئ عن الحدوث والثاني البطلان المقصع عن كونه بحيث لا طائل
 تحته أصلاً بالاسمية الدالة على كون ذلك وصفاً لازماً له ثابتاً فيه وفي زيادة كان في الثاني دون الأول ايماء إلى
 أن صدور أعمال البر منهم وإن كان أغرض فاسد ليس في الاستمرار والدوام كصدور الأعمال التي هي من
 مقدمات مطالبهم الدينية وقرئ وبطل على الفعل أي ظهر بطلانه حيث علم هناك أن ذلك وما يستتبعه من
 الحظوظ الدنيوية عمالات لا طائل تحته أو انقطع اثره الديني فبطل مطلقاً وقرئ وباطلاً ما كانوا يعملون على أن
 ما هم عليه أو في معنى المصدر كقوله ولا خارجاً من في ثور وكلام * وعن أنس رضي الله عنه أن المراد بقوله تعالى
 من كان يريد الخ اليهود والنصارى أن أعطوا سائلاً أو وصلوا رجاء عمل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة
 في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمهم أهم في الغنائم وأنت خير
 بأن ذلك انما كان بعد الهجرة والسورة مكية وقيل هم أهل الرياء يقال للقرآن منهم أردت أن يقال فلان
 فأرى فقد قيل ذلك وهكذا الغير ممن يعمل أعمال البر لالوجه الله تعالى فعلى هذا لا يتن من تقيد قوله تعالى
 ليس لهم إلا النار بأن ليس لهم بسبب أعمالهم الربانية الا ذلك والذي تقتضيه جزالة النظم الكريم أن المراد
 به مطلق الكفرة بحيث يدرج فيهم القادحون في القرآن العظيم اندواجا أو ليا فانه عز وعلماً أمر نبيه عليه
 الصلاة والسلام والمؤمنين بأن يزادوا علماً ويتنا بأن القرآن منزل بعلم الله وبأن لا قدرة لغيره على شيء أصلاً
 وهيجهم على الثبات على الاسلام والرسوخ فيه عند ظهور عز الكفرة وما يدعون من دون الله عن المعارضة
 وتبين أنهم ليسوا على شيء أصلاً اقتضى الحال أن يتعرض لبعض شؤونهم الموهمة لكونهم على شيء في الجملة
 من يلهم الحظوظ العاجلة واستبيلاتهم على المطالب الديني وبيان أن ذلك بعزل عن الدلالة عليه ولقد بين
 ذلك أي بيان ثم أعيد الترغيب فيما ذكر من الايمان بالقرآن والتوحيد والاسلام فقيل (أخن كان على ينة
 من ربه) أي برهان نير عظيم الشأن يدل على حقيقة ما رغب في الثبات عليه من الاسلام وهو القرآن وباعتباره
 أو بتأويل البرهان ذكر الضمير الجاع اليها في قوله تعالى (ويتلوه) أي يتبعه (شاهد) يشهد بكونه
 من عند الله تعالى وهو الاعجاز في نظمه المطرد في كل مقدار سورة منه أو ما وقع في بعض آياته من الاخبار بالغيب
 وكلاهما وصف تابيع له شاهد بكونه من عند الله عز وجل غير أنه على التقدير الأول يكون في الكلام إشارة
 إلى حال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في تمسكهم بالقرآن عند تبين كونه منزلاً بعلم الله سبحانه
 (منه) أي من القرآن غير خارج عنه أو من جهة الله تعالى فإن كلامهما وأود من جهته تعالى للشهادة ويجوز
 على هذا التقدير أن يراد بالشاهد المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ذلك أيضاً من
 الشواهد التابعة للقرآن الواردة من جهته تعالى فالمراد بمن في قوله تعالى أخن كل من اتصف بهذه الصفة
 الحميدة فيدخل فيه المخاطبون بقوله تعالى فاعلموا فهل أنتم دخولا أو لا وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم
 وقيل مؤمنوا أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه وقيل المراد بالينة دليل العقل وبالشاهد القرآن فالضمير
 في منه لله تعالى أو الينة القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل أو لسان النبي صلى الله عليه وسلم على أن
 الضمير له أو من التلو والشاهد ملك يحفظ الأولى هو الأول ولما كان المراد بتلو الشاهد للبرهان إقامة الشهادة
 بعينه وكونه من عند الله تابعاً له بحيث لا يشارقه في مشهده من المشاهد فإن القرآن ينة باقية على وجه الدهر
 مع شاهدها الذي يشهد بأمرها إلى يوم القيامة عند كل مؤمن وجاهد عطف كتاب موسى في قوله عز فأتا
 (ومن قبله كتاب موسى) على فاعله مع كونه مقدماً عليه في النزول فكأنه قبل أخن كان على ينة من ربه
 ويشهد به شاهده منه وشاهد آخر من قبله هو كتاب موسى وانما قدم في الذكر المؤخر في النزول لكونه وصفاً لازماً
 له غير مفارق عنه ولعراقته في وصف التلو والتكبر في ينة وشاهد للتفخيم (أماماً) أي مؤتمناً في الدين
 ومقتدى وفي التعرض لهذا الوصف بصدور بيان تلوا الكتاب ما لا يخفى من تفخيم شأن التلو (ورحة) أي نعمة
 عظيمة على من أنزل اليهم ومن بعدهم إلى يوم القيامة باعتبار أحكامه الباقية المؤيدة بالقرآن العظيم وهما حالان

من الكتاب (أولئك) الموصوفون بتلك الصفة الحميدة وهي الكون على ينسبة من الله ولما أن ذلك عبارة عن مطلق التمسك بها وقد يكون ذلك بطريق التقليد من سلف من عظماء الدين من غير عثور على دقائق الحقائق وصفهم بأنهم (يؤمنون به) أي يصدقونه حتى التصديق حسبما تشهد به الشواهد الحقة المعربة عن حقيقته (ومن يكفريه) أي بالقرآن ولم يصدق بتلك الشواهد الحقة (من الأحزاب) من أهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم (فالمار ومعه) يرد هالاً محالة حسبما نطق به قوله تعالى ليس لهم في الآخرة إلا النار وفي جعلها موعداً شعرياً بأن له فيها ما لا يوصف من آفانين العذاب (فلأنك في صرية منه) أي في شك من أمر القرآن وكونه من عند الله عز وجل عجباً شهدت به الشواهد المذكورة وظهر فضل من عسك به (أنه الحق من ربك) الذي يربيك في دينك ودينالك (ولكن أكره الناس لا يؤمنون) بذلك أما لقصور أنظارهم واختلال أفكارهم وأما لعنادهم واستكبارهم فن في قوله تعالى أفن كان على ينسبة من ربه مبتدأ حذف خبره لاغناء الحال عن ذكره وتقديره أفن كان على ينسبة من ربه كاً وألئك الذين ذكرت أعمالهم وبين مصيرهم وما لهم يعني أن ينسبوا تفاوتاً عظيماً بحيث لا يكاد يترأى ناراهما وإراد الفاء بعد الهمة لانكار ترتب توهم المماثلة على ما ذكر من صفاتهم وعددهم من ههناهم كانه قبل أبعدهم ورعا لهم في الدنيا والآخرة كما وصف يتوهم المماثلة بينهم وبين من كان على أحسن ما يكون في العاجل والآجل كافي قوله تعالى أفأنتخذتم من دونه أولياء أي أبعدهم رب السموات والأرض أنتخذتم من دونه أولياء وقوله تعالى أفن يعلم أن ما أنزل اليك من ربك الحق كين هو أمي (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً) بأن نسب اليه ما لا يليق به كقولهم للملائكة ينسب الله تعالى الله عن ذلك عواصاً كبيراً وقولهم لا كتهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله يعني أنهم مع كفرهم بآيات الله تعالى مفترون عليه كذبا وهذا التركيب وإن كان سبباً على انكار أن يكون أحد أظلم منهم من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها ولكن المقصود به قصد امطراد النكار المساواة ونفيها وإفادة أنهم أظلم من كل ظالم كما ينبغي عنه ما سبقت في قوله عز وجل لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون فاذا قيل من أكرم من فلان أو لا أفضل منه فالمراد منه حتماً أنه أكرم من كل كريم وأفضل من كل فاضل (أولئك) الموصوفون بالظلم البالغ الذي هو الافتراء على الله تعالى وبهذه الإشارة حصلت الغنية عن اسناد العرض الى أعمالهم واكتفى باسنادها اليهم حيث قيل (يعرضون) لان عرضهم من تلك الحقيقة وبذلك العنوان عرض لأعمالهم على وجه أبلغ فان عرض العامل بعلمه أقطع من عرض علمه مع غيبته (على ربهم) الحق وفيه إيماء الى بطلان رأيهم في انتخاذهم أرباباً من دون الله عز وجل (ويقولون) عند العرض من الملائكة والذين آمنوا من جوارحهم وهو جمع شاهد أو شهيد كأصحاب وأشرف (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) بالافتراء عليه كأن ذلك أمر واضح غني عن الشهادة بوقوعه وانما المحتاج الى الشهادة تعيين من صدر عنه ذلك فلذلك لا يقولون هؤلاء كذبوا على ربهم ويجوز أن يكون المراد بالانهاد الحصار وهم جميع أهل الموقف على ما قاله قتادة ومقاتل ويكون قولهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ذمماً لهم بذلك لا شهادة عليهم كما يشعر به قوله تعالى ويقولون ويشهد الخ وتوطئة لما يعقبه من قوله تعالى (ألا لعنة الله على الظالمين) بالافتراء المذكور ويجوز أن يكون هذا على الوجه الأول من كلام الله تعالى وفيه تهويل عظيم لما يحق بهم من عاقبة ظلمهم اللهم انا نعوذ بك من الخزي على رؤس الشهداء (الذين يصدون) أي كل من يقدر على صدته أو يعلون الصدّة (عن سبيل الله) عن دينه القويم (ويغفون عوجاً) انحرافاً أي يصفون بها بذلك وهي أبعدهم شيء منه أو يغفون أهلها أن ينفروا عنها يقال بغيتك خيراً أو شراً أي طلبت لك وهذا شامل لتكذيبهم بالقرآن وقولهم أنه ليس من عند الله (وهم بالآخرة هم كفرون) أي يصفون بها بالعوج والحال أنهم كفرون بها لأنهم يؤمنون بها ويزعمون أن إلهاً سواها يهدون الناس اليه وتكرير النعم لثبات كيد كفرهم واختصاصهم به كأن كفر غيرهم ليس بشيء عند كفرهم (أولئك) مع ما وصف من أحوالهم الموجبة للتدمير (لم يكونوا محجزين) الله تعالى منفلتين بأنفسهم من أخذ لو أراد ذلك (في الأرض) مع سعتهم وان هربوا منها كل مهرب (وما كان لهم من دون الله من أولياء) ينصرونهم من بأسه ولكن أنخذلكم الحكمة تقضيها والجمع أما باعتبار أفراد الكفرة

كانه قيل وما كان لاحد منهم من ولي أو باعتبار تعدد ما كانوا يدعون من دون الله تعالى فيكون ذلك
 بيانا لحال آلهتهم من سقوطها عن رتبة الولاية (بضعف لهم العذاب) استئناف يتضمن حكمة تأخير
 المؤاخذه وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالتشديد (ما كانوا يستطيعون السمع) اقرب نصاتهم عن
 الحق ويضعهم له كأنهم لا يقدرّون على السمع ولما كان قبح حالهم في عدم ادعائهم للقرآن الذي طريق تلقيه
 السمع أشد منه في عدم قبولهم لساكنات الآيات المنوطة بالابصار بالغ في نفي الاول عنهم حيث نفي عنهم الاستطاعة
 واكتفى في الثاني بنفي الابصار فقال تعالى (وما كانوا يصرون) لتعاميهم عن آيات الله المبسوطة في الانفس
 والاتفاق وهو استئناف وقع تعديلا لضعف العذاب وقيل هو بيان لما نفي من ولاية الآلهة فان ما لا يسمع
 ولا يصير بهزل من الولاية وقوله تعالى بضعف لهم العذاب اعتراض وسط بينهم ما نفعيا عليهم من أول الامر
 سوء العاقبة (أولئك) المنعوتون بما ذكر من القيام (الذين خسروا أنفسهم) باشتراء عبادة الآلهة
 بعبادة الله عز سلطانه (وخلع عنهم ما كانوا يفترون) من الآلهة وشفاعتها أو خسروا ما ابتلوا ووضاع عنهم
 ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة (لا جرم) فيه دلالة أوجه الاول أن لاناية لما سبق وجرم فعل
 بمعنى حق وأنت مع ما في حيزه فاعله والمعنى لا يتفهم ذلك الفعل حق (أنهم في الآخرة هم الاخسرون) وهذا
 مذهب سيبويه والثاني جرم بمعنى كسب وما بعده مفعوله وفاعله ما دل عليه الكلام أي كسب ذلك خسرا عنهم
 فالعنى ما حصل من ذلك الاظهر وخسرانهم والثالث أن لا جرم بمعنى لا بد أي لا بد أن خسروا في الآخرة هم
 الاخسرون وأياتا كان نعماء أنهم أخسر من كل خاسر فبين أنهم أظلم من كل ظالم وهذه الآيات الكريمة كما ترى
 مقررة لما سبق من انكار المسألة بين من كان على بيعة من ربه وبين من كان يريد الحياة الدنيا أبلغ تقرير فانهم
 حيث كانوا أظلم من كل ظالم وأخسر من كل خاسر لم يتصور مماثلة بينهم وبين أحد من الظلمة الاخسرين فما ظنك
 بالمماثلة بينهم وبين من هو في أعلى مدارج الكمال ولما ذكر فريق الكفار وأعمالهم وبين مصيرهم وما آلهم
 شرع في بيان حال أضدادهم أعنى فريق المؤمنين وما يؤل اليه أمرهم من العواقب الجميلة تنكلمه لما سلف
 من محاسنهم المذكورة في قوله تعالى أفن كان على بيعة من ربه الآية ليتبين ما بينهم مما بين التباين البين حالا
 وما لا يفيل (ان الذين آمنوا) أي بكل ما يجب أن يؤمن به فيندرج تحته ما نحن بصدد من الايمان بالقرآن
 الذي عبر عنه بالكون على بيعة من الله وانما يحصل ذلك باستماع الوحي والتدبر فيه ومشاهدة ما يؤدى الى ذلك
 في الانفس والاتفاق أو فعلوا الايمان كما في يعطى وينع (وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم) أي اطعوا
 اليه وانقطعوا الى عبادته بالخضوع والتواضع من الخشوع والارض المظلمة ومعنى أخبت دخل
 في الخشوع كأنهم وأنجد دخل في تمامة ونجد (أولئك) المنعوتون بتلك النعوت الجميلة (أصحاب الجنة
 هم فيها خالدون) داغون وبعديان تباين حالهما عقلا وأريديان تباين حالهما حسا فاقيل (مثل الفريقين)
 المذكورين أي حالهما ما المحجب لان المثل لا يطاق الاعلى ما فيه غرابة من الاحوال والصفات (كالا على
 والاصم والبصير والسميع) أي كمال هؤلاء فيكون ذواتهم كذواتهم والكلام وان أمكن أن يجعل على
 تشبيه الفريق الاول بالاعى وبالاصم وتشبيه الفريق الثاني بالبصير والسميع لكن الادخل في المبالغة
 والا قرب الى ما يشير اليه لفظ المثل والانساب بما سبق من وصف الكفرة بعدم استطاعة السمع وبعدم
 الابصار أن يجعل على تشبيه الفريق الاول بن جمع بين العمى والسمع وتشبيه الفريق الثاني بن جمع بين
 البصر والسمع على أن تكون الواو في قوله تعالى والاصم وفي قوله والسميع لعطف الصفة على الصفة كما في قول
 من قال

الى الملك القرم وابن الهمام * وليت الكتبية في المزدحم

وأياتا كان فاعلم أن المراد بالحال المدلول عليها بلفظ المثل وهي التي يدور عليها أمر التشبيه ما يلائم
 الاحوال المذكورة المعبرة في جانب التشبيه به من تعامى الفريق الاول عن مشاهدة آيات الله المنصوبة
 في العالم والنظر اليها بعين الاعتبار ونصاتهم عن استماع آيات القرآن الكريم وتلقيها بالقبول حسما
 ذكر في قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يصرون وانما يراع هذا الترتيب ههنا لكون الاعى

اظهروا شهر في سوء الحال من الاصم ومن استعمال الفريق الثاني لكل من ابصارهم واسماعهم فيما
 ذكر كما ينبغي المدلول عليه بما سبق من الايمان والعمل الصالح والاختبات حسبما فسر به فيما مر
 فلا يكون التشبيه ثانيا لا لجميع الاحوال المعذرة لكل من الفريقين مما ذكر وما يؤدى اليه من العذاب
 المضاعف والخسران البالغ في أحدهما ومن النعيم المقيم في الآخر فان اعتبار ذلك ينزع الى كون التشبيه
 ثانيا بآن يتنزع من حال الفريق الاول في تصاتهم وقصصهم المذكورين ووقوعهم بسبب ذلك في العذاب
 المضاعف والخسران الذي لا خسران فوقه هيئة فتشبه به هيئة منتزعة من فقد مشعري البصر والسمع فتخط
 في مسلكه فوق في مهاوى الردى ولم يجد الى مقصده سبيلا ويستنزع من حال الفريق الثاني في استعمال
 مشاعرهم في آيات الله تعالى حسبما ينبغي وفوزهم بدار النور هيئة فتشبه به هيئة منتزعة من له بصروهم
 يستعملها في مهماته فيتهدى الى سبيله وينال حرامه (هل يستويان) يعنى الفريقين المذكورين
 والاستفهام انكارى مذكرا لما سبق من انكار المماثلة في قوله عز وجل أفمن كان على بينة الاية (مثلا)
 أى حال وصفة وهو غير من فاعل يستويان (أفلا تذكرون) أى أن تكون في عدم الاستواء وما بينهما
 من التباين أو أن تغفلون عنه فلا تذكرونه بالتأمل فيما ضرب لكم من المثل فيكون الانكار واردا على
 المعطوفين معا أو أن سمعون هذا فلا تذكرون فيكون راجعا الى عدم التذكر بعد تحقق ما يوجب وجوده
 وهو المثل المضروب كما في قوله تعالى أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم فان لقاء هناك لانكار الانقلاب
بعد تحقق ما يوجب عدمه من علمهم بخلاف الرسل قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أفلا تعقلون التذكر أو أفلا
تعقلون ومعنى الهمزة انكار عدم التذكر واستبعاد صدوره عن المخاطبين وأنه ليس مما يصح أن
يشع لامن قبيل الانكار في قوله تعالى أفمن كان على بينة من ربه وقوله تعالى هل يستويان فان ذلك لنفى
المماثلة ونفى الاستواء ولما بين من فاتحة السورة الكريمة الى هذا المقام أنها كتاب محكم الآيات منفصلا
نازل في شأن التوحيد وترك عبادة غير الله سبحانه وأن الذى أنزل عليه نذير وبشير من جهته تعالى وقدر
في تضاعيف ذلك ما له مدخل في تحقيق هذا المرام من الترغيب والترهيب والزام المعاندين بما يشارونه من
الشواهد الحقة الدالة على كونه من عند الله تعالى وتسمية الرسول صلى الله عليه وسلم بماعراه من ضيق الصدر
العارض له من اقتراحتهم الشريعة وتكذيبهم له وتسميتهم للقرآن تارة سجرا وأخرى مفترى وتبنيته
عليه الصلاة والسلام والمؤمنين على القسامة والعمل بوجهه على أباح وجه وأبدع أسلوب شرع في تحقيق
ما ذكره وتقريره بذكر قصص الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين المشقة له على ما اشتغل عليه فاتحة السورة
الكريمة ايتا كذا ذلك بطريقين أحدهما أن ما أمر به من التوحيد وفروعه مما أطبق عليه الانبياء قاطبة
والثاني أن ذلك انما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي فلا يبقى في حقيقته كلام أصلا ولينسلي
بما يشاهد من معاناة الرسل قبله من أحمهم ومقاساتهم الشدائد من جهتهم فتبيل (وان قد أرسلنا نوحا الى قومه)
الواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وسرفه الباء الواو كما في سورة الاعراف ثلاثا يجمع واوان
ولا يكاد تطلق هذه اللام الامع قد لانها مظنة التوقع وأن الخطاب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح
هو ابن المك بن متوشلح بن ادريس عليه السلام وهو أول نبي بعث بعده قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
بعث عليه الصلاة والسلام على رأس أربعين من عمره ولبث يدعو قومه تسعة مائة وخمسين سنة وعاش بعد
الطوفان ستين سنة وكان عمره ألفا وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين
سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعة مائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان
مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألفا وأربعمائة وخمسين سنة (انى لكم نذير) بالكسر على ارادة القول
أى فتعال أو قاتلا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالفتح على انما سرف البحر أى أرسلنا ملتبس بذلك
الكلام وهو انى لكم نذير بالكسر فلما اتصل به الجار فتح ك ما فتح في كائن والمعنى على الكسر وهو قولك
ان زيدا كالا سد واقصر على ذكر كونه عليه الصلاة والسلام نذيرا الا لان دعوته عليه الصلاة والسلام
كانت بطريق الانذار فقط ألا يرى الى قوله تعالى فقلت استغفر واربعكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم
مدرا والخب بل لانهم لم يغفروا غفارا غفارا عليه الصلاة والسلام (مبين) أي بين لكم موجبات العذاب

ووجه الخلاص منه لان الانذار اعلام المحذور ولا مجرد التخويف والازعاج بل المذموم منه فيعلق صفة بكلا
 وصفيه (ألا تعبدوا الا الله) أي بأن لا تعبدوا على أن أن مصدرية والباء متعلقة بأرسلنا ولا نهاية أي أرسلناه
 ملتبساً بهم عن الشرك الا أنه وسط بينهما بيان بعض أوصافه وأحواله عليه الصلاة والسلام وهو كونه
 نذيراً أميناً ليكون أذخ في القبول ولم يفعل ذلك في صدر السورة لئلا يفرق بين الكتاب ومضمونه بما ليس
 من أوصافه وأحواله أو مفسرة متعلقة به أو نذيراً أو مفعول مأمين وعلى قراءة الفتح يدل من أني لكم نذير مبين
 وتعين لما يوجب وقوع المحذور وتبين لوجه الخلاص وهو عبادة الله تعالى وقوله تعالى (انني أخاف عليكم
 عذاب يوم أليم) تعليل لما يوجب النهي وتصريح بالمحذور وتحقيق للانذار والمراد به يوم القيامة أو يوم الطوفان
 ووصفه بالاليم على الاسناد المجازي للمبالغة كما في نهاره صائم وهذه المقالة وما في معناها مما قاله عليه الصلاة
 والسلام في أثناء الدعوة على ما عزي اليه في سائر السور لما لم تصدر عنه عليه الصلاة والسلام مرة واحدة بل
 كان يكثرها عليهم في تلك المدة المتطاولة على ما نطق به قوله تعالى رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الايات عطف
 على فعل الارسل المتعارن لهما والقول المقدر بعده جوابهم المتعرض لاحوال المؤمنين الذين اتبعوه عليه
 الصلاة والسلام بعد التبايع والقبول التعقيبية فتبيل (فقال الملا الذين كفروا من قومه) أي الاشتراف منهم
 من قولهم فلان ملي بكذا أي مطبق له لانهم ملثوا بكفايات الامور ولا منهم ملا والقلوب هيبه والجلال أهمية
 أولانهم ملثوا بالاحلام والآراء الصائبة ووصفهم بالكفر لذتهم والتسجيل عليهم بذلك من أول الامر لانت
 بعض اشترافهم ليسوا بالكفرة (مازالوا لا يشعرون) مرادهم ما أنت الا بشر مثله ليس فيك منزلة تخصك
 من دوننا بما تدعيه من النبوة ولو كان كذلك لرأينا له أن ذلك محتمل ولكن لا نراه وكذا الحال في قولهم
 (ومازالوا لا يشعرون الا الذين هم) أرادوا لئلا يبادى الرأي فالفعلان من رؤية العين وقوله تعالى الا بشرنا مثلاً
 حال من المفعول وكذا قوله اتبعك في موضع الحال منه اما على حاله أو بتقدير قد عند من يشترط ذلك ويجوز أن
 يكون من رؤية القلب وهو الظاهر فهما المفعول الثاني وتعلق الرأي في الاول بالثانية لا بالبشرية فقط وانما لم
 يتوا القول بذلك مع جزمهم به واسرارهم عليه اراءة بأن ذلك لم يصدر عنهم جزاً قابل بعد التأمل في الامر
 والتدبر فيه ولذلك اقتصر على ذكر الظن فيما سيأتي وتعر يضامن أول الامر برأي المتبعين فكانت قولهم
 ومازالوا جواب عما يرد عليهم من أنه عليه الصلاة والسلام ليس مثله حيث عاين دلائل نبوته واعتنم اتباعه
 من له عين تبصر وقلب يدرك فزعموا أن هؤلاء أرادوا لئلا يبادى اشخاصاً أو ادانينا جمع أرذل فانه صار بالغلبة جارياً
 مجرى الاسم كالا كبر والا كبراً أوجع أرذل جمع أرذل ككأ كالب وكلب يعنون أنه لا عبرة باتباعهم
 لك اذ ليس لهم رزانة عقل ولا أصالة رأي وقد كان ذلك منهم في بادي الرأي أي ظاهره من غير تعمق من البدو
 أو في أوله من البدو والباء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقد قرأه أبو عمرو بها واتصاه على الطريقة على
 حذف المضاف أي وقت حدوث بادي الرأي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم مع كونهم أولى الالباب
 الراجعة انقصرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهراً للحياة الدنيا كان الاشرف عندهم الاكثر منها حظاً والارذل
 من حرمها ولم يفقهوا أن ذلك لا يزن عند الله جناح بعوضة وأن النعيم انما هو نعيم الآخرة والاشرف من فاز به
 والارذل من حرمه فعوذ بالله تعالى من ذلك (وما نرى لكم) أي لك ولتبعيك فغلب الخطاب على الغائبين
 (علينا من فضل) يعنون أن اتباعهم لك لا يدل على نبوتك ولا يجديهم فضيلة تستبج اتباعنا لكم واقتصارهم
 همنا على ذكر عدم رؤية الفضل بعد تصريحهم بذلك في ما سبق باعتبار حالهم السابق واللاحق ومرادهم
 أنهم كانوا أرذل قبل اتباعهم لك ولا نرى فيهم وفيك بعد الاتباع فضيلة علينا (بل نظنكم كاذبين) جميعاً
 لكونكم كلاً منكم واحداً ودعواكم واحدة أو اياك في دعوى النبوة واياهم في تصديقك واقتصارهم على الظن
 احتراز منهم عن نسبتهم الى المجازفة ومجازفة معه عليه الصلاة والسلام بطريق الارادة على نفي الانصاف
 (قال يا قوم أرايتم) أي أخبروني وفيه ايعاء الى ركا كتر رأيهم المذكور (ان كنت على بينة) برهان
 ظاهر (من ربي) وشاهد يشهد بصحة دعواي (وأتاني رحمة من عنده) هي النبوة ويجوز أن تكون هي البينة
 نفسها أي بها ايدنا بأنهم مع كونها بينة من الله تعالى رحمة ونعمة عظيمة من عنده فوجه افراد الضمير

في قوله تعالى (فعميت عليكم) حينئذ ظاهروا ان اريد بها النبوة وبالبيئة البرهان الدال على صحتها فالافراد
لارادة كل واحدة منهما اولكون الضمير للبيئة والاكتفاء بذلك لاستلزام خفاء اخفاء النبوة ولتقدير
فعل آخر بعد البيئة ومعنى عميت اخفيت وقرئ عميت ومعناه خفيت وحقيقته أن الحجة كما تجعل مبصرة
وبصيرة تجعل عمياء لان الاعى لا يهتدى ولا يهتدى غيره وفي قراءة ابي- فعم ماها عليكم على الاسناد الى الله عز
وجل (انلزمكموها) أي انكرهكم على الاهتداء بها وهو جواب ارايتم وسأدمست جواب الشرط وقرأ
أبو عمرو وبأخفاء حركة الميم وحيث اجتمع ضميران منصوبان وقد تقدم أعرفهما جاز في الثاني الوصل والفصل
فوصل كما في قوله تعالى فسيفكفكم الله (وأنتم لها كارهون) لا تختارونها ولا تأملون فيها ومحصل
الجواب أخبروني ان كنت على حجة ظاهرة الدلالة على صحة دعواي الا أنها خافية عليكم غير مسلمة عندكم
ايكننا أن نكرهكم على قبولها وأنتم معرضون عنها غير متدبرين فيها أي لا يكون ذلك وظاهره مشعر
بصدوره عنه عليه الصلاة والسلام بطريق اظهار اليأس عن الزامهم والاعود عن محتاجتهم كقوله تعالى
ولا يفتعكم نصي الخ ككنه محمول على أن مراده عليه الصلاة والسلام ردّهم عن الاعراض عنها وحثهم
على التدبر فيها بصرف الانكار الى الزام حال كراهتهم لها لا الى الزام مطلقا هذا ويجوز أن يكون
المراد بالبيئة دليل العقل الذي هو ملاك الفضل وبجسبه يمتاز أفراد البشر بعضهم من بعض وبه ينط الكرامة
عند الله عز وجل والاجتهاد بالرسالة وبالكون عليها التمسك به والنيات عليه وبجفتها على الكفرة على أن
الضمير للبيئة عدم ادراكهم لكونه عليه الصلاة والسلام عليها وبالرحمة النبوة التي أنكرها اختصاصه عليه
السلام بهما بين ظهريهم والمعنى انكم زعمتم أن عهد النبوة لا يناله الامن له فضيلة على سائر الناس مستبعدة
لا اختصاصه به دونهم أخبروني ان امتزت عنكم بزيادة منزلة وحيازة فضيلة من ربي وآتاني بحسبها نبوة من هذه
نخسيت عليكم تلك البيئة ولم تصيبوها ولم تشالوها ولم تعلموا احيازي لها وكوفي عليها الى الآن حتى زعمتم أنني
ملككم وهي متحققة في نفسها انلزمكم قبول نبوتي التابعة لها والحال أنكم كارهون لذلك فيكون الاستفهام
للمحمل على الاقرار وهو الانسب بمقام الحاجة وحينئذ يكون كلامه عليه الصلاة والسلام جوابا عن شبههم
التي ادرجوها في خلال مقالهم من كونه عليه السلام بشرا قصارى امره أن يكون مثلهم من غير فضل له عليهم
وقطعا لثأفة آرائهم الركيكة (ويا قوم لا أسألكم عليه) أي على ما قلته في أثناء دعوتكم (مالا) تؤذونه
الى بعد ايمانكم واتباعكم لي فيكون ذلك أجزالي في مقابلته اهتدائكم (ان اجري الاعلى الله) الذي يثبتني
في الآخرة وفي التعبير عنه حين نسب اليهم بالمال ما لا يخفى من المزية (وما انا بطارد الذين آمنوا) جواب
عما ألحوا به بقواهم وما نزالنا تبعك الا الذين هم أراذلنا من أنه لو اتبعه الاشراف لوافقوهم وأن اتباع
الفقراء مانع لهم عن ذلك كما صرح جوابه في قولهم انؤمن لك واتبعك الارذلون فكان ذلك القياس منهم لطردهم
وتعليق الايمانهم به عليه الصلاة والسلام بذلك أنفة من الانتظام معهم في سلك واحد (اسم ملاقر بهم-م)
تعليلا لامتناعه عليه السلام عن طردهم أي انهم فائزون في الآخرة ببقاء الله عز وجل كانه قيل لا أطردهم
ولا أبعدهم عن مجلسي لانهم مقربون في حضرة القدس والتعرض لوصف الربوبية لتربية وجوب رعايتهم
وقصم الامتناع عن طردهم أو مصدقون في الدنيا ببقاء ربهم موقنون به عالمون أنهم ملاقوه لا محالة فكيف
أطردهم وحله على معنى أنهم يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي أو على خلاف
ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على رأى من غير نظر وتفكير وما على أن أشق عن قلوبهم وأتعرف
سر ذلك منهم حتى أطردهم ان كان الامر كما تزعمون بأباه الجزم بترتب غضب الله عز وجل على طردهم كما سيأتي
وايضاً فمهم انما قالوا ان اتباعهم لك انما هو بحسب رأى بلا تأمل وتفكر وهذا لا يكاد يصلح مدارا
للطرد في الدنيا ولا لا مأخذ في الآخرة غايته أن لا يكونوا في مرتبة الموقنين وأدعاء أن بناء الايمان على
ظاهر الرأى يؤدى الى الرجوع عنه عند التأمل فكانهم قالوا انهم اتبعوا بلا تأمل فلا يثبتون على ذلك بل
يرتدون عنه تعسف لا يخفى (ولكني أراكم قوما تجهلون) بكل ما ينبغي أن يعلم ويدخل فيه جهلهم ببقاء الله عز
وجل وبغزلهم عنده وباستيجاب طردهم لغضب الله كما سيأتي وبركا كراهتهم في القاس ذلك وتوقيف ايمانهم عليه
أنفة عن الانتظام معهم في سلك واحد وزعمهم أن الرذالة بالفقر والشرف بالغنى وايتار صيغة الفعل للدلالة

على التجدد والاسقرار وتساقفهم على المؤمنين بنسبتهم الى الحساسة (ويا قوم من ينصرف من الله) يدفع حلول سخطه عنى (ان طردتم) فان ذلك أمر لا مرد له لكون الطرد ظلما وجبا لحلول السخط قطعا وانما يصرح به اشعارا بأنه غنى عن البيان لاسيما غبا قدم ما يلوح به من أحوالهم فكانه قيل من يدفع عنى غضب الله تعالى ان طردتم وهم يتلك المنة من الكرامة والرائي كما ينبغي عنه قوله تعالى (افلاتن كرون) أى اتسعون على ما أنتم عليه من الجهل المذكور فلا تسد كرون ما ذكر من حالهم حتى تعرفوا أن ما تأتونه بعزل عن الصواب ولكون هذه العلة مستقلة بوجه مخصوص ظاهر الدلالة على وجوب الامتناع عن الطرد أفردت عن التعليل السابق وصدرت بساقوم (ولا أقول لكم) حين أدعى النبوة (عندى خزائن الله) أى رزقه وأمواله حتى تستدلوا بعدمها على كذبي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل بل تظنكم كاذبين فان النبوة اعز من أن تنال بأسباب دنيوية ودعواها بعزل عن ادعاء المال والجاه (ولا أعلم الغيب) أى لا أدعى في قولى انى لكم تدرى مبین انى أخاف عليكم عذاب يوم أقيم علم الغيب حتى تسارعوا الى الانكار والاستبعاد (ولا أقول انى ملك) حتى تقولوا ما نراك الا بشرا مثلنا فان البشرية ليست من موانع النبوة بل من مباديها يعنى انكم اتخذتم فقد ان هذه الامور الثلاثة ذريعة الى تكذيبى والحال انى لا أدعى شيئا من ذلك ولا الذى ادعيت به يتعلق بشئ منها وانما يتعلق بالنسائل النفسانية التى بها تتفاوت مقادير البشر (ولا أقول) مساعدة لكم كما تقولون (لذین تزدري أعينكم) أى تتخفهم وتحتقرهم من زراء ادعاه واسناد الازدراء الى أعينهم بالنظر الى قواهم وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا واما لا شعاع بأن ذلك لقصور نظرهم ولوتدبروا فى شأنهم ما فهموا ذلك أى لا أقول فى شأن الذين استردا قواهم لفسرهم من المؤمنين (ان يؤتيهم الله خيرا) فى الدنيا أو فى الآخرة فعسى الله ان يؤتيهم خيرا الدارين ان قلت هذا القول ليس مما تستكره الكفرة ولا مما يتوهمون صدوره عنه عليه السلام أو استنباعا كادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة الخزانة مما نفاه عليه الصلاة والسلام عن نفسه بطريق التبرؤ والنزعة عنه فى أى وجه عطف فيه على نفسه اقلت من جهة أن كلا النفيين رد لقيامهم الباطل الذى تمسكوا به فيما سلف فانهم زعموا أن النبوة تستتبع الامور المذكورة وأنهم لا تتسنى من ليس على تلك الصفات فان العثور على مكانها واغتنام مغاها ليس من دأب الاراذل فاجاب عليه الصلاة والسلام بنفى ذلك جميعا فكانه قال لا أقول وجود تلك الاشياء من واجب النبوة ولا عدم المال والجاه من موانع الخير (الله أعلم بما فى أنفسهم) من الايمان وانما اقتصر على نفي القول المذكور مع أنه عليه الصلاة والسلام جازم بأن الله سبحانه سيؤتيهم خيرا عنيما فى الدارين وأنهم على يقين راسخ فى الايمان جري على سنن الانصاف مع القوم واكتفاء بمخالفة كلامهم وارشاد الهيم الى مسلك الهداية بأن اللائق لكل أحد أن لا يبت القول الا بما يعلمه يقينا ويبنى أموره على الشواهد الطاهرة ولا يجازف فيما ليس فيه على بينة ظاهرة (انى اذا) أى اذا قلت ذلك (ان الظالمين) لهم يحط مرتبتهم ونقص حشوقهم أو من الظالمين لانفسهم بذلك فان وباله راجع الى أنفسهم وفيه تعرض بأنهم ظالمون فى ازدرائهم واستردا الهيم وقيل اذا قلت شيئا مما ذكر من ادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة الخزانة وهو بعيد لان تبعة تلك الاقوال مغنية عن التعليل بلزوم الانتظام فى زمرة الظالمين (قالوا يا نوح قد جادلتنا) خاصتنا (فأكثر جدالنا) أى أطلته أو أتيته بأنواعه فان اكثار الجدال يتحقق بعد وقوع أصله فلذلك عطف عليه بالفاء أو أردت ذلك فأكثرته كما فى قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وما يجمعهم عليه الصلاة والسلام وأبرز لهم بينات واضحة المدلول وحجبا لتلقاها العثور بالقبول وألقمهم الحجر برذيتهم الباطلة ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وقالوا (فأتينا بما وعدنا) من العذاب المجمل او العذاب الذى أشير اليه فى قوله انى أخاف عليكم عذاب يوم أقيم على تقدير أن لا يكون المراد باليوم يوم القيامة (ان كنت من الصادقين) فيما تقول (قال انما يأتيكم به الله ان شاء) يعنى ان ذلك ليس موكولا الى ولا هو مما يدخل تحت قدرى وانما يتوهم الله الذى كفرتم به وعصيتوه يأتيكم به عاجلا أو آجلا ان تعلق به مشيئته التابعة للحكمة وفيه ما لا يخفى من تهويل الموعد فكانه قيل الايمان به امر خارج عن دائرة القوى البشرية وانما يفعله الله عز وجل (وما أنتم بمعجزين) بالهرب او بالمدافعة

كانت افغونى في الكلام (ولا ينفعكم نصحي) النصح كلمة جامعة لكل ما يدور عليه الخير من قول أو فعل وحقيقته
 المحاضرات ارادة الخير والدلالة عليه وتبيينه الغش وقيل هو اعلام موقع التي استقى وموضع الرشد اي في
 (ان اردت ان انصح لكم) شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه والتقدير ان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم
 نصحي وهذه الجملة دليل على ما حذف من جواب قوله تعالى (ان كان الله يريد أن يغويكم) والتقدير ان كان الله
 يريد أن يغويكم فان اردت أن انصح لكم لا ينفعكم نصحي هذا على ما ذهب اليه البصريون من عدم تقديم
 الجزاء على الشرط وأما على ما ذهب اليه الكوفيون من جواز حذفه عز وجل ولا ينفعكم نصحي جزاء للشرط
 الاول والجملة جزاء للشرط الثاني وعلى التقديرين فالجزاء متعلق بالشرط الاول وتعلقه به متعلق بالشرط
 الثاني وهذا الكلام متعلق بقولهم قد جادت فافتنا كثر جد الناصد ر عنه عليه الصلاة والسلام اظهر الحجج
 عن الزامهم بالحجج والبيانات لقادهم في العناد وايد انما بان ما سبق منه ليس بطريق الجدال والخصام بل بطريق
 النصيحة لهم والتبليغ عليهم وبأنه لم يأل جهدا في ارشادهم الى الحق وهذا يهتد بهم الى سبيله المستبين والمحاض
 النصيح لهم ولكن لا ينفعهم ذلك عند ارادة الله تعالى لاغوائهم وتبليغهم عدم نفع النصيح ب ارادته مع أنه محقق
 لا محالة للايدان بأن ذلك النصح منه مقارن للارادة والاهتمام به ولتحقيق المسألة بين ذلك وبين ما وقع بازائه
 من ارادته تعالى لاغوائهم وانما اقتصر في ذلك على مجزء ارادة لاغوائهم دون نفسه حيث لم يقل ان كان الله
 يغويكم مبالغته في بيان غلبة جنابه عز وجل حيث دل ذلك على أن نصحه المقارن للاهتمام به لا يجديهم عند
 مجزء ارادة الله سبحانه لاغوائهم فكيف عند تحقيق ذلك وخلقه فيهم وزيادة كان للاشعار بتقدم ارادته
 تعالى زمانا كقوله لا بد له على تبتدها واستمرارها وانما تقدم على هذا الكلام ما يتعلق بقولهم فانتدبا
 تعدنا من قوله تعالى انما يايتكم به الله ان شاء ردا عليهم من أول الامر وتسجيلا عليهم بحلول العذاب مع ما فيه
 من اتصال الجواب بالسؤال وفيه دليل على أن ارادته تعالى يصح تعلتها بالاغواء وأن خلاف مراده غير واقع
 وقيل معنى أن يغويكم أن يهلككم من غوى النصيل غوى اذ اشم وهلك (هو ربكم) خالفكم ومالك أمركم
 (والله ترجعون) فبما زبكم على أعمالكم لا محالة (أم يقولون افتراء) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
 يعني نوا عليه الصلاة والسلام ومعناه بل يقول قوم نوح ان نوحا اقترى ما جاء به مسندا الى الله عز وجل
 (قل) يانوح (ان افتريت) بالفرض البحت (فعلى اجرامى) ائني ووال اجرامى وهو كسب الذنب وقرئ
 بلغة الجمع وينصره أن فسر الاولون بآثامي (وأنا باري عما تجرمون) من اجرامكم في اسناد الافتراء الى فلا
 وجه لاعتراضكم عني ومعاداةكم لي وقال مقاتل يعني محمد عليه الصلاة والسلام ومعناه بل يقول مشركو
 مكة اقترى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا نوح فكانه انما يخفى به في تضاعيف القصة عند سوق طرف منها
 تحقيقا لقيتها وتأكيدها لوقوعها ونشر بقا السامعين الى استماعها الاسماء وقد قص منها طائفة متعاقبة بما
 جرى بينه عليه السلام وبين قومه من المحاجة وبيت طائفة مستقلة متعلقة بعدا بهم (وأوحى الى نوح أنه
 ان يؤمن من قومك) أي المصيرين على الكفر وهو اقنطاطه عليه السلام من ايمانهم وعلام لكونه كالحال
 الذي لا يصح توقعه (الامن قد آمن) الامن قد وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه وهذا الاستثناء على
 طريقة قوله تعالى الا ما قد سلف (فلا يتسربلوا كوايتهم علون) أي لا تحزن حزن بانس مستكين ولا تنغم
 بما كانوا يعاطونه من التكذيب والاستهزاء والايذاء في هذه المدة الطويلة فقصد انتهى أفعالهم وحن وقت
 الانتقام منهم (وامنع الفلك) ملتبسا (بأعيننا) أي بحفظنا وكلاهما كأن مع من الله عز وجل حناظا
 وحراسا يكاونه بأعينهم من التهديد من الكثرة ومن الزبغ في الصنعة (ورحينا) اليك كيف تصنعها
 وتعلمنا والهامنا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله تعالى اليه أن يصنعها
 مثل جوجوا الطائر والامر للوجوب اذ لا سبيل الى صيانة الروح من الفرق الا به فيجب كوجوبها واللام اما
 للعهد بان يجعل على أن هذه الامور سبق بوحى الله تعالى اليه عليه السلام أنه سبيلكم بالفرق وينجيهم ومن
 معه بشي يصنعه بأمره تعالى ووجه من شأنه كبت وكبت وامعه كذا واما اللبس قبل صنعه عليه الصلاة
 والسلام في سنتين وقيل في أربع مائة سنة وكانت من خشب الساج وجعلت ثلاثة بطون حل في البطن الاول

قوله جوجوه ووزن
 هـ هذا الصدر كان
 القاموس هـ متعجبه

الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وفي البطن الاعلى جنس البشر هو ومن معه
مع ما يحتاجون اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه الصلاة والسلام وقيل جعل في الاقل الدواب
والوحوش وفي الثاني الانس وفي الاعلى الطير قيل كان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها تسعين ذراعاً وسكنها
ثلاثين ذراعاً وقال الحسن كان طولها ألفاً ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقيل ان الطواريين قالوا
لعيسى عليه الصلاة والسلام لو بعث لنا رجلاً من السفينة يحدثنا عن ما فأنطلق بهم حتى انتهى الى كتيب من
تراب فآخذ كل من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن عامر قال
فضرب بعصاه فقال قسم باذن الله فاذا هو قائم ينقض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى عليه الصلاة
والسلام اهكذا حلكت قال لامت وأنا شاب ولكني ظننت أن الساعة فن عمه شئت فقال حدثنا عن سفينة نوح
قال كان طولها ألفاً ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحوش وطبقة
للانس وطبقة للطير ثم قال عديا ذن الله تعالى كما كنت فعاد تراباً (ولا تخاطبني في الدين ظنوا) أي لا تراجعني
فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم وفيه من المبالغة ما ليس فيما لو قيل ولا تدعني فيهم وحيث كان فيه ما
يلوح بالسببية كذا التعليل فقيل (انهم مغرقون) أي محكوم عليهم بالاغراق قدمضني به القضاء وجف القلم
فلا سبيل الى كنهه ولزمهم الحجة فلم يبق الا أن يجعلوا عبرة للمعتبرين ومثلاً للآخرين (ويصنع ذلك) حكاية
حال ماضية لاستحضار صورها العجيبة وقيل تقديره وأخذ يصنع الفلك أو أقبل يصنعها فاقصر على صنع
وأبما كان فقهه ملامة للاستعرازال فهو من الجملة الواقعة حالاً من ضميره أعني قوله تعالى (وكلم امرأ عليه
ملاً من قومه خسرواً منه) استخر وأبه لعله السفينة أملاً لانهم ما كانوا يعرفونها ولا كيفية استعمالها
والاستفهام بها فتعجبوا من ذلك وخسرواً منه وأما لانه كان يصنعها في بركة ماء في أبعاد موضع من الماء وفي
وقت عزته عزة شديدة وكانوا يتضاحكون ويقولون يا نوح صرت نجاراً بعد ما كنت نبياً وقيل لانه عليه الصلاة
والسلام كان يذره في الفرق فلما طال مكثه فيهم ولم يشاهدوا منه عينا ولا اثر اعتدوه من باب المحال ثم لما رأوا
اشتهاله بأسباب الخلاص من ذلك فعلوا ما فعلوا ومدار الجميع انكاراً أن يكون لعله عليه الصلاة والسلام
عاقبة جيدة مع ما فيه من جعل المشاق العظيمة التي لا تكاد تطاق واستجبه له عليه السلام في ذلك (قال ان
تسخر وامننا) مستجبهين لنا فيما نحن فيه (فانا نسخر منكم) أي نستجبه لكم فيما أنتم عليه واطلاق السخرية
عليه للمشاكلة وجمع الضمير في منا أملاً لان سخرية من عليه الصلاة والسلام سخرية من المؤمنين أيضاً
أولاً لانهم كانوا يسخرون منهم أيضاً الا أنه اكتفى بذكر سخرية من عليه الصلاة والسلام ولذلك تعرض الجميع
للمعجزة في قوله تعالى فانا نسخر منكم الخ فكأننا الكلام من الجانبين وتعلق استجبه له عليه الصلاة والسلام
اياهم بما فعلوا من السخرية باعتبار افعالهم ومشافهته عليه الصلاة والسلام اياهم بذلك والافعة عليه
الصلاة والسلام اياهم جاهلين فيما يأتون ويذرون أمر مطرد لا تعلق له بسخرية من منهم لكنه عليه الصلاة والسلام
لم يكن يتصدى لظهوره برياً على نهج الاخلاق الحميدة وانما أظهره جزاء بما صنعوا بعد التنبؤ التي فان سخرتهم
كانت مستمرة ومجيدة حسب نية دهر ورهم عليه ولم يكن يجيبهم في كل مرة والاقيل ويقول ان تسخروا
منا الخ بل انما أجابهم بعد بلوغ اذاهم الغاية كما يؤذن به الاستئناف فكان سائلاً فقال فاصنع نوح
عند بلوغهم منه هذا المبالغ فقيل قال ان تسخروا منا أي ان تسخروا فيما نحن بصدده من الذاهب والمبائنة
لاسباب الخلاص من العذاب الى الجهل وتسخروا منا لاجله فانا نسبكم اليه فيما أنتم فيه من الاعراض عن
استدفاعه بالايمان والطاعة ومن الاستمرار على الكفر والمعاصي والتعرض لاسباب حلول غضب الله
تعالى التي من جلها استجبه لكم ايانا وسخريكم منا واتشبهه في قوله تعالى (كما تسخرون) اتما في مجزء التحقيق
والوقوع اوفي التجدد والتكرار حسب ما صدر عن ملائكة الكيفات والاحوال التي لا تليق بشأن
التي عليه الصلاة والسلام فسكالا الامرين واقع في الحال وقيل تسخر منكم في المستقبل سخرية مثل سخرية منكم
اذ وقع عليكم الفرق في الدنيا والخرق في الآخرة ولعل مراده نعماملكم معاملته من يفعل ذلك لان نفس
السخرية مما لا يكاد يليق بمنصب النبوة ومع ذلك لاسداد له لان حالهم اذ ذاك ليس مما يلائم السخرية او ما يجري
مجرها فتأمل (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) وهو عذاب الفرق (ويجعل عليه) حلول الدين المؤجل

(عذاب مقيم) هو عذاب النار الدائم وهو تهديد بليغ ومن عبارة عنهم وهي اما استنفها مية في حيز الرقع
أو موصولة في محل النصب بتعلمون وما في حيزها سادة مستدفعوا لين أو مفعول واحد ان جعل العلم بمعنى
المعرفة ولما كان مدار خبرتهم استجها لهم ايام عليه الملة والسلام في مكابدة المشاق الفادحة لدفع ما لا يكاد
يدخل تحت النعمة على زعمهم من الطوفان ومقاساة الشدائد في بناء السفينة وكانوا بعد عذابا قبل بعد
استجها لهم فسوف تعلمون من يأتيه العذاب يعني أن ما أتى بشره ليس فيه عذاب لاحق في فسوف تعاون
من المعذب ولقد أصاب العلم بعد استجها لهم بحره ووصف العذاب بالآثراء لما في الاستنزاء والخبرة
من حقوق الخزي والعارعادة والتعرض لحلول العذاب المتقيم للمبالغة في التهديد وتخصيصه بالموجب
وايراد الاقول بالاثبات في غاية الجزالة (حتى اذا جاء أمرنا) حتى هي التي يتدأ بها الكلام دخلت على الجلة
الشرطية وهي مع ذلك غاية اقوله وبصنع وما ينشأ من حال من الضعيفيه ومخروا منه جوابا لكلاما وقال
استئناف على تقدير سؤال سائل كما ذكرناه وقيل هو الجواب وخروا منه بدل من مرأ وصفة للملا وقد عرفت
أن الحق هو الاقول لأن المقصود بيان تنهايم في ايذاته عليه الصلاة والسلام وتحملة لآذيتهم لا مسارعته
عليه الصلاة والسلام الى جوابهم كمل ما وقع منهم ما يؤذيه من الكلام (وفار التنور) نبع منه الماء وارتفع
بشدة كانه وراقدر بجليها والتنور تنور الخبز وهو قول الجمهور روى أنه قيل لنوح عليه الصلاة والسلام
اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب ومن معك في السفينة فلما نبع الماء أخبرته امرأ أنه فركب وقيل كان تنور
آدم عليه الصلاة والسلام وكان من حجارة فصارت الى نوح وانما نبع منه وهو أبعد شئ من الماء على خرق العادة
وكان في الكوفة في موضع مسجد هاعن عين الداخل مما يلي باب كندة وكان عمل السفينة في ذلك الموضع
أو في الهند أو في موضع بالسام يقال له عين وردة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعكرمة والزهرى
أن التنور وجه الارض وعن قتادة أشرف موضع في الارض أى أعلاه وعن علي رضي الله تعالى عنه
فار التنور طلع النجر (قلنا احل فيها) أى في السفينة وهو جواب اذا (من كل) أى من كل نوع لا بد منه
في الارض (زوجين) الزوج ماله مشا كل من نوعه فالزوج للأنثى كما هي زوج له وقد يطلق على مجموعهما
فيقابل الفرد ولا زلة ذلك الاحتمال قيل (اثنتين) كل منهما زوج للآخر وقرئ على الاضافة وانما قدم ذلك
على أهله وسائر المؤمنين لكونه عريضا فمأمر به من الحل لانه يحتاج الى من اولة الاعمال منه عليه الصلاة
والسلام في تعيين بعضه من بعض وتعيين الأزواج فانه روى أنه عليه الصلاة والسلام قال يا رب كيف أحل
من كل زوجين اثنتين فخير الله تعالى اليه السباع والطيور وغيرها فجعل يضرب بيديه في كل جنس فيقع الذكر
في يده اليمنى والانثى في اليسرى فيجعلها في السفينة وأما البشر فاعيد خيل الفلك باختياره فيخفف فيه معنى
الحل أولانها انما تحمل بمباشرة البشر وهم اغايد خلونهم باعد حاهم اياها (وأهلك) عطف على زوجين أو على
اثنتين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم (الامن سبق عليه القول) بانه من المغرقين بسبب ظلمهم في قوله تعالى
ولا تخاطبني في الذين ظلموا الآية والمراد به ابنه كنهان وأمه وأعله فانما كانا كافرين والاستثناء منقطع ان
اريد بالاهل الاهل ايماناهو الظاهر كما ستعرفه او متصل ان اريد به الاهل قرابة ويكنى في صحة الاستثناء المعلومة
عند المراجعة الى أحوالهم والتفحص عن أعمالهم وحيي بعلى لكون السابق ضار لهم كما جى باللام فيما هو نافع
لهم من قوله عز وجل واقد سبقت لكتنا العبادنا المرسلين وقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى (ومن آمن)
من غيرهم وافراد الاهل منهم للاستثناء المذكور وايضا رصيغة الافراد في آمن بحافظة على لفظ من لا يذيان
بقلتم كما عرّب عنه قوله عز قائلا (وما آمن معه الا قليل) قيل كانوا اثنا عشر نوح عليه الصلاة والسلام وأهله وبنوه
الثلاثة ونساؤهم وعن ابن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وعنه ايضا أنهم كانوا عشرة سوى نساؤهم
وقيل كانوا اثني عشر بين رجالا وامراة وأولاد نوح سام وحام ويافت ونساؤهم فاجمع ثمانية وسبعون
نصفهم رجال ونصفهم نساء واعتبار المعية في ايمانهم للايمان الى المعية في مزا الايمان والنجاة (وقال) أى نوح
عليه الصلاة والسلام لمن معه من المؤمنين كما بيني عنه قوله تعالى ان ربي لفقور ورحيم ولورجى الضعيف
الى الله تعالى لمناسب أن يقال ان ربكم ولعل ذلك بعد ادخال ما أمر بجملة في الفلك من الأزواج كانه قيل

فعمل الازواج أو أدخلها في الفلك وقال للمؤمنين (اركبوا فيها) كما سيأتي مثله في قوله تعالى وهي تجري بهم
 والركوب العلوي على شيء متحرك ويمتد بنفسي واستعماله ههنا بكلمة في ليس لأن المأمور به كونهم
 في جوفها لا فوقها كما ظن فان أظهر الروايات أنه عليه السلام جعل الوحوش وتطائرها في البطن الأسفل
 والآنعام في الاوسط وركب هو ومن معه في الاعلى بل لرعاية جانب المحمية والمكانية في الفلك والسرفية أن معنى
 الركوب العلوي على شيء له حركة اما ارادية كالطيوان او قسرية كالسفينة والعجلة ونحوهما فاذا استعمل
 في الاول يوفقه حفظ الاصل فيقال ركبت الفرس وعليه قوله عز من قائل والخيل والبغال والحمير لتركبوها
 وان استعمل في الثاني يلوح بعملية المفهول بكامة في فيقال ركبت في السفينة وعليه الآية التكرية وقوله
 عزها اذا ركبوها في الفلك وقوله تعالى فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها (بسم الله) متعلق بركبوها حال
 من فاعله أي اركبوها مسبحين الله تعالى او قائلين بسم الله (مجرىها ومرساها) نصب على الظرفية أي وقت
 جرائها وارسائها على أنهم ما اسم زمان او مصدران كالاجراء والارساء بمحذوف الوقت كقولك أتيتك خفوق
 النجم أو اسم مكان انتصبا بما في بسم الله من معنى الفعل أو ارادة القول ويجوز أن يكون بسم الله مجريها
 ومرساها مستقلة من مبتدأ وخبر في موضع الحال من ضمير الفلك أي اركبوها فيها مجراة ومرساها بسم الله
 بمعنى التقدير كقوله تعالى ادخلوها خالدين أو جملة مقنضية على أن نوحا أمرهم بالركوب فيها ثم أخبرهم
 بأن اجراءها وارساءها باسم الله تعالى فيكونان كلامين له عليه الصلاة والسلام قيل كان عليه السلام اذا أراد
 أن يجريها يقول بسم الله فيجري واذا أراد أن يرسبها يقول بسم الله فترسو ويجوز أن يكون الاسم مقعما
 كما في قوله الى الحول ثم اسم السلام عليهما ويراد بالله اجراءها وارساءها أي بقدرة وأمره وقرئ
 مجريها ومرسبها على صيغة الفاعل مجرورى المحل صفتين لله عز وجل ومجرأها ومرساها بفتح الميم مصدرين
 اوزمانين او مكانين من جرى ورسا (ان ربى لغفور) للذنوب والخطايا (رحيم) لعباده ولذلك نجاكم من هذه
 الطامة والداهية العاتية ولولا ذلك لما فعله وفيه دلالة على أن نجاتهم ليست بسبب استحقاقهم لها بل بمحض
 فضل الله سبحانه وغفرانه ورحمته على ما عليه رأى أهل السنة (وهي تجري بهم) متعلق بمحذوف دل
 عليه الامر بالركوب أي فركبوها مسبحين وهي تجري ملتبسة بهم (في موج كالجبال) وهو ما ارتفع من الماء
 عند اضطرابه كل موجة من ذلك كجبل في ارتفائها وترتكها وما قيل من أن الماء طبق ما بين السماء والارض
 وكانت السفينة تجري في جوفه كالخوت فغير ثابت والمشهور أنه علاشواخ الجبال خمسة عشر ذراعا واربعين
 ذراعا ولئن صح ذلك فهذا الجريان انما هو قبل أن يتفارق الخطب كأيديله عليه قوله تعالى (ونادى نوح ابنه)
 فان ذلك انما يصور قبل ان تنقطع العلاقة بين السفينة والبر اذ حينئذ يمكن جريان ما جرى بين نوح عليه الصلاة
 والسلام وبين ابنه من المفاوضة بالاستدعاء الى السفينة والجواب بالاعتصام بالجبل وقرئ ابنها وابنه
 بمحذوف الالف على أن الضمير لامرأته وكان ربيبه وما يقال من أنه كان اغبر رشدة لقوله تعالى نجاتها ما
 فارتكاب عظمة لا يتقادر قدرها فان جناب الانبياء صلوات الله تعالى عليهم وسلامه ارفع من أن يشار اليه
 بأصبع الطعن وانما المراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابتداء على الندبة ولكونها حكاية سوغ محذوف حرقها
 وأنت خير بأنه لا يلائمه الاستدعاء الى السفينة فانه صريح في أنه لم يقع في حياته ياس بعد (وكان في معزل)
 أي في مكان عز فيه نفسه عن أبيه واخوته وقومه بحيث لم يتناولوا الخطاب بركبوها واحتاج الى النداء
 المذكور وقيل في معزل عن الكفار قد انفرد عنهم وظن نوح أنه يريد مفارقتهم ولذلك دعاه الى السفينة وقيل
 كان ينافي أباه فلن أنه مؤمن وقيل كان يعلم أنه كافر الى ذلك الوقت لكنه عليه الصلاة والسلام ظن أنه عند
 مشاهدة تلك الاحوال ينزجر عما كان عليه ويقبل الايمان وقيل لم يكن الذي تقدم من قوله تعالى الامن سبق
 عليه القول نصافي كون ابنه داخلا تحتها بل كان كالجمل يحمته شفقة الابوة على ذلك (بابخ) بفتح الباء
 اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة في قولك يا بني وقرئ بكسر الباء اقتصارا عليه من ياء الاضافة
 او سقطت الباء والالف لالتقاء الساكنين لان الراء بعدها ما ساكنة (اركب معنا) قرأ أبو عمرو والكسائي
 وحذف بادغام الباء في الميم لتقاربهما في الخرج وانما أطلق الركوب عن ذكر الفلك لعينه وللايدان بضيق

المقام حيث حال الجريض دون القريض مع اغناء المعية عن ذلك (ولا تكن مع الكافرين) أى فى المكان وهو وجه الأرض خارج الفلك لافى الدين وان كان ذلك مما يوجب ركوبه معه عليه الصلاة والسلام كونه معه فى الايمان لانه عليه الصلاة والسلام يصدد التحذير عن الهلكة فلا يلائمه التنى عن الكفر (قال سواى الى جبل) من الجبال (بعضنى) بارتضاعه (من الماء) زعمانه أن ذلك كسائر المياه فى ازمة السيول المعتادة التى ربما يتقى منها باصع ودالى الربا وأنى له ذلك وقد بلغ السيل الزبى وجهلا بأن ذلك انما كان لاهلاك الكفرة وأن لا يحصى من ذلك سوى الالتجاء الى ملجأ المؤمنين فلذلك أراد عليه الصلاة والسلام أن يبين له حقيقة الحال ويصرفه عن ذلك الفكر المحال وكان مقتضى الظاهر أن يجيب بما ينطبق عليه كلامه ويتعرض لثنى ما أثبتته للجبل من كونه عاصم له من الماء بأن يقول لا يصح لك منه مفيد النفى وصف العصمة عنه فقط من غير تعرض لنفيه عن غيره ولا لثنى الموصوف أصلا لكنه عليه الصلاة والسلام حيث (قال لا عاصم اليوم من أمر الله) سلك طريقة فى الجنس المنتظم لثنى جميع أفراد العاصم ذاتا وصفة كما فى قواهم ليس فيه داع ولا يجيب أى أحد من الناس للمبالغة فى ثنى كون الجبل عاصما بالوجهين المذكورين وزاد اليوم للتنبية على أنه ليس كسائر الايام التى تقع فيها الوقائع وتلم فيها الملمات المعتادة التى ربما يتخلص من ذلك بالالتجاء الى بعض الاسباب العادية وغيره من الماء فى محمل اضماره بأمر الله أى عذابه الذى أشير اليه حيث قيل حق اذا جاء أمرنا تفخيما شأنه وتمويلا لاهله وتبيينه لآبائه على خطيئته فى تسميته ماء وبوهم أنه كسائر المياه التى يتفصى منها بالهرب الى بعض المهارب المعهودة وتعليل لثنى المذكور فان أمر الله لا يغالب وعذابه لا يردو عهده الحصر العصمة فى جناب الله عز جاره بالاستثناء كأنه قيل لا عاصم من أمر الله الا هو وانما قيل (الامن رحم) تفخيما شأنه الجليل بالابهام ثم التفسير وبالاجمال ثم التفصيل واشعارا بعلمية رحمته فى ذلك بموجب سببها على غضبه وكل ذلك ليكامل عناية عليه الصلاة والسلام بتحقيق ما يتوخاه من نجاة ابنه ببيان شأن الداهية وقطع أطماعه الفارغة وصرفه عن التعلل بما لا يقضى عنه شيئا وارشاده الى العباد بالمعاذ الحق عز جاه وقيل لا مكان يعصم من أمر الله الامكان من رحمه الله وهو الفلك وقيل معنى لا عاصم لا ذاعصمة الامن رحمه الله تعالى (وحال بينهما الموج) أى بين نوح وبين ابنه فانقطع ما بينهما من المجاورة لآبائه وبين الجبل لقوله تعالى (فكان من المغرقين) اذ هو انما يتفرع على حيلولة الموج بينه عليه الصلاة والسلام وبين ابنه لا بينه وبين الجبل لانه بعزل من كونه عاصما وان لم يحل بينه وبين الملتجئ اليه موج وفيه دلالة على هلاك سائر الكفرة على أبلغ وجه فكان ذلك أمرا متقرا الوقوع غير ممتقرا الى البيان وفى ايراد كان دون صار مبالغة فى كونه منهم (وقيل يا أرض ابلعي) أى انشنى استعير له من ازدراد الحيوان ما يأكله للدلالة على أن ذلك ليس كالتشف المعتاد التدريجي (ماءك) أى ما على وجهك من ماء الطوفان دون المياه المعهودة فيها من العيون والانهار وعبر عنه بالماء بعد ما عبر عنه فيما سلف بأمر الله تعالى لأن المقام مقام النقص والتقليل لامقام التفخيم والتهويل (ويامساء أقامى) أى أمسكى عن ارسال المطر يقال أقامت السماء اذا انقطع مطرها وأقلمت الحى أى كفت (وغيض الماء) أى نقص ما بين السماء والأرض من الماء (وقضى الامر) أى انجز ما وعد الله تعالى نوحا من اهلاك قومه وانجائه بأهله وأتم الامر (واسنوت) أى استقرت الفلك (على الجودى) هو جبل بالموصل وبالشأم وابآمل روى أنه عليه الصلاة والسلام ركب فى الفلك فى عاشر رجب ونزل عنها فى عاشر المحرم فصام ذلك اليوم شكرا فصار سنة (وقيل بعد الاقوام الظالمين) أى هلاكهم والتعرض لوصف الظلم لئلا شعاب بعليته للهلاك ولتذكيره ما سبق من قوله تعالى ولا تخاطبني فى الذين ظلموا انهم مغرقون ولقد بلغت الآية الكريمة من مراتب الإعجاز قاصيتها وما لكت من غرر المزايا ناصيتها وقد تصدى لتفصيلها المهرة المتقنون ولعمري ان ذلك فوق ما يصفه الواصفون فخرى بنأت نوبر الكلام فى هذا الباب ونفوض الامر الى تأمل اولى الالباب والله عنده علم الكتاب (ونادى نوح ربه) أى أراد ذلك بدليل الضاء فى قوله تعالى (فقال رب ان ابنى من أهلى) وقد وعدتني انجاءهم فى ضمن الامر بجمعهم فى الفلك او النداء على الحقيقة والفاء لتفصيل ما فيه من الاجمال (وان وعدك الحق) أى وعدك ذلك أو ان كل وعد تعده

حق لا يترك اليه خلف فيدخل فيه الوعد المعهود ودخول أوليا (وأنت أحكم الحاكمين) لأنك أعلمهم وأعداهم
وأنت أكثر حكمه من ذوي الحكم على أن الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع وهذا الدعاء منه عليه
الصلاة والسلام على طريقة دعاء أيوب عليه الصلاة والسلام إذ نادى ربه إلى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين
(قال يانوح) لما كان دعاؤه عليه الصلاة والسلام يتدبر وعده جل ذكره مبنيا على كون كنعان من أهله فنى
أولا كونه منهم بقوله تعالى (انه ليس من أهلك) أى ليس منهم أصلا لأن مدار الاهلية هو القرابة الدينية
ولاعلاقة بين المؤمن والكافر وأوليس من أهلك الذين أمرتكم بحملهم في الفلك لخروجه عنهم بالاستثناء وعلى
التقديرين ليس هو من الذين وعدنا بنجاتهم ثم حال عدم كونه منهم على طريقة الاستثناء التحقيق بقوله تعالى
(انه عمل غير صالح) أصله انه ذو عمل غير صالح فجعل نفس العمل مبالغة كافي قول الخنساء فانما هي اقبال
وادبار واينار غير صالح على فاسد اتمال ان الفساد ربما يطلق على ما فسد ومن شأنه الصلاح فلا يكون نصافيا
هو من قبيل الفساد المحض كالتالى والمطالم واما اللؤلؤ فيجوز أن نجاة من نجاة ما هي اصلاحه وقرأ الكسائي
ويعشوب انه عمل غير صالح أى عمل لا غير صالح ولما كان دعاؤه عليه الصلاة والسلام مبنيا على ما ذكر
من اعتقاد كون كنعان من أهله وقد نفي ذلك وحقق ببيان علمه فزاع على ذلك النهى عن سؤال النجاة الا أنه
يجب بالنهى على وجه عام يندرج فيه ذلك اندراجا أو ليا فقتل (فلا تسألنى) أى اذا وقفت على جليلة الحال
فلا تطالب منى (ماليس لك به علم) أى مطالبا لا تعلم يقينا أن حصوله صواب وموافق للحكمة على تقدير كون
ما عبادرة عن المولى الذى هو مفعول للسؤال او مطالبا لا تعلم أنه صواب على تقدير كونه عبارة عن المصدر
الذى هو مفعول مطلق فيكون النهى واردا بصريحه في كل من معلوم الفساد ومشتبه الحال ويجوز أن يكون
المعنى ماليس لك علم بأنه صواب أو غير صواب فيكون النهى واردا في مشتبه الحال ويقفه منه حال معلوم الفساد
بالطريق الاولى وعلى التقديرين فهو عام يندرج تحته ما نحن فيه كذا ذكرناه وهذا كما ترى صريح في أن نداه عليه
الصلاة والسلام ربه عز وجل لاليس استفسارا عن سبب عدم النجاة ابنة مع سبق وعد بانجاء أهله وهو منهم
كما قيل فان النهى عن استفسار ما لم يعلم غير موافق للحكمة اذ عدم العلم بالشئ داع الى الاستفسار عنه لا الى تركه
بل هو دعاء منه لانجاء ابنة حين حال الموج بينه ما لم يعلم به لانه بعد ما يتقرر به الى الفلك بلاطم الامواج
أو بتقريرها اليه وقيل او بانجائه في قلة الجبل وبأبواب تدكير الوعد في الدعاء فانه مخصوص بالانجاء في الفلك وقوله
تعالى لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم ويحذر دحولة الموج بينه ما لا يستوجب هلاكه فضلا عن العلم به
لفهمه واما مكان عصمة الله تعالى ايام برحته وقد وعد بانجاء أهله ولم يكن ابنة مجاهرا بالكفر كما ذكرناه حتى لا يجوز
عليه عليه السلام أن يدعو الى الفلك أو يدعوه ربه لانجائه واعتزاله عنه عليه الصلاة والسلام وقصده الاتجاء
الى الجبل ليس ينص في الاصرار على الكفر لظهور رجوازان ~~يكون ذلك لجهله~~ بالانجاء لانه نحصار التجاء الى الفلك
وزعمه أن الجبل أيضا يجرى مجراه أول كراهة الاحتباس في الفلك بل قوله ساوى الى جبل يعصم من الماء
بعد ما قال له نوح عليه الصلاة والسلام ولا تمكن مع الكافرين ربما يطعمه الله عليه السلام في ايمانه حيث لم يقل
أكون معهم أو ساوى أو يعصمنا فان افراد نفسه بنسبة الفهلين المذكورين ربما يشعربا ندراده من الكافرين
 واعتزاله عنهم وامتناله ببعض ما أمر به نوح عليه الصلاة والسلام الا أنه عليه الصلاة والسلام لو تأمل في شأنه
حق التأمل وتفحص عن أحواله في كل ما يأتي ويذكر لما اشتبه عليه أنه ليس بمؤمن وأنه المستثنى من أهله ولذلك
قيل (انى اعطاك أن تكون من الجاهلين) فممن ترك الاولى بذلك وقرئ فلا تسألن بغيرياء الاضافة وبالنون
التقية بغيرياء وبغيرياء (قال رب انى أعوذ بك أن أسألك) أى أطلب منك من بعد (ماليس لك به علم) أى مطالبا
لا أعلم أن حصوله مقتضى الحكمة أو مطالبا لا أعلم أنه صواب سواء كان معلوم الفساد ومشتبه الحال أو لا أعلم
أنه صواب أو غير صواب على ما مر وهذه توبة منه عليه السلام مما وقع منه وانما لم يقل أعوذ بك منه أو من ذلك
مبالغة في التوبة وإظهار الرغبة والنشاط فيها وتبر كاذب كماله الله تعالى وهو أبلغ من أن يقول أنوب اليك
أن أسألك لما فيه من الدلالة على كون ذلك أمرا هائلا محذورا لا يحصى منه الا بالعدو بالله تعالى وأن قدرته
قاصرة عن النجاة من المكاره الا بذلك (والا تغفرلى) ما صدر عني من السؤال المذكور (وترحمنى) بقبول لوبقى

(اكن من الخاسرين) أعمالا بسبب ذلك فان الذهول عن شكر الله تعالى لاسيما عند وصول مثل هذه النعمة الجليلة التي هي النجاة وهلاك الاعداء والاستغفار بما لا يفي خصوصا بعبادى خلاص من قبيل في شأنه انه عمل غير صالح والتضرع الى الله تعالى في أمره معاملة غير رابحة وخسران مبين وتأخير ذكر هذا النداء عن سكاية الامر الوارد على الارض والسماء وما تلوه من زوال الطوفان وقضاء الامر واستواء الفلك على الجودى والدعاء بالهلاك على الظالمين مع أن حقه أن يذكر عقب قوله تعالى فكان من المفرقين حسبا وقع في الخارج اذ حيث ذنبت صور الدعاء بالانجاء لا بعد العلم بالهلاك ايس لما قيل من استقلاله بغرض مهم هو جعل قرابة الدين عامرة لقرابة النسب وأن لا يقدم في الامور الدينية الاصولية الا بعد اليقين فباسا على ما وقع في قصة البقرة من تقديم ذكر الامر بذبحها على ذكر القتل الذي هو اول القصة وكان حقه أن يقال واذا قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة فاذربوه ببعضها كما قرر في موضعه فان تغيير الترتيب هنا للدلالة على كمال سوء حال اليهود بتعدي جنائياتهم المتنوعة وتنويع التبريع عليهم بكل نوع على حدة فقوله تعالى واذا قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة الخ لتقربهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامثال وما يتبع ذلك وقوله تعالى واذا قتلتم نفسا الخ للتبريع على قتل النفس المحترمة وما يتبعه من الامور العظيمة ولو قصت القصة على ترتيبها لكان الغرض الذي هو تنويع التبريع واطن أن المجموع تبرع واحد وأما ما نحن فيه فليس مما يمكن أن يراعى فيه مثل تلك الكثرة أصلا وما ذكر من جعل القرابة الدينية عامرة للقرابة النسبية الخ لا يفوت على تقدير سوق الكلام على ترتيب الوقوع ايضا بل لأن ذكر هذا النداء كما ترى مستند لذكر ما مر من الجواب المستند لذكر ما مر من توبته عليه الصلاة والسلام المؤدى ذكرها الى ذكر قبولها في ضمن الامر الوارد بنزوله عليه الصلاة والسلام من الفلك بالسلام والبركات الفاضلة عليه وعلى المؤمنين حسبا سيحى مفصلا ولا ريب في أن هذه المعاني أخذت بها بحجة بهض بحيث لا يكاد يفرق الآيات الكريمة المتطوية عليها بعضها من بعض وان ذلك انما يتم بتمام القصة ولا ريب أن ذلك انما يكون بتمام الطوفان فلا جرم اقتضى الحال ذكر تمامها قبل هذا النداء وذلك انما يكون عند ذكر كون كتمان من المفرقين ولهذه النكتة ازداد حسن موقع الاستيعاز بالبلغ وفيه فائدة أخرى هي التصريح بهلاكه من اول الامر ولو ذكر النداء الثاني عقب قوله تعالى فكان من المفرقين لما توهم من اول الامر الى أن يرد قوله انه ليس من أهلك أنه يجوب بدعائه عليه الصلاة والسلام فنص على هلاكه من اول الامر ثم ذكر الامر الوارد على الارض والسماء الذي هو عبارة عن تعالى الارادة الربانية لازية بما ذكر من الغيظ والافلاخ وبين بلوغ أمر الله بحله وجرى قضاءه ونفوذ حكمه عليهم بهلاك من هلك ونجاة من نجى بتمام ذلك الطوفان واستواء الفلك على الجودى فقصد القصة الى هذه المرتبة وبين ذلك أى بيان ثم تعرض لما وقع في تضاعيف ذلك مما جرى بين نوح عليه السلام وبين رب العزة جلت حكمته فذكر بعد توبته عليه الصلاة والسلام قبولها بقوله (قيل يا نوح اهبط) أى انزل من الفلك وقرئ بضم الباء (بسلام) ملتبسا بسلامة من المكاره كاشفة (منا) او بسلام وتحمية مناعليك كما قال سلام على نوح في العالمين (وبركات عليك) أى خيرات نامية في نفسك وما يقوم به معاشك ومعاشهم من أنواع الارزاق وقرئ بركة وهذا اعلام وبشارة من الله تعالى بقبول توبته وخلاصه من الخسران بفيضان أنواع الخيرات عليه في كل ما باتى وما يدر (وعلى امم) ناشئة (عن معك) الى يوم القيامة متشعبة منهم فن ابتدائية والمراد الامم المؤمنة المتناسلة عن معك الى يوم القيامة (وامم ستمتعهم) أى ومنهم على انه خبر حذف لدلالة ما سبق عليه فان اراد الامم المبارك عليهم المتشعبة منهم نكرة يدل على أن بعض من يتشعب منهم ليسوا على صفتهم بمعنى ليس جميع من تشعب منهم مسلما ومباركا عليه بل منهم امم تمتعون في الدنيا معذبون في الآخرة وعلى هذا لا يكون الكائنون مع نوح عليه السلام مسلما ومباركا عليهم صريحا وانما يفهم ذلك من كونهم مع نوح عليه الصلاة والسلام ومن كون ذرياتهم كذلك بدلالة النص ويجوز أن تكون من بيانية أى وعلى امم هم الذين معك وانما عوا الامم لانهم امم متحيزة وجماعات متفرقة اولان جميع الامم انما تشعبت منهم فحينئذ يكون المراد بالامم المشار اليهم في قوله تعالى وأمم ستمتعهم بعض الامم المتشعبة منهم وهى الامم الكافرة المتناسلة منهم الى يوم القيامة ويبقى أمر الامم المؤمنة

الناشئة منهم مما غيرت عرض له ولا مدلول عليه ومع ذلك ففي دلالة المذكور على خبره المحذوف خفاء لأن من
المذكورة بيانية والمحذوفة تبعية أو ابتدائية فتأمل (ثم يحسم) أما في الآخرة أو في الدنيا أيضا
(منع عذاب آليم) عن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة وفيما بعده
من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم أخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم
من عذب وقيل المراد بالأمم المستعنة قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام وبالعذاب ما نزل بهم -
(قلك) إشارة إلى ما قص من قصة نوح عليه الصلاة والسلام أما لكونها بتقصيها في حكم البعد أو للدلالة على
بعد منزلتها وهي مبتدأ خبره (من أنباء الغيب) أي من جنسها أي ليست من قبيل سائر الأنباء بل هي نسيج
وحدتها منفردة عما عداها وبعضها (نوحها اليك) خبر ثان والضمير لها أي موحاة اليك أو هو الخبر ومن أنباء
متعلق به فالعبر بصيغة المضارع لاستحضار الصورة أو حال من أنباء الغيب أي موحاة اليك (ما كنت
تعلمها أنت ولا قومك) خبر آخر أي مجهولة عندك وعند قومك (من قبل هذا) أي من قبل إحيائنا اليك
وإخبارك بها أو من قبل هذا العلم الذي كتبته بالوحي أو من قبل هذا الوقت أو حال من الهاء في نوحها
أو الكاف في اليك أي جاهلا أنت وقومك بها وفي ذكر جهلهم تنبيه على أنه عليه الصلاة والسلام لم يعلمه
أدلم يخاطب غيرهم وأنهم مع كثرتهم لما لم يعلموه فكيف بواحد منهم (فأصبر) مستتر على الإيحاء أو العلم المستفاد
منه المدلول عليه بقوله ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا أي وأدق وأحينا هاهنا أو علمنا بذلك
فأصبر على مشاق تبليغ الرسالة وأذية قومك كما صبر نوح على ما صبرته من أنواع البلايا في هذه المدة المطولة
وهذا فاطر إلى ما سبق من قوله تعالى فاعلمك تارك بعض ما يوحى اليك الخ (إن العاقبة) بالظن في الدنيا
وبالقوز في الآخرة (نعمين) كما شاهدته في نوح عليه الصلاة والسلام وقومه ولك فيه أسوة حسنة فهي تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليل للأمر بالصبر فإن كون العاقبة الحميدة للمتقين وهو في أقصى درجات
التقوى والمؤمنون كلهم متقون مما يدل عليه عليه الصلاة والسلام ويهون عليه الخطوب ويذهب عنه ما عسى
يؤثر به من ضيق صدره وهذا على تقدير أن يراد بالتقوى الدرجة الأولى منه أعني التوفيق من العذاب المخلد بالتبرؤ
من الشرك وعليه قوله تعالى وأزمتهم كلمة التقوى ويجوز أن يراد الدرجة الثالثة منه وهي أن يشتره عما يشغل
متره عن الحق ويتقبل إليه بشرائره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله حتى تتقائه فان التقوى
بهذا المعنى منطوق على الصبر المذكور فكانه قيل فأصبر فإن العاقبة لسايرين (والى عاد) متعلق بضمير معطوف
على قوله تعالى أرسلنا في قصة نوح وهو الناصب لقوله تعالى (أخاهم) أي وأرسلنا إلى عاد أخاهم أي واحدا
منهم في التسبب كتبوا لهم بأخا العرب وتقديم الجورور على المنصوب ههنا للعداوة عن الأضمار قبل الذكور وقيل
متعلق بالفعل المذكور في ما سبق وأخاهم معطوف على نوحا وقد مر في سورة الأعراف وقوله تعالى (هودا)
عطف بيان لأخاهم وكان عليه الصلاة والسلام من جملتهم فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن العوص بن
أرم بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام وقيل هود بن صالح بن أرغث بن سام بن نوح ابن عم أبي عاد وإنما جعل
منهم لأنهم أفهم لكلامه وأعرف بحاله وأرغب في اقتنائه (قال) لما كان ذكر إرساله عليه الصلاة والسلام
إليهم مظنة للسؤال عما قال لهم ودعاهم إليه أجيب عنه بطريق الاستئناف فقيل قال (يا قوم اعبدوا الله)
أي وحده كما ينبغي عنه قوله تعالى (ما لكم من اله غيري) فانه استئناف يجري مجرى البيان للعبادة المأمور بها
والتعليل للأمر بها كانه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا أذ ليس لكم من اله سواه وغيره بالرفع صفة لاله
باعتبار محله وقرئ بالجزم حلاله على لفظه (إن أنتم) ما أنتم ياخذكم الأصنام شركا له أو يقول لكم إن الله أمرنا
بعبادتها (الامنترون) عليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا (يا قوم لا أسألكم عليه أجراء أن أجري الأعلى الذي
قطري) خاطب به كل نبي قومه إذا حصة للمعصية وهوموته والمحاضة للصحة فانه ما دامت مشوبة بالمطامع
بعزل عن التأثير وإيراد الموصول للتفخيم وجعل الصلة فصل الفطرة لكونه أقدم النعم الفاضلة من جناب الله
تعالى المستوجبة لل شكر الذي لا يتأتى إلا بالجربان على موجب أمره الغالب معرضا عن المطالب الديورية
التي من جملتها الأجر (ألا تعقلون) أي اتفعلون عن هذه القضية أو لا تفكرون فيها فلا تعقلونها أو اتجهلون

كل شيء فلا تعتقلون شيئا أصلا فان هذا مما لا ينبغي أن يجنى على أحد من العقلاء (ويا قوم استغفروا ربكم) أي
اطلبوا مغفرته لما سلف منكم من الذنوب بالإيمان والطاعة (ثم توبوا إليه) أي توبوا إليه بالتوبة وأيضا
التبرؤ من الغير انما يكون بعد الايمان بالله تعالى والرغبة فيما عنده (يرسل السماء) أي المطر (عليكم مدرارا)
أي كثيرا الدرور (ويرزكم قوة) منافاة ومنفعة (الى قوتكم) أي يضاعفها لكم وانما رغبتهم بكثر المطر لانهم
كانوا أصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله تعالى عنهم الشطر وأعتق أرحام نساءهم ثلاث سنين فوعدهم
عليه الصلاة والسلام كثرة الامطار وتضاعف القوة بالناسل على الايمان والتوبة (ولا تتلوا) أي لا تعرضوا
عناد عوتكم اليه (بحر من) مصرين على ما كنتم عليه من الاجرام (فالوا يا هود ما جئتكم ببينة) أي بحجة
تدل على صحة دعواي وانما قالوه لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من البينات الفاتنة للعصر
(وما نحن بشاركي آلهتنا) أي بشاركي عبادتها (عن قولك) أي صادرين عنه أي صادر اتركنا عن ذلك باستادخال
الوصف الى الموصوف ومعناه التعليل على أبلغ وجه لدلالته على كونه علة قاعلية ولا يفيد السبب واللام وهذا
كقواهم المنقول عنهم في سورة الاعراف اجتمعنا لعبادة الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا (وما نحن لك بمؤمنين)
أي بمصدقين في شيء مما تأتي وتذري فيندرج تحتها ما دعاهم اليه من التوحيد وترك عبادة الآلهة وفيه من
الدلالة على شدة الشكية وتجاوز الحد في العقول لا يخفى (ان تقول الاعتراف) أي ما تقول الا قولنا اعتراك
أي أصابك (بعض الهناب) يجوزون لسبب اياها وحده عن عبادتها وحطك لها عن رتبة الألوهية
والمعبودية بما رزمن قولك ما لكم من اله غير ان أنتم الامسترون والتكبر في سؤا للتقليل فكأنهم لم يبالوا
في السوء كما ينبغي عنه نسبة ذلك الى بعض آلهتهم دون كلها والجملة تقول القول والالغولان الاستثناء
مفرغ وهذا الكلام مقرر لما رزمن قواهم وما نحن بشاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين فان اعتقادهم
بكونه عليه الصلاة والسلام كما قالوا وسأشاه عن ذلك يوجب عدم الاعتداد بقوله وعنه من قبيل المخرافات
فضلا عن التصديق والعمل به فتشاه يعنون اننا لا نعتد كلامك الا من قبيل ما لا يحتمل الصدق والكذب من
الهدايات الصادرة عن المجانين فكيف نصدقه ونؤمن به ونعمل بوجبه ولقد سلكوا في طريقة المخالفة والعناد
الى سبيل الترقى من الأدنى الى الأعلى حيث أخبروا أولا عن عدم مجيئه بالبينة مع احتمال كون ما جاء به عليه
الصلاة والسلام حجة في نفسه وان لم تكن واضحة الدلالة على المراد وثانيا عن ترك الامتثال بقوله عليه الصلاة
والسلام بقولهم وما نحن بشاركي آلهتنا عن قولك مع امكان تحقق ذلك بتصديقهم له عليه الصلاة والسلام
في كلامه ثم نفوا تصديقهم له عليه الصلاة والسلام بقولهم وما نحن لك بمؤمنين مع كون كلامه عليه الصلاة
والسلام مما يقبل التصديق ثم نفوا عنه تلك المرتبة أيضا حيث قالوا ما قالوا فآلهتهم الله أنى يوفقون
(قال انى أشهد الله واشهدوا انى برى) مما نذر كون من دونه) أي من اننا كسكم من دون الله أي
من غير أن ينزل به سلطانا كما قال في سورة الاعراف اتجادلوننى في أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله
به من سلطان أو مما نذر كونه من آلهة غير الله أجاب به عن مقالهم المحشاء المبينة على اعتقاد كون آلهتهم
مما يضر أو ينفع وانما يعزل من ذلك ولما كان ما وقع أولا منه عليه الصلاة والسلام في حق آلهتهم من كونها
يعزل عن الألوهية انما وقع في ضمن الامر بعبادة الله تعالى واختصاصه بها وقد شق عليهم ذلك وعدوه
عما يورث شينا حتى زعموا أنها تصيبه عليه الصلاة والسلام يسوء مجازاة لصدقه معها صرح عليه الصلاة
والسلام بالحق وصدع به حيث أخبر ببراءة القديعة عنها بالجملة الاسمية المصدرة بأن وأشهد الله على ذلك
وأمرهم بأن يسمعو ذلك ويشهدوا به استهانة بهم ثم أمرهم بالاجتماع والاحتشاد مع آلهتهم جميعا دون بعض
منها حسبما يشاء به قواهم بعض آلهتنا والتعاون في ابطال الكيد اليه عليه الصلاة والسلام ونهاهم عن الاقطار
والامهال في ذلك فقال (فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون) أي ان صبح مالو حتم به من كون آلهتهم محاي قدر
على اضرار من يشال منها ويصدق عن عبادتها ولو بطريق ضمني فاني برى منها فكروا أنتم معها جميعا
وباشروا كيدى ثم لا تهملونى ولا تناسخونى في ذلك قالوا لتقرىع الامر على زعمهم في قدرة آلهتهم على ما قالوا
وعلى البراءة كليهما وهذا من أعظم المعجزات فانه عليه الصلاة والسلام كان رجلا مقردا بين الجمل الفقير والجمع

الكثير من عتاة عاد القلاط الشداد وقد خاطبهم بما خاطبهم وحقرهم وألهتهم وهيبهم على مباشرة مبادئ
المضادة والمضارة وحتمهم على التصدي لأسباب المعازة والمعاراة فلم يقدر واعي مباشرة شيء مما كفوه
ونظرهم عن ذلك ظهوراً منا كيف لا وقد التجأ إلى مكن منيع رفيع واهتم بجبل متين حيث قال
(إني توكلت على الله ربي وربكم) يعني أنكم وإن بذلتم في مضارتي محو ودمكم لا تقدر أن على شيء مما يزيدوني
فاني متوكل على الله تعالى وانما جئني باللفظ الماضي لكونه ادل على الانشاء المناسب للمقام ووافي بكلامه في
وحفظي عن غوائلكم وهو مالي وما ليكم لا يصدر عنكم شيء ولا يصيبني أمر إلا بأمر الله ومشيئته ثم رهن
عليه بقوله (ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها) أي الإله هو مالك لها قادر عليها بصرفها كيف يشاء غير مستعصية
عليه فإن الأخذ بالناصية تمثيل لذلك (إن ربي على صراط مستقيم) تمثيل لما يدل عليه التوكل من عدم
قدرتهم على اضرامه أي هو على الحق والعدل فلا يكاد يسلطكم على أن لا يضيع عنده معتصم ولا يفتن
عليه ظالم والاقتدار على إضافة الرب إلى نفسه أما بطريق الاكتفاء لظهور المراد وأما لأن فائدة كونه تعالى
مالكهم أيضاً راجعة إليه عليه الصلاة والسلام (فإن تولوا) أي تتولوا بهذف إحدى التائين أي إن تستمروا
على ما كنتم عليه من التولي والأعراض (فقد آفأككم ما أرسلت به إليكم) أي لم اعاتب على تفريط في الإبلاغ
وكنتم محجوبين بأن بافكم الحق فأبتم إلا التكذيب والجحود (ويستخلف ربي قوماً غيركم) استئناف بالوعد
لهم بأن الله تعالى يهلكهم ويستخلف في ديارهم وأموالهم قوماً آخرين أو عطف على الجواب بالنسبة وبوقيد
قراءة ابن مسعود رضي الله عنه بالحزم عطفاً على الموضع كأنه قيل فإن تولوا بعد ربي وبها يهلككم ويستخلف
مكانكم آخرين وفي اقتصار إضافة الرب عليه عليه السلام رحن إلى اللطف به والتدبير للعاطفين (ولا تصرونه)
توابعكم (شياً) من الضر ولا استحالة ذلك عليه ومن جزم ويستخلف أسقط منه النون (إن ربي على كل شيء
حفيظ) أي رقيب بهم فلا تخفي عليه أعمالكم فيجازيكم بحسبها أو حافظ مستول على كل شيء فكيف
يضره شيء وهو الحافظ للكل (ولما جاء أمرنا) أي نزل عذابنا وفي التعبير عنه بالأمر مضاعفاً إلى شعوره جل
جلاله وعن نزوله بالجيء ما لا يخفى من التغميم والتويل أو ورد أمرنا بالعذاب (لجينة أهود والذين آمنوا معه)
وكانوا أربعة آلاف (برحة) عظيمة كاشته له (مناس) وهي الأيعان الذي أغمنا به عليهم بالتوفيق له والهداية إليه
(ونجيناهم من عذاب غليظ) أي كانت تلك النتيجة نجيّة من عذاب غليظ وهي السموم التي كانت تدخل
أنوف الكفرة وتخرج من أديارهم فتقطعهم أرباباً وقيل أريد بالثانية النتيجة من عذاب الآخرة ولا عذاب
اغظ منه وأشدّ وهذه النتيجة وإن لم تكن مفيدة مجيئاً الأمر لكن مجيئاً بها كأنه قيل له للنعمة عليهم وتعرضوا
بأن المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ (وتلك عاد) أنت اسم
الإشارة باعتبار القبيلة أو لأن الإشارة إلى قبورهم وآثارهم (بجحدوا بآيات ربهم) كفروا بها بعدما استيقنوها
(وعصوا رسله) جمع الرسل مع أنه لم يرسل إليهم غيره ود عليه الصلاة والسلام تفضيلاً لحالهم وإظهار السكال
كفرهم وعنادهم ببيان أن عصيانهم له عليه الصلاة والسلام عصيان لجميع الرسل السابقين واللاحقين
لا اتفاق كلهم على التوحيد لا تفرق بين أحد من رسله فيجوز أن يراد بالآيات ما أتى به هود وغيره من الأنبياء
عليهم السلام وفيه زيادة ملازمة لما تقدم من جميع الآيات وما تأخر من قوله (واتبعوا أمر كل جبار عنيد)
من كبرائهم ورؤسائهم الدعاة إلى الضلال وإلى تكذيب الرسل فكانه قيل عصوا كل رسول واتبوا أمر كل
جبار وهذا الوصف ليس كما سبق من جحود الآيات وعصيان الرسل في الشمول لكل فرد منهم
فإن الاتباع للأمر من أوصاف الأسافل دون الرؤساء وعنده قيل من عند عندا وعندا أظفا والمعنى عصوا
من دعاهم إلى الهدى وأطاعوا من حذاهم إلى الردى (واتبعوا في هذه الدنيا العنة) إيماناً عن الرحمة وعن
كل خير أي جعلت للعنة لازمة لهم وعبر عن ذلك بالاتبعية للمباشرة فكانت الانتفازة عنهم وإن ذهبوا كل مذهب
بل تدور معهم حيث أداروا ولو وقع في صحبة أتباعهم ورؤسائهم يعني أنهم لما اتبعوهم أتبعوا ذلك جزاء لصنيعهم
جزاء وفاها (ويوم القيامة) أي أتبعوا يوم القيامة أيضاً العنة وهي عذاب النار المخلد حذفت دلالة الأولى
عليها ولا يذنب بكون كل من المعتنين نوعاً برأسه لم تجتمع في قرن واحد بأن يقال واتبوا في هذه الدنيا ويوم

القيامة لعنة كما في قوله تعالى واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة ايذا بنا باختلاف نوعي
الحسنتين فان المراد بالحسنة الدنيوية نحو الصحة والكفاف والتوفيق للخير وبالْحَسَنَةِ الآخروية الثواب
والرحمة (الا ان عادا كفروا ربهم) أي برهم أو نعمة ربهم جلالة على نقضه الذي هو الشكر أو بحدوه
(الابعد العباد) دعاء عليهم بالهلاك مع كونهم هالكين أي هلاك تسجيلا عليهم باستحقاق الهلاك واستيجاب
الدمار وتكرير حرف التنبيه واعادة عادلة المبالغة في تفتيح حالهم والحث على الاعتبار بقصصهم (قوم هود)
عطف بيان لعاد قائده التميز عن عاد الثانية عاد ارم والايما الى أن استحقاقهم للعذاب بسبب ما جرى بينهم
وبين هود عليه الصلاة والسلام وهم قومه (والى عودا أخاهم صالحا) عطف على ما سبق من قوله تعالى
والى عاد أخاهم هودا وعود قبيلة من العرب سوا ياسم أيهم الا كبر عود بن عابر بن ارم بن سام وقيل
انما سوا بذلك لقلة ماتهم من القمد وهو الماء القليل وصالح عليه الصلاة والسلام هو ابن عبيد بن اسف بن ماشج
ابن عبيد بن جادر بن عود وما كان الاخبارا برسالة اليهم مظنة لان يسأل ويقال ماذا قال لهم قيل جوابا
عنه بطريق الاستئناف (قال يا قوم اعبدوا الله) أي وحده وعلى ذلك بقوله (ما لكم من الله غيره)
ثم زيد فيما يعمهم على الايمان والتوحيد ويحثهم على زيادة الاخلاص فيه بقوله (هو أنشأكم من الارض) أي
هو كونكم وخلقكم منها لا غيره قصر قلب او قصر افراد فان خلق آدم عليه الصلاة والسلام منها خلق لجميع
أفراد البشر منها مريم ارامن أن خلقته عليه الصلاة والسلام لم تكن مقصورة على نفسه بل كانت اغوذجا
منطويا على خلق جميع ذرياته التي ستوجد الى يوم القيامة انطواء اجاليا وقيل ان خلق آدم عليه الصلاة
والسلام وانشاء ما اذ النطف التي منها خلق نسله من التراب انشاء لجميع الخلق من الارض فتدبر (واستمعهم) من
من العمرأى عمرهم واستبقاكم (فيها) اومن العماراة أي أقدركم على عمارتها أو أمركم بها وقيل هو من العمري
يعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام أعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم
ثم تتركونها المثلكم (فاستغفروه ثم توبوا اليه) فان ما فصل من فنون الاحسان داع الى الاستغفار عما وقع
منهم من التقرب والتوبة عما كانوا يباشرونه من القبائح وقد زيد في بيان ما يوجب ذلك فقيل (ان ربي
قريب) أي قريب الرحمة كقوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين (محبب) لمن دعاه وسأله وقد روي
في النظم الكريم نكتة حيث قدم ذكر العلة الباعثة المتقدمة على الامر بالاستغفار والتوبة وأخر عنه
ذكر الغائية المتأخرة عنهم في الوجود أعني الاجابة (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا) أي كآثر جومك
لما كنا نرى منك من دلائل السداد ونجائل الرشاد أن تكون لنا سيما ومنتشرا في الامور وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهم ما فاضلا خيرا تقدمك على جميعنا وقيل كآثر جومك أن تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن
عليه (قبل هذا) الذي يشرته من الدعوة الى التوحيد وترك عبادة الالهة أو قبل هذا الوقت فكأنهم
لم يكونوا الى الآن على بأس من ذلك ولو بعد الدعوة الى الحق قالوا قد انصرم عنك رجائونا وقرأ طلحة
مرجوا بالمد والهمزة (اتنهان ان تعبد ما يعبد آباؤنا) أي عبده والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال
الماضية (واتنالى شك مما تدعونا اليه) من التوحيد وترك عبادة الاوثان وغير ذلك من الاستغفار
والتوبة (مرتب) أي موقع في الريية من اراه أي اوقعه في الريية أي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة أو من
ارباب اذا كان ذا ريية وأهم ما كان فالاستناد بحجازي والتنوين فيه وفي شك للتفخيم (قال يا قوم ارايتم)
أي أخبروني (ان كنت) في الحقيقة (على ينة) أي حجة ظاهرة وبرهان وبصيرة (من ربي) مالكي ومتولي أمري
(وآتاني منه) من جهته (رحمة) نبوة وهذه الامور وان كانت محققة الوقوع لكنها صدرت بكلمة الشك اعتبارا
لحال المخاطبين ورعاية لحسن المحاوراة لاستئزازهم عن المكاراة (فمن ينصرتني من الله) أي ينبغي من عذابه
والعدول الى الاظهار لزيادة التحويل والفاء لترتيب انكار النصرة على ما سبق من ايتاء النبوة وكونه على
بينه من ربه على تقدير العصيان حسبا يعرب عنه قوله تعالى (ان عصيته) أي بالمسألة في تبليغ الرسالة
والمجاهرة معكم فيما تاتون وتذرون فان العصيان عن ذلك شأنه ابعاد والمواخذة عليه ألزم وانكار نصرته أدخل
(فما تزدوني) اذني باستتباعكم ايائي كما ينبغي عنه قوله هم قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أي لا تنفيدوني

اذ لم يكن فيه أصل الخسران حتى يزيدوه (غير تخسير) أي غير أن يجهدوا في خاسر أباطال أعمالي وتعرضي
 لسطط الله تعالى أو فاستزيدوني بما تقولون غير أن أنسبكم إلى الخسران وأقول لكم أنكم لخاسرون فالزيادة
 على معصيته والفاء لترتيب عدم الزيادة على انتفاء الناصر المفهوم من إنكاره على تقدير العصيان مع تحقق
 ما ينفيه من كونه عليه الصلاة والسلام على بينة من ربه وآياته النبوة (وباقوم هذه ناقة الله) الإضافة للتشريف
 والتنبية على أنها مفارقة لسائر ما يجانسها من حيث الخلقة ومن حيث الخلق (لكم آية) مجزئة دالة على صدق
 نبوت وهي سال من ناقة الله والعامل ما في هذه من معنى الفعل ولكم حال من آية متقدمة عليها الكون أنكره
 ولو تأخرت لكانت صفة لها ويجوز أن يكون ناقة الله بدل من هذه أو عطف بيان ولكم خبرا وعاملا في آية
 (فذروها) خلوها وشأنها (تأكل في أرض الله) ترع نباتها وتشرب ماءها وإضافة الأرض إلى الله تعالى تربية
 استحقة ناقةها لذلك وتعليل الأمر بتركها وشأنها (ولا تأكلوا منها) بواغ في النهي عن التعرض لها بما يشترطها
 حيث نهى عن المس الذي هو من مبادئ الإصابة وتكرار سوء أي لا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء
 من سوء فضلا عن عقرها وقتلها (فياخذكم عذاب قريب) أي قريب النزول روى أنهم طلبوا منه أن يخرج
 من صخرة تسمى الكاثية ناقة عشراء مخترجة جوفاء وبراء وقالوا ان فعلت ذلك صدقتك فأخذ صالح عليه
 الصلاة والسلام عليهم موافقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصرخ الصخرة فخرج
 النروج بولدها فأنصدت عن ناقة عشراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم اتجعت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع
 ابن عمرو في جماعة ومنع الباقي من الإيمان ودواب بن عمرو والحبيب صاحب أوثانهم ورباب كاهنهم فحككت
 الناقة مع ولدها ترحى الشجر وترد الماء غبا فخر فرفع رأسها من البر حتى تشرب كل ما فيها ثم تفتعج فيحلبون
 ماشا وأحقى غللى أوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهور الوادي فتهرب منها أنعامهم إلى بطنه
 وتشتوي بطنه فتهرب مواشيهم إلى ظهره فشق عليهم ذلك (فعقروها) قبل زيت عقرها لهم عذبة ثم غنم وصدقة
 بنت المختار ففقرها واقنعوا لها فارقى سقها جديلا اسمه قارة فرغاثا فاقبال صالح لهم أدركوا الفصل عسى
 أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجرت الصخرة بعد رغانه فدخلها (فقال) لهم صالح (تعتقوا) أي
 عيشوا (في داركم) أي في منازلكم وفي الدنيا (ثلاثة أيام) قيل قال لهم تصحب وجوهكم غدا صخرة وبعد غد
 محزنة واليوم الثالث مسودة ثم يصحبكم العذاب (ذلك) إشارة إلى ما يدل عليه الأمر بالقتل ثلاثة أيام من نزول
 العذاب عقيبها والمراد بما فيه من معنى البعد تضييمه (وعد غير مكذوب) أي غير مكذوب فيه فحذف الجار
 للتوسع المشهور كقوله ويومئذ ناهيكم عنكم أو غير مكذوب كأن الوعد قال له أتى بك فان وفي به صدقه
 والا كذبه أو وعد غير كذب على أنه مصدر كالجلود والمعقول (فلما جاء أمرنا) أي عذابنا أو أمرنا بنزوله وفيه
 ما لا يخفى من التهويل (نجينا صالحا والذين آمنوا معه) متعلق بنجينا أو بآمنوا (برحمة) بسبب رحمة عظيمة
 (منا) وهي بالنسبة إلى صالح النبوة وإلى المؤمنين الإيمان كما هو أول تبيين برحمة ورأفة منا
 (ومن نرى يومئذ) أي ونجيناهم من نرى يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة كقوله تعالى ونجيناهم من عذاب
 غليظ على معنى أنه كانت تلك الصيحة نجية من نرى يومئذ أي من ذلته ومهاتته أو ذلهم وفضيحتهم يوم القيامة
 كما تفسر به العذاب الغليظ فيما سبق فيكون المعنى ونجيناهم من عذاب يوم القيامة بعد نجيتنا إياهم
 من عذاب الدنيا وعن نافع بالغث على اكتساب المضاف البناء من المضاف إليه هنا وفي المعارج في قوله تعالى
 من عذاب يومئذ وقرئ بالتسوين ونصب يومئذ (ان ربك) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم (هو القوى
 العزيز) القادر على كل شيء والغالب عليه لا غيره ولكون الأخبار بنجية الأولياء لاسيما عند الانباء بحلول
 العذاب أهم ذكرها أولًا ثم أخبر بذلك الأعداء فقال (وأخذ الذين ظلموا) عدل عن المضمر إلى المظهر تضييلا
 عليهم بالظلم وأشعارا بعليته لنزول العذاب بهم (الصيحة) أي صيحة جبريل عليه الصلاة والسلام وقيل أنهم
 من السماء صيحة فيها صوت كل ساعة وصوت كل شيء في الأرض فنقطعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة
 الأعراف فأخذتهم الرجفة وأعلمها وقعت عقيب الصيحة المستتبعة لتفوج الهوا (فأصبحوا) أي صاروا
 (في ديارهم) أي بلادهم أو مساكنهم (جاثين) هامدين موتى لا يتحركون والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول

العذاب بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون ذلك عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من الدلالة على شدة الاخذ
 وسرعته اللهم انا نعوذ بك من حلول غضبك قبل لما رأوا العلامات التي بينها صالح من اصرار وجوههم
 واحرارها واسودادها وعدوا الى قتله عليه الصلاة والسلام فحماء الله تعالى الى أرض فلسطين ولما كان خصوص
 اليوم الرابع وهو يوم السبت تحنطوا وتكفّنوا وبالانطاع فأتهم الصيحة فتقطعت قلوبهم فهلكوا (كان لم يغنوا)
 أى كانوا لم يقيموا (فيها) في بلادهم أو في مساكنهم وهو في موقع الحال أى أصبحوا بائسين محالين لم يجد
 ولم يقيم في مقام قط (الا ان غود) وضع موضع التعمير لزيادة البيان ونونه أبو بكر هنا وفي النجم وقرأ حفص هنا
 وفي الفرقان والعنكبوت بغير تنوين (كفروا بهم) صرح بكفرهم مع كونه معلوما عما سبق من أحوالهم
 تقيصا لحالهم وتعليل لا يستحقهم بالدعاء عليهم بالبعد والهلاك في قوله تعالى (الابعد الغود) وقرأ الكسائي
 بالتنوين (واقدمات رسلنا ابراهيم) وهم الملائكة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنهم جبريل وميكائيل
 وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وقال الضحاك كانوا تسعة وعن محمد بن كعب جبريل
 ومعه سبعة وعن السدي أحد عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل كانوا اثني عشر ملكا
 وانما اسند اليهم مطلق الجي بالبشرى دون الارسل لانهم لم يبعثوا رسلين اليه عليه السلام
 بل الى قوم لوط لقوله تعالى انا ارسلنا الى قوم لوط وانما جاء قوله لداعية البشرى ولما كان المقصود في الدورة
 الكريمة ذكر سوء صنيع الامم السالفة مع الرسل المرسل اليهم ولحق العذاب بهم بسبب ذلك ولم يكن جميع
 قوم ابراهيم عليه الصلاة والسلام ممن لحق بهم العذاب بل انما لحق بقوم لوط منهم خاصة غير الاسلوب المطرد
 فيما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا والى ثمود اخاهم صالحا ثم رجع اليه حيث قيل والى مدين
 اخاهم شعيبا (البشرى) أى ملتبيين بها قيل هي مطلق البشرى المستطاعة للبشارة بالولد من سارة لقوله تعالى
 فبشرناها بالصبي الآتية وقوله تعالى وبشرناه بسلام عليه وقوله وبشرناه بسلام عليه وللشارة بعدم لحوق
 الضرر به لقوله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروح وجاءته البشرى تظهر وتفرع المجادلة على مجيئها كما سيأتي
 وقيل هي البشارة بهلاك قوم لوط وبأبام مجادلته عليه الصلاة والسلام في شأنهم والاظهر أنها البشارة بالولد
 وستعرف سر تفرع المجادلة على ذلك ولما كان الاخبار عجيبه بهم بالبشرى مظنة لسؤال السامع بانهم ما قالوا
 أجب بأنهم (قالوا سلاما) أى سلمنا اولد عليك سلاما ويجوز أن يكون نصبه بقالوا أى قالوا قولا ذاك سلام
 اودكروا سلاما (قال سلام) أى عليكم سلام أو سلام عليكم جياهم بأحسن من تحيتهم وقرئ سلم كرم في
 حرام وقرأ ابن أبي عمير قال سلاما وعنه أنه قرأ بالرفع فيهما (فما لبث) أى ابراهيم (ان جاء بهجلا) أى في الجحى
 به او ما لبث مجيئه بهجلا (حنيد) أى مشوى بالرضف في الاخدود وقيل سمين يقطروا دكه لقوله بهجلا سمين من
 حنذت القرم اذا عرقته بالجلال (فلما رأى أيديهم لا تصل اليه) لا يمدون اليه أيديهم لاد كل (نكرهم) أى
 انكروهم يقال نكروا وأنكروا واستنكروا بمعنى وانما أنكرهم لانهم كانوا اذا نزل بهم ضيف ولم يأكل من طعامهم
 ظنوا أنه لم يجيئ بخير وقد روى أنهم كانوا ينكتون بقداح كانت في أيديهم في اللعم ولا تصل اليه أيديهم وهذا
 الانكار منه عليه الصلاة والسلام راجع الى فعلهم المذكور وأما انكاره المتعلق بأنفسهم فلا تعلق له بروية
 عدم اكلامهم وانما وقع ذلك عند رؤيته لهم لعدم كونهم من جنس ما كان يعهده من الناس ألا يرى الى قوله تعالى
 في سورة الذاريات سلام قوم منكرون (وأوجس منهم) أى أحس أو اضر من جهتهم (خيفة) لما ظن أن نزولهم
 لاهرا نكروا الله تعالى عليه اول تعذيب قومه وانما أخر المفعول الصريح عن الظرف لان المراد الاخبار بأنه
 عليه الصلاة والسلام أوجس من جهتهم شيئا هو الخيفة لانه أوجس الخيفة من جهتهم لان جهة غيرهم
 وتحقيقه أن تأخير ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس اليه فيمكن عند وروده عليها فضل تمكن (قالوا لا تحق)
 نأ قالوه بمجرد ما رأوا منه مخايل الخوف ازالته منه بل بعد اظهارة عليه الصلاة والسلام له قال تعالى في سورة
 الحجر قال انا انكم وجعلون ولم يذكروا ذلك هنا اكتفاء بذلك (انا ارسلنا) ظاهره أنه استئناف في معنى التعليل
 للنهي المذكور كما أن قوله تعالى انا نبشركم تعليل لذلك فان ارسلناهم الى قوم آخرين يوجب انهم من الخوف أى
 ارسلنا بالذاب (الى قوم لوط) خاصة الا انه ليس كذلك فان قوله تعالى قال فما خطبكم أي المرسلون قالوا
 انا ارسلنا الى قوم مجرمين صريح في أنهم قالوه جوابا عن سؤاله عليه الصلاة والسلام وقد أوجز الكلام اكتفاء

بذلك (وامر أنه قاعة) وراء الستر بحيث تسمع محاورتهم أو على رؤسهم للخدمة حسبا هو المعتاد وبالجملة حال من
 صغير قالوا أي قالوه وهي قاعة تسمع مقالاتهم (فصحت) سرور ابن زوال الخوف أو بهلاك أهل الفساد أو بهما
 جميعا وقيل بوقوع الامر حسبا كانت تقول فيما سلف فانها كانت تقول لا إبراهيم انهم اليك لو طافني أرى
 أن العذاب نازل بهؤلاء القوم وقيل ضحكك حاضرت ومنه ضحكك الشجرة إذا سال صغها وهو بعيد وقرئ
 بشخ الخاء (فبشرناها يا بحق) أي عقبتنا سرور هابسور وأتم منه على السنة رسلنا (ومن وراء اسحق يعقوب)
 بالنصب على أنه مفعول للمادل عليه قوله بشرناها أي ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب وقرئ بالرفع على
 الابتداء خبره الطرف أي من بعد اسحق يعقوب مولود أو موجود وكلا الاسمين داخل في البشارة كيجي
 أو واقع في الحكاية بعد أن ولد افسه بذلك وتوجيه البشارة ههنا اليها مع أن الاصل في ذلك إبراهيم عليه الصلاة
 والسلام وقد وجهت اليه حيث قيل وبشرناه بغلام حلیم وبشروه بغلام علم للايذان بأن ما بشر به يكون منهما
 ولكونهما عتيقة ربصة على الولد (فالت) استئناف ورد جوابا عن سؤال من سأل وقال غافعات اذ بشرت
 بذلك فقيل فالت (يا ويلتنا) أصل الويل الخزي ثم شاع في كل أمر فطيس والاف مبدلة من ياء الاضافة كما
 في يالها ويا عجباً وقرأ الحسن على الأصل وأمالها أبو عمرو وعاصم في رواية ومعناه يا ويلتي احضري فهذا اوان
 حضورك وقيل هي ألف النذبة ويوقف عليها بهاء السكت (أألدوا ناعجوز) بنت ثمان اوتسع وتسعين سنة
 (وهذا) الذي تشاهدونه (بعلي) أي زوجي وأصل البعل القاسم بالامر (شجنا) وكان ابن مائة وعشرين سنة
 ونصبه على الحال والعامل معنى الاشارة وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو شيخ او خبر بعد
 خبر أو هو الخبر وبعلي بدل من اسم الاشارة أو بيان له وكلتا الجملتين وقعت حالا من النعمير في ألد لتقرر ما فيه
 من الاستبعاد وتعليله أي ألد وكلا على حالة مناقية لذلك وانما قدمت بيان حالها على بيان حاله عليه الصلاة
 والسلام لأن مباينة حالها لما ذكر من الولادة أكثر اذ ربما يولد للشيوخ من الشواب أما العجائز ذواتهن
 عظام ولأن البشارة متوجهة اليها صريحا ولأن العكس في البيان ربما يوهم من أول الامر نسبة المنافع
 من الولادة إلى جانب إبراهيم عليه الصلاة والسلام وفيه ما لا يخفى من المحذور وواقصاها الاستبعاد على
 ولادتها من غير تعرض لحال النافله لانها المستبعد وأما ولادة ولدها فلا تعلق بها الاستبعاد (ان هذا) أي ما ذكر
 من حصول الولد من هرين مثلنا (لشي عجيب) بالنسبة الى سنة الله تعالى الملوكة فيما بين عبادته وهذه
 الجملة لتعليل الاستبعاد بطريق الاستئناف الحقيقي ومقصدها استعظام نعمة الله تعالى عليها في ضمن
 الاستعجاب العادي لا استبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه وتعالى (قالوا انجيبن من امر الله) أي قدرته
 وحكمته أو تكوينه أو شأنه انكروا عليها تعجبها من ذلك لانها كانت ناشئة في بيت النبوة ومهبط الوحي
 والآيات ومظهر المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان حقها أن تتوقر ولا يزدها ما يزدهي سائر
 النساء من أمثال هذه الخوارق من أطفاف الله تعالى الخفية ولطائف صنعه الفائضة على كل أحد مما يتعلق
 بذلك شيئته الازلية لاسيما على أهل بيت النبوة الذين ليست مرتبتهم عند الله سبحانه كمراتب سائر الناس
 وأن تسبح الله تعالى وتحمده وتعبده والى ذلك اشاروا بقوله تعالى (رحمة الله) التي وسعت كل شيء واستتبع
 كل خير وانما وضع المظهر موضع المضمحل لزيادة تشريفها (وبركانه) أي خبراته النامية المتكاثرة في كل باب التي
 من بركاتها الاولاد وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لأن الانبياء منهم وكما هم من
 ولد إبراهيم عليه الصلاة والسلام (عليكم أهل البيت) نصب على المدح أو الاختصاص لانهم اسم أهل بيت خليل
 الرحمن وصرف الخطاب من صيغة الواحدة الى جمع المذكر تعميم حكمه لإبراهيم عليه الصلاة والسلام
 أيضا ليكون جوابهم لها جوابا له أيضا ان خطر بياله مثل ما خطر بيالها وبالجملة كلام مستأنف علل به انكار
 تعجبها ~~كأنه~~ قيل ليس المقام مقام التعجب فان الله تعالى على كل شيء قدير ولستم يا أهل بيت النبوة والكرامة
 والزلفى كسائر الطوائف بل رحمته المستبعدة لكل خير الواسعة لكل شيء وبركانه أي خبراته النامية الفائضة منه
 بواسطة تلك الرحمة الواسعة لازمة لكم لانفاركم (انه حميد) فاعل ما يستوجب الحمد (محميد) كثير الخير والاحسان
 الى عبادته والجملة لتعليل ما سبق من قوله ورحمة الله وبركاته عليكم (فلما ذهب عن إبراهيم الروح) أي ما أوجس منهم
 من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم وعرفان سبب محبتهم والفاصل بط بعض أحوال إبراهيم عليه الصلاة والسلام

ببعض غيب انفصالها بما ليس باجنبي من كل وجه بل له مدخل تام في السياق والسباق وتأخير الفاعل عن
 الطرف لانه مصب الفائدة فان تأخير ما حقه التقديم بقي النفس منتظرة الى وروده فيتم كنه فيها عند وروده
 اليها افضل تمكن (وجاءته البشري) ان فسرت البشري بشواهم لا تحق فسيبية ذهاب الخوف وبجي السرور
 للعبادة المدلول عليها بقوله تعالى (يجادلنا في قوم لوط) أي يبادل رسلنا في شأنهم وعدل الى صيغة الاستقبال
 لاستحضار صورتهما وطفق يجادلنا ظاهرة وأما ان فسرت بشاردة الولد أو بما يعمله فاعلم بسببها الهام حيث
 انها تفيد زيادة اطمئنان قلب بسلامته وسلامه الله كافة ويجادلته ايهم أنه قال لهم حين قالوا له انما هم لكو
 أهل هذه القرية ارايت لو كان فيها خسون رجلا من المؤمنين اتم لكونها قالوا لا قال فأربعون قالوا لا قال
 ثلثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارايت ان كان فيها رجل مسلم اتم لكونها قالوا لا فعند ذلك قال
 ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم من فيها النجينة وأهل ان قيل المتبادر من هذا الكلام أن يكون ابراهيم عليه
 السلام قد علم أنهم مرسلون لاهلاك قوم لوط قبل ذهاب الروح عن نفسه ولكن لم يقدر على مجادلتهم في شأنهم
 لا شغله بشأن نفسه فلما ذهب عنه الروح فرغ له سامع أن ذهاب الروح عنهما هو قبل العلم بذلك لقوله تعالى قالوا
 لا تحق انا رسلنا الى قوم لوط فلما كان عليه السلام على شريعة ابراهيم عليه السلام وقومه مكلفين بها
 فلما رأى من الملائكة ما رأى خاف على نفسه وعلى كافة اقاربه التي من جعلتهم قوم لوط ولا ريب في تقدم هذا
 الخوف على قواهم لا تحق وأما الذي علمه عليه السلام بعد النهي عن الخوف فهو اختصاص قوم لوط بالهلاك
 لادخلواهم تحت العموم فتأمل والله الموفق (ان ابراهيم خليل) غير محمول على الانتقام من اساء اليه (آواه)
 كثير التأوه على الذنوب والتأسف على الناس (منيب) راجع الى الله تعالى والمتصودين بعد اصفائه بالجليلة
 المذكورة ببيان ما حمله عليه السلام على ما صدر عنه من المجادلة (يا ابراهيم) أي قالت الملائكة يا ابراهيم
 (أعرض عن هذا) الجدل (انه) أي الشأن (قد جاء أمر ربك) أي قدره الجباري على وفق قضائه الازلي الذي
 هو عبارة عن الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص حسب تعلقها
 بالاشياء في اوقاتها وهو المعبر عنه بالقدر (وانهم آتاهم عذاب غير مردود) لا يجادل ولا بدعاء ولا يقهرهما
 (ولما جاءت رسلنا لوطا) قال ابن عباس رضى الله عنهما انطلقوا من عند ابراهيم عليه السلام الى لوط عليه
 السلام وبين القرية اربعة فراسخ ودخلوا عليه في صور غلمان مردحسان الوجوه فلذلك (مى بهم) أي
 ساء مجيئهم لظنه أنهم أقاس يخاف أن يقصدهم قومه ويحجز عن مدافعهم وقرأنا نذع وابن عامر والكسائي
 وأبو عمرو سي وسيتت باثتمام السين النسم روى أن الله تعالى قال للملائكة لا تمسكوهم حتى يشهد عليهم لوط
 أربع شهادات فلما شئ معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم أما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرها قال
 أشهد بالله انها شركرية في الارض عملا يقول ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد حتى فرجت
 امراته فأخبرت به قومها وقالت ان في بيت لوط رجلا ما رأيت مثل وجوههم قط (وضاق بهم ذرعا) أي
 ضاق بمكانهم صدره أو قلبه أو وسعه وطاقته وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه
 والاحتياال فيه وقيل ضاقت نفسه عن هذا الحادث وذكر الذرع مثل وهو المساحة وكأنه قدر البدن مجازا أي
 ان بدنه ضاق قدره من احتمال ما وقع وقيل الذراع اسم للبارحة من المرفق الى الانامل والذرع مدها ومعنى
 ضيق الذرع في قوله تعالى ضاق بهم ذرعا قصرها كما أن معنى ستمها وبسطها طواها ووجه التمثيل بذلك أن القصر
 الذراع اذا مدها يتناول ما يتناول الطويل الذراع تقاصر عنه وعجز عن تعاطيه فشربه مثلا لئلا يفسد
 طاقته دون الجوع الامر (وقال هذا يوم عيب) شديد من محبة اذا شته (وجاءه) أي لوطا وهو في بيته مع
 أضيافه (قومه يهرعون اليه) أي يسرعون كأنهم يدفعون دفعا للطلب الفاحشة من أضيافه والجللة حال من
 قومه وكذا قوله تعالى (ومن قبل) أي من قبل هذا الوقت (كانوا يعاملون السبائات) أي جاؤا مسرعين والحال
 أنهم كانوا منهمكين في عمل السبائات فضرروا بها وعزوا فيها حتى لم يبق عندهم قياحتا ولذلك لم يستحيوا بما فعلوا
 من مجيئهم مهرعين مجاهرين (قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر راكم) فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن من قبل
 ولا يجيبهم نكبتهم وعدم كفاءهم لالعدم مشروعيته فان تزويج المسلمات من الكفار كان جائزا وقد زوج
 النبي عليه الصلاة والسلام ابنته من عتبة بن أبي لهب وأبي العاص بن الربيع قبل الوحي وهما كافران

وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن يزوجهما بتيه وأما ما كان فقد أراد به وقاية ضيقه وذلك غاية الكرم وقيل ما كان ذلك القول منه يجري على الحقيقة من إرادة التكاح بل كان ذلك مباحة في التواضع لهم وإظهار الشدة امتعاضه مما أورد وأعلمه طمعاً في أن يستحيوا منه ويرقوا له إذا سمعوا ذلك فينزعروا عما أقدموا عليه مع ظهور الأمر واستقرار العلم عنده وعندهم جميعاً بأن لا مانعة بينهم وهو الأنسب بقولهم لقد علمت ما لنا في بناتك من حق كما استشف عليه (فاتقوا الله) بترك القواش أو بياضهن عليهم (ولا تحزنون في ضيق) أي لا تنفخوني في شأنهم فإن إخراج ضيف الرجل وبيارة إخراج الله أو لا تتجملوني من الخزيه وهي الحياة (اليس منكم رجل رشيد) يهتدى إلى الحق المبرمج ويرعوى من الباطل الصبيح (قالوا) معرضين عما نصحتهم به من الأمر بتقوى الله والنهي عن إخراجهم مجبيين من أول كلامه (لقد علمت ما لنا في بناتك من حق) مستشعدين بعلمه بذلك بهنون أنك قد علمت أن لا سبيل إلى المساكنة بيننا وبينك وما عرضت لك إلا عرض سارياً ولا مطمع لنا في ذلك (وانك لتعلم ما تريد) من إتيان الذكران ولا ينس عليه السلام من أروائهم عما هم عليه من النقي (قالوا أنى لكم قوة) أي انعمت بكم ما فعلت وصنعت ما صنعت كقوله تعالى ولو أن قرأت سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلمه به الموتى (أو أدى إلى ركن شديد) عطف على أنى بكم إلى آخره لما فيه من معنى الفعل أي لو قوى على دفعكم بنفسى أو أويت إلى ناصر عزز بقوى أتمتع به عنكم شبهه بركن الجبل في الشدة والمنعة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى لو طسا كان بأوى إلى ركن شديد روى أنه عليه السلام أغلق باباً دون أضيافه وأخذ يجيأ دلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأوا الملائكة ما على لوط من الكبر (قالوا) أي الرسل لما شاهدوا عجزه عن مدافعة قومه (بالوط أنارسل ربك أن يصلوا إليك) بضرر ولا مكروه فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه رب العزة جل جلاله في عقوبتهم فأذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فأنشأ جناحه وله جناحان وعليه وشاح من دونه منظوم وهو يراق الشياطين فضررب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم كما قال عز وجل فطمسنا أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط قوم محاصرة (فأسر بأهلك) بالقطع من الأسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث جاء في القرآن من السرى والذات ترتيب الأمر بالأسراء على الأخبار برسالتهم المؤذنة بورد الأمر والنهي من جنابه عز وجل إلى عليه السلام (بقطع من الليل) بطائفة منه (ولا يلفت منكم) أي لا يتخلف أو لا ينظر إلى ورائه (أحد) منك ومن أهلك وانما نحن وعان ذلك أجدوا في السير فان من يلتفت إلى ما وراءه لا يجاوز عن أدنى وقفة أو اثلاث وأما ينزل بقومهم من العذاب فبقوا لهم (الأسراء) استثناء من قوله تعالى فأسر بأهلك ويؤيده أنه قرئ فأسر بأهلك بقطع من الليل الأسراء أنك وقرئ بالرفع على البدل من أحد فالالتفات بمعنى التخلف لا بمعنى النظر إلى الخلف كما يلزم التناقض بين القراءتين المتواترتين فان التصب يقتضى كونه عليه السلام غير مأثور بالأسراء بها والرفع كونه مأثوراً بذلك والاعتذار بأن مقتضى الرفع انما هو مجرد كونهم سامعهم وذلك لا يستدعى الأسراء بالأسراء بها حتى يلزم المناقضة لجواز أن نسرى هي بنفسها كما يروى أنه عليه السلام لما سرى بأهلك تبعتم فلما سمعت مدقة العذاب التفت وقالت يا قوم ما فادركها حجرة قتلها وأن يسرى بها عليه السلام من غير أمر بذلك أذم وجب التصب انما وعدم الأمر بالأسراء بها إلا انتهى عن الأسراء بها حتى يكون عليه السلام بالأسراء بها مخالفاً للنهي لا يجزى فعالاً انصرف الاستثناء إلى الالتفات يستدعى إشاء الأهل على العموم فيكون الأسراء بها مأثوراً به قطعاً وفي حل الأهلية في إحدى القراءتين على الأهلية الدينية وفي الأخرى على النسبية مع أن فيه ما لا يخفى من التحكم والاعتساف كتر على ما قرئ منه من المناقضة فالأولى حينئذ جعل الاستثناء على القراءتين من قوله لا يلتفت مثل الذى في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل منهم فان ابن عامر قرأ بالتصبي وان كان الأصح للرفع على البدل ولا بعد في كون أكثر القراء على غير الأصح ولا يلزم من ذلك أمرها بالالتفات بل عدم نهجها عنه بطريق الاستصلاح ولذلك علمه على طريقة الاستئناف بقوله (انه مصيها ما أصابهم) من العذاب وهو امطار الأبحار وان لم يصبها الخسف والضمير في انه للشأن وقوله تعالى مصيها خبر وقوله ما أصابهم مبتدأ أو الجملة خبر لأن الذى اسمه ضمير الشأن وفيه ما لا يخفى من تقييد شأن ما أصابهم ولا يلزم من جعل الاستثناء منقطعاً على

قوله سارى قال في القاموس
السارى ثوب رقيق جيد
ومنه عرض سارى لأنه
يرغب فيه بادنى عرض اه

على قراءة الرفع (ان- وعدهم الصبح) أى موعده عذابهم وهلاكهم لتعجيل الامر بالاسراء والنهي عن الالتفات المشعر بالحث على الامراع (أليس الصبح بقريب) تأكيده لما قيل فان قرب الصبح داع الى الاسراع في الاسراء للتباعد عن مواقع العذاب وروى أنه قال للعلائكة متى موعده هلاكهم قالوا الصبح قال اريد أسرع من ذلك فقالوا ذلك وانما جعل ميقات هلاكهم الصبح لانه وقت الدعة والراحة فيكون حلول العذاب حينئذ أقطع ولانه انسب بكون ذلك عبرة للناظرين (فلما جاء أمرنا) أى وقت عذابنا وموعده وهو الصبح (جعلنا عاليها) أى على قرى قوم لوط وهى التى عبر عنها بالموثفكات وهى خمس مدائن فيها اربع مائة ألف ألف (سافلها) أى قلبناها على تلك الهيئة وجعل عاليها مفعولا اول للبعث وسافلها مفعولا ثانيا له وان تحقق القلب بالهكس أيضا التحويل الامر وتفضيع الخطب لان جعل عاليها الذى هو مقامهم ومساكنهم سافلها اشتد عليهم واشق من جعل سافلها عاليها وان كان مستلزما له روى انه جعل جبريل عليه السلام جناحه فى اسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واستاد الجعل والامطار الى ضميره سبحانه باعتبار أنه السبب لتفخيم الامر وتحويل الخطب (وأما طرنا عليها) على أهل المداين او شذاذهم (ججارة من ججيل) من طين متعجركة قوله ججارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل هو من اسجله اذا ارسله أو أدرك عطية والمعنى من مثل الشئ المرسل او مثل العطية فى الادرار أو من السجل أى عما كتب الله تعالى أن يعذبهم به وقيل اصله من ججين أى من جهنم فأيدلت نونه لاما (منضود) تضد فى السماء تضد امعة للعذاب وقيل يرسل بعضه اثر بعض كقطار الامطار (مسومة) معلة للعذاب وقيل معلة بيباض وجرة او بسبب اتهم به عن ججارة الارض او باسم من ترمى به (عند ربك) فى خزائنه التى لا تصرف فيها غيره عز وجل (وماهى) أى الججارة الموصوفة (من الظالمين) من كل ظالم (يبعد) فانهم بسبب ظلمهم مستحقون لها وملا بون بها وفيه وعيد شديد لاهل الظلم كافة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عليه السلام فقال يعنى ظالمى ائتلك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اى هى قرية من ظالمى مكة يزورن بها فى مسائرهم وأسفارهم الى الشام وتذكرا البعيد على تأويل الججارة بالجحر أو اجرائه على موصوف مذكر أى بشئ بعيد أو مكان بعيد فانها وان كانت فى السماء وهى فى غاية البعد من الارض الا انها حين هوت منها فهى أسرع شئ لحوقا بهم فكانها يمكن قريب منهم ولانه على زنة المصدر كالزفير والصهيل والمصادر يستوى فى الوصف بها المذكروا الموث (والى مدين) أى اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام او جعل اسمها للقبيلة بالقلبة أو أهل مدين وهو بلد بناء مدين فسمى باسمه (أخاهم) أى نسبيهم (شعبيا) وهو ابن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه والجملة معطوفة على قوله تعالى والى غود أخاهم صالحا أى وأرسلنا الى مدين أخاهم شعبيا (قال) استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عن صدر الكلام فكانه قيل فاذا قال لهم فقيل قال كما قال من قبله من الرسل عليهم السلام (يا قوم اعبدوا الله) وحده ولا تشركوا به شيئا (ما لكم من الله غيره) تحقيق لتوحيد وتعليل للامرية وبعد ما امرهم بما هو ملازم للدين وأول ما يجب على المكلفين منهم عن ترتيب مبادئ ما اعتادوه من الجفس والتطقيف عادة مسقرة فقال (ولا تنقصوا المكيال والميزان) كى تتسلوا بذلك الى جحش حقوق الناس (انى اراكم بخير) أى ملتبسين بثروة وسعة تغنيكم عن ذلك أو بنعمة من الله تعالى حقها أن تقابل بغير ما تأتونه من المسامحة والتفضل على الناس شكرا عليها أو اراكم بخير فلا تزيلوه بما أنتم عليه من الشر وهو على كل حال علة للنهى عقبه بعله اخرى اعنى قوله عز وجل (وانى أخاف عليكم) ان لم تنتوا عن ذلك (عذاب يوم محبط) لا يشذ منه شاذ منكم وقيل عذاب يوم مهلك من قوله تعالى وأنحيط بهم يومئذ واصله من احاطة العذر والمراد عذاب يوم القيامة أو عذاب الاستئصال ووصف اليوم بالاحاطة وهى حال العذاب على الاسناد المجازى وفيه من المباغة ما لا يخفى فان اليوم زمان يشتمل على ما وقع فيه من الحوادث فاذا احاط به ذاب فقد اجتمع للمعذب ما شتمل عليه منه كما اذا احاط بنبعهم ويجوز أن يكون هذا تعليل للامر والنهي جميعا (ويا قوم افوا المكيال والميزان بالقسط) أى بالعدل من غير زيادة ولا نقصان فان الزيادة فى الكيل والوزن وان كان تفضلا مندوبا اليه لكن فى الآفة محظورة كالتقص فعمل الزائد للاستعمال

عند الاكتساب والنقص للاستعمال وقت الكيل وانما امر يتسويتهما وتعدى لهما صريحاً بعد النهي عن
 نقصهما مبالغة في الحل على الايقاع والمنع من الجش ونهيها على انه لا يكفيهم مجرد النقص عن النقص والجش
 بل يجب عليهم اصلاح ما افسدوه وجعله معيار الظاهر وقانونا لعدوانهم (ولا تجشوا الناس) بسبب نقصهما
 وعدم اعتدالهما (اشياءهم) التي يشترونها ما وقد صرح بالنهي عن الجش بعد ما علم ذلك في ضمن النهي
 عن نقص المعيار والامر بابقائه اقساما بشأنه وترغيباً في ابقاء الحقوق بعد الترهيب والزجر عن نقصها ويجوز
 أن يكون المراد بالامر بايفاء المكيل والميزان الامر بايفاء المكيلات والموزونات ويكون النهي عن الجش
 عاماً للنقص في المقدار وغيره تعميماً بعد التخصيص كافي قوله تعالى (ولا تعثوا في الارض مفسدين) فان
 المعنى يتم نقص الحقوق وغيره من أنواع الفساد وقيل الجش المكس كاخذ العشور في المعاملات قال زهير بن
 أبي سلمى في كل اسواق العراق اناوة وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم والمعنى في الارض السرقة وقطع
 الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقدح في اصلاح كافله الخضر عليه السلام من حرق السفينة وقتل
 الغلام وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امر آخر ترككم ومصالح دينكم (بقية الله) أي ما ابقاه لكم
 من الحلال بعد التنزه عن تعاطي المحرمات (خير لكم) مما يجمعون بالجش والتطفيف فان ذلك هباء منثور
 بل شر محض وان زعمتم أن فيه خيراً كقوله تعالى يحق الله الربوا ويرى الصدقات (ان كنتم مؤمنين) بشرط
 أن تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان لا محالة او ان كنتم مصدقين لي في
 صفاتي لكم وقيل البقية الطاعة كقوله عز وجل والباقيات الصالحات خير عند ربك وقرئ بقية الله
 بالوقوفانية وهي تقوام عن المعاصي (وما انا عليكم بحفيظ) أحفظكم من القبائح أو أحفظ عليكم أعمالكم
 فأجازيكم وانما انا ناصح مبالغ وقد أعذرت اذا نذرت ولم آل في ذلك جهداً أو ما ناجحاً حفظ ومستهيق عليكم نعم
 الله تعالى ان لم تتركوا ما انتم عليه من سوء الصنيع (قالوا يا شعيب اصلوك تأمرنا أن نترك ما بعد آباءنا)
 من الاوثان ايجاباً بذلك امره عليه السلام اياهم بعبادة الله وحده المتضمن اتيهم عن عبادة الاصنام ولقد
 بالغوا في ذلك وبلغوا أقصى مراتب الملاعة والجور والضلال حيث لم يكتفوا بابتكار الوحي الا امر بذلك حتى
 ادعوا أن لا امر به من العقل واللب اصلوا أنه من أحكام الوسوسة والجنون وعلى ذلك بنوا استهزامهم وقالوا
 بطريق الاستنزاه اصلاتك التي هي من نتائج الوسوسة وأفاعيل الجانين تأمرنا أن نترك عبادة الاوثان التي
 نوارثها ابا عن جد وانما جعلوه عليه السلام مأموراً مع أن الصادر عنه انما هو الامر بعبادة الله تعالى وغير
 ذلك من التشرائع لانه عليه السلام لم يكن يأمرهم بذلك من تلقاء نفسه بل من جهة الوحي وأنه كان يعلمهم بأنه
 مأموراً بتبليغهم وتخصيصهم باسناد الامر الى الصلاة من بين سائر أحكام النبوة لانه عليه الصلاة والسلام
 كان كثير الصلاة معروفًا بذلك وكانوا اذا رأوه يصلي يتعاضدون ويتضاحكون فكانت هي من بين سائر شعائر
 الدين شخصكة اياهم وقرئ اصلواتك (او أن تفعل في اموالنا ما تشاء) جواب عن امره عليه السلام بايفاء الحقوق
 ونهيها عن الجش والنقص معطوف على ما أي او أن تترك أن تفعل في اموالنا ما تشاء من الاخذ والاعطاء
 والزيادة والنقص وقرئ بالناء في الفعلين عطفاً على مفعول تأمرنا أي اصلاتك تأمرنا أن تفعل انت في اموالنا
 ما تشاء وتجوز العطف على ما قيل يستدعي أن يراد بالترك معنيين متضالان والمراد بفعله عليه السلام ايجاب
 الايفاء والعدل في معاملاتهم لانفس الايفاء فان ذلك ليس من أفعاله عليه السلام بل من افعالهم وانما نقل
 عطفاً على أن تترك لأن الترك ليس مأموراً به على الحقيقة بل المأموراً به تكليفه عليه السلام اياهم وأمره بذلك
 والمعنى اصلاتك تأمرنا أن تكافئنا أن تترك ما بعد آباءنا وجعله على معنى اصلاتك تأمرنا بما ليس في وسعك
 ومحمدك من أفاعيل غيرك ليكون ذلك تعريضاً عنهم بركا كدراية عليه السلام واستنزاهيه من تلك الجهة بأبواب
 دخول الهمة على الصلاة دون الامر ويستدعي أن يصدر عنه عليه السلام في أثناء الدعوة ما يدل على ذلك
 او يوجهه وأن ذلك قناتل وقرئ بالنون في الاول والناء في الثاني عطفاً على أن تترك أي او أن تفعل نحن في
 اموالنا عند المعاملة ما تشاء انت من التسوية والايفاء (انك لانت الحليم الرشيد) وصفوه عليه السلام
 بالوصفين على طريقة التكميم وانما ارادوا بذلك وصفه بصفتهما كقول الخزنة ذق انك انت العزيز الكريم ويجوز
 أن يكون تعديلاً لما سبق من استبعاد ما ذكره على معنى انك لانت الحليم الرشيد على زعمك وانما وصفه بهما

على الحقيقة فبأباه مقام الاستهزاء اللهم الآن يراد بالصلاة الدين كما قيل (قال يا قوم أرايتم أن كنت على
 بينة) أي حجة واضحة وبرهان نير عبر بها عما آتاه الله تعالى من النبوة والحكمة ردًا على مقاتلهم الشنعا
 في جعلهم أموره ونهيه غير مستند إلى سند (من ربي) ومالك أموري وإيراد حرف الشرط مع جزمه عليه
 السلام بكونه على ما هو عليه من اليقين والحج لا اعتبار حال المخاطبين ومراعاة حسن المحاوره معهم كما ذكرناه
 في نظائره (ورزقني منه) أي من لدنه (ورزقا حسنا) هو النبوة والحكمة أيضا عبر عنهم ما بذلت تنبيهها على أنهم ما
 مع كونها ينسب رزق حسن كيف لا وذلك منسب إلى الحياة الأبدية له ولائته وجواب الشرط محذوف يدل عليه
 نحوى الكلام أي أتقولون في شأنى ماتقولون والمعنى أنكم نظمتموني في سلك السفهاء والقواة وعدتم
 ما صدر عني من الأوامر والنواهي من قبيل ما لا يصح أن يتنزه به عاقل ويجعلوه من أحكام الوسوسة
 والجنون واستهزأتمني وبأفعالي حتى قلتم أن ما أمرتكم به من التوحيد وترك عبادة الأصنام والاجتناب
 عن البغى والتطيق ليس مما يأمر به أمر العقل ويقضى به فاضى النطاسة وانما يأمر به صلاتك التي هي من
 أحكام الوسوسة والجنون فأخبروني أن كنت من جهة ربي ومالك أموري ثابعا على النبوة والحكمة التي ليس
 وراءها غاية للكمال ولا مطمح لطامع ورزقني بذلك رزقا حسنا أتقولون في شأنى وأفعالي ماتقولون مما
 لا خير فيه ولا شر وراءه هذا هو الجواب الذى يستدعيه السياق ويساعده النظم الكريم وأما
 ما قيل من أن المحذوف أصبح لي أن لا أمركم بترك عبادة الأوثان والكف عن المعاصي أو هل يسع لي مع هذا
 الانقسام الجامع للسعادات الروحية والجسمانية أن اخون في وجبه وأخافه في أمره ونهيه فيعزل من ذلك
 وانما يناسب تقديره أن جعل كلامهم على الحقيقة وأريد بالصلاة الدين على معنى أدبك بأمرك أن تكلفنا بترك
 عبادة آلهتنا القديمة وترك التصرف المطلق في أموالنا ونحالفنا في ذلك وتشق عصانا وهذا مما لا ينبغي أن
 يصدر عنك فأنك أنت المشهور وبالعلم الفاضل والرشد الكامل فيما بيننا كما كان قول قوم صالح قد كنت فينا
 مرجوا قبل هذا مسرودا على ذلك النظم فأجيبوا بما أجيبوا به وعلى هذا الوجه يكون المراد بالرزق الحسن
 الحلال الذى آتاه الله تعالى والمعنى حينئذ أخبروني أن كنت نبيا من عند الله تعالى ورزقني ما لا حلالا أستغني به
 عن العالمين أصبح أن أخالف أموره وأوافقكم فيما تأتون وما تذكرون (وما أريد) ينهي أياكم عما أنكم عنه من
 البغى والتطيق (أن أخالفكم إلى ما أنكم عنه) أي أقصده بعد ما وليتم عنه وأستبد به دونكم يقال
 خالفت زيدا إلى كذا إذا قصده وهو مول عنه وخالفته عن كذا إذا كان الأمر على العكس (أن أريد)
 أي ما أريد بما أباه من الأمر والنهي (الاصلاح) الآن أصلتكم بالنصيحة والموعظة (ما استطعت)
 أي مقدار ما استطعته من الاصلاح والتقيد به للاحتراز عن الاكفاء بالاصلاح في الجلالة لا عن ارادة ما ليس
 في وسعه منه (وما توفيتي) أي كوني موقفا للحق ما أتعبه من اصلاحكم (الابالله) أي بتأييده ومعونه بل
 الاصلاح من حيث أطلق مستند إليه سبحانه وانما أنا من مبادئ الظاهرة قاله عليه السلام تحشيفا للحق
 وازاحة لما عسى يوهمه اسناد الاستطاعة إليه بإرادته من استبداده بذلك (عليه توكت) في ذلك معرضا
 عما عداه فانه القادر على كل مقدور وما عدا ما جاز محض في حذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار
 بعزل عن مرتبة الاستعداد به والاستظهار (واليه أئيب) أي أرجع فيما أنا بصده ويجوز أن يكون المراد
 وما كوني موقفا لاصابة الحق والصواب في كل ما آتي وأذرا لاهدايته ومعونه عليه توكت وهو إشارة إلى
 محض التوحيد الذاتي والفعل واليه أئيب أي عليه أقبل بشرأش نفسي في مجامع أموري وإشارة صيغة
 الاستقبال على الماضي الانسب للتقرر والتحقيق كما في التوكل لاستحضار الصورة والدلالة على الاستقرار
 ولا يخفى ما في جوابه عليه السلام من مراعاة لطيف المراجعة ورفق الاستئصال والمحافظة على قواعد حسن
 الجواراة وانحازرة وعهده معاقد الحق بطلب التوفيق من جناب الله تعالى والاستعانة به في أموره وحسم
 أطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وأما تهديدهم بالرجوع إلى الله تعالى للجزاء
 كما قيل فلا لآن الانابة انما هي الرجوع الاختياري بالفعل إلى الله تعالى لا الرجوع الاضطراري للجزاء أو ما
 يصح (فيا قوم لا يجرمكم) أي لا يكسبكم من جرمتهم ذنبا مثل كسبه مالا (شقاى) معاداة وأصلها
 أن أجد المتعادين يكون في عدوة وشق والآخر في آخر (أن يصيبكم) مفعول ثان ليحرمكم أي

لا يكفيناكم معاد انكم لي أن يصيبكم (مثل ما أصاب قوم نوح) من الفرق (أو قوم هود) من الریح
(أو قوم صالح) من الصيحة والرجفة وقرأ ابن كثير بضم الباء من أجرته ذنباً اذا جعلته بارماله أى كلسياً
وهو منقول من جرم المتعدى الى مفعول واحد كما نقل كسبه المال من كسب المال فكما لافرق بين كسبه
مالاً واكسبه اياه لافرق بين جرمه ذنباً وأجرته اياه في المعنى الا أن الاول أصح وأدور على السنة الفصحى
وقرأ أبو حنيفة مثل ما أصاب بالفتح لاضافته الى غير ممكن كقوله

لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت • حمامة في غصون ذات أو قال

وهذا وان كان بحسب الظاهر غريباً للشقاق عن كسب اصابه العذاب لكنه في الحقيقة نهى للكفرة عن مشاقته
عليه السلام على العلف الملوأ وأبدعه كما في سورة المائدة عند قوله تعالى ولا يجزمكم شنان قوم الآية
(وما قوم لوط منكم ببعيد) زماناً ومكاناً فان لم تعتبر واجن قبلهم من الامم المعدودة فاعتبروا بهم فكانه انما غير
الصلوب التحذير بهم ولم يصرح بما أصابهم بل اكتفى بذلك كقوله لم يجرهم اياً فابان ذلك مغن عن ذكره كرهة كونه
منقولاً من سخط ما ذكر من دواهي الامم المرفومة أو ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمعاصي فلا يبعد أن يصيبكم
مثل ما أصابهم وافراد البعيد مع تذكيره لان المراد وما اهلكهم على نية المضاف أو وما هم بشيء بعيد لان
المقصود افادة عدم بعدهم على الاطلاق لان حيث خصوصية كونهم قوماً أو ما هم في زمان بعيداً ومكان
بعيداً ولا يبعد أن يكون ذلك لكونه على زنة المصادر كالتيق والشهيق ولما أئذهم عليه السلام بسوء عاقبة
صنيعهم عتبه طمعاً في ارجعائهم عما كانوا فيه بهمهون من طغيانهم بالجل على الاستغفار والتوبة فقال
(واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه) مر تفسيره في أول السورة (ان ربى رحيم) عظيم الرحمة للتائبين (ودود)
مبالغ في فعل ما يفعل البليغ المودة بين يوده من اللطف والاحسان وهذا دليل للامر بالاستغفار والتوبة
وحدث عليهم (قالوا يا شيعب ما ننتقمه كتبنا ان تقول) الفقه معرفة غرض المتكلم من كلامه أى

ما تفهم مرادك وانما قالوه بعد ما سمعوا منه دلائل الحق المبين على أحسن وجه وأبلغ وضاحت عليهم الحيل
وعيت بهم العال فلم يجدوا الى محاورته سبيلاً سوى الصدود عن منهاج الحق والبولك الى سبيل الشفاء كما
هو دين المنعم المحجوج يقابل اليينات بالسب والابراق والارعاد فجعلوا كلامه المشغل على فنون الحكم
والمواعظ وأنواع العلوم والمعارف من قبل ما لا يفهم معناه ولا يدرك لغواه وأدبحوا في ضمن ذلك أن في
تضاعيفه ما يستوجب أخصى ما يكون من المؤاخذة والعقاب ولعل ذلك ما فيه من التحذير من عواقب الامم
السالفة ولذلك قالوا (وانا لراي قيننا) فيما بيننا (ضعيفاً) لا قوة لك ولا قدرة على شيء من الضر والنفع
والايقاع والدفع (ولولا رهطك) لولا مراعاة جانبهم لالولاهم بما نعتوا وبداقعتنا (لرجناك) فان عناية
الرهط وهو اسم لثلاثة الى السبعة أو الى العشرة اهتم بهم ألوف مما لا يكاد يتوهم وقد أيد ذلك بقوله عز
وجل (وما أنت علينا بعزيز) مكرم محترم حتى تتسع من رجلك وانما تكف عنه للحفاظ على حرمة رهطك
الذين يتوكل على ديننا ولم يختاروك علينا ولم ينعولوا ديننا وايلاء الضمير حرف التثنية وان لم يكن الضمير فعلى غير
خال عن الدلالة على رجوع التثنية الى الفاعل دون الفعل لاسيما مع قرينة قوله ولولا رهطك كانه قيل وما أنت
علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا وحيث كان غرضهم من عظيمتهم هذه عائداً الى نفي ما فيه عليه السلام
من القوة والعزة الربانية حسباناً يوجب كونه على ينة من ربه مؤيداً من عنده ويتنصيه قضية طلب التوفيق
منه والتوكل عليه والانابة اليه والى اسقاط ذلك كله عن درجة الاعتداده والاعتبار (قال) عليه السلام
في جوابهم (يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله) فان الاستهانة بن لا تعز ولا به عز وجل استهانة بيميننا به
العزيز وانما أنت كرهطهم اعز به رهطه منه تعالى مع أن ما أنتوه انما هو مطلق عز رهطه لا أعز بهم منه عز
وجل مع الاشتراك في أصل العزة لثبته التقرير وتكرير التوبيخ حيث أنكروا عليهم أولاً ترجيح جنبه الرهط
على جنبه الله تعالى وثانياً بنى العزة بالمارة والمعنى أرهطى أعز عليكم من الله فانه مما لا يكاد يصح والحال انكم
لم تجعلوا له تعالى نظام من العزة أصلاً (واختذتموه) بسبب عدم اعتدادكم بن لا يرد ولا يصدر الا بأمره
(وراهم ظهر يا) أى شيئاً من نبوءا وراه الظاهر من نبيا لا يالى به منسوب الى الظهور والسكر لتغيير النسب
كلامى في النسبة الى الامس (ان ربى بما تعملون) من الاعمال السيئة التى من جلتها عدم مراعاتكم

قوله لم يمنع الخ ضميرها
فرا حلة وفي العبارة قلب
والعنى لم يمنعها من الشرب
الا أنها سمعت صوت حمامة
فغفرت افاده زكريا والا وقال
جمع وقل يفتح فكون وهو
كفى القاء وس شجر المقل أو
غره أو يابسه وأما رطبه
فهش ولعل المراد هنا الثاني
فتأمل والشاهد فيه كما قال
زاده بناء غير على الفتح مع انه
فاعل يمنع اه معجمه

لجانبه (محيط) لا يخفى عليه منها خافية وان جعلتموه منسيا فيبازيكم عليها ويحتمل أن يكون الانكار للرد
 والتكذيب فانهم لما ادعوا أنهم لا يكفون عن ربه عليه السلام لقوته وعزته بل مراعاة جانب رهطه رد عليهم
 ذلك بأنكم ما قدرتم الله حق قدره العزيز ولم تراعوا جنباه القوي فكيف تراعون جانب رهطى الازلة
 (ويا قوم اعلموا) لما رأى عليه السلام اصرارهم على الكفر وأنهم لا يرجعون عما هم عليه من المعاصي حتى
 اجتروا على العظيمة التي هي الاستماتة به والعزيمة على ربه لولا حرمة رهطه قال لهم على طريقة التهديد اعلموا
 (على مكاتبتكم) أى على غاية تمكسكم واستعلاءكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكّن وانما قاله عليه
 السلام ردّ لما ادعوا أنهم أقوياء قادرين على ربه وأنه ضعيف فيما بينهم لاهزله أو على ناحيتكم وجهتكم
 التي أنتم عليها من قواهم مكان ومكانة كقام ومقامة والمعنى انه دواعى ما أنتم عليه من الكفر والمشاقة على
 وسائر ما أنتم عليه مما لا شير فيه وايدلوا جهدكم في مضارتي وايقاع ما في نيتكم واخراج ما في أميتكم من
 القوة الى الفعل (انى عامل) على مكاتبتى حسبما يؤيدنى الله ويوقئى بأنواع التأييد والتوفيق (سوف تعلمون)
 لما هددهم عليه السلام بقوله اعلموا على مكاتبتكم انى عامل كان مظنة أن يسأل منهم سائل فيقول فماذا
 يكون بعد ذلك فتقبل سوف تعلمون (من يأتيه عذاب يخزيه) وصف العذاب بالانزاع تعرضا أو عدوه
 عليه السلام به من الرجم فانه مع كونه عذابا فيه نزي ظاهري لا يكون الا بجنابة عظيمة بوجه (ومن هو
 كاذب) عطف على من يأتيه لا على أنه قسمه بل حدث أو عدوه بالرجم وكذبوه قيل سوف تعلمون من المعبذب
 ومن الكاذب وفيه تعرض يكذبهم في ادعائهم القوة والقدرة على ربه عليه السلام وفي نسبته الى الضعف
 والهوان وفي ادعائهم الابقاء عليه لرعاية جانب الرحط والاختلاف بين الماعطوفين بالفعلية والاسمية لان كذب
 الكاذب ليس بمرتبب كاثبات العذاب بل انما المرتبب ظهور الكذب السابق المستتر ومن اما استنهامية معلقة
 لا علم عن العمل كانه قيل سوف تعلمون أي يأتيه عذاب يخزيه وأيضا كاذب واما موصولة أى سوف تعرفون
 الذى يأتيه عذاب والذى هو كاذب (وارتقبوا) وانتظروا ما لى ما أقول (انى معكم رقيب) منتظر فاعمل
 بمعنى الرقيب كالصريم أو المراقب كالعشير أو المرتقب كالرفيع وفي زيادة معكم اظهرا منه عليه السلام لكل
 الوثوق بأمره (ولما جاء أمرنا) أى عذابنا كما ينبت عنه قوله تعالى سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه
 أو وقته فان الارتقاب مؤذن بذلك (فحينئذ يسيءوا الذين آمنوا معه برحمة منا) وهى الايمان الذى وقفتناهم
 له أو برحمة كائنة مناهم وانما ذكر بالواو كما فى قصة عاد لما انه لم يسبقه فيها ذكر وعدي مجرى مجرى السبب
 المقضى لدخول الفاء فى معاقبه كفى قصتى صالح ولو ط فانه قد سبق هنالك سابقة الوعد بقوله ذلك وعد غير
 مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح (وأخذت الذين ظلموا) عدل اليه عن التفسير تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا
 بأن ما أخذهم انما أخذهم بسبب ظلمهم الذى فصل فيما سبق فنوته (الصيحة) قيل صاح بهم جبريل عليه
 السلام فهلكوا وفى سورة الاعراف فأخذتهم الرجفة وفى سورة العنكبوت فأخذتهم الرجفة أى الزلزلة
 واعلموا من روادف الصيحة المستبعدة لتفوج الهوام المفضى اليها كما ترقيما قبل (فأصبحوا فى ديارهم جائعين)
 مبتين لازمين لا ما كنهم لابرارهم منها وما لم يجعل متعلق العلم بقوله تعالى سوف تعلمون من يأتيه عذاب الخ
 نفس مجى العذاب بل من يجيئه ذلك جعل مجيئه بعد ذلك أمرا سلم الوقوع غنبا عن الاخبار به حيث جعل
 شرطه وجعل تنجية شعيب عليه السلام واهلاك الكفرة جوابا له ومتصودا لافادة وانما قدم تنجيته اهتماما
 بشأنها وايدنا بسبق الرحمة التي هي مقتضى الربوبية على الغضب الذى يظهر أثره بموجب جرائمهم وجرائمهم
 (كان لم يغنوا) أى لم يقيموا (فيها) متصرفين فى أطرافها متقلبين فى اكفافها (الأبعد المدين كما بعدت غود)
 العدول عن الاضمحار الى الاظهار ليكون أدل على طغيانهم الذى اذا هم الى هذه المرتبة وليكون أنسب بمن
 شبه هلاكهم لا كهم أعنى غود وانما شبه هلاكهم بهلاكهم لانهم ما هلكوا بنوع من العذاب وهو الصيحة غير
 أن هؤلاء صيغ بهم من فوقهم وأولئك من تحتهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى
 البعد بما يـكون سبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر للمكسور (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا)
 وهى الآيات التسع المفصلات التي هى العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم
 ونقص الثمرات والانفس ومنهم من جعلها آية واحدة وعد منها ظلال الجبل وليس كذلك فانه لقبول أحكام

التوراة حين ايام بنو اسرائيل والبهاء متعلقة بمحذوف وقع جالا من مفعول أرسلنا أو نعمنا المصدره المؤكد
 أي أرسلناه حال كونه ملتصبا بآياتنا أو أرسلناه رسالا متبسا بها (وساطان ميين) هو المعجزات الباهرة
 منها وهو العصا والافراد بالذكر لانظهار شرفها لكونها أبلغها والمراد بالآيات ما عداها أو هما عبارتان عن
 شيء واحد أي أرسلناه بالجماع بين كونه آياتنا وبين كونه سلطانا له على نبوته واصحابه نفسه أو موضحا آياتها
 من ايمان لازما ومتعديا أو هو الغلبة والاستيلاء كقوله تعالى ونجعل لك سلطانا ويحجز أن يكون المراد
ما بينه عليه السلام في تضاعف دعونه حين قال له فرعون من ربك فيا بال القرون الاولى من الحقائق الرائقة
 والحقائق اللاتقة وجعله عبارة عن التوراة أو اذ راجعها في آيات يردده قوله عز وجل (الفرعون
وملته) فان نزولها انما كان بعد مهلك فرعون وقومه فاطية ليعمل بها بنو اسرائيل فيما يأتون وما يذرون
وأما فرعون وقومه فانما كانوا أموريين بعبادة رب العالمين عز سلطانهم وترك العظيمة الشنعاء التي كان
يتبعها الطاغية وبقبلها منه فتنة الباغية وبارسال بنو اسرائيل من الاسر والقسر وتخصيص ملته بالذكر مع
 عموم رسالته عليه السلام لقومه كافة لاصالتهم في الرأي وتدبير الامور واتباع غيرهم لهم في الورد
والصدور وانما يصرح بكفر فرعون بآيات الله تعالى وانما كان فيما كان عليه من الضلال والاضلال بل
اقتصر على ذكر شأن ملته فقل (فاتبعوا أمر فرعون) أي أمره بالكفر بما جاء به موسى عليه السلام من
الحق المبين للايمان بوضوح حاله فكان كفره وأمر ملته بذلك أمر شقق الوجود غير محتاج الى الذكر
صريحا وانما المحتاج الى ذلك شأن ملته المتردد بين هذا الى الحق وداع الى الضلال فتنبى عليهم سوء اختيارهم
وايراد الفاء في اتباعهم المترتب على أمر فرعون المبني على كفره المسبوق بتبليغ الرسالة للاشعار بمفاجأتهم
في الاتباع ومسارة فرعون الى الكفر وأمرهم به فكان ذلك كله لم يترأخ عن الارسال والتبليغ بل وقع
جميع ذلك في وقت واحد فوقع اثر ذلك اتباعهم ويجوز أن يراد بأمر فرعون شأنه المشهور وطريقته الزائفة
فيكون معنى فاتبعوا فاستمروا على الاتباع والفاء مثل ما في قولك وعظمت فلم تعظ وحثت به فلم تنزجر فان
الآتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد
ومنع حادث فتأمل وترك الاضمار لدفع توهم الرجوع الى موسى عليه السلام من أول الامر وزيادة تسبيح
حال المتبعين فان فرعون علم في الفساد والافساد والاضلال والاضلال فاتباعه لفرط الجهالة وعدم الاستبصار
وكذا الجلال في قوله تعالى (وما أمر فرعون برشيده) الرشد ضد الضلالتى وقد يراد به محمودية العاقبة فهو على الأول
يعنى المرشد أو ذى الرشد حقيقة لغوية والاسناد مجازى وعلى الثاني مجازا والاسناد حقيقي (يتقدم قومه)
جميعا من الاشراف وغيرهم (يوم القيامة) أي يتقدمهم من قدمه بمعنى تقدمه وهو استئناف لبيان حاله في
الآخرة أي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه أو توضيح عدم صلاح ما ك
أمره وسوء عاقبته (فأوردتهم النار) أي يوردتهم وابتار صيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع لا محالة
شبه فرعون بالفارط الذي يتقدم الواردة الى الماء واتباعه بالواردة والنار بالماء الذي يردونه ثم قيل (وبئس
الورد المورود) أي بئس الورد الذي يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الالكاد والنار
على ضد ذلك (واتبعوا) أي الملا الذين اتبعوا أمر فرعون (في هذه) أي في الدنيا (لعنة) عظيمة حيث يلعنهم
من بعدهم من الامم الى يوم القيامة (ويوم القيامة) أيضا حيث يلعنهم أهل الموقف فاطية فهي تابعة لهم حينما
ساروا دائرة معهم أينما داروا في الموقف فكما اتبعوا فرعون اتبعهم اللعنة في الدارين جراء وقاتوا كفى
بيان حالهم الفظيخ وشأنهم الشنيع عن بيان حال فرعون اذ حين كان حالهم هكذا انما ظنك بحال من اغواهم
وألقاهم في هذا الضلال البعيد وحيث كان شأن الاتباع أن يكونوا أعوانا للمتبعين جعلت اللعنة وقد الهام
على طريقة التكم فقل (بئس الرفد المرفود) أي بئس العون المعان وقد فسر الرفد بالعطاء ولا يلائمه المقام
وأصله ما يضاف الى غيره ليعمده والخصوص بالذم محذوف أي رفقهم وعلى اللعنة في الدارين وكونه مرفودا
من حيث ان كل لعنة منها معينة وعمدة لصاحبيتها ومؤيدة لها (ذلك) إشارة الى ما قص من آباء الامم وبعده
باعتبار تنصيه في الذكر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ خبره (من آباء القرى) المهلكة
بما جنته أي ذى أهلها (نقصه عليك) خبر بعد خبر أي ذلك التبا بعض آباء القرى مقصود عليك (منها)

أى من تلك القرى (فأثم وحصيد) أى ومنها حصيد حذف لدلالة الأول عليه شبه ما بقى منها بالزرع انما قام
على ساقه وما عفا وبطل بالحصيد والجمله مستأنفة لا محل لها من الاعراب (وما ظنناهم) بأن أهلكتهم
(ولكن ظنوا أنفسهم) بأن جعلوها عرضة للهلاك باقتراف ما يوجب (فما أغنت عنهم) خاتمتهم ولا دفعت
بأس الله تعالى عنهم (ألهتهم التي يدعون) أى يعبدونها (من دون الله) أو ترصيفه المضارع حكاية
للعال الخاضعة أو دلالة على استمرار عبادتهم لها (من نبي) في موضع المصدر أى شبه بأن الاغناء (لما
جاء أمر ربك) أى حين يجي عذابه وهو منصوب بأغنت وقرئ آلهتهم الأولى ويدعون على البناء للمجهول
(وما زادهم غير تنبي) أى اهلاكا وتحسير فانهم انما هلكوا وخسروا بسبب عبادتهم لها (وذلك) أى
ومثل ذلك الاخذ الذى ترى بانه وهو رفع على الاستداء وخبره قوله (أخذ ربك) وقرئ أخذ ربك فعل الكاف
النصب على انه مصدره وكد (إذا أخذ القرى) أى أهلها وانما اسند اليها الاشعار بمرىان اثره اليها
حسبما ذكره وقرئ إذا أخذ (وهي ظالمة) حال من القرى وهي في الحقيقة لا أهلها لكنها لما أقمت مقامهم
في الاخذ أبريت الحال عليها فانما الاشعار بانهم انما أخذوا بظلمهم ليكون ذلك عبرة لكل ظالم (ان أخذ
أليم شديد) وجميع صعب على المأخوذ لا يرجي منه الخلاص وفيه ما لا يجنى من التهديد والتحذير (ان في
ذلك) أى في أخذه تعالى للام المهلكة او في قصصهم (لاية) لعبرة (لن خاف عذاب الآخرة) فانه
المعتبر به حيث يستدل بما حاق بهم من العذاب الشديد بسبب ما عملوا من السيئات على أحوال عذاب
الآخرة وأما من انكر الآخرة وأحال فناء العالم وزعم أن ليس هو ولا نبي من أحواله مستند الى الفساد
المختار وأن ما يقع فيه من الحوادث فانما يقع لاسباب تنفضيه من اوضاع فلكية تتفق في بعض الاوقات
لما ذكر من المعاصي التي يقتربها الامم الهالكة فهو يعزل من هذا الاعتبار تسالهم ولما لهم من الافكار
(ذلك) اشارة الى يوم القيامة المدلول عليه بذكر الآخرة (يوم يجمع له الناس) أى يجمع له الناس للجماسية
والجزاء والتعير لدلالة على ثبات معنى الجمع وتحقق وقوعه لا محالة وعدم انفسك الناس عنه فهو أبلغ من
قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع (وذلك) أى يوم القيامة مع ملاحظة عدوان جمع الناس له (يوم مشهود)
أى مشهود فيه حيث يشهد فيه أهل السموات والارضين فانه في باجاء الظرف مجرى المفعول به كما في قوله
في مثل من نواصى الناس مشهود أى كثير شاهده ولو جعل نفس اليوم مشهود الذات ما هو الغرض من
تعليم اليوم وتبويه وتغييره عن غيره فان سائر الايام أيضا كذلك (وما نؤخره) أى ذلك اليوم الملووظ
بعتوانى الجمع والاشهود (الا اجل معدود) الا لانقضاء مدة قليلة مضروبة حسبما تقتضيه الحكمة (يوم يأت)
أى حين يأتى ذلك اليوم المؤخر بانقضاء أجله كقوله تعالى أن تأتيهم الساعة وقيل يوم يأتى الجزاء الواقع فيه
وقيل أى الله عز وجل فان المقام مقام تنعيم شأن اليوم وقرئ بالثبات الياء على الاصل (لا تكلم نفس) أى
لا تتكلم بما يقع ويتجنى من جواب أو شفاعة وهو العامل في الظرف أو الانتهاء المحذوف في قوله تعالى الا لاجل
معدود أى ينتهى الاجل يوم يأتى او المنتهى المعهود أى اذ ذكر (الاباذنة) عزسلطانه في التكلم كقوله تعالى
لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موطن من موطن ذلك اليوم وقوله عز وجل هذا يوم لا ينطقون
ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر من مواقفه كما أن قوله سبحانه يوم تأتى كل نفس بجنادل عن نفسها
في آخرتها والمأذون فيه الجوابات الحقة والمنوع عنه الاعذار الباطلة نعم قد يؤذن فيها أيضا لظهور
بطلانها كما في قول الكفرة والله ربنا ما كنا مشركين ونظائره (فتم شق) وجبت له النار بموجب الوعيد
(وسعيد) أى ومنهم سعيد حذف الخبر لدلالة الاول عليه وهو من وجبت له الجنة بمقتضى الوعد والضمير لاهل
الموقف المدلول عليهم بقوله لا تكلم نفس والناس وتقدم الشق على السعيد لان المقام مقام التحذير والاذار
(فأما الذين شقوا) أى سبقت لهم الشقاوة (ففي النار) أى مستندون فيها (لهم فيها زفير وشهيق) الزفير
اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في أول النهي وآخره قال الشماخ يصف جارا لو حشر
بعد مدى التطريب أول صوته • زفير وشهيق محسوس

والمراد بهما وصف شدة ذكرهم وتشبيه حالهم بحال من استولت على قلبه الحرارة والمخمر فيه ووجهه او تشبيه
صراخهم بأصوات الحير وقرئ شقوا بالنسب والجمله مستأنفة كأن سائلا قال ما شأنهم فيها فقيل لهم فيها كذا

وكذا أو منصوبة المحل على الحالية من النار ومن الضمير في الجار والمجرور كقوله عز اسمه (خالدين فيها) خلا أنه
 ان يريد حدوث كونه في النار فالحال مقدرة (مادامت السموات والارض) أي مدة دوامها وهذا
 التوقيت عبارة عن التأييد وتفي الانقطاع بناء على مناج قول العرب مادام تعار وما أقام شيرو وما لاح كوكب
 وما اختلف الليل والنهار وما طما البحر وغير ذلك من كلمات التأييد لا تعليق قرارهم فيها دوام هذه السموات
 والارض فان النصوص القاطعة دالة على تأييد قرارهم فيها وانقطاع دوامها وان يريد التعليق فالمراد
 سموات الآخرة وأرضها كما يدل على ذلك النصوص كقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
 وقوله تعالى وأورثنا الارض نبيؤا من الجنة حيث نشاء. وجرم كل أحد بأن أهل الآخرة لا بد لهم من مظلة
 ومقالة دائمتين يكفي في تعليق دوام قرارهم فيها دوامها ولا حاجة الى الوقوف على تفاصيل أسوأ وهما
 وكيفياتهما (الاماشاء ربك) استثناء من الخلود على طريقة قوله تعالى لا يدقون فيها الموت الا الموت
 الاولى وقوله ولا تسكروا ما تكح أبأؤكم من النساء الا ما قد سلف وقوله تعالى حتى يلج الجبل في سم الغيط غير
 أن استحالة الامور المذكورة معلومة بكم العقل واستحالة تعلق المشيئة بعدم الخلود معلومة بحكم النقل
 يعني انهم مستقرون في النار في جميع الأزمنة الا في زمان مشيئة الله تعالى اعدم قرارهم فيها واذلا مكان
 لتلك المشيئة ولا زمانها بحكم النصوص القاطعة الموجبة للخلود فلا مكان لآلئها مدة قرارهم فيها ولدفع
 ما عسى يتوهم من كون استحالة تعلق مشيئة الله تعالى بعدم الخلود بطريق الوجوب على الله تعالى قال
 (ان ربك فعال لما يريد) يعني انه في تخليد الاشياء في النار بحيث يستحيل وقوع خلافه تعالى بموجب ارادته
 قاض بقضئ مشيئة الخارية على سنن حكمته الداعية الى ترتيب الاجزى على أفعال العباد والعدول من
 الاضمار الى الاظهار لترتبة المهابة وزيادة التقرير وقيل هو استثناء من الخلود في عذاب النار فانهم لا يخلدون
 فيه بل يعذبون بالزهرير وبأنواع أخر من العذاب وبما هو أغلظ منها كلها وهو خط الله تعالى عليهم وخسوه
 لهم واهانتهم وأنت تدري أنا وان سلمنا أن المراد بالنار ليس مطلق دار العذاب المشتهة على أنواع العذاب
 بل نفس النار فاخلع عذاب الزهرير من تلك الأنواع مقارن لعذاب النار فلا صدق في ذلك للاستثناء
 ولأن قول انهم ليسوا يخلدون في العذاب الجسماني الذي هو عذاب النار بل لهم من آفانين العذاب
 ما لا يعلمه الا الله سبحانه وهي العقوبات والالام الروحية التي لا يقف عليها في هذه الحياة الدنيا المنغمسون
 في أحكام الطبيعة المقصود اذراكم على ما ألتوا من الأحوال الجسمانية وليس لهم استعداد لتلقي ما وراء
 ذلك من الأحوال الروحية اذا ألتى اليهم ولذلك لم يتعرض لبيانها واكتفى بهذه المرتبة الاجالية المنبئة عن
 التحويل وهذه العقوبات وان كانت تعزيبهم وهم في النار لكنهم يندون بها عذاب النار ولا يحسون به
 وهذه المرتبة كافية في تحقيق معنى الاستثناء هذا وقد قيل الابعنى سوى وهو أوفق بما ذكر وقيل ما عني
 من على ارادة معنى الوصفية فاما عني ان الذين شقوا في النار قد تدرين الخلود فيها الا الذين شاء الله عدم خلودهم
 فيها وهم عصاة المؤمنين (وأما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض) الكلام
 فيه كالكلام فيما سبق خلا أنه لم يذكروا أن لهم فيها سبعة وسرورا كما ذكر في أهل النار من أنه لهم فيها زفير
 وشهيق لأن المقام مقام التحذير والانذار (الاماشاء ربك) ان حل على طريقة التعليق بالحال فتقوله سبحانه
 (عطاء غير محدود) نصب على المصدرية من معنى الجملة لان قوله في الجنة خالدين فيها يقتضي اعطاء وانعاما
 فكانه قيل يعطيهم عطاء وهو اما اسم مصدر هو الاعطاء او مصدر مجذوف الزوائد كقوله تعالى انبئكم
 من الارض نباتا وان حل على ما عذ الله لعباده الصالحين من النعيم الروحاني الذي عبر عنه بما لا عين رأت
 ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهو نصب على الحالية من المفعول المقدر للمشيئة او تمييز فان نسبة
 مشيئة الخروج الى الله تعالى يحتمل أن تكون على جهة عطاء مجذوذ وعلى جهة عطاء غير مجذوذ فهو رافع
 للايهام عن النسبة قال ابن زيد أخبرنا الله تعالى بالذي يشاء لاهل الجنة فقال عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي
 يشاء لاهل النار ويجوز أن يتعاق بكلا التعيين او بالاول دفع المايتوهم من ظاهر الاستثناء من انقطاعه
 (فلان في مربة) أي في شك والفناء لترتيب النهي على ما قص من القصص وبين في تضاعيفها من العواقب
 الدنيوية والاخرية (عما بعد هؤلاء) أي من جهة عبادة هؤلاء المشركين وسوء عاقبتهم والامن حال

قوله تعار هو يوزن كتاب جبل
 يلا دقير وشير اسم لعدة
 جبال بظاهر مكة ككافي
 الناموس اه معجمه

ما يعبدونه من الاوثان في هدم نفعه لهم ولما كان مساق النظام الكريم قبيل الشروع في القصص لبيان غاية
 سوء حال الكفرة وكمال حسن حال المؤمنين وقد ضرب لهم مثل قبيل مثل الفريقيين كالاعنى والاصم والبصير
 والسميع هل يستويان مثلا فلا تذكرون وقد قصر عقيب ذلك من انبياء الامم السالفة مع رسلهم المبعوثين
 اليهم ما يذكركم المتذكركم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كونه في شك من مصير امر هؤلاء المشركين
 في العاجل والاطيل ثم قال ذلك بطريق الاستئناف فتبيل (ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم) الذين قصت عليك
 قصصهم (من قبل) أي هم وَاَبَاؤُهُمْ سِوَا فِي الشِّرْكِ مَا يَعْبُدُونَ عِبَادَةَ الْاَكْبَادِ هُمْ اَوْ مَا يَعْبُدُونَ شَيْئًا اِلَّا مِثْلَ
 مَا يَعْبُدُوهُ مِنَ الْاَوْثَانِ وَالْعَدُولِ إِلَى صِغَةِ الْمَضَارِعِ لِحُكَايَةِ الْحَالِ الْمَاضِيَةِ لِاسْتَحْضَارِ صُورَتِهَا اَوْ مِثْلَ مَا كَانُوا
 يَعْبُدُونَهُ خَذَفَ كَانَتْ لِدَلَالَةِ قَوْلِهِ مِنْ قَبْلِ عَلَيْهِ وَلَقَدْ بَلَغْتَ مَا لَوْ بِآبَائِهِمْ فَسَلِّطْتَهُمْ مِثْلَ ذَلِكَ فَانْثَالَ الْاَسْبَابُ
 يَقْتَضِي تَمَازُلَ الْمَسِيبَاتِ (وَاَنَا وَمَوْفُوهُمْ) أي هؤلاء الكفرة (ببصيرتهم) أي حظهم المعين لهم حسب جرائعهم
 وجرائزهم من العذاب عاجلا وآجلا كما وفي آباءهم انصباهم المتدرة لهم أو من الرزق المقسوم لهم
 فيكون ببيان الوجه تأخر العذاب عنهم مع تحقق ما يوجبهم (غير منقوص) حال مؤكدة من النصيب كقوله تعالى
 ثم وليتم مدبرين وقائده دفع توهم التجوز وجعلها قيداً لدفع احتمال كونه منقوصاً في حدة نفسه مبنياً على
 الذهول عن كون العامل هو التوفية فتأمل (ولقد آتينا موسى الكتاب) أي التوراة (فاختلف فيه)
 أي في شأنه وكونه من عند الله تعالى فآمن به قوم وكفر به آخرون فلا تبال باختلاف قومك فيما آتيناك
 من القرآن وقواهم لولا انزل عليه كنز أو جاء معه ملك وزعمهم انك افتريته (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهي
 كلمة القضاء باظهارهم الى يوم القيامة على حسب المصلحة الداعية الى ذلك (لقتلني بينهم) أي لا وقع
 القضاء بين المختلفين من قومك بازال العذاب الذي يستحقه المبطون ليميزوا به عن المحقين وقيل بين قوم
 موسى وليس بذلك (وانهم) أي وان كذا رقومك أريد به بعض من رجع اليهم فغير بينهم للام من من الالباس
 (اني شئت) عظيم (منه) أي من القرآن وان لم يجزله ذكر فان ذكر آباء كتاب موسى ووقوع الاختلاف
 فيه لاسيما بصدد التسلية ينادى به نداء غير خفي (مريب) موقع في الريبة (وان كلا) التووين عوض عن
 المضاف اليه أي وان كل المختلفين فيه المؤمنين منهم والكافرين وقرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر بالتخفيف مع
 الاعمال اعتبار الاصل (لما ليوفيتهم ربك أعمالهم) أي اجزية أعمالهم واللام الاولى موطنه للتقسيم والثانية
 جواب للتقسيم المحذوف ولما مركبة من من الجارة وما الموصولة أو الموصوفة وأصلها من ما فقلبت النون ميما
 للدغام فاجتمع ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذي أولى خلق أو ان فريقاً والله ليوفيتهم ربك وقرئ
 لما بالتخفيف على أن ما خبرية للفصل بين اللامين والمعنى وان جميعهم والله ليوفيتهم الآية وقرئ لما بالتسوين
 أي جميعاً كقوله سبحانه أكلأما وقرأ أبي وان كل لما ليوفيتهم على أن ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به
 (انه بما يعملون) أي بما يعمل كل فرد من المختلفين من الخير والشر (خير) بحيث لا يخفى عليه شيء من جلاله
 ودقائقه وهو تعالى لما سبق من توفية اجزية أعمالهم فان الاحاطة بتفاصيل أعمال الفريقيين وما يستوجبها
 كل عمل يقتضي الحكمة من الجزاء الخصوص توجب توفية كل ذي حق حقه ان خير الخيرة وان شر الشر
 (فاستقم كما أمرت) لما بين في تضاعيف القصص المحكية عن الامم الماضية سوء عاقبة الكفر وعصيان
 الرسل واشير الى أن حال هؤلاء الكفرة في الكفر والضلال واستحقاق العذاب مثل اولئك المعذبين وأن
 نصيبهم من العذاب واصل اليهم من غير نقص وأن تكذيبهم للقرآن مثل تكذيب قوم موسى عليه السلام
 لتوراة وأنه لو لم تسبق كلمة القضاء بتأخير عقوبتهم العامة وواخذتهم التامة الى يوم القيامة لفعل بهم ما فعل
 بآبائهم من قبل وأنهم يوفون نصيبهم غير منقوص وأن كل واحد من المؤمنين والكافرين يوفي جزاء عمله أمر
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة كما أمر به في المقائد والاعمال المشتركة بينه وبين سائر المؤمنين
 ولا سيما الاعمال الخاصة به عليه السلام من تبليغ الاحكام الشرعية والقيام بوظائف النبوة وتحمل أعباء
 الرسالة بحيث يدخل تحته ما أمر به فيما سبق من قوله تعالى فلعنك تاركه بعض ما يوحى اليك وصائق به صدرتك
 الآية وبالجمله فهذا الامر منتظم بجميع محاسن الاحكام الاصلية والفرعية والكمالات النظرية والعملية
 والخروج عن عهده في غاية ما يكون من الصعوبة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيتق سورة هود

(ومن تاب معك) أي تاب من الشرك والكفر وشارك في الإيمان وهو المعنى بالمعية وهو مطوف على
المسكن في قوله فاستقم وحسن من غير تأكيده لمكان الفاصل القائم مقامه وفي الحقيقة هو من عطف
الجملة على الجملة إذ المعنى وليستقم من تاب معك وقيل هو منصوب على أنه مفعول معه كما قاله أبو البقاء والمعنى
استقم مصاحباً لمن تاب معك (ولا تظفوا) ولا تخرقوا عما ذكر لكم بافراط أو تفرط فان كلا طرفي قصد
الأمور ذميمة وانما سمي ذلك طغياناً وهو تجاوز الحد وتغليب المال سائر المؤمنين على حاله عليه السلام
(أنه بما تعملون بصير) فيجازيكم على ذلك وهو دليل للأمر والنهي وفي الآية دلالة على وجوب اتباع
النصوص عليه من غير انحراف بمجرد الرأي فانه طغيان وضلال وأما العمل بمقتضى الاجتهاد السابع لعل
النصوص فذلك من باب الاستقامة كما امر على موجب النصوص الأمر بالاجتهاد (ولا تركزوا) أي
لا تملوا أدنى ميل (إلى الذين ظلموا) أي إلى الذين وجد منهم الظلم في الجملة ومدار النهي هو الظلم والجمع باعتبار
جمعية المخاطبين وما قيل من أن ذلك للمبالغة في النهي من حيث أن كونهم جماعة مظنة الرخصة في مداخلة
انجاستهم أن لو كان المراد النهي عن الركون إليهم من حيث أنهم جماعة وليس كذلك (فحسبكم) بسبب ذلك
(النار) وإذا كان حال الميل في الجملة إلى من وجد منه ظلم تأنى الإفضاء إلى مساس النار هكذا فاطنك
بن يميل إلى الراضين في الظلم والعدوان ميلاً عظيماً وبها لا على مصاحبينهم ومناذمتهم ويلقى شره على
مؤانسبتهم ومعاشرتهم ويتبع بالتزويج بينهم ويقترب عينيهم إلى زهرتهم القانية ويفبطهم بما أوثاقهم الطوف
الدانية وهو في الحقيقة من الحبة طفيف ومن جناح البعوض خفيف يعزل عن أن تقبل إليه القلوب ضعف
الطالب والمطلوب والآية ابغ ما يصور في النهي عن الظلم والتبذير عليه وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم
ومن معه من المؤمنين للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الميل إلى أحد طرفي الإفراط والتفرط ظلم
على نفسه أو على غيره وقرئ تركوا على لغة تميم وتركوا على صبغة البناء للمفعول من أركنه (ومالكم من
دون الله من أولياء) أي من أنصار يقدونكم من النار والجملة نصب على الحالية من قوله فحسبكم النار ونفي
الأولياء ليس بطريق نفي أن يكون لكل واحد منهم أولياء حتى يصدق أن يكون له ولي بل لمكان لكم بطريق
انقسام الأساد على الأساد لكن لا على معنى نفي استقلال كل منهم بصير بل على معنى نفي أن يكون لواحد منهم
نصير بقرينة المقام (تم لا تنصرون) من جهة الله سبحانه إذ قد سبق في حكمه أن يعذبكم بكونكم إليهم ولا ينقي
عليكم وثم اتراخي رتبة كونهم غير منصوريين من جهة الله بعد ما أوعدهم بالعذاب وأوجبه عليهم ويجوز
أن يكون مغزلاً منزلة القاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين أن الله تعالى معذبهم وأن غيره لا يقدّمهم أنجهم
لا ينصرون أصلاً (وأقم الصلاة طرفي النهار) أي غدوة وعشية واتصا به على الظرفية لكونه مضاعفاً إلى الوقت
(وزلفان الليل) أي ساعات منه قريبة من النهار فانه من النهار فانه من أضافه إلى جمع زلفة عطف على طرفي النهار
والمراد بصلاتهم ما صلاة الغداة والعصر وقبل الظهر موضع العصر لأن ما بعد الزوال عشية وبه لالة الزلف المقرب
والعشاء وقرئ زلفانهمين وضمة وسكون كبسرو وبسرو زلفي بمعنى زلفة كقري بمعنى قرية (إن الحسرات
التي من جللتها بل عدتها ما أمرت به من الصلوات (بذبح السبائح) التي قلما يتخلونها البشر أي يكفرهم وفي
الحديث أن الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنب الكبائر وقيل نزلت في أبي اليسر الأنصاري إذ قيل
امرأة ثم ندم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما فعل فقال عليه السلام أنظر امرئياً فإصلي صلاة
العصر نزلت قال عليه السلام نعم اذهب فانها كفارة لما علمت أو بعث من من أقرأها كقوله تعالى إن الصلاة
تنهى عن الفحشاء والمنكر (ذلك) إشارة إلى قوله تعالى فاستقم فابعده وقيل إلى القرآن (ذكرى للذاكرين)
أي عظة للمتقين (واحد) على مشاق ما أمرت به في تضاعيف الأوامر السابقة وأما ما نهى عنه من الطغيان
والركون إلى الذين ظلموا فليس في الانتهاء عنه مشقة فلا وجه لتعظيم الصبر له اللهم إلا أن يراد به ما لا يمكن عادة
خلو البشر عنه من أدنى ميل يحكم الطبيعة عن الاستقامة للأمور بها ومن يسير ميل يحكم البشرية إلى من وجد
منه ظلم ما كان في الاحتراز عن أمثاله من المشقة ما لا يتجنى (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) أي يوفهم أجور
أعمالهم من غير محض أصلاً وانما عبر عن ذلك بنى الإضاعة مع أن عدم إعطاء الأجر ليس بإضاعة حقيقة
كأن لا الأعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها البيان صك كمال نزاهته تعالى عن

على لغة تميم أي بكسر تاء
المضارعة كالأبيضاي
له مصحبه

ذلك تصويره بصورة ما يتبع صدوره عنه سبحانه من القبايح وازالة الالباب في معرض الامور الواجبة عليه
وانما عدل عن التسمير ليكون كالمبرهان على المقصود مع افادة فائدة عامة لكل من يتصف به وهو تعليل الامر
بالصبر وفيه ايماء الى ان الصبر على ما ذكر من باب الاحسان (فلولا كان) فهلا كان (من القرون)
الكاثنة (من قبلكم) على رأى من جوز حذف الموصول مع بعض صلته أو كاثنة من قبلكم (أولو بقية) من
الرأى والعتل أو أولو فضل وخير ومما يهمل الان الرجل انما يستبقى مما يخرج به عادة أجوده وأفضله فصار مثلاً
في الجوده والفضل ويقال فلان من بقية القوم أى من خيارهم ومنه ما قيل في الروايات خبايا وفي الرجال بقايا
ويجوز أن تكون البقية بمعنى البقية كالتيمة من التقوى أى فهلا كان منهم ذوو ابقاء على أنفسهم وصيانة
اها من محط الله تعالى وعقابه ويؤيده أنه قرئ أولو بقية وهى المزة من مصدر بقاء ببقية اذ اراقبه وانتظره أى
أولو مراقبة وخشية من عذاب الله تعالى كأنهم ينتظرون نزوله لاشفاقهم (يهون عن السداد في الارض)
الواقع منهم حسب ما حكى عنهم (الا قليلا من أنجيائهم) استثناء منقطع أى لكن قليلا منهم أنجيائهم
لكونهم على تلك الصفة على أن من البيان لا للتبعيض لأن جميع الناجين ناهون ولا صحة للاتصال على ظاهر
الكلام لانه يكون تخصيصاً لاولى البقية على النهى المذكور الا للقليل من الناجين منهم كما اذا قلت هلا قرأ
قوله القرآن الا الصالحين منهم مراد الاستثناء الصالحين من المحضين على القراءة نعم يصح ذلك ان جعل استثناء
من النقي لازم للتخصيص فكانه قبل ما كان من القرون أولو بقية الا قليلا منهم لكن الرفع هو الافصح حيث
على البدلية (واتبع الذين ظلموا) بمباشرة الفساد وترك النهى عنه (ما أترقوا فيه) أى أنعموا ومن
الشهوات وافقوا بتخصيلها أما المباشرون فظاهروا أما المساهلون فلما هم في ذلك من نيل حظوظهم الفاسدة
وقيل المراد بهم تاركوا النهى وأنت خبير بأنه يلزم منه عدم دخول مباشرى الفساد في الظلم والايحرام
عبارة (وكأنوا مجرمين) أى كافرين فهو بيان لسبب استئصال الامم المهلكة وهو فساد الظلم واتباع الهوى
فيهم وشيوع ترك النهى عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على من عدل عليه الكلام أى لم ينهوا
واتبع الخ فيكون العدول الى المظهر لادراج المباشرين معهم في الحكم والتسجيل عليهم بالظلم وللشعار
بعامة ذلك لما حاق بهم من العذاب أو على استئناف يترتب على قوله الا قليلا أى الا قليلا من أنجيائهم
عن الفساد واتبع الذين ظلموا من مباشرى الفساد وتاركى النهى عنه فيكون الاظهار مقتضى الظاهر
وقوله وكأنوا مجرمين عطف على أترقوا أى اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لأن تابع الشهوات مغمور بالآثام
أو أريد بالاجرام اغفالهم للسكر أو على اتبع أى اتبعوا شهواتهم وكأنوا بذلك الاتباع مجرمين ويجوز أن
يكون اعتراضاً وتجيلاً عليهم بأنهم قوم مجرمون وقرئ وأتبع أى أتبعوا اجزاء ما أترقوا فيكون الواو للتعامل
ويجوز أن يفسر به المشهورة وبعضه تقدم الانجاء (وما كان ربك ليهلك القرى) أى ما صبح وما استقام
بل استحال في الحكمة أن يهلك القرى التي اهلكها حسب ما بان أنبأوها ويعلم من ذلك حال باقيها من القرى
الظالمة واللام تأكيدي للنفي وقوله (بظلم) أى ملتبساً به قيل هو حال من الفاعل أى ظالمها والتشكيك للتفخيم
والايدان بأن اهلاك المصلحين ظلم عظيم والمراد تنزيه الله تعالى عن ذلك بالكمية تصويره بصورة ما يستحيل
صدوره عنه تعالى والا فلا ظلم فيما فعله الله تعالى بعباده كاثماً كان لما تقرر من قاعدة أهل السنة وقد مر
تفصيله في سورة آل عمران عند قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد وقوله تعالى (وأهلها مصلحون) حال
من المفعول والعامل عامله ولكن لا باعتبار تتيده بما وقع حالاً من فاعله أعنى بظلم لدلالته على تقدير نفي الاهلاك
ظالمها لكون أهلها مصلحين ولا ريب في فسادهم بل مطلقاً عن ذلك وقيل المراد بالظلم الشرك والباء للسببية
أى لانه لا القرى بسبب اشراك أهلها وهم مصلحون يعاطون الحق فيما بينهم ولا ينضمون الى شركهم فساداً
آخر وذلك اقرب رجة ومساحته في حقوقه تعالى ومن ذلك قدم الفقهاء عند تراحم الحقوق حقوق العباد
الفقراء على حقوق الله تعالى الغنى الحميد وقيل الملائيق مع الشرك ولا يبق مع الظلم وأنت تدري أن مقام
النهي عن المنكرات التي أقبحها الاشراك بالله لا يلائم فأن الشرك داخل في الفساد في الارض دخولاً أولاً
ولذلك كان ينهى كل من الرسل الذين قصت أنبأواهم أمته أو لاعن الاشراك ثم عن سائر المعاصي التي كانوا
يعاطونها فالوجه حل الظلم على مطلق الفساد الشامل للشرك وغيره من أصناف المعاصي وحل الاصلاح على

اصلاحه والاقلاع عنه بكون بعضهم متصدقين للنهي عنه وبعضهم متوجهين الى الانعاط غير مصرين على ما هم عليه من الشرك وغيره من أنواع الفساد (ولو شاء ربك لجلد الناس أمة واحدة) مجتمعة على الحق ودين الاسلام بحيث لا يكاد يختلف فيه أحد ولو كان لم يشأ ذلك فلم يكونوا متفقين على الحق (ولا يزالون مختلفين) في الحق أى مختلفين له كقوله تعالى وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم اليات بغير بينهم (الامن رحم ربك) الا قرأ ما قد هداهم الله تعالى بفضل الى الحق فاتفقوا عليه ولم يخالفوا فيه أى لم يخالفوه وحمله على مطلق الاختلاف الشامل لما يصدر من الحق والمبطل بأبواب الاستثناء المذكور (ولذلك) أى ولما ذكر من الاختلاف (خلفهم) أى الذين بقوا بعد التنبؤ وهم المختلفون فاللام للعاقبة أو للترحم فالضمير لمن واللام في معناها وأولها معا فالضمير للناس كافة واللام بمعنى مجازى عام لكلام المعنيين (ومنت كلمة ربك) أى وعبدته أو قوله للملائكة (لا ملأ من جهم من الجنة والناس أجمعين) أى من عصاتهم أجمعين أو منهم ما أجمعين لا من أحدهما (وكذلك) أى وكل نبي قال لنوحيين عوض عن المضاف اليه (نقص عليك) تخبرك به وقوله تعالى (من أنباء الرسل) بيان لكلام وقوله تعالى (ما ثبت به قوادك) يدل منه والظاهر أن يكون المضاف اليه المحذوف في كلام المفعول المطلق لنقص أى كل اقتصاص أى كل أسلوب من أساليبه نقص عليك من أنباء الرسل وقوله تعالى ما ثبت به قوادك مفعول نقص وفائدة التنبيه على أن المقصود بالاختصاص زيادة يقينه عليه السلام وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على أداء الرسالة واحتمال أذية الكفار بالوقوف على تفاصيل أحوال الامم السابقة في عمادهم في الضلال وما اتى الرسل من جهتهم من مكابدة المشاق (وجاء في هذه) السورة أو الانبياء المقصودة عليك (الحق) الذي لا يحد عنه (وموعظة وذكري للمؤمنين) أى الجامع بين كونه حقاً في نفسه وكونه موعظة وذكري للمؤمنين ولأنه يكون الوصف الاول حالاً في نفسه على باللام دون ما هو وصف له بالقياس الى غيره وتقديم الطرف أعنى في هذه على الفاعل لأن المقصود بيان منافع السورة أو الانبياء المقصودة فيها وأما قولها على ما ذكر من المنافع المفصلة لا بيان كون ذلك فيها الا في غيرها ولأن عند تأخير ما حقه التقديم بقي النفس مترتبة اليه فيمكن فيها عند الورد فضل تمكن ولأن في المؤخر نوع طول يجعل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم (وقل للذين لا يؤمنون) به ذا الحق ولا يعظرون به ولا يذكرون (اعلموا على مكاشكتكم) على حالكم وجهه لكم التي هي عدم الايمان (انما علمون) على حاله وهو الايمان به والاعتصام والتذكير به (داسطروا) بنا الدوائر (انما منتظرون) أن ينزل بكم نحو ما نزل بأمثالكم من الكفرة (ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله) فيرجع لاهل حاله أمره وأمرهم اليه وقرئ على البناء للفاعل من رجوع رجوعاً (فاعبدوه وتوكل عليه) فانه كافيك والفاء لترتيب الامر بالعبادة والتوكل على كون مرجع الامور كلها الى الله تعالى وفي تأخير الامر بالتوكل عن الامر بالعبادة اشعار بأنه لا ينفع دونها (وما ربك بغير اقل عما يعلمون) فيجازيهم بما يوجبهم وقرئ تعلمون على قلبه المخاطب أى أنت وهم فيجازي كلامك ومنهم عوجب الاستحقاق عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة هود أعطى من اجر عشر حسنات بعدد من صدق كل واحد من الانبياء المعدودين فيها عليهم الصلاة والسلام وبعدد من كذبهم وكان يوم القيامة من السعداء بفضل الله سبحانه وتعالى

• (سورة يوسف عليه السلام وهي مائة واحدى عشرة آية) •

• (بسم الله الرحمن الرحيم) •

(الر) الكلام فيه وفي محله وفيها أريد بالاشارة والآيات والكتاب في قوله تعالى (تلك آيات الكتاب) عين ما سبق في مطلع سورة يونس (المبين) من أبان معنى بان أى اظهر أمره في كونه من عند الله تعالى وفي اعجازه بتوحيه لا سيما الاخبار عن الغيب أو الواضح معانيه للعرب بحيث لا يشبه عليهم حقائقه ولا يلتبس لديهم دقائقه لتزوله على لغتهم أو بمعنى بين أى المبين لما فيه من الاحكام والشرائع وخفايا الملك والملكوت وأسرار التشايب في الدارين وغير ذلك من الحكم والمعارف والتقصص وعلى تقدير كون الكتاب عبارة عن السورة فأبانه آياته عن قصة يوسف عليه السلام فانه قد روى أن أحبار اليهود قالوا الرؤساء المشركين سلوا محمداً صلى الله عليه وسلم لماذا اتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام فانه لما اذلك فيكون وصف

الكتاب بالآبانه من قبيل براعة الاستلال لماسأى ولما وصف الكتاب بما يدل على الشرف الذاتي عيب ذلك بما يدل على الشرف الاضافى فقبل (أما أنزلناه) أى الكتاب المذموم بما ذكر من النعوت الجلية فان كان عبارة عن الكل وهو الاظهر الانسب بقوله تعالى (قرأنا عربيا) اذ هو المشهور بهذا الاسم المعروف بهذا النعت المتسارع الى الفهم عند اطلاقها فلا مر ظاهر وان جعل عبارة عن السورة فسميتها قرآنا لما عرفته في سابق والسرفى ذلك أنه اسم جنس في الاصل يقع على الكل والبعض كالكتاب أو لانه مصدر بمعنى المفعول أى أنزلناه حال كونه مقروءا بلغتمكم (لعلكم تعقلون) أى لكي تفهموا وعانيه طرا وتخطوا واجتافيه من البدائع خيرا وتطلعوا على أنه خارج عن طوق البشر منزل من عند خلاق القوى والقدر (نحن نقص عليك) أى نخبرك ونحدثك واشتقاقه من قص أثره اذ الله لان من يقص الحديث ينسج ما حفظه منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القرآن لانه يتبع ما حفظ منه آية بعد آية (أحسن القصص) أى أحسن الاختصاص فنسبه على المصدرية وفيه مع بيان الواقع ايمام لما في اختصاص أهل الكتاب من القبح والخلل وترك المنعول اتمالا لاعتداده على اتقها منه من قوله عز وجل (بما أوحينا) أى بما حسنا (اليك هذا القرآن) أى هذه السورة فان كونها موحاة منى عن كون ما في ضمنها مقصودا والتعرض لعنوان قرآنيها التحقيق أن الاختصاص ليس بطريق الالهام أو الوحي غير المتأثر وأما ظهوره من سؤال المشركون يتلفون علماء اليهود وأحسنيته لانه قد اقتص على أبداع الطرائق الرائعة الفاتحة وأجيب الاساليب الفاتحة كالايكاد يخفى على من طالع القصة من كتب الأولين والآخرين وان كان لا يميز الغث من السمين ولا يفرق بين الشمال واليمين وفي كلمة هذا الجاء الى مغايرة هذا القرآن لما في قوله تعالى قرآنا عربيا بأن يكون المراد بذلك المجموع فتأمل أو نقص عليك أحسن ما نقص من الانبياء وهو قصة آل يعقوب عليه السلام على أن القصص فعل بمعنى المفعول كالتبا والخبر أو مصدر سمي به المفعول كالحلق والصيد ونصب أحسن على المفعولية وأحسنيتهما التضمنها من الحكم والعبر ما لا يخفى كمال حسنه (وان كنت) ان محذوفة من التثنية وتضمير الشأن الواقع اسمها المحذوف وانلام فارقة وبالجملة خبر والمعنى وان الشأن كنت (من قبله) من قبل ان يحسن اليك هذه السورة (ان الغافلين) عن هذه القصة لم تحطوا بالحق ولم تفرع بمعكوط وهو تعليل لكونه موحى والتعبير عن عدم العلم بالغفلة لاجلال شأن النبي عليه السلام وان غفل عنه بعض الغافلين (اذ قال يوسف) نصب باضماء اذ كرو وشروع في القصة انجازا للوعد بأحسن الاختصاص أو بدل من أحسن القصص على تقدير كونه مفعولا بدلا لاشتغال فان اختصاص الوقت المشتغل على المقصود من حيث اشتغاله عليه اختصاص للمقصود ويوسف اسم عبري لاعربي نفاذ عن سبب آخر غير التعريف وفتح السين وكسرها على بعض القرائات بناء على التاخير به لعل أنه مضارع بجى للمفعول أو الفاعل من آسف الشهادة المشهورة بجمته (لا يه) يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام وقد روى عنه عليه السلام ان الكرمين ابن الكرمين يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم (بأب) أصلها أبى فعرض عن الياء تا التانيث لتناسبها في الزيادة فلذلك قلبت هاء في الوقت على قراءة ابن كثير وأبى عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض عن حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن لانها سركة أصلها أولان الاصل يا أبنا فحذف الالف وبقي الفتحة وانما يجوز يا أبى لانه جمع بين العوض والمعرض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الالفاظ المؤنثة بالنساء من غير اعتبار التعويض وعدم تناسبها كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب (ان رأيت) من الرؤيا لامن الرؤية لقوله لا تقص رؤياك هذا تاويل رؤياي ولان الظاهر ان وقوع مثل هذه الامور بالبدعة في عالم الشهادة لا يختص برؤية راء دون راء فيصكون طامة كبرى لا يخفى على أحد من الناس (أحد عشر كوكبا والشمس والقمر) روى عن جابر رضى الله عنه أن يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخبرني يا محمد عن النجوم التي راها يوسف عليه السلام فسكت النبي عليه السلام فقتل جبريل عليه السلام فأخبره بذلك فقال عليه السلام اذ أخبرتك بذلك هل تعلم فقال نعم قال عليه السلام جبريل والطارق والذئبال وقابس وعمودان والفلق والمصير والضروح والفرع ووثاب وذوالكتنين راء يوسف عليه السلام والشمس والقمر نزلن من السماء وصعدن له فقال اليهودى أى والله انها لا تأوها وقبل الشمس والقمر أبواه وقبل أبوه وخالته

٣ قوله جبريان بفتح الجيم وكسر
الراء المهملة وتشديد الياء
منقول من اسم طوق القميص
• وقابس بفتح وواو واحدة
وسين مقبب النار •
• وعمودان تسمية عمود •
والفلق نجم منفرد • والمصير
ما يطلع قبل الفجر والفرع
بقاء وراء مهمل ساكنة
وعين نجم عند الدلو ووثاب
يتشديد المثلثة سريع الحركة
• وذوالكتنين تسمية كنف
نجم كبير وهو نجم غير
معدودة أفاده الشهاب
اه معجمه

والكواكب اخوته وانما أخر الشمس والقمر عن الكواكب لاطهار مرتبة هما وشرفهما على سائر
العوالم بعطفها عليهما كافي عطف جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام وقد جوز أن تكون
الواو بمعنى مع أي رأيت الكواكب مع الشمس والقمر ولا يبعد أن يكون ذلك إشارة إلى تأخر ملاقاته عليه
السلام لهما من ملاقاته لآخرته وعن وهب أن يوسف عليه السلام رأى وهو ابن سبع سنين أن إحدى عشرة
عصا طولا كانت حركوزة في الأرض كهينة الدارة وإذا عصا صغيرة تنب عليها حتى اقتلعتا وغلبتها فوصف
ذلك لآبيه فقال أياك أن تذكر هذا لآخرتك ثم رأى وهو ابن ثلثي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب
تسجد له فقصها على آبيه فقال لا تنصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصر اخوته إليه
أربعون سنة وقيل ثمانون (رأيتهم لي ساجدين) استئناف ببيان حالهم التي رآهم عليها كأن سألنا سؤال فقال
كيف رأيتهم فاجاب بذلك وانما أجريت مجرى العقلاء في الضمير لوصفها بوصف العقلاء أعنى السجود
وتقديم الجوار والمجور ولاظهار العناية والاهتمام بما هو الأهم مع ما في ضمنه من رعاية القاصلة (قال ياقين)
صغرة لا شفقة أولها ولصغر السن وهو استئناف مبنى على سؤال من قال لماذا قال يعقوب بعد سماع هذه
الرؤيا العجيبة ولم يعرف يعقوب عليه السلام من هذه الرؤيا أن يوسف يبلغه الله تعالى مبلغا جليلا من الحكمة
وبصطفية النبوة ويتم عليه بشرف الدارين كما فعل بآيائه الكرام خاف عليه حسد الاخوة وبغيتهم فقال
صيانة لهم من ذلك وله من معاناة المشاق ومقاساة الاحزان وان كان وانما بأن الله تعالى سيجتق ذلك لاحتماله
وطمعا في حصوله بلامشقة (لا تنصص رؤياك) هي ما في المنام كما أن الرؤبة ما في اليقظة ففرق بينهما بحرفي
التأنيث كافي القري والقربة وحديثهما ارتسام الصورة المتحدرة من أفق الخيلة إلى الحس المشترك والصادقة
منها انما تكون بانصال النفس بالمتكوت لما بينهما من التماسب عند فراغها من تدبير البدن أدنى فراغ فتصور
بما فيها مما يليق من المعاني الخاصة هنالك ثم ان الخيلة تنحاز كنه بصورة تناسبه فتسلسلها إلى الحس المشترك فتصير
مشاهدة ثم اذا كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكمية والجزئية استغنت الرؤيا
عن التعبير والاستباحث إليه (على اخوتك فيكيدوا) نصب باضمار أن أي فيه لولا (لك) أي لاجل
ولا هلاك (كيدا) متبناوا خيالا تنذر على التنصص عنه أو خشياعن فهمك لا تصدى مادفعته وهذا أوفق
بقام التحذير وان كان يعقوب عليه السلام يعلم أنهم ليسوا بشاكرين على تحويل ما دلت الرؤيا على وقوعه
وهذا الأسلوب أكدم من أن يقال فيكيدوا كيدا اذ ليس فيه دلالة على كون نفس الفعل مقصودا لايقاع
وقد قيل انما يحى باللام لتضمينه معنى الاحتمال المتعدى باللام ليفيده معنى المنمن والمنمن فيه لئلا يكيد
أي فيجتالوا لك ولا هلاك كيدوا والمراد باخوته ههنا الذين يخشى غوائلهم وكيدهم بنوعلاته
الاحد عشر وهم يهوذا وروبل وشمعون ولاوى وريالون ويشير ودينة بنو يعقوب من ابايف
خاتمه ودان ونفتالي وجاد وأشر بنوه من سريتين زلفة وبلهة وهؤلاء هم المشار إليهم بالكواكب
الاحد عشر وأما ياقين الذي هو شقيق يوسف عليه السلام وأمه هاراحيل التي تزوجها يعقوب عليه
السلام بعد وفاة اختها ليا وفي حياتها اذ لم يكن جمع الاختين اذ ذلك محرم ما فليس بداخل تحت هذا النهي
اذ لا يههم منسوته ولا يخشى معزته ولم يكن معدودا معهم في الرؤيا اذ لم يكن معهم في السجود ليوسف والمراد
نهمه عن اقتصاص الرؤيا عليهم كلا أو بعضا (ان الشيطان للانسان عدو مبين) ظاهر العداوة فلا يالوجه هذا
في اغواء اخوتك واضلالهم وسلبهم على ما لا خير فيه وهو استئناف كان يوسف عليه السلام قال كيف
يصدر ذلك من اخوتي الناشئين في بيت النبوة فقيل ان الشيطان يحملهم على ذلك ولما به عليه السلام
على أن رؤياه شأنها عظيم يستتبع منافع وحذرهم اثماعتها المؤذية الى أن يحول اخوته بينها وبين ظهور آثارها
وحصولها أو يوعروا سبيل وصولها شرعى في تعبيرها وتأويلها على وجه اجمالي فقال (وكذلك) أي
ومثل ذلك الاجنباء البديع الذي شاهدت آثاره في عالم المثال من سجود تلك الاجرام العلوية النيرة لك
وبجسبه وعلى وفقه (يجتبيك ربك) يجتار لك الجنب كبريائه ويستنبط لك افعاله من جبابه اذا جمعه
وبصطفيك على أشراف الخلائق وسرارة الناس قاطبة ويرزقك صدق تلك الرؤيا في عالم الشهادة حسب
ما عاينته من غير قصور والمراد بالتشبيه بيان المضاهاة المحققة بين الصور المرئية في عالم المثال وبين ما وقعت

قوله من بنى علانه بنو العلات
كافي القاصد وسبوا أتهات
شقي من رجل واحد وقد
رأينا أن ذكرهنا عبارة أي
القضاء في تاريخه في هذا
المعنى لما في ذلك من الفائدة
وان كان فيها بعض مخالفة
وفسه وتكج يعقوب ليا
قولت له رويل وهو أكبر
أولاد يعقوب ثم سمعون ولاوى
ويهوذا ثم روج عليها اختها
واحبل فولدت له يوسف
وبنيامين وكذلك ولد له من
مريتين كاتا له ستة أولاد
فكان أولاده اثني عشر رجلا
وهم آباء الاسباط وأما وهم
روبل ثم سمعون ثم لاوى
ثم يهوذا ثم يساخر بكسر
المضنة التحتية وتشديد السين
الموحدة وفتح الخاء المعجمة ثم
ذبولون ثم يوسف ثم بنيامين
ثم دان ثم نفتالي وفتح النون
وسكون الفاء وفتح المضنة
الفوقية وكسر الهمزة ثم كان
ثم اشار هكذا عبارة بنوع
اختصار ام محصية

هي صور أو أشباحه من الكائنات الظاهرة بحسب ما في عالم الشهادة أي كما حضرت لك تلك الاجرام
 العظام بسخر لك وجوه الناس ونواصيهم مذعنين لطاعتك خاضعين لك على وجه الاستكانة و مراده بيان
 اطاعة أبويه واخوته له لكنه انما لم يصرح به حذرا من اذا عتبه (وبعالمك) كلام مبتدأ غير داخل تحت
 التشبيه أراد به عليه السلام تأكيده مقالته وتحققة ما وتوطين نفس يوسف عليه السلام بما أخبر به على طريقة
 التعبير والتأويل كأنه قال وهو يعلمك (من تأويل الاحاديث) أي ذلك الجنس من العلوم أو طرقا صالحة
 منه فتطلع على حقيقة ما أقول ولا يخفى ما فيه من تأكيده ما سبق والذمت على تاني ما سيأتي بالقبول والمراد
 بتأويل الاحاديث تعبير الرؤيا اذ هي أحاديث الملك ان كانت صادقة أو أحاديث النفس أو الشيطان ان لم تكن
 كذلك والاحاديث اسم جمع للحديث كالأباطيل اسم جمع للباطل لا جمع أحدونه وقيل كأنهم جمعوا
 حديثا على أحدته ثم جمعوا الجمع على أحاديث كقطيع وأقطعة وأطاطيع وقيل هو تأويل غوامض
 كتب الله تعالى وسنن الانبياء عليهم السلام والاول هو الاظهر ونسبة التعبير تأويل لانه جعل المرقى آتلا الى
 ما يذكره المعبر بسدد التعبير ورجعه اليه فكأنه عليه الصلاة والسلام أشار بذلك الى ما سيقع من يوسف
 عليه السلام من تعبيره لرؤيا صاحبي السجن ورؤيا الملك وكون ذلك ذريعة الى ما يلغى الله تعالى اليه من الرياسة
 العظمى التي عبر عنها بأتمام النعمة وانما عرفت به يقرب عليه السلام ذلك منه من جهة الوحي أو أراد كون
 هذه الخصلة سببا لظهور أمره عليه السلام على الاطلاق فيجوز حينئذ أن تكون معرفته عليه السلام لذلك
 بطريق القراسة والاستدلال من الشواهد والدلائل والامارات والذنايل بأن من وفقه الله تعالى لمثل هذه
 الرؤيا لا بد من توفيقه لتعبرها وتأويل أمثالها وتمييز ما هو آفاق منها وما هو أنفسي كيف لا وهي تدل على كمال
 تمكن نفسه عليه السلام في عالم المثال وقوة تصرفاته ما فيه فيكون أقبل لفيضان المعارف المتعلقة بذلك العالم
 وبما يحيا كيه من الامور الواقعة بحسب ما في عالم الشهادة وأقوى وقوة على النسب الواقعة بين الصور
 المعانية في أحد ذلك العالمين وبين الكائنات الظاهرة على وفقها في العالم الآخر وأن هذا الشأن البديع
 لا بد أن يكون انموذجا لظهور أمر من اتصف به ومداد الجريان أحكامه فان لكل نبي من الانبياء عليهم الصلاة
 والسلام معجزة بها تظهروا آثاره وتجري أحكامه (ويتم نعمته عليك) بأن يضم الى النبوة المستفادة من
 الاجتباء الملك ويجعله تمة لها ونوسيط ذكر التعاليم المذكورة بينهما لكونه من لوازم النبوة والاجتباء ولرعاية
 ترتيب الوجود الخارجي ولما أشرنا اليه من كون أثره وسيلة الى تمام النعمة ويجوز أن يعد نفس الرؤيا من ثم
 الله تعالى عليه فيكون جميع النعم الواصلة اليه بحسب ما صدقها تمام تلك النعمة (وعلى آل يعقوب) وهم
 آله من ذبه وغيرهم فان رؤية يوسف عليه السلام اخوته كواكب يهتدي بأنوارها من نعم الله تعالى عليهم
 لدلائلها على مصيرهم الى النبوة فيقع كل ما يخرج من القوة الى الفعل من كالاتهم بحسب ذلك تمام تلك
 النعمة لا بحالة وأما اذا أريد بتمام تلك النعمة الملك فكونه كذلك بالنسبة اليهم باعتبار أنهم يعقوبون آثاره من
 العز والجاه والمال (كما أتمها على أيوبك) نصب على المصدرية أي ويتم نعمته عليك انما كما كنا كاتما نعمته على
 أيوبك وهي نعمة الرسالة والنبوة واتمها على ابراهيم عليه السلام بانخاذه خليلا وانجائه من النار ومن ذبح
 الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح وقداثة بذبح عظيم وبإخراج يعقوب والاسباط من صلبه وكل ذلك نعم جليلة
 وقعت تمة لنعمة النبوة ولا يجب في تحقيق التشبيه كون ذلك في جانب المشبه به مثل ما وقع في جانب المشبه من
 كل وجه (من قبل) أي من قبل هذا الوقت أو من قبلك (ابراهيم واسحق) عطف بيان لأيوبك والتعبير
 عنهم بالاب مع كونهم ما أباجده وأبا أييه للاشعار بكل ارتباطه بالانبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام وتذكير
 معنى الولد من رأييه ليطمن قلبه بما أخبر به في ضمن التعبير الاجمالي لرؤياه والاقتصار في المشبه به على ذكر اتمام
 النعمة من غير تعرض للاجتباء من باب الاكتفاء فان اتمام النعمة يقتضي سابقة النعمة المستدعية للاجتباء
 لا بحالة (ان ربك) استئناف لتحقيق مضى الجمل المذكورة أي يفعل ما ذكر لانه (عليه) بكل شيء فيعلم
 من يستحق الاجتباء وما يفرع عليه من التعليم المذكور واطمأن النعمة العامة على الوجه المذكور (حكيم)
 فاعل لكل شيء حسب مقتضى الحكمة والمصلحة فيفعل ما يفعله جريا على سنن علمه وحكمته والتعرض
 لعنوان الربوبية في الموضوعين لترتبة تحقق وقوع ما ذكر من الافاعيل هذا وقد قيل في تفسير الآية الكريمة أي

وكما اجتنبك لنسب هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك أولا مورخنا مريم
 نعمته عليك بالنبوة أو بأن يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة حيث جعلهم في الدنيا أنبياء وملوكا ونقلهم عنها إلى
 الدرجات العالية في الجنة كما أتمها على أبيك بالرسالة فتأمل والله الهادي (لقد كان في يوسف وأخوته) أي
 في قصتهم والمراد بهم ههنا التاجيرهم فان بنيامين أيضا حصة من القصة أو بنو علانته المعدودون فيما سلف
 اذ عليهم يدور رساها (آيات) علامات عظيمة الشأن دالة على قدرة الله تعالى القاهرة وحكمته الباهرة
 (للساتين) لكل من سأل عن قصتهم وعرفها أو الطالبين للآيات المعبرين بها فانهم الواقفون عليها والمتفهمون
 بهادون من عداهم من اندرج تحت قوله تعالى وكان من آية في السموات والارض يذكرون عليها وهم عنها
 معرضون فالمراد بالقصة نفس المقصود أو على نبوته عليه السلام لمن سأله من المشركين أو اليهود عن قصتهم
 فأخبرهم بذلك على ما هي عليه من غير سماع من أحد ولا ممارسة شيء من الكتب فالمراد بها اقتصاصها وجمع
 الآيات حثيثا للاشعار بأن اقتصاص كل طبائفة من القصة آية بينة كافية في الدلالة على نبوته عليه السلام
 على نحو ما ذكر في قوله تعالى مقام ابراهيم على تقدير كونه عطف ببيان لقوله تعالى آيات يذات للمأقيل من أنه
 لتعد دجته الاجماز لفظا ومعنى وقرأ ابن كثير آية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله تعالى
 على النبي صلى الله عليه وسلم خبر يوسف وبقي أخوته عليه لما رأى من بني قومه عليه ليأتمى به (ادخلوا
 ليوسف وأخوه) أي شقيقه بنيامين وانما لم يذكر باجمعه تلويحا بأن مدار المحبة أخوته ليوسف من الطرفين
 ألا يرى إلى أنهم كيف اختلفوا باخراج يوسف من البين من غير تعرض له حيث قالوا اقتلوا يوسف (أحب
 إلى أيمننا مننا) وهذا الخبر مع تعدد المبدأ الا أن فعل من كذا لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر
 والمؤنث نعم اذا عرفت وجب الفرق واذا أضيف جازا الامران وفائدة لام الابتداء في يوسف تحقيق متعمق
 الجمل وتأكيد (ونحن عصبه) أي والحال أنا جماعة قادرون على الحل والعقد أحقاء بالمحبة والعصبية
 والعصاة العشرة من الرجال فصاعداء وبذلك لان الامور تصيبهم (ان أبانا) في ترجيحهم ما عايناه في المحبة
 مع فضائنا عليهم ما كونهما مزل من كفاية الامور بالصغر والقلّة (لنضلال) أي ذهاب عن طريق التعديل
 اللائق وتنزيل كل متامتزاته (مبين) تظاهر الحال روى أنه كان أحب إليه لما يرى فيه من مخايل الخير وكانت
 أخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتضاعف حدهم حتى سلطهم على مباشرة
 ما قص عنهم (اقتلوا يوسف وأطرحوه أرضا) من جملته ما حكى بعد قوله اذ قالوا وقد قاله بعض منهم مخاطبا
 للباقيين بقضية الصيغة فكأنهم رضوا بذلك كما يروى أن القاتل شعرون أو دان والباقيون كانوا راضين
 الأمن قال لا تقتلوا الخ فجعلوا كأنهم القاتلون وأدركوا تحت القول المسند إلى الجميع أو قاله كل واحد
 منهم مخاطبا للبقية وهو أدل على مآرعتهم إلى ذلك القول وتشكيك أرواحهم من الوصف للابن أم أي
 أرضا منكورة بمجولة بعيدة من العمران ولذلك نصبت نصب الظروف المبهمة (يخجل) بالجزم جواب للامر
 أي يخجل (انكم وجه أيكم) فيقبل عليكم بكنيته ولا يلتفت عنكم إلى غيركم ولا يساهمكم في محبته أحد فذكر
 الوجه لتصور معنى اقباله عليهم (وكنونوا) بالجزم عطف على يخجل أو بالنصب على اضمار أن أو الواو بمعنى مع
 مثل قوله وتكفوا الحق واينار الخطاب في نكم وما بعده للمبالغة في حملهم على القبول فان اعتناء المرء بشأن
 نفسه واهتمامه بتحصيل منافعه أنتم وأكل (من بعده) من بعد يوسف أي من بعد الفراغ من أمره أو قتله
 أو طرحه (فوما صالحين) تائبين إلى الله تعالى عما جرت به أمثالهم مع أيكم بما صلاح ما ينسلكم وبينه بعد ذلك
 عهدونه أو صالحين في أمور دنياكم بانتظامها بعده بخلاف وجه أيكم (قال قاتل منهم) هو يوسف وذاو كان
 أحسنهم فيه رأيا وهو الذي قال فلن أبرح الارض الخ وقيل رويل وهو استئناف مبنى على سؤال من سأل
 وقال أتفهموا على ما عرض عليهم من خصائص الضيع أم خائفهم في ذلك أحد فقيل قال قاتل منهم (لا تقتلوا
 يوسف) أظهره في مقام الاضمار استجلا بالشفقة عليهم عليه أو استعظا ما لقتله وهو هو فانه يروى أنه قال لهم
 القتل عظيم ولم يصريح بهم عن الخصلة الاخرى وأحال على أولوية ما عرضهم عليه من قوله (وألقوه
 في غيابة الجب) أي في قعره وغوره مهي بها الغيبة عن عين الناظر والجب البئر التي لم تطو بعد لانها أرض

جئت جبان من غير أن يراد على ذلك شيء وقرأ نافع في غيابات الجب في الموضعين ~~كان~~ لتلك الجب غيابات
أو أراد بالجب الجبس أي في بعض غيابات الجب وقرئ غيابات وغيبة (يلتقطه) يأخذه على وجه
الصيانة عن الضياع والتلف فإن الالتقاط أخذ شيء مشرف على الضياع (بعض السيارة) أي بعض
طائفة تسير في الأرض واللام في السيارة كما في الجب وما فيها وفي البعض من الإبهام لتحقيق ما يروى
من ترويح كلامه بموافقته لغرضهم الذي هو تنافي يوسف عنهم بحيث لا يدري أثره ولا يروى خبره وقرئ تلتقطه
على التأييد لأن بعض السيارة سيارة كقوله كما شرقت صدر القنطرة من الدم ومنه قطعت بعض أصابعه
(أن كنتم فاعلين) بمشورتي لم يثبت القول عليهم بل انما عرض عليهم ذلك تأليفا لقلوبهم وتوجيها لهم إلى رآيه
وحذرهم من نسيبتهم له إلى التحكم والافتيات أو أن كنتم فاعلين ما أزعجتهم عليه من أزالته من عنده أي لا محالة
ولما كان هذا مظنة السؤال سائل يقول فما فعلوا به ذلك هل قبلوا ذلك منه أولا أجيب بطريق الاستئناف
على وجه أدريج في تضاعفه قبولهم له بما سيجي من قوله وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب فقبل (قالوا
يا أيها) خاطبوه بذلك تحريكاً للسلسلة النسب بينه وبينهم وتذكيراً لرابطة الأخوة بينهم وبين يوسف عليه الصلاة
والسلام ليتسببوا بذلك إلى استئذنه عليه السلام عن رآيه في حفظه منهم لما أحسن منهم بأمارات الحسد
والبغي فكأنهم قالوا (مالك) أي أي شيء لك (لاتأمننا) أي لا تجعلنا أمناً (على يوسف) مع أنك
أبونا ونحن بنوك وهو أخونا (واما له لنا صحتون) مريدون له الخير ومشفقون عليه ليس فينا ما يخل بالصحة
والمصلحة واتراءة المشهورة بالادغام والاشتمام وعن نافع رضي الله عنه ترك الاشتمام ومن الشواذ ترك
الادغام (أرسله معنا غدا) إلى الصحراء (يرتع) أي يتسع في أكل الفواكه ونحوها فإن الرتع هو الانساع في
الملاذ (ويلعب) بالاستباق والتناضل ونظائرهما مما بعد من باب التأهب للفز واما عبرة وعن ذلك باللاعب
لكونه على هيئة تحديق الماراموه من استعجاب يوسف عليه السلام بصورهم له بصورة ما يلائم حاله عليه
السلام وقرئ يرتع وتلعب بالنون وقرأ ابن كثير يرتع من ارتعى ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرئ يرتع
من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء (واما له لحافظون) من أن يناله مكروه أو كدوا
مقاتلهم بأصناف التأكد من إيراد الجمل اسمية وتحياتها باللام واستناد الحفظ إلى كاهنهم وتقديم له
على الخبر احتيالاً في تحصيل مقصدهم (قال) استئناف مبني على سؤال من يقول فماذا قال يعقوب عليه
السلام فقبل قال (أني أجزئي) اللام للابتداء كما في قوله عز وجل أن ربك ليحكم بينهم (أن تذهبوا به) لشدة
مفارقتهم على وقلة صبري عنه (و) مع ذلك (أخاف أن يأكله الذئب) لأن الأرض كانت مذابة والحزن
ألم القلب بغوث المحبوب والخوف ازعاج النفس لئول المكروه ولذلك أسند الأول إلى الذئب به المقوت
لاستمرار مصاحبته ومواصلته ليوسف والثاني إلى ما يوقع نزوله من أكل الذئب وقيل رأى في المنام أنه قد
شد عليه عليه السلام ذئب وكان يحذره فقال ذلك وقد لقنهم الله أن البلاء موكل بالمتطيق وقرأ ابن كثير ونافع
في رواية البري بالهمزة على الأصل وأبو عمرو به وقفا وعاصم وابن عامر وحزرة درجا وقبل اشتقاقه من تذاوت
الريح إذا هاجت من كل جانب وقال الأصمعي الأمر بالعكس وهو أظهر لنقطة ومعنى (وأنتم عنه غافلون)
لا شغفكم بالرتع واللعب أوله اهتمامكم بحفظه (قالوا أئنا آكله الذئب ونحن عصبة) أي والحال
أننا جماعة كثيرة جدية بأن يعصب بنا الامور والعظام وتكني الخطوب بآرائنا وتدبيراتنا واللام الداخلة
على الشرط موطنه للتسم وقوله (أما إذا خلاصرون) جواب مجزئ عن الجزاء أي إلهنا تكون ضعفا وخورا
ومجزأ أو مستحقون للهلاك إذا لا غشاء عندنا ولا جدوى في حياتنا أو مستحقون لأن يدعي علينا بالخشار
والدمار ويقال خسروهم الله تعالى ودمروهم حيث أكل الذئب بعضهم وهم حضور وقيل أن لم تقدر
على حفظه وهو أعز شيء عندنا فقد هلكت مواشينا أذن وخسرناها وانما اقتصر على جواب خوف يعقوب
عليه السلام من أكل الذئب لانه السبب القوي في المنع دون الحزن لقصر مدته بناء على أنهم يأثرون به عن
قريب (فلما ذهبوا به وأجمعوا) أي أجمعوا (أن يجعلوه) مفعول لأجمعوا يقال أجمع الأمر ومنه فأجمعوا
أمرهم ولا يستعمل ذلك إلا في الأفعال التي قويت الدواعي إلى فعلها (في غيابة الجب) قيل هي بئر بأرض

الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام يكنعان التي هي من نواحي
 الاردن كما أن مدين كذلك وأما ما يقال من أنهم ابتر بيت المقدس فبذلك التعديل بالتقاط السيارة ومحيطهم أباهم
 عشاء ذلك اليوم فان بين منزل يعقوب عليه السلام وبين بيت المقدس من احوال وجواب لما عذروا ايذا
 بظهوره واشعارا بأن تفصيله مما لا يحويه فلاك العبارة وبجمله فعلا وبه من الاذية ما فعلوا ويرى أنهم لما برزوا
 الى العمراء أخذوا يوذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلوه فجعل يصيح ويستغيث فقال لهم وهذا ما عاهدتوني
 أن لا تقتلوه فأجابوه الى السر فقتلوا بنيهم فترعوا من يديه فدلوه فيها فقتلوا بنيهم فترعوا من يديه ونزعوا
 قصصه لما عزموا عليه من تطيحه بالدم احتيا لا لاييه فقال يا اخوتاه ردوا علي قصصى أوتارى به فقتلوا ادع
 الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك فدلوه فيها فلما بلغ نصفها القوم ليوت وكان في البراءة فسقط فيه
 ثم أوى الى حفرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه وطلبوا منهم فأجابهم ثم أرادوا أن يرضعوه فذعمهم
 به وذا ركان يأتيه بالطعام كل يوم ويرى أن ابراهيم عليه السلام حين ألقى في النار وجرد عن ثيابه أتاه
 جبريل عليه السلام بمقبص من حرير اجنحة فألبسه اياه فدفعه ابراهيم الى ابيحق واسحق الى يعقوب فجعله
 يعقوب في غيمة وعلقها في عنق يوسف فجاءه جبريل عليه السلام فأخرجهم من الغيمة فألبسه اياه (وأوحينا اليه)
 عند ذلك بشيراله بما يؤل اليه أمره وازالة لوحشته وإيساسه قيل كان ذلك قبل ادراكه كما أوحى الى يحيى
 وعيسى وقيل كان اذ ذلك مدركا قال الحسن بن علي رضي الله عنه كان له سبع عشرة سنة (لتبقيهم بأمرهم هذا)
 أى لتخلصن مما أنت فيه من سوء الحال وضيق الحال وتحدثن اخوتك بما فعلوا بك (وهم لا يشعرون)
 بأنك يوسف لتبين حالك حالك هذا وحالك يومئذ املوا شأنك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن أوهامهم وقيل
 بعد العهد المبطل للهيئات المغير للاشكال والاقول أدخل في التسلية روى أنهم حين دخلوا عليه عتارين
 فعرقهم وهم لم يتكروا دعابا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجمام أنه كان لكم أخ
 من أياكم يقال له يوسف وكان يدينه دونكم وأنكم انطلقتم به وألقيتموه في غيابة الحب وقلتم لا يبيكم أكله الذئب
 ويعقوه بمن يخفى ويجوز أن يتعلق بهم لا يشعرون بالاحياء على مذهبى أما أنسنا بالوحى وأزلنا عن قلبه
 الوحشة التي أورثوه وهم لا يشعرون بذلك ويحسبون أنه مرقى ومستوحش لا أيس له وقدرى لتبينهم
 بالنون على أنه وعيد لهم فقله تعالى وهم لا يشعرون متعلق بأوحينا لا غير (وجاؤا أباهم عشاء) آخر التماس
 وقرئ عشيا وهو تصغير عشى وعشى بالضم والقصر جمع أعشى أى عشوا من البكاء (يكون) متباكين
 روى أنه لما سمع يعقوب عليه السلام بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني وأين يوسف (فالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق)
 أى متباكين في العدو والرمي وقد يترك الافتعال والتفاعل كالاتصال والتناضل ونظائرهما (وتركا
 يوسف عند متاعنا) أى ما نتفع به من الثياب والازواد وغيرهما (فأكله الذئب) عقيب ذلك من غير مضى
 زمان بعد اذ فيه التفقد والتعهد وحيث لا يكاد يطرأ المتاع عادة الا في مقام يؤمن فيه الفرائد لم يعثر
 عليه السلام عنده من باب الغفلة وترك الحفظ الملتزم لاسيما اذا لم يبرحوه ولم يغيبوا عنه فكانهم قالوا انما
 نقصر في محافظته ولم نفعل عن مراقبته بل تركاه في ما آمننا وجمعنا بمرأى من الان مبدان السابق لا يكون عادة
 الا بحيث يتراى غايته وما فارقتا الساعة يسيرة بيننا وبينه مسافة قصيرة فكان ما كان (وما أنت بمؤمن لنا)
 بصديق لنا في هذه المقالة المدالة على عدم تقصيرنا في أمره (ولو كان) عندك وفي اعتقادك (صادقين) موصوفين
 بالصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وأنت سبي الظن بنا غير واثق بقولنا وكلمة لوفى أمثال هذه المواقع
 لبيان تحقق ما يفيد الكلام السابق من الحكم الموجب أو المنفى على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة
 له على الاجمال بادخالها على أبعادها منه وأشد هامنا فالة ليظهر بثبوتها واتقانها معه بثبوتها واتقانها معه
 غيره من الاحوال بطريق الاولوية لما أن النسي يتحقق مع المناسى القوي فلا يتحقق مع غيره أولى ولذلك
 لا يذكر معه شئ من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذلك والواو العاطفة للجملة على نظير المقابلة لها الشاملة
 لجميع الاحوال المقارنة لها عند تعددها وقدم تفصيله في سورة البقرة عند قوله تعالى أولو كان آباؤهم
 لا يعقلون شيئا ولا يفتنون وفي سورة الاعراف عند قوله تعالى أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يفتنون
 محله التنبه على الظرفية من قوله (بدم) أى جاؤا فوق قبصه بدم كما تقول جاء على جماله بأحوال أو على

الحالية منه والخلاف في تقدم الحال على الجبرور في حاله الم يكن الحال طرعا (كذب) مصدر ووصفه الدم
مباغة أو مصدر بمعنى المفعول أي مكذوب فيه أو بمعنى ذى كذب أي ملابس لكذب وقرئ كذبا على أنه
حال من الضمير أي جاءوا كاذبين أو مفعول له وقرأت عائشة رضي الله تعالى عنها بغير المجعة أي كدر وقيل
طرى قال ابن جني أصله من الكذب وهو القوف البياض الذي يخرج على انفسار الاحداث ~~كأنه~~ دم
قد أثر في جسده روى أنهم ذبحوا رجله ولحقوه بدمها وزل عنهم أن يعزوه فلما سمع يعقوب بنجر يوسف عليه
السلام صاح بأعلى صوته وقال ابن القميص فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص
وقال نالته ما رأيت كالיום ذمبا أحلم من هذا ~~كل~~ ابنى ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف عليه
السلام ثلاث آيات كان دليلا يعقوب على كذبهم وألقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف عليه
السلام حين قدم من دبر (قال) استئناف مبني على سؤال فكأنه قيل ما قال يعقوب هل صدقهم فيما قالوا أم لا
فقيل قال لم يكن ذلك (بل سؤلت لكم أنفسكم) أي زنت وسهلت قاله ابن عباس رضي الله عنهما والتسويل
تقدير تثنى في النفس مع الطمع في اتصافه قال الأزهري كان التسويل تفصيل من سؤل الانسان وهو أمنيته
التي يطلبها فترى لطلالها الباطل وغيره وأصله موهوز وقيل من السؤل وهو الاسترخاء (أمرأ) من الامور ذكرها
لا يوصف ولا يعرف (فصبر جيل) أي فأمرى صبر جيل أو فصبر جيل أبجل أو أمثل وفي الحديث الصبر الجليل
الذي لا شكوى فيه أي الى الخلق والافق قال يعقوب عليه السلام انما أشكوبني وحرني الى الله وقيل سقط
ساجدا على عينيه فكان يرفعها بمصاصة فقيل له ما هذا قال طول الزمان وكثرة الاخران فأوحى الله عز وجل
اليه يا يعقوب أنت شكوتني قال يارب خطيئة فاغفرها لي وثقأني فصبر اجيلا (والله المستعان) أي المطلوب
منه العون وهو انشاء منه عليه السلام للاستعانة المستمرة (على ما تصفون) على اظهار حال ما تصفون
وبيان كونه كذبا واظهار سلامته فانه علم في الكذب قال سبحانه سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وهو
الائق بما سجي من قوله تعالى فصبر جيل عسى الله أن يأتيهم جمعا وتفسير المستعان عليه باحتمال
ما يصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزق فيه بألمه تكذيبه عليه السلام لهم في ذلك ولا تساعده الضيقة فانها
قد غلبت في وصف الشيء بما ليس فيه كما أشير اليه (وجاءت) شروع في بيان ما جرى على يوسف في الحب
بعد الفراغ من ذكر ما وقع بين اخوته وبين أبيه والتعبير بالجي ليس بالنسبة الى مكانهم فان كنعان ليس
بالجانب المصري من مدين بل الى مكان يوسف وفي ايشاره على المرور والاثبات أو نحوهما ايماء الى كونه عليه
السلام في الكرامة والزني عند ملك مقتدر والظاهر أن الحب كان في الامم المتناه فان المتبادر من اسناد
الجي الى السيارة مطلقا في قوله عز وجل وجاءت (سيارة) أي رفقة نسير من جهة مدين الى مصر وقوعه
باعتبار سيرهم المعتاد وهو الذي يقتضيه قوله تعالى فيما سلف بلمنطقة بعض السيارة وقد قيل انه كان في قفرة
بعيدة من العمران لم تكن الا لرعاة فأخطوا الطريق فزلوا اقرى آمنه وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين ألقي
فيه عليه السلام (فأرسلوا واردهم) الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان ذلك مالك بن ذعر الخزاعي وانما لم يذكر
منتهى الارسل كما لم يذكر منتهى الجي أعنى الحب للايدان بأن ذلك معه ود لا يضرب عنه الذكر صفحا (فأدى
دلوه) أي أرسلها الى الحب والحذف للمعرفة فتدلى بها يوسف فخرج (قال) استئناف مبني على سؤال
يقتضيه الحال (يا بشرى هذا غلام) كأنه نادى البشرى وقال تعالى فهذا أوانك حيث فازت نعممة باردة
وأي نعممة مكان ما يوجد بها حامن الماء وقيل هو اسم صاحب له فاداه ليعينه على اراحته وقرأ غير الكوفيين
يا بشرى وأمال فتحة الراء من زوال الكسائي وقرأ ورش بين اللظنين وقرئ يا بشرى بالادغام وهي لغة وبشرى
على قصد الوقف (وأمرؤه) أي أخفاء الوارد وأصحابه عن بقية الرفقة وقيل أخفوا أمره ووجدانهم
له في الحب وقالوا لهم دفعه الينا أهل الماء لنديعه لهم بمصر وقيل الضمير لاختوة يوسف وذلك أن يهودا كان
يأتيه كل يوم بطعام فأتاه يومئذ فلم يجد فيه فأخبر اخوته فأتوا الرفقة وقالوا لاهل غلامنا أين منا فاشتروه منهم
وسكت يوسف مخافة أن يشاؤوه ولا يخفى ما فيه من البعد (بضاعة) نصب على الحالية أي أخفوه حال كونه
بضاعة أي متاعا للتجارة فانما قطعته من المال بضعت عنه أي قطعت للتجارة (والله عليم بما يعملون) وعيد

قوله وقرأت عائشة الخ
القاموس هذه القراءة لابن
عباس وقوله وهو القوف
هو ضم القاء البياض الذي
في أنفاس الاحداث كافي
القاموس وعليه فقوله
البياض الخ عطف بيان
للقوف فتنبه له

قوله وبشرى أي بالسكون
كافي البياض

لهم على ما صنعوا من جعلهم مثل يوسف وهو عرصة لا يتدال بالبيع والشراء وما دبروا في ذلك من الخيل
 (وشروه) أي باعوه والضمير للوارد وأصحابه (بمن بخص) زيف ناقص العيار (دراهم) بدل من ثمن
 أي لادنابير (معدودة) أي غير موزونة فهو بيان لقلته ونقصانه مقداراً بعد بيان نقصانه في نفسه إذ
 المعتاد فيما لا يبلغ أو بعين العد دون الوزن فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها كانت عشرين درهماً وعن
 السدي رضي الله عنه أنها كانت اثنين وعشرين درهماً (وكانوا) أي البائعون (فيه) في يوسف
 (من الزاهدين) من الذين لا يرغبون فيما بأيديهم فلذلك باعوه بما ذكر من الثمن البتس وسبب ذلك أنهم التقطوه
 والمثقف للشيء منها ونه أو غير واثق بأمره يخاف أن يظهر له مستحق فينتزعه منه فيبيع به من أول مساوم
 بأوكس ثمن ويجوز أن يكون معنى شروه اشتروه من اخوته على ما حكى وهم غير راغبين في شراء خشية ذهاب
 ما لهم لما طعن في آذنتهم من الأباقي والعدول عن صيغة الاقتعال المنبثة عن الاتحاد لما مر من أن أخذهم
 إنما كان بطريق البصاعة دون الاجتباء والاقتناء وفيه متعلق بالزاهدين أن جعل اللام للتعريف وبيان
 لما زهدوا فيه أن جعلت موصولة ~~كانه~~ أنه قيل في أي شيء زهدوا فقبل زهدوا فيه لأن ما يتعلق بالصلة لا يتقدم
 على الموصول (وقال الذي اشتراه من مصر) وهو العزيز الذي كان على خزائنه واسمه قطفير أو اطفير وبيان
 كونه من مصر لترمية ما يفرغ عليه من الأمور مع الأشعار بكونه غير من اشتراه من الملقطين بما ذكر من الثمن
 البتس وكان الملك يومئذ الريان بن الوائد العمليقي ومات في حياة يوسف عليه السلام بعد أن آمن به فذلك بعده
 قابوس بن مصعب فدعاه إلى الإسلام فأبى وقيل كان الملك في أيامه فرعون موسى عليه السلام عاش أربعة مائة
 سنة لقوله عز وجل ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من أولاد فرعون يوسف
 والآية من قبيل خطاب الأولاد بأحوال الآباء واختلاف في مقدار ما اشتراه به العزيز فقبل بعشرين ديناراً
 وزوجي نعل وتوبين أبيضين وقيل أدخلوه في السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه مائة مائة مائة
 ورقا ووزنه حراً فاشتراه قطفير بذلك المبلغ وكان سنة اذ ذاك سبع عشرة سنة وأقام في منزله مع ما مر عليه
 من مدة لبثه في السجن ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين سنة وآناه الله العلم والحكمة
 وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة (لامرأته) راعيل أو زليخا وقيل اسمها هو
 الأول والثاني لقبها واللام متعلقة يقال لا باشتراء (أكرى منواه) اجعل لي محل إقامته كريمة رضيها والمعنى
 أحسن تعهده (عسى أن ينفعنا) في ضياعنا وأموالنا ونفقه قطفير به في مصالحنا (أو نتخذها ولداً) أي تنبأه وكان
 ذلك لما تفرس فيه من مخايل الرشد والتجربة ولذلك قيل أفرس الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت
 يا أيت استأجره وأبو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما (وكذلك) نصب على المصدرية وذلك إشارة إلى
 ما يهيم من كلام العزيز وما فيه من معنى البعد لتفخيمه أي مثل ذلك التمكن البديع (مكاً يوسف في الأرض)
 أي جعلنا له فيها مكاناً يقال مكانه فيه أي أثبت فيه ويمكن له فيه أي جعل له فيه مكاناً وله تباركهما وتلازمهما
 يستعمل كل منهما في محل الآخر قال عز وجل وكتم أهلكتنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن
 لكم أي ما لم نمكنكم فيها أو مكناهم في الأرض الخ والمعنى كما جعلنا له مشوى كريم في منزل العزيز أو مكاناً علياً
 في قلبه حتى أمر أمر أنه دون سائر حواشيها كرام منواه جعلنا له مكانة رفيعة في أرض مصر ولعله عبارة عن
 جعله وجهاً بين أهلها ومحبة في قلوبهم كافة كما في قلب العزيز لأنه الذي يؤدي إلى الغاية المذكورة في قوله تعالى
 (ولنعلمه من تأويل الأحاديث) أي نوفره لتعبير بعض المناسبات التي عمدت بها رؤيا الملك وصاحب السجن
 لقوله تعالى ذاكما على ربي سواء جعلناه معطوفاً على غاية مقدرة ينساق إليها الكلام ويستدعيها النظام
~~كانه~~ أنه قيل ومثل ذلك التمكن مكنا يوسف في الأرض وجعلنا قلوب أهلها كافة محال محبة ليقرب عليه
 ما ترتب مما جرى بينه وبين امرأة العزيز ولنعله بعض تأويل الأحاديث وهو تأويل الرؤى المذكورة فيؤدى
 ذلك إلى الرئاسة العظمى وله في تلك المعطوف عليه للأشعار بعدم كونه مراداً بالذات أو جعلناه له لعل
 محذوف كأنه قيل وله هذه الحكمة البالغة فعلمنا ذلك التمكن دون غيرها مما ليس له عاقبة جيدة هذا ولا يخفى
 عليك أن الذي عليه تدور هذه الأمور إنما هو التمكن في جانب العزيز وأما التمكن في جانب الناس كافة فتأديته

الى ذلك انما هي باعتبار اشتغالها على ذلك التمكين فاذا الحق أن يكون ذلك اشارة الى مصدر قوله تعالى مكا
ليوسف على أن يكون هو عبارة عن التمكين في قلب العزيز أو في منزله وكون ذلك تمكينا في الارض بلاية أنه
عزيز فيها لا عن تمكين آخر يشبهه به كما مر في قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا من أن ذلك اشارة الى
مصدر الفعل المذهب وبعده لا الى جعل آخر يقصد تشبيه هذا الجعل به قال كاف مقبهم للدلالة على نخامة
شأن المثار اليه انما لا يكاد يترك في لغة العرب ولا في غيرها ومن ذلك قواهم مثل لا ينجل وهكذا ينبغي
أن يحقق المقام وأما التمكين بمعنى جعله ملكا يتصرف في أرض مصر بالامر والنهي فهو من آثار ذلك التعليم
وتأنيبه المتفرعة عليه كما عرفت لا من مباديه المؤدبة اليه فلا سبيل الى جعله غاية له ولم يهد منه عليه السلام
في تضاعيف قضاياه العمل بوجوب المنامات المنبهة على الحوادث قبل وقوعها هذا مما جعله غاية لولايته وما
وقع من التدارك في أمر السنين فانما هو عمل بوجوب الرؤيا السابقة المعهودة اللهم إلا أن يراد بتعليم تأويل
الاحاديث ما سبق من تفهيم غوامض أسرار الكتب الالهية ودقائق سنن الانبياء عليهم السلام فيكون
المعنى حينئذ مكاله في أرض مصر ليتصرف فيها بالعدل ولتعلو معاني كتب الله تعالى وأحكامها ودقائق سنن
الانبياء عليهم السلام فيقضي بها فيما بين أهلها والتعليم الاجبالي لتلك المعاني والاحكام وان كان غير متأخر
عن تمكينه بذلك المعنى إلا أن تعليم كل معنى شخصي يتفق في ضمن الحوادث والارشاد الى الحق في كل نازلة
من التوازل متأخر عن ذلك صالح لأن يكون غاية له (والله غالب على أمره) لا يستعصى عليه أمر ولا يعاجله
شيء بل انما أمره شيء اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فيدخل في ذلك شأنه المتعلقة بيوسف دخولا أولا
أو متول على أمر يوسف لا يملكه الى غيره وقد أريد به من الفتنة ما أريد مرة غيب مرة فلم يكن الا ما أراد الله له
من العاقبة الحيدة (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أن الامر كذلك فيأتون ويذرون زعماءهم أن لهم من
الامر شيا وأني لهم ذلك وان الامر كله لله عز وجل أو لا يعلمون لطائف صنعه وخفايا فضله (ولما بلغ أشده)
أي منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سنن الوقوف ما بين الثلاثين الى الاربعين وقيل سنن السباب ومبدأ
بلوغ الحلم والاول هو الاظهر لقوله تعالى (آتيناهم حكما) حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل أو حكما بين الناس وقضاها
أو نبوة (وعلمنا) أي تفقها في الدين وتنكيرهما للتفخيم أي حكما وعلمنا لا يكتنه كنههما ولا يقدرة درهما فهما
ما آتاه الله تعالى عند تكامل قواه سواء كانا عبارة عن النبوة والحكم بين الناس أو غيرهما كيف لا وقد جعل
ايتاؤهما جزاء لعمله عليه السلام حيث قيل (وكذلك) أي مثل ذلك الجزاء الجيب (يخزي المحسنين) أي كل
من يحسن في عمله فيجب أن يكون ذلك بعد انقضاء أعماله الحسنة التي من جللتها معاناة الاحزان والشدائد وقد
فسر العلم بعلم تأويل الاحاديث ولا حجة له إلا أن يخص به لم تأويل رؤيا الملك فان ذلك حيث كان عند تنامي أيام
البلاء صح أن يعد ايتاؤه من جملة الجزاء وأما رؤيا صاحبي السجن فقد ثبت عليه السلام بعد تعبيرها في السجن
بضع سنين وفي تعليق الجزاء المذكور بالتحسين اشعار بعالية الاحسان له وتنبية على أنه سبحانه انما آتاه
ما آتاه لكونه محسنا في أعماله متقيا في عنقوان أمره هل يراء الاحسان الا الاحسان (ورأوه التي هو
في بيتها) رجوع الى شرح ما جرى عليه في منزل العزيز بعد ما أمر امرأته باكرام منواه وقوله تعالى وكذلك
مكا ليوسف الى هنا اعتراض جوي به أعوذ بالحق ليعلم السامع من أول الامر أن ما تليه عليه السلام من
الفتن التي ستحكي يتفادها به غاية جملة وعاقبة جيدة وأنه عليه السلام محسن في جميع أعماله لم يصدر عنه
في سائر السراء والضراء ما يخل بزهاته ولا يخل أن مدار حسن التخلص الى هذا الاعتراض قبل تمام الآية
الكريمة انما هو التمكين البالغ المقهور من كلام العزيز قاراج الانبياء السابق تحت اشارة بذلك في قوله
تعالى وكذلك مكا كما فعله الجمهورنا من التقرير فتأمل والمرادة المطالبة من راديرود اذا جاء وذهب لطلب
شيء ومنه الرائد لطالب الماء والكلا وهي مفعلة من واحد نحو مطالبة الدائن ومطالبة المديون ومداواة
الطبيب ونظائرهما يكون من أحد الجانبين الفعل ومن الآخر سببه فان هذه الافعال وان كانت صادرة عن
أحد الجانبين لكن لما كانت أسبابها صادرة عن الجانب الآخر جعلت كأنها صادرة عنهما وهذا باب لطيف
المسالك مبني على اعتبار دقيق تحقيقه أن سببه الشيء يقام مقامه ويطلق عليه اسمه كما في قواهم كما تدن تدان أي

كما تخرى فخرى فان فعل الياى وان لم يكن جوا لكنه لكونه سببا للبراء أطلق عليه اسم وكذا ارادة القيام الى الصلاة و ارادة قراءة القرآن حيث كانت سببا للقيام والقراءة عبر عنهم بما بهما قيل اذا غم الى الصلاة فاذا قرأت القرآن وهذه قاعدة مطردة مستمرة ولم تكن كانت أسباب الأفعال المذكورة فبما نحن فيه صادرة عن الجانب المقابل للجانب فاعلمها فان مطالبة الدائن للمعاطاة التي هي من جانب الغريم وهي من اللطافة التي هي من جانب الدائن وكذا مداواة الطبيب للمريض الذي هو من جانب المريض وكذلك مرادنا فيما نحن فيه لجمال يوسف عليه السلام نزل صدورها عن محالها بمنزلة صدورها من سببها التي هي تلك الأفعال فسمى الصفة على ذلك وروى جانب الحقيقة بأن أسند الفعل الى الفاعل وأوقع على صاحب السبب قتلة ويجوز أن يراد بصفة المغالبة يجوز بالمبالغة وقيل الصيغة على بابها بمعنى أنها طلبت منه الفعل وهو منها الترك ويجوز أن يكون من الريد وهو الرفق والتحمل وتعديتها بين لتعنيها معنى الخادعة فانه في خادعته (من نفسه) أى فعلت ما يفعل الخادع لصاحبه عن شئ لا يريد إخراجها من يده وهو يحتمل أن يأخذ منه وهي عبارة عن التعلل في مواقفه أياها والعدول عن التصريح باسمها للمعاقلة على السر وألا مستحسان بذكره وإيراد الموصول لتقرير المارودة فان كونه في بيتها مما يدعوا الى ذلك قبل لواحدة ما حملت على ما أنت عليه مما لا شرف فيه قالت قرب الوساد وطول السواد ولاظهار كمال نزاهته عليه السلام فان عدم ميله اليه مع دوام مشاهدته لحاسنها واستعصاء عليها مع كونه تحت ملكتها ينادى بكونه عليه السلام في أعلى معارج العقدة والتزاهة (وغلقت الابواب) قبل كانت سبعة ولذلك بناء الفعل بصفة التعليل دون الأفعال وقيل للمبالغة في الانشاق والاحكام (وقالت هيت لك) قرئ بفتح الهاء وكسر هاء مع فتح التاء وبنائه كبناء أمين وعبط وهيت كجبر وهيت كجيت اسم فعل معناه أقبل وبادروا للبيان أى لك أقول هذا كما في هيت لك وقرئ هيت لك على صيغة الفعل بمعنى هيت بك يقال هاء يهيت بكاء يجيى اذا نهيا وهيت لك واللام صلة للفعل (قال معاذ الله) أى أعوذ بالله معاذ الله عنى اليه وهذا اجتناب منه على أتم الوجوه وإشارة الى التعليل بأنه منكروها نل يجب أن يعاذ بالله تعالى للسلام منه وما ذاك الا لانه عليه السلام قد شاهده بما أراه الله تعالى من البرهان النير على ما هو عليه في حد ذاته من غاية القبح ونهاية السوء وقوله عز وجل (انه ربى أحسن منواى) تعليل للامتناع يهتض الامسباب الخارجية معاصي يكون مؤثرا عند ما وداعها الى اعتباره بعد التنبيه على سببه الذاتي الذي لا تكاد تقبله لما سألته لها نفسها والضمير الشأن ومصدر وضعه موضعه اذ جاء شهرته المغنية عن ذكره وقاعدة تعذر الجمل به الايدان بفضامة مضمونهم سامع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا الشأن مهم له لخطر قسبي الذهن مستقربا لما بعده فبما يمكن عند وروده له فضل تمكن فكانه قبل ان الشأن الخطير هذا وهو ربى أى سببى العزيز أحسن منواى أى أحسن تعهدى حيث أمرنا بكرامى فكيف يمكن ان أمى اليه بانطباعه في حرمه وفيه ارشاد لها الى رعاية حق العزيز بالطف وجه وقيل الضمير لله عز وجل وبني خبران وأحسن منواى خبر ثان وهو الخبر والاول بدل من الضمير والمعنى ان الحال هكذا فكيف أعصيه بارتكاب تلك الفاحشة الكبيرة وفيه تحذير لها من عقاب الله عز وجل وعلى التقديرين في الاقتصار على ذكر هذه الحالة من غير تعريض لاقتضاها الامتناع عما دعت اليه ايدان بأن هذه المرتبة من البيان كافية في الدلالة على استحالتة وكونه محالا يدخل تحت الوقوع أصلا وقوله تعالى (انه لا يفلح الظالمون) تعليل للامتناع المذكور غيبه لعل الفلاح والظفر وقيل البقاء في الخير ومعنى أفلح دخل فيه كاصبح وأخوانه والمراد بالظالمين كل من ظالم كان من كان قد دخل في ذلك الجوارون للاحسان بالاساءة والعصاة لامر الله تعالى دخولا أو لا وقبل الزنا لانهم ظالمون لانفسهم وللمزنى بأهله (ولقد همت به) بمخاطبته اذا هم لا يتعلق بالاعيان أى قصدتها وعزمت عليها عزما جازما لا يلوم ساعته صارف بعد ما باشرت مبادئها وفعلت ما فعلت من المارودة وتعلق الابواب ودعوته عليه السلام الى نفسها بقولها هيت لك ولعلها تصدت هنالك لأفعال أخر من بسط يدها اليه وقصد المعانقة وغير ذلك مما يضطره عليه السلام الى الهرب نحو الباب والتأكيد لدفع ما عصى يروهم من احتمال اقلاعهما عما كانت عليه بما في مقالته عليه السلام من الزواجر (وهي بها) بمخاطبتها

قوله ينادى أى ما ذكر من
عهم الميل والاستعصاء
تأمل اه معصيه
قوله وعبط بكسر العين
والطاء المهملتين بينهما مشددة
تخصية ساكنة اسم صوت
من العياط وهي كلمة يقولها
الصبيان ويتصيحون بها
في اللعب اه شهاب زاد
في القاموس أو كلمة ينادى
بها عند السكر أو عند الغلبة
اه معصيه

أي مال إليها بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة الشـباب وقومه ميلًا جليلا لا يكاد يدخل تحت التكليف لانه
 قصد ما قصد الاختيار يا أأرى إلى ما سبق من استعصامه النبي عن كمال كراهيته له ونفرته عنه وحكمه بعدم
 افلاح الظالمين وهل هو الاتساع بالمتحالة صدور الهم منه عليه السلام تسجيلا محكما وانما عبر عنه بالهم
 ليعزذ وقوعه في صبيحة همها في الذكر بطريق المشاكلة لاشبه به كما قيل واقد أشير إلى تباينهما حيث لم يلزما
 في قرن واحد من التعبير بأن قيل واقد هما بالخاططة أو هم كل منهما بالآخر وصدرا لا قول بما يقر وجوده
 من التوكيد التسمي وعقب الثاني بما يعزوا اثره من قوله عز وجل (لولا أن رأى برهان ربه) أي حجته الباهرة
 الدالة على كمال قبح الزنى وسوء سبيله والمراد برؤيته لها كمال إيقانه بها ومشاهدته لها مشاهدة واصله إلى مرتبة
 عين اليقين الذي تتجلى هنالك حقائق الاشياء بصورها الحقيقية وتخلع عن صورها المستعارية التي بها تظهر
 في هذه النسأة على ما نطق به قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وكانه عليه السلام
 قد شاهد الزنى بموجب ذلك البرهان الذي على ما هو عليه في حد ذاته أقبح ما يكون وأوجب ما يجب أن يحذر منه
 ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام والحكم بعدم افلاح من يرتكبه وجواب لولا محذوف يدل عليه الكلام
 أي لولا مشاهدته برهان ربه في شأن الزنى يلجى على موجب ميله الجليـل ولكنه حيث كان مشاهدا له من قبل
 استقر على ما هو عليه من قضية البرهان وفائدة هذه الشرطية بيان أن امتناعه عليه السلام لم يكن لعدم
 مساعدة من جهة الطبيعة بل لحض العفة والتزاهة مع وقور الدواعي الداخلية وترتب المقدمات الخارجية
 الموجبة لظهور الاحكام الطبيعية هذا وقد نص أئمة الصناعة على أن لولا في أمثال هذه المواقع جار من حيث
 المعنى لا من حيث الصيغة مجرى التقييد للكم المطلق كما في مثل قوله تعالى ان ككاد ليضلنا عن آلهتنا لولا
 أن صبرنا عليها فلا يتحقق هنالك هم أصلا وقد جوز أن يكون وهمهم بما جواب لولا جريا على قاعدة الكوفيين
 في جواز التقديم فالهم حينئذ على معناه الحقيقي فالعنى لولا أنه قد شاهد برهان ربه لهمهم بما كراهمت به ولكن
 حيث اتنى عدم المشاهدة بدليل استعصامه وما يترفع عليه اتنى الهم رأسا هذا وقد فسرهم عليه
 السلام بأنه عليه السلام حل الهيمان وجلس مجلس الختان وبأنه حل تسكة سراويله وقعد بين شعبه ورؤيته
 للبرهان بأنه سمع صوتا يابلا وياها فلم يكثر ثم وثم إلى أن تمثل له يعتوب عليه السلام عاضا على أغمته وقيل
 ضرب على صدره فخرجت شهوته من أنامله وقيل بدت كف فيماليهن مالم يس فيها عضد ولا معصم مكتوب
 فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها سوا ولا تقر بوالزنا انه كان فاحشة وسام سبيلا
 فلم ينته ثم رأى فيها وانه وايوم اترجعون فيه إلى الله فلم ينجع فقال الله عز وجل لجبريل ادرك عبدى قبل
 أن يصيب الخطيئة فانخط جبريل عليه السلام وهو يقول يا يوسف أتعلم عمل السفهاء وأنت مكتوب
 في ديوان الانبياء وقيل رأى تمثال العزيز وقيل وقيل ان كل ذلك الانحرافات وأباطيل تعبها الاذان
 وترداه العقول والاذهان ويل لمن لا كهوا ولنفقها أو سمعها وصدقها (كذلك) الكاف منصوب المحل وذلك
 اشارة إلى الارادة المدلول عليها بقوله تعالى لولا أن رأى برهان ربه أي مثل ذلك التثبيت ثباته (لتصرف عنه سوء) على الاطلاق
 برهانا فيما قبل أو إلى التثبيت اللازم له أي مثل ذلك التثبيت ثباته (لتصرف عنه سوء) على الاطلاق
 فيدخل فيه خيانة السيد دخول أوليا (والنعشاء) والزنى لانه مفرط في التبع وفيه آية بينة وحجة قاطعة على
 أنه عليه السلام لم يقع منه هم بالمعصية ولا توجه اليها لقط والالقي لتصرفه عن سوء والنعشاء واغنا توجه
 اليه ذلك من خارج فصرفه الله تعالى عنه بما فيه من موجبات العفة والعصمة فتأمل وقري ليصرف على
 اسناد الصرف إلى ضمير الرب (انه من عبادة الخالصين) تعليل لما سبق من مضمون الجملة بطريق التحقيق
 والخلصون هم الذين أخلصهم الله تعالى اطاعته بأن عصمهم عما هو قاذح فيها وقري على صيغة الفاعل وهم
 الذين أخلصوا دنيهم لله سبحانه وعلى كلا المعنيين فهو منتظم في سلكهم داخل في زمرة من أول أمره
 بقضية الجملة الاسمية لأن ذلك حدث له بعد أن لم يكن كذلك فانحصر مادة احتمال صدور الهم بالسوء منه
 عليه السلام بالكلية (واستبقا الباب) متصل بقوله ولقد همت به وهمهم لولا أن رأى برهان ربه وقوله كذلك
 إلى آخره اعتراض بجى به بين المعطوفين تقرير التزاهة عليه السلام كقوله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت

السماوات والارض والمعنى لقد همت به وأبي هو واستبقا الباب أى تسابقا الى الباب البرانى الذى هو
 الخالص ولذلك وحده بالجمع فيما سلف وحذف حرف الجزاء وصل الفعل الى الجبر وورثوا إذا كانوا هم أو ضمن
 الاستباق معنى الابتدار واستناد السبق فى ضمن الاستباق اليها مع أن مرادها مجرد منع يوسف وذال لا يوجب
 الانتهاء الى الباب لانها لما رآه يسرع الى الباب ليتخلص منها أسرعت هى أيضا لتسبقه اليه وتمنعه عن الفتح
 والخروج أو عبر عن امرائها اثره بذلك مبالغة (وقد تقيسه من دبر) اجتذبه من ورائه فانشق طولاهو
 القدر كما أن الشق عرضاهو القطر وقد قيل فى وصف على رضى الله عنه أنه كان اذا اعتلى قدوا اذا اعترض قط
 واستناد القدر اليها خاصة مع أن لقوة يوسف أيضا دخلا فيه أما لانها الجزء الاخير لعله التامة وأما للايذان
 بمباغتتها فى تمنعه عن الخروج وبذل مجهودها فى ذلك لغوث المحبوب أو لخوف الاختضاح (والقياس سيدها)
 أى صادقا وزوجها واذ لم يكن ملكه ليوسف عليه السلام يصحح ما يقل سيدهما قيل ألقيا مقبلا وقيل كان
 جالسا مع ابن عم المرأة (لدى الباب) أى البرانى كما مر روى كعب رضى الله عنه أنه لما هرب يوسف عليه
 السلام جعل فرأى الفضل يتناثروا حتى خرج من الابواب (قالت) استئناف مبنى على سؤال سائل
 يقول فماذا كان حين ألقيا العزيز عند الباب فقبل قالت (ما جزاء من أراد بأهلك سوءا) من الزنى ونحوه
 (الأن يسجن أو عذاب أليم) ما نافية أى ليس جزاؤه الا السجن أو العذاب الاليم قيل المراد به الضرب بالسياط
 أو استنفهامية أى أى شئ جزاؤه غير ذلك أو ذلك واقعد أنت فى تلك الحالة التى تدهش فيها الفطن حيث
 شاهد ها العزيز على تلك الهيئة المريبة بحيلة جمعت فيها غرضها وهما تبرئة صاحبها عما يلوح من ظاهرها الحال
 واستتزال يوسف عن رأيه فى استعصائه عليها وعدم موافاقته على مرادها بإلقاء الرعب فى قلبه من مكرها طمعا
 فى مراقبته لما كرها عنديا سها عن ذلك اختيارا كما قالت ولئن لم يفعل ما أمره ليسجن وليكونا من الصاغرين
 ثم انها جعلت صدورا لارادة المذكورة عن يوسف عليه السلام أمرها بمقتضى غنا عن الاخبار
 بوقوعه وأن ما هى عليه من الافعال لاجل تحقيق جزائها ففى تردياقه حسبما يقتضيه قانون الالة
 وفى ايام المرید تمويل شأن الجزاء المذكور بكونه قانونا مطردا فى حق كل أحد كما نؤمن كان وفى ذكر نفسها
 بعنوان أهلية العزيز اعظام الخطب واغراءه على تحقيق ما تنوخوا بحكم الغضب والحية (قال) استئناف
 وجواب عما يقال فماذا قال يوسف حينئذ فقبل قال (هى راودتنى عن نفسى) أى طالبتنى للموافاة لاني أردت
 بها سوءا كما قالت وانما قاله عليه السلام لتزييه نفسه عما أسند اليه من الخيانة وعدم معرفة حق السيد ودفع
 ما عرضته له من الامرين الامرين وفى التعبير عنها بضمير الغيبة دون الخطاب أو اسم الإشارة مراعاة لمحسن
 الادب مع الائمة الى الاعراض عنها (وشهد شاهد من أهلها) قيل هو ابن عمها وقيل هو الذى كان جالسا مع
 زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشير وقد جوز أن يكون بعض أهلها قد بصر بها من
 حيث لا تشعر فأغضبته الله تعالى ليوسف عليه السلام بالشهادة والقيام بالحق وانما أنى الله سبحانه الشهادة
 الى من هو من أهلها ليكون أدل على نزاهته عليه السلام وأننى للتممة وقيل كان الشاهد ابن خال لها صبيبا
 فى المهد أنطقه الله تعالى ببرأته وهو الاظهر فانه روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال تكلم أربعة وهم صغار
 ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى عليه السلام رواء الحساكم عن أبي هريرة رضى
 الله عنه وقال صحيح على شرط الشيخين وذكر كونه من أهلها البيان الواقع اذ لا يختلف الحال فى هذه الصورة
 بين كون الشاهد من أهلها أو من غيرهم (ان كان قيصة قدم من قبل) أى ان علم أنه قدم من قبل من قبل وقطيره
 ان أحسن الى فقد أحسن اليك فيما قبل فان معناه ان تعبد باحسانك الى فأعبد باحسانى السابق اليك
 (فصدقت) بتقدير قد لانها تقرب الماشى الى الحال أى فقد صدقت وكذا الحال فى قوله فكذبت وهى
 وان لم تصرح بأنه عليه السلام أراد بها سوءا الا أن كلامها حيث كان واضح الدلالة عليه أسند اليها الصدق
 والكذب بذلك الاعتبار فانها كما يعرضان للكلام باعتبار ما طوقه يعرضان له باعتبار ما يستلزمه
 وبذلك الاعتبار يعرضان للانثاء (وهو من الكاذبين) وهذه الشرطية حيث لا ملازمة عقلية ولا عادية
 بين مقدمها وتاليها ليست من الشهادة فى شئ وانما ذكرت توسيعا للدائرة والعنان الى جانب المرأة باجرا

ما عسى يحمله الحال في الجملة بأن يقع القدر من قبل بما اعتد به عليه السلام عن نفسه عند ارادته المخالطة والتكثف مجرى الظاهر الغالب الوقوع تقريرا لما هو المقصود بامامة الشهادة أعني مضمون الشرطية الثانية التي هي قوله عز وجل - (وان كان قبضه قد من دبر فكذب وهو من الصادقين) الى التسليم والقبول عند السامع لكونه أقرب الى الوقوع وأدل على المطلوب وان لم يكن بين طرفيها أيضا لازمة وحكاية الشرطية بعد فعل الشهادة لكونها من قبيل الاقوال أو تقدير القول أي شهد قائلا الخ وتسويتها شهادة مع أنه لا حكم فيها بالفعل بالصدق والكذب لتأديتها مؤثرا هابيا لا لبها شهادة على الحقيقة وحكم بصدقها وكذبها أقام على تقدير كون الشاهد هو الصبي - قطاها اذ هو اخبارها به ما من قبل علام الغيوب والتصور بصورة الشرطية للايذان بأن ذلك ظاهر من العلامة أيضا وأما على تقدير كونه غيره فلا لأن الظاهر أن صورة الحال معلومة له على ما هي عليه اتمام شهادته أو اخبارا فهو متيقن بعدم مقدم الشرطية الاولى وبوجود مقدم الشرطية الثانية ومن ضرورته الجزم بالتفاء تالي الاولى وبوقوع تالي الثانية فاذن هو اخبارا بكذبها وصدقها عليه السلام لكنه ساق شهادته مساقا مأمونا من المرح والطعن حيث صورها بصورة الشرطية المترددة طاهرا بين نفعها ونفعها وأما حقيقة فلا ترد فيها قطعها لأن الشرطية الاولى تعليق لصدقها بما يستحيل وجوده من قد القميص من قبل فيكون محالا لا محالة ومن ضرورته تقدير كذبها والثانية تعليق لصدقها عليه السلام بأمر محقق الوجود وهو القدر من دبر فيكون محققا البتة وهذا كما قيل فيمن قال لامرأة زوجي نفسك فقالت لي زوج فكذبني في ذلك فقالت ان لم يكن لي زوج فقد زوجتك نفسي فقبل الرجل فاذا الزوج لها فهو ونكاح اذ تعليق الشيء بأمر متردد تنجزه وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانها ما قطعها عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كأنهم ما جعلوا عين للجهتين فنعمنا الصبر للتأنيث والعلمية وقرئ بسكون العين (فلما رأى قبضه قد من دبر) كأنه لم يكن رأى ذلك بعد أو لم يتدبره فلما تبين له وعلم حقيقة الحال (قال انه) أي الامر الذي وقع فيه التشاجر وهو عبارة عن ارادة السوء التي أسندت الى يوسف وتدين عقوبته بقولها ما جزاء من أراد بأهلك سوء الى آخره لكن لا من حيث صدور تلك الارادة والاستناد عنها بل مع قطع النظر عن ذلك لتسليخ قوله تعالى (من كيد كن) أي من جنس كيد كن ومكر كن أيها النساء لا من غير كن عن الافادة وتدين العقوبة وان لم يكن تجديده عن الاضافة اليها الا أنه بالمصاصورة بصورة الحق أفاد الحكم بكونه من كيد كن افادة ظاهرة فتأمل وتعميم الخطاب للتنبيه على أن ذلك خلق له من عربى

ولا تحسبوا هذا لها القدر وحدها • محبة نفس كل غانية هند

ورجع الضمير الى قولها ما جزاء من أراد بأهلك سوء فقط عدول عن البحث عن أصل ما وقع فيه النزاع من أن ارادة السوء من هي الى البحث عن شعبة من شعبه وجعله لسوء أو لا امر المعبر به عن طمعه في يوسف عليه السلام بأياه الخبر فان الكيدية تدعى أن يعتبر مع ذلك هبات أخر من قبلها كما أنثرنا اليه (ان كيد كن عظيم) فانه أطف وأعلى بالقلب وأشد تأثيرا في النفس وعن بعض العلماء اني أخاف من النساء ما لا أخاف من الشيطان فانه تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيد كن عظيم ولا الشيطان يوسوس مسارقة وهن يواجهن به الرجال (يوسف) حذف منه حرف النداء لقربه كما مال تطفنه للعديت وفيه تقرير له وتلطيف لمحل (أعرض عن هذا) أي عن هذا الامر وعن التحديث به واكتفه فقد ظهر صدقك وزاقتك (واسعغفري) أنت يا هذه (لديك) الذي صدقك وثبت عليك (انك كنت) بسبب ذلك (من الخاطئين) من جملة القوم المتعمدين للذنوب أو من جنسهم يقال خطي اذا ذنب عدو هو وتعليل للامر بالاستغفار والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكان العزيز رجلا حليما فاكتفى بهذا القدر من مؤاخذتها وقيل كان قليل الغيرة (وقال نسوة) أي جماعة من النساء وكن خسا امرأة الساقى وامرأة الخياز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب الهجن وامرأة الحياجب والنسوة اسم مفرد لجميع المرأة وتأتيه غير حقيقي كأنث اللمة وهي اسم لجماعة النساء والثبة وهي اسم لجماعة الرجال ولذلك لم يلحق فعله تاء التأنيث (في المدينة) ظرف لقول أي أشعن الامر في مصر أو صفة للنسوة (امرأة العزيز) أي الملك يردن

تظفر واضافتم لها اليه بذلك العنوان دون أن يصير من باسمها أو اسمه ليست لقصده المبالغة في اشاعة الخبر
بحكم أن النفوس الى مسمع أخبار ذوى الاخطار أميل كما قيل اذ ليس مرادهم تفضيح العزيز بل هي لقصده
الاشباع في لومها بقولهم (تراود مناها) أى تطالبه بواقعة لها وتجعل في ذلك وتبخذعه (عن نفسه)
وقيل تطلب منه الفاحشة وابشارهن اصبغة المضارعة للدلالة على دوام المراودة والفق من الناس الشاب
وأصله فنى لقولهم قتيان والفتوة شاذة وجمعه قتيبة وقتيان وبسته عار للمسلوك وهو المراد ههنا وفي الحديث
لا يقل أحدكم عبدى وأمنى وليقل قنأى وقنأى وتعبرهن عن يوسف عليه السلام بذلك مضافا إليها الى العزيز
الذى لا تستلزم الاضافة اليه الهوان بل ربما يشعر بسوء عزة لا بانه ما بينهم ما من التباين البين الناشئ عن
المالكية والمملوكية وكل ذلك لتربية ما تزمن المداغة والاشباع في اللوم فان من لا زوج لها من النساء
أولها زوج دنى قد تغذو في مراودة الاخذان لاسيما اذا كان فيهم علو الخنا وبأما التي لها زوج وأى زوج
عزيزه صرغوا دتم بالغيرة لاسيما العبداء الذى لا كفأة ينها ويسته أصلا وتغاديها في ذلك غاية الفنى ونهاية
الضلال (قد شغفها حبا) أى شق - شغاف قلبه وهو حجابيه أوجلد رقيقة يقال لها لسان القلب حتى
وصل الى قواردها وقصرى شغفها بالعين من شغف البعير اذا نهأه فأحرقه بالقطران وعن الضحالك عن ابن
عباس رضى الله عنهما ما الشغف الحب القاتل والشغف حب دون ذلك وكان الشعبي يقول الشغف حب
والشغف جنون والجملة خبر ثان أو حال من فاعل تراود أو من منعه وأيا ما كان فهو تكرير للوم وتأكيده
للعذر ببيان اختلال أحوالها القلبية كأحوالها القلبية وجعلها تعليلا لدوام المراودة من حيث الانية
مصر الى الاستدلال على الاجل بالاخفى ومن حيث اللبية ميل الى تعهد العذر من قبلها وليس بذلك المقام
واتصاف حبا على التميز لقله عن الشاعلية اذ الأصل قد شغفها بحبه كما أشير اليه (أما تراها) أى نعلها علما
متاخلا للمشاهدة والعيان فيما صنعت من المراودة والمحبة المفرطة مستقرة (في ضلال) عن طريق الرشاد
والصواب وعن سنن العقل (مبين) واضح لا يخفى كونه ضلالا على أحد أو مظهر لمرها بين الناس فالجملة
مقررة لمنهون الجملة السابقتين الموقنين للوم والتشجيع وتسجيل عليها بأنها فى أمرها على خطأ عظيم واغالم
يقول انها فى ضلال مبين اشمارا بأن ذلك الحكم غير صادر عنهم بحجزة بل عن علم ورأى مع التلويح بانهم
متنزهات عن أمثال ما هي عليه (فلما سمعت بذكرهن) باغتيا بهن وسوء قائلتهن وقولهن امرأة العزيز عشت
عبدها الكنعاني وهو مقته وتسميته مكر الكونه خفية منها كذكر المماكر وان كان ظاهرا والغيرة وقيل
استكنتمهن سرها فأفشيته عليها وقيل اغما قل ذلك لترين يوسف عليه السلام (أرسلت اليهن) تدعوهم
قبل دعت أربعين امرأة منهن الخمس المذكورات (وأعدت) أى أحضرت وهيات (لهن متكا) أى
ما يتكئن عليه من التمازق والوسائد أو ربت لهن مجاس طعام وشراب لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب
والحديث كعادة المترفين ولذلك نهى الرجل أن يأكل متكئا وقيل متكئا طعاما من قولهم اتكأنا عند فلان
أى طعمنا قال جليل

فطللنا بعملة واتكأنا • وشربنا الخلال من قلله

وعن مجاهد متكئا طعاما مجزرا كأن المعنى يعتمد بالسكين عند القطع لان القاطع يتكى على المقطوع بالسكين
وقرى بغير همز وقرئ بالمتبشباع حركة الكاف كمتزاح فى متزح ويبيع فى يبيع وقرئ متكئا وهو الاترج
وأشدوا وأهدت متكئا لبنى أيها • تحببهم العشممة الوقاح

أو ما يقطع من متك الشيء اذا بشكه ومتكأ من تكى اذا تكى (وأت كل واحدة منهن سكيناً) لتستعمله
فى قطع ما يهد قطعها مقدم بين أيديهن وقرب اليهن من اللعوم والقواكه ونحوها وهن متكئات وغرضها
من ذلك ما سيقع من تقطيع أيديهن (وفات) ليوسف وهن مشغولات بعناية السكاكين واعمالها
فيما بأيديهن من القواكه وأضرابها والعطف بالواو وبإشراى أن قولها (أخرج عليهن) أى ابرز لهن
لم يكن عقيب ترقيب أمورهن ليهتم غرضها من استغفارهن (فلما رأينه) عطف على مقدمه يستدعيه الامر
بالخروج وينسحب عليه الكلام أى فخرج عليهن فرأينه وانما حذف تحقيقا لما جاءه رؤيتهن كأنهن اتفون
عند ذكر خروجه عليهن كما حذف التحقيق السرعة فى قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عذبه بعد قوله أما أتيتك

قوله وقرئ متكئا أى بضم
الميم وسكون التاء والتضوين
وقوله بعده ومتكئا أى
بفتح فسكون وفى آخره همزة
أفاده التماسك اه محمده

به قبل أن يرتد إليك طرفك وفيه إيذان بسرعة امتثاله عليه السلام بأمره فبالإشهاد مضرت من الأفاعيل
(أكبره) عظمته وهين حسنه الفائق وجماله الرائع الزائق فإن فضل جماله على جمال كل جيل كان
كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال رأيت يوسف ليلة المراح
كأقمر ليلة البدر وقيل كان يرى ثلاث وجوه على الجدران كما يرى نور الشمس على الماء وقيل معنى أكبر
حضر والماء للسكر أو ضمير راجع إلى يوسف عليه السلام على حذف اللام أي حضر له من شدة الشبق
كما قال المتنبي

خف الله واسترذا الجمال برفع • فإن لحث حاضرت في الخلدور العوانق

(وقطعت أيديهم) أي جرحهم بما في أيديهم من السكاكين أضرط دهشتهم ونزوح حركات جوارحهم عن
منهاج الاختيار والاعتقاد حتى لم يعلم ما فعلوا وفي التعبير عن الجرح بالقطع ما لا يخفى من الدلالة على كثرة
جرحهم ومع ذلك لم يبال بذلك ولم يشعروا به (وقلن حاش الله) تنزيه له سبحانه عن صفات النقص والعجز وتعجبا
من قدرته على مثل ذلك الصنع البديع وأصله حاشا كما قرأه أبو عمرو في الدرج فحذف ألفه الأخيرة تخفيفا
وهو حرف جر يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فلا يستثنى به إلا ما يكون موجبا للتنزيه فوضع موضعه
فمعنى حاشا الله تنزيه الله وبرائة الله وهي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه واللام إيمان المتزه والمير كما في سابقا لك
والدليل على وضعه موضع المصدر قراءة أبي السمال حاشا بالتسوين وقراءة أبي عمرو بحذف الألف الأخيرة
وقراءة الآخر بحذف الأولى فإن التصرف من خاصائص الاسم فيدل على تنزيه منزله وعدم التسوين لمراعاة
أصله كما في قولك جئت من عن يمينه وقوله غدت من عليه منقلب الألف إلى الياء مع الضمير وقرئ حاش لله
بسكون الشين اتباعا للفتح الألف في الإسماء وحاش الأله وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية
وفاعله ضمير يوسف أي صار في ناحية من أن يقارف مرامته به لله أي طاعته أو إذا كانه أو جانب المعصية لأجل
الله (ما هذا بشرا) على أعمال ما يعنى ليس وهي لغة أهل الجحاز لما شاركته ما في نفي الحال وقرئ بشر على
لغة تميم وبشر أي بعبد مشعري التميميين عنه البشرية لما شاهد فيه من الجمال العتري الذي لم يعهد مثاله
في البشر وقصرته على الملكية بقولهن (أن هذا إلا ملك كريم) بناء على ما ذكر في العقول من أن لاسي أحسن
من الملك كما ركب فيها أن لا أقبح من الشيطان ولذلك لا يزال يشبه بهما كل مناه في الحسن والقبح
وعرضهن وصفه بأقصى مراتب الحسن والجمال (فأنت فذلكن) الفناء فصحة والخطاب للتسوية
والإشارة إلى يوسف بالعنوان الذي وصفه به الآن من الخروج في الحسن والجمال عن المراتب البشرية
والاقتصار على الملكية فاسم الإشارة مبتدأ والموصول خبره والمعنى إن كان الأمر كما قلتن فذلكن الملك
الكريم الثاني عن المراتب البشرية هو (الذي لمتني فيه) أي عبرتني في الاثنان به حيث بدأت بمحلي بسبقي
إلى العزيز ووضعته قدره بكونه من الممالك أو بالعنوان الذي وصفه به فيما سبق بقولهن امرأة العزيز
عشت عبدا لك فاعلم أني في خبر ما مبتدأ محذوف أي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في أنفسكن وقلتن
فيه وفي ما قلتن فالآن قد علمتن من هو وما قولكن فينا وأما ما يشال تعني انكن لم تصورنه بحق صورته ولو
صورته بما عاينتن لم تدرتن في الاثنان به فلا يلزم المقام فإن مرادها بدعوتن وتهديد ما مهدته لهن بكنيتهن
وتنديهن على ما صدر عنهن من اللوم وقد فعلت ذلك بما لا مزيد عليه وما ذكر من المقال لحق المعتذر قبل ظهور
معدرتن وقد قيل في تعليل الملكية أن الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعظمة البالغة من الخواص
الملكية وهو أيضا لا يلزم قولها فذلكن الذي لمتني فيه فإن عنوان العظمة مما ينافي عظمة مرأها ثم بعد
ما أقامت عليهن الحجة وأوضعت لديهن عذوها وقد أصابهن من قبله عليه السلام ما أصابها بأحد لهن بيقية
سر ما فقالت (ولقد راودته عن نفسه) حسبما قلتن وسمعتن (فاستعصم) امتنع طالبا للعصمة وهو
بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها كما في
استمسك واستجمع الرأى وفيه برهان نير على أنه لم يصدر عنه عليه السلام شيء يخل باستعصامه بقوله معاذ الله
من الهمة وغيره اعترفت لهن أولا بما كن يسمعه من مرادها له وأكدها ظاهرا لابتهاجا بذلك ثم زادت
على ذلك أنه أعرض عنها على أبلغ ما يكون ولم يل إليها ثم زادت عليه أيضا أنها ستمرة على ما كانت عليه

قوله وقراءة أبي عمرو بحذف
الألف الخ انظر مع قوله
قبله كما قرأه أبو عمرو الخ
وسر اه معصمه

غير موعودة عنه لا يلوم العواذل ولا باعراض الحبيب فقالت (ولئن لم يفعل ما أمره) أي أمر به فيما سيق
 كما لم يفعل فيما مضى فحذف الجواز وأوصل الفعل إلى الضمير كما في أمرتك الخيرة فالضمير للموصول أو أمرى
 إليه أي موجب أمرى ومقتضاه تمام صدقته والضمير ليوسف وعبرت عن مرادها بالامر اظهرها الجريان
 حكومتها عليه واقتضاه للامتثال بأمرها (ليسجنن) بالنون المنقلة آتت بناء الفعل للمفعول جريا على
 رسم الملوك أو أيها السرعة ترتب ذلك على عدم امتثاله لأمرها كأنه لا يدخل بينهما فاعل (وليكونا)
 بالخفضة (من الصاغرين) أي الأذلاء في السجن وقد قرئ الفعلان بالثقل ولكن المشهورة أولى لأن النون
 كتبت في المعصية ألقا على حكم الوقف واللام الداخلة على حرف الشرط موطنة للقسم وجوابه ساذصة
 الجواين ولقد أتت بهذا الوعيد المنطوي على فنون التأكييد بمضمر منزه ليعلم يوسف عليه السلام أنها
 ليست في أمرها على خفية ولا خيفة من أحد فتضيق عليه الحيل وتغييب لعلل وينصن له ويرشدنه إلى
 موافقتها ولما كان هذا الأبراق والأعداد منها مظة أسوال سائل يقول فما صنع يوسف حيث تذكيل (قال)
 مناجياريه عزسلطانه (رب السجن) الذي أوعدني بالالقائه فيه وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر (أحب
 إلى) أي أترعدي لانه مشقة قليلة نافذة أثرها راحت جلية أبدية (عماد عوني إليه) من موافقتها التي
 تؤدى إلى الشقاء والعذاب الأليم وهذا الكلام منه عليه السلام مبني على ما مر من انكشاف الحقائق لديه
 وبروز كل منها بصورتها اللاتنية بها فصيغة التفضيل ليست على بابها إذ ليس له شائبة محبة لما دعت إليه وانما هو
 والسجن شراً أن أهونهما وأقربهما إلى الأينار السجن والضمير عن الأينار بالمحبة لحسم مادة طمعها عن
 المساعدة خوفاً من الجديس والاقتصار على ذكر السجن من حيث أن الصغار من فروعه ومستبهاه واسناد
 الدعوة اليه جمعاً لأن النسوة رغبته في مطاوعته وخوفته من مخالفتها وقبل دعونه إلى أنفسهن وقبل
 انما يتلى عليه السلام بالسجن لقوله هذا وكان الأولى به أن يسأل الله تعالى العافية ولذلك رد رسول الله صلى
 الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر (والانصرف) أي ان لم تصرف (عني كيدهن) في تحييب ذلك إلى
 وتحسينه لدى بأن تنبئني على ما أنا عليه من العصمة والعفة (أصب اليهن) أي أمل إلى اجابتهن أو إلى
 أنفسهن على قضية الطبيعة وحكم القوة الشهوية وهذا فرغ منه عليه السلام إلى لطاف الله تعالى جريا على
 سنن الانبياء والصالحين في قصر نيل الخيرات والنجاة عن الشرور على جناب الله عز وجل وطلب القوى
 والقدرة عن أنفسهم ومبالغة في استدعاء لطفه في صرف كيدهن باظهار أن لا طاقة له بالمداغة كقول
 المستغيث أدركني والاهلك لانه يطلب الاجبار والالقاء إلى العصمة والعفة وفي نفسه داعية تدعو إلى
 هواهن والصبوة الميل إلى الهوى ومنه الصيلا لأن النفوس تصبو إليها الطيب تسبها وروحها وقرى أصب اليهن
 من الصباية وهي رقة الشوق (وأكن من الجاهلين) الذين لا يعملون بما يعملون لأن من لا جدوى لعلمه فهو
 والجاهل سواء أو من السفهاء بارتكاب ما يدعو إلى الهوى من القبائح لأن الحكيم لا يفعل القبيح (فاستجاب له
 ربه) دعاء الذي تضمنه قوله والانصرف عني كيدهن الخ فإن فيه استدعاء لصرف كيدهن على أبلغ وجه
 وألطفه كما مر وفي اسناد الاستجابة إلى الرب مضافاً إليه عليه السلام ما لا يخفى من اظهار اللطف
 (نصرف عنه كيدهن) حسب دعائه وثبته على العصمة والعفة (انه هو السميع) لدعاء المتضرع عن اليه
 (العليم) بأحوالهم وما يصلحهم (ثم بداهم) أي ظهر لهم عزروا بحجابه المتصدقين للعلل والعقد ربحاً اكتفوا
 بأمر يوسف بالكتمان والاعراض عن ذلك (من بعد ما رأى الآيات) الصارفة لهم عن ذلك البداء وهي
 الشواهد الدالة على براءته عليه السلام وقاعل بداهته ما صدره أو رأى المفهوم من السياق والمصدر المدلول
 عليه بقوله (ليسجنن) والمعنى بداهتهم بداء أو رأى أو سجنه المحتوم فائين والله ليسجننه فاقسم المحذوف
 وجوابه معمول للقول المقدر حالاً من ضميرهم وما كان ذلك البداء الاستئصال المراد زوجه وقتها سامته
 في الذرة والغارب وكان مطواعة لها تقوده حيث شئت قال السدي انها قالت للعزير ان هذا العبد العبراني
 قد فضحني في الناس يخبرهم بأمرى راودته عن نفسه فاما أن تأذن لي فأخرج فاعتذر إلى الناس وأما أن تحبسه
 فخبه ولقد أرادت بذلك تحقيق وعيدها الثاني به عريكته وتغادلهما قروته لما انصرفت حبائل رجاها عن
 استتباعه بعرض الجمال والترغيب بنفسها وبأعوانها وقرئ تسجننه على صيغة الخطاب بأن خاطب بعضهم

قوله وقتلها الخ أي دورانها
 من وراء خديعته وقوله
 وتغادلهما قروته أي نفسه
 أكذا يؤخذ من القاموس
 اه معجم

العزير ومن يليه أو العزيز وحده على وجه التعظيم أو خاطب به العزيز ومن عنده من أصحاب الرأي المباشرين
 للسجن والجس (حقى حين) إلى حين انقطاع قالة الناس وهذا بادي الرأي عند العزيز وذويه وأما عندها حتى
 يذله السجن ويضمره لها ويحسب الناس أنه المجرم وقرئ عني حين بلغة هذيل (ودخل معه) أى فى صحبته
 (السجن قتيان) من قتيان الملك ومما يليه أحدهما شرايه والآخر خياره روى أن جماعة من أهل مصر
 ضمنوا له ما لا يسما الملك فى طعامه وشرايه فأجاباهم إلى ذلك ثم إن الساقى نكل عن ذلك ومضى عليه الخباز
 قسم الخبز فلما حضر الطعام قال الساقى لا تأكل أيها الملك فان الخبز مسعوم وقال الخباز لا تشرب أيها الملك
 فان الشراب مسعوم فقال الملك للساقى اشربه فنشربه فلم يضمره وقال للخباز كله فابى فخر ببدابة فهلكت فأمر
 بحبسهما فاتفق أن أدخلاه معه وتأخير الناعل عن المفعول لما مر غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق
 إلى المؤخر لئلا تكن عند النفس حين وروده عليها فضل تمكن وتظهر تقديم الطرف على المفعول الصريح فى
 قوله تعالى فأوجس فى نفسه خيفة وتأخير السجن عن الطرف لايهام العكس أن يكون الطرف خيرا مقدما
 على المتبدأ وتكون الجملة حالا من فاعل دخل فتأمل (قال أحدهما) استئناف مبني على سؤال من يقول
 ما صنع بعد ما دخلاه معه السجن فأجيب بأنه قال أحدهما وهو الشرايى (انى أراى) أى رأيتنى والتعبير
 بالمضارع للاستحضار الصورة الماضية (أعصر خرا) أى عني باسماء بما يؤول اليه لكونه المقصود من العصر
 وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه أعصر عنباً (وقال الآخر) وهو الخباز
 (انى أراى أحمل فوق رأسى خبزا) تأخير المفعول عن الطرف لما مر آتفا وقوله (تأكل الطير منه) أى تنهم
 منه صفة للخبز أو استئناف مبني على السؤال (بتأويله) بتأويل ما ذكر من الرؤيتين أو مارق بإجرا
 الضمير مجرى ذلك بطريق الاستعارة فان اسم الإشارة يشار به إلى متعدد كما فى قوله

فها خطوط من سواد وبلى • كأنه فى الجسد بوليع البق

أى كأن ذلك والسر فى المصير إلى اجراء الضمير مجرى اسم الإشارة مع أنه لا حاجة اليه بعد تأويل المرجع بما
 ذكر أو مارق أن الضمير انما يعرض لنفس المرجع من حيث هو من غير تعرض لحال من أحواله فلا يتسقى
 تأويله بأحد الاعتبارين إلا بإجرائه مجرى اسم الإشارة الذى يدل على المشار اليه بالاعتبار الذى جرى عليه
 فى الكلام فتأمل هذا إذا قالاه معا أو قاله أحدهما من جهتهما معا وأما إذا قاله كل منهما الزم أقص ما رآه
 فان الخطاب المذكور وليس عبارته ما ولا عبارة أحدهما من جهتهما بالاعتداد بالمرجع بل عبارة كل منهما ينبنى
 بتأويله مستقرا لما رآه وصيغة المتكلم مع الغير واقعة فى الحكاية دون المحكى على طريقة قوله عز وجل
 يا أيها الرسل كلوا من الطيبات فانهم لم يخاطبوا بذلك دفعة بل خاطب كل منهم فى زمانه بصيغة مفردة خاصة به
 (أنازلك) لتليل لعرض رؤياهما عليه واستفسارها منه عليه السلام (من المحسنين) من الذين يجيدون
 عبارة الرؤيا لما رآه يقص عليه بعض أهل السجن رؤياهم فيؤثرها له تأويلا حسنا أو من العلماء لما سمعاه يذكرونها
 للناس ما يدل على علمه وفضله أو من المحسنين إلى أهل السجن أى فأحسن اليها بكشف غمها إن كنت قادرا
 على ذلك روى أنه عليه السلام كان إذا مرض منهم رجل قام عليه وإذا ضاق مكانه أوسع له وإذا احتاج جمع له
 وعن قتادة رضى الله عنه كان فى السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول أبشروا واصبروا
 وتؤجروا فقالوا بارك الله عليك ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك لقد بورك لنا فى جوارك فن أنت يا فتى
 فقال أنا يوسف ابن متى الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق ابن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت
 خلعت سبيلك وأبكتنى أحسن جوارك فكفى فى أى بيوت السجن شئت وعن الشعبي أنه لما احتجأ له
 ليدفع عنه فقال الشرايى أراى فى بستان فاذا بأصل حبله عليها ثلاثة عناقيد من عنب فتقطعها وعصرتها
 فى كأس الملك وسقيته وقال الخباز انى أراى وفوق رأسى ثلاث سلال فيها أنواع الأطعمة وإذا سباع
 الطير تنهم منها (قال لا يأتى بك طعام ترزقانه) فى مقام كما هذا حسب عادتك المطردة (الانبات كما
 بتأويله) استثناء مفزع من أعم الأحوال أى لا يأتى بك طعام فى حال من الأحوال إلا حال ما يأتى بك به بأن
 ينبت لك ما هيته وكيفيته وسائر أحواله (قبل أن يأتى بك) وإطلاق التأويل عليه أما بطريق الاستعارة

فان ذلك بالنسبة الى مطلق الطعام المهيمن عزلة التأويل بالنظر الى ما رقى في المنام وشبهه له واما بطريق المشاكسة
حسبا ووقع في عبارتهما من قوله ما نبأ تأويله ولا يعد أن يراد بالتأويل الشيء الا تلى لا المالك فانه في الاصل
جعل شيء أثلا الى شيء آخر فكما يجوز أن يراد به الثاني يجوز أن يراد به الاول فالمعنى الانبأ تكما بما يؤول اليه
من الكلام والخبر المطابق للواقع وكان عليه السلام بذلك يبان كل ما يههه ما من الامور المترتبة قبل وقوعها وانما تخصيص
الطعام بالذكر لكونه عريضا في ذلك بحسب الحال مع ما فيه من مراعاة حسن التخصيص اليه مما استعبراه
من الرؤيين المتعلقين بالشراب والطعام وقد جعل التفسير لما قصا من الرؤيين على معنى لا يأتى كما طعام
ترزقانه حسب عادتك الا أخبرتك بتأويل ما قصصنا على قبل أن يأتى كذلك الطعام الموقت مراد به
الاخبار بالاستعجال في القنينة وانت خبير بأن النظم الكريم ظاهر في تعدد اتيان الطعام والاخبار بالتأويل
وتجده ما وان المقام مقام اظهار فضله في فنون العلوم بحيث يدخل في ذلك تأويل رؤياه ما دخولا
أوليا وانما لم يكتب عليه السلام بمجرد تأويل رؤياهما مع أن فيه دلالة على فضله لانهم المانعة عليه السلام
بالانتظام في سمع المحسنين وانهم ما قد علموا ذلك حيث قالوا انزاله من المحسنين توسم عليه السلام فيها خيرا
وتوجه الى قبول الحق فأراد أن يخرج أثر ذي أثر عما في عهدته من دعوة الخلق الى الحق فهد قبل الخوض في
ذلك مقدمة تزيد هاهما علما بعظم شأنه وثقة بأمره ووقوف على علو طبيعته في بدائع العلوم توسلا بذلك الى تحقيق
ما يتوخاه وقد تخلص اليه من كلامهم ما فكأنه قال تأويل ما قصصناه على في طرف التمام حيث رأينا مثاله
في المنام وانى أبين لك كل جليل ودقيق من الامور المستقبلة وان لم يكن هنالك مقدمة المنام حتى ان
الطعام الموظف الذي يأتى بك كل يوم أئنه لك قبل اتيانه ثم أخبرهما بأن علمه ذلك ليس من قبيل علوم الكهنة
والعرافين بل هو فضل الهى يؤتاه من يشاء عن يسطفيه للنبوة فقال (ذلك) أى ذلك التأويل والاخبار
بالمغيبات ومعنى البعد في ذلك للإشارة الى علو درجته وبعد منزلته (مما علمنى ربى) بالوحى والالهام أى بعض
منه أو من ذلك الجنس الذى لا يحوم حول ادراك العقول واقد دلهم ما بذلك على أن له علوما جامعة ما جمعا قطعة
من جللتها وشعبة من دوحته ثم بين أن نيل تلك الكرامة بسبب اتباعه لآياته الانبياء العظام وامتناعه عن
الشرك فقال (انى تركت له قوم لا يؤمنون بالله) وهو استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من قوله ذلك كما
مما علمنى ربى وتعالى لاله لا للتعليم الواقع صلة للوصول لتأديته الى معنى انه مما علمنى ربى لهذا السبب دون غيره
ولا المتضمن الجملة الخبرية لان ما ذكره بصدد التعليق ليس به لكون التأويل المذكور بعضا مما علمه ربه
أو لكونه من جنسه بل لنفس تعليم ما علمه فكأنه قيل لما ذاك علمك ربك تلك العلوم البديعة فقبل لاني تركت له
الكفرة أى دينهم الذى اجتمعوا عليه من الشرك وعبادة الاوثان والمراد بتركها الامتناع عنها رأسا كما يفصح
عنه قوله ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء لا تركها بعد ما لا يستهان وانما عبر عنه بذلك لكونه أدخل بحسب
الظاهر في اقتداءهم به عليه السلام والتعبير عن كفرهم بالله تعالى بسلب الايمان به للتخصيص على أن عبادتهم
له تعالى مع عبادة الاوثان ليست بايمان به تعالى كما هو زعمهم الباطل على ما مر في قوله تعالى انه عمل
غير صالح (وهم بالآخرة) وما فيها من الجزاء (هم كافرون) على الخصوص دون غيرهم لافراطهم في الكفر
(واثبت له آياتى ابراهيم واسحق ويعقوب) يعنى انه امتا حاز هذه الكالات وقارب تلك الكرامات بسبب أنه
اتبع له آياته الكرام ولم يتبع له قوم كفروا بالمبدأ والمعاد وانما قاله عليه السلام ترغيبا لصاحبه في الايمان
والتوحيد وتنفيها لهم عما كانوا عليه من الشرك والضلال وقدم ذكر تركهم على ذكر اتباعه لآياته لان
التخليع متقدمة على التحلية (ما كان) أى ماصح وما استقام فضلا عن الوقوع (لنا) معاشر الانبياء لقوة
نقوسنا ووقور علومنا (أن نشرك بالله من شيء) أى شيء كان من ملك أو جنى أو انسى فضلا عن الجاد البحت
(ذلك) أى التوحيد المدلول عليه بقوله ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ((من فضل الله علينا) أى نأثى
من تأييده لنا بالنبوة وترشيحه ايانا لقبادة الامة وهدايتهم الى الحق وذلك مع كونه من موجدات التوحيد
ودواعيه نعمة جليلة وفضل عظيم علينا بالذات (وعلى الناس) كافة بواسطة حيث عبر عن ذلك بذلك

العنوان عبر عن التوحيد الذي يوجب بالشكر فتيل (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) أي لا يوحّدون فان
التوحيد مع كونه من آثار ما ذكر من التأييد شكره عز وجل على تلك النعمة وانما وضع الظاهر موضع
الغدير الرجوع الى الناس لزيادة توضيح وبيان ولقطع نوبهم رجوعه الى المجموع الموهوم لعدم اختصاص غير
الشاكّر بالناس وقيل ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث نصب لنا أدلة تنظر فيها ونستدل بها
على الحق وقد نصب مثل تلك الأدلة لسائر الناس أيضا ولكن أكثرهم لا يتفكرون ولا يستدلون بها اتباعا
لا هواهم فيبقون كافرين غير شاكرين ولك أن تقول ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث اعطانا
عقولا ومشاعر نستعملها في دلائل التوحيد التي مهدها في الانفس والآفاق وقد أعطى سائر الناس أيضا
مثلها ولكن أكثرهم لا يشكرون أي لا يصرفون تلك القوى والمشاعر الى ما خلقت هي له ولا يستعملونها
فيما ذكر من أدلة التوحيد الآفاقية والانفسية والعقائمية والنقلية (يا صاحب السجين) أي يا صاحبي
في السجن كما تقول يا سارق اللبلة ناداهما بعنوان النصبة في مدار الاشجان ودار الاخران التي تصدق فيها المودة
وتخاص النصيحة ليقبلا عليه ويتبلا مقالة وقد ضرب لهما مثلا يتضح به الحق عندهما حتى اتضح فتعال
(أأرباب متدّرقون) لا ارتباط بينهم ولا اتفاق يستعبد كما كل منهم حسبا أراد غير مراقب للآخرين مع عدم
استقلاله (خير) لئلا يرام الله المعبود بالحق (الواحد) المتفرد بالالوهية (القهار) الغالب الذي لا يغلبه
أحد وبعد ما نبههم على فساد تعدد الارباب بين الالهة سقوط الالهة ما عن درجة الاعتبار رأسا فضلا عن
الالوهية فتعال معهما الخطاب لهما وان على دينهما (ما تعبدون من دونه) أي من دون الله شيئا (الآلهة)
فارغة لا مطابق لها في الخارج لأن ما ليس فيه مصداق اطلاق الاسم عليه لا وجود له أصلا فكانت عبادتهم
لذلك الآلهة فقط (يسمونها) جعلتموها أسماء وانما يذكر المسميات تربية لما يتنصيه المشام من استنساخها
عن مرتبة الوجود وايدانها بأن تسميتهم في البطالان حيث كانت بلا معنى كعبادتهم حيث كانت بلا معبود
(أنتم وآبؤكم) بعض جهلكم وضلالكم (ما أنزل الله بها) أي تلك التسمية المستتعبة للعبادة (من سلطان)
من حجة تدل على صحتها (ان الحكم) في أمر العباداة المنفردة على تلك التسمية (الله) عزسلطانه لانه المنحوق
له بالذات اذ هو الواجب بالذات الموجود لكل والمالك لامره (أمر) استئناف بفتح على سؤال نائى
من قوله ان الحكم الله فكانه قيل فماذا حكم الله في هذا الشأن فتدل أمر على السنة ادنياء عليهم
السلام (ألا تعبدوا) أي بأن لا تعبدوا (الآيات) حسبا تنقضي به قضية العقل أيضا (ذلك) أي تخصيصه
تعالى بالعبادة (الدين القيم) الثابت المستقيم الذي تعاضدت عليه البراهين عقلا ونقلا (ولكن أكثر
الناس لا يعلمون) أن ذلك هو الدين القيم بل لهم تلك البراهين أولا يعلمون شيئا أصلا فيعبدون أسماء سموها
من تلقاء أنفسهم معرضين عن البرهان العقلي والسلطان النقلى وبعد تحقيق الحق ودعوتهم ما اليه وبيانه
لهما مقدار الرفيع ومرتبة علمه الواسع شرع في تفسير ما استنسراه ولكونه بحثا مغايرا لما سبق ففصله
عنه **بسم** الخطاب فتعال (يا صاحب السجين) أي صاحب السجين (وهو الشرايى) وانما لم يعينه ثقة بدلالة التعبير
وتوسلا بذلك الى ايهام أمر صاحبه حذار مشافهة بما يسوءه (في ربه) أي سيده (خرا) روى انه عليه
السلام قال له ما رأيت من الكرمه وحسن الملك وحسن خالك عنده وأما القضبان الثلاثة فتلاثة أيام تنقضي
في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقرأ عكرمة فيسقى ربه على البناء للمفعول أي يسقى ما يروى به
(وأما الآخر) وهو الخباز (يصلب قفا كل الطير من رأسه) روى أنه عليه السلام قال له ما رأيت من
السلال الثلاث ثلاثة أيام ثم تخرج فتقتل (قضى) أي أتم وأحكم (الامر الذي فيه تستفتيان) وهو
ما رأياه من الرؤيبير قطعا لآماله الذي هو عبارة عن نجاة أحدهما وهلاك الآخر كما يوجهه اسناد القضاء
اليه اذا الاستفتاء انما يكون في الحادثة لا في حكمها يقال استفتى الفقيه في الحادثة أي طلب منه بيان
حكمها ولا يقال استفتاء في حكمها وكذا الاتفاق فانه يقال أفنى فلان في الواقعة الفلانية بكذا ولا يقال أفنى
في حكمها أو جوابها بكذا أو عما هو علم في ذلك قوله تعالى يا أيها الملا أفنوني في رؤياي ومعنى استفتائهما
فيهما ما تأويله بقوله ما نبأنا تأويله وانما عبر عن ذلك بالامر وعن طلب تأويله بالاستفتاء وتوينا لآمره
وتفني حاله اذا استفتاه انما يكون في النوازل المشككة الحكم المهمة الجواب واينار صيغة الاستقبال

مع سبق استفتائهم ما في ذلك لما أنهم ما يصدده إلى أن يقضى عليه السلام من الجواب وطره واستناد القضاء اليه مع أنه من أحوال ماله لأنه في الحقيقة عين ذلك المال وقد ظهر في عالم المثال تلك الصورة وأما توحيده مع تعدد رؤياه ما فوارد على حسب ما وجدناه في قولهم ما يتناوب عليه لأن الأمر ما اتهم به وسببنا لأجله من سم الملك فأنهم ما لم يستفتيا فيه ولا فيما هو صورته بل فيما هو صورة ماله وعاقبته فتأمل وإنما أخبرهما عليه السلام بذلك لتحقيق التعبير وتأكيد كيداله وقيل لما عبر رؤياه ما يجدد أو قال ما رأينا شيئا فأخبرهما أن ذلك كائن صدقاً أو كذباً ولعل الجود من الخباز إذا لداعى إلى بخود الشرايى إلا أن يكون ذلك مراعاة جانبه (وقال) أي يوسف عليه السلام (لذي ظن أنه ناج) أوثر على صيغة المضارع مبالغة في الدلالة على تحقق النجاة - بما يفيد قوله تعالى قضى الأمر الذي فيه تستفتيان وهو السر في إيتار ما عليه النظم الكريم على أن يقال للذي ظنه ناجياً (منهما) من صاحبه وإنما ذكر بوصف النجاة تهديد المناط التوصية بالذكر عند الملك وعنوان التقرب المفهوم من التعبير المذكور وان كان أدخل في ذلك وأدعى إلى تحقيق ما وصاه به لكنه ليس بوصف فارق بينه وبين صاحبه المذكور بوصف الهلاك والظان هو يوسف عليه السلام لا صاحبه لأن التوصية المذكورة لا تدور على ظن الساجي بل على ظن يوسف وهو مدعى اليقين كما في قوله تعالى ظننت أني ملاق حسابه فالتعبير بالوحى كما ينبغي عنه قوله تعالى قضى الأمر الخ وقيل هو بعناء والتعبير بالاجتهاد والحكم بقضاء الأمر أيضاً اجتهادى (أذكرني) بما أنا عليه من الحال والصفة (عند ربك) سيدك وصدق له بصفى التي شاهدتها (فأنساء الشيطان) أي أنسى الشرايى بوسوسته والقائه في قلبه أشغالاً لا تعرفه عن الذكر والأفلا أنساء في الحقيقة لله عز وجل وأنساء للشيبة فان توصيته عليه السلام المتضمنة للاستعانة بغيره سبحانه كانت باعثة لما ذكر من الانساء (ذكر ربه) أي ذكر الشرايى له عليه السلام عند الملك والاضافة لا دنى ملازمة أو ذكر أخبار ربه (فأبى) أي يوسف عليه السلام بسبب ذلك الانساء أو القول (في السجن بضع سنين) البضع ما بين الثلاث إلى التسع من البضع وهو القطع وأكثر الأقاويل أنه لبث فيه سبع سنين وروى عن النبي عليه السلام رحم الله أخى يوسف لولم يقل أذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعاً بعد الخس والاستعانة بالعباد وان كانت مخصصة لكن الاتقي بما نصب الانبياء عليهم السلام الأخذ بالعزائم (وقال الملك) أي الربان (أني أرى) أي رأيت وإشارة بصيغة المضارع للحكاية الحال الماضية (سبع بقرات سمن) جمع سمين وسمينه كذكرام في جمع كريم وكريمة آل رجال كرام وفرة كرام (يا كاهن) أي أكله والعدول إلى المضارع لاستحضار الصورة تهيئاً وبالجملة حال من البقرات أو وصفة لها (سبع عجاف) أي سبع بقرات عجاف وهي جمع عجاف والقياس بحرف لان فعلاً وأفعال لا يجمع على فعال ولكن عدل به عن القياس جلاً لاحد التقيضين على الآخر وإنما لم يقل سبع عجاف بالاضافة لان التميز موضوع لبيان الجنس والصفة ليست بصاحلة لذلك فلا يقال ثلاثة تضام وأربعة تملاط وأما قولك ثلاثة فرسان وخسة ركباً فليريان القارس والراكب مجرى الاسماء روى انه رأى سبع بقرات سمن خرجن من نهرياس وخرج عجيهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابلعت العجاف السمن (وسبع سنبلات خضر) قد انعقد بها (وأخر يابسات) أي وسبعاً أخرى يابسات قد أدركت والتوت على الخضر حتى غلبتها على ما روى وعل عدم التعرض لذكره لئلا كثف بما ذكر من حال البقرات (بابها الملا) خطاب للاشراف من العلماء والحكام (أفتوفى في رؤياي) هذه أي عبروها وبنوا - كمها وما تولى اليه من العاقبة والتعبير عن التعبير بالافتاء تنشريفهم وتنظيم أمر رؤياه (ان كنتم لا رؤيا تعبرون) أي تعلمون عبارة جنس الرؤيا علماً مستقراً وهي الانتقال من الصور الخيالية المشاهدة في المنام إلى ما هي صوراً مثله لها من الأمور الواقعية أو الانفسية الواقعة في الخارج من العبور وهو المجاوزة تقول عبرت النهر إذا قطعته وجاوزته ونحوه أو أنها أي ذكرت ما آتاه وعبرت الرؤيا عبارة أثبت من عبرتها تعبيراً والجمع بين الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار كما أشير اليه واللام للبيان أولوية العامل المؤخر لرعاية الفواصل أو لتبيين تعبرون معنى فعل متعدي باللام كأنه قيل ان كنتم تتدبرون لعبارتها ويجوز أن يكون للرؤيا خبر كان كما يقال فلان هذا الأمر إذا كان مستقلاً به متمكناً منه وتعبرون

خبر آخر (قالوا) استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال الملاك للملك فقيل قالوا هي (أصغاث أسلام) أي تخالطها جميع صفات وهو في الأصل ما جمع من أخلاط النبات وحزم ثم استعير لما تجتمع القوة المتخيلة من أحاديث النفس ووساوس الشيطان وتزيها في المنام والاحلام جمع حلم وهي الرؤيا الكاذبة التي لا حقيقة لها ولا إضافة بمعنى من أي هي أصغاث من أسلام أخرجهما من جنس الرؤيا التي لها عاقبة توليها أو يمتقي باهرها وجهها وهي رؤيا واحدة مبالغة في وصفها بالبطلان كما في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس العمامة لمن لا يملك الا فرسا واحدا وعمامة فردة أو لتضمنها أشياء مختلفة من البقرات السبع السمان والسبع المحاف والسنايل السبع الخضر والآخر اليابسات فتأمل حسن موقع الاصغاث مع السنايل فلهذا شأن التنزيل (وما نحن بتأويل الاحلام) أي النماذج الباطلة التي لا أصل لها (بعالمين) لان لها تأويل ولكن لان علمه بل لانه لا تأويل لها وإنما التأويل للنماذج الصادقة ويجوز أن يكون ذلك اعتراف منهم بقصور علمهم وأنهم ليسوا ببحار ير في تأويل الاحلام مع أن لها تأويل بلا كما يشعربه عدولهم عما وقع في كلام الملك من العبارة المعربة عن مجرد الانتقال من الدال الى المدلول حيث لم يتولوا بتعبير الاحلام أو عيانتها الى التأويل المنبني عن التصرف والتكلف في ذلك لما بين الآئيل والمآل من البعد وبؤيده قوله عز وجل انا انبئكم بتأويله (وقال الذي نجاهم ما) أي من صاحبي يوسف وهو الشراي (واذ كر) بغير المجبة وهو الفصح وعن الحسن بالمجبة أي تذكر يوسف عليه السلام وشؤنه التي شاهدناها ووصيته بتقريب رؤيا الملك واشكال تأويله على الملاك (بعد أمته) أي مدة طويلة وقرئ أمته بالكسروهي النعمة أي بعد ما أنعم عليه بالبقاء وأمه أي نسيان والجلالة حال من الموصول أو من ضميره في الصلة وقيل معطوفة على نجا وليس بذلك لأن حق كل من الصفة والصفة أن تكون معلومة الاتساق الى الموصوف والموصول عند المخاطب كما عند المتكلم ولذلك قيل ان الصفات قبل العلم بها أخبار والاخبار بعد العلم بها صفات وأنت تدري أن تذكره بعد أمته انما علم هذه الجلة فلا مجال لنظمه مع نجاته المعلومة قبل في سلك الصلة (انا انبئكم بتأويله) أي أخبركم به بالتأويل عن عنده علمه لا من تلقاء نفسه ولذلك لم يقل انا انبئكم فيه - وعقبه بقوله (فأرسلون) أي الى يوسف وانما لم يذكره ثقة بما سبق من التذكر وما لحق من قوله (يوسف أيها الصديق) أي أرسل اليه فأتاه ففسال يا يوسف ووصفه بالمبالغة في الصدق - كما شاهدته وذاق أهواله وجزبه بالصلوة - كونه بصدد اعتقاد آثاره واقتباس أنواره فهو من باب براعة الاستهلال (أفنتاني سبع بقرات - سبع بقرات - سبع بقرات - سبع بقرات - سبع بقرات) أي في رؤيا ذلك وانما لم يصرح به لوضوح مراده بتفسيره ما سبق من معانيه - حاولد لالة مضمون الحادثة عليه حيث لا إمكان لوقوعه في عالم الشهادة أي بين نسما - لها وحكمها وحيث عاين علو رتبته عليه السلام في الفضل عبر عن ذلك بالافتاء ولم يتل كما قال هو وصاحبه أو لا يتلنا تأويله وفي قوله أفنتامع أنه المستنق وحده اشعار بأن الرؤيا ليست له بل لغيره من له ملاية بأمور العامة وأنه في ذلك معبر وسفير كما آذن بذلك حيث قال (لعل أرجع الى الناس) أي الى الملك ومن عنده أو الى أهل البلدان كان السجين في الخارج كما قيل فأنبئهم بذلك (لعلهم يعملون) ذلك ويعملون بمقتضاه أو يعملون فضلك ومكانك مع ما أنت فيه من الحال فتخلص منه وانما لم يمت القول في ذلك مجازاة معه على نهج الادب واحترازا عن المجازفة اذ لم يكن على يقين من الرجوع فربما احترم دونه لعل المتبادر من ماتعداني ولان علمهم بذلك فربما لم يعاوه (قال) استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال يوسف عليه السلام في التأويل فقيل قال (تزرعون سبع سنين دأبا) قرئ بفتح الهمزة وسكونها وكلاهما مصدر دأب في العمل اذا جد فيه ونعب وانصابه على الحالبية من فاعل تزرعون أي دأبين أو تدأبون دأبا على انه مصدره وكذا تفعل هو الحبال أو قل عليه السلام البقرات السمان والسنايل الخضر بسنين مختاصيب والمحاف واليابسات بسنين مجدبة فأخبرهم بأنهم يواظبون سبع سنين على الزراعة ويألفون فيها اذ بذلك يتحقق الخصب الذي هو مصدر البقرات السمان وتأويلها واداهم في نضاعيف ذلك على أمر نافع لهم فقال (فاحصدتم) أي في كل سنة (فدروهم في سنبله) ولا تذروهم كدلايا كاه السوس كما هو شأن غلال مصر ونواحيها وله عليه السلام استدلال على ذلك بالسنايل الخضر وانما أمرهم بسنايل اذ لم يكن معتادا فيما بينهم وحيث كانوا معتادين للزراعة لم يأمرهم بها وجعلها أمرا محققا لوقوع وتأويلها للرؤيا

قوله لعل المتبادر الخ صدره
ولا تعداني أن أعيش الى غد

مصداقها لما فيها من البقرات السمان (الاقليلا محتملاً كقول) في تلك السنين وفيه ارشاد منه عليه السلام اهم
 الى التقليل في الاكل والاقتصار على استثناء الماء كقول دون البذر لكون ذلك معلوماً من قوله تزرعون سبع
 سنين وبعد اتمام ما امرهم به شرع في بيان بقية التأويل التي يظهر منها حكمة الامر المذكور فقال
 (ثم يأتي) وهو عطف على تزرعون فلا وجه لجملة في الامر حسا لهم على الجدة والبيان في الزراعة على أنه
 يحصل بالاخبار بذلك أيضا (من بعد ذلك) أي من بعد السنين السبع المذكورات وانما لم يقل من بعدهن
 قصدا الى الإشارة الى وصفهن فان الغنم ساكت عن أوصاف المرجع بالكلية (سبع شداد) أي سبع سنين
 صواب على الناس (يا كنان ما قد تم لهم) من الحبوب المتروكة في سنايلها وفيه تنبيه على أن أمره عليه السلام
 بذلك كان لوقت الضرورة واستنادا لكل اليقين مع أنه حال الناس فيهن مجازي كما في نهارة صائم وفيه تلويح
 بأنه تأويل لا كل الجفاف السمان واللام في لهم ترشيح لذلك فكانت ما ذكر في السنايل من الحبوب شيء
 قديم وقد تم لهم كالأذى يقدم للنازل والافه في الحقيقة مقدم للناس فيهن (الاقليلا محتملون) تخرزون
 مبدؤا الزراعة (ثم يأتي من بعد ذلك) أي من بعد السنين الموصوفة بما ذكر من الشدة وكل الغلال المذخرة
 (عام) لم يعبر عنه بالسنة تحاشيا عن الدلول الاصلى لهما من عام القحط وتنبيههما من أول الامر على اختلاف
 الحال بينه وبين السوابق (فيه يغاث الناس) من الغيث أي يطرون يقال غيثت البلاد اذا مطرت في وقت
 الحاجة أو من الغوث يقال اغاثنا الله تعالى أي امدنا برفع المكاره حين اطلتنا (وفيه يعصرون) أي مامن
 شأنه أن يعصر من العنب والقصب والزيتون والسمن وغرها من الفواكه لكثرتها والتعرض لذلك العصر
 مع جوارز الاكتفاء عنه بذكر الغيث المستلزم له عادة كما كفي به عن ذكر عصرهم في الحبوب اما لانه استلزام
 الغيث له ليس كاستلزامه للحبوب اذ المذكورات يتوقف صلاحها على مباد أخرى غير المطر واما مراعاة جانب
 المستغنى باعتبار حاله الخاصة به بشارته وهي التي يدور عليها حسن موقع تغايبه على الناس في القراءة
 بالفوقانية وقيل معنى يعصرون يحلبون الضرور وتكرير فيه اما للاشهاد باختلاف أوقات ما يقع فيه من
 الغيث والعصر زمانا وهو ظاهر وعنوانا فان الغيث والغوث من فضل الله تعالى والعصر من فعل الناس واما
 لان المقام مقام تعدد منافع ذلك العام ولا جله قدم في الموضعين على الفعلين فان المقصود الاصلى بيان انه يقع
 في ذلك العام هذا النفع وذلك النفع لا يبان أنهم ما يقعان في ذلك العام كما يفيد التأخير ويجوز أن يكون
 التقديم للقصر على معنى أن غنهم وعصرهم في سائر السنين بمنزلة العدم بالنسبة الى عامهم ذلك وأن يكون ذلك
 في الاخير لمراعاة الفواصل وفي الاول لرعاية حاله وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجم وهو
 المناسب للاغانة ويجوز أن يكون المبني للمعاشل أيضا منه كأنه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون أي
 يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل معنى يعصرون يطرون من أعصرت السمكية اما يشعين أعصرت معنى
 مطرت وتعديته واما مجذوف الجار وايقال الفعل على أن الاصل أعصرت عليهم وأحكام هذا العام المبارك
 ليست مستنبطة من رؤيا الملك وانما تلقاها عليه السلام من جهة الوحي فبشرهم بها بعد ما أول الرؤيا بما أول
 وأمرهم بالتدبير اللائق في شأنه ابانة لعلو كعبه ورسوخ قدمه في الفضل وأنه محيط بما لم يحيط به من فضل
 عما يرى صورته في المنام على نحو قوله لصاحبه عند استنساخها في منامهما لاياتيك كما طعم ترزقانه الانبياء كما
 بناؤله واما بالنعمة عليهم حيث لم يشاركه عليه السلام في العلم بوقوعها أحد ولو برؤية ما يدل عليها في المنام
 (وقال الملك) بعد ما جاءه القبر بالتعبير وسع منه ما سمع من تقبر وقطعير (اتتوفى به) لما علم من علمه وفضله
 (فلما جاءه) أي يوسف (الرسول) واستدعاه الى الملك (قال ارجع الى ربك) أي سيدك (فأما له ما بال النسوة
 اللاتي قطعن أيديهن) أي نفقته عن شأنهن وانما لم يقل فأما له أن ينقض عن ذلك حسا للملك على الجدة
 في التفتيش ليتبين برأته ويتضح نزاهته اذ الدوال مما يبيع الانسان على الاهتمام في البحث للتفحص عما لوجه اليه
 واما الطلب فما قد يتساع ويتساهل فيه ولا يبالى به وانما لم يترخص لامرأة العزيز مع مالتى منها ما لى من مقاساة
 الاسزان ومعاملة الاشجان بحافظة على مواجب الحقوق واحترازا عن مكرها حيث اعتقد هامقية في عدوة
 العداوة واما النسوة فقد كان يتابع في صدقهن بالحق وشهادتهن بأقرارها بأنها راودته عن نفسه فاستعصم
 ولذلك اقتصر على وصفهن بنطامع الايدي ولم يصرح برأودتهن له وقواهن أطع مولاتهن واكتفى بالايحاء

الى ذلك بقوله (ان ربي بكيد من علمي) مجاملة معهن واحترار اذ عن سوء حالتهن عند الملك وانتصاهن للتصوم
مدافعة عن أنفسهن متى سمعن بفسادهن الى الفساد (قال) استئناف معني على السؤال وكأنه قيل
فماذا كان بعد ذلك فقيل قال الملك اثر ما بلغه الرسول الخبر وأحضرهن (ما خطبكن) أي شأنكن وهو الامر
الذي يحق لعظمته أن يخاطب المراه فيه صاحبه (اذ راودتن يوسف) وخادعته (عن نفسه) ورغبته في اطاعة
مولاته هل وجدت فيه شيئا من سوء وريبة (فلن حاش لله) تنزيه له وتجبيل من نزاهته وعفته (ما علمنا عليه
من سوء) بالغن في اني جنس السوء عنه بالتذكير وزيادة من (قالت امرأة العزيز) وكانت حاضرة في المجلس
وقيل أقيمت النسوة عليها فقررنها وقيل خافت أن يشهدن عليها بما قالت لهن ولقد راودته عن نفسه
فاستعصم واثم لم يفعل ما أمره ليسجن وليكونا من الصاغرين فأقرت قاتله (الآن حصص الحق) أي ثبت
واستقر أوتين وظهور بعد خفاء قاله الخليل وقيل هو مأخوذ من الحصة وهي القطعة من الجملة أي بين حصص
الحق من حصص الباطل كما تبين حصص الاراضي وغيرها وقيل بان وظهور من حصص شعره اذا استأصله بحيث
ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول من حصص البعير مباركة أي ألقاها في الارض للاناخه قال
لخصص في صم الصفائف ثمانية • وناه يسلمى نواة ثم صما

والمعنى اقر الحق في فقره ووضع في وضعه ولم ترد بذلك مجرد ظهور ما ظهر بشهادتين من مطلق نزاهته
عليه السلام فيما أحاط به علمه من غير تعرض لنزاهته في سائر المواطن خصوصا فيما وقع فيه التشاجر
بمحضر العزيز ولا بحث عن حال نفسها وما صنعت في ذلك بل ارادت ظهور ما هو متحقق في نفس الامر
وثبوتها من نزاهته عليه السلام في محل النزاع وشيائها فقالت (انا راودته عن نفسه) لأنه راودني عن
نفسى (وانه لمن الصادقين) أي في قوله حين اقتربت عليه هي راودتني عن نفسي وأرادت بالآن زمان
تسكها به من الكلام لازمان شهادتين فتأمل أيها المنصف هل ترى فوق هذه المرتبة نزاهة حيث لم تتالك
الخصماء من الشهادة بهما والفضل ما شهدت به الخصماء وانما تصدى عليه السلام لتهدية هذه المقامة قبل
الخروج ليظهر براءته عما ذكف به لاسيما عند العزيز قبل أن يحل ما عقده كاي عرب عنه قوله عليه السلام
لما رجع اليه الرسول وأخبره بكلامهن (ذلك) أي ذلك التثبيت المؤدى الى ظهور حقيقة الحال
(ليعلم) أي العزيز (أنى لم أخنه) في سرته كما زعمه لاعلماء مطلقا فان ذلك لا يستدعي تقديم التفتيش
على الخروج من السجن بل قبل ما ذكر من نقض ما أبرمه واعلم مراعاة حقوق السيدات لان المباشرة
للخروج من حبه قبل ظهور بطلان ما جعله سبيله وان كان ذلك بأمر الملك عما يؤهم الاقيان على رأيه
وأما أن يكون ذلك تسليحا من تقبيل أمره عند الملك فمعلوما مضاه فلا يليق بشأنه عليه السلام
في الوثوق بأمره والتوكل على ربه جل جلاله (بالغيث) أي يظهر الغيب وهو حال من القاعل أو المفعول
أي لم أخنه وأنا غائب عنه أو هو غائب عني أو ظرف أي يمكن الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة
وأيا ما كان فالمتصور بيان كمال نزاهته عن الخيانة وغاية اجتنابه عنها عند تعاضد أسبابها (وان الله)
أي وليعلم أنه تعالى (لا يهدي كيد الخائنين) أي لا ينفذه ولا يستدبره بل يطله ويرهقه ولا يهديهم في كيدهم
ايقاعا للهم على الكيد بالغلة كما في قوله تعالى يضاهون قول الذين كفروا أي يضاهونهم في قواهم
وفيه تعريض بأمر أنه في شيائها أمانته وبه في شيائها أمانة الله تعالى حين ساعدها على حبه بعد مارأوا
آيات نزاهته عليه السلام ويجوز أن يكون ذلك لتأكيد أمانته وأنه لو كان خائنا لما هدى الله عز وجل أمره
وأحسن عاقبته (وما أبرئ نفسي) أي لا أنزهها عن سوء قاله عليه السلام هذه النفس الكريمة البريئة
عن كل سوء وربا يمكنها عن التزكية والاعجاب بحالها عند ظهور كمال نزاهتها على اسلوب قوله عليه السلام
أنا سمع ولذا آدم ولا نخر أو تحديشا بنعمة الله عز وجل عليه وابرأ السر المكنون في شأن أفعال العباد
أي لا أنزهها عن سوء من حيث هي ولا أسند هذه الفضيلة اليها بقضى طبعها من غير توفيق من الله
عز وجل (ان النفس) البشرية التي من جبلتها نفسي في حذائها (لا تارة بالسوء) مائلة الى الشهوات
مستعملة للقوى والآلات في تحصيلها بل انما ذلك بتوفيق الله تعالى وعصمته ورجحه كما يفيد قوله
(الاما رحم ربي) من النفوس التي يعصمها من الوقوع في المهالك ومن جبلتها نفسي أو هي أمانة بالسوء

في كل وقت الا وقت رحمة ربي وعصمة لها وقيل الاستثناء منقطع أي لكن رحمة ربي هي التي تصرف عنها
السوء كما في قوله تعالى ولا هم ينقذون الرحمة (ان ربي غفور رحيم) عظيم المغفرة لما يعثرى النقوس
بوجوب طباعها ومبالغ في الرحمة لها بعصمتها من الجريان بقتضى ذلك واينما اظهرها في مقام الاضمار مع
التعرض لعنوان الربوبية لتربية مبادئ المغفرة والرحمة وقيل الى هذا من كلام امرأة العزيز والمعنى ذلك
الذي قالت ليه لم يوسف عليه السلام اني لم اخنه ولم أصكذب عليه في حال الغيبة وجئت بما هو الحق الواقع
وما أبرئ نفسي مع ذلك من الخيانة حيث قلت في حقه ما قلت وفعلت به ما فعلت ان كل نفس لا تحار بالسهو
الا ما رحم ربي أي الانفس ارحمها الله بالعصمة كنفوس يوسف ان ربي غفور ولان استغفر لذنبه واعترف به رحيم
له فعلى هذا يكون تأنيده عليه السلام في الخروج من السجن لعدم رضاه عليه السلام بلاقاة الملك وأمره
بين بين ففعل ما فعل حتى يتبين نزاهته وأنه انما حين بظلم عنايم مع ماله من الفضل ونباهة الشأن استلقاء الملك
بما يليق به من الاعظام والاجلال وقد وقع (وقال الملك اتنوني به استخلصه) أبعده خالصا (انفسى) وخاصا
(فلما كلمه) أي فأقواه فحذف للايدان بسرعة الاتيان به فكانه لم يكن بين الامر باحضاره والخطاب معه
زمان أصلا والصغير المستكن في كلمة ليوسف والبارز للملك أي فلما كلمه يوسف اثر ما أتاه فاستنطقه وشاهد
منه ما شاهد (قال انك اليوم لدينا مكين) ذو مكانة ومنزلة رفيعة (أمين) مؤتمن على كل شيء واليوم ليس
بمباركة المكانة والامانة بل هو أن التكلم والمراد تحديد مبدئهما احتراز عن احتمال كونهما بعد حين
روى أنه عليه السلام لما جاءه الرسول خرج من السجن ودعا لاهله واغتسل ولبس ثيابا جدد فلما دخل على
الملك قال اللهم اني أسألك بخيرك من خيرك وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره وشر غيره ثم سلم عليه ودعاه
بأعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آباءى وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلما به فأجاب به بجميعها فتعجب
منه فقال أحب أن أسمع منك رؤيا فحكها وولعت له البقرات والسنايل وأما كتمانها على ما رأها فأجاب له
على السرير وفوض اليه أمره وقيل توفي قطيفي في ذلك الليالي فنصبه منصبه وزوجه راعيل فوجدها عذراء
وولدت له افراهيم وميتشا واهل ذلك انما كان بعد تعيينه عليه السلام لماعين له من أمر الخزان كما يعرب عنه
قوله عز وجل (قال اجعاني على خزائن الارض) أي أرض مصر أي وأني أمرها من الاراد والمصرف
(اني حفيظ) لها من لا يسهو تحتها (عليه) بوجوه التصرف فيها وفيه دليل على جواز طلب الولاية اذا كان
الطالب من يقدر على اقامة العدل واجراء أحكام الشرعية وان كان من يدا الجائر والكافر وعن مجاهد أنه
أسلم الملك على يده عليه السلام ولعل ايشاره عليه السلام لتلك الولاية خاصة انما كان للقيام بما هو أهم أمور
السلطنة اذ الذين تدبير أمر السنين حسبما فصل في التأويل لكونه من فروع تلك الولاية لا مجرد عموم الفائدة
وبجوم العائدة كما قيل وانما لم يذكر اجابة الملك الى ما سأله عليه السلام من جعله على خزائن الارض ايذاناً بأن
ذلك أمر لا مرد له غنى عن التصريح به لاسيما بعد تقديم ما يندرج تحته من أحكام السلطنة بمخذا فيرها من
قوله انك اليوم لدينا مكين أمين ولاتنبه على أن كل ذلك من الله عز وجل وانما الملك آله في ذلك قيل
(وكذلك) أي مثل ذلك التمكن البليغ (مكاليوسف) أي جعلناه مكانا (في الارض) أي أرض مصر روى
انها كانت أربعين فرسا في أربعين وفي التعبير عن الجعل المذكور بالتمكين في الارض مستند الى ضميره
عز سلطانه من تشريفه عليه السلام والمبالغة في كمال ولايته والاشارة الى حصول ذلك من أول الامر لأنه
حصل بعد السؤال ما لا يخفى (يتوأمناها) ينزل من بلادها (حيث يشاء) ويتخذ مباءة وهو عبارة
عن كمال قدرته على التصرف فيها ودخولها تحت ملكته وسلطانه فكانها منزلة تصرف فيها كما تصرف الرجل
في منزله وقرأ ابن كثير بالون روى أن الملك توجه وختمه بخاتمه ورتاه بسيفه ووضع له سرير من ذهب
مكلا بالدور والياقوت فقال عليه السلام أما السرير فأشده ملكك وأما الخاتم فأدبره أمرك وأما الساج
فليس من لباسي ولا لباس آباءى فقال قد وضعت اجلالا لك واقرار ايفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك
وفوض اليه الملك أمره وأقام العدل بمصر وأحبته الرجال والنساء وباع من أهل مصر في سني القبط
الطعام في السنة الاولى بالدنانير والدراهم وفي الثانية بالحنى والجواهر وفي الثالثة بالدواب ثم بالاضباع
والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا ما رأينا كاليوم ملكا أجلى وأعظم منه ثم أعتقهم ورد اليهم

أموالهم وكان لا يبيع من أحد من المتارين أكثر من حل بعير تقسيطاً بين الناس (نصيب برحمتنا) يعطائنا
 في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم (من نشاء) بمقتضى الحكمة الداعية إلى المشيئة (ولا نصبح أجر
 المحسنين) بل نوفيه بكامله وفيه اشعار بأن مدار المشيئة المذكورة احسان من نصيبه الرحمة المرقومة وأنها
 أجر له ولدفع توهم انحصار ثمرات الاحسان فيما ذكر من الاجر العاجل قيل على سبيل التوكيد (ولاجرا لآخره)
 أى أجرهم في الآخرة فالإضافة للملابسة وهو النعيم المقيم الذى لا تنفاد له (خير) أهم أى للمحسنين المذكورين
 وانما وضع موضعه الموصول فقيل (للذين آمنوا وكانوا يتقون) تنبيه على أن المراد بالاحسان انما هو الايمان
 والثبات على التقوى المستفاد من جمع صيغتي الماضي والمستقبل (وجاء اخوة يوسف) عتارين لما أصاب
 أرض كنعان وبلاذ الشام ما أصاب أرض مصر وقد كان أرسلهم يعقوب عليه السلام جميعاً غير بنيامين
 (فدخلوا عليه) أى على يوسف وهو في مجلس ولايته (فعرّفهم) لتوقّفهم وعدم مياينة أحوالهم السابقة
 لحالهم يومئذ لفارقته اياهم وهم رجال وتشابه حياتهم وزيتهم في الحالين ولكون همته معقودة بهم وبعرفة
 أحوالهم لا سيما في زمن القحط وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرّفوا له (وهم له منكرون) أى والحال أنهم
 منكرون له لطول العهد وتباين ما بين حاله عليه السلام في نفسه ومنزلته وزبه ولا اعتقادهم انه هلك وحيث
 كان انكارهم له أمراً مستغزى في حالتي المحضر والغيب أخبر عنه بالجملة الاسمية بخلاف عرفانه عليه السلام اياهم
 (ولما جهزهم بجهازهم) أى أصلطهم بعدتهم من الزاد وما يحتاج اليه المسافروا وقرّر كاتبهم بما جاؤا له
 من الميرة وقرى بكسر الجيم (قال اتنوني بأخ لكم من آيكم) لم يقل بأخيكم مبالغة في اظهار عدم
 معرفته لهم ولعله عليه السلام انما قاله لما قيل من أنهم سألوه عليه السلام حملاً زائداً على المعتاد لبنيامين
 فأعطاهم ذلك وشرطهم أن يأتوا به لما قيل من انه لما راوه وكلوه بأهربية قال لهم من أنت فاني أنكركم
 فقالوا له نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نختار فقال لهم اعلمكم جثث عيوننا فقالوا معاذ الله
 نحن اخوة بنو أب واحد وهو شيخ كبير صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا كذا اثني عشر
 فهلك منا واحد فقال كم أنتم ههنا قالوا عشرة قال فأين الحادي عشر قالوا هو عند أبيه يتلى به عن الهالك
 قال فمن يشهد لكم أنكم لستم عيوننا وأن ماتقولون حق قالوا نحن يبلاد لا يعرفنا فيها أحد فيشهد بلساننا قال
 فدعوا بعضكم عندى رهينة واتنوني بأخيكم من آيكم وهو يحمل رسالة من آيكم حتى أصدقكم فاقترعوا
 فأصاب القرعة شعرون فخلقوه عنده اذ لا يساعده ورود الامر بالاتبان به عند التجهيز ولا الحث عليه بإيضاء
 الكيل ولا الاحسان في الانزال ولا الاقتصار على منع الكيل على تقدير عدم الاتيان به ولا جعل بضاعتهم
 في رحالهم لاجل رجوعهم ولا عدهم بالاتبان به بطريق المراودة ولا تمليلهم عند أيهم ارسال أخيهم بمنع
 الكيل من غير ذكر الرسالة على أن استبقاء شعرون لوقع لكان ذلك طامة ينسى عندها كل قيل وقال
 (الأترون اني أوفى الكيل) أتمه لكم وايشار صيغة الاستقبال مع كون هذا الكلام بعد التجهيز للدلالة على
 أن ذلك عادة مستمرة (وأنا خير المتزايين) بجهة حاله أى الأترون أني أوفى الكيل لكم ايضاً مستقراً والحال
 اني في غاية الاحسان في انزالكم وضياقتكم وقد كان الامر كذلك وتخصيص الرؤية بالايضا لوقوع الخطاب
 في أثنائه وأما الاحسان في الانزال فقد كان مستغزى في ما سبق ولحق ولذلك أخبر عنه بالجملة الاسمية ولم يقله
 عليه السلام بطريق الامتنان بل طمّهم على تحقيق ما أمرهم به والاقتصار في الكيل على ذكر الايضا لان
 معاملته عليه السلام معهم في ذلك كما علمته مع غيرهم في مراعاة مواجب العدل وأما الضيافة فليس للناس
 فيها حق يخصهم في ذلك بما شاء (فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي) من بعد فضلا عن ايقانه (ولا تقربون)
 بدخول بلادى فضلا عن الاحسان في الانزال والضيافة وهو امانته على أوفى معطوف على محمل الجزاء وفيه
 دليل على أنهم كانوا على نية الامتياز مرة بعد أخرى وأن ذلك كان معلوماً له عليه السلام (قاوا ستراد عنه
 أباه) أى سخّاه عنه ونحّسّال في انتزاعه من يده ونجّته في ذلك وفيه تنبيه على عزة المطالب وصعوبة مثاله
 (واما نفاعلون) ذلك غير مقرّطين فيه ولا متوانين أو قادرون عليه لاتعافى به (وقال) يوسف (اعتيناه)
 علمائنا الكياليين جمع فتى وقرى لفتيتيه وهو جمع قلة له (اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) فانه وكل بكل رحل رجل
 يعنى فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالاً وأدماً وانما فعله عليه السلام تغضلاً عليهم وخوفاً من

أن لا يكون عند أبيه ما يرجعون به مرة أخرى وكل ذلك لتحقيق ما يتوخاه من رجوعهم بأخيه كما يؤذن به قوله
 (لعلهم يعرفونها) أي يعرفون حق ردها والتصريح في ذلك أولكي يعرفوها وهو ظاهر التعلق بقوله
 (إذا انقلبوا إلى أهلهم) فإن معرفتهم لها مقيدة بالرجوع وتقر به الأوعية قطعاً وأتمام معرفة حق التكريم
 في ردها فهي وإن كانت في ذاتها غير مقيدة بذلك لكن لما كان ابتداء أوها حينئذ قد ثبت به (لعلهم يرجعون)
 حسباً أمرتهم به فإن الفضل عليهم بإعطاء البدلين ولا سيما عند ادعاء إزالة البضاعة من أقوى الدواعي إلى الرجوع
 وما قيل أنما فعله عليه السلام لمسلم من الكرم أن يأخذ من أبيه وأخوته غنائم كلام حق في نفسه ولكن بأبناء
 التعليل المذكور وأما أن عليه العمل المذكور للرجوع من حيث أن ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لأنهم
 لا يستحلون أسما كها فداره حسبانهم أنها بقيت في رحالهم نسباً وظاهر أن ذلك مما لا يحظره بل أحد أصلا
 فإن هيئة التعبية تنادي بأن ذلك بطريق الفضل ألا يرى أنهم كيف جزموا بذلك حين رأوها ووجهه لو ذلك
 دليل على التفضلات السابقة كما سيظهر به خبراً (فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا) قبل أن يشتغلوا بفنح المتاع
 (يأبأنا منع منا الكيل) أي فيما بعد وفيه ما لا يخفى من الدلالة على كون الاستيلاء مرة بعد مرة معهوداً فيما
 بينهم وبينه عليه السلام (فأرسل معنا أخانا) بنيامين إلى مصر وفيه إيذان بأن مدار المنع عدم كونه معهم
 (تكيل) بسببه من الطعام ما نشاء وقرأ حمزة والكسائي بإلحاح على استناده إلى الأخ لكونه سبباً
 للأكل أو يكتل لنفسه مع اكتياله (واناله لحافطون) من أن يصيبه مكروه (قال هل آمنكم عليه
 إلا كما آمنكم على أخيه) يوسف (من قبل) وقد قلتم في حقه أيضاً ما قلتم ثم فعلتم به ما فعلتم فلا أثنى بكم
 ولا يحفظكم وإنما أفوض الأمر إلى الله (فألفه خير حافظاً) وقرئ حفظاً واتصافهم ما على التميز والحالية
 على القراءة الأولى توهم تشديد التجربة بذلك الحالة (وهو أرحم الراحمين) فأرجو أن يرجع بحفظه ولا يجمع
 على مصيبتين وهذا كما ترى ميل منه عليه السلام إلى الإذن والارسال لما رأى فيه من المصلحة (ولما فتوا
 متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم) أي تفضلاً وقد علموا ذلك بما مر من دلالة الحال وقرئ بتقل حركة الدال
 المدغمة إلى الراء كما قيل في قيل وكيل (قالوا) استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل ماذا قالوا حينئذ فقيل
 قالوا لا يهمهم ولعله كان حاضر عند الفتح (يأبأنا ما ينبغي) إذا فسر البغي بالطلب فما أتانا استفتاهم بمسألة
 منصوبة به فالجواب ما ذلتني وراء ما وصفنا لك من أحسان الملك اليائس وكرمه الداعي إلى امتثال أمره
 والمراجعة إليه في الخواص وقد كانوا أخبروه بذلك وقالوا له انما قدمنا على خير رجس أنزلنا وأكرمنا كرامة
 لو كان رجلاً من آل يعقوب ما أكرمنا كرامته وقوله تعالى (هذه بضاعتنا ردت إلينا) بوجه مستأنفة
 موضحة لما دل عليه الإنكار من بلوغ اللطف غاية كأنهم قالوا كيف لا وهذه بضاعتنا ردت إلينا تفضلاً من
 حيث لا ندري بعد ما من علينا من المنن العظام هل من مزيد على هذا فطلبه ولم يريدوا به إلا اكتفاء بذلك مطلقاً
 أو التماسه من طلب نظائره بل أرادوا الاكتفاء به في استيجاب الامتثال لأمره والاتجاه إليه في استجاب
 المزيد كما أشرنا إليه وقوله تعالى ردت إلينا حال من بضاعتنا والعامل معنى الإشارة وإيثار صيغة البناء
 للمفعول للإيذان بحال الاحسان الناشئ عن كمال الاخفاء المفهوم من كمال غفلتهم عنه بحيث لم يشعروا به
 ولا بضاعه وقوله عز وجل (وغير أهلنا) أي نجاب إليهم الطعام من عند الملك معطوف على مقدر ينسحب
 عليه رد البضاعة أي تستظهرهم بأول غير أهلنا (ونحفظ أخانا) من المكارة حسب ما وعدنا بما يصيبه من
 مكروه (وردد) أي بواسطة ولذلك وسط الأخبار بحفظه بين الأصل والمزيد (كيل بعير) أي وسق
 بعير زائد على أوساق أبا عن راعى قضية التقسيط (ذلك) أي ما يحمله أبا عن راعى (كيل بعير) أي مكيل
 قليل لا يتوهم بأودناه واستئناف وقع تعليلاً لما سبق كأنه قيل أي حاجة إلى الزيادة فقيل ما قيل أو ذلك
 الكيل الزائد شيء قليل لا يضاهي ضايفه الملك أو سهل عليه لا يعاظمه أو أي مطلب يطلب من هؤلاء المتأهلين
 الواقعة بعده توضيح وبيان لما يشعربه الإنكار من كونهم فائزين ببعض المطالب أو متكتفين من تحصيله
 فكانهم قالوا بضاعتنا حاضرة فنستظهرهم بأول غير أهلنا ونحفظ أخانا بما يصيبه شيء من المكارة ونزداد به غير
 ما نكحله لأنفسنا كيل بعير فأى شيء ينبغي وراء هذه المبالغى وقرئ ما ينبغي على خطاب يعقوب عليه السلام

أى شئ تبقى وراء هذه المباحي المشقة على سلامة اخينا وسعة ذات أيدينا وأوراء ما فعل بنا الملك من
 الاحسان داعيا الى التوجه اليه والجلالة الاستثنائية موصفة لذلك أى شئ تبقى شاهد على صدقنا
 فيما وصفنا لك من احسانه والجلالة المذكورة عبارة عن الشاهد المدلول عليه بقوى الانكار وامانة ما معنى
 ما ينبغي شيئا غير ما رأينا من احسان الملك في وجوب المراجعة اليه أو ما ينبغي غير هذه المباحي وقيل ما يطلب
 منك بضاعة أخرى والجلالة المستأنفة تعليل له وأما اذا فسر البني بعبارة المدة فانافية فقط والمعنى ما ينبغي
 في القول وما تزد فيما وصفنا لك من احسان الملك اليها وكرمه الموجب لما ذكر والجلالة المستأنفة ايان
 ما ادعوا من عدم البني وقوله وغير اهلنا عطف على ما ينبغي أى ما ينبغي فيما ذكرنا من احسانه وتحصيل أمثاله
 من ميراثنا وحفظ اخينا فان ذلك أهون شئ بواسطة احسانه وقد جوز أن يكون كلاما مبتدأ أى بجلالة
 اعتراضية تذييلية على معنى وينبغي أن غير اهلنا وشبه ذلك بقولك سمعت في حاجة فلان ويجب أن أسمى
 وأنت خير بأن شأن الجمل التذيلية أن تكون مؤكدة لمضمون المصدر ومقررة له كما في المثال المذكور وقولك
 فلان ينطق بالحق فالحق ابلغ وان قوله وغير الخ وان ساعدنا في حمله على معنى ينبغي أن غير اهلنا يعزل من ذلك
 أو ما ينبغي في الرأي وما تعدل عن الصواب فيما تير به عليك من ارسال اخينا معنا والجل الى آخر ما تفصيل
 وبيان اعدم بفهم واصابة رأيهم أى بضاعتنا حاضرة نستظهر بها وغير اهلنا ونصنع كيت وذيت فتأمل (قال
 ابن ارسطه معكم) بعد ما عاينت منكم ما عاينت (حتى تؤتوني موثقا من الله) أى ما تؤتوني به من جهة الله عز
 وجل وانما جعله موثقا من الله لان تأكيد العهد به مأذون فيه من جهته تعالى فهو اذن منه عز وجل
 (التأني به) جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتني به (الآن يحاط بكم) أى الآن تغلبوا فلا تطيقوا
 به أو الآن تم لكم أو أصله من احاطة العدو فان من احاط به العدو فقد هلك غالبا وهو استثناء من أعم
 الاحوال أو أعم العلل على تأويل الكلام بالنفي الذي ينساق اليه أى لتأتني به ولا تقتنع من منه في حال من
 الاحوال أو لعله من العلة الاحال الاحاطة بكم أوله لعله الاحاطة بكم ونظيره قوله سمعتم منكم أقمتم عليكم لما
 فعلت والافعل أى ما أريد منكم الافعل وقد جوز الاول بلا تأويل أيضا أى لتأتني به على كل حال الاحال
 الاحاطة بكم وأنت تدري انه حيث لم يكن الايمان به من الافعال الممتدة الشاملة للاحوال على سبيل المعية
 كما في قولك لا زمنك الآن مطمئن حتى ولم يكن مراده عليه السلام مقارنته على سبيل البذل لما عدا
 الحال المستثناة كما اذا قلت صل الآن تكون محذرا بل مجرد تحشقه ووقوعه من غير اخلال به كما في قولك لا يحق
 العام الآن أحصر فأت مرادك انما هو الاخبار به من منع ماسوى حال الاحصار عن الحجج الا الاخبار بمعارضة
 تلك الاحوال على سبيل البذل كما هو مرادك في مثال الصلاة كان اعتبار الاحوال معه من حيث عدم منعها
 منه قال المعنى الى التأويل المذكور (فلما آتوه موثقا من الله) عهدهم من الله حيا أراد يعقوب عليه السلام
 (قال الله على ما نقول) أى على ما قلنا في أثناء مطلب الموثق وإيثاره من الجانبين وإيثارية صيغة الاستقبال
 لاستحضار صورته المؤدى الى تثبيتهم ومحافظةهم على تذكره ومراقبته (وكيل) مطلع رقيب يريد به عرض
 ثقتهم بالله تعالى وحشهم على مراعاة ميثاقهم (وقال) ناخصالهم لما أزمع على ارسالهم جديما (ياي لاتدخلوا)
 مصر (من باب واحد) نهمهم عن ذلك حذارا من اصابة العين فانهم كانوا ذوى جمال وشارة حسنة وقد كانوا
 نجملوا في هذه الكثرة اكثر مما في المرة الاولى وقد اشتهروا في مصر بالكرامة والرفق لدى الملك بخلاف النبوة
 الاولى فكانوا مثنة لدنو كل ناظر وطموح كل طامع واصابة العين بتقدير العزيز الحكيم ليست مما يشكر وقد
 ورد عنه عليه السلام ان العين حق وعنه عليه السلام ان العين لتدخل القبر والجل القدر وقد كان
 عليه السلام يعوذ الحسنين رضي الله عنهما بقوله أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين
 لامة وكان عليه السلام يقول كان أبوكا يهوى ذهاب اسمعيل واصحق عليهم السلام رواه البخاري في صحيحه وقد
 شهدت بذلك التجارب ولما لم يكن عدم الدخول من باب واحد مستلزما للدخول من أبواب متفرقة وكان
 في دخولهم من بابين أو ثلاثة بعض ما في الدخول من باب واحد من نوع اجتماع معصية لوقوع المحذور قال
 (وادخلوا من أبواب متفرقة) بيانا لما هو المراد بالنهي وانما لم يكتب بهذا الامر مع كونه مستلزما له اظهرا
 لكمال العناية وايدنا بأنه المراد بالامر المذكور ولا تحقيق لشيء آخر (وما أغنى عنكم) أى لا أغنى عنكم ولا أدفع

عنكم تدبيري (من الله من شيء) أي شياً مما قضى عليكم فان الحذر لا يمنع القدر ولم يرد به عليه السلام القاء
الحذر بالمرّة كيف لا وقد قال عز قائل لا تفلحوا بأيديكم الى التهلكة وقال خذوا حذركم بل أراد بيان ان ما
وصاهم به ليس بحايث وجب المراد لا بحال بل هو تدبير في الجملة وانما التأثير وترتب المنفعة عليه من العزيز
القدير وان ذلك ليس بعد اقامة التقدير بل هو استعانة بالله تعالى وهرب منه اليه (ان الحكم) مطلقاً (الاله)
لا يشاركه أحد ولا يمانعه شيء (عليه) لا على أحد سواء (توكلت) في كل ما آتى وأذرو فيه دلالة على أن ترتيب
الاسباب غير محال بالتوكل (وعليه) دون غيره (فاستوكل المتوكلون) جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة
مع تقديم الصلة للاختصاص مقيد بالواو عطف فعل غيره من تخصيص التوكل بالله عز وجل على فعل نفسه
وبالقائه سببية فعله لكونه تبيهاً لفعل غيره من المقتدين به فيدخل فيه من لا يؤاياه وفيه ما لا يخفى من
حسن هدايتهم وارشادهم الى التوكل فيما هم بصدده على الله عز وجل غير مغترين بما وصاهم به من التدبير
(ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) من الابواب المتفرقة من البلد قيل كانت له أربعة ابواب قد خلوا منها
وانما اكتفى بذلك لاستلزامه انها عنانهم وانه (ما كان) ذلك الدخول (يعني) فيما سبب أي عند وقوع
ما وقع (عنهم) عن الداخلين لان المقصود به استدفاع الضرر عنهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لتحقيق
المقارنة الواجبة بين جواب ما ومداخلة فان عدم الاغناء بالفعل انما يتحقق عند نزول المحذور ولا وقت
الدخول وانما المتحقق حينئذ ما أفاده الجمع المذكور من عدم كون الدخول المذكور مغنياً فيما سبب أي
قتاتل (من الله) من جهته (من شيء) أي شياً مما قضاه عليهم مع كونه مظنة لذلك في بادى الرأي حيث وصاهم
به بعبودية عليه السلام وعملوا بموجبيه واتقوا بعبوديه من فضل الله تعالى فليس المراد بيان سببية الدخول
المذكور اذ عدم الاغناء كافى في قوله تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا فان مجيئ النذير ههنا سبب لزيادة
نفورهم بل بيان عدم سببيته للاغناء مع كونها متوقفة في بادى الرأي كفاي قولك حلف أن يعطى حتى عند
حلول الاجل فلما حل لم يعطى شياً فان المراد بيان عدم سببية حلول الاجل للاعطاء مع كونها مرجوة
بوجوب الحلف لبيان سببيته لعدم الاعطاء فالماثل بيان عدم ترتب الغرض المقصود على التدبير المعهود مع
كونه مرجوً والوجود لا يبان ترتب عدمه عليه ويجوز أن يراد ذلك أيضاً بناء على ما ذكره عليه السلام
في تضاعيف وصيته من أنه لا يقضى عنهم من الله شياً أفكانه قيل ولما فعلوا ما وصاهم به لم يقد ذلك شياً ووقع
الامر حسبما قال عليه السلام فلتقوا ما تقوا فيكون من باب وقوع المتوقع فتاتل (الاجابة) استثناء
منقطع أي ولكن حاجة وحزاة كاتنة (في نفس يعقوب فصاها) أي أظهرها ووصاهم به بادفعها للظاهرة
غير معتقد أن للتدبير تأثيراً في تغيير التقدير وقد جعل ضمير الفاعل في قضاها للدخول على معنى ان ذلك
الدخول قضى حاجة في نفس يعقوب وهي ارادته أن يكون دخولهم من ابواب متفرقة فالعنى ما كان ذلك
الدخول يقضى عنهم من جهة الله تعالى شياً ولكن قضى حاجة حاملة في نفس يعقوب بوقوعه حسب ارادته
فلا استثناء منقطع ايضا وعلى التقديرين لم يكن للتدبير فائدة سوى دفع الخاطرة وأما إصابة العين فانما لم تقع
لكونها غير مقدرة عليهم لالانها اندفعت بذلك مع كونها مقضية عليهم (وانه لذو علم) جليل (لما علمناه)
لتعليمنا اياه بالوحى ونصب الأدلة حيث لم يعتقد أن الحذر يدفع القدر وأن التدبير له حظ من التأثير حتى يقين
الحال في رأيه عند تخلف الاثر أو حيث ثبت القول بأنه لا يقضى عنهم من الله شياً فكان الحال كما قال
وفي تأكيده بالجلالة بان واللام وتشكيرا العلم وتعليقه بالتعليم المستند الى ذاته سبحانه من الدلالة على جلالة شأن
يعقوب عليه السلام وعلاوة مرتبة علمه ونفامته ما لا يخفى (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أسرار القدر
ويرجعون انه يقضى عنه الحذر وأما ما يقال من أن المعنى لا يعلمون ايجاب الحذر مع انه لا يقضى شياً من القدر
نبأ به مقام بيان تخلف المطلوب عن المبادى (ولما دخلوا على يوسف أوى اليه أساءه) بنيامين أي ضمه اليه
في الطعام أوفى المنزل أو فيها روى أنهم لما دخلوا عليه قالوا له هذا أخونا قد جئناك فقل اللهم أحسنهم
وسجدون ذلك عندى فأكرمهم ثم أضافهم وأجلسهم معنى حتى فبقى بنيامين وحيداً فبكى وقال لو كان أخى
يوسف حياً لاجلسنى معه فقال يوسف بلى أخوك قريباً وأجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله ثم أزل كل
اشئ منهم يتافق قال هذا الاثنى معه فيكون معى فبان يوسف بعينه اليه وبشمت واجته حتى اصبح وسأله عن

ولم يقل لي عشرة بنين اشتقت اسماءهم من اسم أخى ذلك فقال له أتعجب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك
قال من بعد أناء ذلك ولكن لم يملك به قلوب ولا راحيل فكى يوسف وقام إليه وعانقه وتعرف إليه وعند ذلك
(قال انى أنا أخوك) يوسف (فلا تبئس) أى فلا تحزن (بما كانوا يملكون) بنافيا مضى فان الله تعالى
قد أحسن النيا وجعلنا خير ولا تعلمهم بما أعلمك قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وعن وهب انه لم يعرف
إليه بل قال له أنا أخوك بدل أخيك المفقود ومعنى فلا تبئس لا تحزن بما كنت تلقى منهم من الحسد والاذى
فقد أمستهم وروى انه قال له فأنالا فأفارقك قال قد علمت ما غتمت والذى بي فاذا حبستك برزاد غمه ولا سبيل الى
ذلك الا أن أنسبك الى ما لا يجعل قال لا أبالى فافعل ما بدا لك قال ادس صبايحى فى وحلك ثم أنادى عليك بأنت
مرقتك لينها الى ردك بعد تسريحك معهم قال افعل (فلما جهزهم ببجواهرهم جعل السقاية) أى المشربة قفيل
كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تدعى به الدواب ويكالم بها الحبوب وكانت من فضة وقيل
من ذهب وقيل من فضة موهبة بالذهب وقيل كانت انا مستطيلة تشبه المكروك الفارسى الذى يلتقى طرفاه
يستعمله الاعاجم وقيل كانت مرسومة بالجوهر (فى رحل أخيه) بنيامين وقرئ وجعل على حذف جواب لما
تقديره أمهاتهم حتى انطلقوا (ثم اذن المؤذن) نادى مناد (ايها العير) وهى الابل التى عليها الاحمال لانها
تغير أى تذهب وتجيى وقيل هى قافلة الخير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة غير كأنهم جامع عيروا أصلها فعل مثل سقط
وسقط ففعل به ما فعل ببض وغيد والمراد أصحابها كما فى قوله عليه السلام يا خيل الله اركبى روى انهم ارتحلوا
وأمرهم يوسف حتى انطلقوا منزلا وقيل خرجوا من العمارة ثم أمرهم فأدركوا ونودوا (انكم سارقون)
هذا الخطاب ان كان بأمر يوسف فله أن يدا بالسرقة أخذهم له من أييه ودخول بنيامين فيه بطريق التقلب
والافه ومن قبل المؤذن بناء على زعمه والاول هو الاظهر والاولى للسياق وقرأ اليماني سارقون بلالام (قالوا)
أى الاخوة (وأقبلوا عليهم) بوجه حالية من ضمير قالوا جى بها لادلالة على انزعاجهم عما سمعوه لمباينته لحالهم
(ماذا تنقدون) أى تسدمون تقول فقدت الشئ اذا عدمته بأن ضل عنك لا بفعلك والمالك ماذا ضاع عنكم
وصيغة المستقبل لاستحضار الصورة وقرئ تنقدون من أفقدته اذا وجدته فقيد او على التقديرين فالمدول
عما يقتضيه الظاهر من قواهم ماذا سرق منكم ابيان كمال نزاحتهم باظهار أنه لم يسرق منهم شئ فضلا أن
يكونوا هم السارقين له وانما الممكن أن يضيع منهم شئ فيسألونهم انه ماذا وفيه ارشاد لهم الى مراعاة حسن
الادب والاحترار عن المجازفة ونسبة البراء الى ما لا خيرة له لاسيما بطريق التوكيد فلذلك غيروا كلامهم
حيث (قالوا) فى جوابهم (نفقد صواع المالك) ولم يتولوا سرقته أو سرق وقرئ صاع وصوع وصوع
الصاد وضعها وياها مال العين واحكامهم من الصياغة ثم قالوا تربية لما تلقوه من قبلهم واراة لاعتقاد أنه اغتافى
فى رسالهم انشاها (وان جاء به) من عند نفسه مظهره قبل التفتيش (جمل بعير) من الطعام جعله لاهلية
تحقيق الوعد بلزمهم بما تمنع وجود الشرط وعزمهم على ما لا يخفى من أخذ من وجد فى رحله (زأنا به زعيم)
كنيل أو ذيه اليه وهو قول المؤذن (قالوا والله) الجهورى على أن التاء بدل من الواو ولذلك لا تدخل الاعلى
بالحالة المعظمة أو الرب المضاف الى الكعبة أو الرحمن فى قول ضعيف ولو قلت تارحيم لم يجوز وقيل من الباء
وقيل أصل بنفسها وأيا ما كان ففيه تعجب (لقد علمتم) علما جازما مطابقا لواقع (ما جئنا لنفسد فى الارض)
أى لنسرق فانه من أعظم أنواع الفساد أو لنفسد فيها أى افساد كان مما عزاوه ان فضلا عما نسبته ونال به من
السرقه ونفى الجحى للافساد وان لم يكن مستلزما هو مة بمعنى المقام من نفى الافساد مطلقا لكنهم جعلوا الجحى
الذى يترتب عليه ذلك ولو بطريق الاتفاق مجية الغرض من الافساد مفعولا لا جله ادعاء اظهار الكمال فجهه
عندهم وترية لاستحالة صدوره عنهم كما قيل فى قوله تعالى ما يدل القول لدى وما تأبظلام للعبيد الدال بظاھر
على نفي المبالغة فى الظلم دون نفي الظلم فى الجمله الذى هو مقتضى المقام من أن المعنى اذا عذبت من لا يستحق
التعذيب كنت ظلاما فطافى الظلم فكانهم قالوا ان صدر عنا افساد كان مجية لذلك مريدين به تقييد حاله
واظهار كمال نزاحتهم عنه بمنون انه قد شاع بينكم فى كرتى مجية ما نحن عليه وقد كانوا على غاية ما يكون
من الديانة والصيانة فيما يأتون ويذرون حتى روى انهم دخلوا مصر وأفواهم وحلهم مكهومة اثلاثتناول
زرعا أو طعاما لاحد وكانوا مشابرين على فنون الطامات وعلمت بذلك أنه لا يصدور عنها افساد (وما كما سارقين)

أى ما كانوا وصف بالسرقه قطعاً وانما حكموا بعلومهم ذلك لان العلم بأحوالهم الشاهده يستلزم العلم بأحوالهم
 الغائبة وانما لم يكتفوا بنى الامر من المذكورين بل استشهدوا بعلومهم بذلك الزاماً للجهة عليهم وتحقيقاً للتجب
 المفهوم من تأويل القسم (قالوا) أى أصحاب يوسف عليه السلام (فما جزاؤه) الضمير للصواع على حذف
 المضاف أى جزاءه سرقته عندكم وفى شرعكم (ان كنتم كاذبين) لافى دعوى البراءة عن السرقه فانهم
 صادقون فيها بل فيما يستلزمه ذلك من نفي كون الصواع فيهم كما يؤذن به قوله عز وجل (قالوا جزاؤه من وجد)
 أى أخذ من وجد الصواع (فى رحله) حيث ذكر بعنوان الوجدان فى الرجل دون عنوان السرقه وان كان
 ذلك مستلزماً لافى اعتقادهم المبنى على قواعد العادة ولذلك أجابوا بما أجابوا ان الاخذ والاسترقاق سنة
 انما هو جزاء السارق دون من وجد فى يده مال غيره كيفما كان قاتلاً واحل كلام كل فريق على ما لا يراهم رأيه
 فانه أقرب الى معنى الكيد وأبعد من الافتراء وقوله تعالى (فهو جزاؤه) تقرير لذلك الحكم أى فأخذه
 جزاؤه كقولك حق الضيف أن يكرم فهو حقه ويجوز أن يكون جزاؤه مبدءاً والجملة الشرطية كما هى خبره على
 اتمام الظاهر مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد فى رحله فهو هو على أن الاول لمن والثانى للظاهر الذى
 وضع موضعه (كذلك) أى مثل ذلك الجزاء الاول (فيجزي الظالمين) بالسرقه تأكيد للحكم المذكور وغب
 تأكيدهم لبيان لقمع السرقه واقد فعلوا ذلك ثقة بكامل برائتهم عنها وهم عما فعل بهم عاقلون (فبدأ) يوسف بعد
 ما رجعوا اليه لتفتيش (بأوعيتهم) بأوعية الاخوة العشرة أى بتفتيشها (قبل) تفتيش (وعاء أخيه) بنيامين
 انتهى التهمة روى أنه لما بلغت التوبة الى وعائه قال ما أظن هذا أخذ شيئاً فقالوا والله لا تركه حتى تنظر
 فى رحله فانه أطيب لنفسك وأنفسنا (ثم استخرجوها) أى السقاية أو الصواع فانه يذ كر ويؤث (من وعاء
 أخيه) لم يقل منه على رجع الضمير الى الوعاء أو من وعائه على رجعته الى أخيه قصداً الى زيادة كشف وبيان
 وقرئ بضم الواو وبقلماء هـ مزة كما فى اشاح فى رشاح (كذلك) نصب على المصدرية والكاف مقبلة للدلالة
 على غفلة المشار اليه وكذا ما فى ذلك من معنى البعد أى مثل ذلك الكيد المحجب وهو عبارة عن ارشاد
 الاخوة الى الاقتداء المذكور بآجرائه على أنفسهم وبحملهم عليه بواسطة المستفتين من حيث لم يحتسب واذعنى
 قوله عز وجل (كذلك قال يوسف) منه غفلة ودبرنا لاجل تحصيل غرضه من المقدمات التى رتبها من دس الصواع
 وما يتلوه فاللام ليست كفى قوله فيكيد والى كيداً فانها دأخله على المتضرر وعلى ما هو الاستعمال الشائع
 وقوله تعالى (ما كان لياخذ أخاه فى دين المائت) استئناف وتعليل لذلك الكيد وصنعه لا تفسير وبيان له
 كما قيل كانه قيل لماذا فعل ذلك فقيل لانه لم يكن لياخذ أخاه بما فعله فى دين الملك فى أمر السارق
 أى فى سلطانه فانه ابن عباس أوفى حكمه وقضائه فانه قتادة الآية لان جزاء السارق فى دينه انما كان ضربه
 وتفرجه ضعف ما أخذ دون الاسترقاق والاستعباد كما هو شريعة يعقوب عليه السلام فلم يكن يتمكن بما
 صنعه من أخذ أخيه بالسرقه التى نسبها اليه فى حال من الأحوال (الأن يشاء الله) أى الاحال مشيئته التى
 هى عبارة عن ارادته لذلك الكيد أو الاحال مشيئته للاخذ بذلك الوجه ويجوز أن يكون الكيد عبارة عنه
 وعن مباديه المؤدية اليه جميعاً من ارشاد يوسف وقومه الى ما صدر عنهم من الافعال والاقوال حسبما شرح
 مرتباً لكن لا على أن يكون القصر المستفاد من تقديم الجرور مأخوذاً بالنسبة الى غيره مطلقاً على معنى مثل
 ذلك الكيد كدنا لا كيداً آخر اذ لا معنى لتعليقه بهجزي يوسف عن أخذ أخيه فى دين الملك فى شأن السارق
 قطعاً اذ لا علاقة بين مطلق الكيد ودين الملك فى أمر السارق أصلاً بل بالنسبة الى بعضه على معنى مثل ذلك
 الكيد البالغ الى هذا الحد كدنا له ولم نكتف به من ذلك لانه لم يكن يأخذ أخاه فى دين الملك به الاحال
 مشيئته لا بما يجرى مجرى الجزاء الصورى من العلة التامة وهو ارشاد اخوته الى الاقتداء المذكور
 وعلى هذا لا يخفى أن يحمل القصر فى تفسير من فسر قوله تعالى كدنا يوسف بقوله علمنا اياه وأوجيبنا به اليه
 أى مثل ذلك التعليم المستبوع لما شرح مرتباً علمنا دون بعض من ذلك فقط الخ وعلى كل حال فالاستثناء من
 أعم الأحوال حكماً أشير اليه ويجوز أن يكون من أعم العلل والاسباب أى لم يكن يأخذ أخاه لعله من
 العلل أو بسبب من الاسباب الالعله مشيئته تعالى أو الاسباب مشيئته تعالى وأياً ما كان فهو متصل لان أخذ
 السارق اذا كان ممن يرى ذلك ويعتقده ذنباً لا شياً عند رضاء وانما به ليس محالاً لدين الملك وقد قيل معنى

الاستثناء الآن يشاء الله أن يجعل ذلك الحكم حكيم الملك وأنت تدري أن المراد بدنيته ما عليه حيث قد تغيره
 محض الاتصال واردة مطلق ما يتدين به أعم منه وما يحدث تفننى الى كون الاستثناء من قبيل التعليق
 بالمحال إذا مقصود بيان عجز يوسف عليه السلام عن أخذ أخيه حينئذ ولم تعلق المشيئة بالجدل المذكور
 إذ ذلك واردة عجزه مطلقاً تؤدى الى خلاف المراد فإن استثناء حال المشيئة المذكورة من أحوال عجزه عليه
 السلام مما يشعر بعدم الحاجة الى الكيد المذكور فتدبر وقد جوز اللفظ أى لكن أخذه بمشيئة الله
 تعالى وأذنه في دين غير دين الملك (نرفع درجات) أى ربنا كثيرة عالية من العلم واتصاها على المصدرة
 أو الظرفية أو على نزع الخافض أى الى درجات والمفعول قوله تعالى (من نشاء) أى نشاء رفعه حسباً
 تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة كما أرفعنا يوسف وأيضاً صيغة الاستقبال للاشعار بأن ذلك سنة
 مستمرة غير مختصة بهذه المادة والجدل مستأنف لا محل لها من الأعراب (وفوق كل ذى علم) من أولئك
 المرفوعين (عليهم) لا يتلون شأوه وأعلم أنه ان جعل الكيد عبارة عن المعنيين الأولين فالمراد برفع يوسف
 عليه السلام ما اعتبر فيه بالشرطية أو الشطرية من إرشاده عليه السلام الى دس الصواع في رحل أخيه
 وما يفرع عليه من المقدمات المرتبة لاسبقاً أخيه بما يتم من قبله والمعنى أُرشدنا اخوته الى الاقتناء المذكور
 لأنه لم يكن ممكناً من أخذ أخيه بدونه أو إرشادنا كلامهم ومن يوسف وأصحابه الى ما صدر عنهم ولم تكن
 بما تم من قبل يوسف فقط لأنه لم يكن ممكناً من أخذ أخيه بذلك فقوله تعالى نرفع درجات الى قوله تعالى عليهم
 توضيح لذلك على معنى أن الرفع المذكور لا يوجب تمام مراده اذ ليس ذلك بحيث لا يعزب عن علمه شيء بل انما
 نرفع كل من نرفع حسب استعداد وفوق كل واحد منهم علم لا يقدر قدر علمه ولا يكتمه كنهه برفع كلامهم الى
 ما يليق به من معارج العلم ومدارجه وقد رفع يوسف الى ما يليق به من الدرجات العالية وعلم أن ما حواه
 دائرة علمه لا يفي بمرامه فأرشد اخوته الى الاقتناء المذكور فكان ما كان وكانه عليه السلام لم يكن على يقين
 من صدور الاقتناء المذكور عن اخوته وان كان على طمع منه فان ذلك الى الله عز وجل وجوداً وعلماً
 والتعرض لوصف العلم لتعيين جهة التوقية وفي صيغة المبالغة مع التكثير والالتفات الى الغيبة من الدلالة على
 نفاضة شأنه عزو علا وجلالة مقداره الحيط ما لا يحصى وأما ان جعل عبارة عن التعليم المستتبع للاقتناء
 المذكور فالرفع عبارة عن ذلك التعليم والاقتناء وان لم يكن داخل تحت قدرته عليه السلام ولكنه كان داخل
 تحت علمه بواسطة الوحي والتعليم والمعنى مثل ذلك التعليم الباطن الى هذا الحد علمناه ولم يقتصر على تعليم
 ما عد الاقتناء الذى سيصدر عن اخوته اذ لم يكن ممكناً من أخذ أخيه الا بذلك فقوله نرفع درجات من نشاء
 توضيح اقوله كدنا وبيان لأن ذلك من باب الرفع الى الدرجات العالية من العلم ومدح ليوسف برفعه اليها
 وقوله وفوق كل ذى علم عليهم تذييل له أى نرفع درجات عالية من العلم من نشاء رفعه وفوق كل منهم علم هو أعلى
 درجة قال ابن عباس رضى الله عنهم ما فوق كل عالم عالم الى أن ينتهى العلم الى الله تعالى والمعنى ان اخوة
 يوسف كانوا علماء الا أن يوسف عليه السلام أفضل منهم وقرئ درجات من نشاء بالاضافة والاول أنسب
 بالتذييل حيث نسب فيه الرفع الى من نسب اليه الفوقية لا الى درجته ويجوز أن يكون العلم في هذا التفسير
 أيضاً عبارة عن الله عز وجل أى وفوق كل من أولئك المرفوعين عليهم برفع كلامهم الى درجته اللاتمة به والله
 تعالى اعلم (قالوا ان يسرق) يعنون بنيامين (فقد سرق أخ له من قبل) يريدون به يوسف عليه السلام وما
 جرى عليه من جهة عمته على ما قيل من انها مكانت تحضنه فلما شب أراد يعقوب عليه السلام انتزاعه
 منها وكانت لا تصبر عنه ساعة وكانت لها منطقة ورثتها من أبيها اسحق عليه السلام فاحتالت لامتبقاها
 يوسف عليه السلام فعمدت الى المنطقة فخرمته عليه من تحت ثيابه ثم قالت فقدت منطقة اسحق عليه
 السلام فانظروا من أخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لى سلم أفعل به ما أشاء ففلاه يعقوب
 عليه السلام عندها حتى ماتت وقيل كان أخذ في صباه من لابي أمه فكسره وألشاه في الجيف وقبل دخل
 كنيسة فأخذت من الصغار من ذهب كانوا يعبدونه فدفعه (فأسرهما يوسف) أى اكن الحزازة الحاصلة مما
 قالوا (في نفسه) لأنه أسرهما البعض أصحابه كما في قوله تعالى وأسرت لهم امرأوا (ولم يبداهاهم)

لا قولوا فعلا صفا عنهم ولما وهوتا كيد المسبق (قال) أي في نفسه وهو استئناف مبني على سؤال نشأ من الاخبار بالاسرار المذكور كأنه قيل فماذا قال في نفسه في تضاعيف ذلك الاسرار فقيل قال (أنتم شر مكانا) أي منزلة حيث سرقتم أياكم ثم طفتهم تفترون على البرى وقيل بدل من أسرها والضمير لامقالة المفسرة بقوله أنتم شر مكانا (والله أعلم بما تصفون) أي عالم علما بالغيا إلى أقصى المراتب بأن الامر ليس كما تصفون من صدور السرقة متايل انما هو اقتراف علينا فالصيغة لجراد المبالغة لا لتفضيل علمه عز وجل على علمهم كيف لا وليس لهم بذلك من علم (قالوا) عند ما شاهدوا مخايل أخذ بنيامين مستعطفين (يا أيها العزيز ان له ابا) لم يريدوا بذلك الاخبار بأن له ابا فان ذلك معلوم مما سبق وانما اودوا والاخبار بأن له ابا (شيخا كبيرا) في السن لا يكاد يستطيع فراقه وهو علا له به يتعال عن شقيقه الهالك (نخذأ أحدنا مكانه) فلسنا عنده بمنزلة من المحبة والشفقة (انزلنا من الحسنين) اليافأتم احسانك بهذه التهمة أو المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك (قال معاذ الله) أي نعوذ بالله معاذ من (ان نأخذ) نحذف الفعل وأقيم مقامه المصدر مضافا الى المذعول به بعد حذف الجار (الامن وجدنا متاعا عنده) لان أخذنا له انما هو بقضية فتواكم فليس لنا الاخلال بوجوبها وايشار صيغة التكلم مع الغير مع كون الخطاب من جانب اخوته على التوحيد من باب السلوك الى سنن الملوك أولا شعار بأن الاخذ والاعطاء ليس مما يستتبع به بل هو منوط بأولى الحل والعقد وايشار من وجدنا متاعا عنده دون من سرق متاعنا لتحقيق الحق والاستراز عن الكذب في الكلام مع تمام المرام فانهم لا يجهلون وجدان الصواع في الرحل على محمل غير السرقة (انا اذا) أي اذا أخذنا غير من وجدنا متاعا عنده ولورضاء (نظاؤون) في مذهبكم ومالنا ذلك وهذا المعنى هو الذي أريد بالكلام في أثناء الحوار وله معنى باطن هو أن الله عز وجل - انما أمرني بالوحى أن أخذ بنيامين لمصالح علمها الله في ذلك فلو أخذت غيره كنت ظالما وعاملا بخلاف الوحى (فما استبأ سوا منه) أي يتسوا من يوسف واجابته اهتم أشد بأس بدلالة صيغة الاستفعال وانما حصلت لهم هذه المرتبة من الناس لما شاهدوه من عوده بالله مما طلبوه الدال على كون ذلك عنده في أقصى مراتب الكراهة وأنه مما يجب أن يحترز عنه ويعاذ منه بالله عز وجل ومن تسميته ظلما بقوله انا اذا الظالمون (خاصوا) اعتزلوا وانفردوا عن الناس (نجيا) أي ذوى نجوى على أن يكون بمعنى النجوى والتنجى أو فوجا نجيا على أن يكون معنى المناسج كالعشير والسيرة بمعنى المعاشير والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا ويجوز أن يقال هم نجى كما يقال هم صديق لانه برئته المصادر من الزفير والزفير (قال كبيرهم) في السن وهورويل أو في العقل وهو يهوذا أو رئيسهم وهوشمعون (ألم تعلموا) كأنهم أجمعوا عند التناسج على الانقلاب جلة ولم يرض به فقال منكر اعليهم ألم تعلموا (ان اباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله) عهدا يوثق به وهو حلقهم بالله تعالى وكونه من الله لاذنه فيه وكون الحلق باسمه الكريم (ومن قبل) أي ومن قبل هذا (ماقرطتم في يوسف) قصرتم في شأنه ولم تحفظوا عهدهم وقد قلتم وانا له لناصون وانا له لحافظون وما مزيدة أو مصدرية ومحمل المصدر انصب عطف على منعول تعلموا أي ألم تعلموا أخذ ابيكم عليكم موثقا وتقريطكم السابق في شأن يوسف عليه السلام ولا ضير في الفصل بين العاطف والمعطوف بالطرف وقد جوز انصب عطف على اسم أن والخبر في يوسف أو من قبل على معنى ألم تعلموا ان تقريطكم السابق وقع في شأن يوسف عليه السلام أو أن تقريطكم الكائن أو كائنا في شأن يوسف عليه السلام وقع من قبل وفيه أن مقتضى المقام انما هو الاخبار بوقوع ذلك التقريط لا بكون تقريطهم السابق واقعا في شأن يوسف كما هو مفاد الاول ولا يكون تقريطهم الكائن في شأنه واقعا من قبل كما هو مفاد الثاني على أن الطرف المقطوع عن الاضافة لا يقع خبرا ولا صفة ولا صلة ولا حالا عند البعض كما تقرر في موضعه وقيل محله الرفع على الابتداء والخبر من قبل وفيه ما فيه وقيل ما موصولة أو موصوفة ومحملها انصب أو الرفع والحق هو انصب عطف على منعول تعلموا أي ماقرطتموه بمعنى قد تموه في حقه من الحماية وأما انصب عطف على اسم ان أو الرفع على الابتداء فقد عرفت حاله (فلن أبرح الارض) متفرع على ما ذكره وذكروا اياهم من ميثاق أبيه وقوله لتأتني به الا أن يحاط بكم أي فلن أفارق أرض مصر جريا على قضية الميثاق (حتى يأذن لي أبي) في البراح بالانصراف

اليه وكان أيمانهم كانت معقودة على عدم الرجوع بغير إذن يعقوب عليه السلام (أو يحكم الله لي) بالخروج منها على وجه لا يؤدي إلى نقض الميثاق أو بخلاص أخى بسبب من الأسباب روى أنهم كلوا العزير في إطلاقه فقال روبيل أيها الملك لتردن أبنائنا أولاً صيحة لا تبقى بمصر حامل الألق ولدها وقفت كل شعرة في جسده فخرجت من ثيابه وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لا يطاقون خلاصه إذا من غضب واحد منهم سكن غضبه فقال يوسف لابنه قم إلى جنبه فسهقه فقال روبيل من هذا إن في هذا البلد بذرا من بذريته يعقوب (وهو خير الحاكمين) إذ لا يحكم إلا بالحق والعدل (ارجعوا) أنتم (إلى أبيكم فتقولوا يا أبا نانا ابنك سرق) على ظاهر الحال وقرئ سرق أي نسب إلى السرقة (وما شهدنا) عليه (الإباحتنا) وشاهدنا أن الصواع استخرجت من وعائه (وما كنا لالقيب) أي باطن الحال (حافظين) فنادى أن حقيقة الأمر كما شاهدنا أم بخلافه أو وما كنا عالمين حين أعطينا الموثق أنه سيسرق أو أنا لاقى هذا الأمر وأنت تصاب به كما أصبت يوسف (واسأل القرية التي كانوا فيها) أي مصر أو قرية بقرية بلقتهم المنادي عندها أي أرسل إلى أهلها واسألهم عن القصة (والعير التي أفلت فيها) أي أصحابها فإن القصة معروفة فيما بينهم وكنوا أقواماً من كنعان من جيران يعقوب عليه السلام وقيل من صنعاء (وأننا صادقون) تأكيد في محل القسم (قال) أي يعقوب عليه السلام وهو استئناف مبنى على سؤال نشأ مما سبق فكانه قيل فإذا كان عند قول المتوقف لآخوته ما قال فقيل قال يعقوب عندما رجعوا إليه فتسألوا له ما قالوا وإنما حذف للايضاح بأن مسارعتهم إلى قبوله ورجوعهم به إلى أبيهم أمر مسلم غنى عن البيان وإنما المحتاج إليه جواب أبيهم (بل سولت) أي زينت وسهات وهو انشراح لا عن صريح كلامهم فأنهم صادقون في ذلك بل عما يشتمونه من ادعاء البراءة عن التسبب فيما نزل به وأنه لم يصدر عنهم ما يؤدي إلى ذلك من قول أو فعل كأنه قيل لم يكن الأمر كذلك بل زينت (أنكم أنفسكم أمراً) من الأمور فأنتموه يريد بذلك قبياحهم بأخذ السارق بسرقة (فصبر جميل) أي فأمرى صبر جميل أو فصبر جميل أجل (عسى الله أن يأتيهم جميعاً) يوسف وأخيه والمتوقف بمصر (أنه هو العليم) بحالهم وحالهم (الحكيم) الذي لم يتلقى إلا الحكمة بالغسة (وتولى) أي أعرض (عنهم) كراهة لما معهم (وقال يا أسنات على يوسف) الأسف أشد الحزن والحسرة إضافة إلى نفسه والالف بدل من الياء فتأداه أي يا أسنات تعال فهذا أو أنت وإنما أسف على يوسف مع أن الحادث مصيبة أخويه لأن رزاه كان قاعدة الارزاء غضا عنده وإن تقدم عهده أخذاً بجامع قلبه لا ينسأه ولأنه كان وانما يجيأتهم ما علموا بمكانهم ما طامعاً في إياهم ما وأما يوسف فلم يكن في شأنه ما يجرئ لسلطه رجائه سوى رجة الله تعالى وفضله وفي الخبر لم تعط أمة من الأمم أنا لله وأنا إليه راجعون الأئمة محمد عليه الصلاة والسلام ألا يرى إلى يعقوب حين أصابه ما أصابه لم يسترجع بل قال ما قال والتجائس بين لنظي الأسف ويوسف مما يزيد النظم الكريم بهجة كما في قوله عز وجل وهم ينهون عنه ويتأولون عنه وقوله أنا قلتم إلى الأرض أرضيتهم وقوله ثم كل من كل الثمرات ويشتك من سباب بني يئسين ونظائرهما (وايضت عيناه من الحزن) الموجب للبكاء فإن العبرة إذا كثرت محنت سواد العين وقابضته إلى بياض كدر قيل قد عي بصره وقيل كان يدرك أدرا كاضعيفا روى أنه ما جفت عيناه يعقوب من يوم فراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين عاماً وما على وجه الأرض أكرم على الله عز وجل من يعقوب عليه السلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عليه السلام ما بلغ من وجدي يعقوب عليه السلام على يوسف قال وجد سبعين ثم كلتي قال فما كان له من الأبر قال أكرم ما شهد وما ساء ظننه بالله ساعة قط وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند التواب فإن الكف عن ذلك عملاً لا يدخل تحت التكليف فانه قل من ذلك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده إبراهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا تقول ما يسخط الرب وأنا عليك يا إبراهيم لمحزونون وإنما الذي لا يجوز ما يقع له الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الخدود والصدد وزوشق الجيوب وتزريق الشياح وعن النبي عليه السلام أنه بكى على ولد بعض بنياته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وإنما نهيتكم عن صوتين أحجبت صوت عند الفرح وصوت عند الترح (فهو كظيم) مملوء من الغيظ على أولاده مما كان له في قلبه لا يظهره ففعل بمعنى منعول يدل على قوله تعالى وهو مظلوم من كظم السقاء إذا شده على ملته أو بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ

من كظم الغيظ اذا اجترعه وأصله كظم البعير جرته اذا رذها في جوفه (قالوا ان الله تنفأ) أي لا تنفأ ولا تزال
 (تذكر يوسف) تنفعا عليه فحذف حرف النفي كما في قوله فقلت عين الله أبرح فاعدا اعدم الاتياس بالاثبات
 فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات يكون على النفي البتة (حتى تكون حرضا) مريضاً مشفياً على الهلاك
 وقيل الحرض من اذابه هم أو مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع والنعت منه
 بالكسر كدنف وقد قرئ به وبضمين كنب وغرب (أو تكون من الهالكين) أي الميتين (قال انما اشكو بني)
 البت أصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فينبهه الى الناس أي ينشروه فكأنهم قالوا له ما قالوا بطريق التسلية
 والاشكاء فسال لهم اني لا أشكو ما بي اليكم أو الى غيركم حتى تصدقوا لتسليتي وانما اشكوهمي (وحزني الى
 الله) تعالى ملتجئاً الى جنبه متضرعاً الى يده في دفعه وقرئ بفتحين وضمين (وأعلم من الله ما لا تعلمون) من
 لطفه ورحمته فأرجو أن يرحمني ويلطف بي ولا ينجب رجائي أو أعلم وحياً أو الهاماً من جهته ما لا تعلمون من
 حياة يوسف قـيل رأى ملك الموت في المنام فسأله عنه فقـال هو حي وقـيل علم من رؤيا يوسف عليه السلام انه
 يسخر له أبوابه واخوته سجدوا (يا بني اذهبوا فتحسبوا) أي تعزفوا وهو فعل من الحس وقرئ بالجيم من الحس
 وهو الطلب أي تطلبوا (من يوسف وأخيه) أي من خبرهما ولم يذكر الثالث لأن غيبته اختيارية لا يعسر
 ازالها (ولما سوا من روح الله) لا تقتطعوا من فرجه وتنفيه وقرئ بضم الراء أي من رحمته التي يحيي بها
 العباد وهذا ارشاد لهم الى بعض ما أبيهم في قوله وأعلم من الله ما لا تعلمون ثم حذرهم عن ترك العمل بواجب
 نبيه بقوله (انه لا يئس من روح الله الا القوم الكافرون) اعدم علمهم بالله تعالى وصفاته فان العارف لا يقتطع
 في حال من الاحوال (فلما دخلوا عليه) أي على يوسف بعد ما رجعوا الى مصر بوجوب أمر أبيهم وانما
 لم يذكر ذلك ايذاناً بشارعتهم الى ما أمروا به واشعاراً بأن ذلك أمر محقق لا يشترط الى الذكر والبيان (قالوا
 يا هبة العزير) أي الملك القادر المتفجع (مسنوا وأهلنا الضر) الهزال من شدة الجوع (وجئنا بضاعة من جنة)
 مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقار لها من أزعجته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل
 كانت بضاعتهم من متاع الاعراب صوفاً ومننا وقيل الصنوبر ورحبة الخضراء وقيل سويق المثل والاقط
 وقيل دراهم زيوفا لا يؤخذ الا بوضيعة وانما قدّموا ذلك ليكون ذريعة الى اسعاف مرامهم يبعث الشفقة
 وهزل العطف والرأفة وتحريك سلسلة المرحمة ثم قالوا (وأوف لنا الكيل) أي أقمه لنا (وتصدق علينا) برزق
 أخينا البينا قاله النخلة وابن جرير وهو الانب بجهالهم نظرا الى أمر أبيهم أو بالايضاة أو بالمساحة وقبول
 المزجاة أو بالزيادة على ما يابوهم تفضلاً وانما سمعوا تصدقوا فاضعاً وأرادوا التصديق فوق ما يعطيهم بالتمن
 بناء على اختصاص حرمة الصدقة بيننا عليه الصلاة والسلام واعمالهم يدوياً بما أمروا به استنجالاً بالرأفة
 والشفقة ليعتدوا بما قدّموا من رقة الخال رقة القلب والخنوق على أن ما ساقوه كلام ذو وجهين فان قولهم
 وتصدق علينا (ان الله يجزي المتصدقين) يحتمل الحمل على الحملين فلعله عليه السلام حله على الحمل الاول
 ولذلك (قال) مجيباً عما عرضوا به وضمنوه كلامهم من طلب رد أخيهـم (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه)
 وكان الظاهر أن يعرض لما فعلوا بأخيه فقط وانما تعرض لما فعلوا بيوسف لاشتراكهما في وقوع الفعل
 عليهما فان المراد بذلك افرادهم له عن يوسف واذلاله بذلك حتى كان لا يستطيع أن يكلمهم الا بجز وذلة أي هل
 تبتم عن ذلك بعد علمكم بشيخه فهو سؤال عن المزموم والمراد لازمه (ادأنتم جاهلون) بتبعه فلذلك أقدمتم على
 ذلك أو جاهلون عاقبته وانما قاله ليعلمهم وتحريراً على التوبة وشفقة عليهم لما رأى عجزهم وتمسكهم لامعابته
 وتثريباً ويجوز أن يكون هذا الكلام منه عليه السلام منقطعاً عن كلامهم وتنبههم اليهم على ما هو حقهم
 ووظيفتهم من الاعراض عن جميع المطالب والمتمعض في طلب بنيامين بل يجوز أن يتف عليه السلام بطريق
 الوحى أو الاهام على وصية أبيه وارساله اليهم للتجسس منه ومن أخيه فلما رأهم قد اشتغلوا عن ذلك قال
 ما قال وقيل أعطوه كتاب يعثوب عليه السلام وقد كتب فيه كتاب من يعثوب امرائيل الله بن اسحق
 ذبح الله بن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر أما بعد فانما أهل بيت موكل بنا اليه لئلا أتما جدى فشذت يداه
 ورجلاه فرمى به في النار فحياء الله تعالى وجعلت النار له برداً وسلاماً أما أبي فوضع السكين على قفاه ليقتل
 فندم الله تعالى وأتما ما لم يكن لي ابن وكان أحب أولادى الى فذهب به اخوته الى البرية ثم أتوني بقميصه

ملطخا بالدم فتسألوا قدأ كله الذئب فذهبت عنه أي من يكأى عليه ثم كان لي ابن وكان أخاه من اشمو كذته
 انسل به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته وانك اهل بيت لا تسرق ولا تفسد سارقا فان ردته على
 والادعرت عليك دعوة ندرتك السابع من ولدك والسلام فلما قرأ لم يملك وعيل صبره فقال لهم ما قال وقيل
 لما قرأه بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا وتظفركم نظفروا (قالوا انك لانت يوسف) استشفها ثم تقرر ولذلك
 اكذوبه بان واللام قالوه استغرابا وتنجبا وقرئ انك بالذي يجب قيل عرفوه بروائه وشماله حين كلمهم به وقيل تبسم
 فعرفوه بنياه وقيل رفع الحاج عن رأسه فأرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكان اسارته ودعوة بيه مثلهما
 وقرئ اثنت اثنت يوسف على معنى اثنت يوسف او انت يوسف فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وفيه زيادة
 استغراب (قال أنا يوسف) جوابا عن مسئلتهم وقد زاد عليه قوله (وهذا اخي) أي من أبوى مبالغة في تعريف
 نفسه ونفعها لسان أخيه وتكملة لما أفاده قوله هل علمت ما فعلتم يوسف واخيه حسبا بقدمه قوله (قدم من الله
 علينا) فكانه قال هل علمت ما فعلتم بشان التفریق والاذلال فاما يوسف وهذا أخي قدم من الله علينا بالخلاص
 عما ابتلينا به والاجتماع بعد الفارقة والعز بعد الذلة والانس بعد الوحشة ولا يمدأ أن يكون فيه إشارة
 الى الجواب عن طلبهم لرد بنيا من بأنه أخي لأخوكم فلا وجه لطلبكم ثم علل ذلك بطريق الاستئناف التعاليل
 بقوله (انه من يتي) أي يفعل التقوى في جميع أحواله اوبن نفسه عما يوجب حفظ الله تعالى وعذابه (وبصبر)
 على المحن او على مشقة الطاعات او عن المعاصي التي تستلذها النفس (فان الله لا يضيع أجر المحسنين)
 أي اجرهم وانما وضع المظهر موضع المشر تبنيها على أن المنعوتين بالتقوى والصبر ووصفون بالاحسان
 (قالوا والله لندأ ثرك الله علينا) اختاروا وفضلوا علينا بما عاذ كرت من النعوت الجليله (وان كانا) وان الشأن كانا
 (لخاصين) لمتعمدين للذئب اذ فعلنا ما فعلنا ولذلك أعزك وأذلنا وفيه اشعار بالتوبة والاستغفار ولذلك
 (قال لا تريب) أي لا تعتب ولا تأنيب (عليكم) وهو تفعيل من الترب وهو الشعم الغاشي للكرشم ومعناه
 ازالته كما أن التجديد ازالة الجلد والتقريع ازالة الترع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال فضر به مثلا
 للتقريع الذي يذهب بهما الوجه وقوله عز وعلا (اليوم) منصوب بالتريب او بالمقدّر خير اللا أي لا تريبكم
 او لا تريب مستقر عليكم اليوم الذي هو مظنة له فحافظكم بسائر الايام او بقوله (يقدر الله لكم) لانه حينئذ
 صفيح عن جرمهم وعساعن جرمهم بما فعلوا من التوبة (وهو أرحم الراحمين) يغفر الصغائر والكبائر ويقتل
 على السائب بالقبول ومن كرمه عليه الصلاة والسلام أن اخوته ارسلوا اليه انك تدعوننا الى طعامك بكره
 وعشيا ونحن نستحي منك بما فرط منافيك فتسال عليه الصلاة والسلام ان أهل مصر وان ملكك فهم كانوا
 ينظرون الى يالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبد اربع عشر من دراهم ما بلغ ولتدشرفت بكم الآن
 وعملت في العيون حيث علم الناس أنكم اخوتي وأني من حنفدة ابراهيم عليه الصلاة والسلام (اذ هو وابنه يحيى
 هذا) قبل هو الذي كان عليه حينئذ وقيل هو القميص المتوارث الذي كان في التعويذ أمره جبريل بإرساله اليه
 وأوحى اليه أن في ربيع الجنة لا يقيم على ميتي الاعوق (فالتوه على وجه ابى يأت بصيرا) يكن بصيرا او يأت الى
 بصيرا ويستره قوله (واتوفى بأهلكم اجمعين) أي بأبي وغيره ممن ينقطع لفظ الاهل جميعا من النساء والذراري
 قبل انما حمل القميص يوم وذا قال انا آخرته يحمل القميص ملطخا بالدم اليه فآخرته كما آخرته وقيل جده وهو
 حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا (ولما فصلت العير) خرجت من عريش مصر يقال
 فصل من البلد فصلا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرأ ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انفصل العير (قال
 أبوهم) يعثوب عليه الصلاة والسلام ان عنده (أخي لا جد ربيع يوسف) اوجده الله سبحانه ما عبق بالتميم
 من ربيع يوسف من ثمانين فرسخا حين أقبل به حوذا (لولا ان تفتدون) أي تتسببونني الى القند وهو الخرف
 وانكار العقل وفساد الرأي من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة اذ لم تكن في شبابه اذات رأى
 فتفتد في كبرها وجواب لولا محذوف أي لست فتدوني (قالوا) أي الحاضرون عنده (تالله انك لفي صلاتك
 القديم) لني ذهابك عن الصواب فدما في اقراط محبتك يوسف والهيك بك كره ورجائك للقائه وكان عندهم أنه
 قدم مات (فلما ان جاء البشير) وهو يهوذا (ألقاه) أي ألقى البشير القميص (على وجهه) أي وجهه يعثوب

قوله أوجده الخ أي جعله
 واجدا اه

والقاء يعقوب على وجه نفسه (فارتد) عاد (بصرى) لما اتعش فيه من القوة (قال ألم أقل لكم) يعنى قوله انى لا جدريح يوسف فان الخطاب بان كان عنده بكنعان أو قوله ولا تياسوا من روح الله فان الخطاب لبنيه وهو الانسب بقوله (انى أعلم من الله ما لا تعلمون) فان مدار التمسك المذكور انما هو العلم الذى اوفى يعقوب من جهة الله سبحانه وعلى هذا يجوز ان يكون هذا مقول القول أى ألم أقل لكم حين ارسلتكم الى مصر وامر تكلم بالتمسك ونهيتكم عن الياس من روح الله تعالى وأعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف عليه الصلاة والسلام روى انه سأل البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر قال ما أصنع بالملك على أى دين تركته قال على دين الاسلام قال الان قت النعمة (قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا اننا كنا خاطئين) ومن حق من اعترف بذنبه أن يصقع عنه ويسبغ غفرله فكانهم كانوا على شئ من عفوهم عليه الصلاة والسلام ولذلك اقتصر واعلى استدعاء الاستغفار او ادرجوا ذلك فى الاستغفار (قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم) وهذا مقرر بعفوهم قبل آخر الاستغفار الى وقت السحر وقبل الى ليلة الجمعة ليتحرى به وقت الاجابة وقيل آخره الى أن يستحل لهم من يوسف عليه الصلاة والسلام او يعلم أنه قد عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة وبعضه أنه روى عنه أنه استقبل القبلة قائما يدعوا وقام يوسف خلقه يؤمن وقاموا خافهم ما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهنمهم وظنوا انهم الهلكة نزل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال ان الله قد اجاب دعوتك فى ولدك وعقد موثيقهم بعدك على النبوة فان صح ثبت نبوتهم وان ما صدر عنهم اغما صدر قبل الاستنباء وقيل المراد بالاستقرار على الدعاء فقد روى أنه كان يستغفر كل ليلة جمعة فى نيف وعشرين سنة وقيل عام الى الصلاة فى وقت السحر فلما فرغ رفع يديه فقال اللهم اغفر لى جزى على يوسف وقلة حسبرى عنه واغفر لولدى ما اؤوا الى أخيه فآوى الله اليه ان الله قد غفر لك ولهم أجمعين (فلما دخلوا على يوسف) روى أنه وجه يوسف الى آية جهازا وماتى راحلة ليتجهز اليه بمن معه فاستقبله يوسف والملك فى أربعة آلاف من الهند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم فقلقوا يعقوب عليه الصلاة والسلام وهو عيش متوكتلا على يهودا فانتظر الى الخيل والناس فقال يا يهودا اهذا فرعون مصر قال لا بل ولدك طلاقه قال عليه الصلاة والسلام السلام عليك يا مذهب الاسزان وقيل قال له يوسف يا ايت بكى على حق ذهب بصرى ألم تعلم أن القيامة تجتمع معنا فقال بلى ولكنى خشيت أن يلبس دينك فيصالح بينى وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون مابين رجل وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهجرى وكانت الذرية ألف ألف ومائتى ألف (أوى اليه أبويه) أى أباه وخالته وتنزل بها منزلة الامم كتنازل الم منزلة الاب فى قوله عز وجل والى اباك ابراهيم واسماعيل واسحق اولاد يعقوب عليه الصلاة والسلام تزوجها بعد أمته وقال الحسن وابن اصبغ كانت أمته فى الحياة فلا حاجة الى التأويل ومعنى أوى اليه ضمهما اليه واعتنقهما وكأنه عليه الصلاة والسلام ضرب فى الملقى مضربا فنزل فيه فدخلوا عليه فآواهما اليه (وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين) من التذائد والذكارة قاطبة والمشيئة متعاقبة بالدخول على الامن (ورفع أبويه) عند نزولهم مصر (على العرش) على السرير تكرمهم الله ما فوق ما فعله لآخوته (ونزلوا) أى أبواه وأخوته (صعدا) نصية فانه كان السجود عندهم جارية مجرى النخبة والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد وتجوها من عادات الناس الفاشية فى التعظيم والتوقير وقيل ما كان ذلك الا انخفاء دون تعفير الجباه وبأباهم الخرورج وقيل نزلوا لاجله سجد الله شكرا ويرده قوله تعالى (وقال يا ايت هذا أنا وبلى رؤياى) التى رأىها وقصتها عليك (من قبل) فى زمن الصبا (قد جعلها ربى حقا) صدقا واقعا بعينه والاعتذار بجعل يوسف بمنزلة القبلة وجعل اللام كما فى قوله أليس اول من صلى لقبلكم تعسف لا يحنى وتأخير عن الرفع على العرش ايسر يخص فى ذلك لان الترتيب الذى لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعى فلمل تأخير عنه ليصل به ذكر كونه تعبير الرؤيا وما يصل به من قوله (وقد أحسن بى) المشهور استعمال الاحسان بالى وقد يستعمل بالبا أيضا كما فى قوله عز اسمه وبالوالدين احسانا وقيل هذا ابتغين لطف وهو الاحسان الخفى كما يؤذن به قوله تعالى ان ربى لطيف خبير لما يشاء وفيه فائدة لا تخفى أى لطف بى محسنا الى غير هذا الاحسان (اذا أخرجنى

من السجن) بعدما ابلت به ولم يصرح بقصة الحب - حسدا رامن تريب اخوته لان الظاهر حضورهم لوقوع
 الكلام عقيب خروجهم سجدا واكتفاء بما يتضمنه قوله تعالى (وجاء بكم من البدو) اي البادية (من بعد ان نزع
 الشيطان بني وبين اخوتي) أي أفسد منها بالاغواء وأصله من نخس الرائض الدابة وجلها على الجري يقال
 نزغته ونزغته اذا نخسه ولقد بالغ عليه الصلاة والسلام في الاحسان حيث اسند ذلك الى الشيطان
 (ان ربي لطيف لما يشاء) أي لطيف التدبير لا يجعل رفيق حتى يجي على وجه الحكمة والصواب ما من صعب الا
 وهو بالنسبة الى تدبيره سهل (انه هو العليم) بوجوه المصالح (الحكيم) الذي يفعل كل شيء على قضية الحكمة
 روى أن يوسف اخذ بيد يعقوب عليه الصلاة والسلام فطاف به في خزائنه فأدخله في خزائن الورق والذهب
 وخزائن الخلي - وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما أدخله خزائن القراطين قال يا بني ما عقلت عندك
 هذه القراطين وما كتبت الى - على غائي مر احل قال أمرني جبريل قال او ما تسأله قال أنت ابسط اليه متى
 فسأله قال جبريل الله تعالى امرني بذلك اقولك أخاف أن يأكله الذئب قال فهلا خفتي وروى أن يعقوب
 عليه الصلاة والسلام اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشام الى جنب أبيه اسحق فخطى
 بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد الى مصر وعاش بعده أبيه ثلاثا وعشرين سنة فلما تم أمره وعلم أنه لا يدوم له ناقت نفسه
 الى الملك الدائم الخالد فتن الموت فقال (رب قد آتيتني من الملك) أي بعصامته عظيما وهو ملك مصر (وعلمتني
 من تأويل الاحاديث) أي بعضا من ذلك كذلك ان اريد بتعليم تأويل الاحاديث تفهيم غوامض أسرار الكتب
 الالهية ودقائق سنن الانبياء عليهم الصلاة والسلام فالترتيب ظاهر وأما ان اريد به تعليم تعبير الروايات كما هو الظاهر
 فلمل تقديم آيتاء الملك عليه في الذكر لانه مقام تعدد النعم القاضية عليه من الله سبحانه والملك أعرق في كونه
 نعمة من التعليم المذكور وان كان ذلك أيضا نعمة جليلة في نفسه ولا يمكن تشبيه هذا الاعتذار فيما سبق
 لاق التعليم هنالك وارد على نهج العلة الغائية للفكين فان حل على معنى التملك لم تأخره عنه وأما الواقع ههنا
 فمجرد التأخير في الذكر والعطف بجرف الواو ولا يستدعي ذلك الترتيب في الوجود (فاطر السموات والارض)
 سبدهم ما وخالقهم ما نصب على أنه صفة للمنادي أو منادى آخر وصفه تعالى به بعد وصفه بالربوبية بمبالغة في
 ترتيب مبادئ ما يعقبه من قوله (أنت واني) مالك أمورى (في الدنيا والاخرة) أو الذي يتولاني بالنعمة فيهما
 واذ قد أتممت على نعمة الدنيا (توفقي) اقضني (مسما وألحقني بالصالحين) من آياتي اوبعامة الصالحين
 في الرتبة والكرامة فانما تتم النعمة بذلك قيل لما دعا توفاه الله عز وجل طيبا طاهرا فاختصاص أهل مصر في دفنه
 وتشاؤوا في ذلك حتى هموا بالقتال فرأوا أن يصنعوا له تابوتا من مرمر فجعلوه فيه ودفنوه في النيل ليرى عليه
 ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا واحدا في التبر لثبته وولده أفراهيم وميثا ولا فراهيم نون ونون يوشع فقي موسى
 عليه الصلاة والسلام واقد توارثت القراينة من العمالة بعده مصر ولم يزل بنو اسرائيل تحت أيديهم على
 بقايا دين يوسف وآبائه الى أن بعث الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام (ذات) إشارة الى ما سبق من نبأ
 يوسف وما فيه من معنى البعد لما مر من الدلالة على بعد منزلته او كونه بالانقضاء في حكم البعيد والخطاب
 للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ خبره (من انبياء الغيب) الذي لا يحوم حوله أحد وقوله (نوحيه اليك)
 خبر بعد خبر أو حال من التمهيد في الخبر ويجوز أن يكون ذلك اسما موصولا ومن انبياء الغيب صلته ويكون الخبر
 نوحيه اليك (وما كنت لديهم) يريد اخوة يوسف عليه الصلاة والسلام (اذ أجعوا أمرهم) وهو جعلهم اياما
 في غيابة الحب (وهم يكررون) به ويثبون له الغوائل حتى تقف على ظواهر أمرهم وبواطنها وتطلع على
 سر أمرهم طرا وتحيط بما لديهم خبرا وليس المراد مجرد تنفي حضوره عليه الصلاة والسلام في مشهد اجماعهم
 ومكرهم فقط بل في سائر المشاهد أيضا وانما تخصيصه بالذكر لكونه مطلع القصة وأخفى أحوالها كما ينبغي عنه
 قوله وهم يكررون والخطاب وان كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكن المراد الزام المكذبين والمعنى ذلك
 من انبياء الغيب نوحيه اليك اذ لا سبيل الى معرفتك ايام سوى ذلك اذ عدم معاك ذلك من الغير وعدم
 مطالعتك للكتب أمر لا يشك فيه المكذبون أيضا ولم تكن بين ظهراينهم عند وقوع الامر حتى تعرفه
 كما هو فتبلغه اليهم وفيه تمسككم بالكفار فكانهم يشكون في ذلك فيسددف شكهم وفيه أيضا ايدان بأن ما ذكر

من التباهوا الحق المطابق للواقع وما ينقله أهل الكتاب ليس على ما هو عليه يعني أن مثل هذا التحقيق بلا وحي
لا يصور إلا بالحضور والمشاهدة وإذا ليس ذلك بالحضور فهو بالوحي ومثله قوله تعالى وما كنت لديهم إذ يلقون
أقلامهم أيهم يكفل مريم وقوله وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر (وما أكثر الناس)
يريد به العموم أو أهل مكة (ولو حرمت) أي على إيمانهم وبالف في إظهار الآيات الفاطمة الدالة على صدقك
(بمؤمنين) لتصميمهم على الكفر واسرارهم على العناد روى أن اليهود وقرىثا المسألو عن قصة يوسف
وعدا أن يسألوا فلما أخبرهم بها على موافقة التوراة فلم يسموا حزن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له ذلك
(وما تسألهم عليه) أي على الأنبياء أو على القرآن (من أيبر) من جعل كما يفعله جملة الأخبار (أن هو الأذكر)
عظة من الله تعالى (للعالمين) كافة لأن ذلك مختص بهم (وكاين من آية) أي كأي عدد شئت من الآيات
والعلامات الدالة على وجود السانع ووحدته وكماله علمه وقدرته وحكمته غير هذه الآية التي جئت بها
(في السموات والأرض) أي كائنة فيهما من الأجرام الفلكية وما فيها من النجوم وتغير أحوالها ومن الجبال
والبحار وسائر ما في الأرض من البحار التي تفيض في البحر (يعزرون عليها) أي يشاهدونها ولا يعبئون بها وقرئ
برفع الأرض على الأبداء ويعزرون خبره وقرئ بنصبها على معنى وبطون الأرض يعزرون عليها وفي مصحف عبد الله
والأرض يعشرون عليها والمراد ما يرون فيها من آثار الأمم الهالكة وغير ذلك من الآيات والمعبر (وهم عنها
معرضون) غير ناظرين إليها ولا متفكرين فيها (وما يؤمن أكثرهم بالله) في إقرارهم بوجوده وخالقته
(الآلوه مشركون) بعبادتهم لغيره أو باتخاذهم الأجناس والربان إربابا أو بشوكلهم باتخاذهم تعالى ولدا سبحانه
وتعالى عن ذلك علوا كبيرا أو بالنور والظلمة وهي جملة خالصة أي لا يؤمن أكثرهم إلا في حال شركهم قبل نزلت
الآية في أهل مكة وقيل في المنافقين وقيل في أهل الكتاب (فأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله) أي
عقوبة تغشاهم وتشلهم (أتأتيتهم الساعة بغتة) فجأة من غير سابقة علامة (وهم لا يشعرون) باتيانها
غير مستعدين لها (قل هذه سبيلي) وهي الدعوة إلى التوحيد والإيمان بالآخرة والخلص وقسرها بقوله
(أدعوا إلى الله على بصيرة) بيان وجهة واضحة غير غميا وهي حال من الضمير في سبيلي والاعمال فيها معنى الإشارة
(إنا) تأكيد للمستكن في أدعوا وعلى بصيرة لأنه سال منه أو مبتدأ خبره على بصيرة (ومن اتبعني) عطف عليه
(وسبحان الله وما آمن المشرئين) مؤكدا لما سبق من الدعوة إلى الله (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا)
وذلك لأنهم لو شاء الله لازل ملائكة (نوحى إليهم) كما أوحينا إليك وقرئ بالياء (من أهل القرى) لأنهم
أعلم وأحل وأهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والفسوة (أفلم يروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم) من المكذبين بالرسول والآيات فيحذروا ويتكذّبوا (ولدار الآخرة) أي الساعة والحياة
الآخرة (خير للذين آمنوا) التبرك والمعاصي (أفلا تعقلون) فتستعملوا عقولكم لتعرفوا خبرية دار الآخرة
وقرئ بالياء على أنه غير داخل تحت قل (حتى إذا استأيس الرسل) غاية تهذوف دل عليه السياق أي لا يغتر بهم
تعدادهم فيما هم فيه من المدعة والرخاء فإن من قبلهم قد أمهلوا حتى أيس الرسل عن النصرة عليهم في الدنيا وعن
إيمانهم لأنهم ما كذبوا في الكفر وعنادهم في الطغيان من غير وازع (وظنوا أنهم قد كذبوا) كذبهم أنفسهم
حين حدثتهم بأنهم ينصرون عليهم أو كذبهم رجاؤهم فأنه يوصف بالصدق والكذب والمعنى أن مدة التكذيب
والعداوة من الكفار وانظار النصرة من الله تعالى قد تطاوت وتعدت حتى استشعروا القنوط ونوهموا
أن لا نصرة لهم في الدنيا (جاءهم نصرنا) فجأة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وظنوا أنهم قد أخفقوا
ما وعدهم الله من النصر فإن صح ذلك عنه فله أن أراد بالظن ما يخطر بالبال من شبه الوسوسة وحديث النفس
وانعاصر عنه بالظن ثم لا للخطب وأما الظن الذي هو ترجيح أحد الجانبين على الآخر فلا يتصور ذلك من أحد
الامة فباطل بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وهم وميزانهم في معرفة شؤون الله سبحانه منزلتهم وقيل الضمير
للمرسل إليهم وقيل الأول لهم والثاني للرسول وقرئ بالياء شديدا أي ظن الرسل أن القوم كذبواهم فيما وعدوهم
وقرئ بالخفض على بناء الفاعل على أن الضمير للرسول أي ظنوا أنهم كذبوا عند قومهم فيما حذروا به لما تراضوا
عندهم ولم يروا له أثرا أو على أن الأول لقومهم (فجى من نساء) هم الرسل والمؤمنون بهم وقرئ فنجي على النسخة

المستقبل بالتخفيف والتشديد وقرئ فيها (ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) إذا نزل بهم وفيه بيان لمن تعاقبهم المشيئة (لقد كان في قصصهم) أي قصص الأنبياء وأممهم ونصيرهم قراءة من قرأ بكسر القاف أو قسص يوسف وأخوته (عبرة لأولي الألباب) لذوي العقول المبرأة عن شوائب أحكام الحس (ما كان) أي القرآن المدلول عليه بما سبق دلالة واضحة (حديثاً يفترى ولكن) كان (تصديق الذي بين يديه) من الكتب السماوية وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي ولكن هو تصديق الذي بين يديه (ونهـ صـ يـ لـ كل شئ) مما يحتاج إليه في الدين إذ ما من أمر ديني إلا وهو يستند إلى القرآن بالذات أو بوسط (وهدي) من الضلالة (ورجـه) ينال بها خير الدارين (اقوم يؤمنون) أي بصديقونه لأنهم المنتفعون به وأما من عداهم فلا يهتدون به داء ولا ينتفعون بحجده واهـ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علواً الرقاءكم سورة يوسف فإنه إمام علم تلاحها وعلمها أهلها وما ملكت يمينه هو أن الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا يحدد مسلمان

• (سورة الرعد مدنية وقيل مكية الاقوله ويقول الذين كفروا الآية وآتهم اخس وأربعون) •

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) اسم للسورة ومحلها الرقع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هذه السورة مسماة بهذا الاسم وهو أظهر من الرفع على الابتداء إذ لم يسبق العلم بالتسمية كما مر مراراً وقوله تعالى (تلك) على الوجه الأول مبتدأ مستقل وعلى الوجه الثاني مبتدأ ثان أو بدل من الأول أشير به إليه أيذا نابغضتمته وأما النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اقرأ أو اذكر فذلك مبتدأ كما إذا جعل المر مسروداً على غطاء تعديداً ويعنى أنا الله أعلم وأرى على ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما والخبر على التقادير قوله تعالى (آيات الكتاب) أي الكتاب العجيب الكامل الغني عن الوصف به المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به فهو عبارة عن جميع القرآن أو عن الجميع المنزل حينئذ حسب ما مر في مطلع سورة يونس أذهوا المتبادر من مطلق الكتاب المستغنى عن التعريف به يظهر ما يريد من وصف الآيات بوصف ما ضيفت إليه من نعوت البكمال بخلاف ما إذا جعل عبارة عن السورة فإنها ليست بتلك المثابة من الشهرة في الانصاف بذلك المغنية عن التصریح بالوصف على أنها عبارة عن جميع آياتها فلا بد من جعل تلك الإشارة إلى كل واحدة منها وفيه ما لا يخفى من التعريف الذي مر تفصيله في سورة يونس (والذي أنزل اليك من ربك) أي الكتاب المذكور بكامله لهذه السورة وحدها (الحق) الثابت المطابق للواقع في كل مناطق به التحقيق بأن يخص به الحقيقة لمرافقة فيها وليس فيه ما يدل على أن ما عداها ليس بحق أصل على أن حقيقته مستتبعة لحقيقة سائر الكتب السماوية لكونه مصداقاً لما بين يديه ومهيئاً عليه وفي التعبير عنه بالموصول والسناد الانزال إليه بصيغة المبني للمفعول والتعرض لوصف الربوبية مضافاً إلى خبره عليه السلام من الدلالة على غفامة المنزل التابعة لخللة شأن المنزل وتشريف المنزل إليه والأياء إلى وجه بناء الخبر ما لا يخفى (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) بذلك الحق المبين لاختلاصهم بالنظر والتأمل فيه فعدم إيمانهم متعلق بعنوان حقيقته لأنه المرجع للتصديق والتكذيب لا بعنوان كونه منزلاً كما قيل ولأنه وارد على طريقة الوصف دون الاخبار (الله الذي رفع السموات) أي خلقهن مرتفعات على طريقة قواهم سبحانه من كبر الفضل وصغر البعوض لانه رفعهما بعد أن لم تكن كذلك والجملة مبتدأ وخبر كقوله وهو الذي مد الأرض (بغير عمد) أي بغير دعائم جمع عماد كأهاب وأهـ وهو ما بعده أي يستند يقال عمدت الحائط أي أدمته وقرئ عمد على جمع عود بمعنى عماد كرسول ورسول وأراد بصيغة الجمع لجمع السموات لأن المنفى عن كل واحدة منها عمد لا عمد (ترونها) استئناف استشهاده على ما ذكر من رفع السموات بغير عمد وقبل صفة لعمد جى بها أيها ما لان لها عمد أغبر مرمية هي قدرة الله تعالى (ثم استوى) أي استولى (على العرش) بالحنظ والتدبير واستوى أمره وعن اصحابنا أن الاستواء على العرش صفة لله عز وجل بلا كيف وأما كان فليس المراد به التقصيد إلى إيجاد العرش وخلقها فلا حاجة إلى جعل كلمة ثم للتراخي في الرتبة (وسبح الرحمن والشمس والقمر) ذلهم ما وجعلهم طائعتين لما يريد منهما من الحركات وغيرها (كل) من الشمس والقمر (يجرى) حسبما يريد منهما (لأجل) مسعى لمدة معينة فيها تتم دورته كالسنة للشمس والشهر للقمر فإن كلا منهما يجري كل يوم على مداره معين

من المدارات اليومية أو لمدة ينتهي فيها حركاتها ويخرج جميع ما يريد منها من القوة إلى الفعل أو لفائدة
 يتم عندها ذلك والجملة بيان حكم نصيرهما (يدبر) بما صنع من الرفع والاستواء والنصير أي يقضي ويستدبر
 حكمة تقضيه الحكمة والمصلحة (الامر) امر الخلق كله وأمر ملكوته ورجوته (يفصل الآيات)
 المدالة على كمال قدرته وبالغ حكمته أي يأتي بها مفصلة وهي ما ذكر من الأفعال المحيية وما ينالها من الأوضاع
 الفلكية الخادمة شأفاً المستبعدة لآثار الفريسة في السفليات على موجب التدبير والتقدير فالجملتان
 أما حالان من ضمير استوى وقوله وحضر الشمس والقمر من جهة الاستواء واتناء فسر تأنه أو الأولى حال منه
 والثانية من الضمير فيها أو كلاهما من ضمير الأفعال المذكورة وقوله كل يجري لأجل مسمى من جهة
 النصير أو خبران عن قوله الله خبراً بعد خبر والموصول مضافة للمبتدأ أي به للدلالة على تحقيق الخبر وتعظيم
 شأنه كما في قول القرزقي

ان الذي سمك السماء في لنا * يتادعائه اعز وأطول

(المحكم) عند معايتسكم لها وعشوركم على تفاصيلها (بأنها ربكم) بملاقاتها للجزء (نوتون) فإن
 من تدبرها حق التدبر أرى أن من قدر على ابداع هذه الصنائع البديعة على كل شيء وقدر وأن لهذه التدبيرات
 المتينة عواقب وغايات لا بد من وصولها وقد بينت على السنة الانبياء عليهم السلام أن ذلك ابتلاء المكلفين
 ثم جزاؤهم حسب أعمالهم فاذن لا بد من الايقان بالجزاء وما يقرر الشواهد العلوية أردفها بذلك الدلائل
 السفلية فضال (وهو الذي مد الأرض) أي بسطها طولاً وعرضاً قال الاصم المذهب والسط إلى ما لا يدرك
 منتهاء فضيه دلالة على بعد مداها وسعة أقطارها (وجعل فيها رواسي) أي جبالاً ثوابت في أحيازها من
 الرسو وهي ثبات الأجسام الثقيلة ولم يذكر الموصوف لا غنى مغلبة الوصف بها عن ذلك وانحصار مجي
 قواعل جماعها على في قوارس وهو الكونواكس انما هو في صفات العتلاء وأما في غيرهم فلا يراعى ذلك
 اصلاً كما في قوله تعالى أيا ما معدودات وقوله الخ أشهر معلومات إلى غير ذلك فلا حاجة إلى أن يجعل مفرداتها
 صفة لجمع القلة أي اجبالاً ويعبر في جمع الكثرة أي جبالاً لا انتظامها الطائفة من جوع القلة وتزبد كل منها
 منزلة مفرداتها كما قيل على أنه لا مجال لذلك فان جمعية كل من صفتي الجمع انما هي باعتبار الأفراد التي
 تحتها لا باعتبار انتظام جمع القلة للأفراد وجمع القلة لجمع جبال لأن جبالاً جمع
 اجبال كما أن طوائف جمع طائفة ولا إلى أن يتجأ إلى جعل الوصف المذكور بالغلبة في عداد الاسماء التي
 تجمع على فواعل كما نطق على أنه لا وجه له لما أن الغلبة انما هي في الجمع دون المفرد والتعبير عن الجبال بهذا
 العنوان لبيان تفرع قرار الأرض على ثباتها (وانهارا) مجاري واسعة والمراد ما يجري فيها من المياه
 وفي نظمها مع الجبال في معمولة فعل واحد إشارة إلى أن الجبال منشأ للنهار ويان أيضاً لغير الجبال
 غير كونها حافظة للأرض عن الاضطراب الخلل بثبات الاقدام وتقلب الحيوان متفرعة على تمكنه وتقلبه
 وهي تعبث بالماء والكلا (ومن كل الثمرات) متعلق بجعل في قوله تعالى (جعل فيها رواسي اثنتين)
 أي اثنية حقيقة وهما الفردان اللذان كل منهما زوج الاثني وكذا الزوجين لثلاثتهم أن المراد
 بذلك الشفعان اذ يطلق الزوج على المجموع ولكن اثنية ذلك اثنية اعتبارية أي جعل من كل نوع من أنواع
 الثمرات الموجودة في الدنيا ضربين وصفين اثنان اللون كالأبيض والأسود أو في الطعم كالالحل والحامض
 أو في القدر كالصغير والكبير أو في الكيفية كالخار والبارد وما أشبه ذلك ويجوز أن يتعلق بجعل الأقل
 ويكون الثاني استقنا فالبيان كيفية ذلك الجعل (يعني الليل والنهار) استعارة تبعية تمثيلية مبنية على
 تشبيه إزالة نور النهار بالظلمة بغطية الأشياء الظاهرة بالاعطية أي بستر النهار بالليل والتركيب وان احتمل
 العكس أيضاً الجعل على تقديم المفعول الثاني على الأول فان ضوء النهار أيضاً سائر لظلمة الليل لأن الأنسب
 بالليل أن يكون هو الثاني وعدة هذا في تضاعيف الآيات السفلية وان كان تعلقه بالآيات العلوية ظاهراً
 باعتبار أن ظهوره في الأرض فان الليل انما هو ظاهراً وفيما فوق موقع ظلال الليل اصلاً ولان الليل والنهار لهما
 تعلق بالثمرات من حيث المقد والاضاح على انهما أيضاً زوجان متقابلان مثلها وقرئ بفشي من التغشية
 (ان في ذلك) أي فيما ذكر من مد الأرض وابتدائها بالرواسي واجراء الانهار وخلق الثمرات واغشاء

قوله أن ذلك الخ يدل من ضمير
 العواقب والغايات في قوله
 ينت بطريق التفسير ٨١

الليل النهار وفي الإشارة بذلك تنبيه على عظيم شأن المشار إليه في باب (لايات) باهرة وهي آثار تلك
 الأفاعيل البديعة جلت حكمة صناعتها في على معناها فان تلك الآثار مستقرة في تلك الأفاعيل منوطة
 به ويجوز أن يشار بذلك الى تلك الآثار المملوول عليهم ما ينسلك الأفاعيل في تجريدية (لقوم يتفكرون) فان
 المتفكر فيها يؤدي الى الحكم بأن تكوين كل من ذلك على هذا النمط الرائق والاسلوب اللائق لا بد له من مكنون
 قادر حكم يفعل ما يشاء ويختار ما يريد لا معقب لحكمه وهو الحميد المجيد (وفي الأرض قطع) جملة
 مستأنفة مشتملة على طائفة أخرى من الآيات أي بقاع كثيرة مختلفة في الأوصاف فن طيبة الى سخنة وكرية
 الى زهيدة وصلبة الى رخوة الى غير ذلك (متجاورات) أي متلاصقات وفي بعض المصاحف قطعاً
 متجاورات أي جعل في الأرض قطعاً (وجنات من اعناب) أي بساكنين حكثيرة منها (وررع) من
 كل نوع من أنواع الملبوب واغراضه لمراعاة أصله ولعل تقديم ذكر الجنات عليه مع كونه عمود المعاش
 لظهور حالها في اختلافها ومباينتها لسايرها وورسوخ ذلك فيها وتأخير قوله تعالى (وتخيل) لتلايق بينها
 وبين صفتها وهي قوله تعالى (صنوان وغير صنوان) فاصلة والصنوان جمع صنو كقنوان وقنوان وهي الخلعة
 التي لها رأسان وأصلها واحد وقرئ بضم الصاد على لغة بني عيم وقرئ جنات بالنصب عطفاً على زوجين
 وبالجر على كل الثمرات فاعل عدم نظم قوله تعالى وفي الأرض قطع متجاورات في هذا السلك مع أن اختصاص
ح كل من تلك القطع بمالها من الأحوال والمصنفات ببعض جعل الخالق الحكيم جلت قدرته حين مد
 الأرض ودحاها للاليعاء الى كون تلك الأحوال صفات راضحة لتلك القطع وقرئ وزرع وتخيل بالجر عطفاً
 على اعناب أو جنات (يسقى) أي ما ذكر من القطع والجنات والزرع والتخيل وقرئ بالتأنيث مراعاة للفظ
 والاول أو في مقام بيان اتحاد الكل في حالة السقي (بماء واحد) لاختلاف في طبعه سواء كان السقي
 بماء الامطار أو بماء الانهار (ونفضل) مع تأخذ اسباب التشابه ببعض قدرتنا واختيارنا (بعضها على
 بعض) آخرتها (في الاصل) فيما يحصل منها من الثمر والطعم وقرئ بالياء على بناء الفاعل رداعلى
 يدبر ويفصل ويفشي وعلى بناء المفعول وفيه ما لا يخفى من النخامة والدلالة على أن عدم احتمال استناد الفعل
 الى فاعل آخر من عن بناء الفعل للفاعل (ان في ذلك) الذي فصل من أحوال القطع والجنات (لايات)
 كثيرة عظيمة ظاهرة (لقوم يعقلون) يعملون على قضية عقولهم فان من عقل هذه الأحوال المجيبة
 لا يتعظم في الجزم بأن من قدر على ابداع هذه البدائع وخلق تلك الثمار المختلفة في الاشكال والالوان والطعوم
 والروائح في تلك القطع المتباينة المتجاورة وجعلها حقائق ذات بهجة قادر على إعادة ما ابداه بل هي اهون
 في القياس وهذه الأحوال وان كانت هي الآيات انفسها لا تنافيها الا أنه قد جردت عنها امثالها مبالغة
 في صكونها آية في تجريدية مثلها في قوله تعالى لهم فيها ادار الخلد وأشار اليه الأحوال البكية والآيات
 أفرادها الحادثة شيئاً فشيئاً في الأزمنة وآحادها الواقعة في الاقطار والامكنة المشاهدة لاهلها في على معناها
 وحيث كانت دلالة هذه الأحوال على مدلولاتها اظهر مما سبق على كونها آيات ببعض التعقل ولذلك لم يتعرض
 لغير تفضيل بعضها على بعض في الاكل الظاهر لكل عاقل مع تحقق ذلك في الخواص والكفيات بما يتوقف
 العنور عليه على نوع تأمل وتفكر كانه لا حاجة في ذلك الى التفكير أيضاً وفيه تعريض بأن المشر كين غير عاقلين
 (وان تعجب) يا محمد من شيء (فيعجب) لا اعجب منه حقيق بأن يتضرع عليه التعجب (قولهم) بعدم مشاهدة
 ما عدت ذلك من الآيات الشاهدة بأنه تعالى على ح كل شيء قدير (انذا كنا زبانا) على طريقة الاستفهام
 الانكارى - المفيد لكمال الاستبعاد والامتنكار وهو في محل الرفع على البدلية من قولهم على انه يعنى المقول
 أو في محل النصب على المفهولية منه على أنه مصدر فالتعجب على الاول كلامهم وعلى الثاني تكلمهم بذلك
 والعامل في اذا ما دل عليه قوله (اننا لخلق جديد) وهو نبعت أو نعاذ وتقدم الطرف لتقوية الانكار
 بالبعث بتوجيه اليه في حالة منافية له وتكرير الهمزة في قولهم اننا لخلق جديد وليس مدار انكارهم
 كونهم ثابتين في الخلق الجديد بالفعل عند كونهم ترابا بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له وفيه من الدلالة
 على عتوهم وتماديهم في التكبر ما لا يخفى وقيل وان تعجب من قولهم في انكار البعث فمعجب قولهم والمال وان
 تعجب فقد تعجبت في موضع التعجب وقيل وان تعجب من انكارهم البعث فمعجب قولهم الدال عليه فتأمل

وقد جوز كون الخطاب لكل من يصلح له أى ان تعجب يا من تنظر في هذه الآيات من قدرة من هذه افعاله فازداد
 تعجبا ممن ينكر مع هذه الدلائل قدرته تعالى على البعث وهو أهون من هذه والانسب بقوله ويستجملونك
 بالبيضة هو الاول وقوله تعالى تعجب خبر قدم على المبتدأ المقصود والتسجيل من قول الامر بكون قولهم ذلك
 امر أعجيبا ويجوز أن يكون مبتدأ لكونه موصوفا بالوصف المقدر كما اشير اليه فالمعنى وان تعجب فاعجب الذى
 لا يحب وراءه قولهم هذا فاعجب منه وعلى الاول وان تعجب فقولهم هذا عجب لا عجب فوقه (اولئك) مبتدأ
 والموصول خبره أى اولئك المذنبون لقدرته تعالى على البعث ريثما عاينوا ما فصل من الآيات الباهرة
 المجلبة لهم الى الايمان لو كانوا يصرون (الذين كفروا ببرهم) وعنادوا في ذلك فان انكارهم لقدرته عز وجل
 كفر به وأى كفر (وأولئك) مبتدأ خبره قوله (الاغلال في اعناقهم) أى مقيدون بقبود الضلال
 لا يربح خلاصهم أو مغلولون يوم القيامة (وأولئك) الموصوفون بما ذكر من الصفات (أصحاب النار هم فيها
 خالدون) لا يتفكون عنها وتوسط ضمير الفصل ليس لاختصاص الخلود بغير البعث خاصة بل بالجميع المدلول
 عليه بقوله تعالى أولئك الذين كفروا ببرهم (ويستجملونك بالبيضة) بالمقوبة التى انذروها وذلك حين سألوها
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بالعذاب استنزاه منهم يناديه (قبل الحسنه) أى العاقبة والاحسان
 اليهم بالامهال (وقد خات من قبلهم المثلاث) أى عقوبات أمثالهم من المكذبين فمالهم لا يعترفون بها
 ولا يتحزنون لحول مثلها بهم والجملة الحالية لبيان ركا كذا رأيهم في الاستهجال بطريق الاستنزاه أى يستجملونك
 بها مستهزئين بانذارك متكررين لوقوع ما انذرتهم اياه والحال انه قد مضت العقوبات النازلة على أمثالهم من
 المكذبين والمستهزئين والمثله بوزن السمرة العضوبة سميت به بالمأينها وبين المعاقب عليه من المأله ومنه
 المثال للتصاص وقرئ المثلاث بثنتين بالتباعد الفاء العين والمثلاث بفتح الميم وسكون الذاء كما يقال السمرة
 والمثلاث بضم الميم وسكون الذاء تخفيف المثلاث جمع مثله كركبة وركبات (وان ربك لذو مغفرة) عظيمة
 (للناس على ظلمهم) أنقصهم بالذنوب والمعاصي ومجمله النصب على الحالية أى ظالمين والمعامل فيه المغفرة
 والمعنى ان ربك لذو مغفرة للناس لا يجمل لهم العقوبة وان كانوا ظالمين بل يهملهم بتأخيرها (وان ربك شديد العقاب)
 يعاقب من يشاء منهم حين يشاء فتأخير ما استجملوه ليس للاهمال وعنه عليه الصلاة والسلام لولا عفو الله
 وتجاوز ما هنا لأحد العيش ولولا وعيد عذبه وعقابه لاتكل كل أحد (وبقول الذين كفروا) وهم المستجملون
 أيضا وانما عدل عن الاضمار الى الموصول ذما لهم ونعيا عليهم كفرهم بآيات الله تعالى التى تحجزها صم الجبال
 حيث لم يرفعوا الهارا سألوا لم يعتدوها من جنس الآيات وقالوا (لولا انزل عليه آية من ربه) مثل آيات موسى
 وعيسى عليهما الصلاة والسلام عناد او مكابرة والافق اذنى آية أنزلت عليه عليه الصلاة والسلام غنية وعبرة
 لاولى الالباب (انما أنت منذر) مرسل للانذار من سوء عاقبة ما يأتون ويذرون كدأب من قبلك من الرسل
 وليس عليك الا الايمان بما يعلم به نبوتك وقد حصل ذلك بما لا مزيد عليه ولا حاجة الى الزامهم والقصاصهم بالجر
 بالايان بما اقترحوا من الآيات (ولكل قوم هاد) معين بالذات بل بعنوان الهداية يعنى لكل قوم نبي
 مخصوص له هداية مخصوصة يقتضى اختصاص كل منهم بما يخص به حكم لا يعلمها الا الله أولئك قوم هاد
 عظيم الشأن قادر على ذلك هو الله سبحانه وما عليك الا انذارهم فلا يهملك عنادهم وانكارهم للآيات المنزلة
 عليك وازدراؤهم بها ثم عقبه بما يدل على كمال علمه وقدرته وشعول فضائه وقدره المبين على الحكم والمصالح
 تنبيه على أن تخصيص كل قوم نبي وكل نبي يحبس معين من الآيات انما هو للحكم الداعية الى ذلك اظهرا لكمال
 قدرته على هدايتهم لكن لا يهدى الامن فعلق به رايته مشيئته التابعة لحكم استأثر بعلمها فقال (الله يعلم ما تعمل
 كل اثنى) أى تحمله فاموصولة اريد بها ما في بطنها من حين العلوق الى زمن الولادة لا بعد تكامل الخلق فقط العلم
 متعدي الى واحد أو اثنى نبي تحمل وعلى أى حال هو من الاحوال المتواردة عليه طور افطوره افعى استفهامية
 معلقة للعلم أو علمها فهي مصدرية (وما تفيض الارسام وما تزداد) أى تنقصه وتزداده في الجنة كأنه ديج
 وانما وفي المدة كما لو لد في أقل مدة الحمل والمولود في أكثرها وفيما بين ما قيل ان النصارى ولدت في سنتين وهرم بن
 حيان في أربع ومن ذلك سمي هرما وفي العدد كالواحد فافوقه يروى أن شريكا كان رابع أربعة أو يعلم نقصها

وارزادها لما فيها فانهعلان متعديان كما في قوله تعالى وغيض الماء وقوله تعالى وازداد واتسع وقوله
 وزداد كبل بهما ولا زمان قد اسند الى الارحام مجازا وهو المافيهما (وكل شيء) من الاشياء (عنده مقدار)
 بقدر لا يمكن تجاوز عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر فان كل حادث من الاعدان والاعراض له في كل مرتبة
 من مراتب التكوين ومباديها وقت معين وحال مخصوص لا يكاد يجاوزه والمراد بالعندية الخضوع والعلية
 بل اهل الحضوري فان تحقق الاشياء في انفسها في أي مرتبة كانت من مراتب الوجود والاستعداد لذلك
 علم له بالنسبة الى الله عز وجل (عالم الغيب) أي الغائب عن الحس (والشهادة) أي الحاضرة له عبر عنها بهما
 مبالغة وقيل اريد بالغيب المعدوم وبالشهادة الموجود وهو خبر مبدأ محذوف او خبر بعد خبر وقرئ بالنسبة
 على المدح وهذا كالدليل على ما قبله من قوله تعالى الله يعلم الخ (الكبير) العظيم الشأن الذي كل شيء ودونه
 (التمتع) المستعلى على كل شيء بقدرته او المنزه عن دعوت الخلق وقابله بعد ما بين سبحانه أنه عالم بجميع
 أحوال الانسان في مراتب فطرته ومحيط به الى الغيب والشهادة بين أنه تعالى عالم بجميع ما يأتون وما يذرون
 من الافعال والاقوال وأنه لا فرق بالنسبة اليه بين السر والعلن فقال (سواء تمكم من أسر القول) في نفسه
 (ومن جهريه) اظهره لغيره (ومن هو مستخف) مبالغ في الاختفاء كأنه مخنف (بالليل) وطالب للزيادة
 (وسارب) بارز يراه كل أحد (بالتنهار) من سر وبأي برز وهو عطف على من هو مستخف أو على
 مستخف ومن عبارة عن الاثنين كما في قوله

تعال فان عاهدتني لا تخونني • تكن مثل من ياذب بصلعبان

كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والاستواء وان اسند الى من أسر ومن جهريه الى المستخفي
 والسارب لكنه في الحقيقة مسند الى ما أسر وما جهريه أو الى الفاعل من حيث هو فاعل كما في الاخبار من
 وتقدّم الامر والاستخفاء لاظهار كمال علمه تعالى فكانه في التعاقب بالخفيات أقدم منه بالطواهر والافاضة
 الى الكل سواء لما عرفت أنه تعالى (له) أي لكل من أسر وأوجهر والمستخفي او السارب (معتبات) ملائكة
 تعقب في حفظه جمع معتبة من عقبه مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كأن بعضهم يعقب بعضها والآخر يعقبون
 أقواله وأفعاله فيكتبونه أو تعقب فادغم التاء في القاف والتاء للمبالغة أو المراد بالمعقبات الجماعات وقرئ
 معاقب جمع معتب او معتبة على تعويض الباء من إحدى القافين (من بين يديه ومن خلفه) من جميع جوانبه
 او من الاعمال ما تقدم وأخر (يخفونونه من أمر الله) من بأسه حين اذنب بالاستهتال والاستغفار له
 أو يحفظونه من المضار أو يراقبون أحواله من أجل أمر الله تعالى وقد قرئ به وقيل من معنى الباء وقيل
 من أمر الله صفة ثانية للمعقبات وقيل المعقبات الحراس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في نوره من
 قضاء الله تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم) من النعمة والعافية (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من الاعمال الصالحة
 او ملكاتها التي هي فطرة الله التي فطر الناس عليها الى أضدادها (واذا اراد الله بقوم سوءا) لسوء اختيارهم
 واستحقاقهم لذلك (فلا مرد له) فلا ردة له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب (وما لهم من دونه من وال) إلى
 أمرهم ويدفع عنهم سوء الذي اراده الله بهم بما قدمت أيديهم من تغيير ما بهم وفيه دلالة على أن تخلف مراده
 تعالى محال وايدان بانهم عما يشره من انكار البعث واستحجال السيئة واقتراح الآية قد غيروا ما بأنفسهم
 من الفطرة واستحقوا لذلك حلول غضب الله تعالى وعذابه (هو الذي يريكم البرق خوفا) من الساعة
 (وطمعا) في المطر فوجه تقديم الخوف على الطمع ظاهرا لما أن الخوف عليه النفس أو الرزق العبد
 والمطمع فيه الرزق المترقب وقيل الخوف أيضا من المطر لكن الخوف منه غير الطمع فيه كالخوف من الحرث
 وبأباه الترتيب اللهم الا أن يكلف ما شير اليه من أن الخوف عبء والمطمع فيه مترقب واتصافه ما أتم على
 المصدرية أي فتخافون خوفا وطمعون طمعا أو على الحالبية من البرق او الخفاطين بانهما رذوي او يجعل
 المصدر بمعنى المفعول والفاعل مبالغة أو على العلية بتقدير المضاعف أي ارادة خوف وطمع أو بتأويل
 الاخافة والاطماع ليتحد فاعل العلة والفعل المفعول وأما جعل الماعل هي الرقبة التي تنضمها الارادة على طريقة
 قول النابغة

قوله علم له اهل الاظهر لهما
 أي للاشياء تماثل اه
 م م م م

قوله في كتب كثيرة لا ينفى وقوله
 فيكتبونها كما لا يخفى وقوله
 والتساءل للمبالغة أي التساءل
 في مفرد معتبات وهو
 معتبة للمبالغة لان الملائكة
 غير موشة اولثايت وتجعل
 معتبة صفة لجماعة كذا
 أفاده الشهاب اه م م م م

وحلت يوتى في يفاع منسح * تحال به راعى الجولة طائرا

حذارا على أن لا ينال معاونى * ولا نسوقى حتى يمتن حرارنا

أى احلت يوتى حذارا فلا سبيل اليه لأن ما وقع في معرض العلة الغائية لاسيما الخوف لا يصلح علة للرؤية
(ويشئى السحاب) الغمام المنسحب في الجوق (الشال) بالماء وهي جمع ثقيله وصف بها السحاب لكونها
اسم جنس في معنى الجمع والواحدة صحابة يقال صحابة ثقيلة وصحاب ثقيل كما يقال امرأة كريهة ونسوة كرام
(ويسبح الرعد) أى سامعوه من العباد الراجلين للمطر ملتسبين (بجوده) أى ينجون بسبحان الله والحمد
لله واستداده الى الرعد لجله اهم على ذلك أو يسبح الرعد نفسه على أن تسبيحه عبارة عن دلالة على وحدانيته
فعلى وقضاه المستوجب الحمد وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده
واذا اشتد قول اللهم لا تتلنا بغضبك ولا تم لكنا بعبادك وعافنا قبل ذلك وعن علي رضي الله عنه سبحان من
سبحته له وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود سألت النبي عليه الصلاة والسلام عن الرعد فقال ملك
من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله تعالى
ليس بملك (والملائكة) أى يسبح الملائكة (من خبيته) من هيئته واجلاله جل جلاله وقيل الغدير للرعد
(ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) فيهلك بذلك (وهم) أى الكفرة المخاطبون في قوله تعالى هو الذى
يريكهم البرق وقد التفت الى الغيبة ايذا باناسقاطهم عن درجة الخطاب واعراضا عنهم وتعيد الجناياتهم لى
كل من يستحق الخطاب كانه قيل هو الذى يفعل أمثال هذه الافاعيل الجيئة من اراءة البرق وانشاء السحاب
التيال وارسال الصواعق الدالة على كمال علمه وقدرته ويعقلها من المؤمنين أو الرعد نفسه أو الملك
الموكل به والملائكة ويعملون بموجب ذلك من التسبيح والحمد والخوف من هيئته تعالى وهم أى الكفرة الذين
حكيت همتهم مع ذلهم وهوانهم وحقارة شأنهم (يجادلون في الله) أى في شأنه تعالى حيث يفعلون ما يفعلون
من انكار البعث واستحجال العذاب استنزاه واقتراح الآيات فالواول عطف الجلة على ما قبلها من قوله تعالى
هو الذى يريكهم البرق الخ أو على قوله الله يعلم ما تخمل الخ وأما العطف على قوله تعالى ويتول الذين كفروا كما
قيل فلا مجال لأن قوله تعالى الله يعلم الخ استئناف لبيان بطلان قولهم ذلك ونظائرهم من استحجال العذاب
وانكار البعث قاطع لعطف ما بعده على ما قبله وقيل للعالم أى فيصيب بالصواعق من يشاء وهم في الجدل وقد
أريد به ما أصاب أربدين وبيعة أخا لبيد فانه أقبل مع عامر بن الطفيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يغيانه
القوائ قد خلا المسجد وهو عليه الصلاة والسلام جالس في نفر من الاصحاب رضى الله عنهم فاستشرفوا بالجمال
عامر وكان من أجل الناس وقد كان أوصى الى اربدانه اذ رأيتنى اكلم محمد عليه الصلاة والسلام قد مر من خلفه
واخبره بالسيف فجعل يكلمه عليه الصلاة والسلام قد ارأيد من خلفه عليه الصلاة والسلام فاختلط من سيفه
شبه الخبسة الله تعالى فلم يتدر على سله وجعل عامر يوحى اليه فرأى النبي عليه الصلاة والسلام الحال فقال اللهم
اكفنيهما عما شئت فأرسل الله عز وجل على اربد ساعة في يوم صحو صائف فأحرقتهم وولى عامر هاربا فترز
في بيت امرأة سلوية فلما أصبح ضم عليه سلاحه وتغير لونه وركب فرسه فجعل يركض في الصحراء ويقول ابرز
يا ملك الموت ويقول الشعر ويقول واللات لئن احصرتني محمد وصاحبه يعني ملك الموت لانفذتهما برحى فأرسل الله
تعالى ملكا فطرحه بجانبه فأوداه في التراب فخرجت على ركبته في الوقت غداة عظيمة فعاد الى بيت السلوية
وهو يقول غداة كغداة البعير وموت في بيت سلوية ثم دعا فرسه فركبه فأجراه حتى مات على ظهره وقيل أريد به
ماروى عن الحسن أنه كان رجلا من طواغيت العرب فبعث النبي عليه الصلاة والسلام نفرا من أصحابه
يدعونه الى الله عز وجل فقال لهم أخبروني عما تدعونني اليه ما هو وم هو من ذهب أم من فضة أم من نحاس
أم من حديد أم من درة فاستعظموا مقالته فرجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا امارأنا رجلا كافر
قلبا ولا اعتنى على الله منه فقال عليه الصلاة والسلام ارجعوا اليه فارجعوا اليه فارجعوا اليه فارجعوا اليه
فارجعوا اليه عليه الصلاة والسلام واخبروه بما صنع فقال عليه الصلاة والسلام ارجعوا اليه فارجعوا اليه فارجعوا اليه
فارجعوا اليه عليه الصلاة والسلام واخبروه بما صنع فقال عليه الصلاة والسلام ارجعوا اليه فارجعوا اليه فارجعوا اليه
فارجعوا اليه عليه الصلاة والسلام واخبروه بما صنع فقال عليه الصلاة والسلام ارجعوا اليه فارجعوا اليه فارجعوا اليه

الى النبي صلى الله عليه وسلم (وهو شديد المحال) أى والحال أنه شديد الماحلة والمكابرة والمماكرة لاعدائه من محله اذا كاده وعرضه للاهلاك ومنه فعل اذا تكاف استعمل الحيل وقيل هو محال من المحل بمعنى القوة وقيل محول من الحول أو الحيلة اعل على غير قياس وبعضه أنه قرئ بفتح الميم على انه مفعول من حال يحول اذا احتال ويجوز أن يكون بمعنى الفقار فيكون مثلاً في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله أشد وموساه أحد (له دعوة الحق) أى الدعوة الثانية الواقعة في محالها المجابة عند وقوعها والاضافة للايذان بلا بسطها للعق واختصاصها به وكونه بعزل من شائبة البطالان والضياع والضلال كما يقال كلمة الحق وقيل له دعوة الله سبحانه أى الدعوة اللاتمة بحضرتة كما في قوله عليه الصلاة والسلام عن كانت هجرته الى الله ورسوله هجرته الى الله ورسوله والتعرض لوصف الحقيقة لتربية معنى الاستجابة والاولى هو الاول لقوله تعالى وما دعاء الكافرين الا في ضلال وتعلق الجملتين بما قبلها من حيث ان اهلالك أريد وعامر محال من الله تعالى واجابة لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ما ان كانت الآية نزلت في شأنهم أو من حيث انه وعيد للكفرة على مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتحذيرهم باجابة دعوته عليهم (والذين يدعون) أى الاصنام الذين يدعوه المشركون فخذف العائد (من دونه) من دون الله عز وجل (لا يستجيبون) من طلباتهم (الا بكاسط كفيه الى الماء) أى الاستجابة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه من بعيد فالاستجابة مصدر من المبني للفاعل على ما يقتضيه الفعل الظاهر أعني لا يستجيبون ويجوز أن يكون من المبني للمفعول ويضاف الى الباسط لبناء على استلزام المصدر من المبني للفاعل للمصدر من المبني للمفعول وجود او عدم فكانه قيل لا يستجيبون لهم بشئ فلا يستجاب لهم الاستجابة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء كما في قوله

وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع * من المال الامسحت او مجلف

أى لم تدع فلم يبق الامسحت او مجلف (البايع) أى الماء بنفسه من غير أن يؤخذ بشئ من اناء ونحوه (ما هو) أى الماء (يبالغ فيه) ببالغ فيه الكونه جاد الا يشعر بعطشه ولا يبسط يده اليه فضلا عن الاستطاعة لما أراد من البلوغ الى فيه شبه حال المشركين في عدم حصولهم في دعاء آلهتهم على شئ أصلا وركاكة رأيهم في ذلك بحال عطشان هائم لا يدرى ما يفعل قد بسط كفيه من بعيد الى الماء يتي وصوله الى فيه من غير ملاحظة التشبيه في جميع مفردات الاطراف فان الماء في نفسه شئ نافع بخلاف آلهتهم والمراد نفي الاستجابة رأسا الا أنه قد أخرج الكلام مخرج التهكم بهم فم قيل لا يستجيبون لهم شئاً من الاستجابة الاستجابة كاستجابة في هذه الصورة التي ليست فيها شائبة الاستجابة قطعاً فهو في الحقيقة من باب التعليق بالمحال وقرئ تدعون بالتاء وكاسط بالتونين (وما دعاء الكافرين الا في ضلال) أى ذهاب وضياع وخسار (ولله) وحده (يسجد) يخضع ويتفاد لا شئ غيره استعلا ولا ولا اشتراكاً فالقصر ينظم القلب والافراد (من في السموات والارض) من الملائكة والثقلين (طوعا وكرها) أى طائعين وكارهين وانقياد طوع وكره أو حال طوع وكره فان خضوع الكل لعظمة الله عز وجل وانقيادهم لاحداث ما أراد فيه من أحكام التكوين والاعداد مساو أو أبوا وعدم مداخله حكم غيره بل غير حكمه تعالى في تلك الشؤون مما لا يخفى على أحد (وظلالهم) أى وتفادله تعالى ظلال من له ظلال منهم اعني الانس حيث تنسرف على مشيئته وتأتى لارادته في الامتداد والتقلص والقي والزوال (بالغدق والاصال) ظرف للسجود المتقدراً وحال من الظلال وتخصيص الوقتين بالذكر مع أن انقيادها متحقق في جميع أوقات وجودها لظهور ذلك فيهما والغدق جمع غداة كفتي في جميع قناة والاصال جمع اصيل وقيل جمع اصل وهو جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدق مصدر ويؤيده انه قرئ والاصال أى الدخول في الاصيل هذا وقد قيل ان المراد حقيقة السجود فان الكفرة حال الاضطراب وهو المعنى بشوله تعالى وكرها يخضعون السجود به سبحانه قال تعالى فاذا ركعوا في السجود دعوا الله مخلصين له الدين ولا يبعد أن يخلق الله تعالى في الظلال أفهاما وعقولا لهم لتسجد لله سبحانه كما خلقها للعباد حتى اشتغلت بالتسبيح وتظهر فيها آثار النجلى كما قاله ابن الانبارى ويجوز أن يراد بسجودها

ما يشاهد فيها من هيئة السجودية على اصحابها وانت خبير بان اختصاص سجود الكافر حالة الضرورة والشدّة
 بالله سبحانه لا يجدي فان سجودهم لاصنامهم حالة الرضا بخلافه بالانصراف من تقديم الجار والمجرور
 فالوجه حل السجود على الانتقاد ولان تحقيق انتقاد الكل في الابداع والاعدام له تعالى ادخل في التوبيخ على
 اتخاذ اولياء من دونه من تحقيق سجودهم له تعالى وتخصيص انتقاد العقلاء بالذكور مع كون غيرهم أيضا كذلك
 لانهم العمدة وانتقادهم دليل انتقاد غيرهم على أنه بين ذلك بقوله عز وجل (قل من رب السموات والارض)
 فانه لتحقيق أن حاله ما هو متولى أمرهم مع ما فيه ما على الاطلاق هو الله سبحانه وقوله تعالى (قل الله)
 أمر بالجواب من قبله عليه الصلاة والسلام اشعارا بأنه متعين للجوابية فهو الخصم في تقريره سواء أو أمر
 بحكاية اعترافهم ايذانا بأنه أمر لا بد لهم من ذلك كانه قيل احل اعترافهم فيكمتم بما يلزمهم من الحجّة وألقمهم
 الجبر أو أمر بتلقينهم ذلك ان تعموا في الجواب حذر من الازام فانهم لا يتمالكون اذ ذلك ولا يقدره
 على انكاره (قل) الزامهم وتبكي (فأخذتم) لانفسكم والهزيمة لانكار الواقع كما في قولك اضربت أبناك
 لانكار الوقوع كما في قولك اضربت أبي والفساد لا يطف على مقتدر بعد الهزيمة أي أعلم ان ربها هو الله الذي
 ينقاد لأمره من فيهما كافة فالتخذتم عقبيه (من دونه أو ألباء) عاجزين (لا يملكون لانفسهم نفعا) يستجلبونه
 (ولا ضرا) يدفعونه عن أنفسهم فضلا عن القدرة على جلب النفع لغيره ودفع الضرر عنه لا على أن يكون الانكار
 متوجها الى المعطوفين معا كما في قوله تعالى أفلا تعقلون اذ قدر المعطوف عليه الانسعون بل الى ترتيب الثاني
 على الاول مع وجوب أن يترتب عليه نقيضه كما اذ قدر انسعون والمعنى أبعد أن علم أن ربها هو الله جل
 جلاله اتخذتم من دونه أولياء بحجة والحال ان قضية العلم بذلك انما هو الاقتصار على تواليه فعكس الامر كما في
 قوله تعالى كان من الحق ففسق عن أمر ربه اتخذ دونه وذريته أولياء من دونه ووصف الاولياء ههنا بعدم
 المألوية للنفع والضرر في ترشيح الانكار وتأكيد كتمية هذا اتخاذها بالجملة الحالية أعني قوله تعالى وهم لكم
 سدقات كما منهم ما ينبغي اتخاذ المذكور ويؤيد انكاره (قل) تصوير الآرائهم الركيكة بصورة المحسوس
 (هل يستوى الاسمي) الذي هو الشريك الجاهل بالعبادة ومستحقها (والبصير) الذي هو الموحد العالم بذلك
 أو الاول عبارة عن المعبود الفاضل والثاني اشارة الى المعبود العالم بكل شيء (أم هل تستوى الظلمات) التي
 هي عبارة عن الكفر والضلال (والنور) الذي هو عبارة عن التوحيد والايان وقرئ بالياء ولما دل النظم
 الكريم على أن الكثرة في عبارة العلم من اتخاذ الاصنام أولياء من دون الله سبحانه في الضلال المحض والخطا
 البحت بحيث لا يخفى بطلانه على أحد وأنهم في ذلك كالأعمى الذي لا يمتدى الى شيء أصلا وليس لهم في ذلك شبهة
 تصلح أن تكون منشا لغلطهم وخطئهم فضلا عن الحجّة اكد ذلك فتيل (أم جعلوا الله) أي بل أجعلوا له (شركاء
 خلقوا كخلقهم) سبحانه والهزيمة لانكار الوقوع لانكار الواقع مع وقوعه وقوله خلقوا كخلقهم هو الذي
 توجه اليه الانكار وأما نفس الجعل فهو واقع لا يتعلق به الانكار بهذا المعنى والمعنى انهم لم يجعلوا الله تعالى شركاء
 خلقوا كخلقهم (فتشابه الخلق عليهم) بسبب ذلك وقالوا هو لا خلقوا كخلقهم تعالى فاستحقوا بذلك العبادة كما
 استحقوا ليكون ذلك منشأ لخطئهم بل انما جعلوا له شركاء ما هو معزول من ذلك بالمرّة وفيه ما لا يخفى من التعريض
 بركا كدرا عليهم والتميم بهم (قل) تحقيقا للعق وارشادهم اليه (الله خالق كل شيء) كافة لخالق سواء فيشاركه
 في استحقاق العبادة (وهو الواحد) المتوحد بالالوهية المتفرد بالربوبية (القيوم) الحكيم ماسواه فكيف يتوهم
 أن يكون له شريك وبعدم ما مثل الشريك والشريك بالذم والظلمات والموحد والتوحيد بالبصير والنور مثل
 الحق الذي هو القرآن العظيم في فيضانه من جناب القدس على قلوب خالية عنه متساوية الاستعداد وفي جريانه
 عليها ملاحظة وحفظا وعلى الالسنه مذاكرة وتلاوة وفي لبانه فهمام كونه محمدا الحيات الروحية وما يملؤها
 من الملكات النقية والاعمال المرضية بالماء النازل من السماء السائل في اودية يابسة لم تجر عادمها بذلك
 سلا تامة قدرا بمقدار اقتضته الحكمة في احياء الارض وما عليها الباقى فيها حسما يمد ورعيه منافع الناس
 وفي كونه حلية تعلي به النفوس وتسل الى البهية الابدية ومتاعا يتنعم به في المعاش والمعاد بالذهب والفضة
 وسائر الفلزات التي يتخذ منها أنواع الآلات والادوات وتبقى منه فعايم مائة طويلة ومثل الباطل الذي ابتلى

به الكفرة لقصور نظرهم بما يظهرون فيه ما من غير مدخل له فيها واخذلال بصفاتهم - ما من الزبد الراي فوقهما
المضمحل - سريعا فبقيل (انزل من السماء) أي من جهتها (ماء) أي كثيرا أو نوعا منه وهو ماء المطر (فسالت)
بذلك (أودية) واقعة في مواقعها لجميع الأودية إذا لامطار لا تستوعب الاقطار وهو جمع وادوه ومفرج بين
جبال أو تلال أو أكام على الشذوذ ككاد وأندية وناج وأنحية قالوا وجهه أن فاعلا يعني بمعنى فاعيل ككاسر
ونصير وشاهد وشهد وعالم وعليم وحيث جمع فاعيل على أفعله بجر وبأجربة جمع فاعل أيضا على أفعله فان أريد
بها ما يسيل فيها مجازا فاسناد السيلان إليها حقيقي وان أريد معناها الحقيقي فالاسناد مجازي كما في جري
النهر وإشار التمثيل بها على الانهار المستمرة الجريان لوضوح المماثلة بين شأنها وشأن ما مثل بها كما أشير إليه
(بقدرها) أي سألت ملتبة بمقدارها الذي عنده الله تعالى واقتضته حكمته في نفع الناس او بمقدارها
المتفاوت قلة وكثرة بحسب تفاوت مجالها صغرا وكبرا لا يكون مائة لها من طبيعة علمها بل يميز دقائقها بصغرها
المستلزم لقله موارد الماء وكثرتها بأكبرها المستدعي لكثرة الموارد فان مورد السيل الجاري في الوادي
الصغير أقل من مورد السيل الجاري في الوادي الكبير هذا ان أريد بالأودية ما يسيل فيها أما ان أريد بها
معناها الحقيقي فالعنى سألت مياهها بقدر تلك الأودية على نحو ما عرفت أنفأ أو يراد بضميرها مياهها
بطريق الاستخدام ويراد بقدرها ما ذكر أو لامن المعنيين (فاحتمل السيل) الجاري في تلك الأودية أي
حمل معه (زبدا) أي غناء ورغوة وانما وصف ذلك بقوله تعالى (رايا) أي عالما منتهقا فوقه بيان الماء أريد
بالاحتمال المحتمل لكون الخيل غير طاف كالاشجار الثابتة وانما لم يدفع ذلك الاحتمال بأن يقال فاحتمل
السيل فوة فلا يذان بأن تلك الفوة مقتضى شأن الزبد لامن جهة المحتمل تحديق المماثلة بينه وبين ما مثل به
من الباطل الذي شأنه الظهور وفي بادي الرأي من غير مدخل في الحق (ومما يؤيدون عليه في النار) أي
يقولون الايتاد عليه كائن في النار والضمير للناس أنتم مع عدم سبق الذكر لظهوره وقرئ بالخطاب
(اتباع حلية او متاع) أي لطلب اتخاذ حلية وهي ما يترنن ويتجمل به كالحلي المتخذة من الذهب والفضة
أو اتخاذ متاع وهو ما يتمتع به من الاواني والآلات المتخذة من الرصاص والحديد وغير ذلك من الفلزات (زبد)
خبث (مثله) مثل ما ذكر من زبد الماء في كونه رايا فوقه فوله زبد مبتدأ خبره الطرف المتقدم ومن ابتدائية
دالة على مجرد كونه مبتدأ وناشئ منه لا تبعيضية معربة عن كونه بضمائه كما قيل لا خلال ذلك بالتمثيل
وفي التعبير عن ذلك بالوصول والتعرض لما في حيز المسلة من ايقاد النار عليه جرى على سنن الكبرياء باظهار
التمايز به كما في قوله تعالى فأوقد لي ياها مان على الطين واشارة الى كيفية حصول الزبد منه بذكره وفي زيادة
في النار اشعار بالمبالغة في الاعمال للاذابة وحصول الزبد كما أشير إليه وعدم التعرض لخرجه من الارض
اعدم دخل ذلك العنوان في التمثيل كما أن لعنوان انزال الماء من السماء دخلا فيه حسبما فصل فيما سلف بل له
اختلال بذلك (كذلك) أي مثل ذلك الضرب البديع المشتمل على نكت رائقة (يضرب الله الحق والباطل)
أي مثل الحق ومثل الباطل والحذف للانبياء عن كمال التماثل بين الممثل والممثل به كان المثل المضروب عين الحق
والباطل وبعد تحقيق التمثيل مع الانبياء في تضاعيف ذلك الى وجوه المماثلة على ابداع وجوه وآنها حسبما أشير
إليه في مواقعها بين عاقبة كل من المعتلين على وجه التمثيل مع التصريح ببعض ما به المماثلة من الذهاب والبقاء
تتمة للغرض من التمثيل من الخش على اتباع الحق الثابت والردع عن الباطل الزائد فبقيل (فانما الزبد) من كل
منهما (فيذهب جفاء) أي من مياهه وقرئ جفالا والمعنى واحد (وأما ما ينفع الناس) منهما كالماء الصافي
والفلزات الخالص (فيمكث في الارض) أما الماء فينبذ بعضه في مذاقه ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون
والقنات والآبار وأما الفلز فيصاغ من بعضه أنواع الحلي ويتخذ من بعضه أصناف الآلات والادوات فينتفع
بكل من ذلك أنواع الاتفاعات مدة طويلة فالمراد بالمكث في الارض ما هو أعم من المكث في نفسها ومن البقاء
في أيدي المتقنين فيها وتغيير ترتيب الالف الواقع في الفضلكة الموافق للترتيب الواقع في التمثيل لمراعاة الملازمة
بين حالتي الذهاب والبقاء وبين ذكرهما فان الاعتبار انما هو بقاء الباقي بعد ذهاب الذهاب لا قبله (كذلك
يضرب الله) أي مثل ذلك الضرب العجيب يضرب (الامثال) في كل باب اظهر الكمال اللطف والعناية في

الارشاد والهداية وفيه تضمين لسان هذا التمثيل وتأكيد قوله كذلك يضرب الله الحق والباطل اما باعتبار
 ابتناء هذا على التمثيل الاول او يجعل ذلك اشارة اليهما جميعا وبعد ما بين شأن كل من الحق والباطل حالا وما لا
 اكمل بيان شرع في بيان حال اهل كل منهما ما لا تكفي للدعوة ترغيبا وترهيبا فاقيل (للمؤمنين استجابوا الربهم)
 اذ دعاهم الى الحق بفنون الدعوة التي من جللتها ضرب الامثال فانه اللفظ ذريعة الى تفهيم القلوب الغبية
 واغوى وسيله الى تصغير النفوس الالية كيف لا وهو تصوير للمعقول بصورة المحسوس وابرار لا وابد المعاني
 في هيئة المأنوس فأي دعوة أولى منه بالاستجابة والقبول (الحسن) أي المثوبة الحسنى وهي الجنة (والذين
 لم يستجيبوا له) وعاندوا الحق الجلي (لو أن لهم ما في الارض) من أصناف الاموال (جميعا) بحيث لم يشذ منه
 شاذ في أقطارها او مجموعا غير متفرق بحسب الازمان (ومثله معه لا فتدوا به) أي بما في الارض ومثله
 معه جميعا يخلصوا عما بهم وفيه من تهويل ما يلقاهم ما لا يحيط به البيان فالموصول مبتدأ والشرطية كما هي
 خبره لكن لا على أنها وضعت موضع السوءى فوقعت في مقابلة الحسنى الواقعة في القرينة الاولى لمراعاة
 حسن المقابلة فصار كانه قيل وللذين لم يستجيبوا له السوءى كما هوهم فان الشرطية وان دلت على كمال سوء
 حالهم لكنها بعزل من القيام مقام انظر السوءى معصوبا باللام الداخلة على الموصول أو ضميره وعليه يدور
 حصول المرام وانما الواقع في ذلك المقابلة سوء الحساب في قوله تعالى (اولئك لهم سوء الحساب) وحيث
 كان اسم الاشارة الواقع مبتدأ في هذه الجملة عبارة عن الموصول الواقع مبتدأ في الجملة السابقة كان خبرها
 أعنى الجملة الظرفية خبرا عن الموصول في الحقيقة ومبين لا لاهم منضمون الشرطية الواقعة خبرا عنه أولا
 ولذلك ترك المطف فصار كانه قيل وللذين لم يستجيبوا له سوء الحساب وذلك في قوة أن يقال وللذين
 لم يستجيبوا له سوء الحساب مع زيادة تأكيد فتم حسن المقابلة على أبلغ وجه واكد ثم بين مؤدى ذلك فاقيل
 (و- أو اهتم) أي مرجعهم (جهنم) وفيه نوع تأكيد لتفسير الحسنى بالجنة (وبئس المهاد) أي المستقر
 والمخصوص بالذم محذوف وقيل اللام في قوله تعالى للذين استجابوا للربهم متعلقة بقوله يضرب الله الامثال
 أي الامثال السابقة وقوله الحسنى صفة للمصدر أي استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله والذين لم يستجيبوا له
 معطوف على الموصول الاول وقوله لو أن لهم الخ كلام مستأنف موقوف لبيان ما أعد الله لغير المستجيبين من
 العذاب والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين المستجيبين والكافرين المعاندين أي هم امثلا للفرقيين
 وأنت خير بأن عنوان الاستجابة وعدمها الامتناسبة بينه وبين ما يدور عليه أمر التمثيل وأن الاستعمال
 المستفيض دخول اللام على من يقصد تذكيره بالمثل نعم قد يستعمل في هذا المعنى أيضا كما في قوله سبحانه ضرب
 الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون وتطأه على أن بعض الامثال المضروبة لاسيما المثل الاخير الموصول
 بالكلام ليس مثل الفرقيين بل مثل الحق والباطل ولا مبالغ بل جعل الفرقيين ضرر وبالهم أيضا بأن يجعل في حكم
 أن يقال كذلك يضرب الله الامثال للناس اذ لا وجه حينئذ لتوزيعهم الى المستجيبين وغير المستجيبين فتأمل
 (أفمن يعلم أن ما أنزل اليك من ربك) من القرآن الذي مثل بالماء المتزل من السماء والابرز الخالص في المنفعة
 والجدوى (الحق) الذي لا حق وراءه أو الحق الذي أشير اليه بالامثال المضروبة فيستجيب له (كن هو أعمى)
 عى القلب لا يشاهده وهو نازع على علم ولا يقدر قدره وهو في أقصى مراتب العلو والعظم فيبقى حائرا في ظلمات
 الجهل وغياهب الضلال أو لا يتذكر بما ضرب من الامثال أي كنى لا يعلم ذلك الا أنه أريد زيادة تبيين حاله فعبّر
 عنه بالاعمى وابرار الفاء بعد الهزة لتوجيه الانكار الى ترتيب توهم المماثلة على ظهور حال كل منهما بما ضرب
 من الامثال وبين المصير والمآل كانه قيل أي بعد ما بين حال كل من الفرقيين وما كسبوا توهم المماثلة بينهم ما تم
 استوقف فاقيل (انما يتذكر) بما ذكر من المذكرات فيقف على ما بينهما من التفاوت والتناقض (اولوا الاباب)
 أي العقول الخالصة المبرأة من مشايعة الالف ومعارضة الوهم (الذين يوفون بعهد الله) بما عقدوا على أنفسهم
 من الاعتراف بربوبية تعالى حين قالوا بلى أو ما عهد الله عليهم في كتيبه (ولا ينقضون الميثاق) ما وثقوا به على
 أنفسهم وقبلهم من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص وفيه تأكيد
 لا مقرر انهم من صيغة المستقبل (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) من الرحم وموالاة المؤمنين

والإيمان بجميع الأنبياء المجمعين على الحق من غير تضر يق بين أحدهم منهم ويندرج فيه مراعاة جميع حقوق
الناس بل حقوق كل ما يتعاقبهم من الهوى والدجاج (ويخشون ربهم) خشية جلال وهيبته ورهبة فلا يعصونه
فيما أمر به (ويحافون سوء الحساب) فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا وفيه دلالة على كمال نظامه حسما
ذكر فيما قبل (والذين صبروا) على كل ما تنكره النفس من الأفعال والقول (ابتغوا وجه ربهم) طلبا لرضاه
خاصة من غير أن ينظروا إلى جانب الخلق رياء ومعة ولا إلى جانب النفس زينة وعجبا وحيث كان الصبر على الوجه
المدكور ملاك الأمر في كل ما ذكر من الصلوات السابقة واللاحقة أورد على صيغة الماضي اعتناء به أنه ودلالة
على وجوب تحققه فان ذلك مما لا بد منه اتفق أنفس الصلوات كما في أعداد الأولى والرابعة والخامسة أوفى
أظهار أحكامها كما في الصلوات الثلاث المذكورة وأت فاتها وان استغنت عن الصبر في أنفسها حيث
لا مشقة على النفس في الاعتراف بالربوبية والخشعية والخوف لكن أظهار أحكامها والجري على موجبها غير
خال عن الاحتياج إليه (وأقاموا الصلوة) المفروضة (وأذبحوا وما رزقناهم) أي بعضه الذي يجب
عليهم اتفاقه (سرا) لمن لم يعرف بالمال أولن لا يتهم بترك الزكاة أو عند اتفاقه وإعطائه من غنمه المروءة
من أخذه ظاهرا (وعلاية) ان لم يكن كما ذكرنا في الأول في التطوع والثاني في الفرض (ويبدرون)
بالحسنه السيئة) أي يجاوزون الاساءة بالاحسان أو يتبعون الحسنه السيئة فتعومها عن ابن عباس
رضي الله عنه ما يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم وعن الحسن إذا حرما أعطوا
وإذا ظلوا أعطوا وإذا قطعوا وصلوا وعن ابن عباس إذا ذنبوا تابوا وقيل إذا رأوا منكرا امروا بتغييره
وتقديم الجور على المنصوب لاظهار حسن حال العناية بالحسنه (أو شئت) المدعوتون بالنعوت الجليلة
والمملكات الجليلة وهو مبتدأ خبره الجمله الظرفية اعنى قوله تعالى (لهم عقبي الدار) أي عاقبة الدنيا وما
يفنى أن يكون ما لأمراء أهلها وهي الجنة وقيل الجارة والمجرور وخبر لا واثق وعقبى الدار فاعل الاستقرار
وأيا ما كان فليس فيه قصر حتى يرد أن بعض ما في جزا الصلة ليس من العزائم التي يحل إخلالها بالموصول إلى
حسن العاقبة والجمله خبر للموصول المتعاطفة أو استئناف لبيان ما استوجبوه تلك الصفات ان جعلت
الموصولات المتعاطفة صفات لاولى الابواب على طريقة المدح من غير أن يقصد أن يكون للصلوات المذكورة
مدخل في التذكر (جنات عدن) بدل من عقبى الدار أو مبتدأ خبره (يدخلونها) والعدن الإقامة
ثم صار علم الجنة من الجنات أي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة (ومن صلح من آياتهم) جمع أبوي
كل واحد منهم فكانه قيل من آياتهم وأتمها تم (وأزواجههم وذرياتهم) وهو عطف على المرفوع في يدخلون
وأنما ساغ ذلك لفصل بالضمير الآخر أو مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من أهلهم وان لم يبلغ مبلغ
فضلهم تبعاهم تعظيما لأنهم وهو دليل على أن الدرجة تعلو بالشقاعة وأن الموصوف بتلك الصفات يقرن
بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصفة في دخول الجنة زيادة في انفسهم وفي التأييد بالصالح قطع للاطماع
القارعة ان يمسك بمجرد حبيل الانساب (واللائكة يدخلون عليهم من كل باب) من ابواب المنازل
أو من ابواب الفتوح والنحف فائلين (سلام عليكم) بشارة لهم بدوام السلامة (بما صبرتم) متعلق
بذلك أو محذوف أي هذه الكرامة العظمى بما صبرتم أي بسبب صبركم أو بدل ما احتملتم من مشاق الصبر
ومناعبه والمعنى ان تعبت في الدنيا لقد استرحمت الساعة وتخصيص الصبر بما ذكر من بين الصلوات السابقة
لما قدمناه من أن له دخلا في كل منها ومزية زائدة من حيث انه ملاك الأمر في كل منها وأن شيئا منها لا يعتد به
الابان يكون لا ابتغاء وجه الرب تعالى وتقدس (فتم عقبى الدار) أي فتم عقبى الدار الجنة وقرئ بفتح
النون والاصل فتم فسكن العين ينقل حركتها إلى النون تارة وبدونه أخرى وعن النبي عليه السلام انه كان يأتي
قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول سلام عليكم بما صبرتم فتم عقبى الدار وكذا عن الخلفاء الاربعة
رضوان الله عليهم أجمعين (والذين يفتنون عهد الله) أي يذبهم من يقابل الأولين ويعاندهم في الانصاف
بقائض صفاتهم (من بعد ميثاقه) من بعد ما وثقوه من الاعتراف والقبول (ويقطعون ما امر الله به
أن يوصل) من الإيمان بجميع الأنبياء المجمعين على الحق حيث يؤمنون ببعضهم ويكفرون ببعضهم ومن

حقوق الارحام وموالاة المؤمنين وغير ذلك مما لا يرعون حقوقه من الامور المحدودة فيما سلف وانما لم
 يتعرض لنفي المشيئة والخوف عنهم صريحا لدلالة النقص والقطع على ذلك وانما عدم التعرض لنفي العسير
 المذكور فلا نه انما اعتبر تحققه في ضمن الحسنات المحدودة لئلا من معتداهن فلا وجه لنفيه عن يمينه وبين
 الحسنات بعد المشرقين كما لا وجه لنفي الصلاة والزكاة عن لا يحوم حول اصل الايمان بالله تعالى فضلا
 عن فروع الشرائع وان اريد بالانفاق التعلق فنفيه مندرج تحت قطع ما امر الله تعالى بوصله وانما در
 السيرة بالحسنة فالتأوه عنهم ظاهر مما سبق ولحق فان من يجازي احسانه عز وجل بنقض العهد ومخالفة
 الامر ويباشر الفساد ابدًا حسبما يحكيه قوله عز وجل (ويفسدون في الارض) أي بالظلم وتبيح الفتن كيف
 يصور منه مجازاة الاساءة بالاحسان على أن ذلك يشعر بأن له دخل في الافضاء الى العقوبة التي ينبت عنها
 قوله تعالى (واذن) الخ أي اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح (اهم) بسبب ذلك (المنة)
 أي الابعاد من رحمة الله تعالى (وله) مع ذلك (سوء الدار) أي سوء عاقبة الدنيا أو عذاب جهنم فانها
 دارهم لان ترتيب الحكم على الموصول مشعر بعلة الصلة ولا يخفى أنه لا دخل له في ذلك على أكثر التفاسير
 فان مجازاة السيئة بمثلهما أذن فيها ودفع الكلام السيئ بالحسن وكذا الاعطاء عند المنع والعفو عند الظلم
 والوصل عند القطع ليس مما يورث تركه تبعة وأما ما اعتبر اندراج تحت الصلة الثانية من الاخلال ببعض
 الحقوق المنسوبة فلا ضير في ذلك لان اعتبارها من حيث أنه من مستتبعات الاخلال بالعزائم بالكفر ببعض
 الانبياء وعقوق الوالدين وترك سائر الحقوق الواجبة وتكرير اهلها للتأكيذ والايذان باختلافهما واستغلال
 كل منهما في الثبوت (الله يسطر الرزق) أي يوسع (لمن يشاء) من عباد (وبقدر) أي بضيقه على
 من يشاء حسبما تقتضيه الحكمة من غير أن يكون لاحد مدخل في ذلك ولا شعور بحكمته فر بما يبسطه للكافر
 املاء واستدراجا وربما بضيقه على المؤمن زيادة لاجره فلا يفتري بسطه للكافر كما لا يقطع بقدره المؤمن
 (وفرخوا) أي أهل مكة فرحوا بشر وبطرا لافرح سرور بفضل الله تعالى (بالحياة الدنيا) وما بسط لهم
 فيها من نعمها (وما الحياة الدنيا) وما يتبعها من النعيم (في الآخرة) أي في جنات نعيم الآخرة (الامتناع)
 الاشئ نزيه يتعجب به كجماله الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم رضوا بجنات الدنيا مع رضاهم عن نعيم الآخرة
 والحال أن ما اشروا به في جنات ما عرضوا عنه شيء قليل الترفع سريع النسيان (ويقول الذين كفروا) أي
 أهل مكة وايشار هذه الطريقة على الاضمار مع ظهور ارادتهم بحقبة ذكر نعمهم بالحياة الدنيا لذمتهم
 والتسجيل عليهم بالكفر فيما حكى عنهم من قولهم (لولا انزل عليه آية من ربه) فان ذلك في اقصى مراتب
 المكابرة والعناد كان ما انزل عليه عليه السلام من الآيات العظام الباهرة ليس بآية حتى اقترحوا ما لا تقتضيه
 الحكمة من الآيات المحسوسة التي لا يبقى لاحد بعد ذلك طاقة بعدم القبول ولذلك أمر في الجواب بقوله
 تعالى (قل ان الله يضل من يشاء) اضلاله مشيئة تابعة للحكمة الداعية اليها أي يخلق فيه الضلال لصرفه
 اختياره الى تحصيله ويدعه منهم مكافيه لعله بأنه لا يتجمع فيه اللطف ولا ينفعه الارشاد لكن كان على صفتهكم
 في المكابرة والعناد وشدة الشك والغلط في الفساد فلا سبيل له الى الاهتداء ولو جاءته كل آية (ويهدى اليه)
 أي الى جنات العلى الكبير هداية موصلة اليه لا دلالة مطلقة على ما يوصل اليه فان ذلك غير مختص
 بالمتدين وفيه من نشر يفهم ما لا يوصف (من آيات) اقبل الى الحق وتأمل في تضاعيف ما نزل من دلائله
 الواضحة وحقيقة الانابة الدخول في فوبة الخير واينار ارادها في الصلة على اراد المشيئة كما في الصلة
 الاولى للتبعية على الداعي الى الهداية بل الى مشيئتها والاشعار بعبادتها الى المشيئة الاولى من المكابرة وفيه
 حث للكفرة على الافلاع عما هم عليه من العتو والعناد وايشار صيغة الماضي للايمان الى استدعاء الهداية
 لسابقة الانابة كما أن ايشار صيغة المضارع في الصلة الاولى للدلالة على استمرار المشيئة حسب استمرار مكابرتهم
 (الذين آمنوا) يدل عن اناب فان اريد بالهداية الهداية المستمرة فالامر ظاهر لظهور كون الايمان مؤديا
 اليها وان اريد احداثها فالمراد بالذين آمنوا الذين صار أمرهم الى الايمان كما في قوله تعالى هدى للذين آمنوا
 الصائرين الى التقوى والاخلاص لا يؤدوا الى الهداية انفسها أو خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين آمنوا

أو منصوب على المدح (وتطمئن قلوبهم) أي تستقر وتسكن (بذكر الله) بكلامه المجز الذي لا ريب فيه
 كقوله تعالى وهذا ذكر مبارك أنزلناه وقوله أنا نحن نزلنا الذكروا ناله لحافظون ويعلمون أن لا آية أعظم منه
 فيقترحوها والعدول إلى صيغة المضارع لا فائدة دوام الاطمئنان وتجدد حسب تجدد الآيات وتعدد دواها
 (ألا بذكر الله) وحده (تطمئن القلوب) دون غيره من الأمور التي تميل إليها النفوس من الدنيا والآيات
 وهذا ظاهر وأما سائر المعجزات فالقصر من حيث أنها ليست في افادة الطمأنينة بالنسبة إلى من لم يشاهدها بعناية
 القرآن المجيد فانه معجزة باقية إلى يوم القيامة يشاهدها كل أحد وتطمئن به القلوب كافة وفيه اشعار بأن الكفرة
 ليست لهم قلوب وأفئدتهم هواء حيث لم يطمئنوا بذكر الله تعالى ولم يعتدوه آية وهو اظهر الآيات وابهرها
 وقبل تطمئن قلوبهم بذكر رحمة ومغفرته بعد انشاق والاضطراب من خشيته كقوله تعالى ثم تلين جلودهم
 وقلوبهم إلى ذكرك الله أوبى كذلك الدالة على وحدانيته أوبى ذكره جل وعلا أنسابه وتبذله إليه فالمراد
 بالهداية دوامها واستمرارها (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بدل من القلوب على حذف المضاف بدل الكل
 حسب ما روي إليه أي قلوب الذين آمنوا وفيه إيماء إلى أن الإنسان انما هو القلب أو مبتدأ خبر الجملة الدعائية
 على التأويل أعني قوله (طوبى لهم) أو خبر مبتدأ مضمرة أو نصب على المدح فطوبى لهم حال عاملها القمعان
 وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلني والواو منقلبة من الياء كوقن وموسى وقر أمكوزة الاعرابي طيبى
 لتسلم الياء والمعنى اصابوا خيرا ومحلها النصب كسلامك أو الرفع على الابتداء وان كانت نكرة لكونها في معنى
 الدعاء كسلام عليك يدل على ذلك القراءة في قوله تعالى (وحسن ما ب) بالنصب والرفع واللام
في أهم للبيان مثلها في سبيلك (كذلك) مثل ذلك الارسال العظيم الشأن الصحوب بهذه المعجزة الباهرة
(ارسلناك في امّة قد خلت) أي مضت (من قبلها امم) كثيرة قد ارسل اليهم رسل (انتلو) لتقرأ (عليهم
الذي أوحينا اليك) من الكتاب العظيم الشأن وتهديهم إلى الحق رحمة لهم وتقدير الجبرور على المنصوب من
 قبيل الابهام ثم البيان كما في قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك وفيه ما لا يخفى من ترقيب النفس إلى ما سيرد وحسن
 قبولها له عند وروده عليها (وهم) أي والحال أنهم (يكفرون بالرحمن) بالبلغ الرحمة الذي وسعت
 كل شيء رحمة وأحاطت به نعمته والعدول إلى المظهر المتعزّض لوصف الرحمة من حيث ان الارسال تاتى
 منها كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فلم يقدر واقدرة ولم يشكروا نعمه لاسيما ما انعم به عليهم بارسال
 مثلك اليهم وانزال القرآن الذي هو مدار المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزات في مشركى مكة حين
 أمروا بالسجود فقالوا وما الرحمن (قيل هو) أي الرحمن الذي كفرتم به وأنكرتم معرفته (ربى) الرب
 في الاصل بمعنى التربية وهى تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به مبالغة كاصوم والعدل وقيل هو نفعت
 أي خالق ومبليغ إلى مراتب الكمال وايراده قبل قوله (لا اله الا هو) أي لا مستحق للعبادة سواه تنبيه
 على أن استحسان العبادة منوط بالرؤية وقيل ان أبا جهل سمع النبي عليه السلام يقول يا الله يا الله يا الله فرجع
 إلى المشركين فقال ان محمد ايدعوا الهين فزات ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن الآية (عليه
 نوكات) في جميع امورى لاسيما في النصره عليكم لاعلى احد سواه (واليه) خاصة (متاب) أي توبى
 كقوله تعالى واستغفر لذنبك أمر عليه السلام بذلك ابانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله تعالى وأنها صفة
 الانبياء وبهذا للكفرة على الرجوع عما هم عليه بابلغ وجه وأطفه فانه عليه السلام حيث أمر بها وهو منزّه عن
 شائبة اقتراف ما يوجبها من الذنب وان قل فتوبتهم وهم عاكفون على أنواع الكفر والمعاصي مما لا بد منه اصلا
 وقد نسر المتاب بطاق الرجوع فقبيل مرجعي ومرجعكم وزيد فيحكم بيني وبينكم وقد قيل فيثيبني على
 مصاربتكم فتأمل (ولو أن قرآنا) أي قرآنا ما هو اسم أن والخبر قوله تعالى (حيث به الجبال) وجواب
 لو محذوف لانساق الكلام اليه بحيث يتلقفه السامع من التالى والمقصود اتمام بيان عظم شأن القرآن العظيم
 وقساد رأى الكفرة حيث لم يقدر واقدرة العلى ولم يعتدوه من قبيل الآيات فاقترحوا غيره مما اوتى موسى
 وعيسى عليه السلام واما بيان غلوهم في المكابرة والعناد وتغاديهم في الضلال والفساد فالمعنى على الاول
 لو أن قرآنا سيرت به الجبال أي بازاله أو بزلاله عليه وزعزت عن مقارها كما فعل ذلك بالطور لموسى عليه
 السلاة والسلام (أو قطعت به الارض) أي شقت وجعلت أنهارا وعيوننا كما فعل بالجرحين ضربه عليه السلام

بعضه أو جعلت قطعا متصدعة (أو كالم به الموق) أي بعد أن احسب بقرائه عليها كما احسبت عيسى عليه السلام
لكن ذلك هذا القرآن لكونه الغاية المقصودة في الانطواء على عجائب آثار قدرة الله تعالى وهيبته عز وجل
كقوله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله لا في الابعاز إلا مدخل
له في هذه الآثار ولا في التذكري والانداز والتخريف لا اختصاصها بالالفلا مع أنه لا علاقة لها بشكليم الموق
واعتبار قبض العقول اليها محل بالبالغة المقصودة وتقديم الجور في المواضع الثلاثة على المرفوع لما مر غير
مرة من قصد الإيهام ثم التفسير لزيادة التقرير لأن تقديم ما حقه التأخير يترك النفس مستشرفة ومتربعة إلى
المؤخر أنه ما ذاقه ~~ممكن~~ عند ورودها عليها أفضل تمكن وكلة أوفى الموضعين لمنع الخلق لا يمنع الجمع واقتراحهم
وإن كان متعاقبا مجرد ظهور مثل هذه الأفاعيل العجيبة على يده عليه السلام لا بظهورها بواسطة القرآن
لكن ذلك حيث كان مبنيا على عدم اشتماله في زعمهم على الخوارق فيطأ ظهورها به مبالغة في بيان اشتماله عليها
وأنه حقيق بأن يكون مصدر الكل خارق وإبانه تركا كدراهم في شأنه الرفيع كأنه قيل لو أن ظهور أمثال
ما اقترحوه من مقتضيات الحكمة كان مظهرها هذا القرآن الذي لم يمدوه آية وفيه من تنعيم شأنه العزيز
ووصفهم بركاكة العقل ما لا يخفى (بل لله الأمر جميعا) أي له الأمر الذي عليه يدور ذلك الأكوان وجودا
وعدم ما يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لما يدعوا إليه من الحكم البالغة وهو انذارا عما تقتضيه الشرطية من معنى
التقي لا يجب منطوقه بل باعتبار موجبه ومؤذاه أي لو أن قرأنا فعل به ما ذكر لكان ذلك هذا القرآن
ولكن لم يفعل بل فعل ما عليه الشأن الآن لأن الأمر كله له وحده فلا ضراب ليس بتوجيه إلى كون الأمر لله
سبحانه بل إلى ما يؤدى إليه ذلك من كون الشأن على ما كان لما تقتضيه الحكمة من بناء التكليف على
الاختبار (أفلم يأس الذين آمنوا) أي أفلم يعلموا على لغة هوازن أو قوم من النخع أو على استعمال اليأس
في معنى العلم لتضمنه له ويؤيده قراءة على وابن عباس وجعاعة من العصاة والتابعين ورضي الله عنهم أفلم يبين
بطريق التفسير والثناء للعطف على مقتدر رأى أغفلوا عن كون الأمر جميعا لله تعالى فلم يعلموا (أن لو شاء الله)
على حذف ضمير الشأن وتحقير أن (لهدى الناس جميعا) باظهار أمثال تلك الآثار العظيمة فالإنكار متوجه
إلى المعطوفين جميعا أو أعلوا كون الأمر جميعا لله فلم يعلموا ما يوجب ذلك العلم بما ذكره وهو متوجه إلى ترتيب
المعطوف على المعطوف عليه أي تخلف العلم الثاني عن العلم الأول وعلى التقديرين فالإنكار مكارا للوقوع
كما في قوله تعالى ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا لا إنكارا للواقع كما في قولك ألم يمت الله حتى عسيته ثم إن مناط
الإنكار ليس عدم علمهم بضمون الشرطية فقط بل مع عدم علمهم بعدم تحقق مقدمها كأنه قيل ألم يعلموا أن الله
تعالى لو شاء هدايتهم لهداهم وأنه لم يشأها وذلك لأنهم كانوا يؤذون أن يظهر ما اقترحوا من الآيات ليحتملوا
على الإيمان وعلى الثاني لو أن قرأنا فعل به ما فصل من التعاجيب ما آمنوا به كقوله تعالى ولو أنزلنا القرآن
على الملائكة ولكلهم الموق الآيات فلا ضراب حيث قدم توجه إلى ما صلف من اقتراحهم مع كونهم في العناد على
ما شرح أي فليس لهم ذلك بل لله الأمر جميعا أن شاء الله بما اقترحوا وإن شاء لم يأت به حجة تستدعيه داعية
الحكمة من غير أن يكون لاحد عليه تحكم أو اقتراح واليأس بمعنى القنوط أي ألم يعلم الذين آمنوا حالهم هذه
فلم يقنطوا من إيمانهم حتى أجوا ظهور مقتضياتهم فالإنكار متوجه إلى المعطوفين أو أعلوا ذلك فلم يقنطوا
من إيمانهم فهو متوجه إلى وقوع المعطوف بعد المعطوف عليه أي إلى تخلف القنوط عن العلم المذكور
والآن ~~أرعى~~ التقديرين إنكار الواقع كما في قوله تعالى أفلا تتقون ونظائره لا إنكار الوقوع فإن عدم
قنوطهم منه محال مردله وقوله تعالى أن لو شاء الله الخ متعلق بمذوف أي أفلم يأسوا من إيمانهم علمانهم
أو عالين بأنه لو شاء الله لهدى الناس جميعا وأنه لم يشأ ذلك أو بآمنوا أي أفلم يقنط الذين آمنوا بأن لو شاء الله
لهدى الناس جميعا على معنى أفلم يأس من إيمانهم المؤمنون بضمون الشرطية وبعدم تحقق مقدمها المنتههم
من مكابرتهم حسبما تحكيه كلمة لو فالوصف المذكور من دواعي إنكار يأسهم وقيل إن أباجهول وأضرابه قالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أن كنت نبيا مبرقرا أنك البهال عن مكة حتى تسع لنا وتخذفها البساتين
والقطائع وقد مضت لداود عليه السلام فلست بأهون على الله منه أن كنت نبيا كما زعمت أو مضرا شابه الرمح كما
مضت لسلیمان عليه السلام لتنجبر عليها إلى الشام فقد شق علينا قطع الشقة البعيدة أو أبعث لنا به رجلين أو ثلاثة

من مات من آباءنا فترات نغنى تنطبع الارض حينئذ قطعها بالسير ولا حاجة حينئذ الى الاعتذار في اسناد
 الا فاعيل المذكورة الى القرآن كما احتج اليه في الوجهين الاولين وعن الفراء أنه متعلق بما قبله من قوله
وهم يكفرون بالرحن وما بينهما اعتراض وهو بالحقيقة دال على الجواب والتقدير ولو أن قرآننا سرت به الجبال
أو قطعت به الارض أو كالم في الموتى الكفروا بالرحن والتقدير كبر في كلهم به الموتى لتغليب المذكور من الموتى على
غيره (ولا يزال الدين كثرنا) من أهل مكة (نسيمهم بما صنعوا) أي بسبب ما صنعوه من الكثرة والتمادي
فيه وعدم يئانه اتماما مقصدا الى توبته أو استعجانه وهو نصريح بما اشهر به بناء الحكم على الموصول من عليه
الصلة له مع ما في صيغة الصنع من الايذان برسوخهم في ذلك (قارعة) داهية تفرغهم ومقتلهم وهو ما كان
يسميه من أنواع البلايا والمصائب من القتل والاسر والنهب والسلب وتقديم الجور وعلى الفعل لما مر مرارا
من ارادة التفسير اثر الابهام لزيادة التقرير والاحكام مع ما فيه من بيان أن مدار الاصابة من جهتهم
أثر ذي اثر (أو فعل) تلك القارعة (قريبا) أي مكانا قريبا (من دارهم) فيقزعون منها ويتطايروا
اليهم شرارها شبت القارعة بالعدو والمتوجه اليهم فأسند اليها الاصابة تارة والحلول أخرى ففيه استعارة
بالكناية وتخييل وترشيع (حتى يأتي وعد الله) أي موتهم أو انقضاء فان كلا منهما وعد محتمل لا مرد له وفيه دلالة
على أن ما يصيهم عند ذلك من العذاب في غاية الشدة وأن ما ذكر سابقا بقية نعمة بسيرة بالنسبة اليه ثم حقق ذلك
بقوله تعالى (ان الله لا يخلف الميعاد) أي الوعد كما يلاذ والميثاق بمعنى الولادة والتوثيق لاستحالة ذلك على الله
سبحانه وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعنها وكانوا بين اغارة واختطاف وتخويق بالهجوم عليهم في ديارهم فالاصابة والحلول حيثئذ من أحوالهم
ويجوز على هذا أن يكون قوله تعالى أو فعل قريبا من دارهم خطأ بالرسول صلى الله عليه وسلم مراد به حلوله
الحديثة والمراد بوعده ما وعده من فتح مكة (واقدا استهزئ برسول) كثيرة خلت (من قبلك فأملت للذين
كفروا) أي تركتهم ملاءمة من الزمان في أمن ودعة كما عي للبهمة في المرعى وهذا نسبية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم عما اتى من المشركين من التكذيب والافتراء على طريقة الاستهزاء به ووعيد لهم والمعنى ان ذلك ليس
مختصا بك بل هو أمر مطرد قد فعل ذلك برسول كثيرة كائن من قبلك فأملت الذين فعلوه بهم والعدول في الصلة
الى وصف الكفر ليس لان الممل لهم غير المستهزئين بل لارادة الجمع بين الوصفين أي فأملت للذين كفروا
مع استهزائهم لا باستهزائهم فقط (ثم أخذتهم فكيف كان عقاب) أي عقابي اياهم وفيه من الدلالة على تنامي
كفبه في الشدة والفظاعة ما لا يخفى (افن هو فأنهم) أي رقيب مهين (على كل نفس) كائن من كانت
(عما كتب) من خير أو شر لا يخفى عليه شيء من ذلك بل يجازى كلا بعمله وهو الله تعالى والخبر محذوف أي
كن ليس كذلك انكار ذلك وادخال الفاء لتوجيه الانكار الى توهم المماثلة غيب ما علم مما فعل تعالى
بالمستهزئين من الاملاء المديد والاخذ الشديد ومن كون الامر كله لله تعالى وكون هداية الناس جميعا
منوطة بعشيقته تعالى ومن تواتر التواريخ على الكفرة الى أن يأتي وعد الله كأنه قبل الأمر كذلك فن هذا شأنه
كما ليس في عداد الاشياء حتى تشر كونه به فالانكار متوجه الى ترتيب المعطوف أعني توهم المماثلة على المعطوف
عليه المستدرا أعني كون الامر كما ذكر كافي قولك أنه لم الحق فلا تعمل به لا الى المعطوفين جميعا كما اذا قلت
ألا تفعل فلا تعمل به وقوله تعالى (وجعلوا الله شركاء) جملة مستقلة يحييها الدلالة على الخبر أو سالية
أي أفن هذه صفاته كما ليس كذلك وقد جعلوا له شركاء لا شركا واحدا أو معطوفة على الخبران قد مر ما يصلح لذلك
أي أفن هذا شأنه لم يوجد وجه جعلوا له شركاء ووضع المظهر موضع المفعول للتخصيص على وحدانيته ذاتا واسما
وللتبعية على اختصاصه باستحقاق العبادة مع ما فيه من البيان بعد الابهام بإرادته موصولا للدلالة على التفعيم
وقوله تعالى (قل - موهم) تيكيت لهم اثر تيكيت أي موهم من هم وماذا اسماء وهم أو صفة وهم وانظر واهل لهم
ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشكر (أم تدعون) أي بل أتدعون الله (بما لا يعلم في الارض) أي بشركاء
مستحقين للعبادة لا يعلمهم الله تعالى ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والارض وقرئ بالتخفيف (أم بظاهر
من القول) أي بل اسموهم بظاهر من القول من غير أن يكون لهم معنى وحقيقة كنعمة الزنجي كأفورا
كقوله تعالى ذلك قولهم بأفواههم وهاتيك الاساليب البديعة التي ورد عليها الآية الكريمة منادية على أنها

خارجة عن قدرة البشر من كلام خلاق القوى والقدر فتبارك الله رب العالمين (بل الذين كفروا) وضع
الموصول موضع المضمر ذمالمهم وتجيلا عليهم بالكفر (مكرهم) قويمهم الابطال او كيدهم للاسلام بشرهم
(وصدوا عن السبيل) أي سبيل الحق من صد صدوقرى بكسر الصاد على نقل حركة الدال اليها وقرئ بفتحها
أي صد والناس اومن صد صدودا (ومن يضل الله) أي يخلق فيه الضلال بسوء اختياره ويخذله (قاله من
هاد) يوفقه للهدى (اهم عذاب) شاق (في الحياة الدنيا) بالقتل والامر وسائر ما يصيبهم من المصائب فانما انما
تصيبهم عقوبة على كفرهم (ولعذاب الآخرة اشق) من ذلك بالشدّة والمدة (وما لهم من الله) من عذابه
المذكور (من واثق) من حافظ بعضهم من ذلك فمن الاولى صله للوقاية والثانية مزيدة للتأكيد (مثل الجنة)
أي صفتها العجيبة الشأن التي في الغرابة كالمثل (التي وعد المتقون) عن الكفر والمعاصي وهو مبتدأ خبره
محذوف عند صيغته أي فيما قصصنا عليك مثل الجنة وقوله تعالى (تجربى من تحت الانهار) تفسر لذلك المثل
على انه حال من التعمير المحذوف من الصلة العائد الى الجنة أي وعدا وهو الخبر عند غيره كقولك شأن زيد يأتيه
الناس ويعظمونه أو على حذف موصوف أي مثل الجنة جنة تجرى الخ (اكلها) ثمها (دائم) لا ينقطع
(وظلها) أيضا كذلك لا تنسخه الشمس كما تنسخ ظلال الدنيا (تلك) الجنة المنعوتة بما ذكر (عقبى الذين اتقوا)
الكفر والمعاصي أي ما لهم ومنتهى أمرهم (وعقبى الكافرين النار) لا يعرفونه ما لا يخفى من اطماع المتقين
واقناط الكافرين (والذين آتيناهم الكتاب) هم المسلمون من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب وأضرابهم ما
ومن امن من النصارى وهم غمانون رجلا أربعون بنجران وغمانية بالين واثنتان وثلاثون بالحيشة (يفرحون
بما أنزل اليك) اذ هو الكتاب الموعود في التوراة والانجيل (ومن الاحزاب) أي من أحزابهم وهم كفرتهم
الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف والسيد والعاقب استقى
بنجران وأتباعهما (من يشكر بعضه) وهو الشرائع الحادثة انشاء أو نسخا لا ما يوافق ما حذروه والانتهى عليهم
من اول الامر أن مدار ذلك انما هو جنائيات أيديهم وأما ما يوافق كتبهم فلم يشكروه وان لم يفرحوا به وقيل يجوز
أن يراد بالموصول الاقل عامتهم فانهم أيضا يفرحون به لكونه مصداقا لكتبهم في الجملة فينبغي أن يكون قوله
تعالى ومن الاحزاب الخ تنمة بمنزلة أن يقال ومنهم من يشكر بعضه (فصل) الزامالمهم ورد الانكارهم
(انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به) أي شيئا من الاشياء أو لأفعل الاشياء بالية والمراد قصر الامر
بالعبادة على الله تعالى لا قصر الامر مطلقا على عبادته تعالى خاصة أي قل لهم انما أمرت فما أنزل الى
بعبادة الله وتوحيده وظاهر أن لا سبيل لكم الى انكاره لا طباق جميع الانبياء والكتب على ذلك كقوله تعالى
قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا فانكم تشركون به عزيرا
والمسيح وقرئ ولا أشرك به بالرفع على الاستئناف أي وأنا لا أشرك به (اليه) الى الله تعالى خاصة على النهج
المذكور من التوحيد أو الى ما أمرت به من التوحيد (ادعو) الناس لا الى غيره أو لا الى شيء آخر مما لم يطبق
عليه المكتب الالهية والانبياء عليهم الصلاة والسلام فواجه انكاركم (واليه) الى الله تعالى وحده (ما تب)
مرجى للجزاء وحيث كانت هذه الحجة الباهرة لازمة لهم لا يجدون عنها محيصا أمر عليه الصلاة والسلام بأن
يخطبهم بذلك الزامات بكتبنا لهم ثم شرع في رد انكارهم فروع الشرائع الواردة ابتداء أو بدلا من الشرائع
النسوخة ببيان الحكمة في ذلك فقيل (وكذلك أنزلناه) أي ما أنزل اليك وذلك إشارة الى مصدر أنزلناه
أو أنزل اليك ومحله النصب على المصدرية أي مثل ذلك الانزال البدع المنتظم لاصول مجمع عليها وفروع
منشوعة الى موافقة ومخالفة حسبما تقتضيه قضية الحكمة والمصلحة أنزلناه (حكما) حاكما يحكم في القضايا
والواقعات بالحق أو يحكم به كذلك والتعرض لذلك العنوان مع أن بعضه ليس بحكم لقرينة وجوب مراعاته
وتحتم المحافظة عليه (عربيا) مترجما بلسان العرب والتعرض لذلك للإشارة الى أن ذلك احدى مواد مخالفة
للكتب السابقة مع أن ذلك مقتضى الحكمة اذ بذلك يسهل فهمه وادراك اعجازه والاقتصار على اشغال
الانزال على اصول الديانات المجمع عليها فيقيد قوله تعالى قل انما أمرت أن أعبد الله الخ بإبادة التعرض
لاتباع أهوائهم وحديث المحو والاثبات وان لكل أجل كتاب فان الجمع عليه لا يتصور فيه الاستبعاد والاتباع

(ولئن اتبع أهواءهم) التي يدعونك اليها من تقرير الامور المخالفة لما أنزل اليك من الحق كالصلاة الى بيت المقدس بعد التحويل (بعد ما جاء من العلم) العظيم الشأن الفائض من ذلك الحكم العربي أو العلم بمضمونه (مالك من الله) من جنابه العزيز والالتفات من التكلم الى الغيبة وإيراد الاسم الجليل اتريسية المهابة قال الازهرى لا يكون الها حتى يكون معبودا وحتى يكون خالقاً ورازقاً ومديراً (من ولي) بلى أمرك وتصرك على من يفيك الغوائل (ولا واق) بقيك من مصارع السوء وحيث لم يستلزم نفي الناصر على العدو ونفي الوافي من نكايته أدخل على المعطوف حرف النفي لتأكيده كقولك مالي دينار ولا درهم أو مالك من بأس الله من ناصر وواق لا تساعك أهواءهم وأمثال هاتيك القوارع انما هي اتطعم أطماع الكفرة وتتهيج المؤمنين على النيات في الدين واللام في لئ موطئة ومالك سادسة جوابي الشرط والقسام (ولقد أرسلنا رسلاً كثيرة كائنة من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية) نساء وأولاداً كما جعلنا هالك وهو رد لما كانوا يعبدونه صلى الله عليه وسلم بالزواج والولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول يأكل الطعام الخ (وما كان لرسول منهم أي ماصح وما استقام ولم يكن في وسعه) ان يأتي بآية مما اقترح عليه وحكم مما التمس منه (الا باذن الله) ومشيئته المبنية على الحكم والمصالح التي علمها يدور أمر الكائنات لاسيما مثل هذه الامور العظام والالتفات لما قد مناه والتحقيق مضمون الجملة بالايماء الى العلة (اكل أجل) أي اكل مدة ووقت من المدد والاقوات (كتاب) حكم معين يكتب على العباد حسبما تقتضيه الحكمة فان الشرائع كلها لاصلاح أحوالهم في المبدأ والمعاد ومن قضية ذلك أنه يختلف حسب اختلاف أحوالهم المتغيرة حسب تغير الاوقات كاختلاف العلاج حسب اختلاف أحوال المرضى بحسب الاوقات (يعو الله ما يشاء) أي ينسخ ما يشاء نسخاً من الاحكام لما تقتضيه الحكمة بحسب الوقت (وينبت) بدله ما فيه المصلحة أو يبيته على حاله غير منسوخ أو يثبت ما شاء اثباته مطلقاً اعلم منهما ومن الانشاء ابتداء أو عموم من ديوان الحفظه الذين ديدتهم كتب كل قول وعمل مالا يتعلق به الجزاء وينبت الباقي أو يعمد وسيدات النائب ويثبت مكانها الحسنه أو يعمد وقرنا ويثبت آخرين أو يعمد والفسادات من لعالم الجسماني وينبت الكائنات او يعمد الرزق ويزيد فيه أو يعمد الاجل أو السعادة والشقاوة وبه قال ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم والقائلون به ينشرون عن الله تعالى أن يجعلهم سعداء وهو هذا رواه جابر عن النبي عليه الصلاة والسلام والانساب قديم كل من المحر والاثبات ليشمل الكل ويدخل في ذلك مواد الانكار دخولا اوليا وقرئ بالتشديد (وعنده أم الكتاب) أي أصله وهو اللوح المحفوظ اذ ما من شيء من الذاهب والنايب الا وهو مكتوب فيه كما هو (واتمرك) أصله ان ترك وما من يدة لتأكيده معنى الشرط ومن ثمة ألحقت الذون بالفعل (بعض الذي بعدهم) أي وعدناهم من انزال العذاب عليهم والعدول الى صفة المضارع لحكاية الحال الماضية أو نعهدهم وعدا متجددا حسبما تقتضيه الحكمة من انذار غيب انذار وفي آيراد البعض رمز الى اراء بعض الموعود (او توفيئك) قبل ذلك (فاعلم عليك البلاع) أي تبليغ أحكام الرسالة بنماها لا تحقيق مضمون ما بلغته من الوعيد الذي هو من جعلها (وعليها) لا عليك (الحساب) محاسبة أعمالهم السبيبة والمواخذة بها أي كيف ما دارت الحال اربناك بعض ما وعدناهم من العذاب الديني أو لم نركه فعليها ذلك وما عليك التبليغ الرسالة فلا تهم بما وراء ذلك فحسن نكفهم ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح الخفية ثم طيب نفسه عليه الصلاة والسلام بطولع تباشيره فقال (اولم يروا) استفهام انكاري والواو للعطف على متدبرية فضيه المقام أي أنكروا ونزل ما وعدناهم أو أشكروا أو لم يتطروا في ذلك ولم يروا (أنا أنأق الارض) أي أرض الكفر (تنقصها من أطرافها) بأن تنقصها على المسلمين شيئا فشيئا ونقصها بدار الاسلام ونذهب منها أهلها بالقتل والامرو والاجلاء ليس هذا من ذلك ومثله قوله عز سلطانه أفلا يرون أنا أنأق الارض تنقصها من أطرافها أفهم الغالبون وقوله تنقصها حال من فاعل نأق أو من مفعوله وقرئ تنقصها بالتشديد وفي لفظ الايمان المؤذن بالاستواء المحتوم والاستيلاء العظيم من الضميمة مالا يخفى كافي قوله عز وجل وقد مننا الى ما علموا من عمل فجعلناه هباء منثورا (والله يحكم) ما يشاء كما يشاء وقد حكم للاسلام بالعزة والاقبال وعلى الكفر بالذلة

والادبار - بما يشاهد من الخمايل والاثار وفي الالتفات من التكلم الى الغيبة ونبأ الحكم على الاسم الجليل من الدلالة على الفخامة وتربية المهابة وتحقيق مضمون الخبر بالاشارة الى العلة ما لا يخفى وهي جملة اعتراضية بحسبها لتأكيدها ما تقدمها وقوله تعالى (لا معقب لحكمه) اعتراض في اعتراض لبيان علو شأن حكمه جل جلاله وقيل نصب على الحالية كانه قيل والله يحكم كما تقول جاء زيد لا عمامة على رأسه أى حاسرا والمعقب من يعقب على الشيء فيبطله وحقيقته من يعقبه ويقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقتضى غريمه بالاقضاء والطلب (وهو مربع الحساب) فغما قليل يحاسبهم ويجازيهم في الآخرة بأفانين العذاب غما عذبهم بالقتل والاسر والاجلاء - بما يرى وقال ابن عباس رضي الله عنهما مربع الانتقام (وقدم كمر) الكفار (الذين) خلوا (من قبلهم) من قبل كفار مكة بأنبيائهم والمؤمنين كما مكرهوا - وهذا نسبية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه لا عبرة بمكرهم ولا تأشير بل لا وجود له في الحقيقة ولم يصرح بذلك اكتفاء بدلالة القصر المستفاد من تعليقه أعنى قوله تعالى (فقه المكر) أى جنس المكر (جميعا) لا وجود لمكرهم أصلا اذ هو عبارة عن اوصول المكره الى الغير من حيث لا يشعر به وحيث كان جميع ما يأتون وما يذرون يعلم الله تعالى وقدرته وانما لهم مجزء الكسب من غير فعل ولا تأثير حسبما بينه قوله عز وجل (يعلم ما تكسب كل نفس) ومن قضيتهم عصمة أوليائه وعقاب الماكرين بهم توفية لكل نفس جزاء ما تكسبه نظهر أن ليس لمكرهم بالنسبة الى من مكر وا بهم عين ولا أثر وأن المكر كانه لله تعالى حيث يؤاخذهم بما كسبوا ومن فنون المعاصي التي من بطلتها مكرهم من حيث لا يحتسبون أو لله المكر الذي بأشروهم جميعا لا هم على معنى أن ذلك ليس مكر منهم بالانبياء بل هو بعينه مكر من الله تعالى بهم وهم لا يشعرون حيث لا يحق المكر السيئ الا بأهله (وسيعلم الكفار) حين ينقض بعقبتى علمه فيوفي كل نفس جزاء ما تكسبه (ان عقبي الدار) أى العاقبة الحيدة من الفريقين وان جهلا ذلك يؤخذ وقيل السين لتأكيده وقوع ذلك وعلمهم به حينئذ وقرى سيعلم الكافر على ارادة الجنس والكافرون والكفر أى أهله والذين كفروا وسيعلم على صيغة المجهول من الاعلام أى سيجزى (ويقول الذين كفروا استمرسلا) قيل قاله رؤساء اليهود وصيغة الاستقبال لاستحضار صورة كلمتهم الشنعاء تنجيها منها اولدلالة على تجدد ذلك واستمراره منهم (ول كنى بالله شهيدا بيني وبينكم) فانه قد أظهر على رسالتي من الحجج القاطعة والبيانات الساطعة ما فيه مندوحة عن شهادة شاهد آخر (ومن عنده علم الكتاب) أى علم القرآن وما عليه من النظم المعجز ومن هو من علماء أهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون ببعثه عليه الصلاة والسلام في كتبهم والاية مدنية بالاتفاق ومن عنده علم الاصح المحفوظ وهو الله سبحانه أى كنى به شاهدا بيننا بالذى يستحق العبادة فانه قد نحن كآية بالدعوة الى عبادته وأيدى بأنواع التأييد والذى يختص بعلم ما في الاصح من الاشياء الكاشفة الثابتة التي من بطلتها رسالتي وقرئ من عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالنظر المعتمد على الموصول أو مبتدأ خبره الظرف وهو متعين على الثاني ومن عنده علم الكتاب بالكسر وبناء المفعول ووقع الكتاب * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد أعطى من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضي وكل سحاب يسكنون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموقنين بعد الله عز وجل - والله أعلم بالصواب

سورة ابراهيم عليه السلام مكية وهي احدى وخسون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) مر الكلام فيه وفي محله غير مرة وقوله تعالى (كتاب) خبره على تقدير كون الر مبتدأ أو لمبتدأ منفر على تقدير كونه خبرا لمبتدأ محذوف أو مسرودا على خط التعديد ويجوز أن يكون خبرا ثانيا لهذا المبتدأ المحذوف وقوله تعالى (أنزلناه إليك) صفة له وقوله تعالى (لتخرج الناس) متعلق بأنزلناه أى لتخرجهم - كافة بما في تضاعيفه من البينات الواضحة المنجحة عن كونه من عند الله عز وجل الكاشفة عن العقائد الحققة وقرئ ليخرج الناس (من الظلمات) أى ليخرج به الناس من عقائد الكفر والضلال التي كلها ظلمات محضة وجهالات سرقة (الى النور) الى الحق الذي هو نور يمتدح لكن لا كيفما كان فانك لا تهدي من أحببت

بل (بإذن ربهم) أي تبسيروه وتوفيقه ولا انباء عن كون ذلك منوطا بقبولهم الى الحق كما يفصح عنه قوله تعالى
 ويهدي اليه من أناب استعير له الاذن الذي هو عبارة عن تسهيل الحجاب لمن يقصد الورد وأضيف
 الى ضميرهم اسم الرب الموضح عن التريسة التي هي عبارة عن تبليغ الشيء الى كماله المتوجه اليه وشمل الاذن
 بهذا المعنى لكل واضح وعليه يدور كون الانزال لاخراجهم جميعا وعدم تحقق الاذن بالفعل في بعضهم لعدم
 تحقق شرطه المستند الى سوء اختيارهم غير محتمل بذلك والبعض معلق بتخرج أو بعضه وقع حالا من مقوله أي
 ملتبسين بإذن ربهم وجعله حالا من فاعله يأباه اضافة الرب اليهم لا اليه وحيث كان الحق مع وضوحه في نفسه
 وايضا حله لغیره موصلا الى الله عز وجل استعير له النور تارة والصراط أخرى فقيلا (الى صراط العزيز الحميد)
 على وجه الابدال بتكرير العامل كما في قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم واخلال البدل والبيان
 بالاستعارة انما هو في الحقيقة لا في الجواز كما في قوله سبحانه حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من
 الفجر وقيل هو استئناف معنى على سؤال أنه قيل الى أي نور فقيلا الى صراط العزيز الحميد وضافة
 الصراط اليه تعالى لانه متصده أو المبين له وتخصيص الوصفين بالذكر للترغيب في سلوكه ببيان ما فيه من الامن
 والعاقبة الحميدة (الله) بالجر عطف بيان للعزيز الحميد لجرأته مجرى الاعلام الغالبة بالاختصاص بالمعبود
 بالحق كالنجم في الثريا وقرى بالرفع على هو الله أي العزيز الحميد الذي أضيف اليه الصراط الله (الذي له) ملكا
 وملكاً (ما في السموات وما في الارض) أي ما وجد فيهما ما داخل فيهما أو خارجا عنهما من كتابهم ما كما مر في آية
 الكرسي فقيه على القراءتين بيان لكل الخامة شأن الصراط واظهار لتعظيم سلوكه على الناس قاطبة وتجاوز الرفع
 على الاستدعاء بجعل الموصول خبرا مبتدأ الغنول عن هذه النكتة وقوله عز وجل (وويل للكافرين) وعيد
 لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور بالويل وهو تقيض الوال وهو النجاة وأصله انصب كسائر
 المصادوم رفع رفعها للدلالة على الثبات كسلام عليك (من عذاب شديد) متعلق بويل على معنى يولولون
 ويضجون منه قائلين يا ويلاه كتوله تعالى دعوا ههنا لشورا (الذين يستحيون الحياة الدنيا) أي يؤثرونها
 استئعمال من المحبة فان المؤثر للشيء على غيره كانه يطلب من نفسه أن يكون أحب اليها وأفضل عندها من غيره
 (على الآخرة) أي الحياة الآخرة الابدية (ويصدون) الناس (عن سبيل الله) التي بين شأنها والاقتصار
 على الاضافة الى الاسم الجليل المنظور على كل وصف جميل لروم الاختصار وهو من صدته صدأ وقرى يصدون
 من أصد المنقول من صد صدودا اذا انكب وهو غير فصيح كما وقف فان في صدته ووقفه اندوحة عن تكلف النقل
 (ويغونها) أي يغونها لها الخذف الجواز وأوصل الفعل الى الضمير أي يطلبون لها (عوجا) أي زيفا واعوجاجا
 وهي أبعث شيء من ذلك أي يقولون لمن يريدون صدته واضلاله انما سبيلنا كية وزائفة غير مستقيمة ومحمل
 موصول هذه الصلات الجز على أنه بدل من الكافرين أو صفة له فيعتبر كل وصف من أوصافهم بازا ما يناسبه
 من المعاني المعتبرة في الصراط فالكفر المنهي عن السربازاء كونه نورا واستحباب الحياة الدنيا الفانية
 المنعجة عن وخامة العاقبة بمقابله كون سلوكه محمودا العاقبة والصد عنه بازا كونه مأمونا وفيه من الدلالة
 على تأديهم في التي مالا يخفى أو انصب على الذم أو الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى (اولئك في ضلال بعيد)
 وعلى الاول جعله مستأنفة وقعت معللة لما سبق من حقوق الويل بهم ثم تأكيد المأثم به بناء الحكم على
 الموصول أي أولئك الموصوفون بالقبائح المذكورة من استحباب الحياة الدنيا على الآخرة وصد الناس
 عن سبيل الله المستقيمة ووصفها بالاعوجاج وهي منه ينزه في ضلال عن طريق الحق بعيد بالغ في ذلك غاية
 الغايات القاصية والبعيدون كان من أحوال الضال الا أنه قد وصف به وصفه مجازا للمبالغة كجد جده
 وداهية دهباً ويجوز أن يكون المعنى في ضلال ذي بعد أو فيه بعد فان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا
 وقد يضل بعيدا وفي جعل الضلال محيطا بهم احاطة الظرف بما فيه مالا يخفى من المبالغة (وما أرسلنا
 أي في الامم الخالية من قبلك كاسية ذكر اجمالا (من رسول الا) ملتبسا (بلسان قومه) متكلمة بلغة من أرسل
 اليهم من الامم المتفتحة على لغة سواهم فهم أولا وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمين وضمة
 وسكون كعمد وعمد (ليسبواهم) مأخوذا به فيلقوه منه يسروا وعرعة ويعملوا بموجبه من غير حاجة

الى الترجمة من لم يؤمر به وحيد لم يمكن مراعاة هذه القاعدة في شأن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم
أجمعين لعموم بعثته الثقلين كافة على اختلاف لغاتهم وكان تعدد نظم الكتاب المنزل اليه حسب تعدد ألسنة
الام ادعى الى التنازع واختلاف الكامة وتطرق أيدي التحريف مع أن استقلال بعض من ذلك بالايجاز دون
غيره مثنة لقدح القادحين وانصاف الجميع فيه أمر قريب من الاجلاء وحصر البيان بالترجمة والتفسير
اقتضت الحكمة اتحاد النظم المنبئ عن العزة وجلالة الشأن المستتبع لقوائد غنية عن البيان على أن الحاجة
الى الترجمة تتضاعف عند التعدد اذ لا بد لكل أمة من معرفة نوافذ الكل وتحاذيه حذو القذة بالقذة
من غير مخالفة ولو في خصلة فذة وانما يتم ذلك بمن يترجم عن الكل واحدا أو متعددا وفيه من التعذر
ما يتنازع الامتناع ثم لما كان انصرف الاقوام وأولاهم بدعوتهم عليه الصلاة والسلام قومه الذين بعث فيهم
ولغتهم أفضل اللغات نزل الكتاب المتين بلسان عربي مبين وانتشرت أحكامه فيما بين الامم أجمعين وقيل الضمير
في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم فإنه تعالى انزل الكتب كلها عربية ثم ترجمها جبريل عليه الصلاة والسلام
او كل من نزل عليه من الانبياء عليهم السلام بلغة من نزل عليهم ويردده قوله تعالى ليسين لهم فإنه ضمير القوم
وظاهر أن جميع الكتب لم ينزل لتبيين العرب وفي رجوعه الى قوم كل نبى كأنه قيل وما أرسلنا من رسول الا بلسان
قوم محمد عليه الصلاة والسلام ليبين الرسول لقومه الذين ارسل اليهم ما لا يخفى من التكلف (فضل الله
من يشاء) اضلاله أى يحاق في الضلال لمباشرة أسبابه المؤدية اليه أو يخذله ولا يلف به لما يعلم أنه لا يتبع فيه
الاطاف (ويهدى) بالتوفيق ومنح الاطاف (من يشاء) هدايته لما فيه من الانابة والاقبال الى الحق
والالتفات باسناد الفعاليين الى الاسم الجليل المنطوى على الصفات التفضيم شأنه ما وترشح منطاط كل منها ما والفاء
فصيحة مثلها في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانقلب كأنه قيل فينبؤهم لهم فأضل الله منهم من شاء اضلاله
لما لا يليق الابه وهدى من شاء هدايته لاستحقاقه لها والحذف للايدان بأن مارة كل رسول الى ما أمر به
وجريان كل من أهل الخذلان والهداية على سنته أمر محقق غنى عن الذكر والبيان والعدول الى صيغة
الاستقبال لاستحضار الصورة أو للدلالة على التجدد والاستمرار حسب تجدد البيان من الرسل المتعاقبة عليهم
السلام وتقديم الاضلال على الهداية أمالانه ابقاء ما كان على ما كان والهداية انشاء ما لم يكن أو للمبالغة
في بيان أن لا تأثير للبين والتذكير من قبل الرسل وأن مدار الامر انما هو مشيئته تعالى بإيهاً أن ترتب الضلالة
على ذلك اسرع من ترتب الاهتداء وهذا محقق لما سلف من تقييد الانحراج من انظلمات الى النور بإذن الله
تعالى (وهو العزيز) فلا يغالب في مشيئته (الحكيم) الذى لا يفعل شيأ من الاضلال والهداية الا بحكمة بالغة
وفيه أن ما قوض الى الرسل انما هو تبليغ الرسالة وتبيين طريق الحق وأما الهداية والارشاد اليه فذلك بيد الله
سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (ولقد أرسلنا موسى) شروع في تفصيل ما أجل في قوله عز وجل وما أرسلنا
من رسول الا بلسان قومهم ليبين لهم الآية (بآياتنا) أى ملتبساً بها وهى معجزاته التى اظهرها لى اسرائيل
(أن أخرج قومك) بمعنى أى أخرج لان الارسال فيه معنى القول أو بيان أخرج كما في قوله تعالى وأن أقم وجهك
فان صيغ الافعال فى الدلالة على المصدر سواء وهو المداور فى صحة الوصول والمراد بذلك انحراج بنى اسرائيل
بعد مهلك فرعون (من الظلمات) من الكفر والجهالات التى اذتم الى أن يقولوا يا موسى اجعل لنا الهة
كالهة آلهم (الى النور) الى الايمان بالله وتوحيده وسائر ما أمر به (وذكرهم بأيام الله) أى بنعماته
وبلائه كما ينبئ عنه قوله اذكروا نعمة الله عليكم لئلا تكون لى ما جرى عليهم فقط بل عليهم وعلى من قبلهم
من الامم فى الايام المتعاقبة حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ألم يأتكم نبال الذين من قبلكم الايات او بأيامه المنطوية
على ذلك كما يلوح به قوله تعالى اذ أنجاكم والالتفات من التكلم الى الغيبة باضافة الايام الى الاسم الجليل
للايدان بغضامة شأنها والاشعار بعدم اختصاص ما فيها من المعاملة بالخطاب وقومهم كما توهمه الاضافة
الى ضمير المتكلم أى عظمهم بالترغيب والترهيب والوعود والوعيد وقيل أيام الله وقاؤه التى وقعت على الامم
قبلهم وأيام العرب وقاؤها وحروبها وملاحها أى أنذرهم وقاؤه التى دهمت الامم الدارجة ويردده ما تصدى له
عليه الصلاة والسلام بصدد الامتنال من التذكير بكل من السراء والضراء مما جرى عليهم وعلى غيرهم
حسب ما يلى عليك (ان فى ذلك) أى فى التذكير بها وفى مجموع تلك النعماء والبلاء وفى أيامها (لايات) عظيمة

او كثيرة دالت على وحدانية الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته فهي على الاول عبارة عن الايام سواء أريد بها
أنفسها أو ما فيها من النعماء والبلاء ومعنى ظرفية التذكير لها كونه مناطا لظهورها وعلى الثالث عن تلك
النعماء والبلاء ومعنى الظرفية ظاهر وأما على الثاني وهو كونه إشارة الى مجموع النعماء فمعنى كل واحدة
من تلك النعماء والبلاء والمشار إليه المجموع المشتمل عليهما من حيث هو مجموع أو كلمة في تجريدية مثلها في قوله
تعالى لهم فيها دار الخلد (لكل صبار) على بلائه (شكور) لنعمائه وقيل لكل مؤمن والتعبير عنهم بذلك
للاشعار بأن الصبر والشكر عنوان المؤمن أي لكل من يليق بكمال الصبر والشكر أو الايمان وبصبر أمره اليها
لأنه انصف بها بالفعل لأنه تعليل للأمر بالتذكير المذكور السابق على التذكير المؤدى الى تلك المرتبة فإن
من تذكروا ما فاضل أو نزل عليه أو على من قبله من النعماء والبلاء وتنبه لعاقبة الشكر والصبر أو الايمان لا يكاد
يفارقها وتخصيص الآيات بهم لأنهم المنتفعون بها لآلائها خافية عن غيرهم فإن التبيين حاصل بالنسبة الى الكل
وتتدبر الصبر على الشكر وتقدم متعلق الصبر أعنى البلاء على متعلق الشكر أعنى النعماء وكون الشكر عاقبة
الصبر (واذ قال موسى اقوم) شروع في بيان تصديه عليه الصلاة والسلام لما أمر به من التذكير للخروج
المذكور واذ منصوب على المفعولية بمن خرج خطب به النبي عليه الصلاة والسلام وتعلق بالوقت مع أن
المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قدم مرة غير مرة أي اذكروا لهم وقت قوله عليه الصلاة والسلام
لقومه (اذكروا نعمة الله عليكم) بدأ عليه الصلاة والسلام بالترغيب لأنه عند النفس أقبل وهي اليه أميل
والطرف متعلق بنفس النعمة ان جعلت مصدرا أو معدولا وان جعلت اسما أي اذكروا انعامه
عليكم واذكروا نعمته كائنة عليكم وكذلك كلمة اذ في قوله تعالى (اذ انجاكم من آل فرعون) أي اذكروا انعامه
عليكم وقت انجائه اياكم من آل فرعون أو اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم وقت انجائه اياكم منهم أو بدل
اشتمال من نعمة الله مراد بها الانعام أو العطية (يسومونكم) يغنونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظمنا
وأصل السوم الذهاب في طلب الشيء (سوء العذاب) سوء مصدر سايسوء والمراد به جنس العذاب السيئ
أو استعبادهم واستعمالهم في الاعمال الشاقة والاستهانة بهم وغير ذلك مما لا يحصر ونصبه على أنه مفعول
ليسومونكم (ويذبحون ابناءكم) المولودين وانما عطفه على يسومونكم اخراجا له عن مرتبة العذاب المعتاد
وانما عطفه على ذلك لان فرعون رأى في المنام أو قال له الكهنة انه سيولد منهم من يذهب بملكه فاجتهدوا في ذلك
فلم يغن عنهم من قضاء الله شيئا (ويذبحون نساءكم) أي يتقونهن في الحياة مع الذل والصغار ولذلك عد
من جملة البلاء والجلل أحوال من آل فرعون أو من ضمير المخاطبين أو منهما جميعا لأن فيها ضمير كل منهما
(وفي ذلكنم) أي فيما ذكر من أفعالهم الفظيعة (بلاء من ربكم) أي ابتلاء منه لأن البلاء عين تلك الأفعال اللهم
الآن تجعل في تجريدية فبسته الى الله تعالى أماما من حيث الخلق أو الأقدار والتكبير (عظيم) لا يطاق ويجوز
أن يكون المشار إليه الانجاء من ذلك والبلاء الابتلاء بالنعمة وهو الانسب كما يوضح به التعرض لوصف الربوبية
وعلى الاول يكون ذلك باعتبار المآل الذي هو الانجاء أو باعتبار أن بلاء المؤمن تربية له (واذ أذن ربكم)
من جملة مقال موسى عليه الصلاة والسلام لقومه هو مطوف على نعمة الله أي اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا
حين تأذن ربكم أي أذن اذنا بالغي لا يتق مع شائبة شبهة لما في صيغة التثنية من معنى التكلف المحول
في حقه سبحانه على غايته التي هي الكمال وقيل هو مطوف على قوله تعالى اذ انجاكم أي اذكروا نعمته تعالى
في هذين الوقتين فإن هذا التأذن أيضا نعمة من الله تعالى عليهم شالون بها خبري الدنيا والآخرة وفي قراءة
ابن مسعود رضي الله تعالى عنه واذ قال ربكم ولقد ذكرهم عليه الصلاة والسلام أول ابتلاءه تعالى عليهم
مصر يحا وضمه تذكيرا أصليهم قبل ذلك من الضم أتم أمرهم ما ينادى كرماجر من الله سبحانه من الوعد
بالزيادة على تقدير الشكر والوعيد بالعذاب على تقدير الكفر والمراد بتذكير الاوقات تذكير ما وقع فيها من
الحوادث مفصلة اذ هي محبطة بذلك فاذا ذكرت كرماء فيها كانت مشاهد معاني (لئن شكرتم) يا بني اسرائيل
ما خولتكم من نعمة الانجاء واهلالة العدو وغير ذلك من النعم والآلاء الفاسدة للصرور فابلتقوا بالايمان
والطاعة (لازيدنكم) نعمة الى نعمة (ولئن كفرتم) ذلك ونعمته هو (ان عذابا لشديد) فهو يصبى بكم منه

٧ قوله ونعمته هو أي
لم تشكروه وهو من باب
ضرب وسم وفتح وفي نسخة
نعمته هو بالطاء المهملة وهو
بمعناه وبابه ضرب وسم كان
٧ القاموس ٨٠ مجمع

ما يصيبكم ومن عادة الكرام التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد فما ظنك يا كرم الا كرمين ويجوز ان يكون
المذكور تعليلا للجواب المحذوف أى لا عذبناكم واللام في الموضعين موطئة للقسم وكل من الجوابين سادسة
جوابي الشرط والقسم والجملة امامة هول لتأذن لانه شرب من القول أو لقول مقدّر بعده كانه قيل واذا تأذن
ريكم فقال الخ (وقال موسى ان تكفروا) نعمه تعالى ولم تشكروها (أنتم) يا بني اسرائيل (ومن في الارض)
من الخلاق (جميعا فان الله اغنى) عن شكركم وشكر غيركم (حميد) مستوجب للحمد بذاته لكثرة ما يوجب
من أياديه وان لم يحمد أحد أو محمود بحمد الملائكة بل كل ذرة من ذرات العالم ناطقة بحمده والحمد حيث
كان عقابله النعمة وغيرها من الفضائل كان ادل على كماله سبحانه وهو تعليل لما حذف من جواب ان أى
ان تكفروا لم يرجع وبالله الا عليكم فان الله تعالى لغنى عن شكر الشاكرين ولعله عليه الصلاة والسلام اغناؤه
عند ما عين منهم دلائل العناد وتخايل الاصرار على الكفر والفساد وتيقن أنه لا ينتفعهم الترغيب ولا التعريض
بالترهيب أو قاله غيب تذكيرهم بما ذكره من قول الله عز ساطانه تحقيقا لمنمونه وتحذيرا لهم من الكفران ثم
شرع في الترهيب بتذكير ما جرى على الامم الخالية فقال (ألم يأتكم نبي الذين من قبلكم) ليتدبروا ما أصاب
كل واحد من حزبي المؤمن والكافرية اعوامهم عليه من الشر وينبوا الى الله تعالى وقيل هو ابتداء كلام
من الله تعالى خطا بالكفرة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فيخص تذكير موسى عليه الصلاة والسلام
بما اختص بنبي اسرائيل من السراء والضراء والايام بالايام الجارية عليهم فقط وفيه ما لا يخفى من البعد وأيضا
لا يظهر حينئذ وجه تخصيص تذكير الكفرة الذين في عهد النبي عليه الصلاة والسلام بما أصاب اولئك
المعدودين مع أن غيرهم اسوة لهم في الخلق قبل هؤلاء (قوم نوح) بدل من الموصول أو عطف بيان (وعاد)
معطوف على قوم نوح (وعود والدين من بعدهم) أى من بعده هؤلاء المذكورين عطف عام على قوم نوح
وما عطف عليه وقوله تعالى (لا يعلم الا الله) اعتراض أو الموصول مبتدأ ولا يعلمهم الى آخر خبره والجملة
اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله سبحانه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بين
عدنان واسماعيل ثلاثون أبلا يعرفون وكان ابن مسعود رضى الله تعالى عنه اذا قرأ هذه الآية قال كذب
النسبون يعني أنهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله تعالى علمها عن العباد (جاءتهم رسالهم) استئناف لبيان
نبئهم (بالبينات) بالمعجزات الظاهرة والبيانات الباهرة فبين كل رسول لامة طريق الحق وهذا هم اليه
ليخرجهم من الظلمات الى النور (فردوا ايديهم في أفواههم) مشيرين بذلك الى ألسنتهم وما يصدر عنهم من
المقالة اعتناء منهم بشأنها وتنبيه المرسل على تلقيها والمحافظة عليها واقتضاها لهم عن التصديق والايان باعلام
أن لا جواب لهم سواء (وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به) أى على زعمكم وهى البينات التى أظهروها بحجة
على صحة رسالاتهم كتوله تعالى واقد أرسلنا موسى بآياتنا وامر ادهم بالكفر بها الكفر بدلائلها على صحة
رسالاتهم أو فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كتوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ
أو وضعوها على اعقابهم واستهزاء به كمن غلبه الضحك أو اسكتهم بالانبياء عليهم السلام وأمرهم بالطباق
الأفواه أو ردوها في أفواه الانبياء عليهم الصلاة والسلام بمنعونهم من التكلم تحقيقا أو غشيا أو جعلوا أيدي
الانبياء في أفواههم تعجبا من عتوهم وعنادهم كما نبى عنه تعجبهم بقوله هم اتى الله شك الخ وقيل الايدي
بمعنى الايادي عبر بها عن مواظمتهم ونصائحهم وشرائعهم التى هى مدار النعم الدينية والدنيوية لانهم لما
كذبوها فلم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه (وانا نرى شك) عظيم (مما تدعوننا اليه) من
الايان بالله والتوحيد فلا شىء في شكهم في ذلك كفرهم القطعى مما أرسل به الرسل من البينات فانهم كفروا
بها قطعا حيث لم يعتدوا بها ولم يجعلوها من جنس المعجزات ولذلك قالوا فأتونا بسلطان مبين وقرئ تدعون
بالادغام (حريب) موقع في الرية من أرابه أو ذى رية من أراب الرجل وهى قلق النفس وعدم الطمأنينة
بالشئ (فانت رسالهم) استئناف مبنى على سؤال ينساق اليه المقال كأنه قيل فماذا قالت لهم رسالهم
فأجاب بأنهم قالوا ما تكرين عليهم ومتعجبين من مقالتهم الحقاء (أفى الله شك) بادخال الهمزة على الطرف
لا يذان بأن مدار الانكار ليس نفس الشك بل وقوعه فيما لا يكاد يتوهم فيه الشك أصلا متفادين عن تطبيق

الجواب على كلام الكفرة بأن يقولوا أنتم في شك من رب من الله تعالى مبالغته في تنزيهه مساحة السبحان عن
 شائبة الشك ونسجته لعلهم بضافة القول أى فى شأنه سبحانه من وجوده ووحده ووجوب الإيمان به
 وحده شك تام وهو أظهر من كل ظاهر وأجلى من كل جلى حتى تكونوا من قبله فى شك من رب وحيث كان
 مقصدهم الاقصى الدعوة الى الإيمان والتوحيد وكان اظهار البينات وسيله الى ذلك لم يتعزوا للجواب عن
 قول الكفرة انما كفرنا بما أرسلتم به واقتصر على بيان ماهو الغاية القصوى ثم عقبا ذلك الانكار بما يوجب
 من الشواهد الدالة على انتفاء التكفر فقالوا (فاطر السموات والارض) أى مبدعهما وما فيهما من المصنوعات
 على نظام اتيقن شاهد بصدق ما أنتم منه فى شك وهو وصفه للاسم الجليل أو بدل منه وشك مرتفع بالطرف لاعتماده
 على الاستقحام وجعله مبتدأ على أن الطرف خبره يقضى الى الفصل بين الموصوف والصفة بالاجنبى أعنى
 المبتدأ أو الفاعل ليس بأجنبى من رافعه وقد جوز ذلك أيضا (يدعوكم) الى الإيمان بأرساله ايانا لا أنادعوكم
 اليه من تلقاء أنفسنا كما يوجهه قولكم مما تدعوننا اليه (ليغفر لكم) بسببه أو يدعوكم لاجل المغفرة كقولك
 دعوتك لياكل معي (من ذنوبكم) أى بعضها وهو ما عدا المظالم مما بينهم وبينه تعالى فان الاسلام يحبه قبل هكذا
 وقع في جميع القرآن في وعد الكفرة دون وعد المؤمنين تفرقة بين الوعدين ولعل ذلك لما أن المغفرة حيث
 جاءت في خطاب الكفرة مرتبة على محض الإيمان وفي شأن المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي
 ونحو ذلك فيتناول الخروج من المظالم وقيل المعنى ليغفر لكم بدل ما من ذنوبكم (ويؤخركم الى أجل مسمى)
 الى وقت سماه الله تعالى وجعله منتهى أعمالكم على تقدير الإيمان (قالوا) استئناف كما سبق (ان أنتم) أى
 ما أنتم (الابشر مثلنا) من غير فضل يؤهلكم لما تدعون من النبوة (تريدون) صفة ثانية لبشر جلا على المعنى
 كقوله تعالى أبشريه وتساؤلا وكلام مستأنف أى تريدون بما تصدون له من الدعوة والارشاد (أن تصدونا)
 بتخصيص العبادة بالله سبحانه (عما كان يعبد آباؤنا) أى عن عبادة ما استمر آباؤنا على عبادته من غير
 شئ يوجبها والا (فأتونا) أى وان لم يكن الامر كما قلنا بل كنتم رسلا من جهة الله تعالى كما تدعون فأتونا
 (بسلطان مبين) يدل على فضلكم واستحقاقكم لتلك الرتبة أو على صحة ما تدعون من النبوة حتى تترك ما لم نزل
 نعبده أبا عن جد واتقد كانوا آتوهم من الآيات الظاهرة والبيانات الباهرة ما تحذرونهم من الجبال ولكنهم
 انما يقولون ما يقولون من العظام مكابرة وعناد اواراءة لمن وراءهم أن ذلك ليس من جنس ما ينطق عليه
 السلطان المبين (قالت لهم رسالهم) بحجارة معهم فى أول مقالتهم وانما قيل لهم لاختصاص الكلام بهم حيث
 أريد الزامهم بخلاف ما سلف من انكار وقوع الشك فى الله سبحانه فان ذلك عام وان اختص بهم ما يعقبه
 (ان نحن الابشر مثلكم) كما تقولون (ولكن الله يعنى) بالنبوة (على من يشاء من عباده) يعنون أن ذلك
 عطية من الله تعالى يعطيها من يشاء من عباده بمحض الفضل والامتنان من غير داعية توجبها قالوه تواضعا
 وهنما للنفس أو ما نحن من الملائكة بل نحن بشر مثلكم فى الصورة أو فى الدخول تحت الجنس ولكن الله يعنى
 بالفضائل والكمالات والاستعدادات على من يشاء المتي بها وما يشاء ذلك الاله باستحقاقه لها وذلك الفضائل
 والكمالات والاستعدادات هى التى يدور عليها تلك الاصطفاة للنبوة (وما صدان) وما صبح وما استقام
 (انما ان تأتكم سلطانا) أى بحجة من الحجج فضلا عن السلطان المبين بشئ من الاشياء وسبب من الاسباب
 (الا باذن الله) فانه أمر يتعلق بمشيئته تعالى ان شاء كان والا فلا (وعلى الله) وحده دون ما عداه مطلقا (فليتوكل
 المؤمنون) أمر منهم للمؤمنين بالتوكل ومقصودهم حل أنفسهم عليه أثر ذى أمير الارى الى قوله عز وجل
 (وما لنا) أى أى عذر لنا (ان لا توكل على الله) أى فى أن لا توكل عليه والاطهار لاظهار النشاط بالتوكل
 عليه والاستلذاذ بكرايمه تعالى وتعليل التوكل (وقد هدانا) أى والحمد لله أنه قد فعل بنا ما يوجب ويستدعيه
 حيث هدانا (سبيلنا) أى أرشد كلامنا سبيله ومنهاجه الذى شرع له وأوجب عليه سلوكه فى الدين وحيث
 كانت اذية الكفار مما يوجب القلق والاضطراب القادح فى التوكل قالوا على سبيل التوكيد القسمى مظهرين
 لكمال العزيمة (ولنصبرن على ما آذيتونا) بالعناد واقتراح الآيات وغير ذلك مما لا خير فيه (وعلى الله) خاصة
 (فليتوكل المتوكلون) أى فليثبت المتوكلون على ما أحسنوه من التوكل والمراد هو المراد مما سبق من ايجاب

التوكل على أنفسهم والمراد بالتوكلين المؤمنون والتعبير عنهم بذلك لسبق ذكر اتصافهم به ويجوز أن يراد وعليه
فليتوكل من يتوكل دون غيره (وقال الذين كفروا) لعل هؤلاء السائلين بعض المتقربين العاتين الغالبين
في الكفر من أولئك الأمم الكافرة التي نقلت مقالاتهم الشنيعة دون جميعهم كقوم شعيب وأنسراهم ولذلك
لم يقل وقالوا (ارسلهم لتخرجكم من أرضنا أولتعودن في ملتنا) لم يقنعوا بعصيانهم الرسل ومعاندتهم الحق بعد
مارأوا والبيانات الفاتحة للعصر حتى اجتروا على مثل هاتيك العظيمة التي لا يكاد يحيط بها دائرة الامكان فخلقوا
على أن يكون أحد المحالين والعودات بمعنى مطلق الصيرورة أو باعتبار غلب المؤمنين على الرسل وقد مر
في الاعراف وسيأتي في الكهف (فأوحى إليهم) أي إلى الرسل (ربهم) مالك أمرهم عند تنهاى كفر الكفرة
ويبلغهم من العتو إلى غاية لا مطمع بعدها في إيمانهم (لنهلكن الظالمين) على انضمار القول أو على اجراء الإجماع
بجرا لكونه ضربا منه (وانسكننكم الأرض) أي أرضهم وديارهم عقوبة لهم بقولهم لتخرجكم من أرضنا كقوله
تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها (من بعدهم) أي من بعد اهلاكهم
وقرئ لنهلكن وانسكننكم بالياء اعتبارا لأوحى كقولهم حلف زيد ليخرجن غدا (ذلك) إشارة إلى الموحى به
وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم أي ذلك الأمر محقق ثابت (من حاف مقامي) موقفي وهو الموقف
الذي يقف فيه العباد يوم يقوم الناس (رب العالمين) أوقى على حفظه لأعماله وقيل لفظ المقام متعم
(وخاف وعيد) وعيدى بالعذاب أو عذابى الموعد للكفار والمعنى أن ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين
(واستفتحوا) أي استنصروا الله على أعدائهم كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح أو استحكموا وسألوه
الفتحاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق قالهم للرسول وقيل
للكفرة وقيل للفرقة فأنهم سألوا أن ينصر الحق ويهلك المبطل وهو معطوف على أوحى إليهم وقرئ بلفظ الأمر
عطفا على لنهلكن الظالمين أي أوحى إليهم ربهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا (وخاب) أي خسروا ذلك
(كل جبار عنيد) متصف بضد ما انصف به المتدون أي فنصروا وحدهم واستفتحوا بهم وظفروا بما سألوا وأفلحوا
وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم المعاندون فالخسبة بمعنى مطلق الحرمان دون الحرمان عن المطلوب أو ذلك
باعتبار أنهم كانوا يزعمون أنهم على الحق أو استفتح الكفار على الرسل وخابوا ولم يفلحوا وانما قيل وخاب
كل جبار عنيد ذمهم وتجيلا عليهم بالتجبر والعناد لأن بعضهم ليسوا كذلك وأنه لم يصيبهم الخسبة
أو استفتحوا جميعا فنصر الرسل وأنجز لهم الوعد وخاب كل عات متمرد فالخسبة بمعنى الحرمان غيب الطلب
وفي اسناد الخسبة إلى كل منهم ما لا يخفى من المبالغة (من ورانه جهنم) أي بين يديه فانه مرصدها واقف على
شغيرها في الدنيا مبعوث إليها في الآخرة وقيل من ورانه حياته وحقيقته ما توارى عنك (ويسقى) معطوف
على مشدروا با عن سؤال سائل كانه قيل فماذا يكون اذن فقيل يلقي فيها ويسقى (من ماء) مخصوص لا كالماء
المعهود (صدید) وهو قح أودم محتاط بحد يسيل من الجرح قال مجاهد وغيره هو ما يسيل من أجساد
أهل النار وهو عطف بيان لما أتهم أو لا ثم بين بالصدید تهويلا لآمره وتخصيصه بالذكري من بين عذاب ما يدل على
أنه من أشد أنواعه (يتجرعه) قيل هو صفة الماء أو حال منه والظاهر أنه استئناف مبنى على السؤال كانه قيل
فماذا يفعل به فقيل يتجرعه أي يتكف جوعه مرة بعد أخرى لقلبة العطش واستيلاء الحرارة عليه (ولا يكاد
يسمعه) أي لا يقارب أن يسمعه فضلا عن الاسماع بل يغص به فيشر به بعد الشيا والتي جوعه غيب جوعه
فيطول عذابه تارة بالحرارة والعطش وأخرى بشره على تلك الحال فان السوغ اغتدار الشراب في الخلق
يسهولة وقبول نفس ونفسيه لا يوجب نفي ما ذكره قريبا وقيل لا يكاد يدخله في جوفه وعبر عنه بالاسماع لما أنها
المعهود في الاثرية وهو مال من فاعل يتجرعه أو من مفعوله أو منهما جميعا (ويأتيه الموت) أي أسبابه
من الشدائد (من كل مكان) ويحيط به من جميع الجهات أو من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وأهلام
رجله (وما هو ميت) أي والحال أنه ليس بميت حقيقة كما هو الظاهر من مجيء أسبابه لاسيما من جميع الجهات
حتى لا يتألم بما عشييه من أصناف المواقات (ومن ورانه) من بين يديه (عذاب غليظ) يستقبل كل وقت
عذابا أشد وأشق مما كان قبله فقيه دفع ما يهونهم من الخفة بحسب الاعتياد كما في عذاب الدنيا وقيل هو الخلود

في النار وقيل هو جيب الانفاس وقيل المراد بالاستفتاح والخبيبة استقاء أهل مكة في سنينهم التي أرسلها الله تعالى عليهم بدعوتهم عليه الصلاة والسلام وخبيبتهم في ذلك وقد وعد لهم بدل ذلك صديداً أهل النار (مثل الذين كفروا بربهم) أي صفتهم وحالهم الخبيبة الشأن التي هي كالمثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (أعمالهم كرماد) كقولك صفة زيد عرضه مهتول وماله منهوب وهو استئناف يعني على سؤال من قال ما بال أعمالهم التي عملوها في وجوه البر من صلة الارحام واعتناق الرقاب وفداء الاسارى واغانة الملل وفن وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم حتى آل أمرهم الى هذا المآل فأجيب بأن ذلك كرماد (استندت به الريح) جلته وأسمرت الذهاب به (في يوم عاصف) العصف اشتداد الريح وصف به زمانها مباغلة كقولك ليله تسكرة واغما السكور ليعلمها شبهت صناعتهم المعدادة لا يقتناها على غير اساس من معرفة الله تعالى والايان به والتوجه به اليه تعالى برما طيرنه الريح العاصفة أو استئناف سوق لبيان أعمالهم للاصنام أو مبتدأ خبره محذوف كما هو رأي سيويه أي فيما يلي عليك مثلهم وقوله أعمالهم بجلته مستأنفة بنية على سؤال من يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كيت وكيت سواء أريد بها صناعتهم أو أعمالهم لاصنامهم وقيل أعمالهم بدل من مثل الذين وقوله كرماد خبره (لا يقدرون) أي يوم القيامة (عما كسبوا) من تلك الاعمال (على شيء) مما لا يرون له أثراً من ثواب أو تخفيف عذاب كدأب الرماد المذكور وهو فذلك التمثيل والاكتفاء ببيان عدم رؤية الأثر لأعمالهم للاصنام مع أن لها عقوبات هائلة للتصريح بطلان اعتقادهم وزعمهم أنها شفعاء لهم عند الله تعالى وفيه تنكير بهم (ذلك) أي ما دل عليه التمثيل دلالة واضحة من ضلالهم مع حسبانهم أنهم على شيء (هو الضلال البعيد) عن طريق الحق والصواب وعن نيل الثواب (المر) خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته وقيل لكل أحد من الكفرة لقوله تعالى يذهبكم والرؤية رؤية القلب وقوله تعالى (أن الله خلق السموات والارض) سادس مقدمه وليها أي ألم تعلم أنه تعالى خلقهما (بالحق) ملتبسة بالحكمة والوجه الصحيح الذي يحق أن تخلق عليه وقرئ خالق السموات والارض (ان يشأ يذهبكم) يذهبكم بالمرّة (ويأت بخلق جديد) أي يخلق بدل لكم خلقاً آخر مستأنفاً لعلقة بينكم وبينهم رتب قدرته تعالى على ذلك على قدرته تعالى على خلق السموات والارض على هذا الخط البديع ارشاداً الى طريق الاستدلال فان من قدر على خلق مثل هاتيك الاجرام العظيمة كان على تبديل خلق آخر بهم اقدر ولذلك قال (وما ذلك) أي اذها بكم والاثبات بخلق جديد مكانكم (على الله بهزير) بتعذراً وتعتسرفاً فانه قادر لذاته على جميع الممكنات لا اختصاص له بمقدور ومقدور ومن هذا شأنه تحقيق بأن يؤمن به ويرجى ثوابه ويخشى عقابه (وبرزوا لله جميعاً) أي يبرزون يوم القيامة واثبات صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه كما في قوله سبحانه ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أولانه لامضي ولا استقبالي بالنسبة اليه سبحانه والمراد ببرزهم من قبورهم لا من الله تعالى ومحاسبته أو لله على ظنهم فانهم كانوا يظنون عند ارتكابهم الفواحش سرراً أنهم لا تخفى على الله سبحانه فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم (فقال الضعفاء) الاتباع جمع ضعيف والمراد ضعف الرأي وانما كتب بالواو على لفظ من يفهم الالف قبل الهمزة (الذين استكبروا) رؤسائهم الذين استتبعوهم واستغفروهم (انا كنا) في الدنيا (ايكم تبعاً) في تكذيب الرسل عليهم السلام والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغيب في جمع غائب أو مصدر نعت به مباغلة أو على اضممار أي ذوى تبع (فهل أنتم مغنون) دافعون (عنا) والقاء للدلالة على سبيبة الاتباع لا اغناء والمراد التوبيخ والعتاب والتعريض والتبكيت (من عذاب الله من شيء) من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعض واقعة موقع التبعض أي بعض الشيء الذي هو عذاب الله تعالى ويجوز كونهما للتبعض أي بعض شيء هو بعض عذاب الله والاعراب كما سبق ويجوز أن تكون الاولى مفعولاً والثانية مصدر أي فهل أنتم مغنون عنا بعض العذاب بعض الاغناء وبعض الاول قوله تعالى فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار (قالوا) أي المستكبرون جواباً عن معاتبة الاتباع واعتذاراً عما فعلوا بهم (لو هدانا الله) أي للايمان ووفقنا له (لهديناكم) ولكن ضلانا فأضلناكم أي اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا أولوهداً انا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم

ما غلبنا عنكم كما عرضنا لكم له ولكن سددنا طريق الخلاص ولات حين مناص (سواء علينا أجزعنا) عما
 لقينا (أم صبرنا) على ذلك أي مستوعبنا الجزع والصبر في عدم الانجاء والهمزة وأما لتأكيد التسوية
 كما في قوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم وإنما أسندوهما ونسبوا استواءهما إلى ضمير
 المتكلم المتكلم للعالمين أيضا مبالغة في التوبيخ بإعلام أنهم شركاء لهم فيما يتلوا به وتسوية لهم
 ويجوز أن يكون قوله سواء علينا الخ من كلام القرقيسين على منوال قوله تعالى ذلك ليهلم الله ألم أخنه ويؤيده
 ما روى أنهم يقولون تعالى انجز ع فيجزعون فنجاة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالى انصبر فيصبرون كذلك فلا
 ينفعهم فعند ذلك يقولون ذلك ولما كان عتاب الاتباع من باب الجزع ذيلوا جوابهم ببيان أن لا جدوى في ذلك
 فقالوا (مالنا من محيص) من عجيبي ومهرب من العذاب من خاص الجبار اذا عدل بالفرار وهو انما هم
 مكان كالميت والمصيف أو معدر كالغيب والمثيب وهي جلة مقسرة لا مجال ما فيه الاستواء فلا محل لها
 من الاعراب أو حال مؤكدة أو بدل منه (وقال الشيطان) الذي أضل كالأقرقيسين واحتسبهما
 عند ما عتبا بما قاله الاتباع للمستكبرين (لما قضى الامر) أي أحكم وفرغ منه وهو الحساب ودخل أهل
 الجنة الجنة وأهل النار النار خطيبا في محفل الاشقياء من الثقلين (إن الله وعدكم وعد الحق) أي وعدا من
 حقه أن ينجز فأنجزه أو وعدا أنجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء (ووعدتكم) أي وعدا الباطل وهو أن لا يبعث
 ولا جزاء ولئن كان فالاصنام شعاؤكم ولم يصرح بطلانه لمادل عليه قوله (فأخلفتمكم) أي موعدى على
 حذف المفعول الثاني أي نقضته جعل خلف وعده كالأخلاف منه كأنه كان قادرا على انجازه وأنى له
 ذلك (وما كان لي عليكم من سلطان) أي تسلط أو حجة تدل على صدقي (الا أن دعوتكم) الادعاء أي اياكم اليه
 وتسوية وهو وان لم يكن من باب السلطان لكنه أبرزه في مبرزه على طريقة تحية بينهم ضرب وجيع مبالغة
 في انفي السلطان عن نفسه كأنه قال انما يكون لي عليكم سلطان اذا كان يحجز الدعاء من بابه ويجوز كون
 الاستثناء منقطعا (فاستجبتم لي) فاستجبت اجابتي (فلاتلوموني) بوعدى اياكم حيث لم يكن ذلك
 على طريقة القسروا الانجاء كما يدل عليه الفاء وقرئ بالياء على وجه الالتفات كما في قوله تعالى حتى اذا كنتم
 في الفلك وجرين بهم (ولو هو أنفلسكم) حيث استجبتم لي باختياركم حين دعوتكم بلا حجة ولا دليل بمجوز
 تزيين وتسوية ولم تستجبوا ربكم اذ دعاكم دعوة الحق المقرونة بالبينات والخج وليس مراده التوصل عن
 توجه اللائمة اليه بالمرة بل ببيان أنهم أحق به منه وليس فيه دلالة على استقلال العبد في افعاله كما زعمت
 المعتزلة بل يكفي في ذلك أن يكون لقدرته الكاسية التي عليها يدور فلك التكليف مدخل فيه فانه سبحانه
 انما يخلق افعاله حسبما يختاره وعليه ترتب السعادة والشقاوة وما قيل من أنه يستدعي أن يقال فلا
 تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر وأجبركم عليه مبني على عدم الفرق بين مذهب أهل الحق وبين
 مسلك الجبرية (ما أنابصر خكم) أي بغيثكم عما أنتم فيه من العذاب (وما أنتم بمصرئني) مما أنافيه
 وانما تعرض لذلك مع أنه لم يكن في حيز الاحتمال مبالغة في بيان عدم اصراخه اياهم وايدانابانه أيضا مبتلى
 بمثل ما يتلوا به ومحتاج الى الاصراخ فكيف من اصراخ الغير ولذلك أثر الجملة الاسمية فكان ماضى كان
 جوابا منه عن توخيهم وتقريرهم وهذا جواب عن استغاثتهم واستغاثتهم به في استدفاع ما دهمهم
 من العذاب وقرئ بكسر الهمزة (التي كفرت) اليوم (بما أشركتموني من قبل) أي بأشراككم اياي
 يعني تبرأت منه واستنكرته كتدولة تعالى ويوم القامة يكفرون بشرككم يعني أن أشراككم لي بالله
 سبحانه هو الذي يطمعكم في نسري لكم بان كان لكم على حق حيث جعلته في معبودا وكنت أو ذلك
 وأرغب فيه فالיום كفرت بذلك ولم أجده ولم أقبله منك بل تبرأت منه ومنكم فلم يبق بيني وبينكم علاقة
 أو كفرت من قبل حين آيت السجود لا دم بالذي أشركتموني به وهو الله تعالى كما في قوله سبحانه ما يحركن لنا
 فيكون تعليل عدم اسراخه فان الكافر بالله سبحانه يعزل من الاغانة والاعانة سواء كان ذلك بالمدافعة
 أو بالفاعلة وأما جعله تعليل لعدم اسراخهم اياه فلا وجه له اذ لا احتمال له حتى يحتاج الى التعليل ولان
 تعليل عدم اسراخهم بكفرهم يومهم بسبيل من ذلك لولا المانع من جهته (إن الظالمين لهم عذاب أليم)

حجة كلامه أو ابتداء كلام من جهة الله عز وجل وفي حكاية أمثاله لطف السامعين وإيقاظ لهم حق
 بحسابهم أو انتبههم ويتدبروا وأقربهم (وإدخال الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار
 خالدين فيها بأذن ربهم) أي بأمره أو بتوفيقه وهدايته وفي التعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم
 إظهار مزيد اللطف بهم والمدخلون هم الملائكة عليهم السلام وقرئ على صيغة التكلم فيكون قوله تعالى
 بأذن ربهم متعلقاً بقوله تعالى (تحيتهم فيها سلام) أي يحييهم الملائكة بالسلام بأذن ربهم (ألم تر) أن المطاب
 للرسول صلى الله عليه وسلم وقد علق بما بعده من قوله تعالى (كيف شرب الله مثلاً) أي كيف اعتدوه ووضعوه
 في موضعه الملائكة (كلمة طيبة) منصوب بضمير أي جعل كلمة طيبة هي كلمة التوحيد أو كل كلمة حسنة
 كالسجدة والتسبيحة والاستغفار والتوبة والدعوة (كشجرة طيبة) أي حكم بأن أمثالها لا أنه تعالى
 صيرها مثلاً في الخارج وهو تفسير لقوله شرب الله مثلاً كقولك شرب الأمير زيد كساء حلة وحلته على فارس
 ويجوز أن يكون كلمة بدلاً من مثلاً وكشجرة صفته أو خبر مبتدأ محذوف أي هي كشجرة وأن يكون أول
 مفعول شرب إجراء له مجرى جعل قد أخر عن ثابتهما أعني مثلاً للثلاثة عن صفته التي هي كشجرة وقد قرئت
 بالرفع على الابتداء (أصلها ثابت) أي ضارب بعروقه في الأرض وقرأ أنس بن مالك رضي الله عنه كشجرة
 طيبة ثابت أصلها وقراءة الجماعة أقوى سبباً وأنسب بشريته أعني قوله تعالى (وفرعها) أي أعلاها
 (في السماء) في جهة العلو ويجوز أن يراد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس عن الجمع (نوى أكاهها)
 تعطى غرها (كل حين) وقته الله تعالى لا غارها (بأذن ربها) بإرادة شالها والمراد بالشجرة المنعوتة أما النخلة
 كما روى مرفوعاً أو شجرة في الجنة (ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) لأن في ضميرهم زيادة أفهام
 وتذكير فانه تصوير للمعاني بصور المحسوسات (ومثل كلمة خبيثة) هي كلمة الكفر والدعاء إليه أو تكذيب
 الحق أو ما يعم الكل أو كل كلمة قبيحة (كشجرة خبيثة) أي كمثل شجرة خبيثة قيل هي كل شجرة لا يطيب غرها
 كالنخل والكثوث ونحوهما وتغير الأسلوب لإيدان بأن ذلك غير مقصود بالضرب والبيان وإنما ذلك أمر
 ظاهر يعرفه كل أحد (اجتث) استنقصت وأخذت جثتها بالكناية (من فوق الأرض) لكون عروقها
 قريبة منه (مالها من قرار) استقرار عليها (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) الذي ثبت بالجنة
 عندهم وتمكن في قلوبهم وهو الكلمة الطيبة التي ذكرت صفاتها العجيبة (في الحياة الدنيا) فلا يزالون عنه
 إذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس ونحوهم والذين فتنتهم أصحاب الاختدود (وفي الآخرة)
 فلا يتلعمون إذا سئلوا عن معتقدتهم في الموقف ولا تدعهم أهوال القيامة أو عند سؤال القبر * روى
 أنه عليه الصلاة والسلام ذكره من روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجاسانه في قبره
 فيقولان من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله ودينى الإسلام ونبي محمد عليه الصلاة والسلام فينادى
 مناد من السماء انه صدق عبدي فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت وهذا مثال آيات الشجرة
 المذكورة أكلها كل حين قال النعماني في تفسيره أخبرني أبو القاسم بن حبيب في سنة ست وثمانين وثلاثمائة
 قال سمعت أبا الطيب محمد بن علي الخياط يقول سمعت سهل بن عمار العملي يقول رأيت يزيد بن هرون في
 منامى بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال أتاني في قبري ملكان فظانا من ربك وما دينك ومن نبيك فأخذت
 بطيخي البيضاء فقلت لهما ألمثلني يقال هذا وقد علمت الناس جوابكما ثمانين سنة فذهبا (ويضل الله الظالمين)
 أي يخلق فيهم الضلال عن الحق الذي ثبت المؤمنين عليه حسب إرادتهم واختيارهم والمراد بهم الكثرة بدليل
 ما يقابلهم ووصفهم بالظلم أمّا باعتبار أرواحهم التي في غير موضعه وأما باعتبار ظاههم لأنفسهم حيث بدّلوا فطرة
 الله التي فطر الناس عليها فلم يستدوا إلى القول الثابت أو كل من ظلم نفسه بالاعتصام على التقليد والاعراض
 عن البيانات الواضحة فلا يثبت في مواقف الفتن ولا يستدئى إلى الحق فالمراد بالذين آمنوا حينئذ المخلصون
 في الإيمان الراسخون في الايقان كما ينبغي عنه التثبيت لكنه يؤهم كون كلمة التوحيد إذا كانت لا عن إيقان
 داخل تحت ما لا قرار له من الشجرة المضروبة مثلاً (ويضرب الله ما يشاء) من تثبيت بعض واضلال آخرين
 حسب ما توجبته مشيئته التابعة للعلم البالغة المقتضية لذلك وفي إظهار الامم الجليل في الموضوعين

من القسامة وتربية المهابة ما لا يخفى مع ما فيه من الايدان بالتفاوت في مبدأ التنبيه والاضلال فان مبدأ صدور كل منه - معانته - سبحانه وتعالى من صفاته العلا غير ما هو مبدأ صدور الآخر (المرتبة) تعجب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل أحد مما صنع الكفرة من الاباطيل التي لا تكاد تصدر عن له أدنى ادراك أي ألم تنظر (الى الذين بدلوا نعمة الله) أي شكر نعمته تعالى بأن وضعوا موضعه (كثرا) عظيما وعظما لها أو بدلوا نفس النعمة ككفرافانهم لما كفروا وها سلبوها فصاروا مستبطلين بها ككفر كأهل مكة حيث خلقهم الله سبحانه وأسكنهم حرمة الا من الذي يبغي اليه غرات كل شيء وجعلهم قوام بيته وشركهم بعمد عليه الصلاة والسلام فكفروا بذلك ففقطوا سبع سنين وقتلوا وأسرؤا يوم بدر فصاروا أضلالا مساويي النعمة بآتين بالكفر بدلها وعن عمر وعلى رضي الله عنهما - ما هم الا جران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية أمابنو المغيرة فكفبتهم وهم يوم بدر وأمابنو أمية فتعوا الى حين ككأنهم ما يتأولان ما سبيل من قوله عز وجل - قل فتعوا الآية (وأحلو) أي أنزلوا (قهمهم) بارشادهم إياهم الى طريقة الشرك والاضلال وعدم التعرض لحلولهم لدلالة الاحلال عليه اذ هو فرع الحلول كقوله تعالى يقدم قومه يوم القيامة فأوردتهم النار (دار البوار) دار الهلاك الذي لا هلال وراءه (جهنم) عطف بيان لها وفي الاجام ثم البيان ما لا يخفى من التهويل (بصلواتها) حال منها أو من قومهم أي داخلين فيها مقاسين لحزها أو استئناف لبيان كيفية الحلول أو مفسر لفعل يقتدرنا صبا لجهنم فالمراد بالاحلال المذهب ككرو حينئذ تعرضهم للهلاك بالقتل والأسر لكن قوله تعالى قل فتعوا فان مصيركم الى النار أنسب بالتفسير الاول (وبش القرار) على حذف الخصوص بالذم أي بش القرار جهنم أو بش القرار قرارهم فيها وفيه بيان أن حلواهم وصلبهم على وجه الدوام والاستقرار (وجعلوا) عطف على أحلووا ما عطف عليه داخل معهم في حيز الصلة وحكم التعجب أي جعلوا في اعتقادهم وحكمهم (لله) القدر الصمد الذي ليس كمثل شيء وهو الواحد القهار (أندادا) اشباها في التسمية أو في العبادة (ليضلوا) قومهم الذين يشايعونهم - حسبما ضلوا (عن سبيله) القويم الذي هو التوحيد ويوقعوهم في ورطة الكفر والاضلال ولعل تغيير الترتيب مع أن مقتضى ظاهر النظم أن يذكر كفرانهم نعمة الله تعالى ثم كفرهم بذاته تعالى باتخاذ الانداد ثم اضلالهم لقومهم المؤدى الى احلالهم دار البوار لتثنية التعجب وتكريره والايذان بأن كل واحد من وضع الكفر ووضع الشكر واحلال القوم دار البوار واتخاذ الانداد للاضلال أمر يقتضي منه العجب ولو سبق النظم على نسق الوجود لم يعافهم التعجب من مجموع الهنات الثلاث كما في قصة البقرة وقرئ ليضلوا بالفتح وأيا ما كان فليس ذلك غرضا حقيقيا لهم من اتخاذ الانداد لكن لما كان ذلك نتيجة له شبهه بالغرض وأدخل عليه اللام بطريق الاستعارة التبعية (قل) تهديد الاوائل الضالين المضلين ونعيا عليهم وايدان بانهم لشدة ايمانهم بقبول الحق وفرط انهما كهم في الباطل وعدم ارجعائهم عن ذلك بحال احتفاء بأن يضرب عنهم صفعا ويعطف عنهم عنان العظة ويخلوا وشأنهم ولا ينهاه عنه بل يؤمرها مباشرة مباشرة في الخلية والخذلان ومسارة الى بيان عاقبة الخيبة ويقال لهم (تتعوا) بما أنتم عليه من الشهوات التي من جعلتها كفران النعم العظام واستتباع الناس في عبادة الاصنام (فان مصيركم الى النار) ليس الا فلا بد لكم من تعاطي ما يوجب ذلك ويقتضيه من أحوالكم بل هي في الحقيقة صورة لدخولها ومثال له حسبما يلوح به قوله سبحانه وأحلوا قومهم دار البوار الخ فهو تعليل للأمر المأمور وفيه من التهديد الشديد والوعيد الا ككيد ما لا يوصف أو قل لهم تصوير الحالهم وتعبيرا عما يلجئهم الى ذلك فتعوا وايدان بانهم لفرط انغماسهم في التمتع بما هم فيه من غير صارف يلويهم ولا عاطف ينقيهم مأمورون بذلك من قبل أمر الشهوة مدعون لحكمه منقادون لامره كدأب مأمور ساع في خدمة أمر مطاع فليس قوله تعالى فان مصيركم الى النار حينئذ تعليل للأمر بل هو جواب شرط ينسحب عليه الكلام ككأنه قبل هذه حالكم فان دمتم عليه فان مصيركم الى النار وفيه التهديد والوعيد لا في الأمر (قل لعبادي الذين آمنوا) خصهم بالاضافة اليه تنويعا لهم وتنبهها على أنهم المقيمون لوظائف العبودية الموفون بحقوقها وترك العاطف بين الامرين الايدان بتأين حالهم باعتبار المقول تهديدا وتثريفا والمقول ههنا محذوف دل عليه الجواب أي قل لهم أقيموا

وأنفقوا (يقيموا الصلوة وينفقوا عمار رزقناهم) أي يداوموا على ذلك وفيه إيذان بكال مطاوعتهم الرسول صلى الله عليه وسلم وغاية مسارعتهم إلى الامتثال بأوامره وقد جوزوا أن يكون المقول يشيرونه فنفقوا بحدف لام الامر عنهما وانما حسن ذلك دون الحدف في قوله بحمدته فدفن نفسك كل نفس إذا ما خفت من أمر ربك لادلالة قل عليه وقيل هما جوابا أقيموا وأنفقوا وقد أقام مقامهما ما وليس بذلك (سرا وعلانية) منحصيان على المصدرية من الامر المقدر لامن جواب الامر المذكور أي أنفقوا وانفقوا سر وعلانية والاحب في الانفاق اخفاء المتطوع به واعلان الواجب والمراد حدث المؤمنين على الشكر لنعم الله سبحانه بالعبادة البدنية والمالية وترك التمتع بمتاع الدنيا والركون اليها كما هو صنيع الكفرة (من قبل أن يأتي يوم لا يبيع فيه) فيبتاع المقصر ما يتلافى به تقصيره أو يفندي به نفسه والمقصود نفي عقد المعاوضة بالمرّة وتخصيص البيع بالذكر للإيجاز مع المبالغة في نفي العقد اذا انتفاء البيع يستلزم انتفاء الشراء على أبلغ وجه وانفاقه بما يتصور مع تحقق الإيجاب من قبل البائع (ولا خلال) ولا مخالفة فيشفع له خليل أو يسامحه بما لا يفندي به نفسه أو من قبل أن يأتي يوم لا ترفيه لما له من الباطن من البيع والمخالفة ولا انتفاع بذلك وانما الانتفاع والارتفاق فيه بالانفاق لوجه الله سبحانه والظاهر أن من متعلقة بأنفقوا وتذكر كبريات ان ذلك اليوم لتأ كيد منعمونه كما في سورة البقرة من حيث ان كلام من فتدان الشفاعة وما يتدارك به التقصير معاوضة وتبرعا وانتفاع آثار البيع والخلل الواقعي في الدنيا وعدم الانتفاع به ما من أقوى الدواعي إلى الاتيان بما تبقى عوائده وتدوم فوائده من الانفاق في سبيل الله عز وجل أو من حيث ان اذخار المال وترك انفاقه أغني عن غالب اللجارات والمهاداة بحيث لا يمكن ذلك في الآخرة فلا وجه لادخاره إلى وقت الموت وتخصيص التأ كيد بذلك لميل الطباع إلى المال وكونه ساجدة على حبه والضئنة به ولا يبعد أن يكون تأ كيد المنعمون الامر بإقامة الصلاة أيضا من حيث ان تركها كثيرا ما يكون بالاستغفال بالبياعات والمخالات كما في قوله تعالى واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وقرئ بالفتح فيهما على ارادة النفي العام ودلالة الرفع على ذلك باعتبار خطابي هو وقوعه في جواب هل فيه يبيع أو خلال (الله) مبتدأ خبره (الذي خلق السموات) وما فيها من الاجرام العلوية (والارض) وما فيها من أنواع المخلوقات لما ذكر أحوال الكافرين لنعم الله تعالى وأمر المؤمنين بإقامة مراسم الطاعة شكر النعمة شرع في تفصيل ما يستوجب على كافة الانام المشاركة على الشكر والطاعة من النعم العظام والمن الجسام مثلا للمؤمنين عليها وتشريع الكفرة المخالين بها الواضحين موضعها الكفر والمعاصي وفي جعل المبتدأ الاسم الجليل والخبر الاسم الموصول تلك الافعال العظيمة من خلق هذه الاجرام العظام وانزال الامطار واخراج الثمرات وما يلوها من الآثار العجيبة ما لا يخفى من تربية المهابة والدلالة على قوة السلطان (وأنزله من السماء) أي السحاب فان كل ما علاك سماء أو من الفلك فان المطر منه يتبدى إلى السحاب ومنه إلى الارض على مادات عليه ظواهر النصوص أو من أسباب معاوية تشيرا لاجزاء الرطبة من أعماق الارض إلى الجوف فيعتقد صاحبها مطرا أو أيما كان فن ابتدائية (ماء) أي نوعا منه هو المطر وتقدم الجسرور على المنسوب اما باعتبار كونه مبدأ النزول أو لتشريفه كما في قولك أعطاه السلطان من خزائنه مالا أو لما مر من ارام التشويق إلى المؤخر (فأخرج به) بذلك الماء (من الثمرات) الفاتحة للعصر اما لان صيغ الجوع يتجاوز بعضها موضع بعض واما لانه أريد بمفردا جماعة الثمرة التي في قولك أدركت ثمرة بستان فلان (رزقكم) تعبشون به وهو بمعنى الموزوق شامل للمطعوم والملبوس مقصود لا يخرج ومن للتبيين كقولك أنفقت من الدراهم ألفا ويجوز أن يكون من الثمرات مفعولا ووزقا لامن أو مصدرأ من اخرج بمعنى رزق أو للتبعض بدليل قوله تعالى فأخرجنا به ثمرات كانه قيل أنزل من السماء بعض الماء فأخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم اذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا أخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل الرزق ثمرا وخروج الثمرات وان كان بمشيتته عز وجل وقد رته لكن جرت عادته تعالى بإفاضة صورها وكيفية ما على المواد المستخرجة من الماء والتراب أو أودع في الماء قوة فاعله وفي الارض قوة قابلية ولدم اجتماعها ما أنواع الثمار وهو قادر على ايجاد الاشياء بلا أسباب ومواد كما أبدع نفوس الاسباب

كذلك لما أن له تعالى في انشائها مدراجا من طور إلى طور صنائع وحكما يجتددها الأولى الأبصار
 عبروا سكونا إلى عظيم قدرته ليس ذلك في ابداءها دفعة وقوله لكم صفة لقوله رزقا أن أريد به الرزوق ومفعول
 به أن أريد به المصدر كأنه قيل رزقا أي أياكم (وحضر لكم الفلك) بأن أقدمكم على صنعها واستعمالها بما ألهمكم
 كيفية ذلك (لتجسروا في البحر) جريا ناهيا لأرادتكم (بأمره) بمشيئته التي يطي بها كل شيء وتخصيصه
 بالذكر للتخصيص على أن ذلك ليس عزالة الأعمال واستعمال الآلات كما يترأى من ظاهر الحال (وحضر
 لكم الأنهار) أن أريد بها المياه العظيمة الجارية في الأنهار العظام كما يورث إلى ذكرها عند البصر فتصغيرها
 جعلها معدة لانتفاع الناس حيث يتخذون منها جداول يسقون بها زروعهم وجنانهم وما أشبه ذلك وان
 أريد بها نفس الأنهار فتصغيرها تيسيرها لهم (وحضر لكم الشمس والقمر دانيين) يدأبان في سيرهما وانارتها
 أصالة وخلافة واصلاحهما لما ينطو بهما صلاحه من المكونات (وحضر لكم الليل والنهار) يتعاقبان خلفه
 لئلا يمتدحكم ومعايشكم ولقد الثمار وانما جها ذكر سبحانه وتعالى أنواع النعم الفائضة عليهم وأبرز كل واحدة
 منها في جملة مستقلة تنوعها شأنها وتبنيها على رفعة مكانها وتخصيصا على كونه كل منها نعمة جليلة
 مستوجبة للشكر وفي التعبير عن التصريف المتعلق بما ذكر من الفلك والأنهار والشمس والقمر والليل
 والنهار بالتصغير من الأشعار بما فيها من صعوبة المأخذ وعزّة المنال والدلالة على عظم السلطان وشدة المحال
 ما لا يخفى وتأخير تصغير الشمس والقمر عن تصغير ما تقدمه من الأمور المعدادة مع ما بينه وبين خلق السموات
 من المناسبة الظاهرة لاستتباع ذكرها لذكر الأرض المستدعي لذكر انزال الماء منها إليها ما وجب لذكر
 اخراج الرزق الذي من جلته ما يحصل بواسطة الفلك والأنهار وللتفادي عن توهم كون الكل أعنى خلق
 السموات والأرض وتصغير الشمس والقمر نعمة واحدة كما مر في قصة البقرة (وآنا كم من كل مأسا لقوه)
 أي أعطاكم بعض مأسا لقوه حبا تقتضيه مشيئته التابعة للحكمة والمصلحة كقوله سبحانه من كان
 يريد المغالبة يخلفنا له فيها ما نشاء لمن نريد أو آنا كم من كل ذلك ما احتجتم إليه ونيطه انتظام أحوالكم على
 الوجه المقدر فكانكم مأسا لقوه أو كل ما طلبه بلسان الاستعداد أو كل مأسا لقوه على أن من البيان وكلمة
 كل للتكثير كقوله فلان يعلم كل شيء وآناه كل الناس وعليه قوله عز وجل فتصنع عليهم أبواب كل شيء وقيل
 الأصل وآنا كم من كل مأسا لقوه وما لم تسألوه فخذف الثاني لدلالة ما أتى على ما أتى وقرئ بتنوين كل على
 أن ما نافية ومحل مأسا لقوه نصب على الحالية أي آنا كم من كل غير سائليه (وان تعدوا نعمة الله)
 التي أنعم بها عليكم (لا تحصوها) لا تطيقوا بحصرها ولو اجبالا فانها غير متناهية وأصل الاحصاء أن الحساب
 إذا بلغ عقدا معينان عقود الاعداد وضع حصة يحفظ بها فقيهه أي ان يقدم بلوغ مرتبة معتد بها من
 مراتبها فضلا عن بلوغ غايةها كيف لا وما من فرد من أفراد الناس وان كان في أقصى مراتب الفقر والافلاس
 ممنوا بأصناف العناية مبتلى بأنواع الرزايا فهو بحيث لو نأته ألفيته متقلبا في نعم لا تعد ومن لا تحصى
 ولا تعد كأنه قد أعطى كل ساعة وأن من النعم ما حوام حيطه الامكان وان كنت في ريب من ذلك
 فقد رآه ملك لك أقطار العالم ودانت له كافة الامم وأذعن لطاعته السراة وخضعت لهيبته رقاب
 العتاة وقاز بكل مرام ونال كل منال وحاز جميع ما في الدنيا من أصناف الاموال من غير تدبر راحه
 ولا شريك يساهمه بل قد رآه جميع ما فيها من حجر ومدر وواقيت عالية ونفائس درر ثم قد رآه قد وقع
 من فقد مشروب أو مطعم في حالة بلغت نفسه الخلقوم فهل يشتري وهو في تلك الحال بجميع ماله من
 الملك والمال لقمة تنجيته عن رواء أو شربة ترويه من ظما أم يختار الهلاك فتذهب الاموال والاملاك
 بغير بدل يبقى عليه ولا تقع يعود اليه كلابل يذل لذلك كل ما تحويه اليدان كأنما كان وليس في صفته
 شائبة الخسران فاذن تلك اللقمة والشربة خير مما في الدنيا بألف رتبة مع أنها في طرف النمام ينالهما
 متى شاء من الليالي والايام أو قد رآه قد احتس عليه النفس فلا دخل منه ما خرج ولا خرج منه ما ولى
 والحين قد ساء وآناه الموت من كل مكان أما يعطى ذلك كله بمقابلته نفس واحد بل يعطيه وهو لآيه حامد
 فاذن هو خير من أموال الدنيا بجملة ما ومطالها برمتها مع أنه قد أصبح له كل أن من آتات الليالي والايام حال

النقطة والتمام هذا من الظهور والجلاء بحيث لا يكاد يحتمل على أحد من العقلاء وان رمت العثور على حقيقة
 الحق والوقوف على كل ما جل من السر ودق فاعلم أن الانسان بمقتضى حقيقته الممكنة بعزل عن استحقاق
 الوجود وما يتبعه من الكالات الملائقة والملائكات الرائقة بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الالهية من
 العلاقة لما استقر له التقرار ولا اطمأنت به الدار الا في مطمورة العدم والبوار ومهاوى الهلاك والدمار
 لكن يفيض عليه من الجنب الاقدس تعالى شأنه وتقدس في كل زمان وعرض وكل آن يمر وينقضي من
 أنواع الفيوض الملهمة بذاته ووجوده وسائر صفاته الروحانية والنفسانية والجسمانية ما لا يحيط به نطاق
 التعبير ولا يعلمه الا العظيم الخبير وتوضيحه أنه كما لا يستحق الوجود ابتداء لا يستحق بقاء وانما ذلك
 من جناب المبدأ الاول عز وجل فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم ينسب عليه جميع اشياء عدمه الاصل
 لا يتصور بقاءه على الوجود بعد تحققه بعلمه ما لم ينسب عليه جميع اشياء عدمه الطارئ لان الاستمرار والدوام
 من خصائص الوجود الواجب وانت خبير بأن ما يوقف عليه وجوده من الامور الوجودية التي هي علله
 وشرائطه وان وجب كونها متناهية لوجوب تناسلها في الوجود لكن الامور العدمية التي هي لها
 دخل في وجوده ليست كذلك اذ لا استحالة في أن يكون شيء واحدا مع اشياء غير متناهية وانما الاستحالة
 في دخولها تحت الوجود فارتضاع تلك الموانع التي لا تناسلها على البقاء على العدم مع امكان وجودها
 في نفسها في كل آن من آنات وجوده ثم غير متناهية حقيقة لا ادعاء وكذا الحال في وجودات علله وشرائطه
 القرينة والبعيدة ابتداء وبقاء وكذا في كالاته التابعة لوجوده فانضح أنه يفيض عليه كل آن ثم لا تناسلها من
 وجوده شئ فسبحانك سبحانك ما أعظم سلطانك لا تلاحظك العيون بأبصارها ولا تطلعك العقول
 بأفكارها شأنك لا يضاهاى واحسانك لا يتناهى ونحسن في معرفتك حائرون وفي إقامة مراسم شكرك
 قاصرون نسألك الهداية الى مناهج معرفتك والتوفيق لاداء حقوق نعمتك لانخصى شأنا عليك لا اله الا
 أنت نستغفرك وتوب اليك (ان الانسان لظالم) يظلم النعمة باغفال شكرها أو بوضعها اياها في غير موضعها
 أو يظلم نفسه بتعريضها للحرمان (كفار) شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكوك ويحزن كفار في
 النعمة يجمع ويجمع واللام في الانسان للجنس ومصادق الحكم بالظلم والكفران بعض من وجدافيه من
 أفراد ويدخل في ذلك الذين يتولوا نعمة الله كفر الخ دخول أوليا (واذا قال ابراهيم) أى واذا كروا قوله عليه
 الصلاة والسلام والمقصود من تذكيره تذكيره ما وقع فيه من مقالته عليه السلام على نهج التفصيل والمراد به
 تأكيد ما سلف من تحجبه عليه السلام ببيان فن آخر من جنائياتهم حيث كفروا بالانتم الخاصة بهم بعد
 ما كفروا بالانتم العامة وعموا آباهم ابراهيم عليه السلام حيث أسكنهم مكة شرفها الله تعالى لا إقامة الصلاة
 والاجتناب عن عبادة الاصنام والتكبر انتم الله تعالى وسأله تعالى أن يجعله بلدا آمنا ويرزقهم من الثمرات
 وتهوى قلوب الناس اليهم من كل أوب تحقيق فاستجاب الله تعالى دعاءه وجعله حرما آمنا يجيى اليه ثمرات
 كل شئ فكفروا بآثار النعم العظام واستبدلوا بالبلد الحرام دار البوار وجعلوا الله أندادا لمفلحوا فاعلموا (رب
 اجعل هذا البلد) يعنى مكة شرفها الله سبحانه (آمنا) أى ذا أمن أو آمنا أهله بحيث لا يخاف فيه على ما مر
 في سورة البقرة والفرق بينه وبين ما فيها من قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا أن المسئول هناك البلدية والامن
 معا وهما الامن فقط حيث جعل هو المفعول الثاني للبعول وجعل البلدة صفة للمفعول الاول فان حل على
 تعدد السؤال فلعلة عليه السلام سأل أولا كلا الامرين فاستجيب له في أحدهما وتأخر الآخر الى وقته المقدر
 لما يقتضيه من الحكمة الداعية اليه ثم كثر السؤال كما هو المعتاد في الدعاء والاشتهال أو كان المسئول
 أولا بمجرد الامن المحض للسكن كما في سائر البلاد وقد أجيب اليه وثانيا الامن المهود أو كان هو المسئول فيهما
 وقد أجيب اليه أيضا لكن السؤال الثاني للاستدامة والاقتصاد على ذلك لانه المقصود الاصلى أولان المعتاد
 في البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف الامن وان حل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر
 فالظاهر أن المسئول كلا الامرين وقد حكى أولا واقصر ههنا على حكاية سؤال الامن لا مجرد أن نعمة
 الامن أدخل في استجاب الشكر فذكره أنسب بمقام تقرير الكفرة على اغفاله كما قيل بل لأن سؤال البلدية
 قد حكى بقوله تعالى فاجعل أنداء من الناس تهوى اليهم اذ المسئول هو بها اليهم للمساكنة معهم لا للجمع

فقط وهو عين سؤال البلدية قد حكى بعبارة أخرى وكان ذلك أول ما قدم عليه السلام مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام لما سكن اسمعيل وهاجر هناك وعاد متوجها إلى الشام تبعته هاجر وجعلت تقول إلى من تكلمنا في هذا البلقع وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت الله امرنا بهذا فقال نعم قالت إذا لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى إذا استوى على ثنية كذا أقبل على الوادي فقال ربنا إني أسكنت الآية وإنما فصل ما بينهم ما تفتية للاعتنان وايدنا بأن كلاً منهم ما نعمة جليلة مستتعبة لشكر كثير كما في قصة البقرة (واجنبني وبني) بعدني وإياهم (أن تعبد الأصنام) واجعلنا منها في جانب بعيد أي يتساع على ما كتبه عليه من التوحيد وملة الإسلام والبعد عن عبادة الأصنام وقرئ وأجنبني من الأفعال وهما لغة أهل نجد يقولون جنبني شراً وأجنبني شراً وأما أهل الحجاز فيقولون جنبني شراً وفيه دليل على أن عصمة الأنبياء عليهم السلام بتوفيق الله تعالى وإظهار أن المراد بدينه أولاده الصلبة فلا احتياج به لابن عيينة رضى الله عنه على أن أحدا من أولاد اسمعيل عليه السلام لم يعبد الصنم وإنما كان لكل قوم مجرى صنوه وقالوا هو حجر البيت حجر فكانوا يدورون به ويسمونه الدوار فاستحب أن يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت ولبت شعري كيف ذهب عليه ما في القرآن العظيم من قوارع تنبي على قريش عبادة الأصنام على أن فيما ذكره كذا على ما قرأ منه (رب انهن) أي الأصنام (أضلان كثير من الناس) أي تسبب له كقوله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا وهرت عليل لدعائه وإنما صدره بالنداء إظهار الاعتناء به ورغبة في استحيائه (من تبعني) منهم فيما أدعوا إليه من التوحيد وملة الإسلام (فانه مني) أي بعضي قال عليه السلام بمبالغة في بيان اختصاصه به أو متصل بي لا يثنيك عني في أمر الدين (ومن عصاني) أي لم يتبعني والتعبير عنه بالعصيان لا ليدان بأنه عليه السلام مستقر على الدعوة وأن عدم اتباع من لم يتبعه إنما هو لعصيانه لا لأنه لم يبلغه الدعوة (فانك غفور رحيم) قادر على أن تغفر له وترحمه ابتداء أو بعد توبته وفيه أن كل ذنب فله تعالى أن يغفره حتى الشرك خلا أن الوعيد قننى بالفرق بينه وبين غيره (ربنا) أثر عليه السلام ضمير الجماعة لا لما قيل من تقدم ذكره وذكره بنية والاراء في قوله رب انهن الخ بل لأن الدعاء المصداق به وما أوردته يصدده هيد مبادى اجابته من قوله (إني أسكنت) الآية متعلق بذريته فالعرض لوصف ربوبية تعالى لهم أدخل في القبول وإجابة المسؤل (من ذريتي) أي بعضهم أو ذرية من ذريتي في حذف المفعول وهو اسمعيل عليه السلام وما سمي ولده فإن أسكانه حيث كان على وجه الاطمئنان متضمن لاسكانهم روى أن هاجر أم اسمعيل عليه السلام مكات لسارة فوهبتهما من إبراهيم عليه السلام فلما ولد له اسمعيل عليه السلام غارت عليهما فنادته أن يخرجهما من عندها فخرجهما إلى أرض مكة فأظهر الله تعالى عين زمزم (بواد غير ذي زرع) لا يكون فيه زرع أصلاً وهو وادي مكة شرفها الله تعالى (عنديتك) طرف لاسكنت كقولك صليت مكة عند الركن لأنه صفة لواد أو بدل منه إذا المقصود إظهار كون ذلك الاسكان مع فقدان مباديه بالمزة لمحض التقرب إلى الله تعالى والالتجاء إلى جواره الكريم كما ينبغي عنه التعرض لعنوان الحرمه المؤذن بعزة المنجاء وعصمته عن المكارة في قوله تعالى (المحرم) حيث حرم التعرض له والتهاون به أو لم يزل معظم ما منعه عليه الجبارة في كل عصر أو منعه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا وتسميته اذ ذاك يتسأل ولم يكن له بناء وإنما كان نثر امثل الرابية تأتية السيول فتأخذ ذات اليمين وذات الشمال ليست باعتبار ما سبيل إليه الامر من شأنه عليه السلام فانه ينزع إلى اعتبار عنوان الحرمه أيضا كذلك بل انما هي باعتبار ما كان من قبل فان تعدد بناء الكعبة المعظمة مما لا ريب فيه وإنما الاختلاف في كمية عدده وقد ذكرنا في سورة البقرة بنضل الله تعالى (ربنا ليقيموا الصلاة) متوجهين إليه متبركين به وهو متعلق بأسكنت وتخصيصها بالذكر من بين سائر شعائر الدين لفضلها وتكرير النداء وتوسيطه لإظهار كمال العناية بأقامة الصلاة والاهتمام بعرض أن العرض من اسكانهم بذلك الوادي البلقع ذلك المقصد الأقصى والمطلب الاسنى وكل ذلك لتهيئ مبادى اجابة دعائه واعطاء مسؤله الذي لا يتسنى ذلك المرام الا به ولذلك أدخل عليه الفاء فقال (فاجعل أفئدة من الناس) أي أفئدة من أفئدتهم فن لتبعض ولذلك قيل لوقال أفئدة الناس لازدحم عليهم فارص

والروم وأما ما زيد عليه من قولهم ولجت اليهود والنصارى فغير مناسب للمقام اذ المول توجيه القلوب اليهم
للمساكنة معهم لا توجيهها الى البيت للحج والاقبل تهوى اليه فانه عين الدعاء بالبلدية قد حكى به عبارة أخرى
كما مر أولاً ابتداء الغاية كتلك القلب من سقيم أى أفدة ناس وقرى أفدة على القلب كما ذكرى أدوراً
على أنه اسم فاعل من أفدت الرحلة أى مجلت أى جماعة من الناس وأفدة بطرح الهمة من الافدة أو على
النت من أفد (تهوى اليهم) تسرع اليهم شوقاً ووداداً وقرى على البناء للمفعول من أهواه غيره وتهوى
من باب علم أى تحب وتعدىته بالى لتتضمن معنى الشوق والنزوع وأول آثار هذه الدعوة ما روى أنه مرت رفقة
من جرحهم تريد الشام فرأوا الطريق يحوم على الجبل فسالوا ان هذا الطائر لعاتف على الماء فأشرفوا فاذا هم به اجر
فقالوا لها ان شئت كما معك وأنسناك والماء ماؤك فاذنت لهم وكانوا معها الى أن شب اسمعيل عليه السلام
وماتت هاجرته تزوج اسمعيل منهم كما هو المشهور (وارزقههم) أى ذرىته الذين أحسنهم هناك أو مع من
يخافونهم من الناس وانما لم يخص الدعاء بالمومنين منهم كفى قوله وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله
واليوم الآخر كنفاء بكرا فامة الصلاة (من الثمرات) من أنواعها بأن يجعل بقرب منه قرى يحصل فيها
ذلك أو يجي اليه من الاقطار الساعة وقد حصل كلاهما حتى انه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية
والخريفية في يوم واحد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الطائر كانت من أرض فلسطين فلما دعا
ابراهيم عليه السلام بهذه الدعوة رفعها الله تعالى ووضعها حيث وضعها رزقاً للعالم وعن الزهري رضى الله
عنه أنه تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة ابراهيم عليه السلام (لعلهم يشكرون) تلك
النعمة بأقامة الصلاة وأداء سائر مراسم العبودية وقيل اللام فى ليشقوا الام الامر والمراد أمرهم بأقامة
الصلاة والدعاء من الله تعالى بتوفيقهم لها ولا يناسبه الفاء فى قوله تعالى فاجعل الخ وفى دعائه عليه السلام
من مراعاة حسن الادب والمحافظة على قوانين الزراعة وعرض الحاجة واستئصال الرقة واستجلاب
الرأفة ما لا يخفى فانه عليه السلام بذكر كون الوادى غير ذى زرع بين كمال افتقارهم الى المسؤل وبذكر
كون اسكانهم عند البيت المحترم أشار الى أن جوار الكريم يستوجب افاضة النعم وبعرض كون ذلك
الاسكان مع كمال اعواز مرافق المعاش لمحض اقامة الصلاة وأداء حقوق البيت مهد جميع مبادئ
اجابة السؤال ولذلك قرئت دعوته عليه السلام بحسن القبول (ربنا انك تعلم ما تخفى وما نعلن) من الحاجات
وغيرها والمراد بما تخفى ما يقابل ما نعلن سواء تعلق به الاخفاء أو لا أى تعلم ما نظهره وما لا نظهره فان علمه تعالى
متعلق بما لا يخطئ به الله مما فيه من الاحوال الخفية فضلاً عن اخفائه وتقديم ما تخفى على ما نعلن لتحقيق
المساواة بينهما فى تعلق العلم بما على أبلغ وجه فكأن تعلقه بما يخفى أقدم منه بما يعلن أولاً من مرتبة السر
والخفاء متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شئ يعلن الا وهو قبل ذلك خفى فتعلق علمه سبحانه بحالته الاولى
أقدم من تعلقه بحالته الثانية وقصد به عليه السلام أن اظهر هذه الحاجات وما هو من مبادئ او تمانى اليه
لكونها غير معلومة لك بل اغماها لاظهار العبودية والتخضع لعظمته والتذلل امرتك وعرض الافتقار
الى ما عندك والاستجبال لئلا يأتى بك وتذكير النداء للمبالغة فى الضراعة والانهال وضيق
الجماعة لأن المراد ليس مجرد علمه تعالى بسر وعلمه بل بجميع خفايا الملك والملكوت وقد حققه بقوله على
وجه الاعتراض (وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء) لما أنه العالم بالذات خاسن أمر يدخل
تحت الوجود كما سماه كان فى زمان من الازمان الوجود فى ذاته علم بالنسبة اليه سبحانه وانما حاله
وما يخفى على الله الخ دون أن يقول ويعلم ما فى السموات والارض تحققة بما اعناه بقوله تعلم ما تخفى من
أن علمه تعالى بذلك ليس على وجه يكون فيه شائبة خفاء بالنسبة الى علمه تعالى كما يكون ذلك بالنسبة الى
علوم المخلوقات وكلمة فى متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء أى من شئ كأن فيه ما أعم من أن يكون ذلك على
وجه الاستقرار فيه ما أوعى وجه الجزئية منهما أو يخفى وتقدم الارض على السماء مع توسط لا بينهما
باعتبار القرب والبعد من المستدعين للتفاوت بالنسبة الى علوهما والاتفات من الخطاب الى اسم الذات
المنجمعة للصنات اتريسة المهابة والاشعار بعلو الحكم على نهج قوله تعالى ألا يعلم من خلق وهو اللطيف

الخبير والايذان بمومه لانه ليس بشأن يختص به أو بمن يتعلق به بل شامل لجميع الاشياء فالمناسب ذكره
 تعالى بعنوان صحيح لمبدأ الكل وقيل هو من كلام الله عز وجل "وارد بطريق الاعتراض لتصديقه عليه
 السلام كقوله سبحانه وكذلك يفعلون ومن للاستغراق على الوجهين (الحمد لله الذي وهب لي على
 الكبير) أي مع كبري وبإني عن الولد قيد الهبة به استعظاما للنعمة وإظهارا لشكرها (اسمعيل واسحق)
 روى أنه ولده اسمعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولده اسحق وهو ابن مائة واثنى عشرة سنة أو مائة وسبع
 عشرة سنة (ان ربي) ومالك أمرى (لجميع الدعاء) بحبيبه من قوالهم جمع الملك كلامه إذا اعتد به وهي من
 ابناء المبالغة العامة عمل الفعل أضيف الى مقوله أو فاعله باستناد السماع الى دعاء الله تعالى مجازا
 وهو مع كونه من تمة الحمد والشكر إذ هو وصفه تعالى بأن ذلك الجليل سفته المستمرة لتلبيح على طريقة
 التذيل للهبة المذكورة وفيه إيذان بتضاعف النعمة فيها حيث وقعت بعد الدعاء بقوله رب هب لي
 من الصالحين فاقرنت الهبة بقبول الدعوة وتوحيد ضمير المتكلم وأن كان عقيب ذكر هبة مما لا أن نعمة
 الهبة فائضة عليه خاصة وهما من ادم لان المنعم عليهم (رب اجعلني مقيم الصلاة) مشارا عليها مع دلالتها
 وتوحيد ضمير المتكلم مع شمول دعوته لذريته أيضا حيث قال (ومن ذريتي) أي بعضهم من المذكورين
 ومن يسير سيرتهم من أولادهما للاشعار بأنه المقتدى في ذلك وذريته أتباع له وأن ذكرهم بطريق الاستطراد
 لا كافي قوة وبشأن أسكنت الخ فان أسكانه مع عدم تحققه بلاملاية لمن أسكنه انما هو مذكور بطريق
 التمهيد للدعاء الذي هو مخصوص بذريته وانما خص هذا الدعاء به ذريته لعله من جهة الله تعالى أن بعضا
 منهم لا يكون مقيم الصلاة كقوله تعالى وبشأن واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك (وبشأن تقبل دعاء)
 أي دعاءي هذا المتعلق بجعلى وجعل بعض ذريتي مقيمي الصلاة ثابتين على ذلك مجتنبين عن عبادة الاصنام
 ولذلك جرى بعضهم الجماعة (وبشأن اغفر لي) أي ما فرط مني من ترك الاولى في باب الدين وغير ذلك مما لا يسلم منه
 البشر (ولو احدى) وقرئ بالتوحيد ولا بوي وهذا الاستغفار منه عليه السلام انما كان قبل تبين الامر
 له عليه السلام وقيل أراد بوالديه آدم وحواء وقبل بشرط الاسلام ويردده قوله تعالى الا قول ابراهيم الآية
 وقد روي في سورة التوبة نوع تحقيق المقام وسياق تمامه في سورة مريم بفضل الله تعالى (وللمؤمنين) كافة
 من ذريته وغيرهم وللإيذان باشتراك الكل في الدعاء بالمغفرة جرى بعضهم الجماعة (يوم يقوم الحساب) أي
 ثبت ويحقق بحساسة أعمال المكلفين على وجه العدل استعير له من ثبوت القائم على الرجل بالاستقامة
 ومنه قامت الحرب على ساق والمراد تهويله وقيل أسند اليه قيام أهله مجازا وحذف المضاف كافي وأسأل
 القرية واعلم أن ما حكى عنه عليه السلام من الادعية والأذكار وما يخلق بها ليس بمصاد عنه على الترتيب
 المحكي ولا على وجه المعية بل صدر عنه في أزمنة متفرقة حكى مرتباً للدلالة على سوء حال الكفرة بعد ظهور
 أمره في الله وإرشاد الناس اليها والتضرع الى الله تعالى لمصالحهم الدينية والدنيوية (ودعسبن الله
 غافلا عما يعمل الظالمون) خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد تنبيهه على ما كان عليه من عدم
 حسبانته عز وجل كذلك شوق قوله ولا تكونن من المشركين ونظائر مع ما فيه من الإيذان بكونه واجب
 الاحتراز عنه في الضاية حتى نهي عنه من لا يمكن تعاطيه أو نهييه عليه السلام عن حسبانته تعالى تاركا
 لعقابهم على طريقة العفو والتعبر عنه بذلك للمبالغة في النهي والإيذان بأن ذلك الحسبان بمنزلة حسبانته
 تعالى غافلا عن أعمالهم إذا علم بذلك مستوجب لعقابهم لا محالة فتركوا لو كان لكان للعقل عما يوجب
 من أعمالهم الخبيثة وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعده أكيد ووعيد للكفرة وسائر الظالمين
 شديد أو لكل أحد من يستعمل عذابهم أو توهم أعمالهم للجهل بصفاته تعالى والاعتراض بما هاله وقيل
 مضاه لا تحسبته تعالى بعاملهم معاملة العاقل عما عملوا بل معاملة من يحافظ على أعمالهم ويجوزحهم
 بذلك تقيرا وعظما والمراد بالظالمين أهل مكة ممن عدت مساوهم من تدبيل نعمة الله تعالى كفر أو إحلال
 قومهم دار البوار واتخاذ الأنداد كما يؤذن به التعرض للحكمة التأخير التي عنه قوله تعالى قل تتحوا الآية
 أو جنس الظالمين وهم داخلون في الحكم دخولاً أولياً (انما يؤخرهم) بجهلهم مقتنعين بالخطوة الدنيوية
 ولا يجل عقوبتهم حسبما شاهد وهو استئناف وقع تعليلاً للنهي السابق أي دم على ما كنت عليه من عدم

حسبه تعالى غافلا عن أعمالهم ولا تحزن بتأخير ما تستوجب من العذاب الا انما اذا تأخيره للتشديد
 والتقليظ أولا تحسبه تعالى تاركا لعقوبتهم لما ترى من تأخيرها انما ذلك لاجل هذا أولا تحسبه تعالى
 يعاملهم معاملة الغافل ولا يؤاخذهم بما عملوا لما ترى من التأخير انما هو لهدم الحكمة وقرئ بالنون
 وايضا التأخير عليهم مع أن المؤخر انما هو عذابهم لتحويل الخطب وتفضيع الحال ببيان أنهم متوجهون الى
 العذاب مرصدون لا حراما لانهم باقون باختيارهم وللدلالة على أن حقهم من العذاب هو الاستصال بالمرّة
 وأن لا يبقى منهم في الوجود عين ولا أثر ولا يذنب بأن المؤخر له من جملة العذاب وعنوانه ولوقيل انما يؤخر
 عذابهم الخ لما فهم ذلك (ايوم) هائل (تخصص فيه الابصار) ترتفع ابصار أهل الموقف فيدخل في زميرهم
 الكفرة المعهودون دخول أوليا أي تبقى مفتوحة لا تتحرك أجفانهم من هول ما يرونه واعتبار عدم قرارها
 في أماكنها اعتبارا لارتفاع الحسى في جرم العين واما يجعل الصيغة من شخص من بلد الى بلد وسار
 في ارتفاع (مهمطين) مسرعين الى الداعي مقبلين عليه بالنفوس والذلل والخشوع أو مقبلين بأبصارهم عليه
 لا يقلعون عنه ولا يطفون هيبه وخوفا وحيث كان ادامة النظرة ههنا بالنظر الى الداعي قبل (مقتضى رؤسهم)
 أي رافعينها مع ادامة النظر من غير التفات الى شيء قاله العتيبي وابن عرفة أو ناكسها ويشال أقنع رأسه أي
 طأطأ وانكسها فهو من الاضداد وهما حالان محال عليه الابصار من أصحابها أو الثاني حال متداخلة
 من الضمير في الاول واضافته غير حقيقية فلا ينافي الحالية (لا يرتد اليهم طرفهم) أي لا يرجع اليهم تحريك
 أجفانهم حبا كما كان يرجع اليهم كل لحظة بل تبقى أعينهم مفتوحة لا تطرف أو لا ترجع اليهم أجفانهم التي هي آلة
 الطرف فيكون اسناد الرجوع الى الطرف مجازيا وهو نفس الجفن قال الفيروز آبادي الطرف العين لا يجمع
 لانه مصدر في الاحل أو اسم جامع للعين أو لا يرجع نظرهم الى أنفسهم فضلا عن أن يرجع الى شيء آخر فيستقون
 منهم وتبين وهو أيضا حال أو بدل من مقتضى الخ أو استئناف والمقتضى لا يزول ما اعتراه من شخص من الابصار
 وتأخير عما هو من تنسقه من الاهضاع والافتناع مع ما بينه وبين الشخص من المذكور من المناسبة لتربية هذا
 المعنى (وأفقدتهم هواء) خالية من العقل والفهم لقرط الخيرة والدهش ~~كأنها~~ نفس الهواء الخالي من كل
 شغل ومنه قيل للجان والاحق قلبه هواء أي لا قوة ولا رأي فيه واعتبار خلقها عن كل خير لا يناسب المقام
 وهو اما حال عام لا يرتد مقبلة لكون شخص أبصارهم وعدم ارتداد طرفهم بلانهم ولا اختيار أو جملة
 مستقلة (وأند الناس) خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعلامه أن تأخيرهم لما ذابوا أمره
 باتذارهم وتخويفهم منه والمراد بالناس الكفار المعبر عنهم بالظالمين كما يقتضيه ظاهر آيات العذاب والعدول
 اليه من الاضمار للاشارة بأن المراد بالانذار هو الزجر عما هم عليه من الظلم شفقة عليهم لا التخويف للارتجاع
 والايذاء فالمناسب عدم ذكرهم بعنوان الظلم أو الناس جميعا فان الانذار عام للقريقين كقوله تعالى اغاثنذر من
 اتبع الذكر والايان بهم ما من حيث كونهم في الموقف وان كان لحوقه بالكفار خاصة أي أنذرهم وخوفهم
 (يوم يأتيهم العذاب) المعهود وهو اليوم الذي وصف بما لا يوصف من الاوصاف الهائلة أعنى يوم القيامة
 وقبل هو يوم موتهم معذبين بالسكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى أو يوم هلاكهم بالعذاب العاجل وبأبواب
 القصر السابق (فيقول الذين ظلموا) أي فيقولون والعدول عنه الى ما عليه النظم الكريم لتسجيل عليهم
 بالظلم وللشعار بأن ما لقوه من الشدة انما هو لظلمهم وايشاره على صيغة الفاعل حساء ذكر أو لا لا يذنب
 بأن الظلم في الجملة كاف في الافضاء الى ما ذكر من الاحوال من غير حاجة الى الاستمرار عليه كما ينبغي عنه صيغة
 الفاعل وعلى تقدير كون المراد بالناس من يرمي المسلمين أيضا فاعني الذين ظلموا منهم وهم الكفار ويقول كل
 من ظلم بالشرك والتكذيب من المذنبين وغيرهم من الامم الخالية فان آيات العذاب يعهم كما يشعر بذلك
 وعدهم باتباع الرسل (وبنا أخرنا) ودنا الى الدنيا وأمهلتنا (الى أجل قريب) الى أمده وحسن الزمان
 ثم ريب (ينجب دعوتك) أي الدعوة اليك والى توحيدك أو دعوتك لنا على السنة الرسل فضيه اجماعا الى
 أنهم صدقوه في أنهم مرسلون من عنده تعالى (وتتبع الرسل) فيما جاؤا به أي تدارك ما فرطنا فيه
 من اجابة الدعوة واتباع الرسل والجمع اما باعتبار اتفاق الجميع على التوحيد وكون عصيانهم للرسول

صلى الله عليه وسلم عصيا مالههم جميعا وأما باعتبار أن المحكي كلام ظاهري لا مضمون المقصود بيان وعد كل
 أمة بالساعة رسولها (أولم تكونوا أقسمتم من قبل) على إضمار القول معطوفا على فيقول أى فيقال لهم توبوا
 وتكفوا لم تؤخروا في الدنيا ولم تكونوا أقسمتم اذ ذاك بالستكم بطوا وأنتم أوجهلا وسفها (مالكم من زوال)
 عما أنتم عليه من التمتع بالخطوط الدنياوية وأبأسنة الحال حيث بينتم مشيدا وأتمتم بعيد اولم تحذوا أنفسكم
 بالانتقال منها إلى هذه الحالة وفيه اشعار بامتداد زمان التأخير وبعد مداه أو مالكم من زوال من هذه المدايا
 إلى دار أخرى للجزاء كقوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت وصيغة الخطاب في جوابه
 القسم إراعاة لطلب المقسم ذكر البهيقي عن محمد بن كعب القرظي أنه قال لاهل النار خمس دعوات يجيبهم
 الله تعالى في أربع منها فإذا كانت الخامسة لم يسلكوا وابعدها أبايت قولون ربنا أمنا النكتين وأحييتنا النكتين
 فاعترفتا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل فيجيبهم الله تعالى ذلكم بأنه إذا دعى الله وهدى كفرتم وإن يشرركم به
 تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا فعمل صالحا إننا موقنون فيجيبهم الله
 تعالى فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا الآية ثم يقولون ربنا أخرجنا من هذه الدار الظلمة التي كنا نعمل
 فيها فيجيبهم الله تعالى أولم نكرمكم ما نذركم فذوقوا العذاب الذي كنتم تعملون ثم يقولون ربنا
 غلب علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فيجيبهم الله تعالى اخسوا أنفسكم ولا تكلموا فلا يكلمون بعدها أي أن هو
 الأذير وشهيق وعند ذلك انقطع رجاء وهم وأقبل بعضهم ينبج في وجه بعض وأظلمت عليهم جهنم اللهم أنابك
 نعوذ وبك نفلنلوذ عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك (وسكنتم) من السكنى بمعنى التوق والاطمان وأما
 استعمال بكلمة في حيث قيل (في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) جريا على الأصل لأنه منقول عن مطلق السكون
 الذي حقه التعديت بها أو من السكون واللبث أى قروتم في مساكنهم مطمئنين سائرين سيرتهم في الظلم بالكفر
 والمعاصي غير محدثين لأنفسكم مما القوا بسبب ما اجتروا من الموبقات وفي إشباع الظلم على أنفسهم بعد
 إطلاقه فيما سلف أي أن غائلة الظلم آتته إلى صاحبه والمراد بهم أجمع من تقدم من الأمم المهلكة على
 تقدير اختصاص الاستعمال والخطاب السابق بالمتذرين وأما وأناهم من قوم نوح وهود عن تقدير عمومهما
 للكل وهذا الخطاب وما يتلوه باعتبار حال آخرهم (وتبين لكم) بمشاهدة الآثار وروايات الأخبار (كيف
 فعلناهم) من الإهلاك والعقوبة بما فعلوا من الظلم والفساد وكيف منصوب بما بعده من الفعل وليس الجملة
 فاعلا تبين كما قاله بعض الكوفيين بل فاعله مادته هي عليه دلالة واضحة أى فعلنا العجيب بهم وفيه من
 المبالغة ما ليس في أن يقال ما فعلناهم كما مر في قوله تعالى ليس جنة وقرئ وبين (وضربناكم الأمثال)
 أى بينا لكم في القرآن العظيم على تقدير اختصاص الخطاب بالمتذرين أو على السنة الأنبياء عليهم السلام على
 تقدير عمومهم لجميع الظالمين صفات ما فعلوا وما فعل بهم من الأمور التي هي في الغرابة كالأمثال المضروبة
 لكل ظالم لتعبروا بها وتنبهوا على أعمالكم على أعمالهم وما لكم على ما لهم وتنتقلوا من حلول العذاب
 العاجل إلى حلول العذاب الآجل فترتدعوا عما كنتم فيه من الكفر والمعاصي أو بينا لكم أمثالهم
 في الكفر واستحقاق العذاب والجلل الثلاث في موقع الحال من ضمير أقسمت أى أقسمت بالخلود والحال
 أنكم سكنتم في مساكن المهلكين بظلمهم وتبين لكم فعلنا العجيب بهم ونبهناكم على جليلة الحال بضرب الأمثال
 وقوله عز وجل (وقدمكم رواه) حال من الضمير الأول في فعلناهم أو من الثاني أو منهما
 جميعا وإنما قدم عليه قوله تعالى وضربناكم الأمثال لشدة ارتباطه بما قبله أى فعلناهم ما فعلنا والحال
 أنهم قد مكرروا في إبطال الحق وتقرير الباطل مكرهم العظم الذي استقرغوا إلى عمله الجهود وجاوزوا فيه
 كل حدمعهود بحيث لا يقدر عليه غيرهم فالمراد بيان تنابههم في استحقاق ما فعل بهم أو قدمكم رواه مكرهم
 المذكور في ترتيب مبادئ السقاء ومداغة أسباب الزوال فالمقصود إظهار عجزهم واضمحلال قدرتهم
 وحضارتهم عند قدرة الله تعالى (وعند الله مكرهم) أى جزاء مكرهم الذي فعلوه على أن المكر مضاف إلى
 فاعله أو أخذته تعالى بهم على أنه مضاف إلى مفعوله وتسميته مكر الكونه بمقابلته مكرهم وجودا وذكر أو لا يكون

في صورة المكروه في الاتيان من حيث لا يشعرون وعلى التقديرين فالمراد به ما أفاده قوله عز وجل "كيف فعلناهم لانه وعيد مستأنف والجملة حال من الضمير في مكروا أى مكروا وكروهم وعند الله جزاؤه أو ما هو أعظم منه والمقصود بيان فساد رأيهم حيث باشروا فعلا مع تحقق ما يوجب تركه (وان كان مكروهم) في العظم والشدّة (لتزول منه الجبال) أى وان كان مكروهم في غاية المتانة والشدّة وعبر عن ذلك بكونه مسوى ومعدا لازالة الجبال عن مقارها لكونه مثلا في ذلك والجملة المصدرية بان الوصلية معطوفة على جملة مقدره والمعنى وعند الله جزاء مكروهم أو المكرو الذي يحقق بهم ان لم يكن مكروهم لتزول منه الجبال وان كان الخ وقد حذف ذلك حذفاً مطرد الدلالة المذكور عليه دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق عند وجود المانع القوى فلا أن يتحقق عند عدمه أولى وعلى هذه التكمة يدور ما في ان الوصلية من التأكيده المعنوي والجواب محذوف دل عليه ما سبق وهو قوله تعالى وعند الله مكروهم وقيل ان نافية واللام لتأكيد كيدها كما في قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم ويصرفه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وما كان مكروهم فالجملة حينئذ حال من الضمير في مكروا لان قوله تعالى وعند الله مكروهم أى مكروا مكروهم والحال أن مكروهم لم يكن لتزول منه الجبال على أنها عبارة عن آيات الله تعالى وشرائعه ومجزاته الظاهرة على أيدي الرسل السالفة عليهم السلام التي هي بمنزلة الجبال الراسيات في الرسوخ وأما كونها عبارة عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم وأمر القرآن العظيم كما قيل فلا مجال لا اذا لما كرون هم المهلكون لا الساكنون في مساكنهم من الخاسطين وان خص الخطاب بالمتذرين وقيل هي مخففة من ان والمعنى انه كان مكروهم لتزول منه ما هو كالجبال في الثبات مما ذكر من الآيات والشرائع والمجرات والجملة كما هي حال من ضمير مكروا أى مكروا مكروهم المعهود وان الشان كان مكروهم لازالة الآيات والشرائع على معنى أنه لم يكن يصح أن يكون منهم مكرو كذلك وكان شأن الآيات والشرائع مانعة من مباشرة المكرو لازالة الله وقد قرأ الكسافي لتزول بفتح اللام على أنها الفارقة والمعنى تعظيم مكروهم فالجملة حال من قوله تعالى وعند الله مكروهم أى عند الله تعالى جزاء مكروهم أو المكروهم والحال أن مكروهم بحيث تزول منه الجبال أى في غاية الشدة وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي وقرئ وان كاد مكروهم هذا هو الذي يقتضيه النظم الكريم وينساق اليه الطبع السليم وقد قيل ان الضمير في مكروا للمتذرين والمراد بمكروهم ما أفاده قوله عز وجل "واذ عكر بك الذين كفروا باليهة أو يقتلوك أو يخرجوك الآية وغيره من أنواع مكروهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل الوجه حينئذ أن يكون قوله تعالى وقد مكروا الخ حالاً من القول المقدر رأى فيقال لهم ما يقال والحال أنهم مع ما فعلوا من الاقسام المذكور مع ما ينافي من السكون في مساكن المهلكين ونبين أحوالهم وضرب الامثال قدم مكروا مكروهم العظيم أى لم يكن الصادر عنهم مجرد الاقسام الذي ويجزوا به بل اجتروا على مثل هذه العظيمة وقوله تعالى وعند الله مكروهم حال من ضمير مكروا حس بما ذكرنا من قبل وقوله تعالى وان كان مكروهم لتزول منه الجبال مسوق لبيان عدم تساوت الحال في تحقيق الجزاء بين كون مكروهم قويا أو ضعيفا كما مر هنالك وعلى تقدير كون ان نافية فهو حال من ضمير مكروا والجبال عبارة عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم أى وقدم مكروا والحال أن مكروهم ما كان لتزول منه هاتيك الشرائع والآيات التي هي في القوة كالجبال وعلى تقدير كونها مخففة من الثقل واللام مذكورة يكون حالها منه أيضا على معنى أن ذلك المكرو العظيم منهم كان لهذا الغرض على معنى أنه لم يكن يصح أن يكون منهم مكرو كذلك لما أن شأن الشرائع أعظم من أن عكر بهم ما كر وعلى تقدير فتح اللام فهو حال من قوله تعالى وعند الله مكروهم كما ذكرنا من قبل فليأتنا (فلا تحسبن الله يخلف وعده رسوله) لم يرد به والله سبحانه أعلم ما وعده بقوله تعالى اننا لننصر رسلانا الآية وقوله كتب الله لا غلبن أنا ورسلي كما قيل فانه لا اختصاص له بالتعذيب لاسيما الاخرى بل ما سلف آتاه من وعده بتعذيب الظالمين بقوله تعالى انما يؤخرهم الآية كما يفتح عنه الفاء الداخلة على النهي الذي أريد به تأييده عليه الصلاة والسلام على ما كان عليه من الثقة بالله تعالى واليقين بانجاز وعده المذكور والمقرون بالامر بانذارهم يوم اتيان العذاب المتضمن لذكر تعذيب الامم السابقة بسبب كفرهم وعصيانهم رسلاهم بعدما وعدهم بذلك

كما نصت قصة كل منهم في القرآن العظيم فكانت قبل واذ قد وعدناك بعذاب الظالمين يوم القيامة وأخبرناك بما يلقونه من الشدة وأعدنا عذاباً لهم من الرذائل الذي أوجبا أجبناهم به وقرعناهم بعدم تأملهم في أحوال من سبقتهم من الأمم الذين أهلكتهم بظلمهم بعد ما وعدنا رسالهم بأهلا كهـم قدم على ما كنت عليه من اليقين بعدم اخلافنا رسلا وعدنا (إن الله عزيز) غائب لا يما كرو وقادر لا يقادر (ذواتنا) لا وليائه من أعدائه والجملة تعليل للنهي المذكور وتذييل له وحيث كان الوعد عبارة عما ذكرنا من تعذيبهم خاصة لم يذيل بأن يقال إن الله لا يخلف الميعاد بل تعريض لوصف العزة والانتقام المشعرين بذلك والمراد بالانتقام ما أشير إليه بالفعل وعبر عنه بالذكر (يوم تبدل الأرض غير الأرض) ظرف لمنهم مستأنف ينسحب عليه النهي المذكور أي يجزئه يوم الخ أو معطوف عليه نحو وارتقب يوم تبدل الأرض غير الأرض أو الانتقام وهو يوم يأتيهم العذاب بعينه ولكن له أحوال بجهة يذكركل مرة بعنوان مخصوص والتقييده مع عموم انتقامه للأوقات كلها للأفصاح عما هو المقصود من تعذيب الكفرة المؤخر إلى ذلك اليوم بموجب الحكمة الداعية إليه وقيل بدل من يوم يأتيهم العذاب أو نصب يذكراً وباضمار لا يخلف وعده يوم تبدل الخ وفيه أيضاً ما في الوجه الثالث من الحاجة إلى الاعتذار ولا يجوز أن ينصب بقوله يخلف وعده لأن ما قبل أن لا يعمل فيما بعده وقيل هو غير مانع لأن قوله تعالى إن الله عز وجل ذو انتقام جله اعتراضية فلا يبالى بها فاصلاً واعلم أن التبدل قد يكون في الذات كما في بدات الدراهم دنائير وعليه قوله عز وجل تبدلناهم جلوداً غير لها وقد يكون في الصفات كما في قولك بدات الحلقة خاتماً إذا غيرت شكلها ومنه قوله تعالى تبدل الله سيئاتهم حسنات على بعض الأقوال والآية الكريمة ليست ينص في أحد الوجهين فمن على رضى الله عنه تبدل أرضاً من فضة وسعوات من ذهب وعن ابن مسعود رضى الله عنه تبدل الأرض بأرض كالفضة بفضاء نبتة لم يسفك فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هي تلك الأرض وإنما تغير صفاتها وأنشده

وما الناس بالناس الذين عهدتهم • وما الدار بالدار التي كنت تعلم

وتبدل السموات بالتشاكوا كبها وكسوف شمسهما وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبو أبابيدل عليه ما روى أبو هريرة رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال تبدل الأرض غير الأرض فتبسط وتقدم

القديم العكاسي لا ترى فيها عوجاً ولا أمناً (والسموات) أي وتبدل السموات غير السموات حسماً من التفصيل ونقدم تبدل الأرض اقربها ما ناولكون تبدلها أعظم أثرها بالنسبة إليها (وبرزوا) أي الخلاق أو الطامون المدلول عليهم بمعونة السباق والمراد برزهم من أجداثهم التي في بطون الأرض أو ظهورهم بأعمالهم التي كانوا يعملونها سرّاً أو يزعمون أنها لا تظهر أو يعملون عمل من يزعم ذلك ولعل أسناد البروز إليهم مع أنه لا عملهم للآيات بتشاكلهم بأشكال تناسبها وهو معطوف على تبدل والعدول إلى صيغة الماضى للدلالة على تحقق وقوعه وأحوال من الأرض بتقدير قد والرابط بينها وبين صاحبها الواو (الله الواحد القهار) الحساب والجزاء والتعريض للموضفين التحويل الخطب وتربية المهابة وإظهار بطلان الشرك وتحقيق الانتقام في ذلك اليوم على تقدير كونه ظرفاً له وتحقيق إتيان العذاب الموعود على تقدير كونه بدلاً من يوم يأتيهم العذاب فإن الأمر إذا كان لواحد غلب لا يعار وقادر لا يضار ولا يفار كان في غاية ما يكون من الشدة والصعوبة (وترى المجرمين) عطف على برزوا والعدول إلى صيغة المضارع لاستحضار الصورة أولدلالة على الاستمرار وأما البروز فهو دفعي لا استمرار فيه وعلى تقدير حالية برزوا فهو معطوف على تبدل ويجوز عطفه على عامل الظرف المقدم على تقدير كونه يجزئه (يومئذ) يوم اذ برزوا له عز وجل أو يوم اذ تبدل الأرض أو يوم اذ يجزئ وعده (مقرنين) قرن بعضهم مع بعض حسب اقترانهم في الجرائم والجرائر أو قرنوا مع الشياطين الذين أغووههم أو قرنوا مع ما اقترقوا من العقائد الزائفة والمهلكات الرديئة والأعمال السيئة غيب تصور كل منها وتشاكلها بما يناسبها من الصور الموحشة والأشكال الهائلة أو قرنت أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم وهو حال من المجرمين (في الأصفاة) في القيود أو الأغلال وهو أتم ما يتعلق بقوله تعالى مقرنين أو حال من نعيمه أي مصفدين (سرايلهم) أي قصاصهم (من قطران) جله من مبتدأ وخبر محلها النصب على

الحالية من الجرمين أو من ضميرهم في مقترنين رابطتهما الضمير فقط كما في ظنه فوه الى في أو مـ تأنفة
والقطران ما ينجذب من الابل فيطبخ فتمنأ به الابل الجربي فيحرق الجرب بما فيه من الحدة الشديدة وقد تصل
حرارته الى الجوف وهو أسود منتن يسرع فيه اشتعال النار يطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلاقه لهم
كاسر او يلججهم عليهم الألوان الاربعة من العذاب لذعه وحرقة واسراع النار في جلودهم واللون
الموحش والنتن على أن التناوت بينه وبين ما يشاهده وبين النارين لا يكاد يتأدر قدره فكانت ما تشاهده
منه أسماء مسميات في الآخرة فيكرمه العميم نعوذ وبكفنه الواسع فلوذ ويحتمل أن يكون ذلك تمثيلا لما يحيط
بجوهر النفس من المذكات الردية والهفات الوحشية فنجاب اليها الآلام والغـوم بل وأن يكون القطران
الذي كور عين ما لا يسره في هذه النشأة وجعلوه شعارا لهم من العقائد الباطلة والاعمال السيئة المستحيلة
لننون العذاب قد تجسدت في النشأة الآخرة تلك الصورة المستتعبة لاشتداد العذاب عصمنا الله سبحانه
عن ذلك عنه ولطفه وقرئ من قطران أي نحاس مذاب متناه حره (وتغشى وجوههم النار) أي تعلوها
وتحيط بها النار التي تفس جسدهم المسر بل بالقطران وتخصيص الوجوه بالحكم المذكور مع عموم
لسائر أعضائهم لكونها أعز الأجزاء وأشرقها كما توله تعالى أفن يتق بوجهه سوء العذاب الخ
ولكونها يجمع المشاعر والحواس التي خلقت لادراك الحق وقد أعرضوا عنه ولم يستعملوها في تدبره كما أن
الفؤاد أشرف الأجزاء الباطنة ومحل المعرفة وقد ملأوها بالجهالات ولذلك قيل تطلع على الآفة أو خلأها
عن القطران المغشى عن ذكر غشيان النار لها وعل تخليتها عنه ليتعارفوا عند انكشاف اللهب احبانا
ويتضاعف عذابهم بانلزي على رؤس الاشهاد وقرئ تغشى أي تغشى بحذف إحدى التامين والجله نصب
على الحالية لا على أن الواو الحالية لانه مضارع مثبت بل على أنها معطوفة على الحال قاله أبو البقاء (ليجزى الله)
متعلق بضمير أي يفعل بهم ذلك ليجزى (كل نفس) مجزاة (ما كسبت) من أنواع الكفر والمعاصي جزاء
موافقا لعملها وفيه إيذان بأن جزاءهم مناسب لأعمالهم أو بقوله برزوا على تقدير كونه معطوفا على تبدل
والضمير للخلق وقوله وترى الجرمين الخ اعتراض بين المتعلق والمتعلق به أي برزوا للحساب ليجزى الله كل نفس
مطبعة أو عاصية ما كسبت من خيرا أو شرا وقد اكتفى بذلك بذكر عقاب العصاة نعوذ ولا على شهادة الحال لا سيما مع
ملاحظة سبق الرجة الواسعة (إن الله سريع الحساب) إذ لا يشغل شأنه عن شأن فيثمة في أي عمل ما يكون من
الزمان فيوفي الجزاء بحسبه أو سريع الجبي أي أي عن قريب أو سريع الانتقام كما قال ابن عباس
رضي الله عنهم ما في قوله تعالى وهو سريع الحساب (هذا) أي ما ذكر من قوله سبحانه ولا تحسبن الله
غافلا الى قوله سريع الحساب (بلاغ) كناية في العظة والتذكير من غير حاجة الى ما انطوى عليه السورة
الكرمية أو كل القرآن المجيد من فنون العظات والتوابع (للناس) للكفار خاصة على تقدير اختصاص
الانذار بهم في قوله تعالى وأندر الناس أولهم وللمؤمنين كافة على تقدير شموله لهم أيضا وان كان ما شرح
مختصا بالظالمين (ولينذروا به) عطف على متذروا باللام متعلقة بالبلاغ أي كفاية لهم في أن ينصعوا وينذروا به
وهذا بلاغ لهم ليفهموه و لينذروا به على أن البلاغ يعني البلاغ كافي قوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ
أو متعلقة بمحذوف أي و لينذروا به انزل أو تلى وقرئ لينذروا به من نذر بالشئ إذا علمه وحذره واستعد له
(ولينعلموا) بالتأمل فيما فيه من الدلائل الواضحة التي هي اهلال الامم واسكان آخرين مساكنهم وغيرهما
عما سبق ولحق (أنما هو له واحد) لا شريك له وتقدم الانذار لانه الداعي الى التأمل المؤدى الى ما هو غاية له من
العلم المذكور والتذكير في قوله تعالى (ولينذروا بالالباب) أي لينذروا ما كانوا يعملونه من قبل من
التوحيد وغيره من شؤن الله عز وجل ومعاملته مع عباده فيرتدعوا عما يرددهم من الصفات التي تصف
بها الكفار ويدبر عواجا يحفظهم من العقائد الحققة والأعمال الصالحة وفي تخصيص التذكير بأولى
الالباب تلويح باختصاص العلم بالكفار ودلالة على أن المشار اليه بهذا ما ذكرنا من التوابع المسوقة لشأنهم
لا كل السورة المشتملة عليها وعلى ما سبق للمؤمنين أيضا فان فيه ما يفيدهم فائدة جديدة وحيث كان
ما يفيد البلاغ من التوحيد وما يترتب عليه من الاحكام بالنسبة الى الكفرة أمر احادنا بالنسبة الى

أولى الالباب الثبات على ذلك حسبا أشير اليه عبر عن الاول بالعلم وعن الثاني بالتذكر وروعي ترتيب الوجود مع ما فيه من الختم بالحسنى والله سبحانه أعلم ختم الله لنا بالسعادة والحسنى ورزقنا الفوز بمرضاته في الاولى والعقبى آمين * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام ومن لم يعبد والحمد لله وحده

* (سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية) *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ال) قدم الكلام فيه وفي محله في مطلع سورة الرعد وأخواتها (تلك) اشارة اليه أي تلك السورة العظيمة الشأن (آيات الكتاب) الكامل المعهود الغنى عن الوصف به المشهور بذلك من بين الكتب الحقيقى باختصاص اسم الكتاب به على الاطلاق أي بعض منه مترجم مستقل باسم خاص فهو عبارة عن جميع القرآن أو عن الجميع المتزل اذ ذل اذ هو المتسارع الى الفهم حينئذ عند الاطلاق وعليه يترتب فائدة وصف الآيات بنعت ما أضيفت اليه من نعوت الكمال لا على جعله عبارة عن السورة اذ هي في الانصاف بذلك ليست بتلك المرتبة من الشهرة حتى يستغنى عن التصريح بالوصف على أنها عبارة عن جميع آياتها فلا بد من جعل تلك اشارة الى كل واحدة منها وفيه من التكلف ما لا يخفى كما ذكر في سورة الرعد (وقرآن) أي قرآن عظيم الشأن (مبين) مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والاحكام أو دليل الرشاد والهدى أو فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام ولقد نغم شأنه العظيم مع ما جمع فيه من وصفي الكتابية والقرآنية على طريقين احدهما اشتغاله على صفات كمال جنس الكتب الالهية فكانت كلها والثانية طريقة كونه مختارا عن غيره نسيج وحده بدعا في باب خارج عن دائرة البيان وأخرت الطريقة الثانية لما أن اشارة الى امتيازها عن سائر الكتب بعد التنبية على انطوائها على حكمالات غير من الكتب أدخل في المدح كإلايتوهم من أول الامر أن امتيازها عن غيره لاستقلاله باوصاف خاصة به من غير اشتغال على نعوت كال سائر الكتب الكريمة وهكذا الكلام في فائضة سورة النحل خلا أنه قدم فيها القرآن على الكتاب لما سبذ كرهناك وما بين كون السورة الكريمة بعضا من الكتاب والقرآن لتوجيه المخاطبين الى حسن تلقى ما فيها من الاحكام والقصص والمواعظ شرع في بيان ما تنفعه فقبل (ربما) ينضم الراى وتخفيف الباء المفتوحة وقرئ بالتشديد وفتح الراء مخففا وزيادة التاء مشددا وفيه غماني لغات فتح الراء وضعها مشددا ومخففا وزيادة التاء أيضا مشددا ومخففا ورب حرف جر لا يدخل الاعلى الاسم وما كافة معصية لدخوله على الفعل وحقه الدخول على الماضي ودخوله على قوله تعالى (يؤذ الذين كفروا) لما أن المترقب في أخباره تعالى كالماضى المقطوع في تحقق الوقوع فكانت قيل ربعا واذ الذين كفروا والمراد كفروهم بالكتاب والقرآن وبكونه من عند الله تعالى (لو كانوا مسلمين) متقادين لحكمه ومذعنين لامره وفيه ايدان بان كفروهم انما كان بالجوهر بعد ما علموا كونه من عند الله تعالى وتلك الودادة يوم القيامة أو عند موتهم أو عند معاينة حالهم وحال المسلمين أو عند رثيتهم خروج عصاة المسلمين من النار روى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة واجتمع أهل النار في النار ومعه من شاء الله تعالى من أهل القبلة قال لهم الكفار ألسنتم مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا الى النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيغضب الله سبحانه لهم بفضل رحمة فيأمر بكل من كان من أهل القبلة في النار فيخرجون منها حينئذ يؤذ الذين كفروا والو كانوا مسلمين وروى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لا يزال الرب يرحم ويشفع اليه حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فعند ذلك يتقنون الاسلام والحق أن ذلك محمول على شدة ودادتهم وأما نفس الودادة فليست بمختصة بوقت دون وقت بل هي مقترنة مستمرة في كل آن يستر عليهم وأن المراد بيان ذلك على ما هو عليه من الكثرة والغماجي بصيغة التثنية جريا على سنن العرب فيما يقصدون به الاقراط فيما يعكسون عنه تقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي أو لا تعدم عندي فارسا وعنده مقاب جنة من الكتاب وقصده في ذلك التهادي في تكثير فرسانه ولكنه يريد اظهار براهته من التزيد وبراؤه عن يقليل لعلوا الهمة كثير ما عنده فضلا عن تكثير القليل وهذه

طريقة انما نسلط اذا كان الامر من الوجود بحيث لا يحوم حوله شائبة ريب فيصار اليه هضم اللق فدل
 النظم الكريم على ودادة الكافرين للاسلام في كل آن من آيات اليوم الآخر وأن ذلك من الظهور بحيث
 لا يشتهى على أحد ولو سعى بكلام يدل على ضده وعلى أن تلك الودادة مع كثرتها في نفسها مما يستعمل بالنسبة
 الى جناب الكبرياء وهذا هو الموافق لمقام بيان حقارة شأن الكفار وعدم الاعتداد بجهلهم فيهم من الكفر
 والتكذيب كما ينطق به قوله تعالى ذرهم يأكلوا الآية أو ذهابا الى الاشعار بأن من شأن العاقل اذا عثر له امر
 يكون مظنون الحد أو قريبا ما يكون كذلك أن لا يفارقه ولا يفارقه فكذا كيف اذا كان متيقن الحد كما في
 قولهم لعلك ستندم على ما فعلت ودرج اندم الانسان على ما فعل فان المقصود ليس بيان كون الندم مرجو
 الوجود بل لا يتيقن به أو قليل الوقوع بل التنبيه على أن العاقل لا يباشر ما يرجى فيه الندم أو يقل وقوعه فيه
 فكيف بتطعي الوقوع وأنه يكفي قليل الندم في كونه حائزا عن ذلك الفعل فكيف كثيره والمقصود من سلوة
 هذه الطريقة اظهار الترفع والاستغناء عن التصريح بالغرض بناء على ادعاء ظهوره فالمعنى لو كانوا يؤدون
 الاسلام مرة واحدة لوجب عليهم أن لا يفارقوه فكيف وهم يؤدون كل آن وهذا أوفق بمقام استئثارهم
 عما هم عليه من الكفر وهذان طريقان متميزان ذاتا ومقاما فمن ظنهما واحدا فقد نأى عن توفيق المقام حقه
 (ذرهم) دعاهم عن النبي عما هم عليه بالتذكير والنصيحة اذ لا سبيل الى ارجعوا ثم عن ذلك وبالغ في تخليصهم
 وشأنهم بل مرهم يعطى ما يعطونه (ياكلوا ويقتسموا) بدنياسهم وفي تقديم الاكل ايدان بأن غنة عنهم
 انما هو من قبيل تمتع البهائم بالمال كل والمشارب والمراد دواهمهم على ذلك لا احدا منه فانهم كانوا كذلك أو غنة عنهم
 بلا استماع ما ينقص عيشهم من القوارع والرواج فان التمتع على ذلك الوجه امر حادث يصلح أن يكون مترتبا
 على تخليصهم وشأنهم (ويلهمهم) ويشغلهم عن اتباعك أو عن التفكير فيما هم يصبرون اليه أو عن الايمان
 والطاعة فان الاكل والتمتع يقضيان الى ذلك (الامل) والتوقع اطول الاعمار وبلوغ الاوطار واستقامة
 الاحوال وأن لا يلتقوا في العاقبة والمآل الا خيرا فالافعال الثلاثة مجزومة على الجوابية للامر حسب ما عرفت
 من تضمن الامر بالترك للامر به على طريقة المجاز أو على أن يكون المراد بالافعال المرقومة مما شرعهم لها
 غافلين عن وخامة عاقبتها غير ساء معين لسوء مغبتها أصلا ولا ريب في ترتب ذلك على الامر بالترك فان النبي
 عما هم عليه من ارتكاب القبائح مما يشوش عليهم فتمتعهم وينقص عليهم عيشهم فامرهم عليه السلام بتركه
 ليمتزغوا فيما هم فيه من حظوظهم فيدهمهم ما يدهمهم وهم عنه غافلون (فسوف يعلمون) سوء صنيعهم
 أو وخامة عاقبتها أو حقيقة الحال التي ألبأتهم الى التقى المذ كور حيث لم يعملوا ذلك من جهتك وهو مع كونه
 وعيد اليعا وعيد وتهديد اغرب تهديده لعل الامر بالترك فان علمهم ذلك علة لترك النبي والنصيحة لهم وفيه الزام
 للعبة ومبالغة في الانذار اذ لا يتحقق الامر بالصدق الا بعد تكرار الانذار وتقرر الجحود والانسكار وكذلك ما ترتب
 عليه من الاكل والتمتع والاهام (وما أهلكا) شروع في بيان سر تأخير عذابهم الى يوم القيامة وعدم
 نظمهم في ملك الامم الداريجة في تعجيل العذاب أي ما أهلكا (من قرية) من القرى بالغلف بها وبأهلها
 كما فعل ببعضها أو باخلائها عن أهلها غاب اهلا كهم كما فعل بالآخرين (الاولها) في ذلك الشأن (كتاب)
 أي أجل مقتدر مكتوب في اللوح واجب المراعاة بحيث لا يمكن تبديله لوقوعه حسب الحكمة المقضية له
 (معلوم) لا ينسى ولا يغفل عنه حتى يتصور التخلف عنه بالتقدم والتأخر فكتاب مبتدأ خبره الطرف والجلة
 حال من قرية فانها اعم ومها لا سيما بعد تأكده بكلمة من في حكم الموصوفة ككما أشير اليه والمعنى ما أهلكا
 قرية من القرى في حال من الاحوال الاحال أن يكون لها كتاب أي أجل موقت لمهلكها قد كتبناه لانهلكها
 قبل بلوغه معلوم لا يغفل عنه حتى يمكن مخالفة نفسه بالتقدم والتأخر أو مرتفع بالطرف والجمله كما هي حال أي
 ما أهلكا قرية من القرى في حال من الاحوال الا وقد كان لها في حق هلا كها كتاب أي أجل مقتدر مكتوب
 في اللوح معلوم لا يغفل عنه أو صفة لكن للقرية المذ كورة بل للمقدرة التي هي بدل من المذ كورة على
 المختار فيكون بمنزلة كونه صفة للمذ كورة أي ما أهلكا قرية من القرى الا قرية لها كتاب معلوم كما في قوله
 تعالى ليس لهم طعام الا من شريع لا يسن فان قوله تعالى لا يسن صفة لكن للطعام المذ كورة لانه انما يدل
 على انحصار طعامهم الذي لا يسن في الشريع وليس المراد ذلك بل للطعام المقدر بعد الا أي ليس لهم طعام

من شيء من الاشياء الاطعام لا يسمي فليس فيه فصل بين الموصوف والصفة بكلمة الا كما توهم وأما توسط
الواو بينهما وان كان القياس عدمه فلا يذنب بحال الالتصاق بينهما من حيث ان الواو شأنها بالجمع والربط
فان ما نحن فيه من الصفة أقوى اوصافا لموصوف منها به في قوله تعالى وما أهلكنا من قرية الا الهامندرون
فان امتناع انفكاك الاهلاك عن الاجل المقدّر عقل - وعن الانذار عادي جرى عليه السنة الالهية ولما بين
أن الامم المهلكة كان لكل منهم وقت معين لهلاكهم وأن هلاكهم لم يكن الاحتمال كان مكتوبا في اللوح
بين أن كل أمة من الامم منهم ومن غيرهم لها كتاب لا يمكن التقدم عليه ولا التأخر عنه فقبل (ما سبق من
أمة) من الامم المهلكة وغيرهم (أجلها) المكتوب في كتابها أي لا يجي هلاكها قبل مجي كتابها
ولا تخفى أمة قبل مضي أجلها فان السابق اذا كان واقعا على زمان في معناه المجاوزة والتخلف فاذا قلت
سبق زيد عمر فعناه أنه جاوزه وخلفه ورأه واذا كان واقعا على زمان كان الامر بالعكس والسر في ذلك أن
الزمان يعتبر فيه الحركة والتوجه الى المتكلم فمما سبقه يتحقق قبل تحققه وأما الزمان فاعتبر فيه الحركة
والتوجه الى ما سيق من الزمان فالسابق ما تقدم الى المقصد وإرادته بعنوان الاجل باعتبار ما يقتضيه
من السابق كما أن إرادته بعنوان الكتاب المعلوم باعتبار ما يوجب من الاهلاك (وما يستأخرون)
أي وما يتأخرون وصيغة الاستفعال للاشعار بحجزهم عن ذلك مع طلبهم له وإثارة صيغة المضارع في الفعلين
بعد ما ذكرني الاهلاك بصيغة الماضي لان المقصود بيان دوامها واستمرارها فقيما بين الامم الماضية
والباقية واستنادها الى الامة بعد استناد الاهلاك الى القرية لما أن السابق والاستخار حال الامة دون
القرية مع ما في الامة من العموم لاهل تلك القرى وغيرهم عن آخر عقوباتهم الى الآخرة وتأخير ذكر عدم
تأخيرهم عن ذكر عدم سببهم مع كون المقام مقام المبالغة في بيان تحقق عذابهم اما باعتبار تقدم السابق في
الوجود واما باعتبار أن المراد بيان سر تأخير عذابهم مع استحقاقتهم لذلك وإيراد الفعل على صيغة جمع
المذكر للعمل على المعنى مع التغليب ورعاية الفواصل ولذلك حذف الجار والمجرور والجملة مبنية لما سبق
والمعنى أن تأخير عذابهم الى يوم القيامة حسما أشير اليه ببيان ودادتهم للاسلام اذ ذلك وبالامر بتركهم
وشأنهم الى أن يعلموا حقيقة الحال انما هو لتأخر أجلهم المقدّر لما يقتضيه من الحكم البالغة ومن جعلها ما علم
الله تعالى من إيمان بعض من يخرج منهم الى يوم القيامة (وقالوا) شروع في بيان كفرهم عن أنزل عليه الكتاب
بعد بيان كفرهم بالكتاب وما يؤل اليه حالهم والشاكلون مشركو مكة لغاية عقابهم في العقوبة والغنى (يا أيها
الذي نزل عليه الذكر) خاطبوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسليما لذلك واعتقاد له بل استهزاء به عليه
الصلاة والسلام وأشعارا به حكمهم الباطل في قواهم (انك لمجنون) كذاب فرعون اذ قال ان رسولكم
الذي أرسل اليكم لمجنون يعنون يا من يدعي مثل هذا الامر البديع الخارق للعادات انك بسبب تلك الدعوى
أو بشهادة ما يعتريك عند ما تدعى أنه ينزل عليك لمجنون وتقدم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لان
انكارهم متوجه الى كون النازل ذكرا من الله تعالى لا الى كون المنزل عليه رسول الله بعد تسليم كون
النازل منه تعالى كما في قوله تعالى لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فان الانكار هناك
متوجه الى كون المنزل عليه رسول الله تعالى وإيراد الفعل على صيغة المجهول لا يهمل أن ذلك ليس بفعل له
فاعل أو توجيه الانكار الى كون التنزيل عليه لا الى استناده الى الفاعل (لوما تأتينا) كلمة لو عند تركها
مع ما تنفيده عند تركها مع لام من معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض خلا أنه عند ارادته
لا يلها الا فعل ظاهرا أو منصرفا وعند ارادة المعنى الاول لا يلها الا اسم ظاهرا ومقدور عند البصريين والمراد
ههنا هو الثاني أي هلا تأتينا (بالملائكة) يشهدون بصحة نبوتك وبعضونك في الانذار كقوله تعالى لولا أنزل
عليه ملك فيكون معه نذيرا أو يعاقبونا على التكذيب كما تأتي الامم المكذبة لرسولهم (ان كنت من الصادقين)
في دعواؤنا فان قدرة الله تعالى على ذلك مما لا ريب فيه وكذا احتياجك اليه في تمشية أمرك فاما الانصاف بدون
ذلك أو ان كنت من جملة تلك الرسل الصادقين الذين عذبت أممهم المكذبة لهم (ما تنزل الملائكة) بالنون على
بناء الفعل لضمير الجلالة من التنزيل وقرئ من الانزال وقرئ تنزل مضارع من التنزيل على صيغة البناء

للمفعول ومن التنزيل يحذف احدى التامين وما ضا منه ومن التنزيل ومن الثلاثي وهو كلام مسوق الى النبي صلى الله عليه وسلم جوابا لهم عن مقالهم المحكية ورد الاقتراحهم الباطل ولشدة استدعاء ذلك للجواب قدم رده على ما هو جواب عن أولها أعني قوله انا نحن نزلنا الذكر الآية كما فعل في قوله تعالى قال انما يا نبيكم به الله فانه مع كونه جوابا عن قوالهم فائتنا بعدنا قدّم على قوله ولا ينفعكم نصي الآية مع كونه جوابا عن أول كلامهم الذي هو قوالهم يانوح قد جاد لنا لما ذكر من شدة اقتضائه للجواب وليكون أحد الجوابين متصلا بالسؤال وفي العكس يلزم انفصال كل من الجوابين عن سؤاله والعدول عن تطبيقه لظاهر كلامهم بصدد الاقتراح وهو أن يقال ما تأنيبهم به -م- للأيذان بأنهم قد أخطوا في التعبير حسما أخطوا في الاقتراح وأن الملائكة الموريتهم اعلى من أن ينسب اليهم مطلق الايمان الشامل للانتقال من أحد الامكنة المتساوية الى الآخر منها بل من الاسفل الى الاعلى وأن يكون مقصد حركاتهم أولئك الكفرة وأن يدخلوا تحت ملكوت أحد من البشر وانما الذي يليق بشأنهم -م- النزول من مقامهم العالي وكون ذلك بطريق التنزيل من جناب الرب الجليل (الابالحق) أي مطلب بالوجه الذي يحق ملازمة التنزيل به بما تقتضيه الحكمة وتجري به السنة الالهية كقوله سبحانه وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق والذي اقترحوه من التنزيل لاجل الشهادة لديهم وهم -م- ومنزلتهم في المقارة والهوان منزلتهم عما لا يكاد يدخل تحت الصحة والحكمة أصلا فان ذلك من باب التنزيل بالوحي الذي لا يكاد يشخ على غير الانبياء الكرام من أفراد كل المؤمنين فكيف على أمثال أولئك الكفرة اللثام وانما الذي يدخل في حقهم تحت الحكمة في الجملة هو التنزيل للتعذيب والاستئصال كما فعل بأنسراهم من الامم السالفة ولو فعل ذلك لاستوصلوا بالمرّة (وما كانوا اذا منظرين) جزاء الشرط مقدروفيه أيذان باتّاج مقدّماتهم انقيض مطلوبهم -م- كما في قوله تعالى واذن لا يلبثون خلافا الا قليلا قال صاحب النظم لفظة اذن مركبة من اذ وسواسم يعنى الحين تقول آتيتك اذ جئتني أي حين جئتني ثم ضم اليه أن قصارا اذن ثم استئقوا الهمزة لحذفها فحجب لفظة أن دليل على اشعار فعل بعدها والتقدير وما كانوا اذ أن كان ما طلبوه منظرين والمعنى لو نزلناهم ما كانوا مؤخرين كدأب سائر الامم المكذبة المستزمنة ومع استحقاقهم لذلك قد جرى قلم القضاء بتأخير عذابهم الى يوم القيامة حسما أجبيل في قوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل الخ وحال حائل الحكمة بينهم وبين استئصالهم لتعلق العلم والارادة بازديادهم عذابا وبإيمان بعض ذرارهم وأما نظم ايمان بعضهم في معط الحكمة فبأبام مقام بيان تماديهم في الكفر والفساد ولجأهم في المكابرة والعناد هذا هو الذي يستدعيه ايجاز التنزيل الجليل وأما ما قيل في تعديل عدم موافقة التنزيل للحكمة من أنهم حينئذ يكونون مصدقين عن اضطرار أو أنه لا حكمة في أن تأنيبكم بصورتها دونها فانه لا يزيدكم الا اباؤا وان ازال الملائكة لا يكون الا بالحق وحصول الفائدة بانزالهم وقد علم الله تعالى من حال هؤلاء الكفار أنه لو أنزل اليهم الملائكة لبصروا مصيرهم على كفرهم فبصير انزالهم عبثا باطلا ولا يكون حقا مع اخلال كل من ذلك بقطعية الباقى لا يلزم من فرض وقوع شيء من ذلك تعجيل العذاب الذي يقيد به قوله تعالى وما كانوا اذا منظرين هذا على تقدير كون اقتراحهم لايمان الملائكة لاجل الشهادة أما على تقدير كون ذلك لتعذيبهم فالمعنى انا ما نزل الملائكة للتعذيب الا تنزيلا لمطلب بالحق الذي تقتضيه الحكمة ونسند عليه المسئلة حقا بحيث لا محيد عنه ولو نزلناهم حسما اقتراحوا ما كان ذلك التنزيل مطلبسا بمقتضى الحكمة الموجبة لتأخير عذابهم الى يوم القيامة لا رفقا بهم -م- بل تشديدا عليهم كما مر من قبل وحيث كان في نسبة تنزيلاهم للتعذيب الى عدم موافقة الحكمة نوع ايهام لعدم استحقاقهم التعذيب عدل عما يقتضيه الظاهر الى ما عليه النظم الكريم فمما كأنه قيل لو نزلناهم ما كانوا منظرين وذلك غير موافق للحكمة الموجبة لتأخير عذابهم لتشديد عقابهم وقيل المراد بالحق الوحي وقيل العذاب فتدبر (انا نحن نزلنا الذكر) ردلا نكارهم التنزيل واسم نزلهم -م- برسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وتسلمية له أي نحن نعلم شأننا وعلو جناحنا نزلنا ذلك الذكر الذي أنكره وأنكر وانزوله عليك ونسبوا لك ذلك الى الجنون وعوام نزله حيث بنوا الفعل للمفعول ايماء الى أنه أمر لا مصدر له ولا فاعل له (واناله لحاظون) من كل ما لا يليق به فيدخل فيه تكذيبهم له واستهزاؤهم به دخولا أو ليا فيكون وعيد للمستهزئين وأما

الحفظ عن مجرد التعريف والزيادة والنقص وأمثالها فليس يقتضي المقام فالوجه الجمل على الحفظ من جميع ما يقدح فيه من الطعن فيه والمجادلة في حقيقته ويجوز أن يراد حفظه بالأبحار دليل على التزويل من عنده تعالى اذ لو كان من عند غير الله لتطرق عليه الزيادة والنقص والاختلاف وفي سبيل الحجة من الدلالة على كمال الكبرياء والحلاوة وعلى نفاضة شأن التزويل ما لا يحصى وفي إيراد الثانية بالجمله الاسمية دلالة على دوام الحفظ والله سبحانه أعلم وقيل التميز المجزؤ للرسول صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى والله يعصمك من الناس وتأخير هذا الكلام وإن كان جواباً عن أول كلامهم الباطل رداً له لما ذكرنا فاضاً ولا ارتباطاً بما يعقبه من قوله تعالى (ولقد أرسلنا) أي رسلاً وانما لم يذكر دلالة ما بعده عليه (من قبلك) متعلقاً بأرسلنا أو محذوفاً هو نعت للمفعول المحذوف أي رسلاً كائنة من قبلك (في شيع الاولين) أي فرقةهم وأحزابهم جمع شيعه وهي الفرقة المتفقة على طريقة ومذهب من شاعه اذ اتبعه وضافته الى الاولين من اضافة الموصوف الى صفته عند الفراء ومن حذف الموصوف عند البصريين أي شيع الامم الاولين ومعنى ارسالهم فيهم جعل كل منهم رسولاً فيما بين طائفة منهم ليتابعوه في كل ما يأتي ويذرون أمور الدين (وما يأتيهم من رسول) المراد في اتيان كل رسول لشيعته الخاصة به لانني اتيان كل رسول لكل واحدة من تلك الشيع جميعاً أو على سبيل البدل وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة على طريقة حكاية الحال الماضية فإن ما لا تدخل في الاغلب على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال أي ما أتى شيعه من تلك الشيع رسول خاص بها (الا كانوا به يستهزئون) كما يفعل هؤلاء الكفرة والجلة في محل النصيب على أنها حال مقدرة من ضمير المفعول في يأتيهم اذا كان المراد بالاتيان حدوده أو في محل الرفع على أنها صفة رسول فإن محله الرفع على الفاعلية أي الارسل كانوا به يستهزئون وأما الجزأ على أنها صفة باعتبار افظه فيفضي الى زيادة من الاستغراقية في الاثبات ويجوز أن يكون منصوباً على الوصفية بان يقتدر الموصوف منصوباً على الاستثناء وان كان المختار الرفع على البدلية وهذا كما ترى تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن هذه عادة الجهال مع الانبياء عليهم السلام وحيث كان الرسول معصوماً بكتاب من عند الله تعالى تضمن ذكر استهزائهم بالرسول استهزاء بهم بالكتاب ولذلك قيل (كذلك) إشارة الى ما دل عليه الكلام السابق من القاء الوسخ مقرراً بالاستهزاء أي مثل ذلك السلك الذي سلكاه في قلوب أولئك المستهزئين برسلهم وبما جاؤا به من الكتب (نسلكه) أي الذكور (في قلوب المجرمين) أي أهل مكة وأجنس المجرمين فيدخلون فيه دخولا أو لا ومحله النصيب على أنه نعت لمصدر محذوف أو حال منه أي نسلكه سلكاً مثل ذلك السلك أو نسلك السلك حال كونه مثله أي مقرراً بالاستهزاء غير مقبول لما تقتضيه الحجة فأنهم من أهل الخذلان ليس لهم استحقاق لقبول الحق وصيغة المضارع لكون المشبه به مقدماً في الوجود وهو السلك الواقع في الامم الساقفة أو للدلالة على استحضار الصورة والسلك ادخال الشيء في آخر يقال سلك السلك الخسيط في الابرة والرح في المطعون (لا يؤمنون به) أي بالذكر حال من ضمير نسلكه أي غير مؤمن به أو بيان للجملة السابقة فلا محل لها وقد جعل التميز للاستهزاء فيه من البياينة الا أن يجعل التميز المجزؤ أيضاً على أن الباء فله لايسة أي نسلك الاستهزاء في قلوبهم حال كونهم غير مؤمنين بلائسته والحال اما مقدرة أو مقارنة للايدان بأن كفرهم مقارن للاقاء كما في قوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به (وقد خلت سنة الاولين) أي قدمضت طريقتهن التي سنها الله تعالى في اهلا كههم حين فعلوا ما فعلوا من التكذيب والاستهزاء وهو استئناف جي به تكمله للتسلية وتصريحاً بالوعيد والتهديد (ولو فتحنا عليهم) أي على هؤلاء المقترحين المعاندين (باباً من السماء) أي باباً لا باباً من أبواب المعهودة كما قيل ويسرنا لهم الرق والصعود اليه (فظلوا فيه) في ذلك الباب (يعرجون) بالة أو بغيرها ويرون ما فيها من عجائب عياناً كما يفيد الظلول أو قفل الملائكة الذين اقترحوا اتيانهم يعرجون في ذلك الباب وهم يرونه عياناً مستوحشين طول نهارهم (اقبالوا) اضطر عنادهم وغلوهم في المكابرة وتناديهم عن قبول الحق (انما سكرت أبصارنا) أي سدت من الاحساس من السكر كما يدل عليه القراءة بالتخفيف أو حيرت كما يعضده قراءة من قرأ

سكرت أي حانت (بل نحن قوم مسحورون) قد سحرنا محمد صلى الله عليه وسلم كما قالوا عند ظهور رسائهم
 الآيات الباهرة وفي كلتي الحصر والاضراب دلالة على أنهم يتنون القول بذلك وأن ما يرونه لاحقيقة له
 وأنما هو أمر خيل اليهم بالسحر وفي اسمية الجملة الثانية دلالة على دوام منعمونها وإيرادها بعد تكبير الأبصار
 لبيان انكارهم لغير ما يرونه فإن عروج كل منهم إلى السماء وإن كان مرتباً بغيره فهو معلوم بطريق الوجدان
 مع قطع النظر عن الأبصار فهم يدعون أن ذلك نوع آخر من السحر غير تكبير الأبصار (وأن قد جعلنا في السماء
 بروجاً) قصوراً يترها السيارات وهي البروج الاثنا عشر المشهورة المختلفة الهيئات والخواص حسب ما يدل
 عليه الرصد والتجربة مع ما اتفق عليه الجمهور من بساطة السماء والجلل ان جعل ليعني الخلق والابداع وهو
 الظاهر فالجاء متعلق به وإن جعل بمعنى التصغير فهو مفعول ثان لم يتعلق بمحذوف أي جعلنا بروجاً كائنة
 في السماء (وزيناها) أي السماء بتلك البروج المختلفة الأشكال والكواكب سيارات كانت أو ثابتة
 (للتأطرين) إليها فغنى التزيين طاهراً وللمتفكرين المعتبرين المستدلين بذلك على قدرة مقدرها وحكمة
 مدبرها فترتيبها ترتيباً على نظام بديع مستتب لئلا تثار الحسنة (وحفظنا هاهن كل شيطان رجيم) مرمى
 بالنجوم فلا يقدرون بعد إليها ويوسوس في أهلها ويتصرف فيها ويقف على أحوالها (الامن استرق السمع)
 محله النصب على الاستئناس المتصل ان فسر الحفظ بجمع الشياطين عن التعرض لها على الإطلاق والوقوف على
 ما فيها في الجمل أو المنقطع ان فسر ذلك بالمتنع عن دخولها والتصرف فيها من ابن عباس رضي الله عنهما
 أنهم كانوا لا يحبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات ولما ولد النبي صلى الله
 عليه وسلم منعوا من السموات كلها واستراق السمع اختلاسه سر أشبه به خطفتهم البسيرة من قطان
 السموات بما بينهم من المناسبة في الجوهر أو بالاستدلال من الأوضاع (فأبعه) أي تبعه ولحقه (نهاب)
 لهب محرق وهو شعله نار ساطعة وقد يطلق على الكواكب والسنان لما فيها من البريق (مبين) ظاهراً أمره
 للمبصرين قال معمر قلت لابن شهاب الزهري أكان يرى بالنجوم في الجاهلية قال نعم وإن النجم يتقضى ويرى
 به الشيطان فيقتله أو يجلبه لئلا يعود إلى استراق السمع ثم يعود إلى مكانه قال أفرأيت قوله تعالى وأنا كنا نقعد
 منها مقاعد الالة قال غاظت وشدت أمرها حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن قتيبة ان الرجيم
 كان قبل بعثته عليه الصلاة والسلام ولكن لم يكن في شدة الحراسة كما بعد بعثته عليه الصلاة والسلام
 قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الشياطين يركب بعضهم بعضاً إلى السماء الدنيا يسترقون السمع من
 الملائكة فيرمون بالكواكب فلا يخطئ أحد الغنم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه وجنبه ويده حيث يشاء الله
 تعالى ومنهم من يجلبه فيصير غولاً فيضل الناس في البوادي قال القرطبي اختلافوا في أن النهاب هل يقتل
 أم لا قال ابن عباس رضي الله عنهما يحرق ويحجل ولا يقتل وقال الحسن وطائفة يقتل قال والاول أصح
 (والارض مددناها) بسطناها وهو بالنصب على المحذف على شريطة التفسير ولم يقرأ بالرفع لجهان النصب
 لا عطف على الجملة الفعلية أعني قوله تعالى ولقد جعلنا الخ والياقوت ما بعد أعني قوله تعالى (وألقينا فيها
 رواسي) أي جبالاً ثابتة وقدمت راسياتها في أول الرعد (وألقينا فيها) أي في الارض أو فيها وفي رواسيها
 (من كل شيء موزون) بميزان الحكمة ذاتا وصفة ومقداراً وقيل ما يوزن من الذهب والفضة وغيرهما أو من
 كل شيء مستحسن مناسب أو ما يوزن ويقدّر من أبواب النعمة (وجعلنا لكم فيها معايش) ما تعيشون
 به من الطعام والملابس وغيرهما مما يتعلق به البقاء وهي بياس صريحة وقرئ بالهمزة تشبيهاً بالشمائل
 (ومن لستم به برازقين) عطف على معايش أو على محل لكم كأنه قيل جعلنا لكم معايش وجعلنا لكم
 من لستم برازقين من العيال والمساكين والخدم والدواب وما أشبهها على طريقة التغليب وذكرهم بهذا
 العدوان لرد حسيانهم أنهم يكفون موائعهم ولتحقيق أن الله تعالى هو الذي يرزقهم وإياهم أو جعلنا لكم فيها
 معايش ولم نسم لستم برازقين (وان من شيء) ان للشيء ومن مزيدة لئلا كبديشي في محل الرفع على الاستدعاء
 أي ما من شيء من الأشياء الممكنة فيدخل فيه ما ذكره خولاً أولياً (الاعندنا خزائنه) الظرف خبر المبتدأ
 وخزائنه مرفوع به على أنه فاعله لا عقاده أو خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والخزائن جمع الخزائن وهي ما يحفظ

قوله ولا يشعل انظره مع ما
 قبله من قوله فنفهم من يشعله
 وأعلم ما قولان له رضي الله
 تعالى عنه ولا يجزأه

فيه نفائس الاموال لا غير غلب في العرف على مال الملوك والاسلاطين من خزائن اوزاق التام شبهت مقدوراته
تعالى الفاتحة للعصر المندرجة تحت قدرته الشاملة في كونها مستورة عن علوم العالمين ومصونة عن
وصول ايديهم مع كمال اقتدارهم اليها ورغبةهم فيها وكونها مهيأة متأتية لا يجادها وتكونه بحيث
تعلقت الاوادة بوجودها وجدت بلا تأخر بنفائس الاموال الخزونة في الخزائن السلطانية فذكر الخزانة على
طريقة الاستعداد الخيلية (وما تنزله) أي ما توجد وما تكون شيئا من تلك الاشياء المتباعدة من
الاشياء (الابقدر معلوم) أي الام المتباعدة عن عين تقضي الحكمة وتستدعي المشيئة التابعة لها
لا بما تقتضيه القدرة فان ذلك غير متناه فان تخصيص كل شيء بصفة معينة وقدر معين ووقت محدد ودون ما عدا
ذلك مع استواء الكل في الامكان واستحقاق تعلق القدرة به لا بد له من حكمة تقتضي اختصاص كل من ذلك
بما اختص به وهذا البيان سر عدم تكوين الاشياء على وجه الكثرة حسبما هو في خزائن القدرة وهو اما
عطف على مقدري تنزله وما تنزله الخ أو سال عما سبق أي عندنا خزائن كل شيء والحال انما تنزله الابقدر معلوم
قال اول بيان سعة القدرة والثاني بيان بالغ الحكمة وحيث كان انشاء ذلك بطريق التفضل من العالم
العلوي الى العالم السفلي كما في قوله تعالى وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج وكان ذلك بطريق
التدريج عبر عنه بالتزليل وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار (وأرسلنا الرياح) عطف على جعلنا
لكم فيها ما تعيش وما بينهما اعتراض لتحقيق ما سبق وترشيح ما خلق أي أرسلنا الرياح (لواقع) أي
حوامل شبهت الزيج التي تجي بالخير من انشاء سحب مطر بالحوامل كما شبه بالعقيم ما لا يكون كذلك
أو ملقحات بالتجبر والسحاب ونظيره الطوائج بمعنى المطيمات في قوله ومحيط بما تطيح الطوائج أي المهلكات
وقرى وأرسلنا الرياح على ارادة الجنس (فأنزلنا من السماء) بعدما أنشأنا تلك الرياح سبحانه ما طرا
(ما فأسقيناكموه) أي جعلناه لكم شربا وهو أبلغ من سقيناكم لما فيه من الدلالة على جعل الماء معكم
يتفقون به متى شاءوا (وما أنتم له بحازنين) نفي عنهم ما أتيتهم به بقوله وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قبل
شئ القادرون على ايجاده وخرزته في السحاب وانزله وما أنتم على ذلك بقادرين وقيل ما أنتم بخازنين له بعد
ما أنزلناه في الغدران والابار والعيون بل نحن نخزنه فيها ليجعلها سقيا لكم مع أن طبيعة الماء تقتضي الفور
(وانا لحن نحيي) بايجاد الحياة في بعض الاجسام القابلة لها (ونمت) بازالتها عنها وقد يعمم
الاحياء والامانة لما يشمل الحيوان والنبات وتقدم ضمير للعصر وهو اما تأكيدي للقول أو مبتدأ خبره الفعل
والجمله خبر لا تا ولا يجوز كونه ضمير الفصل لان اللام مانعة من ذلك كما قيل فان النخلة جاوزت وادخلت لأم
التأكيدي على ضمير الفصل كما في قوله تعالى ان هذا هو القصص الحق بل لانه لم يقع بين اسمين (ونحن
الوارثون) أي الباقون بعد فناء الخلق قاطبة المالكون للملك عند انقضاء زمان الملك الجاهلي المالكون
في الكل أولا وآخر وليس لهم الا التصرف الصوري والملك الجاهلي وفيه تنبيه على أن المتأخر ليس بوارث
للمتقدم كما يتراءى من ظاهرا الحال (ولقد علمنا المسعة قدم منكم) من تقدم منكم ولادة وموتنا (واقدر علمنا
المستأخرين) من تأخر ولادة وموتنا ومن خرج من أصلاب الآباء ومن لم يخرج بعد أو من تقدم في الاسلام
والجهاد وسبق الى الطاعة ومن تأخر في ذلك لا يخفى علينا شيء من أحوالكم وهو بيان لكامل علمه بعد
الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل عليها دليل عليه وفي تكرير قوله تعالى ولقد علمنا ما لا يخفى من الدلالة
على كمال التأكيدي وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الاول فازدجوا عليه فنزلت وقيل ان
امرأة حسنة كانت تصلي خلف رسول الله عليه الصلاة والسلام فتقدم بعض الناس لثلايها وتاخر آخرون
ليروها فنزلت والاول هو المناسب لما سبق وما خلق من قوله تعالى (وان ربك هو يحشرهم) أي للجزاء
وتوسيط ضمير العظمة للدلالة على أنه هو القادر على حشرهم والمتولى له لا غير لانهم كانوا يستبعدون ذلك
ويستكبرونه ويقولون من يحيي العظام وهي رميم أي هو يحشرهم لا غير وفي الالتفات والتعرض لعنوان
الربوبية اشعار به الحكيم وفي الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام دلالة على الامانة عليه الصلاة
والسلام (انه حكيم) بالغ الحكمة متقن في أفعاله فانها عبارة عن العلم بمقتضى الاشياء على ما هي عليه

والإتيان بالأفعال على ما ينبغي (علم) وسع علمه كل شيء ولعل تقديم صفة الحكمة للإيدان باقتضائها للعشر
والجزاء (واقده خلقنا الإنسان) أي هذا النوع بأن خلقنا أصله وأول فرد من أفراد خلقنا يدعى منطويا على
خلق سائر أفرادنا وإجمالها كما تم تحقيقه في سورة الانعام (من صلصال) من طين يابس غير ملبوخ يصلصل
أي يصوت عند نقره قبل إذا توهمت في صوته مدافه وصليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو
تضعيف صل إذا التن (من جأ) من طين تغير واسود بطول مجاورة الماء وهو صفة لصلصال أي من صلصال
كائن من جأ (مسنون) أي مصور من سنة الوجه وهي صورته أو مصبوب من سن الماء صبه أي مفرغ على
هيئة الإنسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذابة في القوالب وقيل منتن فهو صفة لجأ وعلى الأولين حقه
أن يكون صفة لصلصال وإنما أخر عن جأ تبيينها على أن ابتداء مسنونه ليس في حال كونه صلصالا بل في حال
كونه جأ كأنه سبحانه أفرغ الجأ فصور من ذلك شمال إنسان أجوف فيبس حتى إذا انشروصت ثم غيره إلى جوهر
آخر فتيار الله أحسن الخالقين (والجنان) أي بالجن وقيل باليابس ويجوز أن يراد به الجنس كما هو الظاهر من
الإنسان لأن تشعب الجنس لما كان من فرد واحد مخلوق من مادة واحدة كان الجنس بأسره مخلوقا منها وقرئ
بالحزمة وانتصابه بقوله يفسره (خلقناه) وهو أقوى من الرفع للعطف على الجملة الفعلية (من قبل) من قبل خلق
الإنسان ومن هذا يظهر جواز كون المراد بالمستقدمين أحد الثقلين وبالمستأخرين الآخر والخطاب بقوله
منكم للكل (من نار السموم) من نار الحز الشديد النافذ في المسام ولا امتناع من خلق الحسية في الأجزاء
البيضة كمالا امتناع من خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الأجساد المولفة التي غالب أجزائها الجزء
الناري فأنما أقبل لها من التي غالب أجزائها الجزء الأرضي وقوله تعالى من نار باعتبار الغالب كقوله تعالى
خلقكم من تراب ومسايق الآية الكريمة كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو
للتبيين على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها المكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء (وإذا قال ربك)
نصب يا شمر إذا كروتذ كبير الوقت لما مر مرارا من أنه أدخل في تذ كبير ما وقع فيه من الحوادث وفي التعرض
لوصف الربوبية المنبئة عن تبليغ الشيء إلى كماله الملاقى به شيئا فشيئا مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة
والسلام أشعار بعلة الحكم وتشريف له عليه الصلاة والسلام أي إذا كروتق قوله تعالى (للملائكة إلى خالق)
فيما سبق وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على أنه تعالى فاعل له البتة من غير صارف يثنيه ولا عاطف
يلويه (بشرا) أي إنسانا قليل ليس هذا عين العبارة الجارية وقت الخطاب بل الظاهر أن يكون قد قيل لهم إنى خالق
خلقكم من صفته كيت وكيت ولكن اقتصر عند الحكاية على الاسم وقيل جسما كنهيا يلاقى ويباشر وقيل خلقا
بادى البشرية بلا صوف ولا شعر (من صلصال) متعلق بخالق أو بعدد وقع صفة لمفعوله أي بشرا كائننا
من صلصال كائن (من جماع مسنون) تقدم تفسيره ولا ينافي هذا ما في قوله تعالى في سورة ص من قوله
بشرا من طين فإن عدم التعرض عند الحكاية لوصف الطين من الصغير والأسوداد ولما ورد عليه من آثار
التكوين لا يستلزم عدم التعرض لذلك عند وقوع المحكي غايته أنه لم يتعرض له هناك ككتفاء بما شرح
هنا (فإذا سويته) أي صورته بالصورة الإنسانية والخلقة البشرية أو سويت أجزائه بدنه بتعديل طبائعه
(ونفخت فيه من روحي) النفخ إجراء الزيج إلى تجويف جسم صالح لا مسا كها والامتلاء بها وليس نفخة نفخ
ولا منفوخ وإنما هو تمثيل لأفاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها أي فإذا اكملت استعداد
وأفضت عليه ما يحيا به من الروح التي هي من أمري (ففعواله) أمر من وقع يقع وفيه دليل على أن ليس
المأمورية مجرد الانشاء كما قيل أي اسقطوا له (ساجدين) تحية له وتعظيما أو اسجدوا لله تعالى على أنه عليه
الصلاة والسلام بمنزلة القبلة حيث ظهر فيه تعاجيب آثار قدرته تعالى وحكمته كقول حسان رضي الله
تعالى عنه

أليس أول من صلى لقبلكم • وأعلم الناس بالقرآن والسنة

(مسجد الملائكة) أي خلقه فسواه فنفع فيه الروح فمسجد الملائكة (كاهن) بحيث لم يثد منهم
أحد (اجمعون) بحيث لم يتأخر في ذلك أحد منهم عن أحد ولا اختصاص لأفاده هذا المعنى بالحالية بل

يفيده التأكيد أيضا فان الاشتقاق الواضح يرشد الى أن فيه معنى الجمع والمعية بحسب الوضع والاصل في الخطاب التنزيل على أكل أحوال الشيء ولا ريب في أن السجود معا أكل أصناف السجود لكن شاع استعماله تأكيذا وأقيم مقام كل في افادة معنى الاساطة من غير نظر الى الكمال فاذا فهمت الاساطة من لفظ آخر لم يكن بد من مراعاة الاصل صوتا للكلام عن الالقاء. وقيل أكد تأكيدين مبالغة في التعميم هذا وأما أن سجودهم هذا هل ترتب على ما حكى من الامر التعليق كما يقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة ص أو على الامر التخييري كما يستدعيه ما في غيرهما فقد خرجنا بفضل الله عز وجل عن هذه تحققة في تفسير سورة البقرة (الابليس) استثناء متصل اما لانه كان جنيا مفردا مغمورا بألوف من الملائكة فعند منهم تغلبا واما لأن من الملائكة جنسا والدون وهو منهم وقوله تعالى (أبى أن يكون مع الساجدين) استئناف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء فان مطلق عدم السجود قد يكون مع التردد وبه علم أنه مع الایام والاستكبار أو منقطع فيتصل به ما بعده أى لكن ابليس أبى أن يكون معهم وفيه دلالة على كمال ركاكة رأيه حيث ادجج في معصية واحدة ثلاث معاصي مخالفة الامر والاستكبار مع تحقير آدم عليه الصلاة والسلام ومضارفة الجماعة والایام عن الانتظام في سلك أولئك المقربين الكرام (قال) استئناف مبني على سؤال من قال فماذا قال تعالى عند ذلك فقبل قال (يا ابليس مالك) أى أى سبب لك لا أى غرض لك كما قبل لقوله تعالى ما منعك (ألا تكون) في أن لا تكون (مع الساجدين) لا دم مع أنهم هم ومنزلتهم في الشرف منزلتهم وما كان التوبيخ عند وقوعه لجزء يتخلفه عنهم بل لكل من المعاصي الثلاث المذكورة قال تعالى في سورة الاعراف قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك وفي سورة ص قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ولكن اقصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اجترأ بما ذكر في موطن آخر واشعارا بأن كل واحدة من تلك المعاصي الثلاث كافية في التوبيخ وإظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ رأسا في سورة البقرة وسورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه (قال) أى ابليس وهو أيضا استئناف مبني على السؤال الذي يساق اليه الكلام (لم اكن لا سجد) اللام لتأكيد النفي أى يساق الى ولا يستقيم معنى لاني مخلوق من أشرف العناصر وأعلىها أن اسجد (لبشر) أى جسم كثيف (خلقته من صلصال من حمأ مسنون) اقتصر ههنا على الإشارة الاجالية الى ادعاء الخيرية وشرف المادة اكتفاء بما صرح به حين قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولم يكف الا عين مجرذ ذكر كونه عليه الصلاة والسلام من التراب الذي هو أخس العناصر وأسفلها بل نمرض لكونه مخلوقا منه في أخس أحواله من كونه طينة ممتقرا وقد اكتفى في سورة الاعراف وسورة ص بما حكى عنه ههنا فاقصر على حكاية تعرضه لخلقه عليه الصلاة والسلام من طين وكذا في سورة بني اسرائيل حيث قيل أسجدان خلقت طينا وفي جوابه دليل على أن قوله تعالى ملائكة ليس استفسارا عن الغرض بل هو استفسار عن السبب وفي عدوله عن تطبيق جوابه على السؤال روم للتفصي عن المناقشة وأنى له ذلك ~~كانه~~ قال لم أمتنع عن امتثال الامر ولا عن الانتظام في سلك الملائكة بل عما لا يليق بشأني من الخضوع للمفضول ولقد جرى خذله الله تعالى على سنن قياس عقيم وزل عنه أن ما يدور عليه فلك الفضل والكمال هو العمل بالمعارف الربانية والتخلي عن الملكات الزبدية التي اقبحها الله ~~تعالى~~ والاستعصاء على أمر رب العالمين جل جلاله (قال فخرج منها) أى من زمرة الملائكة المعززين لامن السماء فان وسوسته لا دم عليه الصلاة والسلام في الجنة انما كانت بعد هذا الطرد وقوله تعالى فاهبط منها ليس نصافي ذلك فان الخروج من بين الملائكة الى هبوط رأى هبوطا ومن الجنة على أن وسوسته كانت بطريق النداء من بابها كما روى عن الحسن البصري أو بطريق المشاهدة بعد أن احتال في دخوله أو توسل اليه بالحيلة كما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ولا يشافي هذا طرده على رؤس الاشهاد لما يقتضيه من الحكم البالغة (فاخذ رجيم) مطرود من كل خير وكرامة فان من يطر دبر جرم بالجحارة أو شيطان يجرم بالشبه وهو وعيد ينضم الجواب عن شبهته فان من عارض النص بالقياس فهو رجيم ملعون (وان عليك الاعنة) الابعاد عن الزمة وحيث كان ذلك من جهة الله سبحانه وان كان جاريا على السنة العباد قبل في سورة ص وان عليك

اعتنى (الى يوم الدين) الى يوم الجزاء والعقوبة وفيه اشعار بتأخير عقابه وجرانه اليه وأن اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لفعله وانما يتحقق ذلك يومئذ وفيه من التحويل ما لا يوصف وجعل ذلك أقصى امد اللعنة ليس لانها تنقطع هنالك بل لانه عند ذلك يعذب بما ينسى به اللعنة من اقاين العذاب فتصير هي كالزائل وقيل انما حدث به لانه أبعد غاية يضربها الناس بقوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض وحيث أمكن كون تأخير العقوبة مع الموت كسائر من أخرت عقوباتهم الى الآخرة من الكفرة طلب اللعين تأخير موته كما حكى عنه بقوله تعالى (قال رب فأنظرني) أي أمهائي وأخوتي ولا تغفني واقفاء متعلق بمحذوف ينسحب عليه الكلام أي اذ جعلتني رجيا فأمهلي (الى يوم يعنون) أي آدم وذريته للجزاء بعد فنسأهم وأراد بذلك أن يجد فسحة لا غوائهم ويأخذ منهم ثأره ويجو من الموت لاستحالة بعد يوم البعث (قال فانك من المنظرين) ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشعول مأسأله لآخرين على وجه يؤذن بكون المسائل تبعها هم في ذلك دليل على أنه اخبار بالانظار المقتدرهم ازالة الانشاء لانظار خاص به وقع اجابة لدعائه أي انك من جملة الذين أخرت آجالهم ازالة حسبان تقديره حكمته التكوين فالقضاء ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكورة به كما في قوله فان ترحم فأنت لذم الأهل فانه لا إمكان لجعل القضاء فيه لربط ما فيه تعالى من الاهلية القدسية للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط الاخبار بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها وأن استنظاره كان طلبا لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه من جملة من لا تأخير العقوبة كما قيل ونظمه في ذلك في سلك من أخرت عقوباتهم الى الآخرة في علم الله تعالى عن سبق من الجن وخلق من الثقلين لا يلائم مقام الاستنظار مع الحياة ولأن ذلك التأخير معلوم من اضافة اليوم الى الدين مع اضافته في السؤال الى البعث كما عرفت وفي سورة الاعراف قال أنظرني الى يوم يعنون قال انك من المنظرين بترك التوقيت والنداء والقضاء في الاستنظار والانتظار وهو يلا على ما ذكره هنا وفي سورة قص فان اراد كلام واحد على أساليب متعددة غير عز في الكتاب العزيز وأما أن كل أسلوب من أساليب النظم الكريم لا بد أن يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وأن ما حكى من اللعين انما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع الادعة في مقام المحاوراة ان اقتضى أحد الأساليب المذكورة فهو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى طبقة الابحاز وما عداها فاصرع رتبة البلاغة فضلا عن الارتقاء الى معالم الابحاز فقد مرت تحقيقه بتوفيق الله تعالى في سورة الاعراف (الى يوم الوقت المعلوم) وهو وقت النفخة الاولى التي علم أنه يصحق عندها من في السموات ومن في الارض الامن شاء الله تعالى ويجوز أن يكون المراد بالايام واحدا والاختلاف في العبارات لاختلاف الاعتبار فالتعبير بيوم البعث لان غرض اللعين به يتحقق ويوم الدين لما ذكر من الجزاء ويوم الوقت المعلوم لما ذكره ولا يستثناه تعالى بعلمه فاعلم كلام من هلاك الانطاق جميعا وبعثهم وجزأهم في يوم واحد يوت النعين في أوله ويبعث في اواسطه ويعاقب في بقيته (يروي) ان بين موته وبعثه أربعين سنة من سنى الدنيا مقدار ما بين النفختين ونقل عن الاحنف بن قيس رحمه الله تعالى أنه قال قدمت المدينة اريد أمير المؤمنين ع رضي الله تعالى عنه فاذا أنا بجملة عظيمة وكعب الاخبار فيها يحدث الناس وهو يقول لما حضر آدم عليه الصلاة والسلام الوفاة قال يا رب سيئمت بي عدوى ابليس اذا رآني ميتا وهو منظر الى يوم القيامة فأجيب ان يا آدم انك سترى الى الجنة ويؤخر اللعين الى النظر ليدوق ألم الموت بعدد الاوابين والآخرين ثم قال لملك الموت كيف تذيقه الموت فلما وصفه قال يا رب حسبى فضج الناس وقالوا يا أبا السحق كيف ذلك فأبى فالحوا فتقال يقول الله سبحانه لملك الموت عقيب النفخة الاولى قد جعلت فيك قوة أهل السموات السبع وأهل الارض السبع واني البستك اليوم أبواب السخط والغضب كلها فانزل بغضبي وسطوقى على رجبي ابليس فأذقه الموت واجل عليه فيه حرارة الاولين والآخرين من الثقلين أضعا فامضاعة وليكن معك من الزبانية سبعون ألفا قد امتوا غيظا وغضبا وليكن مع كل منهم سلسلة من سلاسل يهيمون وغل من أغلالها وانزع روحه المنتين بسبعين ألف كلاب من كلابها ونادى ما لك ليفتح أبواب النيران فينزل ملك الموت بصورة لوتظار اليها أهل السموات والارض لما توابتة من هولها فينتهى الى ابليس فيقول قسلى يا خبيث لا ذيقنك الموت كم من عرأدركت وقرون اضللت وهذا هو الوقت المعلوم قال فيهرب اللعين الى المشرق

فاذا هو تلك الموت بين عينيه فيهرب الى المغرب فاذا هو به بين عينيه فيغوص البحار فتزمنه البحار فلا تقبله
 فلا يزال يهرب في الارض ولا يحيط له ولا ملاذ ثم يقوم في وسط الدنيا عند قبر آدم ويزرع في التراب من المشرق
 الى المغرب ومن المغرب الى المشرق حتى اذا سكن في الموضع الذي احبط فيه آدم عليه الصلاة والسلام
 وقد نصبت له الزبانية الكلايب وصارت الارض كالجمرة احترشتته الزبانية وطعنوه بالكلايب ويبقى
 في الترع والعذاب الى حيث يشاء الله تعالى ويقال لآدم وحواء اطلعا اليوم الى عدوكا كيف يذوق الموت
 فيطلعان فينظران الى ما هو فيه من شدة العذاب فيقولان ربنا انعمت علينا نعمتك (قال رب بما اغويتني)
 الباء للتقسم وما مصدرية والجواب (لا زينت لهم) أي أقسم باغوائك اي لا زينت لهم المعاصي (في الارض)
 أي في الدنيا التي هي دار الغرر ركثوه تعالى اخلا الى الارض وقسمه بعزة الله المفسرة بسلطانه وقهره
 فلا ينال اقسامه بهذا فانه فرع من فروعه وأثر من آثاره فاعله أقسم بها جميعا الخ في تارة قسمه بها وأخرى
 بذلك أو لا سيومية وقوله لا زينت بيوباب قسم محذوف والمعنى بسبب تسببك لا غواء أي أقسم لافعالهم مثل
 ما فعلت بي من التسبب لا غواءهم بتزيين المعاصي وتسويل الابطال والمعتزلة أو لوالا غواء بالنسبة الى التي
 أو التسبب له بأمره بالعبود لا آدم عليه الصلاة والسلام واعتذروا عن امهال الله تعالى وتسليطه له على
 اغواء بني آدم بانه تعالى قد علم منه ومن تبعه أنهم يروثون على الكفر ويصرون الى النار أمهل أمهل لم يعمل
 وأن في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب (ولا غوينهم اجمعين) لاجلهم على الغواية
 (الاعباد منهم المخلصين) الذين اخلصهم لاطاعتك وظهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرئ بكسر
 الزلام أي الذين اخلصوا واندوسهم لله تعالى (قال هذا سراط) أي حق (على) أن اراعيه (مستقيم) لا عوج
 فيه والاشارة الى ما تنضمه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه أو الاخلاص على معنى أنه طريق
 يؤدي الى الوصول الى من غير اعوجاج وضلال والظاهر أن ذلك لما وقع في عبارة ابليس حيث قال لا قدرت
 لهم سراط المستقيم ثم لا يتهم من بين أيديهم ومن خلفهم الآية وقرئ على من علوا الشرف (ان عبادي)
 وهم المشار اليهم بالخلاصين (ليس لك عليهم سلطان) تسلط وتصرف بالاغواء (الامن اتبعك من الغاوين) وفيه
 مع كونه تحقيقا لما قاله اللعين تفخيم لسان المخلصين وبيان لمنزلةهم ولا تقطاع عنساب الانواء عنهم وأن اغواءه
 للغاوين ليس بطريق السلطان بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم (وان جهنم اوعدهم) أي موعده المتبعين
 أو الغاوين والاقول أنسب وأدخل في الزجر عن اتباعه وفيه دلالة على أن جهنم مكان الوعد وأن الموعود
 مما لا يوصف في الفتاعة (اجعين) تأكيد لتغير أحوال والعامل فيها الموعودان جعل مصدرا على تقدير
 المتضاف أو معنى الاضافة ان جعل اسم مكان (لهما سبعة أبواب) يدخلونهم الكثرتهم أو سبع طبقات
 ينزلونها بسبب مراتبهم في الغواية والمتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم
 ثم الهاوية (لكل باب منهم) من الاتباع والغواة (جزء مقسوم) حيز معين مفترق من غيره حسبما يقتضيه
 استعداده فأعلاها للموحدين والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين والخامسة للعجوس
 والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان جهنم ان ادعى الربوبية
 ولظى لعبد النار والحطمة لعبد الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين
 ولعل حصرها في السبع لا تحصر المهلكات في المحسوسات بالحواس الخمس ومقتضيات القوة الشهوية
 والغضبية وقرئ بنهم الزاى ويحذف الهمزة والفاء حركتها الى ما قبلها مع تشديدها في الوقت والوصل ومنهم
 حال من جزأ ومن ضميره في الطرف لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تشتمل موصوفها (ان المنقين) من
 اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفر (في جنات وعيون) أي مستقرون فيها خالدين لكل واحد
 منهم جنة وعين أو لكل منهم عدة منها كما كتبه تعالى وان خاف مقام ربه جنتان وقرئ بكسر العين حيث وقع
 في القرآن العظيم (ادخلوها) على ارادة التول أمر امر الله تعالى لهم بالدخول وقرئ أدخلوها أمر امره
 تعالى لا ملائكة بادخالهم وقرأ الحسن أدخلوها مبنيًا للمفعول على صيغة الماضي من الادخال (بسلام)
 متبسين بسلام أي سالمين أو مسلما عليكم (آمنين) من الآفات والزوال (ونزعنا ما في صدورهم من غل) أي

حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله تعالى عنه ارجو أن أكون أما وعثمان وطخمة والزبير منهم رضوان الله
 تعالى عليهم أجمعين (أخوانا) حال من التعمير في قوله تعالى في جنات أو من فاعل ادخلوها أو من التعمير في آمين
 أو التعمير المضاف اليه والعامل فيه معنى الاضافة وكذلك قوله تعالى (على سرور متقابلين) ويجوز كونهما
 صفتين لأخوانا وحالين من ضميره لأنه بمعنى متصافين وكون الثاني حالا من المسمى تكن في الأول وعن مجاهد
 تدور بهم الامرة حيثما داروا فهم متقابلون في جميع أحوالهم (لا يسمهم فيها نصب) أي تعب بان لا يكون
 لهم فيها ما يوجب من الكد في تحصيل ما لا بداهم منه لحصول كل ما يريدونه من غير مناوله على أصلا أو بان
 لا يعترضهم ذلك وان بأشروا الحركات العنيفة لكل قوتهم وهو استئناف أو حال بعد حال أو حال من التعمير
 في متقابلين (وما هم منها بخارجين) أي لا يبدلون تمام النعمة بالخلود (نبي عبادي) وهم الذين عبر عنهم بالمتقين
 (أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الاليم) فذلك لما سلف من الوعد والوعيد وتشريره وفي ذكر
 المغفرة اشعار بأن ليس المراد بالمتقين من يتقى جميع الذنوب كبيرها وصغيرها وفي وصف ذاته تعالى بها وبالرحمة
 على وجه التضرع دون التعذيب ايذان بأنهم ما عما يقتضيهما الذات وأن العذاب اغما يتحتق بما يوجب من خارج
 (وبنهم) عطف على نبي عبادي والمتصور باعتبارهم بما جرى على ابراهيم عليه الصلاة والسلام مع أهله من
 البشري في تشايع الخوف وبما حل بتوم لوط من العذاب ونجاة عليه الصلاة والسلام مع أهله التابعين له
 في ضمن الخوف وتنبههم بحلول انتقامه تعالى من الجرمين وعلمهم بأن عذاب الله هو العذاب الاليم (عن ضيف
 ابراهيم) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ما أنهم جبريل عليه الصلاة والسلام وما كان معه وقال محمد بن
 كعب وسبعة معه وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم الصلاة والسلام وقال النعمان كانوا تسعة وعن
 السدي كانوا أحد عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل أنهم كانوا اثني عشر ملكا وانما لم
 يترس لغزوان رسالتهم لانهم لم يكونوا من سائر ابراهيم عليه الصلاة والسلام بل الى قوم لوط حسبما يأتي ذكره
 (ادخلوا عليه) نصب بفعل ضمير معطوف على نبي أي واذا كروقت دخولهم عليه أو خبر مودة مضاف الى ضيف
 أي خبر ضيف ابراهيم حين دخولهم عليه أو بنفس ضيف على أنه مصدر في الاصل (وقالوا) عند ذلك (سلاما)
 أي نسلم سلاما وسلمنا وسلمت سلاما (قال انا منكم وجلون) أي خائفون فان الوجمل اضطراب النفس المتوقع
 مكرهه قاله عليه الصلاة والسلام حين امتنعوا من اكل ما قر به اليهم من العجل الخنز لما أن المعتاد عندهم أنه
 اذا نزل بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم ظنوا أنه لم يجئ بخير لا عند ابتداء دخولهم أو قوله تعالى فلما رأى أيديهم
 لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة فلا مجال لكون خوفة عليه الصلاة والسلام بسبب دخولهم بغيرانه
 ولا بغير وقت اذ لو كان كذلك لاجابوا حينئذ بما اجابوا به ولم تصد عليه الصلاة والسلام لتقريب الطعام اليهم
 وانما لم يذكره هنا كنفاء عما بين في غير هذا الموضع ألا يرى الى انه لم يذكره هنا رده عليه الصلاة والسلام
 لسلامهم (قالوا لا توجل) لا تخف وقرئ لا توجل ولا توجل من اوجه أي أخافه ولا توجل من واجله بمعنى
 اوجهه (انا نبشرك) استئناف لتعليل النهي عن الوجمل فان المبشر به لا يكاد يحوم حول ساحته خوف ولا حزن
 كيف لا وهو بشارته ببقائه وأهله في عافية وسلامة زمانا طويلا (بغلام) هو اسحق عليه الصلاة والسلام
 لقوله تعالى فبشرناها يا اسحق ولم يترس ههنا بشارته يعقوب عليه الصلاة والسلام اكفاء بما ذكر في سورة هود
 (عليه) اذا بلغ وفي موضع آخر بغلام حليم (قال ابشر عوفى) بذلك (على أن منى الكبير) وأثر في تعجب عليه
 الصلاة والسلام من بشارتهم بالولد في حالة مباينة للولادة وزاد في ذلك فقال (فبشرني) أي بأى اجموية
 تبشرونني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارته بغير شيء أو بأى طريقة تبشرونني وقرئ بتشديد النون
 المكسورة على ادغام نون الجمع في نون الوقاية (قالوا ابشرك بالحق) أي بما يكون لا محالة أو باليقين الذي
 لا ايس فيه أو بطريقة هي حق وهو أمر الله تعالى وقوله (فلا تكن من القانطين) من الآيسين من ذلك فان الله
 قادر على أن يخلق بشرا بغير أبوين فكيف من شيخ فان ويجوز عاقر وقرئ من القانطين وكان مقصده عليه الصلاة
 والسلام استعظام نعمته تعالى عليه في ضمن التعجب العادي المبني على سنة الله تعالى الملوكة فيما بين عبادهم
 لاستبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه كما ينبي عنه قول الملائكة فلا تكن من القانطين دون أن يشولوا

من الممتريين او ضحوه (قال ومن يقنط) استفهام انكارى أى لا يقنط (من رحمة ربه الا الضالون) المخطئون طريق المعرفة والصواب فلا يعرفون سعة رحمة وكمال علمه وقدرته كما قال يعقوب عليه الصلاة والسلام لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون ومراده نفي القنوط عن نفسه على ابلغ وجه أى ليس بى قنوط من رحمة تعالى وانما الذى أقول لبيان منافاة تعالى لنقض تلك النعمة الجليلة على وفى التعرض لوصف الربوبية والرحمة ما لا يخفى من الجزالة وقرئ بضم النون وبكسر هاء من قنط بالفتح ولم تكن هذه المساوغة من الملائكة مع ابراهيم عليه الصلاة والسلام خاصة بل مع سارة أيضا كما شرح فى سورة هود ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء بما ذكره هناك كما أنه لم يذكر ههنا اكتفاء بما ذكره هناك (قال) أى ابراهيم عليه الصلاة والسلام وبوسيطه بين قوله السابق وبين قوله (فما خطبكم) أى أمركم وشأنكم الخطب الذى لا جله ارسلتم سوى البشارة (أيها المرسلون) سرىح فى أن بينهم ما مثالة مطوية لهم أشير به الى مكانها كما فى قوله تعالى قال أتأجلون خلقت طينا قال أرايتك هذا الذى كرم على الآية فان قوله الاخير ليس موصولا بقوله الاول بل هو مبنى على قوله تعالى فخرج منها فانك رجيم فان بوسيط قال بين قوله لا يذ ان بعدم اتصال الشئ بالاول وعدم ابتناؤه عليه بل على غيره ثم خطابه لهم عليهم الصلاة والسلام بعنوان الرسالة بعدما كان خطابه السابق مجردا عن ذلك مع تصديره بالقسم دليلا على أن مقالهم المطوية كانت متفنة لبيان أن مجيئهم ليس بجزء البشارة بل لهم شأن آخر لا جله ارسلوا فكانه قال عليه الصلاة والسلام ان لم يكن شأنكم مجردا للبشارة فإذاهو فلا حاجة الى التنبأ الى أن علمه عليه الصلاة والسلام بأن كل المقصود ليس البشارة بسبب أنهم كانوا ذوى عدد والبشارة لا تحتاج الى عدد ولذلك اكتفى بالواحد فى ذكر باعائه الصلاة والسلام ومرىم ولا الى أنهم بشر وه فى تضاعيف الحال لازالة الوجع ولو كانت تمام المقصود لا بدوا بها فتأمل (قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين) هم قوم لوط لكن وصفوا بالاجرام وجرمهم بطريق التذكير ذما لهم واستثناء تبهم (الا آل لوط) استثناء متصل من الصبر فى مجرمين أى الى قوم أجرموا جميعه الا آل لوط قال قوم والارسل شاملان للمجرمين وغيرهم والمعنى انا ارسلنا الى قوم أجرم كلهم الا آل لوط لتلك الاولين ونبي الاخرين ويدل عليه قوله تعالى (انا المنجوههم) أى لوط وآله (أجمعين) أى مما يصيب القوم فانه استثناء للاخيار بنجاتهم لعدم اجرامهم وأوليان ما فهم من الاستثناء من مطلق عدم شمول العذاب لهم فان ذلك قد يكون بكون حالهم بين وبين اولئك فانه من تعلق بهم النتيجة بمنجى من شمول العذاب او منقطع من قوم وقوله تعالى انا المنجوههم متصل بال آل لوط جار مجرى خبر لكن وعلى هذا فقولته تعالى (الا امرأتها) استثناء من آل لوط او من شعيرهم وعلى الاول من الصبر خاصة لاختلاف الحكمين اللهم الا أن يجعل انا المنجوههم اعتراضا وقرئ بالتخفيف (قد ربنا الم القابرين) الباقيين مع الكفرة لتلك معهم وقرئ قد ربنا بالتخفيف وانما علق فعل التشديد مع اختصاص ذلك بأفعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز حمله على معنى قلنا لانه معنى القضاء قول وأصله جعل النبي على مقدار غيره واستنادهم له الى أنفسهم وهو فعل الله سبحانه لما لهم من الزانى والاختصاص (فما جاء آل لوط المرسلون) شروع فى بيان كيفية اهلاك المجرمين وتنجية آل لوط حسبما أجل فى الاستثناء ثم فصل فى التعليل نوع تفصيل ووضع المظهر موضع المنعز للايذان بأن مجيئهم لتحقيق ما أرسلوا به من الاهلاك والتنجية وليس المراد به ابتداء مجيئهم بل مطلق كونه وتهم عند آل لوط فان ما حكى عنه عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى (قال انكم قوم منكرون) انما قاله عليه الصلاة والسلام بعد التنبأ والى حين ضاقت عليه الحيل وعيت به العطل لما لم يشاهد من المرسلين عند مقاساته الشدائد ومعاناته المكاييد من قومه الذين يريدون بهم ما يريدون ما هو المعهود والمعتاد من الاعانة والامداد فيما يأتى ويذرع عند تجشمه فى تخليصهم انكارا لخذلانهم له وترك نصرتهم فى مثل تلك المضايقة المعترية له بسببهم حيث لم يكونوا مبشرين معه لاسباب المدافعة والممانعة حتى ألقاه الى أن قال لو أنى بكم قوة أو أوى الى ركن شديد حسبما فصل فى سورة هود لأنه قاله عند ابتداء ورودهم له خوفا أن يطرده بصرته كما قبل كيف لا وهم يجوابهم المحكى بقوله تعالى (قالوا بل جئنا لنجاك فإفديه يمترون) أى بالاعذاب الذى كنت تتوعدهم به فيمترون فيه ويكذبونك قد قشروا العصا وبينوا له عليه الصلاة والسلام جليلة الامر فأتى يمكن أن يعثر به بعد

ذلك المساء وضيق الذرع وليست كلمة بل اضربا عن موجب الخوف المذكور على معنى ما جئناك بما تنكرنا
 لاجله بل بما يسر لك وتقر به عينك بل هي اشرب عما فهمه عليه الصلاة والسلام من ترك النصرة والمعنى
 ماخذ لنا وما خلتنا بينك وبينهم بل جئناك بما يدعهم من العذاب الذي كانوا يكذبونك حين كنت تتوعدهم
 به واعل تقديم هذه المقالة على ما جرى بينه وبين أهل المدينة من الجحالة للمسارة الى ذكر بشارة لوط عليه
 الصلاة والسلام باهلاك قومه ونجاة آل عقيم ذكر بشارة ابراهيم عليه الصلاة والسلام بهما وحيث كان
 ذلك مستدعا بالبيان كيفية النجاة وترتيب مبادئها أشير الى ذلك اجمالا ثم ذكر ما فعل القوم وما فعل بهم
 ولم يبال بتغيير الترتيب الوقوعي ثقة برأعائه في مواقع أخر ونسبة الجحى عذاب اليه عليه الصلاة والسلام مع
 أنه نازل بالقوم بطريق تفويض أمره اليه لا بطريق نزوله عليه كأنهم جاءوه به وفوضوا أمره اليه ليرسله عليهم
 حسبما كان يتوعدهم به (وأنتناك بالحق) أي باليقين الذي لا مجال فيه للامتراء والشك وهو عذابهم عبرته
 بذلك تنصصا على نفي الامتراء عنه أو المراد بالحق الاخبار بجحى العذاب المذكور وقوله تعالى (وانا الصادقون)
 تأكيده أي أنتناك فيما قلنا بالخبر الحق أي المطابق للواقع وانا الصادقون في ذلك الخبر أو في كل كلام فيكون
 كالدليل على صدقهم فيه وعلى الأقل تأكيده اثرنا كيد وقوله تعالى (فأسر بأهلك) شروع في ترتيب
 مبادئ النجاة أي اذهب بهم في الليل وقرئ بالوصل وكلاهما من السرى وهو السير في الليل وقرئ فسر من
 السير (يقطع من الليل) بطائفة منه أو من آخره قال

افتحى الباب وانظري في النجوم * كم علينا من قطع ليلهم

وقيل هو بعد ما مضى منه شيء صالح (واتبع أدبارهم) وكن على أثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على
 أحوالهم واعل ايثارا لاتباع على السوق مع أنه المقصود بالامر للمباغضة في ذلك اذا السوق رعايا يكون
 بالتقدم على بعض مع التأخر عن بعض ويلزمه عادة الغفلة عن حال المتأخر والاتفات المنهى عنه بقوله تعالى
 (ولا يلتفت منكم) أي منكم ومنهم (أحد) قيرى ما وراءه من الهول فلا يطيقه أو يصيبه ما أصابهم
 أو لا ينصرف منكم أحد ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن ذلك ليوطنوا أنفسهم على
 المهاجة أو نهى عن ربط القلب بما خلفه أو هو للاسراع في السير فان الملتفت فلما يخلو عن أدنى وقفة
 وعدم ذكر استثناء المرأة من الاسراء والاتفات لا يستدعي عدم وقوعه فان ذلك لما عرفت مرارا
 للاكتفاء بما ذكر في مواضع أخر (وامضوا حيث تؤمرون) الى حيث أمركم الله تعالى بالمضي اليه وهو
 الشام أو مصر وحذف الصلتين على الاتساع المشهور واينار المضي الى ما ذكر على الوصول اليه والحق به
 للايذان بأهمية النجاة وراعاة المناسبة بينه وبين ما سلف من الغابرين (وهضينا) أي أوحينا (اليه)
 مقضيا ولذلك عدى بالي (ذلك الامر) مبهم يفسره (أن دابر هؤلاء مقطوع) على أنه بدل منه واينار
 اسم الإشارة على الضمير للدلالة على اتصافهم بصفتهم القبيحة التي هي مدار ثبوت الحكم أي دابر هؤلاء
 الجرمين وإيراد صيغة المفعول بدل صيغة المضارع لكونها أدخل في الدلالة على الوقوع وفي لفظ القضاء والتعبير
 عن العذاب بالامر والاشارة اليه بذلك وتأخير عن الجمار والمجرور وإيهامه أو لا تم تفسيره ناسيا من الدلالة
 على خاتمة الامر وقطاعته ما لا يخفى وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم
 حتى لا يبقى منهم أحد (مضيين) داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء أو من الضمير في مقطوع وجعله للعمل
 على المعنى فان دابر هؤلاء بمعنى مدبري هؤلاء (وجاء أهل المدينة) شروع في حكاية ما صدر عن القوم عند
 وقوعهم على مكان الاضياف من الفعل والقول وما ترتب عليه بعدما أشير الى ذلك اجمالا حبا به عليه أي جاء
 أهل سدوم منزل لوط عليه الصلاة والسلام (يستبشرون) أي مستبشرين بأضيافه عليه الصلاة والسلام
 طمعا فيهم (قال أن هؤلاء ضيفي) الضيف حيث كان مصدرا في الاصل اطلق على الواحد والجمع والمذكر
 والمؤنث واطلاقه على الملائكة بحسب اعتقادهم عليه الصلاة والسلام لكونهم في رضى الضيف والتأكيده ليس
 لانكارهم بذلك بل لتحقيق اتصافهم به واطهار اعنائهم بشأنهم وتشهرهم لمرعاة حقوقهم وحمايتهم من سوء
 ولذلك قال (فلا تضحكون) أي عندهم بأن تتعوضوا الهم بسوء فيعلموا أنه ليس لي عندكم قدر وجرمة

أولا تفضيكون بفضيحة ضيفي فان من اسي الى ضيفه فقد اسي اليه يقال فضحه فضحا وفضيحة اذا اظهر
من أمره ما يلزمه العار (واتقوا الله) في مباشرتكم لما يسوءني (ولا تخزون) أي لا تذلوني ولا تبتغوني بالتعرض
لمن أجرتهم مثل تلك الفعلة الخبيثة وحيث كان التعرض لهم بعد أن نهاهم عليه الصلاة والسلام عن ذلك بقوله
فلا تفضيكون أكثر تأثيرا في جانبهم عليه الصلاة والسلام وأجلب للعار اليه اذا تعرض للبار قبل شعور الجبر بذلك
ربما يتسارع فيه وأما بعد الشعور به والمناسبة لحجته والذب عنه فذلك أعظم العار عبر عليه الصلاة والسلام
عما يعتريه من جهتهم بعد النهي المذكور بسبب طاجهم وبجواهرتهم بخلافته بالخزي وأمرهم بتقوى الله تعالى
في ذلك وانما لم يصرح بالنهي عن نفس تلك الفاحشة لانه كان يعرف أنه لا يفيدهم ذلك وقيل المراد تقوى
الله تعالى في ركوب الفاحشة ولا يساعده توسيطه بين النهيين عن أمرين متعلقين بنفسه عليه الصلاة والسلام
وكذلك قوله تعالى (قالوا لم تنهك عن العالمين) أي عن التعرض لهم بمنعهم عناو ضيافتهم والهمزة للانكسار
والواو للعطف على مقدر أي ألم تتقدم اليك ولم تنهك عن ذلك فانهم كانوا يتعرضون لكل أحد من الغرباء
بالسوء وكان عليه الصلاة والسلام ينهاهم عن ذلك بقدر وسعه وكانوا قد نهوه عليه الصلاة والسلام عن أن يجبر
أحد افكانهم قالوا ما ذكرت من الفضيحة والخزي انما جاءك من قبلك لامن قبلنا اذ لولا التعرض لك لما تصدى له
لما اعتراك تلك الحالة ولما رآهم لا يتلصصون عماهم عليه (قال هو لا يناني) يعني نساء القوم فان نبي كل امة
ينزله أيهم او يشانه حقيقة أي فترجوهن وقد كانوا من قبل يطلبونهن ولا يجيبهن لخبثهم وعدم كفاءتهم
للاعدم مشروعية المناخلة بين المسلمات والكفار وقد فصل ذلك في سورة هود (ان كنتم فاعلين) أي قضاء
الوطرأ وما أقول لكم (اعلمون) قسم من الله تعالى بحياة النبي عليه الصلاة والسلام او من الملائكة بحياة
لوط عليه الصلاة والسلام والتقدير اعمرك قضي وهي لغة في العمر يختص به القسم ايثار اللغظة لكثرة دورانه
على الالسننة (انهم اني سكرتهم) غوايتهم واشدة غلظتهم التي ازالوا عقولهم وتغيروا بين الخطا والصواب
(يعلمون) يتحذرون ويتبادون فكيف يسمعون النصيح وقيل الضمير اقربش والجملة اعتراض (فأخذتهم الضيحة)
أي الضيحة العظيمة الهائلة وقيل ضيحة جبريل عليه الصلاة والسلام (مشرفين) داخلين في وقت شروق
الشمس (جعلنا عاليها) على المدينة او على قراهم وهو المفعول الاول لجعلنا وقوله تعالى (سافلهما) مفعول
ثاني له وهو أدخل في الهول والفظاعة من العكس كما مر (وأما ناعليهم) في نضا عيف ذلك قبل تمام الانقلاب
(حجارة) كائنة (من حجيل) من طين مختبر او طين عليه كتاب وقد فصل ذلك في سورة هود (ان في ذلك) أي فيما
ذكر من القصة (لايات) لعلامات يستدل بها على حقيقة الحق (للمؤمنين) أي المتفكرين المتفرسين الذين
يتنبئون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته (وانها) أي المدينة او القرى (لبسبيل مقيم) أي طريق
ثابت بسلوكه الناس ويرون آثارها (ان في ذلك) فيما ذكر من المدينة او القرى او في كونها جبرأى من الناس
يشاهدونها في ذهابهم وايابهم (لاية) عظيمة (للمؤمنين) بالله ورسوله فانهم الذين يعرفون أن ما حاق بهم من
العذاب الذي زلذبارهم بلاقع انما حاق بهم لسوء صنيعهم وأما غيرهم فيعلمون ذلك على الاتفاق او الاوضاع
الفلكية وافراد الآية بعد جمعها فيما سبق لما أن المشاهدة هنا بقية الآثار لا كل النصة كما في ما سلف
(وان كان) ان مخففة من ان وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة أي وان الشأن كان
(احصاء الايكة) وهم قوم شعيب عليه الصلاة والسلام والايكة والليكة الشجرة الملتفة المتكاثفة وكان عاتية
شجرهم المثل وكانوا يسكنونها فبعثه الله تعالى اليهم (لظالمين) متجاوزين عن الحد (فأتقمتنا منهم) بالعذاب
روى ان الله تعالى ساط عليهم الحزن سبعة أيام ثم بعث صهاية فالتجوا اليها ياتسون الروح فبعث الله تعالى عليهم
منها نارا فأحرقتهم فهو عذاب يوم الظلة (وانهم) يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه عليه الصلاة
والسلام كان مبعوثا اليهما فذكر أحدهما منه على الآخر (لباطل مبين) لطريق واضح والامام اسم
ما يؤتم به سمي به الطريق ومطمر البناء والالوح الذي يكسب فيه لانها مما يؤتم به (ولقد كذب أصحاب الحجر)
يعني ثمود (المرسلين) أي صالحا فان من كذب واحدا من الانبياء عليهم السلام فقد كذب الجميع لاتفاقهم
على التوحيد والاصول التي لا تختلف باختلاف الامم والاعصار وقيل المراد صالح ومن معه من المؤمنين كما

قيل الخبيثون خبيث بن عبد الله بن الزبير وأصحابه والخجرواديين المدينة والشام كانوا يسكنونه (وآتيناهم
 آياتنا) وهي الآيات المنزلة على نبيهم أو المعجزات من الساعة وسقيها وشربها ودرها أو الأدلة المنصوبة لهم
 (فكانوا عنها معرضين) اعراضا كإيابل كانوا معارضين لها حيث فعلوا بالإنفاق ما فعلوا (وكأنوا يفتخرون
 من الجبال يوتنا صين) من الانهدام ونصب اللصوص وتخريب الأعداء لوثاقها أو من العذاب لحسبناهم
 أن ذلك يحسمهم منه * عن جابر رضي الله تعالى عنه أنه قال مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر
 فسال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذرا أن يصيبكم مثل ما أصاب هؤلاء
 ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فأمرع حتى خافها (فأخذتهم الصيحة مصعجين) وهكذا
 وقع في سورة هود قيل صاح بهم جبريل عليه الصلاة والسلام وقيل اتهم من السماء صيحة فيها
 صوت كل ساعة وصوت كل شيء في الأرض فقتلعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة الاعراف فأخذتهم
 الرجفة أي الرعدة ولما هم من روادف الصيحة المستتعة لتروح الهوائ فتوحا شديدا يفيض اليها كما مر في سورة
 هود (فأغنى عنهم) ولم يدفع عنهم ما نزل بهم (ما كانوا يكسبون) من بناء البيوت الوثيقة والأموال
 الوفرة والعدد المتكاثرة وفيه تنكيرهم والنساء لترتيب عدم الأغناء الخاص بوقت نزول العذاب حسبا
 كانوا يرجونه لعدم الأغناء المطلق فانه أمر مستقر (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق)
 أي الإخلاص ما تبسبأ بالحق والحكمة والمصلحة بحيث لا يلائم استقرار الفساد واستقرار الضرر ولذلك
 اقتضت الحكمة اهلاكا أمثال هؤلاء دفعا للفسادهم وإرشاد المن بقي إلى الصلاح أو الألباب العدل
 والإنصاف يوم الجزاء على الأعمال كما نبئ عنه قوله تعالى (وان الساعة لا تية) فينتقم الله تعالى لك فيها
 عن كذبتك (فاصفح) أي أعرض عنهم (الصفح الجليل) اعراضا جميلا وقدمل أذيتهم ولا تتحمل بالانتقام منهم
 وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هي منسوخة بآية السيف (ان ربك) الذي يبالغ في غاية الكمال
 (هو الخلاق) لأن أولهم ولسائر الموجودات على الإطلاق (العظيم) بأحوالك وأحوالهم بتفاصيلها فلا يخفى
 عليه شيء مما جرى بينك وبينهم فهو حقيق بأن تكل جميع أذمور إليه ايحكم بينكم أو هو الذي خلقكم وعلم
 تفاصيل أحوالكم وقد علم أن الصفح اليوم اصلح إلى أن يكون السيف اصلح فهو تعليل للأمر بالصفح على
 التقديرين وفي مصحف عثمان وأبي رضى الله تعالى عنهم ما هو الخالق وهو صالح للقليل والكثير والخلق مختص
 بالكثير (ولقد آتيناك سبعاً) سبع آيات وهي الفاتحة وعليه عمرو على وابن مسعود وأبو هريرة رضي الله
 تعالى عنهم والحسن وأبو العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبيرة وقادة رحمهم الله تعالى وقيل سبع
 سور وهي الطوال التي سابعها الانفال والتوبة فانهم ما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهم ما بالقسمية
 وقيل يونس والحواميم السبع وقيل الصفات السبع وهي الاسباع (من المثاني) بيان للسبع
 من التسمية وهي التكرير فان كان المراد الفاتحة وهو الظاهر فتسميتها مثاني لتكرر قراءتها في الصلاة وأما تكرر
 قراءتها في غير الصلاة كما قيل فليس بحيث يكون مدار التسمية ولا نهايتها بما يقرأ بعدها في الصلاة وأما تكرر
 نزولها فلا يكون وجهاً للتسمية لأنها كانت مسماة بهذا الاسم قبل نزولها الثاني إذا السورة مكية بالاتفاق
 وان كان المراد غيرها من السور فوجه كونها من المثاني أن كلام من ذلك تكرر قراءته وألفاظه وأوقصه ومواعظه
 فمن التناء لا شتماله على ما هو شأنه على الله وأحدثها من ثناء أو مثنية صفة للآية وأما الصفات وهي الاسباع
 فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعود والوعيد وغير ذلك ولما فيها من التناء على الله تعالى كأنها
 تنبئ عليه سبحانه بأفعاله وصفاته الحسنى ويجوز أن يراد بالمثاني القرآن لما ذكرنا أنه مثنى عليه بالاعجاز
 أو كتب الله تعالى كأنها من التبعيض وعلى الأول للبيان (والقرآن العظيم) ان أريد بالسبع الآيات أو السور
 فن عطف الكل على البعض أو العظام على الخاص وان أريد به الاسباع أو كل القرآن فهو عطف أحد
 الوصفين على الآخر كما في قوله

إلى الملك القرم وابن الهمام * وليت الكتاب في المزدحم

أي واقداً تينال ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم (لا غنى عنك) لا تطمع بصرك طموح

راغب ولا تدم نظرك (الى مامته عناية) من زخارف الدنيا وزينتها ومحاسنها وزهرتها (ارواجا منهم)
 أصنافا من الكفرة فان ما في الدنيا من أصناف الاموال والذخائر بالنسبة الى ما اوتيته من متاع لا يعا به
 أصلا وفي حديث أبي بكر رضى الله تعالى عنه من اوتي القرآن فرائى أن أحدا اوتي أفضل مما اوتي فقد صغر
 عظميا وعظم صغيرا وروى أنه وافق من بصرى وأذرعات سبع قوافل ليهود بنى قريظة والنضير فيها أنواع
 البر والطيب والجواهر وسائر الاستعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لتسالت في بيابها وأنفقناها في
 سبيل الله فقبل لهم قد أعطيتهم سبع آيات وهي خير من هذه القوافل السبع (ولا تحزن عليهم) حيث
 لم يؤمنوا لم ينتظموا في سلك أتباعك ليتقوا بهم ضعفاء المسلمين وقيل وأنهم المقتنعون به وبآياته تكله على فان
 تمتعهم به لا يكون مدار العز علىهم (واخذنص جناحك للمؤمنين) أى تواضع لهم وارفق بهم وألن جناحك
 لهم وطب نفسا من ايمان الاغنياء (وقل انى انا النذير المبين) أى المنذر المظهر لتزول عذاب الله وحلوله
 (كما انزلنا على المقتسمين) قيل انه متعلق بقوله تعالى ولند آيتناك الخ أى أنزلنا عليك كما انزلنا على
 أهل الكتاب (الذين جعلوا القرآن عضيا) أى قسموه الى حق وباطل حيث قالوا عندنا وعدونا بعضه حق
 موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما أو اقسموه لانفسهم استهزا حيث كان يقول بعضهم سورة
 البقرة ول بعضهم سورة آل عمران وهكذا اقسموا ما قرؤا من كتبهم وحرّفوه فأقرؤا ببعضه وكذبوا
 ببعضه وحل توسط قوله تعالى لا تعتق عينيكم على امداد ما هو المراد بالكلام من التسلية وعقب ذلك بأنه جل
 المقام عن التشبيه واقد اوتي عليه الصلاة والسلام ما لم يؤت أحد بعده ولا بعده مثله وقيل انه متعلق بقوله
 انى انا النذير المبين فانه في قوة الامر بالانذار كانه قيل أنذركم بشا مثل ما أنزلنا على المقتسمين يعنى اليهود وهو
 ما جرى على بنى قريظة والنضير بأن جعل المتوقع كالواقع وقد وقع كذلك وأنت خير بأن ما يشبه به العذاب
 المنذر لا بد أن يكون محقق الوقوع معلوم الحال عند المنذرين اذ به تحقق فائدة التشبيه وهي تأكيد الانذار
 وتشديده وعذاب بنى قريظة والنضير مع عدم وقوعه اذ ذلك لم يسبق به وعد ووعد فهم منه في عقله محضة
 وشك مرئى وتتميز المتوقع منزلة الواقع له موقع جليل من الانجاز ان كان اذا صادف مقاما يتضميه كافي قوله
 تعالى انا فنحنالك فتحاصمينا ونظائر على أن تخصيص الاقسام باليهود بمجرد اختصاص العذاب المذكور بهم
 مع شركتهم للنصارى في الاقسام المتفرع على الموافقة والمخالفة وفي الاقسام بمعنى التعريف الشامل
 للكتابين بل تخصيص العذاب المذكور بهم مع كونه من نتائج الاقسام تخصيص من غير شخص وقد جعل
 الموصول مفعولا اول لانذر أى أنذر المقتسمين الذين يجزئون القرآن الى سحر وشعر وأساطير مثل ما انزلنا على
 المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقسموا اذ دخل مكة أيام الموسم فقدم كل منهم في مدخل لينقروا الناس
 عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغزوا بالبحار من خارج منا فانه ساحر ويقول الآخر شاعر
 والآخر كذاب فأهلكهم الله تعالى يوم بدر وقبله باقات وفيه مع ما فيه من الاشتراك السابق في عدم كون
 العذاب الذى شبه به العذاب المنذر واقعا ولا معلوما للمنذرين ولا موعودا للوقوع أنه لا داعى الى تخصيص
 وصف التعضية بهم واخراج المقتسمين منهم مع كونهم اسوة لهم في ذلك فان وصفهم لرسول الله صلى الله
 عليه وسلم بما وصفوا من السحر والشعر والكذب متفرع على وصفهم للقرآن بذلك وهل هو الا نفس التعضية
 ولا الى اخراجهم من حكم الانذار على أن ما نزل بهم من العذاب لم يكن من الشدة بحيث يشبه به عذاب غيرهم
 ولا مخصوصا بهم بل عامال كلا الفريقين وغيرهم مع أن بعض المنذرين كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل
 والاسود بن المطلب قد هلكوا قبل مهلاك اكثر المقتسمين يوم بدر ولا الى تقديم المفعول الثانى على الاول
 كما ترى وقيل انه وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم القاعدون في مداخل مكة كما حرر وفيه
 مع ما مر أن قوله تعالى كما انزلنا صريح في أنه من قول الله تعالى لا من قول الرسول عليه الصلاة والسلام
 والاعتذار بأن ذلك من باب ما يقوله بعض خواص الملك أمرنا بكذا وان كان الامر هو الملك كما سلف
 في قوله تعالى قدرنا انهم المفسدين تعسف لا يخفى وأن اعمال الوصف الموصوف عالم يجوز البصريون
 فلا بد من الهرب الى مسلك الكوفيين او المصير الى جعله منسوعولا غير صريح أى انا النذير المبين بعذاب مثل
 عذاب المقتسمين وقيل المراد بالمقتسمين الرط الذين تقاسموا على أن يبيتوا صالحا عليه الصلاة والسلام

فأهلهم الله تعالى وأنت تدري أن عذابهم حيث كان متحققا ومعلومًا للمنذرين حسب ما نطق به القرآن العظيم صالح لأن يقع مشبهًا به العذاب المنذر لكن الموصول المذكور عقيب حيث لم يمكن كونه صفة للمقتسمين حينئذ فوا جعلناه مفعولًا أولًا للأنذار والمادل هو عليه من أنذر لا يكون للعرض اعنوان التعضية في حين الصلاة ولا اعنوان الاقسام بالمعنى المزبور في حين المفعول الثاني فائدة لما أن ذلك انما يكون للاشعار بعلية الصلاة والصفة للعنكم الثابت للموصول والموصوف فلا يكون هناك وجه شبه يدور عليه تشبيه عذابهم بعذابهم خاصة لعدم اشتراكهم في السبب فان المعضين بعزل من التقاسم عن التبييت الذي هو السبب لهلاك أولئك كما أن أولئك بعزل من التعضية التي هي السبب لهلاك هؤلاء ولا علاقة بين السببين مفهوما ولا وجودا تصح وقوع أحدهما في جانب والاخر في جانب واتفاق الفريقين على مطلق الاتفاق على الشر المقتسم من الاتفاق على الشر المخصوص الذي هو التبييت المدلول عليه بالتقاسم غير مفيد اذ دلالة اعنوان التعضية على ذلك وانما يدل عليه اقتسام المداخل وجعل الموصول مبتدأ على أن خبره الجملة القسمية لا يليق بجزالة التنزيل وجلالة شأنه الجليل اذا عرفت هذا فاعلم أن الاقرب من الاقوال المذكورة أنه متعلق بالاول وأن المراد بالمقتسمين أهل الكتابين وأن الموصول مع صلاته صفة معينة لكيفية اقتسامهم ومحل الكفاف النصب على المصدرية وحديث جلالة المقام عن التشبيه من لواحق النظر الجليل والمعنى لقسداً بينناك وبينهم من المشابهة بين القرآن العظيم وآياتهم مما لا انزال الكتابين على أهلها وعدم التعرض لذكر ما أنزل عليهم من الكتابين لأن الغرض بيان المشابهة بين الآيتين لا بين متعلقيهما والعدول عن تطبيق ما في جانب التشبيه به على ما في جانب التشبيه بأن يقال كما آتينا المقتسمين حسب ما وقع في قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب الخ للتشبيه على ما بين الآيتين من التناهي فان الاول على وجه التكرمة والامتنان وشأن بينه وبين الثاني ولا يقدح ذلك في وقوعه مشبهًا به فان ذلك انما هو لمصلحة عندهم وتقدم وجوده على التشبيه زمانا لا لازمة تعود الى ذاته كما في الصلاة الخلية فان التشبيه فيها ليس لتكون رحمة الله تعالى الفاضلة على ابراهيم عليه الصلاة والسلام وآله اتم واكمل مما فاض على النبي عليه الصلاة والسلام وانما ذلك للتقدم في الوجود والتخصيص عليه في القرآن العظيم فليس في التشبيه شائبة اشعار بأفضلية التشبيه به من المشبه فضلًا عن ايهام أفضلية ما تعلق به الاول مما تعلق به الثاني وانما ذكرنا بعنوان الاقسام انكار الاتصافهم به مع تحقق ما يتقاسم من الانزال المذكور وايدنا بأنه كان من حقهم أن يؤمنوا بكماله حسب ايمانهم بما أنزل عليهم بحكم الاشتراك في العلة والاتحاد في الحقيقة التي هي مطلق الوحد وتوسيع قوله تعالى لا عدن الخ اكمال اتصاله بما هو المقصود من بيان حال ما ولى النبي عليه الصلاة والسلام ولقد بين اولًا علو شأنه ورفعة مكانه بحيث يستوجب اغنياء طه عليه الصلاة والسلام مكانه واستغنائه به عما سواه ثم نهى عن الالتفات الى زهرة الدنيا وعبر عن آياتهم الالهة بالتبعية المنهي عن شغل زواها عنهم ثم عن الحزن لعدم ايمان المنهكين فيها وأمر برعاية المؤمنين والاكتفاء بهم عن غيرهم وبإظهار قيامهم بما يجب ازسالة ومراعاة النذارة حسبما فصل في تضاعيف ما ولى من القرآن العظيم ثم رجع الى كيفية آياته على وجه أجمع فيه ما يربح شبه المنكرين ويستنزاهم عن العناد من بيان مشاركتهم لما لا يرب لهم في كونه وحيا صادقا فتأمل والله عنده علم الكتاب هذا وقد قيل المعنى قل اني أنا المنذر المبين كما قد أنزلنا في الكتاب انك ستأتي نذيرا على أن المقتسمين أهل الكتاب انتهى يريد أن ما في كما موصوفة والمراد بالمشابهة المستفادة من الكفاف الموافقة وهي مع ما في حيز ما في محل النصب على الحالية من مفعول قل أي قل هذا القول حال كونه كما أنزلنا على أهل الكتابين أي موافقا لذلك فلا نسب حينئذ حمل الاقسام على التعريف أي كون وصفهم بذلك تعريضا فعلا من تحريفهم وكتبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى عشرين جمع عضة وهي الفرقة أصلها عضة فعلة من عضى الشاة تعضية اذا جعلها أعضاء وانما جاءت جمع السلامة جبرا للعدو كسنتين وعشرين والتعبير عن تجزئة القرآن بالتعضية التي هي فريق الاعضاء من ذى الروح المستلزم لازالة حياته وابطال اسمه دون مطلق التجزئة والفريق الذين ربما يوجدان فيما لا ينضم التبعيض من المثالب للتخصيص على كمال قبح ما فعلوه بالقرآن العظيم وقيل هي فعلة من عضته اذا بهته وعن عكرمة العضة السحر بالسان قريش فنقصنا على الاول واو على الثاني هاء (فوردك نسأتهم أجمعين) أي لنسأت يوم القيامة أصناف الكفرة من المقتسمين

وغيرهم سؤال توبيخ وتشريع (عسا كانوا يعملون) في الدين من قول وقول وترك فبدخل فيه ما ذكر من
الانقسام والتعضية دخولا أوليا ونجزيهم بذلك جوازا وموقورا وفيه من التشديد وتأكيده الوعيد ما لا يخفى
في انشاء ترتيب الوعيد على أعمالهم التي ذكر بعضها وفي التعرض لوصف الربوبية مضافا إليه عليه الصلاة
والسلام اظهار اللطف به عليه الصلاة والسلام (فامدع بما تؤمن) فاجهر به من صدع بالحق اذ انكلم بها
بجهارا أو افرق بين الحق والباطل وأصله الابانة والتميز وما صدر به أو موصولة والعائد محذوف أي ما تؤمن
به من الشرائع المودعة في تضاعيف ما اوتيته من المثاني السبع والقرآن العظيم (وأعرض عن المشركين)
أي لا تلتفت الى ما يقولون ولا تبالي بهم ولا تصدق لالتقام منهم (انا كفيئنا المستهزئين) بقمعهم وتدميرهم
فيل كانوا خمسة من أشرف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والحرث بن قيس بن الطلالة
والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب بن العوف في ايدى النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فنزل جبريل
عليه الصلاة والسلام فقال قد أمرت أن اكفيكمهم فأومأ الى ساق الوليد فزنبال فتعلق بثوبه سم فلم ينهط
تعلما لا خذفا أصاب عرقا في عقبه فقطعه فأت وأومأ الى اخمص العاص فدخلت فيه شوكة فقال لدغت
لدغت وانتفتحت رجلك حتى صارت كالرحى فأت وأشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمى والى أنف الحرث
فأتمخضت قيحا فأت والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة وينسرب وجهه
بالشوك حتى مات (الذين يجعلون مع الله الهاء آخر) وصفهم بذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
للخطب عليه باعلام أنهم لم يقتصر واعلى الاستهزاء به عليه الصلاة والسلام بل اجتروا على العظيمة التي هي
الامر بالله سبحانه (فسوف يعلمون) عاقبة ما يأتون ويذرون (واقدن علم انك بضيق صدرك بما يقولون)
من كلمات الشرك والاطعن في القرآن والاستهزاء به وبك وتخلية الجمل بالأكيدة لا فائدة تحقيق ما تنزعنه من
التسلية وصيغة الاستقبال لا فائدة استمرار العلم حسب استمرار متعلقه باستمرار ما يوجب من أقوال الكفرة
(فسبح بحمديك) فافزع الى الله تعالى فيما نابك من ضيق الصدر والخروج بالتسبيح والتقديس ملتجيا
بحمده وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام ما لا يخفى من اظهار اللطف به
عليه الصلاة والسلام والاشعار بعلة الحكم أعنى الامر بالتسبيح والحمد (وكن من الساجدين) أي المصلين
يكفك ويكشف الغم عنك او فنزله عما يقولون ملتجيا بحمده على أن هذا الملحق المبين وعنه عليه الصلاة
والسلام أنه كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة (واعبد ربك) دم على ما أنت عليه من عبادة تعالى واينار
الانطوار بالعنوان السالف آنفا لتأكيده ما سبق من اظهار اللطف به عليه الصلاة والسلام والاشعار بعلة
الامر بالعبادة (حتى يأتيتك اليقين) أي الموت فانه متيقن اللوق بكل حي مخلوق واستاد الايمان اليه لا يذان
بأنه متوجه الى الحق طالب للوصول اليه والمعنى دم على العبادة مادامت حيا من غير اخلال به بالحظرة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار
والمستهزئين بحمده صلى الله عليه وسلم

تم الجزء الاول من ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم لاهولى ابي السعود محمد بن العمادى
لا زالت تبلى تراء رحمة به الهادى ويليها الجزء الثانى اوله تفسير سورة النحل

هذا الكتاب خالص الكرمك



To: www.al-mostafa.com